3 1142 02771 6680

NEW YORK
UNIVERSITY
LIBRARIES

GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY

FD 111,08

31786

a6/36

2992 · L 10

al-Tabari
Him kitab jami' al-bayan
31786
V.18-22

الجزء الثامن عشر

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف

الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت الأمة على تقدمه في التفسير

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هجرية

رحمه الله وأثابه رضاه آمين

وبهامشه

تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان

للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري قدست أسراره

« في كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطي في الاتقان وكتابه « أي الطبري » أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفسير الأقدمين وقال النووي أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري * وعن أبي حامد الاسفرايني أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اه

تنبيه

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة في خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبي الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

(الطبعة الاولى)
بالمطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر المحمية
سنة ١٣٢٨ هجرية

Near East
BP
130
.4
.T28
V.18-22
c.1

﴿سورة المؤمنين مكية وحروفها ٤٨٤٠ كلمها ١٨٤٠ آياتها ١١٨﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الارض وانا على ذهاب به لقادرون فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون فقال الملا الذين كفروا

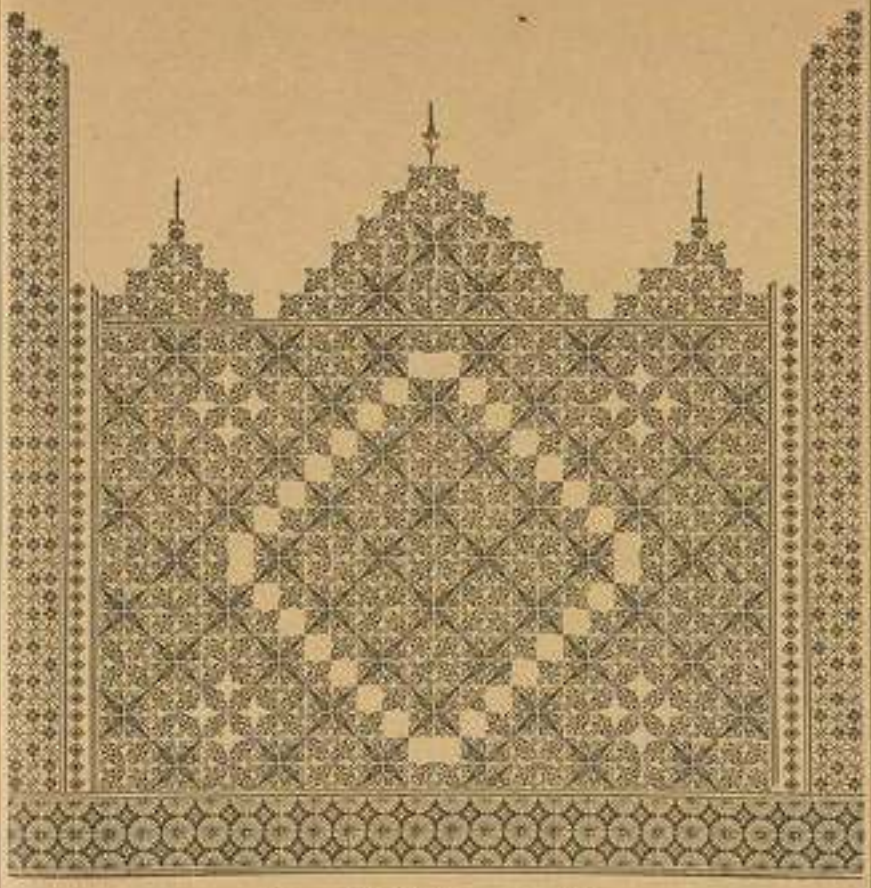

﴿تفسير سورة قد أفلح المؤمنون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون﴾ قال أبو جعفر يعني جل ثناؤه بقوله قد أفلح المؤمنون قد أدرك الذين صدقوا الله ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وأقروا بما جاءهم به من عند الله وعملوا بما دعاهم اليه مما سمى في هذه الآيات الخلود في جنات ربهم وفاز وا بطلبتهم لديه كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله قد أفلح المؤمنون قال قال كعب لم يخلق الله بيده الا ثلاثة خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده ثم قال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون لما عملت فيها من الكرامة حدثنا سهل بن موسى الرازي قال ثنا يحيى بن الضريس عن عمرو بن أبي قيس عن عبد العزيز بن رفيع عن مجاهد قال لما غرس الله تبارك وتعالى الجنة نظر اليها فقال قد أفلح المؤمنون ۞ قال ثنا حفص بن عمر عن أبي خلدة عن أبي العالية قال لما خلق الله الجنة قال قد أفلح المؤمنون فأنزل الله به قرآنا حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن ميسرة قال لم يخلق الله شيأ بيده غير أربعة أشياء خلق آدم بيده وكتب الالواح بيده والتوراة بيده وغرس عدن بيده ثم قال قد أفلح المؤمنون وقوله الذين هم في صلاتهم خاشعون يقول تعالى ذكره الذين هم في صلاتهم اذا قاموا فيها خاشعون وخشوعهم فيها تذللهم لله فيها بطاعته وقيامهم فيها بما أمرهم بالقيام به فيها وقيل انها نزلت من أجل أن القوم كانوا

يرفعون أبصارهم فيها الى السماء قبل نزولها فنهوا بهذه الآية عن ذلك ذكر الرواية بذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت خالدا عن محمد بن سيرين قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى نظر الى السماء فأنزلت هذه الآية الذين هم فى صلاتهم خاشعون قال فجعل بعد ذلك وجهه حيث يسجد حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون بن المغيرة عن أبى جعفر عن الحجاج الصواف عن ابن سيرين قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم فى الصلاة الى السماء حتى نزلت قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون فقالوا بعد ذلك برؤسهم هكذا حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أيوب عن محمد قال نبئت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى رفع بصره الى السماء فنزلت آية ان لم تكن الذين هم فى صلاتهم خاشعون فلا أدرى أية آية هى قال فطأطأ قال وقال محمد وكانوا يقولون لا يجاوز بصره مصلاه فان كان قد استعاد النظر فليغمض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم عن ابن عون عن محمد نحوه واختلف أهل التأويل فى الذى عنى به فى هذا الموضع من الخشوع ففال بعضهم عنى به سكون الاطراف فى الصلاة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد الذين هم فى صلاتهم خاشعون قال السكون فيها حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الزهرى الذين هم فى صلاتهم خاشعون قال سكون المرء فى صلاته حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى مثله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن الثورى عن أبى سفيان الشيبانى عن رجل عن على قال سئل عن قوله الذين هم فى صلاتهم خاشعون قال لا تلتفت فى صلاتك حدثنا عبد الجبار بن يحيى الرملى قال قال ضمرة بن ربيعة عن أبى شوذب عن الحسن فى قوله الذين هم فى صلاتهم خاشعون قال كان خشوعهم فى قلوبهم فغضوا بذلك البصر وخفضوا به الجناح حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم فى قوله خاشعون قال الخشوع فى القلب وقال ساكنون * قال ثنا الحسن قال ثنى خالد بن عبد الله عن المسعودى عن أبى سنان عن رجل من قومه عن على رضى الله عنه قال الخشوع فى القلب وأن تلين لأخيك المسلم كنفك ولا تلتفت * قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء بن أبى رباح فى قوله الذين هم فى صلاتهم خاشعون قال التخشع فى الصلاة وقال لى غير عطاء كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قام فى الصلاة نظر عن يمينه ويساره وجاهه حتى نزلت قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون فما رؤى بعد ذلك ينظر الا الى الارض * وقال آخرون عنى به الخوف فى هذا الموضع ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن الذين هم فى صلاتهم خاشعون قال خائفون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر فى قوله الذين هم فى صلاتهم خاشعون قال الحسن خائفون وقال قتادة الخشوع فى القلب حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله الذين هم فى صلاتهم خاشعون يقول خائفون ساكنون وقد بينا فيما مضى قبل من كتابنا أن الخشوع التذلل والخضوع بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع واذ كان ذلك كذلك ولم يكن الله تعالى ذكره دل على أن مراده من ذلك معنى دون معنى فى عقل ولا خبر كان معلوما أن معنى مراده من ذلك العموم واذ كان ذلك كذلك فتأويل الكلام ما وصفت قبل من أنه والذين هم فى صلاتهم متذللون لله بادامة ما ألزمهم من فرضه وعبادته واذا

من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين قال رب انصرنى بما كذبون فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فاذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين وقل رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين ان فى ذلك لآيات وان كنا لمبتلين ۞ القراآت لأمانتهم على التوحيد ابن كثير على صلاتهم موحدة حمزة وعلى وخلف وعظما العظم موحدين على ارادة الجنس أو على وضع الواحد مكان الجمع لعدم اللبس ابن عامر وأبو بكر وحماد وجملة الاول موحدا والثانى مجموعا زيد عن يعقوب وروى القطعى عن أبى زيد بالعكس فيهما الباقون مجموعين سيناء بكسر السين أبو عمرو وأبو جعفر ونافع وابن كثير الآخرون بفتحها تنبت من الانبات ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب غير روح الآخرون بفتح التاء وضم الباء من النبات نسقيكم بفتح النون نافع وابن عامر وسهل ويعقوب وأبو بكر وحماد بالتاء الفوقانية يزيد الباقون بضم النون منزلا بفتح الميم وكسر الزاء أبو بكر وحماد الآخرون بضم الميم وفتح الزاء ۞ الوقوف

المؤمنون ○ لا خاشعون ○ لا معرضون ○ لا فاعلون ○ لا حافظون ○ ملومين ○ لاعتراض الاستثناء بين الاوصاف ولاستحقاق الشرط الابتداء ولطول الكلام والاداة الآيتان من أوصاف المؤمنين أيضا العادون ○ ج راعون ○ لا يحافظون ○ م والاأوهم تخصيص الارث بالمذكورين فى الآيتين فقط الوارثون ○ لا الفردوس ط خالدون ○ طين ج ○ للعدول عن المظهر الى كناية عن غير مذكور فان المراد من الانسان آدم ومن الهاء فى جعلناه جنس ولد مع عطف ظاهر مكين ○ ج للعطف لما صلى وقد قيل للابتداء بانشاء (٤) نفخ الروح تعظيما آخر ط الخالقين ○ ط لأن ثم لترتيب الاخبار فان بين الاحياء والافناء مهلة لميتون ○ ط لذلك لقادرون ○ للآية مع اتصال المعنى بلفظ الفاء وأعناب م لئلا يوهم أن الجار والمجرور وصف أعناب تأكلون ○ لا لأن شجرة مفعول أنشأنا لا كلين ○ لعبرة ط لان الجملة بعدها ليست بصفة لها تأكلون ○ لا تحملون ○ ط غيره ط تتقون ○ مثلكم لا لأن قوله يريد صفة بشر عليكم ط ملائكة ج لانقطاع النظم مع اتحاد المقول الاولين ج ○ للآية مع اجتناب الابتداء بقول الكفار مع اتحاد مقصود الكلام حين ○ كذبون ○ التنور ○ لا لأن ما بعده جواب فاذا منهم ج لعطف المتفقتين مع اعتراض الاستثناء ظلموا ج للابتداء بان مع احتمال اضمار اللام والفاء للتعليل مغرقون ○ الظالمين ○ المنزلين ○ لمبتلين ○ ۞ التفسير لما انجر الكلام فى السورة المتقدمة الى الختم بالصلاة والزكاة بدأ فى هذه السورة بذكر فضائلهما وفضائل ماينخرط فى سلكهما من مكارم الاخلاق ومحاسن العادات وقد نقضة لما انها تثبت المتوقع ولما تنفيه ولاشك أن المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهى اخبار بثبوت الفلاح لهم وقد مر معنى الايمان والاختلاف فيه بين الاقوام فى أول البقرة وأما الخشوع فمنهم من قال جعله من أفعال القلوب كالخوف والرهبة ومنهم من جعله من أفعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات والنظر الى موضع السجود والتوقى عن كف الثوب أى جمعه والعبث بجسده وثيابه والتمطى والتثاؤب والتغميض وتغطية الفم والسدل بأن يضع وسط الثوب على رأسه أو على عاتقه ويرسل طرفيه والاحتراز عن الفرقعة والتشبيك وتقليب الحصى والاختصار وهو أن يمسك بيده عصا أو سوطا ونحوهما قال الحسن وابن سيرين كان المسلمون يرفعون أبصارهم الى السماء فى صلاتهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك فلما نزلت هذه

تنال لله فيها العبد وثبت ذلة خضوعه فى سكون أطرافه وشغله بفرضه وتركه ما أمر بتركه فيها وقوله والذين هم عن اللغو معرضون يقول تعالى ذكره والذين هم عن الباطل وما يكرهه الله من خلقه معرضون ۞ وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله والذين هم عن اللغو معرضون يقول الباطل **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن عن اللغو معرضون قال عن المعاصى **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن الحسن مثله **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين هم عن اللغو معرضون قال النبى صلى الله عليه وسلم ومن معه من صحابته ممن آمن به واتبعه وصدقه كانوا عن اللغو معرضين ۞ القول فى تأويل قوله ﴿والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ يقول تعالى ذكره والذين هم لزكاة أموالهم التى فرضها الله عليهم فيها مؤدون وفعلهم الذى وصفوا به هو أداؤهموها وقوله والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم يقول والذين هم لفروج أنفسهم وعنى بالفروج فى هذا الموضع فروج الرجال وذلك أفعالهم حافظون يحفظونها من اعمالها فى شئ من الفروج إلا على أزواجهم يقول إلا من أزواجهم اللاتى أحللهن الله للرجال بالنكاح أو ما ملكت أيمانهم يعنى بذلك إماءهم وما التى فى قوله أو ما ملكت أيمانهم فى محل خفض عطفا على الأزواج فانهم غير ملومين يقول فان من لم يحفظ فرجه عن زوجه وملك يمينه وحفظه عن غيره من الخلق فانه غير موبخ على ذلك ولا مذموم ولا هو بفعله ذلك راكب ذنبا يلام عليه ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين يقول رضى الله لهم اتيانهم أزواجهم وما ملكت أيمانهم وقوله فمن ابتغى وراء ذلك يقول فمن التمس لفرجه منكحا سوى زوجته وملك يمينه فأولئك هم العادون يقول فهم المعتدون حدود الله المجاوزون ما أحل الله لهم الى ما حرم عليهم ۞ وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال نهاهم الله نهيا شديدا فقال فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون فسمى الزانى من العادين **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فأولئك هم العادون

الآية طأطأ وكان لا يجاوز بصره مصلاه وهذا الخشوع واجب عند المحققين نقل الامام الغزالي عن أبي طالب المكي عن بشر الحافي من لم يخشع فسدت صلاته وعن الحسن كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة أسرع وعن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه وشماله متعمدا وهو في الصلاة فلا صلاة له وروى عنه مرفوعا ان العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له سدسها وعشرها وانما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها وادعى عبد الواحد بن زيد اجماع العلماء على أنه ليس للعبد الا ما عقل من صلاته ومما يدل على صحة هذا القول قوله سبحانه أفلا يتدبرون القرآن والتدبر لا يتصور بدون الوقوف على المعنى وكذا قوله وأقم الصلاة لذكري (٥) والغفلة تضاد الذكر ولهذا قال ولا تكن من الغافلين وقوله حتى تعلموا ما تقولون نهي للسكران الآن المستغرق في هموم الدنيا بمنزلته وقوله صلى الله عليه وسلم المصلي يناجي ربه ولا مناجاة مع الغفلة أصلا بخلاف سائر أركان الاسلام فان المقصود منها يحصل مع الغفلة فان الغرض من الزكاة كسر الحرص واغناء الفقير وكذا الصوم قاهر القوى كلها لسطوة النفس التي هي عدو الله وكذا الحج فان أفعاله شاقة وفيه من المجاهدة ما يحصل به الابتلاء وان لم يكن القلب حاضرا والمتكلمون أيضا اتفقوا على أنه لا بد من الحضور والخشوع قالوا الا ان السجود لله تعالى طاعة وللصنم كفر وكل واحد منهما يماثل الآخر في ذاته ولوازمه فلا بد من مميز وما ذاك الا القصد والارادة ولا بد فيهما من الحضور وأما الفقهاء فالاكثرون منهم لا يوجبون ذلك فيقال لهم هبوا أنه ليس من شرط الاجزاء وهو عدم وجوب القضاء أليس هو من شرط القبول الذي يترتب عليه الثواب فمن استعار ثوبا ثم رده على أحسن الوجوه فقد خرج عن العهدة وكذا ان رده على وجه الاهانة والاستخفاف الا أنه يستحق المدح في الصورة الاولى والذم في الصورة الثانية وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أبصر رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال صلى الله عليه وسلم لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ونظر الحسن الى رجل يعبث بالحصى وهو يقول اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب أنت * قلت لا ريب أن الاحتياط انما هو في رعاية جانب الخشوع كما حكي عن بعض العلماء أنه اختار الامامة فقيل له في ذلك فقال أخاف ان تركت الفاتحة أن يعاتبني الشافعي وان قرأت مع الامام أن يعاتبني أبو حنيفة فاخترت الامامة طلبا للخلاص عن هذا الخلاف قال علماء المعاني سبب اضافة الصلاة اليهم هو أن الصلاة دائرة بين المصلي والمصلى لاجله فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي عدته وذخيرته وأما

قال الذين يتعدون الحلال الى الحرام حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن أبي عبد الرحمن في قوله فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون قال من زنى فهو عاد ۞ القول في تأويل قوله ﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون ﴾ يقول تعالى ذكره والذين هم لأماناتهم التي ائتمنوا عليها وعهدهم وهو عقودهم التي عاقدوا الناس راعون يقول حافظون لا يضيعون ولكنهم يوفون بذلك كله واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار الا ابن كثير والذين هم لاماناتهم على الجمع وقرأ ذلك ابن كثير لأمانتهم على الواحدة والصواب من القراءة في ذلك عندنا الأمانتهم لاجماع الحجة من القراء عليها وقوله والذين هم على صلواتهم يحافظون يقول والذين هم على أوقات صلاتهم يحافظون فلا يضيعونها ولا يشتغلون عنها حتى تفوتهم ولكنهم يراعونها حتى يؤدوها فيها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق والذين هم على صلواتهم يحافظون قال على وقتها حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مسلم عن مسروق والذين هم على صلواتهم يحافظون قال على ميقاتها حدثنا ابن عبد الرحمن البرقي قال ثنا ابن أبي مريم قال أخبرنا يحيى بن أيوب قال أخبرنا ابن زحر عن الأعمش عن مسلم بن صبيح قال الذين هم على صلواتهم يحافظون قال أقام الصلاة لوقتها * وقال آخرون بل معنى ذلك على صلواتهم دائمون ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم على صلواتهم يحافظون قال دائمون قال يعني بها المكتوبة وقوله أولئك هم الوارثون يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين هذه صفتهم في الدنيا هم الوارثون يوم القيامة منازل أهل النار من الجنة * وبنحو الذي قلنا في ذلك روى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأوله أهل التأويل ذكر الرواية بذلك حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار وان مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله فذلك قوله أولئك هم الوارثون حدثنا الحسن بن يحيى قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة في قوله أولئك هم الوارثون قال يرثون مساكنهم ومساكن اخوانهم التي أعدت لهم لو أطاعوا الله حدثني ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الأعمش عن أبي هريرة أولئك هم الوارثون قال يرثون مساكنهم ومساكن اخوانهم الذين أعدت لهم لو أطاعوا الله حدثنا

المصلى له فتعال عن ذلك ولما كان اللغو هو الساقط من القول أو الفعل احتمل أن يقع في الصلاة وأيضا كان الاعراض عنه من باب التروك كما أن الخشوع وهو استعمال الآداب وما لا يصح ولا تكمل الصلاة الا به كان من باب الافعال وعلى الفعل والترك بناء قاعدة التكليف فلا جرم جعلهما قرينين فقال (والذين هم عن اللغو معرضون) واللغو على ما قلنا يشمل كل ما كان حراما أو مكروها أو مباحا لا ضرورة اليه ولا حاجة قولا أو فعلا فمن الحرام قوله تعالى حكاية عن الكفار لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه فان ذلك اللغو كفر والكفر حرام ومن المباح قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولو لم يكن (٦) مباحا لم يناسبه عدم المؤاخذة والاعراض عن اللغو هو بأن لا يفعله ولا يرضى به ولا يخالط من يأتيه كما قال عز من قائل واذا مروا باللغو مروا كراما ثم وصفهم بفعل الزكاة وهو مناسب للصلاة وليس المراد بالزكاة ههنا عين القدر المخرج من النصاب لان الخلق لا قدرة لهم على فعلها فلا يصح المعنى الا بتقدير مضاف أي لاداء الزكاة فاعلون بل المراد فعل المزكي الذي هو التزكية فقوله للزكي فاعل الزكاة كقولك للضارب فاعل الضرب وعن أبي مسلم أنه حمل الزكاة ههنا على كل فعل محمود مرضي كقوله قد أفلح من تزكى والاول أقرب لانه مناسب لعرف الشرع الصفة الرابعة قوله (والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم) قال الفراء على بمعنى عن وقال غيره هو في موضع الحال أي الا والين أو قوامين على أزواجهم نظيره قولهم كان زياد على البصرة أي واليا عليها والمعنى أنهم مستمرون على حفظ الفروج في كافة الاحوال الا في حال تزوجهم أو تسريهم أو تعلق الجار محذوف يدل عليه غير ملومين كأنه قيل يلامون على كل من يباشرونه الا على أزواجهم فانهم غير ملومين عليهن وجوز في الكشاف أن يكون صلة لحافظين من قولهم احفظ علي عنان فرسي على تضمينه معنى النفي أي لا تسلط على فرسي وانما يقل أو من ملكت لانه اجتمع في السرية وصفان الانوثة التي هي سبب نقصان العقل وكونها بحيث تباع وتشترى كسائر السلع (فمن ابتغى) حدا (وراء ذلك) الحد الذي شرع وهو اباحة أربع من الحرائر وما شاء من الاماء وكنى به حدا فيما (فأولئك هم) الكاملون في العدوان المتناهون فيه قيل لا دليل فيه على تحريم نكاح المتعة لانها من جملة الازواج اذا صح النكاح ومنع من أنها من الازواج ولو كانت زوجة لورث منها الزوج لقوله ولكم نصف ما ترك أزواجكم ولورثت منه لقوله ولهن الربع ثم الآية من العمومات التي دخلها التخصيص بدلائل أخر فيخرج منها الغلام بل الوطء في الدبر على الاطلاق لانه ليس

القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال الوارثون الجنة أورثتموها والجنة التي نورث من عبادنا من كان سواء قال ابن جريج قال مجاهد يرث الذي من أهل الجنة أهله وأهل غيره ومنزل الذين من أهل النار هم يرثون أهل النار فلهم منزلان في الجنة وأهلان وذلك أنه منزل في الجنة ومنزل في النار فأما المؤمن فيبنى منزله الذي في الجنة ويهدم منزله الذي في النار وأما الكافر فيهدم منزله الذي في الجنة ويبنى منزله الذي في النار قال ابن جريج عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد انه قال مثل ذلك ﴿ القول في تأويل قوله ﴿الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾ يقول تعالى ذكره الذين يرثون البستان ذا الكرم وهو الفردوس عند العرب وكان مجاهد يقول هو بالرومية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله الذين يرثون الفردوس قال الفردوس بستان بالرومية ٭ قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال عدن حديقة في الجنة قصرها فيها عدنها خلقها بيده تفتح كل بكر فينظر فيها ثم يقول قد أفلح المؤمنون قال هي الفردوس أيضا تلك الحديقة قال مجاهد غرسها الله بيده فلما بلغت قال قد أفلح المؤمنون ثم أمر بها تغلق فلا ينظر فيها خلق ولا ملك مقرب ثم تفتح كل سحر فينظر فيها فيقول قد أفلح المؤمنون ثم تغلق الى مثلها حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال قتل حارثة بن سراقة يوم بدر فقالت أمه يا رسول الله ان كان ابني من أهل الجنة لم أبك عليه وان كان من أهل النار بالغت في البكاء قال يا أم حارثة انها جنتان في جنة وان ابنك قد أصاب الفردوس الأعلى من الجنة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى أبو سفيان عن معمر عن قتادة عن كعب قال خلق الله بيده جنة الفردوس غرسها بيده ثم قال تكلمي قالت قد أفلح المؤمنون ٭ قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن حسام بن مصك عن قتادة أيضا مثله غير أنه قال تكلمي قالت طوبى للمتقين ٭ قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن يزيد عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي داود نفيع قال لما خلقها الله قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها تكلمي فقالت طوبى لمن رضيت عنه وقوله هم فيها خالدون يعني ما كثون فيها يقول هؤلاء الذين يرثون الفردوس خالدون يعني ما كثون فيها أبدا لا يتحولون عنها ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين﴾ يقول تعالى ذكره ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين أسللنا منه والسلالة هي المستلة من كل تربة وذلك كان آدم خلق من تربة أخذت من أديم الارض ٭ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في المعنى بالانسان في هذا الموضع فقال بعضهم عنى به آدم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة من طين قال استل آدم من الطين حدثنا

موضع حرث وكذا الزوجة والامة فى أحوال الحيض والعدة والاحرام ونحوها وقال أبو حنيفة الاستثناء من النفى ليس باثبات فقوله لاصلاة الا بطهور ولانكاح الا بولى لا يقتضى حصول الصلاة والنكاح بمجرد حصول الطهور والولى ولا تخصيص عنده فى الآية والمعنى أنه يجب حفظ الفروج عن الكل الا فى هاتين الصورتين فانى ماذكرت حكمهما لا بالنفى ولا بالاثبات هكذا نقله الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره الصفة الخامسة رعاية الامانة والعهد والمراد بهما الشئ المؤتمن عليه والمعاهد عليه لتمكن رعايتهما وانراعى القائم على الشئ يحفظ واصلاح كراعى الغنم وراعى الرعية ويحتمل العموم فى كل ما ائتمنوا عليه (٧) وعوهدوا من جهة الله تعالى ومن جهة الناس كالعبادات والمعاملات والودائع والقصود والنيات والعقود والنذور والطلاق والعتاق وغيرها وقد مر فى تفسير قوله ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وقوله يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ويحتمل الخصوص فيما تحملوه من أمانات الناس وعهودهم الصفة السادسة محافظة الصلاة كما مر فى قوله حافظوا على الصلوات وذلك فى البقرة وصفوا أولا بالخشوع فى صلاتهم وآخرا بالمداومة عليها ومراقبة أعدادها وأوقاتها فرائض كانت أو سننا رواتب أو غيرها فالمحافظة أعم من الخشوع وأشمل ومن هنا يعرف فضيلة الصلاة اذ وقع الافتتاح بها والاختتام عليها وان اختلف الاعتباران والعبارتان (أولئك هم الوارثون) الأحقاء بأن يسموا وارثا دون من عداهم ممن يرث مالا فانيا أو متاعا قليلا أو ممن يدخل الجنة سواهم كالاطفال والمجانين والفساق بعد العفو وكالولدان والحور ثم بين الموروث بقوله (الذين يرثون الفردوس) وقد سبق معنى هذه الوراثة فى الاعراف فى قوله ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها قال الفقهاء لا فرق فى الميراث بين ما ملكه الميت وبين ما يقدر ملكه فيه ولذلك قالوا للمدين انها ميراث المقتول وكل من فى الجنة فله مسكن مفروض فى النار على تقدير كفره وكل من فى النار فله مسكن مفروض فى الجنة على تقدير ايمانه كما ورد فى الحديث فاذا تبادل المسكنان كان جميع أهل الجنة وارثين ولكن كل الفردوس لا يكون ميراثا لبعضه ميراث وبعضه بالاستحقاق الا أنه يصدق بالجملة أنهم ورثوا الفردوس أى الجنة ولهذا أنث الضمير فى قوله (هم فيها خالدون) وقيل ان الجنة كانت مسكن أبينا آدم عليه السلام فاذا انتقلت الى أولاده كان شبيها بالميراث والفردوس بلسان الحبشة أو الروم هو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر روى أن الله عز وجل بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر

الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة فى قوله من سلالة من طين قال استل آدم من طين وخلقت ذريته من ماء مهين ◦ وقال آخرون بل معنى ذلك ولقد خلقنا ولد آدم وهو الانسان الذى ذكر فى هذا الموضع من سلالة وهى النطفة التى استلت من ظهر الفحل من طين وهو آدم الذى خلق من طين ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن أبى يحيى عن ابن عباس من سلالة من طين قال صفوة الماء حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله من سلالة من منى آدم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ◦ وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال معناه ولقد خلقنا ابن آدم من سلالة آدم وهى صفوة مائه وآدم هو الطين لانه خلق منه وانما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية لدلالة قوله ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين على أن ذلك كذلك لانه معلوم أنه لم يصر فى قرار مكين الا بعد خلقه فى صلب الفحل ومن بعد تحوله من صلبه صار فى قرار مكين والعرب تسمى ولد الرجل ونطفته سليله وسلالته لأنهما مسلولان منه ومن السلالة قول بعضهم

(١) حملت به عصب الأديم غضنفرا ◦ سلالة فرج كان غير حصين

وقول الآخر

وهل كنت الا مهرة عربية ◦ سلالة أفراس تجللها بغل

فمن قال سلالة جمعها سلالات ومن جمعها سلائل وليس بالكثير لان السلائل جمع للسليل ومنه قول بعضهم

اذا أنتجت منها المهارى نشابهت ◦ على القود إلا بالانوف سلائله

وقول الراجز ◦ يقذفن فى أسلابها بالسلائل ◦

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم جعلنا الانسان الذى جعلناه من سلالة من طين نطفة فى قرار مكين وهو حيث استقرت فيه نطفة الرجل من رحم المرأة ووصفه بأنه مكين لأنه مكن لذلك وهيئ له ليستقر فيه الى بلوغ أمره الذى جعله له قرارا وقوله ثم خلقنا النطفة

---

(١) الذى فى اللسان بخاتمه الخ فتنبه كتبه مصححه

وروى أبو موسى الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الفردوس مقصورة الرحمن فيها الانهار والانهار وعن أبى أمامة مرفوعا سلوا الله الفردوس فانها أعلى الجنان وان أهل الفردوس يسمعون أطيط العرش وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لما خلق الله تعالى جنة عدن قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا أحسن العبد الوضوء وصلى الصلاة لوقتها وحافظ على ركوعها وسجودها ومواقيتها قالت حفظك الله كما حافظت على ونشفع لصاحبها فاذا أضاعها قالت ضيعك الله كما ضيعتنى وتلف كما يلف الثوب ويضرب بها على وجه صاحبها قالت العلماء أما كلام الجنة فالمراد به أنها أعدت للتلقين كقوله قالتا أتينا طائعين وكذا الكلام فى كلام طوبى وأما أنه تعالى خلق الجنة بيده فالمراد تولى خلقها وايجادها من غير واسطة وأما حديث الصلاة فلا ريب أنها حركات وسكنات ولا يصح عليها التكلم فالمراد به ضرب المثل كقولك للنعم عليك ان احسانك الى ينطق بالشكر ولما حث عباده على العبادات ووعدهم الفردوس على مواظبتها عاد الى تقرير المبدا والمعاد ليتمكن ذلك فى نفوس المكلفين وهو ثلاثة أنواع الاول الاستدلال باطوار خلق الانسان والسلالة الخلاصة لانها نسل من بين الكدر وهذا البناء للقلة ولما يسقط عن النبى كالقلامة قال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومقاتل المراد آدم لانه استل من الطين والكناية فى جعلناه راجعة الى الانسان الذى هو ولد آدم أى جعلنا جوهره نطفة وقال آخرون الانسان ههنا هو ولد آدم والطين اسم آدم والسلالة هى الاجزاء الكلية المبثوثة فى أعضائه التى تجتمع منيا فى أوعيته ويحتمل أن يقال ان كل نسل آدم حاله كذلك لان غذاءه ينتهى الى النبات المتولد من صفو الارض والماء المسمى بالسلالة ثم ان ذلك السلالة تصير منيا

علقة يقول ثم صيرنا النطفة التى جعلناها فى قرار مكين علقة وهى القطعة من الدم فخلقنا العلقة مضغة يقول فجعلنا ذلك الدم مضغة وهى القطعة من اللحم وقوله فخلقنا المضغة عظاما يقول فجعلنا تلك المضغة اللحم عظاما وقد اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق سوى عاصم فخلقنا المضغة عظاما على الجماع وكان عاصم وعبد الله بن عامر يقرآن ذلك عظما فى الحرفين جميعا على التوحيد والقراءة التى نختار فى ذلك الجماع لاجماع الحجة من القراء عليه وقوله فكسونا العظام لحما يقول فألبسنا العظام لحما وقد ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله ثم خلقنا النطفة عظما وعصبا فكسوناه لحما وقوله ثم أنشأناه خلقا آخر يقول ثم أنشأنا هذا الانسان خلقا آخر وهذه الهاء التى فى أنشأناه عائدة على الانسان فى قوله ولقد خلقنا الانسان وقد يجوز أن تكون من ذكر العظم والنطفة والمضغة جعل ذلك كله كالشئ الواحد فقيل ثم أنشأناذلك خلقا آخر واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ثم أنشأناه خلقا آخر فقال بعضهم انشأوه ايا خلقا آخر نفخه الروح فيه فيصير حينئذ انسانا وكان قبل ذلك صورة ذكر من قال ذلك حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن عطاء عن ابن عباس فى قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال نفخ الروح فيه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا هشيم عن الحجاج بن أرطاة عن عطاء عن ابن عباس بمثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ثم أنشأناه خلقا آخر قال الروح حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عبد الرحمن بن الاصبهانى عن عكرمة فى قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال نفخ الروح فيه حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا عبد الرحمن قال ثنا سلمة عن داود بن أبى هند عن الشعبى ثم أنشأناه خلقا آخر قال نفخ فيه الروح . قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد بمثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية فى قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال نفخ فيه الروح فهو الخلق الآخر الذى ذكر حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ثم أنشأناه خلقا يعنى الروح تنفخ فيه بعد الخلق حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال الروح الذى جعله فيه . وقال آخرون انشأوه خلقا آخر تصريفه اياه فى الاحوال بعد الولادة فى الطفولة والكهولة والاغتذاء ونبات الشعر والسن ونحو ذلك من أحوال الاحياء فى الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن سعد قال ثنا أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم أنشأناه

وعلى هذا فكلتا الفظى من للابتداء قال فى الكشاف الاولى للابتداء والثانية للبيان وهو موجه على التفسير الاول فقط والقرار المستقر أراد به الرحم وانما وصفت بالمكين لمكانتها فى نفسها فانها مكنت حيث هى وأحرزت أو على الاسناد المجازى باعتبار المستقر فيها كقولك طريق سائر وترتيب الاطوار كما مر فى أول الحج ومعنى ثم فى بعض هذه المعطوفات تراخى الرتبة ولاسيما فى قوله ثم أنشأناه خلقا آخر أى خلقا مباينا الخلق الاول حيث جعله حيوانا وكان جمادا الى غير ذلك من دقائق اللطف وغرائب الصنع وذلك بعد استكماله ثلاثة أربعينات

ومن هنا ذهب أبو حنيفة فيمن غصب بيضة فأفرخت عنده الى أنه يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق آخر سوى البيضة وروى العوفى عن ابن عباس أن ذلك تصريف الله فى أطواره بعد الولادة من الطفولية وما بعدها الى استواء الشباب وخلق الفهم والعقل فيه يؤيده قوله (ثم انكم بعد ذلك لميتون) ويروى هذا القول أيضا عن مجاهد وابن عمر (فتبارك الله) كثر خيره وبركته أو هو وصف له بالدوام والبقاء أو بالتعالى لان البركة يرجع معناها الى الاستدادو كل ما زاد على الشئ فقد علاه ومعنى (أحسن الخالقين) أحسن المقدرين تقدير الحذف المميز للعلم به قالت المعتزلة فى الآية دلالة على أن كل ما يفعله الله فهو حسن وحكمة فلا يكون خالقا للكفر (٩) والمعاصى وأجيب بأن الحسن ههنا بمعنى الاحكام والاتقان فى التركيب والتأليف وبأنه لا يقبح منه شئ لانه تعالى يتصرف فى ملكه قالوا لولا أن غيره تعالى خالق لم تحسن هذه الاضافة فيعلم منه أن العبد خالق أفعاله وعورض بقوله الله خالق كل شئ وأجيب بأن المراد أنه أحسن الخالقين فى زعمكم واعتقادكم وبعضهم أجاب بأن وجه حسن الاضافة هو أنه تعالى وصف عيسى بأنه يخلق من الطين كهيئة الطير ولا يخفى ضعف هذا الجواب من أنه يلزم اطلاق الجمع على الواحد ومن حيث انه يلزم اطلاق الخالق على المصورين والحق أن الخلق لو كان بمعنى التقدير لا بمعنى الايجاد لا يلزم منه شئ من هذه الاشكالات روى أن عبد الله بن أبى سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمد صلى الله عليه وسلم نبيا يوحى اليه فأنا نبى يوحى الىّ فلحق بمكة كافرا ثم أسلم يوم الفتح وروى عن عمر أيضا سبق لسانه بقوله فتبارك الله أحسن الخالقين قبل أن ينزل واعلم أن هذا غير مستبعد ولا قادح فى اعجاز القرآن لأنه ليس بمقدار

خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين يقول خرج من بطن أمه بعد ما خلق فكان من بدء خلقه الآخر أن استهل ثم كان من خلقه أن دل على ثدى أمه ثم كان من خلقه أن علم كيف يبسط رجليه الى أن قعد الى أن حبا الى أن قام على رجليه الى أن مشى الى أن فطم فعلم كيف يشرب ويأكل من الطعام الى أن بلغ الحلم الى أن بلغ أن يتقلب فى البلاد حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ثم أنشأناه خلقا آخر قال يقول بعضهم هو نبات الشعر وبعضهم يقول هو نفخ الروح حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك ثم أنشأناه خلقا آخر قال يقال الخلق الآخر بعد خروجه من بطن أمه بسنه وشعره * وقال آخرون بل عنى بانشائه خلقا آخر سوى شبابه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال حين استوى شبابه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد حين استوى به الشباب وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال عنى بذلك نفخ الروح فيه وذلك أنه بنفخ الروح فيه يتحول خلقا آخر انسانا وكان قبل ذلك بالاحوال التى وصفه الله أنه كان بها من نطفة وعلقة ومضغة وعظم وبنفخ الروح فيه يتحول عن تلك المعانى كلها الى معنى الانسانية كما تحول أبوه آدم بنفخ الروح فى الطينة التى خلق منها انسانا وخلقا آخر غير الطين الذى خلق منه وقوله فتبارك الله أحسن الخالقين اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه فتبارك الله أحسن الصانعين ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ليث عن مجاهد فتبارك الله أحسن الخالقين قال يصنعون ويصنع الله والله خير الصانعين * وقال آخرون انما قيل فتبارك الله أحسن الخالقين لان عيسى بن مريم كان يخلق فأخبر جل ثناؤه عن نفسه أنه يخلق أحسن مما كان يخلق ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج فى قوله فتبارك الله أحسن الخالقين قال عيسى بن مريم يخلق وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول مجاهد لأن العرب تسمى كل صانع خالقا ومنه قول زهير

ولأنت تفرى ما خلقت وبعـ ـض القوم يخلق ثم لا يفرى

ويروى ولأنت تخلق ما فريت وبعـ ـض القوم يخلق ثم لا يفرى

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون﴾ يقول تعالى

سورة الكوثر التى وقع فيها أقل التحدى به * سؤال ما الحكمة فى الموت وهلا وصل نعيم الدنيا بنعيم الآخرة ليكون فى الانعام أبلغ * جواب لو كان كذلك لكان الآتى بالطاعة آتيا بها لمحض الجنة والثواب فلا يجرم أوقع الله تعالى الامانة والاعادة فى البين لتكون الطاعات أدخل فى الاخلاص وأبعد عن صورة المبايعة وليس فى ذكر الحياتين نفى الثالثة وهى حياة القبر فتعرف تلك بدليل آخر ويمكن ان يقال بل الآية تتضمنها فانها أيضا من جنس الاعادة ۞ النوع الثانى الاستدلال بخلق السموات قال الخليل والفراء والزجاج سميت السموات طرائق لأنها طورق بعضها فوق بعض كطارقة النعل وقال على بن عيسى لانها

طرق الملائكة ومتقلباتهم وقيل لانها طرائق الكواكب فيها مسيرها (وما كنا عن الخلق) أى عن السموات وحفظها أن لا تقع على الارض قاله سفيان بن عيينة وعن الحسن أراد بالخلق الناس أى ما كنا (غافلين) عن مصالحهم نخلقنا الطرائق فوقهم لينزل منها عليهم البركات والارزاق ولينتفعوا بغير ذلك من منافعها ويحتمل أن يريد بالاول كمال قدرته وبالثانى كمال علمه بأحوال مخلوقاته وفيه نوع من الزجر ويمكن أن يراد خلقنا السموات وما كنا عن خلقها غافلين فليذا لم تخرج عن التقدير الذى أردنا كونها عليه نظير ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت

﴿ النوع الثالث الاستدلال بنزول الامطار (١٠) واخراج النبات وانشاء الحيوانات ونزول المطر عند الظاهرين من أهل الشرع لا بعد أن يكون من نفس السماء وعند أرباب المعقول منهم يراد به انزاله من جهة السماء قالوا انه سبحانه يصعد الأجزاء المائية من البحر بواسطة التبخير فتصير فى الجو صافية عذبة زائلة عنها ملوحة البحر ثم ينزلها بواسطة السحب وقد سلف فى أول البقرة تفصيل ذلك ومعنى (بقدر) بتقدير يسلمون معه من المضار ويصلون الى المنافع أو بمقدار يوافق حاجاتهم ومعنى اسكان ماء المطر فى الارض جعله مددا للينابيع والآبار وقيل أراد انباته فى الارض على ما روى عن ابن عباس ان الانهار خمسة سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة واستودعها الجبال وأجراها فى الارض (وانا على ذهاب به لقادرون) أى كما قدرنا على انزاله فنحن قادرون على أن نذهب به بوجه من الوجوه ولهذا التنكير حسن موقع لايخفى اذ فيه ايذان على أن الذاهب به قادر على أى وجه أراد وفيه تحذير من كفران نعمة الماء وتخويف من نفاده اذا لم يشكر ثم لما نبه على عظم نعمته بخلق الماء بين المنافع الحاصلة بسببه وخص منها النخيل والاعناب وشجرة الزيتون لانها أكرم الشجر وأعمها نفعا ووصف النخل والعنب بأن ثمرهما جامع لامرين التفكه والتطعم وجوز فى

وشجرة

الكشاف أن يكون قوله ومنها تأكلون من قولهم فلان يأكل من حرفة كذا كأنه قال ومن هذه الجنان وجوه أرزاقكم ومعايشكم ووصف الزيتون بأن دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا قال جار الله طور سيناء وطور سينين اما أن يكون الطور فيه مضافا الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما أن يكون المجموع اسما للجبل وهو جبل فلسطين على قول والطور الذى منه نودى موسى من قرأ سيناء بفتح السين فهو كصحراء ومن قرأ بكسرها فمنع صرفه للعلمية والعجمة أو التأنيث بتأويل البقعة ولا يكون ألفه حينئذ للتأنيث كعلباء وحرباء قال

ذكره ثم انكم أيها الناس من بعد انشائكم خلقا آخر وتصييرنا كم انسانا سويا ميتون وعائدون ترابا كما كنتم ثم انكم بعد موتكم وعودكم رفاتا باليا مبعوثون من التراب خلقا جديدا كما بدأنا كم أول مرة وانما قيل ثم انكم بعد ذلك لميتون لانه خبر عن حال لهم يحدث لم يكن وكذلك تقول العرب لمن لم يمت هو مائت وميت عن قليل ولا يقولون لمن قد مات مائت وكذلك هو طامع فيما عندك اذا وصف بالطمع فاذا أخبر عنه أنه سيفعل ولم يفعل قيل هو طامع فيما عندك غدا وكذلك ذلك فى كل ما كان نظير الماذكرناه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد خلقنا فوقكم أيها الناس سبع سموات بعضهن فوق بعض والعرب تسمى كل شئ فوق شئ طريقة وانما قيل للسموات السبع سبع طرائق لان بعضهن فوق بعض فكل سماء منهن طريقة ● وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق قال الطرائق السموات وقوله وما كنا عن الخلق غافلين يقول وما كنا فى خلقنا السموات السبع فوقكم عن خلقنا الذى تحتها غافلين بل كنا لهم حافظين من أن تسقط عليهم فتهلكهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض وانا على ذهاب به لقادرون ﴾ يقول تعالى ذكره وأنزلنا من السماء ما فى الارض من ماء فأسكناه فيها كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض ماء هو من السماء وقوله وانا على ذهاب به لقادرون يقول جل ثناؤه وانا على الماء الذى أسكناه فى الارض لقادرون أن نذهب به فنهلكوا أيها الناس عطشا وتخرب أرضوكم فلا تنبت زرعا ولا غرسا وتهلك مواشيكم يقول فمن نعمتى عليكم ترك ذلك لكم فى الارض جاريا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون ﴾ يقول تعالى ذكره فأحدثنا لكم بالماء الذى أنزلناه من السماء بساتين من نخيل وأعناب لكم فيها يقول لكم فى الجنات فواكه كثيرة ومنها تأكلون يقول ومن الفواكه تأكلون وقد يجوز أن تكون الهاء والألف من ذكر الجنات ويحتمل أن تكون من ذكر النخيل والاعناب وخص جل ثناؤه الجنات التى ذكرها فى هذا الموضع فوصفها بأنها من نخيل وأعناب دون وصفها بسائر ثمار الارض لان هذين النوعين من الثمار كانا هما أعظم ثمار الحجاز وما قرب منها فكانت النخيل لأهل المدينة والأعناب لأهل الطائف فذكر القوم بما يعرفون من نعمة الله عليهم بما أنعم به عليهم من ثمارها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين ﴾ يقول تعالى ذكره وأنشأنا لكم أيضا شجرة تخرج من طور سيناء

في الكشاف بالدهن في موضع الحال والباء للمصاحبة دون التعدية لان نبات الدهن أو انباته لا يكاد يستعمل فالمعنى تنبت الشجرة وفيها الدهن أو تنبت الشجرة زيتونها وفيه الزيت ويجوز أن يكون أنبت بمعنى نبت أيضا والصبغ الادام لانه يصبغ الخبز قلت لا يبعد أن يريد بالصبغ نفس ثمر الزيتون لا الزيت وكذا يحتمل أن تكون الباء في بالدهن للتعدية الا أن يكون الانبات متعديا قال المفسرون انما أضافها الله تعالى الى هذا الجبل لانها منه نشعبت في البلاد وتفرقت أولان معظمها هناك قوله (وان لكم في الانعام لعبرة) قدم في النحل ولعل القصد بالانعام ههنا الابل خاصة لانها هي المحمول عليها في العادة ولانه قرنها بالفلك وهي سفائن البر كما أن الفلك سفائن البحر

وشجرة منصوبة عطفا على الجنات ويعني بها شجرة الزيتون وقوله تخرج من طور سيناء يقول تخرج من جبل ينبت الاشجار وقد بينت معنى الطور فيما مضى بشواهده واختلاف المختلفين بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وأما قوله سيناء فان القراء اختلفت في قراءته فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة سيناء بكسر السين وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة سيناء بفتح السين وهما جميعا مجموعون على مدها والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان في قرأة الامصار بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فصيب * واختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم معناه المبارك كأن معنى الكلام عنده وشجرة تخرج من جبل مبارك ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله طور سيناء قال المبارك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وشجرة تخرج من طور سيناء قال هو جبل بالشام مبارك * وقال آخرون معناه حسن ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله طور سيناء قال هو جبل حسن حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله من طور سيناء الطور الجبل بالنبطية وسيناء حسنه بالنبطية * وقال آخرون هو اسم جبل معروف ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله من طور سيناء قال الجبل الذي نودي منه موسى صلى الله عليه وسلم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله طور سيناء قال هو جبل الطور الذي بالشام جبل بيت المقدس قال ممدود هو بين مصر وبين أيلة * وقال آخرون معناه أنه جبل ذو شجر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عمن قاله * والصواب من القول في ذلك أن يقال ان سيناء اسم أضيف اليه الطور يعرف به كما قيل جبل طي فأضيفا الى طي ولو كان القول في ذلك كما قال من قال معناه جبل مبارك أو كما قال من قال معناه حسن لكان الطور منونا وكان قوله سيناء من نعته على أن سيناء بمعنى مبارك وحسن غير معروف في كلام العرب فيجعل ذلك من نعت الجبل ولكن القول في ذلك ان شاء الله كما قال ابن عباس من أنه جبل عرف بذلك وأنه الجبل الذي نودي منه موسى صلى الله عليه وسلم وهو مع ذلك مبارك لا أن معنى سيناء معنى مبارك وقوله تنبت بالدهن اختلفت القراء في قراءة قوله

واما قال في هذه السورة (فواكه كثيرة) بالجمع بخلاف ما في الزخرف لتناسب قوله هنا منافع كثيرة ولتناسب قوله جنات كما قال هناك فاكهة على التوحيد لتناسب قوله وتلك الجنة واما قال هنا في الموضعين (ومنها تأكلون) بزيادة الواو وخلاف الزخرف لأن تقدير الآية منها تدخرون ومنها تأكلون ومنها تبيعون ومنها ومنها وليس كذلك فاكهة الجنة فانها للاكل فحسب فافهم واعلم أنه لما انجر الكلام الى ذكر الفلك أتبعه قصة نوح لانه أول من ألهم صنعتها وفيه أيضا تمزيج القصص بدلائل التوحيد على عادة القرآن لاجل الاعتبار والتنشيط وقوله (ما لكم من اله غيره) جملة مستأنفة تجري مجرى التعليل للامر بالعبادة ومعنى (أفلا تتقون) أفلا تخافون أن تتركوا عبادة من هو لوجوب وجوده مستحق العبادة ثم تذهبوا فتعبدوا ما ليس بهذه الصفة بل هو في أخس مراتب الامكان وهي الجمادية ثم حكى الله سبحانه عنهم شبها الاولى قولهم (ما هذا الا بشر مثلكم) انكار كون الرسول من جنس البشر أو انكار كونه مثلهم في الاسباب الدنيوية من المال والجاه والجمال كأنهم ظنوا أن القرب من الله يوجب المزية في هذه الامور ويتأكد هذا الاحتمال بالشبهة الثانية وهي قوله (يريد أن يتفضل عليكم) أي يتكلف طلب الفضل والرياسة عليكم نظيره وتكون لكما الكبرياء في الارض ويتأكد الاحتمال الاول بالشبهة الثالثة وهي قوله ولو شاء الله لأنزل ملائكة لعلو شأنهم ووفور علمهم وكمال قوتهم وقد حكى هذه الشبهة عن أقوام آخرين في سالف السجدة قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة خص هذه السورة باسم الله على الاصل ولتقدم ذكر الله وخص تلك السورة باسم الرب لتقدم ذكر الرب في قوله ذلك رب العالمين وهم من جملة العالمين قالوا ما اعتقادا واما استهزاء الشبهة الرابعة الاعتصام بحبل التقليد (ما سمعنا بهذا) أي بمثل هذا الكلام أو بمثل هذا المدعى فيجوز أن يكونوا

صادقين فى ذلك المقطرة المتداولة ويجوز أن يكونوا جاهلوا وتكذبوا لانهما كهم فى النبى وتشرهم لدفع الحق واحتقام النبى صلى الله عليه وسلم بأى وجه يمكنهم يؤيده الشبهة الخامسة وهى نسبتهم اياه الى الجنون مع علمهم ظاهرا بأنه أرجح الناس عقلا ورزانة قال جار الله الجنة الجنون أو الجن أى به جن يخبلونه وهذا بناء على زعم العوام أن المجنون ضربه الجن ثم رتبوا على هذه الشبهة قولهم (فتربصوا به حتى حين) أى اصبروا عليه الى أن ينكشف جنونه ويفيق أو الى أن يموت أو يقتل وهذه الشبهة من باب الترويج على العوام فانه عليه السلام كان يفعل أفعالا على خلاف عاداتهم وكان رؤساؤهم يقولون للعوام (١٢) انه مجنون لينفروهم عنه وليلبسوا عليهم أمره ويحتمل أن يكون هذا كلاما مستأنفا وهو أن يقولوا لقومهم اصبروا فانه ان كان نبيا حقا فالله ينصره ويقوى أمره فحينئذ نتبعه وان كان كاذبا فالله يخذله ويبطل أمره فحينئذ نستريح منه واعلم أنه سبحانه لم يذكر جواب شبهاتهم لركاكتها ولانه قد علم فى هذا الكتاب الكريم أجوبتها غير مرة ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا أرأيتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيأ ولا يهتدون واذا بطل طريقة التقليد صار حديث التربص ضائعا بل يجب قبول قول من يدعى النبوة بعد ظهور المعجزة من غير توقف ثم حكى أن نوحا عليه السلام لما علم اصرارهم على الكفر (قال رب انصرنى) أى أهلكهم بسبب تكذيبهم اياى ففى نصرته اهلاكهم أو انصرنى بدل تكذيبهم اياى كقولك هذا بذاك والمراد بدلنى من غم التكذيب سلوة النصرة أو انصرنى بانجاز ما كذبونى فيه وهو وعد العذاب فى قوله انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم وباقى القصة الى قوله انهم مغرقون قد مر تفسير مثلها فى سورة هود ومعنى فاسلك أدخل فيها وقد مر فى أول الحجر فى قوله يقول كذلك نسلكه و (سبق عليه القول) نقيض سبقت لهم منا الحسنى لان على تستعمل فى الضار كما أن اللام تستعمل فى النافع وقد جاء زيادة منهم ههنا على الاصل وحذفت فى هود ليحسن عطف ومن آمن من غير التباس وبشاعة قيل فى قوله باعيننا على الجمع فساد قول المشبهة ان الله خلق آدم على صورته أما قوله (فاذا استويت) أى ركبت واستويت (أنت ومن معك على الفلك فقل) لم يقل فقولوا لان أول الكلام مبنى على خطاب نوح ولان قول النبى قول الأمة مع ما فيه من الاشعار بفضله ومن اظهار الكبرياء وان كل أحد لا يليق بخطاب رب

تنبت فقرأته عامة قراء الامصار تنبت بفتح التاء بمعنى تنبت هذه الشجرة بثمر الدهن وقرأه بعض قراء البصرة تنبت بضم التاء بمعنى تنبت الدهن تخرجه وذكر أنها فى قراءة عبد الله تخرج الدهن وقالوا الباء فى هذا الموضع زائدة كما قيل أخذت ثوبه وأخذت بثوبه وكما قال الراجز

نحن بنو جعدة أرباب الفلج ● نضرب بالبيض ونرجو بالفرج

بمعنى ونرجو الفرج والقول عندى فى ذلك أنهما لغتان نبت وأنبت ومن أنبت قول زهير

رأيت ذوى الحاجات حول بيوتهم ● قطينا لهم حتى اذا أنبت البقل

ويروى نبت وهو كقوله فأسر بأهلك وفاسر غير أن ذلك وان كان كذلك فان القراءة التى لا أختار غيرها فى ذلك قراءة من قرأ تنبت بفتح التاء لاجماع الحجة من القراء عليها ومعنى ذلك تنبت هذه الشجرة بثمر الدهن كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد تنبت بالدهن قال بثمره حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله والدهن الذى هو من ثمره الزيت كما حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله تنبت بالدهن يقول هو الزيت يؤكل ويدهن به وقوله وصبغ للآكلين يقول تنبت بالدهن وبصبغ للآكلين يصطبغ بالزيت الذين يأكلونه كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وصبغ للآكلين قال هذا الزيتون صبغ للآكلين يأتدمون به ويصطبغون به قال أبو جعفر وقرأ الصبغ عطف على الدهن ﴿القول فى تأويل قوله ﴿وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون﴾ يقول تعالى ذكره وان لكم أيها الناس فى الأنعام لعبرة تعتبرون بها فتعرفون بها أيادى الله عندكم وقدرته على ما يشاء وأنه الذى لا يمتنع عليه شئ أراده ولا يعجزه شئ شاءه نسقيكم مما فى بطونها من اللبن الخارج من بين الفرث والدم ولكم مع ذلك فيها يعنى فى الانعام منافع كثيرة وذلك كالابل التى يحمل عليها ويركب ظهرها ويشرب درها ومنها تأكلون يعنى من لحومها تأكلون وقوله وعليها وعلى الفلك تحملون يقول وعلى الانعام وعلى السفن تحملون على هذه فى البر وعلى هذه فى البحر ﴿القول فى تأويل قوله ﴿ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أرسلنا نوحا الى قومه داعيهم الى طاعتنا وتوحيدنا والبراءة من كل معبود سوانا فقال لهم نوح ياقوم اعبدوا الله يقول قال لهم ذلوا ياقوم لله بالطاعة مالكم من اله غيره يقول مالكم من معبود يجوز لكم أن تعبدوه غيره أفلا تتقون

العزة وفى الامر بالحمد على هلاكهم تقبيح صورة الظلمة كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وانما جعل سبحانه استواءهم على السفينة نجاة من الغرق جزما لانه كان عرف أن ذلك سبب نجاتهم من الاشتراك مع الظلمة فى حكم الاهلاك ثم أمره أن يسأل ما هو أهم وأنفع أن ينزله فى السفينة بدليل عطف وقل على جزاء فاذا استويت أو ينزله فى الارض عند خروجهم من السفينة لانه لا يبعد أن يدعو عند ركوب السفينة بما يتعلق بالخروج منها (منزلا) أى انزالا أو موضع انزال يبارك له فيه بزيادة اعطاء خيرى الدارين وقد أمره أن يشفع بالدعاء الثناء المطابق للمسئلة وهو قوله (وأنت خير المنزلين) أى انزالا وذلك أنه أقدر (١٣) على الحفظ وأعلم بحال النازل بل كل منزل فانه لا يقدر على ايصال الخير الى النازل الا باقداره وتمكينه والقاء تلك الداعية فى قلبه (ان فى ذلك) الذى ذكر من القصة (لآيات) لعبرا ودلالات لمن اعتبر واذكر فان اظهار تلك المياه العظيمة والذهاب بها الى مقار لا يقدر عليها الا القدير الخبير (وان كنا) هى المخففة من الثقيلة واللام فى (لمبتلين) هى الفارقة والمعنى وان الشأن والقصة كنا مبتلين أى مصيبين قوم نوح ببلاء الغرق أو مختبرين بهذه الآيات من يخلفهم لننظر من يعتبر كقوله ولقد تركناها آية فهل من مدكر وقيل المراد كما يعاقب بالغرق من كفر فقد نمتحن به من لم يكفر على وجه المصلحة لا التعذيب فليس الغرق كله على وجه واحد ۞ التأويل الفلاح الظفر والفوز والبقاء أى ظفر المؤمنون بالايمان الحقيقى المفيد بجميع الشرائط بنفوسهم ببذلها فى الله وفازوا بالوصول الى الله وبقوله بعد أن فتوا فيه الخشوع فى الظاهر انتكاس الرأس وغض العين واستماع الاذن وقراءة اللسان ووضع اليمين على الشمال كالعبد واعتدال الظهر فى القيام وانحناؤه فى الركوع وثبات القدمين والخشوع فى الباطن سكون النفس عن الخواطر والهواجس وحضور القلب لمعانى القراءة والاذكار ومراقبة السر بترك الالتفات الى الكونات واستغراق الروح فى بحر المحبة وذوبانه عند تجلى صفات الجمال والجلال واللعوكل ما يشغل عن الله والزكاة تزكية النفس عن الاخلاق الذميمة بل عن حب الدنيا لانه رأس كل خطيئة الا على أزواجهم فى كلمة على دلالة على أنهم يجب أن يستولوا على الازواج لا بالعكس والا كن عدوا لهم كقوله ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وعلامة الاستيلاء على الازواج أن يبتغى بالنكاح نسل ورعاية السنة فى أوانها لا حظ النفس والا كان متجاوزا طريق الكمال لامانتهم يعنى التى حملها الانسان وعهدهم هو عهد الميثاق

يقول أفلا تخشون بعبادتكم غيره عقابه أن يحل بكم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين﴾ يقول تعالى ذكره فقال جماعة أشراف قوم نوح الذين جحدوا توحيد الله وكذبوا لقومهم ما نوح أيها القوم الا بشر مثلكم انما هو انسان مثلكم وكبعضكم يريد أن يتفضل عليكم يقول يريد أن يصير له الفضل عليكم فيكون متبوعا وأنتم له تبع ولو شاء الله لأنزل ملائكة يقول ولو شاء الله أن لا نعبد شيأ سواه لأنزل ملائكة يقول لأرسل بالدعاء الى ما يدعوكم اليه نوح ملائكة تؤدى اليكم رسالته وقوله ما سمعنا بهذا الذى يدعونا اليه نوح من أنه لا اله لنا غير الله فى القرون الماضية وهى آباؤهم الأولون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين قال رب انصرنى بما كذبون فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فاذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون﴾ يعنى تعالى ذكره مخبرا عن قيل الملا الذين كفروا من قوم نوح ان هو الا رجل به جنة ما نوح الا رجل به جنون وقد يقال أيضا للجن جنة فيتفق الاسم والمصدر وهو من قوله ان هو كناية اسم نوح وقوله فتربصوا به حتى حين يقول فتلبثوا به وتنظروا به حتى حين يقول الى وقت ما ولم يعنوا بذلك وقتا معلوما انما هو كقول القائل دعنى الى يوم ما أو الى وقت ما وقوله قال رب انصرنى بما كذبون يقول قال نوح داعيا ربه مستنصرا به على قومه لما طال أمره وأمرهم وتمادوا فى غيهم رب انصرنى على قومى بما كذبون يعنى بتكذيبهم اياى فيما بلغتهم من رسالتك ودعوتهم اليه من توحيدك وقوله فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا يقول فقلنا له حين استنصرنا على كفرة قومه اصنع الفلك وهى السفينة بأعيننا يقول بمرأى منا ومنظر ووحينا يقول وبتعليمنا اياك صنعتها فاذا جاء أمرنا يقول فاذا جاء قضاؤنا فى قومك بعذابهم وهلاكهم وفار التنور وقد ذكرنا فيما مضى اختلاف المختلفين فى صفة فور التنور والصواب عندنا من القول فيه بشواهده بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع فاسلك فيها من كل زوجين اثنين يقول فأدخل فى الفلك واحمل والهاء والالف فى قوله فيها من ذكر الفلك من كل زوجين اثنين يقال سلكته فى كذا وأسلكته فيه ومن سلكته قول الشاعر

وكنت لزاز خصمك لم أعرد ۞ وقد سلكوك فى يوم عصيب

وبعضهم يقول أسلكت بالالف ومنه قول الهذلى

حتى اذا أسلكوهم فى قتائدة ۞ شلا كما تطرد الجمالة الشردا

فى الازل يحافظون الفرق بين المحافظة والخشوع أن الخشوع معتبر فى نفس الصلاة والمحافظة معتبرة فيها وفيما قبلها من الشرائط وفيما بعدها وهو أن لا يفعل ما يحبطها و يضيعها الوارثون لانهم أحياء القلوب وقد نالوا من المراتب ما خلفتها أموات القلوب من سلالة لانه سل من جميع أجزاء الارض فجاء مختلف الالوان والاخلاق حسب اختلاف أجزاء الطين بل بحسب اختلاف المركبات من الطين ففيه حرص الفأرة والنملة وشهوة الحمار والعصفور وغضب الفهد والاسد وكبر النمرو بخل الكلب وشره الخنزير وحقد الحية وغير ذلك من الصفات الذميمة وفيه شجاعة الاسد وسخاوة الديك وقناعة البوم (١٤) وحلم الجمل وتواضع الهرة ووفاء الكلب وبكور الغراب وهمة البازى ونحو ذلك من الاخلاق الحميدة فتبارك الله أحسن الخالقين لانه خلق أحسن المخلوقين أما من حيث الصورة فلانه تعالى خلق من نطفة متشابهة الاجزاء بدنا مختلف الابعاض والاعضاء كاللحم والشحم والعظم والشعر والظفر والعصب والعروق والمخ والانف والفم واليد والرجل وغيرها مما يشهد لبعضها علم التشريح وأما من حيث المعنى فلانه خلق الانسان مستعدا لحمل الامانة التى أبى حملها السموات والارض والجبال وسيجىء تحقيق ذلك فى موضعه ثم انكم بعد ذلك لميتون الى قوله تبعثون فيه أن الانسان قابل لموت القلب ولموت النفس ولحشرهما وفى موت أحدهما حياة الآخر وحشره وموت القلب عبارة عن انغماسه وستره فى حجب الغواشى الآتية عليه من طرق الحواس الظاهرة وحاسى الوهم والخيال فلذلك قال ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق هى الاغشية والحجب من الجهات المذكورة وما كنا عن مصالح الخلق غافلين فلا نترك العبد فى تلك الحجب بدليل قوله وأنزلنا من السماء ماء العناية ماء الرحمة بقدر استعداد السالك فأسكناه فى أرض وجوده فأنشأنا لكم به جنات من نخيل المعارف وأعناب الكشوف وشجرة النفى الذى يخرج من طور سيناء الروح بتأثير تجلى أنوار الصفات تنبت بدهن حسن الاستعداد لقبول الفيض الالهى بلا واسطة لانه سر بين الله وبين الروح وصبغ لآكل الكونين بقوة الهمة ثم أخبر عن نعم الغالب أن فيها منافع لانها آلة تحصيل الكمال وعليها وعلى فلك الشريعة فى سفر السير الى الله تحملون وتأويل قصة نوح قد مر فى سورة هود والله أعلم ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم فى الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم يأكل

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فاسلك فيها من كل زوجين اثنين يقول لنوح اجعل فى السفينة من كل زوجين اثنين وأهلك وهم ولده ونساؤهم الا من سبق عليه القول من الله بأنه هالك فيمن يهلك من قومك فلا تحمله معك وهو يام الذى غرق ويعنى بقوله منهم من أهلك والهاء والميم فى قوله منهم من ذكر الأهل وقوله ولا تخاطبنى الآية يقول ولا تسألنى فى الذين كفروا بالله أن أنجيهم انهم مغرقون يقول فانى قد حتمت عليهم أن أغرق جميعهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فاذا اعتدلت فى السفينة أنت ومن معك ممن حملته معك من أهلك راكبا فيها عالما فوقها فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين يعنى من المشركين ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقل رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين ان فى ذلك لآيات وان كنا لمبتلين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه نوح عليه السلام وقل اذا سلمك الله وأخرجك من الفلك فنزلت عنها رب أنزلنى منزلا من الارض مباركا وأنت خير من أنزل عباده المنازل * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله منزلا مباركا قال لنوح حين نزل من السفينة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار رب أنزلنى منزلا مباركا بضم الميم وفتح الزاى بمعنى أنزلنى انزالا مباركا وقرأ عاصم منزلا بفتح الميم وكسر الزاى بمعنى أنزلنى مكانا مباركا وموضعا وقوله ان فى ذلك لآيات يقول تعالى ذكره ان فيما فعلنا بقوم نوح يا محمد من اهلاكنا هم اذ كذبوا رسلنا وجحدوا وحدانيتنا وعبدوا الآلهة والأصنام عبرة لقومك من مشركى قريش وعظات وحججا لنا عليهم يستدلون بها على سننا فى أمثالهم فينزجروا عن كفرهم ويرتدعوا عن تكذيبك حذرا أن يصيبهم مثل الذى أصابهم من العذاب وقوله وان كنا لمبتلين يقول تعالى ذكره وكنا مختبرين بهم بتذكيرنا اياهم بآياتنا لننظر ما هم عاملون قبل نزول عقوبتنا بهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون﴾ يقول تعالى ذكره ثم أحدثنا من بعد مهلك قوم نوح قرنا آخرين فأوجدناهم فأرسلنا فيهم رسولا منهم داعيا لهم أن اعبدوا الله يا قوم وأطيعوه دون الآلهة والاصنام

فان

مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون
هيهات هيهات لما توعدون ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال
رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين ثم أنشأنا من بعدهم
قرونا آخرين ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم
أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين الى (١٥) فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوما عالين

فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم في غمرتهم حتى حين أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ۞ القراآت هيهات هيهات بكسر التاء فيهما يزيد الوقف بالتاء لا غير وهو الصحيح عنه وروى ابن وردان عنه بالكسر والتنوين فيهما الباقون بفتح التاء فيهما في الحالين الا الكسائي فانه يقف بالهاء تترا بالتنوين ابن كثير وأبو عمرو ويزيد والوقف بالالف لا غير الباقون بالياء في الحالين وأن هذه بفتح الهمزة وسكون النون ابن عامر وان بالكسر والتشديد عاصم وحمزة وعلي وخلف الآخرون وأن بالفتح والتشديد زبرا بفتح الباء عباس الآخرون بضمها ۞ الوقوف آخرين ○ ج للآية مع الفاء واتصال المعنى غيره ط يتقون ○ الدنيا لا لأن ما بعده مقول القول مثلكم لا لأن ما بعده صفة بشرا تشربون ○ خاسرون ○ مخرجون ○ لما توعدون ○ بمبعوثين ○ لان الكل مقول الكفار وباب رخصة الضرورة وجواز اتيان الآية مفتوح بمؤمنين ○ ط بما كذبون ○ نادمين ج ○ للآية مع حسن الوصل تصديقا لقوله عما غثاء ط تفخيما للكلمة التبعيدية بالابتداء مع فاء التعقيب الظالمين ○ آخرين ○ ط لان الجملة ليست بصفتها لان الحجز عن سبق الاجل لا يختص بهم يستأخرون ○ ط لان ثم لترتيب الاخبار تترا ط منونا قرئ أولا للابتداء بكلما أحاديث ج لما ذكر في غثاء لا يؤمنون ○ مبين ○ لا لتعلق الجار عالين ○ ج للآية مع

فان العبادة لا تنبغي إلا لاله مالكم من إله غيره يقول مالكم من معبود يصلح أن تعبدوا سواه أفلا تتقون أفلا تخافون عقاب الله بعبادتكم شيأ دونه وهو الاله الذي لا اله لكم سواه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ﴾ يقول تعالى ذكره وقالت الاشراف من قوم الرسول الذي أرسلنا بعد نوح وعنى بالرسول في هذا الموضع صالحا وبقومه ثمود الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة يقول الذين جحدوا توحيد الله وكذبوا بلقاء الآخرة يعني كذبوا بلقاء الله في الآخرة وقوله وأترفناهم في الحياة الدنيا يقول ونعمناهم في حياتهم الدنيا بما وسعنا عليهم من المعاش وبسطنا لهم من الرزق حتى بطروا وعتوا على ربهم وكفروا ومنه قول (١) الراجز ٭ ولقد أراني بالبلاد مترفا ٭ وقوله ما هذا الا بشر مثلكم يقول قالوا ما بعث الله صالحا الينا رسولا من بيننا وخصه بالرسالة دوننا وهو انسان مثلنا يأكل مما نأكل منه من الطعام ويشرب مما نشرب وكيف نم يرسل ملكا من عنده يبلغنا رسالته قال ويشرب مما تشربون معناه مما تشربون منه فحذف من الكلام منه لأن معنى الكلام ويشرب من شرابكم وذلك أن العرب تقول شربت من شرابك ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ولئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الملا من قوم صالح لقومهم ولئن أطعتم بشرا مثلكم فاتبعتموه وقبلتم ما يقول وصدقتموه انكم أيها القوم اذا الخاسرون يقول قالوا انكم اذا لمغبونون حظوظكم من الشرف والرفعة في الدنيا باتباعكم اياه قوله أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما الآية يقول تعالى ذكره قالوا لهم أيعدكم صالح أنكم اذا متم وكنتم ترابا في قبوركم وعظاما قد ذهبت لحوم أجسادكم وبقيت عظامها أنكم مخرجون من قبوركم أحياء كما كنتم قبل مماتكم وأعيدت أنكم مرتين والمعنى أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما مخرجون مرة واحدة لما فرق بين أنكم الاولى وبين خبرها بإذا وكذلك تفعل العرب بكل اسم أوقعت عليه الظن وأخواته ثم اعترضت بالجزاء دون خبره فتكرر اسمه مرة وتحذفه أخرى فتقول أظن أنك ان جالستنا أنك محسن فان حذفت أنك الاولى أو الثانية صلح وان أثبتهما صلح وان لم تعترض بينهما بشيء لم يجز خطأ أن يقال أظن أنك أنك جالس وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله أيعدكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ هيهات هيهات لما توعدون ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ﴾ وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن قول الملا من ثمود أنهم قالوا هيهات هيهات أي بعيد ما توعدون أيها القوم من أنكم

(١) لعله الشاعر تأمل كتبه مصححه

الفاء عابدون ○ ج لذلك المهلكين ○ يهتدون ○ ومعين ○ صالحا ط عليم ○ط لمن قرأوان بالكسر فاتقون ○ زبرا ط فرحون ○ حين ○ وبنين ○لا لأن نسارع مفعول ثان للحسبان الخيرات ط لايشعرون ○ ﴿ التفسير عن ابن عباس وأكثر المفسرين ان هذه القرون هم عاد قوم هود يجيء قصتهم على أثر قصة نوح في غير هذا الموضع ولقوله تعالى في الاعراف واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وقيل انهم ثمود لانهم أهلكوا بالصيحة وقد قال الله تعالى في هذه القصة فأخذتهم الصيحة ومعنى (فأرسلنا فيهم) جعلناهم موضع ارسال والا فلفظة أرسل (١٦) لاتعدى الا بالى وضمن الارسال معنى القول ولهذا جيء بأن المفسرة

أي قلنا لهم على لسان الرسول (اعبدوا الله) قال بعضهم قوله أفلا تتقون غير موصول بما قبله وانما قاله لهم بعد أن كذبوه وردوا عليه الحجة والجمهور على أنه موصول لانه دعاهم الى الله وحذرهم عقابه ان لم يقبلوا قوله ولم يتركوا عبادة الاوثان قال جار الله انما قال في هذه السورة وقال الملأ بالواو وفي الاعراف قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنريك في سفاهة بغير واو ومثله في سورة هود قالوا ياهود ماجئتنا ببينة لانه بنى الامر في ذينك الموضعين على تقدير سؤال سائل وفي هذه السورة أراد أنه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل فعطف قولهم على قوله وقال الكاكي صاحب المفتاح انما قدم الجار والمجرور أعني قوله من قومه على وصف الملا وهم الذين كفروا لطول الصلة بالمعطوفات ولانه لو أخر لأوهم أن قوله (من قومه) متعلق بالدنيا ومعنى لقاء الآخرة لقاء مافيها من الحساب والثواب والعقاب (و) معنى (أترفناهم) أنعمناهم بحيث شغلوا بالدنيا عن الاخرى وقوله (مما تشربون) أي من الذي تشربونه فحذف الضمير أو حذف منه لدلالة ماقبله عليه ثم أكدوا شبهتهم أن الرسول لايكون من جنس البشر بقولهم (ولئن أطعتم) واذن واقع في جزاء الشرط وجواب لقومهم آخرون

أي انكم اذا قبلتم قول مثلكم وأطعتموه خسرتم عقولكم وأبطلتم آراءكم اذ لا ترجيح لبعض البشر على بعض في معنى الدعوة الى طريق مخصوص هذا بيان كفرهم ثم بين تكذيبهم بلقاء الآخرة وطعنهم في الحشر بقوله (أيعدكم) الآية قال جار الله ثنى أنكم للتوكيد وحسن ذلك الفصل بالظرف ومخرجون خبر الاول أو أنكم مخرجون مبتدأ معناه اخراجكم وخبره اذا متم والجملة خبر الاول أو أنكم مخرجون في تقدير وقع اخراجكم وهذه الجملة الفعلية جواب اذا والجملة الشرطية خبر الاول وفي حرف ابن مسعود أيعدكم اذا متم ثم أكدوا الاستفهام الانكاري

بعد موتكم ومصيركم ترابا وعظاما مخرجون أحياء من قبوركم يقولون ذلك غير كائن ○ وبنحو ماقلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله هيهات هيهات يقول بعيد بعيد حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله هيهات هيهات لما توعدون قال يعني البعث والعرب تدخل اللام مع هيهات في الاسم الذي يحبها وتنزعها منه تقول هيهات لك هيهات وهيهات ماتبتغي هيهات واذا أسقطت اللام رفعت الاسم بمعنى هيهات كأنه قال بعيد ماينبغي لك كما قال جرير

فهيهات هيهات العقيق ومن به ○ وهيهات خل بالعقيق نواصله

كأنه قال العقيق وأهله وانما أدخلت اللام مع هيهات في الاسم لانهم قالوا هيهات أداة غير مأخوذة من فعل فأدخلوا معها في الاسم اللام كما أدخلوه مع هلم لك اذ لم تكن مأخوذة من فعل فاذا قالوا أفعل لم يقولوا لك لاحتمال الفعل ضمير الاسم ○ واختلف أهل العربية في كيفية الوقف على هيهات فكان الكسائي يختار الوقوف فيها بالهاء لانها منصوبة وكان الفراء يختار الوقوف عليها بالتاء ويقول من العرب من يخفض التاء فدل على أنها ليست بهاء التأنيث فصارت بمنزلة درأت ونظار وأما نصب التاء فيها فلانها أداتان فصارتا بمنزلة خمسة عشر وكان الفراء يقول ان قيل ان كل واحدة مستغنية بنفسها يجوز الوقوف عليها وان نصبها كنصب قوله ثمت جلست وبمنزلة قول الشاعر

(١) ياربنما غارة ○ شعواء كالذعة بالميسم

قال فنصب هيهات بمنزلة هذه الهاء التي في ربت لانها دخلت على حرف على رب وعلى ثم وكانا أداتين فلم تغيرهما عن أداتهما فنصبا ○ واختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته قراء الأمصار غير أبي جعفر هيهات هيهات بفتح التاء فيهما وقرأ ذلك أبو جعفر هيهات هيهات بكسر التاء فيهما والفتح فيهما هو القراءة عندنا لاجماع الحجة من القراء عليه وقوله ان هي الا حياتنا الدنيا يقول ماحياة الا حياتنا الدنيا التي نحن فيها نموت ونحيا يقول نموت الاحياء منا فلا نحيا ويحدث آخرون منا فيولدون أحياء وما نحن بمبعوثين يقول قالوا وما نحن بمبعوثين بعد الممات كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين قال يقول ليس آخرة ولا بعث يكفرون بالبعث يقولون انما هي حياتنا هذه ثم نموت ولا نحيا بعوت هؤلاء ويحيا هؤلاء يقولون انما الناس كالزرع يحصد هذا وينبت هذا يقولون يموت هؤلاء ويأتي

(١) صدره كما في اللسان ماوى ياربنما الخ كتبه مصححه

بقولهم هيهات ومعناه بعد وهو اسم هذا الفعل وفى التكرير تأكيد آخر وكذا فى اضمار الفاعل وتبيينه بقوله لما توعدون قال جار الله اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام فى هيت لك لبيان المهيت به وقال الزجاج هو فى تقدير المصدر أى البعد لما توعدون أو بعد لما توعدون فبين نون ثم بين ترافهم بأنهم قالوا (ان هى الا حياتنا) أى الا هذه الحياة لان ان النافية دخلت على هى العائدة الى الحقيقة الذهنية فنفت ما بعدها فى الجنس وقد مر فى الانعام وانما يدفى هذه السورة قوله (نموت ونحيا) لان هذه الزيادة لعلها وقعت فى كلام هؤلاء دون كلام أولئك ولم يريدوا بهذا الكلام أنفس (١٧) المتكلمين وحدهم بل أرادوا أنه يموت بعض

آخرون وقرأ وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد وقرأ لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتبعثن ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال رب انصرنى بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين﴾ يقول تعالى ذكره قالوا ما صالح الا رجل اختلق على الله كذبا فى قوله ما لكم من الله غير الله وفى وعده اياكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون وقوله هو من ذكر الرسول وهو صالح وما نحن له بمؤمنين يقول وما نحن له بمصدقين فيما يقول انه لا الاله لنا غير الله وفيما يعدنا من البعث بعد الممات وقوله قال رب انصرنى بما كذبون يقول قال صالح لما أيس من ايمان قومه بالله ومن تصديقهم اياه بقولهم وما نحن له بمؤمنين رب انصرنى على هؤلاء بما كذبون يقول بتكذيبهم اياى فيما دعوتهم اليه من الحق فاستغاث صلوات الله عليه بربه من أذاهم اياه وتكذيبهم له فقال الله له مجيبا فى مسئلته اياه ما سأل عن قليل يا صالح ليصبحن مكذبوك من قومك على تكذيبهم اياك نادمين وذلك حين تنزل بهم نقمتنا فلا ينفعهم الندم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين﴾ يقول تعالى ذكره فانتقمنا منهم فأرسلنا عليهم الصيحة فأخذتهم بالحق وذلك أن الله عاقبهم باستحقاقهم العقاب منه بكفرهم به وتكذيبهم رسوله فجعلناهم غثاء يقول فصيرناهم بمنزلة الغثاء وهو ما ارتفع على السيل ونحوه كالا ينتفع به فى شئ فانما هذا مثل والمعنى فأهلكناهم فجعلناهم كالشئ الذى لا منفعة فيه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين يقول جعلوا كالشئ البالى من الشجر حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد غثاء كالرميم الهامد الذى يحتمل السيل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فجعلناهم غثاء قال كالرميم الهامد الذى يحتمل السيل حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فجعلناهم غثاء قال هو الشئ البالى حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فجعلناهم غثاء قال هذا مثل ضربه الله وقوله فبعدا للقوم الظالمين يقول فأبعد الله القوم الكافرين بهلاكهم اذ كفروا بربهم وعصوا رسله وظلموا أنفسهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد

ويولد بعض ويتقرض قرن ويأتى قرن آخر ولو أنهم اعتقدوا أنهم يحيون بعد الموت لم يتوجه عليهم ذم ولناقضه قولهم وما نحن بمبعوثين ثم حكى أنهم زعموا أن كل ما يدعيه هود من الاستثناء وحديث البعث وغيره افتراء على الله وأنهم لا يصدقونه البتة فلا جرم (قال) هود داعيا عليهم كما دعا نوح على قومه (رب انصرنى بما كذبون قال) الله مجيبا له (عما قليل) أى عما زمان قليل قصير (ليصبحن) جعل صيرورتهم (نادمين) دليلا على اهلاكهم لانه علم أنهم لا يندمون الا عند ظهور سلطان العذاب ووقوع أماراته وذلك وقت ايمان اليأس وزيادة ما للتوكيد قصر المدة و(الصيحة) صيحة جبريل كما سلف فى الاعراف وفى هود ومعنى (بالحق) بالعدل كقولك فلان يقضى بالحق وعلى أصول الاعتزال بالوجوب لانهم قد استوجبوا الهلاك والغثاء حميل السيل مما يلى وامود من الاوراق والعيدان وغيرها شبههم بذلك فى دمارهم أو فى احتقارهم أو فى قلة الاعتناء بهم وفى ضمن ذلك تشبيه استيلاء العذاب عليهم باستيلاء السيل على الغثاء يقلبه كيف يشاء ثم دعا عليهم بالهلاك فى الدارين بقوله (فبعدا

(٣ - (ابن جرير) - ثامن عشر)

للقوم الظالمين) كما مر فى سورة هود وفيه وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم وعرف الظالمين لكونهم مذكورين صريحا بخلاف ما يجئ من قوله فبعدا القوم لا يؤمنون لانهم غير مذكورين الا بطريق الاجمال وذلك قوله (ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين) والظاهر أنهم قوم صالح ولوط وشعيب كما ورد فى قصصهم على هذا الترتيب فى الاعراف وفى هود وغيرهما وعن ابن عباس أنهم بنو اسرائيل والمعنى انا بعد ما أخلينا الديار من المكلفين أنشأنا هم وبلغناهم حد التكليف حتى قاموا مقام من كانوا قبلهم ثم بين كمال علمه وقدرته فى شأن المكلفين بقوله (ما تسبق من أمة) أى كل طائفة مجتمعة فى قرن لها آجال مكتوبة فى الحياة وفى الموت

بالهلاك أو الاهلاك لا يتقدمها ولا يتأخر عنها وفيه أن المقتول ميت بأجله وقال الكعبي معنى الآية أنهم لا يتقدمون وقت عذابهم ان لم يؤمنوا ولا يتأخرون عنه ولا يستأصلهم الا اذا علم منهم أنهم لا يزدادون الا عنادا وأنهم لا يلدون مؤمنا وأنه لا نفع في بقائهم لغيرهم ولا ضرر على أحد في هلاكهم ثم بين أن رسل الله كانوا بعد هذه القرون متواترين وأن شأنهم في التكذيب كان واحدا وكانت سنة الله فيهم باتباع بعضهم بعضا في الاهلاك والتاء في تترى بدل من الواو في الوتر وهو الفرد أي أرسلناهم واحدا بعد واحد والرسول يلابس المرسل والمرسل اليه جميعا فلذلك جاء في القرآن رسلنا ورسلهم (١٨) ورسولها وأحاديث يكون اسم جمع للحديث أو جعاله من غير لفظه ومنه أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ويكون جعالا حدوثة من لفظها كالاضحوكة والاعجوبة وهو المراد من الآية أي جعلناهم أخبارا يسمعونها ويتعجب منها لانهم استؤصلوا فلم يبق فيهم عين ولا أثر سوى الحكاية ثم ذكر طرفا من قصة موسى عليه السلام عن الحسن بآياتنا أي بديننا كما يلزمه تكرار لان السلطان المبين هو المعجز والاقرب قول ابن عباس أنها الآيات التسع لان الآيات عند ذكر الرسل يراد بها المعجزات في عرف القرآن والسلطان هو العصا لانها كانت أم آياته وأقدمها فخصت بالذكر لشرفها وقوة دلالتها ويجوز أن يراد أنها آيات في أنفسها وحجة بينة بالنسبة الى المتحدين بها أو يراد به تسلط موسى عليه السلام في الاستدلال على الصانع وأنه ما كان يقيم لهم وزنا ثم حكى عن فرعون وقومه صفتهم وشبهتهم أما الصفة فهي الاستكبار والعلو أي طلبوا الكبر وتكلفوه واستنكفوا عن قبول الحق وكانوا مع ذلك رفيعي الحال في أمور الدنيا غالبين قاهرين مستظهرين بالعدد والعدد وأما الشبهة فهي انكار كون الرسول من جنس البشر ولا سيما اذا كان قومهما وهم بنو اسرائيل خدما وعبيدا لهم قال أبو عبيدة العرب تسمي كل من دان لملك عبدا له ويحتمل أن يقال انه كان يدعي الالهية فادعى للناس العبادة وان طاعتهم عبادة على الحقيقة والبشر يقع على الواحد وعلى الجمع والمثل يوصف به الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث ويقال أيضا هما مثلاه وهم أمثاله ثم بين أنه لما خطرت هذه الشبهة ببالهم صرحوا بالتكذيب فأهلكوا لذلك وكانوا في حكم الله وعلمه كذلك ثم حكى ما جرى على قوم موسى بعد اهلاك عدوهم (ولقد آتينا موسى الكتاب) أي التوراة (لعلهم يهتدون) ومن الناس من ظن أن هذا الضمير راجع الى فرعون وملئه والمعنى أنه خص موسى بالكتب لا للتكذيب ولكن

قال أولئك ثمود يعني قوله فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون﴾ يقول تعالى ذكره ثم أحدثنا من بعد هلاك ثمود قوما آخرين وقوله ما تسبق من أمة أجلها يقول ما يتقدم هلاك أمة من تلك الامم التي أنشأنا ها بعد ثمود قبل الأجل الذي أجلنا لهلاكها ولا يستأخر هلاكها عن الأجل الذي أجلنا لهلاكها والوقت الذي وقتنا لفنائها ولكنها تهلك لمجيئه وهذا وعيد من الله لمشركي قوم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واعلام منه لهم أن تأخيره في آجالهم مع كفرهم به وتكذيبهم رسوله ليبلغوا الأجل الذي أجل لهم فيصل بهم نقمته كسنته فيمن قبلهم من الامم السالفة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره ثم أرسلنا الى الأمم التي أنشأنا بعد ثمود رسلنا تترى يعني يتبع بعضها بعضا وبعضها في أثر بعض وهي من المواترة وهي اسم لجمع مثل ثنى لا يقال جاء في فلان تترى كما لا يقال جاء في فلان مواترة وهي تنون ولا تنون وفيها الياء فمن لم ينونها فهي فعلى من وترت ومن قال تترا يوهم أن الياء أصلية كما قيل معزى بالياء ومعزا وبهمى وبهما ونحو ذلك فأجريت أحيانا وتركت اجراؤها أحيانا فمن جعلها فعلى وقف عليها ألفا على الكسر ومن جعلها ألف اعراب لم يشر لان ألف الاعراب لا تكسر لا يقال رأيت زيدا فيشار فيه الى الكسر * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ثم أرسلنا رسلنا تترى يقول يتبع بعضها بعضا حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ثم أرسلنا رسلنا تترى يقول بعضها على أثر بعض حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تترى قال اتباع بعضه بعضا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ثم أرسلنا رسلنا تترى قال يتبع بعضها بعضا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ثم أرسلنا رسلنا تترى قال بعضهم على أثر بعض يتبع بعضهم بعضا * واختلفت قراء الأمصار في قراءة ذلك فقرأ ذلك بعض قراء أهل مكة وبعض أهل المدينة وبعض أهل البصرة تترا بالتنوين وكان بعض أهل مكة وبعض أهل المدينة وعامة قراء الكوفة يقرؤنه تترى بارسال الياء على مثال فعلى والقول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان في كلام العرب

لم تدر به فلما أصروا على الكفر مع البيان العظيم استحقوا الاهلاك وهو وعد لان موسى لم يثبت التوراة الا بعد اهلاك القبط بدليل قوله ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى وفى قوله فى أول البقرة وإذ نجيناكم من آل فرعون الى قوله وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة والقصة مشهورة فالصحيح أنه ذكر موسى وأراد قومه كما يقال هاشم وثقيف ويراد قومهم نظيره على خوف من فرعون وملئهم وقد مر فى آخر يونس ثم أجمل قصة عيسى بقوله (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) وقد مر بيانه فى آخر الانبياء فى قوله وجعلناها وابنها آية للعالمين قال جار الله ولو قيل آيتين لجاز لان مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح من الله (١٩) ألقى اليها وقد تكلم فى المهد وكان يحيى الموتى مع معجزات أخر واللفظ محتمل للتثنية على تقدير وجعلنا ابن مريم آية وأمه آية ثم حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها والأقرب حمل اللفظ على الوجه الذى لا يتم الا بمجموعهما وهو الولادة على الوجه العجيب الناقض للعادة والربوة بحركات الراء هى الارض المرتفعة عن كعب وقتادة وأبى العالية هى ايليا أرض بيت المقدس وأنها كبد الارض وأقرب الى السماء بثمانية عشر ميلا وعن الحسن فلسطين والرملة ومثله عن أبى هريرة قال الزموا هذه الرملة رملة فلسطين فانها الربوة التى ذكرها الله وقال الكلبى وابن زيد هى مصر والأكثرون على أنها دمشق وغوطتها والقرار المستقر من أرض منبسطة مستوية وعن قتادة أرادت ثمار وماء يعنى لاجل الثمار يستقر فيها ما كنوها والمعين الماء الظاهر الجارى على وجه الارض من عانه اذا أدركه بعينه فوزنه معيون على مفعول وقال الفراء والزجاج ان شئت جعلته فعيلا من الماعون وهو ما سهل على معطيه من أثاث البيت ومثله قول أبى على المعين السهل الذى ينقاد ولا يتعاصى وقال جار الله ووجه من جعله فعيلا أنه نفاع لظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة قال المفسرون سبب الايواء أنها فرت بابنها عيسى الى الربوة وبقيت بها اثنتى عشرة سنة وانما ذهب بها ابن عمها يوسف ثم رجعت الى أهلها بعد ما مات ملكهم قوله سبحانه (يا أيها الرسل) ليس على ظاهره لأنهم أرسلوا فى أزمنة مختلفة وفى تأويله وجوه أحدها الاعلام بأن كل رسول فى زمانه نودى بذلك ووصى به ليعتقد السامع أن أمرا نودى له جميع الرسل حقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه ويؤيد هذا التأويل ما روى عن أم عبد الله أخت شداد بن أوس أنها بعثت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح من لبن فى شدة الحر عند فطره صلى الله عليه وسلم وهو صائم فرده الرسول اليها وقال من أين لك هذا فقالت

بمعنى واحد فأيتهما قرأ القارئ فصيب غير أنى مع ذلك أختار القراءة بغير تنوين لانها أفصح اللغتين وأشهرهما وقوله كلما جاء أمة رسولها كذبوه يقول كلما جاء أمة من تلك الامم التى أنشأناها بعد ثمود رسولها الذى نرسله اليهم كذبوه فيما جاءهم به من الحق من عندنا وقوله فأتبعنا بعضهم بعضا يقول فأتبعنا بعض تلك الامم بعضا بالهلاك فأهلكنا بعضهم فى إثر بعض وقوله وجعلناهم أحاديث للناس ومثلا يتحدث بهم فى الناس والاحاديث فى هذا الموضع جمع أحدوثة لان المعنى ما وصفت من أنهم جعلوا للناس مثلا يتحدث بهم وقد يجوز أن يكون جمع حديث وانما قيل وجعلناهم أحاديث لانهم جعلوا حديثا ومثلا يتمثل بهم فى الشر ولا يقال فى الخير جعلته حديثا ولا أحدوثة وقوله فبعدا للقوم لا يؤمنون يقول فأبعد الله قوما لا يؤمنون بالله ولا يصدقون برسوله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا قوما عالين﴾ يقول تعالى ذكره ثم أرسلنا بعد الرسل الذين وصف صفتهم قبل هذه الآية موسى وأخاه هرون الى فرعون وأشراف قومه من القبط بآياتنا يقول بحججنا واستكبروا عن اتباعها والايمان بما جاءهم به من عند الله وكانوا قوما عالين يقول وكانوا قوما عالين على أهل ناحيتهم ومن فى بلادهم من بنى اسرائيل وغيرهم بالظلم قاهرين لهم وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وكانوا قوما عالين قال علوا على رسلهم وعصوا بهم ذلك علوهم وقرأ تلك الدار الآخرة الآية ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين﴾ يقول تعالى ذكره فقال فرعون وملؤه أنؤمن لبشرين مثلنا فنتبعهما وقومهما من بنى اسرائيل لنا عابدون يعنون أنهم لهم مطيعون متذللون يأمرون لامرهم ويدينون لهم والعرب تسمى كل من دان لملك عابدا له ومن ذلك قيل لاهل الحيرة العباد لانهم كانوا أهل طاعة لملوك العجم ، وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال فرعون أنؤمن لبشرين مثلنا الآية نذهب نرفعهم فوقنا ونكون تحتهم ونحن اليوم فوقهم وهم تحتنا كيف نصنع ذلك وذلك حين أتوهم بالرسالة وقرأ وتكون لكما الكبرياء فى الارض قال العلو فى الأرض وقوله فكذبوهما فكانوا من المهلكين يقول فكذب فرعون وملؤه موسى وهرون فكانوا ممن أهلكهم الله كما أهلك من قبلهم من الامم بتكذيبها رسلها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين﴾ يقول تعالى ذكره ولقد آتينا

من شاة لى ثم ردّه وقال من أين هذه الشاة فقالت اشتريتها لك فأخذه ثم انها جاءته وقالت يا رسول الله لم رددته فقال صلى الله عليه وسلم بذلك أمرت الرسل أن لا تأكل الا طيبا ولا تعمل الا صالحا وثانيها وهو قول محمد بن جرير أن المراد به عيسى وقد خاطب الواحد خطاب الجمع لشرفه وكقوله الذين قال لهم الناس والمراد نعيم بن مسعود ووقع هذا الاعلام عند اولاء عيسى ومريم الى الربوة فذكر على سبيل الحكاية أى آويناهما وقلنا لهما هذا أى أعلمناهما أن الرسل كلهم خوطبوا بهذا الكلام فكلا مما رزقنا كما اوا عملا عملا صالحا اقتداء بالرسل وثالثها وهو الاظهر عندى أن المراد نبينا صلى الله عليه (٣٠) وسلم لانه ذكر ذلك بعد انقضاء أخبار الرسل و وجه اتصال الكلام بما بعده ظاهر كما تقرر و وجه اتصاله بما قبله هو انتهاء الكلام الى ذكر المستلذ و بالحقيقة المراد به الامة كقوله يا أيها النبى اذا طلقتم النساء والطيب ما يستطاب و يستلذ من المآكل والفواكه أو هو الحلال وقيل طيبات الرزق حلال لا يعصى الله فيه وصاف لا ينسى الله فيه وقوام عيش النفس ويحفظ العقل وفى تقديم الاكل من الطيبات على الامر بالعمل الصالح دليل على أن العمل الصالح لا بد أن يكون مسبوقا بأكل الحلال وفى قوله (انى بما تعملون عليم) تحذير من مخالفة هذا الامر وقال فى سورة سبا انى بما تعملون بصير وكلاهما من أسمائه تعالى الا انه ورد ههنا على الاصل لان العلم أعم وهناك راعى الفاصلة أو خصص لان الخطاب مخصوص بآل داود ومن قرأ وان بالكسر فعلى الاستئناف ومن قرأ بالفتح مخففا ومشددا فعلى حذف لام التعليل والمعلل فاتقون ثم من قال الخطاب لجميع الرسل فالمشار اليه بهذه هو أصول الاديان والشرائع التى لا خلاف فيها بين الرسل وجعلها تقوى الله كما ختم به الآية والضمير فى تقطعوا راجع الى أممهم قال الكلبى ومقاتل والضحاك يعنى مشركى مكة والمجوس واليهود والنصارى ومن قال الخطاب لعيسى فهذا اشارة الى ملته فى وقتها وعلى القول الاظهر بل على جميع الاقوال المشار اليه ملة الاسلام كما مر مثله فى آخر سورة الانبياء كأنه أمر هناك بالعبادة التى هى أعم ثم أمر بالتقوى التى هى أخص ولهذا قال (فتقطعوا) بالفاء ليتوجه الذم أتم فان المأتى به كلما كان أبعد من المأمور به كان سبب الذم أقوى فلا يكون ترتب التقطع على التقوى كترتبه على العبادة ولهذا أكد التقطع بقوله (زبرا) بضم الباء جمع زبور أى حال كونه كتبا مختلفة يعنى جعلوا دينهم أديانا ومذاهب شتى ومن قرأ بفتح الباء فمعناه قطعا استعيرت من زبر الفضة والحديد ثم أكد الذم بقوله (كل حزب بما) أى كل فريق منهم

موسى التوراة ليهتدى بها قومه من بنى اسرائيل و يعملوا بما فيها وجعلنا ابن مريم وأمه آية يقول وجعلنا ابن مريم وأمه حجة لنا على من كان بينهم وعلى قدرتنا على انشاء الاجسام من غير أصل كما أنشأنا خلق عيسى من غير أب كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وجعلنا ابن مريم وأمه قال ولدته من غير أب هو ولذلك وحدت الآية وقد ذكر مريم وابنها وقوله وآويناهما الى ربوة يقول وضممناهما وصيرناهما الى ربوة يقال أوى فلان الى موضع كذا فهو يأوى اليه اذا صار اليه وعلى منال أفعلته فهو يؤويه وقوله الى ربوة يعنى الى مكان مرتفع من الارض على ما حوله ولذلك قيل للرجل يكون فى رفعة من قومه وعز وشرف وعدد هو فى ربوة من قومه وفيها لغتان ضم الراء وكسرها اذا أريد بها الاسم واذا أريد بها الفعلة من المصدر قيل ربا ربوة * واختلف أهل التأويل فى المكان الذى وصفه الله بهذه الصفة وآوى اليه مريم وابنها فقال بعضهم هو الرملة من فلسطين ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن المثنى قال ثنا صفوان بن عيسى قال ثنا بشر بن رافع قال ثنى ابن عم لابى هريرة يقال له أبو عبد الله قال قال لنا أبو هريرة الزموا هذه الرملة من فلسطين فانها الربوة التى قال الله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين حدثنى عصام بن روّاد بن الجراح قال ثنا أبى قال ثنا عباد أبو عتبة الخواص قال ثنا يحيى بن أبى عمرو السيبانى عن ابن وعلة عن كريب قال ما أدرى ما حدثنا مرة الهمزى أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر أن الربوة هى الرملة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن بشر بن رافع عن أبى عبد الله ابن عم أبى هريرة قال سمعت أبا هريرة يقول فى قول الله الى ربوة ذات قرار ومعين قال هى الرملة من فلسطين حدثنا ابن بشار قال ثنا صفوان قال ثنا بشر بن رافع قال ثنى أبو عبد الله ابن عم أبى هريرة قال قال لنا أبو هريرة الزموا هذه الرملة التى بفلسطين فانها الربوة التى قال الله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين * وقال آخرون هى دمشق ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن الوليد الفرشى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه قال فى هذه الآية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين قال زعموا أنها دمشق حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر قال بلغنى عن ابن المسيب أنه قال دمشق حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب مثله حدثنى يحيى بن عثمان بن صالح السهمى قال ثنا ابن بكير قال ثنا الليث بن سعد قال ثنى عبد الله بن لهيعة عن يحيى ابن سعيد عن سعيد بن المسيب فى قوله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين قال الى ربوة من ربى مصر قال وليس الربى الا فى مصر والماء حين يرسل تكون الربى عليها القرى ولولا الربى لغرقت تلك القرى

مغتبط بما اتخذه دينا لنفسه معجب به يرى أنه الحق الرابح وغيره المبطل الخاسر ثم بالغ في الذم والتهديد بقوله (فذرهم في غمرتهم) وهذا الامر مما يدل على أن المخاطب بقوله يا أيها الرسل هو نبينا صلى الله عليه وسلم وقد يطلق لفظ الجماعة على الواحد تعظيما ونفخيما كقوله ان ابراهيم كان أمة والغمرة الماء الذي يغمر القامة قال جار الله ضربت مثلا لماهم مغمورون فيه من جهلهم وغوايتهم أو شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قلت وأنت اذا تأملت فيما أسلفناك في المقدمة التاسعة من مقدمات الكتاب عرفت الفرق بين الوجهين قال في الكشاف (الى حين) أي الى أن يقتلوا أو يموتوا والتحقيق أنه الحالة التي يظهر (٢١) عندها الحسرة والندامة وذلك اذا عرفهم الله بطلان ما كانوا عليه وعرفهم سوء منقلبهم فيشمل الموت والقبر والمحاسبة والنار وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عن الجزع من تأخير عقابهم ثم ان القوم كانوا أصحاب نعمة ورفاهية فبين الله تعالى أن ذلك الذي جعله مدد الهم وهو المال والبنون سبب لاستدراجهم الى زيادة الاثم نظيره في آل عمران انما نملي لهم ليزدادوا اثما وما في أنما موصولة والرابط محذوف أي نسارع لهم فيه وفي قوله (بل لا يشعرون) أنهم أشباه البهائم لا فطنة لهم ولا شعور حتى يتفكروا أهو استدراج أم مسارعة في الخير وفيه أنه سبحانه أعطاهم هذه النعم ليكونوا متمكنين بها من الاشتغال بطلب الحق وحين أعرضوا عن الحق كان لزوم الحجة عليهم أقوى ۞ التأويل يأكل مما تأكلون لم يعلموا أنهم وان كانوا يأكلون مما يأكلون ولكنهم لا يأكلون كما يأكلون المؤمن يأكل في معى واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام وأهل الله يأكلون ويشربون من مقام أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني وقومهم النا عابدون أي في حال الطفولية كانت صفات الروح والقلب عون النفس وتربيتها وتربيه صفاتها الاستكمال القالب الى حد البلوغ والاستعداد لتحمل أعباء تكاليف الشرع وآويناهما يعني مريم النفس وعيسى القلب الحر بوة القالب الذي فيه قرارهما ويجري فيه ماء معين الحكمة من القلب على اللسان يا أيها الرسل أي القوى المرسلة الى القالب ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم انكم منا

القرى ۞ وقال آخرون هي بيت المقدس ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال هو بيت المقدس ۞ قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال كان كعب يقول بيت المقدس أقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن كعب مثله ۞ وأولى هذه الاقوال بتأويل ذلك أنها مكان من تفع ذو استواء وماء ظاهر وليس كذلك صفة الرملة لان الرملة لا ماء بها معين والله تعالى ذكره وصف هذه الربوة بأنها ذات قرار ومعين ۞ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وآويناهما الى ربوة قال الربوة المستوية **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله الى ربوة قال مستوية **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله ذات قرار ومعين يقول تعالى ذكره من صفة الربوة التي آوينا اليها مريم وابنها عيسى أنها أرض منبسطة وساحة وذات ماء ظاهر لغير الباطن جار ۞ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ومعين قال المعين الماء الجاري وهو النهر الذي قال الله قد جعل ربك تحتك سريا **حدثني** محمد بن عمارة الاسدي قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد في قوله ذات قرار ومعين قال المعين الماء **حدثني** محمد بن عمارة الاسدي قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد معين قال ماء **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثني** سليمان بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد في قوله ذات قرار ومعين قال المكان المستوي والمعين الماء الظاهر **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ومعين هو الماء الظاهر ۞ وقال آخرون عني بالقرار الثمار ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة ذات قرار ومعين هي ذات ثمار وهي بيت المقدس **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله ۞ قال أبو جعفر وهذا القول الذي قاله قتادة في معنى ذات قرار وان لم يكن أراد بقوله انها انما وصفت بأنها ذات

لاتنصرون قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم
الاولين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت
السموات والارض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وانك لتدعوهم
الى صراط مستقيم وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون
ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم (٢٢) وما يتضرعون حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون وهو الذي

أنشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون وهو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون
وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون
بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما
أئنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا أساطير
الاولين قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل
أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم
سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير
ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون
بل أتيناهم بالحق وانهم لكاذبون

القراآت تهجرون بضم التاء وكسر الجيم نافع الآخرون بفتح
التاء وضم الجيم خرجا فخرج بغير
الالف فيهما ابن عامر كلاهما
بالالف حمزة وعلي وخلف الباقون
بحذف الالف من الاول واثباتها
في الثاني فتحة بالتشديد يزيد
سيقولون لله الثانية والثالثة أبو
عمرو وسهل ويعقوب الآخرون
باللام فيهما كالاول حملا على
المعنى لان قولك من رب هذا ولمن
هذا في معنى واحد ۞ الوقوف

قرارا لما فيها من الثمار ومن أجل ذلك يستقر فيها ساكنوها فلا وجه لمن تعرفه وأما معين فإنه
مفعول من عنته فأنا أعينه وهو معين وقد يجوز أن يكون فعيلا من معن يمعن فهو معين من
الماعون ومنه قول عبيد بن الابرص

واهية أو معين نمعن ... أو هضبة دونها لهوب

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون
عليم﴾ - يقول تعالى ذكره وقلنا لعيسى يا أيها الرسل كلوا من الحلال الذي طيبه الله لكم دون الحرام
واعملوا صالحا تقول في الكلام للرجل الواحد أيها القوم كفوا عنا أذاكم وكما قال الذين قال لهم
الناس وهو رجل واحد * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني
ابن عبد الأعلى بن واصل قال ثنى عبيد بن اسحق الضبي العطار عن حفص بن عمر الغزاري
عن أبي اسحق السبيعي عن عمرو بن شرحبيل يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا قال
كان عيسى بن مريم يأكل من غزل أمه وقوله اني بما تعملون عليم يقول اني بأعمالكم ذو علم
لا يخفى علي منها شيء وأنا مجازيكم بجميعها وموفيكم أجوركم وثوابكم عليها فخذوا في صالح
الاعمال واجتهدوا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم
فاتقون﴾ اختلفت القراء في قراءة قوله وان هذه أمتكم أمة واحدة فقرأ ذلك عامة قراء أهل
المدينة والبصرة وأن بالفتح بمعنى اني بما تعملون عليم وأن هذه أمتكم أمة واحدة فعلى هذا التأويل
أن في موضع خفض عطف بها على ما من قوله بما تعملون وقد يحتمل أن تكون في موضع نصب لو
قرئ ذلك كذلك ويكون معنى الكلام حينئذ واعلموا أن هذه ويكون نصبها بفعل مضمر وقد
ذلك عامة قراء الكوفيين بالكسر وان هذه على الاستئناف والكسر في ذلك عندي على الابتداء
هو الصواب لان الخبر من الله عن قيله لعيسى يا أيها الرسل مبتدأ فقوله وان هذه مردود عليه
عطفا به عليه فكان معنى الكلام وقلنا لعيسى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وقلنا ان هذه
أمتكم أمة واحدة وقيل ان الامة الذي في هذا الموضع الدين والملة ذكر من قال ذلك حدثني
القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج في قوله وان هذه أمتكم أمة واحدة
قال الملة والدين وقوله وأنا ربكم فاتقون يقول وأنا مولاكم فاتقون بطاعتي تأمنوا عقابي وتصيبوا
أمة واحدة على الحال وذكر عن بعضهم أنه قرأ ذلك رفعا وكان بعض نحوي البصرة يقول وجه
ذلك اذا رفع على الخبر ويجعل أمتكم نصبا على البدل من هذه وأما نحويو الكوفة فيأبون ذلك الا
ضرورة شعر وقالوا لا يقال مررت بهذا غلامكم لان هذا لا تتبعه الا الالف واللام والاجناس لا

هنا
مشفقون ○ لا يؤمنون ○ لا يشركون ○ لا راجعون ○ لا لأن الكل معطوفات على اسم ان
والخبر أولئك الجملة سابقون ○ لا يظلمون ○ عاملون ○ يجأرون ○ لا لحق القول لا تنصرون ○ تنكصون ○ لا لأن ما بعده
مستكبرين ○ قد قيل على جعل الجار والمجرور مفعول سامرا أو مفعول تهجرون ○ الاولين ○ منكرون ○ لصورة الاستفهام
وهو العطف جنة ط كارهون ○ فيهن ط معرضون ○ ط لان الاستفهام انكاري خير ز وقد قيل بناء على أن الواو للابتداء والحال أي
الرازقين ○ مستقيم ○ لناكبون ○ يعمهون ○ يتضرعون ○ مبلسون ○ والافئدة ط تشكرون ○ تحشرون

والنهار ط تعقلون ○ الاولون ○ لميعوثون ○ الاولين ○ تعلمون ○ لله ط تذكرون ○ العظيم ○ لله ط تتقون ○ تعلمون ○ لله ط تسحرون ○ لكاذبون ○ ۞ التفسير انه سبحانه لما نفى الخيرات الحقيقية عن الكفرة المتنعمين أتبعه ذكر من هو أهل للخيرات عاجلا وآجلا فوصفهم بصفات أربع الاولى الاشفاق من خشية ربهم وظاهره ينبئ عن تكرار لان الاشفاق يتضمن الخشية فمنهم من قال جمع بينهما للتأكيد ومنهم من حمل الخشية على العذاب أى من عذاب ربهم مشفقون وهو قول الكلبى ومقاتل ومنهم من حمل الاشفاق على أثره وهو الدوام فى الطاعة والمعنى الذين هم من خشيته دائمون على طاعته جادون فى طلب مرضاته ومنهم من قال الاشفاق كمال الخوف أى هم من سخط الله عاجلا ومن عقابه آجلا فى نهاية الخوف ويلزم ذلك أن يكونوا فى غاية الاحتراز عن المعاصى وفيه أنهم اذا كانوا خائفين من الخشية فلأن يخافوا من عدم الخشية أولى الثانية قوله (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) والظاهر أنها القرآن وقيل هى المخلوقات الدالة على وجود الصانع وليس المراد التصديق بوجودها فقط فان ذلك معلوم بالضرورة فلا يوجب المدح بل التصديق بكونها دلائل موصلة الى العرفان ويتبعه الاقرار اللسانى ظاهرا الثالثة التبرى عما سوى الله ظاهرا وباطنا بأن لا يشرك به طرفة عين الرابعة قوله (والذين يؤتون ما آتوا) أى يعطون ما أعطوا (وقلوبهم وجلة) خائفة فى شأن ذلك الاعطاء ثم علل ذلك الوجل بقوله (أنهم) أى لانهم (الى ربهم راجعون) فان من اعتقد الرجوع الى الجزاء والمساءلة ونشر الصحف وتتبع الاعمال وعلم أن المجازى هو الذى لا يخفى عليه الضمائر والسرائر لم يخل عمله من حسن النية وخلوص الطوية بحيث يكون أبعد عن الرياء وأدخل فى الاخلاص والظاهر أن هذا الايتاء مختص بالزكاة والتصدق ويحتمل أن يراد اعطاء كل فعل أو خصلة أى اتيانها يؤيده ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ يؤتون ما آتوا أى يفعلون ما فعلوا وعن عائشة أنها قالت قلت يا رسول الله هو الذى يزنى ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا بنت الصديق ولكن هو الذى يصلى ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله أن لا يقبل منه وفى قوله (يسارعون فى الخيرات) معنيان أحدهما يرغبون فى الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها والثانى أنهم يتعجلون فى الدنيا وجوه المنافع والاكرام لانهم اذا سوبع بها لهم فقد سارعوا فى نيلها قال جار الله وهذا الوجه أحسن طباقا للآية المتقدمة لان فيها اثبات ما نفى عن الكفار للمؤمنين وقال فى قوله (وهم لها

هذا اشارة الى عدد فالحاجة فى ذلك الى تبين المراد من المشار اليه أى الاجناس هو وقالوا واذا قيل هذه أمتكم أمة واحدة والامة غائبة وهذه حاضرة قالوا فغير جائز أن يبين عن الحاضر بالغائب قالوا فلذلك لم يجز ان هذا زيد قائم من أجل أن هذا محتاج الى الجنس لا الى المعرفة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله زبرا فقرأته عامة قراء المدينة والعراق زبرا بمعنى جمع الزبور فتأويل الكلام على قراءة هؤلاء فتفرق القوم الذين أمرهم الله من أمة الرسول عيسى بالاجتماع على الدين الواحد والملة الواحدة دينهم الذى أمرهم الله بلزومه زبرا كتبا فكان كل فريق منهم بكتاب غير الكتاب الذى دان به الفريق الآخر كاليهود الذين زعموا أنهم دانوا بحكم التوراة وكذبوا بحكم الانجيل والقرآن وكالنصارى الذين دانوا بالانجيل بزعمهم وكذبوا بحكم الفرقان ذكر من تأول ذلك كذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة زبرا قال كتبا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بينهم زبرا قال كتب الله فرقوها قطعا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا قال مجاهد كتبهم فرقوها قطعا * وقال آخرون من أهل هذه القراءة انما معنى الكلام فتفرقوا دينهم بينهم كتبا أحدثوها يحتجون فيها لمذاهبهم ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون قال هذا ما اختلفوا فيه من الأديان والكتب كل مجيبون برأيهم ليس أهل هواء الا وهم مجيبون برأيهم وهواهم وصاحبهم الذى اخترق ذلك لهم وقرأ ذلك عامة قراء الشام فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا بضم الزاى وفتح الباء بمعنى فتفرقوا أمرهم بينهم قطعا كزبر الحديد وذلك القطع منها واحدتها زبرة من قول الله آتونى زبر الحديد فصاروا بعضهم يهودا وبعضهم نصارى * والقراءة التى نختار فى ذلك قراءة من قرأه بضم الزاى والباء لاجماع أهل التأويل فى تأويل ذلك على أنه مراد به الكتب فذلك يبين عن صحة ما اخترنا فى ذلك لان الزبر هى الكتب يقال منه زبرت الكتاب اذا كتبته فتأويل الكلام فتفرق الذين أمرهم الله بلزوم دينه من الامم دينهم بينهم كتبا كما بينا قبل وقوله كل حزب بما لديهم فرحون يقول كل فريق من تلك الامم بما اختاروه لانفسهم من الدين والكتب فرحون معجبون به لا يرون أن الحق سواه كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث

سابقون) انه متروك المفعول أومنويه أى فاعلون السبق لاجلها أوسابقون الناس لاجلها والمراد بالعاسابقون كقولك هوزيد ضارب بمعنى هوزيد اضارب جئت باللام لضعف عمل اسم الفاعل ولاسيما فيما قبله والمعنى أنهم يبالون الخيرات قبل الاخرى حيث عجلت لهم فى الدنيا وجوزأن يكون لها سابقون خبرين أحدهما بعد الآخر كقولك هذا هولهذا الامر أى صالح له وحين انجر الكلام الى ذكر أعمال المكلفين ذكر حكمين لها الاول قوله (ولانكلف نفسا الاوسعها) وفى الوسع قولان أحدهما أنه الطاقة والآخر أنه دون الطاقة وهو قول المعتزلة ومقاتل والضحاك والكلبى لانه اتسع (٣٤) فيه على المكلف ولم يضيق مثاله ان لم يستطع أن يصلى قائما فليصل قاعدا والافليوم إيماء وفيه أن هذا الذى وصف به الصالحين غير خارج من وسعهم الثانى قوله (ولدينا كتاب ينطق) والمراد بنطقه اثبات كل عمل فيه وهو اللوح أوصحيفة الاعمال لايقرؤن منها يوم القيامة الاماهو صدق وعدل والبحث بين الاشاعرة والمعتزلة فى مثل هذا المقام معلوم أما قوله (بل قلوبهم فى غمرة من هذا) ففيه طريقان أحدهما راجع الى الكفار والمعنى بل قلوب الكفار فى غفلة غامرة لهامن هذا الذى بيناه فى القرآن أومن هذا الذى ينطق بالحق أوالذى عليه هؤلاء المؤمنون (ولهم أعمال) متجاوزة لذلك الذى وصف به المؤمنون كمتابعة الهوى وطلب الدنيا والاعراض عن المولى (هم لها عاملون) فى الحال على سبيل الاعتياد لايقطعون عنها حتى يأخذهم العذاب أوفى الاستقبال لانها مبينة فى علم الله مكتوبة فى اللوح عليهم أن يعملوها بحكم الشقاء الازلى وثانيهما وهو اختيار أبى مسلم أن هذه الآيات من صفات المشفقين كأنه سبحانه قال بعد وصفهم ولانكلف نفسا الا وسعها ونهايته ماأتى به هؤلاء ولدينا كتاب يحفظ أعمالهم بل قلوبهم فى غمرة من هذا الذى وصفناهم به أهو مقبول عندالله أم مردود ولهم أعمال من دون ذلك الذى وصفهم لها عاملون وهى النوافل السرية والاعمال القبيحة ثم انه رجع الى وصف الكفار بقوله (حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب) وهو عذاب الآخرة أوقتلهم يوم بدر أوالجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقد والأولاد والجؤار الصراخ باستغاثة ثم أخبر أنه يقال لهم حينئذ على جهة التبكيت (لاتجأروا اليوم انكم منا لاتنصرون) لاتغاثون من جهتنا أولاتمنعون منا ثم عدد عليهم التوبيخ بقبائحهم ومعنى النكوص على العقبين التباعد عن الحق

قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد كل حزب بما لديهم فرحون قطعة وهؤلاء أهل الكتاب **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد كل حزب قطعة أهل الكتاب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فذرهم فى غمرتهم حتى حين أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لايشعرون﴾ قال أبوجعفر يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فدع يا محمد هؤلاء الذين تقطعوا أمرهم بينهم زبرا فى غمرتهم فى ضلالاتهم وغيهم حتى حين يعنى الى أجل سيأتيهم عند مجيئه عذابى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فذرهم فى غمرتهم حتى حين قال فى ضلالهم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فذرهم فى غمرتهم حتى حين قال الغمرة الغمر وقوله أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين يقول تعالى ذكره أيحسب هؤلاء الاحزاب الذين فرقوا دينهم زبرا أن الذى نعطيهم فى عاجل الدنيا من مال وبنين نسارع لهم يقول نسابق لهم فى خيرات الآخرة ونبادر لهم فيها ومامن قوله أنما نمدهم به نصب لانها بمعنى الذى بل لايشعرون يقول تعالى ذكره تكذيبا لهم ماذلك كذلك بل لايعلمون أن امدادى اياهم بما أمدهم به من ذلك انما هو املاء واستدراج لهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبوعاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أنما نمدهم قال نعطيهم نسارع لهم قال نزيدهم فى الخير على لهم قال هذا القرين **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنى** محمد بن عمر بن على قال ثنى أشعث بن عبدالله قال ثنا شعبة عن خالد الحذاء قال قلت لعبدالرحمن بن أبى بكرة قول الله نسارع لهم فى الخيرات قال يسارع لهم فى الخيرات وكأن عبدالرحمن بن أبى بكرة وجه بقراءته ذلك كذلك الى أن تأويله يسارع لهم امدادنا اياهم بالمال والبنين فى الخيرات ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لايشركون﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون ان الذين هم من خشيتهم وخوفهم من عذاب الله مشفقون فهم من خشيتهم من ذلك تائبون فى طاعته جادون فى طلب مرضاته والذين هم بآيات ربهم يؤمنون يقول والذين هم بآيات كتابه وحجج مصدقون والذين هم بربهم لايشركون يقول والذين يخلصون لربهم عبادتهم فلايجعلون له فيها لغيره شركا وثنا ولاصنما ولايراؤن بها أحدا من

خلقه

والتجافي عنه كن رجع على ورائه وقد مر في الانعام وفي مرجع الضمير فيه أقوال أحدها أنه للبيت العتيق أو للحرم والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت والتفاخر بولايته والقيام به وكانوا يقولون لا يظهر علينا أحد لانا أهل الحرم وثانيها مستكبرين بهذا التراجع والتباعد وثالثها مستكبرين بالقرآن على تضمين الاستكبار معنى التكذيب أو على أن الباء للسببية لان سماع القرآن كان يحدث لهم استكبارا وعتوا ورابعها أنه يتعلق بسامرا أو بتهجرون والهجر بالضم الفحش وبالفتح الهذيان وأهجر في منطقه اذا أفحش والضمير للقرآن أو للنبي أي تسمرون بذكر القرآن و بالطعن فيه أو في النبي (٣٥) وكانت عامة سمرهم حول البيت ذكر القرآن

خلقه ولكنهم يجعلون أعمالهم لوجهه خالصا واياه يقصدون بالطاعة والعبادة دون كل شئ سواه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾ يعني تعالى ذكره بقوله والذين يؤتون ما آتوا الذين يعطون أهل سهمان الصدقة ما فرض الله لهم في أموالهم ما آتوا يعني ما أعطوهم اياه من صدقة ويؤدون حقوق الله عليهم في أموالهم الى أهلها وقلوبهم وجلة يقول خائفة من أنهم الى ربهم راجعون فلا ينجيهم ما فعلوا من ذلك من عذاب الله فهم خائفون من المرجع الى الله لذلك كما قال الحسن ان المؤمن جمع احسانا وشفقة ۞ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبجر عن رجل عن ابن عمر يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال الزكاة حدثني محمد بن عمارة قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد وقلوبهم وجلة قال المؤمن ينفق ماله وقلبه وجل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي الاشهب عن الحسن قال يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال يعملون ما عملوا من أعمال البر وهم يخافون أن لا ينجيهم ذلك من عذاب ربهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال المؤمن ينفق ماله و يتصدق وقلبه وجل أنه الى ربه راجع حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن يونس عن الحسن أنه كان يقول ان المؤمن جمع احسانا وشفقة وان المنافق جمع اساءة وأمنا ثم تلا الحسن ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون الى وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون وقال المنافق انما أوتيته على علم عندي حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد عن عكرمة يؤتون ما آتوا قال يعطون ما أعطوا وقلوبهم وجلة يقول خائفة حدثنا خلاد بن أسلم قال ثنا النضر بن شميل قال أخبرنا اسرائيل قال أخبرنا سالم الأفطس عن سعيد بن جبير في قوله والذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة قال يفعلون ما يفعلون وهم يعلمون أنهم صائرون الى الموت وهي من المبشرات حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال يعطون ما أعطوا ويعملون ما عملوا من خير وقلوبهم وجلة خائفة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا علي قال ثني معاوية عن ابن عباس قوله والذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة يقول يعملون خائفين قال حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال يعطون ما أعطوا فرقا من الله وجلا من الله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول

وتسميته سحرا وشعرا وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم والسامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع ثم بين أن سبب اقدامهم على الكفر أحد أمور أربعة الاول عدم التدبر في القرآن لانهم ان تدبروه وتأملوا مبانيه ومعانيه ظهر لهم صدقه واعجازه فيصدقوا به و عن جانبه الثاني قوله (أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين) والمراد أمر الرسالة ثم المقصود تقرير أنه لم يأت آباءهم الاقربين رسول كقوله لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فلذلك أنكروه واستبعدوه أو تقرير أنه أتى آباءهم الاقدمين رسل وذلك أنهم عرفوا بالتواتر أن رسل الله فيهم كثيرة وكانت الأمم بين مصدق ناج و بين مكذب هالك بعذاب الاستئصال فادعاهم ذلك الى تصديق هذا الرسول وآباؤهم اسمعيل وأعقابه من عدنان وقحطان وقيل أراد أفلم يدبروا القرآن فيخافوا عند تدبر آياته وأقاصيصه مثل ما نزل عن قبلهم من المكذبين أم جاءهم من الأمن ما لم يأت آباءهم حين خافوا الله فآمنوا به و بكتبه ورسله وأطاعوه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسا

فانه كان مسلما ولا تسبوا الحرث بن كعب ولا أسد بن خزيمة ولا تميم بن مر فانهم كانوا على الاسلام وما شككتم فيه من شئ فلا تشكوا في أن تبعا كان مسلما الثالث قوله (أم لم يعرفوا) نبه بذلك على أنهم عرفوه وعرفوا صحة نسبته وأمانته فكيف كذبوه بعد أن اتفقت كلمتهم على أنه أمين الرابع نسبتهم اياه الى الجنون وكانوا يعلمون أنه أرجحهم عقلا ولكنه جاء بما يخالف هواهم فتشككوا في أمره أو شككوا العوام ابقاء على مناصبهم ورياستهم ثم أضرب عن أقوالهم منبها على مصدوقية أمر النبي فقال (بل جاءهم) متلبسا (بالحق) أو الباء للتعدية والحق الدين القويم والصراط المستقيم (وأكثرهم للحق كارهون) وأقلهم كانوا

لا يكرهونه وان لم يظهروا الايمان به خوفا من قالة الاعداء كما يحكى عن أبي طالب ولهذا جاء الخلاف في صحة اسلامه ثم بين أن الالهية تقتضي الاستقلال في الاوامر والنواهي وأن الحق والصواب ينحصر فيما دبر اله العالمين وقدره فقال (ولو اتبع الحق أهواءهم) نظيره ما مر في قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل الحق الاسلام والمراد لو انقلب الاسلام شركا كما تقتضيه أهواؤهم لجاء الله بالقيامة ولأهلك العالم ولم يؤخر وعن قتادة الحق هو الله والمعنى لو كان الله أمر بالشرك والمعاصي على وفق آرائهم لما كان الها ولكان شيطانا فلا يقدر على امساك السموات والارض وحينئذ يختل نظام العالم (٣٦) ثم ذكر أن نزول القرآن عليهم من جملة الحق فقال (بل أتيناهم بذكرهم) ان كانت الباء للتعدية فظاهر وان كانت للمصاحبة فعلى حذف مضاف أي أتاهم رسولنا متلبسا بالكتاب الذي هو ذكرهم أي وعظهم أوصيتهم وفخرهم أو الاضافة بدل اللام العهدي أي بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو أن عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين ثم بين أن دعوته ليست مشوبة بالطمع الموجب للنفرة فقال أم تسألهم خرجا أي جعلا وكذا الخراج وقد مر في آخر الكهف وقيل الخرج أقل والخراج الاكثرون خرجا فخراج يعني أم تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير وحين أثبت لرسوله مواجب قبول قوله ونفى عنه أضدادها صرح بمضمون أمره ومكنون سره فقال (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) هو دين الاسلام لانك تدعوهم الى غيره من الطرق المنحرفة عن جادة الصواب وأشار الى هذه الطرق بقوله (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة) هم المذكورون فيما تقدم أو كل من لا يؤمن بالآخرة (عن الصراط) المستقيم المذكور (لناكبون) والتركيب يدور على العدول عن القصد ومنه المنكب لجمع عظم العضد والكتف والنكباء الريح التي تعدل عن مهاب الرياح القوم ثم بين اصرارهم على الكفر بقوله (ولو رحمناهم) الآية يروى قال أنه لما أسلم ثمامة بن أثال الحنفي وحلق باليمامة ومنع الميرة عن أهل مكة وأخذهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فادع الله أن يكشف عنا الضر فأنزل الله الآية والمعنى لو كشف الله برحمته هذا الهزال والجوع عنهم لأصروا على ما هم فيه من الطغيان ثم استشهد على ذلك بقوله (ولقد أخذناهم) أي قبل ذلك (بالعذاب) يعني ما جرى عليهم يوم بدر (فما استكانوا لربهم) أي ما خضعوا

أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله يؤتون ما آتوا ينفقون ما أنفقوا **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال يعطون ما أعطوا وينفقون ما أنفقوا ويتصدقون بما تصدقوا وقلوبهم وجلة اتقاء لسخط الله والنار وعلى هذه القراءة أعني على والذين يؤتون ما آتوا قرأة الامصار وبه رسوم مصاحفهم وبه نقر الاجماع الحجة من القراء عليه ووافقه خط مصاحف المسلمين وروى عن عائشة رضي الله عنها في ذلك ما **حدثنا** أحمد ابن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا علي بن ثابت عن طلحة بن عمر عن أبي خلف قال دخلت مع عبيد بن عمير على عائشة فسألها عبيد كيف تقرأ هذا الحرف والذين يؤتون ما آتوا فقالت يأتون ما أتوا وكانها تأولت في ذلك والذين يفعلون ما يفعلون من الخيرات وهم وجلون من الله كالذي **حدثنا** ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمر بن قيس عن عبد الرحمن بن سعيد ابن وهب الهمداني عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قالت عائشة يا رسول الله والذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة هو الذي يذنب الذنب وهو وجل منه فقال لا ولكن من يصوم ويصلي ويتصدق وهو وجل **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن مالك بن مغول عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب أن عائشة قالت قلت يا رسول الله الذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أهم الذين يذنبون وهم مشفقون (١) ويصومون وهم مشفقون **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال ثنا ليث عن مغيث عن رجل من أهل مكة عن عائشة قالت قلت يا رسول الله الذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة قال فذكر مثل هذا **حدثنا** سفيان بن وكيع قال ثنا أبي عن مالك ابن مغول عن عبد الرحمن بن سعيد عن عائشة أنها قالت يا رسول الله الذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر قال لا يا ابنة أبي بكر أو يا ابنة الصديق ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني جرير عن ليث بن أبي سليم وهشيم عن العوام بن حوشب جميعا عن عائشة أنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابنة أبي بكر أو يا ابنة الصديق هم الذين يصلون ويفرقون أن لا يتقبل منهم وأن من قوله أنهم الى ربهم راجعون في موضع نصب لان معنى الكلام وقلوبهم وجلة من أنهم فلما حذفت من اتصل الكلام قبلها فنصبت وكان بعضهم يقول هي في موضع خفض وان لم يكن الخافض ظاهرا وقوله أولئك يسارعون في الخيرات يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين هذه الصفات صفاتهم يبادرون في الاعمال الصالحة ويطلبون الزلفة عند الله بطاعته **كما حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أولئك يسارعون في الخيرات

---

(١) لعل فيه سقطا والأصل قال لا ولكن الذين يصلون وهم مشفقون ويصومون وهم مشفقون الخ كتبه مصححه

وقد مر اشتقاقه فى آل عمران (وما يتضرعون) عدل الى المضارع لانه أراد وما من عادتهم أن يتضرعوا حتى قضينا عليهم بباب العذاب الشديد وهو الجوع الذى هو أشد من الاسر والقتل فابلسوا الساعة أى خضعت رقابهم وجاءت أعناقهم وأشدهم نكيصة وأخشنهم عريكة يستعطفك ويحتمل أن يراد محنناهم بكل محنة من القتل والجوع فما شوهد منهم انقياد لحق وهم كذلك اذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون والابلاس السكوت مع تحير أو اليأس من كل خير ثم نبه بقوله (وهو الذى أنشأ لكم) على أن أسباب التأمل فى الدلائل موجودة وأبواب الاعتبار بالكلية مسدودة فما كفر من كفر ولا عند من عند الا للشقاء الازلى وفى قوله (قليلا (٢٧) ما تشكرون) أى تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتوكيد دليل على أن المقر أقل من الجاحد وعن أبى مسلم أنه قال أراد بالقلة العدم وفى الآية ثلاثة معان أحدها اظهار النعمة وثانيها مطالبة العباد بالشكر عليها فشكر السمع أن لا يسمع الا لله وبالله ومن الله وشكر البصر أن ينظر بنظر العبرة لله وبالله والى الله وشكر الفؤاد تصفيته عن رين الاخلاق الذميمة وقطع تعلقه عن الكونين لشهوده بالله وثالثها الشكاية أن الشاكر قليل ثم بين دلائل أخر على الوحدانية فقال (وهو الذى ذرأكم) أى خلقكم وبثكم فى الارض للتناسل والى حيث لا مالك سواه تحشرون بعد تفرقكم (وهو الذى يحيى ويميت) وفيه مع تذكر نعمة الحياة بيان أن المقصود منها الانتقال الى الدار الثواب (وله اختلاف الليل والنهار) أى هو مختص بتصريفهما وأنهما يشبهان الموت والحياة وفى قوله (أفلا تعقلون) توبيخ وتهديد ثم نبه بقوله (بل قالوا) الآيات على أنه لا شبهة لهم فى انكار البعث الا التشبث بحبل التقليد والاستبعاد قال علماء المعانى قوله (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا) وارد على الاصل لان التأكيد مذكور عقيب المؤكد وبعد المفعول الثانى وأما فى سورة النمل فسبب تقديم المفعول الثانى على الضمير وعلى المعطوف هو أنه اقتصر هناك على قوله ترابا والتراب أبعد فى باب الاعادة من العظام فقدم ليدل على مزيد الاعتناء به فى شأن الاستنكار ثم رد على منكرى الاعادة أو على عبدة الاوثان بقوله (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون) أى ان كان عندكم علم فأجيبونى وفيه استهانة بهم وتجهيل لهم بأمر الديانات حتى جوز أن يشتبه عليهم مثل هذا المكشوف الجلى وفى قوله (أفلا تذكرون) ترغيب فى التدبر وبعث على التأمل فى أمر التوحيد والبعث فان من قدر على اختراع الارض ومن فيها كان حقيقا بأن لا يشرك به بعض خلقه وكان قادرا على اعادة ما أفناه وفى قوله (أفلا تتقون) مثل هذا الترغيب مع التخويف وكان أولى بالآية الثانية

قال والخيرات المخافة والوجل والاعياء والكف عن الشرك بالله فذلك المسابقة الى هذه الخيرات وقوله وهم لها سابقون كان بعضهم يقول معناه سبقت لهم من الله السعادة فذلك سبوقهم الخيرات التى يعملونها ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وهم لها سابقون يقول سبقت لهم السعادة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وهم لها سابقون فتلك الخيرات وكان بعضهم يتأول ذلك بمعنى وهم اليها سابقون وتأوله آخرون وهم من أجلها سابقون * وأولى الاقوال فى ذلك عندى بالصواب القول الذى قاله ابن عباس من أنه سبقت لهم من الله السعادة قبل مسارعتهم فى الخيرات ولما سبق لهم من ذلك سارعوا فيها وانما قلت ذلك أولى التأويلين بالكلام لان ذلك أظهر معنييه وأنه لا حاجة بنا اذا وجهنا تأويل الكلام الى ذلك الى تحويل معنى اللام التى فى قوله وهم لها الى غير معناها الأغلب عليها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون ﴾ يقول تعالى ذكره ولا نكلف نفسا الا ما يسعها ويصلح لها من العبادة ولذلك كلفناها ما كلفناها من معرفة وحدانية الله وشرعنا لها ما شرعنا لها من الشرائع ولدينا كتاب ينطق بالحق يقول وعندنا كتاب أعمال الخلق بما عملوا من خير وشر ينطق بالحق وهم لا يظلمون يقول يبين بالصدق عما عملوا من عمل فى الدنيا لا زيادة عليه ولا نقصان ونحن موفو جميعهم أجورهم المحسن منهم باحسانه والمسىء باساءته وهم لا يظلمون يقول وهم لا يظلمون بأن يزاد على سيآت المسىء منهم ما لم يعمله فيعاقب على غير جرمه وينقص المحسن عما عمل من احسانه فينقص عماله من الثواب ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ بل قلوبهم فى غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون ﴾ يقول تعالى ذكره ما الامر كما يحسب هؤلاء المشركون من أن امدادنا اياهم بما نمدهم به من مال وبنين نخير نسوقه بذلك اليهم ولرضانا عنهم ولكن قلوبهم فى غمرة عمى عن هذا القرآن وعنى بالغمرة ما غمر قلوبهم فغطاها عن فهم ما أودع الله كتابه من المواعظ والعبر والحجج وعنى بقوله من هذا من القرآن * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فى غمرة من هذا قال فى عمى من هذا القرآن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله فى غمرة من هذا قال من القرآن وقوله ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون يقول تعالى ذكره ولهؤلاء الكفار أعمال لا يرضاها الله من المعاصى من دون ذلك يقول من دون أعمال أهل الايمان بالله وأهل التقوى والخشية له * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

لاجل التدرج ولتعظيم السموات والعرش ولان تذكر واجب الوجود مقدم على اتقاء مخالفته قال جار الله أجرت فلانا على فلان اذا أغثته منه ومنعته يعني وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث أحد منه أحدا (ان كنتم تعلمون) بهذه الصفة غيره فأجيبوني به ومعنى (تسحرون) تخدعون عن طاعته والخادع هو الشيطان والهوى ثم بين بقوله (بل أتيناهم بالحق) أنه قد بالغ في الحاجج عليهم بهذه الآيات حتى استبان بما هو الحق والصدق (وانهم) مع ذلك (لكاذبون) حيث يدعون له الولد والشريك وينسبون اليه العجز عن الاعادة ۞ التأويل من خشية ربهم مشفقون اشارة الى استيلاء سلطان الهيبة في الحضور (٣٨) والغيبة بآيات ربهم يؤمنون هي ما يكاشف لهم من شواهد الحق في السر والعلانية بربهم لا يشركون هو ترك الملاحظة في رد الناس وقبولهم ومدحهم وذمهم وانقطاع النظر في المضار والضار عن الوسائط والاسباب يسارعون في الخيرات يتوجهون الى الله وينقطعون عما سواه وهم لها سابقون على قدر سبق العناية ولا نكلف نفسا الا وسعها كلفهم أن يقولوا لا اله الا الله وهم قادرون على ذلك وأمرهم بقبول دعوة الانبياء وما هم بعد بعاجزين عنه وقد كتب في اللوح أنهم يقدرون على هذه التكاليف وهم لا يظلمون فلا يكلفون ما ليس في وسعهم واستعدادهم حتى اذا أخذنا أكابر مجرميها مجرميهم بعذاب فساد الاستعداد لفسدت سموات أرواحهم وأرض نفوسهم ومن فيهن من القلب والسر وهو خير الرازقين فيه أن العلماء بالله عليهم أن لا يدنسوا وجوه قلوبهم الناضرة بدنس الاطماع الشارقة ولقد أخذناهم أولا بعذاب الغبن حتى اذا فتحنا عليهم باب عذاب الرين يحيي بنوره قلوب بعض عباده ويميت نفوسهم عن صفاتها الذميمة أو يحيي بعض النفوس باتباع شهواتها ويميت بعض القلوب باستيلاء ظلمات الطبيعة عليها ولها اختلاف ليل البشرية ونهار الروحانية أو طول ليل الفراق وقصر نهار الوصال قالوا أنا ما تنافيه أن اليأس من الوصول والوصال ليس من شيم أهل الكمال فقد تقوم قيامة العشق فيبعث القلب الميت أو من كان ميتا فأحييناه ملكوت كل شيء هي جهة روحانيته وهو يجير الاشياء بقيوميته عن الهلاك ولا مانع لمن أراد به أن لا يجيره (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون قل رب اما ترينى ما يوعدون رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون ادفع بالتى هى أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن

ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون قال الخطايا **حدثني** محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولهم أعمال من دون ذلك قال الحق **حدثنا** علي بن سهل قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ولهم أعمال من دون ذلك قال خطايا من دون ذلك الحق * قال ثنا حجاج عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله ولهم أعمال من دون ذلك الآية قال أعمال دون الحق **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال ذكر الله الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ثم قال للكفار بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون قال من دون الاعمال التي منها قوله من خشية ربهم مشفقون والذين **حدثني** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن العلاء بن عبد الكريم عن مجاهد قال أعمال لا بد لهم من أن يعملوها **حدثنا** علي بن سهل قال ثنا زيد بن أبي الزرقاء عن حماد بن سلمة عن حميد قال سألت الحسن عن قول الله ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون قال أعمال لم يعملوها سيعملونها **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون قال لم يكن له بد من أن يستوفي بقية عمله ويصلي به **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن الثوري عن العلاء بن عبد الكريم عن مجاهد في قوله ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون قال أعمال لا بد لهم من أن يعملوها **حدثنا** عمرو قال ثنا مروان بن معاوية عن العلاء بن عبد الكريم عن مجاهد في قول الله تبارك وتعالى ولهم أعمال من دون ذلك قال أعمال لا بد لهم من أن يعملوها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون﴾ يقول تعالى ذكره ولهؤلاء الكفار من قريش أعمال من دون ذلك هم لها عاملون الى أن يؤخذ أهل النعمة والبطر منهم بالعذاب كما **حدثنا** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب قال المترفون العظماء اذا هم يجأرون يقول واذا أخذناهم به جأروا يقول ضجوا واستغاثوا مما حل بهم من عذابنا ولعل الجؤار رفع الصوت كما يجأر الثور ومنه قول الاعشى

يراوح من صلوات الملا * ك طورا سجودا وطورا جؤارا

* ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** علي قال ثنا عبد الله

يحضرون حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسؤا فيها ولا تكلمون انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون (٣٩) اني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون

قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين ﴿ القراآت عاصم بالرفع أبو جعفر ونافع وحمزة وعلي وعاصم غير حفص الا الخزاز وقرأ رويس بالخفض اذا وصل وبالرفع اذا ابتدأ الآخرون بالخفض لعلي أعمل بسكون الياء عاصم وحمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب وابن محاهد عن ابن ذكوان شقاوتنا حمزة وعلي وخلف والمفضل الباقون شقوتنا بكسر الشين وسكون القاف في غير ألف سخريا بضم السين وكذلك في صاد أبو جعفر ونافع وحمزة وعلي وخلف والمفضل والخزاز عن هبيرة الآخرون بكسرها انهم بالكسر حمزة وعلي والخزاز عن هبيرة قل كم قل ان لبثتم على الامر فيهما حمزة وعلي وابن محاهد وأبو عون عن قنبل وافق ابن كثير في الاول

قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس اذا هم يجأرون يقول يستغيثون **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى وعبد الرحمن قالا ثنا سفيان عن علقمة بن قرد عن مجاهد في قوله حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون قال بالسيوف يوم بدر **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس في قوله اذا هم يجأرون قال يجزعون ◦ قال ثنا حجاج عن ابن جريج حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب قال عذاب يوم بدر اذا هم يجأرون قال الذين بمكة **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب يعني أهل بدر أخذهم الله بالعذاب يوم بدر **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول في قوله اذا هم يجأرون قال يجزعون وقوله لا تجأروا اليوم يقول لا تضجوا وتستغيثوا اليوم وقد نزل بكم العذاب الذي لا يدفع عن الذين ظلموا أنفسهم فان ضجيجكم غير نافعكم ولا دافع عنكم شيأ مما قد نزل بكم من سخط الله انكم منا لا تنصرون يقول انكم من عذابنا الذي قد حل بكم لا تستنقذون ولا يخلصكم منه شيء ◦ وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس لا تجأروا اليوم لا تجزعوا اليوم **حدثني** يونس قال أخبرنا الربيع بن أنس لا تجأروا اليوم لا تجزعوا الآن حين نزل بكم العذاب انه لا ينفعكم فلو كان هذا الجزع قبل نفعكم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون ﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش لا تضجوا اليوم وقد نزل بكم سخط الله وعذابه بما كسبت أيديكم واستوجبتموه بكفركم بآيات ربكم قد كانت آياتي تتلى عليكم يعني آيات كتاب الله يقول كانت آيات كتابي تقرأ عليكم فتكذبون بها وترجعون مولين عنها اذا سمعتموها كراهية منكم لسماعها وكذلك يقال لكل من رجع من حيث جاء نكص فلان على عقبه ◦ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فكنتم على أعقابكم تنكصون قال تستأخرون **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فكنتم على أعقابكم تنكصون يقول تدبرون **حدثني** محمد ابن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون يعني أهل مكة **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء

لا ترجعون على البناء للفاعل يعقوب وحمزة وعلي وخلف ﴿ الوقوف على بعض ط يصفون ◦ ط لمن قرأ بالرفع الى هو عالم ومن خفض فصفة لانه بدل أو وصف يشركون ◦ ما يوعدون ◦ لا لأن قوله فلا جواب الشرط وهو اما والنداء عارض الظالمين ◦ لا لقادرون ◦ السيئة ط يصفون ◦ الشياطين ◦ لا يحضرون ◦ ارجعون ◦ لا لتعلق لعل كلا ط لانها للردع عما قبلها أي لا يرجع وقيل مبتدأ بها بمعنى حقا والاول أحسن قائلها ط يبعثون ◦ ولا يتساءلون ◦ المفلحون ◦ خالدون ◦ كالحون ◦ تكذبون ◦ شقاوتنا ◦ ظالمون ◦ ولا تكلمون ◦ الراحمين ◦ ج للآية والوصل أجوز لشدة اتصال المعنى والفاء تضحكون ◦ صبروا ط

لمن قرأنهم بالكسر الفائزون ٥ سنين ٥ العائذين ٥ تعلمون ٥ لا ترجعون ٥ الحق ٥ لا لان ما بعده يصلح مستأنفا وحالا أى تعالى متوحدا غير مشارك الاهو ٥ لا لأن قوله رب العرش يصلح بدلا من هو وخبر مبتدأ محذوف الكريم ط آخر لا لأن الجملة بعده صفة به لا لأن ما بعده جواب عند ربه ط الكافرون ٥ الراحمين ٥ ۞ التفسير لما أثبت لنفسه الالهية بالدلائل الالزامية فى الآيات المتقدمة نفى عن نفسه الأنداد والاضداد بقوله (ما اتخذ الله من ولد) وبقوله (وما كان معه من اله) وفيه رد على القائلين بأن الملائكة بنات الله وابطال لاقوال اليهود والنصارى والثنوية ثم ذكر (٣٠) شبه دليل التمانع بقوله (اذا لذهب) وهو جواب لمن معه المحاجة من أهل الشرك وجواب الشرط محذوف دل عليه الكلام السابق تقديره ولو كان معه آلهة لذهب كل اله بما خلق لانفرد كل واحد منهم بالخلق الذى خلقه واستبد به لان اجتماعهم على خلق واحد لا يتصور فان ذلك يقتضى عجز الواحد عن ذلك الخلق وحينئذ يكون ملك كل واحد منهم متميزا عن ملك الآخرين (ولعلا بعضهم على بعض) أى لغلب بعضهم على بعض كما نرون حال ملوك الدنيا من تمايز الممالك ومن التغالب وعدم اللازم يدل على عدم الملزوم فلذلك ختم الآية بقوله (سبحان الله عما يصفون) الى قوله عما يشركون ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الاخلاق ومحاسن العادات قائلا (قل رب اما ترينى) أى ان كان لابد من أن ترينى ما تعدهم من العذاب فى الدنيا أو فى الآخرة (فلا تجعلنى) قرينا لهم وقد يجوز أن يستعيذ العبد بالله مما علم أنه لا يفعله اظهارا للعبودية واستكانة له ويؤيده تكرار رب مرتين وكانوا ينكرون العذاب ويسخرون منه فأكد وقوعه بقوله (وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون) قيل فيه دليل على أن القدرة تصح على المعدوم لانه أخبر أنه قادر على تجميل عقوبتهم ثم لم يفعل ذلك ثم أمره بالصفح عن سيآتهم ومقابلتها بما يمكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان وبذل الاستطاعة فيه كان أحسن لانها حسنة مضاعفة بازاء سيئة أو تقول المكافأة حسنة ولكن العفو أحسن عن عباس هى شهادة أن لا اله الا الله والسيئة الشرك وعن مجاهد هى أن يسلم عليه اذا لقيه قيل هى منسوخة بآية السيف والاولى أن يقال محكمة لان المدارة مستحبة مالم تؤد الى محذور (نحن أعلم بما يصفون) مما ليس فيه من المثالب والمراد أنه أقدر على جزائهم فعليه أن يفوض أمرهم الى الله ويدفع أذاهم بالكلام الجميل والسلام وبيان الادلة على أحسن الوجوه ثم أتبع هذا التعليم ما يقويه على ذلك وهو الاستعا

جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تنكصون قال تستأخرون وقوله مستكبرين به يقول مستكبرين بحرم الله يقولون لا يظهر علينا فيه أحدا بأهل الحرم ٥ وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله مستكبرين به يقول مستكبرين بحرم البيت انه لا يظهر علينا فيه أحد حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله مستكبرين به قال بمكة بالبلد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه حدثنا ابن بشار قال ثنا هودة قال ثنا عوف عن الحسن مستكبرين به قال مستكبرين بحرمى حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن حصين عن سعيد بن جبير فى قوله مستكبرين به بالحرم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة مستكبرين به قال مستكبرين بالحرم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله مستكبرين به قال بالحرم وقوله سامرا يقول تسمرون بالليل ووحد قوله سامرا وهو بمعنى السمار لانه وضع موضع الوقت ومعنى الكلام تهجرون ليلا فوضع السامر موضع الليل فوحد لذلك وقد كان بعض البصريين يقول وحد ومعناه الجمع كما قيل طفل فى موضع أطفال ومما يبين عن صحة ما قلنا فى أنه وضع موضع الوقت فوحد لذلك قول الشاعر

من دونهم ان جئتهم سمرا * عزف القيان ومجلس غمر

فقال سمرا لان معناه ان جئتهم ليلا وهم يسمرون وكذلك قوله سامرا ٥ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله سامرا يقول يسمرون حول البيت حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد سامرا قال مجلسا بالليل حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد سامرا قال مجالس حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن حصين عن سعيد بن جبير سامرا قال تسمرون بالليل حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله سامرا قال كانوا يسمرون ليلتهم ويلعبون يتكلمون بالشعر والكهانة وبما لا يدرون حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا

بالله من همزات الشياطين والهمز النفس ومنه مهماز الرائض وذلك أنهم يحثون الناس على المعاصي بأنواع الوساوس كما يحث الرائض الدابة على المشي بالمهماز وهي حديدة تكون في مؤخر خفه عن الحسن أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول بعد استفتاح الصلاة اللهم إني أعوذ بك من همزات الشياطين همزه ونفخه ونفثه فهمزه الجنون ونفثه الشعر ونفخه الكبر ثم أمره بالتعوذ من أن يحضروه أصلا كما يقال أعوذ بالله من خصومتك بل أعوذ بالله من لقائك وعن ابن عباس أراد الحضور عند تلاوة القرآن وعن عكرمة عند النزع والأولى العموم عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد اشتكى إليه رجل أرقا به فقال إذا أردت النوم فقل أعوذ (٣١) بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون قوله (حتى إذا جاء) قيل متعلق بقوله وإنهم لكاذبون وقيل بيصفون أي لا يزالون على سوء الذكر إلى هذا الوقت وما بينهما اعتراض وتأكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان أن يستزله عن الحلم والمراد بمجيء الموت أماراته التي تحقق عندها الموت وصارت المعرفة ضرورية فحينئذ يسأل الرجعة ولا ينافي هذا السؤال الرجعة عند معاينة النار كقوله ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب على أنهم الكفار وروى الضحاك عن ابن عباس أنها تشمل من لم يزك ولم يحج لقوله وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني وأما وجه الجمع في قوله ارجعون مع وحدة المنادى فقيل ان الجمعية راجعة إلى الفعل كأنه قال ارجع مرات ونظيره ألقيا في جهنم أي ألق ألق وقيل رب للقسم والخطاب للملائكة القابضين للارواح أي بحق الله ارجعون والأقرب أن الجمع للتعظيم كقول الشاعر

ألا فارحموني يا إله محمد * وقوله فإن شئت حرمت النساء سواكم *

عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا

أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله سامرا قال يعني سمر الليل وقال بعضهم في ذلك ما حدثنا به ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة سامرا يقول سامرا من أهل الحرم آمنا لا يخاف كانوا يقولون نحن أهل الحرم لا يخافون حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة سامرا يقول سامرا من أهل مكة آمنا لا يخاف قال كانوا يقولون نحن أهل الحرم لا نخاف وقوله تهجرون اختلفت القراء في قراءته فقرأته عامة قراء الامصار تهجرون بفتح التاء وضم الجيم وقرأ ذلك كذلك وجهان من المعنى أحدهما أن يكون عنى أنه وصفهم بالاعراض عن القرآن أو البيت أو رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفضه والآخر أن يكون عنى أنهم يقولون شيأ من القول كما يهجر الرجل في منامه وذلك إذا هذى فكأنه وصفهم بأنهم يقولون في القرآن ما لا معنى له من القول وذلك أن يقولوا فيه باطلا من القول الذي لا يضره وقد جاء بكلا القولين التأويل من أهل التأويل ذكر من قال كانوا يعرضون عن ذكر الله والحق ويهجرونه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله تهجرون قال يهجرون ذكر الله والحق حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة عن السدي عن أبي صالح في قوله سامرا تهجرون قال السب * ذكر من قال كانوا يقولون الباطل والسيئ من القول في القرآن حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن حصين عن سعيد بن جبير تهجرون قال يهجرون في الباطل * قال ثنا يحيى عن سفيان عن حصين عن سعيد بن جبير سامرا تهجرون قال يسمرون بالليل يخوضون في الباطل حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد تهجرون قال بالقول السيئ في القرآن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تهجرون قال الهذيان (٣) الذي يتكلم بما لا يريد ولا يعقل كالمريض الذي يتكلم بما لا يدري قال وكان أبي يقرؤها سامرا تهجرون وقرأ ذلك آخرون سامرا تهجرون بضم التاء وكسر الجيم وممن قرأ ذلك كذلك من قراء الامصار نافع بن أبي نعيم يعني يفحشون في المنطق ويقولون الخنا من قولهم أهجر الرجل إذا أفحش في القول وذكر أنهم كانوا يسبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس تهجرون قال تقولون هجرا حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن عن أبي نهيك عن عكرمة أنه قرأ سامرا تهجرون أي تسبون حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا

فإن المؤمن الملائكة قالوا نرجعك إلى الدنيا فيقول إلى دار الهموم والاحزان بل قدوما إلى الله وأما الكافر فيقول رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت قال جار الله أي لعلي آتي بما تركته من الايمان وأعمل فيه صالحا كما تقول لعلي أبني على أس تريد أوس أساوأبني عليه وقيل أي فيما خلفت من المال والاولى العموم فيدخل فيه العبادات البدنية والمالية والحقوق كأنهم تمنوا الرجعة ليصلحوا ما أفسدوه ويطيعوا فيما عصوا قيل كيف سألوا الرجعة وقد علموا صحة الدين بالضرورة ومن الدين أن لا رجعة والجواب بعد تسليم أنهم عرفوا كل الدين أن الانسان قد ينسى شيأ مع علمه بتعذره كقول القائل ليت الشباب يعود والاستغاثة بجنس هذه المسألة قد تحسن وقولهم (لعلي) ليس

المراد به الشك وانما هو كقول المقصر مكنونى لعلى أتدارك مع كونه جازما بأنه سيتدارك ويحتمل أنهم وان كانوا جازمين بذلك الا أن أمر المستقبل مبنى على الظن والتخمين دون اليقين فلذلك أوردوا الكلام بصورة الترجى ثم ردعهم بقوله (كلا) أى ليس الامر على ما توهمون من امكان الرجعة (انها كلمة) والمراد بها ظاهرا نفس الكلام مستقلم بعضها مع بعض وهى قوله ارجعون لعلى أعمل صالحا (هو قائلها) لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة والحيرة عليه وهو قائلها وحده لا يجاب اليها ولا تسمع منه (ومن ورائهم) الضمير لكل المكلفين أى أمامهم (برزخ) حائل بينهم وبين الجنة (٣٢) أو النار وبين الجزاء التام (الى يوم يبعثون) وذلك البرزخ هو مدة ما بين الموت الى البعث ولعل بعض الحجب من الاخلاق الذميمة يندفع فى هذه المدة وقال فى الكشاف حائل بينهم وبين الرجعة ومعناه الاقناط الكلى لما علم أنه لا رجعة يوم البعث الا الى الآخرة ثم وصف يوم البعث بقوله (فاذا نفخ فى الصور) قدر معناه فى أوائر طه وقوله (فلا أنساب بينهم) ليس المراد به نفى النسب لان ذلك ثابت بالحقيقة فاذن المراد حكمه وما يتفرع عليه من التعاطف والتراحم والتواصل فقد يكون أحد القريبين فى الجنة والآخر فى النار ويكون بكل مكلف من اشتغال نفسه ما يمنعه من الالتفات الى أحوال نسبه عن قتاده لا شئ أبغض الى الانسان من أن يرى من يعرفه مخافة أن يثبت له عليه شئ وأما الجمع بين قوله (ولا يتساءلون) وبين قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فظاهر لان هذا فى صفة أهل الموقف وذاك فى صفة أهل الجنة ولو سلم أن كليهما فى وصف أهل الموقف فلن نسلم اتحاد المواطن والازمنة وغيرها من الاعتبارات التى يقع فيها التساؤل كحقوق النسب ونحوها عن النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة مواطن تذهل فيها كل نفس حين يرمى الى كل انسان كتابه وعند الموازين وعلى جسر جهنم وقدم مثل آية الموازين فى أول الاعراف فليرجع

﴿ القول

الى هنالك وقوله (فى جهنم خالدون) بدل من خسروا أنفسهم ولا محل له كالمبدل فان الصلة لا محل لها أو خبر بعد خبر لأولئك أو خبر مبتدا محذوف ومعنى خسران أنفسهم امتناع انتفاعهم بها وقال ابن عباس خسروها بأن صارت منازلهم للمؤمنين ومعنى (تلفح) تسفع أى تضرب وتأكل لحومهم وجلودهم النار قاله ابن عباس وعن الزجاج ان اللفح والنفح واحد الا ان اللفح أشد تأثيرا والكلوح أن تتقلص الشفتان عن الاسنان كالرؤس المشوية يروى أن عتبة الغلام مر فى السوق برأس أخرج من التنور فغشى عليه ثلاثة أيام ولياليهن وعن

عون عن الحسن فى قوله سامرا تهجرون ورسولى حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال قال الحسن تهجرون رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة تهجرون يقول يقولون سوأ حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال الحسن تهجرون كتاب الله ورسوله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله تهجرون يقول يقولون المنكر والخنا من القول كذلك هجر القول * وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندنا القراءة التى عليها قراء الامصار وهى فتح التاء وضم الجيم لاجماع الجمة من القراء ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون ﴾ يقول تعالى ذكره أفلم يتدبر هؤلاء المشركون تنزيل الله وكلامه فيعلموا ما فيه من العبر ويعرفوا حجج الله التى احتج بها عليهم فيه أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين يقول أم جاءهم أمر مالم يأت من قبلهم من أسلافهم فاستكبر وا ذلك وأعرضوا فقد جاءت الرسل من قبلهم وأنزلت معهم الكتب وقد يحتمل أن تكون أم فى هذا الموضع بمعنى بل فيكون تأويل الكلام أفلم يدبروا القول بل جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين فتركوا ذلك التدبر وأعرضوا عنه اذ لم يكن فيمن سلف من آبائهم ذلك وقد ذكر عن ابن عباس فى ذلك نحو هذا القول حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين قال لعمرى لقد جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين ولكن أولم يأتهم مالم يأت آباءهم الاولين وقوله أم لم يعرفوا رسولهم يقول تعالى ذكره أم لم يعرف هؤلاء المكذبون محمدا وأنه من أهل الصدق والامانة فهم له منكرون يقول فينكروا قوله أو لم يعرفوه بالصدق ويحتجوا بأنهم لا يعرفونه بقول جل ثناؤه فكيف يكذبونه وهم يعرفونه فيهم بالصدق والامانة أم يقولون به جنة يقول أيقولون بمحمد جنون فهو يتكلم بما لا معنى له ولا يفهم ولا يدرى ما يقول بل جاءهم بالحق يقول تعالى ذكره فان يقولوا ذلك فكذبهم فى قيلهم ذلك واضح بين وذلك أن المجنون يهذى فيأتى من الكلام بما لا معنى له ولا يعقل ولا يفهم والذى جاءهم به محمد هو الحكمة التى لا أحكم منها والحق الذى لا تخفى صحته على ذى فطرة صحيحة فكيف يجوز أن يقال هو كلام مجنون وقوله وأكثرهم للحق كارهون يقول تعالى ذكره ما بهم هؤلاء الكفرة أنهم لم يعرفوا محمدا بالصدق ولا أن محمدا عندهم مجنون بل قد علموه صادقا محقا فيما يقول وفيما يدعوهم اليه ولكن أكثرهم للاذعان للحق كارهون ولاتباع محمد ساخطون حسدا منهم له وبغيا عليه واستكبارا فى الارض

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال تشويه النار فتتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته وقال الجوهري الكلوح تكشر في عبوس ثم بين سبحانه أنه يقال لهم حينئذ تقريعا وتوبيخا (ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون) قالت المعتزلة لو كان فعل التكذيب بخلق الله تعالى لم يكن لهذا التقريع وجه وعورض بالعلم والداعي وفسرت المعتزلة الشقاوة بسوء العاقبة التي علم الله أنهم يستحقونها بسوء أعمالهم وتفسرها الاشاعرة بما كتب الله عليهم في الازل من الكفر وسائر المعاصي أن يعملوها حتى يؤول حالهم الى النار ومعنى غلبة الشقاوة على هذا التفسير ظاهر وأما على تفسير المعتزلة (٣٣) فقد قال جار الله معناه ملكتنا وأخذت منا وقال الجبائي أراد طلبنا اللذات المحرمة وحرصنا على العمل القبيح ساقنا الى هذه الشقاوة فأطلق اسم المسبب على السبب وليس هذا باعتذار منهم لعلمهم بأن لا عذر لهم فيه ولكنه اعتراف بقيام حجة الله تعالى عليهم في سوء صنيعهم وأجيب بأن طلب تلك اللذات لابد أن ينتهي الى داعية يخلقها الله فيه بدليل قوله (وكنا قوما ضالين) أي في علم الله وسابق تقديره وحمله المعتزلة على الاعتراف بأنهم اختاروا الضلال قالوا ولو كان الكفر بخلق الله لكانوا بأن يجعلوا ذلك عذرا لهم أولى وأجيب بأن فحوى الكلام يؤول الى هذا كما قررنا عن ابن عباس أن لهم ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا ألم نستقر بنا أبصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فينادون ألف ربنا أمتنا اثنتين فيجابون ذلكم بأنه اذا دعي الله وحده كفرتم فينادون ألفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فينادون ألف ربنا أخرنا الى أجل قريب فيجابون أولم تكونوا أقسمتم من قبل فينادون ألف ربنا أخرجنا نعمل صالحا فيجابون أولم نعمركم فينادون ألف ربنا أخرجنا منها فيجابون اخسؤا فيها وهو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب أي لا يفهمون ولا يفهمون ولهذا قال جار الله (ولا تكلمون) أي في رفع العذاب وليس نهيا عن الكلام فانها ليست بدار تكليف ولكنه تبيه على أن العذاب لا يرفع ولا يخفف ومعنى اخسؤا انزجروا صاغرين كما تنزجر الكلاب اذا طردت يقال خسأ الكلب وخسأ نفسه يتعدى ولا يتعدى وهو المراد في الآية ثم عدد عليهم بعض قبائحهم في الدنيا بقوله (انه كان فريق من عبادي) هم الصحابة وقيل أهل الصفة خاصة عن الخليل وسيبويه أن السخري بالضم والكسر مصدر سخر الا أن في ياء النسب زيادة تأكيد وعن الكسائي والفراء أن المكسور

﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون﴾ يقول تعالى ذكره ولو عمل الرب تعالى ذكره بما يهوى هؤلاء المشركون وأجرى التدبير على مشيئتهم وارادتهم وترك الحق الذي هم له كارهون لفسدت السموات والارض ومن فيهن وذلك أنهم لا يعرفون عواقب الامور والصحيح من التدبير والفاسد فلو كانت الامور جارية على مشيئتهم وأهوائهم مع ايثارا كثرهم الباطل على الحق لم تقم السموات والارض ومن فيهن من خلق الله لان ذلك قام بالحق ﴿ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة قال ثنا السدي عن أبي صالح ولو اتبع الحق أهواءهم قال الله ﴿ قال ثنا أبو معاوية عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح ولو اتبع الحق أهواءهم قال الحق هو الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ولو اتبع الحق أهواءهم قال الحق الله وقوله بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون اختلف أهل التأويل في تأويل الذكر في هذا الموضع فقال بعضهم هو بيان الحق لهم مما أنزل على رجل منهم من هذا القرآن ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله بل أتيناهم بذكرهم يقول ببيانهم ﴿ وقال آخرون بل معنى ذلك بل أتيناهم بشرفهم وذلك أن هذا القرآن كان شرفا لهم لانه نزل على رجل منهم فأعرضوا عنه وكفروا به وقالوا ذلك نظير قوله وانه لذكر لك ولقومك وهذان القولان متقاربا المعنى وذلك أن الله جل ثناؤه أنزل هذا القرآن بيانا بين فيه ما خلقه اليه الحاجة من أمر دينهم وهو مع ذلك ذكر لرسوله صلى الله عليه وسلم وقومه وشرف لهم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أم تسئلهم خرجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم﴾ يقول تعالى ذكره أم تسأل هؤلاء المشركين يا محمد من قومك خراجا يعني أجرا على ما جئتهم به من عند الله من النصيحة والحق فخراج ربك خير فأجر ربك على فعلك لأمره وابتغاء مرضاته خير لك من ذلك ويسألهم صلى الله عليه وسلم على ما أتاهم به من عند الله أجرا قال لهم كما قال الله له وأمره بقيله لهم قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى وانما معنى الكلام أم تسألهم على ما جئتهم به أجرا فتكسوا على أعقابهم اذا تلوته عليهم مستكبرين بالحرم فخراج ربك خير ﴿ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير قال أجرا حدثنا الحسن قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن مثله وأصل الخراج والخرج مصدران لا يجمعان وقوله وهو خير الرازقين يقول والله خير من أعطى عوضا على عمل

من الهزء والمضموم من التسخير والاستعباد والمعنى اتخذتموهم هزؤا ونشاغلتم بهم ساخرين (حتى أنسوكم) بتشاغلكم بهم على تلك الصفة (ذكرى) فلم تذكروني حتى تخافوني ثم ذكر من حال المؤمنين ما أوجب الحسرة والندامة للساخرين فمن قرأ (أنهم) بالكسر على الاستئناف فمعناه ظاهر أي قد فازوا حيث صبروا ومن قرأ بالفتح فعلى أنه مفعول جزيتهم أي جزيتهم فوزهم ومن قرأ (قال) فالضمير لله أو لمن أمر بسؤالهم من الملائكة ومن قرأ قل فالخطاب للملك أو لبعض رؤساء أهل النار والغرض من هذا السؤال التوبيخ والتبكيت فقد كانوا لا يعدون اللبث الا في الدنيا ويظنون أن الفناء يدوم بعد الموت ولا اعادة فلما حصلوا في النار وأيقنوا أنهم فيها خالدون

سئلوا (كم لبثتم) تنبيها لهم على أن ما ظنوه دائما طويلا فهو يسير بالاضافة الى ما أنكروه اذ لا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي ولا سيما اذا كان الاول أيام سرور والثاني أيام غم وحزن واختلفوا في الارض فقيل وجه الارض حين ما كانوا أحياء فانهم زعموا أن لا حياة سواها فلما أحياهم الله تعالى وعذبوا في النار سئلوا عن ذلك توبيخا وقال آخرون المراد جوف الارض وهو القبر لظاهر لفظة في ولقوله ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة وقوله (عدد سنين) بدل من ميز كم وقيل تمييز احتج بعض من أنكر عذاب القبر بأن قوله في الارض يتناول زمان كونهم أحياء فوق الارض وزمان كونهم أمواتا في بطن الارض فلو كانوا معذبين في القبر لعلموا أن مدة مكثهم في الارض طويلة فما كانوا يقولون لبثنا يوما أو بعض يوم وأجيب بأن الجواب لا بد أن يكون على حسب السؤال وانما سئلوا عن موت لا حياة بعده الا في الآخرة وذلك لا يكون الا بعد عذاب القبر ويحتمل أن يكونوا سئلوا عن قدر اللبث الذي اجتمعوا فيه فلا يدخل في ذلك تقدم موت بعضهم على البعض فصح أن يكون جوابهم لبثنا يوما أو بعض يوم عند أنفسنا وليس هذا من قبيل الكذب اذ لعلهم نسوا ذلك لكثرة ما هم فيه من الاهوال ولقد

ورزقا رزقا وقوله وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم يقول تعالى ذكره وانك يا محمد لتدعو هؤلاء المشركين من قومك الى دين الاسلام وهو الطريق القاصد والصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون﴾ يقول تعالى ذكره والذين لا يصدقون بالبعث بعد الممات وقيام الساعة ومجازاة الله عباده في الدار الآخرة عن الصراط لناكبون يقول عن محجة الحق وقصد السبيل وذلك دين الله الذي ارتضاه لعباده لعادلون يقال منه قد نكب فلان عن كذا اذا عدل عنه ونكب عنه أي عدل عنه ۞ وبنحو قولنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله عن الصراط لناكبون قال لعادلون حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون يقول عن الحق عادلون وقوله ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر يقول تعالى ولو رحمنا هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة ورفعنا عنهم ما بهم من القحط والجدب وضر الجوع والهزال للجوا في طغيانهم يعني في عتوهم وجرأتهم على ربهم يعمهون يعني يترددون كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر قال الجوع ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أخذنا هؤلاء المشركين بعذابنا وأنزلنا بهم بأسنا وسخطنا وضيقنا عليهم معايشهم وأجدبنا بلادهم وقتلنا سراتهم بالسيف فما استكانوا لربهم يقول فما خضعوا لربهم فينقادوا لأمره ونهيه ويثيبوا الى طاعته وما يتضرعون يقول وما يتذللون له وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخذ الله قريشا بسني الجدب اذ دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الخبر بذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو تميلة عن الحسن عن يزيد عن عكرمة عن ابن عباس قال جاء أبو سفيان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أنشدك الله والرحم فقد أكلنا العلهز يعني الوبر والدم فأنزل الله ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن عن علباء بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس أن ابن أثال الحنفي لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو أسير خلى سبيله فلحق بمكة فقال بين أهل مكة وبين الميرة من اليمامة حتى أكلت قريش العلهز فجاء أبو سفيان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ألست تزعم بأنك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قد قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فأنزل الله

فقالوا لا نعرف من عدد السنين الا أنا نستقله ونحسبه يوما أو بعض يوم وقد اعترفوا بهذا النسيان حيث قالوا (فاسأل العادين) أي ليس من شأننا أن نعد هذا الملحن فيه من العذاب فاسأل من يقدر أن يلقي اليه فكره أو اسأل الملائكة الذين يعدون أعمار العباد ويحصون أعمالهم وعن ابن عباس أنساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين وقيل أرادوا بقولهم لبثنا يوما أو بعض يوم تصغير لبثهم وتحقيره بالاضافة الى ما وقعوا فيه وعرفوه من دوام العذاب وقد صدقهم الله في ذلك حيث قال (ان لبثتم الا قليلا) ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها بقوله (لو أنكم كنتم

تعلمون) أى لو علمتم البعث والحشر لما كنتم تعدونه طويلا ثم زاد فى التوبيخ بقوله (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) أى عابثين أو لاجل العبث وهو الفعل الذى لا غاية له صحيحة وجوّزوا أن يكون قوله (وأنكم إلينا لا ترجعون) معطوفا على عبثا أى للعبث وتركيكم غير مرجوعين وفيه دلالة على وجوب وقوع القيامة فلولاها لم يتميز المطيع من العاصى والمحسن من المسىء ثم نزه ذاته عن كل عيب وعبث قائلا (فتعالى) الآية ووصف العرش بالكريم لنزول الرحمة أو الخير منه أو باعتبار من استوى عليه كما يقال بيت كريم إذا كان مما كنوه كراما وقرئ الكريم بالرفع وهو ظاهر ثم زيف طريقة المقلدة من أهل النظر وقوله لا برهان (٣٥) له به كقوله عالم ينزل به سلطانا وهو صفة جىء بها للتأكيد لا أن بعض الآلهة قد يقوم على وجوده برهان وجوز جار الله أن يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء كقول القائل من أحسن الى زيد لا أحق بالاحسان اليه منه فالله مثيبه ومعنى (حسابه عند ربه) أنه بلغ عقابه الى حيث لا يقدر أحد على حسابه الا الله وقرئ أنه لا يفلح بفتح الهمزة أى حسابه عدم فلاحه فوضع الكافرون موضع الضمير جعل فاتحة السورة قد أفلح المؤمنون وأورد فى خواتيمها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفريقين وحين أثنى على المؤمنين فى أثناء الكلام بأنهم يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين نبه فى آخر السورة على أنه قول ينبغى أن يواظب المكلف عليه ففيه الانقطاع الى الله والاعراض عمن سواه والله المستعان ﴿ التأويل فاذا نفخ فى الصور فيه أن نفخة العناية الازلية اذا نفخت فى صور القلب قامت القيامة وانقطعت الاسباب فلا يلتفت الى أحد من الانساب لا الى أهل ولا الى ولد لاشتغاله فى طلب الحق واستغراقه فى بحر المحبة فلا يقع بينهم التساؤل عما تركوا من أسباب الدنيا ولا عن أحوال أهاليهم وأخدانهم وأوطانهم اذ قارفوها لكل امرئ منهم يومئذ فى طلب الحق شان يغنيه عن طلب الغير فأولئك الذين خسروا أنفسهم لأنهم اذا خفت موازينهم عن طلب الحق وانقطع عليه الطريق بنوع من التعلقات ورجع القهقرى بطل استعداده فى الطلب فان الانسان كالبيضة المستعدة لقبول تصرف دجاجة الولاية فيه وخروج الفرخ فيها فاذا تصرفت الدجاجة فيها وانقطع تصرفها عنها بافساد البيضة فلا ينفعها التصرف بعد ذلك لفساد الاستعداد ولهذا قالت المشايخ مرتد الطريقة شر من مرتد الشريعة ولهذا قال فى جهنم خالدون وأجيبوا بقوله اخسؤا فيها ولا تكلمون لانه ليس من سنتنا اصلاح الاستعداد بعد افساده

ولقد أخذناهم بالعذاب الآية **حدثنا** ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال أخبرنا عمرو قال قال الحسن اذا أصاب الناس من قبل الشيطان بلاء فاعصاهى نقمة فلا تستقبلوا نقمة الله بالحمية ولكن استقبلوها بالاستغفار وتضرعوا الى الله وقرأ هذه الآية ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ولقد أخذناهم بالعذاب قال الجوع والجدب فما استكانوا لربهم فصبروا وما استكانوا لربهم وما يتضرعون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون ﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه حتى اذا فتحنا عليهم باب القتال فقتلوا يوم بدر ذكر من قال ذلك **حدثنى** اسحق بن شاهين قال ثنا خالد بن عبد الله عن داود بن أبى هند عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد قد مضى كان يوم بدر **حدثنا** ابن المثنى قال ثنى عبد الأعلى قال ثنا داود عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد قال يوم بدر ، وقال آخرون معناه حتى اذا فتحنا عليهم باب المجاعة والضر وهو الباب ذو العذاب الشديد ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد قال لكفار قريش الجوع وما قبلها من القصة لهم أيضا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه الا أنه قال وما قبلها أيضا وهذا القول الذى قاله مجاهد أولى بتأويل الآية لصحة الخبر الذى ذكرناه قبل عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قصة المجاعة التى أصابت قريشا بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وأمر ثمامة بن أثال وذلك لاشك أنه كان بعد وقعة بدر وقوله اذا هم فيه مبلسون يقول اذا هؤلاء المشركون فيما فتحنا عليهم من العذاب حزنى نادمون على ما سلف منهم فى تكذيبهم بآيات الله فى حين لا ينفعهم الندم والحزن ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وهو الذى أنشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون ﴾ يقول تعالى ذكره والله الذى أحدث لكم أيها المكذبون بالبعث بعد الممات السمع الذى تسمعون به والأبصار التى تبصرون بها والافئدة التى تعقلون بها فكيف يتعذر على من أنشأ ذلك ابتداء اعادته بعد عدمه وفقده وهو الذى يوجد ذلك كله اذا شاء ويفنيه اذا أراد قليلا ما تشكرون يقول تشكرون أيها المكذبون خير الله من عطائكم السمع والأبصار والافئدة قليلا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وهو الذى ذرأكم

انه كان فريق من عبادى هم العلماء بالله النصحاء لاجله فاتخذتموهم سخريا فضربتم أنفسكم على سيوف همهم العلية حتى أنسوكم بهمهم وبيد الردد كرى وكنتم منهم تضحكون لان قلوبكم قد مائت وكثرة الفعل تميت القلب جزيتهم اليوم عاصبر وا فيه أن أهل السعادة هم الذين ينتفعون بمعاملاتهم الصالحة مع الله بتنعمون بانكار منكر يهم ومثله حال أهل الشقاء فى الجانب الآخر وهو الاستضرار ولا برهان له أى لا يظهر عليه برهان العبادة وهو النور والضياء والبهاء والصفاء وان تقرب الى ذلك الذى عبده من دون الله بأنواع القربات

﴿سورة النور مدنية حروفها ٥٣٣٠ كلامها ١٢١٦ (٣٦) آياتها ٦٤﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ويدرؤ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم﴾

﴿ القراآت فرضناها بالتشديد ابن كثير وأبو عمرو ورأفة بفتح الهمزة ابن كثير عن ابن فليح ورفعه الباقون بالاسكان وكلاهما مصدر وكذلك روى الخزاعى عن أصحابه وروى ابن شنبوذ عن البزى ههنا وفى الحديد متحركة الهمزة وعن قنبل ههنا بالفتح وفى الحديد بالسكون فقرأ وقرأ أبو عمرو وغير شجاع ويزيد والاعشى والاصبهانى عن ورش وحمزة فى الوقف بغير همز أربع شهادات بالرفع حمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبى بكر وحماد الآخرون بالنصب على اعمال المصدر فيما فى حكم المصدر والتقدير فواجب شهادة أحدهم شهادات أربعا أن مخففة لعنة الله بالرفع نافع وسهل ويعقوب والمفضل الباقون بالتشديد والنصب والخامسة الثانية بالنصب حفص على معنى وتشهد الشهادة الخامسة أن مخففة غضب فعلا ماضيا الله بالرفع نافع والمفضل أن بالتخفيف غضب الله بالرفع سهل ويعقوب الباقون أن غضب الله بالتشديد والنصب

فى الارض واليه تحشرون﴾ يقول تعالى ذكره والله الذى خلقكم فى الارض واليه تحشرون من بعد مماتكم ثم تبعثون من قبوركم الى موقف الحساب ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون﴾ يقول تعالى ذكره والله الذى يحيى خلقه بقول يجعلهم أحياء بعد أن كانوا نطفا أمواتا بنفخ الروح فيها بعد النارات التى تأتى عليها ويميت يقول ويميتهم بعد أن أحياهم وله اختلاف الليل والنهار يقول وهو الذى جعل الليل والنهار مختلفين كما يقال فى الكلام لك المن والفضل بمعنى انك تمن وتفضل وقوله أفلا تعقلون يقول أفلا تعقلون أيها الناس أن الذى فعل هذه الافعال ابتداء من غير أصل لا يعتنع عليه احياء الاموات بعد فنائهم وانشاء ما شاء اعدامه بعد انشائه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون﴾ يقول تعالى ذكره ما اعتبر هؤلاء المشركون بآيات الله ولا تدبروا ما احتج عليهم من الحجج والدلالة على قدرته على فعل كل ما يشاء ولكن قالوا مثل ما قال أسلافهم من الامم المكذبة رسلها قبلهم قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما يقول أئذا متنا وعدنا ترابا قد بليت أجسامنا وبرأت عظامنا من لحومنا أئنا لمبعوثون يقول أئنا لمبعوثون من قبورنا أحياء كهيئتنا قبل الممات ان هذا الشئ غير كائن ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا أساطير الاولين﴾ يقول تعالى ذكره قالوا لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا الوعد الذى تعدنا يا محمد ووعد آباءنا من قبلنا قوم ذكروا أنهم لله رسل من قبلك فلم نره حقيقة ان هذا يقول ما هذا الذى تعدنا من البعث بعد الممات الا أساطير الاولين يقول ما سطره الاولون فى كتبهم من الاحاديث والاخبار التى لا صحة لها ولا حقيقة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بالآخرة من قومك لمن ملك الارض ومن فيها من الخلق ان كنتم تعلمون من مالكها ثم أعلمه أنهم سيقرون بأنها لله ملكا دون سائر الأشياء غيره قل أفلا تذكرون يقول فقل لهم اذا أجابوك بذلك كذلك أفلا تذكرون فتعلمون أن من قدر على خلق ذلك ابتداء فهو قادر على احيائهم بعد مماتهم واعادتهم خلقا سويا بعد فنائهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم يا محمد من رب السموات السبع ورب العرش المحيط بذلك سيقولون ذلك كله لله وهو ربه فقل لهم أفلا تتقون عقابه على كفركم به وتكذيبكم خبره وخبر رسوله وقد اختلفت القراء فى قراءة قوله سيقولون لله فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق والشام سيقولون لله سوى أبى عمرو فانه خالفهم

الوقوف تذكرون ○ جلدة ص الآخر ○ للعدول واعتراض الشرط مع اتفاق الجملتين المؤمنين ○ مشركة ○ للتفصيل بين الحالتين مع اتفاق الجملتين مشرك ج لاختلاف الجملتين المؤمنين ○ أبدا ○ الفاسقون ○ وأصلحوا ج للفاء وان رحيم ○ بالله ط في الموضعين لان ما بعده جواب لما في حكم القسم الصادقين ○ الكاذبين ○ الصادقين ○ حكيم ○ ۞ التفسير لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في خاتمة السورة المتقدمة بطلب المغفرة والرحمة وطلبه يستلزم مطلوبه لاستحالة تبديل سل تعط أردفه بذكر ما هو أصل كل رحمة ومنشأ كل خير فقال (سورة) أي هذه سورة (أنزلناها وفرضناها) أوفيها

أوحينا اليك سورة أنزلناها وقرئ بالنصب على دونك سورة أو اتل سورة أو على شريطة التفسير وعلى هذا لا يكون لقوله أنزلناها محل من الاعراب لانها لبست بصفة وانما هي مفسرة للضمر فكانت في حكمه ومعنى انزال الوحي قد سلف في أول البقرة والفرض القطع والتقدير ولا بد من تقدير مضاف لان السورة قد دخلت في الوجود فلا معنى لفرضها فالمراد فرضنا أحكامها التي فيها ومن شدد فللمبالغة أو للتكثير في أحكام هذه السورة كثيرة ويجوز أن يرجع معنى الكثرة الى المفروض عليهم فانهم كل المكلفين من السلف والخلف وأما الآيات البينات فانها دلائل التوحيد التي يذكرها الله تعالى بعد الاحكام والحدود ويؤيده قوله (لعلكم تذكرون) فان الاحكام والشرائع ما كانت معلومة لهم ليؤمروا بتذكرها بخلاف دلائل التوحيد فانها كالمعلومة لظهورها فيكفي فيها التذكر وقال أبو مسلم هي الحدود والاحكام أيضا ولا بعد في تسميتها آيات كقول زكريا رب اجعل لي آية سأل ربه أن يفرض عليه عملا وقال القاضي أراد بها الانباء المباحثة المذكورة في السورة ينبهها الله تعالى لاجل التذكر

فقراء سيقولون لله في هذا الموضع وفي الآخر الذي بعده اتباعا لخط المصحف فان ذلك كذلك في مصاحف الامصار الا في مصحف أهل البصرة فانه في الموضعين بالالف فقرؤا بالالف كلها اتباعا لخط مصحفهم فأما الذين قرؤه بالالف فلا مؤنة في قراءتهم ذلك كذلك لانهم أجروا الجواب على الابتداء وردوا مرفوعا على مرفوع وذلك أن معنى الكلام على قراءتهم قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون رب ذلك الله فلا مؤنة في قراءة ذلك كذلك وأما الذين قرؤا ذلك في هذا والذي يليه بغير ألف فانهم قالوا معنى قوله قل من رب السموات لمن السموات لمن ملك ذلك فجعل الجواب على المعنى فقيل لله لان المسئلة عن ملك ذلك لمن هو قالوا وذلك نظير قول قائل لرجل من مولاك فيجيب اجيب عن معنى ما سئل فيقول أنا لفلان لانه مفهوم بذلك من الجواب ما هو مفهوم بقوله مولاي فلان وكان بعضهم يذكر أن بعض بني عامر أنشده

وأعلم أنني سأكون رمسا ✽ اذا سار النواعج لا يسير
فقال السائلون لمن حفرتم ✽ فقال المخبرون لهم وزير

فأجاب المخفوض بمرفوع لان معنى الكلام فقال السائلون من الميت فقال المخبرون الميت وزير فأجابوا عن المعنى دون اللفظ والصواب من القراءة في ذلك أنهما قراءتان قد قرأ بهما علماء من القراء مستفيضتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أني مع ذلك أختار قراءة جميع ذلك بغير ألف لاجماع خطوط مصاحف الأمصار على ذلك سوى خط مصحف أهل البصرة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد من بيده خزائن كل شئ كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ملكوت كل شئ قال خزائن كل شئ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن مجاهد في قول الله قل من بيده ملكوت كل شئ قال خزائن كل شئ وقوله وهو يجير من أراد ممن قصده بسوء ولا يجار عليه يقول ولا أحد يمتنع ممن أراده هو بسوء فيدفع عنه عذابه وعقابه ان كنتم تعلمون من ذلك صفته فانهم يقولون ان ملكوت كل شئ والقدرة على الاشياء كلها لله فقل لهم يا محمد فأنى تسحرون يقولون فمن أي وجه تصرفون عن التصديق بآيات الله والاقرار بأخباره وأخبار رسوله والايمان بان الله القادر على كل ما يشاء وعلى بعثكم أحياء بعد مماتكم مع علمكم بما تقولون من عظيم سلطانه وقدرته وكان ابن عباس فيما ذكر عنه يقول في معنى قوله تسحرون

من جملة الاحكام حكم الزنا قال الخليل وسيبويه رفعهما على الابتداء والخبر محذوف ولا بد من تقدير مضاف أي فيما فرض عليكم جلد زانيه والزاني أو فيما يتلى عليكم حكم الزانية والزاني وقال آخرون الخبر فاجلدوا والفاء لتضمن معنى الشرط فان الالف واللام بمعنى الموصول تقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوا وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من نصب سورة أنزلناها لاجل الامر فان الطلب من مظان الفعل والجلد ضرب الجلد كما يقال رأسه أي ضرب رأسه وكذلك في سائر الاعضاء بعد ثبوت السماع وفيه اشارة الى أن اقامة الحد ينبغي أن يكون على الاعتدال بحيث لا يتجاوز الالم من الجلد الى اللحم فعلى الامام أن ينصب للحدود رجلا عالما بصيرا بعقل كيف

يضرب فالرجل يجلد قائما على مجرد ليس عليه ازاره ضربا وسطا لا مبرحا ولا هينا على الاعضاء كلها الا الوجه والفرج والمرأة تجلد قاعدة
ولا ينزع من ثيابها الا الحشو والفرو والصحيح أن الزنا من الكبائر ولهذا قرنه الله تعالى بالشرك وقتل النفس في قوله ولا يزنون وقد روى
فيه عقد المسألة بكماله بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه الرجم الذي هو أشنع أنواع القتل ونهى المؤمنين عن الرأفة بهما وأمر
بشهود طائفة للتشهير وعن النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فأما التي في الدنيا
فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر (٣٨) وأما التي في الآخرة فيوجب السخطة وسوء الحساب والخلود في النار

واعلم أن البحث في هذه الآية يقع
عن أمور أحدها عن ماهية الزنا
وثانيها عن أحكام الزنا وثالثها في
الشرائط المعتبرة في كون الزنا
موجبا لتلك الاحكام ورابعها في
الطريق الذي به يعرف حصول الزنا
وخامسها عن كيفية اقامة هذا
الحد الاول فقد حده علماء الشافعية
بأنه عبارة عن ايلاج فرج في فرج
مشتهى طبعا محرم شرعا قالوا
فيدخل فيه اللواطة لانها مثل الزنا
صورة وذلك ظاهر لحصول معنى
الانفراج في الدبر أيضا ومعنى لانهما
يشتركان في المعاني المتعلقة
بالشهوة من الحرارة واللين وضيق
المدخل ولذلك لا يفرق أهل الطبائع
بين المحلين والاكثرون على أن اللواط
لا يدخل تحت الزنا للعرف ولهذا
لو حلف لا يزني فلاط أو بالعكس لم
يحنث ولان الصحابة اختلفوا في حكم
اللواط مع كونهم عالمين باللغة وما
روى عن أبي موسى الاشعري أنه
صلى الله عليه وسلم قال اذا أتى الرجل
الرجل فهما زانيان محمول على
اشتراكهما في الاثم بدليل قوله أيضا
اذا أتت المرأة المرأة فهما زانيتان
وقوله اليدان تزنيان والعينان تزنيان
والقياس المذكور بعيد لانه لا يلزم
من تسمية الفعل فرجا لانفراجه أن
يسمى كل منفرج كالفم والعين فرجا

ما حدثني به علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فأنى
تسحرون يقول تكذبون وقد بينت فيما مضى السحر وأنه تخييل الشيء الى الناظر أنه على خلاف
ما هو به من هيئته فذلك معنى قوله فأنى تسحرون انما معناه فمن أي وجه يخيل اليكم الكذب
حقا والفاسد صحيحا فتصرفون عن الاقرار بالحق الذي يدعوكم اليه رسولنا محمد صلى الله عليه
وسلم (ش) القول في تأويل قوله تعالى ﴿ بل أتيناهم بالحق وانهم لكاذبون ما اتخذ الله من ولد
وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون
عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ﴾ يقول ما الامر كما يزعم هؤلاء المشركون بالله من أن
الملائكة بنات الله وأن الآلهة والاصنام لهم آلهة دون الله بل أتيناهم بالحق اليقين وهو الدين
الذي ابتعث الله به نبيه صلى الله عليه وسلم وذلك الاسلام ولا يعبد شيء سوى الله لانه لا اله غيره
وانهم لكاذبون يقول وان المشركين لكاذبون فيما يضيفون الى الله وينحلونه من الولد والشريك
وقوله ما اتخذ الله من ولد يقول تعالى ذكره ما لله من ولد ولا كان معه في القديم ولا حين ابتدع
الاشياء من تصلح عبادته ولو كان معه في القديم أو عند خلقه الاشياء من تصلح عبادته من اله اذا
لذهب يقول اذا لاعتزل كل اله منهم بما خلق من شيء فانفرد به ولتغالبوا فعلا بعضهم على بعض
وغلب القوي منهم الضعيف لان القوي لا يرضى أن يعلوه ضعيف والضعيف لا يصلح أن يكون له
فسبحان الله ما أبلغها من حجة وأوجزها لمن عقل وتدبر وقوله اذا لذهب جواب لمحذوف وهو
لو كان معه اله اذا لذهب كل اله بما خلق اجتزئ بدلالة ما ذكر عليه عنه وقوله سبحان الله عما
يصفون يقول تعالى ذكره تنزيها لله عما يصفه به هؤلاء المشركون من أن له ولدا وعما قالوه من أنه
شريكا أو أن معه في القدم الها يعبد تبارك وتعالى وقوله عالم الغيب والشهادة يقول تعالى ذكره
هو عالم ما غاب عن خلقه من الاشياء فلم يروه ولم يشاهدوه وما رأوه وشاهدوه وانما هذا من الله خبر عن
هؤلاء الذين قالوا من المشركين اتخذ الله ولدا وعبدوا من دونه آلهة انهم فيما يقولون ويفعلون
مبطلون مخطئون فانهم يقولون ما يقولون من قول في ذلك عن غير علم بل عن جهل منهم به وان
العالم بقديم الامور وبحديثها وشاهدها وغائبها عنهم الله الذي لا يخفى عليه شيء فخبره هو الحق دون
خبرهم وقال عالم الغيب فرفع عالم على الابتداء بمعنى هو عالم الغيب ولذلك دخلت الفاء في قوله فتعالى
كما يقال مررت بأخيك المحسن فأحسنت اليه فترفع المحسن اذا جعلت فأحسنت اليه بالفاء لان
معنى الكلام اذا كان كذلك مررت بأخيك هو المحسن فأحسنت اليه ولو جعل الكلام بالواو
فقيل وأحسنت اليه لم يكن وجه الكلام في المحسن الا الخفض على النعت للاخ ولذلك لو جاء فتعالى
بالواو كان وجه الكلام في عالم الغيب الخفض على الاتباع لاعراب اسم الله وكان يكون معنى الكلام

واعلم أن للشافعي في اللائط قولين أصحهما أن عليه حد الزنا ان كان محصنا سبحان

فيرجم وان لم يكن محصنا فيجلد ويغرب والثاني قتل الفاعل والمفعول والقتل اما بحز الرقبة كالمرتد أو بالرجم وهو قول مالك وأحد وأحمد
أو بالهدم عليه ويروى عن أبي أو بالرجم من شاهق ويروى عن علي رضي الله عنه وذلك أن قوم لوط عذبوا بكل هذه الوجوه قال عز من قائل
فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل وأما المفعول فان كان صغيرا أو مجنونا أو مكرها فلا حد عليه ولا مهر لان بضع الرجل
لا يتقوم وان كان مكافا طائعا فهو كالفاعل في الاقوال وان أتى امرأة في دبرها ولا ملك ولا نكاح فالاظهر أنه لواط وحكمه ما مر وقيل زنا

وطء أنثى فأشبه الوطء فى القبل واذا لاط بعبده فهو كالاجنبى على الاصح ولو أتى امرأته أو جاريته فى الدبر فالاصح القطع بمنع الحد لانها محل استمتاعه وبالجملة جميع ذلك مما ذهب اليه الشافعى وقال أبو حنيفة ان اللائط لا يحد بل يعزر بحجة الشافعى خبر أبى موسى الاشعرى فانه يدل على اشتراك اللواط والزنا فى الاسم والحقيقة لأقل من اشتراكهما فى اللوازم وأيضا انه صلى الله عليه وسلم قال من عمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل منهما والمفعول به وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث زنا بعد احصان وكفر بعد ايمان وقتل نفس بغير حق وليس اللواط من قبيل الثانى والثالث فهو من الاول وأيضا قاس اللواط على الزنا (٣٩) بجامع كون الطبع داعيا اليه فيناسب الزاجر وفرق بأن الزنا أكثر وقوعا وكان الاحتياج فيه الى الزاجر أشد وبأن الزنا يقتضى فساد الانساب دون اللواط وألغى الفرق بوطء العجوز الشوهاء حجة أبى حنيفة أنه وطء لا يتعلق به المهر فلا يتعلق به الحد وضعف بفقد الجامع قال انه لا يساوى الزنا فى الحاجة الى شرع الحد لان اللواط لا يرغب فيه المفعول طبعا ولانه ليس فيه اضاعة النسب وأجيب بأن الانسان حريص على ما منع فلو لم يشرع الحد شاع اللواط وأدى الى اضاعة النسب بل الى افناء الاشخاص وانقطاع طريق التوالد والتناسل وللشافعى فى اتيان البهيمة أقوال أحدها أنه كالزنا فى أحكامه وثانيها القتل مطلقا لما روى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه فقيل لابن عباس ما شأن البهيمة قال لانه كره أن يؤكل لحمها وأصحها وهو قول مالك وأبى حنيفة وأحمد والثورى أن عليه التعزير لانه غير مشتهى طبعا والحديث ضعيف الاسناد وبتقدير صحته معارض بما روى أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن ذبح الحيوان الا لاكله ولا خلاف فى أن السحق واتيان الميتة والاستمناء باليد لا يشرع فيها الا التعزير البحث الثانى قدم فى أول سورة النساء أن حكم الزانى فى أوائل الاسلام كان الحبس فى البيوت فى حق الثيب والايذاء بالقول فى حق البكر ثم نسخ بآية الزنا وبقوله صلى الله عليه وسلم الثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة والبكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والخوارج أنكروا الرجم لانه لا يتنصف وقد قال تعالى فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ولانه تعالى أطنب فى أحكام الزنا عالم يطنب فى غيره فلو كان الرجم مشروعا لكان أولى بالذكر ولان قوله الزانية والزانى يقتضى وجوب الجلد على كل الزناة وايجاب الرجم على البعض يقتضى تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد وجمهور المجتهدين خالفوهم فى ذلك فأجابوا عن الاول بأن الرجم حيث لم يتنصف لم يشرع

سبحان الله عالم الغيب والشهادة وتعالى فيكون قوله وتعالى حينئذ معطوفا على سبحان الله وقد يجوز الخفض مع الفاء لان العرب قد تبتدئ الكلام بالفاء كابتدائها بالواو وبالخفض كان يقرأ عالم الغيب فى هذا الموضع أبو عمرو وعلى خلافه فى ذلك قراء الامصار والصواب من القراءة فى ذلك عندنا الرفع لعنيين أحدهما اجماع الحجة من القراء عليه والثانى صحته فى العربية وقوله فتعالى عما يشركون يقول تعالى ذكره فارتفع الله وعلا عن شرك هؤلاء المشركين ووصفهم اياه بما يصفون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل رب إما ترينى ما يوعدون رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد رب ان ترينى فى هؤلاء المشركين ما نعدهم من عذابك فلا تهلكنى بما تهلكهم به ونجنى من عذابك وسخطك فلا تجعلنى فى القوم المشركين ولكن اجعلنى ممن رضيت عنه من أوليائك وقوله فلا تجعلنى جواب لقوله اما ترينى اعترض بينهما بالنداء ولو لم يكن قبله جزاء لم يجز ذلك فى الكلام لا يقال يا زيد فقم ولا يا رب فاغفر لان النداء مستأنف وكذلك الامر بعده مستأنف لا تدخله الفاء والواو الا أن يكون جوابا للكلام قبله وقوله وانا على أن نريك ما نعدهم لقادرون يقول تعالى ذكره وانا يا محمد على أن نريك فى هؤلاء المشركين ما نعدهم من تعجيل العذاب لهم لقادرون فلا يحزننك تكذيبهم اياك بما نعدهم به وانما نؤخر ذلك لبلوغ الكتاب أجله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ادفع بالتى هى أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه ادفع يا محمد بالخلة التى هى أحسن وذلك الاغضاء والصفح عن جهلة المشركين والصبر على أذاهم وذلك أمر مأباه قبل أمره بحربهم وعنى بالسيئة أذى المشركين اياه وتكذيبهم له فيما أتاهم به من عند الله يقول له تعالى ذكره اصبر على ما تلقى منهم فى ذات الله ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله ادفع بالتى هى أحسن السيئة قال اعرض عن أذاهم يالك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن عبد الكريم الجزرى عن مجاهد ادفع بالتى هى أحسن السيئة قال هو السلام تسلم عليه اذا لقيته حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم عن مجاهد مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن فى قوله ادفع بالتى هى أحسن السيئة قال والله لا يصيبها صاحبها حتى يكظم غيظا ويصفح عما يكره وقوله نحن أعلم بما يصفون يقول تعالى ذكره نحن أعلم بما يصفون الله به ويضلونه من الاكاذيب والفرية عليه وبما يقولون فيك من السوء ونحن مجازوهم على جميع ذلك فلا يحزنك ما تسمع منهم من قبيح

فى حق العبد فخص العذاب بغير الرجم للدليل العقلى وعن الثانى بأن الاحكام الشرعية كانت تنزل بحسب تجدد المصالح فلعل المصلحة التى اقتضت وجوب الرجم حدثت بعد نزول هذه الآيات وعن الثالث بأن تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد جائز عندنا لان القرآن وان كان قاطعا فى متنه الا أن العام غير قاطع الدلالة فأمكن تخصيصه بالدليل المظنون سلمنا الا أن الرجم ثبت بالتواتر رواه أبو بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم وجابر والخدرى وأبو هريرة وبريدة الاسلمى وزيد بن خالد فى آخرين من الصحابة ومانقل عن على أنه جمع بين الجلد والرجم وهو اختيار أحمد واسحق وداود محمول على مثل ماروى (٤٠) عن النبى صلى الله عليه وسلم أن رجلا زنى بامرأة فأمر به النبى صلى الله عليه وسلم بجلد ثم أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان محصنا فأمر به فرجم وقوله صلى الله عليه وسلم الثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة منزول العمل بما روى فى قصة العسيف أنه قال يا أنيس اغد على امرأة هذا فان اعترفت فارجمها ولو وجب الجلد اذ ذاك لذكره وأن قصة ماعز رويت من جهات مختلفة وليس فيها ذكر الجلد مع الرجم وكذا قصة الغامدية وروى الزهرى باسناده عن ابن عباس أن عمر قال فدخشيت أن يطول بالناس زمان حتى يقول قائل لانجد الرجم فى كتاب الله تعالى فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله تعالى وقد قرأنا الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة فرجم النبى صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فأخبر أن الذى فرضه الله تعالى هذا الرجم ولو كان الجلد واجبا مع الرجم لذكره قال الشافعى يجمع بين الجلد والتغريب فى حد البكر وقال أبو حنيفة يجلد وأما التغريب ففوض الى رأى الامام وقوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وكذا ما روى عن الصحابة أنهم جلدوا ونفوا منسوخ أو محمول على وجه التعزير والتأديب بعض من غير وجوب وقال مالك يجلد الرجل ويغرب وتجلد المرأة بلا تغريب حجة الشافعى حديث عبادة البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وقد ورد مثله فى قصة العسيف حجة أبى حنيفة أن ايجاب التغريب يقتضى نسخ القرآن بخبر الواحد بيانه أن ايجاب الجلد مرتب على الزنا بالفاء التى هى للجزاء ومعنى الجزاء كونه كافيا فى ذلك الباب منه قوله صلى الله عليه وسلم لا يجزئ أحدا بعدك ولا يجزى أحدا بعدك ويجاب بشئ آخر غير الجلد يقتضى نسخ كونه كافيا ولو كان النفى مشروعا لوجب على النبى صلى الله عليه وسلم توقيف الصحابة

القول وقوله وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقل يا محمد رب أستجير بك من خنق الشياطين وهمزاتها والهمز هو الغمز ومن ذلك قيل للهمز فى الكلام همز والهمزات جمع همز * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنى ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين قال همزات الشياطين خنقهم الناس فذلك همزاتهم وقوله وأعوذ بك رب أن يحضرون يقول وقل أستجير بك رب أن يحضرون فى أمورى كالذى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأعوذ بك رب أن يحضرون فى شئ من أمرى * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون﴾ يقول تعالى ذكره حتى اذا جاء أحد هؤلاء المشركين الموت وعاين نزول أمر الله به قال لعظيم ما يعاين مما يقدم عليه من عذاب الله تندما على ما فات وتلهفا على ما فرط فيه قبل ذلك من طاعة الله ومسئلته للا قالة رب ارجعون الى الدنيا فردونى اليها لعلى أعمل صالحا يقول كى أعمل صالحا فيما تركت قبل اليوم من العمل فضيعته وفرطت فيه * وبنحو الذى قلنا فيه قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى معشر قال كان محمد بن كعب القرظى يقرأ علينا حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون قال محمد الى أى شئ يريد الى أى شئ يرغب أجمع المال أو غرس الغراس أو بنى بنيان أو شق أنهار ثم يقول لعلى أعمل صالحا فيما تركت يقول الجبار كلا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله رب ارجعون قال هذه فى الحياة الدنيا ألا تراه يقول حتى اذا جاء أحدهم الموت قال حين تنقطع الدنيا ويعاين الآخرة قبل أن يذوق الموت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان فيقول بل قدمانى الى الله وأما الكافر فيقال نرجعك فيقول ارجعونى لعلى أعمل صالحا فيما تركت الآية حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون يعنى أهل الشرك وقيل رب ارجعون فابتدأ الكلام بخطاب الله تعالى ثم قيل ارجعون فصار الى خطاب الجماعة والله تعالى ذكره واحد وانما فعل ذلك كذلك لان مسألة القوم الرد الى الدنيا انما كانت منهم للملائكة الذين يقبضون روحهم كما ذكر ابن جريج أن النبى صلى الله عليه وسلم قاله وانما ابتدئ الكلام بخطاب الله جل ثناؤه لانهم استغاثوا به ثم رجعوا الى مسألة الملائكة الرجوع والرد الى الدنيا وكان

عليه عند تلاوة هذه الآية ولو فعل لاشتهر وقد روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الأمة اذا زنت فاجلدها فان زنت فاجلدها فان زنت فبعها والاستدلال به أنه لم يذكر النفي مع الجلد ونظيره ما روى أن شيخا وجد على بطن جارية فأتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اجلدوه مائة فقالوا انه أضعف من ذلك فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها وخلوا سبيله لا يقال انه انما لم ينفه لانه كان عاجزا عن الحركة لانا نقول كان ينبغي أن يأمر له بدابة يركبها ولا يقال لعله كان ضعيفا عن الركوب أيضا لانا نقول القادر على الجماع كيف لا يقدر على الاستمالة وأيضا الامر بالنفي لو كان مشروعا لزم في حق (٤١) العبد الاضرار بسيده في مدة غيبته وفي حق المرأة الاضرار بزوجها وكذا من يؤمر أن يكون معها من محارمها أو من النسوة الثقاة مع انفتاح باب الزنا عليها في الغربة لهذا روى عن علي رضي الله عنه أنه قال في البكر بن اذا زنيا يجلدان ولا ينفيان فان نفيهما من الفتنة وعن ابن عمر أن امرأة زنت فجلدها ولم ينفها وأيضا النفي نظير القتل لقوله تعالى اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم فاذا لم يشرع القتل في حد البكر وجب أن لا يشرع نظيره وهو التغريب وأجيب بأن ايجاب الجلد مفهوم مشترك بين ايجاب الجلد مع ايجاب التغريب وبين ايجابه مع نفي التغريب فلا اشعار في الآية باحد القسمين الا أن عدم التغريب موافق للبراءة الاصلية فايجابه يخبر الواحد لا يزيل الا بمحض البراءة فلا يلزم نسخ القرآن به وهو قول الادباء ان الجزاء سمي جزاء لانه كاف في الشرط لا يصلح حجة في الأحكام ولا استبعاد في عدم استمرار بعض الأحكام كما كثر المخصصات والأخبار الواردة في نفي التغريب معارضة بما روى أبو علي في جامعه أنه صلى الله عليه وسلم جلد وغرب ولا بعد في أن يكون القادر على الزنا عاجزا عن الاستمالة على الدابة والاضرار بالسيد قد يجوز للضرورة كالعبد المرتد يقتل

بعض نحويي الكوفة يقول قيل ذلك كذلك لانه مما جرى على وصف الله نفسه من قوله وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ في غير مكان من القرآن فجرى هذا على ذلك وقوله كلا يقول تعالى ذكره ليس الامر على ما قال هذا المشرك لن يرجع الى الدنيا ولن يعاد اليها انها كلمة هو قائلها يقول هذه الكلمة وهو قوله رب ارجعون كلمة هو قائلها يقول هذا المشرك هو قائلها كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله كلا انها كلمة هو قائلها لا بد له أن يقولها ومن ورائهم برزخ يقول ومن أمامهم حاجز يحجز بينهم وبين الرجوع يعني الى يوم يبعثون من قبورهم وذلك يوم القيامة والبرزخ والحاجز والمهلة متقاربات في المعنى وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون يقول أجل الى حين حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد في قوله ومن ورائهم برزخ قال ما بعد الموت حدثني أبو حميد الحمصي أحمد بن المغيرة قال ثنا أبو حيوة شريح بن يزيد قال ثنا أرطاة عن أبي يوسف قال خرجت مع أبي أمامة في جنازة فلما وضعت في لحدها قال أو أمامة هذا برزخ الى يوم يبعثون حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا مطر عن مجاهد قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون قال ما بين الموت الى البعث حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون قال حجاب بين الميت والرجوع الى الدنيا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون قال برزخ بقية الدنيا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون قال البرزخ ما بين الموت الى البعث حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول البرزخ ما بين الدنيا والآخرة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله فاذا نفخ في الصور من النفختين أيتهما عنى بها فقال بعضهم عنى بها النفخة الأولى ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام بن سلم قال ثنا عمرو بن مطرف عن المنهال ابن عمرو عن سعيد بن جبير أن رجلا أتى ابن عباس فقال سمعت الله يقول فلا أنساب بينهم يومئذ الآية وقال في آية أخرى وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فقال أما قوله فلا أنساب بينهم يومئذ

(٦ - (ابن جرير) - ثامن عشر) وعلى هذا يغرب نصف سنة على الأصح لأنه يقبل التنصيف وقيل سنة كاملة لأن التغريب للإيحاش وهذا معنى يرجع الى الطبع فيستوي فيه الحر والعبد كمدة الايلاء والعنة وأما المرأة فلا تغرب وعدها القوله صلى الله عليه وسلم لا يحل لامرأة أن تسافر الا ومعها ذو محرم فان تبرع المحرم أو نسوة ثقاة فذاك والا أعطى أجرتهم من مالها أو من بيت المال فيه قولان وتنفى التهمة حينئذ مع أن أكثر الزنا انما يقع بالالف والمؤانسة وفراغ القلب وفي التغريب الأغلب هو الوحشة والتعب واما أن النفي يشبه القتل فمسلم من بعض الوجوه لا من كلها واعلم أن قولنا الزانية والزاني اما مطلق دال على الجنسين المتنافيين لجنس العفيفة والعفيف أو عام يشمل

كل من اتصف بهذه الفعلة الشنعاء فلابد من تقييد أو تخصيص وهو البحث الثالث فنقول أجمعت الامة على أنه لابد فيه من
والبلوغ فلا حد على مجنون ولا على صبي لأنهما ليسا من أهل التكليف هذا في غير الرجم وأما في الرجم فلابد من شروط أ
الحرية بالاجماع ولا فرق بين القن والمدبر والمكاتب والمستولدة وحر البعض والسبب أن الحرية توسع طريق الحلال لان الرقيق
في النكاح الى اذن السيد ولا يجوز له أن ينكح الا مرأتين وجناية من ارتكب الحرام مع اتساع طريق الحلال أغلظ ومنها الاصابة في
صحيح وقد يعبر عن هذا الشرط بشرطين أحدهما التزويج بنكاح صحيح والآخر الدخول وكيفما كان ف

الاعتبار أنه قضى الشهوة واستوفى اللذة فحقه أن يمتنع من الحرام ويكفي في الاصابة تغييب الحشفة بلا انزال ولا يقدح وقوعها في حالة الحيض والاحرام وعدة الوطء بالشبهة ولا يحصل الاحصان بالاصابة في ملك اليمين كما لا يحصل التحليل وفي الاصابة بالشبهة وفي النكاح الفاسد قولان أحدهما أنه يفيد الاحصان لأن الفاسد كالصحيح في العدة والنسب وأصحهما المنع لأن الفاسد لا أثر له في اكمال طريق الحلال وهل يشترط أن تكون الاصابة في النكاح بعد التكليف والحرية الاصح عند أئمة الحرمين لا فانه وطء يحصل به التحليل فكذا الاحصان والأرجح عند معظم الأصحاب نعم لأن شرط الاصابة أن تحصل بأكمل الجهات وهو النكاح الصحيح فيعتبر حصولها من كامل وعلى هذا فهل يشترط كمال الواطئين جميعا قال أبو حنيفة نعم وهو أحد قولي الشافعي فلو كان أحدهما كاملا دون الآخر لم يصر الكامل محصنا أيضا وقال الشافعي في أصح قوليه لا بل لكل منهما حكم نفسه ومنها الاسلام عند أبي حنيفة لقوله صلى الله عليه وسلم من أشرك بالله فليس بمحصن دون الشافعي لقوله صلى الله عليه وسلم اذا قبلوا الجزية فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ولحديث مالك عن نافع عن
عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا فلو حكم بشرعه فظاهر ولو حكم بشريعة من قبله فقد صار شرعا له ولأن زنا الكافر
مثل زنا المسلم في الحاجة الى الزاجر ولهذا قلنا اذا أقر الذمي بالزنا أقيم عليه الحد بخلاف الشرب فانه لا يعتقد تحريمه ومما احتج به لأبي حنيفة أن النعمة في حق المسلم أعظم فكانت جنايته أغلظ كقوله يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وعلل بأن الاسلام من كسب العبد وزيادة الخدمة ان لم تكن سببا للعذر فلا أقل من أن لا تكون سببا لزيادة العقوبة قالوا الاحصان القذف

ولا يتساءلون فذلك في النفخة الاولى فلا يبقى على الارض شئ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون
وأما قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فانهم لما دخلوا الجنة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون
حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن السدي في قوله فاذا نفخ في الصور
فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون قال في النفخة الاولى حدثنا علي قال ثنا أبو
قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فذلك حين
في الصور فلا حي يبقى الا الله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فذلك اذا بعثوا في النفخة الثا
* قال أبو جعفر فمعنى ذلك على هذا التأويل فاذا نفخ في الصور فصعق من في السموات و
الارض الا من شاء الله فلا أنساب بينهم يومئذ يتواصلون بها ولا يتساءلون بها ولا يتزاورون فيتساء
عن أحوالهم وأنسابهم * وقال آخرون بل عنى بذلك النفخة الثانية ذكر من قال ذلك حد
أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن هرون بن أبي وكيع قال سمعت زاذان يقول أتيت ابن مس
وقد اجتمع الناس اليه في داره فلم أقدر على مجلس فقلت يا أبا عبد الرحمن من أجل أني رجل من ال
تحقرني قال اذن قال فدنوت فلم يكن بيني و بينه مجلس فقال يؤخذ بيد العبد أو الامة يوم القيا
على رؤس الاولين والآخرين قال و ينادي مناد ألا ان هذا فلان بن فلان فمن كان له حق قبله فلي
الى حقه قال فتفرح المرأة يومئذ أن يكون لها حق على ابنها أو على أبيها أو على أخيها أو على زو
فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عبي
يونس عن هرون بن عنترة عن زاذان قال سمعت ابن مسعود يقول يؤخذ العبد أو الامة يوم القيا
فينصب على رؤس الاولين والآخرين ثم ينادي مناد ثم ذكر نحوه وزاد فيه فيقول الرب تبا
وتعالى للعبد أعطوا هؤلاء حقوقهم فيقول أي رب فنيت الدنيا فمن أين أعطيهم فيقول للملائ
خذوا من أعماله الصالحة وأعطوا لكل انسان بقدر طلبته فان كان له فضل مثقال حبة
خردل ضاعفها الله له حتى يدخله بها الجنة ثم تلا ابن مسعود ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان
حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما وان كان عبدا شقيا قالت الملائكة ربنا فنيت حس
و بقي طالبون كثير فيقول خذوا من أعمالهم السيئة فاضيفوها الى سيآته وصكوا له صكا الى النا
* قال ثنا الحسين قال ثني حجاج فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتسا
قال لا يسأل أحد يومئذ بنسب شيأ ولا يتساءلون ولا يعبأ به برحم حدثنا القاسم قال ث
الحسين قال ثني محمد بن كثير عن حفص بن المغيرة عن قتادة قال ليس شئ أبغض الى الانس
يوم القيامة من أن يرى من يعرفه مخافة أن يذوب له عليه شئ ثم فر أيوم يفر المرء من أخيه وأمه و
وصاحبته و بنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه * قال ثنا الحسن قال ثنا الحكم بن

فيه الاسلام بالاجماع فكذا احصان الرجم والجامع كمال النعمة وأجيب بان حد القذف لرفع العار كرامة للمقذوف والكافر لا يكون محلا للكرامة وصيانة للعرض والجواب عن الحديث بانا لا نسلم أن الذمي مشرك سلمنا لكن الاحصان قد يراد به التزويج كقوله فاذا أحصن والذمي الثيب محصن بهذا التفسير فوجب رجمه لقوله صلى الله عليه وسلم وزنا بعد احصان ولقوله عليهم ما على المسلمين قال بعض أهل الظاهر عموم قوله الزانية والزاني يقتضي وجوب المائة على العبد والامة الا أنه ورد النص بالتنصيف في حق الامة فلو قسنا العبد عليها لزم تخصيص عموم الكتاب بالقياس ومنهم من قال الامة اذا تزوجت فعليها خمسون لقوله فاذا أحصن (٤٣) أي تزوجن فان أتين بفاحشة فعليهن نصف

عن سدوس صاحب السابري عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى منادمن أهل العرش يا أهل التظالم تاركوا مظالمكم وادخلوا الجنة ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ﴾ يقول تعالى ذكره فمن ثقلت موازينه موازين حسناته وخفت موازين سيآته فأولئك هم المفلحون يعني الخالدون في جنات النعيم ومن خفت موازينه يقول ومن خفت موازين حسناته فرجحت بها موازين سيآته فأولئك الذين خسروا أنفسهم يقول غبنوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله في جهنم خالدون يقول هم في نار جهنم وقوله تلفح وجوههم النار يقول تسفع وجوههم النار كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس تلفح وجوههم النار قال تنفح وهم فيها كالحون والكلوح أن تتقلص الشفتان عن الاسنان حتى تبدو الاسنان كما قال الاعشى

ولقد المقدم لا مثل له * ساعة الشدق عن الناب كلح

فتأويل الكلام يسفع وجوههم لهب النار فتحرقها وهم فيها متقلصو الشفاه عن الاسنان من احراق النار وجوههم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثني عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله وهم فيها كالحون يقول عابسون حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى وعبد الرحمن قالا ثنا سفيان عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله في قوله وهم فيها كالحون قال ألم تر الى الرأس المشيط قد بدت أسنانه وقلصت شفتاه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله قرأ هذه الآية تلفح وجوههم النار الآية قال ألم تر الى الرأس المشيط بالنار وقد قلصت شفتاه وبدت أسنانه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وهم فيها كالحون قال ألم تر الى الغنم اذا مست النار وجوهها كيف هي ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون ﴾ يقول تعالى ذكره يقال لهم ألم تكن آياتي تتلى عليكم يعني آيات القرآن تتلى عليكم في الدنيا فكنتم بها تكذبون وترك ذكر يقال لدلالة الكلام عليه قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة غلبت علينا شقوتنا بكسر الشين وبغير ألف وقرأته عامة قراء أهل الكوفة شقاوتنا بفتح الشين والالف والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان وقرأ بكل

ما على المحصنات فاذا لم تتزوج فعليها المائة لعموم قوله الزانية واتفاق الجمهور على حذف هذين وقال الشافعي وأبو حنيفة الذمي يجلد للعموم ولأنه صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين فالجلد أولى وقال مالك لا يجلد بناء على أن الكفار ليسوا مخاطبين بالفروع

* البحث الرابع في طريق معرفة الزنا وأنه ثلاثة الاول أن يراه الامام بنفسه فيجيء الخلاف في أن القاضي هل له أن يقضي بعلمه أم لا رجح كلا مرجحون وجه القضاء أنه يقضي بالظن وذلك عند شهادة شاهدين فلأن يقضي بالعلم أولى ووجه عدم القضاء ان فيه تهمة والتهمة تمنع القضاء ولهذا لا يقضي القاضي لولده ووالده وهذا الوجه في حدود الله تعالى أرجح لأن الحاكم فيه مأمور بالستر ولهذا قال النبي في قضية اللعان لو كنت راجما بغير بينة لرجمتها ولا فرق على القولين أن يحصل العلم للقاضي في زمان ولايته ومكانها أو في غيرهما وعن أبي حنيفة أنه ان حصل له العلم فيهما قضى بعلمه والا فلا الطريق الثاني الاقرار ويكفي عند الشافعي مرة واحدة وقال أبو حنيفة لا بد من أربع مرات في أربع مجالس ويجوز أحد أن يكون المجلس واحدا حجة الشافعي قصة العسيف فان اعترفت فارجمها والقياس على الاقرار بالقتل والردة مع أن الصارف عن الاقرار بالزنا قوي وهو العار في الحال والقتل أو الالم الشديد في المآل فالاقدام على الاقرار مع هذا الصارف لا يكون الا عن صدق ويقين حجة أبي حنيفة قصة ماعز واعراضه صلى الله عليه وسلم عنه مرات حتى قال أبو بكر له بعدما أقر ثلاث مرات لو أقررت الرابعة لرجمك رسول الله صلى الله عليه وسلم والقياس على الشهادة وأجيب بأنه لا منافاة بين القضيتين فان الاولى محمولة على أقل المراتب والثانية على كمالها والفرق أن المقذوف لو أقر بالزنا سقط الحد عن القاذف ولو شهد اثنان بزنا لم يسقط الطريق الثالث الشهادة وأجمعوا على أنه لا بد من شهود أربعة من الرجال لقوله

تعالى فاستشهدوا عليهن أربعة منكم وقوله ثم لم يأتوا بأربعة شهداء والشهادة على الاقرار بالزنا كالشهادة على الزنا فى أنه لابد من شهود أربعة وفى قول يكفى فيه اثنان لان الفعل مما يعسر الاطلاع عليه فلزم الاحتياط فيه باشتراط الاربعة والاقرار أمر ظاهر فيكفى فيه رجلان * البحث الخامس أجمعت الامة على أن المخاطب بقوله فاجلدوا هو الامام حتى احتجوا به على وجوب نصب الامام فان ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وقال الشافعى السيد يملك اقامة الحد على مملوكه وهو قول ابن مسعود وابن عمر وفاطمة وعائشة وقال أبو حنيفة وأصحابه لا يملك حجة الشافعى أنه صلى الله عليه وسلم قال أقيموا الحدود (٤٤) على ما ملكت أيمانكم وعن أبى هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا زنت أمة أحدكم فليجلدها وحمل الاول على رفع القضية الى الامام حتى يقيموا عليهم الحدود وحمل الثانى على التعزير خلاف الظاهر وأيضا ان ولاية السيد على العبد فوق الولاية بالبيعة فكان أولى وأيضا الاجماع على أن السيد يملك التعزير مع أنه فى محل الاجتهاد فلان يملك الحد مع التنصيص عليه أولى حجة أبى حنيفة فى قوله فاجلدوا الخطاب للائمة بالاتفاق ولم يذكر فرق بين الاحرار المحدودين وبين العبيد وأيضا لو جاز للمولى أن يسمع شهادة الشهود على عبده بالسرقة فيقطعه فلو رجعوا عن شهادتهم لوجب أن يتمكن من تضمين الشهود وليس لذلك بالاتفاق لانه ليس لأحد أن يحكم لنفسه وأيضا المالك فى محل التهمة لانه قد يشفق على ملكه فلا يستوفى الحد أجابت الشافعية بأن عدم ذكر الفرق لا يدل على عدم الفرق مع أن الكلام فى جواز اقامة السيد الحد لا فى وجوبه فالامام يملك حد العبد فى الجملة وذلك كاف فى بقاء الآية على عمومها وعن الثانى بأن للشافعى فى القطع والقتل قولين أحدهما يجوز لما روى أن ابن عمر قطع عبدا سرق وثانيهما لا وهو قول مالك ان القطع للامام بخلاف الجلد لان المولى يملك جنس الجلد وهو التعزير وفى سماع المولى الشهادة أيضا وجهان فاذا فقد الامام فليس لآحاد الناس اقامة فيها هذه الحدود بل ينبغى أن يعينوا واحدا من الصلحاء ليقوم بها وفى الخارجى المتغلب خلاف * البحث السادس فى كيفية اقامة الحد انه سبحانه قد أشار الى أن هذا الحد يجب أن لا يكون فى غاية العنف بلفظ الجلد كما مر والى أنه يجب أن لا يكون فى غاية الرفق بقوله (ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله) وذلك اما بأن يترك الحد رأسا أو ينقص شيء منه أو يخفف بحيث لا يحس الزانى بالالم وفى معناه أن يفرق على الايام كأن يضرب كل يوم سوطا أو سوطين وان ضرب كل يوم عشرين مثلا كان محسوبا بالحصول التكليف والاولى أن لا يفرق وأكد هذا المعنى بقوله (ان كنتم

واحدة منها علما من القراء بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فصيب وتأويل الكلام قالوا ربنا غلبت علينا ماسبق لنا فى سابق علمك وخط لنا فى أم الكتاب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد قوله غلبت علينا شقوتنا قال التى كتبت علينا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله غلبت علينا شقوتنا التى كتبت علينا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقال قال ابن جريج بلغنا أن أهل النار نادوا خزنة جهنم أن ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فلم يجيبوهم ما شاء الله فلما أجابوهم بعد حين قالوا ادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال قال ثم نادوا مالكا يا مالك ليقض علينا ربك فسكت عنهم مالك خازن جهنم أربعين سنة ثم أجابهم فقال انكم ماكثون ثم نادى الاشقياء ربهم فقالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فسكت عنهم مثل مقدار الدنيا ثم أجابهم بعد ذلك تبارك وتعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون * قال ثنى حجاج عن أبى بكر بن عبد الله قال ينادى أهل النار أهل الجنة فلا يجيبونهم ما شاء الله ثم يقال أجيبوهم وقد قطع الرحم والرحمة فيقول أهل الجنة يا أهل النار عليكم غضب الله يا أهل النار عليكم لعنة الله يا أهل النار لا لبيكم ولا سعديكم ماذا تقولون فيقولون ألم نكن فى الدنيا آباءكم وأبناءكم وإخوانكم وعشيرتكم فيقولون بلى فيقولون أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين * قال ثنى حجاج عن أبى معشر عن محمد بن كعب القرظى * قال وثنى عبد الله المروزى عن عبد الله بن المبارك عن عمرو بن أبى ليلى قال سمعت محمد بن كعب زاد أحدهما على صاحبه قال محمد بن كعب بلغنى أو ذكر لى أن أهل النار استغاثوا بالخزنة ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فردوا عليهم ما قال الله فلما أيسوا نادوا يا مالك وهو عليهم وله مجلس فى وسطها وجسور تمر عليها ملائكة العذاب فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها فقالوا يا مالك ليقض علينا ربك سألوا الموت فمكث لا يجيبهم ثمانين ألف سنة من سنى الآخرة أو كما قال ثم انحط اليهم فقال انكم ماكثون فلما سمعوا ذلك قالوا فاصبروا فلعل الصبر ينفعنا كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله قال فصبروا فطال صبرهم فنادوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص أى منجى فقام ابليس عند ذلك فخطبهم فقال ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم قال فنودوا لمقت الله اكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون قالوا ربنا أمتنا الاية قال فيجيبهم الله

تؤمنون بالله واليوم الآخر) قال الجبائي فيه دلالة على أن الاشتغال بأداء الواجبات من الايمان لان التقدير ان كنتم مؤمنين فلا تتركوا اقامة الحدود وأجيب بأن الرأفة لا تحصل الا اذا حكم الانسان بطبعه وأن ذلك يوجب تركه اقامة الحد وحينئذ يكون منكرا للدين فلهذا يخرج من الايمان وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقال له لم فعلت ذلك فيقول رحمة لعبادك فيقول له أنت أرحم بهم مني فيؤمر به الى النار وروى أبو عثمان النهدي قال أتى عمر برجل في حد فتم جلد بسوط فيه شدة فقال أريد ألين من هذا فأتي بسوط بين السوطين وروى أن أبا عبيدة بن الجراح أتي برجل في حد فذهب (٤٥) الرجل ينزع قميصه وقال ما ينبغي لجلد هذا

فهاذا لكم بأنه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير قال فيقولون ما أيسنا بعد قال ثم دعوا مرة أخرى فيقولون ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون قال فيقول الرب تبارك وتعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها يقول الرب لو شئت لهديت الناس جميعا فلم يختلف منهم أحد ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا يقول بما تركتم أن تعملوا ليومكم هذا انا نسيناكم أي تركناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون قال فيقولون ما أيسنا بعد قال فيدعون مرة أخرى ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل قال فيقال لهم أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم الآية قال فيقولون ما أيسنا بعد ثم قالوا مرة أخرى ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل قال فيقول أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير الى قصير ثم مكث عنهم ما شاء الله ثم ناداهم ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون فلما سمعوا ذلك قالوا الآن ربنا فقالوا عند ذلك ربنا غلبت علينا شقوتنا أي الكتاب الذي كتب علينا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها الآية فقال عند ذلك اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فلا يتكلمون فيها أبدا فانقطع عند ذلك الدعاء والرجاء منهم وأقبل بعضهم ينبح في وجه بعض فأطبقت عليهم قال عبد الله بن المبارك في حديثه فحدثني الأزهر ابن أبي الأزهر أنه قال فذلك قوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر بن عبد الله أنه قال فوالذي أنزل القرآن على محمد والتوراة على موسى والانجيل على عيسى ما تكلم أهل النار كلمة بعدها الا الشهيق والزعيق في الخلد أبد ليس له نفاد ۞ قال ثني حجاج عن أبي معشر قال كنا في جنازة ومعنا أبو جعفر القارئ فجلسنا فتنحى أبو جعفر فبكى فقيل له ما يبكيك يا أبا جعفر قال أخبرني زيد بن أسلم أن أهل النار لا يتنفسون وقوله وكنا قوما ضالين يقول كنا قوما ضللنا عن سبيل الرشاد وقصدا لحق ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسؤا فيها ولا تكلمون﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الذين خفت موازين صالح أعمالهم يوم القيامة في جهنم ربنا أخرجنا من النار فان عدنا لما تكره منا من عمل فانا ظالمون وقوله قال اخسؤا فيها يقول تعالى ذكره قال الرب لهم جل ثناؤه مجيبا اخسؤا فيها أي اقعدوا في النار يقال منه خسأت فلانا أخسؤه خسأ وخسوا وخسأ هو يخسأ وما كان خاسئا ولقد خسأ ولا تكلمون فعند ذلك أيس المساكين من الفرج ولقد كانوا طامعين فيه كما حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل قال ثني أبو الزعراء عن عبد الله في قصة ذكرها في الشفاعة قال فاذا أراد الله أن لا يخرج منها يعني من

أهلا له وهذا بخلاف ما ثبت بالبينة فانه لا يسقط وفي الجلد ان كان المرض مما لا يرجى زواله كالسل والزمانة فلا يؤخر سواء زنى في حال الصحة أو في حال المرض ولكن لا يضرب بالسياط عند الشافعي لأن المقصود ليس موته بل يضرب بعثكال عليه مائة شمراخ كما روي أن مقعدا أصاب امرأة فأمر النبي صلى الله عليه وسلم فأخذوا مائة شمراخ فضربوه بها ضربة واحدة والاثكال والعثكال الغصن الذي عليه فروع خفيفة من النخل أو من غيره وعند أبي حنيفة يضرب بالسياط ثم ان ثبت الزنا باقراره فمتى رجع ترك ووقع به بعض الحد أو لم يقع وبه قال أبو حنيفة والشافعي والثوري وأحمد واسحق لان ماعزا لما مسته الحجارة هرب فقال صلى الله عليه وسلم هلا تركتموه وعن الحسن وابن أبي ليلى وداود

المذنب أن يضرب وعليه قميص فقال أبو عبيدة لا تدعوه ينزع قميصه وضربه عليه ولا خلاف في أن المرأة لا يجوز تجريدها بل يربط عليها ثيابها حتى لا تنكشف وعلى ذلك منها امرأة وجوز الشافعي الضرب على الرأس لما روي أن أبا بكر قال اضرب على الرأس فان الشيطان فيه وقال أبو حنيفة حكم الرأس حكم الوجه لان الموضحة وسائر الشجاج حكمها في الرأس وفي الوجه واحد وأما في سائر البدن فلا يجب الا الحكومة وأيضا ان ضرب الرأس يوجب في الاغلب ظلمة البصر ونزول الماء واختلاط العقل كالوجه فانه أيضا عرضة للآفات وفيه الاعضاء الشريفة اللطيفة والشافعي أن يقول انما يحترم الوجه لما جاء في الحديث ان الله تعالى خلق آدم على صورته وهذا المعنى مفقود في الرأس ولكن اقامة الحد في وقت اعتدال الهواء الا اذا كان رجما فان المقصود وهو قتله لا يتفاوت بذلك ولهذا يرجم المريض أيضا في مرضه وقيل ان كان مرضا يرجى برؤه يؤخر كما في الجلد لأنه ربما يرجع عن اقراره في حال الرجم وقد أثر الرجم في بدنه فتعين شدة الحر والبرد مع المرض على

أنه لا يقبل رجوعه ويحفر للمرأة الى صدرها حتى لا تنكشف ويرمى اليها ولا يحفر للرجل كافى حتى ما عز اذ لو كان فى الحفرة لم يمكنه الهرب ولما روى أبو سعيد الخدرى فى قصته فما أوثقناه ولا حفرنا له واذا مات الزانى فى الحد يغسل ويكفن ويصلى عليه ويدفن فى مقابر المسلمين ومن تغليظات حد الزنا قوله سبحانه (وليشهد) ظاهره أمر الوجوب الا أن الفقهاء أجمعوا على أن حضور الجمع مستحب والمقصود اعلان اقامة الحد لما فيه من مزيد الردع ولما فيه من دفع التهمة عن يجلد وفى لفظ العذاب دليل على انه عقوبة لا استصلاح الا أن يراد بالعذاب ما يمنع من المعاودة كالنكال وقدمر فى أول البقرة فى قوله ولهم عذاب عظيم ومعنى الطائفة قدمر فى التوبة فقال النخعى ومجاهد هى فى الآية واحد وعن عطاء وعكرمة اثنان وعن الزهرى وقتادة ثلاثة وقال ابن عباس والشافعى أربعة بعدد شهود الزنا وعن الحسن عشرة لأنها أول عقد وجوز ابن عباس الى أربعين رجلا من المصدقين بالله وحضور الامام والشهود ليس بلازم عند الشافعى ومالك لأنه صلى الله عليه وسلم لم يحضر رجم ماعز والغامدية وقال أبو حنيفة ان ثبت بالبينة وجب على الشهود أن يبدؤا بالرجم ثم الامام ثم الناس وان ثبت باقراره بدأ الامام ثم الناس ثم ذكر شيأ من خواص الزناء فقال (الزانى لا ينكح) وهو خبر فى معنى النهى كقراءة عمرو بن عبد لا ينكح بالجزم ويجوز أن يكون خبرا محضا على معنى أن عادتهم جارية بذلك وفى الآية أسئلة الاول كيف قدمت الزانية على الزانى فى الآية المتقدمة وعكس الترتيب فى هذه والجواب أن تلك الآية مسوقة لبيان عقوبتهما على جنايتهما وكانت المرأة أصلا فيها لأنها هى التى أطمعت الرجل فى ذلك وأما الثانية فسوقة لذكر النكاح والرجل هو الاصل فى الرغبة والخطبة والثانى ما الفرق بين الجملتين فى الآية والجواب معنى الاولى صفة الزانى بكونه غير راغب فى العفائف ولكن فى الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير الحسن مرغوب فيها للأعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان لانه لا يلزم عقلا من كون الزانى كذلك أن يكون حال الزانية منحصرة فى ذلك فأخبر الله تعالى بالجملة الثانية عن هذا الانحصار الثالث أتى بالزانى قد ينكح المؤمنة العفيفة والزانية قد ينكحها المؤمن العفيف وأيضا المؤمن قد يحل له التزوج بالمرأة الزانية الجواب للمفسرين فيه وجوه أحدها وهو الأحسن قول القفال ان اللفظ وان كان عاما الا أن المراد منه الاعم الاغلب وذلك أن الفاسق الخبيث الذى من شأنه الزنا والتقحب لا يرغب غالبا فى نكاح الصوالح من النساء وانما يرغب فى فاسقة خبيثة مثله

النار أحدا غير وجوههم وألوانهم فيجىء الرجل من المؤمنين فيشفع فيهم فيقول يارب فيقول من عرف أحدا فليضرجه قال فيجىء الرجل فينظر فلا يعرف أحدا فيقول يا بلال يا فلان فيقول ما أعرفك فعند ذلك يقولون ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيقول اخسؤا فيها ولا تكلمون فاذا قالوا ذلك انطبقت عليهم جهنم فلا يخرج منها بشر حدثنا تميم بن المنتصر قال أخبرنا اسحق عن شريك عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن شهر بن حوشب عن معدى كرب عن أبى الدرداء قال يرسل أو يصب على أهل النار الجوع فيعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضريع الذى لا يسمن ولا يغنى من جوع فلا يغنى ذلك عنهم شيأ فيستغيثون فيغاثون بطعام ذى غصة فاذا أكلوه نشب فى حلوقهم فيذكرون أنهم كانوا فى الدنيا يحدرون الغصة بالماء فيستغيثون فيرفع اليهم الحميم فى كلاليب الحديد فاذا انتهى الى وجوههم شوى وجوههم فاذا شربوه قطع أمعاءهم قال فينادون مالكا ليقض علينا ربك قال فيتركهم ألف سنة ثم يجيبهم انكم ماكثون قال فينادون خزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال قال فيقولون ما نجد أحدا خيرا لنا من ربنا فينادون ربهم ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيقول الله اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فعند ذلك يئسوا من كل خير فيدعون بالويل والشهيق والثبور حدثنى محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا عاصم بن يوسف اليربوعى قال ثنا قطبة بن عبد العزيز الأسدى عن الاعمش عن شمر بن عطية عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى على أهل النار الجوع ثم ذكر نحوا منه حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن هرون بن عنترة عن عمرو بن مرة قال يرى أهل النار فى كل سبعين عاما ساق مالك خازن النار فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك فيجيبهم بكلمة ثم لا يرونه سبعين عاما فيستغيثون بالخزنة فيقولون لهم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيجيبونهم أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات الآية فيقولون ادعوا ربكم فليس أحد أرحم من ربكم فيقولون ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيجيبهم اخسؤا فيها ولا تكلمون فعند ذلك يأسون من كل خير ويأخذون فى الشهيق والويل والثبور حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة اخسؤا فيها ولا تكلمون قال بلغنى أنهم ينادون مالكا فيقولون ليقض علينا ربك فيسكت عنهم قدر أربعين سنة ثم يقول انكم ماكثون قال ثم ينادون ربهم فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين ثم يقول اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فيأس القوم فلا يتكلمون بعدها كلمة وكان انما هو الزفير والشهيق قال قتادة صوت الكافر فى النار مثل صوت الحمار أوله زفير وآخره شهيق حدثنا

نكاحه أو في مشركة والفاسقة الخبيثة الماجنة لا يرغب في نكاحها الصلحاء في الأغلب وانما يرغب فيها أشكالها من الفسقة أو المشركين
تطويح هذا الكلام قول القائل لا يفعل الخير الا الرجل التقي وقد يفعل بعض الخير من ليس بتقي وأما الحرم على المؤمنين فصرف الرغبة
بالكلية الى الزواني وترك الرغبة في الصالحات لا نحرامهم بسبب هذا الحصر في سلك الفسقة المتسمين بالزنا الوجه الثاني أن الالف واللام
في قوله الزاني وفي قوله المؤمنين للعهد روى مجاهد وعطاء بن أبي رباح وقتادة أنه قدم المهاجرون المدينة وليست لهم أموال ولا عشائر
وبها نساء يكرين أنفسهن وهن يومئذ أخصب أهل المدينة ولكل واحدة منهن علامة (٤٧) على بابها التعرف بها وكان لا يدخل عليها
الا زان أو مشرك فرغب فيهن ناس
من فقراء المسلمين وقالوا نتزوج
بهن الى أن يغنينا الله عنهن فاستأذنوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت الآية والتقدير أولئك الزواني
لا ينكحون الا تلك الزانيات وتلك
الزانيات لا ينكحها الا أولئك
الزواني وحرم نكاحهن باعيانهن
على المؤمنين الوجه الثالث أن هذا
خبر في معنى النهي كما مر وهكذا
كان الحكم في ابتداء الاسلام ثم
قيل ان ذلك الحكم باق الى الآن
حتى يحرم على الزاني والزانية
التزوج بالعفيفة والعفيف وبالعكس
ويقال هذا مذهب أبي بكر وعمر
وعلي وابن مسعود وعائشة ثم في
هؤلاء من يسوي بين الابتداء
والدوام فيقول كما لا يحل للمؤمن أن
يتزوج بالزانية فكذلك اذا زنت
تحته لا يحل له أن يقيم عليها ومنهم
من يفصل لان في جملة ما منع من
التزوج ما لا يمنع من دوام النكاح
كالاحرام والعدة وقيل انه صار
منسوخا اما بالاجماع وهو قول
سعيد بن المسيب وزيف بأن
الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ به واما
بعموم قوله وأنكحوا الايامى
فانكحوا ما طاب لكم وهو قول
الجبائي وضعف بأن ذلك العام
مشروط بعدم الموانع السببية

الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله **حدثني** الحسن قال ثنا عبد الله
ابن عيسى قال أخبرني زياد الخراساني قال أسنده الى بعض أهل العلم فنسيته في قوله اخسؤا فيها
ولا تكلمون قال فيكتون قال فلا يسمع فيها حس الا كطنين الطست **حدثني** محمد بن سعد
قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله اخسؤا فيها ولا تكلمون
هذا قول الرحمن عز وجل حين انقطع كلامهم منه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ انه كان
فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين ﴾ يقول تعالى ذكره
انه وهذه الهاء في قوله انه هي الهاء التي يسميها أهل العربية المجهولة وقد بينت معناها فيما مضى
قبل ومعنى دخولها في الكلام مما أغنى عن اعادته في هذا الموضع كان فريق من عبادي يقول
كانت جماعة من عبادي وهم أهل الايمان بالله يقولون في الدنيا ربنا آمنا بك ورسلك وما جاؤا
به من عندك فاغفر لنا ذنوبنا وارحمنا وأنت خير من رحم أهل البلاء فلا تعذبنا بعذابك
﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون
اني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون ﴾ يقول تعالى ذكره فاتخذتم أيها القائلون ربنا
ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين في الدنيا القائلين فيها ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت
خير الراحمين سخريا والهاء والميم في قوله فاتخذتموهم من ذكر الفريق واختلفت القراء في قراءة
قوله سخريا فقرأه بعض قراء الحجاز وبعض أهل البصرة والكوفة فاتخذتموهم سخريا بكسر السين
ويتأولون في كسرها أن معنى ذلك الهزء ويقولون انها اذا ضمت فمعنى الكلمة السخرة والاستعباد
فمعنى الكلام على مذهب هؤلاء فاتخذتم أهل الايمان بي في الدنيا هزوا ولعبا تهزؤن بهم حتى
أنسوكم ذكري وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة فاتخذتموهم سخريا بضم السين وقالوا معنى
الكلمة في الضم والكسر واحد وحكي بعضهم عن العرب سماعا لجي ولجي ودري ودري
منسوب الى الدر وكذلك كرسي وكرسي وقالوا ذلك من قيلهم كذلك نظيره قولهم في جمع العصا
عصي بكسر العين والعصي بضمها قالوا وانما اخترنا الضم في السخري لانه أفصح اللغتين
والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان بمعنى واحد قد قرأ بكل
واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ ذلك فمصيب وليس يعرف من فرق بين معنى ذلك
اذا كسرت السين واذا ضمت لما ذكرت من الرواية عمن سمع من العرب ما حكيت عنه ذكر الرواية
به عن بعض من فرق في ذلك بين معناه مكسورة سينه ومضمومة **حدثني** يونس قال أخبرنا
ابن وهب قال قال ابن زيد فاتخذتموهم سخريا قال هما مختلفتان سخريا وسخريا يقول الله ورفعنا
بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا قال هذا سخريا يسخرونهم والآخرون

وسئل ابن عباس عن ذلك فأجازه وشبه عن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
سئل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال الوجه الرابع قول أبي مسلم ان النكاح محمول على الوطء وذلك
مشترك الزنا أي وحرم الزنا على المؤمنين قال الزجاج هذا التأويل فاسد من جهة أن الله لم يرد الا معنى التزويج ومن
جهة يخرج الكلام عن الفائدة اذ لا معنى لقول القائل الزاني لا يطأ الا الزانية حتى يكون وطؤه زنا ولو أريد حين التزوج فالاشكال عائد
لان الزاني قد يطأ العفيفة حين يتزوج بها الحكم الثاني من أحكام السورة حد القذف والرمي قد يكون بالزنا وبغيره كالكفر والسرقة

وشرب الخمر الا أن العلماء أجمعوا على أن المراد به فى الآية هو الرمى بالزنا بالقرائن منها تقدم ذكر الزنا ومنها ذكر المحصنات وهن العفائف ومنها قوله لم يأتوا بأربعة شهداء أى على صحة ما رموها به ومعلوم أن هذا العدد من الشهود غير مشروط الا فى الزنا والقذف بغير الزنا يكفى شاهدان وألفاظ القذف تنقسم الى صريح وكناية وتعريض فالصريح أن يقول يا زانية أو زنيت أو زنى فلان أو دبر له والأصح أن قوله دبر له ليس بقذف صريح لأن الفعل لكل البدن والفرج آلة والكناية أن يقول يا فاسقة يا فاجرة يا خبيثة يا بنت الحرام أو ما أشبه أنه لا تزنى ولا أمن فيها لا يكون قذفا الا أن يريده وكذا لو قال لعربى (٤٨) يا نبطى الدار واللسان وادعت أم المقول له أنه أراد القذف فالقول قوله

عينه والتعريض ليس بقذف كقوله يا ابن الحلال وأما أنا فليست أمى بزانية وهذا قول الشافعى وأبى حنيفة وأصحابه وقال مالك يجب الحد فيه وقال أحمد واسحق هو قذف فى حال الغضب دون حال الرضا لنا أن الاصل براءة الذمة فلا يرجع عنه بالشك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ادرؤا الحدود بالشبهات والايماء الحاصل بالتصريح فوق الايماء الحاصل بالتعريض لحجة المخالف ما روى أن رجلين استبا فى زمن عمر بن الخطاب فقال أحدهما للآخر والله ما أبى بزان ولا أمى بزانية فاستشار عمر الناس فى ذلك فقال قائل مدح أباه وأمه وقال آخرون قد كان لأبيه وأمه مدح غير هذا فجلده عمر ثمانين واذا قذف شخصا واحدا مرارا فان أراد بالكل زنية واحدة كما لو قال مرارا زنيت بعمرو لم يجب الا حد واحد ولو أنشأ الثانى بعد ما حد للاول عزر للثانى وان أراد زنيات مختلفة كأن قال زنيت بزيد وزنيت بعمرو فالاصح تداخل الحدود لأنهما حدان من جنس واحد فصار كما لو قذف زوجته مرارا يكتفى بلعان واحد واذا قذف جماعة بكلمات أو بكلمة واحدة كأن قال يا ابن الزانيين فعليه حدان لأنه قذف لكل واحد من أبويه هذا هو الجديد من قولى الشافعى وعند أبى حنيفة لا يجب الا حد

الذين يستهزؤن بهم هم سخريا فتلك سخريا يسخرونهم عندك فسخريا رفعل فوقه والآخر استهزؤا بأهل الاسلام هى سخريا يسخرون منهم فهما مختلفان وقرأ قول الله كلما مر عليه من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون وقال يسخرون منهم كما قوم نوح بنوح اتخذوهم سخريا اتخذوهم هزؤا لم يزالوا يستهزؤن بهم وقوله حتى أنسوكم ذكرى يقول لم يزل استهزاؤكم بهم أنساكم ذلك من فعلكم بهم ذكرى فأضحكم عنه وكنتم منهم تضحكون

كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله حتى أنسوكم ذكرى قال أن هؤلاء الله استهزأوهم بهم وضحكهم بهم وقرأ ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون منهم بلغ ان هؤلاء لضالون وقوله انى جزيتهم اليوم بما صبروا يقول تعالى ذكره انى أيها المشركون الخالدون فى النار جزيت الذين اتخذتموهم فى الدنيا سخريا من أهل الايمان بى وكنتم منهم تضحكون اليوم بما صبروا على ما كانوا يلقون بينكم من أذى سخريتكم وضحككم منهم فى الدنيا انهم هم الفائزون اختلفت القراء فى قراءة انهم فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفة أنهم بفتح الالف من انهم بمعنى جزيتهم هذا فان فى قراءة هؤلاء فى موضع نصب بوقوع جزيتهم عليها لان معنى الكلام عندهم انى جزيتهم اليوم الفوز بالجنة وقد يحتمل النصب من وجه آخر وهو أن يكون موجها معناه الى انى جزيتهم اليوم بما صبروا لأنهم هم الفائزون صبروا فى الدنيا على ما لقوا فى ذات الله وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة انى بكسر الالف منها على الابتداء وقالوا ذلك ابتداء من الله مدحهم وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب قراءة من قرأ بكسر الالف لأن قوله جزيتهم قد عمل فى الهاء والميم والجزاء انما يعمل فى منصوبين واذا عمل فى الهاء والميم لم يكن له العمل فى أن فيصير عاملا فى ثلاثة الا أن ينوى به التكرير فيكون نصب حينئذ بفعل مضمر لا بقوله جزيتهم وان هى نصبت باضمار لام لم يكن له أيضا كبير معنى لان الله عباده المؤمنين بالجنة انما هو على ما سلف من صالح أعمالهم فى الدنيا وجزاؤهم اياهم فى الآخرة هو الفوز فلا معنى لأن يشترط لهم الفوز بالاعمال ثم يخبر أنهم انما فازوا وأدركوا الفائزون فتأويل الكلام اذ كان الصواب من القراءة ما ذكرنا انى جزيتهم اليوم الجنة بما صبروا فى الدنيا على أذاكم بها فى أنهم اليوم هم الفائزون بالنعيم الدائم والكرامة الباقية أبدا بما عملوا من صالحات الاعمال فى الدنيا ولقوا فى طلب رضاى من المكاره فيها ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿قال كم لبثتم فى الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله كم لبثتم فى الارض عدد سنين وفى قوله لبثنا يوما أو بعض يوم فقرأ ذلك عامة

المدينة

واحد لان قوله والذين يرمون المحصنات معناه كل من رمى جماعة من المحصنات فاجلدوه ثمانين ولأنه صلى الله عليه وسلم قال لهلال بن أمية أو حد فى ظهرك فلم يوجب عليه الا حدا واحدا مع قذفه لامرأته ولشريك بن سحماء القياس على من زنى مرارا أو شرب أو سرق مرارا والجامع رفع مزيد الضرر وأجيب بأن قوله والذين صيغة جمع وقوله المحصنات كذلك واذا قوبل الجمع بالجمع يقابل الفرد بالفرد فيبقى المعنى كل من رمى محصنة فاجلدوه وفيه أن رمى المحصنة علة الجلد حيث وجدت وجد ولا شك أن هذه العلة موجودة عند رمى كل

من المحصنات فيترتب عليها الجلد لا محالة وأما السنة فالانصاف أن دلالتها على المطلوب قوية وأما القياس فالفرق أن هذا حق الآدمي وتلك حدود الله تعالى هذا كله هو البحث عن الرمي وأما البحث عن الرامي فنقول لا عبرة بقذف الصبي والمجنون الا في باب التعزير للتأديب ان كان لهما تمييز ولو لم يتفق اقامة التعزير على الصبي حتى بلغ قال القفال يسقط التعزير لأنه كان للزجر والعقل زاجر قوي واشارة الاخرس وكتابته قذف ولعان عند الشافعي قياسا على سائر الأحكام ولأنه كاف في لحوق العار وعند أبي حنيفة لا يصح قذفه ولعانه لضعف تأثيرهما واذا قذف العبد حرا فعليه أربعون جلدة قاله مالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابه على قانون قوله فعليهن نصف ما على المحصنات

المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة على وجه الخبر قال كم لبثتم وكذلك قوله قال ان لبثتم ووجه هؤلاء تأويل الكلام الى أن الله قال لهؤلاء الاشقياء من أهل النار وهم في النار كم لبثتم في الارض عدد سنين وأنهم أجابوا الله فقالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فنسي الاشقياء لعظيم ما هم فيه من البلاء والعذاب مدة مكثهم التي كانت في الدنيا وقصر عندهم أمد مكثهم الذي كان فيها لما حل بهم من نقمة الله حتى حسبوا أنهم لم يكونوا مكثوا فيها الا يوما أو بعض يوم ولعل بعضهم كان قد مكث فيها الزمان الطويل والسنين الكثيرة وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة على وجه الامر لهم بالقول كأنه قال لهم قولوا كم لبثتم في الارض وأخرج الكلام مخرج الامر للواحد والمعنى به الجماعة اذ كان مفهوما معناه وانما اختار هذه القراءة من اختارها من أهل الكوفة لان ذلك في مصاحفهم قل بغير ألف وفي غير مصاحفهم بالألف * وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ ذلك قال كم لبثتم على وجه الخبر لأن وجه الكلام لو كان ذلك أمرا أن يكون قولوا على وجه الخطاب للجمع لان الخطاب فيما قبل ذلك وبعده جرى لجماعة أهل النار فالذي هو أولى أن يكون كذلك قوله قولوا لو كان الكلام جاء على وجه الامر وان كان الآخر جائزا أعني التوحيد لما بينت من العلة لقارئ ذلك كذلك وجاء الكلام بالتوحيد في قراءة جميع القراء كان معلوما أن قراءة ذلك على وجه الخبر عن الواحد أشبه اذ كان ذلك هو الفصيح المعروف من كلام العرب فاذ كان ذلك كذلك فتأويل الكلام قال الله كم لبثتم في الدنيا من عدد سنين قالوا مجيبين له لبثنا فيها يوما أو بعض يوم فاسأل العادين لأنا لا ندري قد نسينا ذلك واختلف أهل التأويل في المعني بالعادين فقال بعضهم هم الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم ويحصون عليهم ساعاتهم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فاسأل العادين قال الملائكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وقال آخرون بل هم الحساب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فاسأل العادين قال فاسأل الحساب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فاسأل العادين قال فاسأل أهل الحساب * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله جل ثناؤه فاسأل العادين وهم الذين يعدون عدد الشهور والسنين وغير ذلك وجائز أن يكونوا الملائكة وجائز أن يكونوا بني آدم وغيرهم ولا حجة بأي ذلك من أي ثبتت صحتها فغير جائز توجيه معنى ذلك الى بعض العادين دون بعض ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال ان لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون﴾

من العذاب وعند الشيعة ويروى عن علي رضي الله عنه أنه يجلد ثمانين أخذا بعموم الآية ولهذا اتفقوا على دخول الكافر فيه حتى لو قذف اليهودي مسلما جلد ثمانين ويستثنى من الرماة الاب أو الجد اذا قذف أولاده أو أحفاده فانه لا يجب عليه الحد كما لا يجب عليه القصاص وأما البحث عن المرمي فالمحصنات العفائف لانهن منعن فرجهن الا من زوجهن وهي عامة الا أن الفقهاء اعتبروا لكونها محصنة شرائط خمسا الاسلام لقوله صلى الله عليه وسلم من أشرك بالله فليس بمحصن والعقل والبلوغ لان المجنون والصبي لا اهتمام لهما بدفع العار عن أنفسهما والحرية لمثل ما قلنا والعفة لان الحد شرع لتكذيب القاذف فاذا كان صادقا فلا معنى للحد حتى لو زنى مرة في عنفوان شبابه ثم تاب وحسنت حاله لم يحد قاذفه بخلاف ما لو زنى في حال صغره أو جنونه ثم بلغ أو أفاق فقذفه قاذفه فانه يحد لأن فعل الصبي والمجنون لا يكون زنا ولو زنى بعد القذف وقبل اقامة الحد على القاذف سقط الحد عن قاذفه قاله أبو حنيفة والشافعي لأن ظهور الزنا منه خدش ظن الاحصان به وقت القذف ودل على أنه كان متصفا به قبله كما روي أن رجلا زنى في عهد عمر فقال والله ما زنيت الا هذه فقال عمر كذبت ان الله لا يفضح عبده في أول مرة وقال أحمد والمزني وأبو ثور الزنا الطارئ لا يسقط الحد عن القاذف ولفظ المحصنات لا يتناول الرجال عند جمهور العلماء الا أنهم أجمعوا على أنه لا فرق في هذا الباب بين المحصنين والمحصنات والقذف بغير الزنا كأن يقول يا آكل الربا يا شارب الخمر يا يهودي يا مجوسي يا فاسق وكذا قذف غير المحصنين بالزنا لا يوجب الا التعزير ولو كان المقذوف ميتا وقد ذكره فلا تعزير أيضا واعلم أنه جعله حكم على القاذف اذا لم يأت بأربعة شهداء بثلاثة أحكام جلد ثمانين وبطلان الشهادة

والحكم بفسقه الى أن يتوب فذهب جمع من الأئمة كالشافعي والليث بن سعد الى أنه رتب على القذف مع عدم الاتيان بالشهداء الاربعة أمورا ثلاثة معطوفة بعضها على بعض بالواو وهو لا يفيد الترتيب فوجب أن لا يكون رد الشهادة مرتبا على اقامة الحد بل يجب أن يثبت رد الشهادة بالقذف مع عدم البينة سواء أقيم عليه الحد أم لا وقال مالك وأبو حنيفة وأصحابه شهادته مقبولة مالم يحد فاذا استوفى لم تقبل شهادته واما ذهب الى هذا نظرا الى ظاهر الترتيب مع موافقته للاصل وهو كونه مقبول الشهادة مالم يطرأ مانع ولقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون عدول بعضهم على بعض الا محدودا (٥٠) في قذف أخبر ببقاء عدالته مالم يحد أما الاستثناء في قوله (الا الذين تابوا) فانه لا يرجع الى الجملة الاولى اتفاقا لأنه اذا عجز عن البينة وهو الاتيان بأربعة شهداء وجب عليه الجلد ولم يكن للامام ولا للمقذوف أن يعفو عن القاذف لانه خالص حق الله عز وجل ولهذا لا يصح أن يصالح عنه بمال هذا قول أبي حنيفة وأصحابه وقال الشافعي اذا عجز عن البينة وجب على الامام وهو المخاطب بقوله فاجلدوهم أن يأمر بجلده وان تاب لان القذف وجد حق الآدمي والمغلب فيه حقه فليس للامام أن يعفو عنه ولا خلاف في رجوع الاستثناء الى الجملة الاخيرة وأن المراد أنهم محكوم عليهم بالفسق الا ان تابوا بقي الخلاف في رجوع الاستثناء الى الجملة المتوسطة ومنشأ الخلاف مسئلة أصولية هي أن الاستثناء بعد جمل معطوف بعضها على بعض للجميع وهو مذهب الشافعية أو للاخيرة وهو مذهب الحنفية ويتفرع على مذهب الشافعي أن القاذف اذا تاب وحسنت حاله قبلت شهادته فيكون الابد مصروفا الى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبة والرجوع عن القذف ويتفرع على مذهب أبي حنيفة أنه لم تقبل شهادته وان تاب والابد عنده مدة حياته وقوله (وأولئك هم الفاسقون) جملة مستأنفة عنده لا معطوفة لأنها خبرية وما قبلها طلبية ولو سلم أنها معطوفة فالاستثناء يرجع

اختلف القراء في قراءة قوله قال ان لبثتم الا قليلا اختلافهم في قراءة قوله قال كم لبثتم والقول عند في ذلك في هذا الموضع نحو القول الذي بيناه قبل في قوله كم لبثتم وتأويل الكلام على قراءتنا قال انه لهم ما لبثتم في الارض الا قليلا يسيرا لو أنكم كنتم تعلمون قدر لبثكم فيها وقوله أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا يقول تعالى ذكره أفحسبتم أيها الاشقياء أنا انما خلقناكم لنخلقكم كما نخلق العباد باطلا وأنكم الينا ترجعون بعد مماتكم لا تصيرون أحياء فتجزون بما كنتم في الدنيا تعملون وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعض قراء المدينة والبصرة والكوفة لا ترجعون بضم التاء لا ترد ون وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة لا ترجعون بفتح التاء بمعنى انما هو من مرجع الآخرة لا من الرجوع الى الدنيا وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة لا ترجعون بفتح التاء وقرأ ذلك سواء في ذلك مرجع الآخرة والرجوع الى الدنيا * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال انهما قراءتان متقاربتا المعنى لان من رده الله الى الآخرة من الدنيا بعد فنائه فقد رجع اليها وأنه رجع اليها فبرد الله اياه اليها رجع وهما مع ذلك قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب * وبنحو الذي قلنا في معنى قوله أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا قال باطلا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم) يقول تعالى ذكره فتعالى الله الملك الحق عما يصفه به هؤلاء المشركون من أن له شريكا وعما يضيفون اليه من اتخاذ البنات لا اله الا هو يقول لا معبود تنبغي له العبودة الا الله الملك الحق رب العرش الكريم والرب مرفوع بارتفاع الحق ومعنى الكلام فتعالى الله الملك الحق رب العرش الكريم لا اله الا هو ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون) يقول تعالى ذكره ومن يدع مع المعبود الذي لا تصلح العبادة الا له معبودا آخر لا حجة له بما يقول ويعمل من ذلك ولا بينة كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ومن لا برهان له به قال بينة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد لا برهان له به قال بحجة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله لا برهان له به قال لا حجة وقوله فانما حسابه عند ربه يقول فانما حساب عمله الذي عند به وهو مرفيه جزاء ماذا قدم عليه انه لا يفلح الكافرون يقول انه لا ينجح أهل الكفر بالله عنده ولا يدركون الخلود والبقاء في النعيم ۞ القول في تأويل

قوله

البها فقط قال صاحب الكشاف حق المستثنى عند الشافعي أن يكون مجرورا بدلا من هم في لهم وحقه عند أبي حنيفة أن يكون منصوبا عن موجب قلت حقه عند الامامين أن يكون منصوبا لأن الاستثناء يعود عند الشافعي الى الجملتين ولا يمكن أن يكون الاسم الواحد معربا باعرابين مختلفين في حالة واحدة لكنه يجب نصبه نظرا الى الاخيرة فتعين نصبه نظرا الى ما قبلها أيضا وان جاز البدل في غير هذه المادة وقد احتجت الشافعية أيضا في قبول شهادة القاذف بعد التوبة بقوله صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له واذا كانت التو

من الكفر والزنا والقتل مع غلظها مقبولة فلان تقبل من القذف أولى وأيضا ان أبا حنيفة يقبل شهادته قبل الحد فبعده وقد تاب وحسن له أولى وأيضا الكافر يقذف فيتوب من الكفر فتقبل شهادته بالاجماع فالقاذف المسلم اذا تاب من القذف كان أولى بأن تقبل شهادته لأن القذف مع الاسلام أهون حالا من القذف مع الكفر لا يقال المسلمون لا يعيّرون بسبب الكفار لاشتهارهم بعداوتهم والطعن فيهم فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر عار حادث بخلاف ما لو قذفه مسلم وأيضا الايمان يجب ما قبله وبهذا لا يلزم الحد بعد التوبة من الكفر ويلزم بعد التوبة من القذف لأنا نقول هذا الفرق ملغى في أهل الذمة لقوله صلى الله عليه وسلم لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين

واحتجت الحنفية في عدم قبول شهادته بما روى ابن عباس في قصة هلال بن أمية بجلد هلال وتبطل شهادته في المسلمين ولم يشترط التوبة ومثله قوله صلى الله عليه وسلم المسلمون عدول بعضهم على بعض الا محدودا في قذف ولم يذكر التوبة وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تجوز شهادة محدود في الاسلام والشافعية عارضوا هذه الحجج بوجوه منها قوله صلى الله عليه وسلم اذا علمت مثل الشمس فاشهد والا فدع والمحدود وجبت عليه الشهادة ولو لم يقبل كان عبثا ومنها قوله نحن نحكم بالظاهر وههنا قد ظهرت العفة والصلاح ومنها أن عمر بن الخطاب ضرب الذين شهدوا على المغيرة بن شعبة وهم أبو بكرة ونافع ونفيع ثم قال لهم من أكذب نفسه قبلت شهادته فأكذب نافع ونفيع أنفسهما وتابا فكان يقبل شهادتهما وقد بقي في الآية مسائل الأولى قال الشافعي لا فرق بين أن يجيء الشهود متفرقين أو مجتمعين وقال أبو حنيفة اذا جاؤا متفرقين لم يثبت وعليهم حد القذف كما لو شهد على الزنا أقل من أربعة حجة الشافعي أن الآتي بالشهداء متفرقين أتى بمقتضى النص واجتماعهم أمر زائد لا اشعار به في الآية وأيضا القياس على سائر الاحكام بل تفريقهم أولى لأنه أبعد عن التهمة والتواطؤ وكذلك يفعل القاضي في كل حكم سواء عند الريبة وأيضا لا يجب أن يشهدوا معا في حالة واحدة بل اذا اجتمعوا عند القاضي ويقوم واحد بعد آخر ويشهد جاز فكذا اذا اجتمعوا على بابه ويدخل واحد بعد آخر حجة أبي حنيفة الشاهد الواحد لما شهد قذفه ولم يأت بأربعة شهداء فوجب عليه الحد نخرج عن كونه شاهدا ولا عبرة بتسميته شاهدا اذا فقد المسمى فلا خلاص عن هذا الاشكال الا باشتراط الاجتماع ونظيره ما روى أن المغيرة بن شعبة شهد عليه بالزنا عند عمر بن الخطاب أربعة أبو بكرة ونافع

قوله تعالى ﴿وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقل يا محمد رب استر علي ذنوبي بعفوك عنها وارحمني بقبول توبتك وتركك عقابي على ما اجترمت وأنت خير الراحمين يقول وقل وأنت يا رب خير من رحم ذا ذنب فقبل توبته ولم يعاقبه على ذنبه

آخر تفسير سورة المؤمنين

﴿تفسير سورة النور﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

القول في تأويل قوله تعالى ﴿سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون﴾ قال أبو جعفر يعني بقوله تعالى ذكره سورة أنزلناها وهذه السورة أنزلناها وانما قلنا معنى ذلك كذلك لأن العرب لا تكاد تبتدئ بالنكرات قبل أخبارها اذا لم تكن جوابا لأنها توصل كما يوصل الذي ثم يخبر عنها بخبر سوى الصلة فيستقبح الابتداء بها قبل الخبر اذا لم تكن موصولة اذ كان يصير خبرها اذا ابتدئ بها كالصلة لها ويصير السامع خبرها كالمتوقع خبرها بعد اذ كان الخبر عنها بعدها كالصلة لها واذا ابتدئ بالخبر عنها قبلها لم يدخل الشك على سامع الكلام في مراد المتكلم وقد بينا فيما مضى قبل أن السورة وصف لما ارتفع بشواهده فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع وأما قوله وفرضناها فان القراء اختلفت في قراءته فقرأه بعض قراء الحجاز والبصرة وفرضناها وبتأويلونه وفصلناها وأنزلنا فيها فرائض مختلفة وكذلك كان مجاهد يقرؤه ويتأوله حدثني أحمد ابن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا ابن مهدي عن عبد الوارث بن سعيد عن حميد عن مجاهد أنه كان يقرؤها وفرضناها يعني بالتشديد حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وفرضناها قال الامر بالحلال والنهي عن الحرام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقد يحتمل ذلك اذا قرئ بالتشديد وجها غير الذي ذكرنا عن مجاهد وهو أن يوجه الى أن معناه وفرضناها عليكم وعلى من بعدكم من الناس الى قيام الساعة وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة والشام وفرضناها بتخفيف الراء بمعنى أوجبنا ما فيها من الأحكام عليكم وألزمناكموه وبيناذلك لكم ٭ والصواب من القول في ذلك أنهما

ونفيع وقال زياد وكان رابعهم رأيت رجلها على عاتقه كأذني حمار ولا أدري ما وراء ذلك فحد عمر الثلاثة ولم يسأل هل معهم شاهد آخر فلو قبل بعد ذلك شهادة غيرهم لتوقف في الحد للاحتياط الثانية جوزا أبو حنيفة أن يكون زوج المقذوفة واحدا من الشهداء الاربعة وأباه الشافعي الثالثة قال الشافعي في أحد قوليه اذا أتى بأربعة فساق فهم قذفة يجب عليهم الحد كما يجب على القاذف الاول وقال أبو حنيفة لا حد عليهم ولا على القاذف لانه أتى بأربعة من أهل الشهادة الا أن الشرع لم يعتبر شهادتهم فكما اعتبرنا التهمة في نفي الحد عن المشهود عليه فكذلك يجب اعتبارها في نفي الحد عنهم الرابعة لا يكفي في الشهادة اطلاق (٥٣) الزنا بل لابد أن يذكروا التي زنى بها وأن يذكروا الزنا مفصلا مفسرا فيقولوا رأيناه أدخل فرجه في فرجها كالمرود في المكحلة أو كالرشاء في البئر ولا بد مع ذلك من الوصف بالتحريم ولو أقر على نفسه بالزنا فهل يشترط التفسير والبيان فيه وجهان نعم كالشهود ولا كالقذف الخامسة قالوا أشد الحدود ضرب الزنا ثم ضرب الخمر ثم القذف لان سبب عقوبته يحتمل الصدق والكذب الا أنه عوقب صيانة للاعراض السادسة حد القذف يورث عند مالك والشافعي بناء على أنه حق الآدمي وقد قال صلى الله عليه وسلم من ترك حقا فلورثته والأصح أنه يرثه جميع الورثة وفي قول سوى الزوج والزوجة لان الزوجية ترفع بالموت ولان لحوق العار بها أقل وعلى هذا القول اعترض أبو حنيفة بأنه لو كان موروثا لكان للزوج والزوجة فيه نصيب السابعة اذا قذف انسان انسانا بين يدي الحاكم أو قذف امرأته برجل والرجل غائب فعلى الحاكم ان يبعث الى المقذوف ويخبره بأن فلانا قد قذفك وثبت لك حد القذف عليه كما لو ثبت له حق على آخر وهو لا يعلمه يلزمه اعلامه وبهذا المعنى بعث النبي صلى الله عليه وسلم أنيسا ليخبرها بأن فلانا قذفها بابنه ولم يبعثه لينفحص عن زناها قال الشافعي وليس للامام اذا رمى رجل بالزنا أن يبعث اليه فيسأله عن ذلك لأن الله تعالى قال ولا تجسسوا بهما وأراد اذا لم يكن القاذف معينا كأن قال رجل بين يدي الحاكم الناس يقولون ان فلانا زنى فلا يبعث الحاكم اليه فيسأله الثامنة قال الشافعي توبة القاذف اكذابه نفسه وفسره الاصطخري بأن يقول كذبت فيما قلت فلا أعود الى مثله وقال أبو اسحق لا يقول كذبت لأنه ربما يكون صادقا فيكون قوله كذبت كذبا والكذب معصية والاتيان بالمعصية لا يكون توبة عن معصية أخرى بل يقول القذف باطل وندمت على ما قلت ورجعت عنه ولا أعود اليه ولابد من مضي مدة عليه في حسن الحال وهو المراد بقوله وأصلحوا وقدر وا تلك المدة بسنة لان مرور

قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فصيب وذلك أن الله قد فصلها وأنزل فيها ضروبا من الأحكام وأمر فيها ونهى وفرض على عباده فيها فرائض ففيها المعنيان كلاهما التفريض والفرض فلذلك قلنا بأية القراءتين قرأ القارئ فصيب الصواب ذكر من تأول ذلك بمعنى الفرض والبيان من أهل التأويل حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله وفرضناها يقول بيناها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله سورة أنزلناها وفرضناها قال فرضناها لهذا الذي يتلوها مما فرض فيها وقرأ فيها آيات بينات لعلكم تذكرون وقوله وأنزلنا فيها آيات بينات يقول تعالى ذكره وأنزلنا في هذه السورة علامات ودلالات على الحق بينات يعني واضحات لمن تأملها وفكر فيها بعقل أنها من عند الله فانها الحق المبين وانها تهدي الى الصراط المستقيم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج وأنزلنا فيها آيات بينات قال الحلال والحرام والحدود لعلكم تذكرون يقول لتتذكروا بهذه الآيات البينات التي أنزلناها ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ﴾ يقول تعالى ذكره من زنى من الرجال أو زنت من النساء وهو حر بكر غير محصن بزوج فاجلدوه ضربا مائة جلدة عقوبة لما صنع وأتى من معصية الله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله يقول تعالى ذكره لا تأخذكم بالزاني والزانية أيها المؤمنون رأفة وهي رقة الرحمة في دين الله يعني في طاعة الله فيما أمركم به من اقامة الحد عليهما على ما ألزمكم به واختلف أهل التأويل في المنهي عنه المؤمنون من أخذ الرأفة بهما فقال بعضهم هو ترك اقامة حد الله عليهما فأما اذا أقيم عليهما الحد فلم تأخذهم بهما رأفة في دين الله ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام قال ثنا يحيى بن أبي زائدة عن نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر قال جلد ابن عمر جارية له أحدثت فجلد رجلها قال نافع وحسبت أنه قال وظهرها فقلت ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله فقال وأخذتني بهما رأفة ان الله لم يأمرني أن أقتلها حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن جريج قال سمعت عبد الله بن أبي مليكة يقول ثني عبيد الله بن عبد الله بن عمر أن عبد الله بن عمر حد جارية له فقال للجلاد وأشار الى رجلها والى أسفلها فقلت فأين قول الله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله قال أفأقتلها حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله قال أن تقيم الحد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ولا تأخذكم

الفصول الاربعة كلها له تأثير في الطباع وأن الشارع جعل السنة معتبرة في الزكاة والجزية وغيرهما أما قوله (وأولئك هم الفاسقون) ففيه دليل على أن القذف من جملة الكبائر وأن الفاسق اسم من يستحق العقاب لانه لو كان مشتقا من فعله لكانت التوبة لا تمنع من دوامه كما لا تمنع من وصفه بأنه ضارب اللهم الا أن يقال انما لا يطلق عليه هذا الاسم بعد التوبة للتعظيم كما لا يقال لأكابر الصحابة كافر لكفر سبق قالت الاشاعرة في قوله (فان الله غفور رحيم) دلالة على أن قبول التوبة لا يجب عليه والا لم يفد المدح الحكم الثالث اللعان وسببه قذف الزوجات خاصة القذف أمر محظور في نفسه الا اذا عرض ما يباح أو يجب به وتفصيل (٥٣) ذلك أنه ان رآها الزوج بعينه تزنى أو أقرت هي

بهما رأفة في دين الله قال لا تضيعوا حدود الله قال ابن جريج وقال مجاهد لا تأخذكم بهما رأفة لا تضيعوا الحدود في أن تقيموها وقالها عطاء بن أبي رباح **حدثنا** أبو هشام قال ثنا عبد الملك وحجاج عن عطاء ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله قال يقام حد الله ولا يعطل وليس بالقتل **حدثنا** ابن المثنى قال ثني محمد بن فضيل عن داود عن سعيد بن جبير قال الجلد **حدثني** عبيد بن اسمعيل الهباري قال ثنا محمد بن فضيل عن المغيرة عن ابراهيم في قوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله قال الضرب **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت عمران قال قلت لابي مجلز الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما الى قوله واليوم الآخر انا لنرحمهم أن يجلد الرجل حدا أو تقطع يده قال انما ذاك انه ليس للسلطان اذا رفعوا اليه أن يدعهم رحمة لهم حتى يقيم الحد **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله قال لا تقام الحدود **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تأخذكم بهما رأفة فتدعوهما من حدود الله التي أمر بها وافترضها عليهما * قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران أنه سأل سليمان بن يسار عن قول الله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله أي في الحدود أو في العقوبة قال ذلك فيهما جميعا **حدثنا** عمرو بن عبد الحميد الآملي قال ثنا يحيى بن زكريا عن عبد الملك ابن أبي سليمان عن عطاء في قوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله قال أن يقام حد الله ولا يعطل وليس بالقتل **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن عامر في قوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله قال الضرب الشديد * وقال آخرون بل معنى ذلك ولا تأخذكم بهما رأفة فتخففوا الضرب عنهما ولكن أوجعوهما ضربا ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا يحيى ابن أبي بكر قال ثنا أبو جعفر عن قتادة عن الحسن وسعيد بن المسيب ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله قال الجلد الشديد * قال ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن حماد قال يحد القاذف والشارب وعليهما ثيابهما وأما الزاني فتقلع ثيابه وتلا هذه الآية ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله فقلت لحماد أهذا في الحكم قال في الحكم والجلد **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري قال يجتهد في حد الزاني والفرية ويخفف في حد الشرب وقال قتادة يخفف في الشراب ويجتهد في الزاني * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك ولا تأخذكم بهما رأفة في اقامة حد الله عليهما الذي افترض عليكم اقامته عليهما وانما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب لدلالة قول الله بعده في دين الله يعني في طاعة الله التي أمركم بها ومعلوم أن دين الله الذي أمر به في الزانيين اقامة الحد عليهما على ما أمر من جلد كل واحد منهما مائة جلدة مع أن

على نفسها أو وقع في قلبه صدقها أو سمع ممن يثق بقوله أو استفاض بين الناس أن فلانا يزني بفلانة وقد رآه الزوج يخرج من بيتها أو رآه معها في بيت أبيح له القذف لتأكد التهمة ويجوز أن يمسكها أو يستر عليها لما روى أن رجلا قال يا رسول الله ان لي امرأة لا ترد يد لامس قال طلقها قال اني أحبها قال فأمسكها أما اذا سمعه ممن لا يوثق بقوله أو استفاض ولكن لم يره الزوج معها أو بالعكس لم يحل له قذفها لأنه ربما دخل خوف أو سرقة أو لطلب فجور وأيت المرأة هذا كله اذا لم يكن ثمة ولد يريد نفيه فان كان ثمة ولد فان تيقن أنه ليس منه بأن لم يكن وطئها أو وطئها لكنها أتت به لأقل من ستة أشهر من وقت الوطء أو لأكثر من أربع سنين يجب عليه نفيه باللعان لانه ممنوع من استلحاق نسب الغير كما هو ممنوع من نفي نسبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء ولن يدخلها الله جنته وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر اليه احتجب الله منه يوم القيامة وفضحه على رؤوس الأشهاد من الأولين والآخرين وان احتمل أن يكون الولد منه بأن أتت به لأكثر من ستة أشهر من وقت الوطء ولأقل من أربع سنين فان لم يكن استبرأها بحيضة أو استبرأها وأتت به لدون ستة أشهر من وقت الاستبراء لم يحل له القذف والنفي وان اتهمها بالزنا وان استبرأها وأتت به لأكثر من ستة أشهر من وقت الاستبراء يباح له القذف والنفي والاولى أن لا يفعل لأنها قد ترى الدم على الحبل وان أتت امرأته بولد لا يشبهه كأن كانا أبيضين وأتت بأسود فان لم يتهمها بالزنا فليس له نفيه لما روى أبو هريرة أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان امرأتي ولدت غلاما أسود فقال هل لك من ابل قال نعم قال ما ألوانها قال حمر قال فهل فيها أورق قال نعم قال فكيف ذلك قال نزعه عرق قال فلعل هذا نزعه عرق وان كان يتهمها بزنا أو برجل فأتت بولد

يشبهه فهل يباح نفيه فيه وجهان أما سبب نزول الآية فقد قال ابن عباس لما نزلت الآية المتقدمة قال عاصم بن عدي الانصاري اذا دخل منا رجل بيته ووجد رجلا على بطن امرأته فان جاء بأربعة رجال يشهدون بذلك فقد قضى الرجل حاجته وخرج وان قتله قتل به وان قال وجدت فلانا مع تلك المرأة ضرب وان سكت سكت على غيظ اللهم افتح وكان لعاصم هذا ابن عم يقال له عويمر وله امرأة يقال لها خولة بنت قيس فأتى عويمر عاصما وقال رأيت شريك بن السحماء على بطن امرأتي خولة فاسترجع عاصم وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجمعة الاخرى فقال يا رسول الله ما أسرع ما ابتليت بهذا في أهل بيتي (٥٤) أخبرني عويمر أنه رأى شريكا على بطن امرأته وكان عويمر وخولة وشريك كلهم أبناء عم عاصم فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعا وقال لعويمر اتق الله في زوجتك وابنة عمك ولا تقذفها فقال يا رسول الله أقسم بالله اني رأيت شريكا على بطنها واني ما قربتها منذ أربعة أشهر وانها حبلى من غيري فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقي الله ولا تخبري الا بما صنعت فقالت يا رسول الله ان عويمرا رجل غيور وانه رأى شريكا يطيل التردد ويتحدث فحملته الغيرة على ما قال فأنزل الله سبحانه هذه الآيات (والذين يرمون أزواجهم) الى آخرها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نودي بالصلاة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر قم وقل أشهد بالله ان خولة لزانية واني لمن الصادقين ثم قال في الثانية قل أشهد بالله اني رأيت شريكا على بطنها واني لمن الصادقين ثم قال في الثالثة قل أشهد بالله انها حبلى من غيري واني لمن الصادقين ثم قال في الرابعة قل أشهد بالله انها لزانية واني ما قربتها منذ أربعة أشهر واني لمن الصادقين ثم قال في الخامسة قل لعنة الله على عويمر يعني نفسه ان كان من الكاذبين فيما قاله ثم قال افعد وقال لخولة قومي فقامت وقالت أشهد بالله ما أنا بزانية وان زوجي عويمر لمن الكاذبين وقالت في الثانية أشهد بالله ما رأى شريكا على بطني وانه لمن الكاذبين وقالت في الثالثة أشهد بالله اني حبلى منه وانه لمن الكاذبين وفي الرابعة أشهد بالله انه ما رآني على فاحشة قط وانه لمن الكاذبين وفي الخامسة غضب الله على خولة ان كان عويمر من الصادقين في قوله ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وعن ابن عباس أيضا في رواية الكلبي أن عاصما رجع الى أهله فوجد شريكا على بطن امرأته فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم والحديث كما تقدم وفي رواية عكرمة عن ابن عباس لما نزلت آية القذف قال سعد بن عبادة وهو سيد الانصار لو وجدت رجلا على بطنها فاني ان جئت بأربعة شهداء يكون

الشدة في الضرب لا حد لها يوقف عليه وكل ضرب أوجع فهو شديد وليس للذي يوجع في الشدة حد لا زيادة فيه فيؤمر به وغير جائز وصفه جل ثناؤه بأنه أمر بما لا سبيل للمأمور به الى معرفته واذا كان ذلك كذلك فالذي للمأمور بن الى معرفته السبيل هو عدد الجلد على ما أمر به وذلك هو اقامة الحد على ما قلنا وللعرب في الرأفة لغتان الرأفة بتسكين الهمزة والرآفة بعدها كالسآمة والسآمة والكآبة والكآبة وكأن الرأفة المرة الواحدة والرآفة المصدر كما قيل ضؤل ضآلة مثل فعل فعالة وقبح قباحة وقوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر يقول ان كنتم تصدقون بالله ربكم وباليوم الآخر وأنكم فيه مبعوثون لحشر القيامة والثواب والعقاب فان من كان بذلك مصدقا فانه لا يخالف الله في أمره ونهيه مخوف عقابه على معاصيه وقوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين يقول تعالى ذكره وليحضر جلد الزانيين البكرين وحدهما اذا أقيم عليهما طائفة من المؤمنين والعرب تسمي الواحد فما زاد طائفة وقوله من المؤمنين يقول من أهل الايمان بالله ورسوله وقد اختلف أهل التأويل في مبلغ عدد الطائفة الذي أمر الله بشهود عذاب الزانيين البكرين فقال بعضهم أقله واحد ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الطائفة رجل حدثنا علي بن سهل بن موسى بن اسحق الكناني وابن القواس قالا ثنا يحيى بن عيسى عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال الطائفة رجل قال علي فما فوق ذلك وقال ابن القواس فأكثر من ذلك حدثنا علي قال ثنا زيد عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الطائفة رجل حدثنا يعقوب قال ثنا ابن علية قال قال ابن أبي نجيح وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال مجاهد أقله رجل حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن مجاهد في قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال الطائفة الواحد الى الالف حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن مجاهد في هذه الآية وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال الطائفة واحد الى الألف وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما حدثنا ابن المثنى قال ثني وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن مجاهد قال الطائفة الرجل الواحد الى الألف قال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما انما كانا رجلين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال سمعت عيسى ابن يونس يقول ثنا النعمان بن ثابت عن حماد وابراهيم قالا الطائفة رجل حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال الطائفة رجل واحد فما فوقه * وقال آخرون أقله في هذا الموضع رجلان

ذكر

قد قضى حاجته وذهب فقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم قالوا يا رسول الله لا تلمه فانه رجل غيور فقال سعد يا رسول الله انى لأعرف أنها من الله وأنها لحق ولكنى عجبت منه فقال صلى الله عليه وسلم فان الله أبى لى الا ذلك فلم يلبثوا الا يسيرا حتى جاء ابن عمه يقال له هلال بن أمية وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم فقال يا رسول الله انى وجدت مع امرأتى رجلا رأيت بعينى وسمعت باذنى فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به فقال هلال والله يا رسول الله انى لأرى الكراهية فى وجهك مما أخبرتك به والله يعلم انى لصادق وما قلت الا حقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما البينة واما اقامة الحد عليك فاجتمعت الانصار

ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن أبى نجيح فى قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال قال عطاء أقله رجلان حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عمرو بن عطاء عن عكرمة قال ليحضر رجلان فصاعدا * وقال آخرون أقل ذلك ثلاثة فصاعدا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن ابن أبى ذئب عن الزهرى قال الطائفة الثلاثة فصاعدا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال نفر من المسلمين حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنى أبو السائب قال ثنا حفص بن غياث قال ثنا أشعث عن أبيه قال أتيت أبا برزة الاسلمى فى حاجة وقد أخرج جارية الى باب الدار وقد زنت فدعا رجلا فقال اضربها خمسين فدعا جماعة ثم قرأ وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا يحيى عن أشعث عن أبيه أن أبا برزة أمر ابنه أن يضرب جارية له وادت من الزنا ضربا غير مبرح قال فألقى عليها ثوبا وعنده قوم وقرأ وليشهد عذابهما الآية * وقال آخرون بل أقل ذلك أربعة ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال فقال الطائفة التى يجب بها الحد أربعة * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال أقل ما ينبغى حضور ذلك من عدد المسلمين الواحد فصاعدا وذلك أن الله عم بقوله وليشهد عذابهما طائفة والطائفة قد تقع عند العرب على الواحد فصاعدا فاذ كان ذلك كذلك ولم يكن الله تعالى ذكره وضع دلالة على أن مراده من ذلك خاص من العدد كان معلوما أن حضور ما وقع عليه أدنى اسم الطائفة ذلك المحضر مخرج مقيم الحد مما أمره الله به بقوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين غير أنى وان كان الامر على ما وصفت أستحب أن لا يقصر بعدد من يحضر ذلك الموضع عن أربعة أنفس عدد من تقبل شهادته على الزنا لأن ذلك اذا كان كذلك فلا خلاف بين الجميع أنه قد أدى المقيم الحد ما عليه فى ذلك وهم فيما دون ذلك مختلفون ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم نزلت هذه الآية فى بعض من استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نكاح نسوة كن معروفات بالزنا من أهل الشرك وكن أصحاب رايات يكرين أنفسهن فأنزل الله تحريمهن على المؤمنين فقال الزانى من المؤمنين لا يتزوج الا زانية أو مشركة لأنهن كذلك والزانية من أولئك البغايا

فقالوا ابتلينا بما قال سعد فينا هم كذلك اذ نزل الوحى فقال يا هلال أبشر فقد جعل الله لك فرجا وأمر بالملاعنة وفرق بينهما وقال أبصروها فان جاءت به أصهب أحمش الساقين أى دقيقهما فهو لهلال وان جاءت به أورق جعدا جماليا خدلج الساقين أى ضخمهما فهو لصاحبه فجاءت به خدلج الساقين فقال صلى الله عليه وسلم لولا الايمان لكان لى ولها شأن قال عكرمة فقد رأيته بعد ذلك أمير مصر من الامصار لا يدرى من أبوه واعلم أن الفرق بين قذف غير الزوجة وبين قذف الزوجة هو أن الخلاص من الحد فى الاول اقرار المقذوف بالزنا أو بينة تقوم على زناه وفى الثانية الخلاص أحد الامرين أو اللعان وسبب شرع اللعان هو أنه لا مضرة على الزوج فى زنا الاجنبى والاولى له ستره وأما فى زنا الزوجة فيلحقه العار والشنار والنسب الفاسد فلا يمكنه الصبر عليه وتوقيفه على البينة كالمتعذر وأيضا الغالب أن الرجل لا يقصد رمى زوجته الا عن حقيقة فنفس الرمى دليل على صدقه الا أن الشرع أرادا كمال شهادة الحال بقرينة الايمان كما أن شهادة المرأة حين ضعفت أكدت بزيادة العدد فمن هنا قال كثير من العلماء ان حد قاذف الزوجة كان هو الجلد وان الله نسخه باللعان ولنذكر ههنا مسائل * الاولى قال الشافعى اذا نكل الزوج عن اللعان لزمه الحد للقذف واذا لاعن ونكلت عن اللعان لزمها حد الزنا وقال أبو حنيفة اذا نكل الزوج يحبس حتى يلاعن وكذا المرأة حجة الشافعى اذا لم يأت بالخلاص وهو الملاعنة وجب الرجوع الى مقتضى آية القذف وهو الحد وأيضا قوله ويدرأ عنها العذاب ليست اللام فيه للجنس لأنه لا يجب عليها جميع أنواع العذاب ولان الآية تصير اذ ذاك مجملة فهو لعهد ولا معهود فى الآية الا حد القذف ولقوله صلى الله عليه وسلم لهلال الرجم أهون عليك من غضب الله وللمرأة أن تقول ان كان الرجل

صادقا فخذوني وان كان كاذبا فخلوني فما بالي والحبس وليس حبسي في كتاب الله ولا سنة رسوله حجة أبي حنيفة أن النكول ليس بصريح في الاقرار فلا يجوز اثبات الحد به كاللفظ المحتمل للزنا وغيره الثانية الجمهور على أنه اذا قال بالزانية وجب اللعان لعموم قوله والذين يرمون وقال مالك لا يلاعن الا أن يقول رأيته يزني وينفي حملها أو ولادتها الثالثة قال الشافعي من صح رميه صح لعانه فلا يشترط الا التكليف ويجري اللعان بين الذميين والمحدودين (٥٦) والرقيقين وذهب أبو حنيفة الى أن الزوج ينبغي أن يكون مسلما حرا عاقلا بالغا غير محدود في القذف والمرأة ينبغي أن تكون بهذه الصفة مع العفة فاذا كان الزوج عبدا أو محدودا في قذف والمرأة محصنة حد كما في قذف الاجنبيات دليل الشافعي عموم قوله والذين يرمون أزواجهم والاجماع على أنه يصح لعان الفاسق والأعمى وان لم يكونا من أهل الشهادة فكذا القول في غيرهما والجامع هو الحاجة الى دفع العار دليل أبي حنيفة حديث عبد الله بن عمرو بن العاص من النساء من ليس بينهن وبين أزواجهن ملاعنة اليهودية والنصرانية تحت المسلم والحرة تحت المملوك والمملوكة تحت الحر وأيضا اللعان بين الزوجات قائم مقام الحد في الاجنبيات فلا يجب اللعان على من لا يجب عليه الحد لو قذفها أجنبي وأيضا اللعان شهادة لقوله تعالى (فشهادة أحدهم أربع شهادات) وقد جاء مثله في أحاديث اللعان واذا كان شهادة وجب أن لا يقبل من المحدود في القذف ولا من العبد والكافر أجاب الشافعي بأن اللعان يمين مؤكدة بلفظ الشهادة أو يمين فيها شائبة الشهادات فلا يشترط في الملاعن الا أهلية اليمين ومما يدل على أنه يمين قوله صلى الله عليه وسلم لهلال بن أمية احلف بالله الذي لا اله الا هو انك لصادق وقوله لولا الايمان لكان لي ولها شأن وأيضا لو كان شهادة فلكان حق المرأة ثمان شهادات لأنها على النصف من الرجل ولم يجز لعان

لا ينكحها الا زان من المؤمنين أو المشركين أو مشرك مثلها لا نهن كن مشركات وحرم ذلك على المؤمنين فحرم الله نكاحهن في قول أهل هذه المقالة بهذه الآية ذكر من قال ذلك حدثنا محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال ثني الحضرمي عن القاسم بن محمد عن عبد الله ابن عمرو أن رجلا من المسلمين استأذن نبي الله في امرأة يقال لها أم مهزول كانت تسافح الرجل وتشترط له أن تنفق عليه وأنه استأذن فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم وذكر له أمرها قال فقرأ نبي الله صلى الله عليه وسلم الزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك أو قال فأنزلت الزانية حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن التيمي عن القاسم بن محمد عن عبد الله بن عمرو في قوله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال كن نساء معلومات قال فكان الرجل من فقراء المسلمين يتزوج المرأة منهن لتنفق عليه فنهاهم الله عن ذلك . قال أخبرنا سليمان التيمي عن سعيد بن المسيب قال كن نساء موارد بالمدينة حدثنا أحمد بن المقدام قال ثنا المعتمر قال سمعت أبي قال ثنا قتادة عن سعيد بن المسيب في هذه الآية والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال نزلت في نساء موارد كن بالمدينة حدثنا ابن المثنى قال ثنا عمرو بن عاصم الكلابي قال ثنا معتمر عن أبيه عن قتادة عن سعيد بنحوه حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن رجل عن عمرو بن شعيب قال كان لمرثد صديقة في الجاهلية يقال لها عناق وكان رجلا شديدا وكان يقال له دلدل وكان يأتي مكة فيحمل ضعفة المسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقي صديقته فدعته الى نفسها فقال ان الله قد حرم الزنا فقالت أني تبرز تخشى أن تشمع عليه فرجع الى المدينة فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كانت لي صديقة في الجاهلية فهل ترى لي نكاحها قال فأنزل الله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال كن نساء معلومات يدعون القليقيات حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن ابراهيم ابن مهاجر قال سمعت مجاهدا يقول في هذه الآية الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة قال كن بغايا في الجاهلية حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن عبد الملك عمن أخبره عن مجاهد نحوا من حديث ابن المثنى الا أنه قال كانت امرأة منهن يقال لها أم مهزول يعني في قوله الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة قال فكن نساء معلومات قال فكان الرجل من فقراء المسلمين يتزوج المرأة منهن لتنفق عليه فنهاهم الله عن ذلك هذا في حديث التيمي حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله الزاني لا ينكح الا زانية قال رجال كانوا يريدون الزنا بنساء وهن بغايا متعالمات كن في الجاهلية فقيل لهم هذا حرام فأرادوا نكاحهن فحرم الله عليهم نكاحهن

حدثنا

الفاسق والأعمى لانهما ليسا من أهل الشهادة لا يقال الفاسق والفاسقة قد يتوبان لأنا نقول العبد أيضا قد يعتق بل العبد اذا عتق تقبل شهادته في الحال والفاسق اذا تاب لا تقبل شهادته الا بعد الاختبار ثم ألزم الشافعي أبا حنيفة بأن شهادة أهل الذمة بعضهم على بعض مقبولة فينبغي أن يجوز اللعان بين الذمي والذمية ثم قال الشافعي بعد ذلك وتختلف الحدود لمن وقعت له ومعناه أن الزوج ان لم يلاعن ينصف الحد

عليه برفه وان لاعن ولم تلاعن اختلف حدها باحصانها وحريتها ورفها الرابعة اختلف المجتهدون فى نتائج اللعان فعن عثمان البتى أنه لا يحصل به الفرقة أصلا لأن أكثر ما فيه أن يكون الزوج صادقا فى قذفه وهذا لا يوجب تحريما كما لو قامت البينة عليها وأيضا ان تلاعنهما فى بيتهما لا يوجب الافتراق فكذا عند الحاكم وأيضا انه قائم مقام الشهود فى الاجنبيات فلا يكون له تأثير الا فى اسقاط الحد وأيضا اذا أكذب الزوج نفسه ثم حد لا يوجب الفرقة فكذا اللعان وأما تفريق النبى صلى الله عليه وسلم بين (٥٧) المتلاعنين فى قصة العجلانى فذلك لان الزوج

حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه الا أنه قال بغايا معلنات كن كذلك فى الجاهلية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن هشام بن عروة عن أبيه واسمعيل بن أبى خالد عن الشعبى وابن أبى ذئب عن شعبة عن ابن عباس قال كن بغايا فى الجاهلية على أبوابهن رايات مثل رايات البيطار يعرفن بها حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن قيس بن سعد عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس قال نساء بغايا متعالمات حرم الله نكاحهن لا ينكحهن الا زان من المؤمنين أو مشرك من المشركين حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين قال كانت بيوت تسمى المواخير فى الجاهلية وكانوا يؤاجرون فيها فتياتهن وكانت بيوتا معلومة للزنا لا يدخل عليهن ولا يأتهن الا زان من أهل القبلة أو مشرك من أهل الاوثان فحرم الله ذلك على المؤمنين حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن جريج عن عطاء فى قوله الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال بغايا متعالمات كن فى الجاهلية بغى آل فلان وبغى آل فلان فأنزل الله الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين فحكم الله بذلك من أمر الجاهلية على الاسلام فقال له سليمن بن موسى أبلغك ذلك عن ابن عباس فقال نعم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال سمعت عطاء بن أبى رباح يقول فى ذلك كن بغايا متعالمات بغى آل فلان وبغى آل فلان وكن زوانى مشركات فقال الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين قال أحكم الله من أمر الجاهلية بهذا قيل له أبلغك هذا عن ابن عباس قال نعم * قال ابن جريج وقال عكرمة انه كان يسمى تسعا بعد صواحب الرايات وكن أكثر من ذلك ولكن هؤلاء أصحاب الرايات أم مهزول جارية السائب بن أبى السائب المخزومى (١) وأم عليط جارية صفوان بن أمية وحنة القبطية جارية العاصى بن وائل ومرية جارية مالك ابن عميلة بن السباق بن عبد الدار وحلالة جارية سهيل بن عمرو وأم سويد جارية عمرو بن عثمان المخزومى وسريقة جارية زمعة بن الاسود وفرسة جارية هشام بن ربيعة بن حبيب بن حذيفة ابن جميل بن مالك بن عامر بن لؤى وقريبا جارية هلال بن أنس بن جابر بن عمر بن غالب بن فهر حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وقاله الزهرى وقتادة قالوا كان فى الجاهلية بغايا معلوم ذلك منهن فأراد ناس من المسلمين نكاحهن فأنزل الله الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك الآية حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وقاله الزهرى وقتادة

(١) لم نقف على ضبط الاسماء فتحرر

كان طلقها ثلاثا قبل اللعان وعن أبى حنيفة وأصحابه الا زفر أن الحاكم يفرق بينهما لما روى سهل ابن سعد مضت السنة فى المتلاعنين أن يفرق بينهما ثم لا يجتمعان أبدا ولما فى قصة عويمر كذبت عليها ان أمسكتها هى طالق ثلاثا فلو وقعت الفرقة باللعان لم يمكن امساكها وقال مالك والليث وزفر اذا فرغا من اللعان وقعت الفرقة بينهما وان لم يفرق الحاكم لأنهما لو تراضيا على دوام النكاح لم يخليا فدل ذلك على وقوع الفرقة بينهما وقال الشافعى اذا فرغ الزوج وحده من اللعان حصل بذلك خمس نتائج درء الحد عنه ونفى الولد والفرقة والتحريم المؤبد ووجوب الحد عليها ولا تأثير للعان الزوجة الا فى دفع العذاب عن نفسها وما روى أنه صلى الله عليه وسلم فرق بينهما محمول على أنه أخبر عن وقوع الفرقة بينهما وزعم أبو بكر الرازى أن قول الشافعى خلاف الآية لأنه لو وقعت الفرقة بلعان الزوج لاعنت المرأة وهى أجنبية ولكنه تعالى أوجب اللعان بين الزوجين وأيضا اللعان شهادة فلا يثبت حكمها الا عند الحاكم كسائر الشهادات وأيضا اللعان تستحق به المرأة نفسها كما يستحق المدعى ما ادعاه بالبينة فيتوقف على حكم الحاكم وأيضا اللعان لا الشعار

فيه بالتحريم فهو كما لو قامت البينة على زناها فلا بد من احداث التفريق اما من قبل الزوج أو من قبل الحاكم ولقائل أن يقول سميا زوجين باعتبار ما كان كالعبد على من عتق ولا نسلم أن اللعان شهادة محضة وما يؤكد قول الشافعى تنصيص الله سبحانه على ذلك بقوله ويدرأ عنها العذاب أن تشهد ففيه دلالة على أن كل ما يجب باللعان من الأحكام فقد وقع بلعان الزوج الا درء العذاب وأيضا أن لعان الزوج مستقل بنفى الولد لان الاعتبار فى الالحاق بقوله لا بقولها ألا ترى أنها

فى لعانها تلحق الولد به ونحن ننفيه عنه واذا انتفى الولد عنه بمجرد لعانه وجب أن يكون الفراش زائلا لقوله الولد للفراش ۞ الخامسة مذهب مالك والشافعى وأبى يوسف والثورى واسحق أن المتلاعنين لا يجتمعان أبدا وهو قول على وابن مسعود ولما روى الزهرى من حديث سهل ابن سعد ولما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال للمتلاعنين بعد اللعان لا سبيل لك عليها ولم يقل حتى تكذب نفسك ولو كان الاكذاب غاية لهذه الحرمة وأنه اذا أكذب نفسه وحد زال تحريم العقد وحلت له بنكاح جديد اذ كر هارسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره وقد يحتج لأبى حنيفة بعموم قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء وقوله وأحل لكم ما وراء ذلكم ۞ السادسة اتفق أهل العلم على أن الولد ينتفى من الزوج باللعان وخالف بعضهم مستدلا بقوله صلى الله عليه وسلم الولد للفراش وزيف بأن الأخبار الدالة على أن الولد ينتفى باللعان كالمتواترة فلا يعارضها هذا الواحد بل يجب تخصيصه بها ۞ السابعة لو أتى ببعض كلمات اللعان لا يتعلق بها الحكم عند الشافعى وهو ظاهر وعن أبى حنيفة أنه لا كفر حكم الكل اذا حكم به الحاكم ۞ الثامنة كيفية اللعان كالصريحة فى الآية وان الحديث قد زادها بيانا كما مر وقد عد الشافعى من سننها أن يقام الرجل حتى يشهد والمرأة قاعدة وتقام المرأة حتى تشهد والرجل قاعد ويأمر الامام من يضع يده على فيه عند الانتهاء الى اللعنة ويقول له القاضى أو صاحب المجلس اتق الله فانها موجبة وهكذا يقال للمرأة اذا انتهت الى الغضب ومما يستحب فى اللعان ولا يجب على الأصح التغليظ بالزمان وهو ما بعد صلاة العصر ولا سيما عصر يوم الجمعة وبالمكان وذلك بمكة بين الركن والمقام وبالمدينة بين المنبر والمدفن وفى سائر البلاد عند المنبر فى المسجد الجامع أيضا وهو المقصور فى بيت المقدس فى المسجد الاقصى عند الصخرة واليهود فى الكنيسة والنصارى أهل البيعة والمجوس فى بيت نارهم واذا لم يكن له دين ففى مساجدنا الا فى المسجد الحرام ولا بد من حضور الحاكم سواء كان مدار اللعان على اليمين أو على الشهادة ولا بد من حضور جمع من الأعيان أقلهم أربعة ۞ التاسعة قال جار الله انما خصت الملاعنة بأن تخمس بغضب الله تغليظا عليها لأنها أصل الفجور ومنبعه بخلابتها واطماعها وذلك كانت مقدمة فى آية الجلد ۞ العاشرة فى فوائد متعلقة بالآية منها

قالوا كانوا فى الجاهلية بغايا ثم ذكر نحوه **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن ابن أبى نجيح عن القاسم بن أبى بزة كان الرجل ينكح الزانية فى الجاهلية التى قد علم ذلك منها يتخذها اما كلة فأراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الجهة فنهوا عن ذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبى نجيح قال قال القاسم بن أبى بزة فذكر نحوه **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا سليمان التيمى عن سعيد بن المسيب قال كن نساء موارد بالمدينة **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا عبد الملك بن أبى سليمان عن سعيد بن جبير أن نساء فى الجاهلية كن يؤاجرن أنفسهن وكان الرجل انما ينكح احداهن يريد أن يصيب منها عرضا فنهوا عن ذلك ونزل الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك ومنهن امرأة يقال لها أم مهزول **حدثنا** أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن اسمعيل عن الشعبى فى قوله الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال كن نساء يكرين أنفسهن فى الجاهلية ۞ وقال آخرون معنى ذلك الزانى لا يزنى الا بزانية أو مشركة والزانية لا يزنى بها الا زان أو مشرك قالوا ومعنى النكاح فى هذا الموضع الجماع ذكر من قال ذلك **حدثنا** هناد قال ثنا أبو الاحوص عن حصين عن عكرمة عن ابن عباس فى قول الله الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة قال لا يزنى الا بزانية أو مشركة **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير أنه قال فى هذه الآية والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال لا يزنى الزانى الا بزانية مثله أو مشركة **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن شبرمة عن سعيد بن جبير وعكرمة فى قوله الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة قالا هو الوطء **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد عن معمر قال قال سعيد بن جبير ومجاهد الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة قالا هو الوطء **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سلمة بن نبيط عن الضحاك بن مزاحم وشعبة عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير قوله الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قالا لا يزنى الزانى حين يزنى الا بزانية مثله أو مشركة ولا تزنى مشركة الا بمثلها **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال هؤلاء بغايا كن فى الجاهلية والنكاح فى كتاب الله الاصابة لا يصيبها الا زان أو مشرك لا يحرم الزنا ولا تصيب هى الا مثلها قال وكان ابن عباس يقول بغايا كن فى الجاهلية **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن قيس بن سعد عن سعيد بن جبير قال اذا زنى بها فهو زان **حدثنا** على قال ثنا عبد الله قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة قال الزانى من

أهل القبلة لا يزنى الا بزانية مثله أو مشركة قال والزانية من أهل القبلة لا تزنى الا بزان مثلها من أهل القبلة أو مشرك من غير أهل القبلة ثم قال وحرم ذلك على المؤمنين * وقال آخرون كان هذا حكم الله فى كل زان وزانية حتى نسخه بقوله وأنكحوا الأيامى منكم فأحل نكاح كل مسلمة ونكاح كل مسلم ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب فى قوله الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين قال يرون الآية التى بعدها نسختها وأنكحوا الأيامى منكم قال فهن من أيامى المسلمين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال نسختها التى بعدها وأنكحوا الأيامى منكم وقال انهن من أيامى المسلمين حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر قال وذكر عن يحيى عن ابن المسيب قال نسختها وأنكحوا الأيامى منكم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال نسختها قوله وأنكحوا الأيامى حدثنى يونس قال أخبرنا أنس بن عياض عن يحيى قال ذكر عند سعيد بن المسيب الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة قال فسمعته يقول انها قد نسختها التى بعدها ثم قرأها سعيد قال يقول الله الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة ثم يقول الله وأنكحوا الأيامى منكم فهن من أيامى المسلمين * قال أبو جعفر وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال عنى بالنكاح فى هذا الموضع الوطء وأن الآية نزلت فى البغايا المشركات ذوات الرايات وذلك لقيام الحجة على أن الزانية من المسلمات حرام على كل مشرك وأن الزانى من المسلمين حرام عليه كل مشركة من عبدة الأوثان فعلوم اذ كان ذلك كذلك أنه لم يعن بالآية أن الزانى من المؤمنين لا يعقد عقد نكاح على عفيفة من المسلمات ولا ينكح الا زانية أو مشركة واذ كان ذلك كذلك فبين أن معنى الآية الزانى لا يزنى الا بزانية لا تستحل الزنا أو مشركة تستحله وقوله وحرم ذلك على المؤمنين يقول وحرم الزنا على المؤمنين بالله ورسوله وذلك هو النكاح الذى قال جل ثناؤه الزانى لا ينكح الا زانية ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون﴾ يقول تعالى ذكره والذين يشتمون العفائف من حرائر المسلمين فيرمونهن بالزنا ثم لم يأتوا على ما رموهن به من ذلك بأربعة شهداء عدول يشهدون عليهن أنهن رأوهن يفعلن ذلك فاجلدوا الذين رموهن بذلك ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الذين خرجوا من طاعة الله وخرجوا من طاعته ففسقوا عنها وذكر أن هذه الآية انما نزلت فى الذين رموا عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم بما رموها به من الافك ذكر من قال ذلك حدثنى أبو السائب وابراهيم بن سعيد قالا ثنا ابن فضيل عن خصيف قال قلت لسعيد بن جبير الزنا أشد أو قذف

أهل القبلة لا يزنى الا بزانية مثله أو مشركة قال والزانية من أهل القبلة لا تزنى الا بزان مثلها من أهل القبلة أو مشرك من غير أهل القبلة ثم قال وحرم ذلك على المؤمنين * وقال آخرون كان هذا حكم الله فى كل زان وزانية حتى نسخه بقوله وأنكحوا الأيامى منكم فأحل نكاح كل مسلمة ونكاح كل مسلم ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب فى قوله الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين قال يرون الآية التى بعدها نسختها وأنكحوا الأيامى منكم قال فهن من أيامى المسلمين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال نسختها التى بعدها وأنكحوا الأيامى منكم وقال انهن من أيامى المسلمين حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر قال وذكر عن يحيى عن ابن المسيب قال نسختها وأنكحوا الأيامى منكم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال نسختها قوله وأنكحوا الأيامى حدثنى يونس قال أخبرنا أنس بن عياض عن يحيى قال ذكر عند سعيد بن المسيب الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة قال فسمعته يقول انها قد نسختها التى بعدها ثم قرأها سعيد قال يقول الله الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة ثم يقول الله وأنكحوا الأيامى منكم فهن من أيامى المسلمين * قال أبو جعفر وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال عنى بالنكاح فى هذا الموضع الوطء وأن الآية نزلت فى البغايا المشركات ذوات الرايات وذلك لقيام الحجة على أن الزانية من المسلمات حرام على كل مشرك وأن الزانى من المسلمين حرام عليه كل مشركة من عبدة الأوثان فعلوم اذ كان ذلك كذلك أنه لم يعن بالآية أن الزانى من المؤمنين لا يعقد عقد نكاح على عفيفة من المسلمات ولا ينكح الا زانية أو مشركة واذ كان ذلك كذلك فبين أن معنى الآية الزانى لا يزنى الا بزانية لا تستحل الزنا أو مشركة تستحله وقوله وحرم ذلك على المؤمنين يقول وحرم الزنا على المؤمنين بالله ورسوله وذلك هو النكاح الذى قال جل ثناؤه الزانى لا ينكح الا زانية ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون﴾ يقول تعالى ذكره والذين يشتمون العفائف من حرائر المسلمين فيرمونهن بالزنا ثم لم يأتوا على ما رموهن به من ذلك بأربعة شهداء عدول يشهدون عليهن أنهن رأوهن يفعلن ذلك فاجلدوا الذين رموهن بذلك ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الذين خرجوا من طاعة الله وخرجوا من طاعته ففسقوا عنها وذكر أن هذه الآية انما نزلت فى الذين رموا عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم بما رموها به من الافك ذكر من قال ذلك حدثنى أبو السائب وابراهيم بن سعيد قالا ثنا ابن فضيل عن خصيف قال قلت لسعيد بن جبير الزنا أشد أو قذف

اطال الجمهور قول الخوارج ان الزنا والقذف كفر وذلك أن الرامى ان صدق فهى زانية وان كذب فهو قاذف فلا بد من كفر أحدهما والردة توجب الفرقة من غير لعان ومنها ابطال قول من زعم أن الزنا يوجب فساد النكاح لأن رمى الزوج اياها اعتراف منه بزناها بل بفساد النكاح على قول هذا القائل فتحصل الفرقة بلا لعان ومنها أن المعتزلة قالوا الملتعنان يستحقان اللعن أو الغضب الموجبين للعقاب الأبدى المضاد للثواب وذلك يدل على خلود الفساق فى النار أجابت الاشاعرة بأن كونه مغضوبا (٥٩) عليه بفسقه لا ينافى كونه مرضيا عنه بجهة اعانه فلا بد أن يحصل له بعد العقاب ثواب ثم أخبر عن كمال رأفته بقوله (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) أى فيما بين من هذه الأحكام وفيما أمهل وأبقى ومكن من التوبة وجواب لولا محذوف أى لهلكتم أو فضحتم أو لكان ما كان من أنواع المفاسد وانما حسن حذفه ليذهب الوهم كل مذهب فيكون أبلغ فى البيان فرب مسكوت عنه أبلغ من منطوق به ﴿التأويل النفس الزانية المستعدة لتصرفات الشيطان والدنيا فيها والروح الزانى بتصرفه فى الدنيا وشهواتها المنهية عنها فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة من الجوع وترك الشهوات والمرادات ومن حملهما على المخالفات ولعل السر فى تخصيص هذا العدد هو أن ساعات اليوم بليلته أربع وعشرون منها أربع ساعات لأجل النوم ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل والباقية يجب فيها مراقبة الحواس الخمس وتأديبهن بآداب الشرع والعقل فيكون المجموع مائة تأديبة يحصل نتائجها وكمالها للنفس والروح والله تعالى أعلم وليشهد عذابهما ولتكن هذه التزكية والتأديبات بمحضر شيخ واصل كامل يحفظه من طرق الافراط والتفريط الزانى لا ينكح فيه أن الطبع يسرق والحس الى الحس يميل فأهل الفساد لا ترغب الا فى صحبة أمثالهم من أهل الفساد كما أن أرباب السداد لا تطمح الا الى صحبة أمثالهم من أرباب السداد وحرم ذلك الذى قلنا من اختلاط الأشرار على المؤمنين والذين يرمون المحصنات أى الأرواح الذين ينسبون الى نقصان النفوس المستعدات للكمالات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء أى لم يكن خواص العناصر الأربعة ظاهرة على صفحات أحوالهن كما مر تقريره فى أول النساء فى قوله فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ولم تبلغ الملكات الذميمة منهن مرتبتها الرابعة كالكاتب يكتب بالفعل فاجلدوهم ثمانين جلدة مروهم

المحصنة قال لابل الزنا قلت ان الله يقول والذين يرمون المحصنات قال انما هذا في حديث عائشة خاصة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء الآية في نساء المسلمين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأولئك هم الفاسقون قال الكاذبون ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم ﴾ اختلف أهل التأويل في الذي استثنى منه قوله الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فقال بعضهم استثنى من قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون وقالوا اذا تاب القاذف قبلت شهادته وزال عنه اسم الفسق حد فيه أو لم يحد ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن حماد الدولابي قال ثني سفيان عن الزهري عن سعيد ان شاء الله أن عمر قال لأبي بكرة ان تبت قبلت شهادتك أو ردت شهادتك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الزهري عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب ضرب أبا بكرة وشبل بن معبد ونافع بن الحرث بن كلدة حدهم وقال لهم من أكذب نفسه أجزت شهادته فيما استقبل ومن لم يفعل لم أجز شهادته فأكذب شبل نفسه ونافع وأبى أبو بكرة أن يفعل قال الزهري هو والله سنة فاحفظوه حدثنا ابن أبي الشوارب قال ثنا يزيد ابن زريع قال ثنا داود عن الشعبي قال اذا تاب يعني القاذف ولم يعلم منه الا خير جازت شهادته حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث قال ثنا داود عن الشعبي قال على الامام أن يستتيب القاذف بعد الجلد فان تاب وأونس منه خير جازت شهادته وان لم يتب فهو خليع لا تجوز شهادته حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الوارث قال ثنا داود عن عامر أنه قال في القاذف اذا تاب وعلم منه خير ان شهادته جائزة وان لم يتب فهو خليع لا تجوز شهادته وتوبته اكذابه نفسه ۞ قال ثنا ابن أبي عدي عن داود عن الشعبي نحوه حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال أخبرنا داود بن أبي هند عن الشعبي قال في القاذف اذا تاب وأكذب نفسه قبلت شهادته والا كان خليعا لا شهادة له لأن الله يقول لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء الى آخر الآية حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا داود بن أبي هند عن الشعبي أنه كان يقول في شهادة القاذف اذا رجع عن قوله حين يضرب أو أكذب نفسه قبلت شهادته ۞ قال ثنا هشيم عن اسمعيل بن أبي خالد عن الشعبي أنه كان يقول يقبل الله توبته وترد دون شهادته وكان يقبل شهادته اذا تاب ۞ قال أخبرنا اسمعيل عن الشعبي أنه كان يقول في القاذف اذا شهد قبل أن يضرب الحد قبلت شهادته ۞ قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبيدة عن ابراهيم واسمعيل بن سالم عن الشعبي أنهما قالا في القاذف اذا شهد قبل أن يجلد فشهادته جائزة حدثني يعقوب قال قال أبو بشر يعني ابن علية سمعت ابن أبي نجيح يقول القاذف اذا تاب تجوز شهادته وقال كنا نقوله فقيل له من قال قال عطاء وطاوس ومجاهد حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا محمد

الذمية بنسبها الروح الى ثالث هو الشيطان وينسبها القالب الى الروح الذي يدبره ويتصرف فيه والافتراق الذي يحصل بينهما ليس بالصورة بل بالمعنى لأن الروح يميل الى العالم العلوي والقالب الى العالم السفلي لعدم الموافقة بينهما وهو سبحانه أعلم ﴿ ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤف رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم

محمد بن خالد ابن عمة قال ثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن عمر بن طلحة عن عبد الله قال اذا تاب القاذف جلد وجازت شهادته قال أبو موسى هكذا قال ابن أبي (٣) عمة حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا ابن أبي عمة قال ثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن سليمن بن يسار والشعبي قالا اذا تاب القاذف عند الجلد جازت شهادته حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة أن عمر بن عبد الله بن أبي طلحة جلد رجلا في قذف فقال أكذب نفسك حتى تجوز شهادتك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي الهيثم قال سمعت ابراهيم والشعبي يتذاكران شهادة القاذف فقال الشعبي لابراهيم لا تقبل شهادته فقال لأني لا أدري تاب أم لا * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عبد الله بن المبارك عن مجالد عن الشعبي عن مسروق قال تقبل شهادته اذا تاب * قال ثنا عبد الله بن المبارك عن يعقوب بن القعقاع عن محمد بن زيد عن سعيد بن جبير مثله * قال ثنا عبد الله بن المبارك عن ابن جريج عن عمران بن موسى قال شهدت عمر بن عبد العزيز أجاز شهادة القاذف ومعه رجل حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم قال قال الشعبي اذا تاب جازت شهادته قال ابن المثنى قال عندي يعني في القذف حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا معمر عن عمران بن عمير أن عبد الله بن عتبة كان يجيز شهادة القاذف اذا تاب حدثني يعقوب قال ثنى هشيم عن جويبر عن الضحاك قال اذا تاب وأصلح قبلت شهادته يعني القاذف حدثنا ابن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن ثور عن معمر عن قتادة عن ابن المسيب قال تقبل شهادة القاذف اذا تاب حدثنا الحسن قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن ابن المسيب مثله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد عن معمر قال قال الزهري اذا حد القاذف فانه ينبغي للامام أن يستتيبه فان تاب قبلت شهادته والا لم تقبل قال كذلك فعل عمر بن الخطاب بالذين شهدوا على المغيرة بن شعبة فتابوا الا أبا بكرة فكان لا تقبل شهادته * وقال آخرون الاستثناء في ذلك من قوله وأولئك هم الفاسقون وأما قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا فقد وصل بالأبد ولا يجوز قبولها أبدا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن أبي الشوارب قال ثنا يزيد ابن زريع قال ثنا أشعث بن سوار قال ثنا الشعبي قال كان شريح يجيز شهادة صاحب كل عمل اذا تاب الا القاذف فان توبته فيما بينه وبين ربه ولا تجيز شهادته حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد قال ثنا أشعث بن سوار قال ثنا الشعبي عن شريح بنحوه غير أنه قال صاحب كل حد اذا كان عدلا يوم شهد حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن ابراهيم عن شريح قال كان لا يجيز شهادة القاذف ويقول توبته فيما بينه وبين ربه حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس عن مطرف عن أبي عثمان عن شريح في القاذف يقبل الله توبته ولا أقبل شهادته حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا أشعث

الجلد حد القذف ثمانون جلدة ولا تقبل شهادته ابدا ولو تاب ولا يسقط عنه الحد بالتوبة وهو قول مالك والشافعي واحمد واسحاق وابي ثور وابي عبيد وداود وابن جرير وروي عن عمر بن عبد العزيز وعن الحسن وابن سيرين والزهري وعطاء وعكرمة وابن ابي ليلى وابي يوسف ومحمد بن الحسن ان القاذف اذا تاب قبلت شهادته وسقط عنه الحد بالتوبة وهو قول ابي حنيفة وقال ابو حنيفة ان كان القاذف عبدا او كافرا او مجنونا او صبيا ثم حد في حال من هذه الاحوال ثم تاب بعد ذلك قبلت شهادته لان هذه الحال لا تصلح لاقامة الحد عليه فلا يكون ما فعل فيها حدا وان كان حد في حال يصلح لاقامة الحد عليه ثم تاب بعد ذلك لم تقبل شهادته لان ما فعل فيها حد وهذا قول مخالف للكتاب والسنة واجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء المسلمين وقد ذكرنا حجة كل فريق في الكتاب الكبير وبالله التوفيق

(٣) عمة حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا ابن أبي عمة قال ثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن سليمن بن يسار والشعبي قالا اذا تاب القاذف عند الجلد جازت شهادته حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة أن عمر بن عبد الله بن أبي طلحة جلد رجلا في قذف فقال أكذب نفسك حتى تجوز شهادتك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي الهيثم قال سمعت ابراهيم والشعبي يتذاكران شهادة القاذف فقال الشعبي لابراهيم لا تقبل شهادته فقال لأني لا أدري تاب أم لا * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عبد الله بن المبارك عن مجالد عن الشعبي عن مسروق قال تقبل شهادته اذا تاب * قال ثنا عبد الله بن المبارك عن يعقوب بن القعقاع عن محمد بن زيد عن سعيد بن جبير مثله * قال ثنا عبد الله بن المبارك عن ابن جريج عن عمران بن موسى قال شهدت عمر بن عبد العزيز أجاز شهادة القاذف ومعه رجل حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم قال قال الشعبي اذا تاب جازت شهادته قال ابن المثنى قال عندي يعني في القذف حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا معمر عن عمران بن عمير أن عبد الله بن عتبة كان يجيز شهادة القاذف اذا تاب حدثني يعقوب قال ثنى هشيم عن جويبر عن الضحاك قال اذا تاب وأصلح قبلت شهادته يعني القاذف حدثنا ابن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن ثور عن معمر عن قتادة عن ابن المسيب قال تقبل شهادة القاذف اذا تاب حدثنا الحسن قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن ابن المسيب مثله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد عن معمر قال قال الزهري اذا حد القاذف فانه ينبغي للامام أن يستتيبه فان تاب قبلت شهادته والا لم تقبل قال كذلك فعل عمر بن الخطاب بالذين شهدوا على المغيرة بن شعبة فتابوا الا أبا بكرة فكان لا تقبل شهادته * وقال آخرون الاستثناء في ذلك من قوله وأولئك هم الفاسقون وأما قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا فقد وصل بالأبد ولا يجوز قبولها أبدا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن أبي الشوارب قال ثنا يزيد ابن زريع قال ثنا أشعث بن سوار قال ثنا الشعبي قال كان شريح يجيز شهادة صاحب كل عمل اذا تاب الا القاذف فان توبته فيما بينه وبين ربه ولا تجيز شهادته حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد قال ثنا أشعث بن سوار قال ثنا الشعبي عن شريح بنحوه غير أنه قال صاحب كل حد اذا كان عدلا يوم شهد حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن ابراهيم عن شريح قال كان لا يجيز شهادة القاذف ويقول توبته فيما بينه وبين ربه حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس عن مطرف عن أبي عثمان عن شريح في القاذف يقبل الله توبته ولا أقبل شهادته حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا أشعث

شهادتك حتى تجوز شهادتك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي الهيثم قال سمعت ابراهيم والشعبي يتذاكران شهادة القاذف فقال الشعبي لابراهيم لا تقبل شهادته فقال لأني لا أدري تاب أم لا * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عبد الله بن المبارك عن مجالد عن الشعبي عن مسروق قال تقبل شهادته اذا تاب * قال ثنا عبد الله بن المبارك عن يعقوب بن القعقاع عن محمد بن زيد عن سعيد بن جبير مثله * قال ثنا عبد الله بن المبارك عن ابن جريج عن عمران بن موسى قال شهدت عمر بن عبد العزيز أجاز شهادة القاذف ومعه رجل حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم قال قال الشعبي اذا تاب جازت شهادته قال ابن المثنى قال عندي يعني في القذف حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا معمر عن عمران بن عمير أن عبد الله بن عتبة كان يجيز شهادة القاذف اذا تاب حدثني يعقوب قال ثنى هشيم عن جويبر عن الضحاك قال اذا تاب وأصلح قبلت شهادته يعني القاذف حدثنا ابن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن ثور عن معمر عن قتادة عن ابن المسيب قال تقبل شهادة القاذف اذا تاب حدثنا الحسن قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن ابن المسيب مثله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد عن معمر قال قال الزهري اذا حد القاذف فانه ينبغي للامام أن يستتيبه فان تاب قبلت شهادته والا لم تقبل قال كذلك فعل عمر بن الخطاب بالذين شهدوا على المغيرة بن شعبة فتابوا الا أبا بكرة فكان لا تقبل شهادته * وقال آخرون الاستثناء في ذلك من قوله وأولئك هم الفاسقون وأما قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا فقد وصل بالأبد ولا يجوز قبولها أبدا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن أبي الشوارب قال ثنا يزيد ابن زريع قال ثنا أشعث بن سوار قال ثنا الشعبي قال كان شريح يجيز شهادة صاحب كل عمل اذا تاب الا القاذف فان توبته فيما بينه وبين ربه ولا تجيز شهادته حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد قال ثنا أشعث بن سوار قال ثنا الشعبي عن شريح بنحوه غير أنه قال صاحب كل حد اذا كان عدلا يوم شهد حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن ابراهيم عن شريح قال كان لا يجيز شهادة القاذف ويقول توبته فيما بينه وبين ربه حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس عن مطرف عن أبي عثمان عن شريح في القاذف يقبل الله توبته ولا أقبل شهادته حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا أشعث

ثم حد في حال من هذه الاحوال ثم تاب بعد ذلك لم تقبل شهادته لان ما فعل فيها حد وهذا قول مخالف للكتاب والسنة واجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء المسلمين وقد ذكرنا حجة كل فريق في الكتاب الكبير وبالله التوفيق

ترون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم ۞ القراآت كبره بضم الكاف يعقوب اذ سمعتموه وبابه مدغما أبو عمرو وعلي وهشام وحمزة غير خلف ورجاء والعجلي اذ تلقونه بالاظهار وتشديد التاء البزي وابن فليح ولا يتألى من التألي يزيد ماز كى بالتشديد والامالة روح وقرأ قنبل بمالة مخففة يوم يشهد على التذكير حمزة وعلي وخلف والباقون بتاء ۞ الوقوف عصبة منكم ط شر لكم ط خير لكم ط من الاثم ج لتنوع عدول من اجمال حكم الكل الى بيان حكم البعض مع اتفاق الجملتين عظيم ○ خيرا لا للعطف مبين ○ شهداء ج للشرط معنى مع الفاء الكاذبون ○ عظيم ج لاحتمال أن يكون اذ ظرف قوله لمسكم أو أفضتم واحتمال كونه منصوبا باذكروا وبهذا قد قيل الوصل ألزم لأن قوله سبحانك من جملة مفعول قلتم عظيم ○ مؤمنين ○ ج لاتفاق الجملتين مع تكرار اسم الله دون الاكتفاء بالضمير وأنها آية الآيات ط حكيم ○ أليم ○ لا لتعلق الظرف والآخرة ط لا تعلمون ○ رحيم ○ خطوات الشيطان ط والمنكر ط أبدا لا لتعلق لكن من يشاء ط عليم ○ في سبيل الله ط والوصل أولى للعطف وليصفحوا ط لكم ط رحيم ○ والآخرة ص عظيم ○ لا لتعلق الظرف يعملون ○ المبين ○ للخبيثات ج للعطف مع التضاد للطيبات ○ ج لاتحاد المعنى مع فقدان العاطف يقولون ط كريم ○ ۞ التفسير انه سبحانه لما ذكر من أحكام القذف ما ذكر أتبعها حديث إفك عائشة الصديقة وما قذفها به أهل النفاق روى الزهري عن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن أبي وقاص وكلهم رووا عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج اسمها خرج بها معه فأقرع بيننا في غزوة قال الزهري هي غزوة المريسيع وذكره البخاري في غزوة بني المصطلق من خزاعة قال وهي غزوة المريسيع أيضا خرج اسمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرف وقربنا من المدينة نزل منزلا ثم أذن بالرحيل فقمت حين أذنوا بالرحيل ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني وأقبلت الى رحلي لمست صدري فاذا عقد لي من جزع أظفار قد انقطع فرجعت والتمست عقدي وحبسني

عن الشعبي قال أتاه خصمان فجاء أحدهما بشاهد أقطع فقال الخصم ألا ترى ما به قال فما ر
قال فسأل القوم فأثنوا عليه خيرا فقال شريح تجوز شهادة كل صاحب حد إذا كان يوم شهد
الا القاذف فان توبته فيما بينه وبين ربه **حدثنا** أبو السائب قال ثنا ابن ادريس قال أخ
أشعث عن الشعبي قال جاء خصمان الى شريح فجاء أحدهما بشاهد أقطع فقال الخ
ألا ترى الى ما به فقال شريح قد رأيناه وقد سألنا القوم فأثنوا خيرا ثم ذكر سائر الحديث نحو حدي
أبي كريب **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا الشيباني عن الشعبي عن شري
أنه كان يقول لا تقبل له شهادة أبدا توبته فيما بينه وبين ربه يعني القاذف * قال ثنا هش
قال أخبرنا الأشعث عن الشعبي بأن رباحا قطع رجلا في قطع الطريق قال فقطع يده ورجله ثم
ثم تاب وأصلح فشهد عند شريح فأجاز شهادته قال فقال المشهود عليه أتجيز شهادته على وهو
قال فقال شريح كل صاحب حد إذا أقيم عليه ثم تاب وأصلح فشهادته جائزة الا القاذف **حد**
ابن المثنى قال ثنا أبو الوليد قال ثنا شعبة قال المغيرة أخبرني قال سمعت ابراهيم يحد
عن شريح قال قضاء من الله لا تقبل شهادته أبدا توبته فيما بينه وبين ربه قال أبو موسى يعني
القاذف **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم قال قال شري
لا يقبل الله شهادته أبدا **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا أبو الوليد قال ثنا حماد عن قتادة
سعيد بن المسيب قال لا تجوز شهادة القاذف توبته فيما بينه وبين الله **حدثنا** ابن بشار قا
ثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن أنه قال القاذف توبته فيما بي
وبين الله وشهادته لا تقبل(١) **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا أبو الوليد قال ثنا حماد ع
قتادة عن سعيد بن المسيب قال لا تجوز شهادة القاذف توبته فيما بينه وبين الله **حدثنا** ا
بشار قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن أنه قال القاذف توبته ف
بينه وبين الله وشهادته لا تقبل **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شع
عن الحكم عن ابراهيم أنه قال في الرجل يجلد الحد قال لا تجوز شهادته أبدا **حدثني** يعقو
قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم أنه كان لا يقبل له شهادة أبدا وتوبته فيما بينه و
الله يعني القاذف **حدثنا** أبو كريب قال ثنا معتمر بن سليمان عن حجاج عن عمرو بن مر
عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تجوز شهادة محدود في الاسلام **حدثنا** ا
عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا قال كان يقو
لا تقبل شهادة القاذف أبدا انما توبته فيما بينه وبين الله وكان شريح يقول لا تقبل شهادته **حدث**
علي قال ثنا عبد الله عن علي عن ابن عباس قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ثم قال فمن تاب وأص
فشهادته في كتاب الله تقبل * والصواب من القول في ذلك عندنا أن الاستثناء من المعنيين جم

(١) كذا في الأصل هذا الأثر والذي بعده ويظهر أنهما مكرران فتأمل كتبه مصححه

ملبه وأقبل الرهط الذين كانوا يحملون فحملوا هودجي وهم يحسبون أني فيه فلقيني فاني كنت جارية حديثة السن وذهبوا بالبعير
رجعت الى مكاني وليس به أحد جلست وقلت يعودون في طلبي فنمت وقد كان صفوان بن المعطل يكث في العسكر يتبع أمتعة الناس فجا
الى المنزل الآخر فلا يذهب منهم شيء فلما رآني عرفني وقال ما خلفك عن الناس فأخبرته الخبر فنزل وتنحى حتى ركبت ثم قاد البعير وانطل
الناس حين نزلوا وخاض الناس في ذكري (٦٣) فبيناهم في ذلك اذ هجمت عليهم فتكلم القوم في وقدم رسول الله صلى الله عليه
المدينة ومكثت شهرا أشتكي ولا يرقأ لي دمع أقول كما يقول العبد الصالح أبو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون الى أن نزل في ان الذين جاؤا بالافك الى آخر الآيات وفي الحديث طول هذا حاصل سبب النزول وأما التفسير فالافك أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان والعصبة الجماعة من العشرة الى الأربعين والتركيب يدل على الاجتماع ومنه العصابة قال المفسرون هم عبد الله بن أبي رأس النفاق وزيد ابن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم ومعنى (منكم) أنهم كانوا من جملة من حكم لهم بالايمان ظاهرا أما الخطاب في قوله (لا تحسبوه شرا لكم) فالصحيح أنه لمن ساء ذلك من المؤمنين وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعائشة وصفوان ومعنى كونه خيرا لهم أنهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم على قدر عظم البلاء وأنه نزلت فيه بضع عشرة آية فيها تعظيم شأن الرسول صلى الله عليه وسلم وتسلية له وتنزيه لأم المؤمنين وتطهير لأهل البيت وتهويل للطاعنين فيهم الى غير ذلك من الأحكام الشرعية والآداب العقلية وقيل الخطاب لعائشة وحدها والجمع لتعظيمها وقيل الخطاب للقاذفين وبيان الخيرية صرفهم عن الاستمرار على حديث الافك الى التوبة عن ذلك

أعني

ولعل في هذا الذكر عقوبة معجلة لهم فيكون في هذا القول الكفارة وضعف هذا القول بأنه لا يناسب تسلية الرسول والمؤمنين ولا يطابق
(لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم) أي بسبب كل خائض في حديث الافك ما يصيبه من عقاب ما اكتسب من اثم الخوض (والذي
كبره) أي معظم الافك وهو في قول الفضلاء حسان ومسطح ولهذا جلدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم مع امرأة من قريش والأنص

ينوب عن تزويج السيد أما قوله (ان يكونوا فقراء) فالأصح أن هذا ليس وعدا من الله تعالى باغناء من يتزوج حتى لا يجوز أن يقع فيه خلف فرب غنى يفقره النكاح ولكن المعنى لا تنظروا الى فقر من يخطب اليكم ففى فضل الله ما يغنيهم والمال غاد ورائح على أن مثل هذا الوعد قد جاء مشروطا بالمشيئة فى قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء فالمطلق محمول على المقيد وقيل أراد بالغنى نفس العفاف بتلك الضيعة الذى يغنيه عن الوقوع فى الزنا وعن طائفة من الصحابة أن هذا وعد وعن أبى بكر قال أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى وعن ابن عباس التمسوا الرزق بالنكاح ونكا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحاجة فقال عليك بالباءة وقد يستدل بالآية على أن العبد والأمة يملكان والا لم يتصور فقرهما وغناهما والمفسرون قالوا الضمير عائد الى الاحرار خاصة وهم الايامى وان فسر الغنى بالعفاف فلا بعد فى رجوعه الى الكل (والله واسع) افضاله ولكنه (عليم) يبسط الرزق كما يريد وعلى ما ينبغى وفيه اشارة الى قيد المشيئة فى الوعد المذكور ثم ذكر حال العاجزين عن القيام بمؤن النكاح بقوله (وليستعفف) أى ليطلب العفة من نفسه والمضاف محذوف أى لا يجدون استطاعة نكاح ولا يقدرون عليه أو النكاح يراد به ما ينكح بوساطته وهو المال ولا محذوف وفى قوله (حتى يغنيهم) نوع تأميل للمستعففين وفيه أن فضله من أهل الصلاح والعفاف قريب

* الحكم السابع المكاتبة وحين رغب السادة فى تزويج الصالحين من العبيد والاماء أرشدهم الى الطريق الذى به ينخرط العبيد فى سلك الاحرار مع عدم الاضرار بالسادة فقال (والذين يبتغون) ومحله اما رفع والخبر فكاتبوهم والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط واما نصب بفعل مضمر تفسيره فكاتبوهم والفاء للايذان بتلازم ما قبلها وما بعدها كقوله ورب فكبر والكتاب والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة والتركيب يدل على الضم والجمع لما فيه من ضم النجوم بعضها الى بعض وقال الازهرى هو من الكتابة ومعناه كتبت لك على نفسى أن تعتق منى اذا وفيت المال وكتبت لى

ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم واليوم الذى فى قوله يوم تشهد عليهم من صلة قوله ولهم عذاب عظيم وعنى بقوله يوم تشهد عليهم ألسنتهم يوم القيامة وذلك حين يجحد أحدهم ما اكتسب فى الدنيا من الذنوب عند تقرير الله اياه بها فيختم الله على أفواههم وتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فان قال قائل وكيف تشهد عليهم ألسنتهم حين يختم على أفواههم قيل عنى بذلك أن ألسنة بعضهم تشهد على بعض لا أن ألسنتهم تنطق وقد ختم على الأفواه وقد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا عمرو عن درّاج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فجحد وناصم فيقال له هؤلاء جيرانك يشهدون عليك فيقول كذبوا فيقول أهلك وعشيرتك فيقول كذبوا فيقول أتحلفون فيحلفون ثم يصمتهم الله وتشهد ألسنتهم ثم يدخلهم النار ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾ يقول تعالى ذكره يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يوفيهم الله حسابهم وجزاءهم الحق على أعمالهم والدين فى هذا الموضع الحساب والجزاء كما حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق يقول حسابهم * واختلفت القراء فى قراءة قوله الحق فقرأته عامة قراء الأمصار دينهم الحق نصبا على النعت للدين كأنه قال يوفيهم الله ثواب أعمالهم حقائم أدخل فى الحق الألف واللام فنصبه بما نصب به الدين وذكر عن مجاهد أنه قرأ ذلك يوفيهم الله دينهم الحق برفع الحق على أنه من نعت الله حدثنا بذلك أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا يزيد عن حرير ابن حازم عن حميد عن مجاهد أنه قرأها الحق بالرفع قال حرير وقرأتها فى مصحف أبى بن كعب يوفيهم الله الحق دينهم والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار وهو نصب الحق على اتباعه اعراب الدين لاجماع الحجة عليه وقوله ويعلمون أن الله هو الحق المبين يقول ويعلمون يومئذ أن الله هو الحق الذى يبين لهم حقائق ما كان يعدهم فى الدنيا من العذاب ويزول حينئذ الشك فيه عن أهل النفاق الذين كانوا فيما كان يعدهم فى الدنيا يمترون ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول والطيبات من القول للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من القول ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات يقول الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول وقوله والطيبات للطيبين يقول الطيبات من القول للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من القول نزلت فى الذين قالوا فى زوجة النبى صلى الله عليه وسلم ما قالوا من البهتان ويقال الخبيثات للخبيثين الأعمال الخبيثة تكون للخبيثين والطيبات من الاعمال

فيه شهوة النفس والعبادة فيها مشقة النفس والاقبال على الله تعالى فأيّ أحدهما من الآخر ولو كان النكاح مساويا للنوافل فى الثواب لم تكن النوافل مشروعة لان الطريق المؤدى الى المطلوب مع بقاء اللذة وعدم التعب أولى بالسلوك وان كان الاشتغال بالنكاح أولى من النافلة لانه سبب لبقاء الاشخاص ونظام العالم فالاشتغال بالزراعة أيضا أولى من النافلة للعلة المذكورة وقد وقع الاجماع على أن واجب العبادة مقدم على واجب النكاح فكذا مندوبها على مندوبه لاتحاد السبب وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا أتى على أمتى مائة وخمسون سنة فقد حلت لهم العزبة والعزلة والترهب على رؤس الجبال وعنه صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان لا تنال المعيشة فيه الا بالمعصية فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة حجة أبى حنيفة أن النكاح يتضمن صون النفس من ضرر الزنا ودفع الضرر أهم من جلب النفع وأيضا النكاح يتضمن العدل وقد ورد فى الحديث لعدل ساعة خير من عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه وسلم النكاح سنتى وقال فى الصلاة انها خير موضوع فمن شاء فليستكثر ومن شاء فليستقل ثم ان الايامى جمع مستغرق لكنهم أجمعوا على أنه لابد من شروط ذكرنا بعضها فى سورة النساء فى قوله وأحل لكم ماوراء ذلكم ومعنى منكم أى من حرائركم قاله كثير من المفسرين لان حكم العبيد والاماء يعقب ذلك ومنهم من قال أراد من يكون تحت ولاية المأمور من الولد والقريب ومنهم من قال الاضافة لا تفسد الحرية والاسلام ثم أمر السادة أن يزوجوا أرقاءهم الصالحين واتفقوا على أنه للاباحة والترغيب لان فى تزويج العبد التزام مؤنة زوجته وتعطل خدمته واستفادة المهر وسقوط النفقة فى تزويج الامة ليس قبوله بلازم على السيد أيضا وتخصيص الصالحين بالذكر عناية من الله بحالهم ليتحصن دينهم ويتحفظ عليهم صلاحهم وأيضا الصالحون من الارقاء هم الذين يشفق عليهم موالهم ويهتمون بشأنهم حتى ينزلوهم منزلة الاولاد ويجوز أن يراد بالصلاح القيام بحقوق النكاح ومن جملة ذلك أن لا يكون فى غاية الصغر بحيث لا يحتاج الى النكاح واذن السيد لهم أن يزوجوا أنفسهم

سائر النساء غيرهن ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات الآية أزواج النبى صلى الله عليه وسلم خاصة ۞ وقال آخرون نزلت هذه الآية فى شأن عائشة وعنى بها كل من كان بالصفة التى وصف الله فى هذه الآية قالوا فذلك حكم كل من رمى محصنة لم تقارف سوأ ذكر من قال ذلك حدثنا على بن سهل قال ثنا زيد عن جعفر بن برقان قال سألت ميمونا قلت الذى ذكر الله الذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء الى قوله الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم فجعل فى هذه توبة وقال فى الاخرى ان الذين يرمون المحصنات الغافلات الى قوله لهم عذاب عظيم قال ميمون أما الأولى فعسى أن تكون قد قارفت وأما هذه فهى التى لم تقارف شيأ من ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام بن حوشب عن شيخ من بنى أسد عن ابن عباس قال فسر سورة النور فلما أتى على هذه الآية ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات الآية قال هذا فى شأن عائشة وأزواج النبى صلى الله عليه وسلم وهى مبهمة وليست لهم توبة ثم قرأ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء الى قوله الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا الآية قال فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لمن قذف أولئك توبة قال فهم بعض القوم أن يقوم اليه فيقبل رأسه من حسن ما فسر سورة النور حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم قال هذا فى عائشة ومن صنع هذا اليوم فى المسلمات فله ما قال الله ولكن عائشة كانت إمام ذلك ۞ وقال آخرون نزلت هذه الآية فى أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فكان ذلك كذلك حتى نزلت الآية التى فى أول السورة فأوجب الجلد وقبل التوبة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنا أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات الى عذاب عظيم يعنى أزواج النبى صلى الله عليه وسلم رماهن أهل النفاق فأوجب الله لهم اللعنة والغضب وباؤا بسخط من الله وكان ذلك فى أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد ذلك والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء الى قوله فان الله غفور رحيم فأنزل الله الجلد والتوبة فالتوبة تقبل والشهادة ترد ۞ وأولى هذه الاقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال نزلت هذه الآية فى شأن عائشة والحكم بها عام فى كل من كان بالصفة التى وصفها الله بها فيها وانما قلنا ذلك أولى تأويلاته بالصواب لأن الله عم بقوله ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات كل محصنة غافلة مؤمنة رماها رام بالفاحشة من غير أن يخص بذلك بعضا دون بعض فكل رام محصنة بالصفة التى ذكر الله جل ثناؤه فى هذه الآية ملعون فى الدنيا والآخرة وله عذاب عظيم الا أن يتوب من ذنبه ذلك قبل وفاته فان الله دل باستثنائه بقوله الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا على أن ذلك حكم راجع كل محصنة بأى صفة كانت المحصنة المؤمنة المرمية وعلى أن قوله لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم معناه لهم ذلك ان هلكوا ولم يتوبوا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى يوم تشهد عليهم

كقوله صلى الله عليه وسلم النكاح سنتي وكقوله صلى الله عليه وسلم من أحب فطرتي فليستن بسنتي وهي النكاح وقد أجمعوا على أن الأيم الثيب لو أبت التزويج لم يكن للولي اجبارها عليه واتفقوا على أن السيد لا يجبر على تزويج عبده أو أمته ثم قد يجب في بعض الصور كما اذا التمست التزويج من الولي فعليه الاجابة (٨٣) اذا كان الخاطب كفؤا استدل الشافعي بعموم الآية على جواز تزويج البكر البالغة

لا أنزعها منه أبدا **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة يقول لا تقسموا أن لا تنفعوا أحدا **حدثني** محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة الى آخر الآية قال كان ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رموا عائشة بالقبيح وأفشوا ذلك وتكلموا به فأقسم ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم أبو بكر أن لا يتصدق على رجل تكلم بشيء من هذا ولا يصله فقال لا يقسم أولوا الفضل منكم والسعة أن يصلوا أرحامهم وأن يعطوهم من أموالهم كالذي كانوا يفعلون قبل ذلك فأمر الله أن يغفر لهم وأن يعفي عنهم **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة لما أنزل الله تعالى ذكره عذر عائشة من السماء قال أبو بكر وآخرون من المسلمين والله لا نصل رجلا منهم بشيء من شأن عائشة ولا ننفعه فأنزل الله ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة يقول ولا يحلف **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى قال كان مسطح ذا قرابة والمساكين قال كان مسكينا والمهاجرين في سبيل الله كان بدريا **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة قال أبو بكر حلف أن لا ينفع بنفعا في خير كان أشاع ذلك فما زلت هذه الآية قال بلى أنا أحب أن يغفر الله لي فلا أكون لليتيم خيرا مما كنت له قط ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين يرمون بالفاحشة المحصنات يعني العفيفات الغافلات عن الفواحش المؤمنات بالله ورسوله وما جاء به من عند الله لعنوا في الدنيا والآخرة يقول أبعدوا من رحمة الله في الدنيا والآخرة ولهم في الآخرة عذاب عظيم وذلك عذاب جهنم واختلف أهل التأويل في المحصنات اللاتي عنى الله بهذا الحكم فقال بعضهم انما ذلك لعائشة خاصة وحكم من الله فيها وفيمن رماها دون سائر نساء أمة نبينا صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن أبي الشوارب قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا خصيف قال قلت لسعيد بن جبير الزنا أشد أم قذف المحصنة فقال الزنا فقلت أليس يقول الله ان الذين يرمون المحصنات الآية قال سعيد انما كان هذا لعائشة خاصة **حدثنا** أحمد بن عبد الضبي قال ثنا أبو عوانة عن عمر ابن أبي سلمة عن أبيه قال قالت عائشة رميت بما رميت به وأنا غافلة فبلغني بعد ذلك قالت فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم عندي جالس اذ أوحي اليه وكان اذا أوحي اليه أخذه كهيئة السبات وانه أوحي اليه وهو جالس عندي ثم استوى جالسا يمسح عن وجهه وقال يا عائشة أبشري قالت فقلت بحمد الله لا بحمدك فقرأ ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات حتى بلغ أولئك مبرؤون مما يقولون ◦ وقال آخرون بل ذلك لأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة دون

لعبادة الله تعالى وقال أبو حنيفة النكاح أفضل حجة الشافعي أنه تعالى مدح يحيى بقوله وسيدا وحصورا والحصور ساتر الذي لا يأتي النساء مع القدرة عليهن وقال النبي صلى الله عليه وسلم أفضل أعمالكم الصلاة وقال أفضل أعمال أمتي قراءة القرآن وقال أحب المباحات الى الله تعالى النكاح والمباح ما استوى طرفاه والمندوب ما ترجح فعله ولو كان النكاح عبادة لم يصح من الكافر والنكاح

بين يدى هؤلاء فى درع وخمار صفيق بغير مجلغة ولا يحل لهؤلاء أن يروا منها شعرا ولا بشرا ولا يصح للشابة أن تقوم بين يدى الغرب حتى تلبس الجلباب فهذا ضبط هذه المراتب ثم علمهن أدبا آخر جميلا بقوله (ولا يضربن بأرجلهن) قال ابن عباس كانت المرأة تضرب الارض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال وقيل كانت تضرب باحدى رجليها الاخرى ليعلم أنها (٨١) ذات خلخالين وفى النهى عن اظهار صوت

ماز كى منكم من أحد أبدا قال ماز كى ما أسلم وقال كل شئ فى القرآن من زكى أو تزكى فهو الاسلام وقوله والله سميع عليم يقول والله سميع لما تقولون بأفواهكم وتلفظونه بألسنتكم وغير ذلك من كلامكم عليم بذلك كله وبغيره من أموركم محيط به محصيه عليكم ليجازيكم بكل ذلك

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾ يقول تعالى ذكره ولا يحلف بالله ذوو الفضل منكم يعنى ذوى التفضل والسعة يقول وذوو الجدة واختلف القراء فى قراءة قوله ولا يأتل فقرأته عامة قراء الامصار ولا يأتل بمعنى يفتعل من الالية وهى القسم بالله سوى أبى جعفر وزيد بن أسلم فانه ذكر عنهما أنهما قرآ ذلك ولا يتأل بمعنى يتفعل من الالية * والصواب من القراءة فى ذلك عندى قراءة من قرأ ولا يأتل بمعنى يفتعل من الالية وذلك أن ذلك فى خط المصحف كذلك والقراءة الاخرى مخالفة خط المصحف فاتباع المصحف مع قراءة جماعة القراء وصحة المقروء به أولى من خلاف ذلك كله وانما عنى بذلك أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى حلفه بالله لا ينفق على مسطح فقال جل ثناؤه ولا يحلف من كان ذا فضل من مال وسعة منكم أيها المؤمنون بالله أن لا يعطوا ذوى قرابتهم فيصلوا به أرحامهم كمسطح وهو ابن خالة أبى بكر والمساكين يقول وذوى خلة الحاجة وكان مسطح منهم لأنه كان فقيرا محتاجا والمهاجرين فى سبيل الله وهم الذين هاجروا ديارهم وأموالهم فى جهاد أعداء الله وكان مسطح منهم لأنه كان ممن هاجر من مكة الى المدينة وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وليعفوا يقول وليعفوا عما كان منهم اليهم من جرم وذلك كجرم مسطح الى أبى بكر فى اشاعته على ابنته عائشة ما أشاع من الافك وليصفحوا يقول وليتركوا عقوبتهم على ذلك بجرمانهم ما كانوا يؤتونهم قبل ذلك ولكن ليعودوا لهم الى مثل الذى كانوا (٣) لهم عليه من الافضال عليهم ألا تحبون أن يغفر الله لكم يقول ألا تحبون أن يستر الله عليكم ذنوبكم بافضالكم عليهم فيترك عقوبتكم عليها والله غفور لذنوب من أطاعه واتبع أمره رحيم بهم أن يعذبهم مع اتباعهم أمره وطاعتهم اياه على ما كان لهم من زلة وهفوة قد استغفر وممنها وتابوا اليه من فعلها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الزهرى عن علقمة بن وقاص الليثى وعن سعيد بن المسيب وعن عروة بن الزبير وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة * قال وثنى ابن اسحق قال ثنا يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة * قال وثنى ابن اسحق قال ثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة قالت لما نزل هذا يعنى قوله ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم فى عائشة وفيمن قال لها ما قال قال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته وحاجته والله لا أنفق على مسطح شيأ أبدا ولا أنفعه بنفع أبدا بعد الذى قال لعائشة ما قال وأدخل عليها ما أدخل قالت فأنزل الله فى ذلك ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة الآية قالت فقال أبو بكر والله انى لأحب أن يغفر الله لى فرجع الى مسطح نفقته التى كان ينفق عليه وقال والله

الحلى بعد نهيهن عن اظهار الحلى مبالغة فوق مبالغة ليعلم أن كل ما يجر الى الفتنة يجب الاحتراز عنه فان الرجل الذى تغلب عليه الشهوة اذا سمع صوت الخلخال يصير ذلك داعيا له الى مشاهدتهن ومنه يعلم وجوب اخفاء صوتهن اذا لم يؤمن الفتنة ولهذا كرهوا أذان النساء ثم ختم الآية بالامر بالدوام على التوبة والاستغفار لان الانسان خلق ضعيفا لا يكاد يقدر على رعاية الاوامر والنواهى كما يجب قال العلماء ان من أذنب ذنبا ثم تاب عنه لزمه كلما ذكر أن يجدد عنه التوبة لانه يلزمه أن يستمر على ندمه وعزمه الى أن يلقى ربه عز وجل وعن ابن عباس أراد توبوا مما كنتم تفعلونه فى الجاهلية لعلكم تسعدون فى الدنيا والآخرة قال جار الله من قرأ أيه المؤمنون بضم الهاء فوجهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف لالتقاء الساكنين أتبعت حركتها حركة ما قبلها الحكم السادس النكاح وذلك أنه حين أمر بغض الأبصار وحفظ الفروج أرشد بعد ذلك الى طريق الحل فيما تدعو اليه الشهوة وأصل الايامى أيايم فقلب الواحد أيم بتشديد الياء وينتظم الرجل والمرأة قال النضر بن شميل الايم فى كلام العرب كل ذكر لا أنثى معه وكل أنثى لا ذكر معها وهو قول ابن عباس فى رواية الضحاك

(١١ - (ابن جرير) - ثامن عشر)

يقول زوجوا أياما كم بعضهم من بعض وقد آم وآمت وتأيما اذا لم يتزوجا بكرين كانا أو ثيبين قال فان تنكحى أنكح وان تتأيمى * وان كنت أفتى منكم أتأيم وظاهر الامر الوجوب الا أن الجمهور حملوه على الندب لانه لو كان واجبا لشاع فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وانتشر ولوا نتشر لنقل لعموم الحاجة اليه وقد ورد فى الاخبار التصريح بكونه سنة

وهو قول أبي حنيفة اذ ليس ملكها العبد كملكه للامة فلا خلاف أنها لا تستبيح بملك العبد شيأ من التمتع منه كما يملك الرجل من الامة وتحريم زوج العبد لمولاته عارض غير مؤبد كمن عنده أربع نسوة لا يجوز له التزوج بغيرهن فلما لم تكن هذه الحرمة مؤبدة كان العبد بمنزلة سائر الاجانب خصيا كان العبد أو فحلا (٨٠) وأورد على هذا القول لزوم التكرار ضرورة أن الاماء من جملة نسائهن وأجيب بأنه

أراد بالنساء الحرائر كما أراد بالرجال الاحرار في قوله شهيدين من رجالكم الحادية عشرة قوله (أو التابعين غير أولي الاربة) وهي الحاجة وهم البله وأهل العنة الذين لا يعرفون شيأ من أمور النساء انما يتبعون الناس ليصيبوا من فضل طعامهم أو شيوخ صلحاء لا حاجة بهم الى النساء لعفة أو عنانة عن زينب بنت أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها مخنث فأقبل على أخي أم سلمة وقال يا عبد الله ان فتح الله لكم الطائف أدلك على بنت غيلان فانها تقبل بأربع وتدبر بثمان عني عكن بطنها فقال صلى الله عليه وسلم لا يدخلن عليكم هذا فأباح النبي صلى الله عليه وسلم دخول المخنث عليهن حين ظن أنه من غير أولي الاربة فلما علم أنه يعرف أحوال النساء وأوصافهن علم أنه من أولي الاربة فجعله الثانية عشرة قوله (أو الطفل) وهو جنس يقع على الواحد والجمع وهو المراد ههنا قال ابن قتيبة معنى (لم يظهروا) لم يطلعوا (على عورات النساء) والعورة سوأة الانسان وكل ما يستحيا منه وقال الفراء والزجاج هو من قولهم ظهر على كذا اذا قوى عليه أي لم يبلغوا أوان القدرة على الوطء فعلى الأول يجب الاحتجاب ممن ظهر فيه داعية الحكاية وعلى الثاني انما يجب الاحتجاب من المراهق الذي ظهرت فيه مبادي الشهوة قال الحسن هؤلاء الفرق وان اشتركوا في جواز رؤية الزينة الظاهرة فهم على أقسام ثلاثة فأولهم الزوج ماز كى

وله حرمة ليست لغيره يحل له كل شئ منها والثاني الاب والابن والاخ والجد وأبو الزوج وكل محرم من الرضاع أو النسب كل يحل لهم أن ينظروا الى الشعر والصدر والساقين والذراع وأشباه ذلك والثالث التابعون غير أولي الاربة وكذا المملوك لا بأس أن تقوم المرأة الشابة

وفرضه مما فرض عليهم من الافعال ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين يحبون أن يذيع الزنا في الذين صدقوا بالله ورسوله ويظهر ذلك فيهم لهم عذاب أليم يقول لهم عذاب وجيع في الدنيا بالحد الذي جعله الله حد الرامي المحصنات والمحصنين اذا رموهم بذلك وفي الآخرة عذاب جهنم ان مات مصرا على ذلك غير تائب كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله يحبون أن تشيع الفاحشة قال تظهر في شأن عائشة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم قال الخبيث عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق الذي أشاع على عائشة ما أشاع عليها من الفرية لهم عذاب أليم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أن تشيع الفاحشة قال تظهر يتحدث عن شأن عائشة وقوله والله يعلم وأنتم لا تعلمون يقول تعالى ذكره والله يعلم كذب الذين جاؤا بالافك من صدقهم وأنتم أيها الناس لا تعلمون ذلك لانكم لا تعلمون الغيب وانما يعلم ذلك علام الغيوب يقول فلا تروا ما لا علم لكم به من الافك على أهل الايمان بالله ولا سيما على حلائل رسول الله صلى الله عليه وسلم فتهلكوا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤف رحيم﴾ يقول تعالى ذكره ولولا أن الله تفضل عليكم أيها الناس ورحمكم وأن الله ذو رأفة ذو رحمة بخلقه لهلكتم فيما أفضتم فيه وعاجلتكم من الله العقوبة وترك ذكر الجواب لمعرفة السامع بالمراد من الكلام بعده وهو قوله يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان الآية ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا تسلكوا سبيل الشيطان وطرقه ولا تقتفوا آثاره باشاعتكم الفاحشة في الذين آمنوا واذاعتكموها فيهم ورواياتكم ذلك عمن جاءه فان الشيطان يأمر بالفحشاء وهي الزنا والمنكر من القول وقد بينا معنى الخطوات والفحشاء فيما مضى بشواهد ذلك عما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم﴾ يقول تعالى ذكره ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته لكم ما تطهر منكم من أحد أبدا من دنس ذنوبه وشركه ولكن الله يطهر من يشاء من خلقه ۞ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا يقول ما اهتدى منكم من الخلائق لشئ من الخير ينفع به نفسه ولم يتق شيأ من الشر يدفعه عن نفسه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته

فاختمرن فأصبحن كأن على رؤسهن الغربان تبين أن الزينة الخفية يحل ابداؤها لاثنتي عشرة فرقة الأولى بعولتهن أى أزواجهن والتاء لتأكيد الجمع كصقورة والثانية آباؤهن وان علوا من جهة الأب والأم الثالثة آباء بعولتهن وان علوا الرابعة أبناؤهن وان سفلوا الخامسة أبناء بعولتهن وان سفلوا أيضا السادسة اخوانهن سواء كانوا من الأب أو من الأم أو منهما السابعة بنو اخوانهن الثامنة بنو اخواتهن وحكم أولاد الاولاد حكم الاولاد فيهما وهؤلاء كلهم محارم وترك من المحارم العم والخال (٧٩) فعن الحسن البصرى أنهما كسائر المحارم

وقد روى عن العرب فى الواق الكذب الالق والالق بفتح الالف وكسرها ويقال فى فعلت منه ألفت فانا ألق وقال بعضهم

من لى بالمزر اليلامق * صاحب أدهان وألق آلق

والقراءة التى لا أستجيز غيرها اذ تلقونه على ما ذكرت من قراءة الأمصار لاجماع الحجة من القراء عليها * وبنحو الذى قلنا من التأويل فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد اذ تلقونه بألسنتكم قال ترونه بعضكم عن بعض حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد اذ تلقونه قال ترونه بعضكم عن بعض قوله وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم يقول تعالى ذكره وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم من الامر الذى ترونه فتقولون سمعنا أن عائشة فعلت كذا وكذا ولا تعلمون حقيقة ذلك ولا صحته وتحسبونه هينا وتظنون أن قولكم ذلك ورواياتكموه بألسنتكم وتلقيكموه بعضكم عن بعض هين سهل لا اثم عليكم فيه ولا حرج وهو عند الله عظيم يقول وتلقيكم ذلك كذلك وقولكموه بأفواهكم عند الله عظيم من الأمر لأنكم كنتم تؤذون به رسول الله صلى الله عليه وسلم وحليلته ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم ﴾ يقول تعالى ذكره فلولا أيها الخائضون فى الافك الذى جاءت به عصبة منكم اذ سمعتموه ممن جاء به قلتم ما يحل لنا أن نتكلم بهذا وما ينبغى لنا أن نتفوه به سبحانك هذا بهتان عظيم تنزيها لك يا رب وبراءة لك مما جاء به هؤلاء هذا بهتان عظيم يقول هذا القول بهتان عظيم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ﴾ يقول تعالى ذكره يذكركم الله وينهاكم بآى كتابه لئلا تعودوا لمثل فعلكم الذى فعلتموه فى أمر عائشة من تلقيكم الافك الذى روى عليها بألسنتكم وقولكم بافواهكم ما ليس لكم به علم فيها أبدا ان كنتم مؤمنين يقول ان كنتم تتعظون بعظات الله وتأتمرون لأمره وتنتهون عما نهاكم عنه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم قال والذى هو خير لنا من هذا أن الله أعلمنا هذا لكيلا نقع فيه لولا أن الله أعلمنا لهلكنا كما هلك القوم ان يقول الرجل أنا سمعته ولم أخترقه ولم أتقوله فكان خيرا حين أعلمناه الله لئلا ندخل فى مثله أبدا وهو عند الله عظيم وقوله ويبين الله لكم الآيات يفصل الله لكم حجه عليكم بأمره ونهيه لينيب المطيع له منكم من العاصى والله عليم بكم وبأفعالكم لا يخفى عليه شئ وهو مجاز المحسن منكم باحسانه والمسىء باساءته حكيم فى تدبير خلقه وتكليفه ما كلفهم من الاعمال

فى جواز النظر وقد ذكر البعض لتنبيه على الجملة ولهذا لم يذكر المحارم من الرضاع فى هذه الآية وكذا فى سورة الاحزاب قال لا جناح عليهن فى آبائهن الى آخر الآية ولم يذكر البعولة ولا أبناءهم وقال الشعبى انما لم يذكرهما الله تعالى لئلا يصفها العم عند ابنه والخال عند ابنه وذلك أن العم والخال يفارقان سائر المحارم فى أن أبناءهما ليسوا من المحارم فاذا رآها الاب فربما وصفها لابنه وليس بمحرم ومعرفة الوصف قريب من النظر وهذا أيضا من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط فى الستر وانما أبيح ابداء الزينة الخفية لهؤلاء المذكورين لاحتياجهن الى مداخلتهم ومخالطتهم ولا سيما فى الاسفار للنزول والركوب وأيضا لقلة وقوع الفتنة من جهاتهم لما فى الطباع من النفرة عن مماسة القرائب الأقارب التاسعة قوله أو نسائهن فذهب أكثر السلف الى أن المراد أهل أديانهن ومن هنا قال ابن عباس ليس للمسلمة أن تتجرد بين نساء أهل الذمة ولا تبدى للكافرة الا ما تبدى للأجانب الا أن تكون أمة لها وكتب عمر الى أبى عبيدة أن يمنع نساء أهل الكتاب من دخول الحمام مع المؤمنات وقال آخرون والحمل عليه ان المراد جميع النساء وقول السلف محمول على الأولى والأحب العاشرة قوله (أو ما ملكت أيمانهن) وظاهر الآية يشمل العبيد والاماء ويؤيده ما روى أنس أنه صلى الله عليه وسلم أتى فاطمة بعبد قد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال انه ليس عليك بأس انما هو أبوك وغلامك وعن عائشة أنها قالت لبنى أخيها ان كنتم اذا وضعتنى فى القبر وخرجتم فأنث حر وعنها أنها كانت تمشط والعبد ينظر اليها وقال ابن مسعود ومجاهد والحسن وابن سيرين وسعيد بن المسيب ان العبد لا ينظر الى شعر مولاته

يتطهرون بذلك من دنس الآثام و يستحقون الثناء والمدح وهذا لا يليق بالكافر وفى قوله (ان الله خبير بما يصنعون) ولا تالى له فى القرآن اشارة الى وجوب الحذر فى كل حركة وسكون وتفسير قوله (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن و يحفظن فروجهن) يعلم من التفصيل المتقدم أما قوله ولا يبدين زينتهن فمن الأحكام التى تختص بالنساء فى الأغلب وقد يحرم على الرجل ابداء زينته للنساء الأجنبيات اذا كان هنالك فتنة قال اكثر المفسرين الزينة (٧٨) ههنا أريد بها أمور ثلاثة أحدها الاصباغ كالكحل والخضاب بالوسمة فى حاجبيها والحمرة فى خديها والحناء فى كفها وقدميها وثانيها الحلى كالخاتم والسوار والخلخال والدملج والقلائد والاكليل والوشاح والقرط وثالثها الثياب وقال آخرون الزينة اسم يقع على محاسن الخلق التى خلقها الله تعالى وعلى ما يتزين به الانسان من فضل لباس أو حلى وغير ذلك يدل على ذلك أن كثيرا من النساء يتفردن بخلقهن عن سائر ما يعتدّ زينة وفى قوله (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) اشارة الى ذلك وكانه تعالى منعهن من اظهار محاسن خلقهن فأوجب سترها بالخمار قال القفال بناء على هذا القول معنى قوله (الا ما ظهر منها) الا ما يظهره الانسان على العادة الجارية وذلك فى النساء الحرائر الوجه والكفان وفى الاماء كل ما يبدو عند المهنة وفى صوتها خلاف الأصح أنه ليس بعورة لأن نساء النبى صلى الله عليه وسلم كن يروين الأخبار للرجال وأما الذين حملوا الزينة على ما عدا الخلقة فذهبوا الى أنه تعالى انما حرم النظر اليها حال اتصالها ببدن المرأة لأجل المبالغة فى حرمة النظر الى أعضاء المرأة الا ما ظهر من هذه الزينة كالثياب مطلقا اذ الم نصف البدن لرقتها وكالحمرة والوسمة فى الوجه وكالخضاب والخواتيم فى اليدين وما سوى ذلك يحرم النظر اليه ولهذا قال وليضربن بخمرهن على جيوبهن والخمر جمع الخمار وهى كالمقنعة قال المفسرون ان نساء الجاهلية كن يسدلن خمرهن من خلفهن وكانت جيوبهن من قدام واسعة فكان ينكشف نحورهن وقلائدهن فأمر أن يضربن مقانعهن على الجيوب لتستر بذلك أعناقهن ونحورهن وما حولها من شعر وزينة وفى لفظ الضرب مبالغة فى الالقاء شبيه الالصاق وعن عائشة ما رأيت نساء خيرا من نساء الانصار لما نزلت هذه الآية قامت كل واحدة منهن الى مرطها فصدعت منه صدعة

عليه أربعة من الشهود وأقيم عليه حد الزنا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون﴾ يقول تعالى ذكره هلا جاء هؤلاء العصبة الذين جاؤا بالافك ورموا عائشة بالبهتان بأربعة شهداء يشهدون على مقالتهم فيها ومارموها به فاذ لم يأتوا بالشهداء الاربعة على حقيقة مارموها به فأولئك عند الله هم الكاذبون يقول فالعصبة الذين رموها بذلك عند الله هم الكاذبون فيما جاؤا به من الافك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم﴾ يقول تعالى ذكره ولولا فضل الله عليكم أيها الخائضون فى أمر عائشة المشيعون فيها الكذب والاثم بتركه تعجيل عقوبتكم ورحمته اياكم لعقوبتكم فى الدنيا والآخرة بقبول توبتكم مما كان منكم فى ذلك لمسكم فيما خضتم فيه من أمرها عاجلا فى الدنيا عذاب عظيم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته هذا الذين تكلموا فقشر واذلك الكلام لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم﴾ يقول تعالى ذكره لمسكم فيما أفضتم فيه من شأن عائشة عذاب عظيم حين تلقونه بألسنتكم وأدمن صلة قوله لمسكم و يعنى بقوله تلقونه تتلقون الافك الذى جاءت به العصبة من أهل الافك فتقبلونه و يرويه بعضكم عن بعض يقال تلقيت هذا الكلام عن فلان بمعنى أخذته منه وقيل ذلك لأن الرجل منهم فيما ذكر يلقى آخر فيقول أو ما بلغك كذا وكذا عن عائشة ليشيع عليها بذلك الفاحشة وذكر أنها فى قراءة أبى اذ تتلقونه بتاءين وعليها قراءة الأمصار غير أنهم قرؤها تلقونه بتاء واحدة لأنها كذلك فى مصاحفهم وقد روى عن عائشة فى ذلك ما حدثنى به محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا خالد بن نزار عن نافع عن ابن أبى مليكة عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أنها كانت تقرأ هذه الآية اذ تلقونه بألسنتكم تقول انما هو ولق الكذب وتقول انما كانوا يلقون الكذب قال ابن أبى مليكة وهى أعلم بما فيها أنزلت قال نافع وسمعت بعض العرب(١) يقول الليق الكذب حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا نافع بن عمر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر الجمحى عن ابن أبى مليكة عن عائشة أنها كانت تقرأ اذ تلقونه بألسنتكم وهى أعلم بذلك وفيها أنزلت قال ابن أبى مليكة هو من ولق الكذب * قال أبو جعفر وكأن عائشة وجهت معنى ذلك بقراءتها تلقونه بكسر اللام وتخفيف القاف الى اذ تستمرون فى كذبكم عليها وافكهم بألسنتكم كما يقال ولق فلان فى السير فهو يلق اذا استمر فيه وكما قال الراجز

ان الجليد زلق وزملق * جاءت به عنس من الشام تلق * مجتمع البطن كلابى الخلق

---

(١) لم نقف عليه فيما بأيدينا من كتب اللغة فلعله مصحف وحرر كتبه مصححه

حكم الأمة ولا يجوز لمسها ولا لها مسه لأن اللمس أقوى من النظر بدليل أن الانزال باللمس يفطر الصائم و بالنظر لا يفطر وقال أبو حنيفة يجوز أن يمس من الامة ما يحل النظر اليه وأما ان كانت المرأة ذات محرم بنسب أو رضاع أو صهر يه فعورتها ما بين السرة والركبة كعورة الرجل وعند أبي حنيفة عورتها ما لا يبدو عند المهنة وان كانت مستعملة كالزوجة والامة التي يحل له الاستمتاع بها جاز له أن ينظر الى جميع بدنها غير أنه يكره أن ينظر الى الفرج وكذا الى فرج نفسه لما روى أنه يورث اللمس وقيل لا يجوز النظر الى فرجها فان كانت الامة مجوسية أو مرتدة أو وثنية أو مشتركة بينه و بين غيره أو مزوجة أو مكاتبة فهي كالأجنبية روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا زوج أحدكم جاريته عبده أو أجيره فلا ينظر الى ما دون السرة وفوق الركبة وأما عورة الرجل مع المرأة فان كان أجنبيا منها فعورته معها ما بين السرة والركبة وقيل جميع بدنه الا الوجه والكفين كهي معه والأصح هو الاول لان بدن المرأة في نفسه عورة بدليل أنه لا يصح صلاتها مكشوفة البدن و بدن الرجل بخلافه ولا يجوز لها قصد النظر عند خوف الفتنة ولا تكرير النظر الى وجهه لما روى عن أم سلمة أنها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وميمونة اذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل فقال صلى الله عليه وسلم احتجبا منه فقالت يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا فقال أعميا وان أنتما ألستما تبصرانه وان كان محرما لها فعورته معها ما بين السرة والركبة وان كان زوجها أو سيدها الذي يحل له وطؤها فلها أن تنظر الى جميع بدنه غير أنه يكره النظر الى الفرج كهو معها ولا يجوز لرجل أن يجلس عاريا في بيت خال وله ما يستر عورته لأنه صلى الله عليه وسلم

ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم حتى بلغ ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة وكان أبو بكر حلف أن لا ينفع مسطحا بنافعة وكان بينهما رحم فلما أنزلت ولا يأتل أولوا الفضل منكم حتى بلغ والله غفور رحيم قال أبو بكر بلى أي رب فعاد الى الذي كان لمسطح ان الذين يرمون المحصنات حتى بلغ أولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم قالت عائشة والله ما كنت أرجو أن ينزل في كتاب ولا أطمع به ولكن أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا تذهب ما في نفسه قالت وسأل الجارية الحبشية فقالت والله لعائشة أطيب من طيب الذهب وما بها عيب الا أنها ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل عجينها ولتن كانت صنعت ما قال الناس ليخبرنك الله قال فجيء الناس من فقهها ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين ﴾ وهذا عتاب من الله تعالى ذكره أهل الايمان به فيما وقع في أنفسهم من ارجاف من أرجف في أمر عائشة بما أرجف به يقول لهم تعالى ذكره هلا أيها الناس اذ سمعتم ما قال أهل الافك في عائشة ظن المؤمنون منكم والمؤمنات بأنفسهم خيرا يقول ظننتم بمن قرف بذلك منكم خيرا ولم تظنوا به أنه أتى الفاحشة وقال بأنفسهم لأن أهل الاسلام كلهم بمنزلة نفس واحدة لأنهم أهل ملة واحدة ، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن أبيه عن بعض رجال بني النجار أن أبا أيوب خالد بن زيد قالت له امرأته أم أيوب أما تسمع ما يقول الناس في عائشة قال بلى وذلك الكذب أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب قالت لا والله ما كنت لأفعله قال فعائشة والله خير منك قال فلما نزل القرآن ذكر الله من قال في الفاحشة ما قال من أهل الافك ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم وذلك حسان وأصحابه الذين قالوا ما قالوا ثم قال لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون الآية أي كما قال أبو أيوب وصاحبته حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا ما هذا الخير ظن المؤمن أن المؤمن لم يكن ليفجر بأمه وأن الأم لم تكن لتفجر بابنها ان أراد أن يفجر فر بغير أمه يقول انما كانت عائشة أما والمؤمنون بنون لها محرما عليها وقرأ لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا قال لهم خيرا ألا ترى أنه يقول لا تقتلوا أنفسكم يقول بعضكم بعضا وسلموا على أنفسكم قال يسلم بعضكم على بعض حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن في قوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا يعني بذلك المؤمنين والمؤمنات وقوله وقالوا هذا إفك مبين يقول وقال المؤمنون والمؤمنات هذا الذي سمعنا من القول الذي رمي به عائشة من الفاحشة كذب واثم بين لمن عقل وفكر فيه أنه كذب واثم وبهتان كما حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال أخبرنا عوف عن الحسن وقالوا هذا افك مبين قالوا ان هذا لا ينبغي أن يتكلم به الا من أقام

سئل عن ذلك فقال الله أحق أن يستحى منه وعنه اياكم والتعري فان معكم من لا يفارقكم الا عند الغائط وحين يفضي الرجل الى أهله ولما كان النظر بريد الزنا ورائد الفجور أمر بغض الابصار ولانه يحفظ الفروج عن الزنا والفجور ثانيا وعن أبي العالية أن كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا الا هذا فانه أراد الاستثناء وأن لا ينظر الى الفروج أحد وعلى هذا فائدة التخصيص بعد التعميم أن يعلم أن أمر الفرج أضيق وحين خص الخطاب في أول الآية بالمؤمنين ذكر أن ذلك الذي أمر به من غض البصر وحفظ الفرج أزكى لهم لأنهم

عبدالله رأس النفاق ويحكى أن صفوان مر بهودجها وهو في ملا من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها وقال امرأة نبيكم بات مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها ويروى أن عائشة ذكرت حسانا وقالت أرجو له الجنة فقيل أليس هو الذي تولى كبره فقالت اذا سمعت شعره في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم رجوت له الجنة وفي رواية أخرى قالت وأي عذاب أشد من العمى ثم علم أدبا حسانا في مثل هذه الواقعة فقال (لولا اذ سمعتموه ظن) فصل بين لولا التحضيضية

أغنى من قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ومن قوله وأولئك هم الفاسقون وذلك أنه لا خلاف بين الجميع أن ذلك كذلك اذا لم يحد في القذف حتى تاب اما بأن لم يرفع الى السلطان بعفو المقذوفة عنه واما بأن مات قبل المطالبة بحدها ولم يكن لها طالب يطلب بحدها فاذا كان ذلك كذلك وحدثت منه توبة صحت له بها العدالة فاذا كان من الجميع اجماعا ولم يكن الله تعالى ذكر شرطا في كتابه أن لا تقبل شهادته أبدا بعد الحد في رميه بل نهى عن قبول شهادته في الحال التي أوجب عليه فيها الحد وسماه فيها فاسقا كان معلوما بذلك أن اقامة الحد عليه في رميه لا تحدث في شهادته مع التوبة من ذنبه ما لم يكن ساد ثانيها قبل اقامته عليه بل توبته بعد اقامة الحد عليه من ذنبه أحرى أن تكون شهادته معها أجوز منها قبل اقامته عليه لأن الحد يزيد المحدود عليه تطهيرا من جرمه الذي استحق عليه الحد فان قال قائل فهل يجوز أن يكون الاستثناء من قوله فاجلدوهم ثمانين جلدة فتكون التوبة مسقطة عنه الحد كما كانت لشهادته عندك قبل الحد وبعده مجيزة ولاسم الفسق عنه مزيلة قيل ذلك غير جائز عندنا وذلك أن الحد حق عندنا للمقذوفة كالقصاص الذي يجب لها من جناية يجنيها عليها مما فيه القصاص ولا خلاف بين الجميع أن توبته من ذلك لا تضع عنه الواجب لها من القصاص منه فكذلك توبته من القذف لا تضع عنه الواجب لها من الحد لأن ذلك حق لها ان شاءت عفته وان شاءت طالبت به فتوبة العبد من ذنبه انما تضع عن العبد الاسماء الذميمة والصفات القبيحة فأما حقوق الآدميين التي أوجبها الله لبعضهم على بعض في كل الاحوال فلا تزول بها ولا تبطل واختلف أهل العلم في صفة توبة القاذف التي تقبل معها شهادته فقال بعضهم هي اكذابه نفسه فيه وقد ذكرنا بعض قائلي ذلك فيما مضى قبل ونحن نذكر بعض ما حضرنا ذكره مما لم نذكره قبل **حدثني** أبو السائب قال ثنا حفص عن ليث عن طاوس قال توبة القاذف أن يكذب نفسه **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين قال رأيت رجلا ضرب حدا في قذف بالمدينة فلما فرغ من ضربه تناول توبه ثم قال أستغفر الله وأتوب اليه من قذف المحصنات قال فلقيت أبا الزناد فذكرت ذلك له قال فقال ان الامر عندنا ههنا أنه اذا قال ذلك حين يفرغ من ضربه ولم نعلم منه الاخير اقبلت شهادته **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا الآية قال من اعترف وأقر على نفسه علانية أنه قال البهتان وتاب الى الله توبة نصوحا والنصوح أن لا يعود واقراره واعترافه عند الحد حين يؤخذ بالجلد فقد تاب والله غفور رحيم * وقال آخرون توبته من ذلك صلاح حاله وندمه على ما فرط منه من ذلك والاستغفار منه وتركه العود في مثل ذلك من الجرم وذلك قول جماعة من التابعين وغيرهم وقد ذكرنا بعض قائليه فيما مضى وهو قول مالك بن أنس وهذا القول أولى القولين في ذلك بالصواب

وبين فعلها بالظرف لأنه يتسع في الظرف ما لا يتسع في غيره تنزيلا للظرف منزلة المظروف نفسه ولأن الممكنات لا تنفك عن الظروف والفائدة فيه أن يعلم أن ظن الخير كان يجب عليهم أول ما سمعوه بالافك فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم ومثله ولولا اذ سمعتموه قلتم ثم لا يخفى أن أصل المعنى أن يقال لولا اذ سمعتموه ظننتم بأنفسكم خيرا وقلتم هذا افك ومعنى بأنفسكم بالذين منكم من المؤمنين والمؤمنات فعدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات ولينبه لفظ الاعمان على أن الاشتراك فيه يقتضي أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب ولا عائب بل يقول على نفسه بناء على ظن الخير مصرحا بيراءة ساحته هذا افك مبين وذلك أن المؤمن معه من العقل والدين ما يهديه الى الأصلح ويزجره عن الأقبح ولم يوجد هذا الداعي والصارف معارض بنساويهما كما قيل كلام العدى ضرب من الهذيان فوجب أن لا يلتفت المؤمن الى قول الطاعن في حق أخيه ويبقى على حسن ظنه به وهذا أدب حسن قل العامل به وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يزيد فيه روي أن أبا أيوب الأنصاري قال لأم أيوب أما ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرمة رسول الله سوأ قال لا قالت ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعائشة خير مني وصفوان خير منك وفي الآية دلالة على قول أبي حنيفة ان المسلمين عدول بعضهم على بعض ما لم يظهر منهم ريبة لأنا مأمورون بحسن الظن وذلك يوجب قبول الشهادة ومن هنا قال أيضا اذا باع درهما ودينارا بدرهمين ودينارين انا نخالف بينهما لأنا قد أمرنا بظن الخير فوجب حمله على ما يجوز ومثله اذا باع سيفا محلى فضمانه دراهم بمائتي درهم نجعل المائة بالمائة والفضل بالسيف

واذا وجدنا مرأة أجنبية مع رجل فاعترفا بالتزويج نصدقهما حملا لعقود المسلمين ونصرفاتهم على الجواز والصحة وزعم مالك أنهما يحدان ان لم يقيما بينة على النكاح وقيل ان الآية مختصة بعائشة لأن كونها زوجة النبي كالدليل القاطع على أن الذي قيل فيها افك صريح قال العلماء يجوز أن تكون زوجة النبي كافرة كامرأة نوح ولوط ولا يجوز أن تكون فاجرة لأن الأنبياء معصومون عن المنفرات البتة وان حصول المنفر معه ينافي بعثته لكن الكفر غير (٦٤) منفر لكفرة قال وأما الكشخنة فمن أعظم المنفرات قيل في تفسيره الكشخان الذي تحجب امرأته الرجال الى نفسها ويقال كشخنته أي قلت له يا كشخان ثم بالغ في زجرهم عن حديث الافك بقوله (ولولا جاؤا) وهي أيضا تحضيضية والمراد التفصيل بين الرمي الصادق والكاذب بثبوت شهادة الشهود الأربعة وانتفائها ولكن هذا العدد وكل فرد منه منتف في حق عائشة فهم في حكم الله وشرعه كاذبون وهذا القدر كاف في الزام أولئك الطاعنين والافهم في نفس الأمر بالنسبة الى هذه الواقعة كاذبون كما مر تقريره آنفا ثم زاد في التهديد والزجر بقوله (ولولا فضل الله) هي لولا الامتناعية قال جمهور المفسرين لولا أني قضيت أن أتفضل عليكم في هذه الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الامهال للتوبة وأن أرحم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك وعن مقاتل أن في الآية تقديما وتأخيرا والمعنى ولولا فضل الله عليكم ورحمته بالحلم عنكم والحكم عليكم بالتوبة (لمسكم فيما) اندفعتم (فيه عذاب عظيم) في الدنيا والآخرة معا وتلقي الافك أخذه من أفواه القالة وقوله والاصل تتلقونه بتاءين وقد قرئ به كان الرجل يلقى الرجل فيقول له ما وراءك فيحدثه بحديث الافك حتى طار وانتشر وفي زيادة قوله (بأفواهكم) اشارة الى أنه قول لا وجود له الا في العبارة ولا حقيقة لمؤداه في الواقع والقذف كبيرة من الكبائر كما سبق لا سيما قذف زوجة النبي وخاصة نبينا صلى الله عليه وسلم فلهذا قال (وهو عند الله عظيم) عن بعضهم أنه جزع عند الموت فقيل له فقال أخاف ذنبا لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم وفي النصائح الكبار لا تقولن لشئ من سيئاتك حقير فلعله عند الله خطير وهو عندك نقير وصغيرهم في الآية بارتكاب ثلاثة آثام تلقي الافك والتكلم به الا حقيقة له ولا علم لهم به واستهانة عظيمة من العظائم وفيه أن عظم

لان الله تعالى ذكره جعل توبة كل ذي ذنب من أهل الايمان تركه العود منه والندم على ما سلف منه واستغفار ربه منه فيما كان من ذنب بين العبد وبينه دون ما كان من حقوق عباده ومظالمهم بينهم والقاذف اذا أقيم عليه فيه الحد أو عفي عنه فلم يبق عليه الا توبته من جرمه بينه وبين ربه فسبيل توبته منه سبيل توبته من سائر أجرامه فاذ كان الصحيح في ذلك من القول ما وصفنا فتأويل الكلام وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا من جرمهم الذي اجترموه بقذفهم المحصنات من بعد اجترامهموه فان الله غفور يقول ساتر على ذنوبهم بعفوه لهم عنها رحيم بهم بعد التوبة أن يعذبهم عليها فاقبلوا شهادتهم ولا تسموهم فسقة بل سموهم باسمائهم التي هي لهم في حال توبتهم ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين﴾ يقول تعالى ذكره والذين يرمون من الرجال أزواجهم بالفاحشة فيقذفونهن بالزنا ولم يكن لهم شهداء يشهدون لهم بصحة ما رموهن به من الفاحشة فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة أربع شهادات نصبا ولنصبهم ذلك وجهان أحدهما أن تكون الشهادة في قوله فشهادة أحدهم مرفوعة بمضمر قبلها وتكون الاربع منصوبا بمعنى الشهادة فيكون تأويل الكلام حينئذ فعلى أحدهم أن يشهد أربع شهادات بالله والوجه الثاني أن تكون الشهادة مرفوعة بقوله انه لمن الصادقين والأربع منصوبة بوقوع الشهادة عليها كما يقال شهادتي ألف مرة انك لرجل سوء وذلك أن العرب ترفع الأيمان بأجوبتها فتقول حلف صادق لأقومن وشهادة عمرو ليقعدن وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين أربع شهادات برفع الاربع ويجعلونها الشهادة مرافعة وكأنهم وجهوا تأويل الكلام فالذي يلزم من الشهادة أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين * وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين بنصب أربع بوقوع الشهادة عليها والشهادة مرفوعة حينئذ على ما وصفت من الوجهين قبل وأحب وجهيهما الي أن تكون به مرفوعة بالجواب وذلك قوله انه لمن الصادقين وذلك أن معنى الكلام والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين تقوم مقام الشهداء الأربعة في دفع الحد عنه فترك ذكر تقوم مقام الشهداء الأربعة اكتفاء بمعرفة السامعين بما ذكر من الكلام فصار مرافع الشهادة ما وصفت ويعني بقوله فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله فحلف أحدهم أربع أيمان بالله من قول القائل أشهد بالله انه لمن الصادقين فيما رمى زوجته به من الفاحشة والخامسة يقول والشهادة الخامسة أن لعنة الله عليه يقول أن لعنة الله له واجبة وعليه حالة ان كان فيما رماها به من الفاحشة من الكاذبين * وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت به جماعة من أهل التأويل

المعصية لا يتعلق بظن فاعله بل جهله بعظمه ربما يصير مؤكدا لعظمه وفيه أن الواجب على المكلف أن يستعظم الاقدام على كل محرم ادلا يأمن أن يكون عند الله من الكبائر ثم علمهم أدبا آخر ومعنى (ما يكون لنا) لا ينبغي ولا يصح لنا ومعنى (سبحانك) تنزيه الله من أن تكون زوجة نبينا الذي هو أحب خلقه اليه فاجرة أو تنزيهه من أن يرضى بقذف هؤلاء المقربين ولا يعاقبهم أو هو للتعجب من عظم الأمر وذلك أنه يسبح الله عند رؤية كل أمر عجيب من صنائعه فكثر حتى استعمل في كل متعجب (٦٥) منه والفرق بين هذه الآية وبين قوله لولا اذ

التأويل ذكر الرواية بذلك وذكر السبب الذي فيه أنزلت هذه الآية **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا أيوب عن عكرمة قال لما نزلت والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة قال سعد بن عبادة آلله ان أنا رأيت لكاع متفخذها رجل فقلت بما رأيت ان في ظهري لثمانين الى ما أجمع أربعة فذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار ألا تسمعون الى ما يقول سيدكم قالوا يا رسول الله لا تلمه وذكروا من غيرته فما تزوج امرأة قط الا بكرا ولا طلق امرأة قط فرجع فيها أحد منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله يأبى الا ذلك فقال صدق الله ورسوله قال فلم يلبثوا أن جاء ابن عمه فرمى امرأته فشق ذلك على المسلمين فقال لا والله لا يجعل الله في ظهري ثمانين أبدا لقد نظرت حتى أيقنت ولقد استمعت حتى استثفيت قال فأنزل الله القرآن باللعان فقيل له احلف فحلف قال فقوه عند الخامسة فانها موجبة فقال لا يدخل الله النار بهذا أبدا كما درأ عنه جلد ثمانين لقد نظرت حتى أيقنت ولقد استمعت حتى استثفيت فحلف ثم قيل احلفي فحلفت ثم قال قفوها عند الخامسة فانها موجبة فقيل لها انها موجبة فتلكأت ساعة ثم قالت لا أفضح قومي فحلفت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وان جاءت به كذا وكذا فهو للذي قيل فيه ما قيل قال فجاءت به غلاما كأنه جمل أورق فكان بعد أمير اعصر لا يعرف نسبه أولا يدري من أبوه **حدثنا** خلاد بن أسلم قال أخبرنا النضر بن شميل قال أخبرنا عباد قال سمعت عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون قال سعد بن عبادة لهكذا أنزلت يا رسول الله لو أتيت لكاع قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه ولا أحركه حتى آتي بأربعة شهداء فوالله ما كنت لآتي بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الأنصار ألا تسمعون الى ما يقول سيدكم قالوا لا تلمه فانه رجل غيور ما تزوج فينا قط إلا عذراء ولا طلق امرأته فاجترأ رجل منا أن يتزوجها قال سعد يا رسول الله بأبي وأمي والله اني لأعرف أنها من الله وأنها حق ولكن عجبت لو وجدت لكاع قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه ولا أحركه حتى آتي بأربعة شهداء والله لا آتي بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته فوالله ما لبثوا الا يسيرا حتى جاء هلال بن أمية من حديقة له فرأى بعينيه وسمع باذنيه فأمسك حتى أصبح فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع أصحابه فقال يا رسول الله اني جئت أهلي عشاء فوجدت رجلا مع أهلي رأيت بعيني وسمعت باذني فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أتاه به وثقل عليه جدا حتى عرف ذلك في وجهه فقال هلال والله يا رسول الله اني لأرى الكراهية في وجهك مما أتيتك به والله يعلم أني صادق وما قلت الا حقا واني لأرجو أن يجعل الله فرجا قال واجتمعت الانصار فقالوا ابتلينا بما قال سعد أيجلد هلال بن أمية وتبطل شهادته في المسلمين فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

سمعتموه ظن المؤمنون هو أن تلك تميل الى العموم وهذه الى الخصوص فكأنه بين أن هذا القذف خاصة مما ليس لهم أن يتفوهوا به لما فيه من ايذاء نبيه وايذاء زوجته التي هي حبيبته (يعظكم الله) بهذه المواعظ التي بها تعرفون عظم هذا الذنب كراهة (أن تعودوا) أوفى شأن أن تعودوا (لمثله أبدا) أي مدة حياتكم ولا دلالة للمعتزلة في قوله (ان كنتم مؤمنين) على أن ترك القذف من الايمان لاحتمال انه للتهييج والازجار (ويبين الله لكم) أي لانتفاعكم (الآيات) الدالات على علمه وحكمته وما ينبغي أن يسلك المكلف به في أبواب صلاح معاشه ومعاده والله عليم حكيم) هما صفتان مختلفتان عند المعتزلة ثانيتهما أخص من الأولى وعند الأشاعرة الثانية للتأكيد المحض والمراد أنه يجب قبول تكاليفه وبيانه لانه عالم بما أمر وبما يستحقه كل مأمور وليس في تكليفه عيب ولا عبث ومن كان هذه صفته وجب طاعته لبتة ولا يعاقب استدلت المعتزلة بالآية في أنه يريد الايمان من الكل والا لم يكن واعظا ولا مبينا آياته لانتفاعهم ولا حكيما لا يفعل القبائح ولا جواب للاشاعرة الا أنه يشاء ما يشاء ولا اعتراض عليه ثم بين

(٩ - (ابن جرير) - ثامن عشر) بقوله (ان الذين يحبون) أن أهل الافك يشاركهم في عذاب النار من رضي بقولهم وأنهم كأنهم مؤاخذون بما أظهروه فهم معاقبون على ما أضمروه من محبة اشاعة الفاحشة والفحشاء في المؤمنين لأنها تدل على الميل والنفاق وعدم سلامة القلب والفاحشة والفحشاء ما أفرط قبحه وشيوعها انتشارها وظهورها بحيث يطلع عليها كل أحد وخصوص السبب لا يقتضي خصوص الحكم فهذا الوعيد شامل لكل من أراد بواحد من المؤمنين أو المؤمنات شيأ من المضار

والاذيات وبعضهم حمل الفاحشة على الزنا وخصص من يحب شيوع الفاحشة بعبد الله بن أبي وخصص الذين آمنوا بعائشة وصفوان ولا يخفى ما فيه من ضيق العطن الا أن يساعده نقل صحيح وعذاب الدنيا الحد واللعن والذم وما على أهل النفاق من صنوف البلاء وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي وحسانا ومسطحا وقد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره وعذاب الآخرة في القبر وفي القيامة هو النار عن (٦٦) رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لأعرف قوما يضربون صدورهم ضربا بسيوف

أهل النار وهم الهمازون الماز ون الذين يلمسون عورات المسلمين ويهتكون ستورهم ويشيعون عليهم من الفواحش ما ليس فيهم وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن العبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير وأما قوله (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) ففي نهاية حسن الموقع لأن الأعمال القلبية محبة الشر أو الخير لا يطلع عليها أحد كما هي الا الله سبحانه وانما نعرف نحن شيأ منها بالقرائن والامارات وفيه زجر عظيم لمن لا يجتهد في أن يكون قلبه سليما من النفاق والغل وحصول هذا الغل في القلب غير العزم على الذنب فان الأول ملكة والثاني حال ولا يلزم من ترتب العقاب على الملكات ترتبه على الأحوال فانهم قال أبو حنيفة المغتابة بالفجور لا تنقض لأن استطافها اشاعة للفاحشة وانها ممنوع عنها وقالت المعتزلة في الآية دليل على أنه تعالى غير خالق للكفر ولا مريد والا كان ممن يحب أن تشيع الفاحشة ولقائل أن يقول قياس الغائب على الشاهد فاسد ثم كرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب والتمكين من التلافي وبالغ فيها بذكر الرؤف والرحيم وجواب لولا محذوف على نسق ما مر وقيل جوابه ما يدل على ذلك في قوله (ما زكى منكم) وهو بعيد عن ابن عباس أن الخطاب لحسان ومسطح وحمنة والأقرب العموم ثم نهى عن اتباع آثار الشيطان وسلوك مسالكه والاقتداء به في الاصغاء الى الافك واشاعة الفحشاء وارتكاب ما تنكره العقول وتأباه وقوله (فانه يأمر بالفحشاء) من وضع السبب مقام المسبب والمراد فضل قالت الاشاعرة في قوله ما زكى بالتشديد والضمير لله وكذا في قوله ولكن الله يزكي فلان على أن الزكاء وهو الطهارة من دنس الآثام لا يحصل الا بالله وهو دليل على أنه خالق الافعال والآثار وحمله المعتزلة على منح الالطاف

بضربه فانه لكذلك يريد أن يأمر بضربه ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع أصحابه اذ نزل عليه الوحي فأمسك أصحابه عن كلامه حين عرفوا أن الوحي قد نزل حتى فرغ فأنزل الله والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم الى أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشر يا هلال فان الله قد جعل فرجا فقال قد كنت أرجو ذلك من الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلوا اليها فجاءت فلما اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل لها فكذبت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب فقال هلال يا رسول الله بأبي وأمي لقد صدقت وما قلت الا حقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعنوا بينهما قيل لهلال يا هلال اشهد فشهد أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فقيل له عند الخامسة يا هلال اتق الله فان عذاب الله أشد من عذاب الناس وانها الموجبة التي توجب عليك العذاب فقال هلال والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد الخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ثم قيل لها اشهدي فشهدت أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فقيل لها عند الخامسة اتقي الله فان عذاب الله أشد من عذاب الناس وان هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب فتلكأت ساعة ثم قالت والله لا أفضح قومي فشهدت الخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين ففرق بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقضى أن الولد لها ولا يدعى لأب ولا يرمى ولدها **حدثني** أحمد بن محمد الطوسي قال ثنا أبو أحمد الحسين بن محمد قال ثنا جرير بن حازم عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما قذف هلال بن أمية امرأته قيل له والله ليجلدنك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانين جلدة قال الله أعدل من ذلك أن يضربني ضربة وقد علم أني قد رأيت حتى استيقنت وسمعت حتى استثبت لا والله لا يضربني أبدا فنزلت آية الملاعنة فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت الآية فقال الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب فقال هلال والله اني لصادق فقال له احلف بالله الذي لا اله الا هو اني لصادق يقول ذلك أربع مرات فان كنت كاذبا فعلي لعنة الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قفوه عند الخامسة فانها موجبة فحلف ثم قالت أربعا والله الذي لا اله الا هو انه لمن الكاذبين فان كان صادقا فعليها غضب الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قفوها عند الخامسة فانها موجبة فترددت وهمت بالاعتراف ثم قالت لا أفضح قومي **حدثنا** أبو كريب وأبو هشام الرفاعي قالا ثنا عبدة عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال كنا ليلة الجمعة في المسجد فدخل رجل فقال لو أن رجلا وجد مع امرأته رجلا فتكلم فقتلتموه وان تكلم جلدتموه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله آية الملاعنة ثم جاء الرجل بعد فقذف امرأته فلاعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فقال عسى أن تجيء به أسود جعدا فجاءت به أسود جعدا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير بن عبد الحميد عن عبد الملك

أو على الحكم بالطهارة وضعف بأنه خلاف الظاهر وبأنه يجب انتهاء الكل اليه و بأن قوله من يشاء ينافي قولكم ان خلق الالطاف واجب عليه ثم علم أدبا آخر جليلا بقوله (ولا يأتل) وهو افتعل من الألية أي لا يحلف على عدم الاحسان وحرف النفي يحذف من جواب القسم كثيرا فهي كقراءة من قرأ ولا يتأل وقيل هو من قولهم ما ألوت جهدا اذا لم يدخر من الاجتهاد شيأ أي لا يقصر في الاحسان الى المستحقين قالوا نزلت في شأن مسطح وكان ابن خالة أبي بكر الصديق فقيرا من فقراء المهاجرين وكان (٦٧) أبو بكر ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط آلى أن لا ينفق عليه فنزلت فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر فلما وصل الى قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم قال أبو بكر بلى أحب أن يغفر الله لي فعفا عن مسطح ورجع الى الانفاق عليه وقال والله لا أنزعها أبدا قال الامام فخر الدين الرازي هذه الآية تدل على أفضلية أبي بكر الصديق من وجوه وذلك أن الفضل المذكور في الآية لا يراد به السعة في المال والا لزم التكرار فهو الفضل في الدين ولكنه مطلق غير مقيد فتبتت له الفضل على الاطلاق تركنا العمل به في حق النبي صلى الله عليه وسلم بالاتفاق فيبقى في الغير معمولا به وأيضا ذكره الله تعالى في الآية بلفظ الجمع وانه مشعر بالتعظيم وأيضا قد قيل وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند فهذا الظلم من مسطح كان في غاية العظم وقد أمر الله تعالى بالصفح عنه واستئنافه فيكون فيه نهاية جهاد النفس فيكون ثوابه على حسب ذلك وأيضا في تسميته أولي الفضل والسعة شرف تام فكأنه قيل له أنت أفضل من أن تقابل انسانا بسوء وأنت أوسع قلبا من أن تقيم للدنيا وزنا فلا يليق بفضلك وسعة قلبك أن يقطع برك عمن أساء اليك وأيضا أمر الله تعالى بالعفو والصفح وقال لنبيه فاعف عنهم واصفح فهو من هذه الجهة ثاني اثنين له في الأخلاق وأيضا علق المغفرة بالعفو وقد حصل العفو فحصل المغفرة البتة في الحال وفي الاستقبال لقوله ان يغفر فهو للاستقبال فيكون كما قال لنبيه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وفيه دليل على حقية خلافته والا كان عاصيا والعاصي في النار وليس النهي في قوله ولا يأتل نهي زجر عن المعصية ولكنه ندب الى الأولى والأفضل وهو العفو عن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل أخلاق المسلمين العفو وعنه صلى الله عليه وسلم لا يكون العبد ذا فضل

ابن أبي سليمان عن سعيد بن جبير قال سألت ابن عمر فقلت يا أبا عبد الرحمن أيفرق بين المتلاعنين فقال نعم سبحان الله ان أول من سأل عن ذلك فلان أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فقال أرأيت لو أن أحدنا رأى صاحبته على فاحشة كيف يصنع فلم يجبه في ذلك شيأ قال فأتاه بعد ذلك فقال ان الذي سألتك عنه قد ابتليت به فأنزل الله هذه الآية في سورة النور فدعا الرجل فوعظه وذكره وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة قال والذي بعثك بالحق لقد رأيت وما كذبت عليها قال ودعا المرأة فوعظها وأخبرها أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فقالت والذي بعثك بالحق انه لكاذب وما رأى شيأ قال فبدأ الرجل فشهد أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ثم ان المرأة شهدت أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين وفرق بينهما **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن داود عن عامر قال لما أنزل والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة قال عاصم بن عدي ان أنا رأيت فتكلمت جلدت ثمانين وان أنا سكت سكت على الغيظ قال فكأن ذلك شق على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأنزلت هذه الآية والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم قال فجاء ابنوا الاجعة حتى كان بين رجل من قومه وبين امرأته فلاعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم الآية والخامسة أن يقال له ان عليك لعنة الله ان كنت من الكاذبين وان أقرت المرأة بقوله رجمت وان أنكرت شهدت أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن يقال لها غضب الله عليك ان كان من الصادقين فيدرأ عنها العذاب و يفرق بينهما فلا يجتمعان أبدا ويلحق الولد بأمه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله والذين يرمون أزواجهم قال هلال بن أمية والذي رميت به شريك بن سحماء والذي استفتى عاصم ابن عدي * قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني الزهري عن الملاعنة والسنة فيها عن حديث سهل بن سعد أن رجلا من الأنصار جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل فأنزل الله في شأنه ما ذكر من أمر المتلاعنين فقال رسول الله قد قضى الله فيك وفي امرأتك فتلاعنا وأنا شاهد ثم فارقها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت السنة بعدها ان يفرق بين المتلاعنين وكانت حاملة فأنكره فكان ابنها يدعى الى أمه ثم جرت السنة أن ابنها يرثها وترث ما فرض الله لها **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والذين يرمون أزواجهم الى قوله ان كان من الكاذبين قال اذا شهد الرجل خمس شهادات فقد برئ كل واحد من الآخر وعدتها ان كانت حاملا أن تضع حملها ولا يجلد واحد منهما وان لم تحلف أقيم عليها الحد والرجم

حتى يصل من قطعه ويعفو عن ظلمه ويعطى من حرمه واعلم أن العلماء أجمعوا على أن مسطحا كان مذنبا لأنه أتى بالقذف أو رضى به على الروايتين عن ابن عباس ولهذا حده رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجمعوا أيضا على أنه من البدريين وقد ورد فيهم الخبر الصحيح لعل الله تطلع الى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فكيف الجمع بين الامرين أجابوا بأنه ليس المراد من قوله اعملوا ما شئتم أنهم خارجون عن حد التكليف وانما المراد اعملوا من (٦٨) النوافل ما شئتم قليلا أو كثيرا فقد أعطيتكم الدرجات العاليات في الجنة أو أراد حسن حالهم في العاقبة أنهم يوافون بالطاعة فكأنه قال قد غفرت لكم لعلى بأنكم تموتون على التوبة والانابة قالت الاشاعرة في وصف مسطح ومدحه بكونه من المهاجرين دليل على أن تواب كونه مهاجرا لم يضبط باقدامه على القذف فيكون القول بالمحابطة باطلا استدل جمهور الفقهاء بالآية في قول من فسر الائتلاء بالحلف على أن اليمين على الامتناع من الخير غير جائزة وانما يجوز اذا جعلت داعية للخير لاصارفة عنه ثم قالوا من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فينبغي له أن يأتي بالذي هو خير ثم يكفر عن يمينه كما جاء في الحديث ولقوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان وهو عام في جانب الخير وفي غيره ومثله ما ورد في قصة أيوب وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولو كان الحنث كفارة لم يؤمر بضرب الضغث عليها وقال بعض العلماء انه يأتي بالذي هو خير وذلك كفارته لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث آخر من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت بالذي هو خير وذلك كفارته ولأنه تعالى أمر أبا بكر في هذه الآية بالحنث ولم يوجب عليه كفارة وأجيب بأن معنى الكفارة في الحديث تكفير الذنب لا الكفارة الشرعية التي هي احدى الخصال وانما ذهبنا الى هذا ليكون مطابقا للحديث الآخر من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه وأما هذه الآية فانما لم يذكر فيها الكفارة لأنها معلومة من آية المائدة قوله (ان الذين يرمون المحصنات) قدم تفسير المحصنة وأما الغافلات فهن السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر بحسب الغريزة أو لقلة التجارب وقد يعين على ذلك صغر السن وغير ذلك من الاحوال قال الاصوليون خصوص السبب لا يمنع العموم فيدخل

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين﴾ يعني جل ذكره بقوله ويدرأ عنها العذاب ويدفع عنها الحد واختلف أهل العلم في العذاب الذي عناه الله في هذا الموضع أنه يدرؤه عنها شهاداتها الاربع فقال بعضهم بنحو الذي قلنا في ذلك من أنه الحد جلد مائة ان كانت بكرا أو الرجم ان كانت ثيبا قد أحصنت * وقال آخرون بل ذلك الحبس وقالوا الذي يجب عليها ان هي لم تشهد الشهادات الاربع بعد شهادات الزوج الاربع والتعانه الحبس دون الحد وانما قلنا الواجب عليها اذا هي امتنعت من الالتعان بعد التعان الزوج الحد الذي وصفنا قياسا على اجماع الجميع على أن الحد اذا زال عن الزوج بالشهادات الأربع على تصديقه فيما رماها به أن الحد عليها واجب فجعل الله أيمانه الاربع والتعانه في الخامسة مخرجا له من الحد الذي يجب لها برميه اياها كما جعل الشهداء الأربعة مخرجا له منه في ذلك وزائلا به عنه الحد فكذلك الواجب أن يكون بزوال الحد عنه بذلك واجبا عليها حدها كما كان بزواله عنه بالشهود واجبا عليها لا فرق بين ذلك وقد استقصينا العلل في ذلك في باب اللعان من كتابنا المسمى لطيف القول في شرائع الاسلام فأغنى عن اعادته في هذا الموضع وقوله أن تشهد أربع شهادات بالله يقول ويدفع عنها العذاب أن تحلف بالله أربع أيمان ان زوجها الذي رماها بما رماها به من الفاحشة لمن الكاذبين فيما رماها به من الزنا وقوله والخامسة أن غضب الله عليها الآية يقول والشهادة الخامسة أن غضب الله عليها ان كان زوجها فيما رماها به من الزنا من الصادقين ورفع قوله والخامسة في كلتا الآيتين بأن التي تليها ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم﴾ يقول تعالى ذكره ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته بكم وأنه عواد على خلقه بلطفه وطوله حكيم في تدبيره اياهم وسياسته لهم لعاجلكم بالعقوبة على معاصيكم وفضح أهل الذنوب منكم بذنوبهم ولكنه ستر عليكم ذنوبكم وترك فضيحتكم بها عاجلا رحمة منه بكم وتفضلا عليكم فاشكروا نعمه وانتهوا عن التقدم عما عنه نهاكم من معاصيه وترك الجواب في ذلك اكتفاء بمعرفة السامع المراد منه ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين جاؤا بالكذب والبهتان عصبة منكم يقول جماعة منكم أيها الناس لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم يقول لا تظنوا ما جاؤا به من الافك شرا لكم عند الله وعند الناس بل ذلك خير لكم عنده وعند المؤمنين وذلك أن الله يجعل ذلك كفارة للمرمي به ويظهر براءته مما رمي به ويجعل له منه مخرجا وقيل ان الذي عنى الله بقوله ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم جماعة منهم حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش كما حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد قال

فى الآية قذفة عائشة وقذفة غيرها وخصه بعض المفسرين فمنهم من قال المراد عائشة وحدها والجمع للتعظيم ومنهم من قال عائشة مع سائر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ومنهم من قال هى أم المؤمنين فجمعت ارادة لها ولبناتها من نساء الامة المشاكلة لها فى الاحصان والغفلة والايمان وذكر واقى سبب التخصيص أن قاذف سائر المحصنات تقبل توبته لقوله الا الذين تابوا وأما القذف المذكور فى هذه الآية فوعيده مطلق من غير استثناء وأجيب بأنه طوى ذكر التوبة فى هذه الآية لكونها (٦٩) معلومة وقد يحتج للخصوص بما روى عن ابن

قال ثنا أبى قال ثنا أبان العطار قال ثنا هشام بن عروة عن عروة أنه كتب الى عبد الملك ابن مروان كتبت الىّ تسألنى فى الذين جاؤا بالافك وهم كما قال الله ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم وانه لم يسم منهم أحد الا حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش وهو يقال فى آخرين لا علم لى بهم غير أنهم عصبة كما قال الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله جاؤا بالافك عصبة منكم هم أصحاب عائشة قال ابن جريج قال ابن عباس قوله جاؤا بالافك عصبة منكم الآية الذين افتروا على عائشة عبد الله بن أبى وهو الذى تولى كبره وحسان بن ثابت ومسطح وحمنة بنت جحش حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله الذين جاؤا بالافك عصبة منكم الذين قالوا لعائشة الافك والبهتان حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم قال الشر لكم بالافك الذى قالوا الذى تكلموا به كان شرا لهم وكان فيهم من لم يقله انما سمعه فعاتبهم الله فقال أول شئ ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم ثم قال والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم وقوله لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم يقول لكل امرئ من الذين جاؤا بالافك جزاء ما اجترم من الاثم بحبيئه ما جاء به من الاولى عبد الله وقوله والذى تولى كبره منهم يقول والذى تحمل معظم ذلك الاثم والافك منهم هو الذى بدأ بالخوض فيه كما حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله والذى تولى كبره منهم يقول الذى بدأ بذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله عصبة منكم قال أصحاب عائشة عبد الله بن أبى ابن سلول ومسطح وحسان «قال أبو جعفر» له من الله عذاب عظيم يوم القيامة وقد اختلف القراء فى قراءة قوله كبره فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار كبره بكسر الكاف سوى حميد الأعرج فانه كان يقرؤه كبره بمعنى والذى تحمل أكبره * وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب القراءة التى عليها عوام القراء وهى كسر الكاف لاجماع الحجة من القراء عليها وأن الكبر بالكسر مصدر الكبير من الامور وأن الكبر بضم الكاف انما هو من الولاء والنسب من قولهم هو كبر قومه والكبر فى هذا الموضع هو ما وصفنا من معظم الاثم والافك فاذ كان ذلك كذلك فالكسر فى كافه هو الكلام الفصيح دون ضمها وان كان لضمها وجه مفهوم * وقد اختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله والذى تولى كبره منهم الآية فقال بعضهم هو حسان بن ثابت ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن قزعة قال ثنا مسلمة بن علقمة قال ثنا داود عن عامر أن عائشة قالت ما سمعت بشئ أحسن من شعر حسان وما تمثلت به الا رجوت له الجنة قوله لأبى سفيان

عباس أنه كان بالبصرة يوم عرفة فسئل عن تفسير هذه الآية فقال من أذنب ذنبا ثم تاب قبلت توبته الا من خاض فى أمر عائشة ومنهم من قال نزلت الآية فى مشرك مكة حين كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وكانت المرأة اذا خرجت الى المدينة مهاجرة قذفها المشركون من أهل مكة وقالوا انما خرجت لتفجر أما شهادة الجوارح فلا اشكال فيها عند الاشاعرة لأنهم يقولون البنية ليست شرطا فى الحياة فيجوز أن يخلق الله تعالى فى الجوهر الفرد علما وقدرة وكلاما وقالت المعتزلة المتكلم هو فاعل الكلام فيكون الكلام المضاف الى الجوارح هو فى الحقيقة من الله تعالى ويجوز أن يبنى الله هذه الجوارح على خلاف ما هى عليه ويلجئها الى أن تشهد على الانسان وتخبر عن أعماله ومعنى (دينهم الحق) الجزاء المستحق وقال فى الكشاف معنى قوله (هو الحق المبين) العادل الظاهر العدل وقال غيره سمى حقا لأنه تحق عبادته أولأنه الموجود بالحقيقة وما سواه فوجوده مستعار زائل والمبين ذو البيان الصحيح أو المظهر للموجودات فالحاصل أنه واجب الوجود لذاته مفيدا لوجود لغيره ثم ختم الآيات الواردة فى أهل الافك بكلمة جامعة وهى قوله

(الخبيثات) يعنى الكلمات التى تخبث موادها ويستقذرها من يخاطب بها ويعجها سمعه كلمات أهل الافك ويجوز أن يراد بالخبيثات مضمون الآيات الواردة فى وعيد القذفة لأن مضمونها ذم ولعن وهو يستكره طبعا وان كان نفس الكلمة التى هى من قبل الله سبحانه طيبا وعلى الوجهين يراد بالخبيثين الرجال والنساء جميعا الا انه غلب الرجال والحاصل أن الخبيثات من القول تقال أو تعد للخبيثين من الرجال والنساء والخبيثون من الصنفين معرضون للخبيثات من القول وكذلك الطيبات والطيبون فأولئك الطيبون (مبرؤن مما) يقول الخبيثون

من خبيثات الكلم قال جار الله هو كلام جار مجرى المثل لعائشة ومارميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب وجوز بقرينة الحال أن يكون أولئك اشارة الى أهل البيت عليهم السلام وأنهم مبرؤن مما يقول أهل الافك وفي الآية قول آخر وهو أن يراد بالخبيثات النساء الخبائث وبالخبيثين الرجال الذين هم أشكال لهن فيكون أول الآية نظير قوله الزاني لا ينكح الا زانية وكذلك الكلام في أهل الطيب ولا أطيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم (٧٠) فيكون أزواجه مثله فلذلك أخبر عن حالهن بقوله (لهم مغفرة ورزق كريم) وقدم

تفسير الرزق الكريم في الحج تفسيره قوله في الاحزاب واعتدنا لهارزقا كريما وفي الآية دلالة على أن عائشة من أهل الجنة وقال بعض الشيعة هذا الوعد مشروط باجتناب الكبائر وقد فعلت عائشة من البغي يوم الجمل ما فعلت والصحيح عند العلماء انها رجعت عن ذلك الاجتهاد وثابت * عن عائشة لقد أعطيت تسعا ما أعطيتهن امرأة لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتي في راحته حين أمر النبي أن يتزوجني ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد توفي وان رأسه لفي حجري ولقد قبر في بيتي ولقد حفته الملائكة في بيتي وان الوحي لينزل عليه في أهله فيتفرقون عنه وان كان لينزل عليه وأنا معه في لحافه وانى لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عذري من السماء ولقد خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما وعن بعضهم برأ الله أربعة بأربعة برأ يوسف بلسان الشاهد ونهد شاهد من أهلها وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرأ مريم بانطاق ولدها حين نادى من تحتها الى عبد الله وبرأ عائشة بهذه الآيات العظام في كتابه المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات فانظركم بينها وبين تبرئة أولئك وماذاك الا لاظهار علو منزلة سيد الاولين والآخرين وحجة الله على العالمين ۞ التأويل قال

هجوت محمدا فأجبت عنه * وعند الله في ذاك الجزاء
فان أبي ووالده وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء
أتشتمه ولست له بكفء * فشركما لخيركما الفداء
لساني صارم لا عيب فيه * وبحري لا تكدره الدلاء

فقيل يا أم المؤمنين أليس هذا لغوا قالت لا انما اللغو ما قيل عند النساء قيل أليس الله يقول والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت أليس قد أصابه عذاب عظيم أليس قد ذهب بصره وكفع بالسيف * قال ثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال كنت عند عائشة فدخل حسان بن ثابت فأمرت فألقي له وسادة فلما خرج قلت لعائشة ما تصنعين بهذا وقد قال الله ما قال فقالت قال الله والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم وقد ذهب بصره ولعل الله يجعل ذلك العذاب العظيم ذهاب بصره **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا محمد بن أبي عدي عن شعبة عن سليمن عن أبي الضحى عن مسروق قال دخل حسان ابن ثابت على عائشة فشبب بأبيات له فقال * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل *

فقالت عائشة أما انك لست كذلك فقلت تدعين هذا الرجل يدخل عليك وقد أنزل الله فيه والذي تولى كبره الآية فقالت وأي عذاب أشد من العمى وقالت انه كان يدفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم **حدثني** محمد بن عثمان الواسطي قال ثنا جعفر بن عون عن المعلى بن عرفان عن محمد ابن عبد الله بن جحش قال تفاخرت عائشة وزينب قال فقالت زينب أنا التي نزل تزويجي من السماء قال وقالت عائشة أنا التي نزل عذري في كتابه حين حماني ابن المعطل على الراحلة فقالت لها زينب يا عائشة ما قلت حين ركبتها قالت قلت حسبي الله ونعم الوكيل قالت قلت كلمة المؤمنين * وقال آخرون هو عبد الله بن أبي ابن سلول ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كان الذين تكلموا فيه المنافق عبد الله بن أبي ابن سلول وكان يستوشيه ويجمعه وهو الذي تولى كبره ومسطحا وحسان بن ثابت **حدثنا** سفيان قال ثنا محمد بن بشر قال ثنا محمد بن عمرو قال ثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن علقمة ابن وقاص وغيره أيضا قالوا قالت عائشة كان الذي تولى كبره الذي يجمعهم في بيته عبد الله ابن أبي ابن سلول **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن شهاب قال ثني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة قالت كان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ان الذين جاؤا الآية الذين افتروا على عائشة عبد الله ابن أبي وهو الذي تولى كبره وحسان ومسطح وحمنة بنت جحش **حدثنا** عبد الوارث بن عبد الصمد

اذا حصل لأهل الله مسئلة الى غير فيض الله له ما يرده اليه وأن النبي عليه السلام لما قيل له أي الناس أحب اليك قال عائشة فما كنا نعرف قال يا عائشة حبك في قلبي كالعقدة وقالت عائشة اني أحبك وأحب قريبك فالله تعالى حل عقدة الحب عن قلبه لحديث الافك ورد قلب عائشة الى حضرته حتى قالت حين ظهرت براءتها بحمد الله لا بحمدك وقيل الملامة مفتاح باب حبس الوجود بها يذوب الوجود ذوبان الثلج

بالشمس يوم تشهد عليهم شهادة الأعضاء في القيامة مؤجلة وبالحقيقة هي في الدنيا معجلة كقوله تعرفهم بسيماهم من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وقال الشاعر عيناك قد حكتا سيبتك كيف كنت وكيف كانا ولرب عين قد أرتك مسيئ صاحبها عيانا واذا كانت الامارة في الدنيا ظاهرة فهي في القيامة أولى فاللسان يشهد بالاقرار بقراءة القرآن واليد تشهد بأخذ الصحف والرجل تشهد بالمشي الى المسجد والعين تشهد بالبكاء والاذن تشهد باستماع كلام الله وعند الحكماء تظهر (٧١) أنوار الملكات الحميدة على النفس من البدن وبالعكس كما تتعاكس أنوار المرايا المتقابلة ويعلمون أهل الوصول والوصال أن الله هو الحق المبين لا شئ في الوجود غيره لا في الدنيا ولا في الآخرة وحينئذ يحق أن يقال الخبيثات وهن الملوثات بلوث الوجود المجازي للخبيثين وهم أمثالهن والطيبات من لوث الحدوث للطيبين وهم انكالهن ولا طيب الا الله وحده ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو

قال ثنا أبي قال ثنا أبان العطار قال ثنا هشام بن عروة في الذين جاؤا بالافك يزعمون أنه كان كبر ذلك عبد الله بن أبي ابن سلول أحدثني عوف بن الحرث وأخبرت أنه كان يحدث به عنهم فيقره ويسمعه ويستوشيه حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أما الذي تولى كبره منهم فعبد الله بن أبي ابن سلول الخبيث هو الذي ابتدأ هذا الكلام وقال امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد والذي تولى كبره هو عبد الله بن أبي ابن سلول وهو بدأه * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال الذي تولى كبره من عصبة الافك كان عبد الله بن أبي وذلك أنه لا خلاف بين أهل العلم بالسير أن الذي بدأ بذكر الافك وكان يجمع أهله ويحدثهم عبد الله بن أبي ابن سلول وفعله ذلك على ما وصفت كان توليه كبر ذلك الامر وكان سبب مجيء أهل الافك ما حدثنا به ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب قال ثني عروة ابن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن حديث عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الافك ما قالوا فبرأها الله وكلهم حدثني بطائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني وبعضهم حدثني يصدق بعضهم بعضا زعموا أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها قالت عائشة فأقرع بيننا في غزاة غزاها فخرج سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد ما أنزل الحجاب وأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه وقفل الى المدينة أذن ليلة بالرحيل فقمت حين أذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت الى الرحل فلمست صدري فاذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه قالت وكانت النساء اذ ذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم انما يأكل العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه ورفعوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون الي فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت حتى أصبحت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلي فرأى سواد انسان نائم فأتاني فعرفني حين رآني وكان يراني قبل أن يضرب الحجاب فاستيقظت

التابعين غير أولي الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان

الله من بعد اكراههن غفور رحيم ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين ۞ القراآت ويضرن بكسر اللام على الأصل عياش جيوبهن بضم الجيم أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وسهل ويعقوب وخلف وهشام وعاصم غير الأعشى والبرجمي والقواس من طريق الهاشمي وفي رواية خلف عن حمزة باشمام الجيم الضم ثم يشير الى الكسر وبضم الياء الآخرون بالكسر الخالص غير بالنصب على الاستثناء أو الحال ابن عامر (٧٣) ويزيد وأبو بكر وحماد الباقون بالكسر على الوصف أيه المؤمنون بضم الهاء في الحالين ابن عامر وقرأ أبو عمرو وعلي وابن كثير بألف في الوقف الباقون بفتح الهاء بغير ألف في الوقف وبألف في الوصل ۞ الوقوف أهلها ط تذكرون ○ يؤذن لكم ج للشرط مع العطف أزكى لكم ط عليم ○ متاع لكم ط تكتمون ○ فروجهم ط لهم ط ما يصنعون ○ جيوبهن ○ صل عورات النساء ص زينتهن ط تفلحون ○ وأمائكم ط فضله ط عليم ○ فضله ط خيرا ق قد قيل والوصل أوجه للعطف آتاكم ط للعدول الى حكم آخر الدنيا ط رحيم ○ للمتقين ○ ۞ التفسير الحكم الرابع الاستئذان لما كانت الخلوة طريقا الى التهمة ولذلك وجد أهل الافك سبيلا الى افكهم شرع أن لا يدخل المرء بيت غيره الا بعد الاستئذان وفي الآية أسئلة الاول الاستئناس هو الأنس الحاصل بعد المجانسة قال الله تعالى ولا مستأنسين لحديث ولا يكون ذلك في الأغلب الا بعد الدخول والسلام فلم عكس هذا الترتيب في الآية جوابه بعد تسليم أن الواو للترتيب هو أن الاستئناس طلب الانس وأنه مقدم على السلام وقال جار الله هو من باب الكفاية والارداف لان الانس الذي هو خلاف الوحشة يرد ف الاذن فوضع موضع الاذن كأنه قيل حتى يؤذن لكم أو هو استفعال من آنس اذا أبصر فالمراد حتى تستكشفوا الحال وتبين هل يراد دخولكم أم لا وهو أو هو من الانس بالكسر وهو أن يتعرف هل ثم انسان لأنه لا معنى للسلام ما لم يعلم أن في البيت انسان أم لا وعن ابن عباس وسعيد بن جبير انما هو حتى تستأذنوا فأخطأ الكاتب ولا يخفى ضعف هذه الرواية لأنها توجب الطعن في المتواتر وتفتح باب القدح في القرآن كله نعوذ بالله منه ● الثاني ما الحكمة في شرع الاستئذان الجواب كيلا يطلع الداخل على عورات ولا تسبق عينه الى ما لا يحل النظر اليه ولئلا يوقف

باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي والله ما تكلمت بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها فانطلق يقودبي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا في نحر الظهيرة فهلك من هلك في شأني وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي ابن سلول فقدمت المدينة فاشتكيت شهرا والناس يفيضون في قول أهل الافك ولا أشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم فذلك يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعد ما نقهت فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا ولا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الاول في التنزه وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم بن عبد المطلب بن عبد مناف وأمها ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب فأقبلت أنا وابنة أبي رهم قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها أي أنتي بئس ما قلت أتسبين رجلا قد شهد بدرا فقالت أي هنتاه أولم تسمعي ما قال قلت وما قال فأخبرتني بقول أهل الافك فازددت مرضا على مرضي فلما رجعت الى منزلي ودخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال كيف تيكم فقلت أتأذن لي أن آتي أبوي قال نعم قالت وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أبوي فقلت لأمي أي أمتاه ماذا يتحدث الناس فقالت أي بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا أكثرن عليها قالت قلت سبحان الله أوقد تحدث الناس بهذا وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت نعم قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت فدخل علي أبو بكر وأنا أبكي فقال لأمي ما يبكيها قالت لم تكن علمت ما قيل لها فأكب يبكي فبكى ساعة ثم قال اسكتي يا بنية فبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم بكيت ليلي المقبل لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم حتى ظن أبواي أن البكاء سيفلق كبدي فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله قالت فأما أسامة فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي في نفسه من الود فقال يا رسول الله هم أهلك ولا نعلم الا خيرا وأما علي فقال لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وان تسأل الجارية تصدقك يعني بريرة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال هل رأيت من شيء يريبك من عائشة قالت له بريرة والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمرا قط أغمصه عليها أكثر من أنها حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله فقام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال من يعذرني ممن قد بلغني أذاه في أهلي يعني عبد الله بن أبي ابن سلول وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

على الاحوال التى تخفيها الناس فى العادة ولانه تصرف فى ملك الغير فلابد أن يكون برضاه والا أشبه الغصب والتغلب ولذلك قال سبحانه (ذلكم) يعنى الاستئذان والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية والدمور أى الدخول من غير اذن قال صلى الله عليه وسلم من سبقت عينه استئذانه فقد دمر واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك كأن صاحبه دامر لعظم ما ارتكب (لعلكم تذكرون) أى أنزل عليكم أو قيل لكم هذا ارادة أن تتعظوا أو تعملوا به الثالث كيف يكون الاستئذان جوابه استأذن رجل على رسول الله (٧٣) فقال ألج فقال لامرأته يقال لهارضة قومى الى هذا فعليه فانه لايحسن أن يستأذن قولى له يقول السلام عليكم أأدخل فسمع الرجل فقالها فقال ادخل ويؤيده قراءة عبدالله حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا وكان أهل الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته فى لحاف واحد فمنع الله تعالى عن ذلك وعلم الأدب الأحسن وعن مجاهد حتى تستأنسوا هو التنحنح ونحوه وقال عكرمة هو التسبيح والتكبير وقرع الباب بعنف وآذا التصبيح بصاحب الدار منهى عنه وكذا كل مايؤدى الى الكراهية وينبغى عن الثقل الرابع كم عدد الاستئذان الجواب روى أبو هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال الاستئذان ثلاث بالأولى يستنصتون والثانية يستصلحون والثالثة يأذنون أو يردون ومثله عن أبى موسى الأشعرى وقصته مع عمر مشهورة فى ذلك وعن قتادة الاستئذان ثلاثة الاول يسمع الحى الثانى ليتهيأ والثالث ان شاؤا أذنوا وان شاؤا ردوا وينبغى أن يكون بين المرات فاصلة والا كان الكل فى حكم واحد الخامس كيف يقف على الباب جوابه أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكنه

وهو على المنبر أيضا يامعشر المسلمين من يعذرنى من رجل قد بلغنى أذاه فى أهلى فوالله ماعلمت على أهلى الاخيرا ولقد ذكروا رجلا ماعلمت عليه الاخيرا وما كان يدخل على أهلى الا معى فقام سعد بن معاذ الانصارى فقال أنا أعذرك منه يارسول الله ان كان من الاوس ضربنا عنقه وان كان من اخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك فقام سعد بن عبادة فقال وهو سيد الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال أى سعد بن معاذ لعمر الله لاتقتله ولاتقدر على قتله فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم أتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا فى بيت أبوى فبينا هما جالسان عندى وأنا أبكى استأذنت على امرأة من الانصار فأذنت لها فجلست تبكى معى قالت فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس عندى ولم يجلس عندى منذ قيل ماقيل وقد لبث شهرا لايوحى اليه فى شأنى بشئ قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال أما بعد ياعائشة فانه بلغنى عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعى حتى ما أحس منه دمعة قلت لأبى أجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال والله ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لأمى أجيبى عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت والله ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت فقلت وأنا جارية حديثة السن لاأقرأ كثيرا من القرآن انى والله قد عرفت أن قد سمعتم بهذا حتى استقر فى أنفسكم حتى كدتم أن تصدقوا به فان قلت لكم انى بريئة والله يعلم أنى بريئة لاتصدقونى بذلك ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أنى منه بريئة لتصدقنى وانى والله ما أجد لى ولكم مثلا الا كما قال أبو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تولیت فاضطجعت على فراشى وأنا والله أعلم أنى بريئة وأن الله سيبرئنى ببراءتى ولكنى والله ما كنت أظن أن ينزل فى شأنى وحى يتلى ولشأنى كان أحقر فى نفسى من أن يتكلم الله فى بأمر يتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام رؤيا يبرئنى الله بها قالت والله مارام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولاخرج من البيت أحد حتى أنزل الله على نبيه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحى حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق فى اليوم الشاتى من ثقل القول الذى أنزل عليه قالت فلما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك كان أول كلمة تكلم بها أن قال أبشرى ياعائشة ان الله قد برأك فقالت لى أمى قومى اليه فقلت والله لا أقوم اليه ولا أحمد الا الله هو الذى أنزل براءتى فأنزل الله ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم عشر آيات فأنزل هذه الآيات

(١٠ - (ابن جرير) - ثامن عشر) يقف من ركنه الأيمن أو الأيسر فان كان الباب ستر كانت الكراهية أخف السادس قوله حتى تستأنسوا وتسلموا يدل على أنه يجوز الدخول بعد الاستئذان والتسليم وان لم يكن ثمة اذن أو من يأذن لأن حتى للغاية والحكم بعد الغاية يكون خلاف ماقبلها جوابه سلمنا انها للغاية لكن لانسلم المناقضة وذلك أنه قبل الاستئذان لايجوز الدخول مطلقا وبعده فيه تفصيل وهو أنه ان لم يجد فيها أحدا من الآذنين مطلقا أو من يعتبر اذنه شرعا فليس له الدخول وذلك قوله (فان لم تجدوا فيها أحدا) أى على الاطلاق أو ممن له

الاذن (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) أى حتى تجدوا من يأذن لكم أو من يعتبر اذنه وان وجد فيها من له الاذن فان أذن دخل وان لم يأذن وقال ارجع رجع وهو قوله (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى) أى الرجوع أطيب (لكم وأطهر) لما فيه من سلامة الصدر والبعد من الريبة وفى قوله (والله بما تعملون عليم) نوع زجر للمكلف فعليه أن يحتاط كيف يدخل ولاى غرض يدخل وكيف يخرج وهل يقوم غير الاذن مقام الاذن عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال رسول الرجل الى الرجل اذنه وفى رواية أخرى اذا دعى أحدكم فجاء مع الرسول فان ذلك له اذن وقيل ان من قد جرت العادة له باباحة الدخول فهو غير محتاج الى الاستئذان والجمهور على أن اذن الصبى والعبد والمرأة معتبر وكذلك فى الهدايا لاجل الضرورة وهل يعتبر الاستئذان على المحارم روى أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم أستأذن على أمى قال نعم قال انها ليس لها خادم غيرى أستأذن عليها كلما دخلت عليها قال أتحب أن تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن قال العلماء ان كان المنع من الهجوم على الغير لاجل أنه لا يراه منكشف الاعضاء فتستثنى منه الزوجة وملك اليمين وان كان لاجل أنه لا يراه مشغولا بما يكره الاطلاع عليه فالمنع عام الا اذا عرض ما يبيح هتك الستر كحريق أو هجوم سارق أو ظهور منكر يجب انكاره التاسع ما حكم من اطلع على دار غيره بغير اذنه الجواب قال الشافعى لو فقأ عينه فهى هدر وتمسك بما روى سهل بن سعد أنه اطلع رجل فى حجرة من حجر النبى صلى الله عليه وسلم ومع النبى مدرى يحك بها رأسه فقال لو علمت أنك تنظر لطعنت بها فى عينك انما الاستئذان من النظر وعن أبى هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال من اطلع فى دار قوم بغير اذنهم ففقؤا عينه فقد هدرت عينه قال أبو بكر الرازى هذا الخبر مردود لورده على خلاف الاصول فلا خلاف أنه لو دخل داره بغير اذنه ففقأ عينه كان ضامنا وعليه والله القصاص ان كان عامدا ومعلوم أن الداخل قد اطلع وزاد على الاطلاع فمعنى الحديث لو صح انه من اطلع فى دار قوم ونظر الى حرمهم ونسائهم ثم منع فلم يمتنع فذهبت عينه فى حال الممانعة فهى هدر وأجيب بالفرق فانه اذا علم القوم دخوله عليهم احترز واعنه وستر واولما اذا نظر على حين غفلة منهم اطلع على ما لا يراد الاطلاع عليه فلا بعد فى حكمة الشرع أن يبالغ ههنا فى الزجر حسما لمادة هذه المفسدة جميع هذه

براءتى قالت فقال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره والله لا أنفق عليه شيأ أبدا بعد الذى قال لعائشة قالت فأنزل الله ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة حتى بلغ غفور رحيم فقال أبو بكر انى لأحب أن يغفر الله لى فرجع الى مسطح النفقة التى كان ينفق عليه وقال لا أنزعها منه أبدا قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش عن أمرى وما رأت وما سمعت فقالت يا رسول الله أحمى سمعى وبصرى والله ما رأيت الا خيرا قالت عائشة وهى التى كانت تسامينى فعصمها الله بالورع وطفقت أختها حمنة تحارب فهلكت فيمن هلك قال الزهرى بن شهاب هذا الذى انتهى الينا من أمر هؤلاء الرهط **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الزهرى عن علقمة بن وقاص الليثى عن سعيد بن المسيب وعن عروة بن الزبير وعن عبيد الله بن عتبة بن مسعود قال الزهرى كل قد حدثنى بعض هذا الحديث وبعض القوم كان أوعى له من بعض قال وقد جمعت لك كل الذى قد حدثنى **وحدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة ● قال ونبئت عن ابن اسحق قال ثنا يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة ● قال ونبئت عن عبد الله بن بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الانصارى عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة قالت وكل قد اجتمع فى حديثه قصة خبر عائشة عن نفسها حين قال أهل الافك فيها ما قالوا وكلهم قد دخل فى حديثها عن هؤلاء جميعا ويحدث بعضهم ما لم يحدث بعض وكل كان عنها ثقة وكل قد حدث عنها ما سمع قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه فلما كانت غزاة بنى المصطلق أقرع بين نسائه كما كان يصنع فخرج سهمى عليهن فخرج بى رسول الله صلى الله عليه وسلم معه قالت وكان النساء ذاك انما يأكلن العلق لم يهبجهن اللحم فينقلن قالت وكنت اذا رحل بعيرى جلست فى هودجى ثم يأتى القوم الذين يرحلون بى بعيرى ويحملونى فيأخذون بأسفل الهودج يرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فينطلقون به قال فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك وجه قافلا حتى اذا كان قريبا من المدينة نزل منزلا فبات بعض الليل ثم أذن فى الناس بالرحيل فلما ارتحل الناس خرجت لبعض حاجتى وفى عنقى عقد لى من جزع ظفار فلما فرغت انسل من عنقى وما أدرى فلما رجعت الى الرحل ذهبت ألتمسه فى عنقى فلم أجده وقد أخذ الناس فى الرحيل قالت فرجعت عودى الى بدئى الى المكان الذى ذهبت اليه فالتمسته حتى وجدته وجاء القوم خلالى الذين كانوا يرحلون بى البعير ثم ذكر نحو حديث ابن عبد الأعلى عن ابن ثور **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت لما ذكر من شأنى الذى ذكر وما علمت به قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا وما علمت فتشهد فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد أشيروا علىّ فى أناس أبنوا أهلى والله ما علمت على أهلى سوأ قط وأبنوهم بمن

الاحكام فيما اذا كانت الدار مسكونة فان لم تكن مسكونة فذلك قوله (ليس عليكم جناح) الآية وللمفسرين فيه أقوال الأول قول محمد بن الحنفية أنها الخانات والرباطات وحوانيت البياعين والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرحال والسلع والبيع والشراء روى أن أبا بكر قال يارسول الله ان الله قد أنزل عليك آية في الاستئذان وانا نختلف في تجاراتنا فتنزل هذه الخانات أفلا ندخلها الا باذن فنزلت وقيل هي الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز وقيل الأسواق والاولى العموم وانما لم يحتج الى الاذن دفعا للحرج ولأنها مأذون في دخولها من جهة العرف ثم ختم الآية بوعيد مثل ما تقدم الحكم الخامس غض البصر وحفظ الفرج عما لا يحل وتخصيص المؤمنين بهذا التكليف عند من لا يجعل الكفار مكلفين بفروع الاسلام ظاهر وأما عند من يجعلهم مكلفين بالفروع أيضا فالتخصيص للتشريف أو لنزول فقدان مقدمة التكليف منزلة فقدان التكليف وان كان حالهم في الحقيقة كحال المؤمنين في استحقاق العقاب على تركها قال أكثر النحويين من للتبعيض والمراد غض شئ من البصر لأن غض كله كالمتعذر بخلاف حفظ الفرج فانه ممكن على الاطلاق وجوز الأخفش أن تكون من مزيدة وقيل صلة للغض أي ينقصوا من نظرهم يقال غضضت من فلان اذا انقصت من قدره فالنظر اذا لم يكن من عمله فهو معفو موضوع عنه واعراب قوله يغضوا كما مر في سورة ابراهيم في قوله قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا قال الفقهاء العورات على أربعة أقسام عورة الرجل مع الرجل وعورة المرأة مع المرأة وعورة المرأة مع الرجل وبالعكس أما الرجل مع الرجل فيجوز أن ينظر الى جميع بدنه الا الى عورته وعورته ما بين السرة والركبة والسرة والركبة ليستا بعورة

والله ما علمت عليه سوأة قط ولا دخل بيتي قط الا وأنا حاضر ولا أغيب في سفر الا غاب معي فقام سعد بن معاذ فقال يارسول الله نرى أن نضرب أعناقهم فقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان ابن ثابت من رهط ذلك الرجل فقال كذبت أما والله لو كانوا من الاوس ما أحببت أن تضرب أعناقهم حتى كاد أن يكون بين الأوس والخزرج في المسجد شر وما علمت به فلما كان مساء ذلك اليوم خرجت لبعض حاجتي ومعي أم مسطح فعثرت فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا فقالت أي هنتاه ألم تسمعي ما قال قلت وما قال فأخبرتني بقول أهل الافك فازددت مرضا على مرضي فلما رجعت الى بيتي فكأن الذي خرجت له لم أخرج له ولا أجد منه قليلا ولا كثيرا ووعكت فقلت يارسول الله أرسلني الى بيت أبي فأرسل معي الغلام فدخلت الدار فاذا أنا بأمي أم رومان قالت ما جاء بك يابنية فأخبرتها فقالت خفضي عليك الشأن والله ما كانت امرأة جميلة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا حسدنها وقلن فيها قلت وقد علم بها أبي قالت نعم قلت ورسول الله قالت نعم فاستعبرت وبكيت فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق البيت يقرأ فنزل فقال لأمي ما شأنها قالت بلغها الذي ذكر من أمرها ففاضت عيناه فقال أقسمت عليك الا رجعت الى بيتك فرجعت فأصبح أبواي عندي فلم يرا لا عندي حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بعد العصر وقد اكتنفني أبواي عن يميني وعن شمالي فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد ياعائشة ان كنت قارفت سوأ أو ألممت فتوبي الى الله فان الله يقبل التوبة عن عباده وقد جاءت امرأة من الأنصار وهي جالسة فقلت ألا تستحي من هذه المرأة أن تقول شيأ فقلت لأبي أجبه فقال أقول ماذا قلت لأمي أجيبيه فقالت أقول ماذا فلما لم يجيباه تشهدت فحمدت الله وأثنيت عليه بما هو أهله ثم قلت أما بعد فوالله لئن قلت لكم اني لم أفعل والله يعلم اني لصادقة ماذا بانا في عند كم لقد تكلم به وأشربته قلوبكم وان قلت اني قد فعلت والله يعلم أني لم أفعل لتقولن قد باءت به على نفسها وأيم الله ما أجد لي ولكم مثلا الا كما قال أبو يوسف وما احفظ اسمه فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون وأنزل الله على رسوله ساعتئذ فرفع عنه واني لأتبين السرور في وجهه وهو يمسح جبينه يقول أبشري ياعائشة فقد أنزل الله براءتك فكنت أشد ما كنت غضبا فقال لي أبواي قومي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت والله لا أقوم اليه ولا أحمده ولا أحمد كما لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه ولكني أحمد الله الذي أنزل براءتي ولقد جاء رسول الله بيتي فسأل الجارية عني فقالت والله ما أعلم عليها عيبا الا أنها كانت تنام حتى كانت تدخل الشاة فتأكل حصيرها أو عجينها فانتهرها بعض أصحابه وقال لها أصدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عروة فغضب على من قاله فقال لا والله ما أعلم عليها الا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الاحمر وبلغ ذلك الرجل الذي قيل له

وعند أبي حنيفة الركبة عورة قال مالك الفخذ ليست بعورة وهو خلاف ما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلي لا تبرز فخذك ولا تنظر الى فخذ حي ولا ميت فان كان في نظره الى وجه الرجل أو سائر بدنه شهوة أو خوف فتنة بأن كان أمرد لا يحل النظر اليه ولا يجوز للرجل مضاجعة الرجل وان كان واحد منهما في جانب الفراش لرواية أبي سعيد الخدري أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يفضي الرجل الى الرجل في ثوب واحد ولا تفضي المرأة الى المرأة في الثوب الواحد ويكره المعانقة وتقبيل الوجه الا لولد شفقة وتستحب المصافحة والمرأة مع المرأة كالرجل مع الرجل

فقال سبحان الله ما كشفت كنف انثى قط فقتل شهيدا فى سبيل الله قالت عائشة فأما زينب بنت جحش فعصمها الله بدينها فلم تقل الا خيرا وأما أختها حمنة فهلكت فيمن هلك وكان الذين تكلموا فيه المنافق عبد الله بن أبى ابن سلول وكان يستوشيه ويجمعه وهو الذى تولى كبره ومسطح وحسان بن ثابت فحلف أبو بكر أن لا ينفع مسطحا بنافعة فأنزل الله ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة يعنى أبا بكر أن يؤتوا أولى القربى والمساكين يعنى مسطحا الا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم قال أبو بكر بلى والله انا نحب أن يغفر الله لنا وعاد أبو بكر لمسطح بما كان يصنع

حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر قال ثنا محمد بن عمرو قال ثنا يحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب عن علقمة بن وقاص وغيره أيضا قال خرجت عائشة تريد المذهب ومعها أم مسطح وكان مسطح بن أثاثة ممن قال ما قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس قبل ذلك فقال كيف ترون فيمن يؤذينى فى أهلى ويجمع فى بيته من يؤذينى فقال سعد بن معاذ أى رسول الله ان كان منا معشر الأوس جلد نا رأسه وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا فأطعنا فقال سعد بن عبادة يا ابن معاذ والله ما بك نصر رسول الله ولكنها قد كانت ضغائن فى الجاهلية وإن لم تحلل لنا من صدوركم بعد فقال ابن معاذ الله أعلم ما أردت فقام أسيد بن حضير فقال يا ابن عبادة ان سعدا ليس شديدا ولكنك تجادل عن المنافقين وتدفع عنهم وكثر اللغط فى الحيين فى المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على المنبر فما زال النبى صلى الله عليه وسلم يومئ بيده الى الناس ههنا وههنا حتى هدأ الصوت وقالت عائشة كان الذى تولى كبره والذى يجمعهم فى بيته عبد الله ابن أبى ابن سلول قالت فخرجت الى المذهب ومعى أم مسطح فعثرت فقالت تعس مسطح فقلت غفر الله لك أتقولين هذا لابن لك وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ذلك مرتين وما شعرت بالذى كان فحدثت فذهب عنى الذى خرجت له حتى ما أجد منه شيأ ورجعت على أوى أبى بكر وأم رومان فقلت أما اتقيتما الله فى ما وصلتما رحمى قال النبى صلى الله عليه وسلم الذى قال وتحدث الناس بالذى تحدثوا به ولم تعلمانى به فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أى بنية والله لقلما أحب رجل قط امرأة الا قالوا لها نحو الذى قالوا لك أى بنية ارجعى الى بيتك حتى تأتيك فيه فرجعت وارتكبنى صالب من حمى بفناء أبواى فدخلا وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس على سريرى وجاءنى فقلت لأمى أى بنية ان كنت صنعت ما قال الناس فاستغفرى الله وان لم تكونى صنعتيه فأخبرى رسول الله بعذرك قلت ما أجد لى ولكم الا كما قال أبو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون قالت فالتمست اسم يعقوب فما قدرت أو فلم أقدر عليه فشخص بصر رسول الله الى السقف وكان اذا نزل عليه وجد قال الله انا سنلقى عليك قولا ثقيلا فوالذى هو أكرمه وأنزل عليه الكتاب ما زال يفصل حتى انى لأنظر الى نواجذه سرورا ثم مسح عن وجهه فقال يا عائشة أبشرى فقد أنزل الله عذرك قلت بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد أصحابك قال ان

(٧٦)

وجه الأجنبية بغير غرض فان وقع بصره عليها بغتة غض بصره لقوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ولقوله صلى الله عليه وسلم يا على لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليست لك الآخرة فان كان هناك غرض ولا شهوة ولا فتنة فذلك والغرض أمور منها أن يريد نكاح امرأة فينظر الى وجهها وكفيها روى أبو هريرة أن رجلا أراد أن يتزوج امرأة من الأنصار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر اليها فان فى أعين الأنصار شيأ ومنها اذا أراد شراء جارية فله أن ينظر الى ما ليس بعورة منها ومنها أنه عند المبايعة ينظر الى وجهها متأملا حتى يعرفها عند الحاجة ومنها أنه ينظر اليها عند تحمل الشهادة ولا ينظر الى غير الوجه لأن المعرفة تحصل به ومنها يجوز للطبيب الأمين أن ينظر الى بدن الأجنبية للعلاج كما يجوز للخاتن أن ينظر الى فرج المختون لأنه محل ضرورة وكما يجوز أن ينظر الى فرج الزانيين لتحمل الشهادة والى فرجها لتحمل شهادة الولادة اذا لم تكن نسوة والى ثدى المرضعة لتحمل الشهادة على الرضاع فان كان هناك شهوة وفتنة فالنظر محظور قال صلى الله عليه وسلم العينان تزنيان وقيل مكتوب فى التوراة النظر يزرع الشهوة فى القلب وربما شهوة أورثت حزنا طويلا ويستثنى منه ما لو وقعت فى حرق أو غرق فله أن ينظر الى بدنها ان ليخلصها وان كانت الأجنبية أمة فالأصح أن عورتها ما بين السرة والركبة لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال فى الرجل يشترى الأمة لا بأس أن ينظر اليها الا الى العورة وعورتها ما بين معقد ازارها الى ركبتها وقيل الا ما تبدى المهنة فيخرج منه أن رأسها وعنقها وساعديها وساقيها ونحرها وصدرها ليس بعورة وفى ظهرها وبطنها وما فوق ساعديها الخلاف وحكم المكاتبة والمدبرة والمستولدة ومن بعضها رقيق

على نفسك أن تؤدي بذلك أو كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق وقبل سمي بذلك لما يقع فيه من التأجيل واجبا عند الشافعي وندبا عند أبي حنيفة كما يجيء والاجل يستدعي الكتابة لقوله اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه قال يحيى السنة الكتابة أن تقول لمملوكك كاتبتك على كذا وسمى ما يؤديه في نجمين أو أكثر ويعين عدد النجوم (٨٥) وما يؤدي في كل نجم ويقول اذا أديت ذلك

الأعمال تكون للطيبين **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عثمان ابن الأسود عن مجاهد الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس والطيبات من الكلام للطيبين من الناس **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات قال الطيبات القول الطيب يخرج من الكافر والمؤمن فهو للمؤمن والخبيثات القول الخبيث يخرج من المؤمن والكافر فهو للكافر أولئك مبرؤن مما يقولون وذلك أنه برأ كلا هما مما ليس بحق من الكلام **حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات يقول الخبيثات والطيبات القول السيء والحسن للمؤمنين الحسن والكافرين السيء أولئك مبرؤن مما يقولون وذلك بأنه ما قال الكافرون من كلمة طيبة فهي للمؤمنين وما قال المؤمنون من كلمة خبيثة فهي للكافرين كل بريء مما ليس بحق من الكلام **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الخبيثات للخبيثين قال الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس والخبيثون من الناس للخبيثات من الكلام **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله الخبيثات للخبيثين الآية يقول الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول والطيبات من القول للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من القول فهذا في الكلام وهم الذين قالوا لعائشة ما قالوا هم الخبيثون والطيبون هم المبرؤن مما قال الخبيثون **حدثنا** أبو زرعة قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سلمة يعني ابن نبيط الاشجعي عن الضحاك الخبيثات للخبيثين قال الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس والطيبات من الكلام للطيبين من الناس * قال ثنا قبيصة قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح وعثمان ابن الأسود عن مجاهد الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات قال الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس والخبيثون من الناس للخبيثات من القول والطيبات من القول للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من القول * قال ثنا سفيان عن خصيف عن سعيد بن جبير قال الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات قال الخبيثات من القول للخبيثين من الناس والخبيثون من الناس للخبيثات من القول والطيبات من القول للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من القول * قال ثنى محمد بن بكر بن مقدم قال أخبرنا يحيى بن سعيد عن عبد الملك يعني ابن أبي سليمان عن القاسم بن أبي بزة عن سعيد بن جبير عن مجاهد والخبيثون للخبيثات قال الخبيثات من القول للخبيثين من الناس * قال ثنا عباس بن الوليد الترسي قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات

المال فأنت حر وينوي ذلك بقلبه ويقول العبد قبلت وفي هذا الضبط أبحاث الاول قال الشافعي ان لم ينو بلسانه اذا أديت ذلك المال فأنت حر ولم ينو بقلبه ذلك لم يعتق لان الكتابة ليست عقد معاوضة محضة فان ما في يد العبد فهو ملك السيد والانسان لا يمكنه بيع ملكه بعين ملكه فقوله كاتبتك كتابة في العتق فلا بد فيه من لفظ العتق ونيته وقال أبو حنيفة ومالك وأبو يوسف ومحمد وزفر لا حاجة الى ذلك لاطلاق قوله فكاتبوهم واذا صحت الكتابة وجب أن يعتق بالاداء للاجماع الثاني لا تجوز الكتابة عند الشافعي الا مؤجلة لان العبد لا يتصور له ملك يؤديه في الحال وجوز أبو حنيفة الحلول لاطلاق الآية ولانه يجوز العتق على مال في الحال بالاتفاق فالكتابة أيضا مثله الثالث قال الشافعي لا تجوز الكتابة على أقل من نجمين روى ذلك عن علي عليه السلام وعمر وعثمان وابن عمر وذلك أنه عقد ارفاق ومن تمام الارفاق التنجيم وجوز أبو حنيفة على نجم واحد لاطلاق الآية ولقياس على سائر العقود الرابع جوز أبو حنيفة كتابة الصبي قال ويقبل عنه المولى وذهب الشافعي الى أنه يجب أن يكون عاقلا بالغا لانه تعالى قال والذين يبتغون والصبي لا يتصور منه الطلب الخامس جوز

أبو حنيفة أن يكاتب الصبي باذن الولي وشرط الشافعي كونه مكلفا مطلقا لان قوله فكاتبوهم خطاب فلا يتناول الا العاقل هذا وللمفسرين خلاف في أن قوله فكاتبوهم أمر ايجاب أو استحباب فقال قائلون ومنهم عمرو بن دينار وعطاء وداود بن علي ومحمد بن جرير الى وجوب الكتابة اذا طلبها المملوك بقيمته أو بأكثر وعلم السيد فيه خيرا ولو كان بدون قيمته لم يلزمه وأكده عمار وروي في سبب النزول أنه كان لحويطب

ابن عبد العزى مملوك يقال له الصبيح سأل مولاه أن يكاتبه فأبى فترك ويروى أن عمر أمر انسانا بأن يكاتب سيرين أبا محمد بن سيرين فأبى فضربه بالدرة ولم ينكر أحد من الصحابة عليه وذهب أكثر العلماء منهم ابن عباس والحسن والشعبي ومالك وأبو حنيفة والشافعي والثوري الى أنه ندب لقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل مال امرئ مسلم الا بطيب من قلبه ولان طلب الكتابة كطلب بيعه ممن يعتقه في الكفارة فلا تجب الاجابة وهذه طريقة المعاوضات أجمع قال العلماء اذا أدى مال الكتابة عتق وكان ولاؤه لمولاه لانه جاد عليه بالكسب الذي هو في الاصل له ومن هنا يكسب مولاه الثواب أما قوله (ان علمتم فيهم خيرا) قال عطاء الخير هو المال كقوله ان ترك خيرا قال بلغني ذلك عن ابن عباس وضعف بأنه لا يقال في فلان مال وانما يقال له أو عنده مال وبأن العبد لا مال له بل المال لسيده وعن ابن سيرين أراد اذا صلى وعن النخعي وفاء وصدقا وقال الحسن صلاحا في الدين والأقرب أنه شيء يتعلق بالكتابة هكذا فسره الشافعي بالامانة والقوة على الكسب ويروى مثله مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن مقصود الكتابة لا يحصل الا بالكسب ثم بالامانة كيلا يضيع ما يكسبه واختلفوا أيضا في المخاطب بقوله (وآتوهم) فعن الحسن والنخعي وابن عباس في رواية عطاء وهو مذهب أبي حنيفة أنهم المسلمون والمراد أعطوهم سهمهم الذي جعل الله لهم من بيت المال ولا بعد في كون المخاطب في أحد المعطوفين غير الآخر ولا في كون أحد الامرين للاستحباب والآخر للايجاب والسهم الذي يأخذه المكاتب له صدقة ولسيده عوض كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية وعن كثير من الصحابة وهو مذهب الشافعي أن المخاطب هو الموالي والامر أمر ايجاب فيجب عليهم أن يبذلوا للمكاتبين شيأ من أموالهم أو يحطوا عنهم جزأ من مال الكتابة ثم اختلفوا في قدره فعن علي عليه السلام أنه كان يحط الربع ومثله ما روى عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن أنه كاتب غلاما له فترك له ربع مكاتبته وعن ابن عمر أنه كاتب

الطيبين والطيبون للطيبات يقول الخبيثات من القول والعمل للخبيثين من الناس والخبيثون من الناس للخبيثات من القول والعمل حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن طلحة بن عمرو عن عطاء قال الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات قال الطيبات من القول للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من القول والخبيثات من القول للخبيثين من الناس والخبيثون من الناس للخبيثات من القول * وقال آخرون بل معنى ذلك الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات قال نزلت في عائشة حين رماها المنافق بالبهتان والفرية فبرأها الله من ذلك وكان عبد الله بن أبي هو خبيث وكان هو أولى بأن تكون له الخبيثة ويكون لها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبا وكان أولى أن تكون له الطيبة وكانت عائشة الطيبة وكان أولى أن يكون لها الطيب أولئك مبرؤن مما يقولون قال هم هنا برئت عائشة لهم مغفرة ورزق كريم * وأولى هذه الاقوال في تأويل الآية قول من قال عنى بالخبيثات الخبيثات من القول وذلك قبيحه ومسيئه للخبيثين من الرجال والنساء والخبيثون من الناس للخبيثات من القول هم بها أولى لأنهم أهلها والطيبات من القول وذلك حسنه وجميله للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من القول لأنهم أهلها وأحق بها وانما قلنا هذا القول أولى بتأويل الآية لأن الآيات قبل ذلك انما جاءت بتوبيخ الله لقائلين في عائشة الافك والرامين المحصنات الغافلات المؤمنات واخبارهم ما حضهم به على افكهم فكان ختم الخبر عن أولى الفريقين بالافك من الرامي والمرمي به أشبه من الخبر عن غيرهم وقوله أولئك مبرؤن يقول الطيبون من الناس مبرؤن من خبيثات القول ان قالها فان الله يصفح لهم عنها او يغفرها لهم وان قيلت فيهم ضرت قائلها ولم تضرهم كما لو قال الطيب من القول الخبيث من الناس لم ينفعه الله به لأن الله لا يتقبله ولو قيلت له نضرته لأنه يلحقه عارها في الدنيا وذلها في الآخرة كما حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أولئك مبرؤن مما يقولون فمن كان طيبا فهو مبرأ من كل قول خبيث يقول يغفره الله ومن كان خبيثا فهو مبرأ من كل قول صالح فانه يرده الله عليه لا يقبله منه وقد قيل عني بقوله أولئك مبرؤن مما يقولون عائشة وصفوان بن المعطل الذي رميت به فعلى هذا القول قيل أولئك بلفظ الجمع والمراد ذانك كما قيل فان كان له اخوة والمراد أخوان وقوله لهم مغفرة يقول لهؤلاء الطيبين من الناس مغفرة من الله لذنوبهم والخبيث من القول ان كان منهم ورزق كريم يقول ولهم أيضا مع المغفرة عطية من الله كريمة وذلك الجنة وما أعد لهم فيها من الكرامة كما حدثنا أبو زرعة قال ثنا العباس بن الوليد الدمشقي قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة لهم مغفرة ورزق كريم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم في الجنة ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم تأويله يا أيها

عبدالله بخمسة وثلاثين ألفا ووضع عنه خمسة آلاف وهو السبع والأكثرون على أنه غير مقدر ويحصل الامتثال بأقل متمول عن ابن عباس يضع له من كتابته شيأ وعن عمر أنه كاتب عبدالله يكنى أبا أمية وهو أول عبد كوتب في الاسلام فأتاه بأول نجم فدفعه اليه عمر وقال استعن به على مكاتبتك فقال لو أخرته الى آخر نجم فقال أخاف أن لا أدرك ذلك وهذا الخط عند الاولين على وجه الندب فلا يجبر المولى

يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذنوا اذكر من قال ذلك **حدثني** يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان يقرأ لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها قال وانما تستأنسوا وهم من الكتاب **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها وقال انما هي خطأ من الكاتب حتى تستأذنوا وتسلموا **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير بمثله غير أنه قال انما هي حتى تستأذنوا ولكنها سقط من الكاتب **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا معاذ بن سليمان عن جعفر بن اياس عن سعيد عن ابن عباس حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها قال أخطأ الكاتب وكان ابن عباس يقرأ حتى تستأذنوا وتسلموا وكان يقرؤها على قراءة أبي بن كعب **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا سفيان عن الأعمش أنه كان يقرؤها حتى تستأذنوا وتسلموا قال سفيان وبلغني أن ابن عباس كان يقرؤها حتى تستأذنوا وتسلموا وقال انها خطأ من الكاتب **حدثنا** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها قال الاستئناس الاستئذان **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم قال في مصحف ابن مسعود حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا . قال ثنا هشيم قال أخبرنا جعفر بن اياس عن سعيد عن ابن عباس أنه كان يقرؤها يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا قال وانما تستأنسوا وهم من الكتاب . قال ثنا هشيم قال مغيرة قال مجاهد بعث ابن عمر من حاجة وقد آذاه الرمضاء فأتى فسطاط امرأة من قريش فقال السلام عليكم أدخل فقالت ادخل بسلام فأعاد فأعادت وهو يراوح بين قدميه قال قولي ادخل قالت ادخل فدخل . قال ثنا هشيم قال أخبرنا منصور عن ابن سيرين وأخبرنا يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد الثقفي أن رجلا استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ألج أو أنلج فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأمه يقال لها روضة قومي الى هذا فكلميه فانه لا يحسن يستأذن فقولي له يقول السلام عليكم أأدخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل **حدثنا** الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله حتى تستأنسوا قال الاستئذان ثم نسخ واستثنى ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا أبو حمزة عن المغيرة عن ابراهيم قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم قال حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة حتى تستأنسوا قال حتى تستأذنوا وتسلموا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا أشعث بن سوار عن كردوس عن ابن مسعود قال عليكم أن تستأذنوا على أمهاتكم وأخواتكم قال أشعث عن عدي بن ثابت ان امرأة من الانصار قالت يا رسول الله اني أكون في منزلي على الحال التي لا أحب أن يراني أحد

عليه وأكده بما روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه صلى الله عليه وسلم قال أيما عبد كاتب على مائة أوقية فأداها الا عشر أواق فهو عبد فلو كان الحط واجبا لأسقط عنه بقدره ومثله المكاتب عبد ما بقي عليه درهم وأيضا لو كان الحط واجبا فان كان معلوما لزم عتقه اذا بقي ذلك القدر وليس ذلك بالاتفاق ولو كان مجهولا لكان ما بقي وهو مال الكتابة مجهولا فلا ينصح الكتابة وأيضا أمر بالايتاء من مال الله الذي آتاهم ومال الكتابة ليس بدين صحيح لانه يصدر العجز عنه فلا يستحق ذلك المال هذا الوصف فصح أن هذا أمر من الله تعالى بذلك للناس أولهم والسادة أن يعينوا المكاتب على كتابته بما يمكنهم قال صلى الله عليه وسلم من أعان مكاتبا في فك رقبته أظله الله في ظل عرشه . الحكم الثامن المنع من اكراه الاماء على الزنا كان لعبد الله بن أبي رأس النفاق ست جوار معاذة ومسيكة وأمية وعمرة وأروى وقتيلة يكرههن على البغاء أي الزنا فشكت ثنتان منهن معاذة ومسيكة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحد الاكراه قد مر في سورة النحل في قوله الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان والنص وان كان مختصا بالاماء الا أنهم أجمعوا على أن حال الحرائر أيضا كذلك والسؤال المشهور في

الآية هو أن المعلق بكلمة ان على الشيء يفهم منه عدمه عند عدم ذلك الشيء فتدل الآية على جواز الاكراه على الزنا عند عدم ارادة التحصن والجواب بعد تسليم أن مفهوم الخطاب حجة هو أن الاكراه مع عدم ارادة التحصن والتعفف لا يجتمعان فهذا المفهوم قد خرج عن كونه دليلا لامتناعه في ذاته وقد يقال ان غالب الحال أن الاكراه لا يحصل الا عند ارادة التحصن والكلام الوارد على سبيل الغالب لا يكون له

مفهوم الخطاب كما مر فى قوله ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم وقيل ان معنى اذلان سبب النزول وارد على ذلك قال جار الله أوثرت كلمة ان على اذا ايذانا بأن المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وأن ماوجد من معاذة ومسيكة من قبيل الشاذ والنادر والآية مفهوم آخر وهو أن السادة اكراههن على (٨٨) النكاح وليس لها أن تمتنع على السيد اذا زوجها و (عرض الحياة الدنيا) كسبهن وأولادهن (ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم) لهم على الاطلاق أو بشرط التوبة على أصل الاشاعرة والمعتزلة أو غفور لهن لان الاكراه قد لايكون على حد المعتبر فى الشرع من التخويف الشديد فتكون آثمة حينئذ وحسين فرغ من الاحكام وصف القرآن بصفات ثلاث الاولى الآيات المبينات أى الموضحات أو الواضحات فى معانى الحدود والاحكام وغيرها ولاسيما الآيات التى ثبتت فى هذه السورة الثانية كونه مثلا من الذين خلوا أى قصة عجيبة من قصصهم فان العجب فى قصة عائشة ليس بأقل من العجب فى قصة يوسف ومريم وما اتهما به وعن الضحاك أنه أراد بالمثل شبه ماذكر فى التوراة والانجيل من اقامة الحدود وعن مقاتل أراد شبيه ماحل بهم من العقاب اذا عصوا الثالثة كونه موعظة ينتفع بها المتقون خاصة ﴿ التأويل لاتدخلوا بيوت عالم الغرار التى هى غير بيوتكم من دار القرار حتى تتعرفوا أحوالها وتسلموا على أهلها سلام توديع ومتاركة فان لم تجدوا فيها أحدا فان صرتم بحيث فتنتم عن حظوظ الدنيا وشهواتها فلاتدخلوها حتى يؤذن لكم بالتصرف فيها بالحق للحق وان قيل لكم ارجعوا بجذبة ارجعى الى ربك فارجعوا ثم أشار الى أن التصرف فى الدنيا لاجل البلاغ وبحسب الضرورة جائز اذا لم تكن النفس تطمئن اليها فقال ليس عليكم جناح الآية ثم أمر بغض بصر بذلك النفس عن مشتهيات الدنيا وبصر القلب عن رؤية الاعمال ونعيم الآخرة وبصر السر عن الدرجات والقربات وبصر الروح عن الالتفات الى ماسوى الله وبصر الهمة عن العلل بأن لايرى نفسه أهلا لشهود الحق تنزيها له واجلالا ولهذا أمر بحفظ فرج الباطن عن تصرفات

عليها والدا ولا ولد وانه لايزال يدخل على رجل من أهلى وأنا على تلك الحال قال فنزلت يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها الآية ﴿ وقال آخرون معنى ذلك حتى تؤنسوا أهل البيت بالتنحنح والتنخم وما أشبهه حتى يعلموا أنكم تريدون الدخول عليهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى برة عن مجاهد فى قوله لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها قال حتى تنحنحوا وتنخموا **حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله حتى تستأنسوا قال حتى تحسسوا وتسلموا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله حتى تستأنسوا قال تنحنحوا وتنخموا ﴿ قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال سمعت عطاء بن أبى رباح يخبر عن ابن عباس قال ثلاث آيات قد جحدهن الناس قال الله ان أكرمكم عند الله أتقاكم قال ويقولون ان أكرمهم عند الله أعظمهم شأنا قال والاذن كله قد جحده الناس فقلت له أستأذن على أخواتى ايتام فى حجرى معى فى بيت واحد قال نعم (١) فرددت على من حضرنى فأبى قال أتحب أن تراها عريانة قلت لا قال فاستأذن فراجعته أيضا قال أتحب أن تطيع الله قلت نعم قال فاستأذن فقال لى سعيد بن جبير انك لترددت عليه قلت أردت أن يرخص لى ﴿ قال ابن جريج وأخبرنى ابن طاوس عن أبيه قال ما من امرأة أكرهها أن أرى كأنه يقول عريانة أو عريانة من ذات محرم قال وكان يشدد فى ذلك ﴿ قال ابن جريج وقال عطاء بن أبى رباح واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا فواجب على الناس أجمعين اذا احتلموا أن يستأذنوا على من كان من الناس قلت لعطاء أواجب على الرجل أن يستأذن على أمه ومن وراءها من ذات قرابته قال نعم قلت أبرو يجب قال قوله واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا قال ابن جريج وأخبرنى ابن زياد أن صفوان مولى لبنى زهرة أخبره عن عطاء بن يسار أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم أستأذن على أمى قال نعم قال انها ليس لها خادم غيرى أفأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب أن تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن عليها قال ابن جريج عن الزهرى قال سمعت هزيل بن شرحبيل الأودى الأعمى أنه سمع ابن مسعود يقول عليكم الاذن على أمهاتكم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء أيستأذن الرجل على امرأته قال لا **حدثنا** الحسين قال ثنا محمد بن حازم عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن يحيى بن الجزار عن ابن أخى زينب امرأة ابن مسعود عن زينب قالت كان عبد الله اذا جاء من حاجة فانتهى الى الباب تنحنح وبزق كراهة أن يهجم منا على أمر يكرهه **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا قال الاستئناس التنحنح والتجرس حتى يعرفوا أن قد جاءهم أحد قال والتجرس كلامه وتنحنحه ﴿ والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال ان الاستئناس الاستفعال من الانس وهو أن يستأذن أهل البيت فى الدخول عليهم مخبرا

---

(١) فى ابن كثير فرددت عليه ليرخص لى فأبى فلعله تحرف عنه وحرر كتبه مصححه

بذلك من فيه وهل فيه أحد وليؤذنهم أنه داخل عليهم فيأنس الى اذنهم له فى ذلك ويأنسوا الى استئذانه اياهم وقد حكى عن العرب سماعا اذهب فاستأنس هل ترى أحدا فى الدار بمعنى انظر هل ترى فيها أحدا فتأويل الكلام اذا اذ كان ذلك معناه يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تسلموا وتستأذنوا وذلك أن يقول أحدهم السلام عليكم أأدخل وهو من المقدم الذى معناه التأخير انما هو حتى تسلموا وتستأذنوا كما ذكرنا من الرواية عن ابن عباس وقوله ذلكم خير لكم يقول استئناسكم وتسليمكم على أهل البيت الذى تريدون دخوله (٣) فان دخولكموه خير لكم لأنكم لا تدرون أنكم اذا دخلتموه بغير اذن على ما ذا تهجمون على ما يسوءكم أو يسركم وأنتم اذا دخلتم باذن لم تدخلوا على ما تكرهون وأديتم بذلك أيضا حق الله عليكم فى الاستئناس والسلام وقوله لعلكم تذكرون يقول لتتذكروا فتفعلوا ذلك أمر الله عليكم والالزام لكم من طاعته فتطيعوه

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم﴾ يقول تعالى ذكره فان لم تجدوا فى البيوت التى تستأذنون فيها أحدا يأذن لكم بالدخول اليها فلا تدخلوها الا أنها ليست لكم فلا يحل لكم دخولها الا باذن أربابها فان أذن لكم أربابها أن تدخلوها فادخلوها وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا يقول وان قال لكم أهل البيوت التى تستأذنون فيها ارجعوا فلا تدخلوها فارجعوا عنها ولا تدخلوها هو أزكى لكم يقول رجوعكم عنها اذا قيل لكم ارجعوا ولم يؤذن لكم بالدخول فيها أطهر لكم عند الله وقوله هو كناية من اسم الفعل أعنى من قوله فارجعوا وقوله والله بما تعملون عليم يقول جل ثناؤه والله بما تعملون من رجوعكم بعد استئذانكم فى بيوت غيركم اذا قيل لكم ارجعوا وترك رجوعكم عنها وطاعتكم الله فيما أمركم ونهاكم فى ذلك وغيره من أمره ونهيه ذو علم محيط بذلك كله محص جميعه عليكم حتى يجازيكم على جميع ذلك وكان مجاهد يقول فى تأويل ذلك ما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فان لم تجدوا فيها أحدا قال ان لم يكن لكم فيها متاع فلا تدخلوها الا باذن وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال ثنا الحسن قال ثنا هاشم بن القاسم المزنى عن قتادة قال الرجل من المهاجرين لقد طلبت عمرى كله هذه الآية فما أدركتها أن أستأذن على بعض اخوانى فيقول لى ارجع فأرجع وأنا مغتبط لقوله وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم وهذا القول الذى قاله مجاهد فى تأويل قوله فان لم تجدوا فيها أحدا يعنى ان لم يكن لكم فيها متاع قول بعيد من مفهوم كلام العرب لأن العرب لا تكاد تقول ليس بمكان كذا أحد الا وهى تعنى ليس بها أحد من بنى آدم وأما الأمتعة وسائر الاشياء غير بنى آدم ومن كان سبيلهم فلا تقول ذلك فيها القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾ يقول تعالى ذكره ليس عليكم أيها

نفثة مصدور من غير ضرب وتوبوا الى الله جميعا فان حسنات الابرار سيئات المقربين فتوبة المبتدئ من الحرام وتوبة المتوسط من الحلال وتوبة المنتهى مما سوى الله وأنكحوا الايامى فيه أمر بطلب شيخ كامل يودع فى رحم القلب من صلب الولاية نطفة استعداد قبول الفيض الاعلى وهو الولادة الثانية المستدعية للولوج فى ملكوت السماء والارض وقد أشار الى افاضة هذا الاستعداد بقوله ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وليستعفف أحفظ الذين لا يجدون شيخا فى الحال أرحام قلوبهم عن تصرفات الدنيا والهوى والشيطان حتى يدلهم الله على شيخ كامل كما دل موسى على الخضر عليه السلام أو يخصهم بجذبة الله بحتى والذين يبتغون فيه أن المريد اذا طلب الخلاص عن قيد الرياضة لزم اجابته ان علم فيه الصلاح ووجب أن يؤتى بعض ما خص الله الشيخ به من المواهب ولا تكرهوا فيه أن النفس اذا لم تكن مائلة الى التصرف فى الدنيا وان كان مالحق لم تكره عليه فان أصحاب الخلوة غير أرباب الجلوة ﴿الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور

على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شىء عليم فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء

بغير حساب والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ألم تر أن الله (٩٠) يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والأرض وإلى الله المصير ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون ﴿القراآت﴾ نور السموات على الفعل يزيد من طريق ابن أبي عيلة وابن مشيا كمشكاة مالة أبو عمرو عن الكسائي ذري بكسرتين وبالهمز أبو عمرو وعلى والمفضل مثله بضم الدال حمزة وأبو بكر وحماد والخزاز الباقون بضم الدال وتشديد الياء توقد بضم التاء وفتح القاف حمزة وعلى وخلف وأبو بكر وحماد مثله ولكن بياء الغيبة على ان الضمير للمصباح ابن عامر ونافع وحفص وأبو زيد عن المفضل الباقون وجبلة توقد بالفتحات وتشديد القاف يسبح بفتح الباء ابن عامر وأبو بكر وحماد سحاب ظلمات على الاضافة البزي سحاب بالتنوين ظلمات بالكسر على أنه نصب على الحال القواس وابن فليح الباقون بالرفع والتنوين فيهما يترل من الانزال ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب يذهب

الناس أثم وحرج أن تدخلوا بيوتا لا ساكن بها بغير استئذان ثم اختلفوا في ذلك أي البيوت عنى فقال بعضهم عنى بها الخانات والبيوت المبنية بالطرق التي ليس بها سكان معروفون وإنما بنيت لمارة الطريق والسابلة لأووا إليها ويؤوا إليها أمتعتهم ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن سالم المكي عن محمد بن الحنفية في قوله ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة قال هي الخانات التي تكون في الطرق حدثني عباس بن محمد قال ثنا مسلم قال ثنا عمر بن فروخ قال سمعت قتادة يقول بيوتا غير مسكونة قال هي الخانات تكون لأهل الأسفار حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن أبي زائدة عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم قال كانوا يضعون في بيوت في طرق المدينة متاعا وأقتابا فرخص لهم أن يدخلوها حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله بيوتا غير مسكونة قال هي البيوت التي ينزلها السفر لا يسكنها أحد حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله بيوتا غير مسكونة قال كانوا يصنعون أو يضعون بطريق المدينة أقتابا وأمتعة في بيوت ليس فيها أحد فأحل لهم أن يدخلوها بغير إذن حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله إلا أنه قال كانوا يضعون بطريق المدينة بغير شك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله غير أنه قال كانوا يضعون بطريق المدينة أقتابا وأمتعة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة هي البيوت التي ليس لها أهل وهي البيوت التي تكون بالطرق والخربة فيها متاع منفعة للمسافر في الشتاء والصيف يأوي إليها ٭ وقال آخرون هي بيوت مكة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام بن سلم عن سعيد بن سائق عن الحجاج بن أرطاة عن سالم بن محمد بن الحنفية في بيوتا غير مسكونة قال هي بيوت مكة ٭ وقال آخرون هي البيوت الخربة والمتاع الذي قال الله فيها لكم قضاء الحاجة من الخلاء والبول فيها ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال سمعت عطاء يقول ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم قال الخلاء والبول حدثني محمد بن عمارة قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا حسن بن عيسى بن زيد عن أبيه في هذه الآية ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم قال التغلي في الخراب ٭ وقال آخرون بل عنى بذلك بيوت التجار التي فيها أمتعة الناس ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم قال بيوت التجار ليس عليكم جناح أن تدخلوها بغير إذن الحوانيت التي بالقيساريات والأسواق وقر أفيها متاع لكم متاع للناس ولبني آدم ٭ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال إن الله عم بقوله ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم كل بيت لا ساكن به لنا فيه

متاع

من الاذهاب يزيد على أن الباء زائدة خالق كل شئ على الاضافة حسرة وعلى وخلف الآخرون خلق على لفظ الماضى كل منصوبا
الوقوف والارض ط مصباح ط زجاجة ط غربية ط لان ما بعدها صفة شجرة نار ط نور ط يشاء ط للناس ط عليم ٥
لا بناء على أن الظرف يتعلق بما قبله وهو كمشكاة أى مثل مشكاة فى بعض بيوت الله عز وجل والاولى تعلقه بيسبح وفيها

متاع تدخله بغير اذن لأن الاذن انما يكون ليؤنس المأذون عليه قبل الدخول أو ليأذن للداخل ان كان له مالكا أو كان فيه ساكنا فأما ان كان لا مالك له فيحتاج الى اذنه لدخوله ولا ساكن فيه فيحتاج الداخل الى ايناسه والتسليم عليه لئلا يهجم على ما لا يحب رؤيته منه فلا معنى للاستئذان فيه فاذا كان ذلك فلا وجه لتخصيص بعض ذلك دون بعض فكل بيت لا مالك له ولا ساكن من بيت مبنى بعض الطرق للمارة والسابلة لياوا والبها أو بيت خراب قد باد أهله ولا ساكن فيه حيث كان ذلك فان لمن أراد دخوله أن يدخل بغير استئذان لمتاع له يؤويه اليه أو للاستمتاع به لقضاء حقه من بول أو غائط أو غير ذلك وأما بيوت التجار فانه ليس لأحد دخولها الا باذن أربابها وسكانها فان ظن ظان أن التاجر اذا فتح دكانه وقعد للناس فقد أذن لمن أراد الدخول عليه فى دخوله فان الأمر فى ذلك بخلاف ما ظن وذلك أنه ليس لأحد دخول ملك غيره بغير ضرورة أجأته اليه أو بغير سبب أباح له دخوله الا باذن ربه لا سيما اذا كان فيه متاع فان كان التاجر قد عرف منه أن فتحه حانوته اذن منه لمن أراد دخوله فى الدخول فذلك بعد راجع الى ما قلنا من أنه لم يدخله من دخله الا باذنه واذا كان ذلك كذلك لم يكن من معنى قوله ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم فى شئ وذلك أن التى وضع الله عنا الجناح فى دخولها بغير اذن من البيوت هى ما لم يكن مسكونا لحانوت التاجر لا سبيل الى دخوله الا باذنه وهو مع ذلك مسكون فتبين أنه مما عنى الله من هذه الآية بمعزل ٥ وقال جماعة من أهل التأويل هذه الآية مستثناة من قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم ثم نسخ واستثنى فقال ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين عن يزيد عن عكرمة حتى تستأنسوا الآية فنسخ من ذلك واستثنى فقال ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم وليس فى قوله ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم دلالة على أنه استثناء من قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا لأن قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها حكم من الله فى البيوت التى لها سكان وأرباب وقوله ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم حكم منه فى البيوت التى لا سكان لها ولا أرباب معروفون فكل واحد من الحكمين حكم فى معنى غير معنى الآخر وانما يستثنى الشئ من الشئ اذا كان من جنسه أو نوعه فى الفعل أو النفس فأما اذا لم يكن كذلك فلا معنى لاستثنائه منه وقوله والله يعلم ما تبدون يقول تعالى ذكره والله يعلم ما تظهرون أيها الناس بألسنتكم من الاستئذان اذا استأذنتم على أهل البيوت المسكونة وما تكتمون بقول وما تضمرونه فى صدوركم عند فعلكم ذلك ما الذى تقصدون به أطاعة الله والانتهاء الى أمره أم غير ذلك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل للمؤمنين بالله وبك

تكرار كقولك زيد فى الدار جالس فيها أو محذوف وهو سبحوا اسمه لا لان ما بعده صفة بيوت أو لان الظرف يتعلق بيسبح والآصال ط لمن قرأ يسبح بفتح الباء كأنه قيل من يسبح فقيل رجال أى يسبحه رجال ومن قرأ بالكسر لم يقف لانه فاعل الفعل الظاهر رجال لا لأن ما بعده صفة الزكاة لا لأن ما بعده أيضا صفة والابصار ٥ لا لتعلق اللام أو حاتم يقف ويجعل اللام لام القسم على تقدير ليجزين قال فلما سقطت النون انكسرت اللام من فضله ط حساب ٥ ما ط حسابه ط الحساب ٥ لا لتعطف سحاب ط لمن قرأ ظلمات بالرفع ولم يجعلها بدلا فوق بعض ط يراها ط من نور ٥ صافات ط وتسبيحه ط يفعلون ٥ والارض ج فصلا بين الامرين المعظمين مع اتفاق الجملتين المصير ٥ من خلاله ج لما قلنا عمن يشاء ط بالابصار ٥ ط والنهار ط الابصار ج من ماء ج للفاء مع التفصيل بطنه ج رجلين ج لمثل ما قلنا أربع ط ما يشاء ط قدير ٥ مبينات ط مستقيم ٥ ذلك ط بالمؤمنين ٥ معرضون ٥ مذعنين ٥ ط ورسوله ط الظالمون ٥ ﴿ التفسير انه سبحانه لما بين من الاحكام ما بين أردفها على عادة القرآن بالالهيات وقدم لذلك مثلين أحدهما فى أن دلائل

الايمان فى غاية الظهور والثانى أن أديان الكفر فى نهاية الظلمة أما الاول فهو قوله (الله نور السموات والارض) واعلم أن النور فى اللغة موضوع لهذه الكيفية الفائضة من الشمس والقمر والنار على ما يحاذيها من الاجرام ولا شك أنه لا يمكن أن يكون إلها لانه ان كان عرضا فظاهر وان كان جسما فكذلك لان الدليل الدال على أن الله العالم ليس بجسم ولا جسمانى ولا زائل ولا منتقل الى غير ذلك من أمارات

الحدوث والافتقار وعند ذلك ذكر العلماء فى تأويل الآية وجوها الاول وهو قول ابن عباس والاكثرين أن المضاف محذوف أى هو ذو نور السموات والارض لانه قال مثل نوره وهدى الله لنوره والمضاف مغاير للمضاف اليه فنظير الآية قولك زيد كرم وجود للمبالغة الثانى أن معناه منور السموات كقراءة من قرأ نور بالتشديد وعلى القولين ما المراد بالنور فالاكثرون على أنه الهداية والحق كما قال فى آخر الآية يهدى الله لنوره من يشاء شبهه بالنور فى ظهوره وبيانه وأضافه الى السموات والارض للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضىء له السموات والارض أو على حذف المضاف أى نور أهل السموات والارض وقيل نور السماء بالملائكة وبالاجرام النيرة والارض بهما وبالانبياء والعلماء وهو مروى عن أبى بن كعب والحسن وأبى العالية وقيل هو تدبيره اياهما بحكمة كاملة كما يوصف الرئيس المدبر بأنه نور البلد اذا كان يدبر أمورهم تدبيرا حسنا فهو لهم كالنور الذى يهتدى به فى المضايق والمزالق وهذا القول اختيار الاصم والزجاج وقيل هو نظامه اياهما على النهج الاحسن والوجه الاصلح وقد يعبر بالنور عن النظام يقال ما أرى لهذه الامور نورا الثالث ماذهب اليه الحكماء الاولون الاشراقيون واليه ميل الشيخ الامام حجة الاسلام محمد الغزالى على ما قرره فى رسالته المسماة بمشكاة الانوار ان الله تعالى نور فى الحقيقة بل لا نور الا هو بيانه أن للانسان بصرا يدرك به النور المحسوس الواقع من الاجرام النيرة على ظواهر الاجسام الكثيفة وبصيرة هى القوة العاقلة ولا شك أن البصيرة أقوى من البصر لان القوة الباصرة لا تدرك نفسها ولا تدرك ادراكها ولا تدرك آلتها وهى العين وأما القوة العاقلة

يا محمد يغضوا من أبصارهم يقول يكفوا من نظرهم الى ما يشتهون النظر اليه مما قد نهاهم الله عن النظر اليه ويحفظوا فروجهم أن يراها من لا يحل له رؤيتها بلبس ما يسترها عن أبصارهم ذلك أزكى لهم يقول فان غضهم من النظر عما لا يحل النظر اليه وحفظ الفرج عن أن يظهر لأبصار الناظرين أطهر لهم عند الله وأفضل ان الله خبير بما يصنعون يقول ان الله ذو خبرة بما تصنعون أيها الناس فيما أمركم به من غض أبصاركم عما أمركم بالغض عنه وحفظ فروجكم عن اظهارها لمن نهاكم عن اظهارها له * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على بن سهل الرملى قال ثنا حجاج قال ثنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس عن أبى العالية فى قوله قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم قال كل فرج ذكر حفظه فى القرآن فهو من الزنا الا هذه وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن فانه يعنى الستر حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن قال يغضوا أبصارهم عما يكره الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم قال يغض من بصره أن ينظر الى ما لا يحل له اذا رأى ما لا يحل له غض من بصره لا ينظر اليه ولا يستطيع أحد أن يغض بصره كله انما قال الله قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن﴾ يقول تعالى ذكره ولنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقل يا محمد للمؤمنات من أمتك يغضضن من أبصارهن عما يكره الله النظر اليه مما نهاكم عن النظر اليه ويحفظن فروجهن بقول ويحفظن فروجهن عن أن يراها من لا يحل له رؤيتها بلبس ما يسترها عن أبصارهم وقوله ولا يبدين زينتهن يقول تعالى ذكره ولا يظهرن للناس الذين ليسوا لهن بمحرم زينتهن وهما زينتان احداهما ما خفى وذلك كالخلخال والسوار والقرط والقلادة والأخرى ما ظهر منها وذلك مختلف فى المعنى المنهى عنه بهذه الآية فكان بعضهم يقول زينة الثياب الظاهرة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون ابن المغيرة عن الحجاج عن أبى اسحق عن أبى الأحوص عن ابن مسعود قال الزينة زينتان فالظاهرة منها الثياب وما خفى الخلخالان والقرطان والسواران حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى الثورى عن أبى اسحق الهمدانى عن أبى الأحوص عن عبد الله أنه قال ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال هى الثياب حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى اسحق عن أبى الأحوص عن عبد الله قال ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الثياب حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن أبى الأحوص عن عبد الله مثله * قال ثنا سفيان عن الأعمش عن مالك بن الحرث عن عبد الرحمن بن زيد عن عبد الله مثله

* قال

فانها تدرك نفسها وتدرك ادراكها وتدرك آلتها فى الادراك وهى القلب أو الدماغ والادراك الحسى غير منتج لانه لا يصير سببا لادراك آخر والادراك العقلى يصير سببا لادراكات أخر حتى تجتمع علوم جمة والحس يضطرب بكثرة ورود المحسوسات عليه حتى انه لا يسمع الصوت

الضعيف مثلا بعد سماع الصوت الشديد والعقل يزداد بها وهو نورانيته بكثرة توارد العلوم وتعاونها والقوة الحسية تضعف بضعف البدن والقوة العقلية تقوى بعد الاربعين حتى استدل بذلك على بقائها بعد خراب البدن والقوة الحسية لا تدرك من القرب القريب ولا من البعد البعيد والعقلية لا يختلف حالها في القرب والبعد فيدرك ما فوق العرش الى ما تحت الثرى في لحظة واحدة بل يدرك ذات الله وصفاته مع أنه منزه عن القرب والبعد والجهة والحس لا يدرك من الاشياء الا ظواهرها والعقل يغوص في حقائق الاشياء وفي أجزائها وجزئياتها وفي ذاتياتها وعرضياتها فيوحد الكثير تارة بانتزاع صورة كلية من الجزئيات ويكثر الواحد أخرى بالتجنيس والتنويع والتصنيف وغير ذلك من التقسيمات التي لا تكاد تتناهى وادراك العقل قد يكون مقدما على وجود الشيء ويسمى العلم العقلي وادراك الحس تابع لوجود الشيء واذا كان الروح الباصر نورا فالبصيرة التي هي أشرف منها أولى بأن تكون نورا وكما أن نور المبصر يحتاج في ادراكه الى معين من الخارج هو الشمس أو السراج مثلا فنور البصيرة أيضا يحتاج في ادراكه الى مرشد هو النبي أو القرآن فلذلك سمى القرآن نورا والنور الذي أنزلنا والنبي نورا وسراجا منيرا فروح النبي في عالم الارواح كالشمس في عالم الاجسام ثم ان الانوار النبوية القدسية مقتبسة من أنوار أخرى فوقها قوله عليه شديد القوى قل نزله روح القدس من ربك فكل الانوار تنتهي الى ما لا نور أنور منه ولا أجل وأشرف وهو الله سبحانه والكلام المجمل في هذا المقام هو الذي قد سلف تحقيقه مرارا وهو أن الكمالات أنوار والممكنات الذميمة ظلمات وأيضا الوجود نور والعدم ظلمة فان نظرنا الى الكمال فكل كمال ينتهي الى الله سبحانه ولا كمال فوق كماله فهو نور الانوار وان نظرنا الى الوجود نفسه فلا ريب أن الممكن وجوده مستفاد من غيره الى أن ينتهي الى واجب الوجود لذاته وهو نور الانوار فسبحان من اختفى عن الخلق لشدة ظهوره واحتجب عنهم بشراق نوره ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم ان لله سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل ما أدركه بصره وفي بعض

* قال ثنا سفيان عن علقمة عن ابراهيم في قوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الثياب حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا بعض أصحابنا اما يونس واما غيره عن الحسن في قوله الا ما ظهر منها قال الثياب حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبي اسحق عن أبي الأحوص عن عبد الله الا ما ظهر منها قال الثياب قال أبو اسحق ألا ترى أنه قال خذوا زينتكم عند كل مسجد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال ثنا محمد ابن الفضل عن الأعمش عن مالك بن الحرث عن عبد الرحمن بن زيد عن ابن مسعود الا ما ظهر منها قال هو الرداء * وقال آخرون انما ظاهر من الزينة التي أبيح لها أن تبديه الكحل والخاتم والسواران والوجه ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا مروان قال ثنا مسلم الملائي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الكحل والخاتم حدثنا عمرو ابن عبد الحميد الآملي قال ثنا مروان عن مسلم الملائي عن سعيد بن جبير مثله ولم يذكر ابن عباس حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون عن أبي عبد الله نهشل عن الضحاك عن ابن عباس قال الظاهر منها الكحل والخضاب حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن عبد الله ابن مسلم بن هرمز عن سعيد بن جبير في قوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الوجه والكف حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان بن معاوية عن عبد الله بن مسلم بن هرمز المكي عن سعيد بن جبير مثله حدثني علي بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم قال ثنا أبو عمرو عن عطاء في قول الله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الكفان والوجه حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة قال الكحل والسواران والخاتم حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال والزينة الظاهرة الوجه وكحل العين وخضاب الكف والخاتم فهذا تظهر في بيتها لمن دخل من الناس عليها حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال المسكتان والخاتم والكحل قال قتادة وبلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تخرج يدها الا الى ههنا وقبض نصف الذراع حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن رجل عن المسور بن مخرمة في قوله الا ما ظهر منها قال القلبين والخاتم والكحل يعني السوار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الخاتم والمسكة قال ابن جريج وقالت عائشة القلب والفتخة قالت عائشة دخلت على ابنة أخي لأمي عبد الله بن الطفيل مزينة فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فأعرض فقالت عائشة يا رسول الله انها ابنة أخي وجارية فقال اذا عركت المرأة لم يحل لها أن تظهر الا وجهها والا ما دون هذا وقبض على ذراع نفسه فترك بين قبضته وبين الكف مثل قبضة أخرى وأشار به أبو علي قال ابن جريج وقال مجاهد قوله الا ما ظهر منها قال الكحل والخضاب والخاتم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عاصم عن عامر الا ما ظهر منها قال الكحل والخضاب والثياب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال

ابن زيد فى قوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها من الزينة الكحل والخضاب والخاتم هكذا كانوا يقولون وهذا يراه الناس حدثنى ابن عبد الرحيم البرقى قال ثنا عمر بن أبى سلمة قال سئل الاوزاعى عن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الكفين والوجه حدثنا عمرو بن بندق قال ثنا مروان عن جويبر عن الضحاك فى قوله ولا يبدين زينتهن قال الكف والوجه * وقال آخرون عنى به الوجه والثياب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر قال قال يونس ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الحسن الوجه والثياب حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى وعبد الأعلى عن سعيد عن قتادة عن الحسن فى قوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال الوجه والثياب وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال عنى بذلك الوجه والكفان يدخل فى ذلك اذا كان كذلك الكحل والخاتم والسوار والخضاب وانما قلنا ذلك أولى الأقوال فى ذلك التأويل لاجماع الجميع على أن على كل مصل أن يستر عورته فى صلاته وأن للمرأة أن تكشف وجهها وكفيها فى صلاتها وأن عليها أن تستر ما عدا ذلك من بدنها الا ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه اباح لها أن تبديه من ذراعها الى قدر النصف فاذ كان ذلك من جميعهم اجماعا كان معلوما بذلك أن لها أن تبدى من بدنها ما لم يكن عورة كما ذلك للرجال لأن ما لم يكن عورة فغير حرام اظهاره واذا كان لها اظهار ذلك كان معلوما أنه مما استثناه الله تعالى ذكره بقوله الا ما ظهر منها لأن كل ذلك ظاهر منها وقوله وليضربن بخمرهن على جيوبهن يقول تعالى ذكره وليلقين خمرهن وهى جمع خمار على جيوبهن ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وقرطهن حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن حباب عن ابراهيم بن نافع قال ثنا الحسن بن مسلم بن يناق عن صفية بنت شيبة عن عائشة قالت لما نزلت هذه الآية وليضربن بخمرهن على جيوبهن قال شققن البرد مما يلى الحواشى فاختمرن به حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب أن قرة بن عبد الرحمن أخبره عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أنها قالت يرحم الله النساء المهاجرات الاول لما أنزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن أكثف مروطهن فاختمرن به وقوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن يقول تعالى ذكره ولا يبدين زينتهن التى هى غير ظاهرة بل الخفية منها وذلك الخلخال والقرط والدملج وما أمرت بتغطيته بخمارها من فوق الجيب وما وراء ما أبيح لها كشفه وابرازه فى الصلاة وللاجنبيين من الناس والذراعين الى فوق ذلك الا لبعولتهن * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن طلحة بن مصرف عن ابراهيم ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن قال هذه ما فوق الذراع حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور قال سمعت رجلا يحدث عن طلحة عن ابراهيم قال فى هذه الآية ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن قال ما فوق الجيب قال شعبة كتب به منصور الى وقرأته عليه حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة فى قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن قال تبدى لهؤلاء الرأس حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن

الروايات سبعمائة وفى بعضها سبعون ألفا قال العلماء الحجب ثلاثة أقسام حجب ظلمانية محضة وحجب ممزوجة من نور وظلمة وحجب نورانية صرفة أما المحجوبون بالاول فهم الذين لعوائق الاشتغال بالعلائق البدنية الحسية لا يلتفت خاطرهم الى الاستدلال بالمصنوعات على الصانع وأما المحجوبون بالثانى فهم الذين اعتقدوا فى الممكنات أنها غنية عن المؤثر فنفس تصور الاستغناء عن الغير نور لانه من صفات الله تعالى ولكن اعتقاد حصوله لمن لا يليق به ظلمة فهذا حجاب ممزوج من نور وظلمة وأما المحجوبون بالثالث فهم الذين استغرقوا فى بحار صفات الله وأفعاله فاحتجبوا بالصفات عن الذات فعرف من هذا التقرير أن الحجب لا تكاد تتناهى حيث لا نهاية للممكنات ولا انحصار للسلوب والاضافات ولكن الحديث ورد على ما هو المتعارف فى باب التكثير * ولنرجع الى التفسير قال الفراء المشكاة الكوة فى الجدار غير النافذة وهذا القول أصح عند أئمة اللغة وهى من لغة العرب ومنه المشكاة الزق الصغير وقيل هى بلغة الحبشة وعن ابن عباس وأبى موسى الاشعرى أن المشكاة هى القائم الذى فى وسط القنديل الذى يدخل فيه الفتيلة وهو قول مجاهد والقرظى ومثله قول الزجاج هى قصبة القنديل من الزجاجة التى يوضع فيها الفتيلة وقال الضحاك هى الحلقة التى يتعلق بها القنديل والمصباح السراج الضخم الثاقب وأصله من الضوء ومنه الصبح والدرى فى قراءة بضم الدال وتشديد الياء منسوب الى الدر أى أبيض متلألئ ومن قرأ بالهمز مضموم الدال كمريق أو مكسورها كسكيت فمعناه أنه يدرأ الظلام بضوئه وقال أبو عبيد ان ضممت الدال وجب أن لا تهمز لانه ليس فى كلام العرب فعيل ومن همزه من القراء فانما أراد فعولا على سبوح فاستثقل فرد بعضه الى الكسر والدرارى من الكواكب هى المشاهير كالمشترى والزهرة والمريخ وما يضاهيها من الثوابت التى هى فى العظم الاول ومعنى (من شجرة مباركة) أن ابتداء ثقوبه من شجرة مباركة كثيرة المنافع وهى الزيتون عن النبى صلى الله عليه وسلم عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فانها مصحة من الباسور وقيل جعلها مباركة لانها تنبت فى الارض التى بارك الله فيها للعالمين

أو بارك فيها سبعون نبيا منهم إبراهيم عليه السلام فقوله (زيتونة) بدل من شجرة ومعنى (لا شرقية ولا غربية) أن منبتها في أكثر الشام وزيتونها أجود الزيتون والشام قريب من وسط العمارة ليس على الطرف الشرقي من الربع المسكون ولا على الطرف الغربي منه وعن الحسن أراد شجرة الزيتون في الجنة اذ لو كانت من شجر الدنيا لكانت اما شرقية أو غربية (٩٥) وضعف بأن المثل انما يضرب بما يشاهد وانهم ما شاهدوا شجرة الجنة وقيل أراد انها شجرة ملفوفة بالاشجار أو بأوراقها فلا تصيبها الشمس في مشرق ولا مغرب وزيف بأن الغرض هو صفاء الزيت ولا يحصل الا بكمال النضج وذلك يتوقف عادة على وصول أثر الشمس الى الشجرة وعن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وهو اختيار الفراء والزجاج المراد أنها ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها أو غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشي جميعا لانها في موضع مكشوف فكون فيه دليل على كمال النضج الموجب لصفاء الزيت ومنهم من قال لا في مضحى ولا في مقناة وهي المكان الذي لا تطلع عليه الشمس ولكن الظل والشمس يتعاقبان عليها وذلك أجود لكمال الثمرة قال صلى الله عليه وسلم لا خير في شجرة في مقناة ولا نبات في مقناة ولا خير في مضحى ثم وصف الزيت بالصفاء والبريق وأنه لتلألئه يكاد يضيء من غير نار فاذا مسته النار ازداد ضوءا على ضوء فهذا ما يتعلق بحل الألفاظ على ظاهر التفسير أما ما يتعلق بالمعنى فنقول ان جمهور المتكلمين ذهبوا الى أنه تعالى شبه الهداية وهي الآيات البينات في الظهور والجلاء بالمشكاة التي تكون فيها زجاجة صافية وفي الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية في الصفاء وانما اختار هذا التشبيه دون أن يقول انها كالشمس في الظهور والوضوح لان الغالب على أوهام الخلق وخيالاتهم انما هو الشبهات التي هي كالظلمات وهداية الله تعالى فيما بينها كالضوء الكامل وقد القصود لا يحصل من ضرب المثل بالشمس لانها اذا طلعت لم تبق ظلمة أصلا والأمور التي اعتبرها الله سبحانه في هذا المثال منها كون المصباح في المشكاة وذلك ليكون أجمع للنور وأعون لتكاثف الأشعة وأصون له عن تعرض الرياح زعم بعضهم أن في الكلام قلبا والمراد

الى قوله عورات النساء قال الزينة التي يبدينها الهؤلاء قرطاها وقلادتها وسوارها فأما خلخالها ومعضداها ونحرها وشعرها فانه لا تبديه الا لزوجها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن مسعود في قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن قال الطوق والقرطين يقول الله تعالى ذكره قل للمؤمنات الحرائر لا يظهرن عند هذه الزينة الخفية التي ليست بظاهرة الا لبعولتهن وهم أزواجهن واحدهم بعل أولآبائهن أولآباء بعولتهن يقول أولآباء أزواجهن أولأبنائهن أولابناء بعولتهن أولاخوانهن أولبني اخوانهن وبعني بقوله أولاخوانهن أولاخواتهن أولبني اخوانهن أو بني أخواتهن أونسائهن قيل عني بذلك نساء المسلمين ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله أو نسائهن قال بلغني أنهن نساء المسلمين لا يحل لمسلمة أن ترى مشركة عريتها الا أن تكون أمة لها فذلك قوله أو ما ملكت أيمانهن * قال ثني الحسين قال ثني عيسى بن يونس عن هشام ابن الغازي عن عبادة بن نسي أنه كره أن تقبل النصرانية المسلمة أو ترى عورتها ويتأول أونسائهن * قال ثنا عيسى بن يونس عن هشام عن عبادة قال كتب عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة بن الجراح رحمة الله عليهما أما بعد فقد بلغني أن نساء يدخلن الحمامات ومعهن نساء أهل الكتاب فامنع ذلك وحل دونه قال ثم ان أبا عبيدة قام في ذلك المقام مبتهلا اللهم أيما امرأة تدخل الحمام من غير علة ولا سقم تريد البياض لوجهها فسود وجهها يوم تبيض الوجوه وقوله أو ما ملكت أيمانهن اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم أو مماليكهن فانه لا بأس عليها أن تظهر لهم من زينتها ما تظهره لهؤلاء ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عمرو بن دينار عن مخلد النبيي أنه قال في قوله أو ما ملكت أيمانهن قال في القراءة الاولى أيمانكم * وقال آخرون بل معنى ذلك أو ما ملكت أيمانهن من اماء المشركين كما قد ذكرنا عن ابن جريج قبل من أنه لما قال أونسائهن عنى بهن النساء المسلمات دون المشركات ثم قال أو ما ملكت أيمانهن من الاماء المشركات ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ يقول تعالى ذكره والذين يتبعونكم لطعام يأكلونه عندكم ممن لا أرب له في النساء من الرجال ولا حاجة به اليهن ولا يريدهن * ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال قال كان الرجل يتبع الرجل في الزمان الاول لا يغار عليه ولا ترهب المرأة أن تضع خمارها عنده وهو الأحمق الذي لا حاجة له في النساء حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال فهذا الرجل يتبع القوم وهو مغفل في عقله لا يكترث للنساء ولا يشتهين فالزينة التي تبديها لهؤلاء قرطاها وقلادتها وسوارها وأما خلخالاها ومعضداها ونحرها وشعرها فانها لا تبديه الا لزوجها حدثنا

كمصباح فى مشكاة والصحيح أنه لا حاجة اليه لان هذا تشبيه مركب ولهذا قال جار الله أراد صفة نوره العجيبة الشأن فى الاضاءة كصفة مشكاة ومنها كون المصباح فى زجاجة صافية فان تعاكس الانوار من جوانب الزجاجة يزيد المصباح نورا ومنها كون المصباح متقاربا من الزيت فليس فى الأدهان ما يدانيه فى اللمعان والتطويس ومنها كون الزيت من شجرة بارزة للشمس فان ذلك يدل على كمال نضج الثمرة ونهاية صفاء دهنها وأما الامام الغزالى رضى الله عنه فانه يقول المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت عبارة عن المراتب الخمس الانسانية فأولها القوة الحساسة التى هى أصل الروح الحيوانى وتوجد للصبى بل لكل حيوان وأوفق مثال لها من عالم الاجسام المشكاة لان تلك القوى تخرج من عدة ثقب كالعينين والاذنين والمنخرين والفم وثانيها القوة الخيالية التى تحفظ ما يورده الحواس مخزونا عند التعرض على القوة العقلية التى فوقها عند الحاجة اليه وأنت لا تجد شيأ فى عالم الاجسام يشبه الخيال سوى الزجاجة فانها فى الاصل جوهر كثيف ولكن صفى ورقق حتى صار بحيث لا يحجب نور المصباح بل يؤديه على وجهه ثم يحفظه عن الانطفاء بالرياح العاصفة كذلك الخيال من طينة العالم السفلى الكثيف بدليل أن الشئ المتخيل ذو قدر وشكل وحد ولكنه اذا صفى وهذب صار موازيا للمعانى العقلية ومؤديا لأنوارها وانما يستدل المعبر بالصور الخيالية على المعانى كما يستدل بالشمس على الملك وبالقمر على الوزير وبمن يخدم فروج الناس وأفواههم على أنه مؤذن يؤذن فى رمضان قبل الصبح وثالثها القوة العقلية القوية على ادراك الماهيات الكلية والمعارف اليقينية ولا يخفى وجه تمثيله بالمصباح كما مر فى تسمية النبى سراجا وحين كان الحس كالمقدمة للخيال وهى كالمقدمة للعقل قيل ان المشكاة كالظرف للزجاجة التى هى كالظرف للمصباح ورابعها القوة الفكرية القوية على التقسيمات والاستنتاجات فانها بمثال الشجرة المثمرة واذا كانت ثمرتها مادة ازدياد أنوار المعارف فبالحرى أن لا تشبه الا بشجرة الزيتون لان لب ثمرتها هو الزيت الذى هو أهل

الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله أو التابعين قال هو التابع يتبع بصيب من طعامك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسمعيل بن علية عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال قال الذى يريد الطعام ولا يريد النساء * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال الذين لا يهمهم الا بطونهم ولا يخافون على النساء **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** اسمعيل بن موسى السدى قال ثنا شريك عن منصور عن مجاهد فى قوله غير أولى الاربة قال الأبله **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا عن مجاهد قوله غير أولى الاربة قال هو الأبله الذى لا يعرف شيأ من النساء **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله غير أولى الاربة من الرجال الذى لا أرب له بالنساء مثل فلان **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عمن حدثه عن ابن عباس غير أولى الاربة قال هو الذى لا تشتهى منه النساء **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبى غير أولى الاربة قال من تبع الرجل وخدمه الذى لم يبلغ أربه أن يطلع على عورة النساء **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن المغيرة عن الشعبى غير أولى الاربة قال الذى لا أرب له فى النساء * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال المعتوه **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى فى قوله أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال قال هو الأحمق الذى لا همة له بالنساء ولا أرب * وبه عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه فى قوله غير أولى الاربة من الرجال يقول الاحمق الذى ليست له همة فى النساء **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس الذى لا حاجة له فى النساء **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال قال هو الذى يتبع القوم حتى كأنه كان منهم ونشأ فيهم وليس يتبعهم لاربة نسائهم وليس له فى نسائهم اربة وانما يتبعهم لارفاقهم اياه **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت كان رجل يدخل على أزواج النبى صلى الله عليه وسلم مخنث فكانوا يعدونه من غير أولى الاربة فدخل عليه النبى صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة فقال انها اذا أقبلت أقبلت بأربع واذا أدبرت أدبرت بثمان فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا أرى هذا يعلم ما ههنا لا يدخل هذا عليكم فحجبوه **حدثنى** سعد بن عبد الله بن عبد الحكم المصرى قال ثنا حفص بن عمر العدنى قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة فى قوله أو التابعين غير أولى الاربة قال هو المخنث الذى لا يقوم زبه واختلف القراء فى قوله غير أولى الاربة فقرأ ذلك بعض أهل الشام وبعض

مادة المصباح وله من سائر الادهان خاصية زيادة الاشراق وقلة الدخان واذا كانت الماشية تسمى مباركة لكثرة درها ونسلها فالذى لا تتناهى ثمرته الى حد محدود أولى أن يسمى مباركا واذا كانت شعب الافكار العقلية المحضة مجردة عن لواحق الاجسام ناسب أن يقال لها لا شرقية ولا غربية وخامسها القوة القدسية النبوية التى يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه (٩٧) نار نور على نور وأما الشيخ الرئيس أبو على بن سينا فانه نزل الامثلة الخمسة على مراتب ادراكات النفس الانسانية المشهورة فالمشكاة هى العقل الهيولانى وهو الاستعداد المحض والزجاجة هى العقل بالملكة وهى قوة النفس حين حصل لها البديهيات وأمكن لها بواسطتها الترقى الى النظريات والانتقال الى الكسبيات ثم ان كان الانتقال ضعيفا فهى الشجرة وتسمى فكرا وان كان قويا فهى الزيت ويسمى حدسا وان كان فى النهاية القصوى سميت قوة قدسية وهى التى يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور ثم اذا حصل لها المعارف والعلوم المكتسبة بالفعل بحيث تقدر على ملاحظتها متى شاءت من غير تجشم كسب جديد فهو المصباح ويسمى عقلا بالفعل وغايته أن تكون المعقولات حاضرة عندها ممثلة لها كأنها تشاهدها وهى نور على نور ويسمى عقلا مستفادا أما الاول فلأن الملكة نور ومشاهدة تلك الملكة نور آخر وأما الثانى فلأن ذلك غاية الاستفادة ونهاية التحصيل وزعم الشيخ أبو على أن الخروج من العقل الهيولانى الى الملكة ثم منها الى العقل التام هو العقل الفعال مدبر ما تحت كرة القمر عند الحكماء وعبر عنه فى الآية بالنار وعن مقاتل أنه قال مثل نوره أى مثل نور الايمان فى قلب محمد كمشكاة فيها مصباح فالمشكاة نظير صلب عبد الله والزجاجة نظير جسد محمد والشجرة النبوة والرسالة وقيل المشكاة نظير ابراهيم عليه السلام والزجاجة نظير اسمعيل والمصباح نظير جسد محمد وعن أبى بن كعب أنه قرأ مثل نور من آمن به ورأيت فى كتب الشيعة عن على رضى الله عنه مرفوعا القمر وجهان يضىء بهما أهل السموات والارضين وعلى الوجهين مكتوب أتدرون ما كتابته

أهل المدينة والكوفة غيرا أولى الاربة بنصب غير ولنصب غيرهنا وجهان أحدهما على القطع من التابعين لان التابعين معرفة وغير نكرة والآخر على الاستثناء وتوجيهه غير الى معنى الا فكأنه قيل الا وقرأ غير من ذكرت بخفض غير على أنها نعت للتابعين وجاز نعت التابعين بغير والتابعون معرفة وغير نكرة لان التابعين معرفة غير مؤقتة فتأويل الكلام على هذه القراءة أو الذين هذه صفتهم والقول فى ذلك عندى أنهما قراءتان متقاربتا المعنى مستفيضة القراءة بهما فى الامصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أن الخفض فى غير أقوى فى العربية فالقراءة به أعجب الىّ والاربة الفعلة من الاربة مثل الجلسة من الجلوس والمشية من المشى وهى الحاجة يقال لا أرب لى فى كذا لا حاجة لى فيه وكذا أربت لكذا وكذا اذا احتجت اليه فأنا آرب له أربا فأما الأربة بضم الالف فالعقدة وقوله أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء يقول تعالى ذكره أو الطفل الذين لم يكشفوا عن عورات النساء بجماعهن فيظهروا عليها لصغرهن ◦ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله على عورات النساء قال لم يدروا ما تأتى من الصغر قبل الحلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن يقول تعالى ذكره ولا يحركن فى أرجلهن من الحلى ما اذا مشين أو حركنهن علم الناس الذين مشين بينهم ما يخفين من ذلك ◦ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال زعم حضرمى أن امرأة اتخذت (١) مربس من فضة واتخذت جزعا فمرت على قوم فضربت برجلها فوقع الخلخال على الجزع فصوت فأنزل الله ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدى عن أبى مالك ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن قال كان فى أرجلهن خرز فكن اذا مررن بالمجالس حركن أرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ولا يضربن بأرجلهن فهو أن تقرع الخلخال بالآخر عند الرجال ويكون فى رجلها خلخال فتحركهن عند الرجال فنهى الله سبحانه وتعالى عن ذلك لانه من عمل الشيطان حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن قال هو الخلخال لا تضرب امرأة برجلها ليسمع صوت خلخالها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن قال الاجراس من حليهن يجعلنها فى أرجلهن فى مكان الخلاخل فنهاهن الله أن يضربن بأرجلهن لتسمع تلك الاجراس وقوله وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون يقول تعالى ذكره وارجعوا أيها المؤمنون الى طاعة الله فيما أمركم ونهاكم من غض البصر وحفظ الفرج وترك دخول بيوت غير بيوتكم من غير استئذان ولا تسليم وغير ذلك من أمره ونهيه لعلكم تفلحون يقول

(١) كذا بدون نقط ولعله برتين والبرة الخلخال ولم نعثر عليه فى غير هذا الموضع فحرره

فقالوا الله ورسوله أعلم فقال على وجه السموات الله نور السموات والأرض وعلى وجه الارض محمد وعلى نور الارضين وقيل المشكاة صدر محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح ما في قلبه من الدين والشجرة ابراهيم عليه السلام ويوقد من شجرة كقوله واتبعوا ملة ابراهيم ومعنى لا شرقية ولا غربية أن ابراهيم لم يكن يصلي قبل المشرق كالنصارى ولا قبل المغرب كاليهود بل كان يصلي قبل الكعبة وهي ما بين المشرق والمغرب ومعنى يكاد زيتها يضيء أن نور محمد يكاد يتبين للناس قبل أن يتكلم قاله كعب وقال الفضال يكاد محمد يتكلم بالحكمة قبل الوحي ومن هنا قال عبد الله بن رواحة

لولم يكن فيه آيات مبينة * كانت بديهته تنبيك بالخبر

وقال يحيى بن سلام قلب المؤمن نوري يعرف الحق قبل أن يتبين لموافقته له وهو المراد من قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وقيل يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم به ولهذا يزداد نورا على نور قال أبي بن كعب المؤمن بين أربع خلال أن أعطي شكر وان ابتلي صبر وان قال صدق وان حكم عدل فهو في سائر الناس كالرجل الحي الذي يمشي بين أموات يتقلب في خمس من النور كلامه نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيامة قال الربيع سألت أبا العالية عن مدخله ومخرجه فقال سره وعلانيته قالت الاشاعرة في قوله يهدي الله لنوره من يشاء اشارة الى أن هذه الدلائل مع وضوحها لا تكفي ولا تنفع ما لم يخلق الله الايمان فيه وقالت المعتزلة أراد يهدي الله لطريق الجنة أو أراد بقوله من يشاء الذين بلغهم حد التكليف والهدى محمول على زيادات الالطاف التي هي ضد الخذلان ولهذا قال في الكشاف معناه يوفق لاصابة الحق من نظر وتدبر ومعنى الانصاف وجانب جانب المراء والاعتساف ولم يكن كالاعمى الذي يتوى عنده جنح الليل الدامس وضحوة النهار الشامس وأكدوا ذلك بقوله ويضرب الله الامثال للناس يعني النبي والمكلفين من أمته قالوا انما ذكره في معرض الانعام ولو كان الكل بخلق الله تعالى لما تمكنوا من الانتفاع بالمثل فلا يكون نعمة ثم زاد في التأكيد بقوله والله بكل شيء

لتفلحوا وتدركوا طلباتكم لديه اذا أنتم أطعتموه فيما أمركم ونهاكم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم ﴾ يقول تعالى ذكره وزوجوا أيها المؤمنون من لا زوج له من أحراركم ونسائكم ومن أهل الصلاح من عبيدكم وممالككم والايامى جمع ايم وانما جمع الأيم أيامى لانها فعيلة في المعنى بجمعت كذلك كما جمعت اليتيمة يتامى ومنه قول جميل

أحب الأيامى اذ بثينة أيم * وأحببت لما أن غنيت الغوانيا

ولو جمعت أيام كان صوابا والأيم يوصف به الذكر والأنثى يقال رجل أيم وامرأة أيم وأيمة اذا لم يكن لها زوج ومنه قول الشاعر

فان تنكحي أنكح وان تتأيمي * وان كنت أفتى منكم أتأيم

ان يكونوا فقراء يقول ان يكن هؤلاء الذين تنكحونهم من أيامى رجالكم ونسائكم وعبيدكم وامائكم أهل فاقة وفقر فان الله يغنيهم من فضله فلا يمنعنكم فقرهم من انكاحهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم قال أمر الله سبحانه بالنكاح ورغبهم فيه وأمرهم أن يزوجوا أحرارهم وعبيدهم ووعدهم في ذلك الغنى فقال ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله حدثنا أبو كريب قال ثنا حسن أبو الحسن وكان اسمعيل بن صبيح مولى هذا قال سمعت القاسم بن الوليد عن عبد الله بن مسعود قال التمسوا الغنى في النكاح يقول الله ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأنكحوا الايامى منكم قال أيامى النساء اللاتي ليس لهن أزواج وقوله والله واسع عليم يقول جل ثناؤه والله واسع الفضل جواد بعطايا فزوجوا اماءكم فان الله واسع يوسع عليهم من فضله ان كانوا فقراء عليم يقول هو ذو علم بالفقير منهم والغني لا يخفى عليه حال خلقه في شيء وتدبيرهم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ﴾ يقول تعالى ذكره وليستعفف الذين لا يجدون ما ينكحون به النساء عن اتيان ما حرم الله عليهم من الفواحش حتى يغنيهم الله من سعة فضله ويوسع عليهم من رزقه وقوله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم يقول جل ثناؤه والذين يلتمسون المكاتبة منكم من مماليككم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا واختلف أهل العلم في وجه مكاتبة الرجل عبده الذي قد علم فيه خيرا وهل قوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا على وجه الفرض أم هو على وجه الندب فقال بعضهم فرض على الرجل أن يكاتب عبده الذي قد علم فيه خيرا اذا سأله العبد ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء أواجب علي اذا علمت مالا أن أكاتبه قال ما أراه الا واجبا وقالها عمرو بن دينار قال قلت لعطاء أثاثره عن أحد قال لا حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن بكر قال ثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك أن سيرين أراد أن يكاتبه فتلكأ عليه فقال له عمر لتكاتبنه حدثني محمد بن سعد

علم ففيه تحذير لمن لا يتفكر ولا يعتبر ولا يستدل ولا ينظر قوله (في بيوت) اعترض أبو مسلم على قول من قال انه يتعلق بمشكاة أو بتوقد لان كون المشكاة في بعض بيوت الله لا تزيد المصباح انارة واضاءة وأيضا الموصوف واحد فلا يكون الا في مكان واحد وقوله في بيوت أمكنة متعددة ولا يصح أن يكون شئ واحد في أمكنة متعددة في حالة واحدة وكذا الوجعل في بيوت صفة مصباح أو زجاجة أو كوكب وأجيب بأن هذه صفة موضحة لا مميزة وذلك أن المشكاة تكون غالبا في بيوت العبادة أو المشكاة التي فيها مصباح اذا كانت في مثل هذه البيوت الرفيعة كانت أعظم وأكثر ضخامة فيكون في باب التمثيل أدخل وعن الثاني أنه أريد بالمشكاة النوع لا الواحد كما قيل الذي يصلح لخدمتي رجل يرجع الى علم وكفاية وقناعة يلتزم بيته فانه يراد به النوع لا الواحد وذهب أبو مسلم الى أنه راجع الى قوله ومثلا من الذين خلوا أي الانبياء والمؤمنين الذين مضوا وكانوا ملازمين لبيوت العبادة واعترض عليه بتفكك النظم اذ ذاك وبأن الذين خلوا هم المكذبون والأكثرون على أن البيوت هي المساجد والاذن الامر والرفع التعظيم أو البناء وعن عكرمة هي البيوت كلها ومعنى الرفع البناء وذكر اسم الله عام في كل ذكر وعن ابن عباس أن يتلى فيها كتابه وقيل لا يتكلم فيها بما لا ينبغي والتسبيح تنزيه الله عما لا يليق به وقيل الصلوات الخمس وقيل صلاتا الصبح والعصر وكانتا واجبتين فقط في أول الاسلام فزيد فيهما وعن ابن عباس ان صلاة الضحى لفي كتاب الله وتلا هذه الآية والاولى العموم قيل خص الرجال بالذكر لانهم من أهل الجماعات دون النساء ويحتمل أن يقال لانهم أصل والنساء تبع واختلفوا في

معد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال لا ينبغي لرجل اذا كان عنده المملوك الصالح الذي له المال يريد أن يكاتب أن لا يكاتبه ◦ وقال آخرون ذلك غير واجب على السيد وانما قوله فكاتبوهم ندب من الله سادة العبيد الى كتابة من علم فيه منهم خيرا لا ايجاب ذكر من قال ذلك **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال مالك بن أنس الامر عندنا أن ليس على سيد العبد أن يكاتبه اذا سأله ذلك ولم أسمع بأحد من الائمة أكره أحدا على أن يكاتب عبده وقد سمعت بعض أهل العلم اذا سئل عن ذلك فقيل له ان الله تبارك وتعالى يقول في كتابه فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا يتلوها تين الآيتين فاذا حللتم فاصطادوا فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله قال مالك فانما ذلك أمر أذن الله فيه للناس وليس بواجب على الناس ولا يلزم أحدا وقال الثوري اذا أراد العبد من سيده أن يكاتبه فان شاء السيد أن يكاتبه كاتبه ولا يجبر السيد على ذلك **حدثني** بذلك علي عن زيد عنه **وحدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قال ليس بواجب عليه أن يكاتبه انما هذا أمر أذن الله فيه وندبه وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال واجب على سيد العبد أن يكاتبه اذا علم فيه خيرا وسأله العبد الكتابة وذلك أن ظاهر قوله فكاتبوهم ظاهر أمر وأمر الله فرض الانتهاء اليه ما لم يكن دليل من كتاب أو سنة على أنه ندب لما قد بينا من العلة في كتابنا المسمى البيان عن أصول الاحكام وأما الخير الذي أمر الله تعالى ذكره عباده بكتابة عبيدهم اذا علموه فيهم فهو القدرة على الاحتراف والكسب لاداء ما كوتبوا عليه ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عبد الكريم الجزري عن نافع عن ابن عمر أنه كره أن يكاتب مملوكه اذا لم تكن له حرفة قال تطعمني أوساخ الناس **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا يقول ان علمتم لهم حيلة ولا تلقوا مؤنتهم على المسلمين **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا أشهب قال سئل مالك بن أنس عن قوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا فقال انه ليقال الخير القوة على الاداء **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني ابن زيد عن أبيه قول الله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قال الخير القوة على ذلك ◦ وقال آخرون بل معنى ذلك ان علمتم فيهم صدقا ووفاء وأداء ذكر من قال ذلك **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا يونس عن الحسن في قوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قال صدقا ووفاء وأداء وأمانة ◦ قال ثنا ابن علية قال ثنا عبد الله عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وطاوس أنهما قالا في قوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قالا مالا وأمانة **حدثنا** أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال ثنا اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قال أداء وأمانة **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن المغيرة قال كان ابراهيم يقول في هذه الآية فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قال صدقا ووفاء أو أحدهما **حدثنا** أبو بكر قال ثنا ابن ادريس قال سمعت عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء في قوله فكاتبوهم

(الا تلهيهم تجارة) فقيل نفي الالهاء لانه لا تجارة ولا بيع كقوله ◦ ولا ترى الضب فيها ينجحر ◦ وقيل أثبت التجارة والبيع وبين أنهم مع ذلك لا يشغلهم شئ عن ذكر الله وهذا قول الاكثرين وعن الحسن أما والله ان كانوا ليتجرون ولكن اذا جاءت فرائض الله لم يلههم عنها شئ وما الفرق بين التجارة والبيع قيل الأول عام لان صناعة التاجر قد يقع فيها البيع وقد يقع فيها الشراء وخص البيع لأن الربح فيه يقين

وفى الشراء مظنون فالبيع أدخل فى الالهاء وقيل أراد بالتجارة الشراء اطلاقا للاسم الجنس على النوع وقال الفراء التجارة للأهل الجلب يقال تجر فلان فى كذا اذا جلبه من غير بلده وذكر الله دعاؤه والثناء عليه بما هو أهله وقيل هو الصلاة ومن هنا قال ابن عباس أراد بها قام الصلاة اتمامها لمواقيتها وايتاء الزكاة طاعة الله (١٠٠) والاخلاص له والتاء فى اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال فلما أضيفت أقيمت الاضافة مقام حرف التعويض فاسقطت ثم حكى أن هؤلاء الرجال مع ماذكر من الطاعة والاخلاص موصوفون بالوجل والخوف من أهوال يوم القيامة وتقلب القلوب اضطرابها من الهول والفزع وتقلب الابصار شخوصها أو المراد تقلب أحوالها فتفقه القلوب بعد أن كانت مطبوعا عليها وتدرك الابصار بعد أن كانت عميا عن النظر والاعتبار وكأنهم انقلبوا من الشك والغفلة الى اليقين والمعاينة وقال الخليل ان القلوب تزول عن أماكنها فتبلغ الحناجر والابصار تصير زرقا وقال الجبائى يحتمل أن يراد تقلبها على جرجهنم أو تغير ماهيتها بسبب ما ينالها من العذاب فتكون مرة بهيئة ما أنضج بالنار ومرة بهيئة ما أحرق وقيل ان القلوب تتقلب فى ذلك اليوم من طمع النجاة الى الخوف من الهلاك والابصار تتقلب من أى ناحية يؤخذ بهم أمن ناحية اليمين أم من ناحية الشمال ومن أى جهة يعطون كتابهم أمن قبل الايمان أم من قبل الشمائل قوله (ليجزيهم) متعلق بما قبله لفظا أو معنى أى يسبحون ويخافون أو يفعلون هذه القربات ليجزيهم الله أحسن جزاء أعمالهم وهو الواحد بعشر الى سبعمائة وأكثر وقيل أراد بالاحسن الحسنات أجمع وهى الطاعات فرضها ونفلها قال مقاتل انما ذكر الاحسن تنبيها على أنه لا يجازيهم على مساوى أعمالهم بل يغفرها لهم وقال القاضى أراد بذلك أن تكون الطاعات منهم مكفرة لمعاصيهم فيصح أن الله تعالى يجزيهم بأحسن الاعمال وهذا مبنى على مذهبه فى الاحباط والموازنة ومعنى (ويزيدهم من فضله) كقوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وقوله (والله يرزق من يشاء بغير حساب) قدمر تفسيره فى البقرة وحين بين

ان علمتم فيهم خيرا قال أداء ومالا **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال قال عمرو بن دينار أحسبه كل ذلك المال والصلاح **حدثنى** على بن سهل قال ثنا زيد قال ثنا سفيان ان علمتم فيهم خيرا يعنى صدقا ووفاء وأمانة **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان علمتم فيهم خيرا قال ان علمت فيه خيرا نفسك بولى البيك ويصدق ما حدثك فكاتبه * وقال آخرون بل معنى ذلك ان علمتم لهم مالا ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا يقول ان علمتم لهم مالا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ان علمتم فيهم خيرا قال مالا **حدثنا** ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا عبد الرحمن قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قال مالا **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد مثله **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ان علمتم فيهم خيرا قال لهم مالا فكاتبوهم **حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قال ان علمتم لهم مالا كاتبة أخلاقهم وأديانهم ما كانت **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن زاذان عن عطاء بن أبى رباح فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا قال مالا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن مجاهد قال ان علمتم عندهم مالا **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى محمد بن عمرو الباهلى عن ابن جريج أن عطاء بن أبى رباح كان يقول ما أراه الا المال يعنى قوله ان علمتم فيهم خيرا قال ثم تلا كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا * وأولى هذه الأقوال فى معنى ذلك عندى قول من قال معناه فكاتبوهم ان علمتم فيهم قوة على الاحتراف والاكتساب ووفاء بما أوجب على نفسه وألزمها وصدقا لهجة وذلك أن هذه المعانى هى الاسباب التى بمولى العبد الحاجة اليها اذا كاتب عبده مما يكون فى العبد فأما المال وان كان من الخير فانه لا يكون فى العبد وانما يكون عنده أو له لا فيه والله انما أوجب علينا مكاتبة العبد اذا علمنا فيه خيرا لا اذا علمنا عنده أو له فلذلك لم نقل ان الخير فى هذا الموضع معنى به المال وقوله وآتوهم من مال الله الذى آتاكم يقول تعالى ذكره وأعطوهم من مال الله الذى أعطاكم ثم اختلف أهل التأويل فى المأمور باعطائه من مال الله الذى أعطاه من هو وفى المال أى الاموال هو فقال بعضهم الذى أمر الله باعطاء المكاتب من مال الله هو مولى العبد المكاتب ومال الله الذى أمر باعطائه منه هو مال الكتابة والقدر الذى أمر أن يعطيه منه الربع * وقال آخرون بل ما شاء من ذلك المولى ذكر من قال ذلك **حدثنى** عمرو بن على قال ثنا عمران بن عيينة قال ثنا عطاء بن السائب عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على فى قول الله وآتوهم من مال الله الذى آتاكم قال ربع المكاتبة **حدثنا** الحسن بن عرفة

قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي في قول الله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال ربع الكتابة يحطها عنه **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ليث عن عبد الاعلى عن أبي عبد الرحمن عن علي رضي الله عنه في قول الله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال الربع من أول نجومه ◦ قال أخبرنا ابن علية قال عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي في قوله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال الربع من مكاتبته **حدثنا** محمد بن اسمعيل الاحمسي قال ثنا محمد بن عبيد قال ثنى عبد الملك بن أبي سليمان عن عبد الملك بن أعين قال كاتب أبو عبد الرحمن غلاما في أربعة آلاف درهم ثم وضع له الربع ثم قال لولا أني رأيت عليا رضوان الله عليه كاتب غلاما له ثم وضع له الربع ما وضعت الشيء **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عبد الأعلى عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه كاتب غلاما له على ألف ومائتين فترك الربع وأشهد فقال لي كان صديقك يفعل هذا يعني عليا رضوان الله عليه يتأول وآتوهم من مال الله الذي آتاكم **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عبد الملك قال ثنى فضالة بن أبي أمية عن أبيه قال كاتبني عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاستقرض لي من حفصة مائتي درهم قلت لا تجعلها في مكاتبتي قال اني لا أدري أدرك ذاك أم لا ◦ قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان بلغني أنه كاتبه على مائة أوقية ◦ قال ثنا سفيان عن عبد الملك قال ذكرت ذلك لعكرمة فقال هو قول الله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم **حدثني** علي قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس في قول الله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم يقول ضعوا عنهم من مكاتبتهم **حدثني** محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس وآتوهم من مال الله الذي آتاكم يقول ضعوا عنهم مما قاطعتموهم عليه **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء في قوله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال مما أخرج الله لكم منهم **حدثني** أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن ليث عن مجاهد وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال آتهم مما في يديك **حدثني** الحسين بن عمرو العنقزي قال ثنى أبي عن أسباط عن السدي عن أبيه قال كاتبتني زينب بنت قيس بن مخرمة من بني المطلب بن عبد مناف على عشرة آلاف فتركت لي ألفا وكانت زينب قد صلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلتين جميعا **حدثنا** مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال أخبرنا أبو مسعود الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد مولى أبي أسيد قال كاتبني أبو أسيد على ثنتي عشرة مائة فحططت بها ألفا وأخذت منها ألفا وردّ علي مائتين **حدثنا** يزيد قال ثنا هرون بن المغيرة عن عنبسة عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير قال كان ابن عمر لنا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيأ من أول نجومه مخافة أن يعجز فترجع اليه صدقته ولكنه اذا كان في آخر مكاتبته وضع عنه ما أحب **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني مخرمة عن أبيه عن نافع قال كاتب عبد الله بن عمر غلاما له يقال له شرف على خمسة وثلاثين ألف درهم

بالماء الجاري كأنه يسرب على وجه الارض أي يذهب وأما الآل فهو ما يتراءى في أول النهار وظاهر كلام الخليل أنه لم يفرق بينهما والقيعة بمعنى القاع وهو المستوى من الارض وقال الفراء هي جمع قاع كجيرة في جار والظمآن الشديد العطش ووجه التشبيه أن الكافر يأتي ببعض أعمال البر ويعتقد ثوابا عليه فاذا وافى عرصة القيامة ولم يجد الثواب بل وجد العقاب عظمت حسرته وتناهى غمه وحيرته فيشبه حاله حال الظمآن الذي تشتد حاجته الى ما يحسبه ويبقيه فاذا شاهد السراب تعلق قلبه به رجاء للحياة فاذا جاءه ولم يجد شيأ عظم غمه وطال حزنه قال مجاهد السراب عمل الكافر واتيانه اياه موته وفراقه الدنيا وههنا سؤال وهو أنه كيف قال جاءه فأثبت أنه شيء لان العدم لا يتصور المجيء اليه ثم قال لم يجده شيأ فنفى كونه شيأ والجواب أراد شيأ نافعا كما يقال فلان ما عمل شيأ وان كان قد اجتهد أو المراد جاء موضع السراب فلم يجد هناك شيأ أو أراد أنه تخيل أولا ضبابا وهباء شبه الماء وذلك باعانة من شعاع الشمس فاذا قرب منه رق وانتثر وصار هباء وهذا قول الحكماء قوله (ووجد الله) أي وجد عقاب الله أو زبانية الله يأخذونه فيصلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق خلاف ما يتصور من الراحة والنعيم قيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن أمية كان قد تعبد ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الاسلام وأما المثل الآخر فهو قوله (أو كظلمات) وقد يقال معنى أو أنه شبه أعمالهم الحسنة بالسراب والقبيحة بالظلمات أو الاول لاعمالهم الظاهرة والثاني لعقائدهم الفاسدة واللجي العميق الكثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر والظلمات ظلمة البحر وظلمة الامواج وظلمة السحاب

وكذا الكافر له ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل قاله الحسن وعن ابن عباس قلبه وبصره وسمعه وقيل قلب مظلم في صدر مظلم جسد مظلم والظاهر أن الجمع للتكثير وأن أنواع الضلالات والأباطيل اجتمعت فيه والضمير في أخرج للواقع في الظلمات يدل عليه قرينة الحال ومعنى لم يكد يراها لم يقرب أن يراها ونفي القرب من الرؤية أبلغ من نفي الرؤية نفسها وقد مر هذا البحث في البقرة في قوله وما كادوا يفعلون قالت الاشاعرة في قوله (ومن لم يجعل الله له نورا) دلالة على أن الهداية بتخليق الله تعالى وبجعله وحمله المعتزلة على منح الألطاف وقد مر أمثال ذلك مرارا ولما وصف أنوار المؤمنين وظلمات الكافرين صرح بدلائل التوحيد فقال مستفهما على سبيل التقرير (ألم تر أن الله يسبح له) وقد مر مثله في سورة سبحان والخطاب لكل من له أهلية النظر أو للرسول وقد علمه من جهة الاستدلال ومعنى (صافات) أنهن يصففن أجنحتهن في الهواء والضمير في علم لكل أو لله عز وجل وعلى الاول فالضمير في صلاته وتسبيحه اما لكل أو لله والمعنى كل مسبح قد علم صلاته التي تليق بحاله أو صلاة الله التي كلفه اياها وعلى الثاني فالضمير فيهما لكل والصلاة بمعنى الدعاء ولا يبعد أن يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون اليها والاستقصاء في حكاياتهن مذكور في خواص الحيوانات ولا سيما في كتاب عجائب المخلوقات ثم بين أن المبدأ منه والمعاد اليه فقال (ولله ملك السموات) الآية ثم ذكر دليلا آخر من الآثار العلوية قائلا (ألم تر أن الله يزجي سحابا) أي يسوقه بالرياح (ثم يؤلف بينه) أي بين أجزائه أي يجمع قطع السحاب فيجعلها سحابا واحدا مترا كما سادا للافق (فترى الودق) المطر أو القطر (يخرج من خلاله) من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل قوله (من السماء على من جبال فيها من برد) الأولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض على أن قوله من جبال مفعول ينزل والثالثة للبيان أو الاولى للبيان والثالثة للتبعيض ومعناه أنه ينزل بعض البرد من السماء من جبال فيها وقد مر في أول البقرة في قوله أو كصيب من السماء معنى البرد وأنه بخاري جمد

فوضع من آخر كتابته خمسة آلاف ولم يذكر نافع أنه أعطاه شيأ غير الذي وضع له * قال أخبرنا وهب قال قال مالك سمعت بعض أهل العلم يقول ان ذلك أن يكاتب الرجل غلامه ثم يضع عنه من آخر كتابته شيأ مسمى قال مالك وذلك أحسن ما سمعت وعلى ذلك أهل العلم وعمل الناس عندنا **حدثني** علي قال ثنا زيد قال ثنا سفيان أحب الي أن يعطيه الربع أو أقل منه شيأ وليس بواجب وان يفعل ذلك حسن **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن عبد الله ابن حبيب أبي عبد الرحمن السلمي عن علي رضي الله عنه وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال هو ربع المكاتبة * وقال آخرون بل ذلك حض من الله أهل الاموال على أن يعطوهم سهمهم الذي جعله لهم من الصدقات المفروضة لهم في أموالهم بقوله انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب قال فالرقاب التي جعل فيها أحد سهمان الصدقة الثمانية هم المكاتبون قال وأباه عني جعل ثناؤه بقوله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم أي سهمهم من الصدقة ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثني يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن ابن زيد عن أبيه قوله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال بحث الله عليه بعطوه **حدثني** يعقوب قال ثني ابن علية قال أخبرنا يونس عن الحسن وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال حث الناس عليه مولاه وغيره **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن حماد عن ابراهيم في قوله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال يعطى مكاتبه وغيره حث الناس عليه **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم أنه قال في قوله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال أمر مولاه والناس جميعا أن يعينوه **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا محمد قال ثنا شعبة عن مغيرة عن ابراهيم وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال أمر المسلمين أن يعطوهم مما آتاهم الله **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني ابن زيد عن أبيه وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال ذلك في الزكاة على الولاة يعطونهم من الزكاة بقول الله وفي الرقاب * قال ثني ابن زيد عن أبيه وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال الني ء والصدقات وقرأ قول الله انما الصدقات للفقراء والمساكين وقرأ حتى بلغ وفي الرقاب فأمر الله أن يوفوهم منه فليس ذلك من الكتابة قال وكان أبي يقول ماله ولمكاتبه هو من مال الله الذي فرض له فيه نصيبا * وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي القول الثاني وهو قول من قال عنى به ايتاءهم سهمهم من الصدقة المفروضة وانما قلنا ذلك أولى القولين لان قوله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم أمر من الله تعالى ذكره بايتاء المكاتبين من ماله الذي آتى أهل الاموال وأمر الله فرض على عباده الانتهاء اليه ما لم يخبرهم أن مراده الندب بل قد بينا في غير موضع من كتابنا فاذ كان ذلك كذلك ولم يكن أخبر في كتابه ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أنه ندب ففرض واجب واذ كان ذلك كذلك وكانت الحجة قد قامت أن لا حق لأحد في مال أحد غير من المسلمين الا ما أوجبه الله لأهل سهمان الصدقة في أموال الاغنياء منهم وكانت الكتابة التي يقتضيها سيد المكاتب من مكاتبه مالا من مال المكاتب فيفاد أن الحق الذي أوجب الله له على المؤمنين أن يؤتوه من أموالهم هو ما فرض

بعد ما استحال قطرات ماء قال عامة المفسرين ان في السماء جبالا من برد خلقها الله فيها كما خلق في الارض جبالا من حجر وقال أهل المعنى السماء ههنا هو الغيم المرتفع على رؤس الناس والمراد بالجبال الكثرة كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب ثم بين بقوله (فيصيب به) الى آخر الآية أنه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها كيف يشاء أو يهلك بالبرد من يشاء (١٠٣) أن يعذبه به ويعصم منه من يشاء أن يعصمه

على الاغنياء في أموالهم له من الصدقة المفروضة اذ كان لا حق في أموالهم لاحد سواها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره وزوجوا الصالحين من عبادكم وامائكم ولا تكرهوا اماءكم على البغاء وهو الزنا ان أردن تحصنا يقول ان أردن تعففا عن الزنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا يقول لتلتمسوا بإكراهكم اياهن على الزنا عرض الحياة وذلك ما تعرض لهم اليه الحاجة من رياشها وزينتها وأموالها ومن يكرههن يقول ومن يكره فتياته على البغاء فان الله من بعد اكراهه اياهن على ذلك لهن غفور رحيم ووزر ما كان من ذلك عليهم دونهن وذكر أن هذه الآية أنزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول حين أكره أمته مسيكة على الزنا ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن الصباح قال ثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج قال أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول جاءت مسيكة لبعض الانصار فقالت ان سيدي يكرهني على الزنا فنزلت في ذلك ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء حدثني يحيى بن ابراهيم المسعودي قال ثنا أبي عن أبيه عن جده عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال كانت جارية لعبد الله بن أبي ابن سلول يقال لها مسيكة فآجرها وأكرهها «الطبري شك» فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فشكت ذلك اليه فأنزل الله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم يعني بهن حدثنا أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن الشعبي في قوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء قال رجل كانت له جارية تفجر فلما أسلمت نزلت هذه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني أبو الزبير عن جابر قال جاءت جارية لبعض الانصار فقالت ان سيدي أكرهني على البغاء فأنزل الله في ذلك ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء قال ابن جريج وأخبرني عمرو بن دينار عن عكرمة قال أمة لعبد الله بن أبي أمرها فزنت فقاءت برد فقال لها ارجعي فازنى قالت والله لا أفعل ان لك هذا خيرا فقد استكثرت منه وان لك نشرا فقد آن لي أن أدعه قال ابن جريج وقال مجاهد نحو ذلك وزاد قال البغاء الزنا والله غفور رحيم قال لمكرهات على الزنا وفيها نزلت هذه الآية حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري أن رجلا من قريش أسر يوم بدر وكان عبد الله بن أبي أسره وكان لعبد الله جارية يقال لها معاذة فكان القرشي الاسير يريدها على نفسها وكانت مسلمة فكانت تمتنع منه لاسلامها وكان ابن أبي يكرهها على ذلك ويضربها جاء أن تحمل للقرشي فيطلب فداء ولده فقال الله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا قال الزهري ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم يقول غفور لهن ما أكرهن عليه حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عيينة عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير أنه كان يقرأ فان الله من بعد اكراههن لهن غفور رحيم حدثنا علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء

ويريهم ضياء البرق في السحاب بحيث يكاد يخطف أبصارهم ليعتبروا ويحذروا ويعاقب بين الليل والنهار ويخالف بينهما في الطول والقصر وفي كل ذلك معتبر لذوي الابصار والذين يترقون من المصنوع الى الصانع ويستدلون بالمحسوس على الغائب منتقلين من ظلمة التقليد الى نور البرهان ثم ذكر دليلا ثالثا من عجائب خلق الحيوان فقال (والله خلق كل دابة من ماء) قال علماء المعاني التنكير في ماء للتنويع أي خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة أو خلق الكل من ماء مخصوص وهو النطفة وعلى التقديرين الوحدة نوعية الا أن حمله على التقدير الثاني أكثر واغما عرف في قوله وجعلنا من الماء كل شئ حي لانه قصد هناك معنى آخر وهو أن أجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الماء وعن القفال أن قوله من ماء صفة دابة لا صلة خلق والمعنى أن كل دابة متولدة من ماء فهي مخلوقة لله تعالى واحترز بها عن الاعتراض الذي ذكرناه في سورة الانبياء وهو أن بعض الاحياء لم يخلقهم الله من الماء وقيل نزل الغالب منزلة الكل أو أراد الدابة من دب على وجه الارض ومشكهم هنالك وكل منها اما متولد من النطفة واما بحيث لا يعيش الا بالماء ثم بين أن أصلهم وان كان واحدا الا أن خلقتهم مختلفة (فمنهم من يمشي على بطنه) وقدم هذا القسم لغرابته ومنهم كذا ومنهم كذا وفي ضمير العقلاء واطلاق لفظة من تغليب للعقلاء ومعنى الزحف على البطن مشيا على سبيل المشاكلة أو الاستعارة تنظيرا لقوله فلان لا يمشي له أمر وقد يوجد من الدواب ذوات أرجل أزيد من أربع كالعناكب والعقارب والزنبلاوات بل مثل الحيوان الذي له أربع وأربعون رجلا المسمى دخال الاذن وانما ذكرها بهذه

لانها نادرة بالنسبة الى سائرهن ومن العقلاء من زعم أن أمثال هذه الدواب انما يعتمد وقت المشى على أربع فقط وقيل ان فى قوله تعالى (يخلق الله ما يشاء) تنبيها على سائر الاقسام ولا ريب أن اختلاف الحيوانات لا يكاد ينحصر الا أنا نذكر طرفا من ذلك تذكيرا لعجائب قدرة الله فى خلقه فنقول الاختلاف بين الحيوانات (١٠٤) (١) اما فى جوهر العضو كالفرس له ذنب دون الانسان وان كانت أجزاء الذنب من العظم والعصب واللحم والجلد والشعر حاصلة له فى غير هذا العضو كالسلحفاة فله صدف يحيط به ليس للانسان وكذا السمك فله فلوس والقنفذ له شوك و إما فى كيفية العضو كاختلاف الالوان والاشكال والصلابة واللين و إما فى الوضع كأن يدى الفيل أقرب الى الصدر من يدى الفرس واما فى الانفعال كأن عين الخطاف لا تتحير فى الضوء وعين الخفاش تتحير و إما فى سائر الاحوال وذلك أن من الحيوانات برا وبحريا أو برا فقط أو بحريا فقط ومن البحرى ما يعتمد فى السباحة على جناحه كالسمك ومنها ما يعتمد فيها على أرجله كالضفادع وكل من البرى والبحرى له أماكن مختلفة من البر والبحر فمنها ما له مأوى معلوم كالروابى أو الحفر أو الشقوق أو الجحر فى البر أو كالقعر أو الشط أو الحضر أو الطين فى البحر ومنها ما مأواه كيف اتفق الا أن يلد فيقيم للحضانة ومن الحيوانات طيار فمنها ما يسبح فى الهواء فقط ومنها ما يسبح على وجه الماء أيضا وكل طائر فانه يمشى على رجلين وقد يصعب عليه المشى كالخطاف الكبير الاسود وكالخفاش ومنها ما جناحه جلد أو غشاء وقد يكون عديم الرجل كضرب من الحيات بالحبشة يطير ومنها ما يختار الاجتماع كالكراكى ومنها ما يؤثر التفرد كالعقاب وكثير من الجوارح التى تنازع على الطعم ومنها ما يتعايش زوجا كالقطا والانسان من الحيوان الذى لا يمكنه أن يعيش وحده

زيتونة

ويضاهيه النحل والنمل الا أن النمل لا رئيس لها ومنها آكل لحم ومنها الاقط حب ومنها آكل عشب وزهر ومنه النحل ومن الحيوان ما هو انسى بالطبع كالانسان وما هو انسى بالمولد كالهرة والغرانيق أو بالقهر كالفهد ومنه ما لا يأنس كالنمر أو يبطئ استئناسه كالأسد ومن

ان أردن تحصنا يقول ولا تكرهوا اماءكم على الزنا فان فعلتم فان الله سبحانه لهن غفور رحيم واثمهن على من أكرههن **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء الى آخر الآية قال كانوا فى الجاهلية يكرهون اماءهم على الزنا يأخذون أجورهن فقال الله لا تكرهوهن على الزنا من أجل المعالة فى الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم لهن يعنى اذا أكرهن **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء على الزنا قال عبد الله بن أبى ابن سلول أمر أمة له بالزنا فجاءته بدينار أو بدرهم فأعطته فلم يشك **حدثنا** أبو عاصم فأعطته فقال ارجعى فازنى بآخر فقالت والله ما أنا براجعة فالله غفور رحيم للمكرهات على الزنا ففى هذا أنزلت هذه الآية **حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه الا أنه قال فى حديثه أمر أمة له بالزنا فجاءته ببرد فأعطته فلم يشك **حدثنا** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء يقول على الزنا فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم يقول غفور لهن للمكرهات على الزنا **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور قال غفور رحيم لهن حين أكرهن وقسرن على ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قال كانوا يأمرون ولائدهم يباغين يفعلن ذلك فيصبن فيأتينهم بكسبهن فكانت لعبد الله بن أبى ابن سلول جارية فكانت تباغى فكرهت وحلفت أن لا تفعله فأكرهها أهلها فانطلقت فباغت ببرد أخضر فأتتهم به فأنزل الله تبارك وتعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء الآية ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أنزلنا اليكم أيها الناس دلالات وعلامات مبينات يقول مفصلات الحق من الباطل وموضحات ذلك * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين والبصريين مبينات بفتح الياء بمعنى مفصلات وأن الله فصلهن وبينهن لعباده فهن مفصلات مبينات وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة مبينات بكسر الياء بمعنى أن الآيات هن تبين الحق والصواب للناس وتهديهم الى الحق والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء متقاربتا المعنى وذلك أن الله اذ فصلها وبينها صارت مبينة بنفسها الحق لمن التمسه من قبلها واذا بينت ذلك لمن التمسه من قبلها فبين الله ذلك فيها فبأى القراءتين قرأ القارئ فمصيب فى قراءته الصواب وقوله ومثلا من الذين خلوا من قبلكم من الأمم وموعظة لمن اتقى الله فخاف عقابه وخشى عذابه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة

حاصل ما يفهم مما كتب هنا ان الاختلاف فى جوهر العضو صور ثلاث اما ان تكون أجزاؤه موجودة فى الانسان أولا فالاول كذنب الفرس والثانى كصدف السلحفاة

الحيوان مالا صوت له ومنه ماله صوت وكل مصوت فانه يصير عند الاغتلام وحركة شهوة الجماع أشد تصويتا حتى الانسان ومنه ماله نسق يتفق كل وقت كالديك ومنه عفيف له وقت معين ومنه ولود ومنه بيوض وكل ولود أذون وكل صموخ بيوض سوى الخفاش ومنه هادئ الطبع قليل الغضب كالبقر ومنه شديد الجهل حال الغضب كالخنزير البرى (١٠٥) ومنه حليم حول كالابل ومنه محتال مكار كالثعلب ومنه غضوب سفيه الا أنه فلق متردد كالكلب ومنه شديد الكبس مستأنس كالفرد والفيل ومنه حسود تياه كالطاوس ومنه شديد الحفظ كالجمل والحمار لا ينسى الطريق الذى رآه وفى قوله (ان الله على كل شئ قدير) اشارة الى أن اختصاص كل حيوان بهذه الخواص وأمثالها لا يكون الا عن فاعل مختار قدير قهار وحين فرغ من اثبات هذه الدلائل أراد أن يبين أحوال المكلفين وأن فيهم منافقين فقدم لذلك مقدمة وهى قوله (لقد أنزلنا آيات مبينات) وانما فقد العاطف ههنا بخلاف قوله ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا لأن المقصود هناك هو ما سبق من التكاليف والمواعظ والغرض ههنا توطئة مقدمة لما يجئ بعقبه من حال أهل النفاق والوفاق وقوله (وما أولئك) اشارة الى الفريق المتولى وانما قال (بالمؤمنين) معرفا لأنه أراد أنهم ليسوا بالذين عرفت صحة ايمانهم لثباتهم واستقامتهم ويحتمل أن يكون أولئك اشارة الى جميع القائلين آمنا وأطعنا وحينئذ يكون قوله ثم يتولى فريق منهم حكما على البعض دفعا للالزام والنقض فان الحكم الكلى قلما يخلو عن منع ولمثل هذا قال فى الآية الثانية اذا فريق منهم معرضون والحاصل أنه حكم أولا على بعضهم بالتولى ثم صرح آخرا بأن الايمان منتف عن جميعهم

زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم) يعنى تعالى ذكره بقوله الله نور السموات والأرض هادى من فى السموات والأرض فهم بنوره الى الحق يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة يعتصمون * واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم فيه نحو الذى قلنا ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله الله نور السموات والأرض يقول الله سبحانه هادى أهل السموات والأرض حدثنى سليمان بن عمر ابن خلدة الرقى قال ثنا وهب بن راشد عن فرقد عن أنس بن مالك قال ان الهدى يقول نورى هداى * وقال آخرون بل معنى ذلك الله مدبر السموات والأرض ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد وابن عباس فى قوله الله نور السموات والأرض يدبر الأمر فيهما نجومهما وشمسهما وقمرهما * وقال آخرون بل عنى بذلك النور الضياء وقالوا معنى ذلك ضياء السموات والأرض ذكر من قال ذلك حدثنى عبد الأعلى ابن واصل قال ثنا عبيد الله بن موسى قال ثنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى بن كعب فى قول الله الله نور السموات والأرض قال قد أبنور نفسه فذكره ثم ذكر نور المؤمن وانما اخترنا القول الذى اخترناه فى ذلك لأنه عقيب قوله ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين فكان ذلك بأن يكون خبرا عن موقع يقع تنزيله من خلقه ومن مدح ما ابتدأ بذكر مدحه أولى وأشبه مما لم يأت ما يدل على انقضاء الخبر عنه من غيره فاذا كان ذلك كذلك فتأويل الكلام ولقد أنزلنا اليكم أيها الناس آيات مبينات الحق من الباطل ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين فهدينا كم بها وبينا لكم معالم دينكم بها الا فى هادى أهل السموات وأهل الأرض وترك وصل الكلام باللام وابتدأ الخبر عن هداية خلقه ابتداء وفيه المعنى الذى ذكرت استغناء بدلالة الكلام عليه من ذكره ثم ابتدأ فى الخبر عن مثل هدايته خلقه بالآيات المبينات التى أنزلها اليهم فقال مثل نوره كمشكاة فيها مصباح يقول مثل ما أنار من الحق بهذا التنزيل فى بيانه كمشكاة وقد اختلف أهل التأويل فى المعنى بالهاء فى قوله مثل نوره علام هى عائدة ومن ذكر ما هى فقال بعضهم هى من ذكر المؤمن وقالوا معنى الكلام مثل نور المؤمن الذى فى قلبه من الايمان والقرآن مثل مشكاة ذكر من قال ذلك حدثنا عبد الأعلى بن واصل قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى بن كعب فى قول الله مثل نوره قال ذكر نور المؤمن فقال مثل نوره يقول مثل نور المؤمن قال وكان أبى يقرؤها كذلك مثل المؤمن قال هو المؤمن قد جعل الايمان والقرآن فى صدره حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر الرازى عن أبى العالية عن أبى بن كعب الله نور السموات والارض مثل نوره قال بدأ بنور نفسه فذكره ثم قال مثل نوره يقول مثل نور من آمن به قال وكذلك كان يقرأ أبى قال هو عبد جعل الله القرآن والايمان فى صدره حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عطاء

(١٤ - (ابن جرير) - ثامن عشر)

ويجوز أن يراد بالفريق المتولى رؤساء النفاق وقيل أراد بتولى هذا الفريق رجوعهم الى الباقين قال جار الله معنى الى الله ورسوله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كقولك أعجبنى زيد وكرمه أما سبب نزول الآية فمن مقاتل أنها فى بشر من المنافقين كما سبق فى سورة النساء فى قوله يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وعن الضحاك نزلت فى المغيرة

ابن وائل كان بينه وبين علي بن أبي طالب أرض فتقاسما فدفع الى علي منها ما لا يصيبه الماء الا بمشقة فقال المغيرة بعني أرضك فباعها منه وتقابضا فقيل للمغيرة أخذت سبخة لا ينالها الماء فقال لعلي اقبض أرضك فأبى ودعا المغيرة الى محاكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المغيرة أما محمد فلست آتيه ولا أحاكم اليه فانه (١٠٦) يبغضني وأنا أخاف أن يحيف علي قوله (يأتوا اليه) الجار صلة أتى فانه قد يعدى بإلى قال جار الله والأحسن أن يتصل بمذعنين ليفيد الاختصاص أي لا يتحاكمون اذا عرفوا أن الحق لهم الا الى الرسول مسرعين في طاعته ثم قسم الامر في صدودهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم بين أن يكونوا مرضى القلوب منافقين أو مرتابين في أمر نبوته أو خائفين الحيف في قضائه وهذه الامور وان كانت متلازمة الا أنها متغايرة في الاعتبار فصحت القسمة ثم بين بقوله (بل أولئك هم الظالمون) أنهم لا يخافون حيفه لانهم عارفون أمانته ولكن الظلم مركوز في جبلتهم وأنهم لا يستطيعون الظلم في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك يأبون المحاكمة اليه اذا كان الحق عليهم ۞ التأويل للآية تأويلان أحدهما من عالم الآفاق والآخر من عالم الانفس أما الاول فالمشكاة عالم الاجسام والزجاجة العرش والمصباح الكرسي والشجرة شجرة الملكوت وهي باطن عالم الاجسام وهي غير راقية الى شرق الأزل والقدم ولا الى غرب الفناء والعدم بل هي مخلوقة للأبد لا يعتريها الفناء يكاد زيتها وهو عالم الارواح يضيء أي يظهر من العدم الى عالم الصورة المتولدة بالازدواج عالم الغيب والشهادة ولو لم تمسسه نار نور القدرة الالهية وذلك لقرب طبيعتها من الوجود نور على نور فالأول نور الصفة الرحمانية والثاني نور العرش فهو كقوله الرحمن على العرش استوى وفي قوله يهدي الله لنوره من يشاء اشارة الى أن عبد فيض نور الرحمانية ينقسم على كل من يريد الله تعالى ايجاده من العرش الى ما تحت الثرى وأما التأويل الثاني فالمشكاة الجسد والزجاجة القلب والمصباح السر والشجرة شجرة الروحانية التي خلقت للبقاء كما مر والزيت الروح الانساني القابل لنور العرفان قبولا في غاية القرب

ابن السائب عن سعيد بن جبير مثل نوره قال مثل نور المؤمن **حدثني** علي بن الحسن الأزدي قال ثنا يحيى بن اليمان عن أبي سنان عن ثابت عن الضحاك في قوله مثل نوره قال نور المؤمن * وقال آخرون بل عنى بالنور محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الهاء التي في قوله مثل نوره عائدة على اسم الله ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب القمي عن حفص عن شمر قال جاء ابن عباس الى كعب الأحبار فقال له حدثني عن قول الله عز وجل الله نور السموات والأرض الآية فقال كعب الله نور السموات والأرض مثل نوره مثل محمد صلى الله عليه وسلم كمشكاة **حدثني** علي بن الحسن الأزدي قال ثنا يحيى بن اليمان عن أشعث عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير في قوله مثل نوره قال محمد صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون بل عنى بذلك هدى الله وبيانه وهو القرآن قالوا والهاء من ذكر الله قالوا ومعنى الكلام الله هادي أهل السموات والارض بآياته المبينات وهي النور الذي استنار به السموات والارض مثل هداه وآياته التي هدى بها خلقه وعظمها في قلوب المؤمنين كمشكاة ذكر من قال ذلك **حدثني** علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس مثل نوره مثل هداه في قلب المؤمن **حدثني** يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله مثل نوره قال مثل هذا القرآن في القلب كمشكاة **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله مثل نوره نور القرآن الذي أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم وعباده هذا مثل القرآن كمشكاة فيها مصباح * قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عبد الله بن عياش قال قال زيد بن أسلم في قول الله تبارك وتعالى الله نور السموات والارض مثل نوره ونوره الذي ذكر القرآن ومثله الذي ضرب له * وقال آخرون بل معنى ذلك مثل نور الله وقالوا يعني بالنور الطاعة ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح وذلك أن اليهود قالوا لمحمد كيف يخلص نور الله من دون السماء فضرب الله مثل ذلك لنوره فقال الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة قال وهو مثل ضربه الله لطاعته فسمى طاعته نورا ثم سماها أنوارا شتى وقوله كمشكاة اختلف أهل التأويل في معنى المشكاة والمصباح وما المراد بذلك وبالزجاجة فقال بعضهم المشكاة كل كوة لا منفذ لها وقالوا هذا مثل ضربه الله لقلب محمد صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب عن حفص عن شمر قال جاء ابن عباس الى كعب الاحبار فقال له حدثني عن قول الله مثل نوره كمشكاة قال المشكاة وهي الكوة ضربها الله مثلا لمحمد صلى الله عليه وسلم المشكاة فيها مصباح المصباح قلبه في زجاجة الزجاجة صدره الزجاجة كأنها كوكب دري شبه صدر النبي صلى الله عليه وسلم بالكوكب الدري ثم رجع المصباح الى قلبه فقال توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية لم تمسها شمس المشرق ولا شمس المغرب يكاد زيتها يضيء يكاد محمد يبين للناس وان لم يتكلم أنه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور **حدثني** علي قال ثنا

والنار نار التجلي والهداية في الأزل فاذا انضم الى نور العقل صار نورا على نور واذا تنور مصباح سر من يشاء بنور القدم تنور زجاجة القلب ومشكاة الجسد وتخرج أشعتها من روزنة الحواس فتضيء أرض البشرية كما قال وأشرقت الارض بنور ربها وهو مقام كنت له سمعا وبصرا الحديث في بيوت هي القلوب أذن الله أمر وأراد أن ترفع درجاتها من بين (١٠٧) سائر الارواح والنفوس الى أن تسع الله كما قال

عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله كمشكاة يقول موضع الفتيلة **حدثني** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنا عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله الله نور السموات والارض الى كمشكاة قال المشكاة كوة البيت * وقال آخرون عنى بالمشكاة صدر المؤمن وبالمصباح القرآن والايمان وبالزجاجة قلبه ذكر من قال ذلك **حدثني** عبدالأعلى بن واصل قال ثنا عبيدالله بن موسى قال أخبرنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى بن كعب مثل نوره كمشكاة فيها مصباح قال مثل المؤمن قد جعل الايمان والقرآن في صدره كمشكاة قال المشكاة صدره فيها مصباح قال والمصباح القرآن والايمان الذى جعل في صدره المصباح في زجاجة قال والزجاجة قلبه الزجاجة كأنها كوكب درى توقد قال فمثله مما استنار فيه القرآن والايمان كأنه كوكب درى يقول مضيء توقد من شجرة مباركة والشجرة المباركة أصله المباركة الاخلاص لله وحده وعبادته لاشريك له لاشرقية ولا غربية قال فمثل شجرة التف بها الشجر فهى خضراء ناعمة لا تصيبها الشمس على أى حال كانت لا اذا طلعت ولا اذا غربت وكذلك هذا المؤمن قد أجير من أن يصيبه شيء من الغير وقد ابتلى بها فثبته الله فيها فهو بين أربع خلال ان أعطى شكر وان ابتلى صبر وان حكم عدل وان قال صدق فهو في سائر الناس كالرجل الحى يمشى في قبور الاموات قال نور على نور فهو يتقلب في خمسة من النور فكلامه نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى النور يوم القيامة في الجنة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى يحيى بن اليمان عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى بن كعب قال المشكاة صدر المؤمن فيها مصباح قال القرآن * قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية عن أبى بن كعب نحو حديث عبدالأعلى عن عبيدالله **حدثني** على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس مثل نوره كمشكاة قال مثل هداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافى يضيء قبل أن تمسه النار فاذا مسته النار ازداد ضوءا على ضوء كذلك يكون قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور كما قال ابراهيم صلوات الله عليه قبل أن تجيئه المعرفة قال هذا ربى حين رأى الكوكب من غير أن يخبره أحد أن له ربا فلما أخبره الله أنه ربه ازداد هدى على هدى **حدثني** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح وذلك أن اليهود قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم كيف يخلص نور الله من دون السماء فضرب الله مثل ذلك لنوره فقال الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح والمشكاة كوة البيت فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى والمصباح السراج يكون في الزجاجة وهو مثل ضربه الله لطاعته فسمى طاعته نورا وسماها أنواعا شتى قوله توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية قال هى شجرة لا يقيء عليها ظل شرق ولا ظل غرب ضاحية ذلك أصفى الزيت يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار قال معمر وقال الحسن ليست من شجر الدنيا ليست شرقية ولا غربية * وقال آخرون

واما سعني قلب عبدى المؤمن يروى أنه أوحى الى داود عليه السلام فرغ لى بيتا أسكن فيه فقال رب أنت منزه عن البيوت فقال فرغ لى قلبك وان يتأتى هذا الرفع الا بواسطة ذكر الله فلهذا قال ويذكر فيها اسمه لانلههم تجارة هى الفوز بدرجات الجنات كما قال هل أدلكم على تجارة تنجيكم ولا بيع هو بيع الدنيا بالجنة كقوله ان الله اشترى الى قوله واستبشروا ببيعكم وفيه أن الرجولية لا تتحقق الا اذا لم يلتفت الى الدنيا ولا الى الآخرة فيكون بحيث لا يتصرف فيه ماسوى الله وحينئذ يصلى صلاة الوصال ويفيض على المستعدين زكاة حصول نصاب الكمال يخافون يوما هو يوم الفراق تتقلب فيه القلوب والابصار البصائر لأنها بيد الله يقلبها كيف يشاء أو كظلمات في بحر لجى هو حب الدنيا يغشاه موج الرياء من فوقه موج هو حب الجاه وطلب الرياسة من فوقه سحاب الشرك الخفى اذا أخرج يده لم يكد يراها يرى طريق خلاصه ومن لم يجعل الله له نورا أى لم يصبه رشاش النور الالهى في الأزل يرجى سحب المعاصى المتفرقة الى أن تتراكم فترى والودق هو مطر التوبة يخرج من خلاله كما خرج من سحاب وعصى آدم مطر ثم اجتباه ربه ينزل من سماء القلب من جبال من قساوة فيها من برد هو برد القهر يقلب الله ليل المعصية لمن يشاء الى نهار الطاعة وبالعكس لاولى الابصار أصحاب البصائر الذين يشاهدون آثار لطفه وقهره في مرآة التقليب والله خلق كل ذى روح من ماء هو روح محمد صلى الله عليه وسلم كما قال أول ما خلق الله روحى فمنهم من يمشى أن تكون سيرته تحصيل مشتهيات بطنه ومنهم من يمشى على رجلين أى يضيع عمره في مشتهيات الفرج لأن الحيوان اذا قصد الوقاع يعتمد

على رجلين وان كان من ذوات الأربع ومنهم من يمشي على أربع هم أصحاب المناصب يركبون الدواب البتة أفي قلوبهم مرض انحراف في الفطرة أم ارتابوا بتشكيك أهل البدع والاهواء أم يخافون الحيف حين أمر وا بترك اللذات العاجلة لاجل الخيرات الباقية واليه المآب

﴿انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيأ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض ومأواهم النار ولبئس المصير يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم ليس على القراء الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو

هو مثل للمؤمن غير أن المصباح وما فيه مثل لفؤاده والمشكاة مثل لجوفه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد وابن عباس جميعا المصباح وما فيه مثل فؤاد المؤمن وجوفه المصباح مثل الفؤاد والكوة مثل الجوف قال ابن جريج كمشكاة كوة غير نافذة قال ابن جريج وقال ابن عباس قوله نور على نور يعني ايمان المؤمن وعمله * وقال آخرون بل ذلك مثل للقرآن في قلب المؤمن ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة قال كالكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درّي حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله الله نور السموات والارض مثل نوره نور القرآن الذي أنزل على رسوله وعباده فهذا مثل القرآن كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة فقرأ حتى بلغ مباركة فهذا مثل القرآن يستضاء به في نوره ويعملونه ويأخذون به وهو كما هو لا ينقص فهذا مثل ضربه الله لنوره وفي قوله يكاد زيتها يضيء قال الضوء اشراق ذلك الزيت والمشكاة التي فيها الفتيلة التي في المصباح والقناديل تلك المصابيح حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن سعيد بن عياض في قوله كمشكاة قال الكوة حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن عطية في قوله كمشكاة قال قال ابن عمر المشكاة الكوة * وقال آخرون المشكاة القنديل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله كمشكاة قال القنديل ثم العمود الذي فيه القنديل حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كمشكاة الصفر الذي في جوف القنديل حدثني اسحق بن شاهين قال ثنا خالد بن عبد الله عن داود عن رجل عن مجاهد قال المشكاة القنديل * وقال آخرون المشكاة الحديد الذي يعلق به القنديل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن المفضل قال ثنا هشيم قال ثنا داود بن أبي هند عن مجاهد قال المشكاة الحديد التي يعلق بها القنديل * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال ذلك مثل ضربه الله للقرآن في قلب أهل الايمان به فقال مثل نور الله الذي أنار به لعباده سبيل الرشاد الذي أنزله اليهم فآمنوا به وصدقوا بما فيه في قلوب المؤمنين مثل مشكاة وهي عمود القنديل الذي فيه الفتيلة وذلك هو نظير الكوة التي تكون في الحيطان التي لا منفذ لها وانما جعل ذلك العمود مشكاة لانه غير نافذ وهو أجوف مفتوح الأعلى فهو كالكوة التي في الحائط التي لا تنفذ ثم قال فيها مصباح وهو السراج وجعل السراج وهو المصباح مثلا لما في قلب المؤمن من القرآن والآيات المبينات ثم قال المصباح في زجاجة يعني أن السراج الذي في المشكاة في القنديل وهو الزجاجة وذلك مثل للقرآن يقول القرآن الذي في قلب المؤمن الذي أنار الله قلبه في صدره ثم مثل الصدر في خلوصه من الكفر بالله والشك فيه واستنارته بنور القرآن واستضاءته بآيات ربه المبينات ومواعظه فيها بالكوكب الدري فقال الزجاجة وذلك صدر المؤمن الذي فيه قلبه كأنها كوكب درّي واختلفت

صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم (١٠٩) فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله

القراءة في قراءة قوله درّيّ فقرأته عامة قراء الحجاز دُرّيّ بضم الدال وترك الهمز وقرأه بعض قراء البصرة والكوفة دِرّيّ بكسر الدال وهمزة وقرأ بعض قراء الكوفة دُرّيء بضم الدال وهمزة وكأن الذين ضموا داله وتركوا الهمزة وجهوا معناه الى ما قاله أهل التفسير الذي ذكرناه من أن الزجاجة في صفائها وحسنها كالدر وأنها منسوبة اليه لذلك من نعتها وصفتها ووجه الذين قرؤا ذلك بكسر داله وهمزه الى أنه فعيل من درئ الكوكب أي دفع ورجم به الشيطان من قوله ويدرأ عنها العذاب أي يدفع والعرب تسمي الكواكب العظام التي لا تعرف أسماءها الدراري بغير همز وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول هي الدراريّ بالهمز من يدرأن وأما الذين قرؤه بضم داله وهمزه فان كانوا أرادوا به درّ ومثل سبوح وقدوس من درأت ثم استثقلوا كثرة الضمات فيه فصرفوا بعضها الى الكسرة فقالوا دريء كما قيل وقد بلغت من الكبر عتيا وهو فعول من عتوت عتوا ثم حولت بعض ضماتها الى الكسر فقيل عتيا فهو مذهب والا فلا أعرف لصحة قراءتهم ذلك كذلك وجها وذلك أنه لا يعرف في كلام العرب فعيل وقد كان بعض أهل العربية يقول هو لحن والذي هو أولى القراءات عندي في ذلك بالصواب قراءة من قرأه درّيّ بضم داله وترك همزه على النسبة الى الدر لأن أهل التأويل بتأويل ذلك جاؤا وقد ذكرنا أقوالهم في ذلك قبل ففي ذلك مكتفى عن الاستشهاد على صحتها بغيره فتأويل الكلام الزجاجة وهي صدر المؤمن كأنها يعني كأن الزجاجة وذلك مثل لصدر المؤمن كوكب يقول في صفائها وضيائها وحسنها وانما يصف صدره بالنقاء من كل ريب وشك في أسباب الايمان بالله وبعده من دنس المعاصي كالكوكب الذي يشبه الدر في الصفاء والضياء والحسن واختلفوا أيضا في قراءة قوله توقد من شجرة مباركة فقرأ ذلك بعض المكيين والمدنيين وبعض البصريين توقد من شجرة بالتاء وفتحها وتشديد القاف وفتح الدال وكأنهم وجهوا معنى ذلك الى توقد المصباح من شجرة مباركة وقرأه بعض عامة قراء المدنيين يوقد بالياء وتخفيف القاف ورفع الدال بمعنى يوقد المصباح موقد من شجرة ثم لم يسم فاعله وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة توقد بضم التاء وتخفيف القاف ورفع الدال بمعنى يوقد الزجاجة موقدها من شجرة مباركة لما لم يسم فاعله فقيل توقد وقرأه بعض أهل مكة توقد بفتح التاء وتشديد القاف وضم الدال بمعنى تتوقد الزجاجة من شجرة ثم أسقطت احدى التاءين اكتفاء بالباقية من الذاهبة وهذه القراءات متقاربات المعاني وان اختلفت الالفاظ بها وذلك أن الزجاجة اذا وصفت بالتوقد أو بأنها توقد فمعلوم معنى ذلك فان المراد به توقد فيها المصباح أو يوقد فيها المصباح ولكن وجهوا الخبر الى أن وصفها بذلك أقرب في الكلام منها وفهم السامعين معناه والمراد منه فاذا كان ذلك كذلك فبأي القراءات قرأ القارئ فمصيب غير أن أعجب القراءات الى أن أقرأ بها في ذلك توقد بفتح التاء وتشديد القاف وفتح الدال بمعنى وصف المصباح بالتوقد لان التوقد والاتقاد لا شك أنهما من صفته دون الزجاجة فمعنى الكلام اذن كمشكاة فيها مصباح المصباح من دهن شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية وقد ذكرنا بعض ما روي عن بعضهم من الاختلاف في ذلك فيما قد مضى ونذكر باقي ما حضرنا مما لم نذكره قبل فقال بعضهم انما قيل لهذه الشجرة لا شرقية ولا غربية أي ليست شرقية

غفور رحيم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ألا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم ۞ القراآت ويتقه بكسر القاف واختلاس الهاء يزيد وقالون ويعقوب غير زيد وأبو عمرو طريق الهاشمي بكسر القاف وسكون الهاء على أنها للسكت أبو عمرو وغير عباس وخلاد ورجاء ويحيى وحماد وهبيرة من طريق الخزاز وابن مجاهد عن ابن ذكوان باسكان القاف وكسر الهاء حفص غير الخزاز ووجهه أنه شبه تقه بكتف فخفف وعلى هذا فالهاء ضمير فان تحريك هاء السكت ضعيف الباقون ويتقهي بالاشباع فان تولوا باظهار النون وتشديد التاء البزي وابن فليح كما استطف مجهولا أبو بكر وعمار وليبدلنهم خفيفا ابن كثير وسهل ويعقوب وأبو بكر وحماد لا يحسبن على الغيبة ابن عامر وحمزة ثلاث عورات بالنصب حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص والمفضل الآخرون بالرفع لبعض شأنهم باسكان الضاد وتشديد الشين شجاع وأبو شعيب وحمله على الاخفاء أولى منه على الادغام يرجعون مبنيا للفاعل

عباس ويعقوب ۞ الوقوف وأطعنا ط المفلحون ○ الفائزون ○ ليخرجن ط لا تقسموا ج لحق المحذوف مع اتحاد المقول معروفة ط تعملون ○ الرسول ج للشرط مع الفاء ما حملتم ط تهتدوا ط المبين ○ من قبلهم ص أمنا ط بناء على أن ما بعده مستأنف شيأ ط الفاسقون ○ تؤجرون ط في الارض ج لانقطاع النظم مع اتحاد المقول النار ط المصير ○ مرات ط أي مني كذا وكذا العشاء قف عبد

من قرأ ثلاث عورات بالرفع أى هو ثلاث لكم ط بعدهن ط أى هم طوافون على بعض ص الآيات ط حكيم ٥ من قبلهم ط آياته ط حكيم ٥ ط بزينة ط لهن ط عليم ٥ صديقكم ط أشتاتا ط بناء على أن ما بعده استئناف حكم طيبة ط للعدول من المخاطبة الى الغيبة تعقلون ٥ يستأذنوه ط ورسوله ط للشرط مع الفاء لهم الله ط رحيم ٥ بعضا ط لواذا ج لانقطاع النظم مع فاء التعقيب اليم ٥ والارض ط عليه ط فصلا بين حال وحال مع العدول من المخاطبة الى الغيبة عاملوا ٥ عليم ٥

وحدها حتى لا تصيبها الشمس اذا غربت وانما لها نصيبها من الشمس بالغداة ما دامت بالجانب الذى يلى الشرق ثم لا يكون لها نصيب منها اذا مالت الى جانب الغرب ولا هى غربية وحدها فتصيبها الشمس بالعشى اذا مالت الى جانب الغرب ولا تصيبها بالغداة ولكنها شرقية غربية تطلع عليها الشمس بالغداة وتغرب عليها فيصيبها حر الشمس بالغداة والعشى قالوا واذا كانت كذلك كان أجود لزيتها ذكر من قال ذلك **حدثنا** هناد قال ثنا أبو الأحوص عن سماك عن عكرمة فى قوله زيتونة لا شرقية ولا غربية قال لا يستره من الشمس جبل ولا واد اذا طلعت واذا غربت **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا حرمى بن عمارة قال ثنا شعبة قال أخبرنى عمارة عن عكرمة فى قوله لا شرقية ولا غربية قال الشجرة تكون فى مكان لا يسترها من الشمس شئ تطلع عليها وتغرب عليها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد وابن عباس لا شرقية ولا غربية فالاهى التى بشرق الجبل التى يصيبها شروق الشمس وغروبها اذا طلعت أصابتها واذا غربت أصابتها • وقال آخرون بل معنى ذلك ليست شرقية ولا غربية ذكر من قال ذلك **حدثنى** سليمان بن عبد الجبار قال ثنى محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس لا شرقية ولا غربية قال هى شجرة وسط الشجر ليست من الشرق ولا من الغرب **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله زيتونة لا شرقية ولا غربية متيامنة الشام لا شرقى ولا غربى • وقال آخرون ليست هذه الشجرة من شجر الدنيا ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا عوف عن الحسن فى قول الله لا شرقية ولا غربية قال والله لو كانت فى الارض لكانت شرقية أو غربية ولكنها هو مثل ضربه الله لنوره **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عثمان يعنى ابن الهيثم قال ثنا عوف عن الحسن فى قول الله زيتونة لا شرقية ولا غربية قال لو كانت فى الارض هذه الزيتونة كانت شرقية أو غربية ولكن والله ما هى فى الارض وانما هو مثل ضربه الله لنوره **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا عوف عن الحسن فى قوله لا شرقية ولا غربية قال هذا مثل ضربه الله ولو كانت هذه الشجرة فى الدنيا لكانت اما شرقية واما غربية • وأولى هذه الاقوال بتأويل ذلك قول من قال انها شرقية غربية وقال ومعنى الكلام ليست شرقية تطلع عليها الشمس بالعشى دون الغداة ولكن الشمس تشرق عليها وتغرب فهى شرقية غربية وانما قلنا ذلك أولى بمعنى الكلام لان الله انما وصف الزيت الذى يوقد على هذا المصباح بالصفاء والجودة فاذا كان شجره شرقيا غربيا كان زيته لاشك أجود وأصفى وأضوأ وقوله يكاد زيتها يضىء يقول تعالى ذكره يكاد زيت هذه الزيتونة يضىء من صفائه وحسن ضيائه ولو لم تمسسه نار يقول فكيف اذا مسته النار وانما أراد بقوله توقد من شجرة مباركة أن هذا القرآن من عند الله وأنه كلامه فجعل مثله ومثل كونه من عنده مثل المصباح الذى توقد من الشجرة المباركة التى وصفها جل ثناؤه فى هذه الآية وعنى بقوله يكاد زيتها يضىء أن حجج الله تعالى ذكره على خلقه تكاد من بيانها ووضوحها تضىء لمن فكر فيها ونظر أو أعرض عنها ولها ولو لم تمسسه نار يقول ولو لم يرد الله بيانها

التظلم مع فاء التعقيب اليم ٥ والارض ط عليه ط فصلا بين حال وحال مع العدول من المخاطبة الى الغيبة عاملوا ٥ عليم ٥

﴿ التفسير لما حكى سيرة المنافقين وما قالوه وفعلوه أتبعه ذكر ما كان يجب أن يفعلوه وما يجب أن يسلكه المؤمنون من طريق الأخلاق وعن الحسن أنه قرأ قول المؤمنين بالرفع والقراءة المشهورة وهى النصب أقوى قال جار الله لأن أولى الاسمين بكونه اسما أوغلهما فى التعريف وأن يقولوا أوغل لأنه لا سبيل عليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين قلت وذلك لاحتمال كون الاضافة فيه لفظية وأن يقولوا يشبه المضمر كما بينا فى الأنعام فى قوله ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا فلا سبيل الى تنكيره ومعنى كان صح واستقام أى لا ينبغى أن يكون قولهم الا السمع والطاعة عن ابن عباس ومن يطع الله فى فرائضه ورسوله فى سننه ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل من عمره فأولئك هم الفائزون وهذه آية جامعة لأسباب الفوز وفقنا الله تعالى للعمل بها ثم حكى عن المنافقين أنهم يريدون أن يؤكدوا أساس الايمان بالأيمان الكاذبة قال مقاتل من حلف بالله فقد اجتهد فى اليمين وكانوا يقولون والله ان أمرتنا أن نخرج من ديارنا وأموالنا ونسائنا لخرجنا وان أمرتنا بالجهاد جاهدنا فقهرا عن هذه الاقسام لما علم من نفاقهم وشقاقهم واضمارهم الغدر والخديعة والا فمن حلف على فعل

ووضوحا

البر لا يجوز أن ينهى عنه وقوله (طاعة معروفة) مبتدأ محذوف الخبر أى طاعة معلومة لا شك فيها ولا نفاق أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة أو خبر محذوف المبتدأ أى أمركم الذى يطلب منكم طاعة معروفة لا ارتياب فيها كطاعة الخلص من المؤمنين أو طاعتكم طاعة

معروفة بأنها بالقول دون الفعل ثم صرف الكلام من الغيبة الى الخطاب لمزيد التبكيت والعتاب ومعنى (فان تولوا) فان تتولوا فحذف احدى التاءين وما حمل الرسول هو أداء الرسالة وما حمل على الامة هو الطاعة والانقياد والبلاغ المبين كون التبليغ مقرونا بالآيات والمعجزات أو كونه واقعا على سبيل المجاهرة لا المداهنة وههنا شبه اضمار والتقدير بلغ أيها (١١١) الرسول وأطيعوه أيها المؤمنون فقد وعد الله

وضوحا بانزاله هذا القرآن اليهم منبها لهم على توحيده فكيف اذا نبههم به وذكرهم آياته فزادهم به حجة الى حجته عليهم قبل ذلك فذلك بيان من الله ونور على البيان والنور الذى كان قد وضعه لهم ونصبه قبل نزوله وقوله نور على نور يعنى انار على هذا الزيت الذى كاد يضىء ولو لم تمسسه النار كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نور على نور قال النار على الزيت « قال أبو جعفر » وهو عندى كما ذكرت مثل القرآن و يعنى بقوله نور على نور هذا القرآن نور من عند الله أنزله الى خلقه يستضيئون به على نور على الحجج والبيان الذى قد نصبه لهم قبل مجىء القرآن وانزاله اياه مما يدل على حقيقة وحدانيته فذلك بيان من الله ونور على البيان والنور الذى كان وضعه لهم ونصبه قبل نزوله وذكر عن زيد بن أسلم فى ذلك ما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عبد الله بن عياش قال قال زيد بن أسلم فى قوله نور على نور يضىء بعضه بعضا يعنى القرآن وقوله يهدى الله لنوره من يشاء يقول تعالى ذكره يوفق الله لاتباع نوره وهو هذا القرآن من يشاء من عباده وقوله ويضرب الله الامثال للناس يقول و يمثل الله الامثال والاشباه للناس كما مثل لهم مثل هذا القرآن فى قلب المؤمن بالمصباح فى المشكاة وسائر ما فى هذه الآية من الامثال والله بكل شىء عليم يقول والله بضرب الامثال وغيرها من الاشياء كلها ذو علم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله فى بيوت أذن الله أن ترفع الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح فى بيوت أذن الله أن ترفع كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد المشكاة التى فيها الفتيلة التى فيها المصباح قال المصابيح فى بيوت أذن الله أن ترفع « قال أبو جعفر » قد يحتمل أن تكون فى من صلة توقد فيكون المعنى توقد من شجرة مباركة ذلك المصباح فى بيوت أذن الله أن ترفع وعنى بالبيوت المساجد وقد اختلف أهل التأويل فى ذلك فقال بعضهم بالذى قلنا فى ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد ونصر بن عبد الرحمن الاودى قالا ثنا حكام عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح فى قول الله فى بيوت أذن الله أن ترفع قال المساجد حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله فى بيوت أذن الله أن ترفع وهى المساجد تكرم ونهى عن اللغو فيها حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله فى بيوت أذن الله أن ترفع يعنى كل مسجد يصلى فيه جامع أو غيره حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فى بيوت أذن الله أن ترفع قال مساجد تبنى حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا

الذين آمنوا منكم أى جمعوا بين الايمان والعمل الصالح وفى الوعد معنى القسم لأن وعد الله محقق الوقوع ولذلك قال فى جوابه (ليستخلفنهم) أو القسم محذوف أى أقسم ليجعلنكم خلفاء فى الارض كما فعل بنى اسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد اهلاك الجبابرة (وليمكنن) لاجلهم الذين المرتضى وهو دين الاسلام وتمكين الدين تثبيته واشادة قواعده كانوا بالمدينة يصبحون فى السلاح وعسون فيه فشكوا وشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل فى الملا العظيم محتبيا ليس معه حديدة فأنجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وورثوا ملك الاكاسرة وخزائنهم وهذا اخبار بالغيب فيكون معجزا ومحل (يعبدوننى) نصب على الحال أى وعدهم ذلك فى حال عبادتهم واخلاصهم أو هو استئناف كأن قائلا قال ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدوننى وعلى الوجهين فقوله (لا يشركون) بدل من يعبدوننى أو بيان لها وفيه دليل على أن المقصود من الكل هو عبادة الله تعالى والاخلاص له (ومن كفر) بهذه النعم الجسام وهى الاستخلاف والتمكين والأمن بعد الخوف بعد حصول ذلك أو بعد ما ذكر (فأولئك هم) الكاملون فى الفسق قال أهل السنة فى

الآية دلالة على امامة الخلفاء الراشدين لان قوله (منكم) للتبعيض وذلك البعض يجب أن يكون من الحاضرين فى وقت الخطاب ومعلوم أن الأئمة الاربعة كانوا من أهل الايمان والعمل الصالح وكانوا حاضرين وقتئذ وقد حصل لهم الاستخلاف والفتوح فوجب أن يكونوا مرادين من الآية واعترض بأن قوله منكم لا يجوز أن يكون للبيان ولم لا يجوز أن يراد بالاستخلاف فى الارض هو امكان التصرف والتوطن

فيها كما في حق بني اسرائيل ملكا لكن لم لا يجوز أن يراد به خلافة على عليه السلام والجمع للتعظيم أو يراد هو وأولاده الاحد عشر بعده وقيل ان في قوله (ومن كفر بعد ذلك) اشارة الى الخلفاء المتغلبين بعد الراشدين يؤيده قوله صلى الله عليه وسلم الخلافة من بعدى ثلاثون ثم تصير ملكا عضوضا (وأقيموا الصلاة) معطوف (١١٢) على أطيعوا وليس ببدع أن يقع بين المعطوفين فاصلة وان طالت وكررت طاعة الرسول للتأكيد من قرأ لا يحسبن على الغيبة فمفعولاه محذوفان أى لا يحسبن الكفرة أحدا يعجز الله في الارض حتى يطيعوهم في مثل ذلك وفاعله ضمير النبي أو المفعول الاول محذوف لأنه هو الفاعل بعينه أى لا يحسبن الكفار أنفسهم معجزين والمراد بهم الذين أقسموا أو عام قوله (ومأواهم) قال جار الله هو معطوف على ما تقدم معنى كأنه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله عز وجل ومأواهم النار وحين ذكر من دلائل التوحيد وأحوال المكلفين ما ذكر تنشيطا للاذهان وترغيبا فيما هو الغرض الأصلي من التكاليف وهو العرفان عاد الى ما انجر منه الكلام وهو الحكم العام في باب الاستئذان فذكره ههنا على وجه أخصر فقال (ليستأذنكم) قال القاضي هذا الخطاب للرجال ظاهرا ولكنه من باب التغليب فيدخل فيه النساء وقال الامام فخر الدين الرازي يثبت للنساء بقياس جلي لأنهن في باب حفظ العورة أشد حالا من الرجال وظاهر قوله (الذين ملكت أيمانكم) يشمل البالغين والصغار فالأمر للبالغين على الحقيقة وللصغار على وجه البيان والتأديب كما يؤمرون بالصلاة لسبع أو هو تكليف لنا لما فيه من المصلحة لنا ولهم بعد البلوغ كقولك للرجل ليخفف أهلك وولدك فظاهره الامر لهم وحقيقة الامر له بفعل ما يخافون عنده وعن ابن عباس أن المراد الصغار قال

وليس للكبار أن ينظروا الى ما لكيهم الا الى ما يجوز لهم أن ينظر اليه ثم انه هل يشمل الاماء فعن ابن عمر ومجاهد لا وعن غيرهما نعم لأن الانسان كما يكره اطلاع المذكور على أحواله فقد يكره أيضا اطلاع الاناث عليها عن ابن عباس آية لا يؤمن بها أكثر الناس آية الاذن

الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله في بيوت أذن الله أن ترفع قال في المساجد » قال أخبرنا معمر عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون قال أدركت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون المساجد بيوت الله وانه حق على الله أن يكرم من زاره فيها **حدثنا** ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن سالم بن عمر في قوله في بيوت أذن الله أن ترفع قال هي المساجد **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله في بيوت أذن الله أن ترفع قال المساجد » وقال آخرون عنى بذلك البيوت كلها ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد ونصر ابن عبد الرحمن الأودي قالا حدثنا حكام بن سلم عن اسمعيل بن أبي خالد عن عكرمة في بيوت أذن الله أن ترفع قال هي البيوت كلها وانما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك لدلالة قوله يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله على أنها بيوت بنيت للصلاة فقلنا فلذلك قلنا هي المساجد واختلف أهل التأويل في تأويل قوله أذن الله أن ترفع فقال بعضهم معناه أذن الله أن تبنى ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أذن الله أن ترفع قال تبنى **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله » وقال آخرون معناه أذن الله أن تعظم ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله أذن الله أن ترفع يقول أن تعظم ذكره وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب القول الذي قاله مجاهد وهو أن معنى أذن الله أن ترفع بناء كما قال جل ثناؤه واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وذلك أن ذلك هو الأغلب من معنى الرفع في البيوت والأبنية وقوله ويذكر فيها اسمه يقول وأذن لعباده أن يذكروا اسمه فيها وقد قيل عنى به أنه أذن لهم بتلاوة القرآن فيها ذكر من قال ذلك **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال ثم قال ويذكر فيها اسمه يقول يتلى فيها كتابه وهذا القول قريب المعنى مما قلناه في ذلك لأن تلاوة كتاب الله من معاني ذكر الله غير أن الذي قلنا به أظهر معنييه فلذلك اخترنا القول به وقوله يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله اختلفت القراء في قراءة قوله يسبح له فقرأ ذلك عامة قراء الامصار يسبح له بضم الباء وكسر الباء بمعنى يصلي له فيها رجال وبجعل يسبح فعلا للرجال وجوا عنهم وترفع به الرجال سوى عاصم وابن عامر فانهما قرآ ذلك يسبح له بضم الباء وفتح الباء على ما لم يسم فاعله ثم يرفعان الرجال بخبر ان مضمر كأنهما أرادا يسبح لله في البيوت التي أذن الله أن ترفع فسبح له رجال فرفعا الرجال بفعل مضمر والقراءة التي هي أولاهما بالصواب قراءة من كسر الباء وجعله خبرا للرجال وفعلا لهم وانما كان الاختيار رفع الرجال بمضمر من الفعل لو كان الخبر عن البيوت لا يتم الا بقوله يسبح له فيها فأما والخبر عنها دون ذلك تام فلا وجه لتوجيه قوله يسبح له الى غيره (١) فالى غير الخبر عن الرجال وعنى بقوله يسبح له فيها بالغدو والآصال يصلي له في هذه البيوت بالغدوات والعشيات رجال وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من

(١) لعله أي غير الخ تأمل كتبه مصححه

والى لامرجارتى أن تستأذن على أراد امرأته وكان ابن عباس بنام بين جاريتين ومن العلماء من قال هذا الامر للاستحباب ومنهم من قال للوجوب ومن هؤلاء من قال انه ناسخ لقوله لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآن ذلك يدل على أن الاستئذان واجب فى كل حال وهذا يدل على وجوبه فى الأوقات الثلاثة فقط ومنع لزوم النسخ بأن الأولى فى المكلفين وهذه فى غير المكلفين قالوا الذين

قال ذلك حدثنى على بن الحسن الازدى قال ثنا المعافى بن عمران عن سفيان عن عمار الدهنى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كل تسبيح فى القرآن فهو صلاة حدثنى على قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال ثم قال يسبح له فيها بالغدو والآصال يقول يصلى له فيها بالغداة والعشى يعنى بالغدو صلاة الغداة ويعنى بالآصال صلاة العصر وهما أول ما افترض الله من الصلاة فأحب أن يذكرهما ويذكر بهما عبادته حدثنا الحسن قال أخبرنا عبدالرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال أذن الله أن تبنى فيصلى فيها بالغدو والآصال حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول فى قوله يسبح له فيها بالغدو والآصال يعنى الصلاة المفروضة وقوله رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله يقول تعالى ذكره لايشغل هؤلاء الرجال الذين يصلون فى هذه المساجد التى أذن الله أن ترفع عن ذكر الله فيها وأقام الصلاة تجارة ولا بيع كما حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سعيد بن أبى الحسن عن رجل نسى اسمه فى هذه الآية فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الى قوله والابصار قال هم قوم فى تجاراتهم وبيوعهم لاتلهيهم تجاراتهم ولا بيوعهم عن ذكر الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا جعفر بن سليمان عن عمرو بن دينار عن سالم بن عبدالله أنه نظر الى قوم من السوق قاموا وتركوا بياعاتهم الى الصلاة فقال هؤلاء الذين ذكر الله فى كتابه لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الآية * قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم عن سيار عمن حدثه عن ابن مسعود نحو ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن سيار قال حدثت عن ابن مسعود أنه رأى قوما من أهل السوق حيث نودى بالصلاة تركوا بياعاتهم ونهضوا الى الصلاة فقال عبدالله هؤلاء من الذين ذكر الله فى كتابه لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله * وقال بعضهم معنى ذلك لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن صلاتهم المفروضة عليهم ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال ثم قال رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله يقول عن الصلاة المكتوبة وقوله واقام الصلاة يقول ولا يشغلهم ذلك أيضا عن اقام الصلاة بحدودها فى أوقاتها * وبنحو قولنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد قال ثنا عوف عن سعيد بن أبى الحسن عن رجل نسى عوف اسمه فى واقام الصلاة قال يقومون للصلاة عند مواقيت الصلاة فان قال قائل أوليس قوله واقام الصلاة مصدرا من قوله أقمت فيل بلى فان قال أوليس المصدر منه اقامة كالمصدر من أجرت اجارة فيل بلى فان قال وكيف قال واقام الصلاة أو تجيز أن تقول أقمت اقاما فيل ولكنى أجيز أعجبنى اقام الصلاة فان فيل وما وجه جواز ذلك فيل ان الحكم فى أقمت اذا جعل منه مصدر أن يقال اقواما كما يقال أقعدت فلانا اقعادا وأعطيته اعطاء ولكن العرب لما سكنت الواو من أقمت فسقطت لاجتماعها وهى ساكنة والميم وهى ساكنة بنوا المصدر على ذلك اذ جاءت الواو ساكنة قبل ألف الافعال وهى ساكنة فسقطت الاولى منهما فأبدلوا منها هاء فى آخر الحرف

ملكت أيمانكم يشمل البالغين قلنا لو سلم فلا نسلم أيضا الآن قوله غير بيوتكم لايشمل العبيد لأن الاضافة توجب الاختصاص والملكية والعبد لا يملك شيئا فلا يملك البيت أمر المماليك والأطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار وهذا معنى قوله (منكم) أن يستأذنوا ثلاث مرات فى اليوم والليلة احداها قبل صلاة الفجر لأنه وقت القيام من المضاجع ووقت استبدال ثياب اليقظة بثياب النوم وثانيتها عند الظهيرة وهو نصف النهار عند اشتداد الحر وظهوره حينئذ يضع الناس ثيابهم غالبا وثالثتها بعد صلاة العشاء يعنى الآخرة لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم ثم بين حكمة الاستئذان فى هذه الأوقات فقال (ثلاث عورات) فمن قرأ ثلاث بالرفع فظاهر كما مر فى الوقوف ومن قرأ بالنصب فقد قال فى الكشاف انه بدل من ثلاث مرات أى أوقات ثلاث عورات قلت هذا بناء على أن قوله ثلاث مرات ظرف ويجوز أن يكون ثلاث مرات مصدرا بمعنى ثلاثة استئذانات ويكون ثلاث عورات تفسيرا وبيانا للاوقات الثلاثة لأنها منصوبة تقديرا وأصل العورة الخلل ومنه الاعور المختل العين وأعور الفارس اذا بدا منه موضع خلل للضرب وأعور المكان اذا خيف فيه القطع قال جار الله اذا رفعت ثلاث عورات فمحل هذه الجملة الرفع على الوصف أى هن ثلاث عورات مخصوصة بالاستئذان واذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للامر بالاستئذان فى تلك الاحوال خاصة ثم بين وجه العذر بقوله (طوافون عليكم) وهم الذين يكثرون الدخول والخروج والتردد يعنى أن بكم وبهم حاجة الى المداخلة والمخالطة للاستخدام ونحوه وارتفع

(بعضكم) بالابتداء وخبره (على بعض) أو بالفاعلية أى بعضكم طائف أو يطوف بعضكم على بعض يدل على المحذوف طوافون وفى الآية دلالة على وجوب اعتبار العلل فى الأحكام ما أمكن يروى أن مدلج بن عمرو وكان غلاما أنصاريا أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة الى عمر ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت أن الله عز وجل نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى النبى صلى الله عليه وسلم فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية ثم بين حكم الأطفال الاحرار بعد البلوغ وهو أن لا يكون لهم الدخول الا باذن فى جميع الاوقات ومعنى (الذين من قبلهم) الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال الذين ذكروا من قبلهم فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا الآية ومتى يحكم ببلوغ الطفل اتفقوا على أنه اذا احتلم كان بالغا وأما اذا لم يحتلم فعند عامة العلماء وعليه الشافعى أنه اذا بلغ خمس عشرة سنة فهو بالغ حكما لما روى أن ابن عمر عرض على النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد فلم يجزه وكان له أقل من خمس عشرة سنة وعرض عليه يوم الخندق وكان ابن خمس عشرة سنة فأجازه وعن بعض السلف ويروى عن على عليه السلام أيضا أنه كان يعتبر القامة ويقدر بخمسة أشبار وعليه يحمل قول الفرزدق

مازال مذ عقدت يداه ازاره
فسما وأدرك خمسة الأشبار

وانبات العانة غير معتبر الا فى حق الأطفال الكفار وقد مر فى أول سورة النساء وانما ختم هذه الآية بقوله (كذلك يبين الله لكم آياته) وقبلها وبعدها لكم الآيات لأنهما يشتملان على علامات يمكن الوقوف عليها وهى فى الأولى الاوقات الثلاثة وفى الأخرى من بيوتكم أو بيوت آبائكم الى آخرها ومثلهما فى قوله بعضكم عمله الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات يعنى حد الزانيين وحد القاذف وأما بلوغ الأطفال فلم يذكر لها علامات يمكن الوقوف عليها بل تفرد سبحانه بعلم ذلك فخصها بالاضافة الى نفسه (والله عليم) بمصالح العباد (حكيم) فى أوامره ونواهيه ثم بين حكم

كالتكبير للعرف كما فعلوا ذلك فى قولهم وعدته عدة وزنته زنة اذ ذهبت الواو من أوله كثر ومن آخره بالهاء فلما اضيفت الاقامة الى الصلاة حذفوا الزيادة التى كانوا زادوها للتكثير وهى الهاء فى آخرها لأن الخافض وما خفض عندهم كالحرف الواحد فاستغنوا بالمضاف اليه من الحرف الزائد وقد قال بعضهم فى نظير ذلك

ان الخليط أجدوا البين فانجردوا ● وأخلفوك عد الامر الذى وعدوا

يريد عدة الامر فأسقط الهاء من العدة لما أضافها فكذلك ذلك فى اقام الصلاة وقوله وايتاء الزكاة قيل معناه واخلاص الطاعة لله ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وقوله وأوصانى بالصلاة والزكاة وقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا وقوله وحنانا من لدنا وزكاة ونحو هذا فى القرآن قال يعنى بالزكاة طاعة الله والاخلاص وقوله يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار يقول يخافون يوما تتقلب فيه القلوب من هوله بين طمع بالنجاة وحذر بالهلاك والابصار أى ناحية يؤخذ بهم أذات اليمين أم ذات الشمال ومن أين يؤتون كتبهم أمن قبل الأيمان أم من قبل الشمائل وذلك يوم القيامة كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال عبد الله بن عباس قال زيد بن أسلم فى قول الله فى بيوت أذن الله أن ترفع الى قوله تتقلب فيه القلوب والابصار يوم القيامة وقوله ليجزيهم الله أحسن ما عملوا يقول فعلوا ذلك يعنى أنهم لم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطاعوا ربهم مخافة عذابه يوم القيامة كى يثيبهم الله يوم القيامة بأحسن أعمالهم التى عملوها فى الدنيا ويزيدهم على ثوابه اياهم على أحسن أعمالهم التى عملوها فى الدنيا من فضله فيفضل عليهم من عنده بما أحب من كرامته لهم وقوله والله يرزق من يشاء بغير حساب يقول تعالى ذكره يتفضل على من شاء وأراد من طوله وكرامته مما يستحقه بعمله ولم يبلغه بطاعته بغير حساب يقول بغير محاسبة على ما بذل له وأعطاه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب ﴾ وهذا مثل ضربه الله لأعمال أهل الكفر به فقال والذين جحدوا توحيدربهم وكذبوا بهذا القرآن وبما جاءبه مثل أعمالهم التى عملوها كسراب يقول مثل سراب والسراب ما لصق بالارض وذلك يكون نصف النهار وحين يشتد الحر والآل ما كان كالماء بين السماء والارض وذلك يكون أول النهار يرفع كل شئ ضحى وقوله بقيعة وهى جمع قاع كالجيرة جمع جار والقاع ما انبسط من الأرض واتسع وفيه يكون السراب وقوله يحسبه الظمآن ماء يقول يظن العطشان من الناس السراب ماء حتى اذا جاءه والهاء من ذكر السراب والمعنى حتى اذا جاء الظمآن السراب ملتمسا ماء يستغيث به من عطشه لم يجد شيأ يقول لم يجد السراب شيأ فكذلك الكافرون بالله من أعمالهم التى عملوها فى غرور يحسبون أنها منجيتهم عند الله من عذابه كما حسب الظمآن الذى رأى السراب فظنه ماء يرويه من ظمئه حتى اذا هلك وصار الى الحاجة الى عمله الذى كان يرى أنه نافعه عند الله لم يجده ينفعه شيأ لأنه كان

النساء اللواتي خرجن عن محل الفتنة والتهمة فقال (والقواعد) وهي جمع قاعد بغير هاء كالحائض والطالق وقد زعم صاحب الكشاف أنها جمع قاعدة بالهاء وفيه نظر لأنه من أوصاف النساء الخاصة بهن سميت بذلك لقعودها عن الحيض والولد لكبرها ولذلك أكد بقوله اللاتي لا يرجون نكاحا) أي لا يطمعن فيه لعدم من يرغب فيهن وليست من القعود بمعنى الجلوس حتى يحتاج الى الفرق بين المذكر والمؤنث ولا شبهة أنه لا يحل لهن وضع كل ثيابهن لما فيه من كشف كل عورة فلذلك قال المفسرون المراد بالثياب ههنا الجلباب والرداء والقناع الذي فوق الخمار وعن ابن عباس أنه قرأ أن يضعن جلابيبهن وعن السدي عن شيوخه يضعن خمرهن عن رؤسهن خصهن الله تعالى بذلك لان التهمة مرتفعة عنهن وقد بلغن هذا المبلغ فلو غلب على ظنهن خلاف ذلك لم يحل لهن وضع شيء من الثياب الظاهرة وانما أبيح وضع الثياب حال كونهن (غير متبرجات بزينة) أي غير مظهرات شيأ من الزينة الخفية المذكورة في قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو غير قاصدات بالوضع التبرج ولكن التخفف اذا احتجن اليه وحقيقة التبرج تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه ومن قولهم سفينة بارج لاغطاء عليها والبرج سعة العين يرى بياضها محيطا بسوادها الا يغيب منه شيء واختص التبرج في الاستعمال بتكشف المرأة للرجال وحين ذكر الجائز عقبه بالمستحب تنبيها على اختيار الافضل في كل باب فقال (وأن يستعففن خير لهن) وذلك أنهن في الجملة مظنة شهوة وفتنة وان عرض عارض الكبر والخمول فلكل ساقطة لاقطة وسئل بعض الظرفاء المذكورين عن حكمة ستر النساء فقال لانهن محل فتنة وشهوة فقيل فعلى هذا كان ينبغي أن لا يحسن تكليف العجائز بالستر فأجاب بأنه كان يلزم ابداء محاسنهن احداهما عدم رؤية الحسان والثانية لزوم رؤية القباح ثم ختم السورة ببشائر الصور التي يعتبر فيها الاذن فقال (ليس على الاعمى حرج) نفى الحرج عن الاصناف الثلاثة ذوي العاهات ثم قال (ولا على أنفسكم أن تأكلوا) فذهب ابن زيد الى أن المراد نفي الحرج عنهم في القعود عن الجهاد ثم عطف على ذلك أنه لا حرج عليكم أن تأكلوا من البيوت

عمله على كفر بالله ووجد الله هذا الكافر عند هلاكه بالمرصاد فوفاه يوم القيامة حساب أعماله التي عملها في الدنيا وجازاه بها جزاءه الذي استحقه عليها منه فان قال قائل وكيف قيل حتى اذا جاءه لم يجده شيأ فان لم يكن السراب شيأ فعلام أدخلت الهاء في قوله حتى اذا جاءه قيل انه شيء يرى من بعد كالضباب الذي يرى كثيفا من بعد والهباء فاذا قرب منه المرء رق وصار كالهواء وقد يحتمل أن يكون معناه حتى اذا جاء موضع السراب لم يجد السراب شيأ فاكتفى بذكر السراب من ذكر موضعه والله سريع الحساب يقول والله سريع حسابه لأنه تعالى ذكره لا يحتاج الى عقد أصابع ولا لحفظ بقلب ولكنه عالم بذلك كله قبل أن يعمله العبد ومن بعد ما عمله * وبنحو الذي قلنا في معنى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني عبد الأعلى بن واصل قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال ثم ضرب مثلا آخر فقال والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة قال وكذلك الكافر يجيء يوم القيامة وهو يحسب أن له عند الله خيرا فلا يجد فيدخله النار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر الرازي عن أبي العالية عن أبي بن كعب بنحوه حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله أعمالهم كسراب بقيعة يقول الأرض المستوية حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة الى قوله والله سريع الحساب قال هو مثل ضربه الله لرجل عطش فاشتد عطشه فرأى سرابا فحسبه ماء فطلبه وظن أنه قد قدر عليه حتى أتاه فلما أتاه لم يجده شيأ وقبض عند ذلك يقول الكافر كذلك يحسب أن عمله مغن عنه أو نافعه شيأ ولا يكون آتيا على شيء حتى يأتيه الموت فاذا أتاه الموت لم يجد عمله أغنى عنه شيأ ولم ينفعه الا كما نفع العطشان المشتد الى السراب حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله كسراب بقيعة قال بقاع من الارض والسراب عمله زاد الحرث في حديثه عن الحسن والسراب عمل الكافر اذا جاءه لم يجده شيأ اتيانه اياه موته وفراقه الدنيا ووجد الله عند فراقه الدنيا فوفاه حسابه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله كسراب بقيعة قال بقيعة من الأرض يحسبه الظمآن ماء هو مثل ضربه الله لعمل الكافر يقول يحسب أنه في شيء كما يحسب هذا السراب ماء حتى اذا جاءه لم يجد شيأ وكذلك الكافر اذا مات لم يجد عمله شيأ ووجد الله عنده فوفاه حسابه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والذين كفروا الى قوله ووجد الله عنده قال هذا مثل ضربه الله للذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة قد رأى السراب ووثق بنفسه أنه ماء فلما جاءه لم يجده شيأ قال وهؤلاء ظنوا أن أعمالهم صالحة وأنهم سيرجعون منها الى خير فلم يرجعوا منها الا كما رجع صاحب السراب فهذا مثل ضربه الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ (أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده

المذكورة ووجه صحة العطف التقاء الطائفتين في أن كل واحدة منهما منفي عنها الحرج قال جار الله مثال هذا أن يستفتيك مسافر عن الافطار في رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس على المسافر حرج أن يفطر ولا عليك يا حاج أن تقدم الحلق على النحر وقال آخرون كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء (١١٦) وذوي الآفات الى بيوت أزواجهم وأولادهم والى بيوت قراباتهم وأصدقائهم فيطعمونهم منها الخالج قلوب الكل ريبة خوفا من أن يكون أكلا بغير حق لقوله تعالى لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل فقيل لهم ليس على هؤلاء الضعفاء ولا على أنفسكم يعني عليكم وعلى من في مثل حالكم من المؤمنين حرج في ذلك قال قتادة كانت الانصار في أنفسها فزارة وكانت لا تأكل من هذه البيوت اذا استغنوا والفزارة احتراز مع القرزة وهي مدح والكزازة ذم وروى الزهري عن سعيد بن المسيب وغيره أن المسلمين كانوا يخرجون الى الغزو ويخلفون الضعفاء في بيوتهم ويدفعون اليهم المفاتيح ويأذنون لهم أن يأكلوا من بيوتهم فكانوا يتحرجون كما يحكى عن الحرث بن عمرو أنه خرج غازيا وخلف مالك بن زيد في ماله وبيته فلما رجع رآه مجهودا فقال ما أصابك قال لم يكن عندي شئ ولم يحل لي أن آكل من مالك فقيل ليس على هؤلاء الضعفاء حرج فيما تحرجوا عنه ولا عليكم أن تأكلوا من هذه البيوت قال الأكثرون كان هؤلاء الضعفاء يتوقون مجالسة الناس ومواكلتهم فيقول الاعمى انى لأرى شيأ فرعا آخذ الاجود وأترك الردئ والأعرج يفسح في مجلسه ويأخذ أكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو من رائحة أو غيرها من أسباب الكراهة وأيضا كان المؤمنون يقولون الأعمى لا يبصر الطعام الجيد ولا يأكله والاعرج لا يتمكن من الجلوس فلا يقدر على الاكل مما ينبغي والمريض لا يأتي له أن يأكل كما يأكل الاصحاء فقيل ليس على هؤلاء ولا عليكم في المؤاكلة حرج ثم انه تعالى عدد من مواضع الاكل أحد عشر موضعا الاول قوله (من بيوتكم) وفيه سؤال وهو أنه أي فائدة في اباحة أكل الانسان طعامه من بيته والجواب أراد من بيوت أزواجكم وعيالكم

لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ﴾ وهذا مثل آخر ضربه الله لأعمال الكفار يقول تعالى ذكره ومثل أعمال هؤلاء الكفار في أنها عملت على خطأ وفساد وضلالة وحيرة من عملها فيها وعلى غير هدى مثل ظلمات في بحر لجي ونسب البحر الى اللجة وصفاته بأنه عميق كثير الماء ولجة البحر معظمه يغشاه موج يقول يغشى البحر موج من فوقه موج يقول من فوق الموج موج آخر يغشاه من فوقه سحاب يقول من فوق الموج الثاني الذي يغشى الموج الأول سحاب جعل الظلمات مثلا لأعمالهم والبحر اللجي مثلا لقلب الكافر يقول عمل بنية قلب قد غمره الجهل وتغشته الضلالة والحيرة كما يغشى هذا البحر اللجي موج من فوقه موج من فوقه سحاب فكذلك قلب هذا الكافر الذي مثل عمله مثل هذه الظلمات يغشاه الجهل بالله بأن الله ختم عليه فلا يعقل عن الله وعلى سمعه فلا يسمع مواعظ الله وجعل على بصره غشاوة فلا يبصر به حجج الله فتلك ظلمات بعضها فوق بعض ﴿ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب الى قوله من نور قال يعني بالظلمات الأعمال وبالبحر اللجي قلب الانسان قال يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب قال ظلمات بعضها فوق بعض يعني بذلك الغشاوة التي على القلب والسمع والبصر وهو كقوله ختم الله على قلوبهم الآية وكقوله أفرأيت من اتخذ الهه هواه الى قوله أفلا تذكرون حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله أو كظلمات في بحر لجي عميق وهو مثل ضربه الله للكافر يعمل في ضلالة وحيرة قال ظلمات بعضها فوق بعض وروى عن أبي بن كعب ما حدثني عبد الأعلى ابن واصل قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج الآية قال ضرب مثلا آخر للكافر فقال أو كظلمات في بحر لجي الآية قال فهو يتقلب في خمس من الظلم فكلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره الى الظلمات يوم القيامة الى النار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب بنحوه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج الى قوله ظلمات بعضها فوق بعض قال شر بعضه فوق بعض وقوله اذا أخرج يده لم يكد يراها يقول اذا أخرج الناظر يده في هذه الظلمات لم يكد يراها فان قال لنا قائل وكيف قيل لم يكد يراها مع شدة هذه الظلمة التي وصف وقد علمت أن قول القائل لم أكد أرى فلانا انما هو اثبات منه لنفسه رؤيته بعد جهد وشدة ومن دون الظلمات التي وصف في هذه الآية ما لا يرى الناظر يده اذا أخرجها فيه فكيف فيها قيل في ذلك أقوال نذكرها ثم نخبر بالصواب من ذلك أحدها أن يكون معنى الكلام اذا أخرج يده رائيا لها لم يكد يراها أي لم يعرف من أين يراها فيكون من المقدم الذي معناه التأخير ويكون تأويل الكلام على ذلك اذا أخرج يده لم يقرب أن يراها والثاني أن يكون معناه اذا أخرج يده لم يرها ويكون قوله لم يكد

لان بيت المرأة بيت الزوج قاله الفراء وقال ابن قتيبة أراد بيوت أولادهم ولهذا لم يذكر الأولاد في جملة الأقارب وان الولد أقرب الاقربين لانه بعض الرجل وحكمه حكم نفسه وفي الحديث ان أطيب ما يأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه وباقي البيوت لا اشكال فيها الى البيت العاشر وهو قوله (أو ما ملكتم مفاتحه) وفيه وجوه أحدها قال ابن عباس وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته لا بأس عليه أن يأكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته وملك المفاتيح كونها في يده وحفظه وثانيها قال الضحاك يريد الزمنى الذين يخلفون الغزاة وثالثها قيل أراد بيوت العبيد لان مال العبد لمولاه الحادي عشر قوله (أو صديقكم) ومعناه أو بيوت أصدقائكم والصديق يكون واحدا وجمعا كالعدو وعن الحسن أنه دخل داره واذا حلقة من أصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص وأطايب الاطعمة وهم مكبون عليها يأكلون فتهللت أسارير وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم يريد أكابر الصحابة وعن جعفر الصادق بن محمد عليه السلام من عظم حرمة الصديق أن جعله الله من الانس والنقمة والانبساط عند غيبة النفس والاب والاخ والابن قال العلماء اذا دل ظاهر الحال على رضا المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما سمح الاستئذان وثقل كمن قدم اليه طعام فاستأذن صاحبه في الاكل منه احتج أبو يوسف بالآية على أنه لا قطع على من سرق من ذي رحم محرم وذلك أنه تعالى أباح الاكل من بيوتهم ودخولها بغير اذن فلا يكون ماله محرزا منهم وأورد عليه أن لا يقطع اذا سرق من صديقه فأجاب بأن السارق لا يكون صديقا للمسروق منه واعلم أن ظاهر الآية يدل على أن اباحة الاكل من هذه المواضع لا تتوقف على الاستئذان فعن قتادة أن الاكل مباح ولكن لا يجمل وجمهور العلماء أنكروا ذلك فقيل كان ذلك مباحا في صدر الاسلام ثم نسخ ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس منه ومما يدل على هذا النسخ قوله لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه وقال أبو مسلم هذا في الاقارب الكفرة وفي هذه الآية اباحة ما حظر وفي قوله لا تجدون فوما يؤمنون

في دخوله في الكلام نظير دخول الظن فيما هو يقين من الكلام كقوله وظنوا ما لهم من محيص ونحو ذلك والثالث أن يكون قدرا هابعد بطء وجهد كما يقول القائل لآخر ما كدت أراك من الظلمة وقدرا ه ولكن بعد ياس وشدة وهذا القول الثالث أظهر معاني الكلمة من جهة ما تستعمل العرب أكثر في كلامها والقول الآخر الذي قلنا انه يتوجه الى أنه بمعنى لم ير هاقول أوضح من جهة التفسير وهو أخفى معانيه وانما حسن ذلك في هذا الموضع أعني أن يقول لم يكد يراها مع شدة الظلمة التي ذكر لان ذلك مثل لاخبر عن كائن كان ومن لم يجعل الله له نورا يقول من لم يرزقه الله ايمانا وهدى من الضلالة ومعرفة بكتابه فما له من نور يقول فما له من ايمان وهدى ومعرفة بكتابه

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض والى الله المصير﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألم تنظر يا محمد بعين قلبك فتعلم أن الله يصلي له من في السموات والارض من ملك وانس وجن والطير صافات في الهواء أيضا تسبح له كل قد علم صلاته وتسبيحه (٢) والتسبيح عندك صلاة فيقال قيل ان الصلاة لبني آدم والتسبيح لغيرهم من الخلق وذلك فصل فيما بين ذلك وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنى عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه قال والصلاة للانسان والتسبيح لما سوى ذلك من الخلق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه قال صلاته للناس وتسبيحه عامة لكل شئ ويتوجه قوله كل قد علم صلاته وتسبيحه لوجوه أحدها أن تكون الهاء التي في قوله صلاته وتسبيحه من ذكر كل فيكون تأويل الكلام كل مصل ومسبح منهم قد علم الله صلاته وتسبيحه ويكون الكل حينئذ مرتفعا بالعائد من ذكره في قوله كل قد علم صلاته وتسبيحه وهو الهاء التي في الصلاة والوجه الآخر أن تكون الهاء في الصلاة والتسبيح أيضا للكل ويكون الكل مرتفعا بالعائد من ذكره عليه في علم ويكون علم فعلا للكل فيكون تأويل الكلام حينئذ قد علم كل مصل ومسبح منهم صلاة نفسه وتسبيحه الذي كلفه وألزمه والوجه الآخر أن تكون الهاء في الصلاة والتسبيح من ذكر الله والعلم للكل فيكون تأويل الكلام حينئذ قد علم كل مسبح ومصل صلاة الله التي كلفه اياها وتسبيحه وأظهر هذه المعاني الثلاثة على هذا الكلام المعنى الاول وهو أن يكون المعنى كل مصل منهم ومسبح قد علم الله صلاته وتسبيحه وقوله والله عليم بما يفعلون يقول تعالى ذكره والله ذو علم بما يفعل كل مصل ومسبح منهم لا يخفى عليه شئ من أفعالهم طاعتها ومعصيتها محيط بذلك كله وهو مجازيهم على ذلك كله وقوله ولله ملك السموات والارض يقول جل ثناؤه ولله سلطان السموات والارض وملكهما دون كل من سواه دونه من

---

(٢) يظهر أن في الكلام سقطا يدرك من قوله فيقال قيل الخ تأمل كتبه مصححه

بالله واليوم الآخر يؤذون من حاذا الله ورسوله وقيل ان هؤلاء القوم كانت تطيب أنفسهم بأكل من يدخل عليهم والعادة كالاذن في ذلك فلا جرم خصهم الله بالذكر لأن هذه العادة في الأغلب توجد فيهم ولذلك ضم اليهم الصديق واذا علمنا أن الاباحة انما حصلت في هذه السورة لاجل حصول الرضا فلا حاجة الى القول بالنسخ (١١٨) وحين نفى الحرج عنهم في نفس الاكل أراد أن ينفي الحرج عنهم في كيفية الاكل فقال (ليس عليكم جناح أن تأكلوا) وانتصب قوله (جميعا أو أشتاتا) على الحال أي مجتمعين أو متفرقين والأشتات جمع شت وهو نعت وقيل مصدر وصف به ثم أجمع أكثر المفسرين ومنهم ابن عباس على أنها نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون عن الانفراد في الطعام فربما قعد الرجل منتظرا نهاره الى الليل فان لم يجد من يؤاكله أكل وقال عكرمة وأبو صالح نزلت في قوم من الانصار لا يأكلون الا مع ضيفهم وقال الكلبي كانوا اذا اجتمعوا لا كلوا طعاما عزلوا للاعمى طعاما على حدة وكذلك الزمن والمريض فبين الله لهم أن ذلك غير واجب وقال آخرون كانوا يأكلون فرادى خوفا من أن يحصل عند الجمعة ما ينفر أو يؤذي فرفع الله الحرج ثم علمهم أدبا جميلا فقال (فاذا دخلتم بيوتا) أي من البيوت المذكورة آنفا (فسلموا على أنفسكم) أي ابدؤا بالسلام على أهلها الذين هم منكم دينا وقرابة وانتصب (تحية) بسلموا لانه في معنى حيوا ومعنى (من عند الله) أنها ثابتة من عنده مشروعة من لدنه أو أراد أن التحية طلب حياة للمخاطب من عند الله وكذا التسليم طلب السلامة من عنده ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مسؤمن لمؤمن يرجو بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق وتضعيف الثواب عن أنس قال كنت واقفا على رأس النبي صلى الله عليه وسلم أصب الماء على يديه فرفع رأسه بذلك

سلطان وملك فابادهم فارهبوا أيها الناس واليه فارغبوا لا الى غيره فان بيده خزائن السموات والارض لا يخشى بعطايا كم منها فقرا والى الله المصير يقول وأنتم اليه بعد وفاتكم مصيركم ومعادكم فيوفيكم أجور أعمالكم التي عملتموها في الدنيا فأحسنوا عبادته واجتهدوا في طاعته وقدموا لأنفسكم الصالحات من الاعمال ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لأولي الابصار﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألم تر يا محمد أن الله يزجي يعني يسوق سحابا حيث يريد ثم يؤلف بينه يقول ثم يؤلف بين السحاب وأضاف بين الى السحاب ولم يذكر معه غيره وبين لا تكون مضافة الا الى جماعة أو اثنين لان السحاب في معنى جمع واحده سحابة كما يجمع النخلة نخل والتمرة تمر فهو نظير قول قائل جلس فلان بين النخل وتأليف الله السحاب جمعه بين متفرقها وقوله ثم يجعله ركاما يقول ثم يجعل السحاب الذي يزجيه ويؤلف بعضه الى بعض ركاما يعني مترا كما بعضه على بعض وقد حدثنا عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا خالد قال ثنا مطر عن حبيب بن أبي ثابت عن عبيد بن عمير الليثي قال الرياح أربع يبعث الله الريح الاولى فتقم الارض ثم يبعث الثانية فتنشئ سحابا ثم يبعث الثالثة فتؤلف بينه فتجعله ركاما ثم يبعث الرابعة فتمطره وقوله فترى الودق يخرج من خلاله يقول فترى المطر يخرج من بين السحاب وهو الودق قال الشاعر

فلا مزنة ودقت ودقها ... ولا أرض أبقل ابقالها

والهاء في قوله من خلاله من ذكر السحاب والخلال جمع خلل وذكر عن ابن عباس وجماعة أنهم كانوا يقرؤون ذلك من خلله حدثنا ابن المثنى قال ثنا حرمي بن عمارة قال ثنا شعبة قال ثنا قتادة عن النضر بن مزاحم أنه قرأ هذا الحرف فترى الودق يخرج من خلاله من خلله قال ثنا شعبة قال أخبرني عمارة عن رجل عن ابن عباس أنه قرأ هذا الحرف فترى الودق يخرج من خلاله من خلله حدثنا أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون قال أخبرني عمارة بن أبي حفصة عن رجل عن ابن عباس أنه قرأها من خلله بفتح الخاء من غير ألف قال هرون فذكرت ذلك لأبي عمرو فقال انها لحسنة ولكن خلاله أعم وأما قراءة الامصار فانهم على القراءة الاخرى من خلاله وهي التي نختار لاجماع الحجة من القراء عليها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فترى الودق يخرج من خلاله قال الودق القطر والخلال السحاب وقوله وينزل من السماء من جبال فيها من برد قيل في ذلك قولان أحدهما أن معناه وأن الله ينزل من السماء من جبال في السماء من برد مخلوقة هنالك خلقة كأن الجبال على هذا القول هي من برد كما يقال جبال من طين والقول الآخر أن الله ينزل من السماء قدر جبال وأمثال جبال من برد الى الارض كما يقال عندي بنيان تبنا والمعنى قدر بنيان من التبن والبنيان ليس من التبن وقوله فيصيب به من يشاء ويصرفه عن يشاء يقول فيغلب

فقال ألا أعلمك ثلاث خصال تنتفع بها قلت بلى بأبي وأمي يا رسول الله قال متى لقيت من أمتي أحدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين قال العلماء ان لم يكن في البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا

السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ومن صور الاذن قوله سبحانه (انما المؤمنون) الآية والمقصود أن يبين عظم الجناية فى ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه (اذا كانوا معه على أمر جامع) وهو الذى يجمع له الناس فلما كان الامر سبب الجمع وصف به مجازا قال مجاهد هو أمر الحرب ونحوه من الامور التى يهم ضررها ونفعها وقال الخطابى هو الجمعة والاعياد وكل شئ تكون فيه الخطبة وذلك أنه لابد فى الخطوب الجليلة من ذوى رأى وفسحة يستعان بهم وبآرائهم ونجابرهم فى كفايتها فمفارقة أحدهم فى مثل تلك الحال مما يشق على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم ويشعب عليه رأيه قال الجبائى فى الآية دلالة على أن استئذانهم الرسول من ايمانهم ولولا ذلك لجاز أن يكونوا كاملى الايمان وان تركوا الاستئذان وأجيب بأن ترك الاستئذان من أهل النفاق لانزاع أنه كفر لانهم تركوه استخفافا قال جار الله ومما يدل على عظم هذه الجناية أنه جعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه فيأذن لهم نافيا الايمان بالله والايمان برسوله ومع ذلك صدر الجملة باعما وأوقع المؤمنين مبتدأ وأخبر عنه بموصول أحاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بمزيد توكيد وتشديد حيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله (ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) بجعل الاستئذان كالمصدق لصحة الايمان بالله والرسول وفيه تعريض بحال المنافقين وتسللهم لواذا وفى قوله (لبعض شأنهم) دليل على أن أمر الاستئذان مضيق لايجوز ارتكابه فى كل شأن وفى قوله (فأذن لمن شئت منهم) دلالة على أنه تعالى فوض بعض أمر الدين الى اجتهاد الرسول ورأيه وزعم قتادة أنها منسوخة بقوله لم أذنت لهم وفى قوله (واستغفر لهم الله) وجهان أحدهما أن هذا الاستغفار لاجل أنهم تركوا الاولى والافضل وهو أن لايحدثوا أنفسهم بالذهاب ولايستأذنوا فيه والآخر أنه جبر لهم على تمسكهم باذن الله تعالى فى الاستئذان ثم حثهم على طاعة رسوله بقوله (لاتجعلوا دعاء الرسول) أى لاتقيسوا دعاءه اياكم لخطب جليل على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير اذن الداعى وذلك أن أمره فرض لازم وأمر غيره ليس بفرض وانما هو

بذلك الذى ينزل من السماء من جبال فيها من برد من يشاء فيهلكه أو يهلك به زروعه وماله ويصرفه عمن يشاء من خلقه يعنى عن زروعهم وأموالهم وقوله يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقول يكاد شدة ضوء برق هذا السحاب يذهب بأبصار من لاقى بصره والسنا مقصور وهو ضوء البرق كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله يكاد سنا برقه قال ضوء برقه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة فى قوله يكاد سنا برقه يقول لمعان البرق يذهب بالابصار حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يكاد سنا برقه يذهب بالابصار قال سناه ضوءه يذهب بالابصار وقرأت قراء الامصار يكاد سنا برقه يذهب بفتح الياء من يذهب سوى أبى جعفر القارئ فانه قرأه بضم الياء يذهب بالابصار والقراءة التى لا أختار غيرها هى فتحها لاجماع الحجة من القراء عليها وأن العرب اذا أدخلت الباء فى مفعول ذهبت لم يقولوا الا ذهبت به دون أذهبت به واذا أدخلوا الالف فى أذهبت لم يكادوا أن يدخلوا الباء فى مفعوله فيقولون أذهبته وذهبت به وقوله يقلب الله الليل والنهار يقول يعقب الله بين الليل والنهار ويصرفهما اذا أذهب هذا جاء هذا واذا أذهب هذا جاء هذا ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار يقول ان فى انشاء الله السحاب وانزاله منه الودق ومن السماء البرد وفى تقليبه الليل والنهار لعبرة لمن اعتبر به وعقل من انعظ به ممن له فهم وعقل لان ذلك نبئ ودل على أن له مدبرا ومصرفا وموقتا لايشبهه شئ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شئ قدير﴾ اختلف القراء فى قراءة قوله والله خلق كل دابة من ماء فقرأته عامة قراء الكوفة غير عاصم والله خالق كل دابة وقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وعاصم والله خلق كل دابة بنصب كل وخلق على مثال فعل وهما قراءتان مشهورتان متفقتا المعنى وذلك أن الاضافة فى قراءة من قرأ ذلك خالق تدل على أن معنى ذلك المضى فيأتيهما قرأ القارئ فصيب وقوله خلق كل دابة من ماء يعنى من نطفة فمنهم من يمشى على بطنه كالحيات وما أشبهها وقيل انما قيل فمنهم من يمشى على بطنه والمشى لايكون على البطن لان المشى انما يكون لما له قوائم على التشبيه وأنه لما خالط ماله قوائم مالا قوائم له جاز كما قال ومنهم من يمشى على رجلين كالطير ومنهم من يمشى على أربع كالبهائم فان قال قائل فكيف قيل فمنهم من يمشى ومن للناس وكل هذه الاجناس أو أكثرهم لغير هم قيل لانه تفريق ما هو داخل فى قوله والله خلق كل دابة وكان داخلا فى ذلك الناس وغيرهم ثم قال فمنهم لاجتماع الناس والبهائم وغيرهم فى ذلك واختلاطهم فكنى عن جميعهم كناية من يعقل عن بنى آدم ثم فسرهم بمن اذ كان قد كنى عنهم كناية بنى آدم خاصة يخلق الله ما يشاء يقول يحدث الله ما يشاء من الخلق ان الله على كل شئ قدير يقول ان الله على احداث ذلك وخلقه وخلق ما يشاء من الاشياء غيره ذو قدرة لايتعذر عليه شئ أراد القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم﴾ يقول تعالى ذكره لقد أنزلنا أيها الناس علامات واضحات دالات على طريق الحق

أدب مستحسن رعايته مع الأئمة والمتقدمين هذا ما عليه الأكثرون منهم المبرد والقفال وعن سعيد بن جبير لا تنادوه باسمه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المنخفض وقيل أراد احذروا دعاء الرسول ربه عليكم اذا أغضبتموه فان دعاءه موجب ليس كدعاء غيره عذابا لكم وذلك بهذا وانتصابه على الحال والحاصل أنهم يتسللون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة وهو استتار بعضهم ببعض وقيل كان يلوذ من لم يؤذن له بالذي أذن له فينطلق معه قال مقاتل هذا في الخطبة وقال مجاهد في صف القتال وقال ابن قتيبة نزلت في حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير اذن ومعنى (قد يعلم) يكثر العلم والمبالغة فيه كما مر في البقرة في قوله قد نرى تقلب وجهك يقال خالفته عن القتال أي جئت عنه وأقدم هو وخالفته الى القتال أي أقدمت وجبن هو الفتنة المحنة في الدنيا كالقتل أو الزلازل وسائر الاهوال والعذاب الأليم هو عذاب النار وعن جعفر بن محمد عليه السلام الفتنة أن يسلط عليهم سلطان جائر وقال الأصوليون في الآية دلالة على أن ظاهر الأمر للوجوب لان تارك المأمور به مخالف لذلك الامر فان موافقة الامر عبارة عن الاتيان بمقتضاه والموافقة ضد المخالفة واذا أخل بمقتضاه كان مخالفا والمخالف مستحق للعقاب بالآية ولا نعني بالوجوب الا هذا واعترض عليه بأن موافقة الامر عبارة عن الاتيان بمقتضاه على الوجه الذي يقتضيه الامر فان الأمر لو اقتضاه على سبيل الندب وأنت تأتي على سبيل الوجوب كان ذلك مخالفة الامر ومنع من أن المندوب مأمور به فان هذا أول المسئلة والظاهر أن الضمير في أمره للرسول ولو كان لله لم يضر لانه لا فرق بين أمر الله وأمر رسوله وأمر الرسول متناول عند بعضهم للقول والفعل والطريقة كما يقال أمر فلان مستقيم وعلى هذا فكل ما فعله الرسول فانه يكون واجبا علينا لتمام كمال قدرته وعلمه بقوله (ألا ان لله) الخ تأكيد الوجوب الحذر قال جار الله الخطاب والغيبة في قوله (ما أنتم عليه ويوم يرجعون) كلاهما

وسبيل الرشاد والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم يقول والله يرشد من يشاء من خلقه بتوفيقه فيهديه الى دين الاسلام وهو الصراط المستقيم والطريق القاصد الذي لا اعوجاج فيه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون ﴾ يقول تعالى ذكره ويقول المنافقون صدقنا بالله وبالرسول وأطعنا الله وأطعنا الرسول ثم يتولى فريق منهم يقول ثم تدبر كل طائفة منهم من بعد ما قالوا هذا القول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتدعوا الى المحاكمة الى غيره خصمها وما أولئك بالمؤمنين يقول وليس قائلو هذه المقالة يعني قوله آمنا بالله وبالرسول وأطعنا بالمؤمنين لتركهم الاحتكام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعراضهم عنه اذا دعوا اليه وقوله واذا دعوا الى الله ورسوله يقول واذا دعي هؤلاء المنافقون الى كتاب الله والى رسوله ليحكم بينهم فيما اختصموا فيه بحكم الله اذا فريق منهم معرضون عن قبول الحق والرضا بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون ﴾ يقول تعالى ذكره وان يكن الحق لهؤلاء الذين يدعون الى الله ورسوله ليحكم بينهم فيأبون ويعرضون عن الاجابة الى ذلك فيل الذين يدعونهم الى الله ورسوله يأتوا الى رسول الله مذعنين يقول مذعنين منقادين لحكمه مقرين به طائعين غير مكرهين يقال منه قد أذعن فلان بحقه اذا أقر به طائعا غير مستكره وانقاد له وسلم وكان مجاهد فيما ذكر عنه يقول في ذلك ما حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله يأتوا اليه مذعنين قال سراعا وقوله أفي قلوبهم مرض يقول تعالى ذكره أفي قلوب هؤلاء الذين يعرضون اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم شك في رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لله رسول فهم يمتنعون من الاجابة الى حكمه والرضا به أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله اذا احتكموا الى حكم كتاب الله وحكم رسوله وقال أن يحيف الله عليهم ورسوله والمعنى أن يحيف رسول الله عليهم فيدأ بالله تعالى ذكره تعظيما لله كما يقال ما شاء الله ثم شئت بمعنى ما شئت ومما يدل على أن معنى ذلك كذلك قوله واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم فأفرد الرسول بالحكم ولم يقل ليحكما وقوله بل أولئك هم الظالمون يقول ما خاف هؤلاء المعرضون عن حكم الله وحكم رسوله اذا أعرضوا عن الاجابة الى ذلك مما دعوا اليه أن يحيف عليهم رسول الله فيجور في حكمه عليهم ولكنهم قوم أهل ظلم لانفسهم بخلافهم أمر ربهم ومعصيتهم الله فيما أمرهم من الرضا بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أحبوا وكرهوا والتسليم له ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ﴾ يقول تعالى ذكره ما كان ينبغي أن يكون قول المؤمنين اذا دعوا الى حكم الله والى حكم رسوله ليحكم بينهم وبين خصومهم أن يقولوا سمعنا ما قيل لنا وأطعنا من دعانا الى ذلك ولم يعن بكان في هذا الموضع الخبر عن أمر قد مضى فيقضى ولكنه تأنيب من الله الذين أنزلت هذه الآية بسببهم وتأديب منه آخرين غيرهم وقوله وأولئك هم المفلحون

المنافقين على طريقة الالتفات اذ الاول عام والثاني لاهل النفاق وأقول يحتمل أن يكون كلاهما عاما للمنافقين والفاء في قوله (فينبئهم) لتلازم ماقبلها وما بعدها كقولك ويل فكبر ﴿التأويل ومن يطع الله ورسوله فيما يدعوانه الى الحضرة بترك ماسوى الله ويخشى الانقطاع عن الله ويتق به عما سواه فأولئك هم الفائزون بالوصول والوصال وصالا (١٢١) بلا انفصال وزوال لئن أمرتهم بالخروج عن غير

المفلحون يقول تعالى ذكره والذين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم وبين خصومهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا المفلحون يقول هم المنجحون المدركون طلباتهم بفعلهم ذلك الخالدون في جنات الله ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون﴾ يقول تعالى ذكره ومن يطع الله ورسوله فيما أمره ونهاه ويسلم لحكمهما له وعليه ويخف عاقبة معصية الله ويحذره ويتقي عذاب الله بطاعته اياه في أمره ونهيه فأولئك يقول فالذين يفعلون ذلك هم الفائزون برضا الله عنهم يوم القيامة وأمنهم من عذابه ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون﴾ يقول تعالى ذكره وحلف هؤلاء المعرضون عن حكم الله وحكم رسوله اذ دعوا اليه بالله جهد أيمانهم يقول أغلظ أيمانهم وأشدها لئن أمرتهم يا محمد بالخروج الى جهاد عدوك وعدو المؤمنين ليخرجن قل لا تقسموا لا تحلفوا فان هذه طاعة معروفة منكم فيها التكذيب كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله قل لا تقسموا طاعة معروفة قال قد عرفت طاعتكم الى أنكم تكذبون ان الله خبير بما تعملون يقول ان الله ذو خبرة بما تعملون من طاعتكم الله ورسوله أو خلافكم أمرهما أو غير ذلك من أموركم لا يخفى عليه من ذلك شيء وهو مجازيكم بكل ذلك ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المقسمين بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن وغيرهم من أمتك أطيعوا الله أيها القوم فيما أمركم به ونهاكم عنه وأطيعوا الرسول فان طاعته لله طاعة فان تولوا يقول فان تعرضوا وتدبروا عما أمركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم أو نهاكم عنه وتأبوا أن تذعنوا لحكمه لكم وعليكم فانما عليه ما حمل يقول فانما عليه فعل ما أمر بفعله من تبليغ رسالة الله اليكم على ما كلفه من التبليغ وعليكم ما حملتم يقول وعليكم أيها الناس أن تفعلوا ما ألزمكم وأوجب عليكم من اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم والانتهاء الى طاعته فيما أمركم ونهاكم وقلنا ان قوله فان تولوا اعمى فان تتولوا فانه في موضع جزم لانه خطاب للذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم أطيعوا الله وأطيعوا الرسول يدل على أن ذلك كذلك قوله وعليكم ما حملتم ولو كان قوله تولوا فعلا ماضيا على وجه الخبر عن غيب لكان في موضع قوله وعليكم ما حملتم وعليهم ما حملوا وقوله وان تطيعوه تهتدوا يقول تعالى ذكره وان تطيعوا أيها الناس رسول الله فيما يأمركم وينهاكم ترشدوا وتصيبوا الحق في أموركم وما على الرسول الا البلاغ المبين يقول وغير واجب على من أرسله الله الى قوم برسالة الا أن يبلغهم رسالته بلاغا بينا لهم ذلك البلاغ عما أراد الله به يقول فليس على محمد أيها الناس الا أداء رسالة الله اليكم وعليكم الطاعة وان أطعتموه لحظوظ أنفسكم تصيبون وان عصيتموه بأنفسكم تثبورون ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد

مخصوصون بالتكوين يكونه الله كما قال كنت له سمعا الحديث فانهم مستعدون لقبول الفيض الالهي وهم السابقون المقربون فلا حرج في الشرع على من يكون مستعدا لهذا الكمال فان الله لا يكلف نفسا الا وسعها وفي قوله ولا على أنفسكم الخ اشارة الى أنه لا حرج على أرباب النفوس على أن يكون ما كلهم من بيوتهم أو بيوت أبناء جنسهم وهي

الجنات ومراتبها كما قال فيها ما تشتهي الأنفس وفي قوله أو ما ملكتم مفاتحه اشارة الى أن درجات الجنة مساكن أهل المكاسب كما أن مقامات أهل القرب عند مليك مقتدر منازل أهل المواهب قوله أو صديقكم فيه أن درج الجنان ينالها المرء ببركة جليسه الصالح وقد ينعكس نور ولاية الشيخ على مرآة قلب المريد الصادق فينال (١٢٢) به مرتبة لم يكن يصل اليها بمجرد أعماله ليس عليكم جناح فيه أنه لا حرج على أهل الجنة أن تكون مآكلهم من درجة واحدة أو من درجات شتى فاذا دخلتم بيوتا أي بلغتم منزلا من المنازل فسلموا أي استسلموا لأحكام الربوبية بمزيد العبودية حتى ترتقوا منها الى منازل أعلى وأطيب انما المؤمنون فيه أن المريد الصادق ينبغي أن لا ينفس الا باذن شيخه فان الشيخ في قومه كالنبي في أمته أن تصيبهم فتنة من المال أو الجاه أو قبول الخلق أو الترويح أو السفر باذن الشيخ أو التردد على أبواب الملوك ونحو ذلك وما الهضة الأمن واهبها وهو المستعان

﴿ سورة الفرقان مكية غير آية نزلت بطائف ألم تر الى ربك حروفها ٣٧٨٠ كلمها ٨٧٢ آياتها ٧٧ ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيأ وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلما وزورا وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان غفورا رحيما وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد

خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيأ ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ يقول تعالى ذكره وعد الله الذين آمنوا بالله ورسوله منكم أيها الناس وعملوا الصالحات يقول وأطاعوا الله ورسوله فيما أمراهم ونهياه ليستخلفنهم في الارض يقول ليورثنهم الله أرض المشركين من العرب والعجم فيجعلهم ملوكها وساستها كما استخلف الذين من قبلهم يقول كما فعل من قبلهم ذلك بني اسرائيل اذ أهلك الجبارة بالشام وجعلهم ملوكها وسكانها وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم يقول وليوطئن لهم دينهم يعني ملتهم التي ارتضاها لهم فأمرهم بها وقيل وعد الله الذين آمنوا ثم تلقى ذلك بجواب اليمين بقوله ليستخلفنهم لأن الوعد قول يصلح فيه أن وجواب اليمين كقوله وعدتك أن أكرمك ووعدتك لأكرمنك واختلف القراء في قراءته فقرأته عامة القراء كما استخلف بفتح التاء واللام بمعنى كما استخلف الله الذين من قبلهم من الامم وقرأ ذلك عاصم كما استخلف بضم التاء وكسر اللام على مذهب ما لم يسم فاعله واختلفوا أيضا في قراءة قوله وليبدلنهم فقرأ ذلك عامة قراء الامصار سوى عاصم وليبدلنهم بتشديد الدال بمعنى وليغيرن حالهم عما هي عليه من الخوف الى الامن والعرب تقول قد بدل فلان اذا غيرت حاله ولم يأت مكان فلان غيره وكذلك كل مغير عن حاله فهو عندهم مبدل بالتشديد وربما قيل بالتخفيف وليس بالفصيح فأما اذا جعل مكان الشيء المبدل غيره فذلك بالتخفيف أبدلته فهو مبدل وذلك كقولهم أبدل هذا الثوب أي جعل مكانه آخر غيره وقد يقال بالتشديد غير أن الفصيح من الكلام ما وصفت وكان عاصم يقرؤه وليبدلنهم بتخفيف الدال والصواب من القراءة في ذلك التشديد على المعنى الذي وصفت قبل لاجماع الحجة من قراء الامصار عليه وأن ذلك تغيير حال الخوف الى الامن وأرى عاصما ذهب الى أن الأمن لما كان خلاف الخوف وجه المعنى الى أنه ذهب بحال الخوف وجاء بحال الامن فخفف ذلك ومن الدليل على ما قلنا من أن التخفيف انما هو ما كان في ابدال شيء مكان آخر قول أبي النجم

* عزل الامير للامير المبدل *

وقوله يعبدونني يقول يخضعون لي بالطاعة ويتذللون لأمري ونهيي لا يشركون بي شيأ يقول لا يشركون في عبادتهم اياي الأوثان والأصنام ولا شيأ غيرها بل يخلصون لي العبادة فيفردونها الي دون كل ما عبد من شيء غيري وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل شكاية بعض أصحابه اليه في بعض الاوقات التي كانوا فيها من العدو في خوف شديد مما هم فيه من الرعب والخوف وما يلقون بسبب ذلك من الاذى والمكروه ذكر الرواية بذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية قوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات الآية قال مكث النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين خائفا يدعو الى الله سرا وعلانية قال ثم أمر بالهجرة الى المدينة قال فمكث بها هو وأصحابه خائفون يصبحون في السلاح ويمسون فيه فقال رجل ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليس فيه حديدة فأنزل الله هذه الآية وعد الله الذين آمنوا منكم الى قوله فمن كفر بعد ذلك قال يقول من كفر بهذه النعمة فأولئك هم الفاسقون وليس يعني بالكفر بالله قال فأظهره الله على

سعيرا لها تغيظا وزفيرا ﴿ وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا ﴾ لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا ﴿ قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاؤن خالدين كان على ربك وعدا مسؤلا ﴿ ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك (١٣١) ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا ﴿ القرآن جنة تأكل بالنون حمزة وعلي وخلف والباقون بالياء التحتانية ويحمل ث بالرفع ابن عامر وأبو بكر وحماد والمفضل وابن كثير الباقون بالجزم وذلك أن الشرط إذا وقع ماضيا جاز في جزائه الرفع والجزم يحشرهم فيقول كلاهما بالياء ابن كثير ويزيد ومهل ويعقوب وعباس وحفص وقرأ ابن عامر بالنون فيهما الباقون بالنون في الأول وبالياء في الثاني أن يتخذ على البناء للمفعول زيد ويزيد بما تقولون بناء الخطاب يعقوب وعباس وحفص والسريدي عن قنبل تستطيعون على الخطاب حفص غير الخزاز ﴿ الوقوف نذيرا ○ لابتداء على أن ما بعده بدل من الذي نزل والتعليل من تمام الصلة ولو قدر رفعه أو نصبه على المدح جاز الوقف تقديرا ○ ولا نشورا ○ آخرون ج لاجل الفاء مع اختلاف الفاعل أو لاحتمال أن يكون فقد جاؤا من قول الكفار أي جاء محمد ومن أعانه بظلم وزور وزورا ○ ج لاحتمال المذكور أو لعطف

جزيرة العرب فآمنوا ثم تحيروا فغير الله ما بهم وكفروا هذه النعمة فأدخل الله عليهم الخوف الذي كان رفعه عنهم ﴿ قال القاسم قال أبو علي يقتلهم عثمان بن عفان رضي الله عنه ﴿ واختلف أهل التأويل في معنى الكفر الذي ذكره الله في قوله فمن كفر بعد ذلك فقال أبو العالية ما ذكرناه عنه من أنه كفر بالنعمة لا كفر بالله وروى عن حذيفة في ذلك ما حدثنا به ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب بن أبي الشعثاء قال كنت جالسا مع حذيفة وعبد الله بن مسعود فقال حذيفة ذهب النفاق وإنما كان النفاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما هو الكفر بعد الإيمان قال فجعل عبد الله يقول ذلك قال علمت ذلك قال وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض حتى بلغ آخرها حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي قال ثنا شعبة عن أبي الشعثاء قال قعدت إلى ابن مسعود وحذيفة فقال حذيفة ذهب النفاق فلا نفاق وإنما هو الكفر بعد الإيمان فقال عبد الله تعلم ما تقول قال فتلا هذه الآية إنما كان قول المؤمنين حتى بلغ فأولئك هم الفاسقون قال فجعل عبد الله قال فلقيت أبا الشعثاء بعد ذلك بأيام فقلت من أي شيء ضحك عبد الله قال لا أدري لعل الرجل رمى ما ضحك من الشيء الذي يعجبه ورمى ما ضحك من الشيء الذي لا يعجبه فمن أي شيء ضحك لا أدري والذي قاله أبو العالية من التأويل أشبه بتأويل الآية وذلك أن الله وعد لا نعام على هذه الأمة بما أخبر في هذه الآية أنه منعم به عليهم ثم قال عقيب ذلك فمن كفر هذه النعمة بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله يعبدونني لا يشركون بي شيئا قال تلك أمة محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد أمنا يعبدوننا لا يشركون بي شيئا قال لا يخافون غيري ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير ﴾ يقول تعالى ذكره وأقيموا أيها الناس الصلاة بحدودها فلا تضيعوها وآتوا الزكاة التي فرضها الله عليكم أهلها وأطيعوا رسول ربكم فيما أمركم ونهاكم لعلكم ترحمون يقول كي يرحمكم ربكم فينجيكم من عذابه وقوله لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض يقول تعالى ذكره لا تحسبن يا محمد الذين كفروا بالله معجزيه في الأرض إذا أراد إهلاكهم ومأواهم بعد هلاكهم النار ولبئس المصير الذي يصيرون إليه ذلك المأوى وقد كان بعضهم يقول لا يحسبن الذين كفروا بالياء وهو مذهب ضعيف عند أهل العربية وذلك أن تحسب تحتاج إلى منصوبين وإذا قرئ يحسبن لم يكن واقعا إلا على منصوب واحد غير أني أحب أن قائله بالياء ظن أنه قد عمل في معجزين وأن منصوبه الثاني في الأرض وذلك لا معنى له إن كان ذلك قصد ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ﴾ اختلف أهل التأويل في المعنى

النفقتين مع عوارض وطول الكلام وأصيلا ○ والأرض ط رجيما ○ الأسواق ط نذيرا ○ منها ط مسحورا ○ سبيلا ○ الأنهار ط لمن جعل رفع يحشر على الاستئناف قصورا ○ سعيرا ○ لاحتمال كون ما بعده صفة أو استئنافا وزفيرا ○ ثبورا الأول ○ ط كثيرا ○ المتقون ط لانتهاء الاستفهام مصيرا ○ خالدين ط مسؤلا ○ السبيل ○ الذ ز ج لجواز أن يكون المراد

وقد كانوا لجواز أن يراد وصار وافيتصل بقوله بورا ٥ تقولون ٥ الاالذين قرأ تستطيعون بتاء الخطاب نصيرا ج ٥ للشرط مع العطف كبيراه في الاسواق ط فتنة ط أتصبرون ج لاحتمال كون الواو للحال بصيرا ٥ ﴿التفسير انه سبحانه تكلم في هذه السورة أولا في التوحيد لانه أقدم وأهم ثم في النبوة لانها الواسطة ثم في المعاد وسيختم السورة بصفات العباد المخلصين الموقنين فما أشرف هذا المطالب وما أحسن هذا الترتيب ومعنى (تبارك) كثر خيره وزاد أو تعالى عن أوصاف الممكنات وقدمر في قوله تعالى فتبارك الله أحسن الخالقين وفي وصفه نفسه بتنزيل الفرقان الفارق بين الحق والباطل أو المفرق في الانزال بعد قوله تبارك دليل على أن كل البركة والخير انما هو في القرآن وكانت هذه الصفة معلومة بدلائل الاعجاز فلذلك صح ايقاعها صلة للذي والضمير في (ليكون) لعبده أو للفرقان كقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم والعالمون يشمل الخلائق كلهم الا أن الاجماع دل على خروج الملائكة وماعدا الثقلين فبقي أن يكون مبعوثا الى الجن والانس الى آخر مدة التكليف والنذير المنذر أو الانذار كالنكير قالت المعتزلة لو لم يرد الايمان من الكل لم يكن الرسول نذيرا للكل وعورض بنحو قوله ولقد ذرأنا لجهنم والانذار الموجب للخوف لا ينافي وصفه تعالى بالبركة والخير لان النظر على السعادات الاخروية التي تحصل بالانذار لا على فوات بعض اللذات العاجلة ثم وصف ذاته بصفاته الاربع أولها (الذي له ملك السموات والارض) وفيه تنبيه على افتقار الكل اليه في الوجود وفي توابعه من البقاء وغيره الثانية (ولم يتخذ ولدا) وفيه رد النصارى واليهود الثالثة (ولم يكن له شريك في الملك) وفيه رد على سائر المشركين من الثنوية والوثنية وأرباب الشرك الخفي أيضا ولكنه صرح بهذا الأخير في الصفة الرابعة وهي قوله (وخلق كل شيء فقدره تقديرا) قال جار الله المعنى أنه أحدث كل شيء احداثا مراعى فيه التقدير والتسوية والتهيئة لما يصلح له أو المراد بالخلق الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق وهو ما فيه من معنى التقدير لئلا يلزم التكرار فكأنه قيل أوجد كل شيء فقدره في ايجاده لم يوجده متفاوتا أو

بقوله ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم فقال بعضهم عنى بذلك الرجال دون النساء ونهوا عن أن يدخلوا عليهم في هذه الاوقات الثلاثة هؤلاء الذين سموا في هذه الآية الاباذن ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ليث عن نافع عن ابن عمر قوله ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قال هي على الذكور دون الاناث * وقال آخرون بل عنى به الرجال والنساء ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي حصين عن أبي عبد الرحمن في قوله يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قال هي في الرجال والنساء يستأذنون على كل حال بالليل والنهار * وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال عني به الذكور والاناث لان الله عم بقوله الذين ملكت أيمانكم جميع أملاك أيماننا ولم يخصص منهم ذكرا ولا أنثى فذلك على جميع من عمه ظاهر التنزيل فتأويل الكلام يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ليستأذنكم في الدخول عليكم عبيدكم وإماؤكم فلا يدخلوا عليكم الا باذن منكم لهم والذين لم يبلغوا الحلم منكم يقول والذين لم يحتلموا من أحراركم ثلاث مرات يعني ثلاث مرات في ثلاثة أوقات من ساعات ليلكم ونهاركم كما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قال عبيدكم المملوكون والذين لم يبلغوا الحلم منكم قال لم يحتلموا من أحراركم قال ابن جريج قال لي عطاء بن أبي رباح فذلك على كل صغير وصغيرة أن يستأذن كما قال ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء قال واهي العمة قلت واذا وضعوا ثيابهم بعد العتمة استأذنوا عليهم حتى يصبحوا قال نعم قلت لعطاء هل استثناهم الا عند وضع الناس ثيابهم قال لا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن صالح بن كيسان ويعقوب بن عتبة واسمعيل بن محمد قالوا الاستئذان على خدم الرجل عليه الا في العورات الثلاث **حدثني** علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم يقول اذا خلا الرجل بأهله بعد صلاة العشاء فلا يدخل عليه خادم ولا صبي الا باذن حتى يصلي الغداة فاذا خلا بأهله عند صلاة الظهر فمثل ذلك **حدثني** يونس ابن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني قرة بن عبد الرحمن عن ابن شهاب عن ثعلبة عن أبي مالك القرظي أنه سأل عبد الله بن سويد الحارثي وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاذن في العورات الثلاث فقال اذا وضعت ثيابي من الظهيرة لم يلج علي أحد من الخدم الذي بلغ الحلم ولا أحد ممن لم يبلغ الحلم من الاحرار الا باذن **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن جريج قال سمعت عطاء يقول قال ابن عباس ثلاث آيات جحدهن الناس الاذن كله وقال ان أكرمكم عند الله أتقاكم وقال الناس أكرمكم أعظمكم بيتا ونسيت الثالثة **حدثنا** ابن أبي الشوارب قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا يونس عن الحسن في هذه الآية ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قال كان الحسن يقول اذا أتيت الرجل خادمه معه فهو أذنه وان لم يبته معه استأذن في هذه الساعات **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان قال ثني موسى بن أبي عائشة عن الشعبي

أحدث فقدره البقاء الى أمد معلوم وعندى أن الكلام محمول على القلب الذى ينخلع عليه أمن الالباس أى قدره فى الازل تقديرا يخالفه فى وقته موافقا لذلك التقدير والبحث فيه بين المعتزلة والاشاعرة كما مر فى قوله الله خالق كل شئ ثم صرح بتزييف مذاهب عبدة الاوثان قائلا (واتخذوا) الآية وحاصله أن الله العالم يجب أن يكون أقدر الاشياء وأشرفها لا أعجزها وأخسها وهو الجماد بل الملائكة والمسيح لانه لا قدرة لهم على الايجاد والتصرف فى شئ الا باذن الله فتكون الآية ردا على الكل وانما قال فى هذه السورة (من دونه) لتقدم الذكر مفردا وفى مريم ويس من دون الله لان ما قبلهما بلفظ الجمع تعظيما فلن يكن بد من التصريح وحين فرغ من بيان التوحيد ونفى الانداد شرع فى شبهات منكرى النبوة والاجوبة عنها فالشبهة الاولى قولهم (ان هذا الا افك افتراه) أرادوا أنه كذب فى نفسه أو أرادوا أنه كذب فى اضافته الى الله تعالى وقوله (وأعانه عليه قوم آخرون) نظير قوله تعالى انما يعلمه بشر لسان الذى وقد مر ما قيل فى سبب نزوله فى الصحاح فأجاب الله تعالى عن شبهتهم بقوله (فقد جاؤا ظلما وزورا) أى أتوهما فانتصب بوقوع المجئ عليه وعن الزجاج أنه انتصب بنزع الخافض أى أتوا بالظلم والزور فالظلم هو أنهم نسبوا هذا الفعل الشنيع وهو الافتراء على الله الى من هو عندهم فى غاية الامانة والصدق والزور وهو انحرافهم عن جادة العدل والانصاف فلو أنصفوا من أنفسهم لعلموا أن العربى لا يتلقن من العجمى كلاما عربيا أعجز بفصاحته دهماءهم ولو استعان محمد فى ذلك بغيره لأمكنهم أيضا أن يستعينوا بغيرهم قال أبو مسلم الظلم تكذيبهم الرسول والزور كذبهم عليه الشبهة الثانية قولهم (انه أساطير الاولين)

فى قوله ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قال لم تنسخ قلت ان الناس لا يعملون به قال الله المستعان * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن موسى بن أبى عائشة عن الشعبى وسألته عن هذه الآية ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قلت منسوخة هى قال لا والله ما نسخت قلت ان الناس لا يعملون بها قال الله المستعان * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير قال ان ناسا يقولون نسخت ولكنها مما يتهاون الناس به * قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى هذه الآية يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم الى آخر الآية قال لا يعمل بها اليوم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا حنظلة أنه سمع القاسم بن محمد يسئل عن الاذن فقال يستأذن عند كل عورة ثم هو طواف يعنى الرجل على أمه **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا عثمان بن عمر قال أخبرنا عبد العزيز بن أبى رواد قال أخبرنى رجل من أهل الطائف عن غيلان بن شرحبيل عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم قال الله ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم وانما العتمة عتمة الابل وقوله ثلاث عورات لكم اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة ثلاث عورات لكم برفع الثلاث بمعنى الخبر عن هذه الاوقات التى ذكرت كأنه عندهم قيل هذه الاوقات الثلاثة التى أمرناكم بأن لا يدخل عليكم فيها من ذكرنا الا باذن ثلاث عورات لكم لأنكم تضعون فيها ثيابكم وتخلون بأهليكم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ثلاث عورات بنصب الثلاث على الرد على الثلاث الاولى وكأن معنى الكلام عندهم ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات ثلاث عورات لكم والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان متفقتا المعنى وقد قرأ بكل واحد منهما علماء من القراءة فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم يقول تعالى ذكره ليس عليكم معشر أرباب البيوت والمساكن ولا عليهم يعنى ولا على الذين ملكت أيمانكم من الرجال والنساء والذين لم يبلغوا الحلم من أولادكم الصغار حرج ولا اثم بعدهن يعنى بعد العورات الثلاث والهاء والنون فى قوله بعدهن عائدتان على الثلاث من قوله ثلاث عورات لكم وانما يعنى بذلك أنه لا حرج ولا جناح على الناس أن يدخل عليهم مماليكهم البالغون وصبيانهم الصغار بغير اذن بعد هذه الاوقات الثلاث اللاتى ذكرهن فى قوله من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال ثم رخص لهم فى الدخول فيما بين ذلك بغير اذن يعنى فيما بين صلاة الغداة الى الظهر وبعد الظهر الى صلاة العشاء انه رخص لخادم الرجل والصبى أن يدخل عليه منزله بغير اذن قال وهو قوله ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن فأما من بلغ الحلم فانه لا يدخل على الرجل وأهله الا باذن على كل حال وقوله طوافون عليكم رفع الطوافون بمضمر وذلك هم يقول لهؤلاء المماليك والصبيان الصغار هم طوافون عليكم أيها الناس ويعنى بالطوافين أنهم يدخلون ويخرجون على موالهم

أى أحاديث سطرها المتقدمون كأخبار الأعاجم (اكتتبها) لنفسه كقولك استكتب الماء أى سكبه لنفسه وأخذه وقد يظن أن فى الكلام قلبا لانه يقال أمليت عليه فهو يكتتبها وأجيب بأن المعنى أرادا كتتابها فهى تقرأ عليه أو كتبت له وهو أمى فهى تملى أى تلقى عليه من كتابه يحفظونه الان صورة الالقاء على الحافظ كصورة الالقاء على الكاتب قال النحاة ما يملى عليه بكرة يقرأ عليكم عشية وما يملى عليه عشية

يقرأ عليكم بكرة وقال جار الله (بكرة وأصيلا) أي دائما أو في الخفية قبل أن ينتشر الناس وحين يأوون الى مساكنهم فأجاب عن هذه الشبهة بقوله (قل أنزله الذي يعلم السر) الآية والمعنى أن العالم بكل سر هو الذي يقدر على الاتيان بمثل هذا الكتاب لفصاحته مع بلاغة معانيه وبراءته من التناقض والاختلاف واشتماله على الغيوب وعلى مصالح العباد في المعاش والمعاد قال أبو مسلم أراد أنه يعلم كل سر خفي ومن جملته ما تسترونه أنتم من الكيد والنفاق فهو يجازيكم عليه ولاجل هذا الوعيد ختم الآية بذكر المغفرة والرحمة فانه لا يوصف بهما الا القادر على العقوبة وقيل هو تنبيه على أنهم استحقوا بكبائرهم العذاب العاجل ولكنه صرفه عنهم برحمته وغفرانه الشبهة الثالثة قولهم على سبيل الاستهانة وتصغير الشأن (مال هذا) الزاعم أنه رسول أي مال له (يأكل الطعام) كما نأكل ويتردد في الاسواق لطلب المعاش كما نتردد زعموا أنه كان يجب أن يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش ثم نزلوا عن هذا المقام فطلبوا أن يكون انسانا معه ملك يعضده ويساعده في باب الانذار ثم نزلوا فاقترحوا أن يكون مستظهرا بكنز يلقى اليه من السماء حتى لا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا فقالوا لا أقل من أن يكون كواحد من الدهاقين له بستان ينتفع هو وأتباعه نحن بذلك على اختلاف القراءتين وانتصب (فيكون) لانه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام ومحل (أنزل) الرفع كما يقول لولا ينزل ولهذا عطف عليه يلقى ويكون مرفوعين (وقال الظالمون) من وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوا وهم كفار قريش النضر بن الحرث وأمثاله والمسحور المغلوب على عقله والامثال الأقوال النادرة والاقتراحات الغريبة المذكورة فبقوا متحيرين لا يجدون قولا يستقرون عليه أو فضلوا عن الحق ولا يجدون طريقا اليه وقدم مثل هذه الآية في أواسط سورة بني اسرائيل وحين حكى شبههم ومطاعنهم مدح نفسه عايا جمهم وبكتهم وهو قوله (تبارك) أي تكاثر خير (الذي ان شاء

وأقربائهم في منازلهم غدوة وعشية بغير اذن يطوفون عليهم بعضكم على بعض في غير الاوقات الثلاث التي أمرهم أن لا يدخلوا على سادتهم وأقربائهم فيها الا باذن كذلك يبين الله لكم الآيات يقول جل ثناؤه كما بينت لكم أيها الناس أحكام الاستئذان في هذه الآية كذلك يبين الله لكم جميع أعلامه وأدلته وشرائع دينه والله عليم حكيم يقول والله ذو علم بما يصلح عباده حكيم في تدبيره اياهم وغير ذلك من أموره ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم﴾ يقول تعالى ذكره واذا بلغ الصغار من أولادكم وأقربائكم ويعني بقوله منكم من أحراركم الحلم يعني الاحتلام واحتلموا فليستأذنوا يقول فلا يدخلوا عليكم في وقت من الأوقات الا باذن لا في أوقات العورات الثلاث ولا في غيرها وقوله كما استأذن الذين من قبلهم يقول كما استأذن الكبار من ولد الرجل وأقربائه الاحرار وخص الله تعالى ذكره في هذه الآية الاطفال بالذكر وتعريف حكمهم عباده في الاستئذان دون ذكر ما ملكت أيمانهم وقد تقدمت الآية التي قبلها بتعريفهم حكم الاطفال الاحرار والمماليك لأن حكم ما ملكت أيماننا من ذلك حكم واحد سواء فيه حكم كبارهم وصغارهم في أن الاذن عليهم في الساعات الثلاث التي ذكرها الله في الآية التي قبل ۞ وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال أما من بلغ الحلم فانه لا يدخل على الرجل وأهله يعني من الصبيان الاحرار الا باذن على كل حال وهو قوله واذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء واذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا قال واجب على الناس أجمعين أن يستأذنوا اذا احتلموا على من كان من الناس حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب عن ابن المسيب قال يستأذن الرجل على أمه قال انما أنزلت واذا بلغ الأطفال منكم الحلم في ذلك كذلك يبين الله لكم آياته يقول هكذا يبين الله لكم آياته أحكامه وشرائع دينه كما بين لكم أمر هؤلاء الاطفال في الاستئذان بعد البلوغ والله عليم حكيم يقول والله عليم بما يصلح خلقه وغير ذلك من الاشياء حكيم في تدبيره خلقه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم﴾ يقول تعالى ذكره واللواتي قد قعدن عن الولد من الكبر من النساء فلا يحضن ولا يلدن واحدتهن قاعد اللاتي لا يرجون نكاحا يقول اللاتي قد يئسن من البعولة فلا يطمعن في الأزواج فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن يقول فليس عليهن حرج ولا اثم أن يضعن ثيابهن يعني جلابيبهن وهي القناع الذي يكون فوق الخمار والرداء الذي يكون فوق الثياب لا حرج عليهن أن يضعن ذلك عند المحارم من الرجال وغير المحارم من الغرباء غير متبرجات بزينة ۞ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا وهي المرأة لا جناح عليها أن تجلس في بيتها بدرع وخمار وتضع عنها الجلباب ما لم تتبرج لما يكره الله وهو قوله فليس عليهن جناح أن يضعن

وهبك فى الدنيا خيرا مما قالوا ثم فسر ذلك الخير بقوله (جنات) عن ابن عباس خيرا من ذلك أى مما غيروك بفقده الجنة الواحدة وعنه فى رواية عكرمة خيرا من المشى فى الاسواق لابتغاء المعاش وفى قوله ان شاء دليل على أنه لا حق لاحد من العباد عليه لا فى الدنيا ولا فى الآخرة وان حصول الخيرات معلق بمحض مشيئته وعنايته وقيل ان بمعنى اذ أى قد (١٢٧) جعلناك فى الآخرة وبنينا لك قصورا والقصر المسكن الرفيع فيحتمل أن يكون لكل جنة قصر وأن تكون القصور مجموعة والجنات مجموعة وقال مجاهد ان شاء جعل لك فى الآخرة جنات وفى الدنيا قصورا عن طاوس عن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وجبرائيل عنده قال جبرائيل هذا ملك قد نزل من السماء استأذن ربه فى زيارتك فلم يلبث الا قليلا حتى جاء الملك وسلم وقال ان الله يخيرك بين أن يعطيك مفاتيح كل نبى ولم يعطها أحدا قبلك ولا يعطيها أحدا بعدك من غير أن ينقص مما ادخر لك شيأ فقال صلى الله عليه وسلم بل يجمعها لى فى الآخرة فنزلت هذه الآية وعن النبى صلى الله عليه وسلم عرض على جبرائيل عليه السلام بطحاء مكة ذهبا فقلت بل شبعة وثلاث جوعات وفى رواية أشبع يوما وأجوع ثلاثا فأحمدك اذا شبعت وأتضرع اليك اذا جعت فوله (بل كذبوا بالساعة) عطف على ما حكى عنهم يقول بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة فلهذا لا ينتفعون بالدلائل ولا يتأملون فيها اذ لا يرجون ثوابا ولا عقابا ويجوز أن يراد ليس ما تعللوا به شبهة عالية فى نفس المسئلة بل انما حملهم على ذلك تكذيبهم بالساعة استثقالا للاستعداد لها (وأعتدنا) جعلناها عدة ومعدة لهم وقد يستدل به على أن النار مخلوقة ويحتمل أن يقال هو كقوله وناداى وسبق قالت الاشاعرة البنية ليست شرطا فى الحياة وتوابعها فأجروا قوله (اذا رأتهم) على ظاهره وقالوا لا امتناع فى كون النار حية رائية مغتاظة على الكفار والمعتزلة أولوا فقالوا معنى رأتهم ظهرت لهم من قولهم دورهم تتراءى وتتناظر كأن بعضها يرى بعضا على سبيل المجاز والمعنى اذا كانت منهم بمرأى الناظرين فى البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر وقال

يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة ثم قال وأن يستعففن خير لهن حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله يضعن ثيابهن يعنى الجلباب وهو القناع وهذا للكبيرة التى قد قعدت عن الولد فلا يضرها أن لا تجلبب فوق الخمار وأما كل امرأة مسلمة حرة فعليها اذا بلغت المحيض أن تدنى الجلباب على الخمار وقال الله فى سورة الاحزاب يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان بالمدينة رجال من المنافقين اذا مرت بهم امرأة سيئة الهيئة والزى حسب المنافقون أنها مزنية وأنها من بغيتهم فكانوا يؤذون المؤمنات بالرفث ولا يعلمون الحرة من الامة فأنزل الله فى ذلك يا أيها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين يقول اذا كان زيهن حسنا لم يطمع فيهن المنافقون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج فى قوله والقواعد من النساء اللاتى قعدت من الولد وكبرت قال ابن جريج قال مجاهد اللاتى لا يرجون نكاحا قال لا يردنه فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن قال جلابيبهن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة قال وضع الخمار قال التى لا ترجو نكاحا الى قد بلغت أن لا يكون لها فى الرجال حاجة ولا للرجال فيها حاجة فاذا بلغن ذلك وضعن الخمار غير متبرجات بزينة ثم قال وأن يستعففن خير لهن كان أبى يقول هذا كله حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى وعبد الرحمن قالا ثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن ذر عن أبى وائل عن عبد الله فى قوله فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن قال الجلباب أو الرداء مثل سفيان = قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن مالك بن الحرث عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله ليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن قال الرداء حدثنى يحيى بن ابراهيم المسعودى قال ثنا أبى عن أبيه عن جده عن الأعمش عن مالك بن الحرث عن عبد الرحمن بن يزيد قال قال عبد الله فى هذه الآية فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن قال هى الملحفة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم قال سمعت أبا وائل قال سمعت عبد الله يقول فى هذه الآية فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن قال الجلباب حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة قال أخبرنى الحكم عن أبى وائل عن عبد الله مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن الثورى عن الأعمش عن مالك بن الحرث عن عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود فى قوله أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة قال هو الرداء قال الحسن قال عبد الرزاق قال الثورى وأخبرنى أبو حصين وسالم الأفطس عن سعيد بن جبير قال هو الرداء حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبى أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة قال تضع الجلباب المرأة التى قد عجزت ولم تزوج قال الشعبى وفى قراءة أبى بن كعب يقرأ أن يضعن من ثيابهن حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال قلت لابن أبى نجيح قوله فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة قال الجلباب قال يعقوب قال أبو يونس قلت له عن مجاهد قال نعم فى الدار والحجرة حدثنى

الجبائى ذكر النار وأراد خزنتها والمراد اذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم قيل التغيظ عبارة عن شدة الغضب وذلك لا يكون مسموعا فكيف قال الله سبحانه سمعوا لها تغيظا وأجيب بأن المراد سماع ما يدل على الغيظ وهو الصوت أى سمعوا لها صوتا يشبه صوت المتغيظ قاله الزجاج (١٣٨) وقال قطرب علموا لها تغيظا وسمعوا لها زفيرا كما قال الشاعر * متقلدا سيفا ورمحا *

محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن قال جلابيبهن وقوله غير متبرجات بزينة يقول ليس عليهن جناح فى وضع أردينهن اذا لم يردن بوضع ذلك عنهن أن يبدين ما عليهن من الزينة للرجال والتبرج هو أن تظهر المرأة من محاسنها ما ينبغى لها أن تستره وقوله وأن يستعففن خير لهن يقول وان تعففن عن وضع جلابيبهن وأردينهن فيلبسنها خير لهن من أن يضعنها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أن يستعففن خير لهن قال ان يلبسن جلابيبهن حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبى وأن يستعففن خير لهن قال ترك ذلك يعنى ترك وضع الثياب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأن يستعففن خير لهن والاستعفاف ليس الخمار على رأسها كان أبى يقول هذا كله والله سمع ما تنطقون بألسنتكم عليم بما تضمره صدوركم فاتقوه أن تنطقوا بألسنتكم ما قد نهاكم عن أن تنطقوا بها أو تضمروا فى صدوركم ما قد كرهه لكم فتستوجبوا بذلك منه عقوبة * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون ﴾ * قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل فى هذه الآية فى المعنى الذى أنزلت فيه فقال بعضهم أنزلت هذه الآية ترخيصا للمسلمين فى الاكل مع العميان والعرجان والمرضى وأهل الزمانة من طعامهم من أجل أنهم كانوا قد امتنعوا من أن يأكلوا معهم من طعامهم خشية أن يكونوا قد أتوا بأكلهم معهم من طعامهم شيأ مما نهاهم الله عنه بقوله يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنى عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ليس عليكم جناح أن تأكلوا من بيوتكم الى قوله أو ما ملكتم مفاتحه حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ليس على الاعمى حرج الآية كان أهل المدينة قبل أن يبعث النبى صلى الله عليه وسلم لا يخالطهم فى طعامهم أعمى ولا مريض فقال بعضهم انما كان بهم التقذر والتقزز وقال بعضهم المريض لا يستوفى الطعام كما يستوفى الصحيح والاعرج

يروى أن جهنم تزفر زفرة لا يبقى أحد الا ترعد فرائصه حتى ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم يجثو على ركبتيه ويقول نفسى نفسى وحين وصف حال الكفار اذا كانوا بالبعد من جهنم وصف حالهم عند ما يلقون فيها عن ابن عباس أنه يضيق عليهم المكان كما يضيق الزج على الرمح وسئل النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال والذى نفسى بيده انهم يستكرهون فى النار كما يستكره الوتد فى الحائط قال الكلبى الأسفلون يرفعهم اللهب والاعلون يخفضهم الداخلون فيزدحمون فى تلك الابواب الضيقة وقال جار الله الكرب مع الضيق كما أن الروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بأن عرضها السموات والأرض وجاء فى الاحاديث ان لكل مؤمن من القصور والجنان كذا وكذا وقال الصوفية المكان الضيق قلب الكافر فى صدره كقوله يجعل صدره ضيقا حرجا ثم ان أهل جهنم مع ما هم فيه يكونون مقرنين فى السلاسل والاصفاد وقد مر فى آخر سورة ابراهيم والثبور الهلاك ودعاؤه النداء بواثبوراه أى يقال يا ثبور فهذا أوانك وههنا اضمار أى يقال لهم (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا) اذ هم أحقاء بأن يقال لهم ذلك وان لم يكن ثمة قول ومعنى (وادعوا ثبورا كثيرا) أنكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما الأن العذاب أنواع والوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته أو لأنهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم أو لانهم يجدون بسبب ذلك القول خفة فان المعذب اذا صاح وبكى وجد بسببه راحة قال الكلبى نزل هذا كله فى أبى جهل والكفار الذين ذكروا تلك الشبهات ثم وبخهم بقوله (قل أذلك خير أم جنة الخلد التى وعد المتقون) أى وعدوها فحذف الرابط للعلم به وليس هذا الاستفهام كقول القائل الكر

المحبس لا يستطيع المزاحمة على الطعام والاعمى لا يبصر طيب الطعام فأنزل الله ليس عليكم حرج في مؤاكلة المريض والاعمى والاعرج فعنى الكلام على تأويل هؤلاء ليس عليكم أيها الناس في الاعمى حرج أن تأكلوا منه ومعه ولا في الاعرج حرج ولا في المريض حرج ولا في أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم فوجهوا معنى على في هذا الموضع الى معنى في * وقال آخرون بل نزلت هذه الآية ترخيصا لاهل الزمانة في الاكل من بيوت من سمى الله في هذه الآية لان قوما كانوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لم يكن عندهم في بيوتهم ما يطعمونهم ذهبوا بهم الى بيوت آبائهم وأمهاتهم أو بعض من سمى الله في هذه الآية فكان أهل الزمانة يتقذرون من أن يطعموا ذلك الطعام لانه أطعمهم غير ملكه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لا جناح عليكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم قال كان رجال زمنى قال ابن عمرو في حديثه عميان وعرجان وقال الحرث عمى عرج أو لوجاحة يستتبعهم رجال الى بيوتهم فان لم يجدوا طعاما ذهبوا بهم الى بيوت آبائهم ومن عدد منهم من البيوت فكره ذلك المستتبعون فأنزل الله في ذلك ليس عليكم جناح وأحل لهم الطعام حيث وجدوه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال كان الرجل يذهب بالاعمى والمريض والاعرج الى بيت أبيه أو الى بيت أخيه أو عمه أو خاله أو خالته فكان الزمنى يتحرجون من ذلك يقولون انما يذهبون بنا الى بيوت غيرهم فنزلت هذه الآية ترخصة لهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحو حديث ابن عمرو عن أبي عاصم * وقال آخرون بل نزلت ترخيصا لأهل الزمانة الذين وصفهم الله في هذه الآية أن يأكلوا من بيوت من خلفهم في بيوته من الغزاة ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر قال قلت للزهري في قوله ليس على الأعمى حرج ما بال الأعمى ذكر ههنا والاعرج والمريض فقال أخبرني عبيد الله بن عبد الله أن المسلمين كانوا اذا غزوا خلفوا زمناهم وكانوا يدفعون اليهم مفاتيح أبوابهم يقولون قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا وكانوا يتحرجون من ذلك يقولون لا ندخلها وهم غيب فأنزلت هذه الآية ترخصة لهم * وقال آخرون بل عنى بقوله ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج في التخلف عن الجهاد في سبيل الله قالوا وقوله ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم كلام منقطع مما قبله ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج قال هذا في الجهاد في سبيل الله وفي قوله ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم الى قوله أو صديقكم قال هذا شيء قد انقطع انما كان هذا في الاول لم يكن لهم أبواب وكانت الستور مرخاة فربما دخل الرجل البيت وليس فيه أحد فربما وجد الطعام وهو جائع فسوغه الله أن يأكله قال وقد ذهب ذلك اليوم البيوت اليوم فيها أهلها واذا خرجوا أغلقوها فقد ذهب ذلك * وقال آخرون بل نزلت هذه الآية ترخيصا للمسلمين الذين كانوا يتقون مؤاكلة أهل الزمانة في مؤاكلتهم اذا شاؤا ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن مقسم في قوله ليس على الأعمى حرج قال كانوا يتقون أن يأكلوا مع الأعمى والأعرج فنزلت ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا واختلفوا أيضا في معنى قوله أو ما ملكتم مفاتحه فقال بعضهم عنى بذلك وكيل الرجل وفيه أنه لا بأس عليه أن يأكل من ثمر ضيعته

أحلى أم الصبر ولكن الغرض منه التقريع كما اذا أعطى السيد عبده مالا فتمرد وأبى واستكبر فضربه ضربا وجيعا ويقول على سبيل التوبيخ هذا أطيب أم ذاك والاضافة في جنة الخلد للتوضيح والتأكيد للتمييز فان الجنة معلوم أن نعيمها لا ينقطع قالت الأشاعرة في قوله (وعد) دلالة على أن الجنة انما تستحق بحسب الوعد والفضل لا لأجل العمل وقالت المعتزلة في قوله (المتقون) اشارة الى أن الجنة لا تنال الا بالتقوى ولذلك أكد بقوله على سبيل التخصيص بسبب تقديم الجار (كانت لهم جزاء ومصيرا) أجابت الأشاعرة بأن كونه

ونحو ذلك ذكر من قال ذلك حدثني على قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس في قوله أو ما ملكتم مفاتحه وهو الرجل يوكل الرجل بضيعته فرخص الله له أن يأكل من ذلك الطعام والتمر و يشرب اللبن * وقال آخرون بل عنى بذلك منزل الرجل نفسه أنه لا بأس عليه أن يأكل ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله أو ما ملكتم مفاتحه يعنى بيت أحدهم فانه يملكه والعبيد منهم مما ملكوا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله أو ما ملكتم مفاتحه مما تحبون يا ابن آدم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال أو ما ملكتم مفاتحه قال خزائن لأنفسهم ليست لغيرهم * وأشبه الأقوال التي ذكرنا في تأويل قوله ليس على الأعمى حرج الى قوله أو صديقكم القول الذي ذكرنا عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله وذلك أن أظهر معاني قوله ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج أنه لا حرج على هؤلاء الذين سموا في هذه الآية أن يأكلوا من بيوت من ذكر الله فيها على ما أباح لهم من الأكل منها فاذ كان ذلك أظهر معانيه فتوجيهه معناه الى الأغلب الأعرف من معانيه أولى من توجيهه الى الأنكر منها فاذ كان ذلك كذلك كان ما خالف من التأويل قول من قال معناه ليس في الأعمى والأعرج حرج أولى بالصواب وكذلك أيضا الأغلب من تأويل قوله ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أنه بعني ولا عليكم أيها الناس ثم جمع هؤلاء الزمنى الذين ذكرهم قبل في الخطاب فقال أن تأكلوا من بيوت أنفسكم وكذلك تفعل العرب اذا جمعت بين خبر الغائب والمخاطب غلبت المخاطب فقالت أنت وأخوك فعلتما وأنت وزيد جلستما ولا تقول أنت وأخوك جلسا وكذلك قوله ولا على أنفسكم والخبر عن الأعمى والأعرج والمريض غلب المخاطب فقال أن تأكلوا ولم يقل أن يأكلوا فان قال قائل فهذا الأكل من بيوتهم قد علمناه كان لهم حلالا اذ كان ملكا لهم أو كان أيضا حلالا لهم الأكل من مال غيرهم قيل له ليس الأمر في ذلك على ما توهمت ولكنه كما ذكرنا عن عبيد الله بن عبد الله أنهم كانوا اذا غابوا في مغازيهم وتخلف أهل الزمانة منهم دفع الغازي مفتاح مسكنه الى المتخلف منهم فأطلق له في الأكل مما يخلف في منزله من الطعام فكان المتخلفون يتحرجون الأكل من ذلك وربه غائب فأعلمهم الله أنه لا حرج عليه في الأكل منه وأذن لهم في أكله فاذ كان ذلك كذلك تبين أن لا معنى لقول من قال انما أنزلت هذه الآية من أجل كراهة المتنزه أكل طعام غير المتنزه لان ذلك لو كان كما قال من قال ذلك لقيل ليس عليكم حرج أن تأكلوا من طعام غيركم من أضافكم أو من طعام آبائكم من دعاكم ولم يقل أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم وكذلك لا وجه لقول من قال معنى ذلك ليس على الأعمى حرج في التخلف عن الجهاد في سبيل الله لأن قوله أن تأكلوا خبر ليس وأن في موضع نصب على أنها خبر لها فهي متعلقة بليس فمعلوم بذلك أن معنى الكلام ليس على الأعمى حرج أن يأكل من بيته لا ما قاله الذين ذكرنا من أنه لا حرج عليه في التخلف عن الجهاد فاذ كان الامر في ذلك على ما وصفنا تبين أن معنى الكلام لا ضيق على الأعمى ولا على الأعرج ولا على المريض ولا عليكم أيها الناس أن تأكلوا من بيوت أنفسكم أو من بيوت آبائكم أو من بيوت أمهاتكم أو من بيوت اخوانكم أو من بيوت أخواتكم أو من بيوت أعمامكم أو من بيوت عماتكم أو من بيوت أخوالكم أو من بيوت خالاتكم أو من البيوت التي ملكتم مفاتحها أو من بيوت صديقكم اذا أذنوا لكم في ذلك عند مغيبهم ومشهدهم والمفاتح الخزائن واحدها مفتح اذا أريد به المصدر واذا كان من المفاتيح التي يفتح بها فهي مفتح ومفاتح وهي ههنا

جزاء ثبت في الأزل ولا عمل هناك قالت المعتزلة لا غفران لصاحب الكبيرة لأن الجنة جاءت جزاء للمتقين خاصة فلا يعطى حقهم غيرهم أجابت الأشاعرة بأنه لا يجوز أن يرضى المتقون بادخال الله أهل العفو الجنة قال جار الله ذكر المصير مع ذكر الجزاء مدحا للثواب ومكانه كقوله نعم الثواب وحسنت مرتفقا وفي قوله (لهم فيها ما يشاؤن) دلالة على أن حصول المرادات بأسرها لا تكون الا في الجنة وأما في الدنيا فالراحات فيها مخلوطة بالجراحات والضمير في (كان) لما يشاؤن واستدلت المعتزلة بقوله (على ربك) أن ذلك

على التأويل الذى اخترناه جمع مفتح الذى يفتح به وكان قتادة يتأول فى قوله أو صديقكم ما حدثنا به الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة أو صديقكم فلو أكلت من بيت صديقك من غير أمره لم يكن بذلك بأس قال معمر قلت لقتادة أولا أشرب من هذا الحب قال أنت لى صديق وأما قوله ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم كان الغنى من الناس يتحوف أن يأكل مع الفقير فرخص لهم فى الاكل معهم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا قال كان الغنى يدخل على الفقير من ذوى قرابته وصديقه فيدعوه الى طعامه ليأكل معه فيقول والله انى لأجنح أن آكل معك والجنح الحرج وأنا غنى وأنت فقير فأمروا أن يأكلوا جميعا أو أشتاتا * وقال آخرون بل عنى بذلك حى من أحياء العرب كانوا لا يأكل أحدهم وحده ولا يأكل الا مع غيره فأذن الله لهم أن يأكل من شاء منهم وحده ومن شاء منهم مع غيره ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال كانوا يأنفون ويتحرجون أن يأكل الرجل الطعام وحده حتى يكون معه غيره فرخص الله لهم فقال ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال كانت بنو كنانة يتحى الرجل منهم أن يأكل وحده حتى نزلت هذه الآية حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول كانوا لا يأكلون الا جميعا ولا يأكلون متفرقين وكان ذلك فيهم دينا فأنزل الله ليس عليكم حرج فى مؤاكلة المريض والأعمى وليس عليكم حرج أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا قال كان من العرب من لا يأكل أبدا جميعا ومنهم من لا يأكل الا جميعا فقال الله ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال نزلت ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فى حى من العرب كان الرجل منهم لا يأكل طعامه وحده كان يحمله بعض يوم حتى يجد من يأكله معه قال وأحسب أنه ذكر أنهم من كنانة * وقال آخرون بل عنى بذلك قوم كانوا لا يأكلون اذا نزل بهم ضيف الا مع ضيفهم فرخص لهم فى أن يأكلوا كيف شاؤا ذكر من قال ذلك حدثنى أبو السائب قال ثنا حفص عن عمران بن سليمن عن أبى صالح وعكرمة قالا كانت الانصار اذا نزل بهم الضيف لا يأكلون حتى يأكل الضيف معهم فرخص لهم قال الله لا جناح عليكم أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله وضع الحرج عن المسلمين أن يأكلوا جميعا معا اذا شاؤا أو أشتاتا متفرقين اذا أرادوا وجائز أن يكون ذلك نزل بسبب من كان يتحوف من الاغنياء الاكل مع الفقير وجائز أن يكون نزل بسبب القوم الذين ذكر أنهم كانوا لا يطعمون وحدانا وبسبب غير ذلك ولا خبر بشئ من ذلك يقطع العذر ولا دلالة فى ظاهر التنزيل على حقيقة شئ منه والصواب التسليم لما دل عليه ظاهر التنزيل والتوقف فيما لم يكن على صحته دليل وقوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله اختلف أهل التأويل فى ذلك فقال بعضهم معناه فاذا دخلتم أيها الناس بيوت أنفسكم فسلموا على أهليكم وعيالكم ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى وقتادة فى قوله فسلموا على أنفسكم قالا اذا دخلت بيتك اذا دخلته فقل سلام علينا حدثنا

واجب على الله حتى انه لو لم يفعل استحق الذم وأجيب بأنه واجب بحكم الوعد لقوله (وعدا مسؤلا) كأن المكلفين سألوا بلسان الحال من حيث تحملوا المشقة الشديدة فى طاعته أو سألوه حقيقة بقولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك أو سألته الملائكة فى قولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم أو من حقه أن يسئل ويطلب لانه حق واجب بحكم الاستحقاق أو بحسب الموعد على المؤمنين قوله (ويوم نحشرهم) رجوع الى قوله واتخذوا من دونه آلهة وظاهر قوله (وما يعبدون) أنها الأصنام وظاهر قوله (أأنتم

القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال سلم على أهلك قال ابن جريج وسئل عطاء بن أبى رباح أحق على الرجل اذا دخل على أهله أن يسلم عليهم قال نعم وقالها عمرو بن دينار وتلوا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة قال عطاء بن أبى رباح ذلك غير مرة * قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى أبو الزبير قال سمعت جابر بن عبد الله يقول اذا دخلت على أهلك فسلم عليهم تحية من عند الله مباركة طيبة قال ما رأيته الا يوجبه قال ابن جريج وأخبرنى زياد عن ابن طاوس أنه كان يقول اذا دخل أحدكم بيته فليسلم * قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء اذا خرجت أواجب السلام هل أسلم عليهم فانما قال اذا دخلتم بيوتا فسلموا قال ما أعلمه واجبا ولا آثر عن أحد وجوبه ولكن أحب الى وما أدعه الا ناسيا قال ابن جريج وقال عمرو بن دينار لا قال قلت لعطاء فان لم يكن فى البيت أحد قال سلم قل السلام على النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله قلت له قولك هذا اذا دخلت بيتا ليس فيه أحد عن تأثره قال سمعته ولم يؤثر لى عن أحد قال ابن جريج وأخبرنى عطاء الخراسانى عن ابن عباس قال السلام علينا من ربنا وقال عمرو بن دينار السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين **حدثنا** أحمد بن عبد الرحيم قال ثنا عمرو بن أبى سلمة قال ثنا صدقة عن زهير عن ابن جريج عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله قال اذا دخلت على أهلك فسلم عليهم تحية من عند الله مباركة طيبة قال ما رأيته الا يوجبه **حدثنا** محمد بن عباد الرازى قال ثنا حجاج بن محمد الاعور قال قال لى ابن جريج أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول فذكر مثله **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله واذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم يقول سلموا على أهاليكم اذا دخلتم بيوتكم وعلى غير أهاليكم فسلموا اذا دخلتم بيوتهم * وقال آخرون بل معناه فاذا دخلتم المساجد فسلموا على أهلها ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عبد الله بن المبارك عن معمر عن عمرو بن دينار عن ابن عباس اذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال هى المساجد يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم فى قوله اذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال اذا دخلت المسجد فقل السلام على رسول الله واذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين واذا دخلت بيتك فقل السلام عليكم * وقال آخرون بل معنى ذلك اذا دخلتم بيوتا من بيوت المسلمين فيها ناس منكم فليسلم بعضكم على بعض ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله فسلموا على أنفسكم أى ليسلم بعضكم على بعض كقوله ولا تقتلوا أنفسكم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال اذا دخل المسلم سلم عليه كمثل قوله لا تقتلوا أنفسكم انما هو لا تقتل أخاك المسلم وقوله ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم قال يقتل بعضكم بعضا فريقة والنضير * وقال آخرون معناه فاذا دخلتم بيوتا ليس فيها أحد فسلموا على أنفسكم ذكر من قال ذلك **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبى مالك قال اذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين واذا دخلت بيتا فيه ناس من المسلمين وغير المسلمين فقل مثل ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى سنان عن ماهان قال اذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال تقول السلام علينا من ربنا **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال

أخبرنا

أضلتم) أنه من عبد من العقلاء كالملائكة والمسيح فلأجل هذا اختلفوا فجعله قوم ومنهم الكلبى على الأوثان ثم قالوا لا يبعد أن يخلق الله تعالى فيها الحياة والنور والنطق أو أراد أنهم تكلموا بلسان الحال وقال الأكثرون انه عام للأصنام وللمعبودين العقلاء نظيره قوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ثم قالوا ان لفظة ما قد تستعمل فى العقلاء أو أريد به الوصف كأنه قيل ومعبوديهم كما اذا أردت السؤال عن صفة زيد فتقول ما زيد تريد أطويل أم قصير والسائل الله وحده أو الملائكة

أخبرنا شعبة عن منصور قال شعبة وسألته عن هذه الآية فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله قال قال ابراهيم اذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عمرو بن الحرث عن بكير بن الأشج عن نافع أن عبد الله كان اذا دخل بيتا ليس فيه أحد قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير قال ثنا منصور عن ابراهيم فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال اذا دخلت بيتا فيه يهود فقل السلام عليكم وان لم يكن فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال معناه فاذا دخلتم بيوتا من بيوت المسلمين فليسلم بعضكم على بعض وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لان الله جل ثناؤه قال فاذا دخلتم بيوتا ولم يخصص من ذلك بيتا دون بيت وقال فسلموا على أنفسكم يعني بعضكم على بعض فكان معلوما أذ لم يخصص ذلك على بعض البيوت دون بعض أنه معني به جميعها مساجدها وغير مساجدها ومعنى قوله فسلموا على أنفسكم نظير قوله ولا تقتلوا أنفسكم وقوله تحية من عند الله ونصب تحية بمعنى تحيون أنفسكم تحية من عند الله السلام تحية فكأنه قال فليحي بعضكم بعضا تحية من عند الله وقد كان بعض أهل العربية يقول انما نصبت بمعنى أمركم بها تفعلونها تحية منه ووصف جل ثناؤه هذه التحية بالمباركة الطيبة لما فيها من الاجر الجزيل والثواب العظيم وقوله كذلك يبين الله لكم الآيات يقول تعالى ذكره هكذا يفصل الله لكم معالم دينكم فيبينها لكم كما فصل لكم في هذه الآية ما أحل لكم فيها وعرفكم سبيل الدخول على من تدخلون عليه لعلكم تعقلون يقول لكي تفقهوا عن الله أمره ونهيه وأدبه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم ﴾ يقول تعالى ذكره ما المؤمنون حق الايمان الا الذين صدقوا الله ورسوله واذا كانوا معه يقول واذا كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر جامع يقول على أمر يجمع جميعهم من حرب حضرت أو صلاة اجتمع لها أو تشاور في أمر نزل لم يذهبوا يقول لم ينصرفوا عما اجتمعوا له من الامر حتى يستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه يقول اذا كان أمر طاعة لله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله واذا كانوا معه على أمر جامع قال أمر من طاعة الله عام حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن بكر قال أخبرنا ابن جريج قال سأل مكحولا الشامي انسان وأنا أسمع ومكحول جالس مع عطاء عن قول الله في هذه الآية واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه فقال مكحول في يوم الجمعة وفي زحف وفي كل أمر جامع قد أمر أن لا يذهب أحد في يوم جمعة حتى يستأذن الامام وكذلك في كل جامع ألا ترى أنه يقول واذا كانوا معه على أمر جامع حدثني يعقوب قال ثني ابن علية قال أخبرنا هشام بن حسان عن الحسن قال كان الرجل اذا كانت له حاجة والامام يخطب قام فأمسك بأنفه فأشار اليه الامام أن يخرج قال فكان رجل قد أراد الرجوع الى أهله فقام الى هرم بن حيان وهو يخطب فأخذ بأنفه فأشار اليه هرم أن يذهب فخرج الى أهله فأقام فيهم ثم قدم قال له هرم أين كنت قال في

باذنه وانما قال أأنتم وهم ولم يقل أأضللتم عبادي هؤلاء أم ضلوا السبيل لان السؤال وقع عمن تولى فعل الاضلال لا عن نفس الاضلال وفائدة هذا السؤال من علام الغيوب أن يجيب المعبودون بما أجابوا به حتى يحصل لعبدتهم الالزام والتوبيخ كما قال لعيسى أأنت قلت للناس وكان القياس أن يقال ضلوا عن السبيل الا أنهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والأصل هداه الى الطريق أو للطريق (قالوا سبحانك) تعجبا مما قيل لهم لانهم ملائكة وأنبياء معصومون فما أبعدهم عن الاضلال الذي هو مختص بابليس

أهلى قال أباذن ذهبت قال نعم قمت الليل وأنت تخطب فأخذت بأذني فأشرت الى أن اذهب فذهبت فقال أفاتخذت هذا غلاما وكلمة نحوها ثم قال اللهم أخزر جال السوء الى زمان السوء حدثني الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري في قوله واذا كانوا معه على أمر جامع قال هو الجمعة اذا كانوا معه لم يذهبوا حتى يستأذنوه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه قال الامر الجامع حين يكونون معه في جماعة الحرب أو جمعة قال والجمعة من الامر الجامع لا ينبغي لأحد أن يخرج اذا قعد الامام على المنبر يوم الجمعة الا باذن سلطان اذا كان حيث يراه أو يقدر عليه ولا يخرج الا باذن واذا كان حيث لا يراه ولا يقدر عليه ولا يصل اليه فانه أولى بالعذر وقوله ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله يقول تعالى ذكره ما الذين لا ينصرفون يا محمد اذا كانوا معك في أمر جامع عندك الا باذنك لهم طاعة منهم لله ولك وتصديقا بما أتيتهم به من عندي أولئك الذين يصدقون الله ورسوله حقا لا من يخالف أمر الله وأمر رسوله فينصرف عنك بغير اذن منك له بعد تقدمك اليه أن لا ينصرف عنك الا باذنك وقوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم يقول تعالى ذكره فاذا استأذنك يا محمد الذين لا يذهبون عنك الا باذنك في هذه المواطن لبعض شأنهم يعني لبعض حاجاتهم التي تعرض لهم فأذن لمن شئت منهم في الانصراف عنك لقضائها واستغفر لهم يقول وادع الله لهم بأن يتفضل عليهم بالعفو عن تبعات ما بينه وبينهم ان الله غفور لذنوب عباده التائبين رحيم بهم أن يعاقبهم عليها بعد توبتهم منها ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم يقول تعالى ذكره لأصحاب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا أيها المؤمنون دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا واختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم نهى الله بهذه الآية المؤمنين أن يتعرضوا لدعاء الرسول عليهم وقال لهم اتقوا دعاءه عليكم بأن تفعلوا ما يسخطه فيدعو ذلك عليكم فتهلكوا فلا تجعلوا دعاءه كدعاء غيره من الناس فان دعاءه موجبة ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا دعوة الرسول عليكم موجبة فاحذروها * وقال آخرون بل ذلك نهي من الله أن يدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلظ وجفاء وأمرهم أن يدعوه بلين وتواضع ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كدعاء بعضكم بعضا قال أمرهم أن يدعوا يا رسول الله في لين وتواضع ولا يقولوا يا محمد في تجهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قال أمرهم أن يدعوه يا رسول الله في لين وتواضع حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قال أمرهم أن يفخموه ويشرفوه * وأولى التأويلين في ذلك بالصواب عندي التأويل الذي قاله ابن عباس وذلك أن الذي قبل قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا نهي من الله المؤمنين أن يأتوا من الانصراف عنه في الامر الذي يجمع جميعهم ما يكرهه والذي بعده وعيد للمنصرفين عنه بغير اذنه فالذي بينهما بأن يكون تحذيرا لهم سخطه أن يضطره الى الدعاء عليهم أشبه

وحزبه وأنطقوا بسبحانك ليدلوا على أنهم المسبحون المقدسون المنزهون من ذلك فكيف يليق بحالهم أن يضلوا عباده أو قصدوا به تنزيههم عن الأنداد وأن يكون له ملك أو نبي أو غيرهما نداً أو قصدوا تنزيههم من أن يكون مقصوده من هذا السؤال استفادة علم أو ايذاء من كان بريئا من الجرم بل انما سألهم تقريعا للكفار وتوبيخا لهم من قرأ (أن نتخذ) بفتح النون فظاهر وهو متعد الى واحد والأصل أن نتخذ أولياء من دونك فزيدت من لتأكيد معنى النفي ومن قرأ بضم النون فهو متعد الى اثنين الاول ضمير نحشر والثاني من أولياء

من أن يكون أمرالهم عالم بحراه ذكر من تعظيمه وتوقيره بالقول والدعاء وقوله قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا يقول تعالى ذكره قد علم أيها المنصرفون عن نبيكم بغير اذنه تسترا وخفية منه وان خفي أمر من يفعل ذلك منكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله يعلم ذلك ولا يخفى عليه فليتق من يفعل ذلك منكم الذين يخالفون أمر الله في الانصراف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا باذنه أن تصيبهم فتنة من الله أو يصيبهم عذاب أليم فيطبع على قلوبهم فيكفروا بالله وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو بن قيس عن جويبر عن الضحاك في قول الله قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا قال كانوا يستتر بعضهم ببعض فيقومون فقال فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة قال يطبع على قلبه فلا يأمن أن يظهر الكفر بلسانه فتضرب عنقه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا قال خلافا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا قال هؤلاء المنافقون الذين يرجعون بغير اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللواذ يلوذ عنه ويروغ ويذهب بغير اذن النبي صلى الله عليه وسلم فليحذر الذين يخالفون عن أمره الذين يصنعون هذا أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم الفتنة ههنا الكفر واللواذ مصدر لاوذت يفلان ملاوذة ولواذا وذلك ظهرت الواو ولو كان مصدر اللذت لقيل لياذا كما يقال قمت قياما واذا قيل قاوم تك قيل قواما طويلا واللواذ هو أن يلوذ القوم بعضهم ببعض يستتر هذا بهذا وهذا بهذا كما قال الضحاك وقوله أو يصيبهم عذاب أليم يقول أو يصيبهم في عاجل الدنيا عذاب من الله موجع على صنيعهم ذلك وخلافهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله فليحذر الذين يخالفون عن أمره وأدخلت عن لأن معنى الكلام فليحذر الذين يلوذون عن أمره ويدرون عنه معرضين ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ألا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شئ عليم ﴾ يقول تعالى ذكره ألا ان لله ملك جميع السموات والارض يقول فلا ينبغي لمملوك أن يخالف أمر مالكه فيعصيه فيستوجب بذلك عقوبته يقول فكذلك أنتم أيها الناس لا يصلح لكم خلاف ربكم الذي هو مالككم فأطيعوه وأتمروا لامره ولا تنصرفوا عن رسوله اذا كنتم معه على أمر جامع الا باذنه وقوله قد يعلم ما أنتم عليه من طاعتكم اياه فيما أمركم ونهاكم من ذلك كما حدثني أيضا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قد يعلم ما أنتم عليه صنيعكم هذا أيضا ويوم يرجعون اليه يقول ويوم يرجع الى الله الذين يخالفون عن أمره فينبئهم بقول فيخبرهم حينئذ بما عملوا في الدنيا ثم يجازيهم على ما أسلفوا فيها من خلافهم على ربهم والله بكل شئ عليم يقول والله ذو علم بكل شئ عملتموه أنتم وهم وغيركم وغير ذلك من الامور لا يخفى عليه شئ بل هو محيط بذلك كله وهو موف كل عامل منكم أجر عمله يوم ترجعون اليه

﴿ آخر تفسير سورة النور ﴾

﴿ تفسير سورة الفرقان ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ القول في تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾ قال أبو جعفر تبارك تفاعل من البركة كما حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن

ولا تكون من زائدة لانها لا تزاد في المفعول الثاني تقول ما اتخذت من أحد وليا ولا تقول ما اتخذت أحدا من ولي فمن للتبعيض أي لا تتخذ بعض أولياء وتنكير أولياء من حيث انهم أولياء مخصوصون وهم الجن والأصنام والمعنى انا لا نصلح لذلك فكيف ندعوهم الى عبادتنا وفي تفسير الآية على القراءة الأولى وجوه الأول أن المعنى اذا كنا لا نرى أن نتخذ من دونك وليا فكيف ندعو غيرنا الى ذلك الثاني ما كان ينبغي لنا أن نكون أمثال الشياطين في تولهم الكفار كما تولاهم الكفار قال تعالى فقاتلوا أولياء الشيطان يريد الكفرة

سعيد قال ثنا بشر بن عمارة قال ثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال تبارك تفاعل من البركة وهو كقول القائل تقدس ربنا فقوله تبارك الذي نزل الفرقان يقول تبارك الذي نزل الفصل بين الحق والباطل فصلا بعد فصل وسورة بعد سورة على عبده محمد صلى الله عليه وسلم ليكون محمد لجميع الجن والانس الذين بعثه الله اليهم داعيا اليه نذيرا ينذرهم عقابه ويخوفهم عذابه ان لم يوحدوه ولم يخلصوا له العبادة ويخلعوا كل ما دونه من الآلهة والأوثان وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا قال النبي النذير وقرأ وان من أمة الا خلا فيها نذير وقرأ وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون قال رسل قال المنذرون الرسل قال وكان نذيرا واحدا بلغ ما بين المشرق والمغرب ذو القرنين ثم بلغ السدين وكان نذيرا ولم أسمع أحدا يحق أنه كان نبيا وأوحى الي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ قال من بلغه القرآن من الخلق فرسول الله نذيره وقرأ يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وقال لم يرسل الله رسولا الى الناس عامة الا نوحا وبعث به الخلق فكان رسول أهل الأرض كلهم ومحمد صلى الله عليه وسلم ختم به ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا﴾ يقول تعالى ذكره تبارك الذي نزل الفرقان الذي له ملك السموات والأرض فالذي الثانية من نعت الذي الأولى وهما جميعا في موضع رفع الأولى بقوله تبارك والثانية نعت لها ويعني بقوله الذي له ملك السموات والأرض الذي له سلطان السموات والأرض ينفذ في جميعها أمره وقضاءه ويمضي في كلها أحكامه يقول فحق على من كان كذلك أن يطيعه أهل مملكته ومن في سلطانه ولا يعصوه يقول فلا تعصوا نذيري اليكم أيها الناس واتبعوه واعملوا بما جاءكم به من الحق ولم يتخذ ولدا يقول تكذيبا لمن أضاف اليه الولد وقال الملائكة بنات الله ما اتخذ الذي نزل الفرقان على عبده ولدا فمن أضاف اليه ولدا فقد كذب واقترى على ربه ولم يكن له شريك في الملك يقول تكذيبا لمن كان يضيف الالوهة الى الاصنام ويعبدها من دون الله من مشركي العرب ويقول في تلبيته لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك كذب قائلو هذا القول ما كان لله من شريك في ملكه وسلطانه فيصلح أن يعبد من دونه يقول تعالى ذكره فانيروا أيها الناس لربكم الذي نزل الفرقان على عبده محمد نبيه صلى الله عليه وسلم الألوهة وأخلصوا له العبادة دون كل ما تعبدونه من دونه من الآلهة والأصنام والملائكة والجن والانس فان كل ذلك خلقه وفي ملكه فلا تصلح العبادة الا لله الذي هو مالك جميع ذلك وقوله وخلق كل شيء يقول تعالى ذكره وخلق الذي نزل على محمد الفرقان كل شيء فالأشياء كلها خلقه وملكه وعلى الملائكة طاعة مالكهم وخدمة سيدهم دون غيره يقول وأنا خالقكم ومالككم فأخلصوا لي العبادة دون غيري وقوله فقدره تقديرا يقول فسوى كل ما خلق وهيأ لما يصلح له فلا خلل فيه ولا تفاوت ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا﴾ يقول تعالى ذكره مقرعا مشركي العرب بعبادتهم ما دونه من الآلهة ومعجبا أولي النهى منهم ومنبههم على موضع خطأ فعلهم وذاهبهم عن منهج الحق وركوبهم من سبل الضلالة ما لا يركبه الا كل مدخول الرأي مسلوب العقل واتخذ هؤلاء المشركون بالله من دون الذي له ملك السموات والأرض وحده من غير شريك الذي خلق كل شيء فقدره آلهة يعني أصناما بأيديهم يعبدونها لا تخلق شيئا وهي تخلق ولا تملك لأنفسها نفعا تجر اليها ولا ضرا تدفعه عنها فمن أرادها بضر ولا تملك امانة حي ولا احياء ميت ولا نشره من

عن أبي مسلم الثالث تقدير مضاف محذوف أي ما كان لنا أن نتخذ من دون رضاك من أولياء أي لما علمنا أنك لا ترضى بهذا ما فعلنا أو قالت الملائكة انا وهم عبيد ولا ينبغي لعبيدك أن يدعوا من دون اذنك ولينا الرابع قالت الاصنام لا يصح منا أن نكون من العابدين فكيف يمكننا ادعاء أنا من المعبودين وفي الآية دلالة على أنه لا تجوز الولاية والعداوة الا باذن الله والولاية المبنية على ميل النفس وشهوة الطبع مذمومة شرعا و (الذكر) ذكر الله والايمان به أو القرآن والشرائع أو ما فيه حسن ذكرهم في الدنيا والآخرة قالت

بعد مماته وتركوا عبادة خالق كل شئ وخالق آلهتهم ومالك الضر والنفع والذى بيده الموت والحياة والنشور والنشور مصدر نشر الميت نشورا وهو أن يبعث ويحيا بعد الموت ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلما وزورا﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء الكافرون بالله الذين اتخذوا من دونه آلهة ما هذا القرآن الذى جاءنا به محمد الا افك يعنى الا كذب وبهتان افتراه اختلقه وتخرصه بقوله وأعانه عليه قوم آخرون ذكر أنهم كانوا يقولون انما يعلم محمدا هذا الذى يجيئنا به اليهود فذلك قوله وأعانه عليه قوم آخرون يقول وأعان محمدا على هذا الافك الذى افتراه يهود ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وأعانه عليه قوم آخرون قال يهود حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله فقد جاؤا ظلما وزورا يقول تعالى ذكره فقد أتى قائلو هذه المقالة يعنى الذين قالوا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ظلما يعنى بالظلم نسبتهم كلام الله وتنزيله الى أنه إفك افتراه محمد صلى الله عليه وسلم وقد بينا فيما مضى أن معنى الظلم وضع الشئ فى غير موضعه فكأن ظلم قائلى هذه المقالة القرآن بقيلهم هذا وصفهم اياه بغير صفته والزور أصله تحسين الباطل فتأويل الكلام فقد أتى هؤلاء القوم فى قيلهم ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون كذبا محضا * وبنحو الذى قلنا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وحدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فقد جاؤا ظلما وزورا قال كذبا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض انه كان غفورا رحيما﴾ ذكر أن هذه الآية نزلت فى النضر بن الحرث وأنه المعنى بقوله وقالوا أساطير الاولين ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنا شيخ من أهل مصر قدم منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس قال كان النضر بن الحرث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى من شياطين قريش وكان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصب له العداوة وكان قد قدم الحيرة تعلم بها أحاديث ملوك فارس وأحاديث رستم واسفنديار فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس مجلسا ذكر بالله وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الامم من نقمة الله خلفه فى مجلسه اذا قام ثم يقول أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه فهلموا فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار ثم يقول ما محمد أحسن حديثا منى قال فأنزل الله تبارك وتعالى فى النضر ثمانى آيات من القرآن قوله واذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين وكل ماذكر فيه الأساطير فى القرآن حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس نحوه الا أنه جعل قوله فأنزل الله فى النضر ثمانى آيات عن ابن اسحق عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أساطير الاولين أشعارهم وكهانتهم وقالها النضر بن الحرث فتأويل الكلام وقال هؤلاء المشركون بالله الذين قالوا لهذا القرآن ان هذا الا افك افتراه محمد صلى الله عليه وسلم هذا الذى جاءنا به محمد أساطير الاولين يعنون أحاديثهم التى كانوا يسطرونها

المعتزلة فى قوله ولكن متعتهم الخ دليل بين على أن الله عز وجل لا يضل عباده على الحقيقة والا كان جواب العبيد أن يقولوا بل أنت أضللتهم لا أن يقولوا بل أنت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وعلى آبائهم تفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التى حقها أن تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر فالحاصل أنهم ضلوا بأنفسهم لا باضلالنا وقالت الأشاعرة بل فيه دلالة على أن الله تعالى هو المضل حقيقة كأنهم قالوا الهنا أنت الذى أعطيتهم جميع مطالبهم فى الدنيا حتى استغرقوا فى بحر الشهوات وأعرضوا عن التوجه الى طاعتك

فى كتبهم اكتتبها محمد صلى الله عليه وسلم من يهود فهى تملى عليه بغدوة وعشيا وقوله قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بآيات الله من مشركى قومك ما الأمر كما تقولون من أن هذا القرآن أساطير الاولين وأن محمدا صلى الله عليه وسلم افتراه وأعانه عليه قوم آخرون بل هو الحق أنزله الرب الذى يعلم سرمن فى السموات ومن فى الارض ولا يخفى عليه شئ ويحصى ذلك على خلقه ومجازيهم عاعزمت عليه قلوبهم وأضمروه فى نفوسهم انه كان غفورا رحيما يقول انه لم يزل يصفح عن خلقه ويرحيم فيتفضل عليهم بعفوه يقول فلأن ذلك من عادته فى خلقه يمهلكم أيها القائلون ما قلتم من الافك والفاعلون ما فعلتم من الكفر وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض قال ما يسر أهل الارض وأهل السماء ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا ﴾ ذكر أن هاتين الآيتين نزلتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كان مشركو قومه قالوا له ليلة اجتماع أشرافهم بظهر الكعبة وعرضوا عليه أشياء وسألوه الآيات فكان فيما كلموه حينئذ فيما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير أو عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس أن قالوا له فان لم تفعل لنا هذا يعنى ما سألوه من تسيير جبالهم عنهم واحياء آبائهم والمجئ بالله والملائكة قبيلا وما ذكره الله فى سورة بنى اسرائيل فخذ لنفسك سل ربك يبعث معك ملكا يصدق عنا قولك ويراجعنا عنك وسله فيجعل لك قصورا وجنانا وكنوزا من ذهب وفضة تغنيك عما تراه تبتغى فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه حتى نعلم فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولا كما تزعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بفاعل فأنزل الله فى قولهم أن خذ لنفسك ما سألوه أن يأخذ لها أن يجعل له جنانا وقصورا وكنوزا أو يبعث معه ملكا يصدقه بما يقول ويرد عنه من خاصمه وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا فتأويل الكلام وقال المشركون ما لهذا الرسول يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم الذى يزعم أن الله بعثه الينا يأكل الطعام كما نأكل ويمشى فى أسواقنا كما نمشى لولا أنزل اليه يقول هلا أنزل اليه ملك ان كان صادقا من السماء فيكون معه منذرا للناس مصدقا له على ما يقول أو يلقى اليه كنز من فضة أو ذهب فلا يحتاج معه الى التصرف فى طلب المعاش أو تكون له جنة يقول أو يكون له بستان يأكل منها واختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين يأكل بالياء بمعنى يأكل منها الرسول وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين نأكل منها بالنون بمعنى نأكل من الجنة * وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأه بالياء وذلك للخبر الذى ذكرنا قبل بأن مسألة من سأل من المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسأل ربه هذه الخلال لنفسه لانهم فانما كانت مسألتهم اياه ذلك كذلك فغير جائز أن يقولوا له سل لنفسك ذلك لنأكل نحن وبعد فان فى قوله تعالى ذكره تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الأنهار دليلا بينا على أنهم انما قالوا له اطلب ذلك لنفسك لنأكل أنت منه لا نحن وقوله وقال الظالمون يقول وقال المشركون للمؤمنين بالله ورسوله ان تتبعون أيها القوم باتباعكم

والاشتغال بخدمتك فان هى الا فتنتك أما قوله (وكانوا قوما بورا) فالا كثرون على أن البور جمع بائر من البوار الهلاك كعائذ وعوذ وحائل وحول وحكى الأخفش أنه اسم جمع يقال رجل بور أى فاسد هالك لا خير فيه وامرأة بور وقوم بور كما يقال أنت بشر وأنتم بشر قالت المعتزلة صاروا الى الهلاك بسبب اختيارهم الضلال وقالت الاشاعرة أرادانهم كانوا فى اللوح المحفوظ من جملة الهالكين ولو قيل انه فعل بالكافر ما صار معه بحيث لا يمكنه ترك الكفر صح القول بالقدر أيضا قوله (فقد كذبوكم) التفات لاجل الالزام والفناء

محمدا الا رجلا به سحر ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انظر يا محمد الى هؤلاء المشركين الذين شبهوا لك الأشباه بقولهم لك هو مسحور فضلوا بذلك عن قصد السبيل وأخطؤا طريق الهدى والرشاد فلا يستطيعون بقول فلا يجدون سبيلا الى الحق الا فيما يعتلل به ومن الوجه الذى ضلوا عنه وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا أى التمسوا الهدى فى غير ما يعتلل به اليهم فضلوا فلن يستطيعوا أن يصيبوا الهدى فى غيره * وقال آخرون فى ذلك ما **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فلا يستطيعون سبيلا قال مخرجا يخرجهم من الامثال التى ضربوا لك وقوله تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار يقول تعالى ذكره تقدس الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك واختلف أهل التأويل فى المعنى بذلك التى فى قوله جعل لك خيرا من ذلك فقال بعضهم معنى ذلك خيرا مما قال هؤلاء المشركون لك يا محمد هلا أوتيته وأنت لله رسول ثم بين تعالى ذكره عن ذلك الذى لو شاء جعل له من خير مما قالوا فقال جنات تجرى من تحتها الأنهار ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك خيرا مما قالوا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك قال مما قالوا وتمنوا لك فيجعل لك مكان ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار * وقال آخرون عنى بذلك المشى فى الاسواق والتماس المعاش ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبى محمد فيما يرى الطبرى عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال ثم قال تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك من أن تمشى فى الاسواق وتلتمس المعاش كما يلتمسه الناس جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا * قال أبو جعفر والقول الذى ذكرناه عن مجاهد فى ذلك أشبه بتأويل الآية لأن المشركين انما استعظموا أن لا تكون له جنة يأكل منها وأن لا يلقى اليه كنز واستنكروا أن يمشى فى الأسواق وهو لله رسول فالذى هو أولى بوعد الله اياه أن يكون وعدا بما هو خير مما كان عند المشركين عظيما لا مما كان منكرا عندهم وعنى بقوله جنات تجرى من تحتها الانهار بساتين تجرى فى أصول أشجارها الانهار كما **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد جنات تجرى من تحتها الانهار قال حوائط وقوله ويجعل لك قصورا يعنى بالقصور البيوت المبنية ونحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ويجعل لك قصورا قال بيوتا مبنية مشيدة كان ذلك فى الدنيا قال كانت قريش ترى البيت من الحجارة قصرا كائنا ما كان **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد

فيه تدل على شرط مقدر كأنه قال ان زعمتم أنهم آلهتكم فقد كذبوكم بقولكم انهم آلهة أو بقولهم سبحانك ما كان ينبغى لنا على اختلاف قراءتى الخطاب والغيبة قال جار الله الباء فى الاول كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من كاف الخطاب كأنه قيل فقد كذبوا بما تقولون وفى الثانى كقولك كتبت بالقلم (فما تستطيعون) أنتم يا كفارا وفما يستطيع آلهتكم على القراءتين صرف العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة لانها تصرف العاصى عن فعله وقيل الحيلة من قولهم انه ليتصرف أى يحتال ثم

ويجعل لك قصورا مشيدة فى الدنيا كل هذا قالته قريش وكانت قريش ترى البيت من حجارتها
(١) كان صغيرا قصيرا حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب قال قيل للنبى
صلى الله عليه وسلم ان شئت أن نعطيك خزائن الارض ومفاتيحها ما لم يعطنى قبلك ولا يعطى من
بعدك ولا ينقص ذلك مما لك عند الله تعالى فقال اجمعوها لى فى الآخرة فأنزل الله فى ذلك تبارك الذى
ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا ﴿ القول فى
تأويل قوله تعالى ﴿ بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد
سمعوا لها تغيظا وزفيرا ﴾ يقول تعالى ذكره ما كذب هؤلاء المشركون بالله وأنكروا ما جئتهم به
يا محمد من الحق من أجل أنك تأكل الطعام وتمشى فى الأسواق ولكن من أجل أنهم لا يوقنون
بالمعاد ولا يصدقون بالثواب والعقاب تكذيبا منهم بالقيامة وبعث الله الاموات أحياء لحشر
القيامة وأعتدنا يقول وأعددنا لمن كذب ببعث الله الاموات أحياء بعد فنائهم لقيام الساعة نارا
تسعر عليهم وتتقد اذا رأتهم من مكان بعيد يقول اذا رأت هذه النار التى أعتدناها لهؤلاء المكذبين
أشخاصهم من مكان بعيد تغيظت عليهم وذلك أن تغلى وتفور يقال فلان تغيظ على فلان وذلك
اذ غضب عليه فغلى صدره من الغضب عليه وتبين فى كلامه وزفيرا وهو صوتها فان قال قائل
وكيف قيل سمعوا لها تغيظا والتغيظ لا يسمع قيل معنى ذلك سمعوا لها صوت التغيظ من اللهب
والتوقد حدثنى محمود بن خداش قال ثنا محمد بن يزيد الواسطى قال ثنا أصبغ بن زيد
الوراق عن خالد بن كثير عن فديك عن رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من يقول على ما لم أقل فليتبوأ بين عينى جهنم مقعدا قالوا يا رسول الله وهل لها
من عين قال ألم تسمعوا الى قول الله اذا رأتهم من مكان بعيد الآية حدثنا الحسن قال أخبرنا
عبد الرزاق قال أخبرنا معمر فى قوله سمعوا لها تغيظا وزفيرا قال أخبرنى منصور بن المعتمر عن
مجاهد عن عبيد بن عمير قال ان جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك ولا نبى الا خر ترعد فرائصه حتى
ان ابراهيم ليجثو على ركبتيه فيقول يا رب لا أسألك اليوم الا نفسى حدثنا أحمد بن ابراهيم
الدورقى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد عن ابن
عباس قال ان الرجل ليجر الى النار فتستزوى وينقبض بعضها الى بعض فيقول لها الرحمن مالك
فتقول انه ليستجيرمنى فيقول أرسلوا عبدى وان الرجل ليجر الى النار فيقول يا رب ما كان هذا
الظن بك فيقول فما كان ظنك فيقول أن تسعنى رحمتك قال فيقول أرسلوا عبدى وان الرجل ليجر
الى النار فتشهق اليه النار شهوق البغلة الى الشعير وتزفر زفرة لا يبقى أحد الا خاف ﴿ القول
فى تأويل قوله تعالى ﴿ واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا
واحدا وادعوا ثبورا كثيرا ﴾ يقول تعالى ذكره واذا ألقى هؤلاء المكذبون بالساعة من النار مكانا
ضيقا قد قرنت أيديهم الى أعناقهم فى الاغلال دعوا هنالك ثبورا واختلف أهل التأويل فى
معنى الثبور فقال بعضهم هو الويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال
ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله وادعوا ثبورا كثيرا يقول ويلا حدثنى محمد بن سعد
قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس لا تدعوا اليوم ثبورا
واحدا يقول لا تدعوا اليوم ويلا واحدا وادعوا ويلا كثيرا ، وقال آخرون الثبور الهلاك
ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت
الضحاك يقول فى قوله لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا الثبور الهلاك ، قال أبو جعفر والثبور فى كلام

ذكر وعيد كل ظالم بقوله (ومن يظلم) الآية فاستدلت المعتزلة به على وعيد الفاسق وخلوده وذلك أن الفسق ظلم لقوله ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون والانصاف أنه لا دلالة فى الآية على مطلوبهم لان من ليست من صيغ العموم عند بعضهم ولئن سلم فلعل المراد الأكثر أو أقوام باعيانهم لقوله منكم ولئن سلم فلعله مشروط بعدم العفو كما أنه مشروط عند المعتزلة بعدم التوبة ولو سلم الجميع فاذاقة العذاب لا تدل على الخلود ثم بين بقوله (وما أرسلنا) الآية أنه لا وجه لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام لان هذه عادة مستمرة

(١) لعله سقط من قلم الناسخ أو كبيرا كما يفيده ما قبله والذى فى ابن كثير صغيرا كان أو كبيرا فتنبه كتبه مصححه

العرب أصله انصراف الرجل عن الشئ يقال منه ما ثبرك عن هذا الأمر أى ما صرفك عنه وهو فى هذا الموضع دعاء هؤلاء القوم بالندم على انصرافهم عن طاعة الله فى الدنيا والايمان بما جاءهم به نبى الله صلى الله عليه وسلم حتى استوجبوا العقوبة منه كما يقول القائل وانداماتاه واحسرتاه على ما فرطت فى جنب الله وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول فى قوله دعوا هنالك ثبورا أى هلكة ويقول هو مصدر من ثبر الرجل أى أهلك ويستشهد لقيله فى ذلك ببيت ابن الزبعرى

اذ أجارى الشيطان فى سنن الغـ * ـى ومن مال ميله مثبور

وقوله لا تدعوا اليوم أيها المشركون ندما واحدا أى مرة واحدة ولكن ادعوا ذلك كثيرا وانما قيل لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا لان الثبور مصدر والمصادر لا تجمع وانما توصف بامتداد وقتها وكثرتها كما يقال قعد قعودا طويلا وأكل أكلا كثيرا حدثنا محمد بن مرزوق قال ثنا حجاج قال ثنا حماد قال ثنا على بن زيد عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أول من يكسى حلة من النار ابليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول يا ثبوراه وهم ينادون يا ثبورهم حتى يقفوا على النار وهو يقول يا ثبوراه وهم ينادون يا ثبورهم فيقال لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل أذلك خير أم جنة الخلد التى وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاؤن خالدين كان على ربك وعدا مسؤلا﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بالساعة أهذه النار التى وصف لكم صفتها وصفة أهلها خير أم بستان الخلد الذى يدوم نعيمه ولا يبيد الذى وعد من اتقاه فى الدنيا بطاعته فيما أمره ونهاه وقوله كانت لهم جزاء ومصيرا يقول كانت جنة الخلد للمتقين جزاء أعمالهم لله فى الدنيا بطاعته وثواب تقواهم اياه ومصيرا لهم يقول ومصير المتقين يصيرون اليها فى الآخرة وقوله لهم فيها ما يشاؤن يقول لهؤلاء المتقين فى جنة الخلد التى وعدهموها الله ما يشاؤن مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين خالدين فيها يقول لابثين فيها ما كثين أبدا لا يزولون عنها ولا يزول عنهم نعيمها وقوله كان على ربك وعدا مسؤلا وذلك أن المؤمنين سألوا ربهم ذلك فى الدنيا حين قالوا آتنا ما وعدتنا على رسلك يقول الله تبارك وتعالى كان اعطاء الله المؤمنين جنة الخلد التى وصف صفتها فى الآخرة وعدا وعدهم الله على طاعتهم اياه فى الدنيا ومسئلتهم اياه ذلك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس كان على ربك وعدا مسؤلا قال فسألوا الذى وعدهم وتنجزوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كان على ربك وعدا مسؤلا قال سألوا اياها فى الدنيا طلبوا ذلك فأعطاهم وعدهم اذ سألوه أن يعطيهم فأعطاهم فكان ذلك وعدا مسؤلا كما وقت أرزاق العباد فى الارض قبل أن يخلقهم بخلقها أقوات السائلين وقت ذلك على مسئلتهم وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين وقد كان بعض أهل العربية يوجه معنى قوله وعدا مسؤلا الى أنه معنى به وعدا واجبا وذلك أن المسؤل واجب وان لم يسئل كالدين ويقول ذلك نظير قول العرب لأعطينك ألفا وعدا مسؤلا بمعنى واجب لك فتسأله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل﴾ يقول تعالى ذكره ويوم نحشر هؤلاء المكذبين بالساعة العابدين الأوثان وما يعبدون من دون الله من الملائكة والانس والجن كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن

من الله فى كل رسله قال الزجاج الجملة بعد الاضافة لموصوف محذوف والمعنى وما أرسلنا قبلك أحدا من المرسلين الا آكلين وماشين وانما حذف لان فى قوله من المرسلين دليلا عليه نظيره وما منا الا له مقام معلوم أى وما منا أحد وقال الفراء المحذوف هو الموصول والتقدير الا من انهم وقال ابن الانبارى المحذوف هو الواو بعد الا فتكون الجملة حالا كقوله وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم قوله ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة﴾ قال الكلبى والفراء والزجاج ان هذا فى رؤساء المشركين كأبى جهل وغيره وفى

أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء قال عيسى وعزير والملائكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه أبو جعفر القارئ وعبد الله بن كثير ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول بالياء جميعا يعني ويوم يحشرهم ربنا ويحشر ما يعبدون من دونه فيقول وقرأته عامة قراء الكوفيين نحشرهم بالنون فنقول وكذلك قرأه نافع وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال انهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فصيب وقوله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء يقول فيقول الله للذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء يقول أأنتم أزللتموهم عن طريق الهدى ودعوتموهم الى الغي والضلالة حتى تاهوا وهلكوا أم هم ضلوا السبيل يقول أم عبادي هم الذين ضلوا سبيل الرشد والحق وسلكوا العطب ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا﴾ يقول تعالى ذكره قالت الملائكة الذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله وعيسى تنزيها لك يا ربنا وتبرئة مما أضاف اليك هؤلاء المشركون ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء تواليهم أنت ولينا من دونهم ولكن متعتهم بالمال يا ربنا في الدنيا والصحة حتى نسوا الذكر وكانوا قوما هلكى فدغلب عليهم الشقاء والخذلان * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا يقول قوم قد ذهبت أعمالهم وهم في الدنيا ولم تكن لهم أعمال صالحة حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وكانوا قوما بورا يقول هلكى حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وكانوا قوما بورا يقول هلكى حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن وكانوا قوما بورا قال هم الذين لا خير فيهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وكانوا قوما بورا قال يقول ليس من الخير في شيء الدور الذي ليس فيه من الخير شيء واختلفت القراء في قراءة قوله ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء فقرأ ذلك عامة قراء الامصار نتخذ بفتح النون سوى الحسن ويزيد بن القعقاع فانهما قرآه أن نتخذ بضم النون فذهب الذين فتحوها الى المعنى الذي بيناه في تأويله من أن الملائكة وعيسى ومن عبد من دون الله من المؤمنين هم الذين تبرؤا أن يكون كان لهم ولي غير الله تعالى ذكره وأما الذين قرؤا ذلك بضم النون فانهم وجهوا معنى الكلام الى أن المعبودين في الدنيا انما تبرؤا الى الله أن يكون كان لهم أن يعبدوا من دون الله جل ثناؤه كما أخبر الله عن عيسى أنه قال اذ قيل أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم * قال أبو جعفر وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه بفتح النون لعلل ثلاث احداهن اجماع الحجة من القراء عليها والثانية أن الله جل ثناؤه ذكر نظير هذه القصة في سورة سبأ فقال ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم فأخبر عن الملائكة أنهم اذا سئلوا عن عبادة من عبدهم تبرؤا الى الله من ولايتهم فقالوا لربهم أنت ولينا من دونهم فذلك

فقراء الصحابة كأنه اذا رأى الشريف الوضيع وقد أسلم قبله أنف أن يسلم فأقام على كفره لئلا يكون الوضيع السابقة والفضل عليه دليله قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا اليه وعن ابن عباس والحسن أنه في أصحاب البلاء والعافية يقول أحدهم لم أجعل مثله في الخلق والخلق والعلم والعقل والرزق والاجل وغير ذلك يؤيده ما روي عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم ويل للعالم من الجاهل وويل للجاهل من العالم وويل للسلطان من الرعية وويل للرعية من السلطان وويل للشديد من الضعيف وللضعيف من

يوضح عن صحة قراءة من قرأ ذلك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء يعني ما كان ينبغي لنا أن نتخذهم من دونك أولياء والثالثة أن العرب لا تدخل من هذه التي تدخل في الجحد الا في الاسماء ولا تدخلها في الأخبار لا يقولون ما رأيت أحدا من رجل وانما يقولون ما رأيت من أحد وما عندي من رجل وقد دخلت ههنا في الاولياء وهي في موضع الخبر ولو لم تكن فيها من كان وجها حسنا وأما البور فمصدر واحد وجمع للبائر يقال أصبحت منازلهم بورا أي خالية لا شيء فيها ومنه قولهم بارت السوق وبار الطعام اذا خلا من الطلاب والمشتري فلم يكن له طالب فصار كالشيء الهالك ومنه قول ابن الزبعرى

يارسول المليك ان لساني ... راتق ما فتقت اذ أنا بور

وقد قيل ان بور مصدر كالعدل والزور والقطع لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث وانما أريد بالبور في هذا الموضع أن أعمال هؤلاء الكفار كانت باطلة لانها لم تكن لله كما ذكرنا عن ابن عباس ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عما هو قائل للمشركين عند تبري من كانوا يعبدونه في الدنيا من دون الله منهم قد كذبوكم أيها الكافرون من زعمتم أنهم أضلوكم ودعوكم الى عبادتهم بما تقولون يعني بقولكم يقول كذبوكم بكذبكم وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فقد كذبوكم بما تقولون يقول الله للذين كانوا يعبدون عيسى وعزير والملائكة يكذبون المشركين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فقد كذبوكم بما تقولون قال عيسى وعزير والملائكة يكذبون المشركين بقولهم وكان ابن زيد يقول في تأويل ذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا قال كذبوكم بما تقولون بما جاء من عند الله جاءت به الانبياء والمؤمنون آمنوا به وكذب هؤلاء فوجه ابن زيد تأويل قوله فقد كذبوكم الى فقد كذبوكم أيها المؤمنون المكذبون بما جاءهم به محمد من عند الله بما تقولون من الحق وهو أن يكون خبرا عن الذين كذبوا الكافرين في زعمهم أنهم دعوهم الى الضلالة وأمروهم بها على ما قاله مجاهد من القول الذي ذكرناه عنه أشبه وأولى لانه في سياق الخبر عنهم والقراءة في ذلك عندنا فقد كذبوكم بما تقولون بالتاء على التأويل الذي ذكرناه لاجماع الحجة من قراء الامصار عليه وقد حكي عن بعضهم أنه قرأه فقد كذبوكم بما يقولون بالياء بمعنى فقد كذبوكم بقولهم وقوله جل ثناؤه فما تستطيعون صرفا ولا نصرا يقول فما يستطيع هؤلاء الكفار صرف عذاب الله حين نزل بهم عن أنفسهم ولا نصرها من الله حين عذبها وعاقبها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فما تستطيعون صرفا ولا نصرا قال المشركون لا يستطيعونه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فما تستطيعون صرفا ولا نصرا قال للمشركون قال ابن جريج لا يستطيعون صرف العذاب عنهم ولا نصر أنفسهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فما تستطيعون صرفا ولا نصرا قال لا يستطيعون يصرفون عنهم العذاب الذي نزل بهم حين كذبوا ولا أن ينتصروا قال وينادي مناد يوم القيامة حين يجتمع الخلائق مالكم لا تناصرون قال من عبد من دون الله لا ينصر اليوم من عبده وقال العابدون من دون

الشديد بعضهم لبعض فتنة وقرأ هذه الآية وقال آخرون انما احتجاج عليهم في اختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة مع مساواته اياهم في البشرية وصفاتها فابتلى المرسلين بالمرسل اليهم وعناصبتهم لهم اعداوة وأنواع الاذى وابتلى المرسل اليهم بالتكليف وبذل النفس والمال وصبروتهم تابعين خادمين بعد أن كانوا متبوعين مخدومين قالت الاشاعرة في هذا الجعل اشارة الى مذهبنا في القدر وقال الجبائي هذا الجعل بمعنى التعريف كما يقال فيمن بين أن فلانا لص انه جعله لصا قال في الكشاف موقع أتصبرون بعد ذكر الفتنة

الله لا ينصره اليوم الهه الذى يعبد من دون الله فقال الله تبارك وتعالى بل هم اليوم مستسلمون وفرا قول الله جل ثناؤه فان كان لكم كيد فكيدون وروى عن ابن مسعود فى ذلك ما حدثنا به أحمد ابن يونس قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون قال هى فى حرف عبد الله بن مسعود فما يستطيعون لك صرفا فان تكن هذه الرواية عنه صحيحة صح التأويل الذى تأوله ابن زيد فى قوله فقد كذبوكم بما تقولون ويصير قوله فقد كذبوكم خبرا عن المشركين أنهم كذبوا المؤمنين ويكون تأويل قوله حينئذ فما يستطيعون صرفا ولا نصرا فما يستطيع يا محمد هؤلاء الكفار لك صرفا عن الحق الذى هداك الله له ولا نصرا أنفسهم مما بهم من البلاء الذى هم فيه بتكذيبهم إياك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به ومن يظلم منكم أيها المؤمنون يعنى بقوله ومن يظلم ومن يشرك بالله فيظلم نفسه فذلك نذقه عذابا كبيرا كالذى ذكرنا أنا نذيقه الذين كذبوا بالساعة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنى الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج فى قوله ومن يظلم منكم قال بشركه نذقه عذابا كبيرا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله ومن يظلم منكم قال هو الشرك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا﴾ وهذا احتجاج من الله تعالى ذكره لنبيه على مشركى قومه الذين قالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق وجواب لهم عنه يقول لهم جل ثناؤه وما أنكر يا محمد هؤلاء القائلون مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق من أكلك الطعام ومشيك فى الاسواق وأنت له رسول فقد علموا أنا ما أرسلنا قبلك من المرسلين الا من أنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق كالذى تأكل أنت وتمشى فليس لهم عليك بما قالوا من ذلك حجة فان قال قائل فان من ليست فى التلاوة فكيف قلت معنى الكلام الا من أنهم ليأكلون الطعام قيل قلنا فى ذلك معناه أن الهاء والميم فى قوله انهم كناية أسماء لم تذكر ولا بد لها من أن تعود على من كنى عنهم واغنى ذكر من واظهاره فى الكلام اكتفاء بدلالة قوله من المرسلين عليه كما اكتفى فى قوله وما منا الا له مقام معلوم من اظهار من ولا شك أن معنى ذلك وما منا الا من له مقام معلوم كما قيل وان منكم الا واردها ومعناه وان منكم الا من هو واردها فقوله انهم ليأكلون الطعام صلة لمن المتروك كما يقال فى الكلام ما أرسلت اليك من الناس الا من انه ليبلغك الرسالة فانه ليبلغك الرسالة صلة لمن وقوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة يقول تعالى ذكره وامتحنا أيها الناس بعضكم ببعض جعلنا هذا نبيا وخصصناه بالرسالة وهذا ملكا وخصصناه بالدنيا وهذا فقيرا وحرمناه الدنيا لنختبر الفقير بصبره على ما حرم مما أعطيه الغنى والملك بصبره على ما أعطيه الرسول من الكرامة وكيف رضى كل انسان منهم بما أعطى وقسم له وطاعته ربه مع ما حرم مما أعطى غيره يقول فمن أجل ذلك أعطى محمدا الدنيا وجعلته يطلب المعاش فى الاسواق ولا بتليكم أيها الناس وأختبر طاعتكم ربكم واجابتكم رسوله الى ما دعاكم اليه بغير عرض من الدنيا ترجونه من محمد أن يعطيكم على اتباعكم اياه لأنى لو أعطيته الدنيا سارع كثير منكم الى اتباعه طمعا فى دنياه أن ينال منها * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء قال ثنى عبد القدوس عن الحسن فى قوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة الآية يقول هذا الأعمى لو شاء الله لجعلنى بصيرا مثل فلان ويقول هذا الفقير لو شاء الله لجعلنى

موقع أيكم بعد الابتلاء فى قوله ليبلوكم أيكم أحسن عملا قلت أراد أن كلا من الابتلاء والفتنة يستدعى التمييز فحسن الاستفهام بعده أى يفتنكم لنظهر أنكم تصبرون على البلاء أم لا ولعل الأظهر أن الاستفهام غير متعلق بالفتنة وانما هو مستأنف للوعيد كقوله فهل أنتم منتهون ويؤيده قوله وكان ربك بصيرا عالما بمن صبر ومن لا يصبر فيجازى كلا منهم بحسب ذلك وقيل فى الآية تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم عما عيروه به من الفقر فقد جعل الاغنياء فتنة للفقراء وقيل جعلناك فتنة لهم حين بعثناك فقيرا لتكون

غنيا مثل فلان ويقول هذا السقيم لو شاء الله لجعلني صحيحا مثل فلان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون قال يسأل عن هذا ويوسع على هذا فيقول لم يعطني مثل ما أعطى فلانا ويبتلى بالوجع كذلك فيقول لم يجعلني ربي صحيحا مثل فلان في أشباه ذلك من البلاء ليعلم من يصبر ممن يجزع حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني ابن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد فيما يرى الطبري عن عكرمة أو عن سعيد عن ابن عباس قال وأنزل عليه في ذلك من قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق الآية وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون أي جعلت بعضكم لبعض بلاء لتصبروا على ما تسمعون منهم وترون من خلافهم وتتبعوا الهدى بغير أن أعطيهم عليه الدنيا ولو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلي فلا يخالفون لفعلت ولكني قد أردت أن أبتلي العباد بكم وأبتليكم بهم

وقوله وكان ربك بصيرا يقول وربك يا محمد بصير بمن يجزع ومن يصبر على ما امتحن به من المحن كما

حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج وكان ربك بصيرا ان ربك لبصير بمن يجزع ومن يصبر

طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله ولو كنت غنيا صاحب كنز كما اقترحوا لم يظهر الطائع من المخلص وقالت الصوفية أتصبرون يا معشر الانبياء على ما يقولون ويا معشر الامم عما يقولون والله أعلم

﴿ تم الجزء الثامن عشر من تفسير ابن جرير الطبري ويليه الجزء التاسع عشر أوله القول في تأويل قوله تعالى وقال الذين لا يرجون ﴾

﴿ فهرست الجزء الثامن عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ﴾

صحيفة	
٢	﴿ تفسير سورة قد أفلح المؤمنون ﴾
٥	بيان أن المحافظة على الصلاة بفعلها فى أوقاتها
٨	بيان أن الجنين ينفخ الروح يكون انسانا وقبل ذلك كان صورة
١٢	بيان قصة نوح عليه السلام
٢٠	ذكر المكان الذى أوت اليه مريم وابنها
٢٢	بيان أن كل فريق من أهل الكتاب أحدث كتابا من نفسه يحتج به لمقالته
٢٥	تأويل قوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وبيان أن وجلهم ليس من الذنوب بل من عدم قبول العمل
٢٩	بيان أن التوبة عند الأخذ بالعذاب لا تفيد
٣٨	تأويل قوله تعالى بل أتيناهم بالحق الآيات وبيان ما اشتملت عليه من بليغ الحجة
٣٩	بيان ما أمر به صلى الله عليه وسلم من الصبر على ما يلقى قبل الامر بالحرب
٤١	بيان معنى البرزخ
٤١	تأويل قوله تعالى فاذا نفخ فى الصور وبيان أية النفختين أريدت وذكر المحاسبة يوم القيامة
٤٥	بيان ما يحصل لأهل النار من اليأس
٥١	﴿ تفسير سورة النور ﴾
٥٢	بيان المراد بالرأفة المنهى عنها فى اقامة الحدود
٥٥	تأويل قوله تعالى الزانى لا ينكح الا زانية الآية وذكر الخلاف فيمن نزلت فيه وفى المراد منه
٥٩	ذكر حد القاذف وما نسقطه توبته عنه
٦٤	ذكر اللعان وفيمن يكون وأسباب نزول آيته
٦٨	ذكر حديث الافك
٧٧	تأويل قوله تعالى لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون وبيان ما فيه من العتاب
٨١	ذكر ما كان من أبى بكر رضى الله عنه من اعادة الانفاق على مسطح عملا بقوله ولا يأتل الآية
٨٢	تأويل قوله ان الذين يرمون المحصنات الآية
٨٦	بيان أن الانسان لا يحل له أن يدخل بيت غيره الا بعد استئذانه
٨٩	بيان أن المرء اذا استأذن على غيره ولم يؤذن له فرجوعه يكون أطهر له
٩٠	بيان أن للانسان أن يدخل حوانيت التجار اذا علم أنهم آذنون لمن يدخل
٩٢	بيان ما يجب على الرجال والنساء من غض أبصارهم وحفظ فروجهم
٩٤	بيان من يجوز للمرأة اظهار زينتها اليه
٩٨	تأويل قوله تعالى وأنكحوا الأيامى الآية
٩٨	بيان هل تجب كتابة العبد اذا طلب أم لا
١٠٣	بيان ما كان يفعله أهل الجاهلية من اعداد الاماء للزنا وكراهتهن عليه ونهى المسلمين عنه
١٠٥	تأويل قوله تعالى الله نور السموات والارض
١١١	بيان ما يندب فيه ذكر الله من البيوت
١١٤	بيان أن العمل فى الكفر يكون هباء لا غناء فيه مع ضرب الأمثال له
١١٧	تأويل قوله ألم تر أن الله يسبح له ما فى السموات الآية وبيان المراد من الصلاة والتسبيح
١٢٢	بيان ما وعد الله المؤمنين من استخلافهم فى الارض وانجاز وعده
١٢٤	بيان الساعات التى ندب الى الاستئذان فيهن
١٢٦	بيان ما يجوز من وضع الجلباب للمرأة المحرمة
١٢٨	تأويل قوله تعالى ليس على الاعمى حرج الآية وبيان الخلاف فيها
١٣٣	بيان ما كان عليه المؤمنون من استئذان رسول الله اذا أرادوا الانصراف
١٣٥	﴿ تفسير سورة الفرقان ﴾
١٣٧	تأويل قوله وقال الذين كفروا الآية وبيان الشبه التى كانت كفار قريش تتمسك بها
١٤٠	بيان معنى تغيظ النار وزفيرها
١٤٢	تأويل قوله تعالى قالوا سبحانك الآية وبيان معنى البور والشاهد عليه

﴿ تم فهرست الجزء الثامن عشر من تفسير ابن جرير ﴾

﴿ فهرست الجزء الثامن عشر من تفسير النيسابوري الموضوع بهامش ابن جرير ﴾

صحيفة	
٢	﴿ تفسير سورة قد أفلح المؤمنون ﴾
٥	بيان حكم الخشوع في الصلاة وما ورد فيه من الآثار والخلاف بين الأئمة فيه
٦	بيان ما استدل به على تحريم نكاح المتعة
٩	بيان الحكمة في الموت
١٠	بيان المطر من أين ينزل عند الشرعيين والحكماء
١١	بيان الشبه التي تمسك بها قوم نوح والجواب عنها
١٢	تأويل تلك الآيات
١٥	تفسير قوله ثم أنشأنا من بعدهم الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
١٨	ذكر طرف من قصة موسى مع فرعون وذكر أخلاق قوم فرعون
١٩	ذكر سبب إيواء مريم وابنها عليهما السلام إلى ربوة
٢١	تأويل تلك الآيات
٢٢	تفسير قوله تعالى والذين هم بآيات ربهم يؤمنون الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٢٤	بيان ما حصل لقريش من أنواع العذاب
٢٥	بيان النهي عن سب مضر وربيعة وتبع
٢٨	تأويل تلك الآيات
٢٩	تفسير قوله ما اتخذ الله من ولد الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٣٠	بيان تقرير نفي الأنداد بدليل التمانع
٣٢	بيان معنى البرزخ
٣٣	بيان أن للكفار في جهنم ست دعوات
٣٤	بيان ما استدل به بعض من أنكر عذاب القبر
٣٥	تأويل تلك الآيات
٣٦	﴿ تفسير سورة النور ﴾
٣٨	بيان ماهية الزنا والاختلاف في حد اللائط
٣٩	بيان حكم السحق واتيان الميتة والاستمناء باليد
٤٠	بيان حد الزاني والزانية والخلاف في حد البكر
٤٣	بيان أقوال الأئمة في تحقق الاحصان
٤٣	بيان طريق معرفة الزنا وقضاء القاضي بعلمه
٤٥	بيان أن الاقرار بالزنا يجوز الرجوع فيه
٤٧	بيان حكم تزويج الزاني بالعفيفة وكذا الزانية
٤٨	بيان القذف وحده وطرف من أحكامه
٥٣	بيان اللعان وأحكامه
٥٩	تأويل تلك الآيات
٦١	تفسير قوله تعالى ان الذين جاؤا بالافك
٦١	ذكر حديث الافك
٦٨	بيان طرف من أحكام اليمين
٦٩	بيان أن شهادة الجوارح لا اشكال فيها
٧٠	ذكر طرف من فضل عائشة
٧٢	تفسير قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا وبيان القراآت والوقوف فيها
٧٣	بيان الحكمة في الاستئذان وكيفية الاستئذان
٧٤	بيان حكم من اطلع في دار غيره بغير اذنه
٧٥	ذكر طرف من أحكام العورة
٨٠	بيان ما يجوز اظهاره من المرأة للمحارم
٨٤	بيان الكناية وأحكامها
٨٧	بيان منع اكراه الاماء على الزنا وما كانوا يفعلونه من ذلك
٨٨	تأويل تلك الآيات
٨٩	تفسير قوله تعالى الله نور السموات والأرض الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٩٣	بيان الأوجه في قوله الله نور السموات
٩٩	بيان أن صلاة الضحى مذكورة في القرآن
١٠٢	بيان أنه لا يبعد أن يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه
١٠٤	بيان طرف من أقسام الحيوانات
١٠٦	تأويل تلك الآيات
١٠٩	تفسير قوله تعالى انما كان قول المؤمنين الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
١١١	بيان دلالة القرآن على إمامة الخلفاء الراشدين
١١٢	بيان حكم الاستئذان وبيان المستأذن من هو
١٢١	تأويل تلك الآيات
١٢٤	﴿ تفسير سورة الفرقان ﴾
١٢٥	بيان الدليل على ابطال عبادة الأوثان وردّ شبهات منكري النبوة
١٢٧	بيان ما خير فيه صلى الله عليه وسلم من الملك

الجزء التاسع عشر

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف

الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت الأمة على تقدمه في التفسير

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هجرية

رحمه الله وأثابه رضاه آمين

وبهامشه

تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان

للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري قدست أسراره

« في كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطي في الاتقان وكتابه « أي الطبري » أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفسير الأقدمين وقال النووي أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري » وعن أبي حامد الاسفرايني أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اه

تنبيه

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة في خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبي الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

(الطبعة الاولى)
بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصر المحميه
سنة ١٣٢٨ هجريه

﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمين عذابا أليما وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء

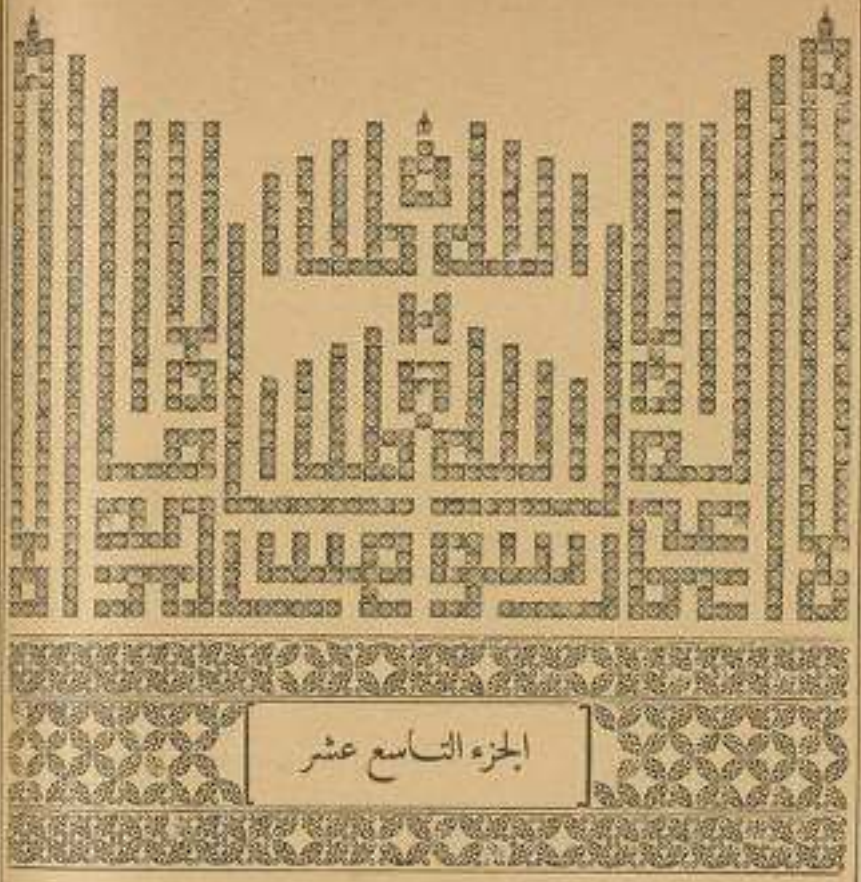

الجزء التاسع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا﴾ يقول تعالى ذكره وقال المشركون الذين لا يخافون لقاءنا ولا يخشون عقابنا هلا أنزل الله علينا ملائكته فتخبرنا أن محمدا محق فيما يقول وأن ما جاء به صدق أو نرى ربنا فيخبرنا بذلك كما قال جل ثناؤه مخبرا عنهم وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ثم قال بعد أو تأتي بالله والملائكة قبيلا يقول الله لقد استكبرت قلوب هؤلاء المقالة في أنفسهم وتعظموا وعتوا عتوا كبيرا يقول وتجاوزوا في الاستكبار بقيلهم ذلك حده * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال كفار قريش لولا أنزل علينا الملائكة فيخبرونا أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد استكبروا وعتوا عتوا الان عنا من ذوات الواو وأخرج مصدره على الاصل بالواو وقيل في سورة مريم وقد بلغت من الكبر عتيا وانما قيل ذلك كذلك لموافقة المصادر في هذا الوجه جمع الاسماء كقولهم قعد قعودا وهم قوم قعود فلما كان ذلك كذلك وكان العاتي يجمع عتيا بناء على الواحد جعل مصدره أحيانا موافقا جمعه وأحيانا مردودا الى أصله

القول في تأويل قوله تعالى ﴿يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا﴾ يقول تعالى ذكره يوم يرى هؤلاء الذين قالوا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا بتصديق محمد الملائكة فلا بشرى لهم يومئذ بخير ويقولون حجرا محجورا يعني أن الملائكة يقولون للمجرمين حجرا محجورا حراما محرما عليكم اليوم البشرى أن تكون لكم من الله ومن الحجر قول المتلمس

حنت الى نخلة القصوى فقلت لها * حجر حرام ألا تلك الدهاريس

ومنه قولهم حجر القاضي على فلان وحجر فلان على أهله ومنه حجر الكعبة لانه لا يدخل اليه في الطواف وانما يطاف من ورائه ومنه قول الآخر

فهممت أن (١) ألقي اليها محجرا * فلمثلها يلقى اليه المحجر

أي مثلها يركب منه المحرم * واختلف أهل التأويل في الخبر عنهم بقوله ويقولون حجرا محجورا ومن قائلوه فقال بعضهم قائلو ذلك الملائكة للمجرمين نحو الذي قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ثنا أبو أسامة عن الاجلح قال سمعت الضحاك بن مزاحم وسأله رجل عن قول الله ويقولون حجرا محجورا قال تقول الملائكة حراما محرما أن تكون لكم البشرى حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثني أبي عن جدي عن الحسن عن قتادة ويقولون حجرا محجورا قال هي كلمة كانت العرب تقولها كان الرجل اذا نزل به شدة قال حجرا يقول حراما محرما حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا لما جاءت زلازل الساعة فكان من زلازلها أن السماء انشقت فهي يومئذ واهية والملك على أرجائها على شفة كل شئ تشقق من السماء فذلك قوله يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون يعني الملائكة تقول للمجرمين حراما محرما أيها المجرمون أن تكون لكم البشرى اليوم حين رأيتموا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يومئذ يرون الملائكة قال يوم القيامة ويقولون حجرا محجورا قال عوذا معاذا حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وزاد فيه الملائكة تقوله * وقال آخرون ذلك خبر من الله عن قيل المشركين اذا عاينوا الملائكة ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثني الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا قال ابن جريج كانت العرب اذا كرهوا شيأ قالوا حجرا فقالوا حين عاينوا الملائكة قال ابن جريج قال مجاهد حجرا عوذا يستعيذون من الملائكة * قال أبو جعفر وانما اخترنا القول الذي اخترنا في تأويل ذلك من أجل أن الحجر هو الحرام فمعلوم أن الملائكة هي التي تحرم أهل الكفر أن البشرى عليهم حرام وأما الاستعاذة فانها الاستجارة وليست بتحريم ومعلوم أن الكفار لا يقولون للملائكة حرام عليكم فيوجه الكلام الى أن ذلك خبر عن قيل المجرمين للملائكة ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا﴾ يقول تعالى ذكره وقدمنا وعمدنا الى ما عمل هؤلاء المجرمون من عمل ومنه قول الراجز

وقدم الخوارج الضلال * الى عباد ربهم فقالوا * ان دماءكم لنا حلال

يعني بقوله قدم عمد * ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وقدمنا قال عمدنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله فجعلناه هباء منثورا يقول فجعلناه باطلا لأنهم لم يعملوه لله وانما عملوه للشيطان والهباء هو الذي يرى كهيئة الغبار اذا دخل ضوء الشمس من كوة يحسبه الناظر غبارا ليس بشئ تقبض عليه الأيدي ولا تمسه ولا يرى ذلك في الظل

أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس الا كفورا ﴿ القراآت تشقق بتخفيف الشين على حذف تاء التفعل وكذلك في سورة ق عاصم وحمزة وعلي وخلف وأبو عمرو والآخرون بالتشديد للادغام ونزل من الانزال الملائكة بالنصب ابن كثير الباقون وينزل ماضيا مجهولا من التنزيل الملائكة بالرفع يا ليتني اتخذت بفتح ياء المتكلم أبو عمرو قومي اتخذوا بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب وثمود بغير تنوين في الحالين حمزة وسهل ويعقوب وحفص الآخرون بالتنوين للمشاكلة أو بتأويل الحي لا القبيلة أو لأنه اسم الاب الأكبر الريح على التوحيد ابن كثير بشرا

(١) في اللسان أن أغشى اليها محجرا * فلمثلها يغشى الخ وحرر

مذكور فى الاعراف ميتا بالتشديد يزيد ونسقيه بفتح النون المفضل والبرجمى الباقون بضمها ۞ الوقوف ربنا ط كبيرا ه ط
محجورا ه منثورا ه مقيلا ه تنزيلا ه للرحمن ط عسيرا ه سبيلا ه خليلا ه اذجاءنى ط لانان مابعده من
اخبار الله تعالى ظاهرا ويحتمل أن يكون من تمة حكاية كلام الظالم خذولا ه مهجورا ه المجرمين ه ط ونصيرا ه واحدة ج على تقدير فرقنا انزاله كذلك أى كما ترى لنثبت وان وصلت وقفت على كذلك والتقدير جملة واحدة كذلك الكتاب المنزل وهو التوراة ثم أضمرت فعلا أى فرقناه لنثبت ترتيلا ه تفسيرا ه ط لأن مابعده مبتدأ جهنم لا لأن مابعده خبر سبيلا ه وزيرا ه ج للآية ولقاء العطف بآياتنا ط للقاء النصيحة اى فذهبا و بلغا فعصوهما فدمرناهم تدميرا ه ط لان قوم نوح منصوب بمحذوف أى وأغرقنا قوم نوح أغرقناهم آية ط لان مابعده مستأنف أيضا ه ج للآية ولاحتمال عطف عادا على الضمير فى جعلناهم واحتمال انتصابه بمحذوف أى وأهلكنا عادا كثيرا ه الامثال ز فصلا بين الامرين المعظمين مع عطف الجملتين المتفقتين تتبيرا ه السوء ط يرونها لا للعطف مع الاضراب نشورا ه هزوا ط لحق المحذوف أى يقولون أهذا الذى رسولا ه علينا ط لانتهاء مقولهم سبيلا ه هواه ط وكيلا ه لا للعطف يعقلون ه ج لابتداء النفى سبيلا ه الظل ج لانتهاء الاستفهام الى الشرط مع اتحاد المقصود سكنا ج للعدول مع العطف دليلا ه يسيرا ه نشورا ه رحمته ج للعدول طهورا ه ج لتعلق اللام كثيرا ه ليذكروا ز والوصل أولى للفاء كفورا ه ۞ التفسير هذه شبهة رابعة لمنكرى النبوة قال
وانهم فى قول الكلبى أبو جهل والوليد وأضرابهما وتقريرها أن الحكيم لابد أن يختار فى مقصده طريقا يكون أسهل افضاء اليه ولاشك ان

• واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم نحو الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن المثنى قال ثنا محمد قال ثنا شعبة عن سماك عن عكرمة أنه قال فى هذه الآية هباء منثورا قال الغبار الذى يكون فى الشمس حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا قال الشعاع فى كوة أحدهم ان ذهب يقبض عليه لم يستطع حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله هباء منثورا قال شعاع الشمس من الكوة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله هباء منثورا قال ما رأيت شيأ يدخل البيت من الشمس تدخله من الكوة فهو الهباء • وقال آخرون بل هو ما تسفيه الرياح من التراب وتذروه من حطام الاشجار ونحو ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله هباء منثورا قال ما تسفى الريح وتبثه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة هباء منثورا قال هو ما تذرو الريح من حطام هذا الشجر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله هباء منثورا قال الهباء الغبار • وقال آخرون هو الماء المهراق ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله هباء منثورا يقال الماء المهراق وقوله جل ثناؤه أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا يقول تعالى ذكره أهل الجنة يوم القيامة خير مستقرا وهو الموضع الذى يستقرون فيه من منازلهم فى الجنة من مستقر هؤلاء المشركين الذين يفتخرون بأموالهم وما أوتوا من عرض هذه الدنيا فى الدنيا وأحسن منهم فيها مقيلا فان قال قائل وهل فى الجنة قائلة فيقال وأحسن مقيلا فيها قيل معنى ذلك وأحسن فيها قرارا فى أوقات قائلتهم فى الدنيا وذلك أنه ذكر أن أهل الجنة لا يمر فيهم فى الآخرة الا قدر ميقات النهار من أوله الى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم فى الجنة فذلك معنى قوله وأحسن مقيلا ذكر الرواية عمن قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا يقول قالوا فى الغرف فى الجنة وكان حسابهم أن عرضوا على ربهم عرضة واحدة وذلك الحساب اليسير وهو مثل قوله فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن ابراهيم فى قوله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا قال كانوا يرون أنه يفرغ من حساب الناس يوم القيامة فى نصف النهار فيقيل هؤلاء فى الجنة وهؤلاء فى النار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا قال لم ينتصف النهار حتى يقضى الله بينهم فيقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار قال وفى قراءة ابن مسعود ثم ان مقيلهم لالى الجحيم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا

انزال الملائكة ليشهدوا على صدق محمد أعون على المطلوب فلو كان محمد صادقا لكان مؤيدا بانزال الملائكة الشاهدين بصدقه قال الفراء معنى لا يرجون لا يخافون والرجاء في لغة تهامة الخوف وقال غيره الرجاء على أصله وهو الامل الا أن الخوف يلزمه في هذه الصورة فان من لا يرجو الجزاء والمعاد لا يخاف العقاب أيضا واللقاء الوصول لا بمعنى المكان والجهة فانه تعالى منزه عن ذلك بل بمعنى الرؤية عند الاشاعرة أو على ارادة الجزاء والحساب عند المعتزلة وقدمر في أوائل البقرة في قوله الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون ولعل تفسيره بلقاء الجزاء أنسب في هذا المقام لئلا يناقض قوله أو نرى ربنا أي جهرة وعيانا فيأمرنا بتصديقه واتباعه اللهم الا أن يراد ان الذين لا يرجون رؤيتنا في الآخرة افترحوا رؤيتنا في الدنيا قال جار الله لا يخلو اما أن يكونوا عالمين بأن الله عز وجل لا يرسل الملائكة الى غير الانبياء وانه تعالى لا يصح أن يرى وانما علقوا ايمانهم بما لا يكون واما أن لا يكونوا عالمين بذلك وانما أرادوا التعنت باقتراح آيات سوى الآيات التي نزلت وقامت بها الحجة عليهم كما فعل قوم موسى حين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ثم انه سبحانه أجاب عن شبهتهم بقوله (لقد استكبروا في أنفسهم) أي أضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه ثم نسبهم الى الافراط في الظلم بقوله (وعتوا) ثم وصف العتو بالكبر قال جار الله اللام جواب قسم محذوف وهذه الجملة في حسن استئنافها غاية وفيها معنى التعجب كأنه قال ما أشد استكبارهم وما أكبر عتوهم وقال في التفسير الكبير تحرير هذا الجواب من وجوه أحدها أن القرآن لما ظهر كونه معجزا فقد تمت دلالة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فبعد ذلك لا يكون اقتراح أمثال هذه الآيات الا محض الاستكبار والاستنكار * وثانيها أن نزول الملائكة لو حصل لكان أيضا من جملة المعجزات ولا يدل على الصدق لخصوص

قال قال ابن عباس كان الحساب من ذلك في أوله وقال القوم حين قالوا في مناز لهم من الجنة وقرأ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا عمرو بن الحرث أن سعيدا الصواف حدثه أنه بلغه أن يوم القيامة يقضى على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر الى غروب الشمس وأنهم يقيلون في رياض الجنة حتى يفرغ من الناس فذلك قول الله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا * قال أبو جعفر وانما قلنا معنى ذلك خير مستقرا في الجنة منهم في الدنيا لان الله تعالى ذكره عم بقوله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا جميع أحوال الجنة في الآخرة أنها خير في الاستقرار فيها والقائلة من جميع أحوال أهل النار ولم يخص بذلك أنه خير من أحوالهم في النار دون الدنيا ولا في الدنيا دون الآخرة فالواجب أن يعم كما عم ربنا جل ثناؤه فيقال أصحاب الجنة يوم القيامة خير مستقرا في الجنة من أهل النار في الدنيا والآخرة وأحسن منهم مقيلا واذا كان ذلك معناه صح فساد قول من توهم أن تفضيل أهل الجنة بقول الله خير مستقرا على غير الوجه المعروف من كلام الناس بينهم في قولهم هذا خير من هذا وهذا أحسن من هذا * القول في تأويل قوله تعالى ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا﴾ اختلف القراء في قراءة قوله تشقق فقرأته عامة قراء الحجاز ويوم تشقق بتشديد الشين بمعنى تتشقق فأدغموا احدى التاءين في الشين فشددوها كما قال لا يسمعون الى الملا الأعلى وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة ويوم تشقق بتخفيف الشين والاجتزاء باحدى التاءين من الأخرى والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الامصار بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وتأويل الكلام ويوم تشقق السماء عن الغمام وقيل ان ذلك غمام أبيض مثل الغمام الذي ظلل على بني اسرائيل وجعلت الباء في قوله بالغمام مكان عن كما تقول رميت عن القوس و بالقوس وعلى القوس بمعنى واحد * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ويوم تشقق السماء بالغمام قال هو الذي قال في ظلل من الغمام الذي يأتي الله فيه يوم القيامة ولم يكن قط الا لبني اسرائيل قال ابن جريج الغمام الذي يأتي الله فيه غمام زعموا في الجنة * قال ثنا الحسين قال ثنا معتمر بن سليمن عن عبد الجليل عن أبي حازم عن عبد الله بن عمرو قال يهبط الله حين يهبط و بينه و بين خلقه سبعون حجابا منها النور والظلمة والماء فيصوت الماء في تلك صوتا تخلع له القلوب * قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة في قوله يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة يقول والملائكة حوله * قال ثني حجاج عن مبارك بن فضالة عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران أنه سمع ابن عباس يقول ان هذه السماء اذا انشقت نزل منها من الملائكة أكثر من الجن والانس وهو يوم التلاق يوم يلتقي أهل السماء وأهل الأرض فيقول أهل الارض جاء ربنا فيقولون لم يجئ وهو آت ثم تشقق السماء الثانية ثم سماء سماء على قدر ذلك من التضعيف الى السماء السابعة فينزل منها من الملائكة أكثر من جميع من نزل من السموات ومن الجن والانس قال فتنزل الملائكة الكروبيون ثم يأتي ربنا تبارك وتعالى في حملة العرش الثمانية بين كعب كل ملك وركبته مسيرة سبعين سنة و بين فخذه ومنكبه مسيرة سبعين سنة قال وكل ملك منهم لم يتأمل وجه صاحبه وكل

كونه يتزول الملك بل لعموم كونه معجزا فيكون قبول ذلك ورد الآخر ترجيحا لأحد المثلين من غير مرجح ◦ وثالثها انهم بتقدير رؤية الرب وتصديقه لرسوله لا يستفيدون علما أزيد (٦) من تصديق المعجزات لا فرق بين أن يقول النبي اللهم ان كنت صادقا فأحي هذا الميت فيحييه وبين أن يقول ان كنت صادقا فصدقني فيصدقه فتعين أحد الطرفين محض العناد * ورابعها أن العبد ليس له أن يعترض على فعل مولاه اما بحكم المالكية عند الاشعري أو بحكم المصلحة عند المعتزلي * وخامسها أن السائل الملح المعاند الذي لا يرعوي بما ينعم عليه مذموم واظهار المعجز من جملة الايادي الجسيمة فرد احداها واقتراح الاخرى ليس من الادب في شئ * وسادسها لعل المراد اني لو علمت بأنهم ليسوا مستكبرين عاتين لأعطيتهم مطلوبهم لكني علمت انهم انما سألوا لأجل المكابرة والعناد فلا جرم لا أعطيهم * وسابعها لعلهم عرفوا من أهل الكتاب أن الله تعالى لا يرى في الدنيا وأنه لا ينزل الملائكة على عوام الخلق ثم انهم علقوا ايمانهم على ذلك فهم مستكبرون ساخرون واستدلت الاشاعرة بقوله لا يرجون لقاءنا على أن رؤية الله مرجوة واستدلت المعتزلة بقوله لقد استكبروا وعتوا أن اقتراح الرؤية مستنكر ولا يخفى ضعف الاستدلالين وانتصب يوم يرون باضمار اذكر فيكون لا بشرى مبتدأ أو بما دل عليه لا بشرى أي يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى بالجنة وبرؤية الحق ويومئذ للتكرير وقوله للمجرمين ظاهر في موضع الضمير أو عام فيتناول هؤلاء لعمومه ولاجل هذا العموم استدلت المعتزلة به على القطع بوعيد كل مجرم وان كان من أهل القبلة وحمل الاشاعرة المجرم على الكفر أما قوله (حجرا محجورا) فانها كلمة يتلفظ بها عند لقاء عدو أو هجوم نازلة يضعونها موضع الاستعاذة يقول الرجل للرجل تفعل كذا فيقول حجرا وقد ذكره سيبويه في باب المصادر

فرقان

ملك منهم واضع رأسه بين ثدييه يقول سبحان الملك القدوس وعلى رؤسهم شئ مبسوط كأنه القباء والعرش فوق ذلك ثم وقف ◦ قال ثنا الحسن قال ثنا جعفر بن سليمن عن هرون بن وثاب عن شهر بن حوشب قال حملة العرش ثمانية فأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وأربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك ◦ قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر بن عبد الله قال اذا نظر أهل الارض الى العرش يهبط عليهم فوقهم شخصت اليه أبصارهم ورجفت كلاهم في أجوافهم قال وطارت قلوبهم من مقرها في صدورهم الى حناجرهم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا يعني يوم القيامة حين تشقق السماء بالغمام وتنزل الملائكة تنزيلا وقوله ونزل الملائكة تنزيلا يقول ونزل الملائكة الى الارض تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن يقول الملك الحق يومئذ خالص للرحمن دون كل من سواه وبطلت الممالك يومئذ سوى ملكه وقد كان في الدنيا ملوك فبطل الملك يومئذ سوى ملك الجبار وكان يوما على الكافرين عسيرا يقول وكان يوم تشقق السماء بالغمام يوما على أهل الكفر بالله عسيرا يعني صعبا شديدا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا﴾ يقول تعالى ذكره ويوم يعض الظالم نفسه المشرك بربه على يديه ندما وأسفا على ما فرط في جنب الله وأوبق نفسه بالكفر به في طاعة خليله الذي صده عن سبيل ربه يقول ياليتني اتخذت في الدنيا مع الرسول سبيلا يعني طريقا الى النجاة من عذاب الله وقوله يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا اختلف أهل التأويل في المعني بقوله الظالم وبقوله فلانا فقال بعضهم عني بالظالم عقبة بن أبي معيط لانه ارتد بعد اسلامه طلبا منه لرضا أبي بن خلف وقالوا فلان هو أبي ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قال كان أبي بن خلف يحضر النبي صلى الله عليه وسلم فزجره عقبة بن أبي معيط فنزل ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا الى قوله خذولا قال الظالم عقبة وفلانا خليلا أبي بن خلف حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبي في قوله ليتني لم أتخذ فلانا خليلا قال كان عقبة بن أبي معيط خليلا لأمية ابن خلف فأسلم عقبة فقال أمية وجهي من وجهك حرام ان تابعت محمدا فكفر وهو الذي قال ليتني لم أتخذ فلانا خليلا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وعثمان الجزري عن مقسم في قوله ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا قال اجتمع عقبة بن أبي معيط وأبي بن خلف وكانا خليلين فقال أحدهما لصاحبه بلغني أنك أتيت محمدا فسمعت منه والله لا أرضى عنك حتى تتفل في وجهه وتكذبه فلم يسلطه الله على ذلك فقتل عقبة يوم بدر صبرا وأما أبي بن خلف فقتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده يوم أحد في القتال وهما اللذان أنزل الله فيهما ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ويوم يعض الظالم على يديه الى قوله فلانا خليلا قال هو أبي بن خلف كان يحضر النبي صلى الله عليه وسلم

التى ترك اظهار فعلها نحو معاذ الله وعمرك الله ومعناه منعا أى أسأل الله أن يمنع ذلك منعا كما أن المستعيذ طالب من الله عز وجل أن يمنع المكروه ووصفه بالمحجور للتأكيد كما يقال شعر شاعر وجد جده والاكثرون (٧) على أن القائلين هم الكفار اذا رأوا الملائكة

فزجره عقبة بن أبى معيط حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ويوم يعض الظالم على يديه قال عقبة بن أبى معيط دعا مجلسا فيهم النبى صلى الله عليه وسلم لطعام فأبى النبى صلى الله عليه وسلم أن يأكل وقال لا آكل حتى تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقال ما أنت بآكل حتى أشهد قال نعم قال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فلقيه أمية بن خلف فقال صبوت قال ان أخاك على ما تعلم ولكنى صنعت طعاما فأبى أن يأكل حتى أقول ذلك فقلته وليس من قصى * وقال آخرون عنى بفلان الشيطان ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فلانا خليلا قال الشيطان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله لقد أضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى يقول جل ثناؤه مخبرا عن هذا الندم على ما سلف منه فى الدنيا من معصية ربه فى طاعة خليله لقد أضلنى عن الايمان بالقرآن وهو الذكر بعد اذ جاءنى من عند الله فصدنى عنه يقول الله وكان الشيطان للانسان خذولا يقول مسلما لما يترل به من البلاء غير منقذه منه ولا منجيه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال الرسول يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا﴾ يقول تعالى ذكره وقال الرسول يوم يعض الظالم على يديه يارب ان قومى الذين بعثتنى اليهم لأدعوهم الى توحيدك اتخذوا هذا القرآن مهجورا * واختلف أهل التأويل فى معنى اتخاذهم القرآن مهجورا فقال بعضهم كان اتخاذهم ذلك هجرا قولهم فيه السيئ من القول وزعمهم أنه سحر وأنه شعر ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله اتخذوا هذا القرآن مهجورا قال يهجرون فيه بالقول يقولون هو سحر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وقال الرسول الآية يهجرون فيه بالقول قال مجاهد وقوله مستكبرين به سامرا تهجرون قال مستكبرين بالبلد سامرا مجالس تهجرون قال بالقول السيئ فى القرآن غير الحق حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم فى قول الله ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا قال قالوا فيه غير الحق ألم تر الى المريض اذا هذى قال غير الحق * وقال آخرون بل معنى ذلك الخبر عن المشركين أنهم هجروا القرآن وأعرضوا عنه ولم يسمعوا له ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله وقال الرسول يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا لا يريدون أن يسمعوه وان دعوا الى الله قالوا لا وقر أوهم ينهون عنه ويتأون عنه قال ينهون عنه ويبعدون عنه * قال أبو جعفر وهذا القول أولى بتأويل ذلك وذلك أن الله أخبر عنهم أنهم قالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وذلك هجرهم اياه وقوله وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين يقول تعالى ذكره ولنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وكما جعلنا لك يا محمد أعداء من مشركى قومك كذلك جعلنا لكل من بنأناه من قبلك عدوا من مشركى قومه فلم تخصص بذلك من بينهم يقول فاصبر لما نالك منهم

عند الموت أو يوم القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لأنهم لا يلقونهم الا بما يكرهون فيقولون ما كانوا يقولونه عند نزول كل شدة وقيل هم الملائكة ومعناه حراما محرما أى جعل الله الجنة والغفران أو البشرى حراما عليكم يروى أن الكفار اذا خرجوا من قبورهم قالت الحفظة لهم حجرا محجورا وقال الكلبى الملائكة على أبواب الجنة يبشرون المؤمنين بالجنة ويقولون للمشركين حجرا محجورا وقال عطية اذا كان يوم القيامة تأتى الملائكة المؤمنين بالبشرى فاذا رأى الكفار ذلك قالوا لهم بشرونا فيقولون حجرا محجورا ثم أخبر عن وعيد آخر لهم وذلك أنهم كانوا يعملون أعمالا لها صورة الخير من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف وأمثالها مع عدم ابتنائها على أساس الايمان فجعلت حالهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى أشيائهم وقصد الى ما تحت أيديهم فأفسدها بحيث لم يترك منها أثرا والا فلا قدوم ولا ما يشبه القدوم ولتنزهه سبحانه عن الجسمية وصفاتها قال أهل المعانى القادم الى الشئ قاصدا له فالقصد هو المؤثر فى القدوم فاطلق اسم المسبب على السبب مجازا وقيل أراد قدوم الملائكة بأمره الى موضع الحساب فى الآخرة والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وقال مقاتل انه الغبار الذى يسطع من حوافر الدواب وفى أمثالهم أقل من الهباء شبه عملهم بالهباء فى قلته وحقارته وأكد المعنى بوصف الهباء بالتناثر لأنك تراه منتظما مع الضوء حتى اذا حركته الريح تناثر وذهب كل مذهب والمراد جعلناه جامعا لحقارة الهباء والتناثر ولام الهباء واو بدليل الهبوة بمعناه ثم ميز حال الابرار

عن حال التجار بقوله (أصحاب الجنة يومئذ خير) ووجه صحة التفضيل ما بين في قوله قل أذلك خير أم جنة الخلد أو التفاوت بين المترلين انما يرجع الى الموضع والموضع من حيث انه موضع (٨) لاشرفيه أو هو على سبيل الفرض أي لو كان لهم مستقر كان مستقر أهل الجنة خيرا منه والمستقر مكان الاستقرار والمقيل المكان الذي يأوون اليه للاستراحة الى أزواجهم والاستمتاع بعفائلتهن وملامستهن كحال المترفين في الدنيا ولا يوم في الجنة وانما سمي مكان دعتهم واستراحتهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه وفي اختيار لفظ الأحسن دون أن يقول خير مقيلا رمز الى التحسنات الحاصلة في مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور وغير ذلك قال ابن مسعود لا ينتصف النهار من يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وعن سعيد بن جبير ان الله تعالى اذا أخذ في فصل القضاء قضى بينهم كقدر ما بين صلاة الغداة الى نصف النهار فيقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وقال مقاتل يخفف الحساب على أهل الجنة حتى يكون بمقدار نصف يوم من أيام الدنيا ثم يقيلون من يومهم ذلك في الجنة وحاصل الآية أن أصحاب الجنة من المكان في أطيب مكان ومن الزمان في أحسن زمان ثم أراد أن يصف أهوال يوم القيامة فقال (ويوم تشقق) أي واذكر يوم تتفتح السماء بسبب غمام يخرج منها وفي الغمام الملائكة فينزلون وفي أيديهم صحائف أعمال العباد قال الفراء الباء بمعنى عن لان السماء لا تنشق بالغمام بل عن الغمام كما يقال انشقت الارض عن النبات أي ارتفع التراب عنه عند طلوعه وقال القاضي لا يمتنع أن يجعل الله تعالى الغمام بحيث يشقق السماء باعتماده عليها عن مقاتل تشقق سماء الدنيا فينزل أهلها وكذلك تنشقق سماء سماء ثم ينزل الكروبيون وحملة العرش ثم ينزل الرب تعالى قال العلماء هذا نزول الحكم والقضاء لا نزول الذات وأما نزول الملائكة

كما صبر من قبلك أولو العزم من رسلنا ۞ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن عباس وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين قال يوطن محمدا صلى الله عليه وسلم أنه جاعل له عدوا من المجرمين كما جعل لمن قبله وقوله وكفى بربك هاديا ونصيرا يقول تعالى ذكره لنبيه وكفاك يا محمد بربك هاديا يهديك الى الحق وبنصرك الرشد ونصيرا يقول ناصرا لك على أعدائك يقول فلا يهولنك أعداؤك من المشركين فاني ناصرك عليهم فاصبر لأمري وامض لتبليغ رسالتي اليهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا﴾ يقول تعالى ذكره وقال الذين كفروا بالله لولا نزل عليه القرآن يقول هلا نزل على محمد صلى الله عليه وسلم القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى جملة واحدة قال الله كذلك لنثبت به فؤادك نترله عليك الآية بعد الآية والشيء بعد الشيء لنثبت به فؤادك نزلناه ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا قال كان الله ينزل عليه الآية فاذا علمها نبي الله نزلت آية أخرى ليعلمه الكتاب عن ظهر قلب ويثبت به فؤاده حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى قال كذلك لنثبت به فؤادك قال كان القرآن ينزل عليه جوابا لقولهم ليعلم محمد أن الله يجيب القوم بما يقولون بالحق ويعني بقوله لنثبت به فؤادك لنصحح به عزيمة قلبك ويقين نفسك ونشجعك به وقوله ورتلناه ترتيلا يقول وشيأ بعد شيء علما منه حتى تحفظه والترتيل في القراءة الترسل والتثبت ۞ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم في قوله ورتلناه ترتيلا قال نزل مغرقا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله ورتلناه ترتيلا قال كان ينزل آية وآيتين وآيات جوابا لهم اذا سألوا عن شيء أنزله الله جوابا لهم ورقا عن النبي فيما يتكلمون به وكان بين أوله وآخره نحو من عشرين سنة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ورتلناه ترتيلا قال كان بين ما أنزل القرآن الى آخره أنزل عليه لأربعين ومات النبي صلى الله عليه وسلم لثنتين أو لثلاث وستين ۞ وقال آخرون معنى الترتيل التبيين والتفسير ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ورتلناه ترتيلا قال فسرناه تفسيرا وقرأ ورتل القرآن ترتيلا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا﴾ يقول تعالى ذكره ولا يأتيك يا محمد هؤلاء المشركون بمثل يضربونه الا جئناك من الحق بما نبطل به ما جاؤا به وأحسن منه تفسيرا كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق قال الكتاب بما نزدبه ما جاؤا به من الامثال التي جاؤا بها وأحسن تفسيرا ويعني بقوله وأحسن تفسيرا وأحسن مما جاؤا به من المثل بيانا وتفصيلا ۞ وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثني

مع كثرتهم وصغر حجم الارض بالقياس الى السماء فقالوا لا يبعد أن يوسع الله الارض عرضا وطولا بحيث تسع كل هؤلاء ومن المفسرين من قال الملائكة يكونون فى الغمام وهو سترة بين السماء والارض والله تعالى فوق

حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وأحسن تفسيرا يقول أحسن تفصيلا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وأحسن تفسيرا قال بيانا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وأحسن تفسيرا يقول تفصيلا وقوله الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا يقول تعالى ذكره لنبيه هؤلاء المشركون يا محمد القائلون لك لولا نزل هذا القرآن جملة واحدة ومن كان على مثل الذى هم عليه من الكفر بالله الذين يحشرون يوم القيامة على وجوههم الى جهنم فيساقون الى جهنم شر مستقرا فى الدنيا والآخرة من أهل الجنة فى الجنة وأضل منهم فى الدنيا طريقا . وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم قال الذى أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم أولئك شر مكانا من أهل الجنة وأضل سبيلا قال طريقا حدثنى محمد بن يحيى الأزدى قال ثنا الحسين بن محمد قال ثنا شيبان عن قتادة قوله الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم قال حدثنا أنس بن مالك أن رجلا قال يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه قال الذى أمشاه على رجليه قادر أن يمشيه على وجهه حدثنا أبو سفيان الغنوى يزيد بن عمرو قال ثنا خلاد بن يحيى الكوفى قال ثنا سفيان الثورى عن اسمعيل بن أبى خالد قال أخبرنى من سمع أنس بن مالك يقول جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال كيف يحشرهم على وجوههم قال الذى يحشرهم على أرجلهم قادر بأن يحشرهم على وجوههم حدثنا عبيد بن محمد الوزاق قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا اسمعيل بن أبى خالد عن أبى داود عن أنس بن مالك قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحشر أهل النار على وجوههم فقال ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم حدثنى أحمد بن المقدام قال ثنا حزم قال سمعت الحسن يقول قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم فقالوا يا نبى الله كيف يمشون على وجوههم قال أرأيت الذى أمشاهم على أقدامهم أليس قادرا أن يمشيهم على وجوههم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا منصور بن زاذان عن على بن زيد بن جدعان عن أبى خالد عن أبى هريرة قال يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف على الدواب وصنف على أقدامهم وصنف على وجوههم قيل كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يتوعد مشركى قومه على كفرهم بالله وتكذيبهم رسوله ويخوفهم من حلول نقمته بهم نظير الذى يحل بمن كان قبلهم من الامم المكذبة رسلها ولقد آتينا يا محمد موسى الكتاب يعنى التوراة كالذى آتيناك من الفرقان وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا يعنى معينا وظهيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا يقول فقلنا لهما اذهبا الى فرعون وقومه الذين كذبوا بأعلامنا وأدلتنا فدمرناهم تدميرا وفى الكلام متروك استغنى بدلالة ما ذكر من ذكره وهو فذهبا فكذبوهما فدمرناهم حينئذ القول

قال تتشقق كل سماء وينزل سكانها فيحيطون بالعالم ويصيرون سبع صفوف حول العالم والظاهر أن اللام فى الغمام للجنس ومنهم من قال هى للعهد والمعهود قوله هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام وقيل هو غمام أبيض رقيق مثل الضبابة كما كان لبنى اسرائيل فى التيه ومعنى (تنزيلا) توكيد للنزول ودلالة على اسراعهم فيه قال الزجاج (الحق) صفة الملك أى الملك الثابت الذى لا يزول (للرحمن) يومئذ ونظيره مالك يوم الدين ويجوز أن يكون يومئذ تكريرا لقوله ويوم تشقق واعرابهما واحد والفائدة فى تخصيص ذلك اليوم أن يعلم أنه لا مالك فيه سواه لا بالصورة ولا فى الحقيقة فيخضع له الملوك وتعنوله الوجوه وتذل رقاب الجبابرة قالت الاشاعرة ههنا لو وجب على الله يومئذ الثواب لاستحق الذم بتركه وكان خائفا أن لا يفعل فلم يكن له الملك على الاطلاق وأيضا لو كان العبد مالكا للثواب لم يكن الله تعالى مالكا مطلقا بل يكون عبدا ضعيفا لا يقدر على أن لا يؤدى ما عليه من العوض أو فقيرا محتاجا الى أن يدفع الذم عن نفسه بأداء ما عليه وكان ذلك اليوم يوما عسيرا على الكافرين لا على المؤمنين واللام فى الظالم ظاهر الاستغراق والشمول أو الجنس وعن ابن عباس أنه للعهد وذلك أن الآية نزلت فى عقبة بن أبى معيط

وكان يكثر مجالسة الرسول صلى الله عليه وسلم فاتخذ ضيافة ودعا اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أن يأكل من طعامه حتى يأتى بالشهادتين ففعل وكان أبى بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت يا عقبة قال لا ولكن

أبى أن يأكل من طعامى وهو فى بيتى فاستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست فى نفسى فقال وجهى من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ قفاه ولم تبزق فى وجهه فوجده ساجدا (١٠) فى دار الندوة ففعل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ألقاك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فقتل يوم بدر أمر عليا رضى الله عنه بقتله وفى روايات الشيعة أن الظالم هو رجل بعينه وأن المسلمين غيروا اسمه وكتموه وجعلوا فلانا بدلا من اسمه وذكروا فاضلين من الصحابة وفيه بعد لان تغيير القرآن كفر والعض على اليدين كناية عن الغيظ والحسرة لانه من لوازم الغيظ والتحسر غالبا ونظيره سقط فى يده وأكل من بنانه وأمثال ذلك وقال الضحاك يأكل يديه الى المرفق ثم تنبت فلا يزال كذلك كلما أكلها نبتت قال جار الله تمنى أن لو صحب الرسول وسلك معه طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم تتشعب به طرق الضلالة والهوى أو أرادانى كنت ضالا لم يكن لى سبيل قط فليتنى حصلت لنفسى فى صحبة الرسول سبيلا وفلان كناية عن الاعلام كما أن الهن كناية عن الاجناس فان أريد بالظالم عقبة فالمعنى ليتنى لم اتخذ أبيا خليلا فكنى عن اسمه وان أريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم فجعله كناية عنه قلت زعم بعض أئمة اللغة أنه لم يثبت استعمال فلان فى الفصيح الا حكاية لا يقال جاءنى فلان ولكن يقال قال زيد جاءنى فلان لانه اسم اللفظ الذى هو علم لا اسم مدلول العلم ولذلك جاء فى كلام الله تعالى يقول يا ليتنى الخ والذكر كر الله والقرآن أو موعظة الرسول أو نطقه بشهادة الحق وعزمه على الاسلام والشيطان اشارة الى خليله الذى أضله كما يضله الشيطان ثم خذله ولم ينفعه فى العاقبة أو اشارة الى ابليس وأنه هو الذى حمله على أن صار خليلا لذلك المضل وخالف الرسول صلى الله عليه وسلم ثم خذله أو أراد الجنس فيدخل فيه كل من تشبه

فى تأويل قوله تعالى ﴿وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمين عذابا أليما﴾ يقول تعالى ذكره وقوم نوح لما كذبوا رسلنا وردوا عليهم ما جاؤهم به من الحق أغرقناهم بالطوفان وجعلناهم للناس آية يقول وجعلنا تغريقنا اياهم واهلاكنا عظة وعبرة للناس يعتبرون بها وأعتدنا للظالمين عذابا أليما يقول وأعددنا لهم من الكافرين بالله فى الآخرة عذابا أليما سوى الذى حل بهم من عاجل العذاب فى الدنيا ❊ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا﴾ يقول تعالى ذكره ودمرنا ايضا عادا وثمود وأصحاب الرس واختلف أهل التأويل فى أصحاب الرس فقال بعضهم أصحاب الرس من ثمود ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وأصحاب الرس قال قرية من ثمود * وقال آخرون بل هى قرية من اليمامة يقال لها الفلج ذكر من قال ذلك حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال ثنا ابن وهب قال ثنا جرير بن حازم قال قال قتادة الرس قرية من اليمامة يقال لها الفلج حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال عكرمة أصحاب الرس بفلج هم أصحاب يس * وقال آخرون هم قوم رسوا نبيهم فى بئر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى بكر عن عكرمة قال كان الرس بئرا رسوا فيها نبيهم * وقال آخرون هى بئر كانت تسمى الرس ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وأصحاب الرس قال هى بئر كانت تسمى الرس حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد فى قوله وأصحاب الرس قال الرس بئر كان عليها قوم * قال أبو جعفر * والصواب من القول فى ذلك قول من قال هم قوم كانوا على بئر وذلك أن الرس فى كلام العرب كل محفور مثل البئر والقبر ونحو ذلك ومنه قول الشاعر

سبقت الى فرط باهل * تنابلة يحفرون الرساسا

يريد أنهم يحفرون المعادن ولا أعلم قوما كانت لهم قصة بسبب حفرة ذكرهم الله فى كتابه الا أصحاب الاخدود فان يكونوا هم المعنيين بقوله وأصحاب الرس فانا سنذكر خبرهم ان شاء الله اذا انتهينا الى سورة البروج وان يكونوا غيرهم فلا نعرف لهم خبرا الا ما جاء من جملة الخبر عنهم أنهم قوم رسوا نبيهم فى حفرة الا ما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن كعب القرظى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول الناس يدخل الجنة يوم القيامة العبد الاسود وذلك أن الله تبارك وتعالى بعث نبيا الى أهل قرية فلم يؤمن من أهلها أحد الا ذلك الأسود ثم ان أهل القرية عدوا على النبى عليه السلام فحفروا له بئرا فألقوه فيها ثم أطبقوا عليه بحجر ضخم قال وكان ذلك العبد يذهب فيحتطب على ظهره ثم يأتى بحطبه فيبيعه فيشترى به طعاما وشرابا ثم يأتى به الى ذلك البئر فيرفع تلك الصخرة فيعينه الله عليها فيدلى اليه طعامه وشرابه ثم يعيدها كما كانت قال فكان كذلك ما شاء الله أن يكون ثم انه ذهب يوما يحتطب كما كان يصنع فجمع حطبه وحزم حزمته وفرغ منها فلما أراد أن يحتملها وجد سنة فاضطجع فنام فضرب الله على أذنه سبع سنين نائما ثم انه هب فتمطى فتحول لشقه الآخر فاضطجع فضرب الله على اذنه سبع سنين أخرى ثم انه هب فاحتمل حزمته ولا يحسب الا انه نام ساعة من نهار فجاء الى القرية فباع حزمته ثم اشترى طعاما وشرابا كما كان

من الجن والانس ثم ان الكفار لما أكثروا من الاعتراضات الفاسدة ووجوه التعنت ضاق صدر الرسول صلى الله عليه وسلم وشكاهم الى الله عز وجل وقال (يارب ان قومى) يعنى قريشا (اتخذوا هذا القرآن مهجورا) أى (١١) تركوه وصدوا عنه وعن الايمان به وعن أبى

يصنع ثم ذهب الى الحفرة فى موضعها التى كانت فيه فالتمسه فلم يجده وقد كان بدا لقومه فيه بداء فاستخرجوه وآمنوا به وصدقوه قال فكان النبى عليه السلام يسألهم عن ذلك الاسود ما فعل فيقولون ما ندرى حتى قبض الله النبى فأهب الله الاسود من نومته بعد ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ذلك الاسود لأول من يدخل الجنة غير أن هؤلاء فى هذا الخبر ذكر محمد بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم أنهم آمنوا بنبيهم واستخرجوه من حفرته فلا ينبغى أن يكونوا المعنيين بقوله وأصحاب الرس لان الله أخبر عن أصحاب الرس أنه دمرهم تدميرا الا أن يكونوا دمروا بأحداث أحدثوها بعد نبيهم الذى استخرجوه من الحفرة وآمنوا به فيكون ذلك وجها وقرونا بين ذلك كثيرا يقول ودمرنا بين أضعاف هذه الامم التى سمينا لكم أمما كثيرة كما **حدثنا** الحسن ابن شبيب قال ثنا خلف بن خليفة عن جعفر بن على بن أبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلفت بالمدينة عمى ممن بقى على أن القرن سبعون سنة وكان عمه عبيد الله بن أبى رافع كاتب على رضى الله عنه **حدثنا** عمرو بن عبد الحميد قال ثنا حفص بن غياث عن الحجاج عن الحكم عن ابراهيم قال القرن أربعون سنة وقوله وكلا ضربنا له الامثال يقول تعالى ذكره وكل هذه الامم التى أهلكناها التى سميناها لكم أولم نسمها ضربنا له الأمثال يقول مثلناله الأمثال ونبهناها على حجتنا عليها وأعذرنا اليها بالعبر والمواعظ فلم نهلك منهم أمة الا بعد الابلاغ اليهم فى المعذرة ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة فى قوله وكلا ضربنا له الأمثال قال كل قد أعذر الله اليه ثم انتقم منه وقوله وكلا تبرنا تتبيرا يقول تعالى ذكره وكل هؤلاء الذين ذكرنا لكم أمرهم استأصلناهم فدمرناهم بالعذاب ابادة وأهلكناهم جميعا ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله وكلا تبرنا تتبيرا قال تبر الله كلا بعذاب تتبيرا **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير وكلا تبرنا تتبيرا قال تتبير بالنبطية **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج فى قوله وكلا تبرنا تتبيرا قال بالعذاب ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أتى هؤلاء الذين اتخذوا القرآن مهجورا على القرية التى أمطرها الله مطر السوء وهى سدوم قرية قوم لوط ومطر السوء هو الحجارة التى أمطرها الله عليهم فأهلكهم بها كما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ولقد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء قال حجارة وهى قرية قوم لوط واسمها سدوم قال ابن عباس خمس قريات فأهلك الله أربعا وبقيت الخامسة واسمها صعوة لم تهلك صعوة كان أهلها لا يعملون ذلك العمل وكانت سدوم أعظمها وهى التى نزل بها لوط ومنها بعث وكان ابراهيم صلى الله عليه وسلم ينادى نصيحة لهم يا سدوم يوم لكم من الله أنها كم أن تعرضوا لعقوبة الله زعموا أن لوطا ابن أخى ابراهيم صلوات الله عليهما وقوله أفلم يكونوا يرونها يقول جل ثناؤه أولم يكن هؤلاء المشركون الذين قد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء يرون تلك القرية وما نزل بها من عذاب الله بتكذيب أهلها رسلهم فيعتبروا ويتذكروا فيراجعوا التوبة من كفرهم وتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم بل كانوا لا يرجون نشورا يقول تعالى ذكره ما كذبوا محمدا فيما جاءهم به من عند

مسلم أن المراد وقال الرسول صلى الله عليه وسلم يوم القيامة روى عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يارب العالمين عبدك هذا اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى والجار محذوف أى جعلوه مهجورا فيه وعلى هذا فله معنيان أحدهما أنهم زعموا أنه كلام لا فائدة فيه والثانى أنهم كانوا اذا سمعوه لغوا فيه وجوز الكشاف أن يكون المهجور مصدرا بمعنى الهجر كالميسور والمجلود أى اتخذوه هجرا * سؤال هذا النداء بمنزلة قول نوح رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا فكيف صارت شكاية نوح سببا لحلول العذاب بامته ولم تصر شكاية نبينا صلى الله عليه وسلم سببا لذلك * الجواب ان الكلام بالتمام وكان من تمام كلام نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولم يكن كلام رسولنا الا مجرد الشكاية ولم يقتض الدعاء عليهم وذلك من غاية شفقته على الامة وان بلغ ايذاؤهم اياه الغاية ما أوذى نبى مثل ما أوذيت هذا مع أنه سبحانه سلاه وعزاه وأمره بالصبر على أذاهم حين قال (وكذلك جعلنا) بين ذلك أن له أسوة بسائر الانبياء فليصبر على ما يلقاه من قومه كما صبروا وتمام البحث فيه قد سلف فى الانعام فى قوله وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن (وكفى بربك هاديا ونصيرا) الى مصالح الدين والدنيا أو الى طريق قهرهم والانتصار منهم ونصيرا لك على أعدائك ثم حكى عنهم شبهة خامسة وهى قولهم هلا نزل عليه القرآن حال كونه جملة واحدة أى مجتمعا ومعنى التنزيل ههنا التعدية

فقط لقرينة قوله جملة خلاف ما تقرر في أكثر المواضع من ارادة التكثير المفيد للتدريج كما مر في قوله نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل والقائلون (١٢) قريش أو اليهود فأجاب الله تعالى عن شبهتهم بقوله (لنثبت) الخ وتقريره من وجوه أحدها أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن قارئا كاتبا بخلاف موسى وداود وعيسى فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فأنزله الله عليه منجما في عشرين سنة وعن ابن جريج في ثلاث وعشرين ليكون أقرب الى الضبط وأبعد عن النسيان والسهو وثانيها أن الاعتماد على الحفظ أقرب الى التحصيل من الاعتماد على الكتابة والحفظ لا بد فيه من التدريج وثالثها ان نزول الشرائع متدرجة أسهل على المكلف منها دفعة ورابعها أن نزول جبريل ساعة فساعة مما يقوى قلبه ويعينه على تحمل أعباء النبوة والرسالة وخامسها أن نزوله مفرقا يوجب وقوع التحدي على أبعاض القرآن وأجزائه ونزوله جملة يقتضي وقوع التحدي على مجموعه ولا ريب في أن الاول ادخل في الاعجاز وسادسها ان نزوله بحسب الوقائع والحوادث أوفق في باب التكاليف والاستبصار وادل على الاخبار عن الحوادث في أوقاتها وسابعها أن في تجديد منصب السفارة في كل حين مزيد شرف لجبريل وللترتيل معان منها أنه قدره آية بعد آية ودفعة عقيب دفعة ومنها الثاني في القراءة ومعنى ورتلناه أمرنا بترتيل قراءته ومنه حديث عائشة في قراءته لا يسرد كسردكم هذا لو أراد السامع أن يعد حروفها لعدها وهو مأخوذ من ترتيل الاسنان أي تفليجها يقال ثغر مرتل ويشبه بنور الاقحوان في تفليجه ومنها انه نزله في مدد متباعدة الاطراف جملتها عشرون سنة ولم يفرقه ابن في مدد متقاربة ثم ذكرانهم محجوجون في كل أوان بقوله (ولا يأتونك بمثل) أي بسؤال عجيب من أسئلتهم الباطلة الذي كأنه مثل في

الله لأنهم لم يكونوا رأوا ما حل بالقرية التي وصفت ولكنهم كذبوه من أجل أنهم قوم لا يخافون نشورا بعد الممات يعني انهم لا يوقنون بالعقاب والثواب ولا يؤمنون بقيام الساعة فيردعهم ذلك عما يأتون من معاصي الله وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج أظنه لم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا بعثا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وإذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وإذا رآك هؤلاء المشركون الذين قصصت عليك قصصهم ان يتخذونك الا هزوا يقول ما يتخذونك الا سخرية يسخرون منك يقولون هذا الذي بعث الله الينا رسولا من بين خلقه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن هؤلاء المشركين الذين كانوا يهزؤن برسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يقولون اذا رأوه قد كاد هذا يضلنا عن آلهتنا التي نعبدها فيصدنا عن عبادتها لولا صبرنا عليها وثبتنا على عبادتها وسوف يعلمون حين يرون العذاب يقول جل ثناؤه سيبين لهم حين يعاينون عذاب الله قد حل بهم على عبادتهم الآلهة من أضل سبيلا يقول من الراكب غير طريق الهدى والسالك سبيل الردى أنت أو هم وبنحو ما قلنا في تأويل قوله لولا أن صبرنا عليها قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها قال ثبتنا عليها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ﴾ يعني تعالى ذكره أرأيت يا محمد من اتخذ الهه شهوته التي يهواها وذلك أن الرجل من المشركين كان يعبد الحجر فاذا رأى أحسن منه رمى به وأخذ الآخر بعبده فكان معبوده والهه ما تخيره لنفسه فلذلك قال جل ثناؤه أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا يقول تعالى ذكره أفأنت تكون يا محمد على هذا حفيظا في أفعاله مع عظيم جهله أم تحسب يا محمد أن أكثر هؤلاء المشركين يسمعون ما يتلى عليهم فيعون أو يعقلون ما يعاينون من حجج الله فيفهمون انهم الا كالانعام يقول ما هم الا كالبهائم التي لا تعقل ما يقال لها ولا تفقه بل هم من البهائم أضل سبيلا لأن البهائم تهتدي لمراعيها وتنقاد لأربابها وهؤلاء الكفرة لا يطيعون ربهم ولا يشكرون نعمة من أنعم عليهم بل يكفرونها ويعصون من خلقهم وبرأهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا ﴾ يقول تعالى ذكره ألم تر يا محمد كيف مد ربك الظل وهو ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ألم تر الى ربك كيف مد الظل يقول ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ألم تر الى ربك كيف مد الظل قال مده ما بين صلاة الصبح الى طلوع الشمس حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير في قوله ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا قال الظل ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس حدثنا محمد بن عبد الله

ابن بزيع قال ثنا أبو محصن عن حصين عن أبي مالك قال ألم تر الى ربك كيف مد الظل قال ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله كيف مد الظل قال ظل الغداة قبل أن تطلع الشمس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال الظل ظل الغداة • قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله ألم تر الى ربك كيف مد الظل قال مده من طلوع الفجر الى طلوع الشمس حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ألم تر الى ربك كيف مد الظل يعني من صلاة الغداة الى طلوع الشمس قوله ولو شاء لجعله ساكنا يقول ولو شاء لجعله دائما لا يزول ممدودا لا تذهبه الشمس ولا تنقصه ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولو شاء لجعله ساكنا يقول دائما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولو شاء لجعله ساكنا قال لا تصيبه الشمس ولا يزول حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولو شاء لجعله ساكنا قال لا يزول حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولو شاء لجعله ساكنا قال دائما لا يزول وقوله ثم جعلنا الشمس عليه دليلا يقول جل ثناؤه ثم دللنا كم أيها الناس بنسخ الشمس اياه عند طلوعها عليه أنه خلق من خلق ربكم يوجده اذا شاء ويفنيه اذا أراد والهاء في قوله عليه من ذكر الظل ومعناه ثم جعلنا الشمس على الظل دليلا وقيل معنى دلالتها عليه أنه لو لم تكن الشمس التي تنسخه لم يعلم أنه شيء اذ كانت الاشياء انما تعرف باضدادها نظير الحلو الذي انما يعرف بالحامض والبارد بالحار وما أشبه ذلك ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ثم جعلنا الشمس عليه دليلا يقول طلوع الشمس حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ثم جعلنا الشمس عليه دليلا قال تحويه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله ثم جعلنا الشمس عليه دليلا قال أخرجت ذلك الظل فذهبت به وقوله ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا يقول تعالى ذكره ثم قبضنا ذلك الدليل من الشمس على الظل الينا قبضا خفيا سريعا بالقبض الذي نأتي به بالعشي ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا قال حوى الشمس الظل وقيل ان الهاء التي في قوله ثم قبضناه الينا عائدة على الظل وان معنى الكلام ثم قبضنا الظل الينا بعد غروب الشمس وذلك أن الشمس اذا غربت غاب الظل الممدود قالوا وذلك وقت

يراد ولا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت صفته وحاله أن ينزل معه ملك أو يلقى اليه كنز أو يترل عليه القرآن جملة الا أعطيناك نحن ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا وما هو أحسن بيانا لما بعثت به ومن جملة ذلك تنزيل القرآن مفرقا منجما فان ذلك أدخل في الاعجاز كما مر ثم أوعد هؤلاء الجهلة بأنهم شر مكانا من أهل الجنة والبحث عنه نظير ما مر في صفة أهل الجنة خير مستقرا قال جار الله كأنه قيل لهم ان الذي يحملكم على هذه الاسئلة هو أنكم تضللون سبيله صلى الله عليه وسلم وتحتقرون مكانه ومنزلته ولو نظرتم بعين الانصاف وأنتم من المسحوبين على وجوهكم الى جهنم لعلمتم أن مكانكم شر من مكانه وسبيلكم أضل من سبيله عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على أقدامهم يمشون نسلا ثم ذكر طرفا من قصص الاولين على عادة افتنانه في الكلام تنشيطا للاذهان وتسلية لنبيه كأنه قال لست يا محمد بأول من أرسلناه فكذب وآتيناه الآيات فرد قبل آتينا موسى التوراة وقويناه بأخيه ومع ذلك كذب ورد ومعنى الوزير تقدم في طه والوزارة لا تنافي النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد أنبياء ويؤمرون بأن يوازر بعضهم بعضا ولا شتراكهما في النبوة قيل لهما (اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا) ان حملناه على تكذيب آيات الالهية فظاهر وان حملناه على تكذيب آيات النبوة فاللفظ ماض والمعنى على الاستقبال على عادة اخبار الله تعالى ويجوز أن يراد الى القوم الذين آل حالهم الى أن كذبوا

فدمرناهم وعلى هذا فلا حذف والتدمير الاهلاك (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) بأن كذبوه وكذبوا من قبله من الرسل صريحا كانهم لما بروا بعثة الرسل أصلا كالبراهمة أولان تكذيب (١٤) واحد من الرسل كتكذيب كلهم (أغرقناهم وجعلناهم) أى اغراقهم وقصتهم (للناس آية) محل اعتبار (وأعتدنا للظالمين) وهم قوم نوح أولكل من سلك سبيلهم فى التكذيب وقصة عاد وثمود مذكورة مرارا وأما الرس فعن أبى عبيدة أنه البئر غير المطوية والقوم كانوا من عبدة الاصنام أصحاب آبار ومواش بعث الله عز وجل اليهم شعيبا فدعاهم الى الاسلام فابوا فبيناهم حول الرس انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود وقيل هم أصحاب النبى حنظلة بن صفوان ابتلاهم الله بالعنقاء وهى أعظم ما يكون من الطير سميت بذلك لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم وتنقض على صبيانهم فتخطفهم ان أعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فاهلكوا وقيل هم أصحاب الاخدود والرس عند العرب الدفن يقال رس الميت اذا دفن وغيب فى الحفيرة وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وستجىء القصة فى سورة يس وعن على رضى الله عنه أنهم قوم يعبدون شجرة الصنوبر رسوا نبيهم فى الارض وقيل هم قوم كانت لهم قرى على شاطئ نهر يقال له الرس من بلاد المشرق فبعث الله تعالى اليهم نبيا من ولد يهوذا بن يعقوب فكذبوه فلبث فيهم زمانا ثم حفروا بئرا فرسوه فيها وقالوا نرجو أن يرضى عنا الهنا وكان عامة قومهم يسمعون أنين نبيهم يقول الهى وسيدى ترى ضيق مكانى وشدة كربى وضعف قلبى فعجل قبض روحى حتى مات فارسل الله تعالى ريحا عاصفة أتاهى شديدة الحمرة وصارت الارض من تحتهم حجرا كبريت متوقدا وأظلتهم سحابة سوداء فذابت أبدانهم كما يذوب الرصاص وروى ابن جرير

قبضه واختلف أهل التأويل فى معنى قوله يسيرا فقال بعضهم معناه سريعا ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا يقول سريعا * وقال آخرون بل معناه قبضا خفيا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عبد العزيز بن رفيع عن مجاهد ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا قال خفيا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قبضا يسيرا قال خفيا قال ان ما بين الشمس والظل مثل الخيط واليسير الفعيل من اليسر وهو السهل الهين فى كلام العرب فمعنى الكلام اذ كان ذلك كذلك يتوجه لما روى عن ابن عباس ومجاهد لان سهولة قبض ذلك قد تكون بسرعة وخفاء وقيل انما قيل ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا لأن الظل بعد غروب الشمس لا يذهب كله دفعة ولا يقبل الظلام كله جملة وانما يقبض ذلك الظل قبضا خفيا شيأ بعد شئ ويعقب كل جزء منه يقبضه جزء من الظلام ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا﴾ يقول تعالى ذكره الذى مد الظل ثم جعل الشمس عليه دليلا هو الذى جعل لكم أيها الناس الليل لباسا وانما قال جل ثناؤه جعل لكم الليل لباسا لانه جعله لخلقه جنة يجنون فيها ويسكنون فصار لهم سترا يستترون به كما يستترون بالثياب التى يكسونها وقوله والنوم سباتا يقول وجعل لكم النوم راحة تستريح به أبدانكم وتهدأ به جوارحكم وقوله وجعل النهار نشورا يقول تعالى ذكره وجعل النهار يقظة وحياة من قولهم نشر الميت كما قال الاعشى

حتى يقول الناس مما رأوا * يا عجبا للميت الناشر

ومنه قول الله لا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا وكان مجاهد يقول فى تأويل ذلك ما حدثنى محمد بن عمر وقال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله والنهار نشورا قال ينشر فيه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وانما اخترنا القول الذى اخترنا فى تأويل ذلك لانه عقيب قوله والنوم سباتا فى الليل فاذ كان ذلك كذلك فوصف النهار بأن فيه اليقظة والنشور من النوم أشبه اذ كان النوم أخا الموت والذى قال مجاهد غير بعيد من الصواب لان الله أخبر أنه جعل النهار معاشا وفيه الانتشار للعاش ولكن النشور مصدر من قول القائل نشر فهو بالنشر من الموت والنوم أشبه كما صحت الرواية عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اذا أصبح وقام من نومه الحمد لله الذى أحيانا بعدما أماتنا واليه النشور ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وهو الذى أرسل الرياح نشرا بين يدى رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا لنحيى به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا﴾ يقول تعالى ذكره والله الذى ارسل الرياح الملقحة نشرا حياة أو من الحيا والغيث الذى هو منزله على عباده وأنزلنا من السماء ماء طهورا يقول وأنزلنا من السحاب الذى أنشأناه بالرياح من فوقكم أيها الناس ماء طهورا لنحيى به بلدة ميتا يعنى أرضا قحطة عذية لا تنبت وقال بلدة ميتا ولم يقل ميتة لأنه أراد بذلك لنحيى به موضعا ومكانا ميتا ونسقيه من خلقنا انعاما من البهائم وأناسى كثيرا يعنى بالأناسى جمع انسان وجمع أناسى بجعل الياء عوضا من النون التى فى انسان وقد يجمع انسان اناسين كما يجمع النشيان نشايين فان قيل

بإسناده الى النبي صلى الله عليه وسلم ان الله بعث نبيا الى اهل قرية فلم يؤمن به من اهلها الا عبد أسود ثم عدوا على الرسول فحفروا له بئرا فالقوه فيها ثم أطبقوا عليه حجرا ضخما فكان ذلك العبد يحتطب فيشترى له طعاما وشرابا (١٥) ويرفع الصخرة ويدليه اليه وكان كذلك ما شاء الله فاحتطب يوما فلما أراد أن يحملها وجد نوما فاضطجع فضرب الله على آذانه سبع سنين ثم انتبه وتمطى وتحول لشقه الآخر فنام سبع سنين ثم هب فاحتمل حزمته وظن أنه نام ساعة من نهار فجاء الى القرية فباع حزمته فاشترى طعاما وشرابا وذهب الى الحفرة فلم يجد أحدا وكان قومه استخرجوه فآمنوا به وصدقوه وذلك النبي يسألهم عن الاسود فيقولون لا ندري حاله حتى قبض الله تعالى النبي وقبض ذلك الاسود فقال صلى الله عليه وسلم ان ذلك الاسود أول من يدخل الجنة قلت هذه الرواية ان صحت فلا مدخل لها في المقصود فان المقام يقتضي ان يكونوا قوما كذبوا نبيهم فأهلكوا لأجل ذلك أما قوله (وقرونا بين ذلك) فالمشار اليه ما ذكر من الامم وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ومثله قول الحاسب فذلك كذا أي فما ذكر من الاعداد مجموعها كذا (وكلا) من الامم والقرون (ضربنا له الامثال) بينا له القصص العجيبة ليعتبروا ويتعظوا (وكلا تبرنا) أهلكنا أشنع الاهلاك حين لم ينجع فيهم ضرب المثل والتبير التفتيت والتكسير وكلا الأول منصوب بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو أنذرنا أو حذرنا وكلا الثاني منصوب بتبرنا لانه ليس بمشتغل عنه بضميره والضمير في (ولقد أتوا) لقريش والقرية سدوم من قرى قوم لوط وكانت خمسا ومطر السوء الحجارة (أفلم يكونوا) في مرات مرورهم على تلك القرية في متاجرهم الى الشام (يرونها بل كانوا) قوما كفروا بالبعث لا يتوقعون نشورا وعاقبة فمن ثم لم ينظروا الى آثار عذاب الله نظر عبرة واد كار (و) من جملة كفرهم وعنادهم انهم (اذا رأوك ان يتخذونك الا) مهزوا ثم فسر

أناسي جمع واحده انسي فهو مذهب أيضا محكي وقد يجمع أناسي مخففة الياء وكأن من جمع ذلك كذلك أسقط الياء التي بين عين الفعل ولامه كما يجمع القرقور قراقير وقراقر ومما يصحح جمعهما ياء بالتخفيف قول العرب أناسية كثيرة القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا﴾ يقول تعالى ذكره ولقد قسمنا هذا الماء الذي أنزلناه من السماء طهورا نحيي به الميت من الارض بين عبادنا ليتذكروا نعمي عليهم ويشكروا أيادي عندهم وإحساني اليهم فأبى أكثرهم إلا كفورا يقول الا جحودا النعمي عليهم وأيادي عليهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال اهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا معتمر بن سليمن عن أبيه قال سمعت الحسن بن مسلم يحدث طاوسا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ما عام بأكثر مطرا من عام ولكن الله يصرفه بين خلقه قال ثم قرأ ولقد صرفناه بينهم حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن سليمن التيمي قال ثنا الحسن بن مسلم عن سعيد ابن جبير قال قال ابن عباس ما عام بأكثر مطرا من عام ولكنه يصرفه في الارضين ثم تلا ولقد صرفناه بينهم ليذكروا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ولقد صرفناه بينهم قال المطر ينزله في الأرض ولا ينزله في الارض الاخرى قال قال عكرمة صرفناه بينهم ليذكروا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولقد صرفناه بينهم ليذكروا قال المطر مرة ههنا ومرة ههنا حدثنا سعيد بن الربيع الرازي قال ثنا سفيان بن عيينة عن يزيد بن أبي زياد أنه سمع أبا جحيفة يقول سمعت عبد الله بن مسعود يقول ليس عام بأمطر من عام ولكنه يصرفه ثم قرأ عبد الله ولقد صرفناه بينهم وأما قوله فأبى أكثر الناس إلا كفورا فان القاسم حدثنا قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة فأبى أكثر الناس إلا كفورا قال قولهم في الانواء ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا﴾ يقول تعالى ذكره ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا ينذرهم بأسنا على كفرهم بنا فيخف عنك كثير من أعباء ما حملناك منه ويسقط عنك بذلك مؤنة عظيمة ولكنا حملناك ثقل نذارة جميع القرى لنستوجب بصبرك عليه ان صبرت ما أعد الله لك من الكرامة عنده والمنازل الرفيعة قبله فلا تطع الكافرين فيما يدعونك اليه من أن تعبد آلهتهم فنذيقك ضعف الحياة وضعف الممات ولكن جاهدهم بهذا القرآن جهادا كبيرا حتى ينقادوا للاقرار بما فيه من فرائض الله ويدينوا به ويذعنوا للعمل بجميعه طوعا وكرها * وبنحو الذي قلنا في قوله وجاهدهم به قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله فلا تطع الكافرين وجاهدهم به قال بالقرآن * وقال آخرون في ذلك بما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وجاهدهم به جهادا كبيرا قال الاسلام وقرأ واغلظ عليهم وقرأ وليجدوا فيكم غلظة وقال هذا الجهاد الكبير ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا﴾ يقول تعالى ذكره والله الذي خلط البحرين فامرج أحدهما في الآخر وأفاضه فيه وأصل المرج الخلط ثم يقال للتخلية مرج لأن الرجل اذا خلى الشئ حتى اختلط بغيره فكأنه قد مرجه ومنه الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقوله

لعبد الله بن عمرو كيف بك يا عبد الله اذا كنت في حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم وصاروا هكذا وشبك بين أصابعه يعني بقوله قد مرجت اختلطت ومنه قول الله في أمر مريج أي مختلط والمماقيل للمرج مرج من ذلك لانه يكون فيه أخلاط من الدواب ويقال مرجت دابتك أي خليتها تذهب حيث شاءت ومنه قول الراجز * ترعى بها مرج ربيع ممرجا * ونحو ما قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وهو الذي مرج البحرين يعني أنه خلع أحدهما على الآخر حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله مرج البحرين أفاض أحدهما على الآخر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وهو الذي مرج البحرين يقول خلع أحدهما على الآخر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبي حمزة عن جابر عن مجاهد مرج أفاض أحدهما على الآخر وقوله هذا عذب فرات الفرات شديد العذوبة يقال هذا ماء فرات أي شديد العذوبة وقوله وهذا ملح أجاج يقول وهذا ملح مر يعني بالعذب الفرات مياه الانهار والامطار وبالملح الاجاج مياه البحار وانما عنى بذلك أنه من نعمته على خلقه وعظيم سلطانه يخلط ماء البحر العذب بماء البحر الملح الأجاج ثم يمنع الملح من تغيير العذب عن عذوبته وافساده اياه بقضائه وقدرته لئلا يضر افساده اياه ركان الملح منهما فلا يجدوا ماء يشربونه عند حاجتهم الى الماء فقال جل ثناؤه وجعل بينهما برزخا يعني حاجزا يمنع كل واحد منهما من افساد الآخر وحجرا محجورا يقول وجعل كل واحد منهما حراما محرما على صاحبه أن يغيره ويفسده * ونحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج يعني أنه خلع أحدهما على الآخر فليس يفسد العذب المالح وليس يفسد المالح العذب وقوله وجعل بينهما برزخا قال البرزخ الارض بينهما وحجرا محجورا يعني حجرا أحدهما على الآخر بأمره وقضائه وهو مثل قوله وجعل بين البحرين حاجزا وحدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وجعل بينهما برزخا قال مجلسا قوله وحجرا محجورا قال لا يختلط البحر بالعذب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وجعل بينهما برزخا قال حاجزا لا يراه أحد لا يختلط العذب في البحر قال ابن جريج فلم أجد بحرا عذبا الا الأنهار العذاب فان دجلة تقع في البحر فأخبرني الخبير بها أنها تقع في البحر فلا تمور فيه بينهما مثل الخيط الأبيض فاذا رجعت لم ترجع في طريقها من البحر والنيل يصب في البحر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني أبو تميلة عن أبي حمزة عن جابر عن مجاهد وجعل بينهما برزخا قال البرزخ انهما يلتقيان فلا يختلطان وقوله حجرا محجورا أي لا تختلط ملوحة هذا بعذوبة هذا يبغي أحدهما على الآخر حدثني يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن رجاء عن الحسن في قوله وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا

ذلك الاستهزاء بأنهم يقولون مشيرين اليه على سبيل الاستحقار هذا الذي بعثه الله حال كونه رسولا بزعمه ويجوز أن يكون تسميته رسولا استهزاء آخر من حيث انه تسليم واقرار في معرض الجحود والانكار وفي هذا جهل عظيم لانهم ان استحقروا صورته فلا أحسنهم خلقا وأعدلهم مزاجا مع انه لم يكن يدعي التميز بالصورة وان استهزؤا بالمعنى فيه فقد وقع التحدي بظهور المعجز عليه وقامت الحجة عليهم فهم أحق بالاستهزاء منه حين أصروا على الباطل بعد وضوح البرهان على الحق ولقد شهد عليهم بمضمون هذا التقرير ابن أخت خالتهم اذ قالوا (ان كاد) هي مخففة من الثقيلة واللام في (ليضلنا) هي الفارقة كأنهم سلموا أنه لقوة العقل وسطوع الحجة شارف أن يغلبهم على دينهم ويقلبهم عن طريقتهم لولا فرط لجاجهم وصبرهم على عبادة آلهتهم أطلقوا المقاربة أولا ثم قيدوها بلولا الامتناعية ثانيا وفيه انه صلى الله عليه وسلم بذل قصارى مجهوده في دعوتهم حتى شارفوا على الايمان بزعمهم وحين وصفوه بالاضلال والمضل لابد أن يكون ضالا في نفسه فكأنهم وصفوه بالضلال فلا جرم أوعدهم الله على ذلك بقوله (وسوف يعلمون) الى آخر الآية وانما يرون العذاب عند كشف الغطاء عن بصر البصيرة ثم بين انه لا تمسك لهم فيما ذهبوا اليه سوى التقليد واتباع هوى النفس فقال معجبا لرسوله (أرأيت من اتخذ الهه هواه) قدم المفعول الثاني للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا ثم نفى أن يكون هو حافظا عليهم كقوله وما أنت عليهم بوكيل لست عليهم بمصيطر قال الكلبي نسختها آية القتال عن سعيد بن جبير كان الرجل يعبد الحجر فاذا رأى أحسن منه رمى به وأخذ آخر ثم أضرب عن ذمهم باتخاذ الهوى الها الى نوع آخر أشنع في الظاهر قائلا (أم تحسب) وهي منقطعة ومعناه بل أتحسب وخص أكثرهم بالذكر اما لصون الكلام عن المنع على عادة الفصحاء

العقلاء واما الان منهم من كان يعرف الحق الا أن حب الرياسة يحمله على الخلاف وانما نفى عنهم السماع والعقل لانتفاء فائدتهما وأثرهما وباقى الآية تفسيرها مذكور فى آخر الاعراف فى قوله أولئك كالأنعام بل هم أضل قال جار الله جعلوا أضل من الانعام لانها تنقاد لأربابها التى تعلفها وتعرف المحسن من المسىء وتجذب المنافع وتجتنب المضار وتهتدى للمراعى والمشارب وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه من اساءة الشيطان ولا يطلبون أعظم المنافع وهو الثواب ولا يتقون أشد المضار وهو العقاب ولا يهتدون للحق الذى هو المرتع الهنىء والمشرب الروىء قلت ويحسن أيضا أن يذكر فى وجه التفضيل أن جهل الانعام بسيط غير مضر وجهل هؤلاء مركب مضر ومنهم من قال ان الانعام تسبح لله تعالى بخلاف الكفار ثم ذكر طرفا من دلائل التوحيد مع ما فيها من عظيم الانعام فأولها الاستدلال من أحوال الظل والرؤية اما بمعنى البصر فالمراد ألم ترالى صنع ربك أو ألم ترالى الظل كيف مده ربك واما بمعنى العلم وهو ظاهر وذلك أن الظل متغير ولكل متغير موجد وصانع والخطاب لكل من له أهلية النظر والاستدلال وللكلام فى تفسير الآية مجال الا أن ملخص الاقوال فيه اثنان الاول أن الظل أمر متوسط بين الضوء الخالص والظلمة الخالصة كالكيفيات الحاصلة داخل السقوف الكاملة وأفنية الجدران وهو أعدل الاحوال لأن الظلمة الخالصة يكرهها الطبع وينفر عنها الحس والضوء الكامل لقوته يبهر الحس البصرى ويؤذى بالتسخين ولذلك وصف الجنة به فى قوله وظل ممدود فاذا طلعت الشمس ووقع ضوءها على الجسم زال ظله فيظهر للعقول أنه كيفية زائدة على ما شاهده أولا فمعنى الآية ألم ترالى عجيب صنع

قال هذا البيس حدثنا الحسن قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا قال جعل هذا ملحا أجاجا قال والاجاج المر حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج يقول خلع أحدهما على الآخر فلا يغير أحدهما طعم الآخر وجعل بينهما برزخا هو الأجل ما بين الدنيا والآخرة وحجرا محجورا جعل الله بين البحرين حجرا يقول حاجزا حجز أحدهما عن الآخر بأمره وقضائه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا وجعل بينهما سترا لا يلتقيان قال والعرب اذا كلم أحدهم الآخر بما يكره قال حجرا قال ستر ادون الذى تقول «قال أبو جعفر» وانما اخترنا القول الذى اخترناه فى معنى قوله وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا دون القول الذى قاله من قال معناه انه جعل بينهما حاجزا من الارض أو من البيس لان الله تعالى ذكره أخبر فى أول الآية أنه مرج البحرين والمرج هو الخلط فى كلام العرب على ما بينت قبل فلو كان البرزخ الذى بين العذب الفرات من البحرين والملح الاجاج أرضا أو بيسا لم يكن هناك مرج للبحرين وقد أخبر جل ثناؤه أنه مرجهما وانما عرف قدرته بحجزه هذا الملح الاجاج عن افساد هذا العذب الفرات مع اختلاط كل واحد منهما بصاحبه فأما اذا كان كل واحد منهما فى حيز عن حيز صاحبه فليس هناك مرج ولا هنالك من الاعجوبة ما ينبه عليه أهل الجهل به من الناس ويذكرون به وان كان كل ما ابتدعه ربنا عجيبا وفيه أعظم العبر والمواعظ والحجج البوالغ ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا﴾ يقول تعالى ذكره والله الذى خلق من النطف بشرا انسانا فجعله نسبا وذلك سبعة وصهرا وهو خمسة كما حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فجعله نسبا وصهرا النسب سبع قوله حرمت عليكم أمهاتكم الى قوله وبنات الاخت والصهر خمس قوله وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم الى قوله وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وقوله وكان ربك قديرا يقول وربك يا محمد ذو قدرة على خلق ما يشاء من الخلق ونصرفهم فيما شاء وأراد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا﴾ يقول تعالى ذكره ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهة لا تنفعهم فتجلب اليهم نفعا اذا هم عبدوها ولا تضرهم ان تركوا عبادتها ويتركون عبادة من أنعم عليهم هذه النعم التى لا كفاء لأدناها وهى ما عدد علينا جل جلاله فى هذه الآيات من قوله ألم ترالى ربك كيف مد الظل الى قوله قديرا ومن قدرته القدرة التى لا يمتنع عليه معها شىء أراده ولا يتعذر عليه فعل شىء أراد فعله ومن اذا أراد عقاب بعض من عصاه من عباده أحل به ما أحل بالذين وصف صفتهم من قوم فرعون وعاد وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا فلم يكن لمن غضب عليه منه ناصر ولا له عنه دافع وكان الكافر على ربه ظهيرا يقول تعالى ذكره وكان الكافر معينا للشيطان على ربه مظاهرا له على معصيته ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ليث عن مجاهد وكان الكافر على ربه ظهيرا قال يظاهر الشيطان على معصية الله يعينه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن

ربك (كيف مد الظل) أى جعله ممتدا منبسطا على الاجسام (ولو شاء لجعله ساكنا) لا صقا بكل مظل (ثم جعلنا الشمس) على وجود (دليلا) فلولا الشمس ووقوع ضوئها على الاجرام لما عرف أن للظل وجودا لان الاشياء انما تعرف بأضدادها (ثم قبضناه) أى أزلنا الظل لا دفعة بل يسيرا يسيرا فانه كلما ازداد ارتفاع الشمس ازداد نقصان الاظلال فى جانب المغرب شيأ بعد شئ وفى القبض على هذا الوجه منافع جمة

* الثانى أنه سبحانه لما خلق السماء والارض ألقت السماء ظلها على الارض ممدودا منبسطا ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها دليلا على ذلك الظل لان الظل يتبعها كما يتبع الدليل فى الطريق من حيث انه يزيد بها وينقص ويتمدد وينقلص ثم لقبض الظل معنيان أحدهما انتهاء الاظلال الى غاية ما من النقصان بالتدريج وثانيهما قبضه عند قيام الساعة بقبض أسبابه وهى الاجرام النيرة وقوله الينا يؤكد هذا المعنى الثانى فيكون قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا يسير

* الاستدلال الثانى من أحوال الليل والنهار شبه ما يستر من ظلام الليل باللباس الساتر والسبات الراحة قاله أبو مسلم وذلك أن النوم سبب الراحة ومنه يوم السبت لما جرت به العادة من الاستراحة فيه عند طائفة وعلى هذا فالنشور بمعنى الانتشار والحركة قال جار الله السبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع الحياة وعلى هذا فالنشور بمعنى البعث وتكون الآية نظير قوله وهو الذى يتوفاكم بالليل عن لقمان أنه قال لابنه يا بنى كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر

* الاستدلال الثالث قوله (وهو الذى أرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته) أى قدام المطر وقدمه تفسيره فى الاعراف وأنه لم قال ههنا أرسل بلفظ الماضى وهناك يرسل أما قوله (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) فهو علم بين الفقهاء فى

ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله على ربه ظهيرا قال معينا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال ابن جريج أبو جهل معينا ظاهر الشيطان على ربه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله وكان الكافر على ربه ظهيرا قال عونا للشيطان على ربه على المعاصى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وكان الكافر على ربه ظهيرا قال على ربه عونا والظهير العون وقرأ قول الله فلا تكونن ظهيرا للكافرين قال لا تكونن لهم عونا وقرأ أيضا قول الله وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم قال ظاهروهم أعانوهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وكان الكافر على ربه ظهيرا يعنى أبا الحكم الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا جهل بن هشام وقد كان بعضهم يوجه معنى قوله وكان الكافر على ربه ظهيرا الى وكان الكافر على ربه هينا من قول العرب ظهرت به فلم ألتفت اليه اذا جعله خلف ظهره فلم يلتفت اليه وكأن الظهير كان عنده فعيل صرف من مفعول اليه من مظهور به كأنه قيل وكان الكافر مظهورا به والقول الذى قلناه هو وجه الكلام والمعنى الصحيح لان الله تعالى ذكره أخبر عن عبادة هؤلاء الكفار من دونه فالاولى الكلام أن يتبع ذلك ذمه اياهم وذم فعلهم دون الخبر عن هوانهم على ربهم ولما يجر لاستكبارهم عليه ذكر فيتبع بالخبر عن هوانهم عليه

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا قل ما أسئلكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما أرسلناك يا محمد الى من أرسلناك اليه الا مبشرا بالثواب الجزيل من آمن بك وصدقك وآمن بالذى جئتهم به من عندى وعملوا به ونذيرا من كذبك وكذب ما جئتهم به من عندى فلم يصدقوا به ولم يعملوا قل ما أسألكم عليه من أجر يقول له قل لهؤلاء الذين أرسلناك اليهم ما أسألكم يا قوم على ما جئتكم به من عند ربى أجرا فتقولون انما يطلب محمد أموالنا بما يدعونا اليه فلا نتبعه فيه ولا نعطيه من أموالنا شيأ الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا يقول لكن من شاء منكم اتخذ الى ربه سبيلا طريقا باغاقه من ماله فى سبيله وفيما يقربه اليه من الصدقة والنفقة فى جهاد عدوه وغير ذلك من سبل الخير

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وتوكل على الحى الذى لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا ﴾ يقول تعالى ذكره وتوكل يا محمد على الذى له الحياة الدائمة التى لا موت معها فثق به فى أمر ربك وفوض اليه واستسلم له واصبر على ما نابك فيه قوله وسبح بحمده يقول واعبده شكرا منك له على ما أنعم به عليك قوله وكفى به بذنوب عباده خبيرا يقول وحسبك بالحى الذى لا يموت خبيرا بذنوب خلقه فانه لا يخفى عليه شئ منها وهو محص جميعها عليهم حتى يجازيهم بها يوم القيامة

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فسئل به خبيرا ﴾ يقول تعالى ذكره وتوكل على الحى الذى لا يموت الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام فقال وما بينهما وقد ذكر السموات والارض والسموات جماع لانه وجه ذلك الى الصنفين والشيئين كما قال القطامى

ألم يحزنك أن حبال قيس * وتغلب قد تباينتا انقطاعا

يريد وحبال تغلب فثنى والحبال جمع لانه أراد الشيئين والنوعين وقوله فى ستة أيام قيل كان ابتداء ذلك

الاستدلال به على طهارة الماء فى نفسه وعلى مطهريته لغيره حتى فسر الطهور بعضهم ومنهم أحمد بن يحيى بأنه الذى يكون طاهرا فى نفسه مطهرا لغيره واعترض عليهم صاحب الكشاف بأن الذى قالوه ان كان شرحا (١٩) للاغته فى الطهارة كان سديدا والا فليس فعول

ذلك يوم الاحد والفراغ يوم الجمعة ثم استوى على العرش الرحمن يقول ثم استوى على العرش الرحمن وعلا عليه وذلك يوم السبت فيما قيل وقوله فاسأل به خبيرا يقول فاسأل يا محمد الرحمن خبيرا بخلقه فانه خالق كل شئ ولا يخفى عليه ما خلق ◦ ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله فاسأل به خبيرا قال يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم اذا أخبرتك شيأ فاعلم أنه كما أخبرتك أنا الخبير والخبير فى قوله فاسأل به خبيرا منصوب على الحال من الهاء التى فى قوله به ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا ﴾ يقول تعالى ذكره واذا قيل لهؤلاء الذين يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم اسجدوا للرحمن أى اجعلوا سجودكم لله خالصا دون الآلهة والاوثان قالوا أنسجد لما تأمرنا ◦ واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة لما تأمرنا بمعنى أنسجد نحن يا محمد لما تأمرنا أنت أن نسجد له وقرأته عامة قراء الكوفة لما يأمرنا بالياء بمعنى أنسجد لما يأمرنا الرحمن وذكر بعضهم أن مسيلمة كان يدعى الرحمن فلما قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن قالوا أنسجد لما يأمرنا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة بالسجود له ◦ قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله وزادهم نفورا يقول وزادهؤلاء المشركين قول القائل لهم اسجدوا للرحمن من اخلاص السجود لله وافراد الله بالعبادة بعدا ومما دعوا اليه من ذلك فرارا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ﴾ يقول تعالى ذكره تقدس رب الذى جعل فى السماء بروجا ويعنى بالبروج القصور فى قول بعضهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن العلاء ومحمد بن المثنى وسلم بن جنادة قالوا ثنا عبد الله بن ادريس قال سمعت أبى عن عطية بن سعد فى قوله تبارك الذى جعل فى السماء بروجا قال قصورا فى السماء فيها الحرس حدثنا محمد بن المثنى قال ثنى أبو معاوية قال ثنى اسمعيل عن يحيى بن رافع فى قوله تبارك الذى جعل فى السماء بروجا قال قصورا فى السماء حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن ابراهيم جعل فى السماء بروجا قال قصورا فى السماء حدثنى اسمعيل بن سيف قال ثنى على بن مسهر عن اسمعيل عن أبى صالح فى قوله تبارك الذى جعل فى السماء بروجا قال قصورا فى السماء فيها الحرس ◦ وقال آخرون هى النجوم الكبار ذكر من قال ذلك حدثنى ابن المثنى قال ثنا على بن عبيد قال ثنا اسمعيل عن أبى صالح تبارك الذى جعل فى السماء بروجا قال النجوم الكبار ◦ قال ثنا الضحاك عن مخلد عن عيسى بن ميمون عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الكواكب حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله بروجا قال البروج النجوم ◦ قال أبو جعفر وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال هى قصور فى السماء لان ذلك فى كلام العرب ولو كتم فى بروج مشيدة وقول الاخطل

كأنها برج رومى يشيده ◦ بان يجص وآجر وأحجار

يعنى بالبرج القصر قوله وجعل فيها سراجا اختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة

من التفعيل فى شئ وأقول ان الزمخشرى سلم أن الطهور فى العربية على وجهين صفة كقولك ماء طهور أى طاهر واسم غير صفة ومعناه ما يتطهر به كالوضوء والوقود بفتح الواو فيهما لما يتوضأ به وتوقد به النار وعلى هذا فالنزاع مدفوع لان الماء مما يتطهر به هو كونه مطهر الغيره فكأنه سبحانه قال وأنزلنا من السماء ماء هو آلة للطهارة ويلزمه أن يكون طاهرا فى نفسه ومما يؤكد هذا التفسير أنه تعالى ذكره فى معرض الانعام فوجب حمله على الوصف الا كمل ولا يخفى أن المطهر أكمل من الطاهر نظيره وينزل عليكم ماء من السماء ما ليطهركم به ◦ ولا ضير أن نذكر بعض أحكام المياه المستنبطة من الآية فنقول ههنا نظران الاول أن عين الماء هو طهور أم لا مذهب الاصم والاوزاعى أنه يجوز الوضوء بجميع المائعات وقال أبو حنيفة يجوز الوضوء بنبيذ التمر فى السفر ويجوز ازالة النجاسة بجميع المائعات المزيلة لاعيان النجاسات وقال الشافعى وغيره من الائمة ان الطهورية مختصة بالماء لما مر فى أول المائدة من ايجاب التيمم عند عدم الماء ولو شارك الماء مائع آخر لما أمر بالتيمم الابعد اعوازه أيضا ودليله فى الحديث قوله صلى الله عليه وسلم ثم اغسليه بالماء النظر الثانى فى الماء وفيه بحثان الاول فى الماء المستعمل وانه طاهر عند الشافعى وليس بطهور فى قوله الجديد أما

الاول فلاطلاق الآية وأنزلنا من السماء ماء طهورا والاصل بقاؤه وللحديث خلق الماء طهورا ولان السلف كانوا لا يحترزون عن تقاطر ماء الوضوء على ثيابهم وأبدانهم ولانه ماء طاهر لقى جسما طاهرا فأشبه ما اذا لاقى حجارة وأما الثانى فلقوله صلى الله عليه وسلم لا يغتسل أحدكم

فى الماء الدائم وهو جنب ولو بق الماء كما كان طاهرا مطهرا ما كان لمنع منه معنى وكانت الصحابة لا يعتنون بحفظه ليستعملوه ثانيا ولو كان طهورا لحفظوا ما يغنيهم عن التيمم وقال مالك والسدى انه طاهر مطهر لاطلاق الآية والحديث والاصل بقاء صفة على ما كان عليه وروى أنه صلى الله عليه وسلم توضأ فسح رأسه بفضل ما فى يده وعن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم اغتسل فرأى لمعة فى جسده لم يصبها الماء فأخذ شعرة عليها بلل فأمر بها على تلك اللمعة وقياس ما انفصل من العضو على ما لم ينفصل منه وقال أبو حنيفة انه نجس قياسا للنجاسة الحكمية على النجاسة الحقيقية والمراد باستعمال الماء فى المسئلة تأدى عبادة الطهارة به أو انتقال المنع اليه فيه وجهان لاصحاب الشافعى ويتفرع عليه أن المستعمل فى الكرة الثانية والثالثة وفى تجديد الوضوء والاغسال المسنونة ليس بطهور على الاول طهور على الثانى والماء المستعمل فى الحدث لا يجوز استعماله فى الخبث على الأصح لانه مائع لا يرفع الحدث فلا يزيل الخبث كسائر المائعات * البحث الثانى الماء المتغيران تغير بنفسه لطول المكث جاز الوضوء به لانه صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ من بئر بضاعة وكان ماؤها كانه نقاعة الحناء وان تغير بغيره ولم يتصل به كالو وقع بقرب الماء جيفة فأنتن الماء فهو أيضا مطهر وان اتصل به وكان طاهرا ولم يخالطه كالو تغير بدهن أو عود أو كافور صلب فهو أيضا مطهر وان خالطه فان لم يمكن صون الماء عنه كالمتغير بالتراب والحمأة والورق المتناثر والطحلب فلا بأس بذلك دفعا للحرج وكذا لو جرى الماء فى طريقه على معدن زرنيخ أو نورة أو كبريت وان أمكن بأن يكون الماء مستغنيا عن جنس ذلك الخليط فان كان التغير قليلا بحيث لا يضاف الماء اليه أولا يستحدث اسما وكما

والبصرة وجعل فيها سراجا على التوحيد ووجها تأويل ذلك الى أنه جعل فيها الشمس وهى السراج التى عنى عندهم بقوله جعل فيها سراجا كما حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا قال السراج الشمس وقرأته عامة قراء الكوفيين وجعل فيها سرجا على الجماع كأنهم وجهوا تأويله وجعل فيها نجوما وقمرا منيرا وجعلوا النجوم سرجا اذ كان يهتدى بها * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال انهما قراءتان مشهورتان فى قرأة الامصار لكل واحدة منهما وجه مفهوم فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله وقمرا منيرا يعنى بالمنير المضيء ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ﴾ * اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله جعل الليل والنهار خلفة فقال بعضهم معناه أن الله جعل كل واحد منهما خلفا من الآخر فى أن ما فات فى أحدهما من عمل يعمل فيه لله أدرك قضاؤه فى الآخر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية عن شقيق قال جاء رجل الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال فاتتنى الصلاة الليلة فقال أدرك ما فاتك من ليلتك فى نهارك فان الله جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة يقول من فاته شئ من الليل أن يعمله أدركه بالنهار ومن النهار أدركه بالليل حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله جعل الليل والنهار خلفة قال جعل أحدهما خلفا للآخر فان فات رجلا من النهار شئ أدركه من الليل وان فاته من الليل أدركه من النهار * وقال آخرون بل معناه أنه جعل كل واحد منهما مخالفا صاحبه بفعل هذا أسود وهذا أبيض ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الليل والنهار خلفة قال أسود وأبيض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا يحيى بن يمان قال ثنا سفيان عن عمر بن قيس بن أبى مسلم الماصر عن مجاهد وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة قال أسود وأبيض * وقال آخرون بل معنى ذلك أن كل واحد منهما يخلف صاحبه اذا ذهب هذا جاء هذا واذا جاء هذا ذهب هذا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد الزبيرى قال ثنا قيس عن عمر بن قيس الماصر عن مجاهد قوله جعل الليل والنهار خلفة قال هذا يخلف هذا وهذا يخلف هذا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة قال لو لم يجعلهما خلفة لم يدر كيف يعمل لو كان الدهر ليلا كله كيف يدرى أحد كيف يصوم أو كان الدهر نهارا كله كيف يدرى أحد كيف يصلى قال والخلفة مختلفان يذهب هذا ويأتى هذا جعلهما الله خلفة للعباد وقرأ لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا والخلفة مصدر فلذلك وحدت وهى خبر عن الليل والنهار والعرب تقول خلف هذا من كذا خلفة وذلك اذا جاء شئ مكان شئ ذهب قبله كما قال الشاعر

وظبا بالماطرون اذا * أكل النمل الذى جمعا
خلفة حتى اذا ارتبعت * سكنت من جلق بيعا

وكما جديدا جاز التوضؤ به والا فلا خلافا لابى حنيفة حجة الشافعى أنه صلى الله عليه وسلم توضأ ثم قال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به فذلك

الوضوء ان كان بالماء المتغير وجب أن لا يجوز الا به وليس كذلك بالاتفاق فهو بماء غير متغير وهو المطلوب ولقائل أن يقول ان هذا اشارة الى كيفية الوضوء لا الى كيفية الماء والمراد أنه تعالى لا يقبل الصلاة بما دون ذلك وأما الكمال فلا كلام

وكما قال زهير

بها العين والآرام يمشين خلفة ٭ وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

يعني بقوله يمشين خلفة تذهب منها طائفة وتخلف مكانها طائفة أخرى وقد يحتمل أن زهيرا أراد بقوله خلفة مختلفات الالوان وأنها ضروب في ألوانها وهيآتها ويحتمل أن يكون أراد أنها تذهب في مشيها كذا وتجيء كذا وقوله لمن أراد أن يذكر يقول تعالى ذكره جعل الليل والنهار وخلوف كل واحد منهما الآخر حجة وآية لمن أراد أن يذكر أمر الله فيتيب الى الحق أو أراد شكورا أو اراد شكر نعمة الله التي أنعمها عليه في اختلاف الليل والنهار ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أو أراد شكورا قال شكر نعمة ربه عليه فيهما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله لمن أراد أن يذكر ذلك آية له أو أراد شكورا قال شكر نعمة ربه عليه فيهما ٭ واختلفت القراء في قراءة قوله يذكر فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين يذكر مشددة بمعنى يتذكر وقرأه عامة قراء الكوفيين يذكر مخففة وقد يكون التشديد والتخفيف في مثل هذا بمعنى واحد يقال ذكرت حاجة فلان وتذكرتها والقول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فيهما ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ يقول تعالى ذكره وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا بالحلم والسكينة والوقار غير مستكبرين ولا متجبرين ولا ساعين فيها بالفساد ومعاصي الله ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل غير أنهم اختلفوا فقال بعضهم عني بقوله يمشون على الارض هونا أنهم يمشون عليها بالسكينة والوقار ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الذين يمشون على الارض هونا قال بالوقار والسكينة ٭ قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا محمد بن أبي الوضاح عن عبد الكريم عن مجاهد يمشون على الارض هونا قال بالحلم والوقار حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله يمشون على الارض هونا قال بالوقار والسكينة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يمشون على الارض هونا بالوقار والسكينة حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد وعبد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا قالا بالسكينة والوقار حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن شريك عن جابر عن عمار عن عكرمة في قوله يمشون على الارض هونا قال بالوقار والسكينة ٭ قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن منصور عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أيوب عن عمرو الملائي يمشون على الارض هونا قال بالوقار والسكينة ٭ وقال آخرون بل معنى ذلك أنهم يمشون عليها بالطاعة والتواضع ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن

فيه قال وأيضا اذا اختلط ماء الورد بالماء فتوضأ الانسان به يحتمل أن يغسل بعض الاعضاء بماء الورد لا بالماء فيكون الحدث يقينا والطهر مشكوكا فيه والشك لا يرفع اليقين وهذا بخلاف ما اذا كان قليلا لا يظهر أثره فانه كالمعدوم وأيضا الوضوء تعبد لا يعقل معناه وهذا توضأ بماء الورد لم يصح وضوءه ولو توضأ بالماء الكدر والمتغفن صح وضوءه ومالا يعقل معناه وجب الاعتماد فيه على مورد النص حجة أبي حنيفة اطلاق الآية وقوله فاغسلوا وجوهكم وقوله فان لم تجدوا ماء وهذا الشخص غسل ووجد الماء ولانه صلى الله عليه وسلم أباح الوضوء بسؤر الحمرة وسؤر الحائض وان خالطهما شئ من لعابهما ولانه لا خلاف في جواز الوضوء بماء السيول وان تغيروا بها الى ألوان ما تمر عليها في الصحارى من الحشائش وغيرها هذا كله اذا كان الخليط طاهرا فان كان نجسا فمذهب الحسن البصري والنخعي ومالك وداود واليه ميل الغزالي في الاحياء أن الماء لا ينجس ما لم يتغير بالنجاسة سواء كان الماء كثيرا أو قليلا ومذهب أبي حنيفة أن الماء ينجس باستعماله في البدن لأداء عبادة ويتيقن مخالطة النجاسة أو غلبتها على الظن سواء تغير أحد أوصافه الثلاثة أو لم يتغير قال أبو بكر الرازي ولا يختلف على هذا الحدماء البحر وماء البئر والغدير والراكد والجاري لان ماء البحر لو وقعت فيه نجاسة لم يجز استعمال الماء الذي فيه النجاسة وكذلك الماء الجاري قال وأما اعتبار أصحابنا للغدير الذي اذا حرك أحد طرفيه لم يتحرك الطرف الآخر فانما هو كلام في وجه يغلب على الظن عدم بلوغ النجاسة الواقعة في أحد طرفيه

الى الطرف الآخر وليس كلاما فى أن بعض المياه الذى فيه النجاسة قد يجوز استعماله وبعضها لا يجوز استعماله ◦ ومن الناس من فرق بين القليل والكثير ثم اختلفوا فى حد الكثير

فعن عبد الله بن عمر اذا كان الماء أربعين قلة لم يحمله شيء وقال سعيد بن جبير الماء الراكد لا ينجسه شيء اذا كان قدر ثلاث قلال وقال الشافعى اذا كان الماء قلتين بقلال هجر لم ينجسه الا ما غير طعمه أو ريحه أو لونه وقد ينصر من المذاهب قول مالك لوجوه منها قوله وأنزلنا من السماء ماء طهورا ترك العمل به فى الماء الذى تغير لونه أو طعمه أو ريحه لظهور النجاسة فيه ولقوله خلق الماء طهورا لا ينجسه شيء الا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه فبقى ما عداه على الاصل ومنها قوله تعالى فاغسلوا والمتوضى بهذا الماء قد غسل أعضاءه ولا سيما اذا كانت النجاسة مستهلكة فيه لا يظهر عليه آثارها وخواصها من الطعم أو اللون أو الريح ومنها أن عمر توضأ من جرة نصرانية مع أن نجاسة أوانيهم غالبة على الظن فدل ذلك على أنه لم يعول الا على عدم التغير ومنها أن تقدير الماء بمقدار معلوم لو كان معتبرا كالقلتين عند الشافعى وعشر فى عشر عند أبى حنيفة لكان أولى المواضع بذلك مكة والمدينة لانه لا تكثر المياه هنالك لا الجارية ولا الراكدة ولم ينقل أنهم خاضوا فى تقدير المياه ولا أنهم سألوا عن كيفية حفظها وكانت أوانيهم يتعاطاها الصبيان والاماء الذين لا يحترزون عن النجاسات وكانوا لا يمنعون الحرة من شرب الماء وقد أصغى لها الاناء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن كانوا يرون أنها تأكل القاذورة ولم يكن فى بلادهم حياض تكرع السنانير فيها ومنها أن الشافعى نص على أن غسالة النجاسة طاهرة اذا لم تتغير بنجس وأى فرق بين أن يلاقى الماء النجاسة بالورود عليها أو بورودها عليه وأى معنى لقول القائل ان قوة الورود تدفع النجاسة مع أن قوة الورود لم تمنع

عباس قوله الذين يمشون على الارض هونا بالطاعة والعفاف والتواضع حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا قال يمشون على الارض بالطاعة حدثنى أحمد بن عبد الرحمن قال ثنى عمى عبد الله بن وهب قال كتب الى ابراهيم بن سويد قال سمعت زيد بن أسلم يقول التمست تفسير هذه الآية الذين يمشون على الارض هونا فلم أجدها عند أحد فأتيت فى النوم فقيل لى هم الذين لا يريدون يفسدون فى الارض حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه قال لا يفسدون فى الارض حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا قال لا يتكبرون على الناس ولا يتجبرون ولا يفسدون وقرأ قول الله تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ◦ وقال آخرون بل معنى ذلك أنهم يمشون عليها بالحلم لا يجهلون على من جهل عليهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أبى الأشهب عن الحسن فى يمشون على الارض هونا قال حلماء وان جهل عليهم لم يجهلوا حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة يمشون على الارض هونا قال حلماء حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله يمشون على الارض هونا قال علماء حلماء لا يجهلون وقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما يقول واذا خاطبهم الجاهلون بالله بما يكرهونه من القول أجابوهم بالمعروف من القول والسداد من الخطاب ◦ ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا أبو الاشهب عن الحسن واذا خاطبهم الآية قال حلماء وان جهل عليهم لم يجهلوا حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن معمر عن يحيى ابن المختار عن الحسن فى قوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال ان المؤمنين قوم ذلل ذلت منهم والله الاسماع والابصار والجوارح حتى يحسبهم الجاهل مرضى وانهم لأصحاء القلوب ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة فقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن والله ما حزنهم حزن الدنيا ولا تعاظم فى أنفسهم ما طلبوا به الجنة أبكاهم الخوف من النار وانه من لم يتعز بعزاء الله تقطع نفسه على الدنيا حسرات ومن لم يرض لله عليه نعمة الا فى مطعم ومشرب قد قل علمه وحضر عذابه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال سدادا حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا محمد بن أبى الوضاح عن عبد الكريم عن مجاهد واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال سدادا من القول حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن الثورى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما حلماء ◦ قال ثنا الحسين قال ثنا يحيى بن يمان عن أبى الاشهب عن الحسن قال حلماء لا يجهلون وان جهل عليهم حلموا ولم يسفهوا هذا نهارهم فكيف لياليهم خير ليل صفوا أقدامهم وأجروا دموعهم على خدودهم يطلبون الى الله جل ثناؤه فى فكاك رقابهم ◦ قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا عباد عن الحسن قال حلماء لا يجهلون وان جهل عليهم حلموا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين

يقولون

المخالطة ومنها أنهم كانوا يستنجون على أطراف المياه الجارية القليلة وقال الشافعي اذا وقع بول في ماء جار ولم يتغير جاز الوضوء به وأي فرق بين الجاري والراكد والتعويل على قوة الماء بسبب الجريان ليس أولى من (٢٣) التعويل على عدم التغير ومنها أنه لو وقعت نجاسة في قلتين فكل كوز يؤخذ منه فهو طاهر عنده ومعلوم أن البول ينتشر فيه وهو قليل فأي فرق بينه اذا وقع ذلك البول في ذلك القدر من الماء ابتداء وبينه اذا وصل اليه عند اتصال غيره به ومنها أن الحمامات لم تزل في الاعصار الخالية يتوضأ منها المتقشفون مع علمهم بان الايدي والاواني الطاهرة والنجسة كانت تتوارد عليها ولو كان التقدير بالقلتين وغير ذلك معتبرا لاشتهر وتواتر ومنها أن النصوص في التقدير مخالفة أما تقدير أبي حنيفة بالعشر في العشر فمجرد تحكم وأما تقدير الشافعي بالقلتين بناء على قوله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا فضعيف لان راويه مجهول فان الشافعي لما روى هذا الخبر قال أخبرني رجل فيكون الحديث مرسلا والمرسل عنده ليس بحجة سلمناه ولكن القلة مجهولة فانها تصلح للكوز والجرة ولكل ما يقل باليد وهي أيضا اسم لهامة الرجل وقلة الجبل سلمنا لكن في متن الخبر اضطراب فقد روى اذا بلغ الماء قلتين وروى اذا بلغ قلة وروى أربعين واذا بلغ كرين سلمنا صحة المتن لكنه متروك الظاهر لان قوله لم يحمل خبثا لا يمكن اجراؤه على ظاهره فان الخبث اذا ورد عليه فقد حمله سلمنا اجراءه على الظاهر لكن الخبث لغوي وشرعي وحمله على اللغوي لكونه حقيقة أولى فعلى الحديث أن لا يصير مستقذرا طبعا ونحن نقول بموجبه لكن لم قلتم انه لا ينجس شرعا سلمنا أن المراد هو الخبث الشرعي لكن لم لا يجوز أن يكون معنى قوله لم يحمل خبثا أنه يضعف عن حمله أي يتأثر به أجاب بعض الشافعية عن هذا الممنوع بأن كثيرا من المحدثين عينوا اسم الراوي في حديث

يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انها ساءت مستقرا ومقاما ﴾ يقول تعالى ذكره والذين يبيتون لربهم يصلون له يراوحون بين سجود في صلاتهم وقيام وقوله وقياما جمع قائم كالصيام جمع صائم والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم يقول تعالى ذكره والذين يدعون الله أن يصرف عنهم عقابه وعذابه حذرا منه ووجلا وقوله ان عذابها كان غراما يقول ان عذاب جهنم كان غراما ملحا دائما لازما غير مفارق من عذب به من الكفار ومهلكا له ومنه قولهم رجل مغرم من الغرم والدين ومنه قيل للغريم غريم لطلبه حقه والحاحه على صاحبه فيه ومنه قيل للرجل المولع بالنساء انه لمغرم بالنساء وفلان مغرم بفلان اذا لم يصبر عنه ومنه قوله الأعشى

ان يعاقب يكن غراما وان يعـ ـط جزيلا فانه لا يبالي

يقول ان يعاقب يكن عقابه عقابا لازما لا يفارق صاحبه مهلكا له وقول بشر بن أبي حازم

ويوم النسار ويوم الجفا ـ ر كانا عقابا وكانا غراما

ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي بن الحسن اللاني قال أخبرنا المعافى بن عمران الموصلي عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب في قوله ان عذابها كان غراما قال ان الله سأل الكفار عن نعمه فلم يردوها اليه فأغرمهم فأدخلهم النار ـ قال ثنا المعافى عن أبي الاشهب عن الحسن في قوله ان عذابها كان غراما قال قد علموا أن كل غريم مفارق غريمه الا غريم جهنم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان عذابها كان غراما قال الغرام الشر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله ان عذابها كان غراما قال لا يفارقه وقوله انها ساءت مستقرا ومقاما يقول ان جهنم ساءت مستقرا ومقاما يعني بالمستقر القرار وبالمقام الاقامة كأن معنى الكلام ساءت جهنم منزلا ومقاما واذا ضممت الميم من المقام فهو من الاقامة واذا فتحت فهو من قمت ويقال المقام اذا فتحت الميم أيضا هو المجلس ومن المقام بضم الميم بمعنى الاقامة قول سلامة بن جندل

يومان يوم مقامات وأندية ـ ويوم سير الى الاعداء تأويب

ومن المقام الذي بمعنى المجلس قول عباس بن مرداس

فأي ماوأيك كان شرا ـ فقيد الى المقامة لا يراها

يعني المجلس ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ﴾ يقول تعالى ذكره والذين اذا أنفقوا أموالهم لم يسرفوا في انفاقها ـ ثم اختلف أهل التأويل في النفقة التي عناها الله في هذا الموضع وما الاسراف فيها والاقتار فقال بعضهم الاسراف ما كان من نفقة في معصية الله وان قلت قال وايا ها عنى الله وسماها اسرافا قالوا والاقتار المنع من حق الله ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما قال هم المؤمنون لا يسرفون فينفقون في معصية الله ولا يقترون فيمنعون حقوق الله تعالى حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن عثمان بن الاسود عن مجاهد قال لو أنفقت مثل أبي قبيس ذهبا في طاعة الله ما كان سرفا ولو أنفقت

صاعا فى معصية الله كان سرفا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قوله والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا قال فى النفقة فيما نهاهم وان كان درهما واحدا ولم يقتروا ولم يقصروا عن النفقة فى الحق حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما قال لم يسرفوا فينفقوا فى معاصى الله كل ما أنفق فى معصية الله وان قل فهو اسراف ولم يقتروا فيمسكوا عن طاعة الله قال وما أمسك عن طاعة الله وان كثر فهو اقتار * قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى ابراهيم بن نشيط عن عمرو مولى غفرة أنه سئل عن الاسراف ما هو قال كل شئ أنفقته فى غير طاعة الله فهو سرف * وقال آخرون السرف المجاوزة فى النفقة الحد والاقتار التقصير عن الذى لابد منه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عبد السلام بن حرب عن مغيرة عن ابراهيم قوله والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا قال لا يجيعهم ولا يعريهم ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف حدثنى سليمن بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن يزيد بن خنيس أبو عبد الله المخزومى المكى قال سمعت وهيب بن الورد أبى الورد مولى بنى مخزوم قال لقى عالم عالما هو فوقه فى العلم فقال يرحمك الله أخبرنى عن هذا الماء الذى لا اسراف فيه ما هو قال هو ما سترك من الشمس وأكنك من المطر قال يرحمك الله فأخبرنى عن هذا الطعام الذى نصيبه لا اسراف فيه ما هو قال ما سد الجوع ودون الشبع قال يرحمك الله فأخبرنى عن هذا اللباس الذى لا اسراف فيه ما هو قال ما ستر عورتك وأدفأك من البرد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عبد الرحمن بن شريح عن يزيد بن أبى حبيب فى هذه الآية والذين اذا أنفقوا الآية قال كانوا لا يلبسون ثوبا بالجمال ولا يأكلون طعاما للذة ولكن كانوا يريدون من اللباس ما يسترون به عورتهم ويكتنون به من الحر والقر ويريدون من الطعام ما سد عنهم الجوع وقواهم على عبادة ربهم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن العلاء بن عبد الكريم عن يزيد بن مرثد الجعفى قال العلم خير من العمل والحسنة بين السيئتين يعنى اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وخير الاعمال أوساطها حدثنا ابن بشار قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا كعب ابن فروخ قال ثنا قتادة عن مطرف بن عبد الله قال خير هذه الامور أوساطها والحسنة بين السيئتين فقلت لقتادة ما الحسنة بين السيئتين فقال الذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا الآية * وقال آخرون الاسراف هو أن تأكل مال غيرك بغير حق ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا سالم بن سعيد عن أبى معدان قال كنت عند عون بن عبد الله بن عتبة فقال ليس المسرف من يأكل ماله انما المسرف من يأكل مال غيره * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك قول من قال الاسراف فى النفقة الذى عناه الله فى هذا الموضع ما جاوز الحد الذى أباحه الله لعباده الى ما فوقه والاقتار ما قصر عما أمر الله به والقوام بين ذلك وانما قلنا ان ذلك كذلك لأن المسرف والمقتر كذلك ولو كان الاسراف والاقتار فى النفقة مرخصا فيهما ما كانا مذمومين ولا كان المسرف ولا المقتر مذمومين الا أن ما أذن الله فى فعله فغير مستحق فاعله الذم فان قال قائل فهل لذلك من حد معروف تبينه لنا قيل نعم ذلك مفهوم فى كل شئ من المطاعم والمشارب والملابس والصدقة وأعمال البر وغير ذلك نكره تطويل الكتاب بذكر كل نوع من ذلك مفصلا غير أن جملة ذلك هو ما بينا وذلك نحو

القلتين فان يحيى بن معين قال انه جيد الاسناد فقيل له ان ابن علية وقفه على ابن عمر فقال ان كان ابن علية وقفه فحماد بن سلمة رفعه وقوله القلة مجهولة غير مسلم لان ابن جريج قال فى روايته بقلال هجر ثم قال وقد شاهدت قلال هجر وكانت القلة تسع قربتين وشيأ واذا كانت هذه الرواية معتبرة فقط لم يكن فى متن الحديث اضطراب وحمل الخبث على الشرعى أولى لان المسئلة شرعية وتفسير عدم حمل الخبث بالتأثر تعسف لانه صح فى بعض الروايات اذا كان الماء قلتين لم يحمل ولانه لا يسبق لذكر القلتين حينئذ فائدة لان ما دون القلتين أيضا بتلك المثابة وزيف بأنه بعد التصحيح يوجب تخصيص عموم الكتاب والسنة الظاهرة البعيدة عن الاحتمال بمثل هذا الخبر المحتمل حجة من حكم بنجاسة الماء الذى خالطه نجاسة كيف كانت قوله تعالى ويحرم عليهم الخبائث وقوله انما حرم عليكم الميتة والدم وقال فى الخمر رجس من عمل الشيطان حرم هذه الاشياء مطلقا ولم يفرق بين حال انفرادها وحال اختلاطها بالماء فوجب تحريم استعمال كل ماء تيقنا فيه جزأ من النجاسة وأيضا الدلائل التى ذكروها مبيحة ودلائلنا حاظرة والحاظر غالب على المبيح بدليل أن الجارية المشتركة لا يحل لواحد منهما وطؤها وأيضا قال صلى الله عليه وسلم لا يبولن أحدكم فى الماء الدائم ثم يغتسل فيه من جنابة أطلق من غير فرق بين القليل والكثير أجاب مالك بانه لا نزاع فى تحريم استعمال النجاسات لكن الكلام فى أنه متى ما لم يتغير فليس للنجاسة أثر لانها انقلبت عن صفتها فكأنها معدومة والنهى عن البول فى الماء لتنفر الطبع او للتنزيه لا للتحريم واعلم أنه سبحانه بين فى سورة الانفال أن من غاية انزال الماء من السماء تطهير المكلفين به حين قال وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ففى وصفه ههنا بكونه طهورا اشارة الى ذلك ثم رتب على الانزال غايتين أخريين أولاهما تتعلق بالنبات والثانية

أكل

بالحيوان الاعجم فالناطق وفى هذا الترتيب تنبيه على أن الكائنات تبتدئ فى الرجوع من الاخس الى الاشرف وفيه ان الغرض من الكل هو نوع الانسان مع أن حياة الاناسى بحياة أرضهم وأنعامهم قال (٢٥) (ميتا) مع قوله بلدة بالتأنيث لان فيعلا غير جار على الفعل فكأنه اسم جامد وصف به أو بتأويل البلد والمكان والأناسى جمع انسى أو جمع انسان على أن أصله أناسين فقلبت النون ياء وفعيل قد يستوى فيه الواحد والجمع فلهذا لم يقل وأناسى كثيرين ومثله وقرونا بين ذلك كثيرا * أسئلة أوردها جار الله مع أجوبتها الاول أن انزال الماء موصوفا بالطهارة وتعليله بالاحياء والسق يؤذن بأن الطهارة شرط فى صحة الاحياء والسق كما تقول حملنى الامير على فرس جواد لأصيد به الوحش الجواب لما كان سق الاناسى من جملة ما أنزل له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم وتتميما للمنة عليهم واشارة الى أن من حق استعمال الماء فى الباطن والظاهر أن يكون طاهرا غير مخالط لشئ من القاذورات قلت قد قررنا فائدة هذا الوصف بوجه آخر آنفا * السؤال الثانى لم خص الانعام من بين ما خلق من الحيوان المنتفع بالماء الجواب لان الطير والوحش تبعد فى طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام ولانها قنية الانسان وعامة منافعه متعلقة بها فسقيها انعام عليه * الثالث ما معنى تنكير الأنعام والاناسى ووصفهم بالكثرة الجواب لان بعض الانعام والأناسى الذين هم بقرب الاودية والانهار العظام لا يحتاجون الى ماء السماء احتياجا بينا ولمثل هذا نكر البلدة فى قوله بلدة ميتا قوله سبحانه (ولقد صرفناه) الاكثرون على أن الضمير عائد الى

أكل آكل من الطعام فوق الشبع ما يضعف بدنه وينهك قواه ويشغله عن طاعة ربه وأداء فرائضه فذلك من السرف وأن يترك الاكل وله اليه سبيل حتى يضعف ذلك جسمه وينهك قواه ويضعفه عن أداء فرائض ربه فذلك من الاقتار وبين ذلك القوام على هذا النحو كل ما جانس ما ذكرنا فأما اتخاذ الثوب الجمال يلبسه عند اجتماعه مع الناس وحضوره المحافل والجمع والاعياد دون ثوب مهنته أو أكله من الطعام ما قواه على عبادة ربه مما ارتفع عما قد يسد الجوع مما هو دونه من الاغذية غير أنه لا يعين البدن على القيام لله بالواجب معونته فذلك خارج عن معنى الاسراف بل ذلك من القوام لان النبى صلى الله عليه وسلم قد أمر ببعض ذلك وحض على بعضه كقوله ما على أحدكم لو اتخذ ثوبين لثوب بالمهنة وثوب بالجمعة وعبده وكقوله اذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن يرى أثره عليه وما أشبه ذلك من الاخبار التى قد بيناها فى مواضعها وأما قوله وكان بين ذلك قواما فانه النفقة بالعدل والمعروف على ما قد بينا * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن أبى سليمن عن وهب بن منبه فى قوله وكان بين ذلك قواما قال الشطر من أموالهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله وكان بين ذلك قواما النفقة بالحق حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وكان بين ذلك قواما قال القوام أن ينفقوا فى طاعة الله ويمسكوا عن محارم الله * قال أخبرنى ابراهيم بن نشيط عن عمرو مولى غفرة قال قلت له ما القوام قال القوام أن لا تنفق فى غير حق ولا تمسك عن حق هو عليك والقوام فى كلام العرب بفتح القاف وهو الشئ بين الشيئين تقول للمرأة المعتدلة الخلق انها لحسنة القوام فى اعتدالها كما قال الحطيئة

طافت أمامة بالركبان آونة * يا حسنها من قوام ما ومنتقبا

فأما اذا كسرت القاف فقلت انه قوام أهله فانه يعنى به أن به يقوم أمرهم وشأنهم وفيه لغات أخر يقال منه هو قيام أهله وقيمهم فى معنى قوامهم فمعنى الكلام وكان انفاقهم بين الاسراف والاقتار قواما معتدلا لا مجاوزة عن حد الله ولا تقصيرا عما فرضه الله ولكن عدلا بين ذلك على ما أباحه جل ثناؤه وأذن فيه ورخص * واختلفت القراء فى قراءة قوله ولم يقتروا فقرأته عامة قراء المدينة ولم يقتروا بضم الياء وكسر التاء من أقتر يقتر وقرأته عامة قراء الكوفيين ولم يقتروا بفتح الياء وضم التاء من قتر يقتر وقرأته عامة قراء البصرة ولم يقتروا بفتح الياء وكسر التاء من قتر يقتر والصواب من القول فى ذلك أن كل هذه القراآت على اختلاف ألفاظها لغات مشهورات فى العرب وقراآت مستفيضات فى قراءة الامصار بمعنى واحد فبأيتها قرأ القارئ فمصيب وقد بينا معنى الاسراف والاقتار بشواهدهما فيما مضى فى كتابنا من كلام العرب فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع وفى نصب القوام وجهان أحدهما ما ذكرت وهو أن يجعل فى كان اسم الانفاق بمعنى وكان انفاقهم ما أنفقوا بين ذلك قواما أى عدلا والآخر أن يجعل بين هو الاسم فتكون وان كانت فى اللفظة نصبا فى معنى رفع كما يقال كان دون هذا كافيا يعنى به اقل من هذا كان ذلك كافيا فكذلك يكون فى قوله وكان بين ذلك قواما الا ان معناه وكان الوسط من ذلك قواما ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات

ماذكر من الدلائل أى كررنا أحوال الاظلال

وذكر انشاء السحاب وانزال المطر فى القرآن وفى سائر الكتب السماوية ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا فأبى

أكثرهم الاكفران النعمة وجحودها * وقال آخرون انه يرجع الى أقرب المذكورات وهو المطر أى صرفنا المطر بينهم فى البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتباينة من وابل وطل وغير ذلك فأبوا الا كفورا وأن يقولوا مطرنا بنوء كذا استقلالا فان جعلوا الانواء كالوسائط والامارات فلا بأس والنوء سقوط نجم من المنازل الثمانية والعشرين للقمر فى المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه وهو نجم آخر فى المشرق يقابله من ساعته فى كل ليلة الى ثلاثة عشر يوما وهو أكثر أوالى أربعة عشر وهو أقل والعرب تضيف الامطار والحر والبرد الى الساقط منها أوالى الطالع فاذا مضت مدة النوء ولم يحدث شئ من مطر وغيره يقال حوى نجم كذا أى سقط ولم يكن عنده أثر علوى عن ابن عباس ما من عام أقل مطرا من عام ولكن الله عز وجل قسم ذلك بين عباده على ما يشاء وتلا هذه الآية ويؤيد هذا التفسير تذكير البلدة والانعام والاناسى قال الجبائى فى قوله ليذكروا دليل على أنه تعالى أراد من الكل التذكر والايمان وفى قوله فأبى أكثر الناس دلالة على أن المكلف لقدرة على الفعل والترك اذلا يقال للزمن مثلا انه أبى أن يسعى وقال الكعبى الضمير فى بينهم لكل الناس فيكون الاكثر داخلا فى ذلك العام اذلا يجوز أن يقال أنزلناه على قريش ليؤمنوا فأبى أكثر بنى تميم الا كفورا وعند هذا يظهر أنه أراد من جميع المكلفين أن يؤمنوا ويعتبروا ومعارضة الاشاعرة معلومة ۞ التأويل ويوم تشقق السماء سماء القلب عن غمام البشرية وهو يوم سعادة الطالبين الصادقين ونزل ملائكة الصفات الروحانية الملك الحقيق يومئذ للرحمن اذلم يبق غيره ورجع الكل اليه وذلك مقام الوحدة والفناء فى الله والبقاء به وكان يوما على الكافرين عسيرا اذلم يبق من صفات النفوس الكافرة وحظوظها أثر ولا عين ويوم يعض الظالم

خلوته

وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا ﴾ يقول تعالى ذكره والذين لا يعبدون مع الله الها آخر فيشركون فى عبادتهم اياه ولكنهم يخلصون له العبادة ويفردونه بالطاعة ولا يقتلون النفس التى حرم الله قتلها الا بالحق اما بكفر بالله بعد اسلامها أوزنا بعد احصانها أوقتل نفس فتقتل بها ولا يزنون فيأتون ما حرم الله عليهم اتيانه من الفروج ومن يفعل ذلك يقول ومن يأت هذه الافعال فدع عنك ايها الها آخر وقتل النفس التى حرم الله بغير الحق وزنى يلق أثاما يقول يلق من عقاب الله عقوبة ونكالا كما وصفه ربنا جل ثناؤه وهو أنه يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ومن الأثام قول بلعام بن قيس الكنانى

جزى الله ابن عروة حيث أمسى * عقوقا والعقوق له أثام

يعنى بالأثام العقاب وقد ذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل قوم من المشركين أرادوا الدخول فى الاسلام ممن كان منه فى شركه هذه الذنوب فخافوا أن لا ينفعهم مع ما سلف منهم من ذلك اسلام فاستفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية يعلمهم أن الله قابل توبة من تاب منهم ذكر الرواية بذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال ثنى يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن ناسا من أهل الشرك قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا فأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذى تدعونا اليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزلت والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ونزلت قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الى قوله من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون قال ابن جريج وقال مجاهد مثل قول ابن عباس سواء حدثنا عبد الله بن محمد الفريابى قال ثنا سفيان عن أبى معاوية عن أبى عمرو الشيبانى عن عبد الله قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم ما الكبائر قال أن تدعو لله ندا وهو خلقك وأن تقتل ولدك من أجل أن يأكل معك أوتزنى بحليلة جارك وقرأ علينا رسول الله صلى الله عليه من كتاب الله والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا سفيان عن الأعمش ومنصور عن أبى وائل عن عمرو ابن شرحبيل عن عبد الله قال قلت يا رسول الله أى الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أى قال أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك قلت ثم أى قال ثم أن تزانى حليلة جارك فأنزل الله تصديق قول النبى صلى الله عليه وسلم والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون الآية حدثنا سليمان بن عبد الجبار قال ثنا على بن قادم قال ثنا أسباط ابن نصر الهمدانى عن منصور عن أبى وائل عن أبى ميسرة عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه حدثنى عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى قال ثنى عمى يحيى بن عيسى عن الأعمش عن سفيان عن عبد الله قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أى الذنب أكبر ثم ذكر نحوه حدثنى أحمد بن اسحق الاهوازى قال ثنا عامر بن مدرك قال ثنا السرى يعنى ابن اسمعيل قال ثنا الشعبى عن مسروق قال قال عبد الله خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فاتبعته فجلس على نشز من الارض وقعدت أسفل منه ووجهى حيال ركبتيه فاغتنمت

نفسه وهو المشرك شركا ظاهرا أو خفيا على يديه والآية حكمها عام فى كل متحابين اجتمعا على معصية الله تعالى وعن مالك بن دينار انك ان تنقل الحجارة مع الأبرار خير من أن تأكل الخبيص مع الفجار لتثبت به فؤادك (٢٧) بأن تخلق قلبك بقلب القرآن وكان بذر التوحيد أوقع فى قلب النبى صلى الله عليه وسلم فى سر ألم نشرح لك صدرك وكان يتربى بما أنزل عليه بل على قلبه منجما فلما أورق كان ورقه الرحمن علم القرآن فلما أزهر كان زهره فأوحى الى عبده ما أوحى فلما أثمر كانت ثمرته فاعلم أنه لا اله الا الله يحشرون على وجوههم لان توجههم الى أسفل سافلى الطبيعة فيحشرون منكوسين الى جهنم البعد عن الحضرة ألم تر الى ربك فيه أن نبينا صلى الله عليه وسلم رآه وقد قال لموسى لن ترانى وذلك لبقاء أنانيته كيف مد الظل عالم الاجسام ولو شاء لجعله ساكنا فى كتم العدم ثم جعلنا شمس عالم الارواح على وجود ذلك الظل دليلا بأن كانت محركة لها الى غاياتها المخلوقة هى لاجلها فعرف من ذلك أنه لولا الارواح لم تخلق الاجساد ولم تتكون بالاجسام وفى قوله ثم قبضناه الينا اشارة الى أن كل مركب فانه سيحل الى بسائطه اذا حصل على كماله الاخير وبوجه آخر الظل ما سوى نور الانوار يستدل به على صانعه الذى هو شمس عالم الوجود وهذا شأن الذاهبين من غيره اليه وفى قوله ثم جعلنا اشارة الى مرتبة أعلى من ذلك وهى الاستدلال به على غيره كقوله أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد وهذه مرتبة الصديقين وقوله ثم قبضناه كقوله كل شئ هالك الا الى الله تصير الامور وبوجه آخر الظل هو حجاب الذهول والغفلة والشمس شمس التجلى المعروفة من أفق العناية عند صباح الهداية ولو شاء لجعله دائما لا يزول وانما يستدل على الذهول بالعرفان وفى قوله ثم قبضناه اشارة الى أن الكشف التام يحصل بالتدريج عند انقضاء مدة التكليف ثم بين حكمة الاظلال بقوله وهو الذى جعل لكم الليل لباسا كالا تحترقوا بدوام شمس

خلوه وقلت بأبى وأمى يا رسول الله أى الذنوب أكبر قال أن تدعو لله ندا وهو خلقك قلت ثم مه قال أن تقتل ولدك كراهية أن يطعم معك قلت ثم مه قال أن تزانى حليلة جارك ثم تلا هذه الآية والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى آخر الآية حدثنا أبو كريب قال ثنا طلق بن غنام عن زائدة عن منصور قال ثنى سعيد بن جبير أو حدثت عن سعيد بن جبير أن عبد الرحمن بن أبزى أمره أن يسأل ابن عباس عن هاتين الآيتين التى فى النساء ومن يقتل مؤمنا متعمدا الى آخر الآية والآية التى فى الفرقان ومن يفعل ذلك يلق أثاما الى و يخلد فيه مهانا قال ابن عباس اذا دخل الرجل فى الاسلام وعلم شرائعه وأمره ثم قتل مؤمنا متعمدا فلا توبة له والتى فى الفرقان انما أنزلت قال المشركون من أهل مكة فقد عدلنا بالله وقتلنا النفس التى حرم الله بغير الحق فما ينفعنا الاسلام قال فنزلت الا من تاب قال فمن تاب منهم قبل منه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور قال ثنى سعيد بن جبير أو قال حدثنى الحكم عن سعيد بن جبير قال أمرنى عبد الرحمن بن أبزى فقال سل ابن عباس عن هاتين الآيتين ما أمرهما عن الآية التى فى الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الآية والتى فى النساء ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم فسألت ابن عباس عن ذلك فقال لما أنزل الله التى فى الفرقان قال مشركو أهل مكة قد قتلنا النفس التى حرم الله ودعونا مع الله الها آخر فقال الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الآية فهذه لأولئك وأما التى فى النساء ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم الآية فان الرجل اذا عرف الاسلام ثم قتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم فلا توبة له فذكرته لمجاهد فقال الا من ندم حدثنا محمد بن عوف الطائى قال ثنا أحمد بن خالد الدهنى قال ثنا شيبان عن منصور بن المعتمر قال ثنى سعيد بن جبير قال قال لى سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى سل ابن عباس عن هاتين الآيتين عن قول الله والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى من تاب وعن قوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا الى آخر الآية قال فسألت عنها ابن عباس فقال أنزلت هذه الآية فى الفرقان بمكة الى قوله و يخلد فيه مهانا فقال المشركون فما يغنى عنا الاسلام وقد عدلنا بالله وقتلنا النفس التى حرم الله وأتينا الفواحش قال فأنزل الله الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الى آخر الآية قال وأما من دخل فى الاسلام وعقله ثم قتل فلا توبة له حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال فى هذه الآية والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق الآية قال نزلت فى أهل الشرك حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن سعيد بن جبير قال أمرنى عبد الرحمن بن أبزى أن أسأل ابن عباس عن هذه الآية والذين لا يدعون مع الله الها آخر فذكر نحوه حدثنى عبد الكريم بن عمير قال ثنا ابراهيم بن المنذر قال ثنا عيسى بن شعيب بن ثوبان مولى لبنى الديل من أهل المدينة عن فليح الشماس عن عبيد بن أبى عبيد عن أبى هريرة قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العتمة ثم انصرفت فاذا امرأة عند بابى ثم سامت فتنحت ودخلت فبينا أنا فى مسجدى أصلى اذ نقرت الباب فأذنت لها فدخلت فقالت انى جئتك أسألك عن عمل عملت هل لى من توبة فقالت انى زنيت وولدت فقتلته فقلت لا ولا نعمت العين ولا كرامة فقامت وهى تدعو بالحسرة تقول يا حسرتاه أخلق هذا الحسن للنار قال ثم صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح من تلك الليلة ثم جلسنا ننتظر الاذن عليه فأذن لنا فدخلنا

ثم خرج من كان معي وتخلفت فقال مالك يا أبا هريرة ألك حاجة فقلت له يا رسول الله صليت معك البارحة ثم انصرفت وقصصت عليه ما قالت المرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما قلت لها قال قلت لها لا والله ولا نعمت العين ولا كرامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس ما قلت أما كنت تقرأ هذه الآية والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق الآية إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فقال أبو هريرة فخرجت فلم أترك بالمدينة حصنا ولا دارا إلا وقفت عليها فقلت أن تكن فيكم المرأة التي جاءت أبا هريرة الليلة فلتأتني ولتبشر فلما صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم العشاء فإذا هي عند بابي فقلت أبشري فإني دخلت على النبي فذكرت له ما قلت لي وما قلت لك فقال بئس ما قلت لها أما كنت تقرأ هذه الآية فقرأتها عليها فخرت ساجدة فقالت الحمد لله الذي جعل لي مخرجا وتوبة مما عملت إن هذه الجارية وابنها حران لوجه الله وإني قد تبت مما عملت حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا جعفر بن سليمن عن عمرو ابن مالك عن أبي الجوزاء قال اختلفت إلى ابن عباس ثلاث عشرة سنة فما شيء من القرآن إلا سألته عنه ورسولي يختلف إلى عائشة فما سمعته ولا سمعت أحدا من العلماء يقول إن الله يقول لذنب لا أغفره ◦ وقال آخرون هذه الآية منسوخة بالتي في النساء ذكر من قال ذلك حدثني يونس ابن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني المغيرة بن عبد الرحمن الحراني عن أبي الزناد عن خارجة بن زيد أنه دخل على أبيه وعنده رجل من أهل العراق وهو يسأله عن هذه الآية التي في تبارك الفرقان والتي في النساء ومن يقتل مؤمنا متعمدا فقال زيد بن ثابت قد عرفت الناسخة من المنسوخة نسختها التي في النساء بعدها بستة أشهر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال الضحاك بن مزاحم هذه السورة بينها وبين النساء ومن يقتل مؤمنا متعمدا ثمان حجج وقال ابن جريج وأخبرني القاسم بن أبي بزة أنه سأل سعيد بن جبير هل لمن قتل مؤمنا متعمدا توبة فقال لا قرأت عليه هذه الآية كلها فقال سعيد بن جبير قرأتها على ابن عباس كما قرأتها علي فقال هذه مكية نسختها آية مدنية التي في سورة النساء وقد أتينا على البيان عن الصواب من القول في هذه الآية التي في سورة النساء بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع وبنحو الذي قلنا في الآثام من القول قال أهل التأويل الآثام قالوا وذلك عقاب يعاقب الله به من أتى هذه الكبائر بوادٍ في جهنم يدعى أثاما ذكر من قال ذلك حدثني أحمد بن المقدام قال ثنا المعتمر ابن سليمن قال سمعت أبي يحدث عن قتادة عن أبي أيوب الأزدي عن عبد الله بن عمرو قال الآثام وادٍ في جهنم حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله يلق أثاما قال وادٍ في جهنم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة في قوله ومن يفعل ذلك يلق أثاما قال وادٍ في جهنم فيه الزناة حدثني العباس بن أبي طالب قال ثنا محمد بن زياد قال ثنا شرقي بن قطامي عن لقمان ابن عامر الخزاعي قال جئت أبا أمامة صدي بن عجلان الباهلي فقلت حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فدعا لي بطعام ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن صخرة

تجلي الربوبية وجعل يوم الغفلة راحة بعد سطوة التجلي وجعل نهار العرفان نشورا أي حياة بنور الربوبية وهو الذي أرسل رياح الاشراق على قلوب الاحباب فتزعجها عن المساكنات عند الستر فلا تستقر إلا بالكشف والتجلي وأنزلنا من سماء الكرم ماء حياة العرفان الذي يطهر قلوب المشتاقين عن الجنوح الى المساكنات وما يتداخلها في بعض الاوقات من الغفلات لنحيي به بلدة القلوب الميتة عن نور الله بنور الله ونسقيه من جملة مخلوقاتنا من هو على طبع الانعام لغلبة الصفات الحيوانية عليه فيسوق زرع ايمانه بماء الرحمة والذكر كما قال صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله تنبت الايمان في القلب كما ينبت الماء البقلة ونسقيه من الانس من سكن الى رياض الانس بقطعه به عن مراضع الانسانية الى المشارب الروحانية ويطهره عن وصمة الملاحظات ويذيقه طعم المكاشفات ولقد صرفنا الذي هو ماء حياة القلوب بينهم ليذكروا به أيام جوار الحق وأوطانهم الحقيقية فأبى أكثر الناسين تلك المعاهدة والمشاهدة الا كفورا بنعمة القرآن وما عرفوا قدرها والله المستعان واليه المآب ﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا﴾ وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا قل ما أسئلكم عليه من اجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا الذي خلق السموت والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش

الرحمن فسئل به خبيرا واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل

فيها سراجا وقمرا منيرا وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون (٣٩) ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان

زنة عشر عشر اوات قذف بها من شفير جهنم ما بلغت قعرها خمسين خريفا ثم تنتهى الى غى وأثام
قلت وما غى وأثام قال بئران فى أسفل جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار وهما اللذان ذكرالله
فى كتابه أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وقوله فى الفرقان ولا يزنون ومن يفعل
ذلك يلق أثاما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يلق أثاما قال الأثام
الشر وقال سيكفيك ما وراء ذلك يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا حدثنا الحسن
قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله يلق أثاما قال نكالا قال وقال انه وادفى جهنم
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن هشيم قال أخبرنا زكريا بن أبى مريم
قال سمعت أبا امامة الباهلى يقول ان ما بين شفير جهنم الى قعرها مسيرة سبعين خريفا يحجر يهوى
فيها أو يصخرة تهوى عظمها كعشر عشر اوات ثمان فقال له رجل فهل تحت ذلك من شئ
قال نعم غى وأثام قوله يضاعف له العذاب يوم القيامة اختلفت القراء فى قراءته فقرأته عامة
قراء الأمصار سوى عاصم يضاعف جزما ويخلد جزما وقرأه عاصم يضاعف رفعا ويخلد رفعا
كلاهما على الابتداء وأن الكلام عنده قد تناهى عند يلق أثاما ثم ابتدأ قوله يضاعف له العذاب
والصواب من القراءة عندنا فيه جزم الحرفين كليهما يضاعف ويخلد وذلك أنه تفسير للاثام لا فعل له
ولو كان فعلا له كان الوجه فيه الرفع كما قال الشاعر

متى تأته تعشو الى ضوء ناره ◆ تجد خير نار عندها خير موقد

فرفع تعشو لأنه فعل لقوله تأته معناه متى تأته عاشيا وقوله ويخلد فيه مهانا ويبقى فيه الى ما لا نهاية فى
هوان وقوله الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا يقول تعالى ذكره ومن يفعل هذه الأفعال التى ذكرها
جل ثناؤه يلق أثاما الا من تاب يقول الا من راجع طاعة الله تبارك وتعالى بتركه ذلك وانابته الى
ما يرضاه الله وآمن يقول وصدق بما جاء به محمد نبى الله وعمل عملا صالحا يقول وعمل بما أمره الله من
الاعمال وانتهى عما نهاه الله عنه قوله فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات اختلف أهل التأويل
فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه فأولئك يبدل الله بقبائح أعمالهم فى الشرك محاسن الأعمال
فى الاسلام فيبدله بالشرك ايمانا وبقبيل أهل الشرك بالله قبيل أهل الايمان به وبالزناعفة واحصانا
ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس
قوله فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات قال هم المؤمنون كانوا قبل ايمانهم على السيئات فرغب الله
بهم عن ذلك فحولهم الى الحسنات وأبدلهم مكان السيئات حسنات حدثنى محمد بن سعد
قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله الا من تاب وآمن
وعمل عملا صالحا الى آخر الآية قال هم الذين يتوبون فيعملون بالطاعة فيبدل الله سيئاتهم حسنات
حين يتوبون حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن سعيد قال نزلت والذين لا يدعون مع الله
الها آخر الى آخر الآية فى وحشى وأصحابه قالوا كيف لنا بالتوبة وقد عبدنا الأوثان وقتلنا المؤمنين
ونكحنا المشركات فأنزل الله فيهم الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم
حسنات فأبدلهم الله بعبادة الأوثان عبادة الله وأبدلهم بقتالهم مع المشركين قتالا مع المسلمين
المشركين وأبدلهم بنكاح المشركات نكاح المؤمنات حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى

غراما انها ساءت مستقرا ومقاما
والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم
يقتروا وكان بين ذلك قواما
والذين لا يدعون مع الله الها آخر
ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا
بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك
يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم
القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب
وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك
يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان
الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل
صالحا فانه يتوب الى الله متابا
والذين لا يشهدون الزور واذا مروا
باللغو مروا كراما والذين اذا
ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها
صما وعميانا والذين يقولون ربنا
هب لنا من أزواجنا وذرياتنا
قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما
أولئك يجزون الغرفة بما صبروا
ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين
فيها حسنت مستقرا ومقاما قل ما
يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم فقد كذبتم
فسوف يكون لزاما ﴿ القراآت ﴾
ملح بفتح الميم وكسر اللام كحذر
أولا نه مقصور ماح وكذلك فى فاطر
قتيبة بأمرنا على الغيبة حمزة وعلى
سرجا بضمتين حمزة وعلى وخلف
أن يذكر من الذكر حمزة وخلف
يقتروا بضم التاء حمزة وعلى وخلف
وعاصم سوى المفضل وبضم الياء
وكسر التاء من الاقتار أبو جعفر ونافع
وابن عامر والمفضل الباقون بفتح
الياء وكسر التاء يضاعف ويخلد
بالرفع فيهما من المضاعفة ومن الخلود
أبو بكر وحماد مثله ولكن يخلد مجهولا
من الاخلاد المفضل يضعف بالتشديد والرفع ويخلد بالرفع من الخلود ابن عامر مثله ولكن بالجزم فيهما ابن كثير ويعقوب وزيد الآخرون
كالاول ولكن بالجزم فيهما فيهى باشباع الكسرة ابن كثير وحفص يبدل من الابدال البرجمى وذريتنا على التوحيد أبو عمرو وعلى

وخلف وعاصم والمفضل ويلقون بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف من اللقاء حمزة وعلى وخلف وعاصم سوى حفص والمفضل الباقون بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف من باب التفعيل ۞ الوقوف نذيرا ○ والوصل أولى للفاء كبيرا ○ أجاء ج لعطف الجملتين المتفقتين مع العارض محجورا ○ وصهرا ○ قديرا ○ ولا يضرهم ط ظهيرا ○ ونذيرا ○ سبيلا ○ بحمده ط خبيرا ○ ج لأن الذى يصلح صفة للحى والوقف على العرش على تقدير هو الرحمن اذ لا وقف عليه أيضا بناء على أن الرحمن بدل من المستتر فى استوى ويصلح أن يكون الذى مبتدأ والرحمن خبره خبيرا ○ وما الرحمن ○ قد قيل ولا وجه له لان الكل مقول قالوا نفورا ○ سجدة منيرا ○ شكورا ○ سلاما ○ وقياما ○ جهنم ق قد قيل والوصل أولى لاتحاد القائل غراما ○ كذلك ومقاما ○ قواما ○ ولا يزنون ج للشرط مع واو العطف أثاما ○ لمن قرأ يضاعف بالرفع على الاستئناف دون الجزم على ابدال الجملة من الجملة لتقارب معنييهما مهانا ○ لا وقد يوقف على جعل الا بمعنى لكن والوصل أولى لان لكن تقتضى الوصل أيضا حسنات ط رحيما ○ متابا ○ الزور ○ لا كراما ○ وعميانا ○ اماما ○ وسلاما ○ لا لاتصال الحال فيها ط ومقاما ○ دعاؤكم ج لاختلاف الجملتين لزاما ○ ۞ التفسير انه سبحانه لما قرر سيرة القوم من كفران النعمة وايذاء النبى أراد تهييج نبيه على استمرار الدعوة وفى الآية لطف ممزوج بنوع تأديب وارشاد وفواه ولو شئنا لخففنا عنك أعباء نذارة جميع القرى وبعثنا فى كل قرية نبيا ولكن خصصناك برسالة الثقلين اجلالا وتعظيما فقابل هذا التفضل بالتشدد فى الدين فحى أول الآية بيان

غفورا

كمال الاقتدار وأنه لا حاجة به الى نبى محمدا كان أو غيره ولكن فى مفهوم لولا دلالة على أنه لم يفعل ذلك بل خصه بهذا المنصب الشريف

حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس فى قوله فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات قال بالشرك بدلا وبالقتل امساكا وبالزنا احصانا **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله والذين لا يدعون مع الله الها آخر وهذه الآية مكية نزلت بمكة ومن يفعل ذلك يعنى الشرك والقتل والزنا جميعا لما أنزل الله هذه الآية قال المشركون من أهل مكة يزعم محمد أن من أشرك وقتل وزنى فله النار وليس له عند الله خير فأنزل الله الا من تاب من المشركين من أهل مكة فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات يقول يبدل الله مكان الشرك والقتل والزنا الايمان بالله والدخول فى الاسلام وهو التبديل فى الدنيا وأنزل الله فى ذلك يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم يعنيهم بذلك لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا يعنى ما كان فى الشرك يقول الله لهم أنيبوا الى ربكم وأسلموا له يدعوهم الى الاسلام فهاتان الآيتان مكيتان والتى فى النساء ومن يقتل مؤمنا متعمدا الآية هذه مدنية نزلت بالمدينة وبينها وبين التى نزلت فى الفرقان ثمان سنين وهى مبهمة ليس منها مخرج **حدثنا** ابن حميد قال ثنا أبو تميلة قال ثنا أبو حمزة عن جابر عن مجاهد قال سئل ابن عباس عن قول الله جل ثناؤه يبدل الله سيئاتهم حسنات فقال

بدلن بعد حره حريقا ○ وبعد طول النفس الوجيفا

حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله يخلد فيه مهانا فقال المشركون ولا والله ما كان هؤلاء الذين مع محمد الا معنا قال فأنزل الله الا من تاب وآمن قال تاب من الشرك وآمن قال وآمن بعقاب الله ورسوله وعمل عملا صالحا قال صدق فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات قال يبدل الله أعمالهم السيئة التى كانت فى الشرك بالاعمال الصالحة حين دخلوا فى الايمان ○ وقال آخرون بل معنى ذلك فأولئك يبدل الله سيئاتهم فى الدنيا حسنات لهم يوم القيامة ذكر من قال ذلك **حدثنى** أحمد بن عمرو البصرى قال ثنا قريش بن أنس أبو أنس قال ثنى صالح بن رستم عن عطاء الخراسانى عن سعيد بن المسيب فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات قال تصير سيئاتهم حسنات لهم يوم القيامة **حدثنا** الحسن ابن عرفة قال ثنا محمد بن حازم أبو معاوية عن الأعمش عن المعرور بن سويد عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لأعرف آخر أهل النار خروجا من النار وآخر أهل النار دخولا الجنة قال يؤتى برجل يوم القيامة فيقال نحوا كباره ذنوبه وسلوه عن صغارها قال فيقال له عملت كذا وكذا وعملت كذا وكذا قال فيقول يا رب لقد عملت أشياء ما أراها ههنا قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه قال فيقال له لك مكان كل سيئة حسنة ○ قال أبو جعفر وأولى التأويلين بالصواب فى ذلك تأويل من تأوله فأولئك يبدل الله سيئاتهم أعمالهم فى الشرك حسنات فى الاسلام بتفضله عما يسخطه الله من الاعمال الى ما يرضى وانما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية لان الاعمال السيئة قد كانت مضت على ما كانت عليه من القبح وغير جائز تحويل عين قد مضت بصفة الى خلاف ما كانت عليه الا بتغييرها عما كانت عليه من صفتها فى حال أخرى فيجب ان فعل ذلك كذلك أن يصير شرك الكافر الذى كان شركا فى الكفر به ايمانا يوم القيامة بالاسلام ومعاصيه كلها بأعيانها طاعة وذلك ما لا يقوله ذو نحى وقوله وكان الله

لكمال العناية به وبأمته فعليه أن يترك طاعة الكافرين فيما يريدونه عليه مما يوافق أهواءهم النهى كقولك للمتحرك لاتسكن لا كقولك للساكن لاتسكن فانه صلى الله عليه وسلم لم يترك طاعة الله طرفة عين ثم بالغ فى النهى بأن أمره بضده قائلا (وجاهدهم به)

غفورا رحيما يقول تعالى ذكره وكان الله ذا عفو عن ذنوب من تاب من عباده وراجع طاعته وذا رحمة به أن يعاقبه على ذنوبه بعد توبته منها قوله ومن تاب يقول ومن تاب من المشركين فآمن بالله ورسوله وعمل صالحا يقول وعمل بما أمره الله فأطاعه فان الله فاعل به من ابداله سيئ أعماله فى الشرك بحسنها فى الاسلام مثل الذى فعل من ذلك بمن تاب وآمن وعمل صالحا قبل نزول هذه الآية من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم • وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا قال هذا للمشركين الذين قالوا لما أنزلت والذين لايدعون مع الله الها آخر الى قوله وكان الله غفورا رحيما لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان هؤلاء الا معنا قال ومن تاب وعمل صالحا فان لهم مثل ما لهؤلاء فانه يتوب الى الله متابا لم تحظر التوبة عليكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والذين لايشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما﴾ اختلف أهل التأويل فى معنى الزور الذى وصف الله هؤلاء القوم بأنهم لايشهدونه فقال بعضهم معناه الشرك بالله ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا سفيان عن جويبر عن الضحاك فى قوله لايشهدون الزور قال الشرك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين لايشهدون الزور قال هؤلاء ما لهم الا جرون قال والزور قولهم لآلهتهم وتعظيمهم اياها • وقال آخرون بل عنى به الغناء ذكر من قال ذلك **حدثنى** على بن عبد الأعلى المحاربى قال ثنا محمد بن مروان عن ليث عن مجاهد فى قوله والذين لايشهدون الزور قال لايسمعون الغناء • وقال آخرون هو قول الكذب ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله والذين لايشهدون الزور قال الكذب • قال أبو جعفر وأصل الزور تحسين الشئ ووصفه بخلاف صفته حتى يخيل الى من يسمعه أو يراه أنه خلاف ما هو به والشرك قد يدخل فى ذلك لأنه محسن لأهله حتى قد ظنوا أنه حق وهو باطل ويدخل فيه الغناء لأنه أيضا مما يحسنه ترجيع الصوت حتى يستحلى سامعه سماعه والكذب أيضا قد يدخل فيه لتحسين صاحبه اياه حتى يظن صاحبه أنه حق فكل ذلك مما يدخل فى معنى الزور فاذا كان ذلك كذلك فأولى الأقوال بالصواب فى تأويله أن يقال والذين لايشهدون شيأ من الباطل لاشركا ولا غناء ولا كذبا ولا غيره وكل ما لزمه اسم الزور لأن الله عم فى وصفه اياهم أنهم لايشهدون الزور فلا ينبغى أن يخص من ذلك شئ الا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل وقوله واذا مروا باللغو مروا كراما اختلف أهل التأويل فى معنى اللغو الذى ذكر فى هذا الموضع فقال بعضهم معناه ما كان المشركون يقولونه للمؤمنين ويكلمونهم به من الأذى ومرورهم به كراما اعراضهم عنهم وصفحهم ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله واذا مروا باللغو مروا كراما قال صفحوا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله واذا مروا باللغو مروا كراما قال اذا أوذوا مروا كراما قال صفحوا • وقال آخرون بل معناه واذا مروا بذكر النكاح كفوا عنه ذكر من قال ذلك **حدثنا**

أى بالقرآن أو بترك طاعتهم أو بسبب كونك نذيرا لقرى كلها لانه لو بعث فى كل قرية نذيرا لم يكن على كل نذير الا مجاهدة قريته وحين اقتصر على نذير واحد لكل القرى وهو محمد صلى الله عليه وسلم فلا جرم اجتمع عليه تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده وعظم وصار جامعا لكل مجاهدة ثم ذكر دليلا رابعا على التوحيد فقال (وهو الذى مرج البحرين) أى خلاهما وأرسلهما متجاورين متلاصقين يقال مرجت الدابة أى خليتها لترعى وسمى الماءين الكثيرين بحرين والفرات البليغ العذوبة والتركيب يدل على كسر العطش بخلاف الاجاج وهو الملح فانه يدل على الشدة والتوهج وقوله (هذا) اشارة الى ما ارتسم فى الذهن بعد ذكر البحرين والبرزخ الحائل الذى جعل الله بينهما من قدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج (وحجرا محجورا) كلمة يقولها المتعوذ كما قلنا فى السورة كأن كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له هذا القول ونظيره فى سورة الرحمن بينهما برزخ لايبغيان فانتفاء البغى ثمة كالتعوذ ههنا وكل منهما مجاز فى غاية الحسن ۞ سؤال لا وجود للبحر العذب فكيف ذكره الله تعالى والجواب من وجهين أحدهما أن فى البحار مواضع فيها مياه عذبة يعرفها الملاحون يحمل منها الماء الى حين الوصول الى الموضع الآخر وثانيهما لعل المراد من البحر العذب الأودية العظام كالنيل والفرات وجيحون ومن البحر الاجاج البحار المشهورة والبرزخ بينهما الحائل من الارض ووجه الاستدلال على هذا الوجه أن يقال العذوبة والملوحة ان كانتا بسبب طبيعة الارض أو الماء فلا بد من الاستواء والا فلا بد

من قادر مختار يخص كل واحد من الماءين بصفة مخصوصة * الاستدلال الخامس من احوال خلقة الانسان والماء اما العنصر كقوله وجعلنا من الماء كل شئ حى او النطفة ومعنى (فجعله (٣٢) نسبا وصهرا) أنه قسم البشر قسمين ذوى نسب وذوات صهر والاول الذكور الذين ينسب اليهم فيقال فلان وفلانة بنت فلان ومنه أخذ الشاعر

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا ... بنوهن أبناء الرجال الأباعد

والثانى الاناث التى يصاهر بهن ونحوه قوله عز من قائل يجعل منه الزوجين الذكر والانثى والأصهار أهل بيت المرأة عن الخليل قال ومن العرب من يجعل الصهر من الاحماء والاختان يقال صاهرت اليهم اذا تزوجت فيهم (وكان ربك قديرا) حين خلق من ماء واحد صنفين مختلفين بل أشخاصا متباينة لا تكاد تنحصر ثم عاد الى تهجين سيرة عبدة الاوثان فقال (ويعبدون) الآية يروى أنها نزلت فى أبى جهل المراد بالكافر والاولى حمله على العموم والظهير المظاهر أى المعاون أى هذا الجنس يظاهر الشيطان على ربه بالشرك والعداوة والمظاهرة على الرب هى المظاهرة على رسوله أو على دينه ويجوز أن يكون الظهير جمعا كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير والمعنى أن بعض الكفرة مظاهر لبعض على اطفاء نور دين الله جل وعلا وقال أبو مسلم هو من قولهم ظهر فلان بحاجتى اذا نبذها وراء ظهره والمراد أن الكافر وكفره هين على ربه غير ملتفت اليه قوله (وما أرسلناك) الى قوله سبيلا وجه تعلقه بما قبله أن الكفار يطلبون العون على الله وعلى رسوله ولا أجهل ممن استفرغ جهده فى ايذاء من يبذل وسعه فى اصلاح مهماته دينا ودنيا حتى يبشرهم على الطاعة وينذرهم على المعصية ولا يسألهم على ذلك أجرا الا أن يشاؤا التقرب بالانفاق فى الجهاد وغيره فيتخذوا به سبيلا الى رحمة ربهم ونيل ثوابه ومعنى الاستثناء

القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام بن حوشب عن مجاهد واذا مروا باللغو مروا كراما قال اذا ذكروا النكاح كنوا عنه حدثنى الحرث قال ثنا الاشيب قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام بن حوشب عن مجاهد فى قول الله واذا مروا باللغو مروا كراما قال كانوا اذا أتوا على ذكر النكاح كنوا عنه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر عن أبى مخزوم عن سيار واذا مروا باللغو مروا كراما قال اذا مروا بالرفث كنوا * وقال آخرون اذا مروا بما كان المشركون فيه من الباطل مروا معرضين له ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واذا مروا باللغو مروا كراما قال هؤلاء المهاجرون واللغو ما كانوا فيه من الباطل يعنى المشركين وقرأ فاجتنبوا الرجس من الأوثان * وقال آخرون عنى باللغو جميع المعاصى كلها ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله واذا مروا باللغو مروا كراما قال اللغو كله المعاصى * قال أبو جعفر وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندى أن يقال ان الله أخبر عن هؤلاء المؤمنين الذين مدحهم بأنهم اذا مروا باللغو مروا كراما واللغو فى كلام العرب هو كل كلام او فعل باطل لا حقيقة له ولا أصل أو ما يستقبح نسب الانسان الانسان بالباطل الذى لا حقيقة له من اللغو وذكر النكاح بصريح اسمه مما يستقبح فى بعض الأماكن فهو من اللغو وكذلك تعظيم المشركين آلهتهم من الباطل الذى لا حقيقة لما عظموه على نحو ما عظموه وسماع الغناء مما هو مستقبح فى أهل الدين فكل ذلك يدخل فى معنى اللغو فلا وجه اذ كان كل ذلك يلزمه اسم اللغو أن يقال عنى به بعض ذلك دون بعض اذ لم يكن لخصوص ذلك دلالة من خبر أو عقل فاذ كان ذلك كذلك فتأويل الكلام واذا مروا بالباطل فسمعوه أو رأوه مروا كراما مروهم كراما فى بعض ذلك بأن لا يسمعوه وذلك كالغناء وفى بعض ذلك بأن يعرضوا عنه ويصفحوا وذلك اذا أوذوا باسماع القبيح من القول وفى بعضه بأن ينهوا عن ذلك وذلك بأن يروا من المنكر ما يغير بالقول فيغيروه بالقول وفى بعضه بأن يضاربوا عليه بالسيوف وذلك بأن يروا قوما يقطعون الطريق على قوم فيستنصرخهم المراد ذلك منهم فيصرخونهم وكل ذلك مرورهم كراما وقد حدثنى ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا محمد بن مسلم عن ابراهيم بن ميسرة قال مر ابن مسعود بلهو مسرعا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أصبح ابن مسعود لكريما وقيل ان هذه الآية مكية ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان قال سمعت السدى يقول واذا مروا باللغو مروا كراما قال هى مكية وانما عنى السدى بقوله هذا ان شاء الله أن الله نسخ ذلك بأمره المؤمنين بقتال المشركين بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وأمرهم اذا مروا باللغو الذى هو شرك أن يقاتلوا من رأوه واذا مروا باللغو الذى هو معصية لله أن يغيروه ولم يكونوا أمروا بذلك بمكة وهذا القول نظير تأويلنا الذى تأولناه فى ذلك ⑨ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا﴾ يقول تعالى ذكره والذين اذا ذكرهم مذكر بحجج الله لم يكونوا صما لا يسمعون وعميا لا يبصرونها ولكنهم يفقهون بقلوب فهماء العقول يفهمون عن الله ما يذكرهم به ويفهمون عنه ما ينبههم عليه فيوعون مواعظه آذانا سمعنه وقلوبا وعته * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثنى

عن الاجر والتقدير الافعل من شاء هو معنى قولك لمن سعيت له فى تحصيل مال ما أطلب منك ثوابا على ما سعيت الا أن تحفظ هذا المال ولا تضيعه فيكون فى تسمية حفظ المال ثوابا فائدتان احداهما قلع شبهة الطمع فى شئ من الثواب والثانية اظهار الشفقة وأنه ان حفظ ماله رضى الساعى به كما يرضى المثاب بالثواب هذا ما قاله جار الله وقال القاضى معناه لا أسألكم أجرا لنفسى وأسألكم أن تطلبوا الأجر لأنفسكم باتخاذ السبيل الى ربكم بالايمان والطاعة ولما بين أن الكفار متظاهرون على ايذائه وأمره أن لا يطلب منهم أجرا البتة أمره بأن يتوكل عليه فى دفع المضار وجلب المنافع ويتمسك بقاعدة التنزيه والتحميد وفى وصفه ذاته بالحى الذى لا يموت اشارة الى أن الذى يوثق به فى المصالح يجب أن يكون موصوفا بهذه الصفة وليس الا الله وحده وعن بعض السلف أنه قرأها فقال لا يصح لذى عقل أن يثق بعدها بمخلوق والا صار ضائعا اذا مات ذلك المخلوق ثم ختم الآية بما لا مزيد عليه فى الوعيد أى لا يحتاج معه الى غيره لأنه خبير بأحوالهم قادر على مجازاتهم ومعنى كفى به أى حسبك وهذه كلمة يراد بها المبالغة كقولك كفى بالعلم جمالا وكفى بالأدب مالا ثم زاد لعلمه وقدرته مبالغة و بيانا فقال (الذى خلق) الخ وقد سبق تفسيره فى الأعراف وأما قوله (فاسأل به خبيرا) ففيه وجوه قال الكلبى الضمير فى به يعود الى ما ذكر من خلق السماء والأرض والاستواء على العرش والباء من صلة الخبير قدمت لرعاية الفاصلة وذلك الخبير هو الله عز وجل لأن كيفية ذلك الخلق والاستواء لا يعلمها الا الله سبحانه وعن ابن عباس أن ذلك الخبير هو جبرائيل وقال الأخفش والزجاج الباء بمعنى عن فسأل به مثل اهتم به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه قال تعالى سأل سائل بعذاب واقع وقال ابن جرير الباء زائدة

حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله لم يخروا عليها صما وعميانا فلا يسمعون ولا يبصرون ولا يفقهون حقا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا قال لا يفقهون ولا يسمعون ولا يبصرون حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ابن عون قال قلت للشعبى رأيت قوما قد سجدوا ولم أعلم ما سجدوا منه أسجد قال والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا قال هذا مثل ضربه الله لهم لم يدعوها الى غيرها وقرأ قول الله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الآية فان قال قائل وما معنى قوله لم يخروا عليها صما وعميانا أو يخر الكافرون صما وعميانا اذا ذكروا بآيات الله فينفى عن هؤلاء ما هو صفة للكفار قيل نعم الكافر اذا تليت عليه آيات الله خر عليها أصم وأعمى وخره عليها كذلك اقامته على الكفر وذلك نظير قول العرب سبيت فلانا فقام يبكى بمعنى فظل يبكى ولا قيام هنالك ولعله أن يكون بكى قاعدا وكما يقال نهيت فلانا عن كذا فقعد يشتمنى ومعنى ذلك فجعل يشتمنى وظل يشتمنى ولا قعود هنالك ولكن ذلك قد جرى على ألسن العرب حتى قد فهموا معناه وذكر الفراء أنه سمع العرب تقول قعد يشتمنى كقولك قام يشتمنى وأقبل يشتمنى قال وأنشدنى بعض بنى عامر

لا يفنع الجارية الخضاب * ولا الوشاحان ولا الجلباب
من دون أن تلتقى الأركاب * ويقعد الأير له لعاب

بمعنى يصير فكذلك قوله لم يخروا عليها صما وعميانا انما معناه لم يصموا عنها ولا عموا عنها ولم يصيروا على باب ربهم صما وعميانا كما قال الراجز * ويقعدا لمن له لعاب * بمعنى ويصير ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما﴾ يقول تعالى ذكره والذين يرغبون الى الله فى دعائهم ومسألتهم بأن يقولوا ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا ما تقر به أعيننا من أن نراهم يعملون بطاعتك و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين يعنون من يعمل لك بالطاعة فتقر بهم أعيننا فى الدنيا والآخرة حدثنى أحمد بن المقدام قال ثنا حزم قال سمعت كثيرا سأل الحسن قال يا أبا سعيد قول الله هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين فى الدنيا والآخرة قال لا بل فى الدنيا قال وما ذاك قال المؤمن يرى زوجته وولده يطيعون الله حدثنا الفضل بن اسحق قال ثنا سالم بن قتيبة قال ثنا حزم قال سمعت الحسن فذكر نحوه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن عن أبيه قال قرأ حضرمى ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين قال وانما قرة أعينهم أن يروهم يعملون بطاعة الله حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن ابن جريج فيما قرأنا عليه فى قوله هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين قال يعبدونك فيحسنون عبادتك ولا يجورون الجوائر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قوله ربنا هب لنا من ازواجنا

والمعنى فاسأله حال كونه عالما بكل شئ وجوز جار الله أن تكون الباء تجريدية كقولك رأيت به أسدا أى برؤيته والمراد فاسأل بسؤاله خبيرا
اى ان سألته وجدته عالما به وقيل الباء (٣٤) للقسم ولعل الوجه الأول أقرب الى المراد نظيره ولا ينبئك مثل خبير ثم أخبر عن قوم

أنهم (قالوا وما الرحمن) والواو عاطفة
وقعت فى كلام فحكى كما هو فاحتمل
أنهم جهلوا الله سبحانه واحتمل أنهم
عرفوه لكن جحدوه واحتمل أنهم
عرفوه بغير هذا الاسم فلهذا سألوا
عنه ومن هنا ذهب بعضهم الى تفسير
آخر لقوله فاسأل به خبيرا وهو أن
الرحمن اسم من أسماء الله تعالى مذكور
فى الكتب المتقدمة ولم يكونوا
يعرفونه فقيل فاسأل بهذا الاسم من
يخبرك من أهل الكتاب حتى يعرف
من ينكره وكانوا يقولون ما نعرف
الرحمن الا الذى باليمامة يعنون
مسيلمة قال القاضى والأقرب أن
المراد انكارهم لله لا للاسم لأن هذه
اللفظة عربية وهم يعلمون أنها تفيد
المبالغة فى الانعام ثم ان قلنا انهم كانوا
منكرين لله فالسؤال عن الحقيقة
كقول فرعون وما رب العالمين وان
قلنا انهم كانوا مقرين لكنهم جهلوا
أنه تعالى سمى بهذا الاسم فالسؤال
عن الاسم ومعنى (لما تأمرنا) للذى
تأمرناه بمعنى تأمرنا بسجوده مثل
أمرتك الخير فاتسع أولا ثم حذف
ثانيا ويجوز أن تكون ما مصدرية
أى لأمرك لنا ومن قرأ على الغيبة
فالضمير لمحمد أو للمسمى بالرحمن
كأنهم قالوا هذا القول فيما بينهم
والضمير فى (زادهم) للقول وهو
السجود والرحمن أى وزادهم
أمره (نفورا) ومن حقه أن يكون
باعثا على الفعل والقبول قال
الضحاك لما رآهم المشركون
يسجدون تباعدوا فى ناحية المسجد
مستهزئين فمعنى الآية وزادهم
سجودهم نفورا ومن السنة أن يقول الساجد والقارئ اذا بلغ
القول

هذا الموضع زادنا الله خضوعا ما زاد للاعداء نفورا ثم ذكر ما لو تفكروا فيه لعرفوا وجوب السجود للرحمن فقال (تبارك) الخ فالبروج هى الأقسام

وذرياتنا قرة أعين قال يعبدونك يحسنون عبادتك ولا يحزنون علينا الجزائر **حدثنى** يونس قال أخبرنا
ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين قال
يسألون الله لأزواجهم وذرياتهم أن يهديهم للاسلام **حدثنا** محمد بن عون قال ثنا محمد بن اسمعيل
ابن عياش قال ثنى أبى عن صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال جلسنا
الى المقداد بن الأسود فقال لقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على أشد حالة بعث عليها نبى
من الانبياء فى فترة وجاهلية ما يرون دينا أفضل من عبادة الأوثان فجاء بفرقان فرق به بين الحق
والباطل وفرق بين الوالد وولده حتى ان كان الرجل ليرى ولده ووالده وأخاه كافرا وقد فتح الله قلبه بالاسلام فيعلم أنه ان مات دخل النار فلا تقر عينه وهو يعلم أن حبيبه فى النار وانها التى قال الله
والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين الآية **حدثنى** ابن عون قال ثنى على
ابن الحسن العسقلانى عن عبد الله بن المبارك عن صفوان عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه
عن المقداد نحوه وقيل هب لنا قرة أعين وقد ذكر الازواج والذريات وهم جمع وقوله قرة أعين
واحدة لأن قوله قرة أعين مصدر من قول القائل قرت عينك قرة والمصدر لا تكاد العرب تجمعه
وقوله واجعلنا للمتقين اماما اختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم معناه واجعلنا أئمة
يقتدى بنا من بعدنا ذكر من قال ذلك **حدثنى** عبد الأعلى بن واصل قال ثنى عون بن سلام
قال أخبرنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله واجعلنا للمتقين اماما
يقول أئمة يقتدى بنا **حدثنى** على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله
واجعلنا للمتقين اماما أئمة التقوى ولأهله يقتدى بنا قال ابن زيد كما قال لابراهيم انى جاعلك للناس
اماما * وقال آخرون بل معناه واجعلنا للمتقين اماما نأتم بهم ويأتم بنا من بعدنا ذكر من قال ذلك
حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله واجعلنا
للمتقين اماما قال أئمة نقتدى بمن قبلنا وتكون أئمة لمن بعدنا **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق
قال اخبرنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واجعلنا للمتقين اماما قال اجعلنا مؤتمين بهم
مقتدين بهم * قال أبو جعفر وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال معناه واجعلنا للمتقين
الذين يتقون معاصيك ويخافون عقابك اماما يأتمون بنا فى الخيرات لأنهم انما سألوا ربهم أن
يجعلهم للمتقين أئمة ولم يسألوه أن يجعل المتقين لهم اماما وقال واجعلنا للمتقين اماما ولم يقل أئمة وقد
قالوا واجعلنا وهم جماعة لأن الامام مصدر من قول القائل أم فلان فلانا اماما كما يقال قام فلان
قياما وصام يوم كذا صياما ومن جمع الامام أئمة جعل الامام اسما كما يقال أصحاب محمد امام وأئمة
للناس فمن وحد قال يأتم بهم الناس وهذا القول الذى قلنا فى ذلك قول بعض نحويى أهل الكوفة
وقال بعض أهل البصرة من أهل العربية الامام فى قوله للمتقين اماما جماعة كما تقول كلهم عدول
قال ويكون على الحكاية كما يقول القائل اذا قيل له من أميركم هؤلاء أميرنا واستشهد لذلك
بقول الشاعر

يا عاذلاتى لا تردن ملامتى * ان العواذل ليس لى بأمير

الاثنا عشر للفلك واسامیها مشهورة الحمل والثور والجوزاء الخ شبهت بالقصور العالیة واشتقاق البروج من التبرج لظهوره والسراج الشمس ومن جمع أراد الشمس والكواكب الكبار والخلفة للهیئة من الخلافة یرید الحالة التی یخلف علیها اللیل والنهار كل واحد منهما الآخر أی جعلهما ذوی خلفة یعقب هذا ذاك وذاك هذا ومثله قوله واختلاف اللیل والنهار فی أحد تفاسیره وعن ابن عباس جعل كل واحد منهما یخالف صاحبه فیما یحتاج أن یعمل فمن فاته شیء من وظائف العبادة فی أحدهما قضاه فی الآخر وعن مجاهد وقتادة والكسائی یقال لكل مختلفین هما خلفتان فالمعنی ان أحدهما أسود والآخر أبیض أو هذا طویل وهذا قصیر ثم بین أن هذه النعمة سبب للتذكر لمن أراد ذلك أو للشكر لمن أراده أما التذكر فلدلالة الانتقال والتغیر على الناقل والمغیر وأما الشكر فلأن اللیل سبب الراحة والسكون والنهار سبب لسهولة التصرف فی المعایش قال بعضهم معنی أو التفاصلة أنه ان كان كافرا تذكر وان كان مؤمنا شكر وقیل أراد لیكونا وقتین للتذكرین والشاكرین من فاته فی أحدهما ورده من العبادة قام به فی الآخر والشكور مصدر كالكفور ثم أراد أن یختم السورة بوصف عباده المخلصین فقال (وعباد الرحمن) وهو مبتدأ أخبره فی آخر السورة أولئك یجزون الغرفة أو خبره (الذین یمشون) والاضافة الی الرحمن للتخصیص والتشریف وقرئ وعبّاد جمع عابد وصف سیرتهم مع الخلق بالنهار أولا ثم وصف معاملتهم مع الحق باللیل ثانیا ثم قسم الوصف الأول الی نوعین أحدهما ترك الایذاء وهو المراد بقوله (الذین یمشون علی الارض هونا) مصدر وضع لمبالغة موضع الحال أو الصفة للمشی بمعنی هینین أو مشیا هینا والمعنی أنهم یمشون بسكینة ووقار وتواضع لا یضربون بأقدامهم ولا یخفقون بنعالهم أشرا وبطرا ولذلك كره بعضهم الركوب فی الاسواق والمشی

﴿ القول فی تأویل قوله تعالی ﴿أولئك یجزون الغرفة بما صبروا ویلقون فیها تحیة وسلاما﴾ یقول تعالی ذكره هؤلاء الذین وصفت صفتهم من عبادی وذلك من ابتداء قوله وعباد الرحمن الذین یمشون علی الأرض هونا الی قوله والذین یقولون ربنا هب لنا من أزواجنا الآیة یجزون یقول یثابون علی أفعالهم هذه التی فعلوها فی الدنیا الغرفة وهی منزلة من منازل الجنة رفیعة بما صبروا یقول بصبرهم علی هذه الأفعال ومقاساة شدتها وقوله ویلقون فیها تحیة وسلاما اختلفت القراء فی قراءته فقرأته عامة قراء أهل المدینة والبصرة ویلقون مضمومة الیاء مشددة القاف بمعنی وتتلقاهم الملائكة فیها بالتحیة وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ویلقون بفتح الیاء وتخفیف القاف والصواب من القول فی ذلك أن یقال انهما قراءتان مشهورتان فی قرأة الأمصار بمعنی واحد فبأیتهما قرأ القارئ فمصیب غیر أن أعجب القراءتین الی أن أقرأ بها ویلقون فیها بفتح الیاء وتخفیف القاف لأن العرب اذا قالت ذلك بالتشدید قالت فلان یتلقی بالسلام وبالخیر ونحن نتلقاهم بالسلام قرنته بالباء وقلما تقول فلان یلقی السلام فكان وجه الكلام لو كان بالتشدید أن یقال ویتلقون فیها بالتحیة والسلام وانما اخترنا القراءة بذلك (٣) كما تجیز أخذت بالخطام وأخذت الخطام وقد بینا معنی التحیة والسلام فیما مضی قبل فأغنی عن اعادته فی هذا الموضع ﴿ القول فی تأویل قوله تعالی ﴿خالدین فیها حسنت مستقرا ومقاما قل ما یعبؤ بكم ربی لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف یكون لزاما﴾ یقول تعالی ذكره أولئك یجزون الغرفة بما صبروا خالدین فی الغرفة یعنی أنهم ماكثون فیها لا یبغون الی غیرها حسنت تلك الغرفة قرارا لهم ومقاما یقول واقامة وقوله قل ما یعبأ بكم ربی یقول جل ثناؤه لنبیه قل یا محمد لهؤلاء الذین أرسلت الیهم أی شیء یعدكم وأی شیء یصنع بكم ربی یقال منه عبأت به أعبأ عبأ وعبأت الطیب أعبؤه اذا هیأته كما قال الشاعر

كأن بنحره وبمنكبیه ◦ عبیرا بات یعبؤه عروس

یقول یهیئه ویعمله یعبؤه عبأ وعبوا ومنه قولهم عبأت الجیش بالتشدید والتخفیف فانا أعبئه أهیئه والعب الثقل ◦ وبنحو الذی قلنا فی تأویل ذلك قال أهل التأویل ذكر من قال ذلك حدثنی یونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زید فی قوله قل ما یعبأ بكم ربی یصنع لولا دعاؤكم حدثنی محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عیسی وحدثنی الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جمیعا عن ابن أبی نجیح عن مجاهد قوله قل ما یعبأ بكم ربی قال یعبأ بكم یفعل وقوله لولا دعاؤكم یقول لولا عبادته من یعبده منكم وطاعة من یطیعه منكم وبنحو الذی قلنا فی ذلك قال أهل التأویل ذكر من قال ذلك حدثنی علی قال ثنا أبو صالح قال ثنی معاویة عن علی عن ابن عباس قوله ما یعبأ بكم ربی لولا دعاؤكم یقول لولا ایمانكم وأخبر الله الكفار أنه لا حاجة له بهم اذ لم یخلقهم مؤمنین ولو كان له بهم حاجة لحبب الیهم الایمان كما حببه الی المؤمنین وحدثنی محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عیسی وحدثنی الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جمیعا عن ابن أبی نجیح عن مجاهد قوله لولا دعاؤكم قال لولا دعاؤكم إیاه لتعبدوه وتطیعوه وقوله فقد كذبتم یقول تعالی ذكره لمشركی قریش قوم رسول الله صلی الله علیه وسلم فقد كذبتم أیها القوم رسولكم الذی أرسل

فى الاسواق دون الركوب سيرة المرسلين قال عز من قائل وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق ونانيها تحمل الايذاء واليه الاشارة بقوله (واذا خاطبهم الجاهلون) يعنى السفهاء وقليلى الأدب (قالوا سلاما) يعنى سلام توديع ومتاركة كسلام ابراهيم صلى الله عليه وسلم حين قال لأبيه سلام عليك ولا نسخ فى الآية على مازعم الكلبى وابو العالية من أنها نسخت بآية القتال فان الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم بسوء الأدب مستحسن عقلا وشرعا والبيتوتة هى أن يدركك الليل نمت أو لم تنم وصفهم باحياء الليل أو أكثره وقوله (لربهم) اما أن يتعلق بما قبله أو بما بعده أى يبيتون لله على اقدامهم ويفرشون خدودهم ويعفرون جباههم وقيل من قرأ شيأ من القرآن فى صلاة وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء قاله ابن عباس ثم وصفهم بأنهم يقولون فى سجودهم وقيامهم (ربنا اصرف عنا) الآية وقال الحسن خشعوا بالنهار وتعبوا بالليل خوفا من عذاب جهنم وقوله (غراما) أى هلاكا وخسرانا ملحا لازما ومنه الغريم لالحاحه والزامه وفلان مغرم بالنساء اذا كان مولعا بهن وسأل ابن عباس نافع بن الازرق عن الغرام فقال هو الموجع وعن محمد بن كعب فى غراما انه سأل الكفار عن نعمه فأدوها اليه فأغرمهم فأدخلهم النار (وساءت) اما بمعنى أحزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقر حال أو تمييز واما بمعنى بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم وهو الرابط أيضا محذوف أى ساءت مستقرا ومقاما هى والظاهر أن الجملتين من قول الداعين وجوز جار الله أن يكون من كلام الله والتعليلان يصح أن يكونا متداخلين بأن يكون قوله انها ساءت تعليلا لقوله ان عذابها كان غراما وأن يكونا مترادفين كل منهما تعليل لقوله ربنا اصرف قال المتكلمون التعليل الأول مجهول

اليكم وخالفتم أمر ربكم الذى أمر بالتمسك به لو تمسكتم به كان يعبأ بكم ربى فسوف يكون تكذيبكم رسول ربكم وخلافكم أمر بارئكم عذابا لكم ملازما قتلا بالسيوف وهلاكا لكم مفنيا يلحق بعضكم بعضا كما قال أبو ذؤيب الهذلى

فتداعاه بعادية لزام * كما يتفجر الحوض القليف

يعنى باللزام الكبير الذى يتبع بعضه بعضا و بالقليف المتساقط الحجارة المتهدم ففعل الله ذلك بهم وصدقهم وعده وقتلهم يوم بدر بأيدى أوليائه وألحق بعضهم ببعض فكان ذلك العذاب اللزام * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد ابن جعفر قال ثنا شعبة قال أخبرنى مولى لشقيق بن ثور أنه سمع سلمان أبا عبد الله قال صليت مع ابن الزبير فسمعته يقرأ فقد كذب الكافرون حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا سعيد بن أدهم السدوسى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عبد الحميد قال سمعت مسلم بن عمار قال سمعت ابن عباس يقرأ هذا الحرف فقد كذب الكافرون فسوف يكون لزاما حدثنا محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما يقول كذب الكافرون أعداء الله حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن عامر عن ابن مسعود قال فسوف يلقون لزاما يوم بدر حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مسلم عن مسروق قال قال عبد الرحمن خمس قد مضين الدخان واللزام والبطشة والقمر والروم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله فسوف يكون لزاما قال أبى بن كعب هو القتل يوم بدر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن عمرو عن مغيرة عن ابراهيم قال اللزام يوم بدر حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ليث عن مجاهد فسوف يكون لزاما قال هو يوم بدر حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فسوف يكون لزاما قال يوم بدر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن منصور عن سفيان عن ابن مسعود قال اللزام القتل يوم بدر حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فقد كذبتم فسوف يكون لزاما الكفار كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم و بما جاء به من عند الله فسوف يكون لزاما وهو يوم بدر حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم عن عبد الله قال قد مضى اللزام كان اللزام يوم بدر أسروا سبعين وقتلوا سبعين * وقال آخرون معنى اللزام القتال ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فسوف يكون لزاما قال فسوف يكون قتالا اللزام القتال * وقال آخرون اللزام الموت ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فسوف يكون لزاما قال موتا وقال بعض أهل العلم بكلام العرب معنى ذلك فسوف يكون جزاء يلزم كل عامل ما عمل من خير أو شر وقد بينا الصواب من القول فى ذلك وللنصب فى اللزام وجه آخر غير الذى قلنا وهو ان يكون فى قوله يكون

اشارة الى أن عقاب أهل النار مضرة خالصة والتعليل الثانى اشارة الى كونها دائمة وقد يفرق بين المستقر والمقام بأن المستقر للعصاة من اهل الايمان والمقام للكفار الذين لا خلاص لهم منها ثم وصفهم بالتوسط فى الانفاق والقتر والاقتار التضييق نقيض الاسراف وكان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثيابا للجمال والزينة ولكن ما يسد جوعتهم ويستر عورتهم ويكنهم من الحر والقر عن عمر كفى شرها أن لا يشتهى رجل شيأ الا اشتراه فأكله ثم بالغ فى نسبة انفاقهم الى الاعتدال بقوله (وكان) أى الانفاق (بين ذلك قواما) والمنصوبان يجوز أن يكونا خبرين وأن يكون الظرف خبرا وقواما حالا مؤكدة وقال فى الكشاف يجوز أن يجعل بين ذلك لغوا وقواما مستقرا ولعل معناه أنه يقوم مقام لفظ المستقر اذا كان متعلقا به فى قولك الانفاق بين ذلك وقد ذكر مثله فى أول الشعراء فى قوله انا معكم مستمعون والقوام العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما ونظير القوام من الاستقامة السواء من الاستواء وقرئ بكسر القاف وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل ولا ينقص وأجاز الفراء أن يكون بين ذلك اسم كان على أنه مبنى لاضافته الى غير متمكن كما يقال كان دون هذا كافيا يريد أقل من ذلك فيكون المعنى وكان الوسط بين ذلك قواما وضعفه فى الكشاف بان ما بين الاسراف والتقتير قوام لا محالة فليس فى الخبر الذى هو معتمد الفائدة فائدة وأقول اذا أريد بالقوام حاق الوسط وبقوله بين ذلك أعم منه لم يلزم التكرار وعن ابن مسعود قلت يا رسول الله أى الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أى قال أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك قلت ثم أى قال أن تزانى حليلة جارك فأنزل الله عز وجل تصديقه والذين لا يدعون الى قوله ولا يزنون قال جار الله نفى هذه الأمور الشنيعة عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة فى الدين تعريض بما

مجهول ثم ينصب اللزام على الخبر كما قيل * اذا كان طعنا بينهم وقتالا * وقد كان بعض من لا علم له بأقوال أهل العلم يقول فى تأويل ذلك قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم ما تدعون من دونه من الآلهة والانداد وهذا قول لا معنى للتشاغل به لخروجه عن أقوال أهل العلم من أهل التأويل

(آخر سورة الفرقان والحمد لله وحده)

﴿ تفسير سورة الشعراء ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ طسم تلك آيات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين ﴾ قال أبو جعفر وقد ذكرنا اختلاف المختلفين فيما فى ابتداء فواتح سور القرآن من حروف الهجاء وما انتزع به كل قائل منهم لقوله ومذهبه من العلة وقد بينا الذى هو أولى بالصواب من القول فيه فيما مضى من كتابنا هذا بما أغنى عن اعادته وقد ذكر عنهم من الاختلاف فى قوله طسم وطس نظير الذى ذكر عنهم فى الم والمر والمص وقد حدثنى على بن داود قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله طسم قال فانه قسم أقسمه الله وهو من أسماء الله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله طسم قال اسم من أسماء القرآن فتأويل الكلام على قول ابن عباس والسميع ان هذه الآيات التى أنزلتها على محمد صلى الله عليه وسلم فى هذه السورة لآيات الكتاب الذى أنزلته اليه من قبلها الذى بين لمن تدبره بفهم وفكر فيه بعقل أنه من عند الله جل جلاله لم يتخرصه محمد صلى الله عليه وسلم ولم يتقوله من عنده بل أوحاه اليه ربه وقوله لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين يقول تعالى ذكره لعلك يا محمد قاتل نفسك ومهلكها ان لم يؤمن قومك بك ويصدقوك على ما جئتهم به والبخع هو القتل والاهلاك فى كلام العرب ومنه قول ذى الرمة

ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه * لشىء نحته عن يديك المقادر

* وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس باخع نفسك قاتل نفسك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين قال لعلك من الحرص على ايمانهم مخرج نفسك من جسدك قال ذلك البخع حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لعلك باخع نفسك عليهم حرصا وأن من قوله أن لا يكونوا مؤمنين فى موضع نصب بباخع كما يقال زرت عبد الله أن زارنى وهو جزاء ولو كان الفعل الذى بعد أن مستقبلا لكان وجه الكلام فى أن الكسر كما يقال أزور عبد الله ان يزرنى ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين ﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله فظلت أعناقهم الآية فقال بعضهم معناه فظل القوم الذين أنزل عليهم من السماء آية خاضعة أعناقهم لها من الذلة ذكر من قال ذلك

كان عليه اعداء المؤمنين من قريش وغيرهم كأنه قيل والذين برأهم الله وطهرهم مما أتم عليه وقيل ان الموصوف بالصفات المذكورة قد يرتكب هذه الأمور بتدبير من الله تعالى أن (٣٨) المكلف لا يصير بتلك الخلال وحدها من عباد الرحمن حتى ينضاف الى ذلك كونه مجانبا لهذه الكبائر والقتل بغير حق يشمل الوأد وغيره كما مر في سبب النزول (ومن يفعل ذلك) أي المذكور فترك المأمورات أو ارتكب المنهيات والآثام جزاء الاثم يوزن الويل والنكال ومعناهما وقيل هو الاثم والمضاف محذوف أي يلق جزاء الاثم وقرأ ابن مسعود أياما بتشديد الياء التحتانية يعني أيام الشدة ومعنى مضاعفة العذاب لمن ارتكب مخالفة المذكورات أن يعذب على الشرك وعلى المعاصي الاخر جميعا هذا عند من يرى تعذيب الكفار بفروع الشرائع والمخالف يدعي أن المشار اليه بقوله ذلك هو قوله والذين لا يدعون قال القاضي قوله (ويخلد فيه) أي في ذلك التضعيف أو المضعف ففيه دليل على أن حال الزيادة كحال الأصل في الدوام فيكون عقاب المعصية دائما واذا كان كذلك في حق الكافر لزم ان يكون كذلك في حق المؤمن وأجيب بأن الشيئين قد يكون كل واحد منهما قبيحا ويكون الجمع بينهما أقبح فلا يلزم أن يكون للانفراد حكم الاجتماع وفي قوله ويخلد فيه مهانا اشارة الى أن العقاب هو المضرة الخالصة الدائمة المقرونة بالاذلال والاهانة كما أن الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالاجلال والتعظيم وقوله (الا من تاب) لا يفهم منه الا أن التائب لا يضاعف له العذاب ولا يلزم منه أن يكون مثابا فلذلك قال (فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات) عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة أن هذا التبديل انما يكون في الدنيا فيبدلهم بالشرك ان ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا يبشرهم الله تعالى بأنه يوفقهم لهذه الأعمال الصالحة اذا تابوا وآمنوا

حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله فظلت أعناقهم لها خاضعين قال فظلوا خاضعة أعناقهم لها حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله خاضعين قال لو شاء الله لنزل عليه آية يذلون بها فلا يلوى أحد عنقه الى معصية الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج أن لا يكونوا مؤمنين ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية قال لو شاء الله لأراهم أمرا من أمره لا يعمل أحد منهم بعده بمعصية حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فظلت أعناقهم لها خاضعين قال ملقين أعناقهم حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فظلت أعناقهم لها خاضعين قال الخاضع الذليل * وقال آخرون بل معنى ذلك فظلت سادتهم وكبراؤهم للآية خاضعين ويقول الأعناق هم الكبراء من الناس * واختلف أهل العربية في وجه تذكير خاضعين وهو خبر عن الأعناق فقال بعض نحويي البصرة يزعمون أن قوله أعناقهم على الجماعات نحو هذا أعنق من الناس كثير أو ذكر كما يذكر بعض المؤنث كما قال الشاعر

تمززتها والديك يدعو صباحه * اذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا

فجماعات هذا أعناق أو يكون ذكره لاضافته الى المذكر كما يؤنث لاضافته الى المؤنث كما قال الأعشى

وتشرق بالقول الذي قد أذعته * كما شرقت صدر القناة من الدم

وقال العجاج

لما رأى متن السماء أبعدت *

وقال الفرزدق

اذا القبضات السود طوفن بالضحى * رقدن عليهن الجمال المسجف

وقال الاعشى

وان امرأ أهدى اليك ودونه * من الأرض يهماء وبيداء خيفق

لحقوقة أن تستجيبي لصوته * وأن تعلمي أني المعان الموفق

قال ويقولون بنات نعش وبنو نعش ويقال بنات عرس وبنو عرس وقالت امرأة أنا امرؤ لا أخبر السر قال وذكر لرؤبة رجل فقال هو كان أحد بنات مساجد الله يعني الحصا وكان بعض نحويي الكوفة يقول هذا بمنزلة قول الشاعر

ترى أرماحهم متقلديها * اذا صدأ الحديد على الكعاب

فمعناه عنده فظلت أعناقهم خاضعيها هم كما يقال يدك باسطها بمعنى يدك باسطها أنت فاكتفى بما ابتدأ به من الاسم أن يكون فصار الفعل كأنه للاول وهو للثاني وكذلك قوله لحقوقة أن تستجيبي لصوته انما هو لحقوقة أنت والحقوقة الناقة الا أنه عطفه على المرملا عاد بالذكر وكان آخرون منهم يقول الأعناق الطوائف كما يقال رأيت الناس الى فلان عنقا واحدة فيجعل الاعناق الطوائف والعصب ويقول يحتمل أيضا أن تكون الاعناق هم السادة والرجال الكبراء فيكون كأنه قيل فظلت رؤس القوم وكبراؤهم لها خاضعين وقال أحب الي من هذين الوجهين في العربية أن يقال

وعملوا سائر الأعمال الصالحة وانما أفرد التوبة والايمان بالذكر أولا لعلو شأنهما وقال الزجاج السيئة بعينها لا تصير حسنة ولكن السيئة تمحى بالتوبة وتكتب الحسنة مع التوبة والكافر يحبط الله عمله ويثبت عليه (٣٩) السيآت وذهب سعيد بن المسيب ومكحول الى ظاهر الآية وهو أنه تعالى يمحو السيئة عن العبد ويثبت له بدلها الحسنة وأكدوا هذا الظاهر بما روى عن أبي هريرة مرفوعا ليتمنين أقوام أنهم أكثروا من السيآت قيل من هم يا رسول الله قال الذين يبدل الله سيآتهم حسنات وقال القاضي والقفال انه تعالى يبدل بالعقاب الثواب فذكر السبب وأراد المسبب ثم عمم الحكم فذكر أن جميع الذنوب بمنزلة الخصال المذكورة أي ومن يترك المعاصي كلها ويندم عليها وأتى بالعمل الصالح فانه بذلك تائب الى الله عز وجل متابا مرضيا مكفرا للخطايا ويجوز أن ترجع الفائدة الى تخصيص اسم الله أي فانه تائب متابا الى الله الذي هو المفيض لكل الخيرات يعرف حق التائبين ويفعل بهم ما يليق بكرمه ويحتمل أن ترجع الفائدة الى تنكير متابا والمتاب المرجع أي يرجع الى الله مرجعا حسنا أي مرجع وقيل هو وعد للتائبين المخلصين فيما مضى بأنه سيوفقهم للتوبة في المستقبل ثم وصفهم بأنهم لا يشهدون الزور فان كان من الشهادة فالمضاف محذوف أي لا يشهدون شهادة الزور وان كان من الشهود الحضور فالمفسرون أقوال فمن قتادة هي مجالس الباطل وعن أبي حنيفة اللهو والغناء وعن مجاهد أعياد المشركين وعن ابن عباس هي المجالس التي يقال فيها الزور والكذب على الله تعالى وعلى رسوله والتحقيق أنه يدخل فيه حضور كل موضع يجري فيه ما لا ينبغي كمحاضر الكذابين ومجالس الخطائين وكالنظارة الى ما لم تسوغه الشريعة لأن الحضور والنظر الى تلك المجالس دليل الاهانة وبعث لفاعله عليه لازجر له عنه وفي مواعظ عيسى بن مريم اياكم ومجالسة

ان الاعناق اذا خضعت فأربابها خاضعون فجعل الفعل أولا للاعناق ثم جعلت خاضعين للرجال كما قال الشاعر

على قبضة مرجوة ظهر كفه ٭ فلا المرء مستحي ولا هو طاعم

فأنث فعل الظهر لأن الكف تجمع الظهر وتكفي منه كما أنك تكتفي بأن تقول خضعت لك من أن تقول خضعت لك رقبتي وقال ألا ترى أن العرب تقول كل ذي عين ناظر وناظرة اليك لان قولك نظرت اليك عيني ونظرت اليك بمعنى واحد بترك كل وله الفعل و برده الى العين فلو قلت فظلت أعناقهم لها خاضعة كان صوابا ٭ قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب وأشبهها بما قال أهل التأويل في ذلك أن تكون الأعناق هي أعناق الرجال وأن يكون معنى الكلام فظلت أعناقهم ذليلة للآية التي يتزلها الله عليهم من السماء وأن يكون قوله خاضعين مذكرا لانه خبر عن الهاء والميم في الأعناق فيكون ذلك نظير قول جرير

أرى مر السنين أخذن مني ٭ كما أخذ السرار من الهلال

وذلك أن قوله مر لو أسقط من الكلام لأدى ما بقي من الكلام عنه ولم يفسد سقوطه معنى الكلام عما كان به قبل سقوطه وكذلك لو أسقطت الأعناق من قوله فظلت أعناقهم لأدى ما بقي من الكلام عنها وذلك أن الرجال اذا ذلوا فقد ذلت رقابهم واذا ذلت رقابهم فقد ذلوا فان قيل في الكلام فظلوا لها خاضعين كان الكلام غير فاسد لسقوط الأعناق ولا متغير معناه عما كان عليه قبل سقوطها فصرف الخبر بالخضوع الى أصحاب الأعناق وان كان قد ابتدأ بذكر الأعناق لما قد جرى به استعمال العرب في كلامهم اذا كان الاسم المبتدأ به وما أضيف اليه يؤدي الخبر كل واحد منهما عن الآخر ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين﴾ يقول تعالى ذكره وما يجيء هؤلاء المشركين الذين يكذبونك ويجحدون ما أتيتهم به يا محمد من عند ربك من تذكير وتنبيه على مواضع حجج الله عليهم على صدقك وحقيقة ما تدعوهم اليه مما يحدثه الله اليك ويوحيه اليك لتذكرهم به الا أعرضوا عن استماعه وتركوا اعمال الفكر فيه وتدبره ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن﴾ يقول تعالى ذكره فقد كذب يا محمد هؤلاء المشركون بالذكر الذي أتاهم من عند الله وأعرضوا عنه فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن يقول فسيأتيهم أخبار الأمر الذي كانوا يسخرون وذلك وعيد من الله لهم أنه محل بهم عقابه على تماديهم في كفرهم وتمردهم على ربهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أولم يروا الى الارض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ يقول تعالى ذكره أولم ير هؤلاء المشركون المكذبون بالبعث والنشر الى الارض كم أنبتنا فيها بعد أن كانت ميتة لا نبات فيها من كل زوج كريم يعني بالكريم الحسن كما يقال للنخلة الطيبة الحمل كريمة وكما يقال للشاة أو الناقة اذا غزرتا فكثرت ألبانهما ناقة كريمة وشاة كريمة ٭ ونحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله أنبتنا فيها من كل زوج كريم قال من نبات الأرض مما تأكل الناس والأنعام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني

الخطائين (واذا مروا باللغو) وهو كل ما ينبغى أن يلغى ويطرح (مروا كراما) مكرمين أنفسهم عن الخوض فيه مع المشتغلين به وأصل الكلمة من قولهم ناقة كريمة اذا كانت لا تبالى بما (٤٠) يحلب منها للغزارة فاستعير للصفح عن الذنب ويقال تكرم فلان عما يشينه اذا تنزه وأكرم نفسه عن ذلك وقيل اذا سمعوا من الكفار الشتم والأذى أعرضوا وقيل اذا ذكروا النكاح كفوا عنه قال جار الله قوله (لم يخروا عليها) ليس نفيا للخرور ولكنه اثبات له ونفى للصمم والعمى كما تقول لا يلقانى زيد مسلما هو نفى للسلام لا للقاء والمراد أنهم اذا ذكروا بآيات الله أى وعظوا بها ونبهوا حرصوا على استماعها بآذان واعية وعيون باكية لا كالمنافقين الذين يظهرون الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم والعميان لا يعونها ولا يبصرون ما فيها فهم متساقطون عليها غير منتفعين بها قوله (من أزواجنا) من للبيان وتسمى فى علم البيان تجريدية كأنه قيل هب لنا قرة أعين ثم فسرت القرة بالأزواج والذرية كقولهم رأيت منك أسدا أى أنت أسد ويجوز أن تكون ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا لا فى الامور الدنيوية من الجاه والمال والجمال بل فى الأمور الأخروية من الطاعة والصلاح عن محمد بن كعب ليس شئ أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله وعن ابن عباس هو الولد اذا رآه يكتب الفقه وقيل سألوا أن يلحق الله عز وجل بهم أولادهم وأزواجهم فى الجنة ليتم لهم سرورهم وتنكير أعين اما لأنه أراد أعينا مخصوصة هى أعين المتقين ولهذا اختير جمع القلة لان أعين المتقين قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم وقليل من عبادى الشكور وامالاجل تنكير القرة فان المضاف لا سبيل الى تنكيره وبنحو الا بتنكير المضاف اليه أى هب لنا منهم سرورا وفرحا قال الزجاج يقال أقر الله عينك أى صادف فؤادك ما يحبه وقال المفضل فى قرة العين

حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله من كل زوج كريم قال حسن ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ يقول تعالى ذكره ان فى انبات ما انبتنا فى الارض من كل زوج كريم لآية يقول لدلالة لهؤلاء المشركين المكذبين بالبعث على حقيقته وأن القدرة التى بها أنبت الله فى الأرض ذلك النبات بعد جدوبتها لن يعجزه أن ينشرها الأموات بعد مماتهم أحياء من قبورهم وقوله وما كان أكثرهم مؤمنين يقول وما كان أكثر هؤلاء المكذبين بالبعث الجاحدين نبوتك يا محمد بمصدقيك على ما تأتيهم به من عند الله من الذكر يقول جل ثناؤه وقد سبق فى علمى أنهم لا يؤمنون فلا يؤمن بك أكثرهم للسابق من علمى فيهم وقوله وان ربك لهو العزيز الرحيم يقول وان ربك يا محمد لهو العزيز فى نعمته لا يمتنع عليه أحد أراد الانتقام منه يقول تعالى ذكره وانى ان أحللت بهؤلاء المكذبين بك يا محمد المعرضين عما يأتيهم من ذكر من عندى عقوبتى بتكذيبهم اياك فلن يمنعهم منى مانع لأنى أنا العزيز الرحيم يعنى أنه ذو الرحمة بمن تاب من خلقه من كفره ومعصيته أن يعاقبه على ما سلف من جرمه بعد توبته وكان ابن جريج يقول فى معنى ذلك ما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى الحجاج عن ابن جريج قال كل شئ فى الشعراء من قوله عزيز رحيم فهو ما أهلك ممن مضى من الأمم يقول عزيز حين انتقم من أعدائه رحيم بالمؤمنين حين أنجاهم مما أهلك به أعداءه * قال أبو جعفر وانما اخترنا القول الذى اخترناه فى ذلك فى هذا الموضع لأن قوله وان ربك لهو العزيز الرحيم عقيب وعيد الله قوما من أهل الشرك والتكذيب بالبعث لم يكونوا أهلكوا فيوجه الى أنه خبر من الله عن فعله بهم واهلاكه ولعل ابن جريج يقوله هذا أراد ما كان من ذلك عقيب خبر الله عن اهلاكه من أهلك من الأمم وذلك ان شاء الله اذا كان عقيب خبرهم كذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون﴾ يقول تعالى ذكره واذكر يا محمد اذ نادى ربك موسى بن عمران أن ائت القوم الظالمين يعنى الكافرين قوم فرعون ونصب القوم الثانى ترجمة عن القوم الاول وقوله ألا يتقون يقول ألا يتقون عقاب الله على كفرهم به ومعنى الكلام قوم فرعون فقل لهم ألا يتقون وترك اظهار فقل لهم لدلالة الكلام عليه وانما قيل ألا يتقون بالياء ولم يقل ألا تتقون بالتاء لأن التنزيل كان قبل الخطاب ولو جاءت القراءة فيها بالتاء كان صوابا كما قيل قل للذين كفروا سيغلبون ومستغلبون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال رب انى أخاف أن يكذبون ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فأرسل الى هرون ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون﴾ يقول تعالى ذكره قال موسى لربه رب انى أخاف من قوم فرعون الذين أمرتنى أن آتيهم أن يكذبون يقيلى لهم انك ارسلتنى اليهم ويضيق صدرى من تكذيبهم اياى ان كذبونى ورفع قوله ويضيق صدرى عطفا به على أخاف وبالرفع فيه قرأته عامة قراء الأمصار ومعناه وانى يضيق صدرى وقوله ولا ينطلق لسانى يقول ولا ينطلق بالعبارة عما ترسلنى به اليهم للعلة التى كانت بلسانه وقوله ولا ينطلق لسانى كلام معطوف به على يضيق وقوله فأرسل الى هرون يعنى هرون أخاه ولم يقل فأرسل الى هرون ليوازرنى وليعيننى اذ كان مفهوما معنى الكلام وذلك كقول القائل لو نزلت بنا نازلة لفزعنا اليك بمعنى لفزعنا اليك لتعيننا وقوله ولهم على ذنب يقول ولقوم فرعون على دعوى ذنب أذنبت اليهم وذلك قتله النفس التى قتلها منهم

ثلاثة أقوال أحدها برد دمعها لأنه دليل السرور والضحك كما أن حره دليل الحزن والغم والثانى قرتها أن تكون مع فراغ الخاطر وذهاب الحزن والثالث حصول الرضا وقوله (اماما) فى معنى الجمع اكتفى به لدلالته على الجنس ولعدم اللبس كما قال يخرجكم طفلا أو أريد كل واحد منا أو اجعلنا اماما واحدا لاتحاد كلمتنا أو هو جمع آم كصائم وصيام وصاحب وصحاب وقيل فى الآية دلالة على أن الرياسة يجب أن تطلب ويرغب فيها والأقرب أنهم سألوا الله ان يبلغهم فى الطاعة المبلغ الذى يشار اليهم ويقتدى بهم ومن هنا فسره القفال بأن المراد اجعلنا حجة للمتقين قالت الاشاعرة الامامة فى الدين لا تكون الا بالعلم والعمل فدل ذلك على أن العلم والعمل بل جميع أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وقالت المعتزلة انهم سألوا من الألطاف ما بها يختارون أفعال الخير الى أن يصيروا أئمة وأجيب بأن تلك الألطاف مفعولة لا محالة فيكون سؤالها عبثا ثم بين جزاء عبادة العباد بقوله (اولئك يجزون الغرفة) أى الغرفات وهى العلالى فى الجنة فوحدا كتفاء بالجنس وقيل الغرفة اسم للجنة وقوله (بما صبروا) أى بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات أو على أذى الكفار وضر الفقر وغير ذلك ولهذا أطلق اطلاقا ليشمل كل مصبور عليه ثم بين بقوله (ويلقون) أن تلك المنافع مقرونة بالتعظيم والتحية والدعاء بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة من الآفات وهما من الملائكة أو من الله أو من بعضهم لبعض ثم ذكر أنه غنى عن طاعة الكل وأنه انما كلفهم لينتفعوا بذلك قال الخليل ما أعبأ بفلان أى ما أصنع به كأنه يستقله ويستحقره ويدعى أن وجوده وعدمه سواء وقال الزجاج ما يعبأ بكم ربى يريد أى وزن يكون لكم عنده والعبء الثقل وما استفهامية أو نافية والدعاء اما مضاف الى المفعول أى لولا دعاؤكم اياه الى الدين والطاعة واما الى الفاعل أى لولا

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنى عيسى و**حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وظلم على ذنب فأخاف أن يقتلون قال قتل النفس التى قتل منهم **حدثنا** القاسم قال ثنى الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال قتل موسى النفس * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قوله وظلم على ذنب قال قتل النفس وقوله فأخاف أن يقتلون يقول فأخاف أن يقتلون قودا بالنفس التى قتلت منهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال كلا فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين أن أرسل معنا بنى اسرائيل﴾ يقول تعالى ذكره كلا أى لن يقتلك قوم فرعون فاذهبا بآياتنا يقول فاذهب أنت وأخوك بآياتنا يعنى بأعلامنا وحججنا التى أعطيناك عليهم وقوله انا معكم مستمعون من قوم فرعون ما يقولون لكم ويجيبونكم به وقوله فأتيا فرعون فقولا الآية يقول فأت أنت يا موسى وأخوك هرون فرعون فقولا انا رسول رب العالمين اليك بأن أرسل معنا بنى اسرائيل وقال رسول رب العالمين وهو يخاطب اثنين بقوله فقولا لأنه أراد به المصدر من أرسلت يقال أرسلت رسالة و رسولا كما قال الشاعر

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم * بسوء ولا أرسلتهم برسول

يعنى برسالة وقال الآخر

ألا من مبلغ عنى خفافا * رسولا بيت أهلك منتهاها

يعنى بقوله رسولا رسالة فأنث لذلك الهاء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين﴾ وفى هذا الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ظهر عليه منه وهو فأتيا فرعون فأبلغاه رسالة ربهما اليه فقال فرعون ألم نربك فينا يا موسى وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وذلك مكثه عنده قبل قتله القبطى الذى قتله من القبط وفعلت فعلتك التى فعلت يعنى قتله النفس التى قتل من القبط و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين قال فعلتها اذا وأنا من الضالين قال قتل النفس **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وانما قيل وفعلت فعلتك لأنها مرة واحدة ولا يجوز كسر الفاء اذا أريد بها هذا المعنى وذكر عن الشعبى أنه قرأ ذلك وفعلت فعلتك بكسر الفاء وهى قراءة لقراءة القراء من أهل الامصار مخالفة وقوله وأنت من الكافرين اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك وأنت من الكافرين بالله على ديننا ذكر من قال ذلك **حدثنى** موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين يعنى على ديننا هذا الذى تعيب وقال آخرون بل معنى ذلك وأنت من الكافرين نعمتنا عليك ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين قال ربيناك

فينا وليدا فهذا الذى كافأتنا أن قتلت منا نفسا وكفرت نعمتنا **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وأنت من الكافرين يقول كافرا لنعمة ان فرعون لم يكن يعلم ما الكفر ۞ قال أبو جعفر وهذا القول الذى قاله ابن زيد أشبه بتأويل الآية لأن فرعون لم يكن مقرا لله بالربوبية وانما كان يزعم أنه هو الرب فغير جائز أن يقول لموسى ان كان موسى كان عنده على دينه يوم قتل القتيل على ما قاله السدى فعلت الفعلة وأنت من الكافرين الايمان عنده هو دينه الذى كان عليه موسى عنده الا أن يقول قائل انما أراد وأنت من الكافرين يومئذ يا موسى على قولك اليوم فيكون ذلك وجها يتوجه فتأويل الكلام اذا وقتلت الذى قتلت ما وأنت من الكافرين نعمتنا عليك واحساننا اليك فى قتلك اياه وقد قيل معنى ذلك وأنت الآن من الكافرين لنعمتى عليك وتربيتى اياك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال فعلتها اذا وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين﴾ يقول تعالى ذكره قال موسى لفرعون فعلت تلك الفعلة التى فعلت أى قتلت تلك النفس التى قتلت اذا وأنا من الضالين يقول وأنا من الجاهلين قبل أن يأتينى من الله وحى بتحريم قتله على" والعرب تضع الضلال موضع الجهل والجهل موضع الضلال فتقول قد جهل فلان الطريق وضل الطريق بمعنى واحد ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وأنا من الضالين قال من الجاهلين **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال ابن جريج وفى قراءة ابن مسعود وأنا من الجاهلين ۞ قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة وأنا من الضالين قال من الجاهلين **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وأنت من الكافرين فقال موسى لم أكفر ولكن فعلتها وأنا من الضالين وفى حرف ابن مسعود فعلتها اذا وأنا من الجاهلين **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قال فعلتها اذا وأنا من الضالين قبل أن يأتينى من الله شئ كان قتلى اياه ضلالة خطأ قال والضلالة ههنا الخطأ لم يقل ضلاله فيما بينه وبين الله **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال فعلتها اذا وأنا من الضالين يقول وأنا من الجاهلين وقوله ففررت منكم لما خفتكم الآية يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل موسى لفرعون ففررت منكم معشر الملا من قوم فرعون لما خفتكم أن تقتلونى بقتل القتيل منكم فوهب لى ربى حكما يقول فوهب لى ربى نبوة وهى الحكم كما **حدثنا** موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى فوهب لى ربى حكما والحكم النبوة وقوله وجعلنى من المرسلين يقول وألحقنى بعداد من أرسله الى خلقه مبلغا عنه رسالته اليهم بارساله اياى اليك يا فرعون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وتلك نعمة تمنها على" أن عبدت بنى اسرائيل قال فرعون ومارب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نبيه موسى صلى الله عليه وسلم لفرعون وتلك نعمة تمنها على" يعنى بقوله وتلك تربية فرعون اياه يقول وتربيتك اياى وتركك استعبادى كما استعبدت بنى اسرائيل نعمة منك تمنها على" بحق

ايمانكم أو لولا عبادتكم أو لولا دعاؤكم اياه فى الشدائد كقوله فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله أو لولا شكركم له على احسانه كقوله ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم أو ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة أو ما خلقتكم وبى اليكم حاجة الا أن تسألونى فأعطيكم أو تستغفرونى فأغفر لكم قوله (فقد كذبتم) أى اذا أعلمتكم أنى لا أعتد بعبادى الا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمى (فسوف يكون لزاما) وهو عقاب الآخرة نظيره قول الملك لمن استعصى عليه ان من عادتى أن أحسن الى من يطيعنى فقد عصيت فسوف ترى عقوبتى والخطاب لجنس الانس واذا وجد فى جنسهم التكذيب فقد صح الخطاب والأوجه أن يترك اسم كان غير منطوق به ليذهب الوهم كل مذهب من أنواع الابعاد وقيل يكون العقاب لزاما وعن مجاهد هو القتل يوم بدر وقد لوزم اذ ذاك بين القتل لزاما والله تعالى أعلم ۞ التأويل ولوشئنا لبعثنا فيه كمال القدرة وان أمر النبوة ليس يتعلق بالقربات والمزاجات بل بمحض المشيئة الأزلية يروى ان موسى عليه السلام سئم الرسالة وتبرم فى بعض الأيام فأوحى الله تعالى فى ليلة واحدة الى ألف من بنى اسرائيل فأصبحوا أنبياء فضاق قلب موسى وغار وقال يارب انى لا أطيق ذلك فقبض الله أرواحهم فى ذلك اليوم وفيه كمال الحكمة فان العزة فى القلة ومنه تظهر فائدة الخاتمة وعموم رسالته وفيه تأديب الخواص وعصمتهم عن رؤية الأعمال فلا تطمع كفار النفس وسائر القوى البدنية وجاهدهم بهذا الخلاق جهادا كبيرا لا تواسيهم بالرخص ولكن يحملهم على العزائم وهو الذى مرج بحر الروح وبحر النفس هذا عذب فرات من الأخلاق الحميدة الربانية وهذا ملح أجاج من الصفات الذميمة الحيوانية والبرزخ هو وفى القلب وفائدة مرج الأجاج هو احتياج الانسان الى الأخلاق الذميمة لدفع المضرات الدنيوية والأخروية فى مقامها وحرام على الروح أن

تكون منشأ الأخلاق الذميمة وعلى النفس أن تكون معدن الأخلاق الحميدة بجعله نسبا وصهرا أهل النسب هم الذين صحت نسبتهم الى عالم الأمر وهو قوله ونفخت فيه من روحي وأهل الصهر هم الذين بقوا في عالم الخلق (٤٣) واختلطوا بالصفات البشرية من الحرص والشهوة والغضب وأشار الى هذا الصنف بقوله ويعبدون من دون الله الآية وكان كافر النفس على ربه ظهيرا في اظهار صفة قهره لأنه مظهرها وما أرسلناك الا مبشرا لاهل النسب ونذيرا لأهل الصهر الا من شاء الأجر من شاء أن يتوسل الى الرب بطاعته اياي وبخدمته لي ومن ههنا قال المشايخ يصل المريد بالطاعة الى الجنة وبتعظيم الشيخ واجلاله الى الله وتوكل أصل التوكل أن يعلم العبد أن الحادثات بأسرها مستندة الى تكوين الله وتخليقه وهذا القدر من أصول الايمان وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين ومازاد على هذا القدر من سكون القلب وزوال الانزعاج والاضطراب فانه مقام أرباب الأحوال وأصحاب الكمال وسبح بحمده أي بما حمد به نفسه كقوله أنت كما اثنيت على نفسك والقديم لا يليق به الا الحمد القديم وزادهم نفورا لأن الرحمن اقبل عليهم بقهره ولو كان أقبل عليهم بلطفه لخضعوا واستكانوا تبارك الذي جعل في سماء القلوب بروج المنازل والمقامات وهي اثنا عشر التوبة والزهد والخوف والرجاء والتوكل والصبر والشكر واليقين والاخلاص والتسليم والتفويض والرضا وهي منازل الأحوال السيارة شمس التجلي وقمر المشاهدة وزهرة الشوق ومشتري المحبة وعطارد الكشوف وصريخ الفناء وزحل البقاء وهو الذي جعل ليل السر ونهار التجلي خلفة رعاية لحقوق القلب وحظوظ النفس ان أراد أن يتعظ عند السر أو أراد شكورا عند التجلي وعباد الرحمن دون الشيطان والدنيا والهوى والنفس يمشون في أرض الوجود عند السير الى الله هونا لا يتأذى باثارة غبار صفات بشريتهم أحد واذا

وفي الكلام محذوف استغني بدلالة ماذكر عليه عنه وهو وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني اسرائيل وتركتني فلم تستعبدني فترك ذكر وتركتني لدلالة قوله أن عبدت بني اسرائيل عليه والعرب تفعل ذلك اختصارا للكلام ونظير ذلك في الكلام أن يستحق رجلان من ذي سلطان عقوبة فيعاقب أحدهما ويعفو عن الآخر فيقول المعفو عنه هذه نعمة علي من الامير أن عاقب فلانا وتركني ثم حذف وتركني لدلالة الكلام عليه ولأن في قوله أن عبدت بني اسرائيل وجهين أحدهما النصب لتعلق تمنها بها واذا كانت نصبا كان معنى الكلام وتلك نعمة تمنها علي لتعبدك بني اسرائيل والآخر الرفع على أنها رد على النعمة واذا كانت رفعا كان معنى الكلام وتلك نعمة تمنها علي تعبدك بني اسرائيل ويعني بقوله أن عبدت بني اسرائيل أن اتخذتهم عبيدا لك يقال منه عبدت العبيد واعبدتهم كما قال الشاعر

علام يعبدني قومي وقد كثرت ... فيهم أباعر ماشاؤا وعبدان

* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد تمنها علي أن عبدت بني اسرائيل قال قهرتهم واستعملتهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال تمن علي أن عبدت بني اسرائيل قال قهرت وغلبت واستعملت بني اسرائيل حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني اسرائيل وربيتني قبل وليدا * وقال آخرون هذا استفهام كان من موسى لفرعون كأنه قال أتمن علي أن اتخذت بني اسرائيل عبيدا ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وتلك نعمة تمنها علي قال يقول موسى لفرعون أتمن علي أن اتخذت أنت بني اسرائيل عبيدا * واختلف أهل العربية في ذلك فقال بعض نحويي البصرة وتلك نعمة تمنها علي فيقال هذا استفهام كأنه قال أتمنها علي ثم فسر فقال أن عبدت بني اسرائيل وجعله بدلا من النعمة وكان بعض أهل العربية ينكر هذا القول ويقول هو غلط من قائله لا يجوز أن يكون همز الاستفهام يلقى وهو يطلب فيكون الاستفهام كالخبر قال وقد استقبح ومعه أم وهي دليل على الاستفهام واستقبحوا

تروح من الحي أم تبتكر ... وماذا يضرك لو تنتظر

قال وقال بعضهم هو أتروح من الحي وحذف الاستفهام أولا اكتفاء بأم وقال أكثرهم بل الأول خبر والثاني استفهام وكأن أم اذا جاءت بعد الكلام فهي الالف فأما وليس معه أم فلم يقله انسان وقال بعض نحويي الكوفة في ذلك ما قلنا وقال معنى الكلام وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين لنعمتي أي لنعمة تربيتي لك فأجابه فقال نعم هي نعمة علي أن عبدت الناس ولم تستعبدني وقوله قال فرعون وما رب العالمين يقول وأي شيء رب العالمين قال موسى هو رب السموات والارض وما بينهما يقول ومالك ما بين السموات والارض من شيء ان كنتم موقنين يقول ان كنتم موقنين أن ما تعاينونه كما تعاينونه فكذلك فأيقنوا أن ربنا هو رب السموات والارض وما بينهما ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴾ قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الاولين

خاطبهم الجاهلون وهم كل ما سوى الله من الدنيا والآخرة وما فيهما من اللذة والنعيم قالوا سلاما سلام مودع والذين يبيتون لربهم لاحظ أنفسهم في الرواح ساجدون * في الصباح واجدون وأحسن الأشياء ظاهر بالسجود وباطن في الوجود مزين ومع هذه الأحوال والمقامات يقفون في موقف الاعتذار والتذلل قائلين ربنا اصرف عنا عذاب جهنم القطيعة والبعد اذا أفنوا وجودهم في ذات الله وصفاته لم يبالغوا في الرياضة الى حد تلف البدن ولم يقفوا في بذل الوجود بالركون الى الشهوات لا يدعون مع الله إلها آخر بأن لا يرفعوا حوائجهم الى الأغيار ولا يشوبون أعمالهم بالرياء والسمعة ولا يحبون مع الله غيره ولا يقتلون النفس التي حرم الله قتلها بكثرة المجاهدة الا بسطوات تجلي صفات الحق في مثل هذا القتل حياة أبدية ولا يزنون بالتصرف في عجوز الدنيا بغير اذن الله يضاعف له العذاب وهو عذاب النيران وعذاب الحرمان عن نعيم الجنان ومن قرب الرحمن الا من تاب من عبادة الدنيا وهوى النفس وآمن بكرامات الأولياء ومقامات الأصفياء وعمل عملا صالحا هو الاعراض عن غير الله وهو الاكسير الأعظم الذي لو طرح ذرة منه على ملء الأرض سيئة يبدلها البر بالحسنات ومن تاب ورجع عن انانيته الى هوية الحق وعمل صالحا بالدوام على هذه الحالة فانه يتوب يرجع الى الله متابا لا مزيد عليه وهو جذبة ارجعي وحينئذ لا يشهد الزور أي لا يساكن غير الحق واذا مروا باللغو وهو ما سوى الحق لا يلتفت اليه واذا ذكروا بآيات ربه تأمل فيها حق التأمل ودعا الله بأن يهب له من ازدواج الروح والجسد ومتولداتهما من القلب والنفس وملكات الأعمال الصالحة ما تقر به عين القلب وعين السر وعين الروح أي يتنور بنورها و يصير اذ ذاك مقتدى المتقين لمتقي الجسد من مخالفات الشريعة ولمتقي النفس من الأوصاف الذميمة

موسى

قال ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت الها غيري لأجعلنك من المسجونين ﴾ يعني تعالى ذكره بقوله قال لمن حوله ألا تستمعون قال فرعون لمن حوله من قومه ألا تستمعون لما يقول موسى فاخبر موسى عليه السلام القوم بالجواب عن مسئلة فرعون اياه وقيله له ومارب العالمين ليفهم بذلك قوم فرعون مقالته لفرعون وجوابه اياه عما سأله اذ قال لهم فرعون ألا تستمعون الى قول موسى فقال لهم الذي دعوته اليه والى عبادته ربكم الذي خلقكم ورب آبائكم الاولين فقال فرعون لما قال لهم موسى ذلك وأخبرهم عما يدعو اليه فرعون وقومه إن رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون يقول ان رسولكم هذا الذي يزعم أنه أرسل اليكم لمغلوب على عقله لأنه يقول قولا لا نعرفه ولا نفهمه وانما قال ذلك ونسب موسى عدو الله الى الجنة لأنه كان عنده وعند قومه أنه لا رب غيره يعبد وأن الذي يدعوه اليه موسى باطل ليست له حقيقة فقال موسى عند ذلك محتجا عليهم ومعرفهم ربهم بصفته وأدلته اذ كان عند قوم فرعون أن الذي يعرفونه ربا لهم في ذلك الوقت هو فرعون وأن الذي يعرفونه لآبائهم أربابا ملوك أخر كانوا قبل فرعون قد مضوا فلم يكن عندهم أن موسى أخبرهم بشيء له معنى يفهمونه ولا يعقلونه ولذلك قال لهم فرعون انه مجنون لان كلامه كان عندهم كلاما لا يعقلون معناه الذي أدعوكم وفرعون الى عبادته رب المشرق والمغرب وما بينهما يعني ملك مشرق الشمس ومغربها وما بينهما من شيء لا الى عبادة ملوك مصر الذين كانوا ملوكها قبل فرعون لآبائكم فمضوا ولا الى عبادة فرعون الذي هو ملكها ان كنتم تعقلون يقول ان كان لكم عقول تعقلون بها ما يقال لكم وتفهمون بها ما تسمعون مما يعين لكم فلما أخبرهم عليه السلام بالأمر الذي علموا أنه الحق الواضح اذ كان فرعون ومن قبله من ملوك مصر لم يجاوز ملكهم عريش مصر وتبين لفرعون ولمن حوله من قومه أن الذي يدعوهم موسى الى عبادته هو الملك الذي يملك الملوك قال فرعون حينئذ استكبارا عن الحق وتماديا في الغي لموسى لئن اتخذت الها غيري يقول لئن أقررت بمعبود سواي لأجعلنك من المسجونين يقول لأسجننك مع من في السجن من أهله ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال أولو جئتك بشيء مبين قال فأت به ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين ﴾ يقول تعالى ذكره قال موسى لفرعون لما عرفه ربه وأنه رب المشرق والمغرب ودعاه الى عبادته واخلاص الالوهة له وأجابه فرعون بقوله لئن اتخذت الها غيري لأجعلنك من المسجونين أتجعلني من المسجونين ولو جئتك بشيء مبين يبين لك صدق ما أقول يا فرعون وحقيقة ما أدعوك اليه وانما قال ذلك له لأن من أخلاق الناس السكون للانصاف والاجابة الى الحق بعد البيان فلما قال موسى له ما قال من ذلك قال له فرعون فأت بالشيء المبين حقيقة ما تقول فأتنا نسجنك حينئذ ان اتخذت الها غيري ان كنت من الصادقين يقول ان كنت محقا فيما تقول وصادقا فيما تصف وتخبر فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين يقول جل ثناؤه فألقى موسى عصاه فتحولت ثعبانا وهي الحية الذكر كما قد بينت فيما مضى قبل من صفته وقوله مبين يقول يبين لفرعون والملا من قومه أنه ثعبان * ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر بن عبد الله عن شهر بن حوشب عن ابن عباس قوله فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين يقول مبين له خلق حية وقوله ونزع يده فاذا هي بيضاء يقول وأخرج

ولحق الروح بما سوى الله فيجزى العرفة فى مقام العندية بما صبر فى البداية على التكاليف الشرعية وفى الوسط على تبديل الأخلاق الحميدة بالذميمة وفى النهاية بافناء الوجود ثم أخبر عن استغنائه عن وجود الخلق وعدمهم لو لا دعاؤهم اياه بلسان الحاجة فى حس العدم أو لو لا دعاؤه اياهم فى الأزل بلسان القدرة فقد كذبتم حين ادعيتم الغنى عن الصانع فسوف يكون خسران السعادة الأبدية لازما لكم أعاذنا الله منه

موسى يده من جيبه فاذا هى بيضاء تلمع للناظرين لمن ينظر اليها و يراها **حدثنا** أبو كريب قال ثنا عثام بن على قال ثنا الاعمش عن المنهال قال ارتفعت الحية فى السماء قدر ميل ثم سفلت حتى صار رأس فرعون بين نابيها فجعلت تقول يا موسى مرنى بما شئت فجعل فرعون يقول يا موسى اسألك بالذى أرسلك قال فأخذه بطنه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال للملا حوله ان هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وابعث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم﴾ يقول تعالى ذكره قال فرعون لما أراه موسى من عظيم قدرة الله وسلطانه حجة عليه لموسى بحقيقة ما دعاه اليه وصدق ما أتاه به من عند ربه للملا حوله يعنى لأشراف قومه الذين كانوا حوله ان هذا الساحر عليم يقول ان موسى سحر عصاه حتى أراكموها ثعبانا عليم يقول ذو علم بالسحر و بصر به يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره يقول يريد أن يخرج بنى اسرائيل من أرضكم الى الشام بقهره اياكم بالسحر وانما قال يريد أن يخرجكم لجعل الخطاب للملا حوله من القبط والمعنى به بنو اسرائيل لأن القبط كانوا قد استعبدوا بنى اسرائيل واتخذوهم خدما لأنفسهم ومهانا فلذلك قال لهم يريد أن يخرجكم وهو يريد أن يخرج خدمكم وعبيدكم من أرض مصر الى الشام وانما قلت معنى ذلك كذلك لان الله انما أرسل موسى الى فرعون يأمره بارسال بنى اسرائيل معه فقال له ولأخيه فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين أن أرسل معنا بنى اسرائيل وقوله فماذا تأمرون يقول فأى شئ تأمرون فى أمر موسى وما به تشيرون من الرأى فيه قالوا أرجئه وأخاه وابعث فى المدائن حاشرين يقول تعالى ذكره فأجاب فرعون الملأ حوله بأن قالوا له أخر موسى وأخاه وأنظره وابعث فى بلادك وأمصار مصر حاشرين يحشرون اليك كل سحار عليم بالسحر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين﴾ يقول تعالى ذكره فجمع الحاشرون الذين بعثهم فرعون يحشر السحرة لميقات يوم معلوم يقول لوقت واعد فرعون لموسى الاجتماع معه فيه من يوم معلوم وذلك يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لتنظروا الى ما يفعل الفريقان ولمن تكون الغلبة لموسى أو للسحرة فلعلنا نتبع السحرة ومعنى لعل ههنا كى يقول كى نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين موسى وانما قلت ذلك معناها لأن قوم فرعون كانوا على دين فرعون فغير معقول أن يقول من كان على دين أنظر الى حجة من هو على خلافى لعلى أتبع دينى وانما يقال أنظر اليها كى أزداد بصيرة بدينى فأقيم عليه وكذلك قال قوم فرعون فايا ها عنوا بقيلهم لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين وقيل ان اجتماعهم لميقات الذى اتعد للاجتماع فيه فرعون وموسى كان بالاسكندرية ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وقيل للناس هل أنتم مجتمعون قال كانوا بالاسكندرية قال ويقال بلغ ذنب الحية من وراء البحيرة يومئذ قال وهربوا واسلموا فرعون وهمت به فقال خذها يا موسى قال فكان فرعون ممايلى الناس منه أنه كان لا يضع على الارض شيأ قال فأحدث يومئذ تحته قال وكان ارساله الحية فى القبة الحمراء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون﴾ يقول تعالى ذكره فلما جاء السحرة فرعون لوعد موسى

(سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء الى آخرها حروفها ٤٥٤٢ كلمها ١٢٩٩ آياتها مائتان وسبع وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طسم تلك آيات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن أولم يروا الى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم واذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون قال رب انى أخاف أن يكذبون ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فأرسل الى هرون ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون قال كلا فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين أن أرسل معنا بنى اسرائيل قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين قال فعلتها اذا وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الاولين قال ان رسولكم الذى أرسل اليكم

لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين قال اولو جئتك بشئ مبين
قال فأت به ان كنت من الصادقين فألقى عصاه (٤٦) فاذا هى ثعبان مبين ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين قال للملا حوله ان هذا

لساحر عليم يريد أن يخرجكم من
أرضكم بسحره فماذا تأمرون
قالوا أرجه وأخاه وابعث فى المدائن
حاشرين يأتوك بكل سحار عليم
فجمع السحرة لميقات يوم معلوم
وقيل للناس هل أنتم مجتمعون
لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين
فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن
لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين قال
نعم وانكم اذا لمن المقربين قال لهم
موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا
حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون
انا لنحن الغالبون فألقى موسى
عصاه فاذا هى تلقف ما يأفكون
فألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا
برب العالمين رب موسى وهرون
قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه
لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف
تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم
من خلاف ولأصلبنكم أجمعين
قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون انا
نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا
أن كنا أول المؤمنين وأوحينا الى
موسى أن أسر بعبادى انكم متبعون
فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين
ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا
لغائظون وانا لجميع حاذرون
فأخرجناهم من جنات وعيون
وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها
بنى اسرائيل فأتبعوهم مشرقين
فلما تراءى الجمعان قال أصحاب
موسى انا لمدركون قال كلا ان معى
ربى سيهدين فأوحينا الى موسى
أن اضرب بعصاك البحر فانفلق
فكان كل فرق كالطود العظيم
وأزلفنا ثم الآخرين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين ان فى ذلك لآية وما كان

وموعد فرعون قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين موسى قال فرعون نعم وانكم اذا لمن المقربين منا فقالوا عند ذلك لموسى اما أن تلقى واما أن نكون نحن الملقين وترك ذكر قبلهم ذلك لدلالة خبر الله عنهم أنهم قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون على أن ذلك معناه فقال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون من حبالكم وعصيكم فألقوا حبالهم وعصيهم من أيديهم وقالوا بعزة فرعون يقول أقسموا بقوة فرعون وشدة سلطانه ومنعة مملكته انا لنحن الغالبون موسى

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فألقى موسى عصاه فاذا هى تلقف ما يأفكون فألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون﴾ يقول تعالى ذكره فألقى موسى عصاه حين ألقت السحرة حبالهم وعصيهم فاذا هى تلقف ما يأفكون يقول فاذا عصا موسى تردد ما يأتون به من الصورية والسحر الذى لا حقيقة له وانما هو مخاييل وخدعة فألقى السحرة ساجدين يقول فلما تبين السحرة أن الذى جاءهم به موسى حق لا سحر وأنه مما لا يقدر عليه غير الله الذى فطر السموات والأرض من غير أصل خروا لوجوههم سجدا لله مذعنين لله بالطاعة مقرين لموسى بالذى أتاهم به من عند الله أنه هو الحق وأن ما كانوا يعملونه من السحر باطل قائلين آمنا برب العالمين الذى دعانا موسى الى عبادته دون فرعون ومليه رب موسى وهرون قال آمنتم له قبل أن آذن لكم يقول جل ثناؤه قال فرعون للذين كانوا سحرته فآمنوا آمنتم لموسى بأن ما جاءه به حق قبل أن آذن لكم فى الايمان به انه لكبيركم الذى علمكم السحر يقول ان موسى لرئيسكم فى السحر وهو الذى علمكموه ولذلك آمنتم به فلسوف تعلمون عند عقابى اياكم وبال ما فعلتم وخطأ ما صنعتم من الايمان به

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون﴾ يقول لأقطعن أيديكم وأرجلكم مخالفا قطع ذلك منكم بين قطع الأيدى والأرجل وذلك أن أقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى ثم اليد اليسرى والرجل اليمنى ونحو ذلك من قطع اليد من جانب ثم الرجل من الجانب الآخر وذلك هو التقطع من خلاف ولأصلبنكم أجمعين فوكد ذلك بأجمعين اعلاما منه أنه غير مستبق منهم أحدا قالوا لا ضير يقول تعالى ذكره قالت السحرة لا ضير علينا وهو مصدر من قول القائل قد ضار فلان فلانا فهو يضيره ضيرا ومعناه لا ضرر « ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لا ضير قال يقول لا يضرنا الذى تقول وان صنعته بنا وصلبتنا انا الى ربنا منقلبون يقول انا الى ربنا راجعون وهو مجازينا بصبرنا على عقوبتك ايانا وثباتنا على توحيده والبراءة من الكفر به

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى انكم متبعون﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل السحرة انا نطمع انا نرجو أن يصفح لنا ربنا عن خطايانا التى سلفت منا قبل ايماننا به فلا يعاقبنا بها كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا قال السحر والكفر الذى كانوا فيه أن كنا أول المؤمنين يقول لأن كنا أول من آمن بموسى وصدقه بما جاء به من توحيد الله وتكذيب فرعون فى ادعائه بالربوبية فى دهرنا هذا وزماننا « ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أن كنا

أول

أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ القراآت طسم ومابعده بالامالة حمزة وعلى وخلف ويحيى وحماد وقرأ أبو جعفر ونافع

بين الفتح والكسر والى الفتح أقرب وقرأ حمزة ويزيد مظهرة النون عند الميم التي أخاف بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويضيق ولا ينطلق بالنصب فيهما يعقوب أرجه مثل ما في الاعراف أرجه أخاه بالمد

أول المؤمنين قال كانوا كذلك يومئذ أول من آمن بآياته حين رأوها وقوله وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادي يقول وأوحينا الى موسى اذ نادى فرعون في غيه وأبى الا الثبات على طغيانه بعد ما أرياه آياتنا أن أسر بعبادي يقول أن سر بني اسرائيل ليلا من أرض مصر انكم متبعون ان فرعون وجنده متبعوك وقومك من بني اسرائيل ليحولوا بينكم وبين الخروج من أرضهم أرض مصر ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿فأرسل فرعون في المدائن حاشرين ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون﴾ يقول تعالى ذكره فأرسل فرعون في المدائن يحشر له جنده وقومه ويقول لهم ان هؤلاء يعني بهؤلاء بني اسرائيل لشرذمة قليلون يعني بالشرذمة الطائفة والعصبة الباقية من عصب جبيرة وشرذمة كل شيء بقيته القليلة ومنه قول الراجز

جاء الشتاء وقميصي أخلاق * شراذم يضحك منه التواق

وقيل قليلون لأن كل جماعة منهم كان يلزمها معنى القلة فلما جمع جمع جماعاتهم قيل قليلون كما قال الكميت

فرد قواصي الاحياء منهم * فقد رجعوا كحي واحدينا

وذكر أن الجماعة التي سماها فرعون شرذمة قليلين كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن أبي عبيدة قال هؤلاء لشرذمة قليلون قال كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال الشرذمة ستمائة ألف وسبعون ألفا حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظي عن عبد الله ابن شداد بن الهاد قال اجتمع يعقوب وولده الى يوسف وهم اثنان وسبعون وخرجوا مع موسى وهم ستمائة ألف فقال فرعون ان هؤلاء لشرذمة قليلون وخرج فرعون على فرس أدهم حصان على لون فرسه في عسكره ثمانمائة ألف حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن سعيد الجريري عن أبي السليل عن قيس بن عباد قال وكان من أكثر الناس أو أحدث الناس عن بني اسرائيل قال لحدثنا أن الشرذمة الذين سماهم فرعون من بني اسرائيل كانوا ستمائة ألف قال وكان مقدمة فرعون سبعمائة ألف كل رجل منهم على حصان على رأسه بيضة وفي يده حربة وهو خلفهم في الدهم فلما انتهى موسى ببني اسرائيل الى البحر قالت بنو اسرائيل يا موسى أين ما وعدتنا هذا البحر بين أيدينا وهذا فرعون وجنوده قد دهمنا من خلفنا فقال موسى للبحر انفلق أبا خالد قال لالان أخلق لك يا موسى أنا أقدم منك خلقا قال فنودي أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق البحر وكانوا اثني عشر سبطا قال الجريري فأحسبه قال انه كان لكل سبط طريق قال فلما انتهى أول جنود فرعون الى البحر هابت الخيل اللهب قال ومثل لحصان منها فرس وديق فوجد ريحها فاشتد فاتبعه الخيل قال فلما تتام آخر جنود فرعون في البحر وخرج آخر بني اسرائيل أمر البحر فانضم عليهم فقالت بنو اسرائيل ما مات فرعون وما كان ليموت أبدا فسمع الله تكذيبهم نبيه عليه السلام قال فرمى به على الساحل كأنه ثور أحمر يترآه بنو اسرائيل حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي في قوله ان هؤلاء لشرذمة قليلون يعني بني اسرائيل حدثني محمد بن عمرو

ابن كثير ونافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد بهمزة ثم ياء وعن قنبل ان لنا على الخبر الباقون بهمزتين هشام يدخل بينهما مدة آمنتم بالمد أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وسهل ويعقوب آمنتم على الخبر حفص غير الحزاز الآخرون آمنتم بهمزتين بعبادي انكم بفتح الياء نافع وأبو جعفر حاذرون بالألف عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر الباقون بغير الالف فاتبعوهم بالتشديد زيد عن يعقوب الباقون بقطع الهمزة وسكون التاء تراءى الجمعان بكسر الراء والهمزة في الوصل حمزة وتصير وهبيرة في طريق الحزاز واختلفوا في الوقف فعن الكسائي بكسر الراء والهمزة على وزن ترعى وفي رواية أخرى عنه ترائي أي تراعي والمشهور عنه ترا بكسر الراء وفتح الهمزة وأما حمزة فانه يقف ترى بترك الهمزة وكسر الراء ويمد ويشير الى موضع الهمزة وهو المصدر وأما هبيرة فانه يقف ترا بكسر الراء ويشير الى فتح الهمزة الباقون يقفون تراءى على وزن تراعى معي ربي بفتح الياء حفص ۞ الوقوف طسم ٥ المبين ٥ مؤمنين ٥ خاضعين ٥ معرضين ٥ يستهزؤن ٥ كريم ٥ لآية ط مؤمنين ٥ الرحيم ٥ الظالمين ٥ لا للابدال أو البيان تسجيلا عليهم بالظلم فرعون ط للعدول عن الأمر الى الاستفهام يتقون ٥ يكذبون ٥ لمن قرأ ويضيق بالرفع على الاستئناف هرون ط يقتلون ٥ قال كلا لا للعطف معنى لا لفظا مستمعون ٥ العالمين ٥ لا لتعلق أن بني اسرائيل ط سنين ٥ الكافرين ٥ الضالين ٥ المرسلين ٥ اسرائيل ط العالمين ٥ وما بينهما ط لأن جواب الشرط محذوف أي ان كنتم موقنين

فلا تكذبونى موقنين ٥ تستمعون ٥ الأولين ٥ لمجنون ٥ وما بينهما ط تعقلون ٥ المسجونين ٥ مبين ٥ الصادقين ٥ مبين ٥ ج
للآية مع العطف للناظرين ٥ عليم ٥ لا لأن ما بعده صفة لسحره ق قد قيل بناء على أن ما بعده قول الملا لفرعون

والجمع للتعظيم والأصح أنه من تتمة قول فرعون تأمرون ٥ حاشرين ٥ لا لأن ما يتلوه جواب عليم ٥ معلوم ٥ لا للعطف مجتمعون لا لاتصال المعنى الغالبين ٥ لمن المقربين ٥ ملقون ٥ الغالبون ٥ ما يأفكون ٥ للآية وللدلالة على اسراعهم فى السجود ساجدين ٥ العالمين ٥ وهرون ط لكم ٥ للابتداء بان مع اتحاد القول السحر ط للفاء ولام الابتداء فلسوف تعلمون ٥ لتقدير القسم أجمعين ٥ لاضير ط توقية لحق ان والا فالأصل هو الوصل لأن ما بعده هو القول فى الحقيقة كما فى الاعراف منقلبون ٥ ج للآية مع اتحاد المقول المؤمنين ٥ متبعون ٥ حاشرين ٥ للآية مع ان التقدير بأن هؤلاء قليلون ٥ لغائظون ٥ حاذرون ٥ ط لابتداء الخبر من الله وعيون ٥ لا كريم ٥ لا لتعلق الكاف كذلك ط أى كما وعدنا بنى اسرائيل ايراثهم أخبر عن وقوع الموعود لبنى اسرائيل مشرقين ٥ لمدركون ٥ ووجه الوصل الاسراع فى تدارکهم عن خوف الادراك كلا ج لاحتمال أن يكون للردع وأن يكون بمعنى حقا سيهدين ٥ البحر ط لاجل الفاء الفصيحة أى فضرب فانفلق العظيم ٥ الآخرين ٥ أجمعين ٥ الآخرين ٥ لآية ط مؤمنين ٥ الرحيم ٥ ۞ التفسير قال جار الله معنى طسم ان آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين وقدمر مثله فى أول يوسف والبخع الاهلاك

وقدمر فى أول الكهف عزاه وعرفه أن غمه وحزنه لا ينفع كما أن وجود الكتاب على بيانه ووضوحه لا ينفع ثم بين أنه قادر على تنزيل آية

قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ان هؤلاء لشرذمة قليلون قال هم يومئذ ستمائة ألف ولا يحصى عدد أصحاب فرعون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى انكم متبعون قال أوحى الله الى موسى أن اجمع بنى اسرائيل كل أربعة أبيات فى بيت ثم اذبحوا أولاد الضأن فاضربوا بدمائها على الأبواب فانى سآمر الملائكة أن لا تدخل بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم وأموالهم ثم اخبز واخبزا فطيرا فانه أسرع لكم ثم أسر بعبادى حتى تنتهى للبحر فيأتيك أمرى ففعل فلما أصبحوا قال فرعون هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبكارنا من أنفسنا وأموالنا فأرسل فى أثرهم ألف ألف وخمسمائة ألف وخمسمائة ملك مسور مع كل ملك ألف رجل وخرج فرعون فى الكرش العظمى وقال ان هؤلاء لشرذمة قليلون قال قطعة وكانوا ستمائة ألف ومائتا ألف منهم أبناء عشرين سنة الى أربعين ٥ قال ثنى حجاج عن أبى بكر عن شهر بن حوشب عن ابن عباس قال كان مع فرعون يومئذ ألف جبار كلهم عليه تاج وكلهم أمير على خيل ٥ قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال كانوا ثلاثين ملكا ساقة خلف فرعون يحسبون أنهم معهم وجبرائيل أمامهم يرد أوائل الخيل على أواخرها فاتبعهم حتى انتهى الى البحر وقوله وانهم لنا لغائظون يقول وان هؤلاء الشرذمة لنا لغائظون فذكر أن غيظهم اياهم كان لقتل الملائكة من قتلت من أبكارهم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله وانهم لنا لغائظون يقول يقتلهم أبكارنا من أنفسنا وأموالنا وقد يحتمل أن يكون معناه وانهم لنا لغائظون بذهابهم منهم بالعوارى التى كانوا استعاروها منهم من الحلى ويحتمل أن يكون ذلك بغراقهم اياهم وخروجهم من أرضهم بكره منهم لذلك وقوله وانا لجميع حاذرون اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفة وانا لجميع حاذرون بمعنى أنهم معدون مؤدون ذوو أداة وقوة وسلاح وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وانا لجميع حذرون بغير ألف وكان القراء يقول كأن الحاذر الذى يحذرك الآن وكأن الحذر المخلوق حذرا لا تلقاه الا حذرا ومن الحذر قول ابن أحمر

هل أنسأن يوما الى غيره ٥ انى حوالىّ وانى حذر

والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان فى قراء الامصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فيه ونحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا سفيان عن أبى اسحق قال سمعت الأسود بن يزيد يقرأ واناً لجميع حاذرون قال مقوون مؤدون حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عيسى ابن عبيد عن أيوب عن أبى العوجاء عن الضحاك بن مزاحم أنه كان يقرأ وانا لجميع حاذرون يقول مؤدون حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله وانا لجميع حاذرون يقول حذرنا قال جمعنا أمرنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وانا لجميع حاذرون قال مؤدون معدون فى السلاح والكراع حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج أبو معشر عن محمد بن قيس قال كان مع فرعون ستمائة ألف حصان أدهم سوى ألوان الخيل حدثنا عمرو بن على قال ثنا أبو داود قال ثنا سليمن بن معاذ الضبى عن عاصم ابن بهدلة عن أبى رزين عن ابن عباس أنه قرأها وانا لجميع حاذرون قال مؤدون مقوون ۞ القول

ملجئة الى الايمان ولكن المشيئة والحكمة تقتضيان بناء الامر على صورة الاختبار قال صاحب الكشاف وجه عطف فظلت على نترل كما قيل فى قوله فأصدق وأكن كأنه قيل أنزلنا فظلت وأقول الظاهر أن الفاء فى (٤٩) فظلت للسببية بدليل عدم المستقر فيه كما فى نترل

فى تأويل قوله تعالى ﴿فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بنى اسرائيل فأتبعوهم مشرقين﴾ يقول تعالى ذكره فأخرجنا فرعون وقومه من بساتين وعيون ماء وكنوز ذهب وفضة ومقام كريم قيل ان ذلك المقام الكريم المنابر وقوله كذلك يقول هكذا أخرجناهم من ذلك كما وصفت لكم فى هذه الآية والتى قبلها وأورثناها يقول وأورثنا تلك الجنات التى أخرجناهم منها والعيون والكنوز والمقام الكريم عنهم بهلاكهم بنى اسرائيل وقوله فأتبعوهم مشرقين فأتبع فرعون وأصحابه بنى اسرائيل مشرقين حين أشرقت الشمس وقيل حين أصبحوا **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنى أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فأتبعوهم مشرقين قال خرج موسى ليلا فكسف القمر وأظلمت الأرض وقال أصحابه ان يوسف أخبرنا أنا سنجى من فرعون وأخذ علينا العهد لنخرجن بعظامه معنا فخرج موسى ليلته يسأل عن قبره فوجد عجوزا بيتها على قبره فأخرجته له بحكمها وكان حكمها أوكلمة تشبه هذا أن قالت احملنى فأخرجنى معك فجعل عظام يوسف فى كسائه ثم حمل العجوز على كسائه فجعله على رقبته وخيل فرعون هى ملء أعينها خضراء فى أعينهم ولا تبرح حبست عن موسى وأصحابه حتى توارى **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله فأتبعوهم مشرقين قال فرعون وأصحابه وخيل فرعون فى ملء أعينها فى رأى عيونهم ولا تبرح حبست عن موسى وأصحابه حتى توارى ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم﴾ يقول تعالى ذكره فلما تناظر الجمعان جمع موسى وهم بنو اسرائيل وجمع فرعون وهم القبط قال أصحاب موسى انا لمدركون أى الملحقون الآن يلحقنا فرعون وجنوده فيقتلوننا وذكر أنهم قالوا ذلك لموسى تشاؤما بموسى ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن عن أبيه قال قلت لعبد الرحمن فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون قال تشاءموا بموسى وقالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا **حدثنا** موسى قال ثنا أسباط عن السدى فلما تراءى الجمعان نظرت بنو اسرائيل الى فرعون قد رهقهم قالوا انا لمدركون قالوا يا موسى أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا اليوم يدرك كافر فرعون فيقتلنا انا لمدركون البحر من بين أيدينا وفرعون من خلفنا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر عن شهر بن حوشب عن ابن عباس قال لما انتهى موسى الى البحر وهاجت الريح العاصف فنظر أصحاب موسى خلفهم الى الريح والى البحر أمامهم قالوا يا موسى انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار سوى الأعرج انا لمدركون وقرأه الأعرج انا لمدركون كما يقال نزلت وأنزلت والقراءة عندنا التى عليها قراء الأمصار لاجماع الحجة من القراء عليها وقوله كلا ان معى ربى سيهدين قال موسى لقومه ليس الأمر كما ذكرتم كلا لن تدركوا ان معى ربى سيهدين يقول سيهدين لطريق أنجو فيه من فرعون وقومه كما **حدثنى** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن كعب القرظى عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال لقد ذكر لى أنه خرج فرعون فى طلب موسى على سبعين ألفا من دهم الخيل سوى ما فى جنده من شية الخيل وخرج موسى حتى اذا قابله

ووجه العدول الى الماضى كما قيل فى ونادى وسبق وجه مجىء خاضعين خبرا عن الأعناق اذ الاعناق تكون متحمما لبيان موضع الخضوع وأصل الكلام فظلوا لها خاضعين أى حين وصفت الاعناق بالخضوع الذى هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين وقيل أعناقهم رؤساؤهم كما يقال لهم الرؤس والصدور وقيل أراد جماعاتهم يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم عن ابن عباس نزلت هذه الآية فينا وفى بنى أمية قال ستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة ومعنى (ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث) قد مر فى سورة الانبياء نبه سبحانه بذلك على أنه مع اقتداره على أن يجعلهم ملجئين الى الايمان حكيم يأتيهم بالقرآن حالا بعد حال رعاية لقاعدة التكليف ثم ذكر أنه تعالى لا يجدد لهم توجيه موعظة وتذكير الا جددوا ما هو نقيض المقصود وذلك التقيض هو الاعراض والتكذيب والاستهزاء وهذا ترتيب فى غاية الحسن كأنه قيل حين أعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره حتى صار عرضة للاستهزاء وهذه درجات من أخذ فى الشقاء فانه يعرض أولا ثم يصرح بالتكذيب ثانيا ثم يبلغ فى التكذيب والانكار الى حيث

(٧ - (ابن جرير) - تاسع عشر) يستهزئ وفى قوله (فسيأتيهم) وعيد لهم بعذاب بدر أو يوم القيامة وقد مر مثله فى أول الانعام ثم بين أنه مع حكمته فى انزال القرآن حالا بعد حال رحيم يظهر من الدلائل الحسية ما يكفى المتأمل فى باب النظر والاستدلال والزوج الصنف

والكريم نعت لكل ما يرضى ويحمد فى بابه منه وجه كريم اذا رضى فى حسنه وجماله وكتاب كريم مرضى فى مبانيه ونبات كريم مرضى فيما يتعلق به من المنافع فما من نبت الا وفيه نفع وفائدة من جهة وان كانت فيه مضرة من جهة أخرى ويحتمل أن يراد بالكريم النافع منه وتكون المضار مسلوبة عنه قال جار الله معنى الجمع بين كم وكل دون أن يقول كم أنبتنا فيها من زوج كريم هو أن كلا قد دل على الاحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل وكم دل على أن هذا محيط مفرط الكثرة قلت فالحاصل أن خلق النوع يصدق بخلق فرد واحد منه كما يصدق بخلق أفراد كثيرة فقوله كل زوج اشارة الى خلق كل نوع من أنواع النبات وقوله كم أنبتنا اشارة الى كثرة أفراد كل نوع منه وفيه تنبيه على كمال القدرة ونهاية الجود والرحمة ولهذا ختم الكلام بقوله (ان فى ذلك) الانبات أو فى كل واحد من تلك الازواج (لآية) على الابداء والاعادة (وما كان أكثرهم مؤمنين) لان الله تعالى طبع على قلوبهم (وان ربك لهو العزيز الرحيم) فمن عزته قدر على عقوبتهم ومن رحمته بين لهم الدلائل ليتفكروا ويعتبروا والرحمة اذا صدرت عن القدرة كانت أعظم موقعا واعلم أنه سبحانه كرر بعض الآيات فى هذه السورة لاجل التأكيد والتقرير فمن ذلك أنه كرر قوله ان فى ذلك لآية الى قوله الرحيم فى ثمانية مواضع أولها فى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم والثانية فى قصة موسى ثم ابراهيم ثم نوح ثم هود ثم صالح ثم لوط ثم شعيب ومن ذلك قوله ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين وهو مذكور فى خمسة مواضع فى قصة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ومن ذلك أنه كرر فاتقوا الله وأطيعون فى قصة نوح وهود وصالح وليس فى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم ما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين لذكرها فى مواضع من غيرها

البحر ولم يكن عنه منصرف طلع فرعون فى جنده من خلفهم فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين أى للنجاة وقد وعدنى ذلك ولا خلف لوعده حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال كلا ان معى ربى سيهدين يقول سيكفينى وقال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون وقوله فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق ذكر أن الله كان قد أمر البحر أن لا ينفلق حتى يضربه موسى بعصاه حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال فتقدم هرون فضرب البحر فأبى أن ينفتح وقال من هذا الجبار الذى يضربنى حتى أتاه موسى فكلاه أبا خالد وضربه فانفلق حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق قال أوحى الله فيما ذكر الى البحر اذا ضربك موسى بعصاه فانفلق له قال فبات البحر يضرب بعضه بعضا فرقا من الله وانتظارا لأمره وأوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضربه بها وفيها سلطان الله الذى أعطاه فانفلق حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن سليمان التيمى عن أبى السليل قال لما ضرب موسى بعصاه البحر قال ايها أبا خالد فأخذه فأكل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج وحجاج عن أبى بكر بن عبد الله وغيره قالوا لما انتهى موسى الى البحر وهاجت الريح والبحر يرمى بتياره و يموج مثل الجبال وقد أوحى الله الى البحر أن لا ينفلق حتى يضربه موسى بالعصا فقال له يوشع يا كليم الله أين أمرت قال ههنا قال فجاز البحر ما يوارى حافره الماء فذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدروا وقال له الذى يكتم ايمانه يا كليم الله أين أمرت قال ههنا فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقيه ثم قحمه البحر فأرسب فى الماء فأوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضرب بعصاه موسى البحر فانفلق فاذا الرجل واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده وقوله فكان كل فرق كالطود العظيم يقول تعالى ذكره فكان كل طائفة من البحر لما ضربه موسى كالجبل العظيم وذكر أنه انفلق اثنى عشرة فلقة على عدد الأسباط لكل سبط منهم فرق و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم يقول كالجبل العظيم فدخلت بنو اسرائيل وكان فى البحر اثنا عشر طريقا فى كل طريق سبط وكان الطريق كما انفلقت الجدران فقال كل سبط قد قتل أصحابنا فلما رأى ذلك موسى دعا الله فجعلها قناطر كهيئة الطيقان فنظر آخرهم الى أولهم حتى خرجوا جميعا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وحجاج عن أبى بكر بن عبد الله وغيره قالوا انفلق البحر فكان كل فرق كالطود العظيم اثنا عشر طريقا فى كل طريق سبط وكان بنو اسرائيل اثنى عشر سبطا وكانت الطرق بجدران فقال كل سبط قد قتل أصحابنا فلما رأى ذلك موسى دعا الله فجعلها لهم قناطر كهيئة الطيقان ينظر بعضهم الى بعض وعلى أرض يابسة كأن الماء لم يصبها قط حتى عبر قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال لما انفلق البحر لهم صار فيه كوى ينظر بعضهم الى بعض حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق فكان كل فرق كالطود العظيم أى كالجبل على نشز من الارض حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فكان كل فرق كالطود العظيم يقول كالجبل حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول

السورة وليس فى قصة موسى لانه ربّاه فرعون حيث قال ألم نربك فينا وليدا ولا فى قصة ابراهيم لان أباه فى المخاطبين حيث يقول اذ قال لأبيه وقومه وهو قد ربّاه فاستحيا موسى وابراهيم أن يقولا وما أسألكم عليه من أجر (٥١) وان كانا مترهين من طلب الاجر ثم انه تعالى أعاد فى هذه السورة قصص الانبياء المشهورين مع أممهم اعتبارا لهذه الامة وبدأ بقصة موسى لما فيها من غرائب الاحوال وعجائب الامور والنداء المسموع عند الاشعرى هو الكلام القديم الذى لا يشبه الحروف والاصوات وعند المعتزلة واليه ميل أبى منصور الماتريدى أنه من جنس الحروف والاصوات وأنه وقع على وجه علم به موسى أنه من قبل الله تعالى وقد عرفه أنه سيظهر عليه المعجزات اذا طولب بذلك قال جار الله قوله (ألا يتقون) كلام مستأنف فيه تعجيب لموسى من حالهم الشنعاء فى قلة خوفهم وكثرة ظلمهم أو هو حال أدخلت عليه همزة الانكار ثم ان موسى خاف أن يكذب عند أداء الرسالة فاستظهر بهرون وفى قراءة النصب خاف التكذيب المستتبع لضيق الصدر المستلزم لاحتباس اللسان عن الجريان فى الكلام ولعله أراد بهذا الحبسة عقدة فى لسانه قبل اجابة دعوته أو بقية يروى انها بقيت بعد الاجابة كما مر فى طه ومعنى (فأرسل الى هرون) أرسل اليه جبريل واجعله نبيا يصدقنى فى أمرى فاختصر الكلام اختصارا ثم ذكر أنهم علىّ ذنبا فسمى جزاء الذنب ذنبا او المضاف محذوف أى تبعة ذنب وهو قود قتل القبطى كما سيجىء تفصيله فى سورة القصص فيمكن أن يقتل قبل أداء الرسالة فلا يتمكن من المقصود وهذا قد جوزه الكعبى وغيره من البغداديين وقال الاكثرون الاقرب من حال الانبياء أنهم يعلمون اذا حملهم الله تعالى الرسالة أنه يمكنهم من أدائها فلا معنى للخوف من القتل قبل الأداء نعم لو خاف بعد الأداء جاز وذلك لما جبل عليه طبع الانسان من التنفر عن القتل فيسأل الله الامان من ذلك وقد جمع الله له بقوله (كلا) الكلاءة وبقوله (فاذهبا) استيناء

أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله كالطود العظيم قال كالجبل العظيم ومنه قول الاسود بن يعفر

حلوا بأقرة يسيل عليهم ٭ ماء الفرات يجىء من أطواد

يعنى بالأطواد جمع طود وهو الجبل ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأزلفنا ثم الآخرين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ يعنى بقوله تعالى ذكره وأزلفنا ثم الآخرين وقربنا هنالك آل فرعون من البحر وقدمناهم اليه ومنه قوله وأزلفت الجنة للمتقين بمعنى قربت وأدنيت ومنه قول العجاج

طىّ الليالى زلفا فزلفا ٭ سماوة الهلال حتى احقوقفا

٭ ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله وأزلفنا ثم الآخرين قال قربنا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وأزلفنا ثم الآخرين قال هم قوم فرعون قربهم الله حتى أغرقهم فى البحر حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال دنا فرعون وأصحابه بعد ما قطع موسى بنى اسرائيل البحر من البحر فلما نظر فرعون الى البحر منفلقا قال ألا ترون البحر فرق منى قد تفتح لى حتى أدرك أعدائى فأقتلهم فذلك قول الله وأزلفنا ثم الآخرين يقول قربنا ثم الآخرين هم آل فرعون فلما قام فرعون على الطرق وأبت خيله أن تقتحم فنزل جبرائيل صلى الله عليه وسلم على مأذيانة فشامت الحصن ريح المأذيانة فاقتحمت فى أثرها حتى اذا هم أولهم أن يخرج ودخل آخرهم أمر البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم وتفرد جبرائيل بمقلة من مقل البحر فجعل يدسها فى فيه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر بن عبد الله قال أقبل فرعون فلما أشرف على الماء قال أصحاب موسى يا مكلم الله ان القوم يتبعوننا فى الطريق فاضرب بعصاك البحر فاخلطه فاراد موسى أن يفعل فأوحى الله اليه أن اترك البحر رهوا يقول أمره على سكناته انهم جند مغرقون انما أمكرهم فاذا سلكوا طريقكم غرقتهم فلما نظر فرعون الى البحر قال ألا ترون البحر فرق منى حتى تفتح لى حتى أدرك أعدائى فأقتلهم فلما وقف على أفواه الطرق وهو على حصان فرأى الحصان البحر فيه أمثال الجبال هاب وخاف وقال فرعون أنا راجع فمكر به جبرائيل عليه السلام فأقبل على فرس أنثى فأدناها من حصان فرعون فطفق فرسه لا يقر ووجد جبرائيل يقول تقدم ويقول ليس أحد أحق بالطريق منك فتشامت الحصن المأذيانة فاملك فرعون فرسه أن وثب على أثره فلما انتهى فرعون الى وسط البحر أوحى الله الى البحر خذ عبدى الظالم وعبادى الظلمة سلطانى فيك فانى قد سلطتك عليهم قال فتغطمطت تلك الفرق من الأمواج كأنها الجبال وضرب بعضها بعضا فلما أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين وكان جبرائيل صلى الله عليه وسلم شديد الأسف عليه لما رأى من آيات الله ولطول علاج موسى اياه فدخل فى أسفل البحر فأخرج طينا حشاه فى فم فرعون لكيلا يقولها التائبة فتدركه الرحمة قال فبعث الله اليه ميكائيل يعيره الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين و قال جبرائيل يا محمد ما ابغضت أحدا من خلق الله ما أبغضت اثنين

أخيه كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب أنت وهرون ومعكم ومستمعون خبران لان أو الخبر مستمعون ومعكم متعلق به ولا يخفى ما في المعية من المجاز لان المصاحبة من صفات الاجسام فالمراد معية النصرة والمعونة وأما الاستماع فمجاز أيضا وان كان اطلاق السمع على الله حقيقة لان الاستماع جار مجرى الاصغاء ولا بد فيه من الجارحة فحاصل الآية اذا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه اذا حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه وانما وحد الرسول في قوله (انا رسول رب العالمين) لانه أراد كل واحد أو أراد الرسول بمعنى المصدر أي ذو رسالة رب العالمين يقال أرسلتهم برسول أي برسالة أو جعلا لاتفاقهما واتحاد مطلبهما كرسول واحد وههنا اضمار دل عليه سياق الكلام أي فأتيا فرعون فقالا له ذلك يروى أنهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم أنه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فأديا اليه الرسالة فعرف انه موسى فعند ذلك قال (ألم نربك فينا وليدا) أي صبيا وذلك تقرب عهده من الولادة قيل مكث فيهم ثلاثين سنة من أول عمره وقيل وكز القبطي وهو ابن اثنتي عشرة سنة ففر منهم والفعلة الوكزة عدد عليه نعمه ثم ونخه بقتل نفس منهم وسماه كافرا لنعمه بسبب ذلك وجوز جار الله أن يراد وأنت اذ ذاك ممن يكفر بالساعة فيكون قد افترى على موسى أو جهل أمره لانه كان يعايشهم بالتقية وانما قلنا انه افتراء أو جهل لان الكفر غير جائز على الانبياء ولو قبل النبوة ويجوز أن يراد انه من الكافرين بفرعون والهيته أو بآلهة كانوا يعبدونها قال تعالى ويذرك وآلهتك ثم ان موسى ما أنكر تربيته ولكن أنكر الكفر فلم ينسب نفسه الا الى الضلال وأراد به الذهاب عن الصواب أو اراد النسيان أو الخطأ وعدم التدبر في أدبار الامور ثم ذكر موهبة ربه في حقه حين فر من فرعون وملئه المؤتمرين بقتله والحكم العلم

احدهما من الجن وهو ابليس والآخر فرعون قال أنا ربكم الأعلى ولقد رأيتني يا محمد وأنا أحشو في فيه مخافة أن يقول كلمة يرحمه فيها وقد زعم بعضهم أن معنى قوله وأزلفنا ثم الآخرين وجمعنا قال ومنه ليلة المزدلفة قال ومعنى ذلك أنها ليلة جمع وقال بعضهم وأزلفنا ثم وأهلكنا وقوله وأنجينا موسى ومن معه أجمعين يقول تعالى ذكره وأنجينا موسى مما أتبعناه فرعون وقومه من الغرق في البحر ومن مع موسى من بني اسرائيل أجمعين وقوله ثم أغرقنا الآخرين يقول ثم أغرقنا فرعون وقومه من القبط في البحر بعد أن أنجينا موسى منه ومن معه وقوله ان في ذلك لآية يقول تعالى ذكره ان فيما فعلت بفرعون ومن معه من تغريقي اياهم في البحر اذ كذبوا رسولي موسى وخالفوا أمري بعد الاعذار اليهم والانذار لدلالة بينة يا محمد لقومك من قريش على أن ذلك سنتي فيمن سلك سبيلهم من تكذيب رسلي وعظة لهم وعبرة ان اذكروا واعتبروا أن يفعلوا مثل فعلهم من تكذيبك مع البرهان والآيات التي قد أتيتهم فيحل بهم من العقوبة نظير ما حل بهم ولك آية في فعلي بموسى وتنجيتي اياه بعد طول علاجه فرعون وقومه منه واظهاري اياه وتوريثه وقومه دورهم وأرضهم وأموالهم على أني سالك فيك سبيله ان أنت صبرت صبره وقمت من تبليغ الرسالة الى من أرسلتك اليه قيامه ومظهرك على مكذبيك ومعليك عليهم وما كان أكثرهم مؤمنين يقول وما كان أكثر قومك يا محمد مؤمنين بما أتاك الله من الحق المبين فسابق لهم في علمي أنهم لا يؤمنون وان ربك لهو العزيز في انتقامه ممن كفر به وكذب رسله من أعدائه الرحيم بمن أنجى من رسله واتباعهم من الغرق والعذاب الذي عذب به الكفرة ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين ﴾ يقول تعالى ذكره واقصص على قومك من المشركين يا محمد خبر ابراهيم حين قال لأبيه وقومه أي شيء تعبدون قالوا له نعبد أصناما فنظل لها عاكفين يقول فنظل لها خادما مقيمين على عبادتها وخدمتها وقد بينا معنى العكوف بشواهده فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وكان ابن عباس فيما روى عنه يقول في معنى ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين قال الصلاة لأصنامهم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ﴾ يقول تعالى ذكره قال ابراهيم لهم هل تسمع دعاءكم هؤلاء الآلهة اذ تدعونهم واختلف أهل العربية في معنى ذلك فقال بعض نحويي البصرة معناه هل يسمعون منكم أو هل يسمعون دعاءكم فحذف الدعاء كما قال زهير

القائد الخيل منكوبا دوابرها ٭ قد أحكمت حكمات القد والأبقا

وقال يريد أحكمت حكمات الابق فالقى الحكمات وأقام الأبق مقامها وقال بعض من أنكر ذلك من قوله من أهل العربية الفصيح من الكلام في ذلك هو ما جاء في القرآن لأن العرب تقول سمعت زيدا متكلما يريدون سمعت كلام زيد ثم تعلم أن السمع لا يقع على الأناسي انما يقع على كلامهم ثم يقولون سمعت زيدا أي سمعت كلامه قال ولو لم يقدم في بيت زهير حكمات القد لم يجز أن ينسق بالأبق عليها لأنه لا يقال رأيت الأبق وهو يريد الحكمة وقوله أو ينفعونكم أو يضرون يقول أو تنفعكم هذه

الاصنام

بالتوحيد وكمال العقل والرأى ولا تدخل فيه النبوة ظاهرا لئلا يلزم شبه التكرار بقوله (وجعلنى من المرسلين) قال جار الله (وتلك) اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ما هى الا بعد أن فسرت بقوله (أن عبدت) نظيره قوله وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع

والمعنى تعبدك بنى اسرائيل نعمة تمنها علىّ كأنه أبى أن يسمى نعمته الا نقمة لان تعبيدهم أى تذليلهم واتخاذهم عبيدا وقصدهم بذبح أبنائهم صار هو السبب فى حصوله عنده وفى تربيته فلهذا قال الزجاج أن مع ما بعده فى موضع نصب أى انما صارت نعمة علىّ لان عبدت بنى اسرائيل اذ لو لم تفعل ذلك لكفلنى أهلى ولم يلقونى فى اليم ومن هنا قال جار الله ان قول موسى فعلتها اذن جواب لقول فرعون وفعلت فعلتك وجرائمه كأن فرعون قال جازيت نعمتى بما فعلت فقال موسى فعلتها مجازيا لك وان نعمتك جديرة بأن تجازى بنحو ذلك الجزاء وقال الحسن أراد أنك استعبدتهم وأخذت أموالهم ومنها أنعمت علىّ فلا نعمة لك بالتربية على ان التربية كانت من قبل أمى وعشيرتى ولم يكن منك الا انك لم تقتلنى وقيل أراد انك كنت تدعى أن بنى اسرائيل عبيدك ولا منة للمولى على العبد فى الاطعام والكسوة واعلم أن للعلماء خلافا فى نعمة الكافر فقيل انها لا تستحق الشكر لان الكافر يستحق الاهانة بكفره فلو استحق الشكر لاجتمع لزم الجمع بين الاهانة والتعظيم فى حق شخص واحد فى وقت واحد وقيل لا يبطل بالكفر الا الثواب والمدح الذى يستحقه على الايمان وفى الآية نوع دلالة على كل من القولين ثم ان موسى حين ادى رسالته من قوله انا رسول رب

الأصنام فيرزقونكم شيأ على عبادتكموها أو يضرونكم فيعاقبونكم على تركيكم عبادتها بأن يسلبوكم أموالكم أو يهلكوكم اذا هلكتم وأولادكم قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون وفى الكلام متروك استغنى بدلالة ما ذكر عما ترك وذلك جوابهم ابراهيم عن مسألته اياهم هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون فكان جوابهم اياه لا ما يسمعوننا اذا دعوناهم ولا ينفعوننا ولا يضرون يدل على أنهم بذلك أجابوه قولهم بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون وذلك أن بل رجوع عن مجحود كقول القائل ما كان كذا بل كذا وكذا ومعنى قولهم وجدنا آباءنا كذلك يفعلون وجدنا من قبلنا من آبائنا يعبدونها ويعكفون عليها لخدمتها وعبادتها فنحن نفعل ذلك اقتداءهم واتباعا لمنهاجهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فانهم عدو لى الا رب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره قال ابراهيم لقومه أفرأيتم أيها القوم ما كنتم تعبدون من هذه الأصنام أنتم وآباؤكم الأقدمون يعنى بالأقدمين الأقدمين من الذين كان ابراهيم يخاطبهم وهم الأولون قبلهم ممن كان على مثل ما كان عليه الذين كلمهم ابراهيم من عبادة الأصنام فانهم عدو لى الا رب العالمين يقول قائل وكيف يوصف الخشب والحديد والنحاس بعداوة ابن آدم فان معنى ذلك فانهم عدو لى لو عبدتهم يوم القيامة كما قال جل ثناؤه واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقوله الا رب العالمين نصبا على الاستثناء والعدو بمعنى الجمع ووحد لأنه أخرج مخرج المصدر مثل القعود والجلوس ومعنى الكلام أفرأيتم كل معبود لكم ولآبائكم فانى منه برىء لا أعبده الا رب العالمين ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين﴾ يقول فانهم عدو لى الا رب العالمين الذى خلقنى فهو يهدين للصواب من القول والعمل ويسددنى للرشاد والذى هو يطعمنى ويسقين يقول والذى يغذونى بالطعام والشراب ويرزقنى الأرزاق واذا مرضت فهو يشفين يقول واذا سقم جسمى واعتل فهو يبرئه ويعافيه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والذى يميتنى ثم يحيين والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين﴾ يقول والذى يميتنى اذا شاء ثم يحيينى اذا أراد بعد مماتى والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين قربى هذا الذى بيده نفعى وضرى وله هذه القدرة والسلطان وله الدنيا والآخرة لا الذى لا يسمع اذا دعى ولا ينفع ولا يضر وانما كان هذا الكلام من ابراهيم احتجاجا على قومه فى أنه لا تصلح الألوهة ولا ينبغى أن تكون العبودة الا لمن يفعل هذه الأفعال لا لمن لا يطيق نفعا ولا ضرا وقيل ان ابراهيم صلوات الله عليه عنى بقوله والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين والذى أرجو أن يغفر لى قولى انى سقيم وقولى بل فعله كبيرهم هذا وقولى لسارة انها أختى ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين قال قوله انى سقيم وقوله فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة انها أختى حين أراد فرعون من الفراعنة أن يأخذها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين قال قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة انها اختى ◦ قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة

العالمين (قال فرعون وما رب العالمين) وقد سبق مرارا أن كفره احتمل أن يكون كفر عناد وأن يكون كفر جهالة والذى يختص بالمقام هو ان ما انما يطلب به حقيقة الشئ وماهيته وهذا هو الذى قصده فرعون بسؤاله ولم يعرف أن الماهية لا تطلق على ذاته تعالى اذ لا أجزاء لها

عن أبي حمزة عن جابر عن عكرمة ومجاهد نحوه ويعني بقوله يوم الدين يوم الحساب يوم المجازاة وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن مسألة خليله ابراهيم اياه رب هب لي حكما يقول رب هب لي نبوة وألحقني بالصالحين يقول واجعلني رسولا الى خلقك حتى ألحقني بذلك بعداد من أرسلته من رسلك الى خلقك وأئمته على وحيك واصطفيته لنفسك وقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين يقول واجعل لي في الناس ذكرا جميلا وثناء حسنا باقيا فيمن يجيء من القرون بعدي ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر عن عكرمة قوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين قوله وآتيناه أجره في الدنيا قال ان الله فضله بالخلة حين اتخذه خليلا فسأل الله فقال واجعل لي لسان صدق في الآخرين حتى لا تكذبني الأمم فأعطاه الله ذلك فان اليهود آمنت بموسى وكفرت بعيسى وان النصارى آمنت بعيسى وكفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم وكلهم يتولى ابراهيم قالت اليهود هو خليل الله وهو منا فقطع الله ولايتهم منه بعدما أقروا له بالنبوة وآمنوا به فقال ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ثم ألحق ولايته بكم فقال ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين فهذا أجره الذي عجل له وهي الحسنة اذ يقول وآتيناه في الدنيا حسنة وهو اللسان الصدق الذي سأل ربه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين قال اللسان الصدق الذكر الصدق والثناء الصالح والذكر الصالح في الآخرين من الناس من الأمم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر لأبي انه كان من الضالين ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم﴾ يعني ابراهيم صلوات الله عليه بقوله واجعلني من ورثة جنة النعيم أورثني يا رب من منازل من هلك من أعدائك المشركين بك من الجنة وأسكني ذلك واغفر لأبي يقول واصفح لأبي عن شركه بك ولا تعاقبه عليه انه كان من الضالين يقول انه كان ممن ضل عن سبيل الهدى فكفر بك وقد بينا المعنى الذي من أجله استغفر ابراهيم لأبيه صلوات الله عليه واختلاف أهل العلم في ذلك والصواب عندنا من القول فيه فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقوله ولا تخزني يوم يبعثون يقول ولا تذلني بعقابك اياي يوم تبعث عبادك من قبورهم لموقف القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون يقول لا تخزني يوم لا ينفع من كفر بك وعصاك في الدنيا مال كان له في الدنيا ولا بنوه الذين كانوا له فيها فيدفع ذلك عنه عقاب الله اذا عاقبه ولا يجيره منه وقوله الا من أتى الله بقلب سليم يقول ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع الا القلب السليم والذي عنى به من سلامة القلب في هذا الموضع هو سلامة القلب من الشك في توحيد الله والبعث بعد الممات ﴿ ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن عون قال قلت لمحمد ما القلب السليم قال أن يعلم أن الله حق وأن الساعة قائمة وأن الله يبعث من في القبور حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد الا من أتى الله بقلب سليم قال لا شك فيه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين

حدية ولا تقديرية ولا بأي وجه فرض ضرورة انتهاء الكل اليه واستغنائه عن الكل من كل الوجوه فلا يصح أن يسئل عنه بما هو ولا بكيف هو ولا بأي شئ هو ولا بهل هو غاية (٥٤) ذلك أن ينبه على وجوده الذي هو أظهر الاشياء بلوازمه وآثاره على وجه يعم الكل كما يقال انه رب السموات والارض وما بينهما أو يخص من ذلك بأن يقال مثلا ربكم ورب آبائكم الاولين وهو الاستدلال بالأنفس أو يقال رب المشرق والمغرب وما بينهما من الجهات المفروضة على السماء من لدن طلوع الكواكب الى غروبها وبالعكس وهو الاستدلال بالآفاق وقد راعى في الجواب الأول طريقة اللطف فختم بقوله (ان كنتم موقنين) أي ان كنتم موقنين بشئ قط فهذا أولى ما توقنون به لظهوره وجلائه وخاشنهم في الأخير بقوله (ان كنتم تعقلون) حين نسبوه الى الجنون بعد أن تهكموا به بقولهم ان رسولكم ويمكن أن يراد بقوله وما بينهما ثانيا ما بين المشرق والمغرب من المخلوقات فيكون الفرق بين هذا الاستدلال وبين الاول أن الاول هو الاستدلال بالامكان على طريقة الحكيم والثاني هو الاستدلال بالحدوث على طريقة المتكلمين والاول أقرب الى اليقين فلهذا قال ان كنتم موقنين والثاني أقرب الى الحس فلهذا قال ان كنتم تعقلون ولما انجر الكلام الى حد العناد والمخاشنة هدده فرعون بقوله (ان اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين) وهذا أبلغ من أن لو قال لأسجننك والمعنى لأجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه يطرحه في هوة ذاهبة في الارض بعيدة العمق فرد لا يبصر فيها ولا يسمع وحينئذ عدل موسى الى الحجة الأصلية في الباب وهو ادعاء المعجز المبني عن صدقه فقال (أولو جئتك) أي أتفعل في ذلك قال ولو جئتك بشئ أي جائيا بالمعجزة وفي قوله (ان كنت من الصادقين) ان سلم أنه قاله جدا لا هزلا وجدا لا دلالة على ما ركز في العقول من أن

دعوى الرسالة ان اقترنت بظهور المعجزة على يده تحقق صدقها وقد شنع فى الكشاف ههنا أن فى أهل القبلة من خفى عليهم ما لم يخف على فرعون حتى جوزوا القبيح عليه سبحانه ولزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات (٥٥) وفى التخطئة منهو من وجهين أحدهما أنه لا قبيح

قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله الا من أتى الله بقلب سليم قال ليس فيه شك فى الحق حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله بقلب سليم قال سليم من الشرك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الا من أتى الله بقلب سليم قال سليم من الشرك فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد حدثنى عمرو بن عبد الحميد الآملى قال ثنا مروان ابن معاوية عن جويبر عن الضحاك فى قول الله الا من أتى الله بقلب سليم قال هو الخالص ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس أجمعون﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله وأزلفت الجنة للمتقين وأدنيت الجنة وقربت للمتقين الذين اتقوا عقاب الله فى الآخرة بطاعتهم اياه فى الدنيا وبرزت الجحيم للغاوين يقول وأظهرت النار للذين غووا فضلوا عن سواء السبيل وقيل للغاوين أينما كنتم تعبدون من دون الله من الأنداد هل ينصرونكم اليوم من الله فينقذونكم من عذابه أو ينتصرون لأنفسهم فينجونها مما يرادبها وقوله فكبكبوا فيها هم والغاوون يقول فرمى بعضهم فى الجحيم على بعض وطرح بعضهم على بعض منكبين على وجوههم وأصل كبكبوا كبوا ولكن الكاف كررت كما قيل برج صرصر يعنى به صر ونهنهى ينهنهى يعنى به نهنهى وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله فكبكبوا قال ذهوروا حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فكبكبوا فيها يقول جمعوا فيها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فكبكبوا فيها قال طرحوا فيها فتأويل الكلام فكب هؤلاء الأنداد التى كانت تعبد من دون الله فى الجحيم والغاوون وذكر عن قتادة أنه كان يقول الغاوون فى هذا الموضع الشياطين ذكر الرواية عمن قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فكبكبوا فيها هم والغاوون قال الغاوون الشياطين فتأويل الكلام على هذا القول الذى ذكرنا عن قتادة فكبكب فيها الكفار الذين كانوا يعبدون من دون الله الأصنام والشياطين وقوله وجنود ابليس أجمعون يقول وكبكب فيها مع الأنداد والغاوين جنود ابليس أجمعون وجنوده كل من كان من أتباعه من ذرية آدم ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره قال هؤلاء الغاوون والأنداد التى كانوا يعبدونها من دون الله وجنود ابليس وهم فى الجحيم يختصمون تالله ان كنا لفى ضلال مبين يقول تالله لقد كنا فى ذهاب عن الحق ان كنا لفى ضلال مبين بين ذهابنا ذلك عنه عن نفسه لمن تأمله وتدبره أنه ضلال وباطل وقوله اذ نسويكم برب العالمين يقول الغاوون للذين يعبدونهم من دون الله تالله ان كنا لفى ذهاب عن الحق حين نعدلكم برب العالمين فنعبدكم من دونه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله اذ نسويكم برب العالمين قال لتلك الآلهة ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما أضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء الغاوين فى الجحيم وما أضلنا الا المجرمون

عند الأشاعرة عقلا والثانى أنه على تقدير التسليم لا يلزم تجويز كل قبيح وهذا من ذلك للزوم الاشتباه وباقى القصة سبق نظيرها فى الاعراف فلنقتصر فى التفسير على ما يختص بالسورة قوله (قال لملا حوله) قال فى الكشاف الظرف فى محل النصب على الحال وأقول الأصوب أن يجعل نعتا للملا أى الاشراف حوله على طريقة قوله

« ونقدم أمر على اللئيم يسبنى »

قوله (لميقات يوم معلوم) اليوم يوم الزينة وميقاته وقت الضحى كما مر فى طه قوله (هل أنتم مجتمعون) استبطاء لهم فى الاجتماع وحث عليه كقول الرجل لغلامه هل أنت منطلق اذا أراد أن يحثه على الانطلاق قوله (لعلنا نتبع السحرة) لم يكن غرضهم اتباع السحرة فى دينهم وانما غرضهم الاصلى أن لا تتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق المجاز لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى قوله (بعزة فرعون) هى من أيمان الجاهلية ولا يصح الحلف فى الاسلام الا بالله تعالى وبصفاته كما مر فى البقرة والمائدة قوله (فألقى السحرة) لم يسم فاعله وهو الله تعالى فى الحقيقة حين ألقى داعية الايمان فى قلوبهم ويجوز أن ينسب الى ما عاينوا من المعجزات الباهرة وذلك أن لا تقدر فاعلا أى خروا قوله (لا ضير) أى لا ضير علينا فيما يتوعدنا به من القتل قوله (أن نكون أطمع) الطمع فى هذا الموضع يحتمل اليقين كقول ابراهيم والذى أطمع أن يغفر لى ويحتمل الظن بناء على أن المرء لا يعلم ما يختاره أو يؤل اليه عند الوفاة ومعنى (أن كنا) لأن كنا وكانوا أول طائفة مؤمنين من أهل زمانهم أو من قوم فرعون أو من أهل المشهد قوله (انكم متبعون) تعليل للاسراء أى بنيت تدبير أمركم على أن

يعنى بالمجرمين ابليس وابن آدم الذى سن القتل كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله وما أضلنا الا المجرمون قال ابليس وابن آدم القاتل وقوله فما لنا من شافعين يقول فليس لنا شافع فيشفع لنا عند الله من الأباعد فيعفو عنا وينجينا من عقابه ولا صديق حميم من الأقارب واختلف أهل التأويل فى الذين عنوا بالشافعين وبالصديق الحميم فقال بعضهم عنى بالشافعين الملائكة وبالصديق الحميم النسيب ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فما لنا من شافعين قال من الملائكة ولا صديق حميم قال من الناس قال مجاهد صديق حميم قال شقيق «وقال آخرون كل هؤلاء من بنى آدم ذكر من قال ذلك حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة قال ثنا اسحق بن سعيد البصرى المسمعى عن أخيه يحيى بن سعيد المسمعى قال كان قتادة اذا قرأ فما لنا من شافعين ولا صديق حميم قال يعلمون والله أن الصديق اذا كان صالحا نفع وأن الحميم اذا كان صالحا شفع وقوله فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين يقول فلو أن لنا رجعة الى الدنيا فنؤمن بالله فنكون بايماننا به من المؤمنين ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ يقول تعالى ذكره ان فيما احتج به ابراهيم على قومه من الحجج التى ذكرناه لدلالة بينة واضحة لمن اعتبر على أن سنة الله فى خلقه الذين يستنون بسنة قوم ابراهيم من عبادة الأصنام والآلهة ويقتدون بهم فى ذلك ماسن فيهم فى الدار الآخرة من كبكبتهم وما عبدوا من دونه مع جنود ابليس فى الجحيم وما كان أكثرهم فى سابق علمه مؤمنين وان ربك يا محمد لهو الشديد الانتقام ممن عبد من دونه ثم لم يتب من كفره حتى هلك الرحيم بمن تاب منهم أن يعاقبه على ما كان سلف منه قبل توبته من اثم وجرم ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون انى لكم رسول أمين﴾ يقول تعالى ذكره كذبت قوم نوح رسل الله الذين أرسلهم اليهم لما قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون فتحذروا عقابه على كفركم به وتكذيبكم رسله انى لكم رسول من الله أمين على وحيه الى برسالته اياى اليكم ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون﴾ يقول تعالى ذكره فاتقوا عقاب الله أيها القوم على كفركم به وأطيعونى فى نصيحتى لكم وأمرى اياكم باتقائه وما أسألكم عليه من أجر يقول وما أطلب منكم على نصيحتى لكم وأمرى اياكم باتقاء عقاب الله بطاعته فيما أمركم ونهاكم من ثواب ولا جزاء ان أجرى الا على رب العالمين دونكم ودون جميع خلق الله فاتقوا عقاب الله على كفركم به وخافوا حلول سخطه بكم على تكذيبكم رسله وأطيعون يقول وأطيعونى فى نصيحتى لكم وأمرى اياكم بإخلاص العبادة لخالقكم ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون قال وما علمى بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على ربى لو تشعرون﴾ يقول تعالى ذكره قال قوم نوح له مجيبيه عن قيله لهم انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون قالوا أنؤمن لك يا نوح ونقر بتصديقك فيما تدعونا اليه وانما اتبعك منا الأرذلون دون ذوى الشرف وأهل البيوتات قال وما علمى بما كانوا يعملون قال نوح لقومه وما علمى بما كان أتباعى يعملون انما لى منهم ظاهر أمرهم دون باطنه ولم أكلف علم باطنهم وانما كلفت الظاهر فمن أظهر حسنا ظننت به حسنا ومن أظهر سيئا ظننت به سيئا ان حسابهم الا على ربى لو تشعرون يقول ان حساب باطن أمرهم الذى

ارسل فى أثرهم ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور مع كل ملك ألف وخرج فرعون فى جمع عظيم وكانت على مقدمته سبعمائة ألف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وكان قوم موسى اذ ذاك ستمائة ألف وسبعين ألفا ويجوز أن يريد بالقلة الذلة والحقارة لا قلة العدد قوله (وانهم لنا لغائظون) معناه انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم ولكنهم يفعلون أفعالا لغيظنا كأخذ الحلى واذعاء الاستقلال والاستخلاص عن ذل الاستخدام ونحن قوم مجموعون كلمة وائتلافا ومن عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم فى الامور فالحذر المتيقظ وهو يفيد الثبات والحاذر الذى يجدد حذره وقيل هو تام السلاح لانه فعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه وكل هذه المعاذير لأجل أن لا يظن به العجز وخلاف ما ادعاه من القهر والتسلط وقرئ حادرون بالدال غير المعجمة والحادر السمين القوى أراد أنهم أقوياء أشداء (فأخرجناهم من جنات) أى بساتينهم التى فيها عيون الماء (وكنوز) الذهب والفضة قال مجاهد سماها كنوزا لانهم لم ينفقوا منها فى طاعة الله تعالى والمقام الكريم المنازل الحسنة والمجالس البهية وقال الضحاك المنابر وقيل السرر فى الحجال (كذلك) يحتمل النصب أى أخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذى وصفنا والجر على الوصف أى مقام كريم مثل ذلك المقام الذى كان لهم والرفع على أنه خبر مبتدا محذوف أى الامر كذلك وعلى هذا فيوقف على كريم خفى (فأتبعوهم) أى فلحقوهم ومن قرأ بالتشديد فظاهر والاشراق الدخول فى وقت الشروق (فلما تراءى الجمعان) أى رأى قوم موسى قوم فرعون

وحصل كل من الفريقين بمرأى للآخر (قال أصحاب موسى) خوفا وفزعا (انا لمدركون) لملحقون قال موسى تثبيتا لهم ورد عما هم عليه من الجزع والفزع (كلا ان معى ربى) بالنصرة والمعونة (سيهدين) سبيل النجاة والخلاص كما وعدنى ثم بين أنه كيف هداه بقوله (فأوحينا) الآية ومعنى (فانفلق) فضرب فانفلق (فكان كل فرق) أى كل جزء منفرق منفلق منه (كالطود) وهو الجبل العظيم ومع ذلك وصفه بالعظيم (وأزلفنا ثم) أى قربنا حيث انفلق البحر (الآخرين) وهم قوم فرعون والمقرب منه بنو اسرائيل أو قوم فرعون أيضا أى أدنينا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم أحد ويجوز أن يراد قدمناهم الى البحر وقرئ وأزلقنا بالقاف أى أزللنا أقدامهم حسبانا ان لم يكن ثم البحر يبسا كما كان لبنى اسرائيل أو عقلا أى أذهبنا عزهم والبحر بحر القلزم أو بحر من وراء مصر يقال له اساف قالت الاشاعرة انه تعالى أضاف الازلاف الى نفسه مع ان اجتماعهم فى طلب موسى كفر أجاب الجبائى بأن قوم فرعون تبعوا بنى اسرائيل وبنو اسرائيل انما فعلوا ذلك بأمر الله تعالى فلما كان مسيرهم بتدبير الله وهؤلاء تبعوهم أضافه الى نفسه توسعا وهذا كما يتعب أحدنا فى طلب غلام له فيجوز أن يقول أتعبنى الغلام لما حدث ذلك عند فعله أو المراد أزلفناهم الى الموت والأجل وقال الكعبى أراد أنه جمع تفرقهم كيلا يصلوا الى موسى وقومه أو أراد أنه حلم عنهم وترك لهم البحر يابسا حتى طمعوا فى دخوله واعترض بأن كل ذلك لابد أن يكون له أثر فى استجلاب داعية قوم فرعون الى الذهاب خلفهم فيعود المحذور (ان فى ذلك) الذى حدث فى البحر من انجاء البعض واغراق البعض أو فى ذلك الذى ذكر من القصة بطولها (لآية) عجيبة للتدبر المتفكر فى الامور الالهية (وما كان أكثرهم مؤمنين) حين سألوا بعد النجاة أن يجعل لهم موسى الها غير الله واتخذوا العجل واقترحوا

خفى على الاعلى ربى لو تشعرون فانه يعلم سر أمرهم وعلانيته ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ان حسابهم الا على ربى لو تشعرون قال هو أعلم بما فى نفوسهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما أنا بطارد المؤمنين ان أنا الا نذير مبين قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح لقومه وما أنا بطارد من آمن بالله واتبعنى على التصديق بما جئت به من عند الله ان أنا الا نذير مبين يقول ما أنا الا نذير لكم من عند ربكم أنذركم بأسه وسطوته على كفركم به مبين يقول نذير قد أبان لكم انذاره ولم يكتمكم نصيحته قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين يقول قال لنوح قومه لئن لم تنته يا نوح عما تقول وتدعو اليه وتعيب به آلهتنا لتكونن من المشتومين يقول للشتمنك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال رب ان قومى كذبون فافتح بينى وبينهم فتحا ونجنى ومن معى من المؤمنين فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقين﴾ يقول تعالى ذكره قال نوح رب ان قومى كذبون فيما أتيتهم به من الحق من عندك وردوا على نصيحتى لهم فافتح بينى وبينهم فتحا يقول فاحكم بينى وبينهم حكما من عندك تهلك به المبطل وتنتقم به ممن كفر بك وبحمد توحيدك وكذب رسولك كما حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فافتح بينى وبينهم فتحا قال فاقض بينى وبينهم قضاء حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فافتح بينى وبينهم فتحا قال يقول اقض بينى وبينهم ونجنى يقول ونجنى من ذلك العذاب الذى تأتى به حكما بينى وبينهم ومن معى من المؤمنين يقول والذين معى من أهل الايمان بك والتصديق لى وقوله فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون يقول فأنجينا نوحا ومن معه من المؤمنين حين فتحنا بينهم وبين قومهم وأنزلنا بأسنا بالقوم الكافرين فى الفلك المشحون يعنى فى السفينة الموقرة المملوءة ونحو الذى قلنا فى تأويل قوله الفلك المشحون قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فى الفلك المشحون قال يعنى الموقر حدثنا محمد بن سنان القزاز قال ثنا الحسين بن الحسن الأشقر قال ثنا أبو كدينة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال المشحون الموقر حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله الفلك المشحون قال المفروغ منه المملوء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال المشحون المفروغ منه تحميلا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قول الله الفلك المشحون قال هو المحمل وقوله ثم أغرقنا بعد الباقين من قومه الذين كذبوه وردوا عليه النصيحة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ يقول تعالى ذكره ان فيما فعلنا يا محمد بنوح ومن معه من المؤمنين فى الفلك المشحون حين أنزلنا بأسنا وسطوتنا بقومه الذين كذبوه لآية لك ولقومك المصدقيك منهم والمكذبيك فى أن سنتنا تحيية رسلنا وأتباعهم اذا نزلت نقمتنا بالمكذبين بهم من قومهم واهلاك المكذبين بالله وكذلك سنتى فيك وفى قومك وما كان أكثرهم مؤمنين يقول

اقتراحات خارجة عن قانون الأدب ويحتمل أن يعود الضمير الى هذه الامة بدليل واتل عليهم وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان يغتم بتكذيب قومه بعد ظهور المعجزات (٥٨) ونزول الآيات ﴿ التأويل العاء طوله فى كمال عظمته والسين سلامته عن كل عيب ونقص والميم مجده الذى لانهاية له أو العاء طهارة قلب نبيه عن تعلقات الكونين والسين سيادته على الأنبياء والمرسلين والميم مشاهدته جمال رب العالمين أو العاء طيران الطائرين بالله والسين سير السائرين الى الله والميم مشى الماشين لله الذين يمشون على الأرض هونا ان نشأ ننزل من سماء قلوبهم آية من واردات الحق فظلت أعناق نفوسهم لها خاضعين فيأتيهم بعد مفارقة الارواح الأجساد أنباء ما كانوا به يستهزؤن لظهور نتائج معاملاتهم الخبيثة على أرواحهم أولم يروا الى أرض قلوب العارفين كم أنبتنا فيها من أشجار أصناف الايمان والتوكل واليقين والاخلاص وسائر الاخلاق الكريمة وما كان أكثرهم مؤمنين لان جناب الحق لعزته يجل عن أن يكون شرعة لكل وارد وان ربك لهو العزيز الذى لا يوجد بالسعى الرحيم حين أدرك أولياءه بجذبات العناية كما أدرك موسى حين ناداه من الشجرة وذلك لانه جعله مظهر لطفه كما أنه جعل فرعون مظهر قهره فصار من العتو والاستكبار فى غاية الكمال ويعلم منه أن الانسان له استعداد فى مظهرية صفة القهر ليس لابليس فلذلك عاند ابليس آدم وقال أنا خير منه وعاند فرعون الرب وقال أنا ربكم الأعلى وأن له استعدادا فى مظهرية صفة اللطف ليس للملك ولهذا صار الانسان مسجودا للملائكة أن أرسل معنا بنى اسرائيل فيه أن موسى القلب مرسل الى فرعون النفس لئلا تستعبد الصفات الروحانية فان لفرعون النفس قال فى البداية استيلاء على موسى القلب والصفات الروحانية فاستعملهم فى قضاء حوائجه وتحصيل مقاصده فعرفه فرعون النفس وقال

ولم يكن أكثر قومك بالذين يصدقونك مما سبق فى قضاء الله أنهم لن يؤمنوا وان ربك لهو العزيز فى انتقامه ممن كفر به وخالف أمره الرحيم بالتائب منهم أن يعافيه بعد توبته ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره كذبت عاد رسل الله اليهم اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون عقاب الله على كفركم به انى لكم رسول من ربى يأمركم بطاعته ويحذركم على كفركم بأسه أمين على وحيه ورسالته فاتقوا الله بطاعته والانتهاء الى ما يأمركم وينهاكم وأطيعون فيما آمركم به من اتقاء الله وتحذيركم سطوته وما أسألكم عليه من اجر يقول وما أطلب منكم على أمرى اياكم باتقاء الله جزاء ولا ثوابا ان أجرى الا على رب العالمين يقول ما جزائى وثوابى على نصيحتى اياكم الا على رب العالمين ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه أتبنون بكل ريع آية تعبثون والريع كل مكان مشرف من الأرض مرتفع أو طريق أو واد ومنه قول ذى الرمة

طراق الخوافى مشرف فوق ريعه ٭ لدى ليلة فى ريشه يترفرق

(وقول الاعشى)

وبهماء قفر تجاوزتها ٭ اذا خب فى ريعها آلها

وفيه لغتان ريع وريع بكسر الراء وفتحها ٭ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أتبنون بكل ريع آية تعبثون يقول بكل شرف حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله بكل ريع قال بكل طريق حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله أتبنون بكل ريع آية قال بكل طريق حدثنى سليمان بن عبد الله الغيلانى قال ثنا أبو قتيبة قال ثنا مسلم بن خالد قال ثنا ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله أتبنون بكل ريع قال الريع التلة الصغيرة حدثنى يونس قال أخبرنا يحيى بن حسان عن مسلم ابن خالد عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عكرمة بكل ريع قال بخ وواد قال وقال مجاهد بكل ريع بين جبلين ٭ قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله أتبنون بكل ريع قال شرف ومنظر حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله بكل ريع قال بكل طريق حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله بكل ريع بكل طريق ويعنى بقوله آية بنيانا علما وقد بينا فى غير موضع من كتابنا هذا أن الآية هى الدلالة والعلامة بالشواهد المغنية عن اعادتها فى هذا الموضع ٭ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى ألفاظهم فى تأويله ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى

قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس بكل ريع آية قال الآية علم **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بكل ريع آية قال آية بنيان **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد آية بنيان **حدثنى** على بن سهل قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله بكل ريع آية قال بنيان الحمام وقوله تعبثون قال تلعبون و نحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس تعبثون قال تلعبون **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله تعبثون قال تلعبون وقوله وتتخذون مصانع اختلف أهل التأويل فى معنى المصانع فقال بعضهم هى قصور مشيدة ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وتتخذون مصانع قال قصور مشيدة و بنيان مجاد **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مصانع قصور مشيدة وبنيان **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن مجاهد قال مصانع يقول حصون وقصور **حدثنى** يونس قال أخبرنا يحيى بن حسان عن مسلم عن رجل عن مجاهد قوله مصانع لعلكم تخلدون قال أربحة الحمام ٭ وقال آخرون بل هى مآخذ الماء ذكر من قال ذلك **حدثنى** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله مصانع قال مآخذ الماء ٭ قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان المصانع جمع مصنعة والعرب تسمى كل بناء مصنعة وجائز أن يكون ذلك البناء كان قصورا وحصونا مشيدة وجائز أن يكون كان مآخذ الماء ولا خبر يقطع العذر بأى ذلك كان ولا هو مما يدرك من جهة العقل فالصواب أن يقال فيه ما قال الله انهم كانوا يتخذون مصانع وقوله لعلكم تخلدون يقول كأنكم تخلدون فتبقون فى الأرض و نحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله لعلكم تخلدون يقول كأنكم تخلدون **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال فى بعض الحروف وتتخذون مصانع كأنكم تخلدون وكان ابن زيد يقول لعلكم فى هذا الموضع استفهام ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون قال هذا استفهام يقول لعلكم تخلدون حين تبنون هذه الأشياء وكان بعض أهل العربية يزعم أن لعلكم فى هذا الموضع بمعنى كيما وقوله واذا بطشتم بطشتم جبارين يقول واذا سطوتم سطوتم قتلا بالسيوف وضربا بالسياط كما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج واذا بطشتم بطشتم جبارين قال القتل بالسيف والسياط ٭ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه من عاد اتقوا عقاب الله أيها القوم واعبدوه وحده وأطيعونى فيما آمركم وأنهاكم واتركوا عنكم اللهو واللعب وظلم الناس وقهرهم بالغلبة والفساد

القلوب وأرض البشرية وما بينهما من المنازل قال لمن حوله من صفات النفس ألا تستمعون قال موسى القلب لتعارفه ربه ربكم ورب آبائكم الأولين يعنى الآباء العلوية الروحانية وفى قوله ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون اشارة الى كمال ضدية القلب والنفس فما يصدر عن القلب تعده النفس من الجنون و بالعكس رب مشرق الروح من أفق البدن ورب مغرب فيه وما بينهما من مدة التعلق وقد مر نظيره فى محاجة ابراهيم فى البقرة لأجعلنك من المسجونين فى سجن حب الدنيا فان القلب اذا توجه الى الله فلا استيلاء للنفس عليه الا بشبكة حب الجاه والرياسة فانها آخر ما يخرج من رؤس الصديقين فقال موسى القلب لا تقدر على أن تسجننى فان معى عصا الذكر واليد المنزوعة عما سوى الله وباقى التأويل قد سبق قوله فأخرجناهم أى من جنات صفات الأوصاف الروحانية وعيون الحكمة وكنوز المعارف ومقام كريم فى حضرة أكرم الأكرمين وأورثناها بنى اسرائيل فيه أن النفس اذا فنيت ورث القلب منها صفاتها وبقوتها تصير الى مقامات لم يمكنه الوصول اليها بقوة صفاته ولو مات القلب ورثت النفس منه صفاته وبقوتها تتنزل الى دركات لم يمكنها الوصول اليها بمجرد صفاتها فأتبعوهم أى لحق أوصاف النفس أوصاف القلب عند اشراق شمس الروح فكان كل فرق فيه كل صفة من أوصاف الروح كجبل عظيم فى العبور عنه وأزلقناهم الآخرين أى قربنا صفات النفس بتبعية صفات القلب الى بحر الروح وأنجينا موسى ومن معه من الأوصاف فى بحر الروح بالوصول الى الحضرة ثم أغرقنا أوصاف النفس فى بحر الروحانية فان الوصول الى الحضرة

من خواص القلب وغاية سير النفس هو الاستغراق في بحار الروحانية ان في ذلك لآية لأرباب العرفان وما كان أكثرهم مؤمنين بهذا فانه لا يصير اليها الا الشاذ من المجذوبين بجذبة (٦٠) ارجعي الى ربك جعلنا الله من المستعدين لها والله أعلم ﴿واتل عليهم نبأ ابراهيم﴾ ان

لأبيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر لأبي انه كان من الضالين ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس أجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما أضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون قال وما علمي بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون وما أنا بطارد المؤمنين ان أنا الا نذير مبين قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قال رب ان قومي كذبون فافتح بيني وبينهم

في الأرض واحذروا سخط الذي أعطاكم من عنده ما تعلمون وأعانكم به من بين الوان والبنين والبساتين والأنهار انى أخاف عليكم عذاب يوم من الله عظيم ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين ان هذا الا خلق الأولين وما نحن بمعذبين﴾ يقول تعالى ذكره قالت عاد لنبيهم هود صلى الله عليه وسلم معتدل عندنا وعظك اياانا وتركك ان فلن نؤمن لك ولن نصدقك على ما جئتنا به وقوله ان هذا الا خلق الأولين اختلفت القراء في ذلك فقرأته عامة قراء المدينة سوى أبي جعفر وعامة قراء الكوفة المتأخرين منهم ان هذ الا الاولين من قبلنا وقرأ ذلك أبو جعفر وأبو عمرو بن العلاء ان هذا الا خلق الأولين بفتح الخاء وتسكين اللام بمعنى ما هذا الذي جئتنا به الا كذب الأولين وأحاديثهم واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك نحو اختلاف القراء في قراءته فقال بعضهم معناه ما هذا الا دين الأولين وعاداتهم واخلاقهم ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان هذا الا خلق الأولين يقول دين الأولين حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله ان هذا الا خلق الأولين يقول هكذا خلقة الأولين وهكذا كانوا يحيون ويموتون * وقال آخرون بل معنى ذلك ما هذا الا كذب الأولين وأساطيرهم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن ابن عباس ان هذا الا خلق الأولين قال أساطير الأولين حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله الا خلق الأولين قال كذبهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان هذا الا خلق الأولين قال ان هذا الا أمر الأولين وأساطيرهم الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن عامر عن علقمة عن عبد الله بن مسعود ان هذا الا خلق الأولين يقول ان هذا الا اختلاق الأولين * قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا داود عن الشعبي عن علقمة عن عبد الله أنه كان يقرأ ان هذا الا خلق الأولين ويقول ما اختلقوه حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود عن الشعبي قال قال علقمة الخلق الا خلق الأولين قال اختلاق الأولين وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ ان هذا الا خلق الأولين بضم الخاء واللام بمعنى ان هذا الا عادة الأولين ودينهم كما قال ابن عباس لأنهم انما عوتبوا على البنيان الذي كانوا يتخذونه ويبطشهم بالناس بطش الجبابرة وقلة شكرهم ربهم فيما أنعم عليهم فأجابوا نبيهم بأنهم يفعلون ما يفعلون من ذلك احتذاء منهم سنة من قبلهم من الأمم واقتداء منهم آثارهم فقالوا ما هذا الذي نفعله الا خلق الأولين يعنون بالخلق عادة الأولين ويريدون بذلك ما قلنا وتصحيحا لما اخترنا من القراءة والتأويل قولهم وما نحن بمعذبين لأنهم لو كانوا لا يقرون بالله لم يقدروا على تعذيبهم ما قالوا وما نحن بمعذبين بل كانوا يقولون ان هذا الذي جئتنا به يا هود الا خلق الأولين وما الناس معذب يعذبنا ولكنهم كانوا مقرين بالصانع ويعبدون الآلهة على نحو ما كان مشركو العرب يعبدونها ويقولون انها تقربنا الى الله زلفى فلذلك قالوا لهود وهم منكرون نبوته

نجينا ومن معي من المؤمنين فأنجيناهم ومن معه في الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقين ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ﴿ القراآت ﴾ لي الاواغد لأبي انه بفتح الياء فيهما أبو جعفر ونافع وأجرى الا بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن عامر وأبو عمرو وحفص وأتباعك على أنه جمع تابع أوتبع يعقوب أنا الا بالمد أبو نشيط عن قالون معي من المؤمنين بفتح الياء المتكلم حفص وورش ﴿ الوقوف ﴾ ابراهيم م لئلا يوهم ان اذ ظرف قال وانما هو منصوب باذكر ما تعبدون ٥ عاكفين ٥ تدعون ٥ يضرون ٥ يفعلون ٥ تعبدون ٥ لا لأن الضمير بعده توكيد الأقدمون ٥ والوصل أولى للفاء العالمين ٥ لا لأن الذي صفة الرب يهدين ٥ لا يشفين ٥ ويسقين ٥ يحيين ٥ لا الدين ٥ بالصالحين ٥ لا الآخرين ٥ لا النعيم ٥ لا الضالين ٥ لا يبعثون ٥ ولا بنون ٥ لا سليم ٥ ط بناء على أن ما بعده الى آخر أحوال الجنة والنار هو من كلام الله تعالى وهو الظاهر وقيل هو من تمة كلام ابراهيم العالمين ٥ المجرمون ٥ شافعين ٥ حميم ٥ ط المؤمنين ٥ لآية ط مؤمنين ٥ الرحيم ٥ المرسلين ج ٥ لأن اذ تصلح ظرفا للتكذيب مفعولا لاذكر تتقون ج ٥ لان ما بعده من تمام المقول أمين ٥ لا للفاء وأطيعون ج ٥ من أجر ج العالمين ج ٥ وأطيعون ٥ لا الأرذلون ٥ ط يعملون ج ٥ لأن ما بعده من تمام المقول تشعرون ٥ لذلك المؤمنين ج ٥ مبين ٥ المرجومين ٥ ط كذبون ٥ ج المؤمنين ٥ المشحون ج ٥ الباقين ٥ لآية ط مؤمنين ٥ ط الرحيم ٥

علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين ثم قالوا له ما هذا الذي تفعله الا عادة من قبلنا وأخلاقهم وما نحن معذبين عليه كما أخبرنا تعالى ذكره عن الأمم الخالية قبلنا انهم كانوا يقولون لرسلهم انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فكذبوه فأهلكناهم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ يقول تعالى ذكره فكذبت عاد رسولهم هودا والهاء في قوله فكذبوه من ذكر هود فأهلكناهم يقول فأهلكنا عادا بتكذيبهم رسولنا ان في ذلك لآية يقول تعالى ذكره ان في اهلاكنا عادا بتكذيبها رسولها لعبرة وموعظة لقومك يا محمد المكذبيك فيما أتيتهم به من عندربك وما كان أكثرهم مؤمنين يقول وما كان أكثر من أهلكنا بالذين يؤمنون في سابق علم الله وان ربك لهو العزيز في انتقامه من أعدائه الرحيم بالمؤمنين به ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين ﴾ يقول تعالى كذبت ثمود رسل الله اذ دعاهم صالح أخوهم الى الله فقال لهم ألا تتقون عقاب الله يا قوم على معصيتكم اياه وخلافكم أمره بطاعتكم أمر المفسدين في أرض الله اني لكم رسول من الله أرسلني اليكم بتحذيركم عقوبته على خلافكم أمره أمين على رسالته التي أرسلها معي اليكم فاتقوا الله أيها القوم واحذروا عقابه وأطيعون في تحذيري اياكم وأمري بكم باتباع طاعته وما أسألكم عليه من أجر يقول وما أسألكم على نصحي اياكم وانذاركم من جزاء ولا ثواب ان أجري الا على رب العالمين يقول ان جزائي وثوابي الا على رب جميع ما في السموات وما في الارض وما بينهما من خلق ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ أتتركون فيما ههنا آمنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين فاتقوا الله وأطيعون ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل صالح لقومه من ثمود أتتركنكم يا قومي ربكم في هذه الدنيا آمنين لا تخافون شيأ في جنات وعيون يقول في بساتين وعيون ماء وزروع ونخل طلعها هضيم يعني بالطلع الكفرى واختلف أهل التأويل في معنى قوله هضيم فقال بعضهم معناه اليانع النضيج ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ونخل طلعها هضيم يقول أينع وبلغ فهو هضيم وقال آخرون بل هو المتهشم المتفتت ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ونخل طلعها هضيم قال محمد بن عمرو في حديثه متهشم هشيا وقال الحرث تهشم تهشما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال سمعت عبد الكريم يقول سمعت مجاهدا يقول في قوله ونخل طلعها هضيم قال حين تطلع يقبض عليه فيهضمه قال ابن جريج قال مجاهد اذا مس تهشم وتفتت قال هو من الرطب هضيم تقبض عليه فتهضمه ٭ وقال آخرون هو الرطب اللين ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن عكرمة قوله ونخل طلعها هضيم قال الهضيم الرطب اللين ٭ وقال آخرون هو الراكب بعضه بعضا ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله طلعها هضيم اذا كثر حمل النخلة فركب

تفسير القصة الثانية قصة ابراهيم عليه السلام وكان يعلم أنهم عبدة أصنام ولكنه سألهم للالزام والتبكيت ومثله أهل المعاني بأن يقول صاحب الخمر لمالك وهو يعلم أن ماله الرقيق ثم يقول له الرقيق جمال وليس بمال وانما قال في سورة الصافات ماذا تعبدون بزيادة ذا لانه أراد

هناك مزيد التوبيخ ولذلك بنى الكلام على الزيادة ثم أردفه بقوله أفكما آلهة دون الله تريدون وحين صرح هنالك بالتوبيخ لم يجيبوه وم
ظنوا أنه يريد الاستفهام حقيقة فأجابوه ولكنهم بسطوا الكلام بسطا ولم يقتصروا على أصنامها بل زادوا ناصبه وعقـ

يقولهم (فنظل لها عاكفين) اظهارا للابتهاج والافتخار قال فى الكشاف وانما قالوا فنظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قلت وهذا مبنى على النقل الصحيح والظن به حسن قال لابد فى يسمعونكم من تقدير حذف المضاف معناه هل يسمعون دعاءكم قلت ويحتمل أن يكون المحذوف مفعولا ثانيا أى هل يسمعونكم تدعون اذ تدعون وهو حكاية حال ماضية لان اذ للمضى ومعناه استحضار الاحوال الماضية التى كانوا يدعونها فيها وحين تمسكوا فى الجواب بطريقة التقليد تلين على سبيل الاضراب (بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) نبههم ابراهيم بقوله (أفرأيتم) على أن الباطل لا يتغير بأن يكون قديما أو حديثا ولا بأن يكون فى مرتكبيه كثرة أو قلة وصرح بأن معبوديه أعداء لقوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا أولان الذى يغرى على عبادتها هو الشيطان وهو أعدى عدو للانسان وانما لم يقل عدو لكم لانه أراد تصوير المسئلة فى نفسه ليكون أدل على النصح وأقرب الى القبول كأنه قال انى فكرت فى أمرى فرأيت عبادتى لها عبادة للعدو ويحكى عن الشافعى أن رجلا واجهه بشئ فقال لو كنت بحيث أنت لاحتجت الى أدب وقوله (الا رب العالمين) استثناء منقطع أى لكن رب العالمين حبيبى ثم وصف لهم الرب بأنه (الذى خلقنى فهو يهدين) أى خلق بدنى على كماله الممكن له ثم يهدين فى الاستقبال الى ضروب مصالح الدين والدنيا كمتصاص الدم فى البطن والثدى بعد الولادة نظيره ما مر فى طه الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ثم نبه بقوله (والذى هو يطعمنى ويسقين) أن الذى يتعلق به قوام البـ

أى

بعضها بعضا حتى نقص بعضها بعضا فهو حينئذ هضيم وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال الهضيم هو المتكسر من لينه ورطوبته وذلك من قولهم هضم فلان لنا حقه اذا انتقصه وغبنه فكذلك الهضم فى الطلع انما هو التنقص منه من رطوبته ولينه اما بمس الايدى واما بركوب بعضه بعضا وأصله مفعول صرف الى فعيل وقوله وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين يقول تعالى ذكره وتتخذون من الجبال بيوتا فاختلفت القراء فى قراءة قوله فارهين فقرأته عامة قراء أهل الكوفة فارهين بمعنى حاذقين بنحتها وقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة فرهين بغير ألف بمعنى أشرين بطرين واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك على نحو اختلاف القراء فى قراءته فقال بعضهم معنى فارهين حاذقين ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح وعبدالله بن شداد وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين قال أحدهما حاذقين وقال الآخر يتجبرون حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا مروان قال أخبرنا اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين قال حاذقين بنحتها حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فارهين يقول حاذقين * وقال آخرون معنى فارهين مستكبرين متجبرين ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن السدى عن عبدالله بن شداد فى قوله فرهين قال يتجبرون * قال أبو جعفر والصواب فارهين * وقال آخرون ممن قرأه فارهين معنى ذلك كيسين ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فارهين قال كيسين حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد عن الضحاك أنه قرأ فارهين قال كيسين * وقال آخرون فرهين أشرين ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين يقول أشرين ويقال كيسين حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله بيوتا فرهين قال شرهين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بمثله * وقال آخرون معنى ذلك أقوياء ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين قال القره القوى * وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا الحسن قال أخبرنا عبدالرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فرهين قال معجبين بصنيعكم * والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان قراءة من قرأها فارهين وقراءة من قرأ فرهين قراءتان معروفتان مستفيضة القراءة بكل واحدة منهما فى علماء القراءة فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ومعنى قراءة من قرأ فارهين حاذقين بنحتها متخيرين لمواضعه من كيسين من الفراهة ومعنى قراءة من قرأ فرهين مرحين أشرين وقد يجوز أن يكون معنى فاره وفره واحدا فيكون فارها مبنيا على بنائه وأصله من فعل يفعل ويكون فره صفة كما يقال للحاذق بهذا الامر وحذق ومن الفاره بمعنى المرح قول الشاعر عدى بن وادع العوفى من الازد

لا أستكين اذا ما أزمة أزمت * ولن ترانى بخير فاره الطلب

من الاغتذاء بالطعام والاساغة بالشراب هو من جملة انعام الله تعالى لأنه خلق هناك قوى جاذبة وماسكة وهاضمة ودافعة وغيرها ولولاها لما تم أمر الانتفاع بالغذاء بل نفس الغذاء من جملة نعمه الشاملة ثم قال ﴿واذا مرضت (٦٣) فهو يشفين﴾ وذلك أن البدن ليس دائما على النهج الطبيعي بحيث تصدر عنه الأفعال الموضوع هو لها سليمة فاسترداد الصحة بعد زوالها ليس الا باذن الله وبما خلق لكل داء دواء وانما لم يقل أمرضني لان كثيرا من أسباب المرض يحدث باسراف الانسان في المطعم والمشرب وأيضا الصحة تحتاج الى سبب قاهر يقسر الأخلاط والقوى على النهبة المطلوبة أما المرض فانه بسبب تنافر الاخلاط وطلب كل منها مركزه الاصلي وأيضا فيه رعاية الأدب في مقام المدح وتعداد النعم وانما لم يراع هذه النكتة في قوله (والذي يميتني) لان الاماتة ليست بضر كالمرض اما بعدم الاحساس وقتئذ واما لأنها مقدمة الوصول الى عالم الخير والراحة وانما زاد لفظة هو في الاطعام والشفاء لانهما قد ينسبان الى الانسان فيقال زيد يطعم وعمرو يداوي فأكد اعلاما بأن ذلك في الحقيقة من الله وأما الاماتة والاحياء فلا يدعيهما مدع فأطلق ثم أشار الى ما بعد الاحياء من المجازاة بقوله (والذي أطمع) لحمل الأشاعرة الطمع على مجرد الظن والرجاء بناء على أنه لا يجب لأحد على الله شيء وحمله المعتزلة على اليقين تارة وعلى هضم النفس والتواضع وتعليم الأمة أخرى كما أنه أضاف الخطيئة الى نفسه لمثل ذلك وقد تحمل الخطيئة على المعاريض المنسوبة اليه من قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي أختي وانما علق المغفرة بيوم الدين لان أثرها يتبين يومئذ وهو في الدنيا خفي قال بعضهم فائدة زيادة لي هي أن يعلم أن المغفرة فائدتها تعود اليه والله سبحانه لا يستفيد بذلك كمالا لم يكن له والمراد أطمع أن يغفر لي لمجرد عبوديتي له واحتياجي اليه لا بواسطة شفيع كما قال لجبريل أما اليك فلا وحين قدم الثناء شرع

أي مرح الطلب وقوله فاتقوا الله وأطيعون يقول تعالى ذكره فاتقوا عقاب الله أيها القوم على معصيتكم ربكم وخلافكم أمره وأطيعون في نصيحتي لكم وانذاري اياكم عقاب الله ترشدوا ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون قالوا انما أنت من المسحرين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل صالح لقومه من ثمود لا تطيعوا أيها القوم أمر المسرفين على أنفسهم في تماديهم في معصية الله واجترائهم على سخطه وحم الرهط التسعة الذين كانوا يفسدون في الارض ولا يصلحون من ثمود الذين وصفهم الله جل ثناؤه بقوله وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون يقول الذين يسعون في أرض الله بمعاصيه ولا يصلحون يقول ولا يصلحون أنفسهم بالعمل بطاعة الله وقوله انما أنت من المسحرين اختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم معناه انما أنت من المسحورين ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انما أنت من المسحرين قال من المسحورين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله انما أنت من المسحرين قال انما أنت من المسحورين * وقال آخرون معناه من المخلوقين ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عبيد قال ثنا موسى بن عمرو عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله انما أنت من المسحرين قال من المخلوقين واختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى ذلك فكان بعض أهل البصرة يقول كل من أكل من انس أو دابة فهو مسحر وذلك لان له سحرا يقري ما أكل فيه واستشهد على ذلك بقول لبيد

فان تسألينا فيم نحن فاننا * عصافير من هذا الانام المسحر

وقال بعض نحويي الكوفيين نحو هذا غير أنه قال أخذ من قولك انتفخ سحرك أي انك تأكل الطعام والشراب فتسحر به وتعلل وقال معنى قول لبيد من هذا الانام المسحر من هذا الانام المعلل المخدوع قال ويروى أن السحر من ذلك لانه كالخديعة * والصواب من القول في ذلك عندي القول الذي ذكرته عن ابن عباس أن معناه انما أنت من المخلوقين الذين يعللون بالطعام والشراب مثلنا ولست ربا ولا ملكا فنطيعك ونعلم أنك صادق فيما تقول والمسحر المفعل من السحرة وهو الذي له سحرة ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿ما أنت الا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل ثمود لنبيها صالح ما أنت يا صالح الا بشر مثلنا من بني آدم تأكل مما نأكل وتشرب مما نشرب ولست برب ولا ملك فعلام نتبعك فان كنت صادقا في قيلك وأن الله أرسلك الينا فأت بآية يعني بدلالة وحجة على أنك محق فيما تقول ان كنت ممن صدقنا في دعواه أن الله أرسله الينا وقد حدثني أحمد بن عمرو البصري قال ثنا عمرو بن عاصم الكلابي قال ثنا داود بن أبي الفرات قال ثنا علباء بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس أن صالحا النبي صلى الله عليه وسلم بعثه الله الى قومه فآمنوا به واتبعوه فمات صالح فرجعوا عن الاسلام فأتاهم صالح فقال لهم أصالح قالوا ان كنت صادقا فأتنا بآية فأتاهم بالناقة فكذبوه وعقروها فعذبهم الله وقوله قال

في الدعاء تعليما لأمته اذا اراد وا مسألة فقال (رب هب لي حكما) وهو اشارة الى كمال القوة النظرية (وألحقني بالصالحين) وهو اشارة الى كمال القوة العملية ولقد أجابه حيث قال وانه في الآخرة (٦٤) لمن الصالحين وقيل الحكم النبوة اذ النبي ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله تعالى

وزيف بأنه كان حاصلا فكيف يطلبه والظاهر أنه أراد بالحكم النسب الذهنية المطابقة للخارجية أعني العلوم النظرية كما بينا قالت الأشاعرة في الآية دلالة على مسئلة خلق الاعمال انه طلب العلم من الله فلولا أن العلم يخلقه والا كان السؤال عبثا وحمله المعتزلة على منح الألطاف قيل الحكم المطلوب بالدعاء ان كان هو العلم بغير الله لزم أن يكون سائلا لما يشغله عن الله وهو باطل وان كان العلم بالله بقدر ما هو شرط صحة الايمان لزم طلب ما هو حاصل لأدنى المؤمنين فضلا عن ابراهيم فاذن هو العلم الزائد على ما هو ضروري في الايمان وهو الوقوف على حقيقة الذات والصفات مما لا يكشف المقال عنها غير الخيال وبه يصير المؤمن من الواصلين الى العين دون السامعين الى الأثر ثم طلب الذكر الجميل بقوله (واجعل لي لسان صدق) والاضافة فيه كقوله قدم صدق وقال ابن عباس وقد أعطاه الله ذلك لقوله وتركنا عليه في الاخرين ولهذا اتفق أهل الاديان قاطبة على حبه وادعاء متابعته ومدح الكافر ليس مقصودا لذاته من حيث هو كافر وانما المقصود أن يكون ممدوح كل انسان ومحمودا بكل لسان وفائدة الثناء على الشخص بعد وفاته هو انصراف الهمم الى مابه يحصل له عند الله زلفى وقد يصير ذلك المدح داعيا للمادح أو لمن يسمعه الى اكتساب مثل تلك الفضائل وقيل سأل ربه أن يجعل من ذريته في آخر الزمان من يكون داعيا الى ملته وهو محمد صلى الله عليه وسلم ثم سأل ما هو غاية كل سعادة فقال (واجعلني من ورثة جنة النعيم) وقد مر معنى هذه الوراثة في قوله وتلك الجنة التي أورثتموها وكذلك في سورة مريم تلك الجنة التي نورث من عبادنا ثم طلب السعادة الحقيقية لا شد

هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم يقول تعالى ذكره فقال صالح لثمود لما سألوه آية يعلمون بها صدقه فأتاهم بناقة أخرجها من صخرة أو هضبة هذه ناقة يا قوم لها شرب ولكم مثله شرب يوم آخر معلوم مالكم من الشرب ليس لكم في يوم وردها أن تشربوا من شربها شيأ ولا لها أن تشرب في يومكم مما لكم شيأ ويعني بالشرب الحظ والنصيب من الماء يقول لها حظ من الماء ولكم مثله والشرب والشرب والشرب مصادر كلها بالضم والفتح والكسر وقد حكي عن العرب سماعا آخرها أفصحها شربا وشربا وقوله ولا تمسوها بسوء يقول لا تمسوها بما يؤذيها من عقر وقتل ونحو ذلك ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله ولا تمسوها بسوء لا تعقروها وقوله فيأخذكم عذاب يوم عظيم يقول فيحل بكم من الله عذاب يوم عظيم عذابه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فعقروها فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ يقول تعالى ذكره فخالفت ثمود أمر نبيها صالح صلى الله عليه وسلم فعقروا الناقة التي قال لهم صالح لا تمسوها بسوء فأصبحوا نادمين على عقرها فلم ينفعهم ندمهم وأخذهم عذاب الله الذي كان صالح توعدهم به فأهلكهم ان في ذلك لآية يقول ان في اهلاك ثمود بما فعلت من عقرها ناقة الله وخلافها أمر نبي الله صالح لعبرة لمن اعتبر به يا محمد من قومك وما كان أكثرهم مؤمنين يقول ولن يؤمن أكثرهم في سابق علم الله وان ربك يا محمد لهو العزيز في انتقامه من أعدائه الرحيم بمن آمن به من خلقه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره كذبت قوم لوط من أرسله الله اليهم من الرسل حين قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون الله أيها القوم اني لكم رسول من ربكم أمين على وحيه وتبليغ رسالته فاتقوا الله في أنفسكم أن يحل بكم عقابه على تكذيبكم رسوله وأطيعون فيما دعوتكم اليه أهدكم سبيل الرشاد وما أسئلكم عليه من أجر يقول وما أسألكم على نصيحتي لكم ودعايتكم الى ربي جزاء ولا ثوابا ان أجري الا على رب العالمين يقول ما جزائي على دعايتكم الى الله وعلى نصحي لكم وتبليغ رسالات الله اليكم الا على رب العالمين ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون﴾ يعني بقوله أتأتون الذكران من العالمين أتنكحون الذكران من بني آدم في أدبارهم وقوله وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم يقول وتدعون الذي خلق لكم ربكم من أزواجكم من فروجهن فأحله لكم وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله وتذرون ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم ۞ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم قال تركتم أقبال النساء الى أدبار الرجال وأدبار النساء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه وقوله بل أنتم قوم عادون يقول بل أنتم قوم تتجاوزون ما أباح لكم ربكم وأحله لكم من الفروج الى ما حرم عليكم منها كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني

حجاج

لناس التصاقا به وهو أبوه قائلا (واغفر لابى) وقد سبق فى آخر التوبة وفى مريم ما يتعلق به من المباحث * وههنا سؤال وهو أنه متى حصلت الجنة بدعائه امتنع حصول الخزى فكيف قال بعده (ولا تخزنى) وأيضا قال تعالى (٦٥) ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين وما كان

حجاج عن ابن جريج بل أنتم قوم عادون قال قوم معتدون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين قال انى لعملكم من القالين﴾ يقول تعالى ذكره قال قوم لوط لئن لم تنته يا لوط عن نهينا عن اتيان الذكران لتكونن من المخرجين من بين أظهرنا و بلدنا قال انى لعملكم من القالين يقول لهم لوط انى لعملكم الذى تعملونه من اتيان الذكران فى أدبارهم من القالين يعنى من المبغضين المنكرين فعله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿رب نجنى وأهلى مما يعملون فنجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين﴾ يقول تعالى ذكره فاستغاث لوط حين توعده قومه بالاخراج من بلدهم ان هو لم ينته عن نهيهم عن ركوب الفاحشة فقال رب نجنى وأهلى من عقوبتك اياهم على ما يعملون من اتيان الذكران فنجيناه وأهله من عقوبتنا التى عاقبنا بها قوم لوط أجمعين الا عجوزا فى الغابرين يعنى فى الباقين لطول مرور السنين عليها فصارت هرمة فانها أهلكت من بين أهل لوط لانها كانت تدل قومها على الاضياف وقد قيل انها انما قيل من الغابرين لانها لم تهلك مع قومها فى قريتهم وانما انما أصابها الحجر بعدما خرجت عن قريتهم مع لوط وابنتيه فكانت من الغابرين بعد قومها ثم أهلكها الله بما أمطر على بقايا قوم لوط من الحجارة وقد بينا ذلك فيما مضى بشواهده المغنية عن اعادتها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثم دمرنا الآخرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ يقول تعالى ذكره ثم أهلكنا الآخرين من قوم لوط بالتدمير وأمطرنا عليهم مطرا وذلك ارسال الله عليهم حجارة من سجيل من السماء فساء مطر المنذرين يقول فبئس ذلك المطر مطر القوم الذين أنذرهم نبيهم فكذبوه ان فى ذلك لآية يقول تعالى ذكره ان فى اهلاكنا كما قوم لوط الهلاك الذى وصفنا بتكذيبهم رسولنا لعبرة وموعظة لقومك يا محمد يتعظون بها فى تكذيبهم اياك وردهم عليك ما جئتهم به من عند ربك من الحق وما كان أكثرهم مؤمنين فى سابق علم الله وان ربك لهو العزيز الرحيم بمن آمن به ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿كذب أصحاب الأيكة المرسلين اذ قال لهم شعيب ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون﴾ يقول تعالى ذكره كذب أصحاب الأيكة والايكة الشجر الملتف وهى واحدة الايك وكل شجر ملتف فهو عند العرب ايكة ومنه قول نابغة بنى ذبيان

تجلو بقادمتى حمامة ايكة * بردا أسف لثاته بالاثمد

وأصحاب الايكة هم أهل مدين فيما ذكر ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله كذب أصحاب الايكة المرسلين يقول أصحاب الغيضة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله كذب أصحاب الايكة المرسلين قال الايكة مجمع الشجر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله كذب أصحاب الايكة قال أهل مدين والايكة الملتف من الشجر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كذب أصحاب الأيكة المرسلين قال الايكة الشجر بعث الله شعيبا الى قومه من أهل مدين والى أهل البادية قال وهم أصحاب ليكة وليكة والايكة واحد وقوله اذ قال لهم شعيب ألا تتقون يقول تعالى ذكره قال لهم شعيب ألا تتقون عقاب الله على معصيتكم ربكم انى لكم من الله رسول أمين على وحيه

نصيب الكافر كيف يستجير منه المعصوم أجاب عنه فى التفسير الكبير كما أن حسنات الابرار سيآت المقربين فكذلك درجات الابرار درکات المقربين وجزى كل واحد ما يليق بحاله فكأنه سأل الشركة أولا ثم الخصوصية ثانيا وأقول يحتمل أن يكون هذا الدعاء من تتمة دعائه لابيه اى لا تخزنى ولا تفضحنى بسبب تعذيب أبى يوم يبعث الضالون أو العباد كلهم ومثل هذا الضمير مما يعلم عوده بالقرينة ويجوز أن يكون سأل الجنة بشرط التعظيم والاجلال ويجوز أن يكون أخر هذا الدعاء لما يعقبه من حديث يوم القيامة وأهواله وأحواله فأراد أن لا ينقطع نظم الكلام وفى قوله (الا من أتى الله بقلب سليم) اشارة الى ما وصفه الله به فى قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم وفى هذا الاستثناء وجوه منها أنه منقطع والمضاف محذوف أى الا حال من أتى الله بقلب سليم والمراد بالحال سلامة القلب والمعنى أن المال والبنين لا ينفعان وانما ينفع سلامة القلب عن الامراض الروحانية كالجهل وسائر الأخلاق الذميمة ويندرج فى سلامة القلب سلامة سائر الجوارح لانه رئيسها ولا شك أن المال والبنين ليسا من جنس سلامة القلب فيكون الاستثناء منقطعا ومنها أنه متصل وذلك على وجهين أحدهما لا ينفع غنى الا غنى من أتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل فى دينه بسلامة قلبه كما أن غناه فى دنياه بماله وبنيه

(٩ - ابن جرير - تاسع عشر) وثانيهما أن يجعل من باب قولهم * تحية بينهم ضرب وجيع * والمضاف المحذوف الحال أو السلامة نظيره أن يقال لك هل لزيد مال وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفى المال والبنين عنه واثبات سلامة القلب له بدلا عن ذلك ومنها

أن يكون الموصول مفعولا لينفع والاستثناء مفرغ أى لا ينفع مال ولا بنون أحدا الا رجلا سلم قلبه مع ماله و بنيه حيث أنفقه فى طاعة الله وربما قصر فى باب تأديبهم وارشادهم اوسلم قلبه من فتنة المال والبنين فلم يكفر ولم يعص وقد يعسر السليم بالذائب من خشية الله تعالى وحين

انجز الكلام الى ذكر يوم القيامة وصف الله تعالى أو ابراهيم أحواله وأهواله فقال (وأزلفت الجنة للمتقين) قال المفسرون الجنة تقرب من موقف السعداء ليكون طمعهم فرجا معجلا وتجعل النار بارزة مكشوفة للأشقياء ليزدادوا غما وحسرة ولمثل هذا اليوم ونحوه يقول (أينما كنتم تعبدون) يعنى الآلهة التى كنتم تعبدونها (من دون الله هل ينفعونكم) بنصرتهم لكم أو هل ينفعون أنفسهم بانتصارهم لانهم وآلهتهم وقود النار وذلك قوله (فكبكبوا فيها هم) أى الآلهة (والغاوون) الذين عبدوهم قال جار الله الكبكبة تكرير الكب جعل التكرير فى اللفظ دليلا على التكرير فى المعنى كأنه اذا ألقى فى جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر فى قعرها أعاذنا الله منها والمراد بجنود ابليس شياطينهم أو متبعوه من عصاة الجن والانس (قالوا) يعنى الغاوين وجنود ابليس (وهم) يعنى والحال ان الاصنام وعبدتهم (فيها يختصمون) قال أكثر المفسرين يجوز ان ينطق الله الاصنام بحيث يصح منها التخاصم وقيل ان هذا التخاطب بين العصاة والشياطين اذ سووهم برب العالمين والمراد بالمجرمين على التفسيرين الرؤساء والكبراء وعن السدى الاولون الذين سنوا الشرك وعن ابن جريج ابليس وقابيل لانه سن القتل وأنواع المعاصى (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم) خالص يهمه ما يهمنا وفيه نفى الشفعاء والصديق رأسا أو نفى للذين كانوا عدوهم شفعاء وأصدقاء من الاصنام والرؤساء أو نفى للانتفاع بهم قصدوا بنفيهم نفى ما يتعلق بهم من الفائدة فكل عديم النفع حكمه حكم المعدوم قال جار الله انما جمع الشافع ووحد الصديق لكثرة الشفعاء

فاتقوا عقاب الله على خلافكم أمره وأطيعون ترشدوا ﴿ القول فى قوله تعالى ﴿وما أسئلكم عليه من أجران أجرى الا على رب العالمين أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين﴾ يقول وما أسئلكم على نصحى لكم من جزاء وثواب ماجرانى وثوابى على ذلك الا على رب العالمين أوفوا الكيل يقول أوفوا الناس حقوقهم من الكيل ولا تكونوا من المخسرين يقول ولا تكونوا ممن نقصهم حقوقهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين﴾ يعنى بقوله وزنوا بالقسطاس زنوا بالميزان المستقيم الذى لا بخس فيه على من وزنتم له ولا تبخسوا الناس أشياءهم يقول ولا تنقصوا الناس حقوقهم فى الكيل والوزن ولا تعثوا فى الارض مفسدين يقول ولا تكثروا فى الارض الفساد وقد بينا ذلك كله بشواهده واختلاف أهل التأويل فيه فيما مضى فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين قالوا انما أنت من المسحرين وما أنت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فأسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين﴾ يقول تعالى ذكره واتقوا أيها القوم عقاب ربكم الذى خلقكم وخلق الجبلة الاولين يعنى بالجبلة الخلق الاولين وفى الجبلة للعرب لغتان كسر الجيم والباء وتشديد اللام وضم الجيم والباء وتشديد اللام فاذا نزعت الهاء من آخرها كان الضم فى الجيم والباء أكثر كما قال جل ثناؤه ولقد أضل منكم جبلا كثيرا وربما سكنوا الباء من الجبل كما قال أبو ذؤيب

منايا يقربن الحتوف لاهلها * جهارا ويستمتعن بالأنس الجبل

* ونحو ما قلنا فى معنى الجبلة قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين يقول خلق الاولين حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله والجبلة الاولين قال الخليقة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والجبلة الاولين قال الخلق الاولين الجبلة الخلق وقوله قالوا انما أنت من المسحرين يقول قالوا انما أنت ياشعيب معلل تعلل بالطعام والشراب كما نعلل بهما نحن ولست ملكا وما أنت الا بشر مثلنا تأكل وتشرب وان نظنك لمن الكاذبين يقول وما نحسبك فيما تخبرنا وتدعونا اليه الا ممن يكذب فيما يقول فان كنت صادقا فيما تقول بأنك رسول الله كما تزعم فأسقط علينا كسفا من السماء يعنى قطعا من السماء وهى جمع كسفة جمع كذلك كما تجمع تمرة تمرا * ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله كسفا يقول قطعا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله كسفا من السماء جانبا من السماء حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فأسقط علينا كسفا من السماء قال ناحية من السماء عذاب ذلك الكسف ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال ربى أعلم بما تعملون فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم﴾ يقول تعالى ذكره قال شعيب لقومه ربى أعلم بما تعملون يقول بأعمالهم هو بها محيط لا يخفى عليه منها شئ وهو مجازيكم

لاجل الحشية عادة ولكن الصديق الصادق أعز من الكبريت الأحمر حتى زعم بعض الحكماء أنه اسم لا معنى له وجوز أن يكون الصديق فى معنى الجمع والكرة الرجعة الى الدنيا ولو فى معنى التمنى وقوله (فنكون) جواب التمنى أو عطف فى المعنى على كرة أى ليت لنا كرة فأن نكون وعلى هذا جاز أن تكون لو على أصل الشرط والجواب محذوف وهو لفعلنا كيت وكيت ثم بين أن فيما ذكره من قصة ابراهيم عليه السلام لآية لمن يريد أن يستدل بذلك وما كان أكثر قوم ابرهيم بمؤمنين * القصة الثالثة قصة نوح ولا ريب أن نبأه عظيم فقد كان يدعوهم ألف سنة الا خمسين عاما ومع ذلك لم يزد قومه الا التكذيب والقوم مؤنث بدليل قوله كذبت وكان أمية فيهم مشهورا كمحمد صلى الله عليه وسلم فى قريش وكرر قوله فاتقوا الله وأطيعون تأكيدا وتقريرا فى النفوس مع أنه علق كل واحد بسبب وهو الأمانة فى الاول وقطع الطمع فى الثانى نظيره قول الرجل لغيره ألا تتق الله فى عقوقى وقد ربيتك صغيرا ألا تتق الله فى عقوقى وقد علمتك كبيرا وقدم الأمر بتقوى الله على الأمر بطاعته لأن تقوى الله علة طاعته قوله (وما علمى) يريد أى شئ علمى ومعناه انتفاء علمه باخلاص أعمالهم لله عز وجل واطلاعه على باطنهم ومكون ضميرهم كأنهم طعنوا فى ايمانهم أيضا فذكر أن حسابهم على الله وأنه لم يبعث الا للانذار و يجوز أن يكون فسر لهم الرذالة بما هو الرذالة عنده من سوء الأعمال وفساد العقائد فبنى جوابه على ذلك وقال ما علمى الا اعتبار الظاهر والله يتولى السرائر وفى قوله (لو تشعرون) اشارة الى انهم لا يصدقون بالحساب والجزاء وفيه انكار أن يسمى المؤمن رذلا وان كان أفقر الناس وأوضعهم فالغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى (رب ان قومى كذبون) ليس اخبارا لانه علام الغيوب وانما هو تمهيد مقدمة لطلب الفتح والحكومة والفلك المشحون المملوء من كل زوجين اثنين مع نوح وأهله

بما جزاءكم فكذبوه يقول فكذبه قومه فأخذهم عذاب يوم الظلة يعنى بالظلة سحابة ظللتهم فلما تتامو تحتها التهبت عليهم نارا وأحرقتهم وبذلك جاءت الآثار ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن زيد بن معاوية فى قوله فأخذهم عذاب يوم الظلة قال أصابهم حر أقلقهم فى بيوتهم فنشأت لهم سحابة كهيئة الظلة فابتدروها فلما تتامو تحتها أخذتهم الرجفة حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر فى قوله عذاب يوم الظلة قال كانوا يحفرون الآبار ليتبردوا فيها فاذا دخلوها وجدوها أشد حرا من الظاهر وكانت الظلة سحابة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى جرير بن حازم أنه سمع قتادة يقول بعث شعيب الى أمتين الى قومه أهل مدين والى أصحاب الايكة وكانت الايكة من شجر ملتف فلما أراد الله أن يعذبهم بعث الله عليهم حرا شديدا ورفع لهم العذاب كأنه سحابة فلما دنت منهم خرجوا اليها رجاء بردها فلما كانوا تحتها مطرت عليهم نارا قال فذلك قوله فأخذهم عذاب يوم الظلة حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنى سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد قال ثنا حاتم بن أبى صغيرة قال ثنى يزيد الباهلى قال سألت عبد الله بن عباس عن هذه الآية فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم فقال عبد الله بن عباس بعث الله عليهم ومدة وحرا شديدا فأخذ بأنفاسهم فدخلوا البيوت فدخل عليهم أجواف البيوت فأخذ بأنفاسهم فخرجوا من البيوت هربا الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فأظلتهم من الشمس فوجدوا لها بردا ولذة فنادى بعضهم بعضا حتى اذا اجتمعوا تحتها أرسلها الله عليهم نارا قال عبد الله بن عباس فذلك عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يوم الظلة قال اظلال العذاب اياهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد عذاب يوم الظلة قال أظل العذاب قوم شعيب * قال ابن جريج لما أنزل الله عليهم أول العذاب أخذهم منه حر شديد فرفع الله لهم غمامة فخرج اليها طائفة منهم ليستظلوا بها فأصابهم منها روح و برد وريح طيبة فصب الله عليهم من فوقهم من تلك الغمامة عذابا فذلك قوله عذاب يوم الظلة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر بن راشد قال ثنى رجل من أصحابنا عن بعض العلماء قال كانوا عطلوا حدا فوسع الله عليهم فى الرزق ثم عطلوا حدا فوسع الله عليهم فى الرزق ثم عطلوا حدا فوسع الله عليهم فى الرزق فجعلوا كلما عطلوا حدا وسع الله عليهم فى الرزق حتى اذا أراد اهلاكهم سلط عليهم حرا لا يستطيعون أن يتقارّوا ولا ينفعهم ظل ولا ماء حتى ذهب ذاهب منهم فاستظل تحت ظلة فوجد روحا فنادى أصحابه هلموا الى الروح فذهبوا اليه سراعا حتى اذا اجتمعوا أهبها الله عليهم نارا فذلك عذاب يوم الظلة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر عن ابن عباس قال من حدثك من العلماء ما عذاب يوم الظلة فكذبه حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فأخذهم عذاب يوم الظلة قوم شعيب حبس الله عنهم الظل والريح فأصابهم حر شديد ثم بعث الله لهم سحابة فيها العذاب فلما رأوا السحابة انطلقوا يؤمونها زعموا يستظلون فاضطرمت عليهم نارا فأهلكتهم حدثنى

﴿ التأويل واتل عليهم نبأ ابراهيم القلب اذ قال لابيه وقومه وهو الروح وما يتولد منه تعبد اصناما وهو ما سوى الله فنظل لها عاكفين الا ان ادركتنا العناية فنعرض عنها بل وجدنا آباءنا وهم الارواح والآباء العلوية كذلك يتعلق بعضهم ببعض فانهم عدو لى ان تعلقت فصرت محجوبا بهم عن الله خلقنى فهو يهدين الى حضرته ويطعمنى من طعام العبودية الذى يعيش القلوب ويسقينى من شراب طهور التجلى واذا مرضت بتعلقات الكونين فهو يشفين بالجذبة الالهية والذى يميتنى عن أوصاف البشرية ثم يحيين بأوصاف الروحانية ويميتنى عن أوصاف الروحانية ثم يحيين بالأوصاف الربانية ثم يميتنى عن أنانيتى ثم يحيين بهويته والذى أطمع أن يستر ظلمة خطيئة وجودى بطلوع شمس نهار الدين رب هب لى من ربوبيتك حكما على بذل وجودى فى هويتك وألحقنى بالذين صلحوا لقبول الفيض الالهى بلا واسطة واجعل لى لسان صدق فى الآخرين من النفس وصفاتها ليعرضوا عما سوى الله واغفر لابى الروح انه كان من الضالين حين رد من العالم العلوى الى السفلى من قولهم ضل الماء فى اللبن ولا تخزنى بتعلقات الكونين قال نوح القلب وما علمى بما كانوا يعملون يعنى أرادل الجسد والاعضاء لانهم عملة عالم الشهادة وأنا من عملة عالم الغيب ان حسابهم الا على ربى فيما يعملون من الأعمال الحيوانية لحاجة ضرورية يعفو عنها والشهوة حيوانية يؤاخذهم بها لو تشعرون الفرق بينهما قالوا أى النفس وصفاتها انى لم تتبعه يا نوح القلب عما تدعونا اليه على خلاف ارادتنا لتكونن من المرجومين بأحجار الوساوس والهواجس فى الفلك المشحون أى فى فلك الشريعة المملوء بالاوامر والنواهى والحكم والمواعظ والاسرار ثم والحقائق ثم أغرقنا بعد الباقين بطوفان استيلاء الاخلاق الذميمة وآفات الدنيا الدنية وباقى القصص اشارات الى رسول القلب المسلم من الله

يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم قال بعث الله اليهم ظلة من سحاب وبعث الى الشمس فأحرقت ما على الارض فخرجوا كلهم الى تلك الظلة حتى اذا اجتمعوا كلهم كشف الله عنهم الظلة وأحمى عليهم الشمس فاحترقوا كما يحترق الجراد فى المقلى وقوله انه كان عذاب يوم عظيم يقول تعالى ذكره ان عذاب يوم الظلة كان عذاب يوم لقوم شعيب عظيم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ يقول تعالى ذكره ان فى تعذيبنا قوم شعيب عذاب يوم الظلة بتكذيبهم نبيهم شعيبا لآية لقومك يا محمد وعبرة لمن اعتبر اعتبروا أن سنتنا فيهم بتكذيبهم اياك سنتنا فى أصحاب الأيكة وما كان أكثرهم مؤمنين فى سابق علمنا فيهم وان ربك يا محمد لهو العزيز فى نقمته ممن انتقم منه من أعدائه الرحيم بمن تاب من خلقه وأناب الى طاعته ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين﴾ يقول تعالى ذكره وان هذا القرآن لتنزيل رب العالمين والهاء فى قوله وانه كناية الذكر الذى فى قوله وما يأتيهم من ذكر من الرحمن ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله لتنزيل رب العالمين قال هذا القرآن ◦ واختلفت القراء فى قراءة قوله نزل به الروح الأمين فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة نزل به مخففة الروح الأمين رفعا بمعنى أن الروح الأمين هو الذى نزل بالقرآن على محمد وهو جبريل وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة نزل مشددة الزاى الروح الأمين نصبا بمعنى أن رب العالمين نزل بالقرآن الروح الأمين وهو جبريل عليه السلام والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال انهما قراءتان مستفيضتان فى قراء الامصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وذلك أن الروح الأمين اذ نزل على محمد بالقرآن لم ينزل به الا بأمر الله اياه بالنزول ولن يجهل أن ذلك كذلك ذو ايمان بالله وان الله اذا أنزله به نزل ◦ ونحو الذى قلنا فى أن المعنى بالروح الأمين فى هذا الموضع جبريل قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله نزل به الروح الأمين قال جبريل حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قول الله نزل به الروح الأمين قال جبريل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال الروح الامين جبريل حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله الروح الامين قال جبريل وقوله على قلبك يقول نزل به الروح الامين فتلاه عليك يا محمد حتى وعيته بقلبك وقوله لتكون من المنذرين يقول لتكون من رسل الله الذين كانوا ينذرون من أرسلوا اليه من قومهم فتنذر بهذا التنزيل قومك المكذبين بآيات الله وقوله بلسان عربى مبين يقول لتنذر قومك بلسان عربى مبين بين لمن سمعه أنه عربى وبلسان العرب نزل والباء من قوله بلسان من صلة قوله نزل وانما ذكر تعالى ذكره أنه نزل هذا القرآن بلسان عربى مبين فى هذا الموضع اعلاما منه مشركى قريش أنه أنزله كذلك لئلا يقولوا انه نزل بغير لساننا فنحن انما نعرض عنه ولا نسمعه لانا لا نفهمه وانما هذا تقريع لهم وذلك أنه تعالى ذكره قال ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين

وقومه النفس وصفاتها واليه المرجع والمآب لما قررناه ﴿كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله واطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين (٦٩) أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين ان هذا الا خلق الأولين وما نحن بمعذبين فكذبوه فأهلكناهم ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتتركون فيما ههنا آمنين فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون فى الارض ولا يصلحون قالوا انما أنت من المسحرين ما أنت الا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين قال انى لعملكم من القالين رب نجنى وأهلى مما يعملون فنجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين ثم دمرنا الآخرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ان فى ذلك

ثم قال لم يعرضوا عنه لأنهم لا يفهمونها لانه تنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين بلسانهم العربى ولكنهم أعرضوا عنه تكذيبا به واستكبارا فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن كما أتى هذه الامم التى قصصنا نبأها فى هذه السورة حين كذبت رسلها أنباء ما كانوا به يكذبون ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وانه لفى زبر الاولين أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم﴾ يقول تعالى ذكره وان هذا القرآن لفى زبر الاولين يعنى فى كتب الأولين وخرج مخرج العموم ومعناه الخصوص وانما هو وان هذا القرآن لفى بعض زبر الاولين يعنى أن ذكره وخبره فى بعض ما نزل من الكتب على بعض رسله وقوله أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل يقول تعالى ذكره أولم يكن لهؤلاء المعرضين عما يأتيك يا محمد من ذكر من ربك دلالة على أنك رسول رب العالمين أن يعلم حقيقة ذلك وصحته علماء بنى اسرائيل وقيل عنى بعلماء بنى اسرائيل فى هذا الموضع عبد الله بن سلام ومن أشبهه ممن كان قد آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى اسرائيل فى عصره ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل قال كان عبد الله بن سلام من علماء بنى اسرائيل وكان من خيارهم فآمن بكتاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال لهم الله أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل وخيارهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله علماء بنى اسرائيل قال عبد الله ابن سلام وغيره من علمائهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أولم يكن لهم آية قال محمد أن يعلمه قال يعرفه علماء بنى اسرائيل • قال ابن جريج قال مجاهد علماء بنى اسرائيل عبد الله بن سلام وغيره من علمائهم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل قال أولم يكن للنبى آية علامة أن علماء بنى اسرائيل كانوا يعلمون أنهم كانوا يجدونه مكتوبا عندهم وقوله ولو نزلناه على بعض الاعجمين يقول تعالى ذكره ولو نزلنا هذا القرآن على بعض البهائم التى لا تنطق وانما قيل على بعض الاعجمين ولم يقل على بعض الاعجميين لان العرب تقول اذا نعتت الرجل بالعجمة وأنه لا يفصح بالعربية هذا رجل أعجم وللمرأة هذه امرأة عجماء وللجماعة هؤلاء قوم عجم وأعجمون واذا أريد هذا المعنى وصف به العربى والاعجمى لانه انما يعنى أنه غير فصيح اللسان وقد يكون كذلك وهو من العرب ومن هذا المعنى قول الشاعر

من وائل لاحى يعد لهم • من سوقة عرب ولا عجم

فأما اذا أريد به نسبة الرجل الى أصله من العجم لا وصفه بأنه غير فصيح اللسان فانه يقال هذا رجل عجمى وهذان رجلان عجميان وهؤلاء قوم عجم كما يقال عربى وعربيان وقوم عرب واذا قيل هذا رجل أعجمى فانما نسب الى نفسه كما يقال للاحمر هذا أحمرى ضخم وكما قال العجاج • والدهر بالانسان دوارى • ومعناه دوار فنسبه الى فعل نفسه • ونحو الذى قلنا فى تأويل

لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ﴿ القراآت أوعظت مدغما عباس ونصير خلق الاولين بفتح الخاء وسكون اللام ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد وعلي كذبت ثمود مثل بعدت ثمود فارهين بالالف ابن عامر وعاصم وحمزة وعلي وخلف ﴿ الوقوف المرسلين ○ تتقون ○ أمين ○ وأطيعون ○ أجر ○ العالمين ○ تعبثون ○ لا تخلدون ○ ج جبارين ○ وأطيعون ○ ج تعلمون ○ ج وبنين ○ لا وعيون ○ ج عظيم ○ ط الواعظين ○ لا للاحتراز عن الابتداء بمقولهم الأولين ○ لا لذلك بمعذبين ○ ج فأهلكناهم ط لآية ط مؤمنين ○ الرحيم ○ المرسلين ○ ط تتقون ○ أمين ○ لا وأطيعون ○ أجر ○ العالمين ○ آمنين ○ لا لتعلق الظرف وعيون ○ لا هضيم ○ فارهين ○ ج للآية مع العطف وأطيعون ○ ج لذلك المسرفين ○ لا لأن الذين صفتهم ولا يصلحون ○ المسحرين ○ ج لانقطاع النظم مع اتحاد المقول مثلنا ز من الصادقين ○ معلوم ○ ج عظيم ○ نادمين ○ لا العذاب ط لآية ط مؤمنين ○ الرحيم ○ المرسلين ○ لا الا تتقون ○ ج أمين ○ لا واطيعون ○ ج أجر ج العالمين ○ ط من العالمين ○ لا للعطف من أزواجكم ○ عادون ط المخرجين ○ القالين ○ يعملون ○ أجمعين ○ الغابرين ○ الآخرين ○ ج مطر المنذرين ○ لآية ط مؤمنين ○ الرحيم ○ ﴿ التفسير القصة الرابعة قصة هود ولنذكر من تفسيرها ما هو غير مكرر الريع بالكسر وقرئ بالفتح المكان المرتفع ومنه الغلة لارتفاعها والآية العلم وفي هذا البناء وجوه فعن ابن عباس أنهم كانوا يبنون بكل موضع مرتفع علما يعبثون فيه بمن يمر بالطريق الى هود وقيل كانوا يبنون ذلك ليعرف به حتى

ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن محمد بن أبي موسى قال كنت واقفا الى جنب عبد الله بن مطيع بعرفة فتلا هذه الآية ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين قال لو نزل على بعيري هذا فتكلم به ما آمنوا به لقالوا لولا فصلت آياته حتى يفقهه عربي وعجمي لو فعل لذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت داود بن أبي هند عن محمد بن أبي موسى قال كان عبد الله بن مطيع واقفا بعرفة فقرأ هذه الآية ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم قال فقال جلي هذا أعجم فلو أنزل على هذا ما كانوا به مؤمنين وروى عن قتادة في ذلك ما حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ولو نزلناه على بعض الاعجمين قال لو أنزله الله أعجميا كانوا أحسر الناس به لانهم لا يعرفون بالعجمية وهذا الذي ذكرناه عن قتادة قول لا وجه له لانه وجه الكلام الى أن معناه ولو أنزلناه أعجميا وانما التنزيل ولو نزلناه على بعض الاعجمين يعني ولو نزلنا هذا القرآن العربي على بهيمة من العجم أو بعض ما لا يفصح ولم يقل ولو نزلناه أعجميا فيكون تأويل الكلام ما قاله وقوله فقرأه عليهم يقول فقرأ هذا القرآن على كفار قومك يا محمد الذين حتمت عليهم أن لا يؤمنوا ذلك الاعجم ما كانوا به مؤمنين يقول لم يكونوا ليؤمنوا به لما قد جرى لهم في سابق علمي من الشقاء وهذا تسلية من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عن قومه لئلا يشتد وجده بادبارهم عنه واعراضهم عن الاستماع لهذا القرآن لانه كان صلى الله عليه وسلم شديدا حرصه على قبولهم منه والدخول فيما دعاهم اليه حتى عاتبه ربه على شدة حرصه على ذلك منهم فقال له لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين ثم قال مؤيسه من ايمانهم وأنهم هالكون ببعض مثلاته كاهلك بعض الامم الذين قص عليهم قصصهم في هذه السورة ولو نزلناه على بعض الاعجمين يا محمد لا عليك فانك رجل منهم ويقولون لك ما أنت الا بشر مثلنا وهلا نزل به ملك فقرأ ذلك الأعجم عليهم هذا القرآن ولم يكن لهم علة يدفعون بها أنه حق وأنه تنزيل من عندي ما كانوا به مصدقين لخفض من حرصك على ايمانهم به ثم وكد تعالى ذكره الخبر عما قد حتم على هؤلاء المشركين الذين آيس نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من ايمانهم من الشقاء والبلاء فقال كما حتمنا على هؤلاء أنهم لا يؤمنون بهذا القرآن ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم كذلك نسلكه التكذيب والكفر في قلوب المجرمين ويعني بقوله سلكناه أدخلناه الهاء في قوله سلكناه كناية من ذكر قوله ما كانوا به مؤمنين كأنه قال كذلك أدخلنا في قلوب المجرمين ترك الايمان بهذا القرآن ونحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله كذلك سلكناه قال الكفر في قلوب المجرمين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم (١) حدثني علي بن سهل قال ثنا زيد ابن أبي الزرقاء عن سفيان عن حميد عن الحسن في هذه الآية كذلك سلكناه في قلوب المجرمين قال خلقناه ○ قال ثنا زيد عن حماد بن سلمة عن حميد قال سألت الحسن في بيت أبي خليفة عن قوله كذلك سلكناه في قلوب المجرمين قال الشرك سلكه في قلوبهم وقوله لا يؤمنون به

(١) لعل تفسير ابن زيد سقط من قلم الناسخ ان لم يكن مثل ما قبله فاقتصر عليه المؤلف اختصارا وحرر

ومعنى لعلكم تخلدون ترجون الخلود فى الدنيا أوظلموا وعلوا فوصفوا بكونهم اذذاك جبارين وقيل الجبار الذى يقتل و يضرب على الغضب وعن الحسن أراد أنهم يبادرون العذاب من غير تفكر فى العواقب والحاصل أن اتخاذ الأبنية الرفيعة يدل على حب العلو واتخاذ المصانع يدل على حب البقاء والبطش الشديد يدل على حب التفرد بالعلو فكأنهم أحبوا العلو وبقاء العلو والتفرد بالعلو وكل هذه لمن له الصفات الالهية لا العبدية ثم بالغ فى تنبيههم على نعم الله حيث أجملها بقوله (واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون) ايقاظا لهم عن سنة الغفلة مستشهدا بعلمهم ثم فصلها بقوله (أمدكم بأنعام) عليها تدور معايشكم (وبنين) بهم يتم أمر حفظها والقيام بها (وجنات) يحصل بها التفكه والتنزه (وعيون) بمائها يكمل النماء ثم ختم الكلام بتخويفهم تنبيها على أنه كما قدر أن يتفضل عليهم بهذه النعم الجسام فهو قادر على العذاب فيكون فيه مزيد حث على التقوى وكمال تنفر عن العصيان ثم شرع فى حكاية جواب القوم وأنهم قالوا ان وعظه وعدم وعظه بالنسبة اليهم سيان وانما لم يقل أوعظت أم لم تعظ مع كونه أخصر لان المراد سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذى هو الوعظ أولم تكن من مباشريه وذويه رأسا وهذا أبلغ فى قلة اعتدادهم بوعظه من قرأ (خلق الاولين) بفتح الخاء فمعناه ان هذا الاختلاق الاولين وأكاذيبهم أوما هذا الاخلق الاقدمين نحيا ونموت ولا نبعث ولا نجزاء والقراءة الاخرى معناها لسنا نحن الاعلى دين الاولين من آبائنا أوليس ما نحن عليه من الحياة والموت الا عادة جارية لا تخرق

حتى يروا العذاب الاليم يقول فعلنا ذلك بهم لئلا يصدقوا بهذا القرآن حتى يروا العذاب الاليم فى عاجل الدنيا كما رأت ذلك الامم الذين قص الله قصصهم فى هذه السورة ورفع قوله لا يؤمنون لان العرب من شأنها اذا وضعت فى موضع مثل هذا الموضع لا ربما جزمت ما بعدها و ربما رفعت فتقول ربطت الفرس لا تنفلت وأحكمت العقد لا يحل جزما ورفعا وانما تفعل ذلك لان تأويل ذلك ان لم أحكم العقد انحل بجزمه على التأويل ورفعه بأن الجازم غير ظاهر ومن الشاهد على الجزم فى ذلك قول الشاعر

لو كنت اذ جئتنا حاولت رؤيتنا ... أوجئتنا ماشيا لا تعرف الفرس

(وقول الآخر)

لطالما حلأتها لا ترد ... نخلياها والسجال تبرد

﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون أفبعذابنا يستعجلون﴾ يقول تعالى ذكره فيأتى هؤلاء المكذبين بهذا القرآن العذاب الاليم بغتة يعنى فجأة وهم لا يشعرون يقول لا يعلمون قبل ذلك يجيئه حتى يفجأهم بغتة فيقولوا حين يأتيهم بغتة هل نحن منظرون أى هل نحن مؤخر عنا العذاب ومنساق آجالنا التوب ونتوب الى الله من شركنا وكفرنا بالله فنراجع الايمان به ونتوب الى طاعته وقوله أفبعذابنا يستعجلون يقول تعالى ذكره أفبعذابنا هؤلاء المشركون يستعجلون بقولهم لن نؤمن لك حتى تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يتمتعون﴾ يقول تعالى ذكره ثم جاءهم العذاب الذى كانوا يوعدون على كفرهم بآياتنا وتكذيبهم رسولنا ما أغنى عنهم يقول أى شئ أغنى عنهم التأخير الذى أخرنا فى آجالهم والمتاع الذى متعناهم به من الحياة اذلم يتوبوا من شركهم هل زادهم تمتيعنا اياهم ذلك الاخبالا وهل نفعهم شيئا بل ضرهم بازدیادهم من الآثام واكتسابهم من الاجرام مالولم يتمتعوا لم يكتسبوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أفرأيت ان متعناهم سنين الى قوله ما أغنى عنهم ما كانوا يتمتعون قال هؤلاء أهل الكفر ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين وما تنزلت به الشياطين وما ينبغى لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون﴾ يقول تعالى ذكره وما أهلكنا من قرية من هذه القرى التى وصفت فى هذه السورة الا لها منذرون يقول الا بعد ارسالنا اليهم رسلا ينذرونهم بأسنا على كفرهم وسخطنا عليهم ذكرى يقول الا لها منذرون ينذرونهم تذكرة لهم وتنبيها لهم على ما فيه النجاة لهم من عذابنا ففى الذكرى وجهان من الاعراب أحدهما النصب على المصدر من الانذار على ما بينت والآخر الرفع على الابتداء(١) كأنه قيل ذكرى ، وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى قال الرسل قال ابن جريج وقوله ذكرى قال الرسل وقوله وما كنا ظالمين يقول وما كنا ظالمين فى تعذيبنا اياهم واهلاكهم لأنا انما أهلكناهم اذ عتوا علينا وكفروا نعمتنا وعبدوا غيرنا بعد

(١) كذا فى الاصل ولعله كأنه قيل هم ذكرى تأمل وحرر

ما أو ما هذا الذى جئت به من تلفيق الاكاذيب الا عادة مستمرة من المتقدمين ثم أكدوا انكارهم المعاد بقولهم (وما نحن بمعذبين) فأظهروا بذلك جلادتهم وقوة نفوسهم فأخبر الله تعالى عن اهلاكهم وقد سبقت كيفية ذلك مرارا ، القصة الخامسة قصة صالح قال جار الله العلامة

فى (أتتركون) يجوز أن تكون للانكار أى لا تتركون مخلدين فى الأمن والراحة ولكل نعمة زوال ويجوز أن تكون للتقرير أى قد تركتم فى أسباب الامن والفراغ أجمل أولا بقوله (٧٣) (فى ما ههنا) أى فى الذى استقر فى هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله (فى جنات وعيون) وذكر النخل بعد ذكر الجنات اما تخصيص للجنات بغير النخل واما تخصيص للنخل بالذكر تنبيها على فضله ومزيته وطلع النخلة ما يبدو منها كنصل السيف وقد مر فى الانعام والهضيم اللطيف الضامر من قولهم كشح هضيم أراد أنه وهب لهم أجود النخل وألطفه كالبرنى مثلا وقيل وصف نخيلهم بالحمل الكثير فانه اذا كثر الحمل هضم أى لطف وقيل الهضيم اللين النضيج كأنه قال ونخل قد أرطب ثمره والفراهة الكيس والنشاط ومنه خيل فرهة وفارهين حال من الناحتين قال علماء المعانى جعل الأمر مطاعا مجاز حكمى وانما المطاع بالحقيقة هو الآمر وفى قوله (ولا يصلحون) اشارة الى ان افسادهم فى الارض غير مقترن بالاصلاح رأسا والمسحر الذى سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرئة أرادوا أنه بشر ذو سحر وهو ضعيف لانه يلزم التكرار بقوله (ما أنت الا بشر مثلنا) الا أن يقال انه بيان والشرب النصيب من الماء كالسقى للحظ من السقى وقرئ بالضم عن قتادة اذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله ولهم شرب يوم لا تشرب فيه الماء * سؤال لم أخذهم العذاب وقد ندموا والندم توبة جوابه كان ندمهم ندم خوف من العقاب العاجل أو ندموا ندم توبة فى غير أوانها وذلك عند عيان العذاب وقيل ندموا على ترك عقر ولدها وفيه بعد واللام فى العذاب اشارة الى عذاب يوم عظيم * القصة السادسة قصة لوط أنكر على قومه اتيانهم الذكور من الناس لا الاناث على كثرتهن أو أنكر عليهم كونهم مختصين من العالمين بهذه الفاحشة فقوله من العالمين يعود على الاول الى المأتى وعلى الثانى الى الآتى والعالمون على هذا كل

الاعذار اليهم والانذار ومتابعة الحجج عليهم بأن ذلك لا ينبغى لهم أن يفعلوه فأبوا الا التمادى فى الغى وقوله وما تنزلت به الشياطين يقول تعالى ذكره وما تنزلت بهذا القرآن الشياطين على محمد ولكنه ينزل به الروح الامين وما ينبغى لهم يقول وما ينبغى للشياطين أن يتنزلوا به عليه ولا يصلح لهم ذلك وما يستطيعون يقول وما يستطيعون أن يتنزلوا به لانهم لا يصلون الى استماعه فى المكان الذى هو به من السماء انهم عن السمع لمعزولون يقول ان الشياطين عن سمع القرآن من المكان الذى هو به من السماء لمعزولون فكيف يستطيعون أن يتنزلوا به * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وما تنزلت به الشياطين قال هذا القرآن وفى قوله انهم عن السمع لمعزولون قال عن سمع السماء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى أبو سفيان عن معمر عن قتادة بنحوه الا أنه قال عن سمع القرآن والقراءة مجمعة على قراءة وما تنزلت به الشياطين بالتاء ورفع النون لانها نون أصلية واحدهم شيطان كواحد البساتين بستان وذكر عن الحسن أنه كان يقرأ ذلك وما تنزلت به الشياطون بالواو وذلك لحن وينبغى أن يكون ذلك ان كان صحيحا عنه أن يكون توهم أن ذلك نظير المسلمين والمؤمنين وذلك بعيد من هذا * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين وأنذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلا تدع يا محمد مع الله الها آخر أى لا تعبد معه معبودا غيره فتكون من المعذبين فينزل بك من العذاب ما نزل بهؤلاء الذين خالفوا أمرنا وعبدوا غيرنا وقوله وأنذر عشيرتك الاقربين يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأنذر عشيرتك من قومك الاقربين اليك قرابة وحذرهم من عذابنا أن ينزل بهم بكفرهم وذكر أن هذه الآية لما نزلت بدأ ببنى جده عبد المطلب وولده فحذرهم وأنذرهم ذكر الرواية بذلك حدثنى أحمد بن المقدام قال ثنا محمد بن عبد الرحمن قال ثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت لما نزلت هذه الآية وأنذر عشيرتك الاقربين قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا صفية بنت عبد المطلب يا فاطمة بنت محمد يا بنى عبد المطلب انى لا أملك لكم من الله شيأ سلونى من مالى ما شئتم حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى ويونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن هشام بن عروة عن أبيه قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين قام النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا فاطمة بنت محمد ويا صفية ابنة عبد المطلب ثم ذكر نحو حديث ابن المقدام حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال ثنا سلامة قال قال عقيل ثنى الزهرى قال قال سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن ان أبا هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه وأنذر عشيرتك الاقربين يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغنى عنكم من الله شيأ يا بنى عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيأ يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيأ يا فاطمة بنت رسول الله لا أغنى عنك من الله شيأ سلينى ما شئت لا أغنى عنك من الله شيأ حدثنى محمد بن عبد الملك قال ثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهرى قال أخبرنى سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه وأنذر عشيرتك الاقربين قال يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله ثم ذكر نحو حديث يونس عن سلامة غير أنه زاد فيه يا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيأ ولم يذكر فى حديثه فاطمة حدثنى يونس قال ثنا سلامة ابن روح قال قال عقيل ثنى ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أنزل عليه وأنذر عشيرتك الاقربين جمع قريشا ثم أتاهم فقال لهم هل فيكم غريب فقالوا لا الا ابن أخت لنا لا نراه الا منا قال انه منكم فوعظهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لهم فى آخر كلامه لا أعرفن ما ورد على الناس يوم القيامة يسوقون الآخرة وجئتم الى تسوقون الدنيا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس عن ابن شهاب أخبرنى سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه وأنذر عشيرتك الأقربين يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغنى عنكم من الله شيأ يا بنى عبد المطلب لا أغنى عنكم من الله شيأ يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيأ يا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيأ يا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت لا أغنى عنك من الله شيأ حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت الحجاج يحدث عن عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لما أنزل الله وأنذر عشيرتك الاقربين قال نبى الله صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة بنت محمد أنقذى نفسك من النار ألا ان لكم رحما سأبلها ببلالها حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو أسامة عن زائدة عن عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة عن أبى هريرة قال لما نزلت هذه الآية وأنذر عشيرتك الاقربين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فعم وخص فقال يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله يا معشر بنى كعب بن لؤى يا معشر بنى عبد مناف يا معشر بنى هاشم يا معشر بنى عبد المطلب يقول لكلهم أنقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة بنت محمد أنقذى نفسك من النار فانى والله ما أملك لكم من الله شيأ الا ان لكم رحما سأبلها ببلالها حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال ثنا أبو عثمان عن زهير بن عمرو وقبيصة بن مخارق أنهما قالا لما أنزل الله على نبى الله صلى الله عليه وسلم وأنذر عشيرتك الاقربين فحدثنا عن نبى الله صلى الله عليه وسلم أنه علا صخرة من جبل فعلا أعلاها حجرا ثم قال يا آل عبد مناف اياه يا صباحاه انى نذير ان مثلى ومثلكم مثل رجل أتى الجيش فخشيهم على أهله فذهب يربؤهم فخشى أن يسبقوه الى أهله فجعل يهتف بهم يا صباحاه أو كما قال حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الوهاب ومحمد بن جعفر عن عوف عن قسامة بن زهير قال بلغنى أنه لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنذر عشيرتك الاقربين جاء فوضع اصبعه فى أذنه ورفع من صوته وقال يا بنى عبد مناف واصباحاه

قال ثنى أبو عاصم قال ثنا عوف عن قسامة بن زهير قال أظنه عن الاشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه حدثنى عبد الله بن أبى زياد قال ثنا أبو زيد الانصارى سعد بن أوس عن عوف قال قال قسامة بن زهير حدثنى الاشعرى قال لما نزلت ثم ذكر نحوه الا أنه قال ووضع اصبعيه فى أذنيه حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن نمير عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية وأنذر عشيرتك الاقربين قام رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما ينكح من الحيوان ولا ينبغى من الحيوان يرتكب هذه الفعلة الا الانسان قوله (من أزواجكم) اما بيان لما خلق واما للتبعيض فيراد بما خلق العضو المباح منهن فلعلهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم والعادى المتجاوز الحد فى ظلم أى (بل أنتم قوم عادون) فى جميع المعاصى وهذه واحدة منها أو بل أنتم قوم أحقاء بأن تنسبوا الى العدوان حيث فعلتم هذه الجريمة العظيمة (قالوا لئن لم تنته يا لوط) عن نهينا (لتكونن) من جملة من أخرجنا من بلدنا ولعلهم كانوا يطردون من خالف أرادوا أنه كامل فى فلاحهم عصبية للدين أو أنه معدود فى زمرة مبغضيهم كما تقول فلان من العلماء فيكون أبلغ من قولك هو عالم ثم طلب النجاة من عقوبة عملهم أو سأل العصمة عن مثل عملهم ولقد عصمهم الله (الا عجوزا) رضيت بفعلهم وأعانت على ذلك وكانت من أهله بحق الزواج وان لم تشاركهم فى الايمان ومعنى (فى الغابرين) الا عجوزا مقدرا غبورها أى بقاؤها فى الهلاك واللام فى المنذرين للجنس لتصلح الفاء علة فعل الذم والمخصوص محذوف أى ساء مطر جنس المنذرين مطرا ولئك المعهودين والله أعلم (كذب أصحاب الأيكة المرسلين اذ قال لهم شعيب ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين قالوا انما أنت من المسحرين وما أنت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فأسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين قال ربى أعلم بما تعملون فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون

من المنذرين بلسان عربي مبين وانه لفي زبر الأولين أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين كذلك سلكناه في قلوب (٧٤) المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين انه هو السميع العليم هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴿ القراآت ﴾ ليكة بلام مفتوحة بعدها ياء ساكنة ويفتح التاء على أنها ممتنعة من الصرف للعلمية والتأنيث وكذلك في صاد أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر الآخرون الأيكة معرفا مجرورا كسفا بفتح السين حفص غير الخواز الآخرون يسكونها ربي أعلم بفتح الياء نافع وأبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو ونزل به مخففا الروح الأمين مرفوعين أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص وأبو زيد عن المفضل وزيد عن يعقوب الباقون نزل حتى مشددا الروح الامين منصوبين أولم تكن بتاء التأنيث آية بالرفع ابن عامر الباقون بالياء التحتانية آية بالنصب فتوكل بالفاء أبو جعفر

على الصفا ثم نادى يا صباحاه فاجتمع الناس اليه فبين رجل يجيء أو يبعث رسوله فقال يا بني هاشم يا بني عبد المطلب يا بني فهر يا بني أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لكم سائر اليوم ما دعوتنا الا لهذا فنزلت تبت يدا أبي لهب وتب حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم الصفا فقال يا صباحاه فاجتمعت اليه قريش فقالوا له مالك قال أرأيتكم ان أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم ألم تكونوا تصدقوني قالوا بلى قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد قال أبو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا أو جمعتنا فأنزل الله تبت يدا أبي لهب الى آخر السورة حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو أسامة عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية وأنذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا الذي يهتف فقالوا محمد فاجتمعوا اليه فقال يا بني فلان يا بني فلان يا بني عبد المطلب يا بني عبد مناف فاجتمعوا اليه فقال أرأيتكم ان أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك ما جمعتنا الا لهذا ثم قام فنزلت هذه السورة تبت يدا أبي لهب وقد تب كذا قرأ الاعمش الى آخر السورة حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو معاوية بن هشام عن سفيان عن حبيب عن سعيد عن ابن عباس قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على الصفا فقال يا صباحاه ◦ قال ثنا خالد ابن عمرو قال ثنا سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا فقال يا صباحاه فجعل يعدد هم يا بني فلان ويا بني فلان ويا بني عبد مناف حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن عمرو بن مرة الجملي قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين قال أتى جبلا فجعل يهتف يا صباحاه فأتاه من خف من الناس وأرسل اليه المتثاقلون من الناس رسلا فجعلوا يجيؤن يتبعون الصوت فلما انتهوا اليه قال ان منكم من جاء لينظر ومنكم من أرسل لينظر من الهاتف فلما اجتمعوا وكثروا قال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا مصبحتكم من هذا الجبل أكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك كذبا قرأ عليهم هذه الآيات التي أنزلن وأنذرهم كما أمر فجعل ينادي يا قريش يا بني هاشم حتى قال يا بني عبد المطلب اني نذير لكم بين يدي عذاب شديد حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عمرو أنه كان يقرأ وأنذر عشيرتك الاقربين ورهطك المخلصين ◦ قال ثنا سلمة قال ثني محمد ابن اسحق عن عبد الغفار بن القاسم عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث ابن عبد المطلب عن عبد الله بن عباس عن علي بن أبي طالب لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنذر عشيرتك الاقربين دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي يا علي ان الله أمرني أن أنذر عشيرتي الاقربين قال فضقت بذلك ذرعا وعرفت أني متى ما أناديهم بهذا الامر أرمنهم ما أكره فصمت حتى جاء جبرائيل فقال يا محمد انك الا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك فاصنع لنا صاعا من طعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عسا من لبن ثم اجمع لي بني عبد المطلب

حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب فلما اجتمعوا اليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم حذية من اللحم فشقها باسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحفة قال خذوا باسم الله فأكل القوم حتى ماهم بشيء حاجة وما أرى الا مواضع أيديهم وأيم الله الذي نفس علي بيده ان كان الرجل الواحد ليأكل ما قدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعا وأيم الله ان كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدره أبو لهب الى الكلام فقال لهذا ما سحركم به صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغد يا علي ان هذا الرجل قد سبقني الى ما قد سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم فعد لنا من الطعام مثل الذي صنعت ثم اجمعهم لي قال ففعلت ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته لهم فعل كما فعل بالامس فأكلوا حتى ماهم بشيء حاجة قال اسقهم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بني عبد المطلب اني والله ما أعلم شابا في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به اني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله أن أدعوكم اليه فأيكم يوازرني على هذا الامر على أن يكون أخي وكذا وكذا قال فأحجم القوم عنها جميعا وقلت وانى لأحدثهم سنا وأرمصهم عينا وأعظمهم بطنا وأحمشهم ساقا أنا يا نبي الله أكون وزيرك فأخذ برقبتي ثم قال ان هذا أخي وكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا قال فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني اسحق عن عمرو بن عبيد عن الحسن بن أبي الحسن قال لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنذر عشيرتك الأقربين قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبطح ثم قال يا بني عبد المطلب يا بني عبد مناف يا بني قصي قال ثم فخذ فخذ يشاقيبيلة قبيلة حتى مر على آخرهم اني أدعوكم الى الله وأنذركم عذابه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وأنذر عشيرتك الاقربين قال أمر محمد أن ينذر قومه ويبدأ بأهل بيته وقصيلته قال وكذب به قومك وهو الحق حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن هشام بن عروة عن أبيه قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين قال النبي صلى الله عليه وسلم يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب اتقوا النار ولو بشق تمرة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وأنذر عشيرتك الاقربين بدأ بأهل بيته وقصيلته حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين جمع النبي صلى الله عليه وسلم بني هاشم فقال يا بني هاشم ألا ألفيكم تأتون تحملون الدنيا ويأتي الناس يحملون الآخرة ألا ان أوليائي منكم المتقون فاتقوا النار ولو بشق تمرة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال لما نزلت هذه الآية بدأ بأهل بيته وقصيلته قال وشق ذلك على المسلمين فأنزل الله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقوله واخفض جناحك يقول وألن جانبك وكلامك لمن اتبعك من المؤمنين كما حدثني

ونافع وابن عامر الباقون بالواو من تنزل الشياطين بتشديد التاء وكذلك تنزل البزي وابن فليح يتبعهم بالتخفيف نافع وادى بالياء في الوقف يعقوب والسرندي عن قنبل وقرأ قنبية بالامالة ﴿الوقوف المرسلين ج ٥ تتقون ٥ أمين ٥ لا و طيعون ٥ ج أجر ج العالمين ٥ ط الخسرين ج ٥ المستقيم ج ٥ مفسدين ج ٥ الاولين ٥ ط المسحرين ٥ لا الكاذبين ٥ ج ﴿نصف آي القرآن﴾ الصادقين ٥ ط تعملون ٥ الظلة ط عظيم ٥ لآية ط مؤمنين ٥ الرحيم ٥ العالمين ٥ الأمين ٥ لا المنذرين ٥ لا مبين ٥ الاولين ٥ اسرائيل ط ٥ الأعجمين ٥ لا مؤمنين ٥ ط المجرمين ٥ ط بناء على أن لا يؤمنون مستأنف للبيان ولو جعل حالا فلا وقف الأليم ٥ لا لا يشعرون ٥ لا منظرون ٥ ط يستعجلون ٥ سنين ٥ لا للعطف يوعدون ٥ لا لان قوله ما أغنى جملة نفي أو استفهام قامت مقام الشرط يمتعون ٥ ط منذرون ٥ وقد يوقف عليها بناء على أن ذكرى ليس بمفعول له والمراد ذكرناهم والوقف على ذكرى جائز ظالمين ٥ الشياطين ٥ يستطيعون ٥ ط لمعزولون ٥ ط المعذبين ج ٥ الأقربين ج ٥ للعطف المؤمنين ٥ تعملون ٥ ج الرحيم ٥ لا تقوم ٥ لا الساجدين ٥ العليم ٥ الشياطين ٥ ط لانتهاء الاستفهام الى الاخبار أثيم ج ٥ بناء على أن يلقون حال من ضمير الشياطين أي تنزل ملقين السمع أو صفة لكل أفاك وان جعل مستأنفا كأن قائلا قال لم تنزل فقيل يلقون كيت وكيت فلذلك الوقف كاذبون ٥ ط الغاوون ٥ ط يهيمون ٥ لا لا يفعلون ٥ ظلموا ط ينقلبون ٥ ﴿التفسير

القصة السابعة قصة شعيب وأنه كان أخا مدين دون أصحاب الايكة ولهذا لم يقل أخوهم شعيب يروى أن أصحاب الايكة كانوا أصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهي التي حملها المقل قال في الكشاف قرئ أصحاب ليكة بتخفيف الهمزة وبالجر على الاضافة وهو الوجه ومن قرأ

يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين قال يقول لن لم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين انه هو السميع العليم﴾ يقول تعالى ذكره فان عصتك يا محمد عشيرتك الاقربون الذين أمرتك بانذارهم وأبوا الا الاقامة على عبادة الاوثان والاشراك بالرحمن فقل لهم انى برىء مما تعملون من عبادة الاصنام ومعصية بارئى الأنام وتوكل على العزيز فى نقمته من أعدائه الرحيم بمن أناب اليه وتاب من معاصيه الذى يراك حين تقوم بقول الذى يراك حين تقوم الى صلاتك وكان مجاهد يقول فى تأويل ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله الذى يراك حين تقوم قال أينما كنت وتقلبك فى الساجدين اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك ويرى تقلبك فى صلاتك حين تقوم ثم تركع وحين تسجد ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وتقلبك فى الساجدين يقول قيامك وركوعك وسجودك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان قال سمعت أبى وعلى بن بذيمة يحدثان عن عكرمة فى قوله يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين قال قيامه وركوعه وسجوده حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال عكرمة فى قوله وتقلبك فى الساجدين قال قائما وساجدا وراكعا وجالسا * وقال آخرون بل معنى ذلك ويرى تقلبك فى المصلين وابصارك منهم من هو خلفك كما تبصر من هو بين يديك منهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد وتقلبك فى الساجدين كان يرى من خلفه كما يرى من قدامه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وتقلبك فى الساجدين قال المصلين كان يرى من خلفه فى الصلاة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وتقلبك فى الساجدين قال المصلين قال كان يرى فى الصلاة من خلفه * وقال آخرون بل معنى ذلك وتقلبك مع الساجدين أى تصرفك معهم فى الجلوس والقيام والقعود ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج أخبرنى عطاء الخراسانى عن ابن عباس قال وتقلبك فى الساجدين قال يراك وأنت مع الساجدين تقلب وتقوم وتقعد معهم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وتقلبك فى الساجدين قال فى المصلين حدثنى يونس قال اخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتقلبك فى الساجدين قال فى الساجدين المصلين * وقال آخرون بل معنى ذلك ويرى تصرفك فى الناس ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا ربيعة بن كلثوم قال سألت الحسن عن قوله وتقلبك فى الساجدين قال فى الناس * وقال آخرون بل معنى ذلك وتصرفك فى أحوالك كما كانت الأنبياء من قبلك تخشعه والساجدون فى قول قائل هذا القول الأنبياء ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد فى قوله الذى يراك الآية قال كما كانت الانبياء من قبلك * قال أبو جعفر وأولى

ونهاهم عن الاخسار وهو التطفيف وأن يجعل الشخص خاسرا فكأنه أمره بالايفاء مرتين توكيدا ثم زاد فى البيان بقوله (وزنوا بالقسطاس المستقيم) وقدمر فى سورة سبحان قال فى الكشاف ان كان من القسط وهو العدل وجعلت السين مكررة فوزنه فعلاس والافهو رباعى قلت ان كان مكررا فوزنه فعلال أيضا وقوله (ولا تبخسوا) تأكيد آخر وقد سبق فى هود والجبلة الخليقة حذرهم الله الذى تفضل عليهم بخلقهم وخلق من تقدمهم ممن لولا خلقهم لما كانوا مخلوقين قال فى الكشاف الفرق بين ادخال الواو ههنا فى قوله (وما أنت الا بشر) وبين تركها فى قصة ثمود هو أنه قصد ههنا معنيان منافيان عندهم للرسالة كونه مسحرا وكونه بشرا وهناك جعل المعنى الثانى مقررا للاول قلت الفرق بين والاشكال فى تخصيص كل من القصتين بما خصت به ولعل السبب فيه هو أن صالحا قلل فى الخطاب فقللوا فى الجواب وأكثر شعيب فى الخطاب ولهذا قيل له خطيب الانبياء فأكثروا فى الجواب وان فى قولهم (وان نظنك) هى المخففة من الثقيلة عملت فى ضمير شأن مقدر واللام فى قوله (لمن الكاذبين) هى الفارقة والكسف بالسكون والحركة جمع كسفة وهى القطعة وقدمر فى سبحان فى اقتراحات قريش والمعنى ان كنت صادقا فى دعوة النبوة فادع الله أن يسقط علينا قطع السماء وانما طلبوا ذلك لاستبعادهم وقوعه فأرادوا بذلك اظهار كذبه فلم عنهم شعيب ولم يدع عليهم بل فوض الامر الى الله بقوله ربى أعلم بما تعملون يروى أن شعيبا بعث الى أمتين أصحاب مدين وأصحاب الايكة فأهلكت مدين

بصيحة جبرائيل وأهلكت أصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة وذلك أنه حبس عنهم الريح سبعا وسلط عليهم الحر فأخذ بأنفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا شراب فاضطروا الى أن خرجوا الى الصحراء فأظلتهم سحابة وجدوا (٧٧) لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا وحين سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه القصص المؤكدة بالمكررات المختتمة بالمقررات عاد الى مخاطبته قائلا (وانه) أى وان الذى نزل عليك من الاخبار (لتنزيل رب العالمين) أى منزله والباء فى نزل به على القراءتين للتعدية ولكنها فى قراءة التشديد تقتضى مفعولا آخر هو الروح أى جعل الله تعالى الروح الأمين نازلا به على قلبك محفوظا مفهوما (لتكون من المنذرين) من الذين أنذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب واسمعيل ومحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يكون قوله بلسان متعلقا بنزل أى نزله (بلسان عربى) لتنذر به فانه لو نزله بالاعجمى لقالوا ما نصنع بما لا نفهمه ومن هذا الوجه ينشأ فائدة أخرى لقوله على قلبك أى نزلناه بحيث تفهمه ولو كان أعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك والظاهر من نقل أئمة اللغة أن القلب والفؤاد مترادفان وقال الامام فخر الدين الرازى عن بعضهم أن القلب هو العلقة السوداء فى جوف الفؤاد وذكر كلاما طويلا فى أن محل العقل هو القلب دون الدماغ وهو المخاطب فى الحقيقة فلهذا قال نزله على قلبك ونحن قد تركناه لقلة تعلقه بالمقام ولضعف دلائله مع مخالفته لما عليه معظم أرباب المعقول قوله (وانه لفى زبر الاولين) يعنى ان ذكر القرآن مثبت فى الكتب السماوية للامم المتقدمة وان معانى القرآن فى

الاقوال فى ذلك بتأويله قول من قال تأويله ويرى تقلبك مع الساجدين فى صلاتهم معك حين تقوم معهم وتركع وتسجد لان ذلك هو الظاهر من معناه فأما قول من وجهه الى أن معناه وتقلبك فى الناس فانه قول بعيد من المفهوم بظاهر التلاوة وان كان له وجه لانه وان كان لا شئ الا وظله يسجد فانه ليس المفهوم من قول القائل فلان مع الساجدين أو فى الساجدين أنه مع الناس أو فيهم بل المفهوم بذلك أنه مع قوم سجود السجود المعروف وتوجيه معانى كلام الله الى الأغلب أولى من توجيهه الى الأنكر وكذلك أيضا فى قول من قال معناه تقلب فى أبصار الساجدين وان كان له وجه فليس ذلك الظاهر من معانيه فتأويل الكلام اذا وتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم الى صلاتك ويرى تقلبك فى المؤتمين بك فيها بين قيام وركوع وسجود وجلوس وقوله انه هو السميع العليم يقول تعالى ذكره ان ربك هو السميع تلاوتك يا محمد وذكرك فى صلاتك ما تتلو وتذكر العليم بما تعمل فيها ويعمل فيها من يتقلب فيها معك مؤتما بك يقول فرتل فيها القرآن وأقم حدودها فلذلك ترانى من ربك ومسمع ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون﴾ يقول تعالى ذكره هل أنبئكم أيها الناس على من تنزل الشياطين من الناس تنزل على كل كذاب يعنى كذاب بهات أثيم يعنى آثم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله كل أفاك أثيم قال كل كذاب من الناس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد تنزل على كل أفاك أثيم قال كذاب من الناس حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله كل أفاك أثيم قال هم الكهنة تسترق الجن السمع ثم يؤنونه الى أوليائهم من الانس حدثنى محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبى اسحق عن سعيد بن وهب قال كنت عند عبد الله بن الزبير فقيل له ان المختار يزعم أنه يوحى اليه فقال صدق ثم تلا هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم وقوله يلقون السمع يقول تعالى ذكره يلقى الشياطين السمع وهو ما يسمعون مما استرقوا سمعه من حين حدث من السماء الى كل أفاك أثيم من أوليائهم من بنى آدم * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يلقون السمع قال الشياطين ما سمعته ألقته على كل أفاك كذاب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد يلقون السمع الشياطين ما سمعته ألقته على كل أفاك قال يلقون السمع قال القول وقوله وأكثرهم كاذبون يقول وأكثر من تنزل عليه الشياطين كاذبون فيما يقولون ويخبرون * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى فى قوله وأكثرهم كاذبون عن عروة عن عائشة قالت الشياطين تسترق السمع فتجئ بكلمة حق فيقذفها فى أذن وليه قال ويزيد فيها أكثر من مائة كذبة ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم

الزبير وقد يحتج به لابى حنيفة فى جواز القراءة بالفارسية فى الصلاة وقيل الضمير فيه وفى أن يعلمه للنبى صلى الله عليه وسلم وأنه حجة ثابتة على بنى اسرائيل فقد شهد بها علماء بنى اسرائيل كعبد الله بن سلام وغيره من الذين أسلموا منهم واعترفوا أن نعته وصفته فى كتبهم مذكور وكان

مشركو قريش يذهبون الى اليهود يتعرفون منهم هذا الخبر من قرأ يكن بالتذكير وآية بالنصب على الخبر والاسم أن يعلمه فظاهر ومن قرأ تكن بالتأنيث وآية بالرفع على الاسم والخبر أن يعلمه فقيل ليست بقوية لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا ويمكن أن يجاب بأن الفعل المضارع مع أن ليس من المعارف الصريحة وقد توجه هذه القراءة بتقدير ضمير القصة في تكن وجملته آية أن يعلمه ولهم لغوا أولهم آية وأن يعلمه بدل من آية قال جار الله انما كتب علموه بالواو على لغة من يميل الالف الى الواو ولذلك كتبت الصلوة والزكوة بالواو ثم اكد بقوله (ولو نزلناه) ما مر من آية لو نزله بالأعجمي فقرأه عليهم بعض الأعجمين لم يؤمنوا به لأنهم لم يكونوا يفهمونه وقال جار الله معناه ولو نزلناه على بعض الأعاجم الذي لا يحسن العربية فضلا أن يقدر على نظم مثله فقرأه عليهم هكذا فصيحا معجزا متحدى به لكفروا به كما كفروا ولتعللوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا ثم قال (كذلك) أي مثل هذا السلك (سلكناه) في قلوبهم وقررناه فيها فعلى أي وجه دبر أمرهم فلا سبيل الى تغييرهم عما هم عليه من الانكار والاصرار وقد سبق مثل هذه الآية في أول الحجر والحاصل أنهم لا يزالون على التكذيب حتى يعاينوا الوعيد وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان اليأس احدى الراحتين قال في الكشاف ليس الفاء في قوله (فيأتيهم بغتة فيقولوا) لأجل ترادف العذاب ومفاجأته وسؤال النظرة وانما المعنى ترتيبها في الشدة كأنه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم العذاب فما هو أشد منها وهو لحوقه بهم مفاجأة فما هو أشد منه وهو سؤالهم النظرة نظيره قولك ان أسأت مقتك الصالحون فمقتك الله لا تريد الترتيب في الوجود ولكن في الشدة قلت هذا معنى صحيح ولكن لا مانع من ارادة الترتيب والتعذيب في الوجود يظهر بالتأمل ان شاء الله العزيز ثم تكرهم بقوله (أفبعذابنا يستعجلون) ا

يقولون ما لا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ يقول تعالى ذكره والشعراء يتبعهم أهل الغي لا أهل الرشاد والهدى * واختلف أهل التأويل في الذين وصفوا بالغي في هذا الموضع فقال بعضهم رواة الشعر ذكر من قال ذلك حدثني الحسن بن يزيد الطحان قال ثنا اسحق بن منصور قال ثنا قيس عن يعلى عن عكرمة عن ابن عباس وحدثني أبو كريب قال ثنا طلق بن غنام عن قيس وحدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية عن قيس عن يعلى بن النعمان عن عكرمة عن ابن عباس والشعراء يتبعهم الغاوون قال الرواة * وقال آخرون هم الشياطين ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الشياطين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله يتبعهم الغاوون قال يتبعهم الشياطين حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن قالا ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن عكرمة في قوله والشعراء يتبعهم الغاوون قال عصاة الجن * وقال آخرون هم السفهاء وقالوا نزل ذلك في رجلين تهاجيا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الى آخر الآية قال كان رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدهما من الانصار والآخر من قوم آخرين وانهما تهاجيا وكان مع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفهاء فقال الله والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله والشعراء يتبعهم الغاوون قال كان رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدهما من الانصار والآخر من قوم آخرين تهاجيا مع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفهاء * وقال آخرون هم ضلال الجن والانس ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس والشعراء يتبعهم الغاوون قال هم الكفار يتبعهم ضلال الجن والانس حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله والشعراء يتبعهم الغاوون قال الغاوون المشركون * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال فيه ما قال الله جل ثناؤه ان شعراء المشركين يتبعهم غواة الناس ومردة الشياطين وعصاة الجن وذلك أن الله عم بقوله والشعراء يتبعهم الغاوون فلم يخصص بذلك بعض الغواة دون بعض فذلك على جميع أصناف الغواة التي دخلت في عموم الآية وقوله ألم تر أنهم في كل واد يهيمون يقول تعالى ذكره ألم تر يا محمد أنهم يعني الشعراء في كل واد يذهبون كالهائم على وجهه على غير قصد بل جائرا عن الحق وطريق الرشاد وقصد السبيل وانما هذا مثل ضربه الله لهم في افتنانهم في الوجوه التي يمتنون فيها بغير حق فيمدحون بالباطل ويهجون آخرين كذلك بالكذب والزور * ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس ألم تر أنهم

انكار وتهكم أى كيف يستعجل العذاب من لا طاقة له به حتى استمهل بعد أن كان من العمر فى مهلة وجوز فى الكشاف أن يكون يستعجلون حكاية حال ماضية يومئون بها عند استنظارهم أو يكون متصلا بما بعده وذلك (٧٩) أنهم اعتقدوا العذاب غير كائن فلذلك استعجلوه وظنوا أنهم يتمتعون بأعمار طوال فى سلامة وأمن فأنكر الله عليهم استعجالهم الصادر عن الأشر والبطر والاستهزاء والاتكال على طول الأمل ثم قال هب أن الأمر كما ظنوه من التمتع والتعمير فاذا لحقهم الوعيد أو الأجل أو القيامة هل ينفعهم ذلك عن ميمون بن مهران أنه لقى الحسن فى الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظنى فتلا عليه هذه الآية فقال له ميمون لقد وعظت فأبلغت ثم بين أنه ما أهلك قرية الا بعد الزام الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم وعلى هذا يكون ذكرى متعلقة بأهلكنا مفعولا له ويجوز أن يكون مفعولا مطلقا لأنذر بمعنى التذكرة فان أنذر وذكر متقاربان أو حالا من الضمير فى منذرون أو مفعولا له متعلقا به أى ينذرونهم ذوى تذكرة أو لأجل الموعظة والتذكير أو التقدير هذه ذكرى فالجملة اعتراض ويجوز أن يكون صفة لمنذرون على حذف المضاف أى ذوو ذكرى أو جعلوا ذكرى لبلوغهم فى التذكرة أقصى غاياتها والبحث عن وجود الواو وعدمه فى مثل هذا التركيب قدمر فى أول الحجر فى قوله وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم الا أنا نذكر ههنا سبب تخصيص تلك الآية بالواو وهذه بعدم الواو فنقول لا ريب أن الواو تفيد مزيد الربط والاجتماع فى الحال وفى الوصف ان جوزنا فسواء قدرنا الجملتين

فى كل واد يهيمون يقول فى كل لغو يخوضون حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى كل واد يهيمون قال فى كل فن يفتنون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ألم تر أنهم فى كل واد قال فى يهيمون قال يقولون حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فى كل واد يهيمون قال يمدحون قوما بباطل وينتمون قوما بباطل وقوله وأنهم يقولون ما لا يفعلون يقول وأن أكثر قيلهم باطل وكذب كما حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وأنهم يقولون ما لا يفعلون يقول أكثر قولهم يكذبون وعنى بذلك شعراء المشركين كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال عبد الرحمن بن زيد قال رجل لأبى يا أبا أسامة أرأيت قول الله جل ثناؤه والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون فقال له أبى انما هذا الشعراء المشركين وليس شعراء المؤمنين ألا ترى أنه يقول الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الى آخره فقال فرجت عنى يا أبا أسامة فرج الله عنك وقوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهذا استثناء من قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكر أن هذا الاستثناء نزل فى شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم كحسان بن ثابت وكعب بن مالك ثم هو لكل من كان بالصفة التى وصفه الله بها وبالذى قلنا فى ذلك جاءت الاخبار ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة وعلى بن مجاهد وابراهيم بن المختار عن ابن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبى الحسن سالم البراد مولى تميم الدارى قال لما نزلت والشعراء يتبعهم الغاوون قال جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون فقالوا قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء فتلا النبى صلى الله عليه وسلم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار قال نزلت والشعراء يتبعهم الغاوون الى آخر السورة فى حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك ◦ قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين عن يزيد عن عكرمة وطاوس قالا قال والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون فنسخ من ذلك واستثنى فقال الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال ثم استثنى المؤمنين منهم يعنى الشعراء فقال الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس فذكر مثله حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا قال هم الانصار الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن محمد بن اسحق عن يزيد بن عبد الله ابن قسيط عن أبى حسن البراد قال لما نزلت والشعراء يتبعهم الغاوون ثم ذكر نحو حديث ابن حميد عن سلمة وقوله وذكروا الله كثيرا اختلف أهل التأويل فى حال الذكر الذى وصف الله به هؤلاء

أعنى قوله ولها كتاب معلوم وقوله لها منذرون حالا أو وصفا فالمقام يقتضى ورود النسق على ما ورد وذلك أن قوله ولها كتاب صفة لازمة للقرية فان الكتب فى اللوح وصف أزلى فناسب أن يكون فى اللفظ ما يدل على اللزوم واللصوق وهو الواو ثم زيد فى التأكيد بقوله

معلوم وبقوله ما تسبق وهذا بخلاف قوله لها منذرون فانها صفة حادثة فأطلقت وجود صدر الجملة عن الواو لذلك والله أعلم ثم انه لما احتج على صدق محمد صلى الله عليه وسلم بكون القرآن (٨٠) معجزا منزلا من رب العالمين مشتملا على معانى كتب الأولين وكان الكفار قالوا انه من القاء الجن كحال الكهنة أراد أن يزيل شبهتهم بقوله (وما تنزلت به الشياطين وما ينبغى لهم) التنزل بالوحى (وما يستطيعون) ثم بين عدم اقتدارهم بقوله (انهم عن السمع) أى عن سماع كلام أهل السماء (لمعزولون) وذلك بواسطة رجم الشهب كما أخبر عنه الصادق والمعجزات يتساند بعضها ببعض ولو فرض أنهم غير مرجومين بالشهب فالعقل يدل على أن الاهتمام بشأن الصديق أقوى منه بشأن العدو وكان محمد صلى الله عليه وسلم يلعن الشياطين ويأمر الناس بلعنهم فلو كان الغيب بالقاء الشياطين لكان الكفار أولى بأن يحصل لهم ذلك وحين أثبت حقية القرآن أمر نبيه بجوامع مكارم الأخلاق ومحاسن العادات قائلا (فلا تدع) والمراد أمته كما مر فى نظائره من قوله ولئن اتبعت أهواءهم وغير ذلك (وأنذر عشيرتك الاقربين) فيه أن الاهتمام بشأن من هو أقرب الى المرء أولى وفيه أنه يجب أن لا يأخذه فى باب التبليغ ما يأخذ القريب للقرب من المساهلة ولين الجانب يروى أنه صلى الله عليه وسلم لما نزلت الآية صعد الصفا فنادى الأقرب فالأقرب فخذا فخذا وقال يا بنى عبد المطلب يا بنى هاشم يا بنى عبد مناف يا عباس عم النبى يا صفية عمة رسول الله انى لا أملك لكم من الله شيأ سلونى من المال ما شئتم وروى أنه جمع بنى عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلا الرجل منهم يأكل الجذعة ويشرب العس على رجل شاة فأكلوا وشربوا حتى شبعوا ثم أنذرهم فقال يا بنى عبد المطلب لو أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقى قالوا نعم قال فانى نذير

المستثنين من الشعراء فقال بعضهم هى حال منطقهم ومحاورتهم الناس قالوا معنى الكلام وذكروا الله كثيرا فى كلامهم ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا فى كلامهم * وقال آخرون بل ذلك فى شعرهم ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وذكروا الله كثيرا قال ذكروا الله فى شعرهم * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله وصف هؤلاء الذين استثناهم من شعراء المؤمنين بذكر الله كثيرا ولم يخص ذكرهم الله على حال دون حال فى كتابه ولا على لسان رسوله فصفتهم أنهم يذكرون الله كثيرا فى كل أحوالهم وقوله وانتصروا من بعد ما ظلموا يقول وانتصروا ممن هجاهم من شعراء المشركين ظلما بشعرهم وهجائهم اياهم واجابتهم عما هجوهم به * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وانتصروا من بعد ما ظلموا قال يردون على الكفار الذين كانوا يهجون المؤمنين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وانتصروا من المشركين من بعد ما ظلموا وقيل عنى بذلك كله الرهط الذين ذكرت ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا على بن مجاهد وابراهيم بن المختار عن ابن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبى الحسن سالم البراد مولى تميم الدارى قال لما نزلت والشعراء يتبعهم الغاوون جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك الى النبى صلى الله عليه وسلم وهم يبكون فقالوا قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء فتلا النبى صلى الله عليه وسلم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن محمد بن اسحق عن يزيد بن عبد الله ابن قسيط عن ابى حسن البراد قال لما نزلت والشعراء يتبعهم الغاوون ثم ذكر نحوه حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وانتصروا من بعد ما ظلموا قال عبد الله بن رواحة وأصحابه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وانتصروا من بعد ما ظلموا قال عبد الله بن رواحة وقوله وسيعلم الذين ظلموا يقول تعالى ذكره وسيعلم الذين ظلموا أنفسهم بشركهم بالله من أهل مكة أى منقلب ينقلبون يقول أى مرجع يرجعون اليه وأى معاد يعودون اليه بعد مماتهم فانهم يصيرون الى نار لا يطفأ سعيرها ولا يسكن لهبها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة وعلى ابن مجاهد وابراهيم بن المختار عن ابن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبى الحسن سالم البراد مولى تميم الدارى وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون يعنى أهل مكة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون قال وسيعلم الذين ظلموا من المشركين أى منقلب ينقلبون

(آخر تفسير سورة الشعراء)

لكم بين يدى عذاب شديد قوله (واخفض جناحك) قدم تفسيره فى آخر الحجر وفى سبحان وزادهنا (لمن اتبعك) كيلا يذهب الوهم الى أن خفض الجناح وهو التواضع ولين الجانب مختص بالمؤمنين من عشيرته وانما (٨١) لم يقتصر على قوله لمن اتبعك لان كثيرا منهم كانوا يتبعونه للقرابة والنسب لا للدين وقال فى الكشاف سبب الجمع بين اللفظين هو أنه سماهم قبل الدخول فى الايمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك أو أراد بالمؤمنين المصدقين بالالسنة فزاد قوله لمن اتبعك ليخرج من صدق باللسان دون الجنان أو صدق بهما ولم يتبعه فى العمل وحين أمره بالتواضع لاهل الاخلاص فى الايمان أمره بالتبرئة من أرباب العصيان فاستدل الجبائى به على أن الله تعالى أيضا برىء ممن عملهم فكيف يكون فاعلا له وأجيب بأنه ان أراد ببراءة الله أنه ما أمر بها فمسلم وان أراد أنه لا يريدها فممنوع لانتهاء جميع الحوادث الى ارادته ضرورة قوله (وتوكل) معطوف على قوله فلا تدع أو على قوله فقل أمره بتفويض الامر فى دفع أعاديه الى العزيز الذى يقهر من ناوأ أولياءه الرحيم الذى لا يخذل من ينصر دينه قال بعض العلماء المتوكل من ان دهمه أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما فيه معصية الله عز وجل ولو وقع فى محنة واستعان فى دفعها ببعض المخلوقين لم يخرج من حد المتوكلين ثم عدد مواجب الرحمة وهى رؤيته قيامه وتقلبه فى الساجدين أى فى المصلين وللمفسرين فيه وجوه منها ما روى انه حين نسخ فرض التهجد طاف تلك الليلة ببيوت أصحابه حرصا عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات فوجدها كبيوت الزنابير ذكرا وتلاوة فالمراد بتقلبه فى الساجدين تصفح أحوال المتهجدين من أصحابه ليطلع عليهم كيف يعملون لآخرتهم ومنها أن المراد تصرفه فيما بين المؤمنين به بالقيام والركوع والسجود والقعود ويروى عن مقاتل أنه استدل به على وجود فضل

﴿ تفسير سورة النمل ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ ﴾ قال أبو جعفر وقد بينا القول فيما مضى من كتابنا هذا فيما كان من حروف المعجم فى فواتح السور فقوله طس من ذلك وقد روى عن ابن عباس أن قوله طس قسم أقسمه الله وهو من أسماء الله حدثنى على بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فالواجب على هذا القول أن يكون معناه والسميع اللطيف ان هذه الآيات التى أنزلناها اليك يا محمد لآيات القرآن وآيات كتاب مبين يقول يبين لمن تدبره وفكر فيه بفهم أنه من عند الله أنزله اليك لم تخرصه أنت ولم تتقوله ولا أحد سواك من خلق الله لانه لا يقدر أحد من الخلق أن يأتى بمثله ولو تظاهر عليه الجن والانس وخفض قوله وكتاب مبين عطفا به على القرآن وقوله هدى من صفة القرآن يقول هذه آيات القرآن بيان من الله بين به طريق الحق وسبيل السلام وبشرى للمؤمنين يقول وبشارة لمن آمن به وصدق بما أنزل فيه بالفوز العظيم فى المعاد وفى قوله هدى وبشرى وجهان من العربية الرفع على الابتداء بمعنى هو هدى وبشرى والنصب على القطع من آيات القرآن فيكون معناه تلك آيات القرآن الهدى والبشرى للمؤمنين ثم أسقطت الالف واللام من الهدى والبشرى فصارا نكرة وهما صفة للمعرفة فنصبا وقوله الذين يقيمون الصلاة يقول هو هدى وبشرى لمن آمن بها وأقام الصلاة المفروضة بحدودها وقوله ويؤتون الزكاة يقول ويؤدون الزكاة المفروضة وقيل معناه ويطهرون أجسادهم من دنس المعاصى وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وهم بالآخرة هم يوقنون يقول وهم مع اقامتهم الصلاة وايتائهم الزكاة الواجبة بالمعاد الى الله بعد الممات يوقنون فيذلون فى طاعة الله رجاء جزيل ثوابه وخوف عظيم عقابه وليسوا كالذين يكذبون بالبعث ولا يبالون أحسنوا أم أساؤا أو أطاعوا أم عصوا لأنهم ان أحسنوا لم يرجوا ثوابا وان أساؤا لم يخافوا عقابا ﴾ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم فى الآخرة هم الأخسرون﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين لا يصدقون بالدار الآخرة وقيام الساعة وبالمعاد الى الله بعد الممات والثواب والعقاب زينا لهم أعمالهم يقول حببنا اليهم قبيح أعمالهم وسهلنا ذلك عليهم فهم يعمهون يقول فهم فى ضلال أعمالهم القبيحة التى زينا هالهم يترددون حيارى يحسبون أنهم يحسنون وقوله أولئك الذين لهم سوء العذاب يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة لهم سوء العذاب فى الدنيا وهم الذين قتلوا يوم بدر من مشركى قريش وهم فى الآخرة هم الأخسرون يقول وهم يوم القيامة هم الأوضعون تجارة والأوكسوها باشترائهم الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ﴾ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم اذ قال موسى لأهله انى آنست نارا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون فلما جاءها نودى أن بورك من فى النار

صلاة الجماعة فى القرآن ومنها أنه اشارة الى ماجاء فى الحديث أتموا الركوع والسجود فوالله انى لأراكم من خلف ظهرى فالتقلب تقلب بصره فيمن يصلى خلفه وقيل أراد أنه لايخفى علينا كما قمت وتقلبت مع الساجدين فى كفاية أمور الدين وقد احتج بالآية علماء الشيعة على مذهبهم أن آباء النبى صلى الله عليه وسلم (٨٢) لايكونون كفارا قالوا أراد تقلب روحه من ساجد الى ساجد كما فى الحديث المعتمد عليه عندهم لم أزل أنتقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات وناقشهم أهل السنة فى التأويل المذكور وفى صحة الحديث والاصوب عندى أن لانشتغل بمنع أمثال هذه الدعوى ونسرح الى بقعة الامكان على أنه لايلزم من عدم الدليل عدم المدلول ثم أكد قوله وما تنزلت به الشياطين بقوله (هل أنبئكم على من تنزل) قال فى الكشاف تقديره أعلى من تنزل ليكون الاستفهام فى صدر الكلام كقولك أعلى زيد مررت قلت هذا تكلف بارد لان الاستفهام فى من ضمنى لايصرح به قط والافاك الكثير الافك والاثيم مبالغة أثيم وهم الكهنة والمتنبئة كسطيح ومسيلمة وأمثالهما والضمير فى (يلقون) عائد الى الشياطين كانوا قبل الرجم بالشهب يخطفون بعض الغيوب من الملا الأعلى بالقاء (السمع) أى بالاصغاء ثم يرجعون به الى أوليائهم (وأكثرهم كاذبون) لانهم يخلطون الحق المسموع بكلامهم الباطل كما جاء فى الحديث الكلمة يخطفها الجنى فيقرها فى أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة والقرالصب وقيل السمع بمعنى المسموع أى يلقى الشياطين الى أوليائهم مايسمعونه من الملائكة ويحتمل أن يكون الضمير فى يلقون للافاكين والسمع الاذن أوالمسموع أى يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون وحيهم أو يلقون المسموع من الشياطين الى الناس وأغلبهم يقل وكلهم كاذبون لان الكذوب قد يصدق فيصدق عليه أنه صادق فى الجملة لان هذه عبارة الفصحاء لايحكمون حكما كليا مالم تدع اليه ضرورة والحاصل أنهم كانوا يقيسون حال النبى صلى الله عليه وسلم على حال الكهنة فقيل لهم ان الاغلب على الكهنة الكذب ولم يظهر من أحوال محمد صلى الله عليه وسلم الا الصدق

ومن حولها وسبحان الله رب العالمين) يقول تعالى ذكره وانك يا محمد لتحفظ القرآن وتعلمه من لدن حكيم عليم يقول من عند حكيم بتدبير خلقه عليم بأنباء خلقه ومصالحهم والكائن من أمورهم والماضى من أخبارهم والحادث منها اذ قال موسى واذ من صلة عليم ومعنى الكلام عليم حين قال موسى لاهله وهو فى مسيره من مدين الى مصر وقد آذاهم برد ليلهم لما أصلد زنده انى آنست نارا أى أبصرت نارا أو أحسستها فامكثوا مكانكم سآتيكم منها بخبر يعنى من النار والهاء والالف من ذكر النار أو آتيكم بشهاب قبس * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة بشهاب قبس باضافة الشهاب الى القبس وترك التنوين بمعنى أو آتيكم بشعلة نار أقتبسها منها وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة بشهاب قبس بتنوين الشهاب وترك اضافته الى القبس يعنى أو آتيكم بشهاب مقتبس * والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان فى قراءة الأمصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وكان بعض نحويى البصرة يقول اذا جعل القبس بدلا من الشهاب فالتنوين فى الشهاب وان أضاف الشهاب الى القبس لم ينون الشهاب وقال بعض نحويى الكوفة اذا أضيف الشهاب الى القبس فهو بمنزلة قوله ولدار الآخرة مما يضاف الى نفسه اذا اختلف اسماه ولفظاه توهما بالثانى أنه غير الاول قال ومثله حبة الخضراء وليلة القمراء ويوم الخميس وما أشبهه وقال آخر منهم ان كان الشهاب هو القبس لم تجز الاضافة لان القبس نعت ولا يضاف الاسم الى نعته الا فى قليل من الكلام وقد جاء ولدار الآخرة وللدار الآخرة والصواب من القول فى ذلك أن الشهاب اذا أريد به أنه غير القبس فالقراءة فيه بالاضافة لان معنى الكلام حينئذ ما بينا من أنه شعلة قبس كما قال الشاعر

فى كفه صعدة مثقفة * فيها سنان كشعلة القبس

واذا أريد بالشهاب أنه هو القبس أو أنه نعته فالصواب فى الشهاب التنوين لان الصحيح فى كلام العرب ترك اضافة الاسم الى نعته والى نفسه بل الاضافات فى كلامها المعروفة اضافة الشئ الى غير نفسه وغير نعته وقوله لعلكم تصطلون يقول كى تصطلوا بها من البرد وقوله فلما جاءها يقول فلما جاء موسى النار التى آنسها نودى أن بورك من فى النار ومن حولها كما حدثنا على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله نودى أن بورك من فى النار يقول قدس * واختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله من فى النار فقال بعضهم عنى جل جلاله بذلك نفسه وهو الذى كان فى النار وكانت النار نوره تعالى ذكره فى قول جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله فلما جاءها نودى أن بورك من فى النار يعنى نفسه قال كان نور رب العالمين فى الشجرة حدثنى اسمعيل بن الهيثم أبو العالية العبدى قال ثنا أبو قتيبة عن ورقاء عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير فى قول الله بورك من فى النار قال ناداه وهو فى النار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الحسن فى قوله نودى أن بورك من فى النار ومن حولها قال هو النور * قال معمر قال قتادة بورك من فى النار قال نور الله بورك * قال ثنا الحسين قال

نكيف يكون كاهنا ثم بين ما يعرف منه أن النبي ليس بشاعر كما أنه ليس بكاهن فقال (والشعراء يتبعهم الغاوون) قيل أي الشياطين والاظهر أنهم الذين يروون أشعارهم وكان شعراء قريش مثل عبدالله بن الزبعرى وأمية بن ابى الصلت يهجون النبي صلى الله عليه وسلم ويجتمع اليهم الاعراب من قومهم يستمعون أهاجيهم فنزلت ثم بين غوايتهم بقوله (ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون) وهو تمثيل لذهابهم فى كل شعب من القول يمدحون انسانا معينا تارة ويذمونه أخرى غالين فى كلا الطرفين مستعملين التخييل فى كل ما يرومونه وذكر من قبائح خصالهم (أنهم يقولون) عند الطلب والدعاوى (ما لا يفعلون) ولعمرى انها خصلة شنعاء تدل على الدناءة واللؤم

قالوا وما فعلوا وأين هم

من معشر فعلوا وما قالوا

وعن الفرزدق أنه سليمن بن عبدالملك سمع قوله

فبتن بجانبي مصرعات

وبت أفض أغلاق الختام

فقال وجب عليك الحد قال قد درأ الله عنى الحد يا أمير المؤمنين وتلا الآية ثم استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين أغلب أحوالهم الذكر والفكر فيما لا بأس به من المواعظ والنصائح ومدح الحق وذويه ويكون هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم مثل عبدالله ابن رواحة وحسان بن ثابت وكعب ابن زهير كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذى نفسى بيده لهو أشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان هاجهم وروح القدس معك والحاصل أن النظر فى الشعر الى المعنى لا على مجرد النظم والروى فان كان المعنى صحيحا مطابقا للحق والصدق فلا بأس بادخاله فى سلك النظم والقافية بل لعل النظم يروجه ويرجح الطبع على قبوله وهو الذى عناه صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكما وان كان المعنى فاسدا والغرض غير صحيح فهو الذى توجه الذم اليه ولا انتصار حد معلوم وهو أن لا يزيد على الجواب لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقال صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادئ منهما حتى يتعدى المظلوم ثم ختم السورة بآية جامعة للوعيد كله فقال (وسيعلم الذين ظلموا) خصصه بعضهم

ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال الحسن البصرى بورك من فى النار (١) * وقال آخرون بل معنى ذلك بوركت النار ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا الأشيب قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نودى أن بورك من فى النار بوركت النار كذلك قال ابن عباس حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله أن بورك من فى النار قال بوركت النار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد بورك من فى النار قال بوركت النار حدثنا محمد بن سنان القزاز قال ثنا مكى بن ابراهيم قال ثنا موسى عن محمد بن كعب فى قوله أن بورك من فى النار نور الرحمن والنور هو الله وسبحان الله رب العالمين * واختلف أهل التأويل فى معنى النار فى هذا الموضع فقال بعضهم معناه النور كما ذكرت عمن ذكرت ذلك عنه * وقال آخرون معناه النار لا النور ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن سعيد بن جبير أنه قال حجاب العزة وحجاب الملك وحجاب السلطان وحجاب النار وهى تلك النار التى نودى منها قال وحجاب النور وحجاب الغمام وحجاب الماء وانما قيل بورك من فى النار ولم يقل بورك فيمن فى النار على لغة الذين يقولون باركك الله والعرب تقول باركك الله وبارك فيك وقوله ومن حولها يقول ومن حول النار وقيل عنى بمن حولها الملائكة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ومن حولها قال يعنى الملائكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن الحسن مثله * وقال آخرون هو موسى والملائكة حدثنا محمد بن سنان القزاز قال ثنا مكى بن ابراهيم قال ثنا موسى عن محمد بن كعب ومن حولها قال موسى النبى والملائكة ثم قال يا موسى انى أنا الله العزيز الحكيم وقوله وسبحان الله رب العالمين يقول وتنزيها لله رب العالمين مما يصفه به الظالمون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يا موسى انه أنا الله العزيز الحكيم وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيله لموسى انه أنا الله العزيز فى نقمته من أعدائه الحكيم فى تدبيره فى خلقه والهاء التى فى قوله انه هاء عماد وهو اسم لا يظهر فى قول بعض أهل العربية وقال بعض نحويى الكوفة يقول هى الهاء المجهولة ومعناها ان الأمر والشأن أنا الله وقوله وألق عصاك فلما رآها تهتز فى الكلام محذوف ترك ذكره استغناء بما ذكر عما حذف وهو فألقاها فصارت حية تهتز فلما رآها تهتز كأنها جان يقول كأنها حية عظيمة والجان جنس من الحيات معروف وقال ابن جريج فى ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان قال حين تحولت حية تسعى وهذا الجنس من الحيات عنى الراجز بقوله

---

(١) أى وافر أتمام الحديث قبله وهو قال النور وكثيرا ما يجىء له مثل ذلك اختصارا فتنبه

بالشعراء اذا خرجوا عن حد الانصاف ومالوا الى الجور والاعتساف ولعله عام يتناول لكل من ظلم نفسه بالاعراض عن تدبر ما فى هذه السورة بل القرآن كله وقوله (أى منقلب) صفة لمصدر محذوف والعامل (ينقلبون) أى ينقلبون فى الدركات السفلى انقلابا أى منقلب ولا يعمل فيه يعلم لأن الاستفهام لا يعمل فيه ماقبله وعن ابن عباس أنه قرأه بالفاء والتاء والمراد سيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات وهو النجاة

﴿ التأويل ولو نزلناه على بعض الأعجميين فيه اظهار القدرة من وجهين الاول جعل الأعجمى بحيث يقرأ العربى عليهم كقول القائل أمسيت كرديا وأصبحت عربيا والثانى أن أهل الانكار لا يصيرون أهل الاقرار ولو أتاهم مثل هذا الاعجاز المبين وذلك لأن الله كذلك يسلكه فى قلوبهم فيأتيهم عذاب البعد والطرد فى الدنيا بغتة وهم لا يشعرون لأنهم نيام فاذا ماتوا انتبهوا فيقولون هل نحن منظرون وما ينبغى لهم وما يستطيعون لانهم خلقوا من النار والقرآن نور قديم فلا يكون للنار المخلوقة قوة حمل النور القديم ولهذا تستغيث النار من نور المؤمن وتقول جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبى فتكون من المعذبين لان كل من طلب مع الله شيأ آخر حتى الجنة فله عذاب البعد والحرمان من الله وأنذر عشيرتك فيه أن النسب تسب النفوس فان أكل المرء يشبعه ولا يشبع ولده الا اذا أكل الطعام كما أكل والده وهذا معنى المتابعة انى برىء مما تعملون لم قل انى برىء منكم لان المراد لا تبرأ منهم وقل لهم قولا جميلا بالنصح والموعظة الحسنة حتى يرجعوا ببركة دعوتك الى القول الحق أو ينالوا الجنة بواسطة شفاعتك وتقلبك فى الساجدين بأن خلق روح كل ساجد من روحك انه هو السميع فى الأزل مقالتك أنا سيد ولد آدم ولا فخر لأن أرواحهم خلقت من روحك من العليم باستحقاقك لهذه الكرامة الله تعالى حسبى

﴿ سورة النمل مكية حروفها أربعة آلاف وستمائة وتسعة وتسعون كلمها ألف ومائة وتسعة آياتها ثلاث وتسعون ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين

يرفعن بالليل اذا ما أسدفا ٭ أعناق جنان وهاما رجفا ٭ وعنقا نافى الرسيم خيطفا

وقوله ولى مدبرا يقول تعالى ذكره ولى موسى هاربا خوفا منها ولم يعقب يقول ولم يرجع من قولهم عقب فلان اذا رجع على عقبه الى حيث بدأ ٭ وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ولم يعقب قال لم يرجع حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ٭ قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال لم يلتفت حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولم يعقب قال لم يرجع يا موسى قال لما ألقى العصا صارت حية فرعب منها وجزع فقال الله انى لا يخاف لدى المرسلون قال فلم يرجع ولذلك قال فقال الله له أقبل ولا تخف انك من الآمنين قال فلم يقف أيضا على شئ من هذا حتى قال سنعيدها سيرتها الاولى قال فالتفت فاذا هى عصا كما كانت فرجع فأخذها ثم قوى بعد ذلك حتى صار يرسلها على فرعون ويأخذها وقوله يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون الا من ظلم يقول تعالى ذكره فنادا ه ربه يا موسى لا تخف من هذه الحية انى لا يخاف لدى المرسلون يقول انى لا يخاف عندى رسلى وأنبيائى الذين أخصهم بالنبوة الا من ظلم منهم فعمل بغير الذى أذنت له فى العمل به ٭ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قوله يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون قال لا يخيف الله الانبياء الا بذنب يصيبه أحدهم فان أصابه أخافه حتى يأخذ منه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عبد الله الفزارى عن عبد الله بن المبارك عن أبى بكر عن الحسن قال قوله يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون الا من ظلم قال انى انما أخفتك لقتلك النفس قال وقال الحسن كانت الانبياء تذنب فتعاقب ٭ واختلف أهل العربية فى وجه دخول الا فى هذا الموضع وهو استثناء مع عدم الله الغفران المستثنى من قوله انى لا يخاف لدى المرسلون بقوله فانى غفور رحيم وحكم الاستثناء أن يكون ما بعده بخلاف معنى ما قبله وذلك أن يكون ما بعده ان كان ما قبله منفيا مثبتا كقولك ما قام الا زيد فزيد مثبت له القيام لانه مستثنى مما قبل الا وما قبل الا منفى عنه القيام وأن يكون ما بعده ان كان ما قبله مثبتا منفيا كقولهم قام القوم الا زيدا فزيد منفى عنه القيام ومعناه ان زيدا لم يقم والقوم مثبت لهم القيام والا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فقد أمنه الله بوعده الغفران والرحمة وأدخله فى عداد من لا يخاف لديه من المرسلين فقال بعض نحويى البصرة أدخلت الا فى هذا الموضع لان الاتدخل فى مثل هذا الكلام كمثل قول العرب ما أشتكى الا خيرا فلم يجعل قوله الا خيرا على الشكوى ولكنه علم أنه اذا قال ما اشتكى شيأ أنه يذكر عن نفسه خيرا كأنه قال ما أذكر الا خيرا وقال بعض نحويى الكوفة يقول القائل كيف صيرخا تما من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء وهو مغفور له فأقول له فى هذه الآية وجهان أحدهما أن يقول ان الرسل معصومة مغفور لها آمنة يوم القيامة ومن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فهو يخاف ويرجو فهذا وجه والآخر أن يجعل الاستثناء

الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الأخسرون وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم اذ قال موسى لأهله اني آنست نارا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن (٨٥) حولها وسبحان الله رب العالمين يا موسى

من الذين تركوا في الكلمة لان المعنى لا يخاف لدي المرسلون انما الخوف على من سواهم ثم استثنى فقال الا من ظلم ثم بدل حسنا يقول كان مشركا فتاب من الشرك وعمل حسنا فذلك مغفور له وليس بخاف قال وقد قال بعض النحويين ان الا في اللغة بمنزلة الواو وانما معنى هذه الآية لا يخاف لدي المرسلون ولا من ظلم ثم بدل حسنا قال وجعلوا مثله كقول الله تعالى لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم قال ولم أجد العربية تحتمل ما قالوا لاني لا أجيز قام الناس الا عبد الله وعبد الله قائم انما معنى الاستثناء أن يخرج الاسم الذي بعد الا من معنى الاسماء التي قبل الا وقد أراد جائزا أن يقول لي عليك ألف سوى ألف آخر فان وضعت الا في هذا الموضع صلحت وكانت الا في تأويل ما قالوا فأما مجردة فقد استثنى قليلها من كثيرها فلا ولكن مثله مما يكون معنى الا معنى الواو وليست بها قوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك هو في المعنى والذي شاء ربك من الزيادة فلا تجعل الا بمنزلة الواو ولكن بمنزلة سوى فاذا كانت سوى في موضع الا صلحت بمعنى الواو لانك تقول عندي مال كثير سوى هذا أي وهذا عندي كأنك قلت عندي مال كثير وهذا أيضا عندي وهو في سوى أبعد منه في الا لانك تقول عندي سوى هذا ولا تقول عندي الا هذا * قال ابو جعفر والصواب من القول في قوله الا من ظلم ثم بدل حسنا غير ما قاله هؤلاء الذين حكينا قولهم من أهل العربية بل هو القول الذي قاله الحسن البصري وابن جريج ومن قال قولهما وهو أن قوله الا من ظلم استثناء صحيح من قوله لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم منهم فأتى ذنبا فانه خائف لديه من عقوبته وقد بين الحسن رحمه الله معنى قيل الله لموسى ذلك وهو قوله قال اني انما أخفتك لقتلك النفس فان قال قائل فما وجه قيله ان كان قوله الا من ظلم استثناء صحيحا وخارجا من عداد من لا يخاف لديه من المرسلين وكيف يكون خائفا من كان قد وعد الغفران والرحمة قيل ان قوله ثم بدل حسنا بعد سوء كلام آخر بعد الاول وقد تناهى الخبر عن الرسل من ظلم منهم ومن لم يظلم عند قوله الا من ظلم ثم ابتدأ الخبر عمن ظلم من الرسل وسائر الناس غيرهم وقيل فمن ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني له غفور رحيم فان قال قائل فعلام تعطف ان كان الأمر كما قلت بثم ان لم يكن عطفا على قوله ظلم قيل على متروك استغنى بدلالة قوله ثم بدل حسنا بعد سوء عليه عن اظهاره اذ كان قد جرى قبل ذلك من الكلام نظيره وهو فمن ظلم من الخلق وأما الذين ذكرنا قولهم من أهل العربية فقد قالوا على مذهب العربية غير أنهم أغفلوا معنى الكلمة وحملوها على غير وجهها من التأويل وانما ينبغي أن يحمل الكلام على وجهه من التأويل ويلتمس له على ذلك الوجه للاعراب في الصحة مخرج لا على احالة الكلمة عن معناها ووجهها الصحيح من التأويل وقوله ثم بدل حسنا بعد سوء يقول تعالى ذكره فمن أتى ظلما من خلق الله وركب مأثما ثم بدل حسنا يقول ثم تاب من ظلمه ذلك وركوبه المأثم فاني غفور يقول فاني ساتر على ذنبه وظلمه ذلك بعفوي عنه وترك عقوبته عليه رحيم به أن أعاقبه بعد تبديله الحسن بضده * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد

انه أنا الله العزيز الحكيم وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ۞ القرآن آت اني آنست بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو بشهاب منونا على أن قبسا وهو بمعنى مقبوس بدل أو صفة عاصم وحمزة وعلي وخلف ورويس الباقون بالاضافة من في النار مالة علي غير ليث وأبي حمدون وحمدويه وحمزة وفي رواية ابن سعدان والنجاري عن ورش وأبو عمرو وغيرا براهيم بن حماد وكذلك في القصص ۞ الوقوف طس ٥ مبين ٥ لا بناء على أن هدى حال والعامل معنى الاشارة في تلك أو هو مرفوع بدلا من الآيات أو خبرا بعد خبر وان كان التقدير هي هدى به فلك الوقف للمؤمنين ٥ لا لأن الذين صفتهم يوقنون ٥ يعمهون ٥ط تنصيصا على أن أولئك مبتدأ مستأنف الأخسرون ٥ عليم ٥ نارا ط تصطلون ٥ حولها

ط العالمين ٥ الحكيم ٥ لا لعطف الجملتين الداخلتين تحت النداء عصاك ط للعدول عن بيان حال الخطاب الى ذكر حال المخاطب مع حذف أي فالقاها فحييت ولم يعقب ط لابتداء النداء المرسلون ٥ لا لان الا ان كان بمعنى لكن فالاستدراك يوجب الوصل ايضا رحيم ٥ وقومه ط فاسقين ٥ مبين ج ٥ للآية والعطف وعلوا ط لاختلاف الجملتين وتعظيم الامر بالاعتبار بعد حذف أي

فأغرقناهم المفسدين ۞ التفسير تلك الآيات التي تضمنتها هذه السورة آيات القرآن الذي علم أنه منزل مبارك مصدق لما بين يديه وكتاب مبين فان أريد به اللوح فآياته أنه أثبت فيه كل كائن وان أريد به السورة أو القرآن فالغرض تفخيم شأنها من قبل التنكير فآياتها أن اعجازها ظاهر مكشوف وفيها من العلوم والحكم مالا يخفى ولان الواو لا تفيد الترتيب فلا حكمة ظاهرة في عكس الترتيب بين ما ههنا وبين ما في أول الحجر ومعنى كون الآيات هدى وبشرى أنها تزيد في ايمانهم وتبشرهم بالثواب قال جار الله يحتمل أن يكون قوله وبالآخرة هم يوقنون من تتمة الموصول الا أن الأوجه أن يكون جملة مستقلة ابتدائية شبيهة بالمعترضة بدليل تكرير المبتدا الذي هو هم فكأنه قيل وما يؤمن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة هو الذي يسهل عليهم متاعب التكاليف وأقول انه وصفهم بالايمان ليكون اشارة الى معرفتهم المبتدأ ثم وصفهم باقامة الصلاة وايتاء الزكاة وهما الطاعة بالنفس والمال وهذه اشارة الى وسط ثم وصفهم بمعرفة المعاد فلا أحسن من هذا النسق وفيه أن المهتدي بالقرآن حقيقة هو الذي يكون موقنا بأحوال المعاد لاشاكا فيها آتيا بالطاعات للاحتياط قائلا ان كنت مصيبا فيها فقد نلت السعادة وان كنت مخطئا فلم تفتني الا لذات يسيرة زائلة ثم أورد وعيد المنكرين للمعاد واسناد تزيين الاعمال الى الله ظاهر على قول الاشاعرة وأما المعتزلة فتأولوه بوجوه منها أنه استعارة فكأنه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا ذلك التمتع ذريعة الى اتباع الشهوات وايثار اللذات فقد زين لهم بذلك أعمالهم ومنها أنه مجاز حكمي وهو الذي يصححه بعض الملابسات ولا ريب أن امهال الشيطان وتخليته حتى الآيات

قوله الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء ثم تاب من بعد اساءته فاني غفور رحيم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيله لنبيه موسى وأدخل يدك في جيبك ذكر أنه تعالى ذكره أمره أن يدخل كفه في جيبه وانما أمره بادخاله في جيبه لان الذي كان عليه يومئذ مدرعة من صوف قال بعضهم لم يكن لها كم وقال بعضهم كان كمها الى بعض يده ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وأدخل يدك في جيبك قال الكف فقط في جيبك قال كانت مدرعة الى بعض يده ولو كان لها كم أمره أن يدخل يده في كمه * قال ثني حجاج عن يونس بن أبي اسحق عن أبيه عن عمرو بن ميمون قال قال ابن مسعود ان موسى أتى فرعون حين أتاه في ذونافقة يعني جبة صوف وقوله تخرج بيضاء يقول تخرج اليد بيضاء بغير لون موسى من غير سوء يقول من غير برص في تسع آيات يقول تعالى ذكره أدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فهي آية في تسع آيات مرسل أنت بهن الى فرعون وترك ذكر مرسل لدلالة قوله الى فرعون وقومه على أن ذلك معناه كما قال الشاعر

رأتني بحبليها فصدت مخافة * وفي الحبل روعاء الفؤاد فروق

ومعنى الكلام رأتني مقبلا بحبليها فترك ذكر مقبل استغناء بمعرفة السامعين معناه في ذلك اذ قال رأتني بحبليها ونظائر ذلك في كلام العرب كثيرة والآيات التسع هن الآيات التي بيناهن فيما مضى وقد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تسع آيات الى فرعون وقومه قال هي التي ذكر الله في القرآن العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والطوفان والدم والحجر والطمس الذي أصاب آل فرعون في أموالهم وقوله انهم كانوا قوما فاسقين يقول ان فرعون وقومه من القبط كانوا قوما فاسقين يعني كافرين بالله وقد بينا معنى الفسق فيما مضى ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ يقول تعالى ذكره فلما جاءت فرعون وقومه آياتنا يعني أدلتنا وحججنا على حقيقة ما دعاهم اليه موسى وصحته وهي الآيات التسع التي ذكرناها قبل وقوله مبصرة يقول يبصر بها من نظر اليها ورآها حقيقة ما دلت عليه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قال بينة قالوا هذا سحر مبين يقول قال فرعون وقومه هذا الذي جاء به موسى سحر مبين يقول بين للناظرين له أنه سحر وقوله وجحدوا بها يقول وكذبوا بالآيات التسع أن تكون من عند الله كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج وجحدوا بها قال الجحود التكذيب بها وقوله واستيقنتها أنفسهم يقول وأيقنتها قلوبهم وعلموا يقينا أنها من عند الله فعاندوا بعد تبينهم الحق ومعرفتهم به كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس واستيقنتها أنفسهم قال يقينهم في قلوبهم حدثني يونس قال اخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا قال استيقنوا ان

كيوم بدر ثم مهد مقدمة لما سيذكر في السورة من الأخبار العجيبة فقال (وانك لتلقى القرآن) لتؤتاه وتلقنه من عند أى حكيم وأى عليم و (اذ قال) منصوب بعليم أو باذكر كأنه قيل خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى العجيبة الشأن والخبر خبر الطريق لانه كان قد ضله وفى قوله (سآتيكم) مع قوله فى طه والقصص لعلى آتيكم دليل على أنه كان قوى الرجاء الا أنه كان يجوز النقيض وعد أهله بأنه يأتيهم بأحد الامرين وان أبطأ لبعد المسافة أو غيره قالوا فى أو دليل على أنه جرم يوجدان أحد الامرين ثقة بعناية الله تعالى انه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده والاصطلاء بالنار الاستدفاء بها والاجتماع عليها وانما خصت هذه السورة بقوله (فلما جاءها) وقد قال فى طه والقصص فلما أتاها (نودى) لأنه كرر لفظ آتيكم ههنا بخلاف السورتين فاحترز من تكرار ما يقاربه فى الاشتقاق مرة أخرى و (أن) مفسرة لأن النداء فيه معنى القول لا مخففة من الثقيلة بدليل فقدان قد فى فعلها قال جار الله معنى (بورك من فى النار) بورك من فى مكان النار ومن حول مكانها ومكانها البقعة التى حصلت النار فيها كما قال فى القصص نودى من شاطئ الوادى الأيمن فى البقعة المباركة وسبب البركة حدوث أمر دينى فيها وهو تكليم الله اياه واظهار المعجزات عليه وقيل معنى بورك تبارك والنار بمعنى النور أى تبارك من فى النار وهو الله سبحانه مروى عن ابن عباس وعن قتادة والزجاج أن من فى النار هو نور الله ومن حولها الملائكة وقال الجبائى ناداه بكلام سمعه من الشجرة فى البقعة المباركة وهى الشأم فكانت الشجرة محلا للكلام والمتكلم هو الله بأن خلقه فيها ثم ان الشجرة كانت فى النار ومن حولها الملائكة وقيل من فى النار هو موسى لقربه منها ومن حولها الملائكة وفى الابتداء بهذا الخطاب عند مجىء موسى بشارة له بأنه قد قضى أمر عظيم تنتشر منه البركة فى أرض الشأم وفى قوله (وسبحان الله رب العالمين) تنزيه له عما لا يليق بذاته من الحدوث والحلول ونحوهما مما هو من خواص المحدثات وتنبيه على أن الكائن من جلائل الامور التى لا يقدر عليها الا رب العالمين والهاء فى (انه) ما الشأن وما راجع الى ما دل عليه سياق الكلام أى ان المتكلم (انا) وعلى هذا

الآيات من الله حق فلم يجحدوا بها قال ظلما وعلوا وقوله ظلما وعلوا يعنى بالظلم الاعتداء والعلو الكبر كأنه قيل اعتداء وتكبرا ◦ ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله ظلما وعلوا قال تعظما واستكبارا ومعنى ذلك وجحدوا بالآيات التسع ظلما وعلوا واستيقنتها أنفسهم أنها من عند الله فعاندوا الحق بعد وضوحه لهم فهو من المؤخر الذى معناه التقديم وقوله فانظر كيف كان عاقبة المفسدين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانظر يا محمد بعين قلبك كيف كان عاقبة تكذيب هؤلاء الذين جحدوا آياتنا حين جاءتهم مبصرة وما أحل بهم من افسادهم فى الارض ومعصيتهم فيها ربهم وأعقبهم ما فعلوا فان ذلك أخرجهم من جنات وعيون وزروع ومقام كريم الى هلاك فى العاجل بالغرق وفى الآجل الى عذاب دائم لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون يقول وكذلك يا محمد سلقى فى الذين كذبوا بما جئتهم به من الآيات على حقيقة ما تدعوهم اليه من الحق من قومك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد آتينا داود وسليمن علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره ولقد آتينا داود وسليمان علما وذلك علم كلام الطير والدواب وغير ذلك مما خصهم الله بعلمه وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين يقول جل ثناؤه وقال داود وسليمن الحمد لله الذى فضلنا بما خصنا به من العلم الذى آتاه دون سائر خلقه من بنى آدم فى زماننا هذا على كثير من عباده من المؤمنين به فى دهرنا هذا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وورث سليمن داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ ان هذا لهو الفضل المبين﴾ يقول تعالى ذكره وورث سليمن أباه داود العلم الذى كان آتاه الله فى حياته والملك الذى كان خصه به على سائر قومه فجعله له بعد أبيه داود دون سائر ولد أبيه وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير يقول وقال سليمن لقومه يا أيها الناس علمنا منطق الطير يعنى فهمنا كلامها وجعل ذلك من الطير كمنطق الرجل من بنى آدم اذ فهمه عنها وقد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى معشر عن محمد بن كعب وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير قال بلغنا أن سليمن كان عسكره مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة صريحة وسبعمائة سرية فأمر الريح العاصف فرفعته وأمر الرخاء فسيرته فأوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض انى قد أردت أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشئ الا جاءت الريح فأخبرته وقوله وأوتينا من كل شئ يقول وأعطينا وهب لنا من كل شئ من الخيرات ان هذا لهو الفضل المبين يقول ان هذا الذى أوتيناه من الخيرات لهو الفضل على جميع أهل دهرنا المبين يقول الذى يبين لمن تأمله وتدبره أنه فضل أعطيناه على من سوانا من الناس ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وحشر لسليمن جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون﴾ يقول تعالى ذكره وجمع لسليمن جنوده من الجن والانس والطير فى مسيرهم فهم يوزعون ◦ واختلف أهل التأويل فى معنى قوله فهم يوزعون فقال بعضهم معنى ذلك فهم يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين

فالله مع وصفه بيان لانا وفيه تلويح الى ما أراد اظهاره عليه بريد أنا القادر القوى على اظهار الخوارق الحكيم الذى لا يفعل جزافا ولا عبثا وقوله (وألق عصاك) معطوف على يورك وكلاهما تفسير لنودى والمعنى قيل له يورك وألق ومعنى (لم يعقب) لم يرجع يقال عقب المقاتل اذا كر بعد الفر وانما اقتصر ههنا على قوله (لا تخف) (٨٨) ولم يضف اليه أفل كما فى القصص لأنه أراد أن يبنى عليه قوله (انى لا يخاف لدى المرسلون) وسبب نفى الخوف عن الرسل مشاهدة مزيد فضل الله وعنايته فى حقهم ثم استثنى من ظلم منهم بترك ماهو أولى به وقدمر بحث عصمة الأنبياء فى أول البقرة وفى الآية لطائف واشارات منها أنه اشار بقوله انى لا يخاف لدى المرسلون الى أن موسى قد جعل رسولا ومنها أنه أشار بقوله الا من ظلم الى ماوجد من موسى فى حق القبطى وبقوله ثم بدل حسنا بعد سوء أى توبة بعد ذنب الى قول موسى رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى وقرئ ألا بحرف التنبيه ومنها أنه أشار بقوله ثم بدل معطوفا على ظلم الى أن النبى المرسل بمثل النية ولم يصر على فعله والا كان هذا العطف مقطوعا عن الكلام ضائعا فانه اذا ظلم ولم يبدل كان خائفا أيضا ومنها أنه أشار بقوله (فانى غفور رحيم) الى أن الخوف وان لحق المستثنى الا أنه منفى عنه أيضا بسبب غفرانه ورحمته فنفى الخوف ثابت على كل حال فهذا الاستثناء قريب من تأكيد المدح بما يشبه الذم كقوله

* هو البدر الا أنه البحر زاخر *

وكقوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم

بهن فلول من قراع الكتائب

وهذه اللطائف مما سمح بها الخاطر اوان الكتابة أرجو أن تكون صوابا ان شاء العزيز قوله (وأدخل يدك) وفى القصص اسلك يدك موافقة لاضم ولان المبالغة فى أدخل أكثر منها فى اسلك لان سلك لازم ومتعد وهناك قال فذانك برهانان مداخلهم وههنا قال فى تسع آيات وكان أبلغ فى العدد فناسب الأبلغ فى اللفظ قال النحويون متعلق الجار محذوف مستأنف أى اذهب فى تسع آيات أو المراد وأدخل يدك فى تسع أى فى جملتهن وعدادهن اذهب الى فرعون وتسيير التسع قدمر فى آخر سبحان وانما قال ههنا الى فرعون

قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قال جعل على كل صنف من برد أولاها على أخراها ليتقدموا فى المسير كما تصنع الملوك حدثنا القاسم قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة فى قوله وحشر لسليمن جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون قال يرد أولهم على آخرهم * وقال آخرون معنى ذلك فهم يساقون ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وحشر لسليمن جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون قال يوزعون يساقون * وقال آخرون بل معناه فهم يتقدمون ذكر من قال ذلك حدثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر قال قال الحسن يوزعون يتقدمون * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصواب قول من قال معناه يرد أولهم على آخرهم وذلك أن الوازع فى كلام العرب هو الكاف يقال منه وزع فلان فلانا عن الظلم اذا كفه عنه كما قال الشاعر

ألم يزع الهوى اذ لم يوات * بلى وسلوت عن طلب الفتاة

(وقال الآخر)

على حين عاتبت المشيب على الصبا * وقلت ألما أصح والشيب وازع

وانما قيل للذين يدفعون الناس عن الولاة والامراء وزعة لكفهم اياهم عنه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿حتى اذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمن وجنوده وهم لا يشعرون﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله حتى اذا أتوا على وادى النمل حتى اذا أتى سليمن وجنوده على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمن وجنوده يقول لا يكسرنكم ويقتلنكم سليمن وجنوده وهم لا يشعرون يقول وهم لا يعلمون أنهم يحطمونكم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن ويحيى قالا ثنا سفيان عن الاعمش عن رجل يقال له الحكم عن عوف فى قوله قالت نملة يا أيها النمل قال كان نمل سليمن بن داود مثل الذباب ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين﴾ يقول تعالى ذكره فتبسم سليمن ضاحكا من قول النملة التى قالت ما قالت وقال رب أوزعنى ان أشكر نعمتك التى أنعمت على يعنى بقوله أوزعنى ألهمنى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك يقول اجعلنى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على قال فى كلام العرب تقول أوزع فلان بفلان يقول حرض عليه وقال ابن زيد أوزعنى ألهمنى وحرضنى على أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وقوله وأن أعمل صالحا ترضاه يقول وأوزعنى أن أعمل بطاعتك وما ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين يقول وأدخلنى برحمتك مع عبادك الصالحين الذين اخترتهم لرسالتك واتخبتهم لوحيك يقول أدخلنى من الجنة

وقومه دون أن يقول وملئه كما في القصص لان الملأ أشراف القوم وقد وصفهم ههنا بقوله فلما جاءتهم الى قوله ظلما وعلوا فلم يناسب أن يطلق عليهم لفظ ينبئ عن المدح ومعنى (مبصرة) ظاهرة بينة كأنها تبصر بطباق العين فتهدي ويجوز أن يكون الابصار مجازا باعتبار ابصار صاحبها وهو كل ذي عقل أو فرعون وقومه والواو في (واستيقنتها) للحال وقد مضمرة وفي زيادة (أنفسهم) اشارة الى أنهم أظهروا خلاف ما أبطنوا والاستيقان أبلغ من الايقان وقوله (ظلما وعلوا) أي كبرا وترفعا مفعول لاجلهما وقرئ مبصرة بفتح الميم نحو مبخلة قرأها علي بن الحسين وقتادة والله أعلم ۞ التأويل طا طلب الطالبين وسين سلامة قلوبهم من تعلقات غير الله تلك دلالات القرآن وشواهد أنواره وكتاب مبين فيه بيان كيفية السلوك ولذلك قال هدى وبشرى للمؤمنين بالوصول الى الله الذين يستقيمون في المعارج لحقائق الصلوات ويؤتون الزكاة أموالهم وأحوالهم بالاضافة على المستحقين زينا لهم أعمالهم الدنيوية النفسانية فهم يعمهون لعمى قلوبهم عن رؤية الآخرة ونعيمها ولا يكون في عالم الآخرة أعمى الا كان أصم وأبكم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم حبك للشئ يعمي ويصم فيحب الدنيا عميت عين القلب وصمت أذنه وصار أبكم عن العلم اللدني والنطق به وهو سوء العذاب وهو الموجب لخسران الدارين مع خسران المولى وانما يكون خسران الدارين ممدوحا اذا ربح المولى وجد أبو زيد في البادية فخا مكتوبا عليه خسر الدنيا والآخرة فبكى وقبله وقال هذا رأس صوفي وحين أخبر عن مقامات المؤمنين ودركات الكافرين أخبر عن مقام النبي صلى الله عليه وسلم بقوله

مداخلهم ۞ وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين قال مع عبادك الصالحين الانبياء والمؤمنين ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين﴾ يقول تعالى ذكره وتفقد سليمن الطير فقال مالي لا أرى الهدهد وكان سبب تفقده الطير وسؤاله عن الهدهد خاصة من بين الطير ما حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن قال سمعت عمران عن أبي مجلز قال جلس ابن عباس الى عبد الله بن سلام فسأله عن الهدهد لم تفقده سليمن من بين الطير فقال عبد الله بن سلام ان سليمن نزل منزلة في مسيره فلم ير ماء بعد الماء فقيل له من يعلم بعد الماء قالوا الهدهد فذاك حين تفقده حدثنا محمد قال ثنا يزيد قال ثنا عمران بن حدير عن أبي مجلز عن ابن عباس وعبد الله بن سلام بنحوه حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان سليمن بن داود يوضع له ستمائة كرسي ثم يجيء أشراف الانس فيجلسون مما يليه ثم تجيء أشراف الجن فيجلسون مما يلي الانس قال ثم يدعو الطير فتظلهم ثم يدعو الريح فتحملهم قال فيسير في الغداة الواحدة مسيرة شهر قال فبينا هو في مسيره اذا احتاج الى الماء وهو في فلاة من الارض قال فدعا الهدهد فجاء فنقر الارض فيصيب موضع الماء قال ثم تجيء الشياطين فيسلخونه كما يسلخ الاهاب قال ثم يستخرجون الماء فقال له نافع بن الازرق قف يا وقاف أرأيت قولك الهدهد يجيء فينقر الأرض فيصيب الماء كيف يبصر هذا ولا يبصر الفخ يجيء حتى يقع في عنقه قال فقال له ابن عباس ويحك ان القدر اذا جاء حال دون البصر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال كان سليمن بن داود اذا خرج من بيته الى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الجن والانس حتى يجلس على سريره حتى اذا كان ذات غداة في بعض زمانه غدا الى مجلسه الذي كان يجلس فيه فتفقد الطير وكان فيما يزعمون يأتيه نوبا من كل صنف من الطير طائر فنظر فرأى من أصناف الطير كلها قد حضر الا الهدهد فقال مالي لا أرى الهدهد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أول ما فقد سليمن الهدهد نزل بوادي فسأل الانس عن مائه فقالوا ما نعلم له ماء فان يكن أحد من جنودك يعلم له ماء فالجن فدعا الجن فسألهم فقالوا ما نعلم له ماء وان يكن أحد من جنودك يعلم له ما هذا الطير فدعا الطير فسألهم فقالوا ما نعلم له ماء وان يكن أحد من جنودك يعلمه فالهدهد فلم يجده قال فذاك أول ما فقد الهدهد حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين قال تفقد الهدهد من أجل أنه كان يدله على الماء اذا ركب وان سليمن ركب ذات يوم فقال أين الهدهد ليدلنا على الماء فلم يجده فمن أجل ذلك تفقده فقال ابن عباس ان الهدهد كان ينفعه الحذر ما لم يبلغه الاجل فلما بلغ الاجل لم ينفعه الحذر وحال القدر دون البصر فقد اختلف عبد الله بن سلام والقائلون بقوله ووهب بن منبه فقال عبد الله كان سبب تفقده الهدهد وسؤاله عنه ليستخبره

وانك لتلقى القرآن لا من عند جبريل بل من لدن حكيم تجلى لقلبك بحكمة القرآن عليم بعلم حيث يجعل رسالته ثم ضرب مثالا لذلك وهو أن موسى القلب لما كشف له أنوار شواهد الحق في ليلة الهوى وظلمة الطبيعة قال لاهله وهم النفس وصفاتها اني آنست نارا بوادي أيمن السر لعلكم تصطلون بتلك النار عن جمود الطبيعة فلما جاءها على قدمي

الشوق وصدق الطلب نودى من الشجرة الروحانية أن بورك من فى نار المحبة نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة ومن حولها كالفراش يريد أن يقع فيها وألق عن يدهمتك كل ما تعتمد عليه سوى فضل الله فانه جان فى الحقيقة ولى مدبرا هاربا الى الله ولم يعقب لم يرجع الى غيره فلذلك نودى بلا تخف فان القلوب الملهمة الموصلة اليها الهدايا والتحف والالطاف لا تخاف سوى الله الا من ظلم نفسه بالرجوع الى الغير وأدخل يدهمتك فى جيب قناعتك تخرج بيضاء نقية من لوث الدارين فى تسع آيات من أسباب هلاك

النفس وصفاتها فانظر كيف كان عاقبة الذين أفسدوا الاستعداد الفطرى والله اعلم ﴿ولقد آتينا داود وسليمن علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمن داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ ان هذا لهو الفضل المبين وحشر لسليمن جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون حتى اذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمن وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبا بنبا يقين انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا أيها الملا انى ألقى الى كتاب كريم انه من سليمن وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا على وأتونى مسلمين قالت يا أيها الملا أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة

عن بعد الماء فى الوادى الذى نزل به فى مسيره وقال وهب بن منبه كان تفقده اياه وسؤاله عنه لاخلاله بالنوبة التى كان ينوبها والله أعلم بأى ذلك كان اذلم يأت بأى ذلك كان تنزيل ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح فالصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله أخبر عن سليمن أنه تفقد الطير اما للنوبة التى كانت عليها وأخلت بها واما لحاجة كانت اليها عن عدم الماء وقوله فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين يعنى بقوله مالى لا أرى الهدهد أخطأه بصرى فلا أراه وقد حضر أم هو غائب فيما غاب من سائر أجناس الخلق فلم يحضر ◦ ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين أخطأه بصرى فى الطير أم غاب فلم يحضر وقوله لأعذبنه عذابا شديدا يقول فلما أخبر سليمن عن الهدهد أنه لم يحضر وأنه غائب غير شاهد أقسم لأعذبنه عذابا شديدا وكان تعذيبه الطير فيما ذكر عنه اذا عذبها أن ينتف ريشها ◦ ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا الحمانى عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله لأعذبنه عذابا شديدا قال تنتف ريشه حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية عن شريك عن عطاء عن مجاهد عن ابن عباس فى لأعذبنه عذابا شديدا عذابه نتفه وتشميسه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لأعذبنه عذابا شديدا قال تنتف ريشه وتشميسه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لأعذبنه عذابا شديدا قال تنتف ريشه كله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله لأعذبنه عذابا شديدا قال تنتف ريش الهدهد كله فلا يعفو سنة ◦ قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال تنتف ريشه حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لأعذبنه عذابا شديدا يقول تنتف ريشه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق عن يزيد بن رومان أنه حدث أن عذابه الذى كان يعذب به الطير نتف جناحه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قيل لبعض أهل العلم هذا الذبح فما العذاب الشديد قال تنتف ريشه يتركه بضعة تنزو حدثنا سعيد بن الربيع الرازى قال ثنا سفيان عن عمرو بن بشار عن ابن عباس فى قوله لأعذبنه عذابا شديدا قال تنتفه حدثنى سعيد بن الربيع قال ثنا سفيان عن حسين بن أبى شداد قال تنتفه وتشميسه أو لأذبحنه يقول أو لأقتلنه كما حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أو لأذبحنه يقول أو لأقتلنه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال

وكذلك يفعلون واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمن قال أتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك واني عليه لقوي أمين قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي (٩١) ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمن لله رب العالمين ﴿ القراآت وادى النمل عمالة عباس وقتيبة وقرأ يعقوب وعلي والسرندبي عن قنبل بالياء في الوقف لا يحطمنكم بالنون الخفيفة عباس وروبس أوزعني بفتح الياء ابن كثير وكذلك في الاحقاف مالي لا بفتح ياء المتكلم ابن كثير وعلي وعاصم ليأتيني بنون الوقاية بعد الثقيلة ابن كثير فكث بفتح الكاف عاصم وسهل ويعقوب غير روبس الآخرون بضمها من سبا بفتح الهمزة لامتناع الصرف البزي وأبو عمرو وعن قنبل بهمزة ساكنة وفي رواية أخرى عنه وعن ابن فليح وزمعة بغير همز الباقون بهمزة مفتوحة مكسورة وكذلك في سورة سبا الا يسجدوا مخففا يزيد وعلي وروبس الآخرون بالتشديد

ثنا عباد بن العوام عن حصين عن عبد الله بن شداد لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه الآية قال فلقاه الطير فأخبره فقال ألم يستثن وقوله أوليأتيني بسلطان مبين يقول أوليأتيني بحجة تبين لسامعها صحتها وحقيقتها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا علي بن الحسين الازدي قال ثنا المعافى بن عمران عن سفيان عن عمار الدهني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كل سلطان في القرآن فهو حجة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أوليأتيني بسلطان مبين يقول بينة أعذرها وهو مثل قوله الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان يقول بغير بينة حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن رجل عن عكرمة قال كل شيء في القرآن سلطان فهو حجة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عبد الله بن يزيد عن ثبات بن رزين أنه سمع عكرمة يقول سمعت ابن عباس يقول كل سلطان في القرآن فهو حجة كان للهدهد سلطان حدثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة أوليأتيني بسلطان مبين قال بعذر بين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه أوليأتيني بسلطان مبين أي بحجة عذر له في غيبته حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله أوليأتيني بسلطان مبين يقول بينة وهو قول الله الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان بغير بينة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أوليأتيني بسلطان مبين قال بعذر أعذره فيه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبإ بنبإ يقين﴾ يعني تعالى ذكره بقوله فمكث غير بعيد فمكث سليمن غير طويل من حين سأل عن الهدهد حتى جاء الهدهد واختلف القراء في قراءة قوله فمكث فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار سوى عاصم فمكث بضم الكاف وقرأه عاصم بفتحها وكلتا القراءتين عندنا صواب لانهما لغتان مشهورتان وان كان الضم فيها أعجب الي لانها أشهر اللغتين وأفصحهما وقوله فقال أحطت بما لم تحط به يقول فقال الهدهد حين سأله سليمن عن تخلفه وغيبته أحطت بعلم ما لم تحط به أنت يا سليمن كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أحطت بما لم تحط به قال ما لم تعلم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه فمكث غير بعيد ثم جاء الهدهد فقال له سليمن ما خلفك عن نوبتك قال أحطت بما لم تحط به وقوله وجئتك من سبإ بنبإ يقين يقول وجئتك من سبا بخبر يقين وهو ما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه وجئتك من سبإ بنبإ يقين أي أدركت ملكا لم يبلغه ملكك * واختلفت القراء في قراءة قوله من سبا فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة من سبا بالاجراء بمعنى أنه رجل اسمه سبا وقرأه بعض قراء أهل مكة والبصرة من سبا بترك الاجراء على أنه اسم قبيلة

وقال ابن مجاهد اذا وقفوا على الا وقفوا على ألايا والابتداء اسجدوا تخفون وتعلنون بتاء الخطاب فيهما على وحفص والباقون على الغيبة فالقه بسكون الهاء حمزة وعاصم غير المفضل وأبو عمرو وغير عباس وقرأ الباقون بالاختلاس حركة الهاء يزيد وقالون ويعقوب غير زيد وأبو عمرو من طريق الهاشمي عن اليزيدي الباقون بالاشباع ان ألقي بفتح ياء المتكلم أبو جعفر ونافع أتمدونني بالياء في الحالين ابن كثير وسهل ووافق به أبو جعفر ونافع وأبو عمرو في الوصل اتمدوني بتشديد النون وبالياء في الحالين حمزة ويعقوب الآخرون باظهار النونين

وحذف الياء آتانى الله بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وابن فليح وحفص فمن فتح الياء فالوقف بالياء لاغير ومن حذف الياء فانه يقف بغير الياء الاسهلا و يعقوب فانهما يقفان بالياء وقرأ على آتانى الله بالامالة أنا آتيك بالامالة وكذلك مابعده حمزة فى رواية خلف وابن سعدان والعجلى وأبى عمرو وخلف لنفسه فلما رآه بكسر الراء نصير ليبلونى بفتح الياء أبو جعفر ونافع ساقيها وبابه بالهمز ابن مجاهد وأبو عون عن قنبل والاحسن تركها قال فى الكشاف من همز فوجهه أنه سمع سؤفا فأجرى عليه الواحد ۞ الوقوف علما ج للعدول عن بيان ابتداء الفضل ابتداء الى ذكر قول المنعم عليهما شكرا ووفاء المؤمنين ○ شئ ط المبين ○ يوزعون ○ النمل لا لأن مابعده جواب اذا مساكنكم ج لانقطاع النظم لنهى الغائب مع اتحاد القائل وجنوده لا لأن الواو للحال لايشعرون ○ الصالحين ○ الهدهد ز على معنى بل أكان من الغائبين على معنى التهديد والاصح أن أم متصل بمعنى الاستفهام فى مالى أى أنا لاأراه أو هو غائب الغائبين ○ مبين ○ يقين ○ عظيم ○ لايهتدون ○ لا ومن خفف ألا وقف مطلقا تعلنون ○ العظيم ○ سجدة الكاذبين ○ يرجعون ○ كريم ○ الرحيم ○ لا لتعلق أن مسلمين ○ أمرى ج لانقطاع النظم مع اتحاد القائل تشهدون ○ تأمرين ○ أذلة ج لان قوله وكذلك يحتمل أن يكون من تمة قولها أو هو تصديق من الله لما قالت يفعلون ○ المرسلون ○ بمال ز لانتهاء الاستفهام مع فاء التعقيب و بيان الاستغناء على التعجيل آتاكم ج لاختلاف الجملتين على أن بل ترجح جانب الوقف تفرحون ○ صاغرون ○ مسلمين ○ مقامك ج للابتداء بان مع اتحاد القائل أمين ○ وجب طرفك ط للعدول أم أكفر ○ لنفسه ج كريم ○ لايهتدون ○ عرشك ط هو ج لاحتمال أن يكون مابعده من كلامها أومن كلام سليمن مسلمين ○ من دون الله ط كافرين ○ الصرح ج ساقيها ط قوارير ه العلمين ○ ۞ التفسير لما فرغ من قصة موسى شرع فى قصة ثانية وهى قصة داود وابنه سليمن والتنوين فى علما اما للنوع أى طائفة من العلم أو للتعظيم أى علما

أولا مرأة ○ والصواب من القول فى ذلك أن يقال انهما قراءتان مشهورتان وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب فالاجراء فى سبا وغير الاجراء صواب لان سبأ ان كان رجلا كما جاء به الاثر فانه اذا أريد به اسم الرجل أجرى وان أريد به اسم القبيلة لم يجر كما قال الشاعر فى اجرائه

الواردون وتيم فى ذراسبا ○ قد عض أعناقهم جلد الجواميس

يروى ذراوذرى وقد حدثت عن الفراء عن الرؤاسى أنه سأل أبا عمرو بن العلاء كيف لم يجر سبأ قال لست أدرى ماهو فكأن أبا عمرو ترك اجراءه اذلم يدر ماهو كما تفعل العرب بالاسماء المجهولة التى لاتعرفها من ترك الاجراء حكى عن بعضهم هذا أبو معمر وقد جاء فترك اجراءه اذلم يعرفه فى أسمائهم وان كان سبأ جبلا فأجرى لانه يراد به الجبل بعينه وان لم يجر فلانه يجعل اسما للجبل وما حوله من البقعة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لايهتدون﴾ يقول تعالى مخبرا عن قيل الهدهد لسليمن مخبرا بعذره فى مغيبه عنه انى وجدت امرأة تملكهم يعنى تملك سبأ وانما صار هذا الخبر للهدهد عذرا وحجة عند سليمن درأ به عنه ما كان أوعد به لان سليمن كان لايرى أن فى الارض أحدا له مملكة معه وكان مع ذلك صلى الله عليه وسلم رجلا محببا اليه الجهاد والغزو فلما دله الهدهد على ملك بموضع من الارض هو لغيره وقوم كفرة يعبدون غير الله له فى جهادهم وغزوهم الاجر الجزيل والثواب العظيم فى الآجل وضم مملكة لغيره الى مملكه حقت للهدهد المعذرة وصحت له الحجة فى مغيبه عن سليمن وقوله وأوتيت من كل شئ يقول وأوتيت من كل شئ يؤتاه الملك فى عاجل الدنيا مما يكون عندهم من العتاد والآلة ○ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى عبيدة الباجى عن الحسن قوله وأوتيت من كل شئ يعنى من كل أمر الدنيا وقوله ولها عرش عظيم يقول ولها كرسى عظيم وعنى بالعظيم فى هذا الموضع العظيم فى قدره وعظم خطره لاعظمه فى الكبر والسعة ○ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله ولها عرش عظيم قال سرير كريم قال حسن الصنعة وعرشها سرير من ذهب قوائمه من جوهر ولؤلؤ ○ قال ثنى حجاج عن أبى عبيدة الباجى عن الحسن قوله ولها عرش عظيم يعنى سرير عظيم وقوله وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله يقول وجدت هذه المرأة ملكة سبأ وقومها من سبأ يسجدون للشمس فيعبدونها من دون الله وقوله وزين لهم الشيطان أعمالهم يقول وحسن لهم ابليس عبادتهم الشمس وسجودهم لها من دون الله

غزيرا قال علماء المعانى الواو فى وقالا للعطف على محذوف لان هذا مقام الفاء كقولك أعطيته فشكر فالتقدير ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة والفضيلة فيه وقالا الحمد لله وبيانه ان الشكر باللسان انما يحسن اذا كان مسبوقا بعمل القلب وهو العزم على فعل الطاعة وترك المعصية وبعمل الجوارح وهو الاشتغال بالطاعات فكأنه قال ولقد آتيناهما علما فعملا به قلبا وقالا (وقالا) باللسان (الحمد لله) قلت لقائل أن يقول الاصل عدم الاضمار وقوله هذا مقام الفاء

ممنوع وانما يكون كذلك اذا أريد التعقيب والتسبيب فان كان المراد مجرد الاخبار عما فعل بهما وعما فعلا قالوا وكقولك أعطيته وشكر وقوله (على كثير من عباده) يجوز أن يكون واردا على سبيل التواضع وان كانا مفضلين على جميع أهل زمانهما ويجوز أن يكون واردا على الحقيقة بالنسبة الى زمانهما أو بالنسبة الى سائر الازمنة وهذا أظهر وانما وصف العباد بالمؤمنين لئلا يظن أن سبب الفضيلة هو مجرد الايمان ولكن ما يزيد عليه من الاستغراق فى بحر العبودية والعرفان وفى الآية دليل على شرف العلم وأن العالم يجب أن يتلقى علمه بشكر الله تعالى قلبا وقالبا وما التوفيق الا منه قوله (وورث سليمن داود) عن الحسن أنه المال لان النبوة عطية مبتدأة وزيف بأن المال أيضا عطية مبتدأة ولذلك يرث الولد اذا كان مؤمنا ولا يرث اذا كان كافرا أو قاتلا وما المانع من أن يوصف بأنه ورث النبوة لما قام بها عند موته كما يرث الولد المال اذا قام به عند موته والظاهر أنه أراد وراثة النبوة والملك معا دليله قوله تشهيرا لنعمة الله ودعاء للناس الى تصديق المعجزة (يا أيها الناس علمنا منطق الطير) والمنطق يشمل كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف مفيدا وغير مفيد ومنه

وحجب ذلك اليهم فصدهم عن السبيل يقول فمنعهم بتزيينه ذلك لهم أن يتبعوا الطريق المستقيم وهو دين الله الذى بعث به أنبياءه ومعناه فصدهم عن سبيل الحق فهم لا يهتدون يقول فهم لما قد زين لهم الشيطان مازين من السجود للشمس من دون الله والكفر به لا يهتدون لسبيل الحق ولا يسلكونه ولكنهم فى ضلالهم الذى هم فيه يتردّدون ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله ألا يسجدوا لله فقرأ بعض المكيين وبعض المدنيين والكوفيين ألا يا بالتخفيف بمعنى ألا ياهؤلاء اسجدوا فاضمروا هؤلاء اكتفاء بدلالة يا عليها وذكر بعضهم سماعا من العرب ألا يا ارحمنا ألا يا تصدق علينا واستشهد أيضا ببيت الاخطل

ألا يا اسلمى يا هند هند بنى بدر ٭ وان كان حيّ قاعدا آخر الدهر

فعلى هذه القراءة اسجدوا فى هذا الموضع جزم ولا موضع لقوله ألا فى الاعراب وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة والبصرة ألا يسجدوا بتشديد الا بمعنى وزين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا لله ألا فى موضع نصب لما ذكرت من معناه أنه لئلا ويسجدوا فى موضع نصب بأن ٭ والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان فى قراءة الامصار فقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء مع صحة معنييهما ٭ واختلف أهل العربية فى وجه دخول يا فى قراءة من قرأه على وجه الامر فقال بعض نحويى البصرة من قرأ ذلك كذلك فكأنه جعله أمرا كأنه قال لهم اسجدوا وزاد ياء بينهما يا التى تكون للتنبيه ثم أذهب ألف الوصل التى فى اسجدوا وأذهبت الالف التى فى يا لانها ساكنة لقيت السين فصار ألا يسجدوا وقال بعض نحويى الكوفة هذه يا التى تدخل للنداء يكتفى بها من الاسم ويكتفى بالاسم منها فتقول يا أقبل وزيد أقبل وما سقط من السواكن فعلى هذا ويعنى بقوله يخرج الخبء يخرج المخبوء فى السموات والارض من غيث فى السماء ونبات فى الارض ونحو ذلك وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وان اختلفت عبارتهم عنه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن ابن جريج قراءة عن مجاهد يخرج الخبء فى السموات قال الغيث حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يخرج الخبء قال الغيث حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الذى يخرج الخبء فى السموات والارض قال خبء السماء والارض ما جعل الله فيها من الارزاق والمطر من السماء والنبات من الارض كانتا رتقا لا تمطر هذه ولا تنبت هذه ففتق السماء وأنزل منها المطر وأخرج النبات حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن اسمعيل بن أبى خالد عن حكيم بن جابر فى قوله ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والارض ويعلم كل

قولهم نطقت الحمامة قال المفسرون انه تعالى جعل الطير فى أيامنا مما له عقل وليس كذلك حال الطيور فى أيامنا وان كان فيها ما ألهمه الله تعالى الدقائق التى خصت بالحاجة اليها يحكى أنه مر على بلبل فى شجرة فقال لاصحابه انه يقول انى أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا أى التراب وصاحت فاختة فأخبر أنها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان وأخبر أن الهدهد يقول استغفروا الله يا مذنبون والخطاف يقول قدموا خيرا تجدوه والرخمة تقول سبحان ربى الأعلى ملء سمائه وأرضه والقمرى يقول سبحان ربى الأعلى

والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس أنس ومعنى (من كل شئ) بعض كل شئ وقال في الكشاف أراد كثرة ما أوتى كما تقول فلان يقصده كل أحد تريد كثرة قاصديه وانما قال عامنا وأوتينا لانه أراد نفسه وأباه ويجوز أن يريد نفسه فقط لا على طريق التكبر بل على عادة الملوك يعظمون أنفسهم لمصلحة (٩٤) التهيب وقوله (ان هذا لهو الفضل المبين) قول وارد على سبيل الشكر والتحدث بالنعم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر أي أقول هذا شكرا لا فخرا روى أن معسكره كان مائة فرسخ في مائة فرسخ خمسة وعشرون للجن ومثله للانس ومثله للطير ومثله للوحش وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة فتقعد الانبياء عليهم السلام على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظلهم الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر وانه كان يقول مع ذلك لتسبيحة واحدة يقبلها الله خير مما أوتي آل داود ومعنى (يوزعون) يحبسون قيل كانوا يمنعون من يتقدم من عسكره ليكون مسيره مع جنوده على ترتيب ومنه يعلم أنه كان في كل قبيل منها وازع يكون له تسلط على الباقين يكفهم ويصرفهم ومعنى (أتوا على وادي النمل) قطعوه وبلغوا آخره من قولهم أتى على الشئ اذا أنفده وبلغ آخره كأنهم أرادوا أن ينزلوا عند منقطع الوادي ويجوز أن يقصد اتيانهم من فوق لان الريح كانت تحملهم في الهواء بعضا فلذلك عدي بعلى عن قتادة أنه دخل الكوفة فاجتمع عليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان أبو حنيفة حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكرا أم أنثى فسألوه فلم يقل أبو حنيفة كانت أنثى لقوله تعالى قالت نملة ولو كان ذكرا لم تجز التاء لان النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والانثى فلا بد من التمييز بالعلامة وحين عبر عن تمام النمل بلفظ التفاعل جعل خطابهم خطاب

خبية في السموات والارض حدثني محمد بن عمارة قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا أسامة بن زيد عن معاذ بن عبد الله قال رأيت ابن عباس على بغلة يسأل تبعا ابن امرأة كعب هل سألت كعبا عن البذر تنبت الارض العام لم يصب العام الآخر قال سمعت كعبا يقول البذر ينزل من السماء ويخرج من الارض قال صدقت * قال أبو جعفر انما هو تبيع ولكن هكذا قال محمد وقيل يخرج الحب في السموات والارض لأن العرب تضع من مكان في وفي مكان من في الاستخراج ويعلم ما تخفون وما تعلنون يقول ويعلم السر من أمور خلقه هؤلاء الذين زين لهم الشيطان أعمالهم والعلانية منها وذلك على قراءة من قرأ ألا بالتشديد وأما على قراءة من قرأ بالتخفيف فان معناه ويعلم ما يسره خلقه الذين أمرهم بالسجود بقوله ألا ياهؤلاء اسجدوا وقد ذكر أن ذلك في قراءة أبي ألا تسجدون لله الذي يعلم سركم وما تعلنون وقوله الله لا اله الا هو رب العرش العظيم يقول تعالى ذكره الله الذي لا تصلح العبادة الا له لا اله الا هو لا معبود سواه تصلح له العبادة فأخلصوا له العبادة وأفردوه بالطاعة ولا تشركوا به شيأ رب العرش العظيم يعني بذلك مالك العرش العظيم الذي كل عرش وان عظم فدونه لا يشبهه عرش ملكة سبا ولا غيره حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أحطت بما لم تحط به الى قوله لا اله الا هو رب العرش العظيم هذا كله كلام الهدهد حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق بنحوه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون﴾ يقول تعالى ذكره قال سليمن للهدهد سننظر فيما اعتذرت به من العذر واحتججت به من الحجة لغيبتك عنا وفيما جئتنا به من الخبر أصدقت في ذلك كله أم كنت من الكاذبين فيه اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون * فاختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم منصرفا الى فقال هو من المؤخر الذي معناه التقديم ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فأجابه سليمن يعني أجاب الهدهد لما فرغ قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم وانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم منصرفا الى * وقال وكانت لها كوة مستقبلة الشمس ساعة تطلع الشمس تطلع فيها فتسجد لها فجاء الهدهد حتى وقع فيها فسدها واستبطأت الشمس فقامت تنظر فرمى بالصحيفة اليها من تحت جناحه وطار حتى قامت تنظر الشمس * قال أبو جعفر فهذا القول من قول ابن زيد يدل على أن الهدهد تولى الى سليمن راجعا بعد القائه الكتاب وأن نظره الى المرأة ما الذي ترجع وتفعل كان قبل القائه كتاب سليمن اليها * وقال آخرون بل معنى ذلك اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فكن قريبا منهم وانظر ماذا يرجعون قالوا وفعل الهدهد وسمع مراجعة المرأة أهل مملكتها وقولها لهم اني ألقي الي كتاب كريم انه من سليمن وانه بسم الله الرحمن الرحيم وما بعد ذلك من مراجعة بعضهم

أولى العقل فحكى أنها (قالت يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم) اما جواب للامر واما نهى بدلا من الامر أى لتكونوا بحيث يحطمكم أى يكسركم سليمان وجنوده على طريقة لا أرينك ههنا و فى قوله (سليمان وجنوده) دون أن يقول جنود سليمان مبالغة أخرى كما تقول أعجبنى زيد وكرمه وفى الآية دلالة على أن من يسير فى الطريق لا يلزمه التحرز وانما يلزم من فى الطريق التحرز وفى قولها (وهم لا يشعرون) تنبيه على وجوب الجزم بعصمة الانبياء كأنها عرفت أن النبى لعصمته لا يقع منه قتل (٩٥) هذه الحيوانات الا على سبيل السهو وعن بعضهم أنها خافت على قومها أن يقعوا فى كفران نعمة الله تعالى اذا رأوا جلالة سليمان وهذا معنى الحطم فلذلك أمرتهم بدخول المساكن وفيه تنبيه على أن مجالسة أرباب الدنيا محذورة قيل سمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال (فتبسم ضاحكا) أى شارعا فى الضحك آخذا فيه ولكن لم يبلغ حد القهقهة وكمال الضحك وما روى أنه صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فعلى وجه المبالغة فى الضحك النبوى وانما أضحكه من قولها شفقتها على قومها وسروره بما آتاه الله من ادراك الهمس واشتهاره بالتحرز والتقوى ولذلك مال الى الدعاء قائلا (رب أوزعنى) قال جار الله حقيقته اجعلنى أزع شكر نعمتك عندى وأربطه لا ينفلت عنى فلا أزال شاكرا لك وانما أدرج ذكر الوالدين لان النعمة على الولد نعمة عليهما وبالعكس ثم طلب أن يضيف لواحق نعمه الى سوابقها ولا سيما النعم الدينية فقال (وأن أعمل صالحا ترضاه) ثم دعا أن يجعله فى الآخرة من زمرة الصالحين لان ذلك غاية كل مقصود يروى أن النملة أحست بصوت الجنود ولم تعلم أنها فى الهواء فأمر سليمان الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة

بعضا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قوله فألقه اليهم ثم تول عنهم أى كن قريبا فانظر ماذا يرجعون وهذا القول أشبه بتأويل الآية لان مراجعة المرأة قومها كانت بعد أن ألقى اليها الكتاب ولم يكن الهدهد لينصرف وقد أمر بأن ينظر الى مراجعة القوم بينهم ما يتراجعونه قبل أن يفعل ما أمره به سليمان ﷺ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالت يا أيها الملأ انى ألقى الىّ كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلوا علىّ وأتونى مسلمين﴾ يقول تعالى ذكره فذهب الهدهد بكتاب سليمن اليها فألقاه اليها فلما قرأته قالت لقومها يا أيها الملأ انى ألقى الىّ كتاب كريم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال كتب يعنى سليمن بن داود مع الهدهد بسم الله الرحمن الرحيم من سليمن بن داود الى بلقيس بنت ذى سرح وقومها أما بعد فلا تعلوا علىّ وأتونى مسلمين قال فأخذ الهدهد الكتاب برجله فانطلق به حتى أتاها وكانت لها كوة فى بيتها اذا طلعت الشمس نظرت اليها فسجدت لها فأتى الهدهد الكوة فسدها بجناحيه حتى ارتفعت الشمس ولم تعلم ثم ألقى الكتاب من الكوة فوقع عليها فى مكانها الذى هى فيه فأخذته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال بلغنى أنها امرأة يقال لها بلقيس أحسبه قال ابنة شراحيل أحد أبويها من الجن مؤخر أحد قدميها كحافر الدابة وكانت فى بيت مملكة وكان أولو مشورتها ثمانمائة واثنى عشر كل رجل منهم على عشرة آلاف وكانت بأرض يقال لها مأرب من صنعاء على ثلاثة أيام فلما جاء الهدهد بخبرها الى سليمان بن داود كتب الكتاب وبعث به مع الهدهد فجاء الهدهد وقد غلقت الابواب وكانت تغلق أبوابها وتضع مفاتيحها تحت رأسها فجاء الهدهد فدخل من كوة فألقى الصحيفة عليها فقرأتها فاذا فيها انه من سليمن وانه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلوا علىّ وأتونى مسلمين وكذلك كانت تكتب الانبياء لا تطنب انما تكتب جملا * قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال لم يزد سليمن على ما قص الله فى كتابه انه وانه حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم فمضى الهدهد بالكتاب حتى اذا حاذى بالملكة وهى على عرشها ألقى اليها الكتاب وقوله قالت يا أيها الملأ انى ألقى الىّ كتاب كريم والملأ أشراف قومها يقول تعالى ذكره قالت ملكة سبا لاشراف قومها يا أيها الملأ انى ألقى الىّ كتاب كريم واختلف أهل العلم فى سبب وصفها الكتاب بالكريم فقال بعضهم وصفته بذلك لانه كان مختوما * وقال آخرون وصفته بذلك لانه كان من ملك فوصفته بالكرم لكرم صاحبه وممن قال ذلك ابن زيد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انى ألقى الى كتاب كريم قال هو كتاب سليمن حيث كتب اليها وقوله انه من سليمن وانه بسم الله الرحمن الرحيم كسرت ان الاولى والثانية

القصة الثالثة قصة بلقيس وما جرى بينها وبين سليمن وذلك بدلالة الهدهد يروى أن سليمن حين تم له بناء بيت المقدس تجهز للحج مع جنوده فأتى الحرم ومكث به أياما يقرب كل يوم خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا أعجبته بهجتها الا أنهم لم يجدوا الماء فطلب الهدهد لانه يرى الماء من تحت الارض وعن وهب أنه أخل بالنوبة التى كانت تنوبه فلذلك تفقده وقيل انه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمن

فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عفريت الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب على به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فأقسم عليها بالله لتتركنه فتركته وقالت ان نبي الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى قال أو ليأتين بسلطان مبين أى بعذر واضح فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا له فلما دنا منه أخذ سليمان برأسه فمده اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك (٩٦) بين يدى الله عز وجل فارتعد سليمان وعفا عنه ثم سأله عما لقى فى غيبته وفى تفقد الهدهد اشارة الى أن الملوك يجب عليهم التيقظ وعدم الغفلة عن أصغر رعيتهم وأرجع الى التفسير قوله (مالى لا أرى) استبعاد منه أنه لا يراه وهو حاضر فى الجند كأن سائرا ستره ثم لاح له أنه غائب فقال (أم كان من الغائبين) وقد مر فى الوقوف قوله (لاعذبنه) لاشك أن تعذيبه انما يكون بما يحتمله حاله فقيل أراد أن ينتف ريشه ويشمسه وكان هذا عذابه للطير وقيل كان يطلى بالقطران ويشمس وقيل هو أن يلقيه للنمل لتأكله وقيل ايداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين الفه وقيل أراد لأزمنه صحبة الاضداد كما قيل اضيق السجون مجالسة الاضداد وقيل لأزمنه خدمة أقرانه ولعل تعذيب الهدهد وذبحه فى عصره جائز لمصلحة السياسة كما أباح لنا ذبح كل ما كول لحمه لمصلحة التغذى وحاصل القسم يرجع الى قوله ليكونن أحد هذه الامور الثلاثة التعذيب أو الذبح أو الاتيان بعذر بين وحجة واضحة ويحتمل أن يكون قد عرف اتيانه بالعذر بطريق الوحى فلذلك أدرجه فى سلك ما هو قادر على فعله فأقسم عليه ثم أخبر الله سبحانه أنه أتى بسلطان مبين وذلك قوله (فمكث غير بعيد) أى غير زمان بعيد (فقال) مخاطبا لسليمان (أحطت بما لم تحط به) قالوا فيه ابطال قول من زعم ان امام الزمان لا يخفى عليه شئ ولا يكون فى زمانه أحد أعلم منه وفيه دليل على شرف العلم وأن صاحبه له أن يكافح به من هو أعلى حالا منه والاحاطة بالشئ علما هو أن يعلمه من جميع جهاته وقوله (من سبإ بنبإ) من جملة صانع البديع على أن النبأ خبر له شأن فذكره فى هذا الموضع دون أن يقول من سبإ بخبر حسن على حسن وسبإ اسم للقبيلة فلا ينصرف أو اسم للحى أو الاب الاكبر فينصرف وهو سبإ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ثم سميت مدينة مأرب بسبإ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ويحتمل

على الرد على انى من قوله انى ألقى الى كتاب كريم ومعنى الكلام قالت يا أيها الملاء انى ألقى الى كتاب وانه من سليمان وقوله أن لا تعلوا على وأتونى مسلمين يقول ألقى الى كتاب كريم ألا تعلوا على تفسل وجهان من العربية ان جعلت بدلا من الكتاب كانت رفعا بما رفع به الكتاب وبدلا منه وان جعل معنى الكلام انى ألقى الى كتاب كريم أن لا تعلوا على كانت نصبا بتعلق الكتاب بها ومعنى قوله ألا تعلوا على أن لا تتكبروا ولا تتعاظموا اعمادعوتكم اليه كما حدثنى يونس قال اخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ألا تعلوا على أن لا تمتنعوا من الذى دعوتكم اليه ان امتنعتم جاهدتكم قلت لابن زيد أن لا تعلوا على أن لا تتكبروا على قال نعم قال وقال ابن زيد أن لا تعلوا على وأتونى مسلمين ذلك فى كتاب سليمن اليها وقوله وأتونى مسلمين يقول وأقبلوا الى مذعنين لله بالوحدانية والطاعة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالت يا أيها الملا أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين﴾ يقول تعالى ذكره قالت ملكة سبا لأشراف قومها يا أيها الملا أفتونى فى أمرى تقول أشيروا على فى أمرى الذى قد حضرنى من أمر صاحب هذا الكتاب الذى ألقى الى فجعلت المشورة فتيا وقوله ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون تقول ما كنت قاضية أمرا فى ذلك حتى تشهدون فتشاوروكم فيه كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد دعت قومها تشاورهم أيها الملاء أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون يقال فى الكلام ما كنت لأقطع أمرا دونك ولا كنت لأقضى أمرا فلذلك قالت ما كنت قاطعة أمرا بمعنى قاضية وقوله قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد يقول تعالى ذكره قال الملأ من قوم ملكة سبأ اذ شاورتهم فى أمرها وأمر سليمن نحن ذوو القوة على القتال والبأس الشديد فى الحرب والأمر أيتها الملكة اليك فى القتال وفى تركه فانظرى من الرأى ما ترين فمرينا نأتمر لأمرك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد عرضوا لها القتال يقاتلون لها والامر اليك بعد هذا فانظرى ماذا تأمرين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن مجاهد قال كان مع ملكة سبا اثنا عشر ألف قيول مع كل قيول مائة ألف حدثنا عمرو بن على قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن مجاهد عن ابن عباس قال كان مع بلقيس مائة ألف قيل مع كل قيل مائة ألف * قال ثنا وكيع قال ثنا الاعمش قال سمعت مجاهدا يقول كان تحت يد ملكة سبا اثنا عشر ألف قيول والقيول بلسانهم الملك تحت يد كل ملك مائة ألف مقاتل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون﴾ يقول تعالى ذكره قالت صاحبة سبا للملأ من قومها اذ عرضوا عليها أنفسهم لقتال سليمن ان أمرتهم بذلك ان الملوك اذا دخلوا قرية عنوة وغلبة أفسدوها يقول خربوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وذلك باستعبادهم الاحرار واسترقاقهم اياهم

وتناهى

وتناهى الخبر منها عن الملوك فى هذا الموضع فقال الله وكذلك يفعلون يقول تعالى ذكره وكما قالت صاحبة سبا تفعل الملوك اذا دخلوا قرية عنوة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر فى قوله وجعلوا أعزة أهلها أذلة قال أبو بكر هذا عنوة حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا أبو بكر قال ثنا الاعمش عن مسلم عن ابن عباس فى قوله ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها قال اذا دخلوها عنوة خربوها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة قال ابن عباس يقول الله وكذلك يفعلون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمن قال أتمدوننى بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ﴾ ذكر أنها قالت انى مرسلة الى سليمن لتختبره بذلك وتعرفه به أملك هو أم نبى وقالت ان يكن نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا الا أن نتبعه على دينه وان يكن ملكا قبل الهدية وانصرف ذكر الرواية عمن قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قالت وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون قال وبعثت اليه بوصائف ووصفاء وألبستهم لباسا واحدا حتى لا يعرف ذكر من أنثى فقالت ان زيل بينهم حتى يعرف الذكر من الانثى ثم رد الهدية فانه نبى وينبغى لنا أن نترك ملكنا ونتبع دينه ونلحق به حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وانى مرسلة اليهم بهدية قال بجوار لباسهم لباس الغلمان وغلمان لباسهم لباس الجوارى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قلت له وانى مرسلة اليهم بهدية قال مائتى غلام ومائتى جارية قال ابن جريج قال مجاهد قوله بهدية قال جوار ألبستهن لباس الغلمان وغلمان ألبستهم لباس الجوارى قال ابن جريج قال قالت فان خلص الجوارى من الغلمان ورد الهدية فانه نبى وينبغى لنا أن نتبعه قال ابن جريج قال مجاهد فخلص سليمن بعضهم من بعض ولم يقبل هديتها * قال ثنا الحسين قال ثنا سفيان عن معمر عن ثابت البنانى قال أهدت له صفائح الذهب فى أوعية الديباج فلما بلغ ذلك سليمن أمر الجن فموهوا له الآجر بالذهب ثم أمر به فألقى فى الطرق فلما جاؤا فرأوه ملقى ما يلتفت اليه صغر فى أعينهم ما جاؤا به حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها الآية وقالت ان هذا الرجل ان كان انما همته الدنيا فسنرضيه وان كان انما يريد الدين فلن يقبل غيره وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال كانت بلقيس امرأة لبيبة أديبة فى بيت ملك لم تملك الا لبقايا من مضى من أهلها انه قد سيست وساست حتى أحكمها ذلك وكان دينها ودين قومها فيما ذكر الزندقية فلما قرأت الكتاب سمعت كما بلغنى من كتب الملوك التى كانت قبلها فبعثت الى المقاولة من أهل اليمن فقالت لهم يا أيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم انه من سليمن وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على وأتونى مسلمين الى قوله بم يرجع المرسلون ثم قالت انه قد جاءنى كتاب لم يأتنى مثله من ملك من الملوك قبله فان يكن

يعود الى سبا ان أريد به القوم والى الاهل المحذوف ان أريد به المدينة (وأوتيت من كل شئ) أى بعض كل ما يتعلق بالدنيا من الاسباب (ولها عرش عظيم) كأنه استعظم لها ذلك مع صغر حالها الى حال سليمن أو استعظمه فى نفسه لانه لم يكن لسليمن مثله مع علو شأنه وقد يتفق لبعض الامراء شئ لا يكون مثله لمن فوقه فى الملك وقد يطلع بعض الاصاغر على مسئلة لم يطلع عليها أحد كما اطلع الهدهد على حال بلقيس دون سليمن ووصف عرش الله بالعظم انما هو بالاضافة الى سائر ما خلق من السموات والارض يحكى من عظم شأنه أنه كان مكعبا ثلاثين فى ثلاثين أو ثمانين وكان من ذهب وفضة مكللا بأنواع الجواهر وكذا قوائمه وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق قال بعض المعتزلة فى قوله (وزين لهم الشيطان أعمالهم) دليل على أن المزين للكفر والمعاصى هو الشيطان وأجيب بأن قول الهدهد لا يصلح للحجة والتحقيق فيه قدمر ولا يبعد أن يلهم الله الهدهد وجوب معرفته والانكار على من يعبد غيره خصوصا فى زمن سليمن عليه السلام قوله (الا يسجدوا) من قرأ بالتشديد على أن الجار محذوف فان كان متعلقا بالصد فالتقدير صدهم لأن لا يسجدوا وان كان متعلقا بلا يهتدون فلا مزيدة أى لا يهتدون الى أن يسجدوا ومن قرأ بالتخفيف فقوله ألا حرف تنبيه وبا حرف النداء والمنادى محذوف والتقدير ألا يا قوم اسجدوا كقوله

ألا يا اسلمى يا دار مى على البلى * ولا زال منهلا بجرعائك القطر

قال الزجاج السجدة فى الآية على قراءة التخفيف دون التشديد والحق عدم الفرق لان الذم على الترك كالامر بالسجود فى الاقتضاء والخبء مصدر بمعنى المخبوء وهو النبات والمطر وغيرهما مما خبأه الله عز وجل من غيوبه ومن جملة ذلك اطلاع الكواكب من أفق الشرق بعد اختفائها فى أفق الغرب ومنها الاقضية والاحكام والوحى والالهام ومنها انزال الملك وكل أثر علوى وفى تخصيص وصف الله تعالى فى هذا المقام باخراج الخبء اشارة الى ما عهده الهدهد من قدرة الله تعالى فى اخراج الماء من الارض ألهمه هذا التخصيص كما ألهمه تلك المعرفة ولما انجر كلام الهدهد الى هذه الغاية (قال) سليمن (سننظر) أى نتأمل فى صفحات حالك (اصدقت أم كنت من الكاذبين) وهذا أبلغ من أن لو قال له كذبت لانه اذا كان معروفا بالكذب كان متهما فى كل ما أخبر به ثم ذكر كيفية النظر فى أمره فقال (اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم) لم يقل اليها لانه كان قد قال وجدتها وقومها فكأن سليمن قال فألقه الى الذين هذا دينهم اهتماما فيه بأمر الدين ولمثل هذا قال فى الكتاب ألا تعلوا على وأتونى مسلمين ومعنى (ثم تول عنهم) تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه تسمع ما يقولون، (يرجعون) من رجع القول كقوله يرجع بعضهم الى بعض القول يروى أنها كانت اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على حجرها وهى مستلقية نائمة وقيل نفرها فانتبهت فزعة وقيل أتاها والجنود حواليها من فوق والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فألقى الكتاب فى حجرها وقيل كان فى البيت كوة تقع الشمس فيها كل يوم فاذا نظرت اليها سجدت فجاء الهدهد فسد تلك الكوة بجناحيه فلما رأت ذلك قامت اليه فألقى الكتاب اليها وههنا اضمار أى فذهب فألقى ثم توارى ثم كأن سائلا سأل فماذا قالت بلقيس فقيل (قالت

الرجل نبيا مرسلا فلا طاقة لنا به ولا قوة وان يكن الرجل ملكا يكاثر فليس بأعز منا ولا أعد فهيأت هدايا مما يهدى للملوك مما يفتتنون به فقالت ان يكن ملكا فسيقبل الهدية ويرغب فى المال وان يكن نبيا فليس له فى الدنيا حاجة وليس اياها يريد انما يريد أن ندخل معه فى دينه ونتبعه على أمره أو كما قالت حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وانى مرسلة اليهم بهدية بعثت بوصائف ووصفاء لباسهم لباس واحد فقالت ان زيل بينهم حتى يعرف الذكر من الانثى ثم ردّ الهدية فهو نبى وينبغى لنا أن نتبعه وندخل فى دينه فزيل سليمن بين الغلمان والجوارى وردّ الهدية فقال أتمدوننى بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد كان فى الهدايا التى بعثت بها وصائف ووصفاء يختلفون فى ثيابهم ليميز الغلمان من الجوارى قال فدعا بما صنع فجعل الجوارى يتوضأن من المرفق الى أسفل وجعل الغلمان يتوضؤن من المرفق الى فوق قال وكان أبى يحدثنا هذا الحديث حدثنا عبد الأعلى قال ثنا مروان بن معاوية قال ثنا اسمعيل عن أبى صالح وانى مرسلة اليهم بهدية قال أرسلت بلبنة من ذهب وقالت ان كان يريد الدنيا علمته وان كان يريد الآخرة علمته وقوله فناظرة بم يرجع المرسلون تقول فأنظر بأى شئ من خبره وفعله فى هديتى التى أرسلها اليه ترجع رسلى أبقبول وانصراف عنا أم بردّ الهدية والثبات على مطالبتنا باتباعه على دينه وأسقطت الالف من ما فى قوله بم وأصله بما لان العرب اذا كانت ما بمعنى أى تم وصلوها بحرف خافض أسقطوا ألفها تفريقا بين الاستفهام وغيره كما قال جل ثناؤه عم يتساءلون وقالوا فيم كنتم وربما أثبتوا فيها الالف كما قال الشاعر

على ما قام يشتمنا لئيم * كخنزير تمرغ فى رماد

وقالت وانى مرسلة اليهم وانما أرسلت الى سليمن وحده على النحو الذى بينا فى قوله على خوف من فرعون وملائهم وقوله فلما جاء سليمن قال أتمدوننى بمال ان قال قائل وكيف قيل فلما جاء سليمن بجعل الخبر فى مجئ سليمن عن واحد وقد قال قبل ذلك فناظرة بم يرجع المرسلون فان كان الرسول كان واحدا فكيف قيل بم يرجع المرسلون وان كانوا جماعة فكيف قيل فلما جاء سليمن قيل هذا نظير ما قد بينا قبل من اظهار العرب الخبر فى أمر كان من واحد على وجه الخبر عن جماعة اذا لم يقصد قصد الخبر عن شخص واحد بعينه يشار اليه بعينه فسمى فى الخبر وقد قيل ان الرسول الذى وجهته ملكة سبا الى سليمن كان امرأ واحدا فلذلك قال فلما جاء سليمن يراد به فلما جاء الرسول سليمن واستدل قائلو ذلك على صحة ما قالوا من ذلك بقول سليمن للرسول ارجع اليهم وقد ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله فلما جاؤا سليمن على الجمع وذلك للفظ قوله بم يرجع المرسلون فصلح الجمع للفظ والتوحيد للمعنى وقوله قال أتمدوننى بمال يقول قال سليمن لما جاء الرسول من قبل المرأة بهداياها أتمدوننى بمال * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه بعض قراء أهل المدينة أتمدوننى بنونين واثبات الياء وقرأه بعض الكوفيين مثل ذلك غير أنه حذف الياء من آخر ذلك وكسر النون الاخيرة وقرأه بعض قراء البصرة بنونين واثبات الياء فى الوصل وحذفها فى الوقف وقرأه بعض قراء الكوفة بتشديد النون واثبات الياء وكل هذه القراآت متقاربات وجميعها صواب لانها

يا أيها الملا انى ألقى الىّ كتاب كريم) مصدر بالتسمية أوحسن مضمونه أوهو من عند ملك كريم أوهو مختوم يروى أنه طبع الكتاب المسك وختمه بخاتمه وقال صلى الله عليه وسلم كرم الكتاب ختمه وعن ابن المقفع من كتب الى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به ثم ان سائلا سأله قال لها ممن الكتاب وماهو فقالت (انه من سليمان وانه) كيت وكيت * سؤال لم قدم سليمان اسمه على اسم الله والجواب أنها لما وجدت الكتاب على وسادتها ولم يكن لأحد اليها طريق ورأت الهدهد علمت أنه من سليمان وحين فتحت الكتاب رأت التسمية ولذلك قالت ماقالت أولعل سليمان كتب على عنوان الكتاب انه من سليمان فقرأت عنوانه أولا ثم أخبرت بما فى الكتاب أولعل سليمان قصد بذلك أنها لو شتمت لاجل كفرها حصل الشتم لسليمان لانه تعالى وأن فى (أن لا تعلوا) مفسرة لما ألقى اليها أى لا تتكبروا كما تفعل الملوك يروى أن نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا على وأتونى مسلمين وكان كتب الانبياء عليهم السلام جملا وأنه مع وجازته مشتمل على تمام المقصود لان قوله بسم الله الرحمن الرحيم مشتمل على اثبات الصانع وصفاته والباقى نهى عن الترفع والتكبر وأمر بالانقياد للتكاليف كل ذلك بعد اظهار المعجز برسالة الهدهد قوله (قالت يا أيها الملا) استئناف آخر وهكذا الى تمام القصة ومعنى (أفتونى) أشيروا على بما يحدث لكم من الرأى والفتوى الجواب فى الحادثة وأصلها من الفتاء فى السن وقطع الأمر فصله والقضاء فيه أرادت بذلك استعطافهم وتطييب نفوسهم واستطلاع آرائهم فأجابوا بأنهم أصحاب القوى الجسدانية والخارجية وهم النجدة والبلاء فى الحرب ومع ذلك فوضوا الأمر اليها فما أحسن هذا الأدب ويحتمل أن يراد نحن من أبناء الحرب لا من

لانها معروفة فى لغات العرب مشهورة فى منطقها وقوله فما آتانى الله خير مما آتاكم يقول فما آتانى الله من المال والدنيا أكثر مما أعطاكم منها وأفضل بل أنتم بهديتكم تفرحون يقول ما أفرح بهديتكم التى أهديتم الىّ بل أنتم تفرحون بالهدية التى تهدى اليكم لانكم أهل مفاخرة بالدنيا ومكاثرة بها وليست الدنيا وأموالها من حاجتى لان الله تعالى ذكره قد مكننى منها وملكنى فيها مالم يملك أحدا ارجع اليهم وهذا قول سليمان لرسول المرأة ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها لا طاقة لهم بها ولا قدرة لهم على دفعهم عما أرادوا منهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال لما أتت الهدايا سليمان فيها الوصائف والوصفاء والخيل العراب وأصناف من أصناف الدنيا قال للرسل الذين جاؤا به أتمدوننى بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون لانه لا حاجة لى بهديتكم وليس رأيى فيه كرأيكم فارجعوا اليها بما جئتم به من عندها فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان بن معاوية عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح فى قوله فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها قال لا طاقة لهم بها وقوله ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون يقول ولنخرجن من أرسلكم من أرضهم أذلة وهم صاغرون ان لم يأتونى مسلمين وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون أو لتأتينى مسلمة هى وقومها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم﴾ اختلف أهل العلم فى الحين الذى قال فيه سليمان يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها فقال بعضهم قال ذلك حين أتاه الهدهد بنبأ صاحبة سبأ وقال له جئتك من سبأ بنبأ يقين وأخبره أن لها عرشا عظيما فقال له سليمان صلى الله عليه وسلم سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين فكان اختباره صدقه من كذبه بأن قال لهؤلاء أيكم يأتينى بعرش هذه المرأة قبل أن يأتونى مسلمين وقالوا انما كتب سليمان الكتاب مع الهدهد الى المرأة بعد ما صح عنده صدق الهدهد بمجىء العالم بعرشها اليه على ماوصفه به الهدهد قالوا ولولا ذلك كان محالا أن يكتب معه كتابا الى من لا يدرى هل هو فى الدنيا أم لا قالوا وأخرى أنه لو كان كتب مع الهدهد كتابا الى المرأة قبل مجىء عرشها اليه وقبل علمه صدق الهدهد بذلك لم يكن لقوله له سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين معنى لانه لا يعلم بخبره الثانى من ابلاغه اياها الكتاب أو ترك ابلاغه اياها ذلك الا نحو الذى علم بخبره الاول حين قال له جئتك من سبأ بنبأ يقين قالوا واذ لم يكن فى الكتاب معه امتحان صدقه من كذبه وكان محالا أن يقول نبى الله قولا لا معنى له وقد قال له سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين علم أن الذى امتحن به صدق الهدهد من كذبه هو مصير عرش المرأة اليه على ما أخبره به الهدهد الشاهد على صدقه ثم كان الكتاب معه بعد ذلك اليها ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى

أرباب الرأى والمشورة وانما الرأى اليك وحيث كان يلوح من وصفهم أنفسهم بالشجاعة والعلم بأمور الحرب أنهم مائلون الى المحاربة أرادت أن تنبههم الى الأمر الأصوب وهو الميل الى الصلح فلذلك (قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها)

وذلك اذا أرادوا قهرها والتسلط عليها ابتداء والا فالافساد غير لازم بل لعل الاصلاح ألزم اذا سلكت سبيل العدل والانصاف فليس للظامة فى الآية حجة ومفعول (مرسلة) محذوف أى مرسلة رسلا مع هدية وهى اسم المهدى كالعطية اسم المعطى وانما رأت الاهداء أولا لان الهدية سبب استمالة القلوب قال صلى الله عليه وسلم تهادوا تحابوا قال فى الكشاف روى أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجوارى وحليهن الاساور والاطواق والقرطة راكبى خيل مغشاة بالديباج مرصعة اللجم والسروج بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك فى زى الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من أشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا رأى وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجوارى وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك فى الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وان رأيته بشا لطيفا فهو نبى فأقبل الهدهد فأخبر سليمن فأمر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه فى ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وأمر بأحسن الدواب فى البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان وعن يساره على اللبنات وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا عن اليمين وعن اليسار ثم قعد على سريره والكراسى من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس كذلك والوحش والطير كذلك فلما

أبى عن أبيه عن ابن عباس قال ان سليمن أوتى ملكا وكان لا يعلم أن أحدا أوتى ملكا غيره فلما فقد الهدهد سأله من أين جئت ووعده وعيدا شديدا بالقتل والعذاب قال جئتك من سبا بيقين قال له سليمن ماهذا النبأ قال الهدهد انى وجدت امرأة يسبأ تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم فلما أخبر الهدهد سليمن أنه وجد سلطانا أنكر أن يكون لاحد فى الارض سلطان غيره فقال لمن عنده من الجن والانس يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين قال سليمن أريد أعجل من ذلك قال الذى عنده علم من الكتاب وهو رجل من الانس عنده علم من الكتاب فيه اسم الله الاكبر الذى اذا دعى به أجاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فدعا بالاسم وهو عنده قائم فاحتمل العرش احتمالا حتى وضع بين يدى سليمن والله صنع ذلك فلما أتى سليمن بالعرش وهم مشركون يسجدون للشمس والقمر أخبره الهدهد بذلك فكتب معه كتابا ثم بعثه اليهم حتى اذا جاء الهدهد الملكة ألقى اليها الكتاب قالت يا أيها الملأ انى ألقى الىّ كتاب كريم الى وأتونى مسلمين فقالت لقومها ما قالت وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون قال وبعثت اليه بوصائف ووصفاء وألبستهم لباسا واحدا حتى لا يعرف ذكر من أنثى فقالت ان زال بينهم حتى يعرف الذكر من الانثى ثم رد الهدية فانه نبى وينبغى لنا أن نترك ملكا ونتبع دينه ونلحق به فرد سليمن الهدية وزال بينهم فقال هؤلاء غلمان وهؤلاء جوار وقال أتمدوننى بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون الى آخر الآية حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله انى وجدت امرأة تملكهم الآية قال وأنكر سليمان أن يكون لاحد على الارض سلطان غيره قال لمن حوله من الجن والانس أيكم يأتينى بعرشها الآية * وقال آخرون بل انما اختبر صدق الهدهد سليمن بالكتاب وانما سأل من عنده احضاره عرش المرأة بعد ما خرجت رسلها من عنده وبعد أن أقبلت المرأة اليه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال لما رجعت اليها الرسل بما قال سليمن قالت قد والله عرفت ما هذا بملك وما لنا به طاقة وما نصنع بمكاثرته شيأ وبعثت انى قادمة عليك بملوك قومى حتى أنظر ما أمرك وما تدعو اليه من دينك ثم أمرت بسرير ملكها الذى كانت تجلس عليه وكان من ذهب مفصص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ فجعل فى سبعة أبيات بعضها فى بعض ثم أقفلت عليه الابواب وكانت انما يخدمها النساء معها سبعمائة امرأة يخدمنها ثم قالت لمن خلفت على سلطانها احتفظ بما قبلك وبسرير ملكى فلا يخلص اليه أحد من عباد الله ولا يرينه أحدا حتى آتيك ثم شخصت الى سليمن فى اثنى عشر ألف قيل معها من ملوك اليمن تحت يد كل قيل منهم ألوف كثيرة فجعل سليمن يبعث الجن فيأتونه بمسيرها ومنتهاها كل يوم وليلة حتى اذا دنت جمع من عنده من الجن والانس ممن تحت يده فقال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين وتأويل الكلام قال سليمن لأشراف من حضره من جنده من الجن والانس يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها يعنى سريرها كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أيكم يأتينى بعرشها

قال

دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب على اللبنات فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا بما معهم وملأوفنوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال مورا كم وقال أبن الحق وأخبرهم بما فيه ثم أمر الارضة فأخذت شعرة ونفذت فى الدرة بفعل رزقها

قال سرير فى أريكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال عرشها سرير فى أريكة قال ابن جريج سرير من ذهب قوائمه من جوهر ولؤلؤ حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه أيكم يأتينى بعرشها بسريرها * وقال ابن زيد فى ذلك ما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أيكم يأتينى بعرشها قال مجلسها * واختلف أهل العلم فى السبب الذى من أجله خص سليمن مسألة الملا من جنده احضار عرش هذه المرأة من بين أملاكها قبل اسلامها فقال بعضهم انما فعل ذلك لانه أعجبه حين وصف له الهدهد صفته وخشى أن تسلم فيحرم عليه ماله فأراد أن يأخذ سريرها ذلك قبل أن يحرم عليه أخذه باسلامها ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبوسفيان عن معمر عن قتادة قال أخبر سليمن الهدهد أنها قد خرجت لتأتيه وأخبر بعرشها فأعجبه كان من ذهب وقوائمه من جوهر مكلل باللؤلؤ فعرف أنهم ان جاؤه مسلمين لم تحل له أموالهم فقال فلجن أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين * وقال آخرون بل فعل ذلك سليمن ليعاتبها به ويختبر به عقلها هل تنبته اذا رأته أم تنكره ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أعلم الله سليمن أنها ستأتيه فقال أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين حتى يعاتبها وكانت الملوك يتعاتبون بالعلم * واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله قبل أن يأتونى مسلمين فقال بعضهم معناه قبل أن يأتونى مستسلمين طوعا ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبوصالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله قبل أن يأتونى مسلمين يقول طائعين * وقال آخرون بل معنى ذلك قبل أن يأتونى مسلمين الاسلام الذى هو دين الله ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين بحرمة الاسلام فيمنعهم وأموالهم يعنى الاسلام يمنعهم * قال أبوجعفر وأولى الاقوال بالصواب فى السبب الذى من أجله خص سليمن بسؤاله الملأ من جنده باحضاره عرش هذه المرأة دون سائر ملكها عندنا ليجعل ذلك حجة عليها فى نبوته ويعرفها بذلك قدرة الله وعظيم شأنه انها خلقته فى بيت فى جوف أبيات بعضها فى جوف بعض مغلق مقفل عليها فأخرجه الله من ذلك كله بغير فتح أغلاق وأقفال حتى أوصله الى وليه من خلقه وسلمه اليه فكان لها فى ذلك أعظم حجة على حقيقة ما دعاها اليه سليمن وعلى صدق سليمن فيما أعلمها من نبوته فأما الذى هو أولى التأويلين فى قوله قبل أن يأتونى مسلمين بتأويله فقول ابن عباس الذى ذكرناه قبل من أن معناه طائعين لان المرأة لم تأت سليمن اذ أتته مسلمة وانما أسلمت بعد مقدمها عليه وبعد محاورة جرت بينهما ومساءلة وقوله قال عفريت من الجن يقول تعالى ذكره قال رئيس من الجن مارد قوى وللعرب فيه لغتان عفريت وعفرية فمن قال عفرية جمعه عفارى ومن قال عفريت جمعه عفاريت * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد قال عفريت من الجن قال مارد من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبوسفيان عن معمر عن قتادة وغيره مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبوسفيان عن معمر عن بعض أصحابه قال عفريت قال داهية * قال ثنى

فى الشجر وأخذت دودة بيضاء الخيط فأدخلته فى الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله فى الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وذلك قوله على سبيل الانكار (أتمدوننى بمال) ثم قال على سبيل الاعلام وتعليل الانكار (فما آتانى الله) من الكمالات والقربات والدرجات (خير مما آتاكم) ثم أضرب عن ذلك الى بيان السبب الذى حملهم عليه وهو أنهم لا يعرفون الفرح الا فى أن يهدى اليهم حظ من الدنيا فعلى هذا تكون الهدية مضافة الى المهدى اليه والمعنى (بل أنتم بهديتكم) هذه التى أهديتموها (تفرحون) فرح افتخار على الملوك ويحتمل أن يكون الكلام عبارة عن الرد كأنه قال بل أنتم من حقكم ان تأخذوا هديتكم وتفرحوا بها ثم قال للرسول أو للهدهد معه كتاب آخر (ارجع اليهم) ومعنى (لا قبل) لا طاقة ولا مقابلة والذل أن يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك والصغار أن يقعوا مع ذلك فى أسر واستعباد يروى أنه لما رجعت اليها الرسل عرفت أن سليمن نبى وليس لهم به طاقة فشخصت اليه فى اثنى عشر ألف قيل مع كل قيل ألوف وأمرت عند خروجها أن يجعل عرشها فى آخر سبعة أبيات فى آخر قصر من قصور سبعة وغلقت الابواب ووكلت به حرسا فلعل سليمن أوحى اليه ذلك فأراد أن يريها بعض ما خصه الله به من المعجزات فلذلك (قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها) وعن قتادة أراد أن يأخذه قبل أن تسلم لعلمه أنها اذا أسلمت لم يحل له أخذ مالها وقيل أراد بذلك اختبار عقلها كما يجىء وقيل أراد أن يعرف تجملها ومقدار مملكتها قبل وصولها اليه والعفريت من الرجال الخبيث المنكر الذى

يغفر أقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد ووزنه فعليت قالوا كان اسمه ذكوان وآتيك به في الموضعين يجوز أن يكون فعلا مضارعا وأن يكون اسم فاعل ومعنى (أن تقوم من مقامك) اما على ظاهره وهو أن يقوم فيقعد واما أن يكون المقام هو المجلس ولابد فيه من عادة معلومة حتى يصح أن يؤقت به وعلى هذا قيل المراد مجلس الحكم وقيل مقدار فراغه من الخطبة وقيل الى انتصاف النهار (وانى عليه) أى على حمله (لقوى أمين) آتى به على حاله لا أتصرف فيه بشئ واختلفوا فى الذى عنده علم من الكتاب فقيل هو الخضر عليه السلام وقيل جبرائيل وقيل ملك ايده الله به سليمن وقيل آصف بن برخيا وزيره أو كاتبه وقيل هو سليمن نفسه استبطأ العفريت فقال له أنا أريك ما هو أسرع مما تقول وقد يرجح هذا القول بوجوه منها أن الشخص المشار اليه بالذى يجب أن يكون معلوما للمخاطب وليس سوى سليمن ولو سلم أن آصف أيضا كان كذلك فسليمن اولى باحضار العرش فى تلك اللجة والالزم تفضيل آصف عليه من هذا الوجه ومنها قول سليمن (هذا من فضل ربى) ويمكن أن يقال الضمير راجع الى استقرار العرش عنده ولو سلم رجوعه الى الاتيان بالعرش فلا يخفى أن كمال حال التابع والخادم من جملة كمالات المتبوع والمخدوم ولا يلزم من أن يأمر الانسان غيره بشئ أن يكون الآمر عاجزا عن الاتيان بذلك الشئ واختلفوا ايضا فى الكتاب فقيل هو اللوح وقيل الكتاب المنزل الذى فيه الوحى والشرائع وقيل كتاب سليمن أو كتاب بعض الانبياء وماذا لك العلم قيل نوع من العلم لا يعرف الآن والاكثرون على أنه العلم باسم الله الاعظم وقدمر فى تفسير البسملة كثير مما قيل فيه ومما وقفت عليه بعد ذلك أن غالب بن قطان مكث عشرين سنة يسأل الله الاسم الاعظم الذى اذا دعى به أجاب

حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى وهب بن سليمن عن شعيب الجبائى قال العفريت الذى ذكره الله اسمه كوزن حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم قال عفريت اسمه كوزن وقوله أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك يقول أنا آتيك بعرشها قبل أن تقوم من مقعدك هذا وكان فيما ذكر قاعدا للقضاء بين الناس فقال أنا آتيك به قبل أن تقوم من مجلسك هذا الذى جلست فيه للحكم بين الناس وذكر أنه كان يقعد الى انتصاف النهار * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة وغيره مثله قال وكان يقضى قال قبل أن تقوم من مجلسك الذى تقضى فيه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك يعنى مجلسه وقوله وانى عليه لقوى أمين على ما فيه من الجواهر ولا أخون فيه وقد قيل أمين على فرج المرأة ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله وانى عليه لقوى أمين يقول قوى على حمله أمين على فرج هذه قوله قال الذى عنده علم من الكتاب يقول جل ثناؤه قال الذى عنده علم من كتاب الله وكان رجلا فيما ذكر من بنى آدم فقال بعضهم اسمه بليخا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصمة قال ثنا شعبة عن بشر عن قتادة فى قوله قال الذى عنده علم من الكتاب قال كان اسمه بليخا حدثنا يحيى بن داود الواسطى قال ثنا أبو أسامة عن اسمعيل عن أبى صالح فى قوله الذى عنده علم من الكتاب رجل من الانس حدثنا ابن عرفة قال ثنا مروان بن معاوية الفزارى عن العلاء بن عبد الكريم عن مجاهد فى قول الله قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قال أنا أنظر فى كتاب ربى ثم آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك قال فتكلم ذلك العالم بكلام دخل العرش تحت الارض حتى خرج اليهم حدثنا ابن عرفة قال ثنى حماد بن محمد عن عثمان بن مطر عن الزهرى قال دعا الذى عنده علم من الكتاب يا الهنا واله كل شئ الها واحدا لا اله الا أنت ائتنى بعرشها قال فمثل بين يديه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال الذى عنده علم من الكتاب قال رجل من بنى آدم أحسبه قال من بنى اسرائيل كان يعلم اسم الله الذى اذا دعى به أجاب حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الذى عنده علم من الكتاب قال الاسم الذى اذا دعى به أجاب وهو ياذا الجلال والاكرام حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول قال سليمن لمن حوله أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين قال عفريت أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك قال سليمن أريد أعجل من ذلك فقال رجل من الانس عنده علم من الكتاب يعنى اسم الله الذى اذا دعى به أجاب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين لا آتيك بغيره أقول غيره أمثله لك قال وخرج يومئذ رجل عابد فى جزيرة من البحر فلما

سمع العفريت قال أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك قال ثم دعا باسم من أسماء الله فاذا هو يحمل بين عينيه وقرأ فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى حتى بلغ ان ربى غنى كريم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال رجل من الانس * قال وقال مجاهد الذى عنده علم من الكتاب علم اسم الله * وقال آخرون الذى عنده علم من الكتاب كان آصف ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال عفريت لسليمن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين فزعموا أن سليمن بن داود قال أبتغى أعجل من هذا فقال آصف بن برخيا وكان صديقا يعلم الاسم الاعظم الذى اذا دعى الله به أجاب واذا سئل به أعطى أنا يانبى الله آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك وقوله أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه أنا آتيك به قبل أن يصل اليك من كان منك على مد البصر ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى ابراهيم قال ثنا اسمعيل بن أبى خالد عن سعيد بن جبير قبل أن يرتد اليك طرفك قال من قبل أن يرجع اليك أقصى من ترى فذلك قوله من قبل أن يرتد اليك طرفك * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر قال قال غير قتادة قبل ان يرتد اليك طرفك قبل أن يأتيك الشخص من مد البصر * وقال آخرون بل معنى ذلك من قبل ان يبلغ طرفك مداه وغايته ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قبل أن يرتد اليك طرفك تمد عينيك فلا ينتهى طرفك الى مداه حتى أمثله بين يديك قال ذلك أريد حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام عن اسمعيل عن سعيد بن جبير قال أخبرت أنه قال ارفع طرفك من حيث يجى فلم يرجع اليه طرفه حتى وضع العرش بين يديه حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن عطاء عن مجاهد فى قوله قبل أن يرتد اليك طرفك قال مد بصره حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قبل أن يرتد اليك طرفك قال اذا مد البصر حتى يرد الطرف خاسئا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قبل أن يرتد اليك طرفك قال اذا مد البصر حتى يحسر الطرف * قال أبو جعفر وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال قبل أن يرجع اليك طرفك من أقصى أثره وذلك أن معنى قوله يرتد اليك يرجع اليك البصر اذا فتحت العين غير راجع بل انما يمتد ماضيا الى أن ينتهى ما امتد نوره فاذا كان ذلك كذلك وكان الله انما أخبرنا عن قائل ذلك أنا آتيك به قبل أن يرتد لم يكن لنا أن نقول انه قال أنا آتيك به قبل أن يرتد راجعا اليك طرفك من عند منتهاه وقوله فلما رآه مستقرا عنده يقول فلما رأى سليمن عرش ملكة سبا مستقرا عنده وفى الكلام متروك استغنى بدلالة ماظهر عما ترك وهو فدعا الله فأتى به فلما رآه سليمن مستقرا عنده وذكر أن العالم دعا الله فغار العرش فى المكان الذى كان به ثم نبع من تحت الارض بين يدى سليمن ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال ذكروا أن آصف بن برخيا توضأ ثم ركع ركعتين ثم قال يانبى الله امدد عينك حتى ينتهى طرفك فمد سليمن عينه ينظر اليه نحو اليمن ودعا آصف فانخرق بالعرش

موضع النظر فاذا فتحت العين توهمت أن نور العين يمتد الى المرئى واذا غمضت توهمت أن ذلك النور قد ارتد فمعنى الآية أنك ترسل طرفك الى شئ فقبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك يروى أن آصف قال له مد عينك حتى ينتهى طرفك فمد عينه فنظر نحو اليمن ودعا آصف فغاص العرش فى مكانه ثم ظهر عند مجلس سليمن بالشام بقدرة الله قبل أن يرتد طرفه ومن استبعد هذا فى قدرة الله فليتأمل فى الحركات السماوية على ما يشهد به علم الهيئة حتى يزول استبعاده وقال مجاهد هو تمثيل لاستقصار مدة الاتيان به كما تقول لصاحبك افعل هذا فى لحظة أو لمحة وحين عرف سليمن نعمة الله فى شأنه وأن ذلك صورة الابتلاء بين أن شكر الشاكر انما يعود الى نفس الشاكر لانه يرتبط به العتيد ويطلب المزيد كما قيل الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة وروى فى الكشاف عن بعضهم أن كفران النعمة بوار وقلما أقشعت نافرة فرجعت فى نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار قوله أقشعت نافرة أى ذهبت فى حال نفارها وراهنها أى ثابتها (ومن كفر فان ربى غنى) عن عبادة كل عابد فضلا عن شكر شاكر (كريم) لايقطع امداد نعمه عنه لعله يتوب ويصلح حاله زعم المفسرون ان الجن كرهوا أن يتزوجها سليمن فتفضى اليه بأسرارهم لانها كانت بنت جنية أو خافوا أن يولد له منها ولد تجمع له فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك سليمن الى ملك هو أشد فقالوا له ان فى عقلها شيأ وهى شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش وذلك قوله (نكروا لها عرشها)

أى اجعلوه متنكرا متغيرا عن هيئته وشكله كما يتنكر الرجل لغيره لئلا يعرفه قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره وأعلاه أسفله وقوله (ننظر) بالجزم جواب للامر وقرئ بالرفع على الاستئناف (أتهتدى) لمعرفة العرش أو للجواب الصائب اذا سئلت عنه أو للدين والايمان بنبوة سليمن اذا رأت تلك الخوارق وقوله (أم تكون من الذين لا يهتدون) أبلغ من أن لو قال أم لا تهتدى كما مر فى قوله أم كنت من الكاذبين (فلما جاءت قيل أهكذا) أى مثل ذا (عرشك) لئلا يكون شبه تلقين فقالت (كأنه هو) ولم تقل هو هو مع أنها عرفته ليكون دليلا على وفور عقلها حيث لم تقطع فى المحتمل وتوقفت فى مقام التوقف أما قوله (واوتينا العلم) فمعطوف على مقدر كأنهم قالوا عند قولها كأنه هو قد أصابت فى جوابها وطابقت المفصل وهى عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام وعاينت قدرة الله وصحة نبوة سليمن بهذه الخوارق (وأوتينا) نحن (العلم) بالله وبقدرته قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام (وصدها) عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس وكونها بين ظهرانى الكفرة والغرض تلقى نعمة الله بالشكر على سابقة الاسلام وقيل هو موصول بكلام بلقيس والمعنى وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمن قبل هذه المعجزة أو الحالة وذلك عند وفدة المنذر ثم قال سبحانه وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه (ما كانت تعبد من دون الله) وقيل الجار محذوف أى وصدها الله او سليمن عما كانت تعبد واختبر ساقها بأن أمر أن يبنى على طريقها قصر من زجاج أبيض فأجرى من تحته الماء وألقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره فى آخر فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس ثم (قيل لها ادخلى الصرح) أى القصر أو صحن الدار (فلما رأته حسبته لجة) أى ماء غامرا (وكشفت عن ساقيها) لتخوض فى الماء فاذا هى أحسن الناس ساقا وقدما الا أنها شعراء فصرف سليمن بصره وناداها

مكانه الذى هو فيه ثم نبع بين يدى سليمن فلما رآه سليمن مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى الآية **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال تبع عرشها من تحت الارض وقوله قال هذا من فضل ربى ليبلونى يقول هذا البصر والتمكن والملك والسلطان الذى أتانيه حتى حمل الى عرش هذه فى قدر ارتداد الطرف من مأرب الى الشام من فضل ربى الذى أفضله على وعطائه الذى جاد به على ليبلونى يقول ليختبرنى ويمتحننى أأشكر ذلك من فعله على أم أكفر نعمته على بترك الشكر له وقد قيل ان معناه أأشكر على عرش هذه المرأة اذ أتيت به أم أكفر اذ رأيت من هو دونى فى الدنيا أعلم منى ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عطاء الخراسانى عن ابن عباس فى قوله فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر على السرير اذ أتيت به أم أكفر اذ رأيت من هو دونى فى الدنيا أعلم منى وقوله ومن شكر فانما يشكر لنفسه يقول ومن شكر نعمة الله عليه وفضله عليه فانما يشكر طلب نفع نفسه لانه ليس ينفع بذلك غير نفسه لانه لا حاجة لله الى أحد من خلقه وانما دعاهم الى شكره تعريضا منه لهم للنفع لا لاجتلاب منه بشكرهم اياه نفعا الى نفسه ولا دفع ضر عنها ومن كفر فان ربى غنى كريم يقول ومن كفر نعمه واحسانه اليه وفضله عليه لنفسه ظلم وحظها بخس والله غنى عن شكره لا حاجة به اليه لا يضره كفر من كفر به من خلقه كريم ومن كرمه افضاله على من يكفر نعمه ويجعلها وصلة يتوصل بها الى معاصيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون﴾ يقول تعالى ذكره قال سليمن لما أتى عرش بلقيس صاحبة سبا وقدمت هى عليه لجنده غيروا لهذه المرأة سريرها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال اهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قوله نكروا لها عرشها قال غيروا **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال لما أتته قال نكروا لها عرشها قال وتنكير العرش أنه زيد فيه ونقص **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله نكروا لها عرشها قال غيروه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله نكروا لها عرشها قال مجلسها الذى تجلس فيه **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله نكروا لها عرشها أمرهم أن يزيدوا فيه وينقصوا منه وقوله ننظر أتهتدى يقول ننظر أتعقل فتثبت عرشها أنه هو الذى لها أم تكون من الذين لا يهتدون يقول من الذين لا يعقلون فلا تثبت عرشها وقيل ان سليمن انما نكر لها عرشها وأمر بالصرح ليعمل لها من أجل أن الشياطين كانوا أخبروه أنه لا عقل لها وأن رجلها كحافر حمار فأراد أن يعرف صحة ما قيل له من ذلك وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون قال زيد فى عرشها ونقص

منه لينظر الى عقلها فوجدت ثابتة العقل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ننظر أتهتدى اتعرفه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنى ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ننظر أتهتدى قال تعرفه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون أى أتعقل أم تكون من الذين لا يعقلون ففعل ذلك لينظر أتعرفه أم لا تعرفه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين﴾ يقول تعالى ذكره لما جاءت صاحبة سبا سليمان أخرج لها عرشها فقال لها أهكذا عرشك فقالت وشبهته به كأنه هو * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال لما انتهت الى سليمن وكلمته أخرج لها عرشها ثم قال أهكذا عرشك قالت كأنه هو حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو قال شبهته وكانت قد تركته خلفها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد كان أبى يحدثنا هذا الحديث كله يعنى حديث سليمن وهذه المرأة فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو شكت وقوله وأوتينا العلم من قبلها يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل سليمن وقال سليمن وأوتينا العلم من قبل هذه المرأة بالله وبقدرته على ما يشاء وكنا مسلمين لله من قبلها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وأوتينا العلم من قبلها قال سليمن يقوله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين﴾ يقول تعالى ذكره ومنع هذه المرأة صاحبة سبا ما كانت تعبد من دون الله وذلك عبادتها الشمس أن تعبد الله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وصدها ما كانت تعبد من دون الله قال كفرها بقضاء الله (٣) غير الوثن أن تهتدى للحق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وصدها ما كانت تعبد من دون الله قال كفرها بقضاء الله صدها أن تهتدى للحق ولو قيل معنى ذلك وصدها سليمن ما كانت تعبد من دون الله بمعنى منعها وحال بينها وبينه كان وجها حسنا ولو قيل أيضا وصدها الله ذلك بتوفيقها للاسلام كان أيضا وجها صحيحا وقوله انها كانت من قوم كافرين يقول ان هذه المرأة كانت كافرة من قوم كافرين وكسرت الالف من قوله انها على الابتداء ومن تأول قوله وصدها ما كانت تعبد من دون الله التأويل الذى تأولنا كانت ما من قوله ما كانت تعبد فى موضع رفع بالصد لان المعنى فيه لم يصدها عن عبادة الله جهلها وأنها لا تعقل انما صدها عن عبادة الله عبادتها الشمس والقمر وكان ذلك من دين قومها وآبائها فاتبعت فيه آثارهم ومن تأوله على الوجهين الآخرين كانت ما فى موضع نصب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمن لله رب العالمين﴾ ذكر أن سليمن لما أقبلت صاحبة سبا تريده

(انه صرح ممرد) أى ملس (من قوارير) هذا عند من يقول تزوجها وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا له همدان وكان يزورها فى الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له قالوا كون ساقها شعرا هو السبب فى اتخاذ النورة أمر به الشياطين فاتخذوها وقال آخرون المقصود من الصرح تهويل المجلس وحصل كشف الساق على سبيل التبع عن ابن عباس لما أسلمت قال لها اختارى من أزوجك فقالت مثلى لا ينكح الرجال مع سلطان فقال النكاح من الاسلام فقالت ان كان كذلك فزوجنى ذا تبع ملك همدان فزوجها اياه ثم ردها الى اليمن ولم يزل بها ملكا (قالت رب انى ظلمت نفسى) أى بالكفر فى الزمن السالف

أمر الشياطين فبنوا له صرحا وهو كهيئة السطح من قوارير وأجرى من تحته الماء ليختبر عقلها بذلك وفهمها على نحو الذى كانت تفعل هى من توجيهها اليه الوصائف والوصفاء ليميز بين الذكور منهم والاناث معاتبة بذلك كذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال أمر سليمن بالصرح وقد عملته له الشياطين من زجاج كأنه الماء بياضا ثم أرسل الماء تحته ثم وضع له فيه سرير مجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والانس ثم قال ادخلى الصرح ليريها ملكا هو أعز من ملكها وسلطانا هو أعظم من سلطانها فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها لانها تشك انه ماء تخوضه قيل لها ادخلى انه صرح ممرد من قوارير فلما وقفت على سليمن دعاها الى عبادة الله وعابها فى عبادتها الشمس دون الله فقالت بقول الزنادقة فوقع سليمن ساجدا اعظاما لما قالت وسجد معه الناس وسقط فى يديها حين رأت سليمن صنع ما صنع فلما رفع سليمن رأسه قال ويحك ماذا قلت قال وأنسوت ما قالت فقالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمن لله رب العالمين وأسلمت فحسن اسلامها وقيل ان سليمن انما أمر ببناء الصرح على ما وصفه الله لان الجن خافت من سليمن أن يتزوجها فأرادوا أن يزهدوه فيها فقالوا ان رجلها رجل حمار وان أمها كانت من الجن فأراد سليمن أن يعلم حقيقة ما أخبرته الجن من ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن أبى معشر عن محمد بن كعب القرظى قال قالت الجن لسليمن تزهده فى بلقيس ان رجلها رجل حمار وان أمها كانت من الجن فأمر سليمن بالصرح فعمل فسجن فيه دواب البحر الحيتان والضفادع فلما بصرت بالصرح قالت ما وجد ابن داود عذابا يقتلنى به الا الغرق فحسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال فاذا أحسن الناس ساقا وقدما قال فغض سليمن بساقها عن الموسى قال فاتخذت النورة بذلك السبب وجائز عندى أن يكون سليمن أمر باتخاذ الصرح للامرين الذى قاله وهب والذى قاله محمد بن كعب القرظى ليختبر عقلها وينظر الى ساقها وقدمها ليعرف صحة ما قيل له فيها وكان مجاهد يقول فيما ذكر عنه فى معنى الصرح ما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الصرح قال بركة من ماء ضرب عليها سليمن قوارير ألبسها قال وكانت بلقيس هلباء شعرا عقدمها كافر الحمار وكانت أمها جنية حدثنى أحمد بن الوليد الرملى قال ثنا هشام بن عمار قال ثنا الوليد بن مسلم عن سعيد بن بشير عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحد أبوى صاحبة سليمن جنيا * قال ثنا صفوان بن صالح قال ثنى الوليد عن سعيد بن بشير عن قتادة عن بشير بن نهيك عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ولم يذكر النضر بن أنس وقوله فلما رأته حسبته لجة يقول فلما رأت المرأة الصرح حسبته لبياضه واضطراب دواب الماء تحته لجة بحر كشفت عن ساقيها لتخوضه الى سليمن * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة قال وكان من قوارير وكان الماء من خلفه فحسبته لجة * قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله حسبته لجة قال بحرا حدثنا عمرو بن على قال ثنا ابن سوار قال ثنا روح بن القاسم عن عطاء بن السائب عن مجاهد فى قوله وكشفت عن ساقيها فاذا هما شعراوان فقال الاشئ يذهب هذا قالوا الموسى قال لا الموسى له أثر فأمر بالنورة فصنعت حدثنى أبو السائب قال ثنا حفص عن عمران بن سليمن عن عكرمة وأبى صالح قالا لما تزوج سليمن بلقيس قالت له لم تمس حديدة

أو بسوء ظنى بسليمن اذ حسبت انه يغرقنى فى الماء وهذا التفسير أنسب بما قبله ولعل فى قولها مع سليمن أى مصاحبة له اشارة الى أن اسلامها تبع لاسلام سليمن وأنها تريد أن تكون معه فى الدارين جميعا والله أعلم ﴿ التأويل ولقد آتينا داود الروح وسليمن القلب علما الدنيا على كثير من عباده وهم الاعضاء والجوارح المستعملة فى العبودية وورث سليمن داود لان كل الهام وفيض يصدر من الحضرة الالهية يكون عبوره على داود الروح الا أنه للطافته لا يحفظها وانما يحفظها القلب لكثافته ولذلك كان سليمن أقضى من داود قوله منطق الطير يعنى الرموز والاشارات التى يحفظها بلسان الحال أرباب

قط قال سليمن للشياطين انظروا مايذهب الشعر قالوا النورة فكان أول من صنع النورة وقوله انه صرح ممرد من قوارير يقول جل ثناؤه قال سليمن لما ان هذا ليس ببحر انه صرح ممرد من قوارير يقول انما هو بناء مبني مشيد من قوارير ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ممرد قال مشيد وقوله قالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمن الآية يقول تعالى ذكره قالت المرأة صاحبة سبا رب انى ظلمت نفسى فى عبادتى الشمس وسجودى لما دونك وأسلمت مع سليمن لله تقول واتقدت مع سليمن مذعنة لله بالتوحيد مفردة له بالالوهة والربوبية دون كل من سواه وكان ابن زيد يقول فى ذلك ماحدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى حسبته لجة قال انه صرح ممرد من قوارير فعرفت أنها قد غلبت قالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمن لله رب العالمين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون﴾ قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله وحده لاشريك له ولاتجعلوا معه الها غيره فاذا هم فريقان يختصمون يقول فلما أتاهم صالح داعيا لهم الى الله صار قومه من ثمود فيما دعاهم اليه فريقين يختصمون ففريق مصدق صالحا مؤمن به وفريق مكذب به كافر بما جاء به ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله فريقان يختصمون قال مؤمن وكافر قوم صالح مرسل وقوم صالح ليس بمرسل و يعنى بقوله يختصمون يختلفون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فاذا هم فريقان يختصمون قال مؤمن وكافر وقوله قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة يقول تعالى ذكره قال صالح لقومه يا قوم لأى شئ تستعجلون بعذاب الله قبل الرحمة كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة قال السيئة العذاب قبل الحسنة قبل الرحمة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قال بالعذاب قبل الحسنة قال العافية وقوله لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون يقول هلا تتوبون الى الله من كفركم فيغفر لكم ربكم عظيم جرمكم يصفح لكم عن عقوبته اياكم على ماقد أتيتم من عظيم الخطيئة وقوله لعلكم ترحمون يقول ليرحمكم ربكم باستغفاركم اياه من كفركم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا اطيرنا بك و بمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون﴾ يقول تعالى ذكره قالت ثمود لرسولها صالح اطيرنا بك و بمن معك أى تشاءمنا بك و بمن معك من أتباعنا وزجرنا الطير بانا سيصيبنا بك و بهم المكاره والمصائب فأجابهم صالح فقال لهم طائركم عند الله أى ماز جرتم من الطير لما يصيبكم من المكاره عند الله علمه لايدرى أى ذلك كائن أما تظنون من المصائب أو المكاره أم ما لاترجونه من العافية والرجاء والمحاب ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله قال طائركم عند الله يقول مصائبكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قوله طائركم عند الله علمكم عند الله وقوله

الاحوال الطائرين فى سماء سناء الفناء وقيل أراد الخواطر الملكية الروحانية قوله من الجن والانس والطير أى من الصفات الشيطانية والانسانية والملكية فهم يوزعون على طبيعتهم بالشريعة وادى النمل هوى النفس الحريصة على الدنيا وشهواتها قالت نملة هى النفس اللوامة يا أيها النمل هى الصفات النفسانية ادخلوا مساكنكم محالكم المختلفة وهى الحواس الخمس وهم لايشعرون أنهم على الحق وأنتم على الباطل لان الشمس لاحس عندها من نورها ولا من الظلمة التى تزيلها نعمتك التى أنعمت على بتسخير جنودى لى وعلى والدى وهما الروح والجسد أنعم على الروح بافاضة الفيوض وعلى الجسد باستعماله فى أركان

بل أنتم قوم تفتنون يقول بل أنتم قوم تختبرون يختبركم ربكم اذا رسلى اليكم أتطيعونه فتعملون بما أمركم به فيجزيكم الجزيل من ثوابه أم تعصونه فتعملون بخلافه فيحل بكم عقابه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون ﴾ يقول تعالى ذكره وكان فى مدينة صالح وهى حجر ثمود تسعة أنفس يفسدون فى الارض ولا يصلحون وكان افسادهم فى الارض كفرهم بالله ومعصيتهم اياه وانما خص الله جل ثناؤه هؤلاء التسعة الرهط بالخبر عنهم أنهم كانوا يفسدون فى الارض ولا يصلحون وان كان أهل الكفر كلهم فى الارض مفسدين لأن هؤلاء التسعة هم الذين سعوا فيما بلغنا فى عقر الناقة وتعاونوا عليه وتحالفوا على قتل صالح من بين قوم ثمود وقد ذكرنا قصصهم وأخبارهم فيما مضى من كتابنا هذا ◦ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد تسعة رهط قال من قوم صالح حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون هم الذين عقروا الناقة وقالوا حين عقروها نبيت صالحا وأهله فنقتلهم ثم نقول لاولياء صالح ما شهدنا من هذا شيأ وما نابه علم فدمرهم الله أجمعين وقوله قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله يقول تعالى ذكره قال هؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون فى أرض حجر ثمود ولا يصلحون تقاسموا بالله تحالفوا بالله أيها القوم ليحلفن بعضكم لبعض لنبيتن صالحا وأهله فلنقتلنه ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله ◦ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد تقاسموا بالله قال تحالفوا على اهلاكه فلم يصلوا اليه حتى هلكوا وقومهم أجمعون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه ويتوجه قوله تقاسموا بالله الى وجهين أحدهما النصب على وجه الخبر كأنه قيل قالوا متقاسمين وقد ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله ولا يصلحون تقاسموا بالله وليس فيها قالوا فذلك من قراءته يدل على وجه النصب فى تقاسموا على ما وصفت والوجه الآخر الجزم كأنهم قال بعضهم لبعض أقسموا بالله فعلى هذا الوجه الثانى تصلح قراءة لنبيتنه بالياء والنون لان القائل لهم تقاسموا وان كان هو الآمر فهو فيمن أقسم كما يقال فى الكلام انهضوا بنا نمض الى فلان وانهضوا نمضى اليه وعلى الوجه الاول الذى هو وجه النصب القراءة فيه بالنون أفصح لان معناه قالوا متقاسمين لنبيتنه وقد تجوز الياء على هذا الوجه كما يقال فى الكلام قالوا لنكرمن أباك وليكرمن أباك وبالنون قرأ ذلك قراء المدينة وعامة قراء البصرة وبعض الكوفيين وأما الاغلب على قراء أهل الكوفة فقراءته بالياء وضم التاء جميعا وأما بعض المكيين فقرأه بالياء وأعجب القراآت فى ذلك الى النون لان ذلك أفصح الكلام على الوجهين اللذين بينت من النصب والجزم وان كان كل ذلك صحيحا غير فاسد لما وصفت وأكرهها الى القراءة بها الياء لقلة قارئ ذلك كذلك وقوله لنبيتنه قال ليبيتن صالحا ثم يفتكوا به حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال التسعة الذين عقروا الناقة هلم فلنقتل صالحا فان كان صادقا يعنى فيما وعدهم من العذاب بعد

الشريعة وفى قوله بنا يقين اشارة الى أن من أدب المخبر أن لا يخبر الا عن يقين وبصيرة ولا سيما عند الملوك وفى قول سليمن سننظر أصدقت اشارة الى أن خبر الواحد وان زعم اليقين لا يعول عليه الا بامارات أخر كتاب كريم كأنها عرفت أنها بكرامته تهتدى الى حضرة الكريم ان ملوك الصفات الربانية اذا دخلوا قرية الشخص الانسانى أفسدوها بافساد الطبيعة الحيوانية وجعلوا أعزة أهلها وهم النفس الامارة وصفاتها أذلة بسطوات التجلى وكذلك يفعلون مع الانبياء والاولياء وفى قوله أيكم يأتينى بعرشها اشارة

الثلاث عجلناه قبله وان كان كاذبا نكون قد ألحقناه بناقته فأتوه ليلا ليبيتوه فى أهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فلما أبطؤا على أصحابهم أتوا منزل صالح فوجدوهم مشدوخين قد رضخوا بالحجارة وقوله وانا لصادقون تقول لوليه وانا لصادقون اذا ما شهدنا مهلك أهله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين﴾ يقول تعالى ذكره وغدر هؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون فى الارض بصالح بمصيرهم اليه ليلا ليقتلوه وأهله وصالح لا يشعر بذلك ومكرنا مكرا يقول فأخذناهم بعقوبتنا اياهم وتعجيلنا العذاب لهم وهم لا يشعرون بمكرنا وقد بينا فيما مضى معنى مكر الله بمن مكر به وما وجه ذلك وأنه أخذه من أخذه منهم على غرة أو استدراجه من استدرج منهم على كفره به ومعصيته اياه ثم احلاله العقوبة به على غرة وغفلة ۞ ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الأعمش عن شمر بن عطية عن رجل عن على قال المكر غدر والغدر كفر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومكروا مكرا ومكرنا مكرا قال احتالوا لامرهم واحتال الله لهم مكروا بصالح مكرا ومكرنا بهم مكرا وهم لا يشعرون بمكرنا وشعرنا بمكرهم قالوا زعم صالح أنه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه وأهله قبل ذلك وكان له مسجد فى الحجر فى شعب يصلى فيه فخرجوا الى كهف وقالوا اذا جاء يصلى قتلناه ثم رجعنا اذا فرغنا منه الى أهله ففرغنا منهم وقرأ قول الله تبارك وتعالى قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فخشوا أن تشدخهم فبادروا الغار فطبقت الصخرة عليهم فم ذلك الغار فلا يدرى قومهم أين هم ولا يدرون ما فعل بقومهم فعذب الله تبارك وتعالى هؤلاء ههنا وهؤلاء ههنا وأنجى الله صالحا ومن معه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة ومكروا مكرا ومكرنا مكرا قال فسلط الله عليهم صخرة فقتلتهم وقوله فانظر كيف كان عاقبة مكرهم يقول تعالى ذكره فانظر يا محمد بعين قلبك الى عاقبة غدر ثمود بنبيهم صالح كيف كانت وما الذى أورثها اعتداؤهم وطغيانهم وتكذيبهم فان ذلك ستتنا فيمن كذب رسلنا وطغى علينا من سائر الخلق فحذر قومك من قريش أن ينالهم بتكذيبهم اياك ما نال ثمود بتكذيبهم صالحا من المثلات وقوله انا دمرناهم وقومهم أجمعين يقول انا دمرنا التسعة الرهط الذين يفسدون فى الارض من قوم صالح وقومهم من ثمود أجمعين فلم نبق منهم أحدا ۞ واختلفت القراء فى قراءة قوله انا فقرأ بكسرها عامة قراء الحجاز والبصرة على الابتداء وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة أنا دمرناهم بفتح الالف واذا فتحت كان فى أنا وجهان من الاعراب أحدهما الرفع على ردها على العاقبة على الاتباع لها والآخر النصب على الرد على موضع كيف لانها فى موضع نصب ان شئت وان شئت على تكرير كان عليها على وجه فانظر كيف كان عاقبة مكرهم كان عاقبة مكرهم تدميرنا اياهم ۞ قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال انهما قراءتان مشهورتان فى قرأة الامصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله فتلك بيوتهم خاوية فتلك مساكنهم خاوية خالية منهم ليس فيها منهم أحد قد أهلكهم الله فأبادهم بما ظلموا يقول تعالى ذكره بظلمهم أنفسهم بشركهم بالله وتكذيبهم رسولهم ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون يقول تعالى ذكره ان فى فعلنا بثمود ما قصصنا عليك يا محمد من القصة

الى أن سليمن كان واقفا على أن فى قومه من هو أهل لهذه الكرامة وكرامات الاولياء من قوة اعجاز الانبياء قيل لها ادخلى الصرح فيه دليل على أن سليمن أراد أن ينكحها والا لم يجز النظر الى ساقيها وأسلمت نفسى للنكاح مع سليمن لله وفى الله ۞ تأويل آخر وتفقد الطير هم أهل العشق الطيارة فى فضاء سماء القدس وجوعا لم الانس والهدهد الرجل العلمى الذى عول على فكره واعمال قريحته فى استنباط خبايا الاسرار وكوامن الاستار عذابا شديدا بالرياضة والمجاهدة أولا أذبحنه بسكين مخالفات الارادة سبا مدينة الاختلاط والانس بالانس والمرأة الدنيا وبهجتها وعرشها العظيم حب الجاه والمناصب يسجدون للشمس عالم

لعظة لمن يعلم فعلنا بهم ما فعلنا من قومك الذين يكذبونك فيما جئتهم به من عند ربك وعبرة وأنجينا الذين آمنوا يقول وأنجينا من نقمتنا وعذابنا الذى أحللناه بثمود رسولنا صالحا والمؤمنين به وكانوا يتقون يقول وكانوا يتقون بإيمانهم وبتصديقهم صالحا الذى حل بقومهم من ثمود ما حل بهم من عذاب الله فكذلك نجيك يا محمد وأتباعك عند احلالنا عقوبتنا بمشركى قومك من بين أظهرهم وذكر أن صالحا لما أحل الله بقومه ما أحل خرج هو والمؤمنون به الى الشام فنزل رملة فلسطين

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون﴾ يقول تعالى ذكره وأرسلنا لوطا الى قومه اذ قال لهم يا قوم أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون أنها فاحشة لعلمكم بأنه لم يسبقكم الى ما تفعلون من ذلك أحد وقوله أئنكم لتأتون الرجال شهوة منكم بذلك من دون فروج النساء التى أباحها الله لكم بالنكاح وقوله بل أنتم قوم تجهلون يقول ما ذلك منكم الا أنكم قوم سفهاء جهلة بعظيم حق الله عليكم فخالفتم لذلك أمره وعصيتم رسوله

﴿ تم الجزء التاسع عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء العشرون أوله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (فما كان جواب قومه)

الطبيعة وهو الهوى والهدية عرض الدنيا وزينتها والاتيان بالعرش قبل اتيانهم هو اخراج حب الجاه من الباطن حتى تنقاد الاعضاء والجوارح بالكلية لاشتغال العبودية آخرما يخرج من رؤس الصديقين حب الجاه والعفريت الرياضة الشديدة والذى عنده علم من الكتاب هو الجذبة التى توازى عمل الثقلين وتنكير العرش تغيير حب الجاه للهوى بحبه للحق والقصر قصر التصرف فى الدنيا للحق بالحق وكشف الساق كناية عن اشتداد الامر عليه والقوارير عبارة عن رؤية بواطن الامور مع الاشتغال بظواهرها وهذه من جملة منطق الطير يفهم ان شاء العزيز وحده والله أعلم

﴿ فهرست الجزء التاسع عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ﴾

صحيفة	
٢	تأويل قوله تعالى وقال الذين لا يرجون لقاءنا وبيان أن رؤية الملائكة لا تصلح لعموم الناس الا فى الدار الآخرة
٤	بيان أنه ينتهى الحساب يوم القيامة فى نصف يوم حتى يقيل أصحاب الجنة فى منازلهم
٦	بيان ما كانت عليه قريش من اضلال بعضهم بعضا وطعنهم فى القرآن
٨	بيان فوائد نزول القرآن على حسب الوقائع
١٠	ذكر خبر أصحاب الرس
١٦	بيان معنى المرج والبرزخ
١٧	بيان أن الكافر يظاهر الشيطان على ربه
٢١	تأويل قوله وعباد الرحمن الآية وبيان فضيلة الحلم والتأنى
٢٣	بيان أن عذاب جهنم يلازم الانسان كالغريم
٢٣	بيان تخلى المؤمنين عن وصفى الاسراف والتقتير
٢٦	تأويل قوله تعالى والذين لا يدعون مع الله الها آخر وبيان كبائر الذنوب والتوفيق بين هذه الآية وآية ومن يقتل مؤمنا الخ
٣١	بيان محاسن الغض عن سفاسف الامور
٣٧	﴿ تفسير سورة الشعراء ﴾
٤٠	ذكر قصة موسى عليه السلام مع فرعون
٥٢	ذكر قصة ابراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه
٥٦	ذكر قصة نوح عليه السلام مع قومه
٥٨	ذكر قصة هود عليه السلام مع قومه
٦١	بيان خبر ثمود مع صالح عليه السلام
٦٤	بيان خبر لوط مع قومه
٦٥	بيان خبر شعيب مع أصحاب الايكة
٦٩	بيان من كان يعلم من بنى اسرائيل صدق النبى وأن كفار قريش كان كفرهم عنادا حتى لو نزل هذا القرآن على بعض الحيوانات العجم وقرأه عليهم ما آمنوا
٧٢	ذكر ما فعله النبى صلى الله عليه وسلم فى دعوة عشيرته
٧٩	بيان أن ذم الشعراء قاصر على شعراء المشركين ومن كان على صفتهم
٨١	﴿ تفسير سورة النمل ﴾
٨٧	بيان ما أوتيه سليمن من سعة الملك
٨٩	بيان السبب فى تفقد سليمن الطير وذكر بعض خصال الهدهد
٩٢	ذكر سبا وملكتهم
٩٥	ذكر كتاب سليمن الى بلقيس واستشارتها قومها
٩٧	ذكر الهدية التى أرسلتها بلقيس الى سليمن
١٠٠	ذكر من أحضر عرشها لسليمن
١٠٤	ذكر كيفية تنكير العرش وما قيل فيه
١٠٨	ذكر التسعة الذين كانوا يفسدون فى الارض من قوم صالح

(فهرست الجزء التاسع عشر من تفسير النيسابوري الموضوع بهامش الجزء التاسع عشر من تفسير ابن جرير)

صحيفه	
٣	تفسير قوله تعالى وقال الذين لا يرجون الآيات و بيان القراآت والوقوف فيها
٥	بيان ما تضمنه قوله تعالى لقد استكبروا الآية من أوجه الرد على شبه المشركين
٨	بيان كيفية تشقق السماء بالغمام يوم القيامة
١٢	بيان فوائد نزول القرآن مفرقا
١٣	بيان كون الناس يحشرون على ثلاث حالات
١٤	بيان أن الله سلط العنقاء على أصحاب الرس
١٧	بيان حقيقة الظل وفوائده
١٩	بيان حقيقة الطهور من الماء وذكر أحكام تتعلق بالطهارة والنجاسة وبعض مسائل خلافية
٢٦	تأويل تلك الآيات
٢٩	تفسير قوله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا الآيات و بيان القراآت والوقوف فيها
٣١	بيان معنى البرزخ والحجر والخلاف فيهما
٣٦	بيان البيات لله سجدا بما ذا يكون
٤٠	بيان أن قرار العين بالازواج والذرية بماذا يكون
٤٢	تأويل تلك الآيات
٤٥	(تفسير سورة الشعراء)
٥٢	ذكر ما لقيه موسى عليه السلام على باب فرعون حين أراد الدخول عليه وتمام القصة
٥٦	ذكر عدد قوم فرعون حين خرج يطلب بني اسرائيل
٥٨	تاويل تلك الآيات
٦١	تفسير قوله تعالى واتل عليهم نبأ ابراهيم الآيات و بيان القراآت والوقوف فيها
٦٥	بيان سلامة القلب التي تنفع في الآخرة
٦٧	بيان أن الصديق الصادق أعز من الكبريت الاحمر
٦٨	تأويل تلك الآيات
٧٠	تفسير قوله تعالى كذبت عاد المرسلين الآيات و بيان القراآت والوقوف فيها
٧٠	قصة هود
٧١	قصة صالح
٧٢	قصة لوط
٧٤	تفسير قوله تعالى كذب أصحاب الايكة الآيات و بيان القراآت والوقوف فيها
٧٥	قصة شعيب
٧٧	بيان الدليل على جواز القراءة بالفارسية
٨٠	بيان الدليل على أن القرآن ليس من تنزل الشياطين
٨٤	تأويل تلك الآيات
٨٥	(تفسير سورة النمل)
٨٧	بيان ما تقوله المعتزلة في كلام الله لموسى
٨٩	تأويل تلك الآيات
٩١	تفسير قوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمن الآيات و بيان القراآت والوقوف فيها
٩٣	بيان وراثة سليمن لداود وتعليمه منطق الطير
٩٧	قصة بلقيس وما جرى بينها و بين سليمن
١٠٦	تأويل تلك الآيات

(تمت فهرست الجزء التاسع عشر من النيسابوري)

الجزء العشرون

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف

الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت الأمة على تقدمه في التفسير

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هجرية

رحمه الله وأثابه رضاه آمين

وبهامشه

تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان

للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري قدست أسراره

« في كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطي في الاتقان وكتابه « أي الطبري » أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفسير الأقدمين وقال النووي أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري * وعن أبي حامد الاسفرايني أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اه

تنبيه

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة في خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبي الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

(الطبعة الاولى)

بالمطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر المحمية

سنة ١٣٢٨ هجرية

﴿ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا
أن اعبدوا الله فاذا هم فريقان
يختصمون قال يا قوم لم تستعجلون
بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون
الله لعلكم ترحمون قالوا اطيرنا بك
وبمن معك قال طائركم عند الله بل
أنتم قوم تفتنون وكان في المدينة
تسعة رهط يفسدون في الارض
ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله
لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه
ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون
ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم
لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة
مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين
فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان
في ذلك لآية لقوم يعلمون وأنجينا
الذين آمنوا وكانوا يتقون ولوطا
اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم
تبصرون أئنكم لتأتون الرجال شهوة
من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون
فما كان جواب قومه الا أن قالوا
أخرجوا آل لوط من قريتكم
انهم أناس يتطهرون فأنجيناه
وأهله الا امرأته قدرناها من
الغابرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء
مطر المنذرين قل الحمد لله وسلام
على عباده الذين اصطفى آلله خير
أما يشركون أمن خلق السموات
والارض وأنزل لكم من السماء ماء
فأنبتنا به حدائق ذات بهجة
ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله
مع الله بل هم قوم يعدلون أمن
جعل الارض قرارا وجعل خلالها
انهارا وجعل لها رواسي وجعل
بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل
أكثرهم لا يعلمون أمن يجيب
المضطر اذا دعاه ويكشف السوء
ويجعلكم خلفاء الارض أإله مع الله قليلا ما تذكرون أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح

وسلام

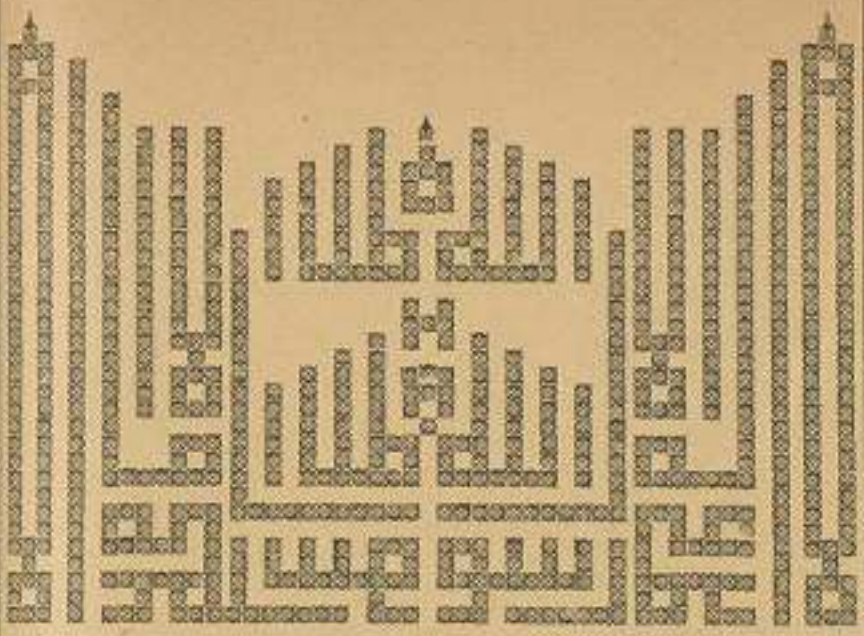

الجزء العشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون ﴾ يقول تعالى ذكره فلم يكن لقوم لوط جواب له اذ نهاهم عما أمره الله بنهيهم عنه من اتيان الرجال الا قيل بعضهم لبعض أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون عما نفعله نحن من اتيان الذكران في أدبارهم كما حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال سمعت الحسن ابن عمارة يذكر عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس في قوله أناس يتطهرون قال من اتيان الرجال والنساء في أدبارهن حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله انهم أناس يتطهرون قال من أدبار الرجال وأدبار النساء استهزاء بهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال يتطهرون من أدبار الرجال والنساء استهزاء بهم يقولون ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة أنه تلا انهم أناس يتطهرون قال عابوهم بغير عيب أي انهم يتطهرون من أعمال السوء ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فأنجيناه وأهله الا امرأته قدرناها من الغابرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ﴾ يقول تعالى ذكره فأنجينا لوطا وأهله سوى امرأته من عذابنا حين أحللنا بهم ثم قدرناها يقول فان امرأته قدرناها جعلناها بتقديرنا من الغابرين من الباقين وأمطرنا عليهم مطرا وهو امطار الله عليهم من السماء حجارة من سجيل فساء مطر المنذرين يقول فساء ذلك المطر مطر القوم الذين أنذرهم الله عقابه على معصيتهم اياه وخوفهم بأسه بارسال الرسول اليهم بذلك ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قل الحمد لله

بشرا بين يدى رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون امن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض اإله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين قل لا يعلم من السموات والارض الغيب الا الله (٣) وما يشعرون أيان يبعثون بل ادّارك علمهم فى الآخرة بل هم فى شك منها بل هم منها عمون) ۞ القراآت لتبيتنه على الجمع المخاطب وهكذا لتقولن حمزة وعلى وخلف الباقون بالنون فيهما على التكلم مهلك بفتح الميم واللام أبو بكر غير البرجمى وحماد والمفضل وقرأ حفص بفتح الميم وكسر اللام الباقون بضم الميم وفتح اللام والكل يحتمل المصدر والمكان والزمان أنا دمرناهم وأن الناس بالفتح فيهما عاصم وحمزة وعلى وخلف وسهل ورويس أنكم مذكور فى الانعام يشركون بياء الغيبة أبو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم أإله مثل أنكم الريح على التوحيد ابن كثير وحمزة وعلى وخلف يذكرون بياء الغيبة أبو عمرو وهشام الآخرون بتاء الخطاب بل أدرك بقطع الهمزة وسكون الدال ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد المفضل بل ادّارك بهمزة موصولة ودال مشددة الشموني الباقون مثله ولكن بألف بعد الدال ۞ الوقوف يختصمون ه الحسنة ج لابتداء استفهام آخر مع اتحاد القائل ترحمون ه معك ط تفتنون ه ولا يصلحون ه لصادقون ه لا يشعرون ه مكرهم ط لمن قرأ إنا بكسر الالف على الاستئناف أجمعين ه ظلموا ط يعلمون ه يتقون ه تبصرون ه النساء ط تجهلون ه قريتكم ج لاحتمال تقدير لام التعليل يتطهرون ه الا امرأته ز لاحتمال أن ما بعده مستأنف والاظهر أنه حال تقديره استثناء امرأته مقدرة فى الغابرين ه مطر المنذرين ه اصطفى ط يشركون ه ط لان ما بعده استفهام مستأنف وأم منقطعة تقديره بل أمن خلق السموات خير أما يشركون وكذلك نظائره ماء ج للعدول مع اتحاد المقول بهجة ط

وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد الحمد لله على نعمه علينا وتوفيقه إيانا لما وفقنا من الهداية وسلام يقول وأمنة منه من عقابه الذى عاقب به قوم لوط وقوم صالح على الذين اصطفاهم يقول الذين اجتباهم لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فجعلهم أصحابه ووزراءه على الدين الذى بعثه بالدعاء اليه دون المشركين به الجاحدين نبوّة نبيه ۞ وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا طلق يعنى ابن غنام عن ابن ظهير عن السدى عن أبى مالك عن ابن عباس وسلام على عباده الذين اصطفى قال أصحاب محمد اصطفاهم الله لنبيه حدثنا على بن سهل قال ثنا الوليد ابن مسلم قال قلت لعبد الله بن المبارك أرأيت قول الله قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى من هؤلاء محمد ثنى عن سفيان الثورى قال هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله آلله خير أما يشركون يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء الذين زينا لهم أعمالهم من قومك فهم يعمهون آلله الذى أنعم على أوليائه هذه النعم التى قصصها عليكم فى هذه السورة وأهلك أعداءه بالذى أهلكهم به من صنوف العذاب التى ذكرها لكم فيها خير أما تشركون من أوثانكم التى لا تنفعكم ولا تضركم ولا تدفع عن أنفسها ولا عن أوليائها سوأ ولا تجلب اليها ولا اليهم نفعا يقول ان هذا الامر لا يشكل على من له عقل فكيف تستجيزون أن تشركوا عبادة من لا نفع عنده لكم ولا دفع ضر عنكم فى عبادة من بيده النفع والضر وله كل شئ ثم ابتدأ تعالى ذكره تعديد نعمه عليهم وأياديه عندهم وتعريفهم بقلة شكرهم إياه على ما أولاهم من ذلك فقال أمن خلق السموات والارض ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون ﴾ يقول تعالى ذكره للمشركين به من قريش أعبادة ما تعبدون من أوثانكم التى لا تضر ولا تنفع خير أم عبادة من خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء يعنى مطرا وقد يجوز أن يكون مريدا به العيون التى يفجرها فى الارض لان كل ذلك من خلقه فأنبتنا به يعنى بالماء الذى أنزل من السماء حدائق وهى جمع حديقة والحديقة البستان عليه حائط محوط وان لم يكن عليه حائط لم يكن حديقة وقوله ذات بهجة يقول ذات منظر حسن وقيل ذات بالتوحيد وقد قيل حدائق كما قال ولله الاسماء الحسنى وقد بينت ذلك فيما مضى ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله حدائق ذات بهجة قال البهجة التفاح مما يأكل الناس والانعام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله حدائق ذات بهجة قال من كل شئ تأكله الناس والانعام وقوله ما كان لكم أن تنبتوا شجرها يقول تعالى ذكره أنبتنا بالماء الذى أنزلناه من السماء لكم هذه الحدائق اذ لم يكن لكم لولا أنه أنزل عليكم الماء من السماء طاقة أن تنبتوا شجر هذه الحدائق ولم تكونوا قادرين على ذهاب ذلك لانه لا يصلح ذلك الا بالماء وقوله أإله مع الله يقول تعالى ذكره أمعبود مع الله أيها الجهلة خلق ذلك وأنزل من السماء الماء فأنبت به لكم الحدائق فقوله أإله مردود على تأويل أمع الله إله بل هم قوم يعدلون يقول جل ثناؤه بل هؤلاء المشركون قوم ضلال يعدلون عن الحق ويجورون عليه على عمد منهم لذلك مع علمهم بأنهم على خطا وضلال

لاحتمال كون ما بعده صفة أو استئنافا فاشجرها ط مع الله ط يعدلون ٥ حاجزا ط مع الله ط لا يعلمون ٥ ط خلفاء الارض ٥ ط مع الله ط ما تذكرون ٥ ط رحمته (٤) ط مع الله ط يشركون ط والارض ط مع الله ط صادقين ٥ لا الله ط يبعثون ٥ عمون ٥ ﴿ التفسير القصة الرابعة قصة ثمود والفريقان المؤمن والكافر وقيل صالح وقومه قبل أن يؤمن منهم أحد والاختصام قول كل فريق الحق معي وفيه دليل على أن الجدال في باب الدين حق ومعنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة أنه تعالى قد مكنهم من التوصل الى رحمة الله وثوابه فعدلوا الى استعجال عذابه وقال جار الله خاطبهم صالح على حسب اعتقادهم وذلك أنهم قدروا في أنفسهم ان التوبة مقبولة عند رؤية العذاب فقالوا متى وقعت العقوبة نبنا حينئذ فالسيئة العقوبة والحسنة التوبة ولولا للتحضيض أي هلا تستغفرون قبل عيان عذابه (لعلكم ترحمون) بأن يكشف العذاب عنكم والحاصل أن التوبة يجب أن تقدم على رؤية العذاب ولا يجوز أن تؤخر وفيه تنبيه على خطئهم وتجهيل لهم (قالوا اطيرنا) أي تشاءمنا (بك وبمن معك) وكانوا قد قحطوا (قال طائركم) أي سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم (عند الله) وهو قضاؤه وقدره أو أراد عملكم مكتوب عنده ومنه ينزل بكم العذاب ومعنى التطير والطائر قد مر في الاعراف وفي سبحان ثم جزم بنزول العذاب بقوله (بل أنتم قوم تفتنون) أي تعذبون او تختبرون أو يفتنكم الشيطان بوسوسة الطيرة ثم حكى سوء معاملتهم مع نبيهم بقوله (وكان في المدينة) يعني مترلهم المسمى بالحجر وكان بين المدينة والشام (تسعة رهط) لم يجمع المميز لان الرهط في معنى الجمع وهو من الثلاثة الى العشرة أو من السبعة الى العشرة وقد عدّ في الكشاف أسماءهم منهم قدار بن سالف عاقر الناقة وكانوا مفسدين لا يخلطون الافساد بشيء من الاصلاح ومن جملة

ولم يعدلوا عن جهل منهم بأن من لا يقدر على نفع ولا ضر خير ممن خلق السموات والارض وفعل هذه الافعال ولكنهم عدلوا على علم منهم ومعرفة اقتفاء منهم سنة من مضى قبلهم من آبائهم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ أمن جعل الارض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره أعبادة ما تشركون أيها الناس بربكم خير وهو لا يضر ولا ينفع أم الذي جعل الارض لكم قرارا تستقرون عليها لا تميد بكم وجعل لكم خلالها أنهارا يقول بينها أنهارا وجعل لها رواسي وهي ثوابت الجبال وجعل بين البحرين حاجزا بين العذب والملح أن يفسد أحدهما صاحبه أإله مع الله سواه فعل هذه الاشياء فأشركتموه في عبادتكم إياه وقوله بل أكثرهم لا يعلمون يقول تعالى ذكره بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون قدر عظمة الله وما عليهم من الضر في اشراكهم في عبادة الله غيره وما لهم من النفع في افرادهم لله بالالوهة واخلاصهم له العبادة وبراءتهم من كل معبود سواه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أإله مع الله قليلا ما تذكرون ﴾ يقول تعالى ذكره أم ما تشركون بالله خير أم الذي يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء النازل به عنه كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ويكشف السوء قال الضر وقوله ويجعلكم خلفاء الارض يقول ويستخلف بعد امركم في الارض منكم خلفاء أحياء يخلفونهم وقوله أإله مع الله يقول أإله مع الله سواه يفعل هذه الاشياء بكم وينعم عليكم هذه النعم وقوله قليلا ما تذكرون يقول تذكرا قليلا من عظمة الله وأياديه عندكم تذكرون وتعتبرون حجج الله عليكم يسيرا فلذلك أشركتم بالله غيره في عبادته ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون ﴾ يقول تعالى ذكره أم ما تشركون بالله خير أم الذي يهديكم في ظلمات البر والبحر اذا ضللتم فيهما الطريق فاظلمت عليكم السبل فيهما كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر والظلمات في البر ضلاله الطريق والبحر ضلاله طريقه وموجه وما يكون فيه قوله ومن يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته يقول والذي يرسل الرياح نشرا لموتان الارض بين يدي رحمته يعني قدام الغيث الذي يحيي موات الارض وقوله أإله مع الله تعالى الله عما يشركون يقول تعالى ذكره أإله مع الله سوى الله يفعل بكم شيأ من ذلك فتعبدوه من دونه أو تشركوه في عبادتكم إياه تعالى الله يقول الله العلو والرفعة عن شرككم الذي تشركون به وعبادتكم معه ما تعبدون ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ أمن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ﴾ يقول تعالى ذكره أم ما تشركون أيها القوم خيرا أم الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده فينشئه من غير أصل ويبتدعه ثم يفنيه اذا شاء ثم يعيده اذا أراد كهيئته قبل أن يفنيه والذي يرزقكم من السماء والارض فينزل من هذه الغيث وينبت من هذه النبات لاقواتكم وأقوات أنعامكم أإله مع الله سوى الله يفعل ذلك وان زعموا أن الها غير الله يفعل ذلك أو شيأ منه فقل لهم يا محمد هاتوا برهانكم أي حجتكم على أن شيأ سوى الله يفعل ذلك ان كنتم صادقين في دعواكم ومن التي في أمن وما مبتدأ في قوله أما يشركون والآيات بعدها الى قوله ومن يرزقكم من السماء والارض

الافساد فيهم بقتل نبيهم والتقاسم التحالف فان كان أمرا فظاهر وان كان خبرا فمحله نصب باضمار قد أى قالوا متقاسمين والتبييت العزم على اهلاك العدو ليلا وأشير على الاسكندر بالبيات فقال ليس من آيين الملوك (٥) استراق الظفر قال فى الكشاف كأنهم اعتقدوا أنهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا أهله يجمعوا بين البياتين ثم قالوا الولاة دمه ما شهدنا مهلك أهله فاذا ذكروا أحدهما كانوا صادقين لانهم فعلوا البياتين جميعا لا أحدهما قلت انما ارتكب هذا التكلف لانه استقبح أن يأتى العاقل بالخبر على خلاف المخبر عنه يروى أنه كان لصالح مسجد فى الحجر فى شعب يصلى فيه فقالوا زعم صالح أنه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب مبادرين وقالوا اذا جاء يصلى قتلناه ثم رجعنا الى أهله فقتلناهم فهذا مكرهم فبعث الله صخرة فطبقت عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا فى مكانه ونجى صالحا ومن معه وهذا مكر الله وقيل جاؤا بالليل شاهرى سيوفهم وقد أرسل الله الملائكة فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا من قرأ أنا دمرناهم بالفتح فمرفوع المحل بدلا من العاقبة أو خبرا لمحذوف أى هى تدميرهم أو منصوب على أنه خبر كان أى كان عاقبة مكرهم الدمار أو مجرور بتقدير لأنا وجوز فى الكشاف على هذا التقدير أن يكون منصوبا بنزع الخافض وانتصب خاوية على الحال والعامل معنى الاشارة فى تلك وانما قال فى هذه السورة (وأنجينا الذين آمنوا) موافقة لما بعده فأنجيناه وأهله وأمطرنا وكله على أفعل وقال فى حم السجدة ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون موافقة لما قبله وما بعده وزينا وقيضنا والله أعلم ﴿ القصة الخامسة قصة لوط (و) انتصب (لوطا) باضمار اذكر أو بما دل عليه ولقد أرسلنا واذ بدل على الاول بمعنى مجرد الوقت ظرف على الثانى ويبصرون اما من بصر الحاسة فكأنهم كانوا معلنين بتلك المعصية فى ناديهم أو أرادوا

بمعنى الذى لا بمعنى الاستفهام وذلك أن الاستفهام لا يدخل على الاستفهام ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون أيان يبعثون بل ادارك علمهم فى الآخرة بل هم فى شك منها بل هم منها عمون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لسائليك من المشركين عن الساعة متى هى قائمة لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الذى قد استأثر الله بعلمه وحجب عنه خلقه غيره والساعة من ذلك وما يشعرون يقول وما يدرى من فى السموات والارض من خلقه متى هم مبعوثون من قبورهم لقيام الساعة وقد حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا داود بن أبى هند عن الشعبى عن مسروق قال قالت عائشة من زعم أنه يخبر الناس بما يكون فى غد فقد أعظم على الله الفرية والله يقول لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله واختلف أهل العربية فى وجه رفع الله فقال بعض البصريين هو كما تقول الا قليل منهم وفى حرف ابن مسعود قليلا بدلا من الاول لانك نفيته عنه وجعلته للآخر وقال بعض الكوفيين ان شئت أن تتوهم فى من المجهول فتكون معطوفة على قل لا يعلم أحد الغيب الا الله قال ويجوز أن تكون من معرفة ونزل ما بعد الا عليه فيكون عطفا ولا يكون بدلا لان الاول منفى والثانى مثبت فيكون فى النسق كما تقول قام زيد الا عمرو فيكون الثانى عطفا على الاول والتأويل جحد ولا يكون أن يكون الخبر جحدا أو الجحد خبرا قال وكذلك ما فعلوه الا قليل وقليلا من نصب فعلى الاستثناء فى عبادتكم اياه ومن رفع فعلى العطف ولا يكون بدلا وقوله بل ادارك علمهم فى الآخرة اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة سوى أبى جعفر وعامة قراء أهل الكوفة بل ادارك بكسر اللام من بل وتشديد الدال من ادارك بمعنى بل تدارك علمهم أى تتابع علمهم بالآخرة هل هى كائنة أم لا ثم أدغمت التاء فى الدال كما قيل اثاقلتم الى الارض وقد بينا ذلك فيما مضى بما فيه الكفاية من اعادته وقرأته عامة قراء أهل مكة بل أدرك علمهم فى الآخرة بسكون الدال وفتح الالف بمعنى هل أدرك علمهم علم الآخرة وكان أبو عمرو بن العلاء ينكر فيما ذكر عنه قراءة من قرأ بل أدرك ويقول ان بل ايجاب والاستفهام فى هذا الموضع انكار ومعنى الكلام اذا قرئ كذلك بل أدرك لم يكن ذلك لم يدرك علمهم فى الآخرة وبالاستفهام قرأ ذلك ابن محيصن على الوجه الذى ذكرت أن أبا عمرو أنكره ونحو الذى ذكرت عن المكيين أنهم قرؤه ذكر عن مجاهد أنه قرأه غير أنه كان يقرأ فى موضع بل أم حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الله بن موسى قال ثنا عثمان بن الاسود عن مجاهد أنه قرأ أم أدرك علمهم وكان ابن عباس فيما ذكر عنه يقرأ باثبات ياء فى بل ثم يبتدئ أدارك بفتح ألفها على وجه الاستفهام وتشديد الدال حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا شعبة عن أبى حمزة عن ابن عباس فى هذه الآية بلى أدارك علمهم فى الآخرة أى لم يدرك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى حمزة قال سمعت ابن عباس يقرأ بلى أدارك علمهم فى الآخرة انما هو استفهام انكار لم يدرك وكأن ابن عباس وجه ذلك الى أن مخرجه مخرج الاستهزاء بالمكذبين بالبعث والصواب من القراءة عندنا فى ذلك القراءتان اللتان ذكرت احداهما عن قراء أهل مكة والبصرة وهى بل أدرك علمهم بسكون اللام بل وفتح ألف أدرك وتخفيف الدال والأخرى منهما عن قراء الكوفة وهى بل ادارك بكسر اللام وتشديد الدال من ادارك لانهما القراءتان المعروفتان فى قراء الامصار

آثار العصاة قبلكم أو من بصر القلب والمراد تعلمون أنها فاحشة لم تسبقوا بمثلها وعلى هذا فمعنى قوله (بل أنتم قوم تجهلون) أنكم تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك أو أراد بالجهل السفاهة والخيانة التي كانوا عليها والخطاب في قوله تجهلون تغليب ولو قرئ بياء الغيبة نظرا الى الموصوف وهو قوم لجاز من حيث العربية وباقي القصة مذكور في الاعراف (قال الحمد لله) قيل هو خطاب للوط عليه السلام أن يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة من الذنوب وبالنجاة من العذاب وقيل أمر لنبينا صلى الله عليه وسلم بالتحميد على الهالكين من كفار الامم وبالتسليم على الانبياء وأشياعهم الناجين والاكثرون على أنه خطاب مستأنف لانه صلى الله عليه وسلم كان كالمخالف لمن تقدمه من الانبياء من حيث ان عذاب الاستئصال مرتفع عن قومه فأمره الله سبحانه بأن يشكر ربه على هذه النعمة ويسلم على الانبياء الذين صبروا على مشاق الرسالة ثم شرع في الدلالة على الوحدانية والرد على عبدة الاوثان وفيه توقيف على ادب حسن وبعث على التيمن بالحمد والصلاة قبل الشروع في كل كلام يعتد به ولذا توارثه العلماء خلفا عن سلف فافتتحوا بهما أمام كل كتاب وخطبة وعند التكلم بكل أمر له شأن قال جار الله معنى الاستفهام وأم المتصلة في قوله آلله خير أما يشركون الزام وتبكيت وتهكم بحالهم وتنبيه على الخطأ المفرط والجهل المفرط فمن المعلوم انه لا خير فيما أشركوه أصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل خير ومالكه قلت يحتمل أن يكون هذا من قبيل الكلام المنصف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا قرأها قال بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم ثم عدل عن الاستفهام بذكر الذات الى الاستفهام بذكر الصفات مبتدئا بما هو أبين الحسيات فقال (أمن خلق السموات) وانما قال ههنا (وانزل لكم) واقتصر في ابراهيم على قوله وأنزل الآخرة

فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب عندنا فأما القراءة التي ذكرت عن ابن عباس فانها وان كانت صحيحة المعنى والاعراب بخلاف لما عليه مصاحف المسلمين وذلك أن في بلى زيادة باء في قراءته ليست في المصاحف وهي مع ذلك قراءة لا نعلمها قرأ بها أحد من قراء الامصار وأما القراءة التي ذكرت عن ابن محيصن فان الذي قال فيها أبو عمرو قول صحيح لان العرب تحقق ببل ما بعدها لاتنفيه والاستفهام في هذا الموضع انكار لا اثبات وذلك أن الله قد أخبر عن المشركين أنهم من الساعة في شك فقال بل هم في شك منها بل هم منها عمون واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه بل أدرك علمهم في الآخرة فأيقنوها اذ عاينوها حين لم ينفعهم يقينهم بها اذ كانوا بها في الدنيا مكذبين ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء الخراساني عن ابن عباس بل أدرك علمهم قال بصرهم في الآخرة حين لم ينفعهم العلم والبصر * وقال آخرون بل معناه بل غاب علمهم في الآخرة ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله بل أدرك علمهم في الآخرة يقول غاب علمهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله بل اذارك علمهم في الآخرة قال يقول ضل علمهم في الآخرة فليس لهم فيها علم هم منها عمون * وقال آخرون معنى ذلك لم يبلغ لهم فيها علم ذكر من قال ذلك حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثني أبي عن جدي قال ثنا الحسين عن قتادة في قوله بل أدرك علمهم في الآخرة قال كان يقرؤها بل أدرك علمهم في الآخرة قال لم يبلغ لهم فيها علم ولا يصل اليها منهم رغبة * وقال آخرون معنى ذلك بل أدرك أم أدرك ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بل أدرك علمهم قال أم أدرك حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عثمان عن مجاهد بل أدرك علمهم قال أم أدرك علمهم من أين يدرك علمهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في تأويل ذلك بالصواب على قراءة من قرأ بل أدرك القول الذي ذكرناه عن عطاء الخراساني عن ابن عباس وهو أن معناه اذا قرئ كذلك وما يشعرون أيان يبعثون بل أدرك علمهم نقص وقت ذلك في الآخرة حين يبعثون فلا ينفعهم علمهم به حينئذ فأما في الدنيا فانهم منها في شك بل هم منها عمون وانما قلت هذا القول أولى الاقوال في تأويل ذلك بالصواب على القراءة التي ذكرت لان ذلك أظهر معانيه واذ كان ذلك معناه كان في الكلام محذوف قد استغني بدلالة ما ظهر منه عنه وذلك أن معنى الكلام وما يشعرون أيان يبعثون بل يشعرون ذلك في الآخرة فالكلام اذا كان ذلك معناه وما يشعرون أيان يبعثون بل أدرك علمهم بذلك في الآخرة بل هم في الدنيا في شك منها وأما على قراءة من قرأ بل اذارك بكسر اللام وتشديد الدال فالقول الذي ذكرنا عن مجاهد وهو أن يكون معنى بل أم والعرب تضع أم موضع بل وموضع بل أم اذ كان في أول الكلام استفهام كما قال الشاعر

فوالله ما أدري أسلمى تغولت * أم النوم أم كل الى حبيب

يعني بذلك بل كل الى حبيب فيكون تأويل الكلام وما يشعرون أيان يبعثون بل تدارك علمهم

لان لفظة لكم وردت هناك بالآخرة وليس قوله ما كان لكم مغنيا عن ذكره لانه نفى لا يفيد معنى الاول ومعنى الالتفات من الغيبة الى التكلم فى قوله فأنبتنا تأكيد معنى اختصاص الانبات بذاته لان الانسان قد يتوهم (٧) أن له مدخلا فى ذلك من حيث الغرس والسقى

الآخرة يعنى تتابع علمهم فى الآخرة أى علم الآخرة أى لم يتتابع بذلك ولم يعلموه بل غاب عامهم عنه وصل فلم يبلغوه ولم يدركوه وقوله بل هم فى شك منها يقول بل هؤلاء المشركون الذين يسألونك عن الساعة فى شك من قيامها لا يوقنون بها ولا يصدقون بأنهم مبعوثون من بعد الموت بل هم منها عمون يقول بل هم من العلم بقيامها عمون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان هذا الا أساطير الاولين ﴾ يقول تعالى ذكره وقال الذين كفروا بالله أئنا لمخرجون من قبورنا أحياء كهيئتنا من بعد مماتنا بعد أن كنا فيها ترابا قد بلينا لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل يقول لقد وعدنا هذا من قبل محمد واعدون وعدوا ذلك آباءنا فلم نر لذلك حقيقة ولم نتبين له صحة ان هذا الا أساطير الاولين يقول قالوا ما هذا الوعد الا ما سطر الاولون من الاكاذيب فى كتبهم فأثبتوه فيها وتحدثوا به من غير أن يكون له صحة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم ولا تكن فى ضيق مما يمكرون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المكذبين ما جئتهم به من الأنباء من عند ربك سيروا فى الارض فانظروا الى ديار من كان قبلكم من المكذبين رسل الله وما كنهم كيف هى ألم تخربها الله ويهلك أهلها بتكذيبهم رسلهم وردهم عليهم بصالحهم نخلت منهم الديار وتعفت منهم الرسوم والآثار فان ذلك كان عاقبة اجرامهم وذلك سنة ربكم فى كل من سلك سبيلهم فى تكذيب رسل ربهم والله فاعل ذلك بكم ان أنتم لم تبادروا الانابة من كفركم وتكذيبكم رسول ربكم وقوله ولا تحزن عليهم يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا تحزن على ادبار هؤلاء المشركين عنك وتكذيبهم لك ولا تكن فى ضيق مما يمكرون يقول ولا يضق صدرك من مكرهم بك فان الله ناصرك عليهم ومهلكهم قتلا بالسيف ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون ﴾ يقول تعالى ذكره ويقول مشركو قومك يا محمد المكذبوك فيما أتيتهم به من عند ربك متى يكون هذا الوعد الذى تعدناه من العذاب الذى هو بنا فيما تقول حال ان كنتم صادقين فيما تعدوننا به قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى يقول جل جلاله قل لعل يا محمد عسى أن يكون اقترب لكم ودنا بعض الذى تستعجلون من عذاب الله ◦ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله قل عسى أن يكون ردف لكم يقول اقترب لكم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون يقول اقترب لكم بعض الذى تستعجلون حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله عسى أن يكون ردف لكم قال ردف أعجل لكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون قال أزف حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ردف لكم اقترب لكم ◦ واختلف أهل العربية فى وجه دخول اللام فى قوله ردف لكم

والحدائق جمع حديقة البستان عليه حائط من الاحداق الاحاطة والبهجة الحسن والنضارة لان الناظر يبتهج به وانما لم يقل ذوات بهجة على الجمع لان المعنى جماعة حدائق كما يقال النساء ذهبت ومعنى (أءله مع الله) أغيره يقرن به ويجعل شريكا له قال فى الكشاف قوله (بل هم) بعد الخطاب أبلغ فى تخطئة رأيهم قلت انما تعين الغيبة ههنا لان الخطاب فى قوله ما كان لكم انما هو لجميع الناس أى ما صح وما ينبغى للانسان أن يتأتى منه الانبات ولو قال بعد ذلك بل أنتم لزم أن يكون كل الناس مشركين وليس كذلك وقوله (يعدلون) من العدل أو من العدول أى يعدلون به غيره أو يعدلون عن الحق الذى هو التوحيد ثم شرع فى الاستدلال بأحوال الارض وما عليها والقرار المستقر أى دحاها وسواها بحيث يمكن الاستقرار عليها والحاجز البرزخ كما فى الفرقان ثم استدل بحاجة الانسان اليه على العموم والمضطر الذى عراه ضر من فقر أو مرض فألجأه الى التضرع الى الله سبحانه وانه افتعال من الضر وعن ابن عباس هو المجهود وعن السدى الذى لا حول له ولا قوة وقيل هو المذنب ودعاؤه استغفاره والمضطر اسم جنس يصلح للكل وللبعض فلا يلزم من الآية اجابة جميع المضطرين نعم يلزم الاجابة بشرائط الدعاء كما مر فى البقرة وفى ادعونى وقوله (ويكشف السوء) كالبيان لقوله يجيب المضطر والخلافة فى الارض اما بتوارث السكنى واما بالملك والتسلط وقد مر فى آخر الانعام وقوله (قليلا ما تذكرون) معناه تذكرون تذكرا قليلا ويجوز أن يراد بالقلة العدم ثم استدل لحاجة الناس وخصوصا الهداية فى البر والبحر بالعلامات وبالنجوم ثم استدل

بأحوال المبدا والمعاد وما بينهما وذلك أنهم كانوا معترفين بالابداء ودلالة الابداء على الاعادة دلالة ظاهرة فكأنهم كانوا مقرين بالاعادة أيضا فاحتج عليهم بذلك لذلك والرزق من السماء الماء (٨) ومن الارض النبات واعلم أن الله سبحانه ذكر قوله أءله مع الفي خمس آيات على التوالي وختم الاولى بقوله بل هم قوم يعدلون ثم بقوله بل أكثرهم لا يعلمون ثم بقوله قليلا ما تذكرون ثم بقوله تعالى الله عما يشركون ثم هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين والسر فيه أن أول الذنوب العدول عن الحق ثم لم يعلموا ولو علموا ما عدلوا ثم لم يتذكروا فيعلموا بالنظر والاستدلال فأشركوا من غير حجة وبرهان قل لهم يا محمد هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين أن مع الله الها آخر وحين بين اختصاصه بكمال القدرة أراد أن يبين اختصاصه بعلم الغيب قال في الكشاف هذا على لغة بني تميم يرفعون المستثنى المنقطع على البدل اذا كان المبدل منه مرفوعا يقولون ما في الدار أحد الا حمار كأن أحدا لم يذكر كقوله وبلدة ليس بها أنيس *

الا اليعافير والا العيس

والمعنى ان كان الله ممن في السموات والارض فهم يعلمون الغيب كأن معنى البيت ان كانت اليعافير أنيسا ففيها أنيس بنا للقول بخلوها عن الانيس قلت لقائل أن يقول ان استثناء نقيض المقدم غير منتج فلا يلزم من استحالة كون الله سبحانه في كل مكان ممن في السموات والارض أنهم لا يعلمون الغيب ولا من امتناع كون اليعافير أنيسا القطع بخلو البلدة عن الانيس وقال غيره ان الاستثناء متصل لان الله سبحانه في كل مكان بالعلم فيصح الرفع عند المجازيين ايضا وزيفه في الكشاف بأن كونه في السموات والارض بالعلم مجاز وكون الخلق فيهن حقيقة من حيث حصول ذواتهم في تلك الاحياز ولا يصح أن يريد المتكلم بلفظ واحد حقيقة ومجازا معا وأجيب بأنا المحسن نحمل كون الخلق فيهن على المعنى المجازي أيضا لانهم أيضا عالمون بتلك الاماكن لا أقل من العلم الاجمالي وضعفه في الكشاف بأن فيه ايهام

وكلام العرب المعروف ردفه أمر وأردفه كما يقال تبعه وأتبعه فقال بعض نحويي البصرة أدخل اللام في ذلك فأضاف بها الفعل كما يقال للرؤيا تعبرون ولرؤيهم يرهبون وقال بعض نحويي الكوفة أدخل اللام في ذلك للمعنى لان معناه دنا لهم كما قال الشاعر * فقلت لها الحاجات يطرحن بالفتى * فأدخل الباء في يطرحن وانما يقال طرحته لان معنى الطرح الرمي فأدخل الباء للمعنى اذ كان معنى ذلك يرمين بالفتى وهذا القول الثاني هو أولاهما عندي بالصواب وقد مضى البيان عن نظائره في غير موضع من الكتاب بما أغنى عن تكراره في هذا الموضع وبنحو الذي قلنا في معنى قوله تستعجلون قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ردف لكم بعض الذي تستعجلون قال من العذاب ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وان ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ﴾ يقول تعالى ذكره وان ربك يا محمد لذو فضل على الناس بتركه معاجلتهم بالعقوبة على معصيتهم اياه وكفرهم به وذو احسان اليهم في ذلك وفي غيره من نعمه عندهم ولكن أكثرهم لا يشكرونه على ذلك من احسانه وفضله عليهم فيخلصوا له العبادة ولكنهم يشركون معه في العبادة ما يضرهم ولا ينفعهم ومن لا فضل له عندهم ولا احسان وقوله وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون يقول وان ربك ليعلم ضمائر صدور خلقه ومكنون أنفسهم وخفي أسرارهم وعلانية أمورهم الظاهرة لا يخفى عليه شيء من ذلك وهو محصيها عليهم حتى يجازي جميعهم بالاحسان احسانا وبالاساءة جزاءها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثني الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم قال السر ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون ﴾ يقول تعالى ذكره وما من مكتوم سر وخفي أمر يغيب عن أبصار الناظرين في السماء والارض الا في كتاب وهو أم الكتاب الذي أثبت ربنا فيه كل ما هو كائن من لدن ابتدأ خلق خلقه الى يوم القيامة ويعني بقوله مبين أنه يبين لمن نظر اليه وقرأ ما فيه مما أثبت فيه ربنا جل ثناؤه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثنا عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين يقول ما من شيء في السماء والارض سر ولا علانية الا يعلمه وقوله ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون يقول تعالى ذكره ان هذا القرآن الذي أنزله اليك يا محمد يقص على بني اسرائيل الحق في أكثر الاشياء التي اختلفوا فيها وذلك كالذي اختلفوا فيه من أمر عيسى فقالت اليهود فيه ما قالت وقالت النصارى فيه ما قالت وغير الاختلاف فيهم فيه هؤلاء من هؤلاء وهؤلاء من هؤلاء وغير ذلك من الامور التي اختلفوا فيها فقال جل ثناؤه لهم ان هذا القرآن يقص عليكم الحق فيما اختلفتم فاتبعوه وأقروا لما فيه فانه يقص عليكم بالحق ويهديكم الى سبيل الرشاد ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وانه لهدى ورحمة للمؤمنين ان ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم ﴾ يقول تعالى ذكره ان هذا القرآن لهدى يقول لبيان من الله بين به الحق فيما اختلف فيه خلقه من أمور دينهم ورحمة للمؤمنين يقول ورحمة لمن صدق به وعمل بما فيه ان ربك يقضي بينهم يقول ان ربك يقضي بين المختلفين من بني اسرائيل بحكمه فيهم فينتقم من المبطل منهم ويجازي

تسوية بين الله وبين العبد في العلم وهو خروج عن الأدب ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم بئس خطيب القوم أنت لمن قال ومن يعصهما فقد غوى والحق أن وقوع اللفظ على الواجب وعلى الممكن بمعنى واحد لا بد أن (٩) يكون بالتشكيك اذ هو في الواجب أدل وأولى لاستحالة فهذا الوهم مدفوع عند العاقل ولا يلزم منه سوء الأدب ولهذا جاز اطلاق العالم والرحيم والكريم ونحوها على الواجب وعلى الممكن معا من غير محذور شرعي ولا عقلي وليس هذا كالجمع بين الضميرين اذا كان يمكن للقائل أن يفرق بينهما فيزداد الكلام جزالة وفخامة عن عائشة من زعم أنه يعلم ما في غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وعن بعضهم أخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه أحدا لئلا يأمن الخلق مكره قال المفسرون سأل المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة فنزلت وأيان بمعنى متى الا أنه لا يسئل به الا عن أمر ذي بال وهو فعال من آن يئين فلو سمي به لانصرف وحين ذكر أن العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون البعث الكائن ووقته بين أن عندهم عجزا آخر أبلغ منه وهو أنهم ينكرون الأمر الكائن مع أن عندهم أسباب معرفته فقال (بل ادارك) أي تدارك ومن قرأ بغير الألف فهو افتعل من الدرك أي تتابع واستحكم ومعنى أدرك بقطع الهمزة انتهى وتكامل علمهم في الآخرة أي في شأنها ومعناها ويمكن أن يكون وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكما بهم كما يقول لأجهل الناس ما أعلمك واذا لم يعرفوا نفس البعث يقينا فلان لا يعرفوا وقته أولى ويحتمل أن تكون أدرك بمعنى انتهى وفني من قولهم أدركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسره الحسن باضمحل علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك وصفهم أولا بأنهم لا يشعرون وقت البعث

المحسن منهم المحق بجزائه وهو العزيز العليم يقول وربك العزيز في انتقامه من المبطل منهم ومن غيرهم لا يقدر أحد على منعه من الانتقام منه اذا انتقم العليم بالمحق المحسن من هؤلاء المختلفين من بني اسرائيل فيما اختلفوا فيه ومن غيرهم من المبطل الضال عن الهدى ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فتوكل على الله انك على الحق المبين انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ففوض الى الله يا محمد أمورك وثق به فيما فانه كافيك انك على الحق المبين لمن تأمله وفكر فيه بعقل وتدبره بفهم أنه الحق دون ما عليه اليهود والنصارى المختلفون من بني اسرائيل ودون ما عليه أهل الاوثان المكذبون فيما أتيتهم به من الحق يقول فلا يحزنك تكذيب من كذبك وخلاف من خالفك وامض لامر ربك الذي بعثك به وقوله انك لا تسمع الموتى يقول انك يا محمد لا تقدر أن تفهم الحق من طبع الله على قلبه فأماته لان الله قد ختم عليه أن لا يفهمه ولا تسمع الصم الدعاء يقول ولا تقدر أن تسمع ذلك من أصم الله عن سماعه سمعه اذا ولوا مدبرين يقول اذا هم أدبروا معرضين عنه لا يسمعون له لغلبة دين الكفر على قلوبهم ولا يصغون للحق ولا يتدبرونه ولا ينصتون لقائله ولكنهم يعرضون عنه وينكرون القول به والاستماع له ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ﴾ اختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين وما أنت بهادي بالياء والالف واضافته الى العمي بمعنى لست يا محمد بهادي من عمي عن الحق عن ضلالته وقرأته عامة قراء الكوفة وما أنت تهدي العمي بالتاء ونصب العمي بمعنى ولست تهديهم عن ضلالتهم ولكن الله يهديهم ان شاء والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان متقاربتا المعنى مشهورتان في قراء الامصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وتأويل الكلام ما وصفت وما أنت يا محمد بهادي من أعماه الله عن الهدى والرشاد بجعل على بصره غشاوة عن أن يتبين سبيل الرشاد عن ضلالته التي هو فيها الى طريق الرشاد وسبيل الرشاد وقوله ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا يقول ما تقدر أن تفهم الحق وتوعيه سمع أحد الا سمع من يصدق بآياتنا يعني بأدلته وحججه وآي تنزيله فهم مسلمون فان أولئك يسمعون منك ما تقول ويتدبرونه ويفكرون فيه ويعملون به فهم الذين يسمعون (١) ذكر من قال مثل الذي قلنا في قوله تعالى وقع حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله واذا وقع القول عليهم قال حق عليهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا وقع القول عليهم يقول اذا وجب القول عليهم حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وقع القول عليهم قال حق العذاب قال ابن جريج القول العذاب ذكر من قال قولنا في معنى القول حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذا وقع القول عليهم والقول الغضب حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن هشام عن حفصة قالت سألت أبا العالية عن قوله واذا وقع القول عليهم فقال أوحى الله الى نوح أنه

(١) يظهر أن فيه سقطا يعلم من ايراد كلام أهل التأويل بعد فتدبه

(٣ - (ابن جرير) - العشرون)

ثم أضرب عن ذلك قائلا انهم لا يعلمون القيامة فضلا عن وقتها ثم ان عدم العلم قد يكون مع الغفلة الكلية فأضرب عن ذلك قائلا انهم ليسوا غافلين بالكلية ولكنهم فى شك ومرية ثم ان (١٠) الشك قد يكون بسبب عدم الدليل فأضرب عن ذلك قائلا انهم عمون عن ادراك الدليل مع وضوحه وقد جعل الآخرة مبدأ أعمالهم ومنشأها فلهذا عداه بمن دون عن والضمائر تعود الى من فى السموات والارض وذلك أن المشركين كانوا فى جملتهم فنسب فعلهم الى الجميع كما يقال بنو فلان فعلوا وانما فعله ناس منهم قاله فى الكشاف قلت قد تقدم ذكر المشركين فى قوله بل هم قوم يعدلون وغيره فلا حاجة الى هذا التكلف ولو لم يتقدم جاز للقرينة ۞ التأويل ولقد أرسلنا صالح القلب بالالهام الربانى الى صفات القلب وهو الفريق المؤمن والى النفس وصفاتها وهو الفريق الكافر والسيئة طلب الشهوات واللذات الفانية والحسنة طلب السعادات الباقية وكان فى مدينة القالب الانسانى تسعة رهط هم خواص العناصر الاربعة والحواس الخمس يفسدون فى أرض القلب بافساد الاستعداد الفطرى تقاسموا بالموافقة على السعى فى اهلاك القلب وصفاته وأن يقولوا لوليه وهو الحق سبحانه ما أهلكناهم وما حضرنا مع النفس الامارة حين قصدت هلاكهم ومكروا مكرا فى هلاك القلب بالهواجس النفسانية والوساوس الشيطانية ومكرنا مكرا بتوارد الواردات الربانية وتجلى صفات الجمال والجلال وهم لا يشعرون أن صلاحهم فى هلاكهم فمن قتلته فأنا دينه فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا أفنينا خواص التسعة وآفاتها وأفنينا قومهم اجمعين وهم النفس وصفاتها فتلك بيوتهم وهى القالب والاعضاء التى هى مساكن الحواس خالية عن الحواس المهلكة والآفات الغالبة بما ظلموا أى وضعوا من نتائج خواص العناصر وآفات الحواس فى غير موضعها وهو القلب وكان موضعها النفس بأمر الشارع لا بالطبع لصلاح

لن يؤمن من قومك الا من قد آمن قالت فكأنما كان على وجهى غطاء فكشف وقال جماعة من أهل العلم خروج هذه الدابة التى ذكرها حين لا يأمر الناس بمعروف ولا ينهون عن منكر ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا الاشجعى عن سفيان عن عمرو بن قيس عن عطية العوفى عن ابن عمر فى قوله واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض قال هو حين لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا محمد بن الحسن أبو الحسن قال ثنا عمرو بن قيس الملائى عن عطية عن ابن عمر فى قوله واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض قال ذاك اذا ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عمرو بن قيس عن عطية عن ابن عمر فى قوله أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم قال حين لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر حدثنى محمد بن عمرو المقدسى قال ثنا أشعث بن عبد الله السجستانى قال ثنا شعبة عن عطية فى قوله واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم قال اذا لم يعرفوا معروفا ولم ينكروا منكرا وذكر أن الارض التى تخرج منها الدابة مكة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنى الأشجعى عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن ابن عمر قال تخرج الدابة من صدع فى الصفا كجرى الفرس ثلاثة أيام وما خرج ثلثها حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو بن قيس عن الفرات القزاز عن عامر ابن واثلة أبى الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفارى قال ان الدابة حين تخرج يراها بعض الناس فيقولون والله لقد رأينا الدابة حتى يبلغ ذلك الامام فيطلب فلا يقدر على شئ قال ثم تخرج فيراها الناس فيقولون والله لقد رأيناها فيبلغ ذلك الامام فيطلب فلا يرى شيأ فيقول أما انى اذا حدث الذى يذكرها قال حتى يعدفيها القتل قال فتخرج فاذا رآها الناس دخلوا المسجد يصلون فجىء اليهم فتقول الآن تصلون فتخطم الكافر وتمسح على جبين المسلم غرة قال فيعيش الناس زمانا يقول هذا يا مؤمن وهذا يا كافر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عثمان بن مطر عن واصل مولى أبى عيينة عن أبى الطفيل عن حذيفة ◦ وأبى سفيان ثنا عن معمر عن قيس بن سعد عن ابى الطفيل عن حذيفة بن أسيد فى قوله أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم قال للدابة ثلاث خرجات خرجة فى بعض البوادى ثم تكمن وخرجة فى بعض القرى حين يهريق فيها الأمراء الدماء ثم تكمن فبينا الناس عند أشرف المساجد وأعظمها وأفضلها اذ رفعت بهم الارض فانطلق الناس هربا وتبقى طائفة من المؤمنين ويقولون انه لا يعجينا من الله شئ فتخرج عليهم الدابة تجلو وجوههم مثل الكوكب الدرى ثم تنطلق فلا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وتأتى الرجل يصلى فتقول والله ما كنت من أهل الصلاة فيلتفت اليها فتخطمه قال تجلو وجه المؤمن وتخطم الكافر قلنا فما للناس يومئذ قال جيران فى الرباع وشركاء فى الاموال وأصحاب فى الاسفار حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن فضيل عن الوليد بن جميع عن عبد الملك بن المغيرة عن عبد الرحمن ابن البيلمانى عن ابن عمر يبيت الناس يسيرون الى جمع وتبيت دابة الارض تسايرهم فيصبحون وقد خطمتهم من رأسها وذنبها فما من مؤمن الا مسحته ولا من كافر ولا منافق الا تخطمه حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال ثنا الخيرى عن حيان بن عمير عن حسان بن حمصة قال

القالب وبقائه وأنجيا الذين آمنوا وهم القلب وصفاته من شر النفس وصفاتها ولوط الروح اذ قال لقرمه وهم القلب والسر والعقل عند تبدل أوصافهم بمجاورة النفس أتأتون الفاحشة وهي كل مازلت به أقدامهم عن الصراط المستقيم وأماراتها في الظاهر اتيان

سمعت عبد الله بن عمرو يقول لو شئت لانتعلت بنعلي هاتين فلم أمس الارض قاعدا حتى أقف على الاحجار التي تخرج الدابة من بينها ولكأني بها قد خرجت في عقب ركب من الحاج قال فما حججت قط الا خفت تخرج بعقبنا حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآملي قال ثنا أبو أسامة عن هشام عن قيس بن سعد عن عطاء قال رأيت عبد الله بن عمرو وكان منزله قريبا من الصفا رفع قدمه وهو قائم وقال لو شئت لم أضعها حتى أضعها على المكان الذي تخرج منه الدابة حدثنا عصام ابن رواد بن الجراح قال ثنا أبي قال ثنا سفيان بن سعيد الثوري قال ثنا منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش قال سمعت حذيفة بن اليمان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وذكر الدابة فقال حذيفة قلت يا رسول الله من أين تخرج قال من أعظم المساجد حرمة على الله يعني يعوذ بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى وتخرج الدابة من الصفا أول ما يبدو رأسها ملمعة ذات وبر وريش لم يدركها طالب ولن يفوتها هارب تسم الناس مؤمن وكافر أما المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن وأما الكافر فتنكت بين عينيه نكتة سوداء كافر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو الحسين عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن أوس بن خالد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج الدابة معها خاتم سليمان وعصا موسى فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتختم أنف الكافر بالخاتم حتى ان أهل البيت ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر ، قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال هي دابة ذات زغب وريش ولها أربع قوائم تخرج من بعض أودية تهامة قال قال عبد الله بن عمر انها تنكت في وجه الكافر نكتة سوداء فتفشو في وجهه فيسود وجهه وتنكت في وجه المؤمن نكتة بيضاء فتفشو في وجهه حتى يبيض وجهه فيجلس أهل البيت على المائدة فيعرفون المؤمن من الكافر ويتبايعون في الاسواق فيعرفون المؤمن من الكافر حدثني ابن عبد الرحيم البرقي قال ثنا ابن أبي مريم قال ثنا ابن لهيعة ويحيى بن أيوب قالا ثنا ابن الهاد عن عمرو بن الحكم أنه سمع عبد الله ابن عمرو يقول تخرج الدابة من شعب فيمس رأسها السحاب ورجلاها في الارض ما خرجنا فتمر بالانسان يصلي فتقول ما الصلاة من حاجتك فتخطمه حدثنا صالح بن مسمار قال ثنا ابن أبي فديك قال ثنا يزيد بن عياض عن محمد بن اسحق أنه بلغه عن عبد الله بن عمرو قال تخرج دابة الارض ومعها خاتم سليمان وعصا موسى فأما الكافر فتختم بين عينيه بخاتم سليمان وأما المؤمن فتمسح وجهه بعصا موسى فيبيض «واختلفت القراء في قراءة قوله تكلمهم فقرأ ذلك عامة قراء الامصار تكلمهم بضم التاء وتشديد اللام بمعنى تخبرهم وتحدثهم وقرأه أبو زرعة بن عمرو تكلمهم بفتح التاء وتخفيف اللام بمعنى تسمهم والقراءة التي لا أستجيز غيرها في ذلك ما عليه قراء الامصار ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم قال تحدثهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم وهي في بعض القراءة تحدثهم تقول لهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله تكلمهم قال كلامها

المناهي على وفق الطبع وفي الباطن حب الدنيا وشهواتها وأنتم تبصرون تميزون الخير من الشر واتيان الرجال دون النساء عبارة عن صرف الاستعداد فيما يبعد عن الحق لا فيما يقرب منه فما كان جواب قومه وهم القلب المريض بتعلق حب الدنيا والسر المكدر بكدورات الرياء والنفاق والعقل المشوب بآفة الوهم والخيال اخرجوا الصفات الروحانية من قرية الشخص الانساني انهم أناس يتطهرون من لوث الدنيا وشهواتها فأنجيناه وأهله وهم السر والعقل وصفاتهما من عذاب تعلق الدنيا الا امرأته وهي النفس الامارة بالسوء امطرنا على النفس وصفاتها مطرا بترك الشهوات فساء مطر المنذرين أي صعب فان الفطام من المألوفات شديد وهذه حالة مستدعية للحمد والشكر فلهذا قال قل الحمد لله وسلام من تعلقات الكونين وآفات الوجود المجازي على عباده أمن خلق سموات القلوب وأرض النفوس وأنزل من سماء القلب ماء نظر الرحمة فأنبتنا به حدائق من العلوم والمعاني والاسرار أإله مع الله من الهوى أمن جعل أرض النفس قرارا في الجسد وجعل خلالها أنهارا من دواعي البشرية وجعل لها رواسي من القوى والحواس وجعل بين بحر الروح وبحر النفس حاجزا القلب فان في اختلاطهما فساد حالها أإله مع الله كما زعمت الطبائعية أمن يجيب المضطر اذا دعاه في العدم بلسان الحال ويجعلكم مستعدين لخلافته في الارض أإله مع الله كما يزعم أرباب الحلول والاتحاد أمن يهديكم في ظلمات بر البشرية وبحر الروحانية وان كانت الروحانية نورانية بالنسبة الى ظلمة البشرية والمراد يهديكم باخراجكم من ظلمات البشرية الى نور

الروحانية ومن ظلمات خلقته الروحانية الى نور الربوبية وذلك حين يرسل رياح العناية بين يدى سحاب الهداية أمامه مع الله كما يقوله المنجمون مطرنا بنوء كذا وكما يقوله قاصر والنظر هذا

الى عالم الوحدة ومن برزقكم من سماء الربوبية لتربية الارواح ومن أرض بشرية الاشباح أمامه مع الله كائنا من كان دليله انه لا يعلم الغيب الا هو ومن جملته علم قيام الساعة والله أعلم ﴿وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان هذا الا أساطير الاولين قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم ولا تكن فى ضيق مما يمكرون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون وان ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وما من غائبة فى السماء والارض الا فى كتاب مبين ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون وانه لهدى ورحمة للمؤمنين ان ربك يقضى بينهم بحكمه وهو العزيز العليم فتوكل على الله انك على الحق المبين انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون حتى اذا جاؤا قال أكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علما أماذا كنتم تعملون ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله وكل أتوه داخرين

تنبيهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون وقوله أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة والشام ان الناس بكسر الألف من ان على وجه الابتداء بالخبر عن الناس أنهم كانوا بآيات الله لا يوقنون وهى وان كسرت فى قراءة هؤلاء فان الكلام لها متناول وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة وبعض أهل البصرة أن الناس كانوا بفتح أن بمعنى تكلمهم بأن الناس فيكون حينئذ نصبا بوقوع الكلام عليها والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان متقاربتا المعنى مستفيضتان فى قرأة الامصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون حتى اذا جاؤا قال أكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علما أم ماذا كنتم تعملون ﴿يقول تعالى ذكره ويوم نجمع من كل قرن وملة فوجا يعنى جماعة منهم وزمرة ممن يكذب بآياتنا يقول ممن يكذب بأدلتنا وحججنا فهو يحبس أولهم على آخرهم ليجتمع جميعهم ثم يساقون الى النار ونحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون يعنى الشيعة عند الحشر حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد من كل أمة فوجا قال زمرة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله نحشر من كل أمة فوجا قال زمرة زمرة فهم يوزعون حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون قال يقول فهم يدفعون حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد فى قوله فهم يوزعون قال يحبس أولهم على آخرهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فهم يوزعون قال وزعة ترد أولاهم على أخراهم وقد بينت معنى قوله يوزعون فيما مضى قبل بشواهده فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع وقوله حتى اذا جاؤا قال أكذبتم بآياتى يقول تعالى ذكره حتى اذا جاء من كل أمة فوج ممن يكذب بآياتنا فاجتمعوا قال الله أكذبتم بآياتى أى بحججى وأدلتى ولم تحيطوا بها علما يقول ولم تعرفوها حق معرفتها أم ماذا كنتم تعملون فيما من تكذيب أو تصديق ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره ووجب السخط والغضب من الله على المكذبين بآياته بما ظلموا يعنى بتكذيبهم بآيات الله يوم يحشرون فهم لا ينطقون يقول فهم لا ينطقون بحجة يدفعون بها عن أنفسهم عظيم ما حل بهم ووقع عليهم من القول وقوله ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه يقول تعالى ذكره ألم ير هؤلاء المكذبون بآياتنا نصرفنا الليل والنهار ونخالفنا بينهما بتصييرنا هذا ساكنا لهم يسكنون فيه ويهدؤن راحة لأبدانهم من تعب التصرف والتقلب نهارا وهذا مضيئا يبصرون فيه الاشياء ويعاينونها فيتقلبون فيه لمعايشهم فيتفكروا فى ذلك ويتدبروا ويعلموا أن مصرف ذلك كذلك هو الاله الذى لا يعجزه شئ ولا يتعذر عليه اماتة الاحياء واحياء الاموات بعد الممات كما لم يتعذر عليه الذهاب بالنهار والمجئ بالليل والمجئ بالنهار والذهاب بالليل مع اختلاف أحوالهم ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون يقول تعالى ذكره ان فى تصييرنا الليل سكنا والنهار مبصرا لدلالة

وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة

قوم يؤمنون بالله على قدرته على ما آمنوا به من البعث بعد الموت وحجة لهم على توحيد الله ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وكل أتوه داخرين ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى ويوم ينفخ في الصور وقد ذكرنا اختلافهم فيما مضى وبينا الصواب من القول في ذلك عندنا بشواهده غير أنا نذكر في هذا الموضع بعض ما لم نذكر هناك من الاخبار فقال بعضهم هو قرن ينفخ فيه ذكر بعض من لم يذكر فيما مضى قبل من الخبر عن ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ويوم ينفخ في الصور قال كهيئة البوق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال الصور البوق قال هو البوق صاحبه آخذ به يقبض قبضتين بكفيه على طرف القرن بين طرفه وبين فيه قدر قبضة أو نحوها قد برك على ركبة احدى رجليه فأشار فبرك على ركبة يساره مقعيا على قدميها عقبها تحت فخذيه وأليتيه وأطراف أصابعها في التراب ٥ قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر بن عبد الله قال الصور كهيئة القرن قد رفع احدى ركبتيه الى السماء وخفض الأخرى لم يلق جبهته على عمض منذ خلق الله السموات مستعدا مستجدا قد وضع الصور على فيه ينتظر متى يؤمر أن ينفخ فيه حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن اسمعيل بن رافع المدني عن يزيد بن زياد « قال أبو جعفر والصواب يزيد بن أبي زياد » عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الانصار عن أبي هريرة أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ما الصور قال قرن قال وكيف هو قال قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين يأمر الله اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انفخ نفخة الفزع فينفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات وأهل الارض الا من شاء الله ويأمره الله فيمدها ويطولها فلا يفتر وهي التي يقول الله ما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق فيسير الله الجبال فتكون سرابا وترج الارض بأهلها رجا وهي التي يقول الله يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة فتكون الارض كالسفينة الموثقة في البحر تضربها الامواج تكفأ بأهلها أو كالقنديل المعلق بالوتر ترجحه الارياح فتميد الناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة حتى تأتي الاقطار فتتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ويولي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضا وهو الذي يقول الله يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد فبينما هم على ذلك اذ تصدعت الارض من قطر الى قطر فرأوا أمرا عظيما فأخذهم لذلك من الكرب ما الله أعلم به ثم نظروا الى السماء فاذا هي كالمهل ثم خسف شمسها وقمرها وانتثرت نجومها ثم كشطت عنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والاموات لا يعلمون بشيء من ذلك فقال أبو هريرة يا رسول الله فمن استثنى الله حين يقول ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله قال أولئك الشهداء وانما يصل الفزع الى الاحياء أولئك أحياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا اسمعيل بن رافع عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى لما فرغ من السموات والارض خلق

الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون ﴿ القراآت أئذا أئنا بياء مكسورة بعد همزة مفتوحة ابن كثير ويعقوب غير زيد مثله ولكن بالمد أبو عمرو وزيد أئنا بهمزة مفتوحة ثم ياء مكسورة ائنا بكسر الهمزة وبعدها نون مشددة سهل اذا من غير همزة الاستفهام آينا بهمزة ممدودة بعدها ياء مكسورة يزيد وقالون مثله ولكن من غير مد نافع غير قالون أئذا بهمزتين مفتوحة ثم مكسورة ائنا بهمزة مكسورة بعدها نون مشددة على وابن عامر هشام يدخل بينهما مدة أئذا أئنا بهمزتين مفتوحة ثم مكسورة فيهما حمزة وخلف وعاصم ولا يسمع فتح الياء التحتانية الصم بالرفع ابن كثير وعباس وكذلك في الروم الآخرون بضم التاء الفوقانية وكسر الميم ونصب الصم وما أنت تهدي على أنه فعل العمى بالنصب وكذلك في الروم حمزة الباقون يهادي على أنه اسم فاعل العمى بالجر أتوه مقصورا على أنه فعل ماض حمزة وخلف وحفص والمفضل الآخرون بالمد على أنه اسم فاعل بما يفعلون على الغيبة ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وحماد والاعشى والبرجمي والحلواني عن هشام فزع بالتنوين عاصم وحمزة وعلي وخلف يومئذ بفتح الميم حمزة وأبو جعفر ونافع الباقون بكسرها تعملون بتاء الخطاب أبو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب وحفص

﴿ الوقوف لمخرجون ٥ من قبل لا تحوزا عن الابتداء بمقول الكفار الاولين ٥ المجرمين ٥ يمكرون ٥ صادقين ٥ تستعجلون ٥

لايشكرون ۝ ومايعلنون ۝ مبين ۝ يختلفون ۝ للمؤمنين ۝ بحكمه ج تعظيما للابتداء بالصفتين مع اتفاق الجملتين العليم ۝ ج للآية واختلاف الجملتين ولتناسب الفواصل (١٤) المعنى أى اذا كان الحكم لله فأسرع التوكل على الله ط المبين ۝ مدبرين ۝ ضلالتهم ط مسلمون ۝ تكلمهم ج لمن قرأ بكسر الالف فانه يحتمل أن يكون الكسر للابتداء ولكونها بعد التكليم لانه فى معنى القول ومن فتح فعلا وقف اذ التقدير تكلمهم بأن لايوقنون ۝ يوزعون ۝ تعملون ۝ لاينطقون ۝ مبصرا ط يؤمنون ۝ من شاء الله ط داخرين ۝ السحاب ط كل شئ ط تفعلون ۝ خير منها لا لان مابعده من تمة الجزاء آمنون ۝ لا لعطف جملتى الشرط فى النار ۝ تعملون ۝ شئ ز للعارض وطول الكلام مع العطف المسلمين ۝ لالعطف القرآن ج لنفسه ج المنذرين ۝ فتعرفونها ط تعملون ۝ ﴿ التفسير لما ذكر أن المشركين فى شك من أمر البعث عمون عن النظر فى دلائله أراد أن يبين عامة شبهتهم وهى مجرد استبعاد احياء الاموات بعد صيرورتهم ترابا عند الحس قال النحويون العامل فى اذا مادل عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج والمراد الاخراج من الارض أو من حال الفناء الى حال الحياة وانما ذهبوا الى هذا التكلف بناء على ان ما بعد همزة الاستفهام وكذا مابعد ان واللام لايعمل فيما قبلها لان هذه الاشياء تقتضى صدر الكلام وتكرير حرف الاستفهام فى اذا وان جميعا انكار على انكار والضمير فى انا لهم ولآبائهم جميعا وقد مر فى سورة المؤمنين تفسير قوله لقد وعدنا وبيان المتشابه فليذكر ثم أوعدهم على عدم قبول قول الانبياء بالنظر فى حال الامم السالفة المكذبة ولم تؤنث كان لان تأنيث العاقبة غير حقيقى أولان المراد كيف كان وهى عاقبة أمرهم والمراد بالمجرمين الكافرون لان الكفر جرم مخصوص وفيه تنبيه على قبح موقع الجرم أياما كان فعلى المؤمن أن يتجنبه

الصور فأعطاه ملكا فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش ينتظر متى يؤمر قال قلت يارسول الله وما الصور قال قرن قلت فكيف هو قال عظيم والذى نفسى بيده ان عظم دائرة فيه لكعرض السموات والارض يأمره فينفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات والارض الامن شاء الله ثم ذكر باقى الحديث نحو حديث أبى كريب عن المحاربى غير أنه قال فى حديثه كالسفينة المرفأة فى البحر ۝ وقال آخرون بل معنى ذلك ونفخ فى صور الخلق ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويوم ينفخ فى الصور أى فى الخلق قوله ففزع من فى السموات ومن فى الارض يقول ففزع من فى السموات من الملائكة ومن فى الارض من الجن والانس والشياطين من هول ما يعاينون ذلك اليوم فان قال قائل وكيف قيل ففزع بلفظ فعل فزع وهى فعل مردودة على ينفخ وهى بلفظ فعل قيل العرب تفعل ذلك فى المواضع التى تصلح فيها اذا لأن اذا يصلح معها فعل ويفعل كقولك أزورك اذا زرتنى وأزورك اذا تزورنى فاذا وضع مكان اذا يوم أجرى مجرى اذا فان قيل فأين جواب قوله ويوم ينفخ فى الصور ففزع قيل جائز أن يكون مضمرا مع الواو كأنه قيل ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لاينطقون وذلك يوم ينفخ فى الصور وجائز أن يكون متروكا اكتفى بدلالة الكلام عليه منه كما قيل ولو يرى الذين ظلموا فترك جوابه وقوله الامن شاء الله قيل ان الذين استثناهم الله فى هذا الموضع من أن يناله الفزع يومئذ الشهداء وذلك أنهم أحياء عند ربهم يرزقون وان كانوا فى عداد الموتى عند أهل الدنيا وبذلك جاء الاثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكرناه فى الخبر الماضى وحدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام عمن حدثه عن أبى هريرة أنه قرأ هذه الآية ففزع من فى السموات ومن فى الارض الامن شاء الله قال هم الشهداء وقوله وكل أتوه داخرين يقول وكل أتوه صاغرين ومثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وكل أتوه داخرين يقول صاغرين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكل أتوه داخرين قال صاغرين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وكل أتوه داخرين قال الداخر الصاغر الراغم قال لان المرء الذى يفزع اذا ففزع انما همته الهرب من الامر الذى فزع منه قال فلما نفخ فى الصور ففزعوا فلم يكن لهم من الله منجى واختلفت القراء فى قراءة قوله وكل أتوه داخرين فقرأته عامة قراء الامصار وكل آتوه بمد الالف من أتوه على مثال فاعلوه سوى ابن مسعود فانه قرأه وكل أتوه على مثال فعلوه واتبعه على القراءة به المتأخرون الأعمش وحمزة واعتل الذين قرؤا ذلك على مثال فاعلوه باجماع القراء على قوله وكلهم آتيه قالوا فكذلك قوله آتوه فى الجمع وأما الذين قرؤا على قراءة عبد الله فانهم ردوه على قوله ففزع كأنهم وجهوا معنى الكلام الى ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن الارض وأتوه كلهم داخرين كما يقال فى الكلام رأى وفروعاده وهو صاغر والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مستفيضتان فى قرأة الامصار ومتقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شئ انه خبير بما تفعلون ﴾ يقول تعالى ذكره وترى الجبال يا محمد تحسبها قائمة

عاقبتها ويترك الجرائم كلها بكلا يشارك الكفرة فى هذا الاسم الشنيع ومعنى قوله (ولا تحزن عليهم) الآية قدمر فى آخر النحل وفى هذه الآى تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما كان يناله من قومه ثم انهم استعجلوا العذاب الموعود على سبيل السخرية فأمره ان يقول لهم (عسى أن يكون) وهذه على قاعدة وعد الملوك ووعيدهم يعنون بذلك القطع بوقوع ذلك الأمر مع اظهار الوقار والوثوق بما يتكلمون وان كان على سبيل الرجاء والطمع ومثل هذا قال (ردف لكم بعض الذى) دون أن يقول ردف لكم الذى واللام زائدة للتأكيد كالباء فى ولا تلقوا بأيديكم أو أريد أزف لكم ودنا لكم بتضمن فعل يتعدى باللام ومعناه تبعكم ولحقكم وقال بعضهم المقتضى للعذاب والمؤثر فيه حاصل فى الدنيا الا أن الشعور به غير حاصل كما للسكران أو النائم فتمام العذاب انما يحصل بعد الموت وان كان طرف منه حاصلا فى الدنيا فلهذا ذكر البعض ثم ذكر أنه متفضل عليهم بتأخير العقوبة فى الدنيا ولكنهم لا يشكرون هذه النعمة فيستعجلون وقوع العقاب بجهلهم وفيه دليل على أن نعمة الله تعم الكافر والمؤمن ثم بين أنه مطلع على ما فى صدورهم مما يخفون كالقصود والدواعى وعلى ما يظهرون من أفعال الجوارح وغيرها ولعل الغرض أنه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك ثم أكد ذلك بأن المغيبات كلها ثابتة فى اللوح المحفوظ والعاقبة اما مصدر كالعافية واما اسم غير صفة كالذبيحة والريئة واما صفة والتاء للمبالغة كالراوية فى قولهم ويل للشاعر من راوية السوء كأنه

وهى تمر كالذى حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وترى الجبال تحسبها جامدة يقول قائمة وانما قيل وهى تمر السحاب لانها تجمع ثم تسير فيحسب رائيها لكثرتها أنها واقفة وهى تسير سيرا حثيثا كما قال الجعدى

بأربعن مثل الطود تحسب أنهم ٭ وقوف لحاج والركاب تهملج

قوله صنع الله الذى أتقن كل شئ وأوثق خلقه و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله صنع الله الذى أتقن كل شئ يقول أحكم كل شئ حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله صنع الله الذى أتقن كل شئ يقول أحسن كل شئ خلقه وأوثقه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الذى أتقن كل شئ قال أوثق كل شئ وسوى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أتقن أوثق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انه خبير بما يفعلون يقول تعالى ذكره ان الله ذو علم وخبرة بما يفعل عباده من خير وشر وطاعة له ومعصية وهو مجازى جميعهم على جميع ذلك على الخير الخير وعلى الشر الشر نظيره ٭ القول فى تأويل قوله تعالى (من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون) يقول تعالى ذكره من جاء الله بتوحيده والايمان به وقول لا اله الا الله موقنا به قلبه فله من هذه الحسنة عند الله خير يوم القيامة وذلك الخير أن يثيبه الله منها الجنة و يؤمنه من فزع الصيحة الكبرى وهى النفخ فى الصور ومن جاء بالسيئة يقول ومن جاء بالشرك به يوم يلقاه وجحود وحدانيته فكبت وجوههم فى نار جهنم و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن خلف العسقلانى قال ثنى الفضل بن دكين قال ثنا يحيى بن أيوب البجلى قال سمعت أبا زرعة قال قال أبو هريرة قال يحيى أحسبه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون قال وهى لا اله الا الله ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار قال وهى الشرك حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال ثنا أبو يحيى الحمانى عن المنهال بن عربى عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون قال من جاء بلا اله الا الله ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار قال بالشرك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله من جاء بالحسنة فله خير منها يقول من جاء بلا اله الا الله ومن جاء بالسيئة وهو الشرك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن جاء بالسيئة قال بالشرك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله من جاء بالحسنة قال كلمة الاخلاص ومن جاء بالسيئة قال الشرك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه قال ابن جريج وسمعت عطاء يقول فيها الشرك يعنى فى قوله ومن جاء بالسيئة حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن أبى المحجل

فى وما من شئ شديد الغيبوبة الا وهو مثبت فى الكتاب الظاهر المبين لمن ينظر فيه من الملائكة ثم بين لدفع شبه القوم اعجاز القرآن الموافق بعضه لما فى التوراة والانجيل مع كونه صلى الله عليه وسلم أميا والمطابق غرضه لما هو الحق فى نفس الأمر وقد حرفه بنو اسرائيل عن

وجهه كاختلافهم فى شأن المسيح فى كثير من الشرائع والاحكام وذكر انه هدى ورحمة لمن آمن منهم وأنصف أو منهم ومن غيرهم ثم ذكر أن من لم ينصف منهم فالله يقضى بينهم بحكمه (١٦) أى بما يحكم به وهو عدله لانه لا يقضى الا بالعدل فسمى المحكوم به حكما (وهو العزيز)

الذى لا يغالب فيما يريد (العليم) بما يحكم وبمن يحكم فيه أو عليهم ثم أمره بالتوكل وقلة المبالاة بأعداء الدين وعلل ذلك بأمرين أحدهما أنه على الحق الأبلج وفيه أن صاحب الحق حقيق بالوثوق بنصرة الله وثانيهما قوله (انك لا تسمع الموتى) لانه اذا علم أن حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى أو كحال الصم الذين لا يسمعون ولا يفهمون والعمى الذين لا يبصرون ولا يهتدون صار ذلك سببا قويا فى اظهار مخالفتهم وعدم الاعتداد بهم وقوله (اذا ولوا مدبرين) تأكيد لان الاصم اذا توجه الى الداعى لم يرج منه سماع فكيف اذا ولى مدبرا وهداه عن الضلالة كقولك سقاه عن الغيمة ثم بين أن اسماعه لا يجدى الا على الذين علم الله أنهم يصدقون بآياته (فهم مسلمون) أى مخلصون منقادون لامر الله بالكلية ثم هدد المكلفين بذكر طرف من أشراط الساعة وما بعدها فقال (واذا وقع القول) أى دنا وشارف أن يحصل مؤداه ومفهومه (عليهم) وهو ما وعدوا به من قيام الساعة والعذاب (أخرجنا لهم دابة من الارض) وهى الجساسة وقد تكلم علماء الحديث فيها من وجوه أحدها فى مقدار جسمها فقيل ان طولها ستون ذراعا وقيل ان رأسها يبلغ السحاب وعن أبى هريرة ما بين قرنيها فرسخ للراكب وثانيها فى كيفية خلقتها فروى لها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان وعن ابن جريج فى وصفها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هر وذنب كبش

من

وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا وثالثها فى كيفية خروجها عن على رضى الله عنه أنها تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون لا

عن أبى معشر عن ابراهيم قال كان يحلف ما يستثنى أن من جاء بالحسنة قال لا اله الا الله ومن جاء بالسيئة قال الشرك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عبد الملك عن عطاء مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال ثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار قال الشرك حدثنى أبو السائب قال ثنا حفص قال ثنا سعد بن سعيد عن على بن الحسين وكان رجلا غزاء قال بينا هو فى بعض خلواته حتى رفع صوته لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت بيده الخير وهو على كل شئ قدير قال فرد عليه رجل ما تقول يا عبد الله قال أقول ما تسمع قال أما انها الكلمة التى قال الله من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من جاء بالحسنة قال الاخلاص ومن جاء بالسيئة قال الشرك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ومن جاء بالسيئة يعنى الشرك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الحسن ومن جاء بالسيئة يقول الشرك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار قال السيئة الشرك الكفر حدثنى سعد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا حفص بن عمر العدنى قال ثنا الحكم ابن أبان عن عكرمة قوله من جاء بالحسنة قال شهادة أن لا اله الا الله ومن جاء بالسيئة قال السيئة الشرك قال الحكم قال عكرمة كل شئ فى القرآن السيئة فهو الشرك ونحو الذى قلنا فى معنى قوله فله خير منها قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فله خير منها فمنها وصل اليه الخير يعنى ابن عباس بذلك من الحسنة وصل الى الذى جاء بها الخير حدثنا محمد بن بشار قال ثنا روح بن عبادة قال ثنا حسين الشهيد عن الحسن من جاء بالحسنة فله خير منها قال له منها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الحسن قال من جاء بلا اله الا الله فله خير منها خيرا (٣) حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فله خير منها يقول له منها حظ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج من جاء بالحسنة فله خير منها قال له منها خير فأما أن يكون خيرا من الايمان فلا ولكن منها خير يصيب منها خيرا حدثنا سعد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا حفص بن عمر قال ثنا الحكم عن عكرمة قوله من جاء بالحسنة فله خير منها قال ليس شئ خيرا من لا اله الا الله ولكن له منها خير وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله من جاء بالحسنة فله خير منها قال أعطاه الله بالواحدة عشرا فهذا خير منها واختلفت القراء فى قراءة قوله وهم من فزع يومئذ آمنون فقرأ ذلك بعض قراء البصرة وهم من فزع يومئذ آمنون باضافة فزع الى اليوم وقرأ ذلك جماعة قراء أهل الكوفة من فزع يومئذ بتنوين فزع * والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مشهورتان فى قرأة الامصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أن الاضافة أعجب الى لانه فزع معلوم واذا كان ذلك كذلك كان معرفة على أن ذلك فى سياق قوله ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله فاذا كان ذلك كذلك فمعلوم أنه عنى بقوله وهم من فزع يومئذ آمنون

يخرج الا ثلثها وعن الحسن لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة أيام ورابعها مكان خروجها سئل النبي صلى الله عليه وسلم من أين تخرج الدابة فقال من أعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية وخامسها في عدد خروجها روى أنها تخرج ثلاث مرات تخرج بأقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا فبينما الناس في أعظم المساجد حرمة وأكرمها على الله فأيهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فتهويرون وقوم يقفون نظارة وسادسها فيما يصدر عنها من الآثار والعجائب فظاهر الآية أنها تكلم الناس ومحوى الكلام (أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) قال جار الله معناه أن الناس كانوا لا يوقنون بخروجي لأن خروجها من الآيات ومن قرأ أن مكسورة فقولها حكاية قول الله فلذلك قالت بآياتنا أو المعنى بآيات ربنا فحذف المضاف أو سبب الاضافة اختصاصها بالله كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا وبلادنا وانما هي خيل مولاه وبلاده عن السدي تكلمهم ببطلان الأديان كلها سوى دين الاسلام وعن ابن عمر تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذ ثم تستقبل المشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك روى يناعيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون واذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا فما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن في مسجده أو فيما بين عينيه بعصا موسى فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى يضيء لها وجهه ويكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في أنفه فتفشو النكتة حتى تسود لها وجهه ويكتب بين عينيه كافر وروى أنها تقول لهم يا فلان أنت من أهل الجنة ويا فلان أنت من أهل النار وقيل تكلمهم

من الفزع الذي قد جرى ذكره قبله واذا كان كذلك كان لا شك أنه معرفة وأن الاضافة اذا كان معرفة به أولى من ترك الاضافة وأخرى أن ذلك اذا أضيف فهو أبين أنه خبر عن أمانه من كل أهوال ذلك اليوم منه اذا لم يضف ذلك وذلك أنه اذا لم يضف كان الأغلب عليه أنه جعل الامان من فزع بعض أهواله وقوله هل تجزون الا ما كنتم تعملون يقول تعالى ذكره يقال لهم هل تجزون أيها المشركون الا ما كنتم تعملون اذ كبكم الله لوجوهكم في النار والاجزاء ما كنتم تعملون في الدنيا بما يسخط ربكم وترك يقال لهم اكتفاء بدلالة الكلام عليه ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد قل انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة وهي مكة التي حرمها على خلقه أن يسفكوا فيها دما حراما أو يظلموا فيها أحدا أو يصاد صيدها أو يختلى خلاها دون الاوثان التي تعبدونها أيها المشركون ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها يعني مكة وقوله وله كل شيء يقول ورب هذه البلدة الأشياء كلها ملكا فايا ه أمرت أن أعبد لا من لا يملك شيأ وانما قال جل ثناؤه رب هذه البلدة الذي حرمها فخصها بالذكر دون سائر البلدان وهو رب البلاد كلها لانه أراد تعريف المشركين من قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هم أهل مكة بذلك نعمته عليهم واحسانه اليهم وأن الذي ينبغي لهم أن يعبدوه هو الذي حرم بلدهم فمنع الناس منهم وهم في سائر البلاد يأكل بعضهم بعضا ويقتل بعضهم بعضا لا من لم تجر له عليهم نعمة ولا يقدر لهم على نفع ولا ضر وقوله وأمرت أن أكون من المسلمين يقول وأمرني ربي أن أسلم وجهي له حنيفا أكون من المسلمين الذين دانوا بدين خليله ابراهيم وجدكم أيها المشركون لا من خالف دين جده الحق ودان دين ابليس عدو الله ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين﴾ يقول تعالى ذكره قل انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة وأن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن فمن اهتدى يقول فمن اتبعني وآمن بي وبما جئت به فسلك طريق الرشاد فانما يهتدي لنفسه يقول فانما يسلك سبيل الصواب باتباعه اياي وايمانه بي وبما جئت به لنفسه لانه بايمانه بي وبما جئت به يأمن نقمته في الدنيا وعذابه في الآخرة وقوله ومن ضل يقول ومن جار عن قصد السبيل بتكذيبه بي وبما جئت به من عند الله فقل انما أنا من المنذرين يقول تعالى ذكره فقل يا محمد لمن ضل عن قصد السبيل وكذبك ولم يصدق بما جئت به من عندي انما أنا ممن ينذر قومه عذاب الله وسخطه على معصيتهم اياه وقد أنذرتكم ذلك معشر كفار قريش فان قبلتم وانتهيتم عما يكرهه الله منكم من الشرك به فحظوظ أنفسكم تصيبون وان رددتم وكذبتم فعلي أنفسكم جنيتم وقد بلغتكم ما أمرت بابلاغه اياكم ونصحت لكم ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء الذين لك من مشركي قومك متى هذا الوعد ان كنتم صادقين الحمد لله على نعمته علينا بتوفيقه اياك للحق الذي أنتم عنه عمون سيريكم ربكم آياته عذابه وسخطه فتعرفون بها حقيقة نصحي كان لكم وبين صدق ما دعوتكم اليه من الرشاد ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال

من الكلم على معنى التبكيت والمراد به الجرح وهو الوسم بالعصا والخاتم ثم ذكر طرفا مجملا من أهوال يوم القيامة فقال (و يوم) أى واذكر يوم (نحشر من كل أمة فوجا) أى جماعة كثيرة (ممن يكذب) هذه للتبيين والاولى للتبعيض وقوله (بآياتنا) يحتمل معجزات جميع الرسل أو القرآن خاصة وقد مر معنى قوله (فهم يوزعون) فى وصف جنود سليمان أى يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا فى النار وعن ابن عباس الفوج أبو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدى أهل مكة وكذلك يحشر قادة سائر الامم بين أيديهم الى النار والواو فى قوله (ولم تحيطوا) للحال كأنه قيل أكذبتم بآياتى بادى الرأى من غير الوقوف على حقيقتها وأنها جديرة بالتصديق او بالتكذيب ويجوز أن تكون الواو للعطف والمعنى أجحدتموها ومع جحودكم لم تلقوا أذهانكم لتفهمها فقد يجحد المكتوب اليه كون الكتاب من عند من كتبه ومع ذلك لا يدع تفهم مضمونه وأن يحيط بمعانيه قال جار الله (أماذا كنتم تعملون) للتبكيت لا غير لانهم لم يعملوا الا التكذيب ولم يشتهر من حالهم الا ذلك وجوز أن يراد ما كان لكم عمل فى الدنيا الا الكفر والتكذيب أم ماذا كنتم تعملون من غير ذلك كأنكم لم تخلقوا الا لأجله وقال غيره أراد لما لم تشتغلوا بذلك العمل المهم وهو التصديق فأى شئ تعملونه بعد ذلك لأن كل عمل سواه فكأنه ليس بعمل قال المفسرون يخاطبون بهذا قبل كبهم فى النار ثم يكبون فيها وذلك قوله (ووقع القول عليهم) أى العذاب الموعود بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار ثم بعد أن خوفهم بأهوال القيامة وأحوالها ذكر ما يصلح أن يكون دليلا على التوحيد وعلى الحشر وعلى النبوة مبالغة فى الارشاد الى الايمان والمنع من الكفر فقال (ألم يروا) الآية ووجه دلالته على التوحيد أن التقليب من الليل الى النهار

ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله سير بكم آياته فتعرفونها قال فى أنفسكم وفى السماء والارض والرزق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله سير بكم آياته فتعرفونها قال فى أنفسكم والسماء والارض والرزق وقوله ومار بك بغافل عما تعملون يقول تعالى ذكره ومار بك يا محمد بغافل عما يعمل هؤلاء المشركون ولكن لهم أجل هم بالغوه فاذا بلغوه فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم فلا يحزنك تكذيبهم اياك فانى من وراء اهلاكهم وانى لهم بالمرصاد فأيقن لنفسك بالنصر ولعدوك بالذل والخزى

﴿ آخر تفسير سورة النمل ولله الحمد والمنة وبه الثقة والعصمة ﴾

﴿ تفسير سورة القصص ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ﴿ طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبا موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ﴾ قال أبو جعفر قد بينا قبل فيما مضى تأويل قول الله عز وجل طسم وذكرنا اختلاف أهل التأويل فى تأويله وأما قوله تلك آيات الكتاب المبين فانه يعنى هذه آيات الكتاب الذى أنزلته اليك يا محمد المبين أنه من عند الله وأنك لم تتقوله ولم تتخرصه وكان قتادة فيما ذكر عنه يقول فى ذلك ما حدثنى بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله طسم تلك آيات الكتاب المبين يعنى مبين والله بركته ورشده وهداه وقوله نتلو عليك يقول نقرأ عليك ونقص فى هذا القرآن من خبر موسى وفرعون بالحق كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله نتلو عليك من نبا موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون يقول فى هذا القرآن نبؤهم وقوله لقوم يؤمنون يقول لقوم يصدقون بهذا الكتاب ليعلموا أن ما نتلو عليك من نبئهم فيه نبؤهم ونطمئن نفوسهم بأن سنتنا فيمن خالفك وعاداك من المشركين ستنا فيمن عادى موسى ومن آمن به من بنى اسرائيل من فرعون وقومه أن نهلكهم كما أهلكناهم ونجيهم منهم كما أنجيناهم منهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ان فرعون علا فى الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم انه كان من المفسدين ﴾ يقول تعالى ذكره ان فرعون تجبر فى أرض مصر وتكبر وعلا أهلها وقهرهم حتى أقروا له بالعبودة كما حدثنا محمد بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى ان فرعون علا فى الارض يقول تجبر فى الارض حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان فرعون علا فى الارض أى بغى فى الأرض وقوله وجعل أهلها شيعا يعنى بالشيع الفرق يقول وجعل أهلها فرقا متفرقين كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعل أهلها شيعا أى فرقا يذبح طائفة منهم ويستحيى طائفة ويعذب طائفة ويستعبد طائفة قال الله عز وجل يذبح أبناءهم ويستحيى

وبالعكس لا يتم الا بقدرة قاهرة ودلالته على الحشر أن النوم يشبه الموت والانتباه يشبه الحياة ودلالته على النبوة أن كل هذه المنافع المكلفين وفي بعثة الرسل الى الخلق أيضا منافع جمة فما المانع لمفيض الخيرات من (١٩) ايصال بعض المنافع دون البعض أو من رعاية بعض المصالح دون البعض ووصف النهار بالابصار انما هو باعتبار صاحبه وقدم مر في يونس والتقابل مراعى في الآية من حيث المعنى كأنه قيل ليسكنوا فيه وليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب ثم عاد الى ذكر علامة أخرى للقيامة فقال (ويوم ينفخ في الصور) وقد تقدم تفسيره في طه والمؤمنين وقوله (ففزع) كقوله ونادى وسيق والمراد فزعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون (الا من شاء الله) قال أهل التفسير الا من ثبت الله قلبه من الملائكة وهم جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل هم الشهداء وعن الضحاك الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر أن منهم موسى لانه صعق مرة قال أهل البرهان انما قال في هذه السورة ففزع موافقة لقوله وهم من فزع يومئذ آمنون وفي الزمر قال فصعق لأن معناه فمات وقد سبق انك ميت وانهم ميتون ومعنى (داخرين) صاغرين أذلاء وقيل معنى الاتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية وجوز أن يراد رجوعهم الى أمره وانقيادهم له قال أهل المناظرة ان الأجسام الكبار اذا تحركت حركة سريعة على نهج واحد في السمت والكيفية ظن الناظر أنها واقفة مع أنها تمر مر السحاب فأخبر الله سبحانه أن حال الجبال يوم القيامة كذلك تجمع فتسير كما تسير الريح السحاب فاذا نظر الناظر حسبها جامدة أي واقفة في مكان واحد (وهي تمر مر السحاب)

ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال كان من شأن فرعون أنه رأى رؤيا في منامه أن نارا أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقت القبط وتركت بني اسرائيل وأحرقت بيوت مصر فدعا السحرة والكهنة والقافة والحازة فسألهم عن رؤياه فقالوا له يخرج من هذا البلد الذي جاء بنو اسرائيل منه يعني بيت المقدس رجل يكون على وجهه هلاك مصر فأمر ببني اسرائيل أن لا يولد لهم غلام الا ذبح وولائد لهم جارية الا تركت وقال للقبط انظروا مماليككم الذين يعملون خارجا فأدخلوهم واجعلوا بني اسرائيل يلون تلك الاعمال القذرة فجعل بني اسرائيل في أعمال غلمانهم وأدخلوا غلمانهم فذلك حين يقول ان فرعون علا في الارض وجعل أهلها شيعا يعني بني اسرائيل حين جعلهم في الاعمال القذرة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وجعل أهلها شيعا قال فرق بينهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وجعل أهلها شيعا قال فرقا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وجعل أهلها شيعا قال الشيع الفرق وقوله يستضعف طائفة منهم ذكر أن استضعافه اياها كان استعباده ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني أبو سفيان عن معمر عن قتادة يستعبد طائفة منهم ويذبح طائفة ويقتل طائفة ويستحيي طائفة وقوله انه كان من المفسدين يقول انه كان ممن يفسد في الارض بقتله من لا يستحق منه القتل واستعباده من ليس له استعباد وتجبره في الارض على أهلها وتكبره على عباد ربه ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ قوله ونريد عطف على قوله يستضعف طائفة منهم ومعنى الكلام أن فرعون علا في الارض وجعل اهلها من بني اسرائيل فرقا يستضعف طائفة منهم ونحن نريد أن نمن على الذين استضعفهم فرعون في الارض من بني اسرائيل ونجعلهم أئمة ونجعلهم الذين قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض قال بنو اسرائيل قوله ونجعلهم أئمة أي ولاة وملوكا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ونجعلهم أئمة أي ولاة الامر وقوله ونجعلهم الوارثين يقول ونجعلهم وراث آل فرعون يرثون الارض من بعد مهلكهم وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ونجعلهم الوارثين أي يرثون الارض بعد فرعون وقومه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني ابو سفيان عن معمر عن قتادة ونجعلهم الوارثين يقول يرثون الارض بعد فرعون وقوله ونمكن لهم في الارض يقول ونوطئ لهم في أرض الشام ومصر ونرى فرعون وهامان وجنودهما كانوا قد أخبروا أن هلاكهم على يد رجل من بني اسرائيل فكانوا من ذلك على وجل منهم ولذلك كان فرعون يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم فأرى الله فرعون وهامان وجنودهما من بني اسرائيل على يد موسى بن عمران نبيه ما كانوا يحذرونه منهم من هلاكهم وخراب منازلهم ودورهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة

قال جار الله (صنع الله) من المصادر المؤكدة كقوله وعد الله الا أن مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ في الصور فكان كيت وكيت أثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين صنع الله فجعل الاثابة والمعاقبة من جملة الاشياء التي أتقنها وأتى بها على وجه الحكمة

والصواب قلت لا يبعد أن يكون الناصب ليوم ينفخ هو اذكر مقدرا ويكون صنع الله مصدرا مؤكدا لنفسه أي صنع تسيير الجبال ومرها صنع الله قال القاضي عبد الجبار في قوله (٢٠) (أتقن كل شئ) دلالة على أن القبائح ليست من خلقه والاوجب وصفها بأنها متقنة ولكن الاجماع مانع منه وأجيب بأن الآية مخصوصة بغير الأعراض فان الأعراض لا يمكن وصفها بالاتقان وهو الاحكام لانه من أوصاف المركبات قلت ولو سلم وصف الأعراض بالاتقان فوصف كل الأعراض به ممنوع فما من عام الا وقد خص ولو سلم فالاجماع المذكور لعله ممنوع يؤيده قوله (انه خبير بما تفعلون) واذا كان خبيرا بكل أفعال العباد على كل نحو يصدر عنهم وخلاف معلومه يمتنع أن يقع فقد صحت معارضة الاشعري وعلى مذهب الحكيم وقاعدته صدور الشر القليل من الحكيم لاجل الخير الكثير لا ينافي الاتقان والله أعلم ثم فصل أعمال العباد وجزاءها بقوله (من جاء بالحسنة فله خير منها) الى آخر الآيتين وبيان الخيرية بالاضعاف وبأن العمل منقض والثواب دائم وبأن فعل السيد بينه وبين فعل العبد بون بعيد على أن الاكل والشرب انما هو جزاء الاعمال البدنية وأما الاعمال القلبية من المعرفة والاخلاص فلا جزاء لها سوى الالتذاذ بلقاء الله والاستغراق في بحار الجمال والجلال جعلنا الله أهلا لذلك وقيل المراد فله خير حاصل منها وعن ابن عباس أن الحسنة كلمة الشهادة التي هي أعلى درجات الايمان واعترض عليه بأنه يلزم منه أن لا يعاقب مسلم وأجيب بأنه يكفي في الخيرية أن لا يكون عقابه مخلدا ثم وعد المحسنين أمرا آخر وهو قوله (وهم من فزع يومئذ آمنون) وآمن يعدى بالجار وبنفسه والتنوين في فزع في احدى القراءتين اما للنوع وهو فزع نوع العقاب فان فزع الهيبة والجلال يلحق كل مكلف وهو الذي أثبته في قوله ففزع من في السموات ومن في الارض

ونمكن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون شيأ ما حذر القوم قال وذكر لنا أن حازيا حزا لعدو الله فرعون فقال يولد في هذا العام غلام من بني اسرائيل يسلبك ملكك فتتبع أبناءهم ذلك العام يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم حذرا مما قال له الحازي حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال كان لفرعون رجل ينظر له ويخبره يعني أنه كاهن فقال له انه يولد في هذا العام غلام يذهب بملكك فكان فرعون يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم حذرا فذلك قوله ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون واختلفت القراء في قراءة قوله ونرى فرعون وهامان فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين ونرى فرعون وهامان بمعنى ونرى نحن بالنون عطفا بذلك على قوله ونمكن لهم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ويرى فرعون على أن الفعل لفرعون بمعنى ويعاين فرعون بالياء من يرى ورفع فرعون وهامان والجنود والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان في قراء الامصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب لانه معلوم أن فرعون لم يكن ليرى من موسى ما رأى الا بأن يريه الله عز وجل منه ولم يكن ليريه الله تعالى ذكره ذلك منه الا رآه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴾ (وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) يقول تعالى ذكره وأوحينا الى أم موسى حين ولدت موسى أن أرضعيه وكان قتادة يقول في معنى ذلك وأوحينا الى أم موسى قذفا في قلبها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأوحينا الى أم موسى وحيا جاءها من الله فقذف في قلبها وليس بوحي نبوة أن أرضعي موسى فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني أبو سفيان عن معمر عن قتادة قوله وأوحينا الى أم موسى قال قذف في نفسها حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال أمر فرعون أن يذبح من ولد من بني اسرائيل سنة ويتركوا سنة فلما كان في السنة التي يذبحون فيها حملت بموسى فلما أرادت وضعه حزنت من شأنه فأوحى الله اليها أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم واختلف أهل التأويل في الحال التي أمرت أم موسى أن تلقي موسى في اليم فقال بعضهم أمرت أن تلقيه فيه بعد ميلاده بأربعة أشهر وذلك حال طلبه من الرضاع أكثر ما يطلب الصبي بعد حال سقوطه من بطن أمه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله أن أرضعيه فاذا خفت عليه قال اذا بلغ أربعة أشهر وصاح وابتغى من الرضاع أكثر من ذلك فألقيه حينئذ في اليم فذلك قوله فاذا خفت عليه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر بن عبد الله قال لم يقل لها اذا ولدتيه فألقيه في اليم انما قال لها أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم بذلك أمرت قال جعلته في بستان فكانت تأتيه كل يوم فترضعه وتأتيه كل ليلة فترضعه فيكفيه ذلك ◦ وقال آخرون بل أمرت أن تلقيه في اليم بعد ولادته اياه وبعد رضاعها ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال لما وضعته أرضعته ثم دعت له نجارا فجعل له تابوتا وجعل مفتاح التابوت من داخل وجعلته فيه وألقته في اليم وأولى قول قيل في ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أمر أم موسى أن ترضعه فاذا خافت عليه من عدو الله فرعون وجنده أن تلقيه في اليم (٣) وجائز أن تكون

(٣) لعله سقط من الناسخ بخاطر أن تكون خافتهم عليه بعد ولادها وجائز الخ كتبه مصححه

خافتهم

الا من شاء الله واما للتعظيم أى من فزع شديد لا يكتنهه الواصف وهو خوف النار آمنون وأما حال العصاة فأن تكب فى النار فعبر عن الجملة بالوجه لانه أشرف أولانهم يلقون فى الجحيم منكوسين وقوله (هل تجزون) الخطاب (٢١) فيه اما على طريقة الالتفات واما على سبيل الحكاية باضمار القول أى يقال لهم عند الكب هذا القول ثم ختم السورة بخلاصة ما أمر به رسوله وذلك أشياء منها عبادة الرب سبحانه ثم وصف الرب بأمرين احترازا من أرباب أهل الشرك أولهما كونه ربا لما هو أقرب فى نظر قريش وهو بلدة مكة حرسها الله وفيه نوع منة عليهم كقوله حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وثانيهما عام وهو قوله (وله كل شئ) ومنها امره بالاسلام وهو الاذعان الكلى لاوامر الله بجميع أعضائه وجوارحه ومنها أمره بتلاوة القرآن أى بتلوه أى اتباعه وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل ما أمر به أتم قيام حتى خوطب بقوله ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ثم لما بين سيرته ذكر أن نفع الاهتداء ووبال الضلال لا يعود الا الى المكلف أو عليه وليس على الرسول الا البلاغ والانذار ثم جعل ختم الخاتمة الأمر بالحمد كما هو صفة أهل الجنة وبعد أمره بالحمد على نعمة النبوة والرسالة هدد أعداءه بما سيريهم فى الآخرة من الآيات الملجئة الى الاقرار وذلك حين لا ينفعهم الايمان قاله الحسن وعن الكلبى هى الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من العقوبات فى الدنيا (وما ربك بغافل عما تعملون) ولكنه مؤخر اجزاء العاملين ﴿ التأويل قل سيروا فى أرض البشرية فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين لان خواص نفوسهم انموذج من جهنم كما أن خواص أهل القلوب انموذج من الجنة وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم لانه خمر طينة آدم بيديه أربعين صباحا ونفخ فيه من روحه فهو مطلع على قلبه وعلى قلبه وهذا قال ومامن غائبة من الخواص فى سماء القلب وأرض القالب الا فى كتاب مبين وهو علم الله تعالى ان هذا القرآن

خافتهم عليه بعد أشهر من ولادها اياه وأى ذلك كان فقد فعلت ما أوحى الله اليها فيه ولا خبر قامت به حجة ولا فى فطرة العقل بيان أى ذلك كان من أى فتأولى الاقوال فى ذلك بالصحة أن يقال كما قال جل ثناؤه واليم الذى أمرت أن تلقيه فيه هو النيل كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فألقيه فى اليم قال هو البحر وهو النيل وقد بينا ذلك بشواهده وذكر الرواية فيه فيما مضى بما أغنى عن اعادته وقوله ولا تخافى ولا تحزنى يقول لا تخافى على ولدك من فرعون وجنده أن يقتلوه ولا تحزنى لفراقه ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ولا تخافى ولا تحزنى قال لا تخافى عليه البحر ولا تحزنى لفراقه انا رادوه اليك وقوله انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين يقول انا رادو ولدك اليك الرضاع لتكونى أنت ترضعيه وباعثوه رسولا الى من تخافينه عليه أن يقتله وفعل الله ذلك بها وبه ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق انا رادوه اليك وباعثوه رسولا الى هذه الطاغية وجاعلوه ملاكه ونجاة بنى اسرائيل مما هم فيه من البلاء على يديه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ﴾ يقول تعالى ذكره فالتقطه آل فرعون فأصابوه وأخذوه وأصله من اللقطة وهو ما وجد ضالا فأخذ والعرب تقول لما وردت عليه فجأة من غير طلب له ولا ارادة أصبته التقاطا ولقيت فلانا التقاطا ومنه قول الراجز

ومنهل وردته التقاطا * لم ألق اذ وردته فراطا

يعنى فجأة واختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله آل فرعون فى هذا الموضع فقال بعضهم عنى بذلك جوارى امرأة فرعون ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال أقبل الموج بالتابوت يرفعه مرة ويخفضه أخرى حتى أدخله بين أشجار عند بيت فرعون فخرج جوارى آسية امرأة فرعون يغسلن فوجدن التابوت فأدخلنه الى آسية وظن أن فيه مالا فلما نظرت اليه آسية وقعت عليها رحمته فأحبته فلما أخبرت به فرعون أراد أن يذبحه فلم تزل آسية تكلمه حتى تركه لها قال انى أخاف أن يكون هذا من بنى اسرائيل وأن يكون هذا الذى على يديه هلاكنا فذلك قول الله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا * وقال آخرون بل عنى به ابنة فرعون ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى معشر عن محمد بن قيس قال كانت بنت فرعون برصاء فجاءت الى النيل فاذا التابوت فى النيل تخفقه الامواج فأخذته بنت فرعون فلما فتحت التابوت فاذا هى بصبى فلما اطلعت فى وجهه برأت من البرص فجاءت به لأمها فقالت ان هذا الصبى مبارك لما نظرت اليه برئت فقال فرعون هذا من صبيان بنى اسرائيل فلم حتى أقتله فقالت قرة عين لى ولك لا تقتلوه * وقال آخرون عنى به أعوان فرعون ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أصبح فرعون فى مجلس له كان يجلسه على شفير النيل كل غداة فبينما هو جالس اذ مر النيل بالتابوت يقذف به وآسية بنت مزاحم امرأته جالسة الى جنبه فقالت ان هذا لشئ فى البحر فأتونى به فخرج اليه أعوانه حتى جاؤا به فتح التابوت فاذا فيه صبى فى مهده فألقى الله عليه محبته وعطف عليه نفسه فقالت امرأته آسية لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا ولا نقول فى ذلك عندنا أولى بالصواب مما قال الله عز وجل فالتقطه آل فرعون

يقص لان كل كتاب كان مشتملا على شرح مقام ذلك النبي ولم يكن لنبي مقام في القرب مثل نبينا فلا جرم لم يكن في كتبهم من الحقائق مثل ما في القرآن ولهذا قال ان ربك يقضي بينهم أي بين هذه الامة وبين أمة كل نبي بحكمه أي بحكمته بأن يبلغ متابعي كل نبي الى مقام نبيهم ويبلغ متابعي نبينا صلى الله عليه وسلم الى مقام المحبة فاتبعوني يحببكم الله وهو العزيز الذي لعزته لا يهدي كل متمن الى مقام حبيبه العليم بمن يستحق هذا المقام فتوكل على الله انك على الحق المبين في دعوة الخلق الى الله واذا وقع القول عليهم وذلك بعد البلوغ ومضى زمان الرعي في مراتع البهيمية أخرجناهم من تحت ارض البشرية دابة تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون وهي النفس الناطقة فانها الى الآن كانت موصوفة بصفة الصمم والبكم بتبعية النفس الامارة التي لا توقن هي وصفاتها بالدلائل ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون من كلامه وهي صفات الروح والقلب وذلك بعد التصفية والمداومة على الذكر والفكر حتى اذا رجعوا الى الحضرة قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أما ذا كنتم تعملون بعد أن كنتم مصدقيها عند خطاب ألست بربكم وهذا خطاب فيه استبطاء وعتاب وقع قول يحبهم عليه بدل ما ظلموا فهم لا ينطقون كقوله من عرف الله كل لسانه ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا جعلنا ليل البشرية سببا لاستجمام القلب ونهار الروحانية يتجلى شمس الربوبية مبصرا يبصر به الحق من الباطل ويوم ينفخ اسرافيل المحبة في صور القلب فيفزع من في سموات الروح من الصفات الروحانية ومن في أرض البشرية من الصفات النفسانية الا من شاء الله من أهل البقاء الذين أحيوا بحياته وأفاقوا بعد صعقة الفناء وهي النفخة الاولى في بداية تأثير العناية للهداية والقاء المحبة التي تظهر القيامة في شخص

وقد بينا معنى الآل فيما مضى بما فيه الكفاية من اعادته ههنا وقوله ليكون لهم عدوا وحزنا فيقول القائل ليكون موسى لآل فرعون عدوا وحزنا التقطوه فيقال فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا قيل انهم حين التقطوه لم يلتقطوه لذلك بل لما تقدم ذكره ولكنه ان شاء الله كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق في قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا قال ليكون لهم في عاقبة أمره عدوا وحزنا لما أراد الله به وليس لذلك أخذوه ولكن امرأة فرعون قالت قرة عين لي ولك فكان قول الله ليكون لهم عدوا وحزنا لما هو كائن في عاقبة أمره لهم وهو كقول القائل لآخر اذا قرعه لفعل كان فعله وهو يحسب محسنا في فعله فأداه فعله ذلك الى مساءة من فعاله على فعله فعلت هذا لضر نفسك ولتضر به نفسك فعلت وقد كان الفاعل في حال فعله ذلك عند نفسه يفعله راجيا نفعه غير أن العاقبة جاءت بخلاف ما كان يرجو فكذلك قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا انما هو فالتقطه آل فرعون ظنا منهم أنهم محسنون الى أنفسهم ليكون قرة عين لهم فكانت عاقبة التقاطهم اياه منه هلاكهم على يديه وقوله عدوا وحزنا يقول ليكون لهم عدوا في دينهم وحزنا على ما يناهم منه من المكروه ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا عدوا لهم في دينهم وحزنا لما يأتيهم واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة وحزنا بفتح الحاء والزاي وقرأته عامة قراء الكوفة وحزنا بضم الحاء وتسكين الزاي والحزن بفتح الحاء والزاي مصدر من حزنت حزنا والحزن بضم الحاء وتسكين الزاي الاسم كالعدم والعدم ونحوه والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان متقاربتا المعنى وهما على اختلاف اللفظ فيهما بمنزلة العدم والعدم فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين يقول تعالى ذكره ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا بربهم آثمين فلذلك كان لهم موسى عدوا وحزنا ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وقالت امرأت فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون ﴾ يقول تعالى ذكره وقالت امرأة فرعون له هذا قرة عين لي ولك يا فرعون فقرة عين مرفوعة بمضمر هو هذا أو هو وقوله لا تقتلوه مسئلة من امرأة فرعون أن لا يقتله وذكر أن المرأة لما قالت هذا القول لفرعون قال فرعون أما لك فنعم وأما لي فلا فكان كذلك ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي معشر عن محمد بن قيس قال قالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا قال فرعون قرة عين لك أما لي فلا قال محمد بن قيس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال فرعون قرة عين لي ولك لكان لهما جميعا حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال اتخذه فرعون ولدا ودعى على أنه ابن فرعون فلما تحرك الغلام أرته أمه آسية صبا فيما هي ترقصه وتلعب به اذا ولته فرعون وقالت خذه قرة عين لي ولك قال فرعون هو قرة عين لك لا لي قال عبد الله بن عباس لو أنه قال وهو لي قرة عين اذا لآمن به ولكنه أبى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك تعني بذلك موسى حدثنا العباس بن الوليد قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ بن زيد قال ثنا القاسم بن أبي أيوب قال ثني سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما أتت بموسى امرأة فرعون فرعون قالت قرة عين لي ولك قال

فرعون يكون لك فأما لى فلا حاجة لى فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى يحلف به لو أقر فرعون أن يكون له قرة عين كما أقرت لحداه الله به كما هدى به امرأته ولكن الله حرمه ذلك وقوله لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا ذكر أن امرأة فرعون قالت هذا القول حين هم بقتله قال بعضهم حين أتى به يوم التقطه من اليم وقال بعضهم يوم نتف من لحيته أو ضربه بعصا كانت فى يده ذكر من قال قالت ذلك يوم نتف لحيته **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال لما أتى فرعون به صبيا أخذه اليه فأخذ موسى بلحيته فنتفها قال فرعون علىّ بالذباحين هو هذا قالت آسية لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا انما هو صبى لا يعقل وانما صنع هذا من صباه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا قال ألقيت عليه رحمتها حين أبصرته وقوله وهم لا يشعرون اختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم معنى ذلك وهم لا يشعرون هلاكهم على يده ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وهم لا يشعرون قال وهم لا يشعرون أن هلكتهم على يديه وفى زمانه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى سفيان عن معمر عن قتادة أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون قال ان هلاكهم على يديه **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وهم لا يشعرون قال آل فرعون أنهم عدو * وقال آخرون بل معنى ذلك وهم لا يشعرون بما هو كائن من أمرهم وأمره ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قالت امرأة فرعون آسية لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون يقول الله وهم لا يشعرون أى بما هو كائن بما أراد الله به * وقال آخرون بل معنى قوله وهم لا يشعرون وبنو اسرائيل لا يشعرون أنا التقطناه ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى معشر عن محمد بن قيس لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون قال يقول لا تدرى بنو اسرائيل أنا التقطناه * والصواب من القول فى ذلك قول من قال معنى ذلك وفرعون وآله لا يشعرون بما هو كائن من هلاكهم على يديه وانما قلنا ذلك أولى التأويلات به لانه عقيب قوله وقالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا واذا كان ذلك عقيبه فهو بأن يكون بيانا عن القول الذى هو عقيبه أحق من أن يكون بيانا عن غيره ❊ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين﴾ اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى عنى الله أنه أصبح منه فؤاد أم موسى فارغا فقال بعضهم الذى عنى جل ثناؤه أنه أصبح منه فؤاد أم موسى فارغا كل شئ سوى ذكرها بنها موسى ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن العلاء قال ثنا جابر ابن نوح قال ثنا الاعمش عن مجاهد وحسان أبى الاشرس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله وأصبح فؤاد أم موسى فارغا قال فرغ من كل شئ الا من ذكر موسى **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن حسان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وأصبح فؤاد أم موسى فارغا قال فارغا من كل شئ الا من ذكر موسى **حدثنا** محمد بن عمارة قال ثنا عبد الله قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن رجل عن ابن عباس وأصبح فؤاد أم موسى فارغا قال فارغا من كل شئ الا من هم موسى **حدثنا** على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن

الحب وفزع الصفات هيجانها للطلب بتهييج أنوار المحبة الا من شاء الله وهو الخفى وهى لطيفة فى الروح بالقوة وانما تصير بالفعل عند طلوع شموع الشواهد وآثار التجلى فلا يصيبه الفزع بالنفخة الاولى ولا تدركه الصعقة بالنفخة الثانية وترى جبال الاشخاص جامدة على حالها وهى تمر بالسير فى الصفات وتبديل الاخلاق مر السحاب رب هذه البلدة وهى القلب والرب هو الله كما أن رب بلدة القالب هو النفس الامارة وانه تعالى حرم بلدة القلب على الشيطان كما قال يوسوس فى صدور الناس دون أن يقول فى قلوب الناس سيريكم آياته فتعرفونها فيه اذ لم ير الآيات لم يمكن عرفانها اللهم اجعلنا من العارفين واكشف عنا غطاء ما بحق محمد وآله صلى الله وسلم عليهم

﴿سورة القصص مكية سوى آية نزلت بجحفة ان الذى فرض الخ حروفها ٥٨٠٠ كلمها ١٤٤١ آياتها ٨٨﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبا موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان فرعون علا فى الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم انه كان من المفسدين ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين وقالت امرأت فرعون قرة

عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل ادلكم على أهل

بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه الى أمه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين (٢٤) ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين فأصبح فى المدينة خائفا يترقب فاذا الذى استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى انك لغوى مبين فلما أن أراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا أن تكون جبارا فى الارض وما تريد أن تكون من المصلحين وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين ﴿ القراآت ويرى بفتح الياء وامالة الراء فرعون وهامان وجنودهما مرفوعات حمزة وعلى وخلف وهكذا قرؤا قوله وحزنا بضم الحاء وسكون الزاى الباقون بفتحها ۞ الوقوف طسم كوفى المبين ○ يؤمنون ○ نساءهم ط المفسدين ○ الوارثين ○ لا للعطف يحذرون ○ أرضعيه ج للفاء مع احتمال الابتداء باذا الشرطية ولا تحزنى ج للابتداء بان مع أن التقدير فانا من المرسلين ○ وحزنا ط خاطئين ○ ولك ط لا تقتلوه ق والوجه الوصل لان الرجاء بعده تعليل للنهى لا يشعرون ○ فارغا ط المؤمنين ○ قصيه ز بناء على أن التقدير فبعثته فبصرت لا يشعرون ○ لا بناء على أن الواو للحال أى وقد حرمنا وقوله فقالت عطف على قوله فبصرت والحال معترض ناصحون ○ عن لا يعلمون ○ وعلما ۞ المحسنين ○ يقتتلان لا لأن ما بعده صفة الرجلين ظاهرا ولكن مع اضمار أى يقال لهما هذا من شيعته وهذا من عدوه

ابن عباس قوله وأصبح فؤاد أم موسى فارغا قال يقول لا تذكر الا موسى **حدثنا** محمد بن عمارة قال ثنا عبد الله قال ثنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد وأصبح فؤاد أم موسى فارغا قال من كل شئ غير ذكر موسى **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وأصبح فؤاد أم موسى فارغا قال فرغ من كل شئ الا من ذكر موسى **حدثنا** عبد الجبار بن يحيى الرملى قال ثنا ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب عن مطر فى قوله وأصبح فؤاد أم موسى فارغا قال فارغا من كل شئ الا من هم موسى **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأصبح فؤاد أم موسى فارغا أى لاغيا من كل شئ الا من ذكر موسى **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وأصبح فؤاد أم موسى فارغا قال فرغ من كل شئ غير ذكر موسى ○ وقال آخرون بل عنى أن فؤادها أصبح فارغا من الوحى الذى كان الله أوحاه اليها اذ أمرها أن تلقيه فى اليم فقال ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين قال فخرنت ونسيت عهد الله اليها فقال الله عز وجل وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من وحيه الذى أوحيناه اليها ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأصبح فؤاد أم موسى فارغا قال فارغا من الوحى الذى أوحى الله اليها حين أمرها أن تلقيه فى البحر ولا تخافى ولا تحزنى قال فجاءها الشيطان فقال يا أم موسى كرهت أن يقتل فرعون موسى فيكون لك أجره وثوابه وتوليت قتله فألقيته فى البحر وغرقته فقال الله وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من الوحى الذى أوحاه اليها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر بن عبد الله قال ثنى الحسن قال أصبح فارغا من العهد الذى عهدنا اليها والوعد الذى وعدناها أن نرد عليها ابنها فنسيت ذلك كله حتى كادت أن تبدى به لولا أن ربطنا على قلبها **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق فكانت أم موسى ترفع له حين قذفته فى البحر هل تسمع له بذكر حتى أتاها الخبر بأن فرعون أصاب الغداة صبيا فى النيل فى التابوت فعرفت الصفة ورأت أنه وقع فى يدى عدوه الذى فرت به منه وأصبح فؤادها فارغا من عهد الله اليها فيه قد أنساها عظيم البلاء ما كان من العهد عندها من الله فيه وقال بعض أهل المعرفة بكلام العرب معنى ذلك وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من الحزن لعلمها بأنه لم يغرق قال وهو من قولهم دم فرغ أى لا قود ولا دية وهذا قول لا معنى له لخلافه قول جميع أهل التأويل ○ قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب عندى قول من قال معناه وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من كل شئ الا من هم موسى وانما قلنا ذلك أولى الاقوال فيه بالصواب لدلالة قوله ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها ولو كان عنى بذلك فراغ قلبها من الوحى لم يعقب بقوله ان كادت لتبدى به لانها ان كانت قاربت أن تبدى الوحى فلم تكد أن تبديه الا لذكرها اياه وولوعها به ومحال أن تكون به ولعة الا وهى ذاكرة واذا كان ذلك كذلك بطل القول بأنها كانت فارغة القلب مما أوحى اليها وأحرى أن الله تعالى ذكره أخبر عنها أنها أصبحت فارغا القلب ولم يخصص فراغ قلبها من شئ دون شئ فذلك على العموم الا ما قامت حجته أن قلبها لم يفرغ منه وقد ذكر عن فضالة بن عبيد أنه كان يقرؤه وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من الفزع وقوله ان كادت لتبدى به اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى عادت عليه الهاء فى قوله به فقال بعضهم هى من ذكر موسى وعليه عادت ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال ثنا الاعمش

وليس ببعيد أن يكون مستأنفا من عدوه الاول ج لان مايتلوه معطوف على قوله فوجد مع اعتراض عارض من عدوه الثانى لا العطف عليه مع عدم اتحاد القائل الشيطان ط مبين ٥ فغفرله ط الرحيم ٥ (٢٥) للمجرمين ٥ يستصرخه ط مبين ط لما لا لان مابعده جواب لما بالأمس ط للابتداء بالنفى والوصل أوجه لاتحاد القائل المصلحين ٥ يسعى ز لعدم العاطف مع اتحاد القول من الناصحين ٥ يترقب ز لما قلنا فى يسعى الظالمين ٥ ﴿التفسير فاتحة هذه السورة كفاتحة سورة الشعراء (نتلو عليك) على لسان جبرائيل (من نبأ موسى وفرعون) أى طرفا من خبرهما متلبسا (بالحق) أو محقين (لقوم يؤمنون) لأن التلاوة انما تنفع هؤلاء ثم شرع فى تفصيل هذا المجمل وفى تفسيره كأن سائلا سأل وكيف كان نبؤهما فقال مستأنفا (ان فرعون علا فى الارض) أى طغى وتكبر فى أرض مملكته (وجعل أهلها شيعا) فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه أو جعلهم أصنافا فى استخدامه فمن بانى وحارث وغير ذلك أو فرقا مختلفة بينهم عداوة ليكونوا له أطوع وهم بنو اسرائيل والقبط وقوله (يستضعف) حال من الضمير فى جعل أو صفة لشيعا أو مستأنف و(يذبح) بدل منه وقوله (انه كان من المفسدين) بيان أن القتل من فعل أهل الفساد لا غير لأن الكهنة ان صدقوا فلا فائدة فى القتل وان كذبوا فلا وجه للقتل اللهم الا أن يقال ان النجوم دلت على أنه يولد ولد لو لم يقتل لصار كذا وكذا وضعفه ظاهر لأن المقدر كائن البتة (ونريد) حكاية حال ماضية معطوفة على قوله ان فرعون علا فهذه أيضا تفسير للنبأ وجوز أن يكون حالا من الضمير فى يستضعف

عن مجاهد وحسان أبى الأشرس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان كادت لتبدى به أن تقول يا بناه » قال ثنى يحيى بن سعيد عن سفيان عن الاعمش عن حسان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان كادت لتبدى به أن تقول يا بناه حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن حسان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان كادت لتبدى به أن تقول يا بناه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان كادت لتبدى به أى لتبدى به أنه ابنها من شدة وجدها حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال لما جاءت أمه أخذ منها يعنى الرضاع فكادت أن تقول هو ابنى فعصمها الله فذلك قول الله ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها » وقال آخرون بما أوحيناه اليها أى تظفر » والصواب من القول فى ذلك ما قاله الذين ذكرنا قولهم أنهم قالوا ان كادت لتقول يا بناه لاجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك وأنه عقيب قوله وأصبح فؤاد أم موسى فارغا فلا أن يكون لو لم يكن ممن ذكرنا فى ذلك اجماع على ذلك من ذكر موسى لقربه منه أشبه من أن يكون من ذكر الوحى » وقال بعضهم بل معنى ذلك ان كادت لتبدى بموسى فتقول هو ابنى قال وذلك أن صدرها ضاق اذ نسب الى فرعون وقيل ابن فرعون وعنى بقوله لتبدى به لتظهره وتخبر به وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول اخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ان كان كادت لتبدى به لتشعر به حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان كادت لتبدى به قال لتعلن بأمره لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وقوله لولا أن ربطنا على قلبها يقول لولا أن عصمناها من ذلك بتثبيتناها وتوفيقناها للسكوت عنه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الله لولا أن ربطنا على قلبها أى بالايمان لتكون من المؤمنين حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال كادت تقول هو ابنى فعصمها الله فذلك قول الله ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها وقوله لتكون من المؤمنين يقول تعالى ذكره عصمناها من اظهار ذلك وقيله بلسانها وثبتناها للعهد الذى عهدنا اليها لتكون من المؤمنين بوعد الله الموقنين به ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون ﴾ يقول تعالى ذكره وقالت أم موسى لاخت موسى حين ألقته فى اليم قصيه يقول قصى أثر موسى اتبعى أثره تقول فصصت آثار القوم اذا اتبعت آثارهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لاخته قصيه قال اتبعى أثره كيف يصنع به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قصيه أى قصى أثره حدثنا ابن حميد ثنا سلمة عن ابن اسحق وقالت لاخته قصيه قال اتبعى أثره حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقالت لاخته قصيه أى انظرى ماذا يفعلون به حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى وقالت لأخته قصيه يعنى قصى أثره حدثنى العباس بن الوليد قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ بن زيد

أى يستضعفهم هو ونحن نريد أن نمن عليهم فى المآل فجعلت ارادة الوقوع كالوقوع (ونجعلهم أئمة) مقدمين فى أمور الدين والدنيا وعن ابن عباس قادة يقتدى بهم فى الخير وعن مجاهد دعاة الى الخير

وعن قتادة ولاة أى ملوكا ومعنى الوراثة والتمكين فى أرض مصر والشام هو أن يرثوا ملك فرعون وينفذ فيه أمرهم والذى كانوا يحذرون منه هو ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم (٣٦) يروى أنه ذبح فى طلب موسى تسعون ألف وليد قال ابن عباس ان أم موسى لما قربت ولادتها أرسلت الى قابلة من القوابل التى وكلهن فرعون بالحبالى وكانت مصافية لأم موسى وقالت لها قد نزل بى ما نزل ولينفعنى حبك فعالجتها فلما وقع على الارض هالها النور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم قالت ما جئتك الا لأخبر فرعون ولكن وجدت لابنك هذا حبا شديدا فاحفظيه فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها نفر من بعض العيون فجاء الى بابها ليدخل على أم موسى فقالت أختنه يا أماه هذا الحرس فلفته فى خرقة ووضعته فى تنور مسجور لم تعقل ما تصنع لما طاش من عقلها فدخلوا فاذا التنور مسجور واذا أم موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا لم دخلت القابلة عليك قالت انها حبيبة لى دخلت للزيارة فخرجوا من عندها ورجع اليها عقلها فقالت يا أخت موسى أين الصبى فقالت لا أدرى سمعت بكاءه فى التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فلما ألح فرعون فى طلب الولدان خافت على ابنها أن يذبح فألهمها الله تعالى أن تتخذ له تابوتا ثم تقذف التابوت فى النيل فجاءت الى النجار وأمرته بجر تابوت طوله خمسة أشبار فى عرض خمسة فعلم النجار بذلك فجاء الى موكل بذبح الابناء فاعتقل لسانه فرجع ثم عاد مرات فعلم أنه من الله فأقبل على النجر وقبل لما فرغ من صنعة التابوت ثم أتى فرعون يخبره فبعث معه من يأخذه فطمس الله على عينيه وقلبه بأن فلم يعرف الطريق وأيقن أنه من الله وأنه هو المولود الذى يخافه فرعون

قال ثنا القاسم بن أبى أيوب قال ثنى سعيد بن جبير عن ابن عباس وقالت لاخته قصيه أى قصى أثره واطلبيه هل تسمعين له ذكرا أحى أبى أو قد أكلته دواب البحر وحيتانه ونسيت الذى كان الله وعدها وقوله فبصرت به عن جنب يقول تعالى ذكره فقصت أخت موسى أثره فبصرت به عن جنب يقول فبصرت بموسى عن بعد لم تدن منه ولم تقرب لئلا يعلم أنها منه بسبيل يقال منه بصرت به وأبصرته لغتان مشهورتان وأبصرت عن جنب وعن جنابة كما قال الشاعر

أتيت حريثا زائرا عن جنابة ... فكان حريث عن عطائى جامدا

يعنى بقوله عن جنابة عن بعد ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسين قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله عن جنب قال بعد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد عن جنب قال عن بعد قال ابن جريج عن جنب قال هى على الحد فى الارض وموسى يجرى به النيل وهما متحاذيان كذلك تنظر اليه نظرة والى الناس نظرة وقد جعل فى تابوت مقير ظهره وبطنه وألقته عليه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى سفيان عن معمر عن قتادة فبصرت به عن جنب يقول بصرت به وهى محاذيته لم تأته حدثنى العباس بن الوليد قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ بن زيد قال ثنى القاسم ابن أبى أيوب قال ثنى سعيد بن جبير عن ابن عباس فبصرت به عن جنب والجنب أن يسمو بصر الانسان الى الشئ البعيد وهو الى جنبه لا يشعر به وقوله وهم لا يشعرون يقول وقوم فرعون لا يشعرون بأخت موسى أنها أخته ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسين قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وهم لا يشعرون قال آل فرعون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون أنها أخته قال جعلت تنظر اليه كأنها لا تريده حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى وهم لا يشعرون أنها أخته حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وهم لا يشعرون أى لا يعرفون أنها منه بسبيل ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون﴾ يقول تعالى ذكره ومنعنا موسى المراضع أن يرتضع منهن من قبل أمه ذكر أن اخت لموسى هى التى قالت لآل فرعون هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال أرادوا له المرضعات فلم يأخذ من أحد من النساء وجعل النساء يطلبن ذلك ليكن عند فرعون فى الرضاع فأبى أن يأخذ ذلك قوله وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت أخته هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فلما جاءت أمه أخذ منها حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وحرمنا عليه المراضع من قبل قال لا يقبل ثدى امرأة حتى يرجع الى أمه

فآمن فى الوقت وهو مؤمن آل فرعون وانطلقت أم موسى وألقته فى النيل وكانت لفرعون بنت لم يكن له ولد غيرها وكان لها كل يوم ثلاث

حاجات ترفعها الى أبيها وكان بها برص شديد وكان فرعون قد شاور الاطباء والسحرة فى أمرها فقالوا يا أيها الملك لا نعرف هذه الا من قبل البحر يوجد منه شبيه الانس فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك فى يوم كذا من شهر كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون فى مجلس له على شفير النيل ومعه آسية زوجته وأقبلت بنت فرعون فى جواريها حتى جلست على الشاطئ اذ أقبل النيل بتابوت تضربه الارياح والامواج وتعلق بشجرة فقال فرعون ائتونى به فابتدروه بالسفن من كل جانب حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فنظرت آسية فرأت نورا فى جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته ففتحته فاذا هو صبى صغير فى مهده يمص ابهامه لبنا واذا نور بين عينيه فألقى الله محبته فى قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون الى ريقه فلطخت به برصها فبرئت وضمته الى صدرها فقال الاعزة من قوم فرعون انا نظن أن هذا هو الذى نحذر منه فهم فرعون بقتله فاستوهبته امرأة فرعون وتبنته فترك قتله قال علماء البيان اللام فى قوله (ليكون لهم عدوا) لام العاقبة وأصلها التعليل الا أنه وارد هنا على سبيل المجاز استعيرت لما يشبه التعليل من حيث ان العداوة والحزن كانا نتيجة التقاطهم كما أن الاكرام مثلا نتيجة المجىء فى قولك جئتك لتكرمنى وبعبارة أخرى ان مقصود الشئ والغرض منه هو الذى يؤل اليه أمره فاستعملوا هذه اللام فيما يؤل اليه الامر على سبيل التشبيه وان لم يكن غرضا ومعنى كونهم خاطئين هو أنهم أخطؤا فى التدبير حيث ربوا عدوهم فى حجرهم أو أنهم أذنبوا وأجرموا وكان عاقبة ذلك أن يجعل الله فى تربيتهم من على يديه هلاكهم قال النحويون (قرة عين) خبر مبتدا محذوف أى هو قرة عين ولا يجوز أن يجعل مبتدأ ولا تقتلوه خبرا لان الطلب لا يقع خبرا الا بتأويل ولو نصب لكان أقوى لان الطلب من مظان النصب روى

حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن حسان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وحرمنا عليه المراضع من قبل قال كان لا يؤتى بمرضع فيقبلها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وحرمنا عليه المراضع من قبل قال لا يرضع ثدى امرأة حتى يرجع الى أمه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وحرمنا عليه المراضع من قبل قال جعل لا يؤتى بامرأة الا لم يأخذ ثديها قال فقالت أخته هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال جمعوا المراضع حين ألقى الله محبتهم عليه فلا يؤتى بامرأة فيقبل ثديها فيرمضهم ذلك فيؤتى بمرضع بعد مرضع فلا يقبل شيأ منهن فقالت لهم أخته حين رأت من وجدهم به وحرصهم عليه هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم و يعنى بقوله يكفلونه لكم يضمونه لكم وقوله وهم له ناصحون ذكر أنها أخذت قبل قد عرفته فقالت انما عنيت أنهم للملك ناصحون ذكر من قال ذلك حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال لما قالت أخته هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون أخذوها وقالوا انك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله فقالت ما أعرفه ولكنى انما قلت هم للملك ناصحون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون قال فعلقوها حين قالت وهم له ناصحون قالوا قد عرفته قالت انما أردت هم للملك ناصحون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وهم له ناصحون أى لمنزلته عندكم وحرصكم على مسرة الملك قالوا حتى ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فرددناه الى أمه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره فرددنا موسى الى أمه بعد أن التقطه آل فرعون لتقر عينها بأنها اذ رجع اليها سليما من قتل فرعون ولا تحزن على فراقه اياها ولتعلم أن وعد الله الذى وعدها اذ قال لها فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى الآية حق و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فرددناه الى أمه فقر أحتى يبلغ لا يعلمون ووعدها أنه رادّه اليها وجاعله من المرسلين فعل الله ذلك بها وقوله ولكن أكثرهم لا يعلمون يقول تعالى ذكره ولكن أكثر المشركين لا يعلمون أن وعد الله حق لا يصدقون بأن ذلك كذلك ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين﴾ يقول تعالى ذكره ولما بلغ موسى أشده يعنى تحان شدة بدنه وقواه وانتهى ذلك منه وقد بينا معنى الأشد فيما مضى بشواهده فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع وقوله واستوى يقول تناهى شبابه وتم خلقه واستحكم وقد اختلف فى مبلغ عدد سنى الاستواء فقال بعضهم يكون ذلك فى أربعين سنة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد فى قوله واستوى قال أربعين سنة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولما بلغ أشده قال ثلاثا وثلاثين سنة قوله واستوى قال بلغ أربعين سنة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس ولما بلغ أشده قال بضعا وثلاثين سنة ٥ قال ثنا سفيان عن

ابن أبي نجيح عن مجاهد ولما بلغ أشده قال ثلاثا وثلاثين سنة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة أشده واستوى قال أربعين سنة وأشده ثلاثا وثلاثين سنة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولما بلغ أشده واستوى قال كان أبي يقول الأشد الجلد والاستواء أربعون سنة * وقال بعضهم يكون ذلك في ثلاثين سنة وقوله آتيناه حكما وعلما يعني بالحكم الفهم بالدين والمعرفة كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد آتيناه حكما وعلما قال الفقه والعقل والعمل قبل النبوة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد آتيناه حكما وعلما قال الفقه والعمل قبل النبوة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولما بلغ أشده واستوى آتاه الله حكما وعلما فقها في دينه ودين آبائه وعلما بما في دينه وشرائعه وحدوده وقوله وكذلك نجزي المحسنين يقول تعالى ذكره وكما جزينا موسى على طاعته إيانا وإحسانه بصبره على أمرنا كذلك نجزي كل من أحسن من رسلنا وعبادنا فصبر على أمرنا وأطاعنا وانتهى عما نهيناه عنه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ﴾ يقول تعالى ذكره ودخل موسى المدينة مدينة منف من مصر على حين غفلة من أهلها وذلك عند القائلة نصف النهار واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله دخل موسى هذه المدينة في هذا الوقت فقال بعضهم دخلها متبعا أثر فرعون لان فرعون ركب وموسى غير شاهد فلما حضر علم بركوبه فركب واتبع أثره وأدركه المقيل في هذه المدينة ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال كان موسى حين كبر يركب مراكب فرعون ويلبس مثل ما يلبس وكان اتمايدعى موسى بن فرعون ثم ان فرعون ركب مركبا وليس عنده موسى فلما جاء موسى قيل له ان فرعون قد ركب فركب في أثره فأدركه المقيل بأرض منف فدخلها بنصف النهار وقد تغلقت أسواقها وليس في طرقها أحد وهي التي يقول الله ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها * وقال آخرون بل دخلها مستخفيا من فرعون وقومه لانه كان قد خالفهم في دينهم وعاب ما كانوا عليه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما بلغ موسى أشده واستوى آتاه الله حكما وعلما فكانت له من بني اسرائيل شيعة يسمعون منه ويطيعونه ويجتمعون اليه فلما استدرأيه وعرف ما هو عليه من الحق رأى فراق فرعون وقومه على ما هم عليه حقا في دينه فتكلم وعادى وأنكر حتى ذكر ذلك منه وحتى أخافوه وخافهم حتى كان لا يدخل قرية فرعون إلا خائفا مستخفيا فدخلها يوما على حين غفلة من أهلها * وقال آخرون بل كان فرعون قد أمر باخراجه من مدينته حين علا بالعصا فلم يدخلها إلا بعد أن كبر وبلغ أشده قالوا ومعنى الكلام ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها لذكر موسى أي من بعد نسيانهم خبره وأمره ذكر من قال ذلك حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله على حين غفلة من أهلها قال ليس غفلة من ساعة ولكن غفلة من ذكر موسى وأمره وقال فرعون لامرأته أخرجيه عني حين ضرب رأسه بالعصا هذا الذي قتلت فيه بنو اسرائيل فقالت هو صنع

في حديث أن آسية حين قالت قرة عين لي ولك قال فرعون لك لا لي ولو قال هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها ثم انها رأت فيه علامات البين ودلائل النفع وتوسمت فيه أمارات النجابة فقالت (عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا) فانه أهل للتبني وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الابهام وبرء البرصاء قال في الكشاف (وهم لا يشعرون) حال من آل فرعون وقوله ان فرعون الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطئهم والتقدير فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون أنهم على خطأ عظيم في التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه قلت لا يبعد أن تكون الجملة حالا من فاعل قالت أي قالت كذا وكذا في حال عدم شعورهم بالمآل وهو أن هلاكهم على يده وبسببه وقال الكلبي أي لا يشعرون بنو اسرائيل وأهل مصر أنا التقطناه قوله سبحانه (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) قال الحسن أي فارغا من كل هم الا من هم موسى وقال أبو مسلم فراغ الفؤاد هو الخوف والاشفاق كقوله وأفئدتهم هواء أي جوف لا عقول فيها وذلك أنها حين سمعت بوقوعه عند فرعون طار عقلها جزعا ودهشا وقال محمد بن اسحق والحسن في رواية أي فارغا من الوحي الذي أوحينا اليها وذلك قولنا فألقيه في اليم ولا تخافي الغرق ولا تحزني والخوف غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع فنهيت عنهما جميعا فجاءها الشيطان وقال لها كرهت أن يقتل فرعون ولدك فيكون لك أجر فتوليت اهلاكه ولما أتاها خبر موسى أنه وقع الى يد فرعون أنساها عظيم البلاء ما كان من عهد الله اليها وقال أبو عبيدة فارغا من الخوف فالله تعالى يقول لولا أن ربطنا على قلبها وهل يربط الا على قلب الجازع المحزون أما من فسر الفراغ بحصول الخوف فعنده معنى قوله ان كادت لتبدي به هو أنها كادت تحدث بأن الذي وجدتموه ابني قاله ابن عباس وفي رواية وهو

عكمة كادت تقول وانباه من شدة وجدها به وذلك حين رأت الموج يرفع ويضع وقال الكلبي ذلك حين سمعت الناس يقولون انه ابن فرعون فقال (لولا أن ربطنا على قلبها) بالهام الصبر كما يربط على الشئ المنفلت ليستقر (٢٩) ويطمئن (لتكون من المؤمنين) المصدقين بوعد الله وهو قوله انا رادوه اليك وأما من فسره بعدم الخوف فالمعنى عنده أنها صارت مبتهجة مسرورة حين سمعت أن فرعون تبناه وعطف عليه وأن الشأن أنها قاربت أن تظهر أنه ولدها لولا أن ألهمناها الصبر لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لتبنى فرعون وتعطفه والاول أظهر بدليل قوله (وقالت لاخته قصيه) أى اقتفى أثره وانظرى أين وقع والى من صار وكانت أخته لأبيه وأمه واسمها مريم (فبصرت به) أى أبصرته (عن جنب) عن بعد أى نظرت اليه من زورة متجانفة (وهم لا يشعرون) بحالها وغرضها والتحريم ههنا لا يمكن حمله على النهى والتعبد ظاهر فلذلك قيل انه مستعار للمنع لان من حرم عليه شئ فقد منعه وكان لا يقبل ثدى مرضع اما لانه تعالى منع حاجته الى اللبن وأحدث فيه نفار الطبع عن لبن سائر النساء واما لانه أحدث فى ألبانهن من الطعم ما ينفر عنه طبعه وعن الضحاك أن أمه أرضعته ثلاثة أشهر فعرف ريحها و(المراضع) جمع مرضعة وهى المرأة التى تصلح للارضاع او جمع مرضع وهو الثدى أو الرضاع فالاول مكان والثانى مصدر و(من قبل) أى من قبل قصصها أثره أو من قبل أن رددناه الى أمه أو من قبل ولادته فى حكمنا وقضائنا روى أنها لما قالت وهل له ناصحون قال هامان انها لتعرفه وتعرف أهله فقالت انما أردت وهم للملك ناصحون والنصح اخلاص العمل من شائبة الفساد والمراد أنهم يضمنون رضاعه والقيام بمصالحه ولا يمنعون ما ينفعه فى تربيته وغذائه فانطلقت الى أمها بأمرهم فجاءت بها والصبى يعلله فرعون شفقة عليه وهو يبكى يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن انت منه فقد أبى كل ثدى الا ثديك

وهو كذا جات جمرا فاتى بجمرة فاخذ جمرة فطرحها فى فيه فصارت عقدة فى لسانه فكانت تلك العقدة التى قال الله واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى قال أخرجيه بنى فأخرج فلم يدخل عليهم حتى كبر ودخل على حين غفلة من ذكره ◦ وأولى الاقوال بالصحة فى ذلك أن يقال كما قال الله جل ثناؤه ولما بلغ أشده واستوى دخل المدينة على حين غفلة من أهلها ◦ واختلفوا فى الوقت الذى عنى بقوله على حين غفلة من أهلها فقال بعضهم ذلك نصف النهار ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن محمد بن المنكدر عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قوله ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها قال نصف النهار قال ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قال يقولون فى القائلة قال و بين المغرب والعشاء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها قال دخلها بعد ما بلغ أشده عند القائلة نصف النهار حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال دخل نصف النهار وقوله فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته يقول هذا من أهل دين موسى من بنى اسرائيل وهذا من عدوه من القبط من قوم فرعون فاستغاثه الذى من شيعته يقول فاستغاثه الذى هو من أهل دين موسى على الذى من عدوه من القبط فوكزه موسى فقضى عليه يقول فلكزه وطزه فى صدره بجمع كفه ◦ و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا حفص عن الأعمش عن سعيد بن جبير قال أساء موسى من حيث أساء وهو شديد الغضب شديد القوة فمر برجل من القبط قد تسخر رجلا من المسلمين قال فلما رأى موسى استغاث به قال يا موسى فقال موسى خل سبيله فقال قد هممت أن أحمله عليك فوكزه موسى فقضى عليه قال حتى اذا كان الغد نصف النهار خرج ينظر الخبر قال فاذا ذاك الرجل قد أخذ آخر فى مثل حده قال فقال يا موسى قال فاشتد غضب موسى قال فأهوى قال فخاف أن يكون اياه يريد قال فقال أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس قال فقال الرجل ألا أراك يا موسى أنت الذى قتلت حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام ابن على قال ثنا الاعمش عن سعيد بن جبير فوجد فيها رجلين يقتتلان قال رجل من بنى اسرائيل يقاتل جبارا لفرعون فاستغاثه فوكزه موسى فقضى عليه فلما كان من الغد استصرخ به فوجده يقاتل آخر فاغاثه فقال أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس فعرفوا أنه موسى فخرج منها خائفا يترقب قال عثام أو نحو هذا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه أما الذى من شيعته فمن بنى اسرائيل وأما الذى من عدوه فقبطى من آل فرعون حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه يقول من القبط فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه حدثنا العباس بن الوليد قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ بن زيد قال ثنا القاسم ابن أبى أيوب قال ثنى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما بلغ موسى أشده وكان من الرجال لم يكن أحد من آل فرعون يخلص الى أحد من بنى اسرائيل معه بظلم ولا بخفرة حتى امتنعوا كل الامتناع فبينا هو يمشى ذات يوم فى ناحية المدينة اذا هو برجلين يقتتلان أحدهما من بنى اسرائيل والآخر من آل فرعون فاستغاثه الاسرائيلى على الفرعونى فغضب موسى واشتد غضبه لانه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بنى اسرائيل وحفظه لهم ولا يعلم الناس الا أنما ذلك من قبل الرضاعة

قالت انى امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتى بصبى الا قبلنى فدفعه اليها وعين أجرها قال فى الكشاف انما أخذت الاجر على ارضاع ولدها لانه مال حربى استطابته على وجه الاستباحة قلت (٣٠) ولعل ذلك لدفع التهمة فان مال الحربى لم يكن مستطابا بدليل قوله وأحلت لى الغنائم قالوا كانت علمة بأن الله تعالى سيعجز وعده ولكن ليس الخبر كالعيان فلهذا قال سبحانه (ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم) أى أكثر الناس (لا يعلمون) حقية وعده فى ذلك العهد وبعده لاعراضهم عن النظر فى آيات الله وقال الضحاك ومقاتل يعنى أهل مصر لا يعلمون أن الله وعد رده اليها قلت ويؤيد هذا القول أنه اقتصر على الضمير دون أن يقول ولكن أكثر الناس كما قال فى سورة يوسف والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون وقيل هذا تعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت وأصبح فؤادها فارغا وعلى هذا يحتمل أن يكون قوله ولكن أكثرهم لا يعلمون من جملة ما يعلمها أى ولتعلم حقية وعد الله وهذا الاستدراك وجوز فى الكشاف أن يتعلق الاستدراك بقوله ولتعلم المقصود أن الرد به انما كان لهذا الغرض الدينى وهو العلم بصدق وعد الله ولكن أكثرهم لا يعلمون أن هذا هو الغرض الاصلى الذى ماسواه تبع له من قرة العين وذهاب الحزن ثم بين سبحانه كمال عنايته فى حقه كما بين فى قصة يوسف قائلا (ولما بلغ أشده) وزاد ههنا قوله (واستوى) قيل بلوغ الاشد والاستواء بمعنى واحد والأصح أنهما متغايران والأشد عبارة عن البلوغ والاستواء اشارة الى كمال الخلقة وعن ابن عباس الاشد ما بين الثمانية عشر الى ثلاثين والاستواء من الثلاثين الى الاربعين وهو عند الاطباء سن الوقوف فلعل يوسف أعطى النبوة فى سن الوقوف وأعطى موسى اياها فى سن فلا

من أم موسى الا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على علم ما لم يطلع عليه غيره فوكزه موسى الفرعونى فقتله ولم يرهما أحد الا الله والاسرائيلى فقال موسى حين قتل الرجل هذا من عمل الشيطان الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته مسلم وهذا من أهل دين فرعون كافرا فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه وكان موسى قد أوتى بسطة فى الخلق وشدة فى البطش فضرب بعد وهما فنازعه فوكزه موسى وكزة فقتله منها وهو لا يريد قتله فقال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله هذا من شيعته قال من قومه من بنى اسرائيل وكان فرعون من فارس من اصطخر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه * قال ثنى حجاج عن أبى بكر ابن عبد الله عن أصحابه هذا من شيعته اسرائيلى وهذا من عدوه فبطى فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه * وبنحو الذى قلنا أيضا قالوا فى معنى قوله فوكزه موسى ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فوكزه موسى قال بجمع كفه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فوكزه موسى نبى الله ولم يتعمد قتله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قتله وهو لا يريد قتله وقوله فقضى عليه يقول ففرغ من قتله وقد بينت فيما مضى أن معنى القضاء الفراغ عما أغنى عن اعادته ههنا ذكر أنه قتله ثم دفنه فى الرمل كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر بن عبد الله عن أصحابه فوكزه موسى فقضى عليه ثم دفنه فى الرمل وقوله قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين يقول تعالى ذكره قال موسى حين قتل القبطى هذا القتل من تسبب الشيطان لى بأن هيج غضبى حتى ضربت هذا فهلك من ضربتى انه عدو يقول ان الشيطان عدو لابن آدم مضل له عن سبيل الرشاد بتزيينه له القبيح من الاعمال وتحسينه ذلك له مبين يعنى أنه بين عداوته لهم قديما واضلاله اياهم ﴿القول فى تأويل قوله﴾ (قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين) يقول تعالى ذكره مخبرا عن ندم موسى على ما كان من قتله النفس التى قتلها وتوبته اليه منه ومسئلته غفرانه من ذلك رب انى ظلمت نفسى بقتل النفس التى لم تأمرنى بقتلها فاعف عن ذنبى ذلك واستره على ولا تؤاخذنى به فتعاقبنى عليه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله رب انى ظلمت نفسى قال بقتلى من أجل أنه لا ينبغى لنبى أن يقتل حتى يؤمر ولم يؤمر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال عرف المخرج فقال ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له وقوله فغفر له يقول تعالى ذكره فغفا الله لموسى عن ذنبه ولم يعاقبه به انه هو الغفور الرحيم يقول ان الله هو الساتر على المنيبين اليه من ذنوبهم على ذنوبهم المتفضل عليهم بالعفو عنها الرحيم للناس أن يعاقبهم على ذنوبهم بعد ما تابوا منها وقوله قال رب بما أنعمت على يقول تعالى ذكره قال موسى رب بانعامك على بعفوك عن قتل هذه النفس فلن أكون ظهيرا للمجرمين يعنى المشركين كأنه أقسم بذلك وقد ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله

الوقوف والعلم التوراة والحكم السنة وحكمة الانبياء سنتهم قيل ليس فى الآية دلالة على أن هذه النبوة كانت قبل قتل القبطى أو بعده

لان الواو فى قوله (ودخل المدينة) لاتفيد الترتيب قلت يشبه أن يستدل على أن النبوة كانت بعد قتل القبطى بأنها كانت بعد تزوجه بنت شعيب والتزوج كان بعد فراره منهم الى مدين كما قرره تعالى فى هذه السورة (٣١) وقد أجمل ذلك فى الشعراء حيث قال حكاية عن موسى

فلا تجعلنى ظهيرا للمجرمين كأنه على هذه القراءة قد عاد به فقال اللهم لن أكون ظهيرا ولم يستثن عليه السلام حين قال فلن أكون ظهيرا للمجرمين فابتلى وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلن أكون ظهيرا للمجرمين يقول فلن أعين بعدها ظالما على فجرة قال وقلما قالها رجل الا ابتلى قال فابتلى كما تسمعون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فأصبح فى المدينة خائفا يترقب فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوى مبين ﴾ يقول تعالى ذكره فأصبح موسى فى مدينة فرعون خائفا من جنايته التى جناها وقتله النفس التى قتلها أن يؤخذ فيقتل بها يترقب يقول يترقب الأخبار أى ينتظرها الذى يتحدث به الناس مما هم صانعون فى أمره وأمر قتيله ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى العباس ابن الوليد قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ بن زيد قال ثنا القاسم بن أبى أيوب قال ثنا سعيد ابن جبير عن ابن عباس فأصبح فى المدينة خائفا يترقب قال خائفا من قتله النفس يترقب أن يؤخذ حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فأصبح فى المدينة خائفا يترقب قال خائفا أن يؤخذ وقوله فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه يقول تعالى ذكره فرأى موسى لما دخل المدينة على خوف مترقبا الأخبار عن أمره وأمر القتيل فاذا الاسرائيلى الذى استنصره بالامس على القرعونى يقاتله فرعونى آخر فراآه الاسرائيلى فاستصرخه على الفرعونى يقول فاستغاثه أيضا على الفرعونى وأصله من الصراخ كما يقال قال بنو فلان يا صباحاه قال له موسى انك لغوى مبين يقول جل ثناؤه قال موسى للاسرائيلى الذى استصرخه وقد صادف موسى نادما على ما سلف منه من قتله بالامس القتيل وهو يستصرخه اليوم على آخر انك أيها المستصرخ لغوى يقول انك لذو غواية مبين يقول قد تبينت غوايتك بقتالك أمس رجلا واليوم آخر ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى العباس قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الأصبغ بن زيد قال ثنا القاسم قال ثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أتى فرعون فقيل له ان بنى اسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون فخذلنا بحقنا ولا ترخص لهم فى ذلك قال ابغونى قاتله ومن يشهد عليه لا يستقيم أن نقضى بغير بينة ولا ثبت فاطلبوا ذلك فبينما هم يطوفون لا يجدون شيأ اذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلى يقاتل فرعونيا فاستغاثه الاسرائيلى على الفرعونى فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالامس وكره الذى رأى فغضب موسى فمديده وهو يريد أن يبطش بالفرعونى فقال للاسرائيلى لما فعل بالامس واليوم انك لغوى مبين فنظر الاسرائيلى الى موسى بعدما قال هذا فاذا هو غضبان كعضبه بالامس اذ قتل فيه الفرعونى فخاف أن يكون بعدما قال له انك لغوى مبين اياه أراد ولم يكن أراده انما أراد الفرعونى فخاف الاسرائيلى فخاجه فقال يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا أن تكون جبارا فى الارض وانما قال ذلك مخافة أن يكون اياه أراد موسى ليقتله فتتاركا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه قال الاستنصار والاستصراخ واحد حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فاذا الذى استنصره بالأمس يستصرخه يقول يستغيثه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما قتل موسى القتيل خرج فلحق بمنزله من مصر وتحدث الناس بشأنه وقيل قتل موسى رجلا حتى انتهى ذلك الى فرعون فأصبح موسى غاديا الغد واذا

فعلتها اذا وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وعلى هذا يمكن أن يراد بالواو الترتيب ويكون المعنى أتيناه سيرة الحكماء والعلماء قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه أما المدينة فالجمهور على انها القرية التى كان يسكنها فرعون عن فرسخين من مصر وقال الضحاك هى عين شمس وقيل هى مصر وحين غفلتهم بين العشاءين أو وقت القائلة أو يوم عيد اشتغلوا فيه باللهو وقيل أراد غفلتهم عن ذكر موسى وأمره وذلك أنه حين ضرب رأس فرعون بالعصا ونتف لحيته فى الصغر أمر فرعون بقتله فجىء بجمر فأخذه فى فيه فقال فرعون لا أقتله ولكن أخرجوه عن الدار والبلد فأخرج ولم يدخل عليهم حتى كبر والقوم نسوا ذكره قاله السدى وقيل ان الغفلة لموسى من أهلها وذلك أنه لما بلغ أشده وآتاه الله الرشد علم أن فرعون وقومه على الباطل فكان يتكلم بالحق ويعيب دينهم وينكر عليهم فأخافوه فلا يدخل قرية الا على تغفل وتستر قال الزجاج قوله هذا وهذا وهما غائبان على جهة الحكاية أى وجد فيها رجلين يقتتلان اذا نظر الناظر اليهما قال هذا من شيعته وهذا من عدوه عن مقاتل أن الرجلين كانا كافرين الا أن أحدهما من بنى اسرائيل والآخر من القبط واحتج عليه بأن موسى قال له (انك لغوى مبين) والمشهور أن الذى من شيعته كان مسلما كأنه قال ممن تابعه على دينه وانما وصفه بالغى لأنه كان سبب قتل رجل وهو يقاتل آخر على أن بنى اسرائيل فيهم غلظة الطباع فيمكن أن ينسبوا الى الغواية بذلك الاعتبار الا ترى أنهم قالوا بعد مشاهدة الآيات اجعل لنا الها ويروى أن القبطى أراد أن يسخر الاسرائيلى فى حمل الحطب

الى مطبخ فرعون وقيل ان الاسرائيلي هو السامري (فاستغاثه) سأله أن يخلصه منه (فوكزه) أي دفعه بأطراف الاصابع أو بجمع الكف (فقضى عليه) أي أماته وقتله الطاعنون في عصمة الانبياء قالوا ان كان القبطي مستحق القتل فلم قال هذا من عمل الشيطان وقال رب اني ظلمت نفسي وان لم يكن مستحق القتل كان قتله معصية وذنبا وأيضا قوله هذا من عدوه يدل على أنه كان كافرا حربيا وكان دمه مباحا والاستغفار من القتل المباح غير جائز وأجيب أنا نختار أنه للكفرة كان مباح الدم الا أن الاولى تأخير قتله الى زمان آخر فقوله (هذا من عمل الشيطان) معناه اقدامي على ترك المندوب من عمل الشيطان أو هذا اشارة الى عمل المقتول وهو كونه محاربا لله أو هو اشارة الى المقتول يعني أنه من جند الشيطان وحزبه والاستغفار من ترك الاولى سنة المرسلين أو أراد اني ظلمت نفسي حيث قتلت هذا الكافر ولو عرف ذلك فرعون لقتلني به (فاغفر لي) فستره على هذا كله اذا سلم أنه كان نبيا في ذلك الوقت وفيه ما فيه قالت المعتزلة في قوله هذا من عمل الشيطان دليل على أن المعاصي ليست بخلق الله وللقائل أن يقول الشيطان من خلق الله فضلا عما يصدر عن الشيطان على ان المشار اليه يحتمل أن يكون شيئا آخر كما قررنا قوله (بما أنعمت علي) قيل أراد به القوة وأنه لن يستعملها الا في مظاهرة أولياء الله وعلى هذا يكون ما أقدم عليه من اعانة الاسرائيلي على القبطي طاعة اذ لو كانت معصية لصار حاصل الكلام بما أنعمت علي بقبول توبتي فاني أكون مواظبا على مثل تلك المعصية وقال القفال الباء للقسم كأنه أقسم بما أنعم الله عليه من المغفرة أن لا يظاهر مجرما وأراد بمعاونة المجرمين اما صحبة فرعون وانتظامه في جملته حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون واما مظاهرته من تؤدي مظاهرته الى ترك الاولى وقال الكسائي والفراء انه خبر ومعناه الدعاء كأنه قال

صاحبه بالامس معانق رجلا آخر من عدوه فقال له موسى انك لغوي مبين أمس رجلا واليوم آخر

حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا حفص عن الأعمش عن سعيد بن جبير والشيباني عن عكرمة قال الذي استنصره هو الذي استصرخه ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴿فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض وما تريد أن تكون من المصلحين﴾ يقول تعالى ذكره فلما أن أراد موسى أن يبطش بالقرعوني الذي هو عدو له وللاسرائيلي قال الاسرائيلي لموسى وظن أنه اياه يريد أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال خافه الذي من شيعته حين قال له موسى انك لغوي مبين حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال موسى للاسرائيلي انك لغوي مبين ثم أقبل لينصره فلما نظر الى موسى قد أقبل نحوه ليبطش بالرجل الذي يقاتل الاسرائيلي قال الاسرائيلي وفرق من موسى أن يبطش به من أجل أنه أغلظ له الكلام يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض وما تريد أن تكون من المصلحين فتركه موسى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر بن عبد الله عن أصحابه قال ندم بعد أن قتل القبطي فقال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين قال ثم استنصره بعد ذلك الاسرائيلي على قبطي آخر فقال له موسى انك لغوي مبين فلما أن أراد أن يبطش بالقبطي ظن الاسرائيلي أنه اياه يريد فقال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس قال وقال ابن جريج أو ابن أبي نجيح «الطبري يشك» وهو في الكتاب ابن أبي نجيح ان موسى لما أصبح أصبح نادما خائفا يودّ أن لم يبطش بواحد منهما وقد قال للاسرائيلي انك لغوي مبين فعلم الاسرائيلي أن موسى غير ناصره فلما أراد الاسرائيلي أن يبطش بالقبطي نهاه موسى فعرف الاسرائيلي من موسى فقال أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس فسمع بها القبطي وقوله ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الاسرائيلي لموسى ان تريد ما تريد الا أن تكون جبارا في الارض وكان من فعل الجبارة قتل النفوس ظلما بغير حق وقيل انما قال ذلك لموسى الاسرائيلي لانه كان عندهم من قتل نفسين من الجبارة ذكر من قال ذلك حدثنا محاهد ابن موسى قال ثنا يزيد قال ثنا هشيم بن بشير عن اسمعيل بن سالم عن الشعبي قال من قتل رجلين فهو جبار قال ثم قرأ أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض وما تريد أن تكون من المصلحين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض ان الجبارة هكذا تقتل النفس بغير النفس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض قال تلك سيرة الجبارة أن تقتل النفس بغير النفس وقوله وما تريد أن تكون من المصلحين يقول وما تريد أن تكون ممن يعمل في الارض بما فيه صلاح أهلها من طاعة الله وذكر عن ابن اسحق أنه قال في ذلك ما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما تريد أن تكون من المصلحين أي ما هكذا يكون الاصلاح ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين﴾ ذكر أن قول الاسرائيلي سمعه سامع فأفشاه وأعلم به أهل القبيل

فلا تجعلني ظهيرا والفاء للدلالة على تلازم ما قبلها وما بعدها وفي الآية دلالة على عدم جواز اعانة الظلمة والفسقة حتى برى القلم وليق الدواة عن ابن عباس أنه لم يستثن أي لم يقل فلن أكون ان شاء الله فابتلي به مرة أخرى وفي هذه الرواية نوع ضعف فانه ترك الاعانة في المرة الثانية ولئن صحت فلعله أراد أنه جرت صورة تلك القضية عليه الا أن الله عصمه وبعد موت القبطي من الوكز (أصبح) موسى من غد ذلك اليوم (خائفا يترقب) الأخبار وما يقال فيه (فاذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه) يطلب نصرته بصياح وصراخ فنسبه موسى لذلك الى الغواية فان كثرة المخاصمة على وجه يؤدي الى الاستنصار خلاف طريقة الرشد فغوي بمعنى غاو وجوز بعض اهل اللغة أن يكون بمعنى مغو لأنه أوقع موسى فيما أوقع ثم طلب منه مثل ذلك وهو نوع من الاغواء قال بعضهم لما خاطب موسى الاسرائيلي بأنه غوي ورأى فيه الغضب ظن لما هم بالبطش أنه يريده فقال (أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس) وزعموا أنه لم يعرف قتله بالامس الا هو وصار ذلك سببا لظهور القتل ومزيدا للخوف وقال آخرون بل هو قول القبطي وقد كان عرف القضية من الاسرائيلي وهذا القول أظهر لأن قوله (ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض) لا يليق الا أن يكون قولا للكافر قال جار الله الجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي أحسن وقيل هو العظيم الذي لا يتواضع لأمر الله عز وجل وحين وقعت هذه الواقعة انتشر الحديث في المدينة وهموا بقتل موسى فأخبره بذلك رجل وهو قوله (وجاء رجل من أقصى المدينة)

فحينئذ طلب فرعون موسى وأمر بقتله فلما أمر بقتله جاء موسى مخبر وخبره بما قد أمر به فرعون في أمره وأشار عليه بالخروج من مصر بلد فرعون وقومه ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني العباس قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ بن زيد قال ثنا القاسم ابن أبي أيوب قال ثني سعيد بن جبير عن ابن عباس قال انطلق الفرعوني الذي كان يقاتل الاسرائيلي الى قومه فأخبرهم بما سمع من الاسرائيلي من الخبر حين يقول أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس فأرسل فرعون الذباحين لقتل موسى فأخذوا الطريق الأعظم وهم لا يخافون أن يفوتهم وكان رجل من شيعة موسى في أقصى المدينة فاختصر طريقا قريبا حتى سبقهم الى موسى فأخبره الخبر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال أعلمهم القبطي الذي هو عدوهما فأتمر الملأ ليقتلوه فجاء رجل من أقصى المدينة وقرأ ان الى آخر الآية قال كما حدث أنه مؤمن آل فرعون حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال ذهب القبطي يعني الذي كان يقاتل الاسرائيلي فأفشى عليه أن موسى هو الذي قتل الرجل فطلبه فرعون وقال خذوه فانه صاحبنا وقال للذين يطلبونه اطلبوه في بنيات الطريق فان موسى غلام لا يهتدي الطريق وأخذ موسى في بنيات الطريق وقد جاءه الرجل فأخبره ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر بن عبد الله عن أصحابه قالوا لما سمع القبطي قول الاسرائيلي لموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس سعى بها الى أهل المقتول فقال ان موسى هو قتل صاحبكم ولو لم يسمعه من الاسرائيلي لم يعلمه أحد فلما علم موسى أنهم قد علموا خرج هاربا فطلبه القوم فسبقهم قال وقال ابن أبي نجيح سعى القبطي حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر قال قال الاسرائيلي لموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس وقبطي قريب منهما يسمع فأفشى عليهما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال سمع ذلك عدو فأفشى عليهما وقوله وجاء رجل ذكر أنه مؤمن آل فرعون وكان اسمه فيما قيل سمعان وقال بعضهم بل كان اسمه شمعون ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج أخبرني وهب بن سليمن عن شعيب الجبائي قال اسمه شمعون الذي قال لموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أصبح الملأ من قوم فرعون قد أجمعوا لقتل موسى فيما بلغهم عنه فجاء رجل من أقصى المدينة يسعى يقال له سمعان فقال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى الى موسى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين وقوله من أقصى المدينة يقول من آخر مدينة فرعون يسعى يقول يعجل كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يعجل ليس بالشد وقوله قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك يقول جل ثناؤه قال الرجل الذي جاءه من أقصى المدينة يسعى لموسى يا موسى ان أشراف قوم فرعون ورؤساءهم يتآمرون بقتلك ويتشاورون ويرتؤن فيك ومنه قول الشاعر

ما تأتمر فينا فأمتثل رأيك في يمينك أو شمالك

يعني ما ترتئي وتهم به ومنه قول النمر بن تولب

(٥ - (ابن جرير) - العشرون)

أي من أبعد مسافاتها اليه وقوله (يسعى) صفة أخرى لرجل أو حال لأنه قد تخصص الوصف وان جعل الظرف صلة لجاء حتى يكون المجيء من هنالك تعين أن يكون يسعى وصفا قال العلماء الأظهر في هذه السورة أن

يكون الظرف وصفا وفى يس ان يكون صلة ولذلك خصت بالتقدم ويؤيده ما جاء فى التفسير أنه كان يعبد الله فى جبل فلما سمع خبر الرسل سعى مستعجلا والائتمار التشاور لان كل واحد من المتشاورين يأمر صاحبه بشئ أو يشير عليه بأمر ومعنى (يأتمرون بك) يتشاورون بسببك وقوله (لك من الناصحين) كقوله فيه من الزاهدين وقد مر ان الجار فى مثل هذه الصورة بيان لاصلة (فخرج منها خائفا يترقب) المكروه من جهتهم وأن يلحق به (قال) ملتجئا الى الله (رب نجنى من القوم الظالمين) وفيه دليل على أن قتله القبطى لم يكن ذنبا والا لم يكونوا ظالمين بطلب القصاص ﴿ التأويل ان فرعون النفس الامارة استولى على من فى الارض الانسانية وجعل أهلها وهم الروح والسر والعقل أصنافا فى الاستخدام لاستيفاء الشهوات يستضعف طائفة وهم صفات القلب الأبناء الصفات الحميدة المتولدة من ازدواج الروح والقلب والنساء الصفات الذميمة المتولدة من ازدواج النفس والبدن انه كان من المفسدين للاستعداد الفطرى ونرى فرعون النفس وهامان الهوى وجنودهما من الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية أم موسى السر لان القلب تولد من ازدواج الروح والسر أن أرضعيه من لبن الروحانية فقد حرم عليه مراضع الحيوانية أو الدنيوية فألقيه فى اليم فى الدنيا فى تابوت القالب وجاعلوه من المرسلين أى من القلوب المحدثين كما قال بعضهم حدثنى قلبى عن ربى فالتقطه آل فرعون وهم صفات النفس والقوى البشرية من الجاذبة والماسكة والهاضمة وغيرها فانها أسباب تربية الطفل ليكون لهم فى العاقبة عدوا ليجادلهم بطريق الرياضات والمخالفات وحزنا بترك الشهوات واللذات وبالدعوة الى ما لا يلائم هواهم من طاعة الله وقالت امرأة فرعون النفس وهى الجثة لا تقتلوا القلب بسيف الشهوات والانهماك فى أسباب اللذات الحسيات عسى أن ينفعنا بأن ينجينا من

أرى الناس قد أحدثوا شيمة * وفى كل حادثة يؤتمر

أى يتشاورون فيها وقوله فاخرج انى لك من الناصحين يقول فاخرج من هذه المدينة انى لك فى اشارتى عليك بالخروج منها من الناصحين ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل﴾ يقول تعالى ذكره فخرج موسى من مدينة فرعون خائفا من قتله النفس أن يقتل به يترقب يقول ينتظر الطلب أن يدركه فيأخذه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال سعيد عن قتادة فخرج منها خائفا يترقب خائفا من قتله النفس يترقب الطلب قال رب نجنى من القوم الظالمين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى أبو سفيان عن معمر عن قتادة فخرج منها خائفا يترقب قال خائفا من قتل النفس يترقب أن يأخذه الطلب حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ذكر لى أنه خرج على وجهه خائفا يترقب ما يدرى أى وجه يسلك وهو يقول رب نجنى من القوم الظالمين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فخرج منها خائفا يترقب قال يترقب الطلب مخافة وقوله قال رب نجنى من القوم الظالمين يقول تعالى ذكره قال موسى وهو شاخص عن مدينة فرعون خائفا رب نجنى من هؤلاء القوم الكافرين الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بك وقوله ولما توجه تلقاء مدين يقول تعالى ذكره ولما جعل موسى وجهه نحو مدين ماضيا اليها شاخصا عن مدينة فرعون وخارجا عن سلطانه قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل وعنى بقوله تلقاء نحو مدين ويقال فعل ذلك من تلقاء نفسه يعنى به من قبل نفسه ويقال داره تلقاء دار فلان اذا كانت محاذيتها ولم يصرف اسم مدين لانها اسم بلدة معروفة كذلك تفعل العرب بأسماء البلاد المعروفة ومنه قول الشاعر

رحبات مدين لو رأوك تنزلوا * والعصم من شعف العقول القادر

وقوله عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل يقول عسى ربى أن يبين لى قصد السبيل الى مدين وانما قال ذلك لأنه لم يكن يعرف الطريق اليها وذكر أن الله قيض له اذ قال رب نجنى من القوم الظالمين ملكا سدده الطريق وعرفه اياه ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال لما أخذ موسى فى بنيات الطريق جاءه ملك على فرس بيده عنزة فلما رآه موسى سجد له من الفرق قال لا تسجد لى ولكن اتبعنى فاتبعه فهداه نحو مدين وقال موسى وهو متوجه نحو مدين عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل فانطلق به حتى انتهى به الى مدين حدثنا العباس قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الأصبغ بن زيد قال ثنا القاسم قال ثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خرج موسى متوجها نحو مدين وليس له علم بالطريق الا حسن ظنه بربه فانه قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ذكر لى أنه خرج وهو يقول رب نجنى من القوم الظالمين فهيأ الله الطريق الى مدين فخرج من مصر بلا زاد ولا حذاء ولا ظهر ولا درهم ولا رغيف خائفا يترقب حتى وقع الى أمة من الناس يسقون بمدين حدثنا ابو عمار الحسين بن حريث المروزى قال ثنا الفضل بن موسى عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير قال خرج موسى من مصر الى مدين وبينها وبينها مسيرة ثمان قال وكان يقال نحو من الكوفة الى البصرة ولم يكن له طعام الا ورق الشجر وخرج حافيا فما وصل اليها حتى وقع خف

النار قال أهل التحقيق لما كان اعتقاد الجنة فى تربية موسى القلب أنه يكون قرة عينها وولدها فلا جرم نفعها الله بالنجاة ورفع الدرجات وحين لم يكن لفرعون النفس فى حقه هذا الاعتقاد بل كان يتوقع الهلاك منه كان هلاكه على يده بسيف الصدق وسم الذكر

قدمه حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام قال ثنا الاعمش عن المنهال عن سعيد عن ابن عباس قال لما خرج موسى من مصر الى مدين وبينه وبينها ثمان ليال كان يقال نحو من البصرة الى الكوفة ثم ذكر نحوه ومدين كان بها يومئذ قوم شعيب عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولما توجه تلقاء مدين ومدين ماء كان عليه قوم شعيب قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل وأما قوله سواء السبيل فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله نحو قولنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد سواء السبيل قال الطريق الى مدين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ۞ قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل قال قصد السبيل حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عباد بن راشد عن الحسن عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل قال الطريق المستقيم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير﴾ يقول تعالى ذكره ولما ورد موسى ماء مدين وجد عليه أمة يعنى جماعة من الناس يسقون نعمهم ومواشيهم ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى وجد عليه أمة من الناس يسقون يقول كثرة من الناس يسقون حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أمة من الناس قال أناسا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال وقع الى أمة من الناس يسقون بمدين أهل نعم وشاء حدثنا على بن موسى وابن بشار قالا ثنا أبو داود قال أخبرنا عمران القطان قال ثنا أبو حمزة عن ابن عباس فى قوله ولما ورد ماء مدين قال على بن موسى قال مثل ماء جوبكم هذا يعنى المحدثة وقال ابن بشار مثل محدثتكم هذه يعنى جوبكم هذا وقوله ووجد من دونهم امرأتين تذودان يقول ووجد من دون أمة الناس الذين هم على الماء امرأتين تذودان يعنى بقوله تذودان تحبسان غنمهما يقال منه ذاد فلان غنمه وماشيته اذا أراد شيء من ذلك يشذ ويذهب فرده ومنعه بذودها ذودا وقال بعض أهل العربية من الكوفيين لا يجوز أن يقال ذدت الرجل بمعنى حبسته انما يقال ذلك للغنم والابل وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انى لبعقر حوضى أذود الناس عنه بعصاى فقد جعل الذود صلى الله عليه وسلم فى الناس ومن الذود قول سويد بن كراع

أبيت على باب القوافى كأنما ۞ أذود بها سربا من الوحش نزعا

وقول الآخر

وقد سلبت عصاك بنو تميم ۞ فما تدرى بأى عصا تذود

ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله تذودان يقول تحبسان حدثنى العباس قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ قال ثنا القاسم قال ثنى سعيد بن جبير عن ابن عباس ووجد من دونهم

وهم لا يشعرون أنه لو لم يوفق لاهلاكهم لكان هلاكه على أيديهم فؤاد أم موسى هو سر السر أخت موسى القلب هو العقل ودخل مدينة القالب على حين غفلة من أهلها وهم الصفات النفسانية فوجد فيها رجلين صفتين احداهما من صفات القلب والاخرى من صفات النفس وفى قوله هذا من عمل الشيطان اشارة الى أن قتل كافر صفات النفس بالجهاد معها ان لم يكن بأمر الحق وعلى سبيل المتابعة لم يعتد به فان أكون ظهيرا للمجرمين الذين أجرموا بأن جاهدوا كفار صفات النفس بالطبع والهوى لا بالشرع كالفلاسفة والبراهمة انك لغوى مبين لأنك تنازع ذا سلطان قوى قيل أوانه وهو فرعون النفس وجاء رجل هو العقل من أقصى مدينة الانسانية أى من أعلى مرتبة الروحانية يسعى فى طلب نجاة موسى القلب فاخرج من مدينة البشرية الى صحراء الروحانية خائفا من سطوات فرعون النفس يترقب مكايدهم ۞ ﴿ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير﴾ جاءته احداهما تمشى على استحياء

قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الأمين قال انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج فان أتممت عشرا فمن

عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس (٣٦) من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى اني أنا الله رب العالمين وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين قال رب اني قتلت منهم نفسا فأخاف ان يقتلون وأخي هرون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني اني أخاف أن يكذبون قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع الى اله موسى واني لأظنه من الكاذبين واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم الينا لا يرجعون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين ﴿ القراآت ربي أن يفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويصدر بفتح الياء في وضم الدال ابن عامر ويزيد وأبو عمرو وأبو أيوب الآخرون بضم الياء وكسر الدال اني أريد ستجدني ان بفتح ياء المتكلم فيهما أبو جعفر

امرأتين تذودان يعني بذلك أنهما حابستان حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي الهيثم عن سعيد بن جبير في قوله امرأتين تذودان قال حابستين حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي ووجد من دونهم امرأتين تذودان يقول تحبسان غنمهما واختلف أهل التأويل في الذي كانت عنه تذود هاتان المرأتان فقال بعضهم كانتا تذودان غنمهما عن الماء حتى يصدر عنه مواشي الناس ثم يسقيان ماشيتهما لضعفهما ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبي مالك قوله امرأتين تذودان قال تحبسان غنمهما عن الناس حتى يفرغوا وتخلو لهما البئر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ووجد من دونهم امرأتين يعني دون القوم تذودان غنمهما عن الماء وهو ماء مدين ﴿ وقال آخرون بل معنى ذلك تذودان الناس عن غنمهما ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال أي حابستين شاءهما تذودان الناس عن شائهما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن أصحابه تذودان قال تذودان الناس عن غنمهما ﴿ وأولى التأويلين في ذلك بالصواب قول من قال معناه تحبسان غنمهما عن الناس حتى يفرغوا من سقي مواشيهم وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لدلالة قوله ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء على أن ذلك كذلك وذلك أنهما انما شكا أنهما لا يسقيان حتى يصدر الرعاء اذ سألهما موسى عن ذودهما ولو كانتا تذودان عن غنمهما الناس كان لا شك أنهما كانتا تخبران عن سبب ذودهما عنها الناس لا عن سبب تأخر سقيهما الى أن يصدر الرعاء وقوله قال ما خطبكما يقول تعالى ذكره قال موسى للمرأتين ما شأنكما وأمركما تذودان ما شيتكما عن الناس هلا تسقونها مع مواشي الناس والعرب تقول للرجل ما خطبك بمعنى ما أمرك وحالك كما قال الراجز ﴿ يا عجبا ما خطبه وخطبي ﴿ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا العباس قال ثنا يزيد قال أخبرنا الأصبغ قال أخبرنا القاسم قال ثني سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال لهما ما خطبكما معتزلين لا تسقيان مع الناس حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال وجد لهما رحمة ودخلته فيهما خشية لما رأى من ضعفهما وغلبة الناس على الماء دونهما فقال لهما ما خطبكما أي ما شأنكما وقوله قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء يقول جل ثناؤه قالت المرأتان لموسى لا نسقي ماشيتنا حتى يصدر الرعاء مواشيهم لأنا لا نطيق أن نسقي وانما نسقي مواشينا ما أفضلت مواشي الرعاء في الحوض والرعاء جمع راع والراعي جمعه رعاء ورعاة ورعيان وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني العباس قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الأصبغ قال ثنا القاسم قال ثني سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما قال موسى للمرأتين ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير أي لا نستطيع أن نسقي حتى يسقي الناس ثم نتبع فضلاتهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله حتى يصدر الرعاء قال تنتظران تسقيان من فضول ما في الحياض حياض الرعاء حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء امرأتان لا نستطيع أن نزاحم الرجال وأبونا شيخ كبير لا يقدر أن يمس ذلك من نفسه ولا يسقي ماشيته فنحن ننتظر الناس حتى اذا فرغوا أسقينا ثم انصرفنا واختلفت القراء

ونافع انى آنست انى أنا الله وانى أخاف بفتح ياء المتكلم فى الكل أبو جعفر ونافع وأبو عمرو ولعلى آتيكم بفتح الياء هم وابن عامر جذوة بفتح الجيم عاصم و بضمها حمزة وخلف الباقون بكسرها من الرهب بفتح الراء (٣٧) وسكون الهاء حفص و بفتحهما أبو عمرو ومهل

فى قراءة قوله حتى يصدر الرعاء فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز سوى أبى جعفر القارئ وعامة قراء العراق سوى أبى عمرو يصدر الرعاء بضم الياء وقرأ ذلك أبو جعفر وأبو عمرو بفتح الياء من يصدر الرعاء عن الحوض وأما الآخرون فانهم ضموا الياء بمعنى أصدر الرعاء مواشيهم وهما عندى قراءتان متقاربتا المعنى قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله وأبونا شيخ كبير يقولان لا يستطيع من الكبر والضعف أن يسقى ماشيته وقوله فسقى لهما ذكر أنه عليه السلام فتح لهما عن رأس بئر كان عليها حجر لا يطيق رفعه الا جماعة من الناس ثم استسقى فسقى لهما ماشيتهما منه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال فتح لهما عن بئر حجرا على فيها فسقى لهما منها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج نحوه وزاد فيه قال ابن جريج حجرا كان لا يطيقه الا عشرة رهط حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو معاوية عن الحجاج عن الحكم عن شريح قال انتهى الى حجر لا يرفعه الا عشرة رجال فرفعه وحده حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال رحمهما موسى حين قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فأتى البئر فاقتلع صخرة على البئر كان النفر من أهل مدين يجتمعون عليها حتى يرفعوها فسقى لهما موسى دلوا فأروتا غنمهما فرجعتا سريعا وكانتا انما تسقيان من فضول الحياض حدثنى العباس قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ قال ثنا القاسم قال ثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس فسقى لهما فجعل يغرف فى الدلو ماء كثيرا حتى كانتا أول الرعاء ريا فانصرفتا الى أبيهما بغنمهما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال تصدق عليهما نبى الله صلى الله عليه وسلم فسقى لهما فلم يلبث أن أروى غنمهما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أخذ دلوهما موسى ثم تقدم الى السقاء بفضل قوته فزاحم القوم على الماء حتى أخرجهم عنه ثم سقى لهما ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما أنزلت الىّ من خير فقير﴾ يقول تعالى ذكره فسقى موسى للمرأتين ماشيتهما ثم تولى الى ظل شجرة ذكر أنها سمرة ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى ثم تولى موسى الى ظل شجرة سمرة فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير حدثنى العباس قال ثنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ قال ثنا القاسم قال ثنى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال انصرف موسى الى شجرة فاستظل بظلها فقال رب انى لما أنزلت الىّ من خير فقير حدثنى الحسين بن عمرو العنقزى قال ثنا أبى قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قال حثثت على جمل لى ليالين حتى صبحت مدين فسألت عن الشجرة التى أوى اليها موسى فاذا شجرة خضراء ترف فأهوى اليها جملى وكان جائعا فأخذها جملى فعالجها ساعة ثم لفظها فدعوت الله لموسى عليه السلام ثم انصرفت وقوله فقال رب انى لما أنزلت الىّ من خير فقير محتاج وذكر أن نبى الله موسى عليه السلام قال هذا القول وهو بجهد شديد وعرض ذلك للمرأتين تعريضا لهما لعلهما أن يطعماه مما به من شدة الجوع وقيل ان الخير الذى قال نبى الله انى لما أنزلت الىّ من خير فقير انما عنى به شبعة من طعام و نحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد عن ابن عباس قال لما هرب موسى من فرعون أصابه جوع شديد حتى كانت ترى أمعاؤه

ويعقوب وأبو جعفر ونافع وابن كثير الآخرون بضم الراء وسكون الهاء فذانك بتشديد النون ابن كثير و يعقوب وأبو عمرو معى بالفتح حفص ردا بغير همز أبو جعفر ونافع وابن كثير الآخرون(٣) بضم الراء وهمزة فى الوقف يصدقنى بالرفع حمزة وعاصم يكذبون بالياء فى الحالين يعقوب وافق ورش وسهل وعباس فى الوصل قال موسى بغير واو ابن كثير ربى أعلم بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ومن يكون على التذكير حمزة وعلى وخلف والمفضل لا يرجعون بفتح الياء وكسر الجيم نافع و يعقوب وعلى وخلف ۞ الوقوف السبيل ٥ يسقون ٥ لانه رأس آية عند الاكثرين مع عطف المتفقتين تذودان ج لعدم العاطف وطول الكلام مع اتحاد الفاعل خطبكما ط الرعاء ز لان ما بعده منقطع لفظا ومعنى كأنه قال فلم خرجتما فقالتا تعريضا بالاستقامة وأبونا شيخ كبير ط فقير ٥ على استحياء ز لعدم العاطف مع اتحاد القائل ومن وقف على تمشى و يجعل على استحياء حالا مقدما أى قالت مستحيية فلا وجه له فى الوقف لنا ط لان جواب لما منتظر وقبله حذف أى فذهب معها فلما جاءه فكأن الفاء لاستئناف القصص لان قال جواب لما لا تخف ز لان قوله نجوت غير متصل به نظما وليفصل بين البشارتين أى لا تخف ضيما وقد نجوت من ظلم فرعون الظالمين ٥

استأجره ج للابتداء بان مع اتحاد القول واحتمال التعليل الأمين ٥ حجج ج للشرط مع الفاء عندك ج لابتداء النفى مع الواو عليك ج الصالحين ٥ وبينك ج لابتداء الشرط على ط وكيل ٥ نارا ٥ لعدم العاطف وطول الكلام مع اتحاد القائل تصطلون ٥

العالمين ٥ لاعصاك ط لحق الحذف أى فالقاها فحيت فلما رآها ولم يعقب ط لاتخف ج لمثل ما مر أى لاتخف بأس العصا انك أمنت بها بأس فرعون الآمنين ٥ سوء ز لعطف الجملتين (٣٨) المتفقتين مع طول الكلام وملته ط فاسقين ٥ يقتلون ٥ يصدقنى ز للابتداء بان مع اتحاد القول واحتمال التعليل يكذبون ٥ بآياتنا ج أى لايصلون اليكما بسبب آياتنا وعلى اليكما أوجه أى أنتم الغالبون بآياتنا الغالبون ٥ الاولين ٥ الدار ط الظالمون ٥ غيرى ج لتنويع الكلام الى الله موسى لا لأن ما بعده مقوله أيضا الكاذبين ٥ لايرجعون ٥ فى اليم ج للابتداء بأمر الاعتبار واختلاف الجملتين مع فاء التعقيب الظالمين ٥ الى النار ج لعطف الجملتين المختلفتين لاينصرون ٥ لعنة ط لمثل ذلك المقبوحين ٥ ۞ التفسير ذهب بعض المفسرين الى أن موسى خرج وما قصد مدين ولكنه سلم نفسه الى الله تعالى وأخذ يمشى من غير معرفة طريق فأوصله الله الى مدين وقد يؤيد هذا التفسير ما روى عن ابن عباس أنه خرج وليس له علم بالطريق الاحسن ظنه به ويحتمل أن يكون معنى قول ابن عباس انه لما خرج قصد مدين لانه وقع فى نفسه أن بينه وبينهم قرابة لانهم من ولد مدين بن ابراهيم وهو كان من بنى اسرائيل لكن لم يكن له علم بالطريق بل اعتمد على فضل الله تعالى أما أنه قصد مدين فلقوله سبحانه (ولما توجه تلقاء مدين) أى قصد نحو هذه القرية ولم تكن فى سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمان وأما أنه اعتمد على فضل الله فلقوله (عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل) أى وسطه وجادته نظيره قول جده ابراهيم عليه السلام انى ذاهب الى ربى سيهدين وكذا الخلف الصدق يقتدى بالسلف الصالح فيهتدى

من ظاهر الصفاق فلما سقى للمرأتين وأوى الى الظل قال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن أبى حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله ولما ورد ماء مدين قال ورد الماء وانه ليترأى خضرة البقل فى بطنه من الهزال فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير قال شبعة حدثنى نصر بن عبد الرحمن الاودى قال ثنا حكام بن سلم عن عنبسة عن أبى حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله ولما ورد ماء مدين قال ورد الماء وان خضرة البقل لترى فى بطنه من الهزال حدثنى نصر بن عبد الرحمن قال ثنا حكام بن سلم عن عنبسة عن أبى حصين عن سعيد بن جبير انى لما أنزلت الى من خير فقير قال شبعة يومئذ حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم فى قوله فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير قال قال هذا وما معه درهم ولا دينار ٥ قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد انى لما أنزلت الى من خير فقير ما سأل الا الطعام حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل عن سفيان الثورى عن ليث عن مجاهد فى قوله فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير قال ما سأل ربه الا الطعام حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير قال قال ابن عباس لقد قال موسى ولو شاء انسان أن ينظر الى خضرة أمعائه من شدة الجوع وما يسأل الله الا أكلة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير قال كان نبى الله يجهد حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن عطاء ابن السائب فى قوله انى لما أنزلت الى من خير فقير قال بلغنى أن موسى قالها وأسمع المرأة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنى أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله من خير فقير قال طعام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد من خير فقير قال طعام حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انى لما أنزلت الى من خير فقير قال الطعام يستطعم لم يكن معه طعام وانما سأل الطعام ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فجاءته احداهما تمشى على استحياء قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لاتخف نجوت من القوم الظالمين﴾ يقول تعالى ذكره فجاءت موسى احدى المرأتين اللتين سقى لهما تمشى على استحياء من موسى قد سترت وجهها بثوبها ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو السائب والفضل بن الصباح قالا ثنا ابن فضيل عن ضرار بن عبد الله بن أبى الهذيل عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى قوله فجاءته احداهما تمشى على استحياء قال مستترة بكم درعها أو بكم قميصها حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن حماد بن عمرو الأسدى عن أبى سنان عن ابن أبى الهذيل عن عمر رضى الله عنه قال واضعة يدها على وجهها مستترة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن نوف فجاءته احداهما تمشى على استحياء قال قد سترت وجهها بيديها ٥ قال ثنا يحيى عن سفيان عن أبى اسحق عن نوف بنحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبى اسحق عن نوف فجاءته احداهما تمشى على استحياء قال قائلة بيديها على وجهها ووضع أبى يده على وجهه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون فجاءته احداهما تمشى على استحياء قال ليست بسلفع

من

قال السدى لما أخذ فى المسير جاءه ملك على فرس فسجد له موسى من الفرح فقال لاتفعل واتبعنى فاتبعه نحو مدين عن ابن جريج أنه

خرج بغير زاد ولا ظهر ولم يكن له طعام الا ورق الشجر (ولما ورد ماء مدين) وكان بئرا فيما روى وورود الماء مجيئه والوصول اليه ضد الصدور (وجد عليه) أى على شفيره ومستقاه (أمة من الناس) جماعة كثيرة العدد (٣٩) أصنافا (يسقون) مواشيهم (ووجد من دونهم)

من النساء خراجة ولاجة واضعة ثوبها على وجهها تقول ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا
حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فجاءته احداهما تمشى على استحياء قال لم تكن سلفعا من النساء خراجة ولاجة قائلة بيدها على وجهها ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان قال ثنا قرة بن خالد قال سمعت الحسن يقول فى قوله فجاءته احداهما تمشى على استحياء قال بعيدة من البذاء حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى تمشى على استحياء قال أتته تمشى على استحياء منه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فجاءته احداهما تمشى على استحياء قال واضعة يدها على جبينها وقوله قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا يقول تعالى ذكره فقالت المرأة التى جاءت موسى تمشى على استحياء ان أبى يدعوك ليجزيك تقول يثيبك أجر ما سقيت لنا وقوله فلما جاءه وقص عليه القصص يقول فمضى موسى معها الى أبيها فلما جاء أباها وقص عليه قصصه مع فرعون وقومه من القبط قال له أبوها لا تخف فقد نجوت من القوم الظالمين يعنى من فرعون وقومه لانه لا سلطان له بأرضنا التى أنت بها ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى العباس قال أخبرنا يزيد قال ثنا الاصبغ قال ثنا القاسم قال ثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس قال استنكر أبو الجاريتين سرعة صدورهما بغنمهما حفلا بطانا فقال ان لكما اليوم لشأنا قال أبو جعفر أحسبه قال فأخبرتاه الخبر فلما أتاه موسى كلمه قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطان ولسنا فى مملكته حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال لما رجعت الجاريتان الى أبيهما سريعا سألهما فأخبرتاه خبر موسى فأرسل اليه احداهما فأتته تمشى على استحياء وهو يستحى منه قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فقام معها وقال لها امضى فمشت بين يديه فضربتها الريح فنظر الى عجيزتها فقال لها موسى امشى خلفى ودلينى على الطريق ان أخطأت فلما جاء الشيخ وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فجاءته احداهما تمشى على استحياء قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا قال قال مطرف أما والله لو كان عند نبى الله شئ ما تبع مذقيهما ولكن انما حمله على ذلك الجهد فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال رجعتا الى أبيهما فى ساعة كانتا لا ترجعان فيها فأنكر شأنهما فسألهما فأخبرتاه الخبر فقال لاحداهما اعجلى على به فأتته على استحياء فجاءته فقالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فقام معها كما ذكر لى فقال لها امشى خلفى وانعتى لى الطريق وأنا أمشى أمامك فانا لا ننظر الى أدبار النساء فلما جاءه أخبره الخبر وما أخرجه من بلاده فلما قص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين وقد أخبرت أباها بقوله انا لا ننظر الى أدبار النساء ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين﴾ يقول تعالى ذكره قالت احدى المرأتين اللتين سقى لهما موسى لأبيهما حين أتاه موسى وكان اسم احداهما صفورا واسم الأخرى ليا وقيل شرفا كذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى وهب بن سليمن الرمادى عن شعيب الجبائى قال اسم الجاريتين

أى فى مكان أسفل من مكانهم (امرأتين تذودان) أى تدفعان وتطردان أغنامهما لان على الماء من هو أقوى منهما فلم تتمكنا من السقى وكانتا تكرهان المزاحمة على الماء واختلاط أغنامهما بأغنامهم أو اختلاطهما بالرجال وقيل تذودان الناس عن غنمهما وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر وبالجملة حذف مفعول تذودان لان الغرض تقرير الذود لا المذود وكذا فى يسقون ولا نسقى المقصود هو ذكر السقى لا المسقى وكذا فى قراءة من قرأ حتى يصدر من الاصدار أى حتى يصدر الرعاء مواشيهم الغرض بيان الاصدار (قال ما خطبكما) هو مصدر بمعنى المفعول أى ما مخطوبكما من الذياد (قالتا لا نسقى) الآية سألهما عن سبب الذود فذكرتا أنا ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا من تأخير السقى الى أن يفرغوا ومالنا رجل يقوم بذلك (وأبونا شيخ) قد أضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به وهذه الضرورة هى التى سوغت لنبى الله شعيب أن رضى لابنيه بسقى الماشية على أن الأمر فى نفسه ليس بمحظور ولعل العرب وخصوصا أهل البدو منهم لا يعدونه قادحا فى المروءة وزعم بعضهم أن أباهما هو ثيرون ابن أخى شعيب وشعيب مات بعد ما عمى وهو اختيار أبى عبيد يميل الى ابن عباس وعن الحسن أنه رجل مسلم قبل الدين من شعيب أما قوله

(فسقى لهما) فمعناه فسقى غنمهما لاجلهما وفيه قولان أحدهما أنه سأل القوم فسمحوا وكان لهم دلو يجتمع عليها أربعون رجلا فيخرجونها من البئر فاستقى موسى بها وحده وصب الماء فى الحوض ودعا بالبركة ثم قرب غنمهما فشربت حتى رويت ثم سرحهما مع غنمهما والثانى

أنه عمد الى البئر وعليها صخرة لا يقلها الا سبعة رجال أو عشرة أو أربعون أو مائة أقوال فأقلها وحده وسقى أغنامهما كل ذلك فى شمس وحر
(ثم تولى الى الظل) ظل شجرة (فقال رب انى لما (٤٠) أنزلت الىّ من خير فقير) ذهب أكثر المفسرين الظاهرين ومنهم ابن عباس الى أنه
طلب من الله طعاما يأكله وعدى فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب وعن الضحاك انه مكث سبعة أيام لم يذق فيها طعاما الا بقل الارض وان خضرته لترى فى بطنه من الهزال وفيه دليل على أنه نزع الدلو وأقل الصخرة بقوة ربانية وقال بعض اهل التحقيق أراد انى فقير من الدنيا لأجل ما أنزلت الىّ من خير الدين وذلك انه كان عند فرعون فى ملك وثروة فاظهر الرضا بهذا الذل شكرا لله يروى أنهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبى فادعيه لى وذلك قوله سبحانه (فجاءته احداهما تمشى على استحياء) قيل من جملة حيائها أنها قد استترت بكم درعها ثم (قالت ان أبى يدعوك) عن عطاء بن السائب أنه حين قال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير رفع صوته بدعائه ليسمعهما فلذلك قيل له (ليجزيك أجر ما سقيت لنا) وضعفت الرواية بأن هذا نوع من الدناءة وضعف اليقين بالله فلا يليق بالنبى وقد روى أنها حين قالت ليجزيك كره ذلك ولما قدم اليه الطعام امتنع وقال انا أهل بيت لا نبيع ديننا بدنيانا ولا نأخذ على المعروف ثمنا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا * سؤال كيف ساغ لموسى أن يعمل بقول امرأة وأن يمشى معها وهى أجنبية الجواب العمل بقول الواحد حرا أو عبدا ذكرا كان أو أنثى سائغ فى الاخبار والمشى مع الاجنبية لا بأس به فى حال الاضطرار مع التورع والعفاف ويؤيده ما روى أن موسى تبعها فألزقت الريح ثوبها بجسدها فرأيت

ليا وصفورا وامرأة موسى صفورا ابنة يثرون كاهن مدين والكاهن حبر **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال احداهما صفورا ابنة يثرون وأختها شرفا ويقال ليا وهما اللتان كانتا تذودان وأما أبوهما ففى اسمه اختلاف فقال بعضهم كان اسمه يثرون ذكر من قال ذلك **حدثنى** أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة قال كان الذى استأجر موسى ابن أخى شعيب يثرون **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة قال الذى استأجر موسى يثرون ابن أخى شعيب عليه السلام * وقال آخرون بل اسمه يثرى ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا العلاء بن عبد الجبار عن حماد بن سلمة عن أبى حمزة عن ابن عباس قال الذى استأجر موسى يثرى صاحب مدين **حدثنى** أبو العالية العبدى اسمعيل بن الهيثم قال ثنا أبو قتيبة عن حماد بن سلمة عن ابى حمزة عن ابن عباس قال الذى استأجر موسى يثرى صاحب مدين **حدثنى** أبو العالية العبدى اسمعيل بن الهيثم قال ثنا أبو قتيبة عن حماد بن سلمة عن أبى حمزة عن ابن عباس قال اسم أبى المرأة يثرى * وقال آخرون بل اسمه شعيب وقالوا هو شعيب النبى عليه السلام ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا قرة بن خالد قال سمعت الحسن يقول يقولون شعيب صاحب موسى ولكنه سيد أهل الماء يومئذ * قال أبو جعفر وهذا مما لا يدرك علمه الا بخبر ولا خبر بذلك تجب حجته فلا قول فى ذلك أولى بالصواب مما قاله الله جل ثناؤه ووجد من دونهم امرأتين تذودان قالت احداهما يا أبت استأجره تعنى يقولها استأجره ليرعى عليك ماشيتك ان خير من استأجرت القوى الأمين تقول ان خير من تستأجره للرعى القوى على حفظ ماشيتك والقيام عليها فى اصلاحها وصلاحها الأمين الذى لا تخاف خيانته فيما تأمنه عليه منها وقيل انها لما قالت ذلك لأبيها استنكر أبوها ذلك من وصفها اياه فقال لها وما علمك بذلك فقالت أما قوته فما رأيت من علاجه ما عالج عند السقى على البئر وأما الأمانة فما رأيت من غض البصر عنى وبنحو ذلك جاءت الاخبار عن أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يزيد قال أخبرنا الأصبغ بن زيد عن القاسم بن أبى أيوب عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الأمين قال فما حفظته الغيرة أن قال ومايدريك ما قوته وأمانته قالت أما قوته فما رأيت منه حين سقى لنا لم أر رجلا قط أقوى فى ذلك السقى منه وأما أمانته فانه نظر حين أقبلت اليه وشخصت له فلما علم أنى امرأة صوب رأسه فلم يرفعه ولم ينظر الىّ حتى بلغته رسالتك ثم قال امشى خلفى وانعتى لى الطريق ولم يفعل ذلك الا وهو أمين فسرى عن أبيها وصدقها وظن به الذى قالت **حدثنى** على قال ثنا أبو صالح ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لموسى ان خير من استأجرت القوى الأمين يقول أمين فيما ولى أمين على ما استودع **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الأمين قال ان موسى لما سقى لهما ورأت قوته وحرك حجرا على الركية لم يستطعه ثلاثون رجلا فأزاله عن الركية وانطلق مع الجارية حين دعته فقال لها امشى خلفى وأنا أمامك كراهية أن يرى شئ من خلقها مما حرم الله أن ينظر اليه وكان يوما فيه ريح **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن عبد الرحمن بن أبى نعم فى قوله يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الأمين قال لها أبوها

ما رأيت

ابن قاهث بن لاوى بن يعقوب (وقص عليه القصص) أى المقصوص من لدن ولادته الى قتل القبطى وفراره خوفا من فرعون وملئه (فقال) له شعيب (لا تخف) من فرعون أو ضيما (نجوت من القوم الظالمين) فلا سلطان (٤١) لفرعون بأرضنا (قالت احداهما) وهى كبراهما اسمها صفراء وكانت الصغرى صفيراء (يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين) قال النحويون جعل القوى الامين اسما لكونه معرفة صريحة أولى من جعل أفعل التفضيل المضاف اسما لكونه قريبا من المعرفة ولكن كمال العناية صار سببا للتقديم وورود الفعل وهو استأجرت بلفظ الماضى للدلالة على أنه أمر قد جرب وعرف وقال المحققون ان قولها هذا كلام حكيم جامع لا مزيد عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان أعنى الكفاية والامانة اللتين هما ثمرتا الكياسة والديانة فى الذى يقوم بأمرك فقد حصل مرادك وكل فراغك عن ابن عباس أن شعيبا أحفظته الغيرة فقال وما علمك بقوته وأمانته فذكرت اقلال الحجر ونزع الدلو وأنه صوب رأسه أى خفضه حين بلغته رسالته وأنه أمرها بالمشى خلفه فلذلك قال (أريد أن أنكحك احدى ابنتى) وليس هذا عقدا حتى تلزم الجهالة فى المعقود عليها ولكنه حكاية عزم وتقرير وعد ولو كان عقدا لقال أنكحتك ابنتى فلانة وفى قوله (هاتين) دليل على أنه كانت له غيرهما قال أهل اللغة (تأجرنى) من أجرته اذا كنت له أجيرا فيكون (ثمانى) حجج ظرفه أو من أجرته كذا اذا أثبته اياه فيكون الثمانى مفعولا به ثانيا ومعناه رعية ثمانى حجج (فان أتممت عشرا) أى عملى عشر حجج (فمن عندك) أى فاتمامه من عندك لا من عندى اذ هو تفضل منك وتبرع (وما أريد

ما رأيت من أمانته قالت لما دعوته مشيت بين يديه فجعلت الريح تضرب ثيابى فتصف عجزى فقال كونى خلفى فاذا بلغت الطريق فاذنينى قالت ورأيته يملأ الحوض بسجل واحد **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله القوى الأمين قال غض طرفه عنها قال محمد بن عمرو فى حديثه حين أوحى سقى لها فصدرتا وقال الحرث فى حديثه حتى سقى بغير شك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال فتح عن بئر حجرا على فيها فسقى لهما بها والأمين أنه غض بصره عنهما حين سقى لهما فصدرتا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الأحمر وهناد بن سعيد عن الحجاج عن القاسم عن مجاهد ان خير من استأجرت القوى الأمين قال رفع حجرا لا يرفعه الا قائم من الناس **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن أبى اسحق قال عمرو ابن ميمون فى قوله القوى الأمين قال كان يوم ريح فقال لا تمشى أمامى فيصفك الريح لى ولكن امشى خلفى ودلينى على الطريق قال فقال لها كيف عرفت قوته قالت كان الحجر لا يطيقه الا عشرة فرفعه وحده **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى أبو معاوية عن الحجاج بن أرطاة عن الحكم عن شريح فى قوله القوى الأمين قال أما قوته فانتهى الى حجر لا يرفعه الا عشرة فرفعه وحده وأما أمانته فانها مشت أمامه فوصفها الريح فقال لها امشى خلفى وصفى لى الطريق **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن عمرو عن زائدة عن الأعمش قال سألت تميم بن ابراهيم بم عرفت أمانته قال فى طرفه بغض طرفه عنها **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان خير من استأجرت القوى الأمين قال القوى فى الصنعة الأمين فيما ولى قال وذكر لنا أن الذى رأت من قوته أنه لم تلبث ماشيتها حتى رواها وان الأمانة التى رأت منه أنها حين جاءت تدعوه قال لها كونى وراءى وكره أن يستدبرها فذلك ما رأت من قوته وأمانته **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قوله يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الأمين قال بلغنا أن قوته كانت سرعة ما أروى غنمهما وبلغنا أنه ملأ الحوض بدلو واحد وأما أمانته فانه أمرها أن تمشى خلفه **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الأمين وهى الجارية التى دعته قال الشيخ هذه القوة قد رأيت حين اقتلع الصخرة أرأيت أمانته ما يدريك ما هى قالت مشيت قدامه فلم يجب أن ينظر فى نفسى فأمرنى أن أمشى خلفه **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الأمين فقال لها وما علمك بقوته وأمانته فقالت أما قوته فانه كشف الصخرة التى على بئر آل فلان وكان لا يكشفها دون سبعة نفر وأما أمانته فانى لما جئت أدعوه قال كونى خلف ظهرى وأشيرى لى الى منزلك فعرفت أن ذلك منه أمانة **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قالت يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الأمين لما رأت من قوته وقوله لها ما قال أن امشى خلفى لئلا يرى منها شيأ مما يكره فزاد ذلك فيه رغبة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج فان أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدنى ان شاء الله من الصالحين﴾ يقول تعالى ذكره قال أبو المرأتين اللتين سقى لهما موسى لموسى انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى

أن أشق عليك) الزام أتم الاجلين أو بالتكاليف الشاقة فى مدة الرعى وانما أعامل معك معاملة الانبياء يأخذون بالأسمح بالحاء لا بالجيم قال أهل الاشتقاق حقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الامر أنه اذا

صعب الامر فكأنه شق عليه ظنه باثنين يقول تارة أطيقه وتارة لا أطيقه ثم أكد وعد المسامحة بقوله (ستجدني ان شاء الله من الصالحين) عموما أو في باب حسن المعاملة وقوله ان شاء الله أدب (٤٣) جميل كقول اسمعيل ستجدني ان شاء الله من الصابرين أي على الذبح وفيه ان الاعتماد في جميع الامور على معونة الله والامر موكول الى مشيئته استدل الفقهاء بالآية على أن العمل قد يكون مهرا كالمال وعلى أن الحاق الزيادة بالثمن والمثمن جائز وعلى أن عقد النكاح لا يفسده الشروط التي لا يوجبها العقد ويمكن أن يقال انه شرع من قبلنا فلا يلزمنا وجوز في الكشاف أن يكون استأجره لرعية ثماني سنين بمبلغ معلوم ووفاه اياه ثم أنكحه ابنته وجعل قوله على أن تأجرني عبارة عما جرى بينهما (قال) موسى (ذلك) الذي شارطتني عليه قائم (بيني و بينك أيما الأجلين قضيت) وما مؤكدة لابهام أي زائدة في شيوعها (فلا عدوان علي) أي لا يعتدى علي في طلب الزيادة فان قضيت الثماني فلا أطالب بالزيادة وان قضيت العشر باختياري فلم أطالب بالزيادة أيضا وقيل أراد أيهما قضيت فلا أكون متعديا روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تزوج كبراهما وقيل صغراهما ولا خلاف في أنه قضى أوفى الأجلين قال القاضي في قوله (فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس) دليل على أنه لم يزد على العشرة وفيه نظر لأنه لا يفهم من هذا التركيب الا أن الايناس حاصل على عقيب مجموع الامرين ولا يدل على أن ذلك حصل عقيب أحدهما وهو قضاء الاجل ويؤيده ما روى عن مجاهد أنه بعد العشر المشروط مكث عشر سنين اخر قال أهل اللغة الجذوة بحركات الجيم العود الغليظ كانت في رأسه نار أو لم تكن وشاطئ الوادي جانبه ومن الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية أي أتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة فالثانية بدل من الاولى بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على

ثماني حجج يعني بقوله على أن تأجرني على أن تثيبني من تزويجكها رعي ماشيتي ثماني حجج من قول الناس أجرك الله فهو يأجرك بمعنى أثابك الله والعرب تقول أجرت الأجير أجره بمعنى أعطيته ذلك كما يقال أخذته فأنا آخذه وحكى بعض أهل العربية من أهل البصرة أن لغة العرب أجرت غلامي فهو مأجور وآجرته فهو مؤجر يريد أفعلته قال وقال بعضهم آجره فهو مؤاجر أراد فاعلته وكان أبا عندي جعل صداق ابنته التي زوجها موسى رعي موسى عليه ماشيته ثماني حجج والحجج السنون وقوله فان أتممت عشرا فمن عندك يقول فان أتممت الثماني الحجج التي شرطتها عليك بانكاحي اياك احدى ابنتي فجعلتها عشر حجج فاحسان من عندك وليس مما اشترطته عليك بسبب تزويجك ابنتي وما أريد أن أشق عليك باشتراط الثماني الحجج عشرا عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين في الوفاء بما قلت لك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ستجدني ان شاء الله من الصالحين أي في حسن الصحبة والوفاء بما قلت ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال ذلك بيني و بينك أيما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل﴾ يقول تعالى ذكره قال موسى لابي المرأتين ذلك بيني و بينك أي هذا الذي قلت من أنك تزوجني احدى ابنتيك على أن آجرك ثماني حجج واجب بيني و بينك على كل واحد منا الوفاء لصاحبه بما أوجب له على نفسه وقوله أيما الاجلين قضيت يقول أي الاجلين من الثماني الحجج والعشر الحجج قضيت يقول فرغت منها فوفيتكها رعي غنمك وماشيتك فلا عدوان علي يقول فليس لك أن تعتدي علي فتطالبني بأكثر منه وما في قوله أيما الاجلين صلة يوصل بها أي على الدوام وزعم أهل العربية أن هذا أكثر في كلام العرب من أي وأنشد قول الشاعر

وأيهما ما أتبعن فانني ۞ حريص على اثر الذي أنا تابع

وقال عباس بن مرداس

فأيي ما وأيك كان شرا ۞ فقيد الى المقامة لا يراها

وقوله والله على ما نقول وكيل كان ابن اسحق يرى هذا القول من أبي المرأتين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قال موسى ذلك بيني و بينك أيما الاجلين قضيت فلا عدوان علي قال نعم والله على ما نقول وكيل فزوجه وأقام معه يكفيه ويعمل له في رعاية غنمه وما يحتاج اليه منه وزوجة موسى صفورا أو أختها شرفا أوليا حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال قال ابن عباس الجارية التي دعته هي التي تزوج حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال له اني أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين على أن تأجرني الى آخر الآية قال وأيتهما تريد أن تنكحني قال التي دعتك قال لا الا وهي بريئة مما دخل نفسك عليها فقال هي عندك كذلك فزوجه وبنحو الذي قلنا في قوله أيما الاجلين قضيت قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال ذلك بيني و بينك أيما الاجلين قضيت اما ثمانيا واما عشرا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني ابن لهيعة عن عمارة بن غزية عن يحيى ابن سعيد عن القاسم بن محمد وسأله رجل قال أيما الاجلين قضيت فلا عدوان علي قال فقال القاسم ما أبالي أي ذلك كان انما هو موعد وقضاء وقوله والله على ما نقول وكيل يقول والله على ما أوجب كل واحد منا لصاحبه على نفسه بهذا القول شهيد وحفيظ كالذي حدثنا القاسم قال ثنا الحسين

قال

الشاطئ ووصفت البقعة بالمباركة لان فيها ابتداء الرسالة والتكليم احتجت المعتزلة على مذهبهم أن الله تعالى يتكلم بكلام يخلقه فى جسم بقوله (من الشجرة) وقال أهل السنة مما وراء النهر ان الكلام القديم القائم بذات الله غير مسموع والمسموع من الشجرة وهو الصوت والحرف دال على كلام الله وذهب الاشعرى الى أن الكلام الذى ليس بحرف ولا صوت يمكن أن يكون مسموعا كما أن الذات التى ليست بجسم ولا عرض يمكن أن تكون مرئية روى أن شعيبا كانت عنده عصى الانبياء فقال لموسى بالليل أدخل البيت فخذ عصا من تلك العصى فأخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم تزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فسمها وكان مكفوفا فشعر بها فقال غيرها فما وقع فى يده الا هى سبع مرات فعلم أن له شأنا وعن الكلبى الشجرة التى منها نودى شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما أصبح قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك وان كان الكلأ هناك أكثر لان فيها ثعبانا أخشاه عليك وعلى الغنم فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على منعها فمشى على أثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله قنام فاذا بالثعبان قد أقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى موسى دامية فارتاح لذلك وحين رجع الى شعيب مس الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فأخبره موسى ففرح وعلم أن لموسى والعصا شأنا قيل كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو فان موسى ذهب ليقتبس النار فكلمه الملك الجبار وقدم فى النمل تفسير قوله فلما رآها تهتز الى قوله من غير سوء أما قوله (واضمم اليك جناحك من الرهب) فذكر جار الله له معنيين أحدهما حقيقة وهو أنه لما قلب لقا عصاه حية فزع واضطرب فلقاها بيده كما يفعل الخائف من الشئ فقيل له ان لقاءك بيدك فيه نقصان قدرك عند الاعداء فان ألقيتها فكما تنقلب حية فأدخل يدك تحت عضدك مكان لقائك بها ثم أخرجها بيضاء ليحصل الامران اجتناب النقص واظهار معجزة أخرى

قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد والله على ما نقول وكيل قال شهيد على قول موسى وختنه وذكر أن موسى وصاحبه لما تعاقدا بينهما هذا العقد أمر احدى ابنتيه أن تعطى موسى عصا من العصى التى تكون مع الرعاة فأعطته اياها فذكر بعضهم أنها العصا التى جعلها الله له آية وقال بعضهم تلك عصا أعطاه اياها جبريل عليه السلام ذكر من قال ذلك **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال أمر يعنى أبا المرأتين احدى ابنتيه أن تأتيه يعنى أن تأتى موسى بعصا فأتته بعصا وكانت تلك العصا عصا استودعها اياه ملك فى صورة رجل فدفعها اليه فدخلت الجارية فأخذت العصا فأتته بها فلما رآها الشيخ قال لا ائتيه بغيرها فألقتها تريد أن تأخذ غيرها فلا تقع فى يدها الا هى وجعل يردها وكل ذلك لا يخرج فى يدها غيرها فلما رأى ذلك عمد اليها فأخرجها معه فرعى بها ثم ان الشيخ ندم وقال كانت وديعة تخرج يتلقى موسى فلما لقيه قال أعطنى العصا فقال موسى هى عصاى فأبى أن يعطيه فاختصما فرضيا أن يجعلا بينهما أول رجل يلقاهما فأتاهما ملك يمشى فقال ضعوها فى الارض فمن حملها فهى له فعالجها الشيخ فلم يطقها وأخذها موسى بيده فرفعها فتركها له الشيخ فرعى له عشر سنين قال عبد الله بن عباس كان موسى أحق بالوفاء **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال يعنى أبا الجارية لما زوجها موسى لموسى أدخل ذلك البيت فخذ عصا فتوكأ عليها فدخل فلما وقف على باب البيت طارت اليه تلك العصا فأخذها فقال اردد ها وخذ أخرى مكانها قال فردها ثم ذهب ليأخذ أخرى فطارت اليه كما هى فقال لا اردد ها فعل ذلك ثلاثا فقال اردد ها فقال لا أجد غيرها اليوم فالتفت الى ابنته فقال لابنته ان زوجك الذى ذكر من قال التى كانت آية عصا أعطاها موسى جبرائيل عليه السلام **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر قال سألت عكرمة قال أما عصا موسى فانها خرج بها آدم من الجنة ثم قبضها بعد ذلك جبرائيل عليه السلام فلقى موسى بها ليلا فدفعها اليه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون ﴾ يقول تعالى ذكره فلما وفى موسى صاحبه الاجل الذى فارقه عليه عند انكاحه اياه ابنته وذكر أن الذى وفاه من الأجلين أتمهما وأكملهما وذلك العشر الحجج على أن بعض أهل العلم قد روى عنه أنه قال زاد مع العشر عشرا أخرى ذكر من قال الذى قضى من ذلك هو الحجج العشر **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال سألت ابن عباس أى الأجلين قضى موسى قال خيرهما وأوفاهما **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس سئل أى الأجلين قضى موسى قال أتمهما وأخيرهما **حدثنى** محمد ابن عمارة قال ثنا عبيد الله بن موسى قال ثنا موسى بن عبيدة عن أخيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قضى موسى آخر الأجلين **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن عبيدة عن الحكم بن أبان عن عكرمة سئل ابن عباس أى الأجلين قضى موسى قال أتمهما وأوفاهما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير قال قال يهودى بالكوفة وأنا أتجهز للحج انى أراك رجلا تتبع العلم أخبرنى أى الأجلين قضى موسى قلت لا أعلم وأنا الآن قادم على حبر العرب يعنى ابن عباس فسائله عن ذلك فلما قدمت مكة سألت ابن عباس عن ذلك

وثانيهما مجاز وهو أن يراد بضم الجناح التجلد وضبط النفس حتى لا يضطرب فيكون استعارة من فعل الطائر لانه اذا خاف أرخى جناحيه والاضمهما ومعنى (من الرهب) من أجل الخوف والفرق بين (٤٤) هذه العبارة وبين قوله أسلك يدك فى جيبك أن الغرض هناك خروج

اليد بيضاء وههنا الغرض اخفاء الخوف او ارادة الجناح المضموم ههنا اليد اليمنى وبالجناح المضموم اليه فى قوله واضمم يدك الى جناحك اليد اليسرى وقيل ان الرهب هو الكم بلغة حمير وزيفه النقاد من قرأ فذانك بالتخفيف فمثنى ذاك ومن قرأ بالتشديد فمثنى ذلك وأصله ذانك قلبت اللام نونا وأدغمت وسميت الحجة برهانا لبياضها وانارتها من قولهم امرأة برهرهة أى بيضاء والعين واللام مكررتان والدليل على زيادة النون قولهم أبره الرجل اذا جاء بالبرهان ونظيره السلطان من السليط الزيت لانارتها وظاهر الكلام يقتضى أنه تعالى أمره بذلك قبل لقاء فرعون والسر فيه أن يكون على بصيرة من أمره عند لقاء المعاند اللجوج وزعم القاضى أنه فى حال أداء الرسالة لان المعجز انما يظهر ليستدل المرسل اليه على الرسالة ولا يخفى ضعف هذا الكلام لان الحكمة فى الاظهار لا تنحصر فى الاستدلال بل لعل هناك أنواعا أخر من الحكم والمقاصد قد ذكرنا واحدا منها ومما يؤكد أن هذا الكلام قد جرى ولم يكن هناك أحد غير موسى قوله معتذرا (ربانى قتلت منهم نفسا) الآية والردء اسم ما يعان به من ردأته أى أعنته فعل بمعنى مفعول به و(يصدقنى) بالرفع صفة وبالجزم جواب كامر فى قوله وليا يرثنى والمراد بتصديق أخيه أن يذب ويجادل عنه لا أن يقول صدقت فان هذا القدر لا يفتقر الى البيان والفصاحة لان عجمان وبا فلا يستويان فيه ويجوز أن يكون الضمير فى يصدقنى لفرعون وجوز جار الله أن يكون من الاسناد المجازى بناء على أن يصدق مسندا الى هرون وهو بيانه وبلاغته سبب تصديق فرعون يؤيده قوله (انى أخاف أن يكذبون) قال الجبائى انما

وأخبرته بقول اليهودى فقال ابن عباس قضى أكثرهما وأطيبهما ان النبى اذا وعد لم يخلف قال سعيد فقدمت العراق فلقيت اليهودى فأخبرته فقال صدق وما أنزل على موسى هذا والله العالم

* قال ثنا يزيد قال ثنا الأصبغ بن زيد عن القاسم بن أبى أيوب عن سعيد بن جبير قال سألنى رجل من أهل النصرانية أى الأجلين قضى موسى قلت لا أعلم وأنا يومئذ لا أعلم فلقيت ابن عباس فذكرت له الذى سألنى عنه النصرانى فقال أما كنت تعلم أن ثمانيا واجب عليه لم يكن نبى الله نقص منها شيأ وتعلم أن الله كان قاضيا عن موسى عدته التى وعده فانه قضى عشر سنين **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما قضى موسى الأجل قال حدث ابن عباس قال رعى عليه نبى الله أكثرهما وأطيبهما **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى معشر عن محمد بن كعب القرظى قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الاجلين قضى موسى فقال أوفاهما وأتمهما **حدثنا** أحمد بن محمد الطوسى قال ثنا الحميدى أبو بكر عبد الله بن الزبير قال ثنا سفيان قال ثنى ابراهيم بن ميسرة عن يعلى بن أبى يعقوب عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سألت جبرائيل أى الاجلين قضى موسى قال أتمهما وأكملهما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد ان النبى صلى الله عليه وسلم سأل جبرائيل أى الأجلين قضى موسى قال سوف أسأل اسرافيل فسأله فقال سوف أسأل الله تبارك وتعالى فسأله فقال أبرهما وأوفاهما ذكر من قال قضى العشر المجمج وزاد على العشر عشرا أخرى **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فلما قضى موسى الأجل قال عشر سنين ثم مكث بعد ذلك عشرا أخرى **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قضى الاجل عشر سنين ثم مكث بعد ذلك عشرا أخرى **حدثنى** المثنى قال ثنا معاذ ابن هشام قال ثنا أبى عن قتادة قال ثنا أنس قال لما دعانى الله موسى صاحبه الى الاجل الذى كان بينهما قال له صاحبه كل شاة ولدت على غير لونها فلك ولدها فعمد فرفع خيالا على الماء فلما رأت الخيال فزعت فجاءت جولة فولدن كلهن بلقا الا شاة واحدة فذهب بأولاد هن ذلك العام وقوله وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا يقول تعالى ذكره فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله شاخصا بهم الى منزله من مصر آنس من جانب الطور يعنى بقوله آنس أبصر وأحس كما قال العجاج

آنس خربان فضاء فانكدر * دانى جناحيه من الطور فمر

ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وقد ذكرنا الرواية بذلك فيما مضى قبل غير أنا نذكر ههنا بعض ما لم نذكر قبل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة آنس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا انى آنست نارا أى أحسست نارا وقد بينا معنى الطور فيما مضى بشواهده وما فيه من الرواية عن أهل التأويل وقوله لأهله امكثوا انى آنست نارا يقول قال موسى لاهله تمهلوا وانتظروا انى أبصرت نارا لعلى آتيكم منها يعنى من النار بخبر أو جذوة من النار يقول أو آتيكم بقطعة غليظة من الحطب فيها النار وهى مثل الجذمة من أصل الشجرة ومنه قول ابن مقبل

سأل موسى أن يرسل هرون بأمر الله تعالى ولم يكن ليسأل مالا يأمن أن يجاب أولا يكون حكمة وتقائل ان يقول لعله سأله مشروطا على معنى ان اقتضت الحكمة ذلك كما يقول الداعى فى دعائه وقال السدى علم أن الاثنين أقوى من الواحد فلهذا سأل اعترض القاضى بأن هذا من حيث العادة وأما من حيث الدلالة فلا فرق بين معجزة ومعجزتين لان المبعوث اليه فى أيهما نظر علم وان لم ينظر فالحال واحدة هذا اذا كانت طريقة الدلالة بين المعجزتين واحدة فأما اذا اختلف وأمكن فى احداهما من ازالة الشبهة ما لا يمكن فى الاخرى فغير ممتنع أن يقال انهما بمجموعهما أقوى من واحدة كما قال السدى لكن ذلك لا يتأتى فى موسى وهرون لان معجزتهما كانت واحدة قال جار الله معنى (سنشد عضدك) سنقويك بأخيك اما الان اليد تشتد بشدة العضد وجملة البدن يقوى على مزاولة الامور بشدة اليد واما الان الرجل واشتداده بالاخ شبه باليد فى اشتدادها باشتداد العضد والسلطان التسلط والغلبة والحجة الواضحة وقوله (بآياتنا) اما متعلق بمقدر أى اذهبا بآياتنا أو متعلق بظاهر وهو نجعل أولا يصلون ويجوز أن يكون بيانا للغالبون كأنه قيل بماذا نغلب فقيل بآياتنا وامتنع أن تكون صلة للغالبون لتقدمه ويجوز أن تكون قسما جوابه لا يصلون مقدما عليه مثله ويجوز أن يكون من لغو القسم الذى لا جواب له كقولك زيد وأبيك منطلق والمراد الغلبة بالحجة والبرهان فى الحال أو الدولة والمملكة فى المآل وصلب السحرة بعد تسليم ثبوته لا يقدح فى قوله (ومن اتبعكما الغالبون) لان الدولة الباقية أعلى شأنا و (سحر مفترى) أى سحر تعمله أنت ثم تنسبه الى الله فهو كذب من هذا الوجه أو سحر ظاهر افتراؤه لا سحر يخفى افتراؤه أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر فان كل سحر ففاعله يوهم خلافه فهو المفترى ومعنى (ما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين) قد مر فى سورة المؤمنين قال جار الله فى آبائنا حال عن هذا أى كائنا

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها ... جزل الجذا غير خوار ولا دعر

وفى الجذوة لغات للعرب ثلاث جذوة بكسر الجيم وبها قرأت قراء الحجاز والبصرة وبعض أهل الكوفة وهى أشهر اللغات الثلاث فيها وجذوة بفتح الجيم وبها قرأ أيضا بعض قراء الكوفة (١) وهذه اللغات الثلاث وان كن مشهورات فى كلام العرب فالقراءة بأشهرها أعجب الى وان لم أنكر قراءة من قرأ بغير الأشهر منهن ونحو الذى قلنا فى معنى الجذوة قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أو جذوة من النار يقول شهاب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو جذوة والجذوة أصل شجرة فيها نار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قوله انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار قال أصل الشجرة فى طرفها النار فذلك قوله أو جذوة (٢) قال السعف فيه النار قال معمر وقال غير قتادة أو جذوة أو شعلة من النار حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أو جذوة من النار قال أصل شجرة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أو جذوة من النار قال أصل شجرة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أو جذوة من النار قال الجذوة العود من الحطب الذى فيه النار ذلك الجذوة وقوله لعلكم تصطلون يقول لعلكم تسخنون بها من البرد وكان فى شتاء

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى انى أنا الله رب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره فلما أتى موسى النار التى آنس من جانب الطور نودى من شاطئ الوادى الأيمن يعنى بالشاطئ الشط وهو جانب الوادى وعدوته والشاطئ يجمع شواطئ وشطآن والشط الشطوط والأيمن من نعت الشاطئ عن يمين موسى ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله من شاطئ الوادى الأيمن قال ابن عمرو فى حديثه عند الطور وقال الحرث فى حديثه من شاطئ الوادى الايمن عند الطور عن يمين موسى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الايمن قال شق الوادى عن يمين موسى عند الطور وقوله فى البقعة المباركة من صلة الشاطئ وتأويل الكلام فلما أتاها نادى الله موسى من شاطئ الوادى الايمن فى البقعة المباركة منه من الشجرة أن يا موسى انى أنا الله رب العالمين وقيل ان معنى قوله من الشجرة عند الشجرة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة قال نودى من عند الشجرة أن يا موسى انى أنا الله رب العالمين وقيل ان الشجرة التى نادى موسى منها ربه شجرة عوسج وقال بعضهم بل كانت شجرة العليق ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى أبو سفيان عن معمر عن قتادة فى قوله البقعة المباركة من الشجرة قال الشجرة

(١) سقط من قلم الناسخ اللغة الثالثة وهى جذوة بضم الجيم وبها قرئ أيضا فتنبه كتبه مصححه

فى زمانهم وايامهم قلت لامانع من ان يكون الظرف لغوا ولا يخلو من ان يكونوا كاذبين فى ذلك وقد سمعوا بنحوه او يريدوا أنهم لم يسمعوا بمثله فى فظاعته أو ارادوا أن الكهان لم يخبروا (٤٦) بمجى ء ما جاء به موسى وكل هذه المقالات لا تصدر الا عن المحجوج اللجوج الذى

قصارى أمره التمسك بحبل التقليد من قرأ (قال موسى) بغير واو على طريقة السؤال والجواب ووجه قراءة الاكثرين أنهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوازن العاقل الناظر بين القولين فيتبين له الغث من السمين وقوله (ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده) احكام للخصم المعاند لا سبيل الى دفاعه بالحجة أى يعلم أنى محق وأنهم مبطلون وقوله (ومن تكون له عاقبة الدار) يعنى العاقبة الحميدة كأن المذمومة غير معتد بها ضم طريقة الوعيد الى الاحكام المذكور وقيل معناه ربى أعلم بالانبياء السالفة فهو جواب لقولهم ما سمعنا بهذا وقال جار الله ربى أعلم بحال من أهله للفلاح حيث جعله نبيا ووعده حسنى العقبى ولو كان كاذبا كما يزعمون لم يؤهله لذلك لانه لا يفلح عنده الظالمون واعلم أن فرعون كان من عادته عند ظهور حجة لموسى أن يتعلق فى دفع تلك الحجة بشبهة يروجها على أغمار قومه فذكر ههنا أمرين الاول قوله (ما علمت لكم من اله غيرى) فكأنه استدل بعدم الدليل على عدم المدلول وهو خطأ من جهة أن الدليل على المدلول وهو وجود الصانع أكثر من أن يحصى ومن جهة أن عدم الدليل لا يستلزم عدم المدلول وأما قوله غيرى فقد تكلف له بعضهم أنه لم يرد به أنه خالق السموات والارض وما فيهما فان امتناع ذلك بديهى وانما أراد به نفى الصانع والاقتصار على الطبائع وانه لا تكليف على الناس الا أن يطيعوا ملكهم وينقادوا لأمره الثانى قوله (فأوقد لى يا هامان على الطين) وقد تكلفوا له ههنا أيضا فقيل انه يبعد من العاقل أن يروم صعود السماء آلة ولكنه أراد أنه لا سبيل الى اثبات الصانع من حيث العقل كما مر ولا من حيث

أهل

عوسج قال معمر عن قتادة عصا موسى من العوسج والشجرة من العوسج حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض من لا يتهم عن بعض أهل العلم انى آنست نارا قال خرج نحوها فاذا هى شجرة من العليق وبعض أهل الكتاب يقول هى عوسجة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة عن عبد الله قال رأيت الشجرة التى نودى منها موسى عليه السلام شجرة سمر خضراء ترف ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين﴾ يقول تعالى ذكره ونودى موسى أن يا موسى الى أنا الله رب العالمين وأن ألق عصاك فألقاها موسى فصارت حية تسعى فلما رآها موسى تهتز يقول تتحرك وتضطرب كأنها جان والجان واحد الجنان وهى نوع معروف من أنواع الحيات وهى منها عظام ومعنى الكلام كأنها جان من الحيات ولى مدبرا يقول ولى موسى هاربا منها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولى مدبرا فزعا منها ولم يعقب يقول ولم يرجع على عقبه وقد ذكرنا الرواية فى ذلك وما قاله أهل التأويل فيما مضى فكرهنا اعادته غير أنا نذكر فى ذلك بعض ما لم نذكره هنالك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولم يعقب يقول ولم يعقب أى لم يلتفت من الفزع حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى ولم يعقب يقول لم ينتظر وقوله يا موسى أقبل ولا تخف يقول تعالى ذكره فنودى موسى يا موسى أقبل الىّ ولا تخف من الذى تهرب منه انك من الآمنين من أن يضرك انما هو عصاك وقوله اسلك يدك فى جيبك يقول أدخل يدك وفيه لغتان سلكته وأسلكته فى جيبك يقول فى جيب قميصك كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أسلك يدك فى جيبك أى فى جيب قميصك وقد بينا فيما مضى السبب الذى من أجله أمر أن يدخل يده فى الجيب دون الكم وقوله تخرج بيضاء من غير سوء يقول تخرج بيضاء من غير برص كما حدثنا بشر قال ثنا ابن المفضل قال ثنا قرة بن خالد عن الحسن فى قوله اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء قال فخرجت كأنها المصباح فأيقن موسى أنه لقى ربه وقوله واضمم اليك جناحك يقول واضمم اليك يدك كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس واضمم اليك جناحك قال يدك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد واضمم اليك جناحك قال وجناحاه الذراع والعضد هو الجناح والكف ليست اضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء وقوله من الرهب يقول من الخوف والفرق الذى نالك من معاينتك ما عاينت من هول الحية ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله من الرهب قال الفرق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واضمم اليك جناحك من الرهب أى من الرعب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله من الرهب قال مما دخله من الفرق من الحية والخوف وقال ذلك الرهب الذى قول الله يدعوننا رغبا ورهبا قال خوفا وطمعا * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة

الحس فان الاحساس به يتوقف على الصعود وهو متعذر والا فابن ياهامان مثل هذا البناء وانما قال ذلك تهكما فبمجموع هذه الاشياء تقرر انه لا دليل على الصانع ثم رتب النتيجة عليه وهو قوله (واني لأظنه من الكاذبين) يحتمل (٤٧) أن يريد لأعلمه من الكاذبين والاكثرون من

أهل الحجاز والبصرة من الرهب بفتح الراء والهاء وقرأته عامة قراء الكوفة من الرهب بضم الراء وتسكين الهاء والقول في ذلك أنهما قراءتان متفقتا المعنى مشهورتان في قراء الامصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله فذانك برهانان من ربك يقول تعالى ذكره فهذان اللذان أريتكهما يا موسى من تحول العصا حية ويدك وهي سمراء بيضاء تلمع من غير برص برهانان يقول آيتان وحجتان وأصل البرهان البيان يقال للرجل اذا سئل الحجة عليه هات برهانك على ما تقول أي هات تبيان ذلك ومصداقه ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فذانك برهانان من ربك العصا واليد آيتان حدثني محمد بن عمرو قال ثنا الحسين قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله فذانك برهانان من ربك تبيانان من ربك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فذانك برهانان من ربك هذان برهانان حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فذانك برهانان من ربك قرأها توا برهانكم هاتوا على ذلك آية تعرفها وقال برهانان آيتان من الله واختلفت القراء في قراءة قوله فذانك فقرأته عامة قراء الأمصار سوى ابن كثير وأبي عمرو فذانك بتخفيف النون لانها نون الاثنين وقرأه ابن كثير وأبو عمرو فذانك بتشديد النون واختلف أهل العربية في وجه تشديدها فقال بعض نحويي البصرة ثقل النون من أجل أنها للتوكيد كما أدخلوا اللام في ذلك وقال بعض نحويي الكوفة شددت فرقا بينها وبين النون التي تسقط للاضافة لان هاتان وهذان لا تضاف وقال آخر منهم هو من لغة من قال هذا آ قال ذلك فزاد على الألف ألفا كذا زاد على النون نونا ليفصل بينهما وبين الاسماء المتمكنة وقال في ذانك انما كانت ذلك فيمن قال هذان ياهذا فكرهوا تثنية الاضافة فأعقبوها باللام لان الاضافة تعقب باللام وكان أبو عمرو يقول التشديد في النون في ذانك من لغة قريش الى فرعون وملئه يقول الى فرعون وأشراف قومه حجة عليهم ودلالة على حقيقة نبوتك يا موسى أنهم كانوا قوما فاسقين يقول ان فرعون وملأه كانوا قوما كافرين ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال رب اني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون وأخي هرون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني اني أخاف أن يكذبون﴾ يقول تعالى ذكره قال موسى رب اني قتلت من قوم فرعون نفسا فأخاف ان أتيتهم فلم أبن عن نفسي بحجة أن يقتلون لأن في لساني عقدة ولا أبين معها ما أريد من الكلام وأخي هرون هو أفصح مني لسانا يقول أحسن بيانا عما يريد أن يبينه فأرسله معي ردأ يقول عونا يصدقني أي يبين لهم عني ما أخاطبهم به كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وأخي هرون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردأ يصدقني أي يبين لهم عني ما أكلمهم به فانه يفهم ما لا يفهمون وقيل انما سأل موسى ربه يؤيده بأخيه لان الاثنين اذا اجتمعا على الخبر كانت النفس الى تصديقهما أسكن منها الى تصديق خبر الواحد ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فأرسله معي ردأ يصدقني لان الاثنين أحرى أن يصدقا من واحد ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فأرسله معي ردأ يصدقني قال عونا حدثنا القاسم قال ثنا

المفسرين على أنه بنى مثل هذا البناء جهلا منه أو تلبيسا على ملئه حيث صادفهم أغبى الناس وأخلاهم من الفطن يروى أن هامان جمع العمال حتى اجتمع منهم خمسون ألف بناء سوى الاجراء وأمر بطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيدوه حتى بلغ مبلغا لا يقدر الباني أن يقوم عليه فبعث الله جبريل عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل ووقعت قطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق أحد من عماله الا قد هلك وروى في القصة أن فرعون ارتقى فوقه فرمى بنشابة نحو السماء فأراد الله أن يفتنهم فردت اليه وهي ملطوخة بالدم فقال قد قتلت اله موسى فعند ذلك بعث الله جبرائيل لهدمه قال أهل البيان ان صح حديث رد النشابة ملطوخة فقد تهكم به بالفعل كما ثبت التهكم بالقول في غير موضع وانما قال فأوقد لي يا هامان على الطين ولم يقل اطبخ لي الآجر لان هذه العبارة أحسن ولان فيه تعليم الصنعة وقد كان أول من عمل الآجر فرعون عن عمر أنه حين سافر الى الشام ورأى القصور المشيدة بالآجر قال ما علمت أن أحدا بنى الآجر غير فرعون والطلوع والاطلاع الصعود يقال طلع الجبل واطلع وفي قوله سبحانه (واستكبر هو وجنوده في الارض) يعني أرض مصر (بغير الحق) اشارة الى أن الاستكبار بالحق انما هو لله تعالى كما جاء في الحديث القدسي الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فهو كقوله ويقتلون النبيين بغير الحق وفي قوله (وظنوا أنهم الينا لا يرجعون) دليل على أنهم كانوا منكري البعث كالطبائعيين وفي قوله (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) دلالة على علو شأنه تعالى وعظمة سلطانه واشارة الى استحقار فرعون وجنوده وعدده وان كانوا أكثر من رمال الدهناء كأنه شبههم بحصيات أخذهن أحد في كفه فطرحهن

فى البحر استدلت الاشاعرة بقوله (وجعلناهم أئمة يدعون الى النار) ان خالق الشر وجاعل الكفر هو الله سبحانه وقالت المعتزلة معنى الجعل التسمية والحكم بذلك كما يقال جعله بخيلا وفاسقا اذا حكم بالبخل والفسق عليه وسماه بالبخيل والفاسق أو أراد خذلانهم ومنعهم الالطاف حتى كانوا أئمة الكفر داعين الى النار أى الى موجباتها من الكفر والمعاصى وقال أبو مسلم معنى الامامة التقدم وذلك أنه تعالى عجل لهم العذاب فصاروا متقدمين لمن وراءهم من الكفرة الى النار وقال بعضهم أراد بالامامة أنهم بلغوا فى ذلك الباب أقصى النهايات حتى استحقوا أن يقتدى بهم ثم بين بقوله (ويوم القيامة لا ينصرون) أن عقاب الآخرة سينزل بهم على وجه لا يمكن التخلص منه وقال فى الكشاف أراد وخذلانهم فى الدنيا ويوم القيامة هم مخذولون كما قال (وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة) أى طردا وابعادا عن الرحمة (ويوم القيامة هم من المقبوحين) أى من المطرودين المبعدين وقال الليث قبحه الله قبحا بالفتح وقبحا بالضم أى نحاه عن كل خير وقال ابن عباس من المشهورين بسواد الوجه وزرقة العين وعن بعضهم أنه تعالى يقبح صورهم ويقبح عليهم عملهم فيجمع لهم بين الفضيحتين ۞ التأويل وحين توجه لقاء مدين عالم الروحانية وجد عليه أمة من أوصاف الروح يسقون مواشى اخلاقهم من ماء فيض الالهى ووجد من دونهم امرأتين السر والخفى ابنتا شعيب الروح يمنعان من استقاء ماء الفيض الالهى قال الشيخ الامام الربانى نجم الدين المعروف بداية وذلك لان لمعان أنوار الفيض يرد على الروح فى البداية بالتدريج فينشأ منه الخفى وهو لطيفة ربانية مودعة فى الروح بالقوة فلا يحصل بالفعل الا بعد غلبة الواردات الربانية ليكون واسطة بين الحضرة والروح فى قبول تجليات صفات الربوبية والفيوض الالهية فيكون فى هذه المدة بمعزل عن الاستقاء وكذا السر وهو لطيفة روحانية متوسطة بين القلب والروح قابلة لفيض الروح مؤيدة

الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ردأ يصدقنى أى عونا * وقال آخرون معنى ذلك كيما يصدقنى ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ردأ يصدقنى يقول كى يصدقنى **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فأرسله معى ردأ يصدقنى يقول كيما يصدقنى **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ردأ يصدقنى يقول كيما يصدقنى والردء فى كلام العرب هو العون يقال منه قد أردأت فلانا على أمره أى أكفيته وأعنته واختلفت القراء فى قراءة قوله يصدقنى فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة ردأ يصدقنى بجزم يصدقنى وقرأ عاصم وحمزة يصدقنى برفعه فمن رفعه جعله صلة للردء بمعنى فأرسله معى ردأ من صفته يصدقنى ومن جزمه جعله جوابا لقوله فأرسله فانك اذا أرسلته صدقنى على وجه الخبر والرفع فى ذلك أحب القراءتين الى لانه مسألة من موسى ربه أن يرسل أخاه عونا له بهذه الصفة وقوله انى أخاف أن يكذبون يقول انى أخاف أن لا يصدقون على قولى لهم انى أرسلت اليكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾ يقول تعالى ذكره قال الله لموسى سنشد عضدك أى نقويك ونعينك بأخيك تقول العرب اذا أعز رجل رجلا وأعانه ومنعه ممن أراده بظلم قد شد فلان على عضد فلان وهو من عاضده على أمره اذا أعانه ومنه قول ابن مقبل

عاضدتها بعتود غير معتلث * كأنه وقف عاج بان مكبوا

يعنى بذلك قوسا عاضدها بسهم وفى العضد لغات أربع أجودها العضد ثم العضد ثم العضد والعضد يجمع جميع ذلك على أعضاد وقوله ونجعل لكما سلطانا يقول ونجعل لكما حجة كما **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لكما سلطانا حجة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى ونجعل لكما سلطانا والسلطان الحجة وقوله فلا يصلون اليكما يقول تعالى ذكره فلا يصل اليكما فرعون وقومه بسوء وقوله بآياتنا يقول تعالى ذكره فلا يصل اليكما فرعون بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون فالباء فى قوله بآياتنا من صلة غالبون ومعنى الكلام أنتما ومن اتبعكما الغالبون فرعون وملأه بآياتنا أى بحجتنا وسلطاننا الذى نجعله لكما ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين﴾ يقول تعالى ذكره فلما جاء موسى فرعون وملأه بأدلتنا وحججنا بينات أنها حجج شاهدة بحقيقة ما جاء به موسى من عند ربه قالوا لموسى ما هذا الذى جئتنا به الا سحر افتريته من قبل نفسك وتخرصته كذبا وباطلا وما سمعنا بهذا الذى تدعونا اليه من عبادة من تدعونا الى عبادته فى أسلافنا وآبائنا الاولين الذين مضوا قبلنا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون﴾ يقول تعالى ذكره وقال موسى مجيبا لفرعون ربى أعلم بالحق منا يا فرعون من المبطل ومن الذى جاء بالرشاد الى سبيل

الى القلب وهو ايضا بمعزل عن استقاء ماء فيض الروح عند اشتغال القلب بمعالجات النفس واصلاح القالب الى حين توجه موسى القلب الى مدين عالم الروحانية وذلك قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعاء وهم صفات الروح ويصرفوا مواشيهم وهي الصفات الانسانية عن ماء الفيض الالهي فاذا صدروا وستقينا مواشينا من الاوصاف والاخلاق من أفضلة مواشيهم في حوض القوى وأونا وهو شعيب الروح لا يقدر على سقيه من الاوصاف الانسانية الا بالاجر والوسائط وانا لا نطيق أن نسقي لضعف حالنا فسقى موسى القلب مواشيهما بقوة استفادها من الجسد وقوة استفادها من الروح لانه متوسط بين العالمين ولهذا سمي قلبا ثم تولى الى الظل الى العناية فطلب الفيض الالهي بلا واسطة وهكذا ينبغي أن يكون السالك لا يقنع بما وجد من المعارف بدا بجاءته احداهما فيه أن القلب يحتاج في الوصول الى حضرة شعيب الروح أن يستمد من الخفي أو السر لا تخف نجوت فيه أن القلب اذا وصل الى مقام الروح نجا من ظلمات النفس وصفاتها ان خير من استأجرت من النفس والجسد القوي الامين لان القلب استفاد القوة من الجسد والامانة من الروح تماني حج فيه أن الروح في تبليغ القلب الى مقام الخفي يحتاج الى تسييره في مقامات صفاته الثمانية المخصوصة به في خلافة الحق وهي الحياة والارادة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والبقاء وتمام ذلك الى العشرة راجع الى خصوصيته وهما المحبة والانس مع الله أيما الاجلين قضيت في التخلق بأخلاقك الثمانية وفي المحبة والانس مع الله فلا عدوان علي أي ليس لك أن تمنعني العبور عن المحبة لانك من خصوصيتك بالخلافة مجبول على تلك الصفات

الصواب والبيان عن واضح الحجة من عنده ومن الذي له العقبى المحمودة في الدار الآخرة منا وهذه معارضة من نبي الله موسى عليه السلام لفرعون وحيل مخاطبة اذ ترك أن يقول له بل الذي غر قومه وأهلك جنوده وأضل أتباعه أنت لا أنا ولكنه قال ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار ثم بالغ في ذم عدو الله بأجمل من الخطاب فقال انه لا يفلح الظالمون يقول انه لا ينجح ولا يدرك طلبتهم الكافرون بالله تعالى يعني بذلك فرعون انه لا يفلح ولا ينجح لكفره بربه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع الى اله موسى واني لأظنه من الكاذبين ﴾ يقول تعالى ذكره وقال فرعون لأشراف قومه وسادتهم يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيري فتعبدوه وتصدقوا قول موسى فيما جاءكم به من أن لكم وله ربا غيري ومعبودا سواي فأوقد لي يا هامان على الطين يقول فاعمل لي آجرا وذكر أنه أول من طبخ الآجر وبنى به ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فأوقد لي يا هامان على الطين قال على المدر يكون لبنا مطبوخا قال ابن جريج أول من أمر بصنعة الآجر وبنى به فرعون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأوقد لي يا هامان على الطين قال فكان أول من طبخ الآجر يبني به الصرح حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله فأوقد لي يا هامان على الطين قال المطبوخ الذي يوقد عليه هو من طين يبنون به البنيان وقوله فاجعل لي صرحا يقول ابن لي بالآجر بناء وكل بناء مسطح فهو صرح كالقصر ومنه قول الشاعر

بهن نعام بناها الرجا ۞ ل تحسب أعلامهن الصروحا

يعني بالصروح جمع صرح وقوله لعلي أطلع الى اله موسى يقول أنظر الى معبود موسى الذي يعبده ويدعو الى عبادته واني لأظنه فيما يقول من أن له معبودا يعبده في السماء وأنه هو الذي يؤيده وينصره وهو الذي أرسله الينا من الكاذبين فذكرنا أن هامان بنى له الصرح فارتقى فوقه فكان من قصته وقصة ارتقائه ما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال قال فرعون لقومه يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أذهب في السماء فأنظر الى اله موسى فلما بنى له الصرح ارتقى فوقه فأمر بنشابة فرمى بها نحو السماء فردت اليه وهي متلطخة دما فقال قد قتلت اله موسى تعالى الله عما يقولون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا أنهم الينا لا يرجعون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ﴾ يقول تعالى ذكره واستكبر فرعون وجنوده في أرض مصر عن تصديق موسى واتباعه على ما دعاهم اليه من توحيد الله والاقرار بالعبودية له بغير الحق يعني تعديا وعتوا على ربهم وظنوا أنهم الينا لا يرجعون يقول وحسبوا أنهم بعد مماتهم لا يبعثون ولا ثواب ولا عقاب فركبوا أهواءهم ولم يعلموا أن لله عليهم بالمرصاد وأنه لهم مجاز على أعمالهم الخبيثة وقوله فأخذناه وجنوده يقول تعالى ذكره فجمعنا فرعون وجنوده من القبط فنبذناهم في اليم يقول فألقيناهم جميعهم في البحر فغرقناهم فيه كما قال أبو الأسود الدئلي

الثمانية وأما المحبة والانس مع الله فصفتان مخصوصتان بالحضرة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا كل انسان من المؤمن والكافر فانه مجبول على تلك الاوصاف وليس من زمرة يحبهم ويحبونه الا مؤمن موحد فلما اتصف موسى القلب بالاوصاف الثمانية وغلبت عليه محبة الله واستأنس به وصار بجميع صفاته متوجها الى حضرة القدس

آنس من طور الحضرة نار نور الالوهية وفى قوله لأهله امكثوا اشارة الى أن السالك لابد له من تجريد الظاهر عن الاهل والمال وتجريد الباطن عن تعلقات الكونين نور يبدو واذا بدا استمكن شمس طلعت ومن رآها آمن وفى قوله لعلكم تصطلون اشارة الى أن الاوصاف الانسانية جامدة من برودة الطبيعة لا تتسخن (٥٠) الا بجذوة نار المحبة بل بنار الجذبة الالهية من شاطئ الوادى الايمن وهو السر فى بقعة البدن من شجرة وجود الانسان من الرهب أى رهبة من قوات وصال الحضرة وأخى هرون هو العقل فمن خصوصيته تصديق الناطق بالحق قالوا ما هذا الا سحر مفترى لان النفس خلقت من أسفل عالم الملكوت ومنكسة والقلب خلق وسط عالم الملكوت متوجها الى الحضرة فلهذا ما كذب الفؤاد ما رأى وما صدقت النفس ما رأت فى آبائنا الاولين أى فى طبائع الكواكب فانها آباء النفس وأمهاتها العناصر والطبائع منكوسة الى عالم السفل لا يعرفون مقام الوحدة فلا يعرفون بالتوحيد فأوقد لى يا هامان الشيطان على الطين البشرية بنفخ الوساوس والغرور فاجعل لى صرحا من المقدمات الخيالية والوهمية فانظر كيف كان عاقبة المكذبين أغرقوا فى ماء شهوات الدنيا وبيم همها فأدخلوا نار الحسرة والندامة ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا فى أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن

نظرت الى عنوانه فنبذته ٭ كنبذك نعلا أخلقت من نعالكا

وذكر أن ذلك بحر من وراء مصر كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فنبذناهم فى اليم قال كان اليم بحرا يقال له إساف من وراء مصر غرقهم الله فيه وقوله فانظر كيف كان عاقبة الظالمين يقول تعالى ذكره فانظر يا محمد بعين قلبك كيف كان أمر هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم فكفروا بربهم وردوا على رسوله نصيحته ألم نهلكهم فنورث ديارهم وأموالهم أولياءنا ونخولهم ما كان لهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم بعد أن كانوا مستضعفين تقتل ابناؤهم وتستحيا نساؤهم فانا كذلك بك وبمن آمن بك وصدقك فاعلون نخولك وإياهم ديارهم كذلك ورد عليك ما أتيتهم به من الحق وأموالهم ومهلكوهم قتلا بالسيف سنة الله فى الذين خلوا من قبل ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين ﴾ يقول تعالى ذكره وجعلنا فرعون وقومه أئمة يأتم بهم أهل العتو على الله والكفر به يدعون الناس الى أعمال أهل النار ويوم القيامة لا ينصرون يقول جل ثناؤه ويوم القيامة لا ينصرهم من الله اذا عذبهم ناصر وقد كانوا فى الدنيا يتناصرون فاضمحلت تلك النصرة يومئذ وقوله وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة يقول تعالى ذكره وألزمنا فرعون وقومه فى هذه الدنيا خزيا وغضبا منا عليهم فختمنا لهم فيها بالهلاك والبوار والشناعة السيئ ونحن متبعوهم لعنة أخرى يوم القيامة فمخزوهم بها الخزى الدائم ومهينوهم الهوان اللازم ٭ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة قال لعنوا فى الدنيا والآخرة قال هو كقوله وأتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة لعنة أخرى ثم استقبل فقال هم من المقبوحين وقوله هم من المقبوحين يقول تعالى ذكره هم من القوم الذين قبحهم الله فأهلكهم بكفرهم بربهم وتكذيبهم رسوله موسى عليه السلام فجعلهم عبرة للمعتبرين وعظة للمتعظين ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد آتينا موسى التوراة من بعد ما أهلكنا الامم التى كانت قبله كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين بصائر للناس يقول ضياء لبنى اسرائيل فيما بهم اليه الحاجة من أمر دينهم وهدى يقول وبيانا لهم ورحمة لمن عمل به منهم لعلهم يتذكرون يقول ليتذكروا نعم الله بذلك عليهم فيشكروه عليها ولا يكفروا ٭ وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد وعبد الوهاب قالا ثنا عوف عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى قال ما أهلك الله قوما بعذاب من السماء ولا من الارض بعد ما أنزلت التوراة على وجه الارض غير القرية التى مسخوا قردة ألم تر أن الله يقول ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى

تبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدى القوم الظالمين ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون
واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة
ومما رزقناهم ينفقون واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا (٥١) ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين

انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكى القرى الا وأهلها ظالمون وما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وهو الله لا اله

﴿وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما كنت يا محمد بجانب غربى الجبل اذ قضينا الى موسى الامر يقول اذ فرضنا الى موسى الامر فيما ألزمناه وقومه وعهدنا اليه من عهد وما كنت من الشاهدين يقول وما كنت لذلك من الشاهدين وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كنت يا محمد بجانب الغربى يقول بجانب غربى الجبل اذ قضينا الى موسى الامر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال غربى الجبل حدثنا ابن بشار قال ثنا الضحاك بن مخلد قال ثنا سفيان عن الاعمش عن على بن مدرك عن أبى زرعة بن عمرو قال انكم أمة محمد صلى الله عليه وسلم قد أجتم قبل أن تسألوا وقرأ وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا فى أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ولكنا أنشأنا قرونا ولكنا خلقنا أمما فأحدثناها من بعد ذلك فتطاول عليهم العمر وقوله وما كنت ثاويا فى أهل مدين يقول وما كنت مقيما فى أهل مدين يقال ثويت بالمكان أثوى به ثواء قال أعشى ثعلبة

أثوى وقصر ليله ليزودا ... ومضى وأخلف من قتيلة موعدا

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما كنت ثاويا فى أهل مدين قال الثاوى المقيم تتلو عليهم آياتنا يقول تقرأ عليهم كتابنا ولكنا كنا مرسلين يقول لم تشهد شيأ من ذلك يا محمد ولكنا كنا نحن نفعل ذلك ونرسل الرسل ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون﴾ يقول تعالى ذكره وما كنت يا محمد بجانب الجبل اذ نادينا موسى بأن سألت ربك الذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الآية كما حدثنا عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى قال ثنا يحيى بن عيسى عن الاعمش عن على بن مدرك عن أبى زرعة فى قول الله وما كنت بجانب الطور اذ نادينا قال نادى يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألونى وأجبتكم قبل أن تدعونى حدثنا بشر ابن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كنت بجانب الطور اذ نادينا قال نودوا يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألونى واستجبت لكم قبل أن تدعونى حدثنى ابن وكيع قال ثنا حرملة بن قيس النخعى قال سمعت هذا الحديث من أبى زرعة بن عمرو بن جرير عن أبى هريرة وما كنت بجانب الطور اذ نادينا قال نودوا يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألونى واستجبت لكم قبل أن تدعونى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا معتمر عن سليمن وسفيان عن سليمن وحجاج عن حمزة الزيات عن الاعمش عن على بن مدرك عن أبى زرعة بن عمرو عن أبى هريرة فى قوله وما كنت بجانب الطور اذ نادينا قال نودوا يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألونى واستجبت لكم قبل أن تدعونى قال وهو قوله حين قال موسى واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة

الحمد فى الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون﴾ ﴿القراآت سحران عاصم وحمزة وعلى وخلف الآخرون سا ران تظاهرا بتخفيف انفاقا تجبى اليه بتاء التأنيث أبو جعفر ونافع ويسهل ويعقوب الباقون على التذكير يعقلون بياء الغيبة شجاع واليزيدى الباقون بتاء الخطاب الا أبا عمرو فانه مخير ثم هو بسكون الهاء على والحلوانى عن قالون تبرأنا مثل أنشأنا ﴿الوقوف يتذكرون ه الشاهدين ه لا

للاستدراك العمر ج لاختلاف الجملتين مع العطف آياتنا ج لما مرسلين ٥ يتذكرون ٥ المؤمنين ٥ ما أوتى موسى ط من قبل ج للفصل بين الخبر والطلب مع اتحاد القائل تظاهرا ج للتعجب من عنادهم كافرون ٥ صادقين ٥ أهواءهم ط من الله ط الظالمين ٥ يتذكرون ٥ لان الذين (٥٢) مبتدأ يؤمنون ٥ مسلمين ٥ ينفقون ٥ أعمالكم ط لابتداء الكلام مع اتحاد المقول عليكم ط لذلك الجاهلين ٥ من يشاء ط لعطف الجملتين المتفقتين بالمهتدين ٥ أرضنا ط لا يعلمون ٥ معيشتها ج للفصل بين الاستفهام والاخبار مع فاء التعقيب قليلا ط الوارثين ٥ آياتنا ج للعدول مع اتفاق الجملتين ظالمون ٥ وزينتها ج فصلا بين المعنيين المتضادين وأبقى ط تعقلون ٥ المحضرين ٥ تزعمون ٥ أغوينا ج غوينا ج لعدم العاطف مع اتحاد القائل اليك ج لما قلنا مع زيادة النفى المقتضى للفصل يعبدون ٥ العذاب ج لجواز تعلق لو بمحذوف أى لو اهتدوا لما لقوا ما لقوا ويجوز تعلقها بيهتدون والوقف على لهم أى لو كانوا يهتدون لرأوا العذاب يقلوبهم يهتدون ٥ المرسلين ٥ لا يتساءلون ٥ المفلحين ٥ ويختار ز وقد يوصل على معنى ويختار الذى كان لهم فيه الخيرة وفيه بعد الخيرة ٥ يشركون ٥ يعلنون ٥ الا هو ط والآخرة ز لعطف الجمل ترجعون ٥

﴿ التفسير انه سبحانه بعد تتميم قصة موسى أراد أن يبين اعجاز نبينا صلى الله عليه وسلم فذكر أولا أنه أعطى موسى الكتاب بعد اهلاك فرعون وقومه حال كون الكتاب أنوارا للقلوب وارشادا لأهل الضلال وسببا لنيل الرحمة ارادة أن يتذكروا ويجوز أن يعود ترجى التذكر الى موسى ثم أجمل عظائم أحوال موسى وبين أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن هناك فقال (وما كنت بجانب الغربى) أى بجانب المكان الواقع فى شق الغرب وهو ناحية الشام التى فيها قضى الى موسى أمر الوحى والاستنباء (وما كنت من الشاهدين) على ذلك فقد يكون الشخص حاضرا ولا يكون شاهدا ولا مشاهدا قال ابن عباس التقدير لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرت فما شاهدت تلك الوقائع فانه يجوز ان يكون هناك

وفى الآخرة الآية » قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج مثل ذلك وقوله ولكن رحمة من ربك يقول تعالى ذكره لم تشهد شيأ من ذلك يا محمد فتعلمه ولكنا عرفناكموه أنزلنا اليك فاقتصصنا ذلك كله عليك فى كتابنا وابتعثناك بما أنزلنا اليك من ذلك رسولا الى من ابتعثناك اليه من الخلق رحمة منا لك ولهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولكن رحمة من ربك ما قصصنا عليك لتنذر قوما الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولكن رحمة من ربك قال كان رحمة من ربك النبوة وقوله لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك يقول تعالى ذكره ولكن أرسلناك بهذا الكتاب وهذا الدين لتنذر قوما لم يأتهم من قبلك نذير وهم العرب الذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الله اليهم رحمة ليذرهم بأسه على عبادتهم الأصنام واشراكهم به الأوثان والأنداد وقوله لعلهم يتذكرون يقول ليتذكروا خطأ ما هم عليه مقيمون من كفرهم بربهم فينيبوا الى الاقرار لله بالوحدانية وافراده بالعبادة دون كل ما سواه من الآلهة ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ولكن رحمة من ربك قال الذى أنزلنا عليك من القرآن لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين ﴾ يقول تعالى ذكره ولولا أن يقول هؤلاء الذين أرسلتك يا محمد اليهم لو حل بهم بأسنا أو أتاهم عذابنا من قبل أن نرسلك اليهم على كفرهم بربهم واكتسابهم الآثام واجترامهم المعاصى ربنا هلا أرسلت الينا رسولا من قبل أن يحل بنا سخطك وينزل بنا عذابك فنتبع أدلتك وآى كتابك الذى تنزله على رسولك ونكون من المؤمنين بألوهيتك المصدقين رسولك فيما أمرتنا ونهيتنا لعاجلناهم العقوبة على شركهم من قبل ما أرسلناك اليهم ولكنا بعثناك اليهم نذيرا بأسنا على كفرهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل والمعصية فى هذا الموضع العذاب والنقمة ويعنى بقوله بما قدمت أيديهم بما اكتسبوا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون ﴾ يقول تعالى ذكره فلما جاء هؤلاء الذين لم يأتهم من قبلك يا محمد نذير فبعثناك اليهم نذيرا الحق من عندنا وهو محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة من الله اليهم قالوا تمردا على الله وتماديا فى الغى لولا أوتى هذا الذى أرسل الينا وهو محمد صلى الله عليه وسلم مثل ما أوتى موسى بن عمران من الكتاب يقول الله تبارك وتعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لقومك من قريش القائلين لك لولا أوتى مثل ما أوتى موسى أولم يكفر الذين علموا هذه الحجة من اليهود بما أوتى موسى من قبله ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال يهود تأمر قريشا أن تسأل محمدا مثل ما أوتى موسى يقول الله لمحمد صلى الله عليه وسلم قل لقريش يقولوا لهم أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال

ولا يشهد ولا يرى ثم قال (ولكنا أنشأنا) بعد عهد موسى الى عهدك (قرونا فتطاول عليهم العمر) فاندرست العلوم والشرائع ووجب ارسالك الى آخرهم قرنا وهو القرن الذى أنت فيه فأرسلناك وعرفناك أحوال الانبياء وحاصل الآية أنه ذكر سبب الوحى الذى هو اطالة الفترة ودل به على المسبب والغرض بيان اعجازه كأنه قال ان فى اخبارك عن هذه الاشياء من غير حضور ولا مشاهدة ولا تعلم من أحد دلالة ظاهرة على نبوتك ثم فصل ما أجمل فذكر أول أمر موسى وبين أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن هناك وهو قوله (وما كنت ثاويا) مقيما (فى أهل مدين) وهم شعيب والمؤمنون به (تتلو عليهم آياتنا) قال مقاتل أى لم تشهد أهل مدين وأنت تقرأ على أهل مكة خبرهم ولكنا أرسلناك الى أهل مكة وأنزلنا عليك هذه الاخبار ولولا ذلك ما علمتها وقال الضحاك يقول يا محمد انك لم تكن رسولا الى أهل مدين تتلو عليهم الكتاب وانما الرسول غيرك (ولكنا كنا مرسلين) فى كل زمان رسولا فأرسلنا الى أهل مدين شعيبا وأرسلناك الى العرب لتكون خاتم الانبياء ثم ذكر أوسط أمر موسى وأشرف أحواله وبين أنه لم يكن هناك فقال (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا) الاظهر أنه يريد مناداة موسى ليلة المناجاة وتكليمه وعن بعض المفسرين أنه أراد قوله ورسلى وسعت كل شئ فسأكتبها الى قوله المفلحون وقال ابن عباس اذ نادينا أمتك فى أصلاب آبائهم يا أمة محمد أجيبكم قبل أن تدعونى وأعطيكم قبل أن تسألونى وأغفر لكم قبل أن تستغفرونى قال وانما قال الله تعالى ذلك حين اختار موسى سبعين رجلا ليلقات ربه وقال وهب لما ذكر الله لموسى فضل امة محمد صلى الله عليه وسلم قال يا رب أرنيهم قال انك لن تدركهم وان شئت اسمعتك اصواتهم قال بلى يا رب فقال يا أمة محمد فأجابوه من أصلاب آبائهم فقال سبحانه أجبتكم قبل أن تدعونى الحديث كما ذكر ابن عباس وروى سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى قوله وما كنت بجانب الطور اذ نادينا قال كتب الله كتابا قبل أن يخلق الخلق بألفى عام ثم وضعه على العرش ثم نادى يا أمة محمد ان رحمتى سبقت غضبى أعطيتكم قبل أن تسألونى وغفرت لكم قبل أن تستغفرونى من لقينى منكم

ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قالوا ولا أوتى مثل ما أوتى موسى قال اليهود ثم أمر قريشا ثم ذكر نحوه قالوا ساحران تظاهرا واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأ أنه عامة قراء المدينة والبصرة قالوا ساحران تظاهرا بمعنى أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل وقالوا له ولمحمد صلى الله عليه وسلم فى قول بعض المفسرين وفى قول بعضهم لموسى وهرون عليهما السلام وفى قول بعضهم لعيسى ومحمد ساحران تعاونا وقرأ عامة قراء الكوفة قالوا سحران تظاهرا بمعنى وقالوا للتوراة والفرقان فى قول بعض أهل التأويل وفى قول بعضهم للانجيل والفرقان واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك على قدر اختلاف القراء فى قراءته ذكر من قال عنى بالساحرين اللذين تظاهرا محمد وموسى صلى الله عليهما حدثنا سليمن بن محمد بن معدى كرب الرعينى قال ثنا بقية بن الوليد قال ثنا شعبة عن أبى حمزة قال سمعت مسلم بن يسار يحدث عن ابن عباس فى قول الله ساحران تظاهرا قال موسى ومحمد حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى حمزة قال سمعت مسلم بن يسار قال سألت ابن عباس عن هذه الآية ساحران تظاهرا قال موسى ومحمد حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن أبى حمزة عن مسلم بن يسار أن ابن عباس قرأ ساحران قال موسى ومحمد عليهما السلام حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شعبة عن كيسان أبى حمزة عن مسلم بن يسار عن ابن عباس مثله * ومن قال موسى وهرون عليهما السلام حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ساحران تظاهرا قال يهود لموسى وهرون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قالوا ساحران تظاهرا قول يهود لموسى وهرون عليهما السلام حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن أبى خالد عن سعيد بن جبير وأبى رزين أن أحدهما قرأ ساحران تظاهرا والآخر سحران قال الذى قرأ سحران قال التوراة والانجيل وقال الذى قرأ ساحران قال موسى وهرون * وقال آخرون عنوا بالساحرين عيسى ومحمدا صلى الله عليهما وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الحسن قوله ساحران تظاهرا قال عيسى ومحمد أو قال موسى صلى الله عليه وسلم * ذكر من قال عنوا بذلك التوراة والفرقان ووجه تأويله الى قراءة من قرأ سحران تظاهرا حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله سحران تظاهرا يقول التوراة والقرآن حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قالوا سحران تظاهرا يعنى التوراة والفرقان حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قالوا سحران تظاهرا قال كتاب موسى وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال عنوا به التوراة والانجيل حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن علية عن حميد الاعرج عن مجاهد قال كنت الى جنب ابن عباس وهو يتعوذ بين الركن والمقام فقلت كيف تقرأ سحران أو ساحران فلم يرد على شيأ فقال عكرمة ساحران وظننت أنه لو كره ذلك أنكره على قال حميد فلقيت عكرمة بعد ذلك

يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله أدخله الجنة قوله (ولكن رحمة) أى ولكنا علمناك (رحمة من ربك) ثم فسر الرحمة بقوله (لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) أى فى زمان الفترة بينك وبين عيسى وهو خمسمائة وخمسون سنة وقيل كانت حجة الانبياء قائمة عليهم ولكنه ما بعث اليهم من يجدد تلك الحجة عليهم (٥٤) فبعثه الله تعالى تقريرا لتلك التكاليف وازالة لتلك الفترة قوله (ولولا أن تصيبهم

ذكرت ذلك له وقلت كيف كان يقرؤها قال كان يقرأ سحران تظاهرا أى التوراة والانجيل ۞ ذكر من قال عنوا به الفرقان والانجيل حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد عن الضحاك أنه قرأ سحران تظاهرا يعنون الانجيل والفرقان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قالوا سحران تظاهرا قالت ذلك أعداء الله اليهود للانجيل والفرقان فمن قال ساحران فيقول محمد وعيسى ابن مريم ۞ قال أبو جعفر وأولى القراءتين فى ذلك عندنا بالصواب قراءة من قرأه قالوا سحران تظاهرا بمعنى كتاب موسى وهو التوراة وكتاب عيسى وهو الانجيل وانما قلنا ذلك أولى القراءتين بالصواب لان الكلام من قبله جرى بذكر الكتاب وهو قوله وقالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى والذى يليه من بعده ذكر الكتاب وهو قوله فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه فالذى بينهما بأن يكون من ذكره أولى وأشبه بأن يكون من ذكر غيره واذ كان ذلك هو الأولى بالقراءة فمعلوم أن معنى الكلام قل يا محمد أولم يكفر هؤلاء اليهود بما أوتى موسى من قبل وقالوا لما أوتى موسى من الكتاب (١) وما أوتيته أنت سحران تعاونا وقوله وقالوا انا بكل كافرون يقول تعالى ذكره وقالت اليهود انا بكل كتاب فى الارض من توراة وانجيل وزبور وفرقان كافرون ونحو الذى قلنا فى ذلك قال بعض أهل التأويل وخالفه فيه مخالفون ذكر من قال مثل الذى قلنا فى ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله انا بكل كافرون قالوا كفروا أيضا بما أوتى محمد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وقالوا انا بكل كافرون قال يهود أيضا كفروا بما أوتى محمد أيضا ۞ وقال آخرون بل معنى ذلك وقالوا انا بكل الكتابين الفرقان والانجيل كافرون ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى ابن واضح قال ثنا عبيد عن الضحاك وقالوا انا بكل كافرون يقول بالانجيل والقرآن حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وقالوا انا بكل كافرون يعنون الانجيل والفرقان (٢) حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وقالوا انا بكل كافرون قال هم أهل الكتاب يقول بالكتابين التوراة والفرقان حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وقالوا انا بكل كافرون الذى جاءه موسى والذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه ان كنتم صادقين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للقائلين للتوراة والانجيل هما سحران تظاهرا ائتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما لطريق الحق ولسبيل الرشاد أتبعه ان كنتم صادقين فى زعمكم أن هذين الكتابين سحران وأن الحق فى غيرهما ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد

(١) لعله وما أوتيه عيسى تأمل (٢) هذا الاثر والذى بعده يشيران الى أن المراد بكل التوراة والفرقان فلعله سقط من الناسخ هنا شئ تأمل كتبه مصححه

هى امتناعية وجوابها محذوف والفاء فى قوله (فيقولوا) للعطف على أن تصيبهم وقوله (لولا أرسلت) هى تحضيضية والفاء فى فنتبع جواب لولا وذلك أن التحضيض فى حكم الامر لان كلا منهما بعث على الفعل والمعنى ولولا أنهم قائلون اذا عوقبوا على ما قدموا من الشرك والمعاصى هلا أرسلت الينا رسولا محتجين علينا بذلك لما أرسلنا اليهم والحاصل أن ارسال الرسول لأجل ازالة هذا العذر قال أصحاب البيان القول هو المقصود بأن يكون سببا لارسال الرسل ولكن العقوبة لما كانت هى السبب للقول أدخلت عليها لولا وجىء بالقول معطوفا عليها بفاء السببية تنبيها على أنهم لو لم يعاقبوا على كفرهم ولم يعاينوا العذاب لم يقولوا لولا أرسلت الينا رسولا فالسبب فى قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف على ما فاتهم من الايمان وفى هذا بيان استحكام كفرهم وتصميمهم قال الجبائى فى الآية دلالة على وجوب اللطف والا لم يكن لهم أن يقولوا لولا أرسلت وقال الكعبى فيه دليل على أنه تعالى يقبل حجة العباد فلا يكون فعل العبد بخلق الله والا لكان للكافر أعظم حجة على الله تعالى وقال القاضى فيه ابطال الجبر لان اتباع الآيات لو كان موقوفا على خلق الله فأى فائدة فى قولهم هذا ومعارضة الاشاعرة بالعلم والداعى معلومة ثم بين أنهم قبل البعثة يتعلقون بشبهة وبعد البعثة يتعلقون بأخرى فلا مقصود لهم الا العناد فقال (فلما جاءهم الحق) أى الرسول المصدق بالكتاب المعجز (قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى) من الكتاب المنزل جملة ومن سائر المعجزات كفلق العصا ضاحية واليد البيضاء وفلق البحر فأجاب الله تعالى عن شبهتهم بقوله (أولم يكفروا) وفيه وجوه أحدها أن اليهود أمروا قريشا أن يسألوا محمدا مثل ما أوتى موسى

قال تعالى أولم يكفر هؤلاء اليهود الذين اقترحوا هذا السؤال بموسى مع تلك الآيات الباهرة والذين أوردوا هذا الاقتراح يهود مكة والذين كفروا بموسى من قبل أو بما أوتى موسى من قبل هم الذين كانوا في زمن موسى الا أنه تعالى جعلهم كالشئ الواحد لتجانسهم في الكفر والتعنت وقال الكلبي ان مشركي مكة بعثوا رهطا الى يهود المدينة يسألهم عن محمد وشأنه فقالوا انا نجد في التوراة نعته وصفته فلما رجع الرهط اليهم فأخبروهم بقول اليهود قالوا انه كان ساحرا كما أن محمدا ساحر فقال الله تعالى في حقهم (أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل) وقال الحسن قد كان للعرب أصل في أيام موسى فالتقدير أولم يكفر آباؤهم بأن قالوا في موسى وهرون ساحران تظاهرا أي تعاونا وقال قتادة أولم يكفر اليهود في عصر محمد بما أوتى موسى من قبل من البشارة بعيسى ومحمد عليه السلام فقالوا ساحران) والاظهر أن كفار مكة وقريش كانوا منكرين لجميع النبوات ثم انهم طلبوا من محمد معجزات موسى فقال الله تعالى أولم يكفروا بما أوتى موسى بل بما أوتى جميع الانبياء من قبل فعلم أنه لا غرض لهم في هذا الاقتراح الا التعنت من قرأ ساحران بالالف فظاهر وأما من قرأ سحران فاما بمعنى ذوي سحر أو على جعلهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر أو على ارادة نوعين من السحر أو على أن المراد هو القرآن والتوراة وضعفه أبو عبيدة بأن المظاهرة بالناس وأفعالهم أشبه منها بالكتب وأجيب بأن الكتابين لما كان كل واحد منهما يقوى الآخر لم يبعد أن يقال على سبيل المجاز تعاونا كما يقال تظاهرت الاخبار وفي تكرار قالوا وجهان أحدهما قالوا ساحران مرة (وقالوا انا بكل) من موسى ومحمد أو بكل من الكتابين (كافرون) مرة وثانيهما أن يكون قوله وقالوا معطوفا على أولم يكفروا ثم عجزهم بقوله (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) أي مما أنزل على موسى ومما أنزل علي قال ابن عباس (فان لم يستجيبوا لك) معناه فان لم يؤمنوا بما جئت به من الحجج وقال مقاتل فان لم يمكنهم أن يأتوا بكتاب أفضل منهما وهذا أشبه بالآية وهذا الشرط شرط يدل بالامر المتحقق لصحته والا فالظاهر أن لو قيل فان لم يستجيبوا ويجوز

قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قال فقال الله تعالى قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما الآية **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فقال الله ائتوني بكتاب من عند الله هو أهدى منهما من هذين الكتابين الذي بعث به موسى والذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ يقول تعالى ذكره فان لم يجبك هؤلاء القائلون للتوراة والانجيل سحران تظاهرا الزاعمون أن الحق في غيرهما من اليهود يا محمد الى أن يأتوك بكتاب من عند الله هو أهدى منهما فاعلم أنما يتبعون أهواءهم وأن الذي ينطقون به ويقولون في الكتابين قول كذب وباطل لا حقيقة له ولعل قائلا أن يقول أولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أن ما قال القائلون من اليهود وغيرهم في التوراة والانجيل من الافك والزور المسموهما سحرين باطل من القول الا بأن لا يجيبوه الى اتيانهم بكتاب هو أهدى منهما قيل هذا كلام خرج مخرج الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به المقول لهم أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل من كفار قريش وذلك أنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركي قريش أولم يكفر هؤلاء الذين أمروكم أن تقولوا هلا أوتي محمد مثل ما أوتي موسى بالذي أوتي موسى من قبل هذا القرآن ويقولوا للذي أنزل عليه وعلى عيسى سحران تظاهرا فقولوا لهم ان كنتم صادقين أن ما أوتي موسى وعيسى سحر فأتوني بكتاب من عند الله هو أهدى من كتابيهما فان هم لم يجيبوكم الى ذلك فاعلموا أنهم كذبة وأنهم انما يتبعون في تكذيبهم محمدا وما جاءهم به من عند الله أهواء أنفسهم ويتركون الحق وهم يعلمون يقول تعالى ذكره ومن أضل عن طريق الرشاد وسبيل السداد ممن اتبع هوى نفسه بغير بيان من عند الله وعهد من الله ويترك عهد الله الذي عهده الى خلقه في وحيه وتنزيله ان الله لا يهدي القوم الظالمين يقول تعالى ذكره ان الله لا يوفق لاصابة الحق وسبيل الرشد القوم الذين خالفوا أمر الله وتركوا طاعته وكذبوا رسوله وبدلوا عهده واتبعوا أهواء أنفسهم ايثارا منهم لطاعة الشيطان على طاعة ربهم ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره ولقد وصلنا يا محمد لقومك من قريش وللهود من بني اسرائيل القول بأخبار الماضين والنبا عما أحللنا بهم من بأسنا اذ كذبوا رسلنا وعما نحن فاعلون بمن اقتفى آثارهم واحتذى في الكفر بالله وتكذيب رسله مثالهم ليتذكروا فيعتبروا ويتعظوا وأصله من وصل الحبال بعضها ببعض ومنه قول الشاعر

فقل لبني مروان ما بال ذمة ● وحبل ضعيف ما يزال يوصل

● ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وان اختلفت ألفاظهم ببيانهم عن تأويله فقال بعضهم معناه بينا وقال بعضهم معناه فصلنا ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبيه عن ليث عن مجاهد قوله ولقد وصلنا لهم القول قال فصلنا لهم القول **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولقد وصلنا لهم القول قال وصل الله لهم القول في هذا القرآن يخبرهم كيف صنع بمن مضى وكيف هو صانع لعلهم يتذكرون **حدثنا** القاسم قال ثنا محمد بن عيسى

أن يقصد بحرف الشك التهكم وانما لم يقل فان لم يأتوا الآن قوله فأتوا أمر والامر دعاء الى الفعل فناسب الاستجابة والتقدير فان لم يستجيبوا دعاءك الى الاتيان بالكتاب الأهدى فاعلم أنهم صاروا محجوجين ولم يبق لهم شئ الا اتباع الهوى وفى قوله (ومن أضل ممن اتبع هواه) حال كونه (بغير هدى من الله) اشارة الى فساد

أبو جعفر عن سفيان بن عيينة وصلنا بينا **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولقد وصلنا لهم الخبر خبر الدنيا بخبر الآخرة حتى كأنهم عاينوا الآخرة وشهدوها فى الدنيا بما نزل بهم من الآيات فى الدنيا وأشباهها وقرأ ان فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة وقال انا سوف نخزهم ما وعدناهم فى الآخرة كما أخزنا الأنبياء ما وعدناهم تقضى بينهم وبين قومهم واختلف أهل التأويل فيمن عنى بالهاء والميم من قوله ولقد وصلنا لهم فقال بعضهم عنى بهما قريشا ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولقد وصلنا لهم القول قال قريش **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولقد وصلنا لهم القول قال لقريش **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون قال يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون عنى بهما اليهود ذكر من قال ذلك **حدثنى** بشر بن آدم قال ثنا عفان بن مسلم قال ثنا حماد ابن سلمة قال ثنا عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة عن رفاعة القرظى قال نزلت هذه الآية فى عشرة أنا أحدهم ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون **حدثنا** ابن سنان قال ثنا حبان قال ثنا حماد عن عمرو عن يحيى بن جعدة عن عطية القرظى قال نزلت هذه الآية ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون حتى بلغ انا كنا من قبله مسلمين فى عشرة أنا أحدهم فكان ابن عباس أراد بقوله يعنى محمدا لعلهم يتذكرون عهد الله فى محمد اليهم فيقرون بنبوته ويصدقونه وقوله الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون يعنى بذلك تعالى ذكره قوما من أهل الكتاب آمنوا برسوله وصدقوه فقال الذين آتيناهم الكتاب من قبل هذا القرآن هم بهذا القرآن يؤمنون فيقرون أنه حق من عند الله ويكذب جهلة الأميين الذين لم يأتهم من الله كتاب ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون قال يعنى من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به الى قوله لا نبتغى الجاهلين فى مسلمة أهل الكتاب **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله الذين آتيناهم الكتاب من قبله الى قوله الجاهلين قال هم مسلمة أهل الكتاب قال ابن جريج أخبرنى عمرو بن دينار أن يحيى بن جعدة أخبره عن على بن رفاعة قال خرج عشرة رهط من أهل الكتاب منهم أبو رفاعة يعنى أباه الى النبى صلى الله عليه وسلم فآمنوا فآذوا فنزلت الذين آتيناهم الكتاب من قبله قبل القرآن **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون قال كنا نحدث أنها نزلت فى أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق يأخذون بها وينتهون اليها حتى بعث الله

أى الذين وضعوا الهوى مكان الهدى على أن هداية الله تعالى خاصة بالمؤمن وقالت المعتزلة الالطاف منها ما يحسن فعلها مطلقا ومنها ما لا يحسن الا بعد الايمان واليه الاشارة بقوله والذين اهتدوا زادهم هدى والآية محمولة على القسم الثانى دون الاول والا كان عدم الهداية عذرا لهم ثم أجاب عن قولهم هلا أوتى محمد كتابه دفعة واحدة بقوله (ولقد وصلنا) أى أنزلنا عليهم القرآن انزالا متصلا بعضه فى أثر بعض ليكون ذلك أقرب الى التدكر والتذكير والتنبيه فانهم يطلعون فى كل يوم على فائدة زائدة وحكمة جديدة ويجوز أن يراد بتوصيل القول جعل بيان على اثر بيان والمعنى أن القرآن أتاهم متتابعا متواصلا ووعدا ووعيدا وقصصا وعبرا الى غير ذلك من معانى القرآن ارادة أن يتعظوا فيفلحوا ويحتمل أن يكون المراد بينا الدلالة على كون هذا القرآن معجزا مرة بعد أخرى وحين أقام الدلالة على النبوة أكد ذلك بقوله (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) أى من قبل القرآن (هم به يؤمنون) قال قتادة انها نزلت فى أناس من اهل الكتاب كانوا على شريعة حقة يتمسكون بها فلما بعث الله محمدا آمنوا به من جملتهم سلمان وعبد الله بن سلام وقال مقاتل نزلت فى أربعين من مسلمى اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من أرض الحبشة فى السفينة وثمانية جاؤا من الشام وعن رفاعة بن قرظة نزلت فى عشرة أنا أحدهم والتحقيق أن كل من حصل فى حقه هذه الصفة يكون داخلا فى الآية لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ثم حكى عنهم ما يدل على ثبات ايمانهم وقوله (انه الحق من ربنا) تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله يوجب الايمان به وقوله (انا كنا من قبله مسلمين) بيان لقولهم آمنا به لان ايمانهم احتمل أن يكون

محمدا

قرب العهد وأن يكون بعيده فأخبروا أن إيمانهم به متقادم وذلك لما وجدوا في كتب الأنبياء من البشارة بمقدمه فأذعنوا له وتلقوه بالقبول كما هو شأن كل مسلم ومعنى (من قبله) أي من قبل وجوده ونزوله وفي قوله (يؤتون أجرهم مرتين) أقوال بصبرهم على الايمان بالتوراة والايمان بالقرآن أو بصبرهم على أذى المشركين وعلى أذى أهل الكتاب أو بصبرهم (٥٧) على الايمان بالقرآن قبل نزوله وعلى الايمان به بعد نزوله وهذا أقرب لانه لما بين أنهم آمنوا بعد البعثة وبين أنهم كانوا مؤمنين به قبل البعث ثم أثبت لهم الاجر مرتين وجب أن ينصرف الى ذلك (ويدرؤن بالحسنة) وهي الطاعة (السيئة) وهي المعاصي المتقدمة أي يدفعون بالحلم الاذى يروى أنهم لما أسلموا عنهم أبو جهل فسكتوا عنه وقال السدي عاب اليهود عبدالله بن سلام وشتموه وهو يقول سلام عليكم مدحهم بالايمان ثم بالطاعات البدنية ومكارم الاخلاق ثم بالطاعات المالية وهو الانفاق مما رزقهم ثم بالتحمل والتواضع وانما يجب ان يقوله الحليم في معارضة السفيه وهو قوله (واذا سمعوا اللغو) وهو كل ما ينبغي أن يلغى ويترك (أعرضوا عنه وقالوا) لاهل ذلك اللغو (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم) سلام توديع ومتاركة (لا نبتغي الجاهلين) لا نطلب مخالطتهم وعشرتهم ولا نجازيهم بالباطل على باطلهم وهذا خلق مندوب اليه ولو بعد الامر بالقتال فلا نسخ ثم ذكر أن الهداية انما تتعلق بمشيئة الله قال الزجاج أجمع المسلمون على أنها نزلت في أبي طالب وذلك أنه قال عند موته يا معشر بني هاشم أطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتدعها لنفسك

محمدا صلى الله عليه وسلم فآمنوا به وصدقوا به فأعطاهم الله أجرهم مرتين بصبرهم على الكتاب الاول واتباعهم محمدا صلى الله عليه وسلم وصبرهم على ذلك وذكر أن منهم سلمان وعبد الله بن سلام حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون الى قوله من قبله مسلمين نا س من أهل الكتاب آمنوا بالتوراة والانجيل ثم أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم فآمنوا به فآتاهم الله أجرهم مرتين بما صبروا بإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث و باتباعهم اياه حين بعث فذلك قوله انا كنا من قبله مسلمين ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين﴾ يقول تعالى ذكره واذا يتلى هذا القرآن على الذين آتيناهم الكتاب من قبل نزول هذا القرآن قالوا آمنا به يقول يقولون صدقنا به انه الحق من ربنا يعني من عند ربنا نزل انا كنا من قبل نزول هذا القرآن مسلمين وذلك أنهم كانوا مؤمنين بما جاءت به الانبياء قبل مجيء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم من الكتب وفي كتبهم صفة محمد ونعته فكانوا به و بمبعثه و بكتابه مصدقين قبل نزول القرآن فلذلك قالوا انا كنا من قبله مسلمين ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون﴾ يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين وصفت صفتهم يؤتون ثواب عملهم مرتين بما صبروا واختلف أهل التأويل في معنى الصبر الذي وعد الله ما وعد عليه فقال بعضهم وعدهم ما وعدجل ثناؤه بصبرهم على الكتاب الاول واتباعهم محمدا صلى الله عليه وسلم وصبرهم على ذلك وذلك قول قتادة وقد ذكرناه قبل ◦ وقال آخرون بل وعدهم بصبرهم بإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث و باتباعهم اياه حين بعث وذلك قول الضحاك بن مزاحم وقد ذكرناه أيضا قبل وممن وافق قتادة على قوله عبد الرحمن ابن زيد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انا كنا من قبله مسلمين على دين عيسى فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم أسلموا فكان لهم أجرهم مرتين بما صبروا أول مرة ودخلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الاسلام ◦ وقال قوم في ذلك بما حدثنا به ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن مجاهد قال ان قوما كانوا مشركين أسلموا فكان قومهم يؤذونهم فنزلت أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وقوله ويدرؤن بالحسنة السيئة يقول ويدفعون بحسنات أفعالهم التي يفعلونها سيآتهم ومما رزقناهم من الاموال ينفقون في طاعة الله اما في جهاد في سبيل الله واما في صدقة على محتاج أو في صلة رحم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين قال الله أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وأحسن الله عليهم الثناء كما تسمعون قال ويدرؤن بالحسنة السيئة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾ يقول تعالى ذكره واذا سمع هؤلاء القوم الذين آتيناهم الكتاب اللغو وهو الباطل من القول كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين لا يجارون

(٨ - (ابن جرير) - العشرون)

قال فما تريد يا ابن أخي قال أريد منك كلمة واحدة أن تقول لا اله الا الله أشهد لك بها عند الله قال قد علمت أنك صادق ولكني أكره أن يقال جبن عند الموت وقدمر مثل هذا النقل في سورة الانعام في تفسير قوله تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه واعلم أنه لا منافاة بين هذه الآية و بين قوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم لان الذي نفاه هداية التوفيق وشرح

الصدر والتى أثبتها هداية الدعوة والبيان وبحث الاشاعرة والمعتزلة ههنا معلوم وحيث بين أن وضوح الدلائل لا يكفى ما لم ينضم اليه هداية الله سبحانه حكى عنهم شبهة أخرى متعلقة بالدنيا وذلك أنهم (قالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) يروى أن الحرث بن عثمان ابن نوفل بن عبد مناف قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا نعلم أن الذى تقوله حق ولكن يمنعنا من ذلك أن نسلبا العرب

بسرعة أى يجتمعون على محاربتنا ويخرجوننا فأجاب الله سبحانه عن شبهتهم بقوله (أولم نمكن لهم حرما آمنا) يروى أن العرب كانوا يشتغلون بالنهب والغارة خارج الحرم وما كانوا يتعرضون البتة لسكان الحرم وقد زاد الله حرمته بقوله ومن دخله كان آمنا وبين مزيته بقوله (يجبى اليه ثمرات كل شئ) قالوا الكل ههنا بمعنى الأكثر قلت يحتمل أن يكون على أصله وانتصب رزقا على أنه مصدر لأن يجبى بمعنى يرزق أو على أنه مفعول لاجله وان جعلته بمعنى مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصصها بالاضافة وحاصل الجواب أنه لما جعل الحرم آمنا وأكثر فيه الرزق حال كونهم معرضين عن عبادة الله تعالى مقبلين على عبادة الأوثان فبقاء هذه الحالة مع الايمان أولى ولا يخفى أن التخطف على تقدير وقوعه لا يصلح عذرا لعدم الايمان فان درجة الشهادة أعلى وأجل ومضرة التخطف أهون من العقاب الدائم الا أنه تعالى احتج عليهم بما هو معلوم من عادة العرب وهو أنهم كانوا لا يتعرضون لقطان الحرم والامر البين للحس أولى بأن يفحم به الخصم فلذلك قدمه الله تعالى وفى الآية دلالة على صحة المحاجة لازالة شبهة المبطلين قالت الاشاعرة الأرزاق انما تصل اليهم على ايدى الناس وقد أضاف الرزق الى نفسه فدل ذلك على أن أفعال العباد مستندة الى الله ومن تأمل فى الآية علم أن العبد يجب أن لا يخاف ولا يرجو الا من الله

ثم أجاب عن شبهتهم بحديث آخر مخلوط بالوعيد وانتصب معيشتها بنزع الخافض كقوله واختار موسى قومه أو على أنه ظرف مكان مجازا كان النظر استقر فى المعيشة أو على حذف المضاف أى بطرت أيام معيشتها كخفوق النجم أو بتضمين بطرت معنى كفرت وعطلت

أهل الجهل والباطل فى باطلهم أتاهم من أمر الله ما وقذهم عن ذلك * وقال آخرون عنى باللغو فى هذا الموضع ما كان أهل الكتاب أحدثوه فى كتاب الله مما ليس هو منه ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا الى آخر الآية قال هذه لأهل الكتاب اذا سمعوا اللغو الذى كتب القوم بأيديهم مع كتاب الله وقالوا هو من عند الله اذا سمعه الذين أسلموا ومروا به يتلونه أعرضوا عنه وكأنهم لم يسمعوا ذلك قبل أن يؤمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا مسلمين على دين عيسى ألا ترى أنهم يقولون انا كنا من قبله مسلمين * وقال آخرون فى ذلك بما

حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن منصور عن مجاهد واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم قال نزلت فى قوم كانوا مشركين فأسلموا فكان قومهم يؤذونهم

حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قوله واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم قال كان ناس من أهل الكتاب أسلموا فكان المشركون يؤذونهم فكانوا يصفحون عنهم يقولون سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين وقوله أعرضوا عنه يقول لم يصغوا اليه ولم يستمعوه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم وهذا يدل على أن اللغو الذى ذكره الله فى هذا الموضع انما هو ما قاله مجاهد من أنه سماع القوم ممن يؤذيهم بالقول ما يكرهون منه فى أنفسهم وانهم أجابوهم بالجميل من القول لنا أعمالنا ولكم أعمالكم قد رضينا بها لانفسنا ولكم أعمالكم قد رضيتم بها لانفسكم وقوله سلام عليكم يقول أمنة لكم منا أن نسابكم أو تسمعوا منا ما لا تحبون لا نبتغى الجاهلين يقول لا نريد محاورة أهل الجهل ومسابتهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انك يا محمد لا تهدى من أحببت هدايته ولكن الله يهدى من يشاء أن يهديه من خلقه بتوفيقه للايمان به ورسوله ولو قيل معناه انك لا تهدى من أحببته قرابته منك ولكن الله يهدى من يشاء كان مذهبا وهو أعلم بالمهتدين يقول جل ثناؤه والله أعلم من سبق له فى علمه أنه يهتدى للرشاد ذلك الذى يهديه الله فيسدده ويوفقه وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل امتناع أبى طالب عمه من اجابته اذ دعاه الى الايمان بالله الى ما دعاه اليه من ذلك ذكر الرواية بذلك

حدثنا أبو كريب والحسين بن على الصدائى قالا ثنا الوليد بن القاسم عن يزيد بن كيسان عن أبى حازم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه عند الموت قل لا اله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة قال لولا أن تعيرنى قريش لأقررت عينك فأنزل الله انك لا تهدى من أحببت الآية

حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن يزيد بن كيسان قال ثنى أبو حازم الاشجعى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه قل لا اله الا الله ثم ذكر مثله

حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو أسامة عن يزيد بن كيسان سمع أبا حازم الاشجعى يذكر عن أبى هريرة قال لما حضرت وفاة أبى طالب أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عماه قل لا اله الا الله فذكر مثله الا أنه قال لولا أن تعيرنى قريش يقولون ما حمله عليه الا الجزع الموت

حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن عبيد عن

والبطر سوء احتمال الغنى وهو أن لا يحفظ حق الله فيه ومعنى (الا قليلا) قال ابن عباس أى لم يسكنها الا المسافر وما ارالطريق يوما أو ساعة ويجوز أن يكون شؤم معاصيهم بقى فى ديارهم فكل من سكنها من أعقابهم لم يسكن الا قليلا (وكنا نحن الوارثين) كقوله ولله ميراث السموات والارض لانه الباقى بعد فناء خلقه ثم كان لسائل أن يقول ما بال (٥٩) الكفرة قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم لم يهلكوا مع تماديهم فى الغى فقال (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها) أى فى القرية التى هى قصبتها وأصلها وغيرها من توابعها وأعمالها (رسولا يتلوا عليهم آياتنا) يوحى ويبلغ وذلك لتأكيد الحجة وقطع المعذرة قال فى الكشاف يحتمل أن يراد وما كان فى حكم الله وسابق قضائه أن يهلك القرى فى الارض حتى يبعث فى أم القرى يعنى مكة رسولا وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وكان لقائل أن يقول ما بال الكفار بعد مبعث محمد لم يهلكهم الله مع تكذيبهم وجحودهم فقال (وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلها ظالمون) بالشرك وأهل مكة ليسوا كذلك فمنهم من قد آمن ومنهم من سيؤمن ومنهم من يخرج من نسله من يؤمن ثم أجاب عن شبهتهم بجواب ثالث وذلك أن حاصل شبهتهم أنهم قالوا تركنا الدين لاجل الدنيا فبين تعالى بقوله (وما أوتيتم من شئ) الآية أن ذلك خطأ عظيم لان ما عند الله خير وأبقى لانه أكثر وأدوم ونبه على جهلهم بقوله (أفلا تعقلون) ويرحم الله الشافعى حيث قال اذا أوصى بثلث ماله لأعقل الناس صرف ذلك الثلث الى المشتغلين بطاعة الله تعالى لان أعقل الناس من أعطى القليل وأخذ الكثير نظير الآية قوله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت قال اهل البرهان انما قال فى هذه السورة وما أوتيتم بالواو وفى الشورى فما أوتيتم بالفاء لانه لم يتعلق بما قبله ههنا كثير تعلق وقد تعلق فى الشورى بما قبلها أشد تعلق ولانه عقب ما لهم من المخافة ما أوتوه من الأمنة والفاء حرف التعقيب والواو لمجرد العطف وانما زاد فى هذه السورة وزينتها لان المراد ههنا جميع أعراض الدنيا من الضرورات ومن الزين فالمتاع ما لا غنى عنه من المأكول والمشروب والملبوس والمسكن والمنكوح والزينة

عن يزيد بن كيسان عن أبى حازم عن أبى هريرة قال قال النبى صلى الله عليه وسلم فذكر نحو حديث أبى كريب والصدائى حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ثنى عمى عبد الله بن وهب قال ثنى يونس عن الزهرى قال ثنى سعيد بن المسيب عن أبيه قال لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عم قل لا اله الا الله كلمة أشهد لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فأنزل الله ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى وأنزل الله فى أبى طالب فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى الآية حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبيه بنحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن أبى سعيد بن رافع قال قلت لابن عمر انك لا تهدى من أحببت نزلت فى أبى طالب قال نعم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله انك لا تهدى من أحببت قال قول محمد لابى طالب قل كلمة الاخلاص أجادل عنك بها يوم القيامة قال محمد بن عمرو فى حديثه قال يا ابن أخى ملة الاشياخ أو سنة الاشياخ وقال الحرث فى حديثه قال يا ابن أخى ملة الأشياخ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد انك لا تهدى من أحببت قال قال محمد لأبى طالب اشهد بكلمة الاخلاص أجادل عنك بها يوم القيامة قال أى ابن أخى ملة الأشياخ فأنزل الله انك لا تهدى من أحببت قال نزلت هذه الآية فى أبى طالب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انك لا تهدى من أحببت ذكر لنا أنها نزلت فى أبى طالب (١) قال الاصم عند موته يقول لا اله الا الله لكى تحل له بها الشفاعة فأبى عليه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن عامر لما حضر أبا طالب الموت قال له النبى صلى الله عليه وسلم يا عماه قل لا اله الا الله أشهد لك بها يوم القيامة فقال له يا ابن أخى انه لولا أن يكون عليك عار لم أبال أن أفعل فقال له ذلك مرارا فلما مات اشتد ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا ما انتفع قرابة أبى طالب منك فقال بلى والذى نفسى بيده انه الساعة لفى ضحضاح من النار عليه نعلان من نار تغلى منهما أم رأسه وما من أهل النار من انسان هو أهون عذابا منه وهو الذى أنزل الله فيه انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين وقوله وهو أعلم بالمهتدين يقول وهو أعلم بمن قضى له الهدى كالذى حدثنى محمد بن عمرو

(١) الذى فى الدر عن قتادة قال التمس منه عند موته أن يقول الخ فتنبه كتبه مصححه

وغيرها كالثياب الفاخرة والمراكب الرائعة والدور المشيدة وامامافى الشورى فلم يقصد الاستيعاب بل ماهو مطلوبهم فى تلك الحالة من النجاة والامن فى الحياة فلم يحتج الى ذكر الزينة ثم زاد البيان المذكور تأكيدا بقوله (أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه) لان وعد الله يترتب عليه الانجاز البتة وصاحبه يلقى الموعود لامحالة وتقدير الكلام أبعد التفاوت المذكور بين ماعند الله وبين متاع الحياة الدنيا يستوى بين أهل الجنة وبين أبناء الدنيا ومعنى ثم فى قوله (ثم هو يوم القيامة) تراخى حال الاحضار عن حال التمتع لاتراخى وقته عن وقته وتخصيص لفظ المحضرين بالذين أحضروا للعذاب أمر عرف من القرآن قال الله تعالى لكنت من المحضرين فانهم لمحضرون ويمكن أن يقال ان فى اللفظ اشعارا به لان الاحضار مشعر بالتكليف والالزام وذلك لايليق بمجالس اللذة والانس وانما يليق بمواضع الاكراه والوحشة قيل نزلت فى النبى صلى الله عليه وسلم وأبى جهل وقيل فى على وحمزة وأبى جهل وقيل فى عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة ثم ذكر من وصف القيامة قائلا (ويوم يناديهم) أى فاذكر ذلك اليوم ومعنى الاستفهام فى (أين) التوبيخ والتهكم ومفعولا (تزعمون) محذوفان تقديره تزعمونهم شركائى (قال الذين حق عليهم القول) أى وجب وثبت وهو مفهوم لأملأن جهنم وهم الشياطين ورؤساء الكفر و (هؤلاء) مبتدأ و (الذين أغوينا) صفته والعائد الى الموصول محذوف والخبر أغويناهم والتقدير هؤلاء الذين أغويناهم أغويناهم فغووا غيا مثل ماغوينا قال أهل السنة أرادوا كما أن فوقنا مغوين اغوونا بقسر والجاء فنحن أيضا أغويناهم بالوسوسة والتسويل وبكل ما أمكن حتى غووا وقالت المعتزلة يعنون أنا ماغوينا إلا باختيارنا فكذلك هم ماغووا إلا باختيارهم وان اغواءنا ما ألجأهم الى الغواية بل كانوا مختارين فى الاقدام على تلك العقائد والاعمال فيكون كما حكى عن الشيطان وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى ثم قالوا (تبرأنا اليك) منهم ومن عقائدهم وأعمالهم (ما كانوا إيانا يعبدون) انما كانوا يعبدون هؤلاء أهواءهم الفاسدة واخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين

قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وهو أعلم بالمهتدين قال بمن قدر له الهدى والضلالة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لايعلمون﴾ يقول تعالى ذكره وقالت كفار قريش ان نتبع الحق الذى جئتنا به معك ونترك أمر الانداد والآلهة يتخطفنا الناس من أرضنا باجماع جميعهم على خلافنا وحربنا يقول الله لنبيه فقل أولم نمكن لهم حرما يقول أولم نوطئ لهم بلدا حرمنا على الناس سفك الدماء فيه ومنعناهم من أن يتناولوا سكانه فيه بسوء وأمنا على أهله من أن يصيبهم بها غارة أو قتل أو سباء ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن أبى مليكة عن ابن عباس أن الحرث بن نوفل الذى قال ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا وزعموا أنهم قالوا قد علمنا أنك رسول الله ولكنا نخاف أن نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم الآية حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا قال هم أناس من قريش قالوا لمحمد ان نتبعك يتخطفنا الناس فقال الله أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ويتخطف الناس من حولهم قال كان يغير بعضهم على بعض ونحو الذى قلنا فى معنى قوله أولم نمكن لهم حرما آمنا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا قال الله أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ يقول أولم يكونوا آمنين فى حرمهم لايغزون فيه ولايخافون يجبى اليه ثمرات كل شئ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى أبو سفيان عن معمر عن قتادة أولم نمكن لهم حرما آمنا قال كان أهل الحرم آمنين يذهبون حيث شاؤا واذا خرج أحدهم فقال انى من أهل الحرم لم يتعرض له وكان غيرهم من الناس اذا خرج أحدهم قتل حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أولم نمكن لهم حرما آمنا قال آمنا كم به قال هى مكة وهم قريش وقوله يجبى اليه ثمرات كل شئ يقول يجمع اليه وهو من قولهم جبيت الماء فى الحوض اذا جمعته فيه وانما أريد بذلك يحمل اليه ثمرات كل بلد كما حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية عن شريك عن عثمان بن أبى زرعة عن مجاهد عن ابن عباس فى يجبى اليه ثمرات كل شئ قال ثمرات الارض وقوله رزقا من لدنا يقول ورزقا رزقناهم من لدنا يعنى من عندنا ولكن أكثرهم لايعلمون يقول تعالى ذكره ولكن أكثر هؤلاء المشركين القائلين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا لايعلمون أنا نحن الذين مكنا لهم حرما آمنا ورزقناهم فيه وجعلنا الثمرات من كل أرض تجبى اليهم فهم بجهلهم بمن فعل ذلك بهم يكفرون لايشكرون من أنعم عليهم بذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين﴾ يقول تعالى ذكره وكم أهلكنا من قرية أبطرتها معيشتها

لمعنى الجملة الأولى وحين حكى التوبيخ المذكور ثم ما يقوله الشياطين أو أئمة الكفر اعتذارا ذكر ما يشبه الشماتة بهم من استغاثتهم آلهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم وهو قوله (وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) زعم جم غفير من المفسرين أن جواب لو محذوف فقال الضحاك ومقاتل يعني المتبوع والتابع يرون العذاب ولو أنهم كانوا (٦١) يهتدون في الدنيا ما أبصروه في الآخرة ولعلموا أن العذاب حق أو لو كانوا يهتدون بوجه من وجوه الحيل لدفعوا به العذاب وقيل أراد ورأوا العذاب لو كانوا يبصرون شيأ ولكنهم صاروا مبهوتين بحيث لا يبصرون شيأ فلا جرم ما رأوه وقيل الضمير للاصنام أي لو كانوا أحياء مهتدين لشاهدوا العذاب وقيل لو للتمني أي تمنوا لو كانوا مهتدين ثم بكتهم بالاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل ومعنى (عميت عليهم الانباء) أن أخبار المرسلين والمرسل اليهم صارت كالعمى عليهم جميعا لا يهتدون اليهم فهم لا يتساءلون كما يسأل بعض الناس بعضا في المشكلات لانهم متساوية الاقدام في العجز عن الجواب واذا كانت الانباء لهول ذلك اليوم يتلعثمون في الجواب عن مثل هذا السؤال كما قال سبحانه يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا فما ظنك بضلال أممهم قال القاضي الآية تدل على بطلان قول المجبرة لان فعلهم لو كان خلقا من الله تعالى وجب وقوعه بالقدرة والارادة ولما عميت عليهم الانباء ولقالوا انما كذبنا الرسل من جهة خلقك فينا تكذيبهم ومن جهة القدرة الموجبة لذلك وكذا القول فيما تقدم لان الشيطان كان له أن يقول انما أغويت لخلقك في الغواية وانما قبل من دعوته لمثل ذلك لتكون الحجة لهم على الله قوية والعذر ظاهرا ولقائل أن يقول السكوت عن جواب الكافر جواب كما قيل جواب الأحمق السكوت وحين فرغ من توبيخ

معيشتها فبطرت وأشرت وطغت فكفرت ربها وقيل بطرت معيشتها فجعل الفعل للقرية وهو في الاصل للعيشة كما يقال اسفهك رأيك فسفهته وأبطرك مالك فبطرته والمعيشة منصوبة على التفسير وقد بينا بطلان ذلك في غير موضع من كتابنا هذا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها قال البطر أشر أهل الغفلة وأهل الباطل والركوب لمعاصي الله وقال ذلك البطر في النعمة فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا يقول فتلك دور القوم الذين أهلكهم بكفرهم بربهم ومنازلهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا يقول خربت من بعدهم فلم يعمر منها الا أقلها وأكثرها خراب ولفظ الكلام وان كان خارجا على أن مساكنهم قد سكنت قليلا فان معناه فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا منها كما يقال قضيت حقك الا قليلا منه وقوله وكنا نحن الوارثين يقول ولم يكن لما خربنا من مساكنهم منهم وارث وعادت كما كانت قبل سكناهم فيها لا مالك لها الا الله الذي له ميراث السموات والارض ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون﴾ يقول تعالى ذكره وما كان ربك يا محمد مهلك القرى التي حوالي مكة في زمانك وعصرك حتى يبعث في أمها رسولا يقول حتى يبعث في مكة رسولا وهي أم القرى يتلو عليهم آياتنا كتابنا والرسول محمد صلى الله عليه وسلم ◦ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حتى يبعث في أمها رسولا وأم القرى مكة وبعث الله اليهم رسولا محمدا صلى الله عليه وسلم وقوله وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون يقول ولم نكن لنهلك قرية وهي بالله مؤمنة انما نهلكها بظلمها أنفسها بكفرها بالله وانما أهلكنا أهل مكة بكفرهم بربهم وظلم أنفسهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون قال الله لم يهلك قرية بإيمان ولكنه يهلك القرى بظلم اذا ظلم أهلها واو كانت قرية آمنت لم يهلكوا مع من هلك ولكنهم كذبوا وظلموا فبذلك أهلكوا ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون﴾ يقول تعالى ذكره وما أعطيتم أيها الناس من شيء من الاموال والاولاد فانما هو متاع تتمتعون به في هذه الحياة الدنيا وهو من زينتها التي يتزين به فيها لا يغني عنكم عند الله شيأ ولا ينفعكم شيء منه في معادكم وما عند الله لاهل طاعته وولايته خير مما أوتيتموه أنتم في هذه الدنيا من متاعها وزينتها وأبقى يقول وأبقى لاهله لانه دائم لا نفاد له وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق في قوله وما عند الله خير وأبقى قال خير ثوابا وأبقى عندنا أفلا تعقلون يقول تعالى ذكره أفلا تعقلون لكم أيها القوم تتدبرون بها فتعرفون بها الخير من الشر وتختارون لأنفسكم خير المتزلين على شرهما وتؤثرون الدائم الذي لا نفاد له من النعيم على الفاني الذي لا بقاء له ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن

بالعلم والداعي والذي اعتمد عليه القاضي في دفع هذا المشكل المعضل في كتبه الكلامية قوله خطأ قول من يقول انه يمكن وخطأ قول من يقول انه لا يمكن فالواجب السكوت وزيفه الاشعري بأن الكافر لو أورد هذا السؤال على ربه لما كان لربه عنه جواب الا السكوت فتكون حجة الكافر قوية وعذره ظاهرا ولقائل أن يقول السكوت عن جواب الكافر جواب كما قيل جواب الأحمق السكوت وحين فرغ من توبيخ

الكفار وتهديدهم أتبعه ذكر التائبين وأنهم من المفلحين وعسى من الكريم تحقيق أو الترجى عائد الى التائب ثم ان القوم كانوا يذكرون شبهة أخرى وهى قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فأجاب الله تعالى عنها بقوله (وربك يخلق ما يشاء ويختار) لانه المالك المطلق المنزه عن النفع والضر فله أن يخص (٦٢) من شاء بما شاء وعلى مذهب المعتزلة هو حكيم فلا يفعل الا الحكمة والخير وقوله (ما كان لهم الخيرة) بيان لقوله ويختار والخيرة من التخير كالطيرة من التطير فى أنه اسم مستعمل بمعنى المصدر وهو التخير وهو بمعنى المتخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه وقدم فى الوقف أن بعضهم يقف على ما يشاء ثم يقول ويختار ما كان لهم الخيرة قال أبو القاسم الانصارى يعلم من هذا متعلق المعتزلة فى ايجاب الصلاح والاصلح عليه وأى صلاح فى تكليف من علم أنه لا يؤمن بالله ولو لم يكلفه لاستحق الجنة والنعيم من فضل الله فان قيل انما كلفه ليستوجب على الله ما هو الافضل لان المستحق أفضل من المتفضل به قلنا اذا علم أن ذلك الافضل لا يحصل فتوربطه للعقاب الابدى لا يكون رعاية للصلاحة ثم قولهم المستحق خير من المتفضل به ممنوع لان ذلك التفاوت انما يحصل فى حق من يستنكف من تفضله أما الذى حصل ذاته وصفاته باحسانه فكيف يستنكف من تفضله قلت لقائل أن يقول مجرد الاستبعاد لا يصلح للمنع على أن لذة الاجر يستحيل أن تحصل بدون الاجر ثم نزه نفسه بقوله (سبحان الله وتعالى عما يشركون) والغرض أن الخلق والاختيار والاعزاز والاذلال والاهانة والاجلال كلها مفوض وجوبها اليه ليس لاحد فيه شركة ومنازعة ثم اكد ذلك بقوله (وربك يعلم ما تكن صدورهم) من عداوة نبيه (وما يعلنون) من مطاوعتهم فيه ويحتمل أن يكون عاما يشمل السرائر والظواهر كلها وهو المستأثر بالالهية و(لا اله يعبدونا الا هو) تقرير لما قبله (له الحمد فى) الدار (الاولى) على نعمه الفائضة على البر والفاجر (و) فى الدار (الآخرة) كقولهم الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين والتحميد هناك على وجه اللذة لا التكليف قال اهل السنة الثواب يستحق عند المعتزلة

متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ يقول تعالى ذكره أفمن وعدناه من خلقنا على طاعته ايانا الجنة فآمن بما وعدناه وصدق وأطاعنا فاستحق بطاعته ايانا أن نجزله ما وعدناه فهو لاق ما وعدوصائر اليه كمن متعناه فى الحياة الدنيا متاعها فتمتع به ونسى العمل بما وعدنا أهل الطاعة وترك طلبه وآثر لذة عاجلة على آجلة ثم هو يوم القيامة اذا ورد على الله من المحضرين يعنى من المشهدين عذاب الله وأليم عقابه ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه قال هو المؤمن سمع كتاب الله فصدق به وآمن بما وعد الله فيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا وهو هذا الكافر ليس والله كالمؤمن ثم هو يوم القيامة من المحضرين أى فى عذاب الله حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال ابن عمرو فى حديثه قوله من المحضرين قال احضروها وقال الحرث فى حديثه ثم هو يوم القيامة من المحضرين أهل النار أحضروها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ثم هو يوم القيامة من المحضرين قال أهل النار أحضروها واختلف أهل التأويل فيمن نزلت فيه هذه الآية فقال بعضهم نزلت فى النبى صلى الله عليه وسلم وفى أبى جهل بن هشام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله العجلى قال ثنا شعبة عن أبان ابن تغلب عن مجاهد أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين قال نزلت فى النبى صلى الله عليه وسلم وفى أبى جهل بن هشام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه قال النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال آخرون نزلت فى حمزة وعلى رضى الله عنهما وأبى جهل لعنه الله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا بدل بن المحبر التغلبى قال ثنا شعبة عن أبان بن تغلب عن مجاهد أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين قال نزلت فى حمزة وعلى بن أبى طالب وأبى جهل ، قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة عن أبان بن تغلب عن مجاهد قال نزلت فى حمزة وأبى جهل ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون﴾ يقول تعالى ذكره ويوم ينادى رب العزة الذين أشركوا به الأنداد والأوثان فى الدنيا فيقول لهم أين شركائى الذين كنتم تزعمون أنهم لى فى الدنيا شركاء قال الذين حق عليهم القول يقول قال الذين وجب عليهم غضب الله ولعنته وهم الشياطين الذين كانوا يغوون بنى آدم ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة فى قوله هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا قال هم الشياطين وقوله تبرأنا اليك يقول تبرأنا من ولايتهم ونصرتهم اليك ما كانوا ايانا يعبدون يقول لم يكونوا

فلا يستحق الحمد بفعله من أهل الجنة وأما أهل النار فلم ينعم عليهم حتى يستحق الحمد منهم والجواب ماذكرناه أن تحميدهم يجرى مجرى التنفس قال القاضي انه يستحق الحمد من أهل النار أيضا بما فعل بهم في الدنيا من التمكين والتيسير والالطاف وسائر النعم وأنهم باسامتهم لايخرج ما أنعم الله به عليه من أن يوجب الشكر وقال في التفسير الكبير فيه نظر لان أهل الآخرة مضطرون الى معرفة الحق فاذا علموا أن التوبة واجبة القبول وأن الشكر مما يوجب الثواب فلابد أن يتوبوا ويشتغلوا بالشكر ليستحقوا الثواب ويتخلصوا من العقاب ولقائل أن يقول لايلزم من وجوب قبول التوبة واستحقاق الجزاء على العمل في دار التكاليف أن يكون الأمر كذلك في غير دار التكاليف ثم بين بقوله (وله الحكم) أن القضاء بين العباد مختص به فلولا حكمه لما نفذ على العبد حكم سيده ولا على الزوجة حكم زوجها ولا على الابن حكم أبيه ولا على الرعية حكم سلطانهم ولا على الأمة حكم رسولهم والى محل حكمه وقضائه يرجع كل عبيده وامائه ﴿ التأويل ولقد آتينا موسى القلب مقام القرب والوحى والمكالمة وكشف العلوم بعد هلاك فرعون النفس وصفاتها العلهم يتذكرون اذ كانوا في عالم الارواح مستمعين خطاب ألست بربكم وما كنت في غرب العدم بل كنت في شرق الوجود في عالم الارواح اذ قضينا الى موسى أمر اتخاذ العهد منه أن يؤمن بك كقوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين وما كنت في عالم الشهادة ولكنا أنشأناقرونا في عالم الشهادة فتطاول عليهم العمر فاحتجوا بالنفس وصفاتها ونسوا تلك العهود والمواثيق وما كنت مقيما في أهل مدين كشعيب وموسى اذ أخذت منهما الميثاق أن يؤمنا بك ولكنا كنا مرسلين

يعبدونا ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون﴾ يقول تعالى ذكره وقيل للمشركين بالله الآلهة والأنداد في الدنيا ادعوا شركاءكم الذين كنتم تدعون من دون الله فدعوهم فلم يستجيبوا لهم يقول فلم يجيبوهم ورأوا العذاب يقول وعاينوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون يقول فودوا حين رأوا العذاب لو أنهم كانوا في الدنيا مهتدين للحق ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون﴾ يقول تعالى ذكره ويوم ينادي الله هؤلاء المشركين فيقول لهم ماذا أجبتم المرسلين فيما أرسلناهم به اليكم من دعائكم الى توحيدنا والبراءة من الأوثان والأصنام فعميت عليهم الأنباء يومئذ يقول فخفيت عليهم الأخبار من قولهم قد عمى عني خبر القوم اذا خفي وانما عنى بذلك أنهم عميت عليهم الحجة فلم يدروا ما يحتجون لأن الله تعالى قد كان أبلغ اليهم في المعذرة وتابع عليهم الحجة فلم تكن لهم حجة يحتجون بها ولا خبر يخبرون به مما تكون لهم به نجاة ومخلص ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فعميت عليهم الأنباء قال الحجج يعني الحجة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فعميت عليهم الأنباء قال الحجج ٭ قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين قال بلا اله الا الله التوحيد وقوله فهم لا يتساءلون بالأنساب والقرابة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فهم لا يتساءلون قال لا يتساءلون بالأنساب ولا يتماتون بالقرابات انهم كانوا في الدنيا اذا التقوا تساءلوا وتماتوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فهم لا يتساءلون قال بالأنساب وقيل معنى ذلك فعميت عليهم الحجج يومئذ فسكتوا فهم لا يتساءلون في حال سكوتهم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين﴾ يقول تعالى ذكره فأما من تاب من المشركين فأناب وراجع الحق وأخلص لله الألوهة وأفرد له العبادة فلم يشرك في عبادته شيأ وآمن يقول وصدق بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعمل صالحا يقول وعمل بما أمره الله بعمله في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فعسى أن يكون من المفلحين يقول فهو من المنجحين المدركين طلبتهم عند الله الخالدين في جنانه وعسى من الله واجب ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾ يقول تعالى ذكره وربك يا محمد يخلق ما يشاء أن يخلقه ويختار لولاية الخيرة من خلقه ومن سبقت له منه السعادة وانما قال جل ثناؤه ويختار ما كان لهم الخيرة والمعنى ما وصفت لأن المشركين كانوا فيما ذكر عنهم يختارون أموالهم فيجعلونها

لرسل الذين أخذنا الميثاق منهم ولولا أن تصيبهم التقدير ولولا أن مقتضى العناية الأزلية في حق هذه الأمة ودفع حجتهم علينا فانا دناهم وهم في العدم فاسمعناهم نداءنا ولم نوقفهم للاجابة فلما جاءهم الحق يعني محمدا وفيه أن له رتبة أن يقول أنا الحق لفنائه عن نفسه بالكلية وبقائه بربه وكل من سواه فليس له أن يقول ذلك الا بطريق المتابعة ولا أوتي مثل ما أوتي لو لم يكونوا محتجبين بكفرهم عن رؤية كماله لقالوا لولا أوتي

مثل ما أوتى محمد من مقام المحبة ومقام لى مع الله وقت بكتاب من عند الله هو أهدى منهما يعنى الكتاب المشتمل على العلم اللدنى فانه أهدى الى الحضرة من الكتب الموقوفة على السماع والمطالعة ومن لم تكن له هذه الرتبة فانه محجوب عن الحضرة بهوى نفسه كما قال فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم الذين آتيناهم

لآلهتهم فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وربك يا محمد يخلق ما يشاء أن يخلقه ويختار الهداية والايمان والعمل الصالح من خلقه ما هو فى سابق علمه أنه خير لهم نظير ما كان من هؤلاء المشركين لآلهتهم خيارا من أموالهم فكذلك اختيارى لنفسى واجتبائى لولايتى واصطفائى لخدمتى وطاعتى خيار مملكتى وخلق ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة قال كانوا يجعلون خيرا موالهم لآلهتهم فى الجاهلية فاذا كان معنى ذلك كذلك فلا شك أن ما من قوله ويختار ما كان لهم الخيرة فى موضع نصب بوقوع يختار عليها وأنها بمعنى الذى فان قال قائل فان كان الامر كما وصفت من أن ما اسم منصوب بوقوع قوله يختار عليها فأين خبر كان فقد علمت أن ذلك اذا كان كما قلت أن فى كان ذكرا من ما ولا بد لكان اذا كان كذلك من تمام وأين التمام قيل ان العرب تجعل لحروف الصفات اذا جاءت الاخبار بعدها أحيانا أخبارا كفعلها بالأسماء اذا جاءت بعدها أخبارها ذكر الفراء أن القاسم بن معن أنشده

قول عنترة أمن سمية دمع العين تذريف ٭ لو كان ذا منك قبل اليوم معروف

فرفع معروفا بحرف الصفة وهو لا شك خبر لذا وذكر أن الفضل أنشده ذلك

٭ لو أن ذا منك قبل اليوم معروف ٭ ومنه أيضا قول عمر بن أبى ربيعة

قلت أجيبى عاشقا ٭ بحكم مكلف ٭ فيها ثلاث كالدمى ٭ وكاعب ومسلف

فكلف من نعت عاشق وقد رفعه بحرف الصفة وهو الباء فى أشباه لما ذكرنا بكثير من الشواهد فكذلك قوله ويختار ما كان لهم الخيرة رفعت الخيرة بالصفة وهى لهم وان كانت خبرا لما لما جاءت بعد الصفة ووقعت الصفة موقع الخبر فصار كقول القائل كان عمرو أبوه قائم لا شك أن قائما لو كان مكان الاب وكان الاب هو المتأخر بعده كان منصوبا فكذلك وجه رفع الخيرة وهو خبرها فان قال قائل فهل يجوز أن تكون ما فى هذا الموضع جحدا ويكون معنى الكلام وربك يخلق ما يشاء أن يخلقه ويختار ما يشاء أن يختاره فيكون قوله ويختار نهاية الخبر عن الخلق والاختيار ثم يكون الكلام بعد ذلك مبتدأ بمعنى لم تكن لهم الخيرة أى لم يكن للخلق الخيرة وانما الخيرة لله وحده قيل هذا قول لا يخفى فساده على ذى حجى من وجوه لو لم يكن بخلافه لاهل التأويل قول فكيف والتأويل عمن ذكرنا بخلافه فأما أحد وجوه فساده فهو أن قوله ما كان لهم الخيرة لو كان كما ظننته من ظنه من أن ما بمعنى الجحد على نحو التأويل الذى ذكرت كان انما جحد تعالى ذكره أن تكون لهم الخيرة فيما مضى قبل نزول هذه الآية فأما فيما يستقبلونه فلهم الخيرة لان قول القائل ما كان لك هذا لا شك أنه هو خبر عن أنه لم يكن له ذلك فيما مضى وقد يجوز أن يكون له فيما يستقبل وذلك من الكلام لا شك خلف لان ما لم يكن للخلق من ذلك قديما فليس ذلك لهم أبدا وبعد لو أريد ذلك المعنى لكان الكلام فليس وقيل وربك يخلق ما يشاء ويختار ليس لهم الخيرة ليكون نفيا عن أن يكون ذلك لهم فيما قبل وفيما بعد والثانى أن كتاب الله أبين البيان وأوضح الكلام ومحال أن يوجد فيه شئ غير مفهوم المعنى وغير جائز فى الكلام أن يقال ابتداء ما كان لفلان الخيرة ولما يتقدم قبل ذلك كلام يقتضى ذلك

الصورة وهذا قالوا انا كنا من قبله مسلمين ولذلك قال يؤتون أجرهم مرتين أى فى العالمين بما صبروا على مخالفات الهوى وموافقات الشرع ويدرؤن بالاعمال الصالحات ظلمة المعاصى أو بحسنة الذكر صدأ حب الدنيا عن مرآة القلوب أو بحسنة نفى ما سوى الله شرك الوجود المجازى وممارزقناهم من الوجود المجازى ينفقون فى طلب الوجود الحقيقى واذا سمعوا اللغو وهو طلب ما سوى الله أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا فى طلب الوجود الحقيقى ولكم أعمالكم فى طلب الفانى انك لا تهدى من أحببت وذلك أن للقلب بابين أحدهما الى النفس والجسد وهو مفتوح أبدا والآخر الى الروح والحضرة وهو مغلوق لا يفتحه الا الفتاح الذى بيده كل مفتاح كما قال أم على قلوب أقفالها وقال انا فتحنا لك فتحا مبينا وهو أعلم بالمهتدين الذين أصابهم رشاش النور وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف بجذبات الالوهية من أرض الانانية أولم نمكن لهم حرما آمنا فى مقام الهوية يجبى اليه ثمرات حقائق كل شئ رزقا من العلوم اللدنية ولكن أكثرهم لا يعلمون ذوق العلم اللدنى لم تسكن من بعدهم الا قليلا أى لم تسكن فى قرى القلوب الفاسد استعدادها الا قليلا من نور الاسلام بعبور الخواطر الروحانية فى الاحايين وكانحن الوارثين بأن رجع نور الاسلام الى الحضرة بعد فساد الاستعداد حتى يبعث فى أمها أى روحها لأن القلب فكذلك من متولدات الروح رسولا من واردنفحات الحق الوعد الحسن للعوام الجنة وللخواص الرؤية وللاخص الوصول والوصال كما أوحى الى عيسى تجوع ترنى تجرد تصل الى أغويتهم كما غووا راعوا طريقة الأدب ولم يقولوا كما أغويتنا مثل ما قال ابليس فبما أغويتنى لأ

اغويناهم بتقديرك كما غوينا بقضائك وهذا من خصوصية تكريم بني آدم بحفظ البعداء طريقة الادب كما يحفظها أهل القرب على بساط الكرامة ورأوا العذاب يعني لو كانوا يهتدون لرأوا عذاب الفطام عن المألوفات والشهوات والله أعلم بالخفيات ﴿قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون﴾ قل أرأيتم ان جعل (٦٥) الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ونزعنا من كل أمة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين قال انما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين وما كنت ترجوا أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا

فكذلك قوله ويختار ما كان لهم الخيرة ولم يتقدم قبله من الله تعالى ذكره خبر عن أحد أنه ادعى أنه كان له الخيرة فيقال له ما كان لك الخيرة وانما جرى قبله الخبر عما هو صائر اليه أمر من تاب من شركه وآمن وعمل صالحا وأتبع ذلك جل ثناؤه الخبر عن سبب ايمان من آمن وعمل صالحا منهم وأن ذلك انما هو لاختياره اياه للايمان وللسابق من علمه فيه اهتدى ويزيد ما قلنا من ذلك ابانة قوله وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون فأخبر أنه يعلم من عباده السرائر والظواهر ويصطفي لنفسه ويختار لطاعته من قد علم منه السريرة الصالحة والعلانية الرضية والثالث أن معنى الخيرة في هذا الموضع انما هو الخيرة وهو الشيء الذي يختار من البهائم والانعام والرجال والنساء يقال منه أعطى الخيرة والخيرة مثل الطيرة والطيرة وليس بالاختيار واذا كانت الخيرة ما وصفنا فمعلوم أن من أجود الكلام أن يقال وربك يخلق ما يشاء ويختار ما يشاء لم يكن لهم خير بهيمة أو خير طعام أو خير رجل أو امرأة فان قال فهل يجوز أن تكون بمعنى المصدر قيل لا وذلك أنها اذا كانت مصدرا كان معنى الكلام وربك يخلق ما يشاء ويختار كون الخيرة لهم واذا كان ذلك معناه وجب أن لا تكون الشرار لهم من البهائم والانعام واذا لم يكن لهم شرار ذلك وجب أن لا يكون لها مالك وذلك ما لا يخفى خطؤه لان لخيارها ولشرارها أربابا يملكونها بتمليك الله اياهم ذلك وفي كون ذلك كذلك فساد توجيه ذلك الى معنى المصدر وقوله سبحان الله وتعالى عما يشركون يقول تعالى ذكره تنزيها لله وتبرئة له وعلوا عما أضاف اليه المشركون من الشرك وما تخرصوه من الكذب والباطل عليه وتأويل الكلام سبحان الله وتعالى عن شركهم وقد كان بعض أهل العربية يوجهه الى أنه بمعنى وتعالى عن الذي يشركون به ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون﴾ يقول تعالى ذكره وربك يا محمد يعلم ما تخفي صدور خلقه وهو من أكنت الشيء في صدري اذا أضمرته فيه وكننت الشيء اذا صنته وما يعلنون يقول وما يبدونه بألسنتهم وجوارحهم وانما يعني بذلك أن اختياره من يختار منهم للايمان به على علم منه بسرائر أمورهم وبواديها وأنه يختار للخير أهله فيوفقهم له ويولي الشر أهله ويخليهم واياه وقوله وهو الله لا اله الا هو يقول تعالى ذكره وربك يا محمد المعبود الذي لا تصلح العبادة الا له ولا معبود تجوز عبادته غيره له الحمد في الاولى يعني في الدنيا والآخرة وله الحكم يقول وله القضاء بين خلقه واليه ترجعون يقول واليه ترد ون من بعد مماتكم فيقضي بينكم بالحق ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله أيها القوم أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل دائما لا نهارا الى يوم القيامة يعقبه والعرب تقول لكل ما كان متصلا لا ينقطع من رخاء أو بلاء أو نعمة هو سرمد ۞ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله سرمدا دائما لا ينقطع حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني

للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ أنزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون ﴾ القراآت عندى أولم بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن فليح وأبو عمرو وخراعى عن أصحابه وابن مجاهد وأبو عون والسرندى عن قنبل الباقون (٦٦) بالاسكان ويكأنه ويكأنه الوقف على الياء أبو عمرو ويعقوب ويك الوقف على الكاف وويكأنه موصولة روى السوسى عن السرندى وهو مذهب حمزة الباقون كلاهما موصولان نخسف على البناء للفاعل سهل ويعقوب وحفص ربى أعلم بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ﴿ الوقوف بضياء ط تسمعون ٥ فيه ط تبصرون ٥ تشكرون ٥ ترعمون ٥ يفترون ٥ عليهم ص لان الواو للحال أى وقد آتيناه مع طول الكلام القوة ط بناء على أن التقدير واذكر اذ قال وقال فى الكشاف انه متعلق بتنوء فلا وقف الفرحين ٥ فى الارض ط المفسدين ٥ عندى ط جمعا ط المجرمون ٥ فى زبته ط لعدم العاطف واختلاف القائل قارون لا لأن ما بعده تعليل النهى ولو ابتدأ لكان بأنه ذو حظ عظيم ٥ صالحا ج لأن ما بعده احتمل أن يكون ابتداء اخبار من الله واحتمل أن يكون من قول أهل العلم الصابرون ٥ من دون الله ق قد قيل لتفصيل الاعتبار المتصرين ٥ ويقدر ج للابتداء ولا مع اتحاد المقول نخسف بنا ط الكافرون ٥ ولا فسادا ط للمتقين ٥ منها ج لعطف جملة الشرط يعملون ٥ معاد ط مبين ٥ للكافرين ٥ ز للآية مع العطف المشركين ٥ للآية وخلو المعطوف عن نون التأكيد التى دخلت المعطوف عليه مع اتفاق الجملتين آخرا احترازا من ايهام كون ما بعده صفة آخر ٥ لا اله الا هو ط وجهه ط ترجعون ٥ نصيحته

﴿ التفسير لما بين سبحانه حقيقة الحيته واستحقاقه للحمد المطلق وأن مرجع الكل الى حكمته وقضائه أتبعه بعض ما يجب أن يحمد عليه مما لا يقدر عليه أحد سواه وهو تبديل ظلام الليل بضياء النهار وبالعكس والمعنى أخبرونى من يقدر على هذا والسرمد الدائم المتصل

معاوية عن على عن ابن عباس قوله ان جعل الله عليكم الليل سرمدا يقول دائما وقوله من اله غير الله يأتيكم بضياء يقول من معبود غير المعبود الذى له عبادة كل شئ يأتيكم بضياء النهار فتستضيئون به أفلا تسمعون يقول أفلا ترعون ذلك سمعكم وتفكرون فيه فتتعظون وتعلمون أن ربكم هو الذى يأتى بالليل ويذهب بالنهار اذا شاء واذا شاء أتى بالنهار وذهب بالليل فينعم باختلافهما كذلك عليكم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركى قومك أرأيتم أيها القوم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا دائما لا ليل معه أبدا الى يوم القيامة من اله غير الله من معبود غير المعبود الذى له عبادة كل شئ يأتيكم بليل تسكنون فيه فتستقرون وتهدؤن فيه أفلا تبصرون يقول أفلا ترون بأبصاركم اختلاف الليل والنهار عليكم رحمة من الله لكم وحجة منه عليكم فتعلموا بذلك أن العبادة لا تصلح الا لمن أنعم عليكم بذلك دون غيره ولمن له القدرة التى خالف بها بين ذلك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ يقول تعالى ذكره ومن رحمته بكم أيها الناس جعل لكم الليل والنهار مختلف بينهما فجعل هذا الليل ظلاما لتسكنوا فيه وتهدؤا وتستقروا لراحة أبدانكم فيه من تعب التصرف الذى تتصرفون نهار المعايشكم وفى الهاء التى فى قوله لتسكنوا فيه وجهان أحدهما أن تكون من ذكر الليل خاصة ويضمر للنهار مع الابتغاء هاء أخرى والثانى أن تكون من ذكر الليل والنهار فيكون وجه توحيدها وهى لهما وجه توحيد العرب فى قولهم اقبالك وادبارك يؤذينى لان الاقبال والادبار فعل والفعل يوحد كثيره وقليله وجعل هذا النهار ضياء تبصرون فيه فتتصرفون بأبصاركم فيه لمعايشكم وابتغاء رزقه الذى قسمه بينكم بفضله الذى تفضل عليكم وقوله ولعلكم تشكرون يقول تعالى ذكره ولتشكروه على انعامه عليكم بذلك فعل ذلك بكم لتفردوه بالشكر وتخلصوا له الحمد لانه لم يشركه فى انعامه عليكم بذلك شريك فلذلك ينبغى أن لا يكون له شريك فى الحمد عليه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم ترعمون ونزعنا من كل أمة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ يعنى تعالى ذكره ويوم ينادى ربك يا محمد هؤلاء المشركين فيقول لهم أين شركائى الذين كنتم ترعمون أيها القوم فى الدنيا أنهم شركائى وقوله ونزعنا من كل أمة شهيدا وأحضرنا من كل جماعة شهيدها وهو نبيها الذى يشهد عليها بما أجابته أمته فيما أتاهم به عن الله من الرسالة وقيل ونزعنا من قوله نزع فلان بحجة كذا بمعنى أحضرها وأخرجها ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ونزعنا من كل أمة شهيدا وشهيدها نبيها يشهد عليها أنه قد بلغ رسالة ربه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ونزعنا من كل أمة شهيدا قال رسولا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه وقوله فقلنا هاتوا برهانكم يقول فقلنا لأمة كل نبى منهم التى رفضت

من السرد والميم زائدة وانتصابه على أنه مفعول ثان لجعل أو على الحال والى متعلق بجعل أو بسرمدا ومنافع الليل والنهار والاستدلال بهما على كمال قدرة الله تعالى قد تقدمت مرارا قال جار الله وانما لم يقل بنهار تتصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه لان الضياء وهو ضوء الشمس تتعلق به المنافع المتكاثرة وليس التصرف فى المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثم قرن بالضياء أفلا تسمعون لأن السمع يدرك مالا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل أفلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره أنت من السكون ونحوه قال الكلبى أفلا تسمعون معناه أفلا تطيعون من يفعل ذلك وقوله أفلا تبصرون معناه أفلا تبصرون ما أنتم عليه من الخطا والضلال وقال أهل البرهان قدم الليل على النهار لان ذهاب الليل بطلوع الشمس أكثر فائدة من ذهاب النهار بدخول الليل وانما ختم الآية الاولى بقوله أفلا تسمعون بناء على الليل وختم الاخرى بقوله أفلا تبصرون بناء على النهار والنهار مبصر وآية النهار مبصرة ثم بين أن من رحمته ز واجه بين الليل والنهار لتسكنوا فى الليل ولتبتغوا من فضله فى النهار ولارادة الشكر على النعمتين جميعا وفى الآية طريقة اللف ثقة بفهم السامع وذلك لان السكون بالنهار وان كان ممكنا وكذا الابتغاء من فضل الله بالليل الا أن الأليق بكل واحد منهما ماذكره فلهذا خصه به وفى تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء دليل على أنه لاشئ أسخط عند الله من الاشراك به ويعلم منه أنه لاشئ أجلب لرضاء من الشهادة بوحدانيته ولحوى الخطاب أين الذين ادعيتم الهيتهم لتخلصكم أو أين الذين قلتم انها تقربكم الى الله زلفى وقد علموا أن لا اله الا الله فيكون ذلك زيادة فى غمهم ومعنى (ونزعنا) وأخرجنا (من كل أمة شهيدا) قال بعضهم هو نبيهم لان الانبياء يشهدون أنهم بلغوا أممهم الدلائل و بلغوا فى ايضاحها كل غاية ليعلم أن التقصير منهم فيكون ذلك زيادة فى غمهم أيضا وقال آخرون بل هم الشهداء الذين يشهدون على الناس فى كل زمان ويدخل فى جملتهم الانبياء وهذا أقرب لانه تعالى عم كل جماعة بأن ينزع منهم الشهيد فيدخل فيه أزمنة الفترات والازمنة التى بعد محمد صلى الله عليه

نصيحته وكذبت بما جاءها به من عند ربهم اذا شهد نبى عليها بابلاغها ياها رسالة الله هاتوا برهانكم يقول تقال لهم هاتوا حجتكم على اشراككم بالله ما كنتم تشركون مع اعذار الله اليكم بالرسل واقامته عليكم الحجج و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فقلناها تو ابرهانكم أى بينتكم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فقلناها تو ابرهانكم قال حجتكم لما كنتم تعبدون وتقولون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فقلناها تو ابرهانكم قال حجتكم بما كنتم تعبدون وقوله فعلموا أن الحق لله يقول فعلموا حينئذ أن الحجة البالغة لله عليهم وأن الحق لله والصدق خبره فأيقنوا بعذاب من الله لهم دائم وضل عنهم ما كانوا يفترون يقول واضمحل فذهب الذى كانوا يشركون بالله فى الدنيا وما كانوا يتخرصون و يكذبون على ربهم فلم ينفعهم هنالك بل ضرهم وأصلاهم نار جهنم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين ﴾ يقول تعالى ذكره ان قارون وهو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب كان من قوم موسى يقول كان من عشيرة موسى بن عمران النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن عمه لأبيه وأمه وذلك أن قارون هو قارون بن يصهر بن قاهث وموسى هو موسى بن عمران بن قاهث كذا نسبه ابن جريج حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ان قارون كان من قوم موسى قال ابن عمه ابن أخى أبيه فان قارون بن يصفر هكذا قال القاسم وانما هو يصهر ابن قاهث وموسى بن عمرم بن قاهث وعمرم بالعربية عمران وأما ابن اسحق فان ابن حميد حدثنا قال ثنا سلمة عنه أن يصهر بن قاهث تزوج سميت بنت بتاويت بن بركا بن يقشان بن ابراهيم فولدت له عمران بن يصهر وقارون بن يصهر فنكح عمران يخنث بنت شمويل بن بركا بن يقشان ابن بركا فولدت له هرون بن عمران وموسى بن عمران صفى الله ونبيه فموسى على ما ذكر ابن اسحق ابن أخى قارون وقارون هو عمه أخو أبيه لأبيه وأمه وأكثر أهل العلم فى ذلك على ما قاله ابن جريج ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال أخبرنا اسمعيل بن أبى خالد عن ابراهيم فى قوله ان قارون كان من قوم موسى قال كان ابن عم موسى حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سماك بن حرب قال ثنا سعيد عن قتادة ان قارون كان من قوم موسى كما حدث أنه كان ابن عمه اخى أبيه وكان يسمى المنور من حسن صوته بالتوراة ولكن عدو الله فاق كما فاق السامرى فأهلكه البغى حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن سماك عن ابراهيم ان قارون كان من قوم موسى قال كان ابن عمه فبغى عليه ◦ قال ثنا يحيى القطان عن سفيان عن سماك عن ابراهيم قال كان قارون ابن عم موسى ◦ قال ثنا أبو معاوية عن ابن أبى خالد عن ابراهيم ان قارون كان من قوم موسى قال كان ابن عمه حدثنى بشر بن هلال الصواف قال ثنا جعفر بن سليمن الضبعى عن مالك بن دينار قال بلغنى أن موسى بن عمران كان ابن عم قارون

وسلم (قفلنا) للامة (هاتوا برهانكم) فيما كنتم عليه من الشرك وخلاف الرسول (فعلموا) حينئذ (ان الحق لله) ورسوله وغاب (عنهم ما كانوا يفترون) من الباطل والزور ثم عقب حديث أهل الضلال بقصة قارون وهو اسم أعجمي ولهذا لم ينصرف بعد العلمية ولو كان فاعولا من قرن لانصرف والظاهر أنه كان ممن آمن بموسى (٦٨) هذا ظاهر نص القرآن ولا يبعد أيضا حمله على القرابة قال الكلبي انه كان ابن عم موسى وقيل كان موسى ابن أخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان أقرأ بني اسرائيل للتوراة الا أنه نافق كما نافق السامري وقال اذا كانت النبوة لموسى والذبح والقربان الى هرون فما لي وفي قوله (فبغى عليهم) وجوه أحدها أن بغيه استخفافه بالفقراء وثانيها أنه ملكه فرعون على بني اسرائيل فظلمهم وقال القفال معناه طلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت يده وقال الضحاك طغى عليهم واستطال فلم يوافقهم في أمر ابن عباس تجبر وتكبر عليهم ومثله عن شهر بن حوشب قال بغيه أنه زاد عليهم في الثياب شبرا فهذا يعود الى التكبر الكلبي بغيه حسده وذلك أنه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة له والوزارة لهرون وكان القربان الى موسى يجعله الى هرون فوجد قارون في نفسه حسدهما فقال لموسى الامر لكما ولست على شئ الى متى اصبر قال موسى هكذا حكم الله قال والله لا أصدقك حتى تأتي بآية فأمر رؤساء بني اسرائيل أن يأتي كل واحد بعصا فألقى مجموع العصي في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها فأصبحوا فاذا بعصا هرون تهتز وطاورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال قارون ما هو بأعجب مما تصنع من السحر واعتزل قارون بأتباعه وكان كثير المال كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله وآتيناه من الكنوز سئل الكلبي السنة تقولون ان الله لا يعطي الحرام فكيف أضاف ايتاء مال قارون الى نفسه فأجاب بأنه لا حجة في أن ماله حرام لجواز

وقوله فبغى عليهم يقول فتجاوز حده في الكبر والتجبر عليهم وكان بعضهم يقول كان بغيه عليهم زيادة شبر أخذها في طول ثيابه ذكر من قال ذلك حدثني علي بن سعيد الكندي وأبو السائب وابن وكيع قالوا ثنا حفص بن غياث عن ليث عن شهر بن حوشب ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم قال زاد عليهم في الثياب شبرا * وقال آخرون كان بغيه عليهم بكثرة ماله ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال انما بغى عليهم بكثرة ماله وقوله وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة يقول تعالى ذكره وآتينا قارون من كنوز الأموال ما ان مفاتحه وهي جمع مفتح وهو الذي يفتح به الأبواب وقال بعضهم عني بالمفاتح في هذا الموضع الخزائن لتثقل العصبة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ما قلنا في معنى مفاتح حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال أخبرنا الأعمش عن خيثمة قال كانت مفاتح قارون تحمل على ستين بغلا كل مفتاح منها باب كنز معلوم مثل الاصبع من جلود حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن الأعمش عن خيثمة قال كانت مفاتح كنوز قارون من جلود كل مفتاح مثل الاصبع كل مفتاح على خزانة على حدة فاذا ركب حملت المفاتيح على ستين بغلا أغر محجل حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن خيثمة في قوله ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة قال نجد مكتوبا في الانجيل مفاتح قارون وقر ستين بغلا غر المحجلة ما يزيد كل مفتاح منها على أصبع لكل مفتاح منها كنز حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن حميد عن مجاهد قال كانت المفاتح من جلود الابل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة قال مفاتح من جلود كمفاتح العيدان وقال قوم عني بالمفاتح في هذا الموضع خزائنه ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل ابن سالم عن أبي صالح في قوله ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة قال كانت خزائنه تحمل على أربعين بغلا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي جعفر عن الضحاك ما ان مفاتحه قال أوعيته وبنحو الذي قلنا في معنى قوله لتنوء بالعصبة قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر ابن نوح قال ثنا أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله لتنوء بالعصبة قال لتثقل بالعصبة حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله لتنوء بالعصبة يقول تثقل وأما العصبة فانها الجماعة واختلف أهل التأويل في مبلغ عددها الذي أريد في هذا الموضع فأما مبلغ عدد العصبة في كلام العرب فقد ذكرناه فيما مضى باختلاف المختلفين فيه والرواية في ذلك والشواهد على الصحيح من قولهم في ذلك بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع فقال بعضهم كانت مفاتحه تنوء بعصبة مبلغ عددها أربعون رجلا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم عن اسمعيل بن سالم عن أبي صالح قوله لتنوء بالعصبة قال أربعون رجلا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لتنوء بالعصبة قال ذكر لنا أن العصبة ما بين العشرة الى الأربعين حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله لتنوء بالعصبة أولي القوة يزعمون أن العصبة أربعون رجلا ينقلون مفاتحه من كثرة عددها

حدثني

أنه ظفر بكنز لبعض الملوك الخالية وكان الظفر عندهم طريق التملك أو لعله وصل اليه بالارث من جهات أو بالكسب من جهة المضاربات وغيرها والمفاتح جمع مفتح بكسر الميم وهو ما يفتح به الباب أو جمع مفتح بالفتح وهو الخزانة فمن الناس من طعن في القول الاول لان مال الرجل

الواحد لا يبلغ هذا المبلغ ولو أنا قدرنا بلدة مملوأة من الذهب لكفاها أعداد قليلة من المفاتيح وهذا قال أبو رزين يكفى للكوفة مفتاح واحد وأيضا الكنوز هى الاموال المدفونة فى الارض ولا يتصور لها مفتاح أجاب الناصرون للقول الاول وهو اختيار ابن عباس والحسن أن المال اذا كان من جنس العروض لا من جنس النقود جاز أن يبلغ فى الكثرة الى هذا الحد وأيضا ماروى أن مفاتيحه كانت من جلود الابل وكل مفتاح اصبع ولكل خزانة مفتاح وكان اذا ركب حملت المفاتيح ستون بغلا غير مذكور فى القرآن فالصواب ان يفسر قوله لتنوء اى تنهض متثاقلا بأن تلك الخزائن يعسر ضبطها ومعرفتها على أهل القوة فى الحساب وقريب منه قول أبى مسلم ان المراد من المفاتح العلم والاحاطة كقوله وعنده مفاتح الغيب والمراد أن حفظها والاطلاع عليها يثقل على العصبة أولى القوة والمتانة فى الرأى وظاهر الكنوز وان كان من جهة العرف هو المال المدفون الا أنه قد يقع على المال المجموع فى المواضع التى عليها أغلاق وأيضا لا استبعاد فى أن يكون موضع المال المدفون بيتا تحت الارض له غلق ومفتاح معه و (لا تفرح) كقوله ولا تفرحوا بما آتاكم وذلك أنه لا يفرح بالدنيا الا من اطمأن ورضى بها قال ابن عباس كان حبه ذلك شركا لانه ما كان يخاف معه عقوبة الله تعالى (وابتغ فيما آتاك الله) من المال والثروة (الدار الآخرة) يعنى أسباب حصول سعاداتها من أصناف الخيرات والمبرات الواجبة والمندوبة فان ذلك هو نصيب المؤمن من الدنيا دون الذى يأكل ويشرب والى هذا أشار بقوله (ولا تنس نصيبك من الدنيا) ويحتمل أن يراد به اللذات المباحة وحين أمروه بالاحسان المالى أمروه بالاحسان مطلقا ويدخل فيه الاحسان بالمال والجاه وطلاقة الوجه وحسن الغيبة والحضور وفى قوله (كما أحسن الله اليك) اشارة الى قوله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم والى ما قال الحكماء المكافأة فى الطبيعة واجبة و (الفساد فى الارض) المنهى عنه هو ما كان عليه من الظلم والبغى وهذا القائل موسى عليه السلام أو مؤمن قومه وهو ظاهر اللفظ وكيف كان فقد جمع فى هذه الالفاظ من الوعظ مالو قبل لم يكن

حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة قال أربعون رجلا • وقال آخرون ستون وقال كانت مفاتحه تحمل على ستين بغلا حدثنا كذلك ابن وكيع قال ثنا أبى عن الأعمش عن خيثمة • وقال آخرون كانت تحمل على ما بين ثلاثة الى عشرة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جابر بن نوح عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس لتنوء بالعصبة قال العصبة ثلاثة حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال ثنا أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس لتنوء بالعصبة قال العصبة ما بين الثلاثة الى العشرة • وقال آخرون كانت تحمل ما بين عشرة الى خمسة عشر ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة قال العصبة ما بين العشرة الى الخمسة عشر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد لتنوء بالعصبة قال العصبة خمسة عشر رجلا وقوله أولى القوة يعنى أولى الشدة وقال مجاهد فى ذلك ما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أولى القوة قال خمسة عشر فان قال قائل وكيف قيل وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة وكيف تنوء المفاتح بالعصبة وانما العصبة هى التى تنوء بها قيل اختلف فى ذلك أهل العلم بكلام العرب فقال بعض أهل البصرة مجاز ذلك ما ان العصبة ذوى القوة لتنوء بمفاتح نعمه قال ويقال فى الكلام انها لتنوء بها عجيزتها وانما هو تنوء بعجيزتها كما ينوء البعير بحمله قال والعرب قد تفعل مثل هذا قال الشاعر

فديت بنفسه نفسى ومالى • وما آلوك الا ما أطيق

والمعنى فديت بنفسى وبمالى نفسه وقال آخر

وتركب خيلا لا هوادة بينها • وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر

وانما تشقى الضياطرة بالرماح قال والخيل ههنا الرجال • وقال آخرون منهم ما ان مفاتحه قال وهذا موضع لا يكاد يبتدأ فيه ان وقد قال ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم وقوله لتنوء بالعصبة انما العصبة تنوء بها وفى الشعر • تنوء بها فتثقلها عجيزتها • وليست العجيزة تنوء بها ولكنها هى تنوء بالعجيزة وقال الأعشى

ما كنت فى الحرب العوان معمرا • اذ شب حر وقودها أجذالها

وكان بعض اهل العربية من الكوفيين ينكر هذا الذى قاله هذا القائل وابتداء ان بعدما ويقول ذلك جائز مع ما ومن وهو مع ما ومن أجود منه مع الذى لان الذى لا يعمل فى صلته ولا تعمل صلته فيه فلذلك جاز وصارت الجملة عائدة اذ كانت لا تعمل فى ما ولا تعمل ما فيها قال وحسن مع ما ومن لانهما يكونان بتأويل النكرة ان شئت والمعرفة ان شئت فتقول ضربت رجلا ليقومن وضربت رجلا انه لمحسن فتكون من وما تأويل هذا ومع الذى أقبح لانه لا يكون بتأويل النكرة

عليه مزيدا لكنه أبى أن يقبل بل تلقى النصح بكفران النعمة قائلا (انما أوتيته على علم عندى) قال قتادة ومقاتل والكلبى كان فارون أقرأ بنى اسرائيل للتوراة فقال انما أوتيته لفضل علمى واستحقاقى لذلك وقال سعيد بن المسيب والضحاك ان موسى أنزل عليه الكيمياء من السماء فعلم قارون ثلث العلم و يوشع ثلثه (٧٠) وطالوت ثلثه فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما الى علمه وكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا وقيل أراد علمه بوجوه المكاسب والتجارات وقيل أراد ان الله أعطانى ذلك على علم له تعالى بحالى و باستئهالى لذلك وقوله عندى الامر كذلك أى فى اعتقادى و فى ظنى فأجابه الله تعالى بقوله (أولم يعلم) الآية قال علماء المعانى يجوز أن يكون المعنى بالاستفهام اثباتا لعلمه لانه قد قرأ فى التوراة أخبار الامم السالفة والقرون الخالية وحفظها من موسى وغيره فكأنه قيل انه قد علم ذلك فلم اغتر بكثرة ماله وأعوانه ويجوز أن يراد به نفى العلم لانه لما تحدى بكونه من أهل العلم حيث قال على علم عندى و بخه الله تعالى أنه لم يعلم هذا العلم النافع حتى يتقى به نفسه مصارع الهلكى ووجه اتصال قوله (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) بما قبله أنه تعالى اذا عاقب المجرمين فلا حاجة الى أن يسألهم عن كيفية ذنوبهم وكميتها لانه عالم بكل المعلومات وقال أبو مسلم أراد أنهم لا يسئلون سؤال استيقان وانما يسئلون سؤال تقريع ومحاسبة (فخرج على قومه فى زينته) عن الحسن فى الحمرة والصفرة وقيل خرج على بغلة شهباء عليه ثوب أحمر أرجوانى وعلى البغلة سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلى والثياب الفاخرة وقيل فى تسعين ألفا عليهم الثياب الصفر قال الراغبون فى الحياة العاجلة (ياليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم) والحظ الجد والبخت عن قتادة كانوا مسلمين تمنوا ذلك رغبة فى الانفاق فى سبيل الخير وقال آخرون كانوا كفارا وقد مر فى سورة النساء تحقيق الغبطة والحسد فى قوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض (وقال الذين أوتوا العلم) أحوال

وقال آخرمنهم فى قوله لتنوء بالعصبة نوءها بالعصبة أن تثقلهم وقال المعنى ان مفاتحه لشىء العصبة تميلهن من ثقلها فاذا أدخلت الباء قلت نوء بهم كما قال أتونى أفرغ عليه قطرا قال والمعنى أتونى بقطر أفرغ عليه فاذا حذفت الباء زدت على الفعل ألفا فى أوله ومثله فأجاءها المخاض معناه بالباء المخاض وقال قد قال رجل من أهل العربية ما ان العصبة تنوء بمفاتحه فحول الفعل الى المفاتح كما قال الشاعر

ان سراجا لكريم مفخره ◦ تحلى به العين اذا ما تجهره

وهو الذى يحلى بالعين قال فان كان سمع أثرا بهذا فهو وجه والا فان الرجل جهل المعنى قال وأنشدنى بعض العرب

حتى اذا ما التأمت مفاصله ◦ وناء عن شق الشمال كاهله

يعنى الرامى لما أخذ القوس ونزع مال عليها قال وترى أن قول العرب ماساءك وناءك من ذلك ومعناه ماساءك وأناءك من ذلك الا أنه ألقى الألف لانه متبع لساءك كما قالت العرب أكلت طعاما فهنأنى ومرأنى ومعناه اذا أفردت وأمرأنى فحذفت منه الالف لما أتبع ما ليس فيه ألف وهذا القول الآخر فى تأويل قوله لتنوء بالعصبة أولى بالصواب من الأقوال الأخر لمعنيين أحدهما أنه تأويل موافق لظاهر التنزيل والثانى أن الآثار التى ذكرنا عن أهل التأويل بنحو هذا المعنى جاءت وأن قول من قال معنى ذلك ما ان العصبة لتنوء بمفاتحه انما هو توجيه منهم الى أن معناه ما ان العصبة لتنهض بمفاتحه واذا وجه الى ذلك لم يكن فيه من الدلالة على أنه أريد به الخبر عن كثرة كنوزه على نحو ما فيه اذا وجه الى أن معناه ان مفاتحه تثقل العصبة وتميلها لانه قد تنهض العصبة بالقليل من المفاتح و بالكثير وانما قصد جل ثناؤه الخبر عن كثرة ذلك واذا أريد به الخبر عن كثرته كان لا شك أن الذى قاله من ذكرنا قوله من أن معناه لتنوء العصبة بمفاتحه قول لا معنى له هذا مع خلافه تأويل السلف فى ذلك وقوله اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين يقول اذ قال قومه لا تبغ ولا تبطر فرحا ان الله لا يحب من خلقه الأشرين البطرين ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ان الله لا يحب الفرحين يقول المرحين حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين قال المتبذخين الاشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن جابر قال سمعت مجاهدا يقول فى هذه الآية ان الله لا يحب الفرحين قال الاشرين البطرين البذخين حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام عن مجاهد فى قوله لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين قال يعنى به البغى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين قال المتبذخين الأشرين الذين لا يشكرون الله فيما أعطاهم حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله الا أنه قال (٣) المتبذخين حدثنا محمد بن عبد الله المخرمى قال ثنى شبابة قال ثنى ورقاء

الدنيا وأنها عند الآخرة كلا شئ (ويلكم) وأصله الدعاء بالهلاك الا أنه قد يستعمل فى الردع والزجر بطريق النصح والاشفاق والضمير فى قوله (ولا يلقاها) عائد الى الكلمة المذكورة وهى قوله ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا أو الى الثواب بمعنى المثوبة أو بتأويل الجنة أو الى السيرة والطريقة أى لا يلزم هذه السيرة (الا الصابرون) على الطاعات وعن الشهوات (٧١) وعلى ما قسم الله وحكم به من الغنى وضده وظاهر

عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين قال الاشرين البطرين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اذ قال له قومه لا تفرح أى لا تمرح ان الله لا يحب الفرحين أى ان الله لا يحب المرحين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين قال الاشرين البطرين الذين لا يشكرون الله فيما أعطاهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام عن مجاهد فى قوله اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين قال هو فرح البغى ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض ان الله لا يحب المفسدين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل قوم قارون له لا تبغ يا قارون على قومك بكثرة مالك والتمس فيما آتاك الله من الاموال خيرات الآخرة بالعمل فيها بطاعة الله فى الدنيا وقوله ولا تنس نصيبك من الدنيا يقول ولا تترك نصيبك وحظك من الدنيا أن تأخذ فيها بنصيبك من الآخرة فتعمل فيه بما ينجيك غدا من عقاب الله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك يقول لا تترك أن تعمل لله فى الدنيا حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن سفيان عن الأعمش عن ابن عباس ولا تنس نصيبك من الدنيا قال أن تعمل فيها لآخرتك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا قرة بن خالد عن عون ابن عبد الله ولا تنس نصيبك من الدنيا قال ان قوما يضعونها على غير موضعها ولا تنس نصيبك من الدنيا تعمل فيها بطاعة الله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عبد الله بن المبارك عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا تنس نصيبك من الدنيا قال العمل بطاعته حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن ابن جريج عن مجاهد قال تعمل فى دنياك لآخرتك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولا تنس نصيبك من الدنيا قال العمل فيها بطاعة الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن عيسى الحرشى عن مجاهد ولا تنس نصيبك من الدنيا قال أن تعمل فى دنياك لآخرتك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن مجاهد قال العمل طاعة الله نصيبه من الدنيا الذى يثاب عليه فى الآخرة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تنس نصيبك من الدنيا قال لا تنس أن تقدم من دنياك لآخرتك فانما تحدق آخرتك ما قدمت فى الدنيا فيما رزقك الله . وقال آخرون بل معنى ذلك لا تترك أن تطلب فيما حفظك من الرزق ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تنس نصيبك من الدنيا قال الحسن ما أحل الله لك منها فان لك فيه غنى وكفاية حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن حميد المعمرى عن معمر عن قتادة ولا تنس نصيبك من الدنيا قال طلب الحلال حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص عن أشعث عن الحسن ولا تنس نصيبك من الدنيا

حال قارون بنى عن أنه كان ذا أشر وبطر واستخفاف بحقوق الله واستهانة بنبيه وكتابه فلاجرم خسف الله به وبداره الارض الا أن المفسرين فصلوا فقالوا كان يؤذى نبى الله موسى وهو يداريه للقرابة التى كانت بينهما حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف درهم على درهم فحسبه فاستكثر فشحت به نفسه فجمع بنى اسرائيل وقال ان موسى يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فمرنا بما شئت فقال ائتوا الى فلانة البغى حتى ترميه بنفسها فى جمع بنى اسرائيل فجعل لها ألف دينار أو طستا مملوأ من ذهب فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يا بنى اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وان أحصن رجمناه فقال قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال فان بنى اسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فأحضرت فناشدها موسى بالذى فلق البحر وأنزل التوراة أن تصدق فتداركها الله فقالت كذبوا بل جعل لى قارون جعلا على أن أقذفك بنفسى فخر موسى ساجدا يبكى وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لى فأوحى اليه أن مر الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال يا بنى اسرائيل ان الله قد بعثنى الى قارون كما بعثنى الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معى فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فأخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فأخذتهم الى الاعناق وقارون وأصحابه يتضرعون الى موسى وينا شدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فأوحى الله الى موسى ما أفظك استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم أما وعزتى لو اياى دعوا مرة واحدة لوجدونى

قريبا عجيبا قلت لعل استغاثته كانت مقرونة بالتوبة والا فالعتاب بعيد ثم ان بني اسرائيل أصبحوا يتناجون بينهم انما دعا موسى على قارون ليستفيد داره وكنوزه فدعا الله حتى خسف بداره وأمواله ومعنى من المنتصرين من المنتقمين من موسى أو من الممتنعين من عذاب الله (وأصبح الذين تمنوا مكانه) أي منزلته من الدنيا (٧٣) وأسبابها (بالأمس) أي بالزمان المتقدم (يقولون) راغبين في طاعة الله والرضا بقضائه وقسمته (ويكأن الله) من قرأ وى مفصولة عن كأن وهو مذهب الخليل وسيبويه فهي كلمة تنبيه على الخطأ وتندم كأنهم تنبهوا على خطئهم في تمنيهم وتندموا ثم قالوا (كأنه لا يفلح الكافرون) أي ما أشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون الفلاح نظير هذا الاستعمال قول الشاعر

ويكأن من يكن له نشب يحـ ـبب ومن يفتقر يعش عيش ضر

وعند الكوفيين ويك بمعنى ويلك أي ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون حكى هذا القول قطرب عن يونس وجوز جار الله أن تكون الكاف كاف الخطاب مضمومة الى وى واللام مقدر قبل أن ليبان المقول لاجله هذا القول والتعليل أي لانه لا يفلح الكفار كان ذلك الخسف قال في الكشاف قوله (تلك) تعظيم للدار الآخرة وتفخيم لشأنها يعني تلك التي سمعت ذكرها وبلغك وصفها قلت يحتمل أن يكون للتبعيد حقيقة وفي قوله (لا يريدون) دون أن يقول يتركون زجر عظيم ووعظ بليغ كقوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا حيث علق الوعيد بالركون عن علي ان الرجل يعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحته ومن الناس من رد العلو الى فرعون والفساد الى قارون لقوله تعالى ان فرعون علا في الارض وقال في قصة قارون ولا تبغ الفساد في الارض وضعف هذا التخصيص بين لقوله في خاتمة الآية (والعاقبة للمتقين) قوله (من جاء بالحسنة) الآية قدمر تفسير مثله في آخر الانعام وفي آخر النمل وقوله (فلا يجزى الذين عملوا السيئات) من وضع الظاهر موضع المضمر اذ كان يكفي أن يقال فلا تجزون الا بما كنتم تعملون فضل تهجين لحالهم باسناد عمل السيئات اليهم مكررا وفي ذلك لطف للسامعين في زيادة تبغيض السيئة الى قلوبهم ثم أراد أن يصل بهذا

قال قدم الفضل وأمسك ما يبلغك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال الحلال فيها وقوله وأحسن كما أحسن الله اليك يقول وأحسن في الدنيا اتباق مالك الذي آتاك الله في وجوهه وسبله كما أحسن الله اليك فوسع عليك منه وبسط لك فيها ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأحسن كما أحسن الله اليك قال أحسن فيما رزقك الله ولا تبغ الفساد في الارض يقول ولا تلتمس ما حرم الله عليك من البغي على قومك ان الله لا يحب المفسدين يقول ان الله لا يحب بغاة البغي والمعاصي ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴾ (قال انما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) يقول تعالى ذكره قال قارون لقومه الذين وعظوه انما أوتيت هذه الكنوز على فضل علم عندي علمه الله مني فرضي بذلك عني وفضلني بهذا المال عليكم لعلمه بفضلي عليكم ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال انما أوتيته على علم عندي قال على خير عندي قال حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انما أوتيته على علم عندي قال لولا رضا الله عني ومعرفته بفضل ما أعطاني هذا وقرأ أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا الآية وقد قيل ان معنى قوله عندي بمعنى أرى كأنه قال انما أوتيته لفضل علمي فيما أرى وقوله أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا يقول جل ثناؤه أولم يعلم قارون حين زعم أنه أوتي الكنوز لفضل علم عنده علمته أنا منه فاستحق بذلك أن يؤتى ما أوتي من الكنوز أن الله قد أهلك من قبله من الامم من هو أشد منه بطشا وأكثر جمعا للاموال ولو كان الله يؤتي الاموال من يؤتيه لفضل فيه وخير عنده ولرضاه عنه لم يكن يهلك من أهلك من أرباب الاموال الذين كانوا أكثر منه مالا لأن من كان الله عنه راضيا فمحال أن يهلكه الله وهو عنه راض وانما يهلك من كان عليه ساخطا وقوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون قيل ان معنى ذلك أنهم يدخلون النار بغير حساب ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا سفيان عن معمر عن قتادة ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون قال يدخلون النار بغير حساب وقيل معنى ذلك ان الملائكة لا تسأل عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون كقوله يعرف المجرمون بسيماهم زرقا سود الوجوه والملائكة لا تسأل عنهم قد عرفتهم وقيل معنى ذلك ولا يسئل عن ذنوب هؤلاء الذين أهلكهم من الأمم الماضية المجرمون فيم أهلكوا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون قال عن ذنوب الذين مضوا فيم أهلكوا فالهاء والميم في قوله عن ذنوبهم على هذا التأويل لمن الذي في قوله أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وعلى التأويل الاول الذي

فى خاتمة السورة فقال (ان الذى فرض عليك القرآن) أى أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه (لرادك الى معاد) وأى معاد فتنكير المعاد للتعظيم وأنه ليس لغيره من البشر مثله يعنى ان الذى حملك صعوبة تكليف التبليغ وما يتصل به لمثيبك عليها ثوابا لا يحيط به الوصف وقيل أراد عوده الى مكة يوم الفتح ووجه التنكير ظاهر لان مكة يومئذ كانت معاد اله شأن لغلبة المسلمين وظهور عز الاسلام وأهله وذل أهل الشرك وحزبه والسورة مكية فقيل وعده وهو بمكة فى أذى من أهلها أنه مهاجر بالنبى منها ويعيده اليها فى ظفر ودولة وقيل نزلت عليه هذه الآية حين بلغ الجحفة فى مهاجره وقد اشتاق الى وطنه وفى الآية اخبار عن الغيب وقد وقع كما أخبر فيكون فيه اعجاز دال على نبوته وحين وعد رسوله الرد الى المعاد المعتبر قال (قل) لأهل الشرك (ربى أعلم) يعنى نفسه واياهم بما يستحقه كل من الفريقين فى معاده ولا يخفى أن هذا كلام منصف واثق بصدقه وحقيته ثم ذكر رسوله ما أنعم به عليه فقال (وما كنت ترجوا أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة) قال أهل العربية هذا الاستثناء محمول على المعنى كأنه قيل وما ألقى اليك الكتاب الا لأجل الرحمة أو الا بمعنى لكن أى ولكن لرحمة من ربك ألقى اليك ثم نهاه عن اتباع أهواء أهل الشرك وقد مر مرارا أن مثل هذا النهى من باب التهييج له ولأمته ثم ان مرجع الكل اليه فقال (كل شئ هالك الا وجهه) فمن الناس من فسر الهلاك بالعدم أى يعدم كل شئ سواه والوجه يعبر به عن الذات ومنهم من فسر الهلاك بخروجه عن كونه منتفعا به منفعته الخاصة به اما بالاماتة أو بتفريق الاجزاء كما يقال هلك الثوب وهلك المتاع وقال أهل التحقيق معنى الهلاك كونه فى حيز الامكان

مجاهد وقتادة للمجرمين وهى بأن تكون من ذكر المجرمين أولى لان الله تعالى ذكره غير سائل عن ذنوب مذنب غير من أذنب لا مؤمن ولا كافر فاذ كان ذلك كذلك فمعلوم أنه لا معنى لخصوص المجرمين لو كانت الهاء والميم اللتان فى قوله عن ذنوبهم لمن الذى فى قوله من هو أشد منه قوة من دون المؤمنين يعنى لانه غير مسؤل عن ذلك مؤمن ولا كافر الا الذين ركبوه واكتسبوه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم﴾ يقول تعالى ذكره فخرج قارون على قومه فى زينته وهى فيما ذكر ثياب الأرجوان ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا طلحة بن عمرو عن أبى الزبير عن جابر فخرج على قومه فى زينته قال فى القرمز * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عثمان بن الاسود عن مجاهد فخرج على قومه فى زينته قال فى ثياب حمر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الاحمر عن عثمان بن الاسود عن مجاهد فخرج على قومه فى زينته قال على براذين بيض عليها سروج الارجوان عليهم المعصفرات حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فخرج على قومه فى زينته قال عليه ثوبان معصفران * وقال ابن جريج على بغلة شهباء عليها الأرجوان وثلثمائة جارية على البغال الشهب عليهن ثياب حمر حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى ويحيى بن يمان عن مبارك عن الحسن فخرج على قومه فى زينته قال فى ثياب حمر وصفر حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك أنه سمع ابراهيم النخعى قال فى هذه الآية فخرج على قومه فى زينته قال فى ثياب حمر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا شعبة عن سماك عن ابراهيم النخعى مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا غندر قال ثنا شعبة عن سماك عن ابراهيم مثله حدثنا محمد بن عمرو بن على المقدمى قال ثنا اسمعيل بن حكيم قال دخلنا على مالك بن دينار عشية واذا هو فى ذكر قارون قال واذا رجل من جيرانه عليه ثياب معصفرة قال فقال مالك فخرج على قومه فى زينته قال فى ثياب مثل ثياب هذا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فخرج على قومه فى زينته ذكر لنا أنهم خرجوا على أربعة آلاف دابة عليهم وعلى دوابهم الأرجوان حدثنى يونس قال اخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فخرج على قومه فى زينته قال خرج فى سبعين ألفا عليهم المعصفرات فيما كان أبى يذكر لنا قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون يقول تعالى ذكره قال الذين يريدون زينة الحياة الدنيا من قوم قارون ياليتنا أعطينا مثل ما أعطى قارون من زينتها انه لذو حظ عظيم يقول ان قارون لذو نصيب من الدنيا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون﴾ يقول تعالى ذكره وقال الذين أوتوا العلم بالله حين رأوا قارون خارجا عليهم فى زينته للذين قالوا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون ويلكم اتقوا الله وأطيعوه فثواب الله وجزاؤه لمن آمن به وبرسله وعمل بما جاءت به رسله من صالحات الأعمال فى الآخرة خير مما أوتى قارون من زينته ومال لقارون وقوله ولا يلقاها الا الصابرون يقول ولا يلقاها أى ولا يوفق لقبول هذه الكلمة وهى قوله ثواب الله خير لمن آمن

(١٠ - (ابن جرير) - العشرون) غير مستحق للوجود ولا للعدم من عند ذاته وان سميت المعدوم شيأ فمتنع الوجود أحق كل شئ بأن يسمى هالكا استدلت المعتزلة بالآية على أن الجنة والنار غير مخلوقتين لانهما لو كانتا مخلوقتين لعرض لهما الفناء بحكم الآية وهذا ينافض قوله أكلها دائم وعورض بقوله أعدت للمتقين وأعدت للكافرين ويحتمل أن يقال الكل بمعنى الاكثر ومن هناك قال الضحاك

كل شئ هالك الا الله والعرش والجنة والنار وقيل الا العلماء فان علمهم باق ويمكن أن يقال ان زمان فناء الجنة لما كان قليلا بالنسبة الى زمان بقائها فلا جرم أطلق لفظ الدوام عليه ومن فسر الهلاك بالامكان فلا اشكال والله أعلم ﴿ التأويل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل الفراق عند استيلاء ظلمة البشرية سرمدا من اله غير الله يأتيكم بضياء نهار الوصل والتجلى قل أرأيتم ان جعل الله عليكم نهار الوصل بطلوع شمس التجلى سرمدا من اله غير الله يأتيكم بليل سر تسكنون فيه عن وعثاء سطوة التجلى ومن رحمته جعل لكم ليل السر ونهار التجلى فان العاشق لو دام فى التجلى كاد يستهلك وجوده وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول انه ليغان على قلبى وقال لعائشة كلمينى ياحميراء وذلك لتخرجه من سطوات شمس التجلى الى سر ظل البشرية ليستريح من التعب والنصب وليس هذا السر من قبيل الحجاب وانما هو من جملة الرحمة واللطف نظيره الشمس فى عالم الصورة فانها فى خط الاستواء تحرق وفى الآفاق الرحوية لا تؤثر وفى الآفاق الحملية يعتدل الحر والبرد فتكثر العمارة وتسهل وتعيش الحيوان ونزعنا من كل أمة من أرباب النفوس شهيدا هو القلب الحاضر فقلنا هاتوا برهانكم وهو حقيقة التوحيد التى لا تحصل بالفعل الا بجذبة خطاب الحق فعلموا بتلك البراهين القاطعة أن الحق هو ان قارون النفس كان من قوم موسى القلب لان الله تعالى جعل النفس تبعا للقلب وجعل سعادتها فى متابعته وآتياه من الكنوز المودعة فى صفاتها قد أهلك من قبله من القرون كابليس فانه أكثر علما وطاعة فى زينته هى التى زين حبها للناس من النساء والبنين وغير ذلك قال الذين يريدون الحياة الدنيا وهم صفات النفس وقال الذين أوتوا العلم وهم صفات الروح فخسفنا به الارض دركات السفل وبداره وهى قالبه أرض جهنم يتقلقل فيها الى يوم القيامة بل الى الابد نجعلها للذين لا يريدون كما قال فى بعض الكتب قالت المنزلة عبدى أنا ملك حى لا أموت أبدا أطعنى أجعلك ملكا حيا لا تموت أبدا عبدى أنا ملك اذا قلت لشئ كن فيكون أطعنى أجعلك ملكا اذا قلت لشئ كن فيكون وعن النبى صلى الله عليه وسلم عنوان كتاب الله الى عباده المؤمنين من الملك الحى الذى لا يموت الى الملك الحى الذى لا يموت ان الذى فرض أى أوجب عليك التخلق بخلق القرآن لرادك الى معاد هو مقام الفناء فى الله والبقاء به قل ربى أعلم من جاء

وعمل صالحا والصابرون هو الالف كناية عن الكلمة وقال الا الصابرون يعنى بذلك الذين صبروا عن طلب زينة الحياة الدنيا وآثروا ما عند الله من جزيل ثوابه على صالحات الاعمال على لذات الدنيا وشهواتها فجدوا فى طاعة الله ورفضوا الحياة الدنيا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ﴾ يقول تعالى ذكره فخسفنا بقارون وأهل داره وقيل وبداره لانه ذكر أن موسى اذ أمر الارض تأخذه أمرها فأخذه وأخذ من كان معه من جلسائه فى داره وكانوا جماعة جلوسا معه وهم على مثل الذى هو عليه من النفاق والموازرة على أذى موسى ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال أخبرنا الأعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحرث عن ابن عباس قال لما نزلت الزكاة أتى قارون موسى فصالحه على كل ألف دينار دينارا وكل ألف شئ شيأ أو قال وكل ألف شاة شاة «الطبرى بشك» قال ثم أتى بيته فحسبه فوجده كثيرا فجمع بنى اسرائيل فقال يا بنى اسرائيل ان موسى قد أمركم بكل شئ فأطعتموه وهو الآن يريد أن يأخذ من أموالكم فقالوا أنت كبيرنا وأنت سيدنا فمرنا بما شئت فقال أمركم أن تجيؤا ببغلانة البغى فتجعلوا لها جعلا فتقذفه بنفسها فدعوها فجعل لها جعلا على أن تقذفه بنفسها ثم أتى موسى فقال لموسى ان بنى اسرائيل قد اجتمعوا لتأمرهم ولتنهاهم فخرج اليهم وهم فى براح من الارض فقال يا بنى اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مائة ومن زنى وله امرأة جلدناه حتى يموت أو نرجمناه حتى يموت «الطبرى بشك» فقال له قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال فان بنى اسرائيل يزعمون أنك فجرت ببغلانة قال ادعوها فان قالت فهو كما قالت فلما جاءت قال لها موسى يا فلانة قالت بأبيك قال أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء قالت لا وكذبوا ولكن جعلوا لى جعلا على أن أقذفك بنفسى فوثب فسجد وهو بينهم فأوحى الله اليه مر الارض بما شئت قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى أقدامهم ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى ركبهم ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى حقيهم ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى أعناقهم قال فجعلوا يقولون يا موسى يا موسى ويتضرعون اليه قال يا أرض خذيهم فانطبقت عليهم فأوحى الله اليه يا موسى يقول لك عبادى يا موسى فلا ترحمهم أما لو اياى دعوا لوجدونى قريبا مجيبا قال فذلك قول الله فخرج على قومه فى زينته وكانت زينته أنه خرج على دواب شقر عليها سروج حمر عليهم ثياب مصبغة بالبهرمان قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون الى قوله انه لا يفلح الكافرون يا محمد تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش عن المنهال عن رجل عن ابن عباس قال لما أمر الله موسى بالزكاة قال رءوه بالزنا فجزع من ذلك فأرسلوا الى امرأة كانوا قد أعطوها حكمها على أن ترميه بنفسها فلما جاءت عظم عليها وسألها بالذى فلق البحر لبنى اسرائيل وأنزل التوراة على موسى الا صدقت

بالهدى وهو بذل الوجود المجازى فى الوجود الحقيق إلا رحمة من ربك أى إلا أن ألقينا الكتاب اليك القاء الا كسير على النحاس فخلقت بخلق القرآن والله المستعان ﴿سورة العنكبوت وهى مكية حروفها ٤٥٩٥ كلمها ١٩٨١ آياتها ٦٩ آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون من كان يرجوا (٧٥) لقاء الله فان أجل الله لآت وهو السميع العليم ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغنى عن العالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم أوليس الله بأعلم بما فى صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين﴾ ﴿الوقوف الم كوفى لا يفتنون ٥ الكاذبين ٥ يسبقونا ط يحكمون ٥ ج لآت ط العليم ٥ لنفسه ط العالمين ٥ يعملون ٥ حسنا ط فلا تطعهما ط تعملون ٥ الصالحين ٥ كعذاب الله ط معكم ط العالمين ٥ المنافقين ٥ خطاياكم ط شئ ط لكاذبون ٥ مع أثقالهم ط فصلا بين الامرين المعظمين مع اتفاق الجملتين يفترون ٥ عاما ط لحق الحذف أى فلم يؤمنوا فأخذهم الطوفان ط ظالمون ٥ للعالمين ٥ ﴿التفسير انه سبحانه لما قال فى خواتيم السورة المتقدمة ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد أى الى مكة ظاهرا ظافرا وكان فى ذلك الرد من احتمال مشاق الحوادث ما كان قال هنا (الم أحسب الناس) الى قوله (وهم لا يفتنون) بالجهاد أو بقول لما أمر بالدعاء الى الدين القويم فى قوله وادع الى ربك وكان دونه من

قالت اذ قد استحلفتنى فانى أشهد أنك برىء وأنك رسول الله فخر ساجدا يبكى فأوحى الله اليه تبارك وتعالى ما يبكيك فقد سلطناك على الارض فمرها بما شئت فقال خذيهم فأخذتهم الى ما شاء الله فقالوا يا موسى يا موسى فقال خذيهم فأخذتهم الى ما شاء الله فقالوا يا موسى يا موسى فخسفتهم قال وأصاب بنى اسرائيل بعد ذلك شدة وجوع شديد فأتوا موسى فقالوا ادع لنا ربك قال فدعا لهم فأوحى الله اليه يا موسى أتكلمنى فى قوم قد أظلم ما بينى وبينهم خطاياهم وقد دعوك فلم تجبهم أما اياى أردت لأجبتهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس خسفنا به وبداره الارض قال قيل للارض خذيهم فأخذتهم الى أعقابهم ثم قيل لها خذيهم فأخذتهم الى ركبهم ثم قيل لها خذيهم فأخذتهم الى أحقائهم ثم قيل لها خذيهم فأخذتهم الى أعناقهم ثم قيل لها خذيهم فخسف بهم فذلك قوله فخسفنا به وبداره الارض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا على بن هاشم بن البريد عن الأعمش عن المنهال عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس فى قوله ان قارون كان من قوم موسى قال كان ابن عمه وكان موسى يقضى فى ناحية بنى اسرائيل وقارون فى ناحية قال فدعا بغية كانت فى بنى اسرائيل فجعل لها جعلا على أن ترمى موسى بنفسها فتركته اذا كان يوم تجتمع فيه بنو اسرائيل الى موسى أتاه قارون فقال يا موسى ما حد من سرق قال أن تقطع يده قال وان كنت أنت قال نعم قال فما حد من زنى قال أن يرجم قال وان كنت أنت قال نعم قال فانك قد فعلت قال ويلك بمن قال بفلانة فدعاها موسى فقال أنشدك بالذى أنزل التوراة أصدق قارون قالت اللهم اذ نشدتنى فانى أشهد أنك برىء وأنك رسول الله وأن عدو الله قارون جعل لى جعلا على أن أرميك بنفسى قال فوثب موسى فخر ساجدا له فأوحى الله اليه أن ارفع رأسك فقد أمرت الارض أن تطيعك فقال موسى يا أرض خذيهم فأخذتهم حتى بلغوا الحقو قال يا موسى قال خذيهم فأخذتهم حتى بلغوا الصدور قال يا موسى قال خذيهم قال فذهبوا قال فأوحى الله اليه يا موسى استغاث بك فلم تغثه أما لو استغاث بى لأجبته ولأغثته حدثنا بشر بن هلال الصواف قال ثنا جعفر بن سليمن الضبعى قال ثنا على بن زيد ابن جدعان قال خرج عبد الله بن الحرث من الدار ودخل المقصورة فلما خرج منها جلس وتساند عليها وجلسنا اليه فذكر سليمن بن داود وقال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين الى قوله ان ربى غنى كريم ثم سكت عن ذكر سليمن فقال ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وكان قد أوتى من الكنوز ما ذكر الله فى كتابه ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة قال انما أوتيته على علم عندى قال وعادى موسى وكان مؤذيا له وكان موسى يصفح عنه ويعفو للقرابة حتى بنى دارا وجعل باب داره من ذهب وضرب على جدرانه صفائح الذهب وكان الملأ من بنى اسرائيل يغدون عليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضحكونه فلم تدعه شقوته والبلاء حتى أرسل الى امرأة من بنى اسرائيل مشهورة بالخنا مشهورة بالسب فأرسل اليها فجاءته

المتاعب وأعباء الرسالة مالا يخفى بدأ السورة بما يهون على النفس بعض ذلك وأيضا لما بين أن كل هالك له رجوع اليه رد على منكرى الحشر بأن الامر ليس على ما حسبوه ولكنهم يكلفون فى دار الدنيا ثم يرجعون الى مقام الجزاء والحساب قال أهل البرهان وقوع الاستفهام مع ألم يدل على استقلالها وانقطاعها عما بعدها فى هذه السورة وفى غيرها من السور وفى تصدير السورة بأمثال هذه الحروف تنبيه للمخاطب وايقاظ له من سنة الغفلة كما يقدم لذلك كلام (٧٦) له معنى مفهوم كقول القائل اسمع وكن لى ولا يقدم إلا اذا كان فى الحديث شئ

و بالخطاب اهتمام ولهذا ورد بعد هذه الحروف ذكر الكتاب أو التنزيل أو القرآن الذى لا يخفى غناؤه والاهتمام بشأنه كقوله الم ذلك الكتاب الم الله لا اله إلا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب المص كتاب أنزل اليك يس والقرآن ص والقرآن الم تنزيل الكتاب إلا ثلاث سور كهيعص الم أحسب الناس الم غلبت الروم ولا يخفى أن ما بعد حروف التهجى فيها من الامور العظام التى يحق أن ينبه عليها ببيانه فى هذه السورة أن القرآن ثقله وعبؤه بما فيه من التكاليف و بيانه فى سورة مريم ظاهر لان خلق الولد فيما بين الشيخ الفانى والعجوز العاقر معجز وكذا الاخبار عن غلبة الروم قبل وقوعها ومعنى الآية راجع الى أن الناس لا يتركون بمجرد التلفظ بكلمة الايمان بل يؤمرون بأنواع التكاليف واختلفوا فى سبب نزولها فقيل نزلت فى عمار بن ياسر والوليد ابن الوليد وسلمة بن هشام وكانوا يعذبون بمكة وقيل نزلت فى أقوام هاجروا وتبعهم الكفار فاستشهد بعضهم ونجا الباقون وقيل فى مهجع ابن عبد الله مولى عمر بن الخطاب وهو أول قتيل من المسلمين رماه عامر بن الحضرمى يوم بدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة قال جار الله مفعولا الحسبان الترك وعلته والتقدير أحسبوا تركهم غير

العدو

مفتونين لقولهم آمنا قال والترك بمعنى التصيير فقوله وهم لا يفتنون حال سدت مسد ثانى مفعوليه وقال آخرون تقديره أحسبوا أنهم متروكة غير مفتونين لان قالوا آمنا وأقول ان من خواص أن مع الفعل وأن مع جزأيه سدتها مسد مفعولى أفعال القلوب والحكم بأن الترك ههنا بمعنى التصيير غير لازم يؤيد ما ذكرنا من المعنيين قوله سبحانه فى موضع آخر أم حسبتم أن تتركوا والفتنة الامتحان بشدائد التكليف

فقال هل لك أن أمولك وأعطيك وأخلطك فى نسائى على أن تأتينى والملأ من بنى اسرائيل عندى فتقولى يا قارون ألا تنهى عنى موسى قالت بلى فلما جلس قارون وجاء الملأ من بنى اسرائيل أرسل اليها فجاءت فقامت بين يديه فقلب الله قلبها وأحدث لها توبة فقالت فى نفسها لأن أحدث اليوم توبة أفضل من أن أوذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكذب عدو الله فقالت ان قارون قال لى هل لك أن أمولك وأعطيك وأخلطك بنسائى على أن تأتينى والملأ من بنى اسرائيل عندى فتقولى يا قارون ألا تنهى عنى موسى فلم أجد توبة أفضل من أن لا أوذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكذب عدو الله فلما تكلمت بهذا الكلام سقط فى يدى قارون ونكس رأسه وسكت الملأ وعرف أنه قد وقع فى هلكة وشاع كلامها فى الناس حتى بلغ موسى فلما بلغ موسى اشتد غضبه فتوضأ من الماء وصلى وبكى وقال يا رب عدوك لى مؤذ أراد فضيحتى وشينى يا رب سلطنى عليه فأوحى الله اليه أنى مر الأرض بما شئت تطعك فجاء موسى الى قارون فلما دخل عليه عرف الشر فى وجه موسى له فقال يا موسى ارحمنى قال يا أرض خذيهم قال فاضطربت داره وساحت بقارون وأصحابه الى الكعبين وجعل يقول يا موسى فأخذتهم الى ركبهم وهو يتضرع الى موسى يا موسى ارحمنى قال يا أرض خذيهم قال فاضطربت داره وساخت وخسف بقارون وأصحابه الى سريره وهو يتضرع الى موسى يا موسى ارحمنى قال يا أرض خذيهم فخسف به و بداره و أصحابه قال وقيل لموسى صلى الله عليه وسلم يا موسى ما أفظك أما وعزتى لو إياى نادى لأجبته حدثنى بشر بن هلال قال ثنا جعفر بن سليمن عن أبى عمران الجونى قال بلغنى أنه قيل لموسى لا أعبد الأرض لأحد بعدك أبدا حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى وعبد الحميد الحمانى عن سفيان عن الأغر بن الصباح عن خليفة بن حصين قال عبد الحميد عن أبى نصر عن ابن عباس ولم يذكر ابن مهدى أبا نصر فخسفنا به و بداره الأرض قال الأرض السابعة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال بلغنا أنه يخسف به كل يوم مائة قامة ولا يبلغ أسفل الأرض الى يوم القيامة فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن حبان عن جعفر ابن سليمن قال سمعت مالك بن دينار قال بلغنى أن قارون يخسف به كل يوم مائة قامة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فخسفنا به و بداره الأرض ذكر لنا أنه يخسف به كل يوم قامة وأنه يتجلجل فيها لا يبلغ قعرها الى يوم القيامة وقوله فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله يقول فلم يكن له جند يرجع اليهم ولا فئة ينصرونه لما نزل به من سخطه بل تبرؤا منه وما كان من المنتصرين يقول ولا كان هو ممن ينتصر من الله اذ أحل به نقمته فيمتنع لقوته منها » و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فما كان له من فئة ينصرونه أى جند ينصرونه وما عنده منعة يمتنع بها من الله وقد بينا معنى الفئة فيما مضى وأنها الجماعة من الناس وأصلها الجماعة التى يفىء اليها الرجل عند الحاجة اليهم للعون على

من مفارقة الاوطان وكل مايحب ويستلذ ومن ملاقاة الاعداء والمصابرة على أذاهم وسائر ماتكرهه النفس والتحقيق أن المقصود من خلق البشر هو العبادة الخالصة لله فاذا قال باللسان آمنت فقد ادعى طاعة الله بالجنان فلا بد له من شهود وهو الاتيان بالاركان واذا حصل الشهود فلابد له من مزك وهو بذل النفس والمال فى سبيل الرحمن فمعنى الآية أحسبوا أن يقبل منهم دعواهم بلاشهود وشهود بلامزك أو المراد أحسبوا أن يتركوا فى أول المقامات لا بل ينقلون الى أعلى الدرجات وهو مقام (٧٧) الاخلاص والقربات ثم مثل حال هؤلاء بحال السلف منهم قائلا ولقد فتنا الذين من قبلهم أراد كذلك فعل الله بمن قبلهم لم يتركهم بمجرد قولهم آمنا بل أمرهم بالطاعات وزجرهم عن المنهيات وقوله فليعلمن الله كقوله وليعلم الله وقدم تحقيقه فى آل عمران والحاصل أن التجدد يرجع الى المعلوم لا الى العالم ولا الى العلم وذلك لان الاول زمانى دون الأخيرين وأما عبارات المفسرين فقال مقاتل فليرين الله وليظهرن الله وقيل فليميزن وجوز جار الله أن يكون وعدا ووعيدا كأنه قال وليبين الذين صدقوا وليعاقبن الكاذبين قال الامام فخر الدين الرازى فى وقت نزول الآية كانت الحكاية عن قوم قريبى العهد بالاسلام فى أول ايجاب التكليف وعن قوم مستديمى الكفر مستمرين عليه فقال فى حق الاولين الذين صدقوا بصيغة الفعل المنبئ عن التجدد وقال فى حق الآخرين وليعلمن الكاذبين بالصيغة المنبئة عن الثبات وانما قال يوم ينفع الصادقين صدقهم بلفظ اسم الفاعل لان الصدق يومئذ قد رسخ فى قلوب المؤمنين بخلاف أوائل الاسلام ثم بين بقوله أم حسب الذين الخ أن من كلف بشئ ولم يمتثل عذب فى الحال والا يعذب فى الاستقبال نظيره قوله ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا والحاصل أن الامهال لا يوجب الاهمال والتعجيل فى جزاء الاعمال انما يوجد ممن يخاف الفوت لولا الاستعجال ومعنى الاضراب أن هذا الحسبان أشنع من الحسبان الاول لان ذلك يقدر أنه لا يتحن لايمانه وهذا يظن أنه لا يجازى بمساويه ولهذا ختم الآية بقوله (ساء مايحكمون) والمخصوص محذوف وما موصولة أو موصوفة والتقدير بئس الذى يحكمون حكمهم هذا وبئس حكما يحكمونه حكمهم هذا وفى الآية ابطال قول من ذهب الى ان التكليف ارشادات والا يعاد عليها ترغيب وترهيب ولا يوجب من الله تعذيب واعلم أن أصول الدين ثلاثة معرفة المبدا وأشار اليه بقوله

العدو ثم تستعمل ذلك العرب فى كل جماعة كانت عونا للرجل وظهرا له ومنه قول خفاف

فلم أر حيا لقاحا (١) * وخدل بين فاضحة وعجز
أشد على صروف الدهر ادا * وأمر منهم فئة بصبر

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾ يقول تعالى ذكره وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس من الدنيا وغناه وكثرة ماله وما بسط له منها بالأمس يعنى قبل أن ينزل به ما نزل من سخط الله وعقابه يقولون ويكأن الله * اختلف فى معنى ويكأن الله فأما قتادة فانه روى عنه فى ذلك قولان أحدهما ما حدثنا به ابن بشار قال ثنا محمد بن خالد ابن عثمة قال ثنا سعيد بن بشير عن قتادة قال فى قوله ويكأنه قال ألم تر أنه حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويكأنه أولا ترى أنه وحدثنى اسمعيل بن المتوكل الأشجعى قال ثنا محمد بن كثير قال ثنى معمر عن قتادة ويكأنه قال ألم تر أنه * والقول الآخر ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة فى قوله ويكأن الله يبسط الرزق قال أولم يعلم أن الله ويكأنه أولا يعلم أنه وتأول هذا التأويل الذى ذكرناه عن قتادة فى ذلك أيضا بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة واستشهد لصحة تأويله ذلك كذلك بقول الشاعر

سائلانى الطلاق أن رأتانى * قلّ مالى قد جئتمانى بنكر
ويكأن من يكن له نشب يحـ * ـبب ومن يفتقر يعش عيش ضر

* وقال بعض نحويى الكوفة ويكأن فى كلام العرب تقرير كقول الرجل ألم ترى الى صنع الله واحسانه وذكر أنه أخبره من سمع أعرابية تقول لزوجها أين ابننا فقال ويكأنه وراء البيت معناه ألم ترينه وراء البيت قال وقد يذهب بها بعض النحويين الى أنها كلمتان يريد ويك أنه كأنه أراد ويلك فحذف اللام فتجعل أن مفتوحة بفعل مضمر كأنه قال ويلك اعلم أنه وراء البيت فأضمر اعلم قال ولم نجد العرب تعمل الظن مضمرا ولا العلم وأشباهه فى أن وذلك أنه يبطل اذا كان بين الكلمتين أو فى آخر الكلمة فلما أضمر جرى مجرى المؤخر الا ترى أنه لا يجوز فى الابتداء أن يقول يا هذا أنك قائم ويا هذا أن قمت يريد علمت او أعلم أو ظننت أو أظن وأما حذف اللام من قولك ويلك حتى تصير ويك فقد تقوله العرب لكثرتها فى الكلام قال عنترة

ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها * قول الفوارس ويك عنتر أقدم

قال وقال آخرون ان معنى قوله ويكأن وى منفصلة من كأن كقولك للرجل وى أما ترى ما بين يديك فقال وى ثم استأنف كأن الله يبسط الرزق وهى تعجب وكأن فى معنى الظن والعلم فهذا

---

(١) كذا فى النسخ ولم نقف على البيتين بعد البحث فحررهما اه كتبه مصححه

آمنا ومعرفة الوسط وهو ارسال الرسل وايضاح السبل واليه أشار بقوله وهم لا يفتنون ولقد فتنا ومعرفة المعاد اما للاشقياء وهو قوله ألم أحسب الآية واما للسعداء وهو قوله (من كان يرجو) أى يأمل (لقاء) جزاء (الله فان اجل الله لآت) فان أراد بالاجل الموت ففيه اشارة الى بقاء النفس بعد فراق البدن فلولا البقاء لما حصل اللقاء كقولك من كان يرجو الخير فان السلطان واصل فانه لا يفهم منه الا ايصال الخير بوصوله ومثله من كان يرجو لقاء الملك فان يوم الجمعة قريب اذا علم أنه يقعد للناس يوم الجمعة ويحتمل أن يراد بالاجل الوقت المضروب للحشر وقيل يرجو بمعنى يخاف من قول الهذلى

* اذا لسعته الدبر لم يرج لسعها *

(وهو السميع) لاقوال العباد صدقوا أم كذبوا (العليم) بنياتهم وطوياتهم وبسائر أعمالهم فيجازيهم بالمسموع ما لا أذن سمعت وبالمرئى ما لا عين رأت وبالنيات ما لا خطر على قلب بشر ثم بين بقوله (ومن جاهد) الآية أن فائدة التكاليف والمجاهدات انما ترجع الى المكلف والله غنى عن كل ذلك قال المتكلمون من الاشاعرة فى الآية دلالة على أن رعاية الأصلح لا تجب على الله والا كان مستكملا بذلك وأن أفعاله لا تعلل بغرض لان ذلك خلاف الغنى وأنه ليس فى مكان والا لزم افتقاره وأنه ليست قادريته بقدرة ولا عالميته بعلم لان القدرة والعلم غيره فيلزم افتقاره ويمكن أن يجاب عن الاول بأن وجوب صدور الاصلح عنه لمقتضى الحكمة لا يوجب الاستكمال وعن الثانى بأن استتباع الفائدة لا يوجب افتقار المفيد وعن الثالث أن استصحاب المكان غير الافتقار اليه وعن الرابع أن العالم هو ما يغاير ذات الله مع صفاته وفى الآية بشارة من وجه وانذار من وجه آخر وذلك أن الاستغناء عن الكل يوجب غناه عن تعذيب كل فاجر كما أنه يمكن أن يهلك كل صالح ولا شئ عليه الا أنه رجح جانب البشارة بقوله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية حدثنا

وجه يستقيم قال ولم تكتبها العرب منفصلة ولو كانت على هذا لكتبوها منفصلة وقد يجوز أن تكون كثر بها الكلام فوصلت بما ليست منه * وقال آخرون منهم ان وى تنبيه وكأن حرف آخر غيره بمعنى لعل الامر كذا وأظن الامر كذا لأن كأن بمنزلة أظن وأحسب وأعلم * وأولى الاقوال فى ذلك بالصحة القول الذى ذكرنا عن قتادة من أن معناه ألم تر ألم تعلم للشاهد الذى ذكرنا فيه من قول الشاعر والرواية عن العرب وأن ويكأن فى خط المصحف حرف واحد ومتى وجه ذلك الى غير التأويل الذى ذكرنا عن قتادة فانه يصير حرفين وذلك أنه ان وجه الى قول من تأوله بمعنى ويلك اعلم أن الله وجب أن يفصل ويك من أن وذلك خلاف خط جميع المصاحف مع فساده فى العربية لما ذكرنا وان وجه الى قول من يقول وى بمعنى التنبيه ثم استأنف الكلام بكأن وجب أن يفصل وى من كأن وذلك أيضا خلاف خطوط المصاحف كلها فاذا كان ذلك خطا واحدا فالصواب من التأويل ما قاله قتادة واذ كان ذلك هو الصواب فتأويل الكلام وأصبح الذين تمنوا مكان قارون وموضعه من الدنيا بالامس يقولون لما عاينوا ما أحل الله به من نقمته ألم تر يا هذا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده فيوسع عليه لا لفضل منزلته عنده ولا لكرامته عليه كما كان بسط من ذلك لقارون لا لفضله ولا لكرامته عليه ويقدر يقول ويضيق على من يشاء من خلقه ذلك ويقتر عليه لا لهوانه عليه ولا لسخطه عمله وقوله لولا أن من الله علينا يقول لولا أن تفضل علينا فصرف عنا ما كنا نتمناه بالأمس لخسف بنا * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار سوى شيبة لخسف بنا بضم الخاء وكسر السين وذكر عن شيبة والحسن لخسف بنا بفتح الخاء والسين بمعنى لخسف الله بنا وقوله ويكأنه لا يفلح الكافرون يقول ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون فتنجح طلباتهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ﴾ يقول تعالى ذكره تلك الدار الآخرة نجعل نعيمها للذين لا يريدون تكبرا عن الحق فى الأرض وتجبرا عنه ولا فسادا يقول ولا ظلم الناس بغير حق وعملا بمعاصى الله فيها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عبد الله بن المبارك عن زياد بن أبى زياد قال سمعت عكرمة يقول لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا قال العلو التجبر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مسلم البطين تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا قال العلو التكبر فى الحق والفساد الأخذ بغير الحق حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن مسلم البطين للذين لا يريدون علوا فى الأرض قال التكبر فى الأرض بغير الحق ولا فسادا أخذ المال بغير حق * قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد ابن جبير للذين لا يريدون علوا فى الأرض قال البغى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله للذين لا يريدون علوا فى الأرض قال تعظما وتجبرا ولا فسادا عملا بالمعاصى

حدثنا

وقدم مرارا أن الايمان فى الشرع عبارة عن التصديق بجميع ما قال الله تعالى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تفصيلا فيما علم واجمالا فيما لم يعلم والعمل الصالح هو الذى ندب الله ورسوله اليه والفاسد ما نهى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عنه وعند المعتزلة الامر والنهى مترتب على الحسن والقبيح ثم العمل الصالح باق لانه فى مقابلة الفاسد والفاسد هو الهالك التالف يقال فسد الزرع اذا خرج عن حد الانتفاع ولكن العمل عرض لا يبقى بنفسه ولا بالعامل لان كل شئ هالك الا وجهه فبقاؤه انما يتصور اذا كان لوجه الله ومنه يعلم أن النية شرط فى

الاعمال الصالحة وهى كونها لله تعالى وخالف زفر فى نية الصوم وأبو حنيفة فى نية الوضوء وقدم ثم انه تعالى ذكر فى مقابلة الايمان والعمل الصالح أمرين تكفير السيئات والجزاء بالأحسن فتكفير السيئات فى مقابلة الايمان والجزاء بالأحسن فى مقابلة العمل الصالح ومنه يعلم أن الايمان يقتضى عدم الخلود فى النار لان الذى كفر سيئاته يدخل الجنة لا محالة فالجزاء الاحسن يكون غير الجنة وهو ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولا يبعد أن يكون هو الرؤية عند من يقول بها

حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أشعث السمان عن أبى سلمان الأعرج عن على رضى الله عنه قال ان الرجل ليعجبه من شراك نعله أن يكون أجود من شراك صاحبه فيدخل فى قوله تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقوله والعاقبة للمتقين يقول تعالى ذكره والجنة للمتقين وهم الذين اتقوا معاصى الله وأدوا فرائضه ونحو الذى قلنا فى معنى العاقبة قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والعاقبة للمتقين أى الجنة للمتقين ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون ﴾ يقول تعالى ذكره من جاء الله يوم القيامة باخلاص التوحيد فله خير وذلك الخير هو الجنة والنعيم الدائم ومن جاء بالسيئة وهى الشرك بالله كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله من جاء بالحسنة فله خير منها أى له منها حظ خير والحسنة الاخلاص والسيئة الشرك وقد بينا ذلك باختلاف المختلفين ودللنا على الصواب من القول فيه وقوله فلا يجزى الذين عملوا السيئات يقول فلا يثاب الذين عملوا السيئات على أعمالهم السيئة الا ما كانوا يعملون يقول الا جزاء ما كانوا يعملون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قل ربى أعلم من جاء بالهدى ومن هو فى ضلال مبين ﴾ يقول تعالى ذكره ان الذى أنزل عليك يا محمد القرآن كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله ان الذى فرض عليك القرآن قال الذى أعطاك القرآن حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ان الذى فرض عليك القرآن قال الذى أعطاكه . واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله لرادك الى معاد فقال بعضهم معاد لمصيرك الى الجنة ذكر من قال ذلك حدثنى اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ثنا عتاب بن بشر عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس لرادك الى معاد قال الى معدنك من الجنة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن مهدى عن سفيان عن الأعمش عن رجل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الى الجنة حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى عن ابراهيم بن جبان سمعت أبا جعفر عن ابن عباس عن أبى سعيد الخدرى لرادك الى معاد قال معاده آخرته الجنة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن السدى عن أبى مالك فى ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قال الى الجنة ليسألك عن القرآن حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا ابن يمان عن سفيان عن السدى عن أبى صالح قال الجنة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن مهدى عن سفيان عن السدى عن أبى صالح لرادك الى معاد قال الى الجنة حدثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن السدى عن أبى مالك قال يردك الى الجنة ثم يسألك عن القرآن حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى ابن يمان عن سفيان عن جابر عن عكرمة ومجاهد قالا الى الجنة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال

وجود السيئات حتى تكفر فالمراد بالذين آمنوا وعملوا الصالحات مسلمون مذنبون وأما قوم مشركون آمنوا فحط الايمان ما قبله أو يقال ان وعد الجميع بأشياء لا يستدعى وعد كل واحد بكل واحد من تلك الاشياء نظيره قول الملك لقوم اذا أطعتمونى أكرم آباءكم وأحترم أبناءكم وهذا لا يقتضى أن يكرم آباء من توفى أبوه ويحترم ابن من لم يولد له ابن ولكن مفهومه أنه يكرم آباء من له أب ويحترم ابن من له ابن أو يقال ما من مكلف الا وله سيئة حتى الانبياء فان ترك الاولى بالنسبة اليهم سيئة بل حسنات الابرار سيئات المقربين وحين بين حسن التكاليف ووقوعها وذكر ثواب من حقق التكاليف أصولها وفروعها أشار بقوله (ووصينا الانسان) الآية الى أنه لا دافع لهذه السيرة ولا مانع لهذه الطريقة فان الانسان اذا اتقاد لاحد ينبغى أن ينقاد لأبويه ومع هذا لو أمروه بالمعصية لا يجوز اتباعهم فكيف غيرهم ومنه يعلم أنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ومعنى وصينا أمرنا كما مر فى قوله ووصى بها ابراهيم وقوله بوالديه أى بتعهدهما ورعاية حقوقهما وعلى هذا ينتصب حسنا بمضمر يدل عليه ما قبله أى أولهما حسنا أو افعل بهما حسنا كأنه قال قلنا له ذلك وقلنا له وان جاهداك الى آخره فلو وقف على قوله بوالديه حسن ويجوز أن يراد وصيناه بايتاء والديه حسنا وقلنا له (وان جاهداك) وقوله (ما ليس لك به علم) كقوله ما لم ينزل به عليكم سلطانا أى لا معلوم ليتعلق العلم به واذا كان التقليد فى الايمان قبيحا فكيف يكون حال التقليد فى الكفر وعلى وجوب ترك طاعة الوالدين اذا أرادا ولدهما على الاشراك دليل عقلى وذلك أن طاعتهما وجبت بأمر الله فاذا نهيا طاعة الله فى الاشراك به فقد أبطلا طاعة الله مطلقا ويلزم منه عدم لزوم طاعة الوالدين بأمر الله وكل ما يفضى وجوده الى عدمه فهو باطل فطاعة الوالدين فى اتخاذ الشرك بالله

من الممتنعات وفى قوله (الى مرجعكم) ترغيب فى رعاية حقوق الوالدين وترهيب عن عقوقهما وان كانا كافرين الا فى الدعاء الى الشرك وفيه أن المجازى للمؤمن والمشرك اذا كان هو الله وحده فلا ينبغى أن يعق الوالدين لاجل كفرهما وفى قوله (فأنبئكم) دليل على أنه سبحانه عالم بالخفيات لا يعزب عنه شئ يروى أن سعد بن أبى وقاص الزهرى حين أسلم قالت أمه وهى حمنة بنت أبى سفيان يا سعد بلغنى أنك قد صبأت فوالله لا يظلنى سقف بيت وان الطعام والشراب (٨٠) على حرام حتى تكفر بمحمد وكان أحب ولدها اليها فأبى سعد وبقيت ثلاثة أيام كذلك فنزلت هذه الآية فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سعدا أن يداريها ويرضيها بالاحسان ثم أكد جزاء من آمن وعمل صالحا بتكرير قوله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين) أى فى زمرتهم وحسن أولئك رفيقا قال الحكماء أى فى المجردين الذين لا كون لهم ولا فساد فيدخل فيه العلويات عندهم ثم بين حال أهل النفاق بعد تقرير حال أهل الكفر والوفاق فقال (ومن الناس من يقول آمنا بالله) يعنى أنا والمؤمنون حقا آمنا ادعى أن ايمانه كايمانهم فأخبر أن ايمانه لا تحقيق له بدليل قوله (فاذا أوذى فى الله) أى فى سبيله ودينه (جعل فتنة الناس كعذاب الله) قال جار الله أى جعل فتنة الناس صارفة عن الايمان كما أن عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر وهذا على التوهم أو كما يجب أن يكون عذاب الله صارفا وهذا فى الواقع وقيل جزعوا من عذاب الناس كما جزعوا من عذاب الله وبالجملة معناه أنهم جعلوا فتنة الناس مع ضعفها وانقطاعها كعذاب الله الأليم الدائم حتى تزددوا فى الأمر وقالوا ان آمنا نتعرض للتأذى من الناس وذلك أنهم كانوا يمسهم أذى من الكفار وان تركنا الايمان نتعرض لما توعدنا به محمد فاختاروا الاحتراز عن التعرض العاجل ونافقوا وانما قال فتنة الناس ولم يقل عذاب الناس لان فعل العبد ابتلاء من الله وليس أن

ثنا أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر عن عكرمة وعطاء ومجاهد وأبى قزعة والحسن قالوا يوم القيامة * قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد لرادك الى معاد قال يحيى بك يوم القيامة * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الحسن والزهرى قالا معاده يوم القيامة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لرادك الى معاد قال يحيى بك يوم القيامة حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عون عن الحسن فى قوله لرادك الى معاد قال معادك من الآخرة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله لرادك الى معاد قال كان الحسن يقول اى والله انه لمعاد يبعثه الله يوم القيامة ويدخله الجنة * وقال آخرون معنى ذلك لرادك الى الموت ذكر من قال ذلك حدثنى اسحق بن وهب الواسطى قال ثنا محمد ابن عبد الله الزبيرى قال ثنا سفيان بن سعيد الثورى عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس لرادك الى معاد قال الموت حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن السدى عن رجل عن ابن عباس قال الى الموت * قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن أبى جعفر عن سعيد لرادك الى معاد قال الى الموت حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن السدى عمن سمع ابن عباس قال الى الموت حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا ابن يمان عن سفيان عن الاعمش عن سعيد بن جبير قال الى الموت حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن رجل عن سعيد بن جبير فى قوله لرادك الى معاد قال الموت حدثنا القاسم قال ثنا أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر عن عدى بن ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الى الموت أو الى مكة * وقال آخرون بل معنى ذلك لرادك الى الموضع الذى خرجت منه وهو مكة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يعلى بن عبيد عن سفيان العصفرى عن عكرمة عن ابن عباس لرادك الى معاد قال الى مكة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس لرادك الى معاد قال يقول لرادك الى مكة كما أخرجك منها حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان قال أخبرنا يونس بن أبى اسحق عن مجاهد قال مولده بمكة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن يونس بن أبى اسحق قال سمعت مجاهدا يقول لرادك الى معاد قال الى مولدك بمكة حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا يونس بن عمرو وهو ابن أبى اسحق عن مجاهد فى قوله ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قال الى مولدك بمكة حدثنى الحسين بن على الصدائى قال ثنا ابى عن الفضيل بن مرزوق عن مجاهد أبى الحجاج فى قوله ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قال الى مولده بمكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى عيسى بن يونس عن أبيه عن مجاهد قال الى مولدك بمكة * والصواب من القول فى ذلك عندى قول من قال لرادك الى عادتك من الموت أو الى عادتك حيث ولدت وذلك

الحسن يقول اى والله انه لمعاد يبعثه الله يوم القيامة ويدخله الجنة * وقال آخرون معنى ذلك لرادك الى الموت ذكر من قال ذلك حدثنى اسحق بن وهب الواسطى قال ثنا محمد ابن عبد الله الزبيرى قال ثنا سفيان بن سعيد الثورى عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس لرادك الى معاد قال الموت حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن السدى عن رجل عن ابن عباس قال الى الموت * قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن أبى جعفر عن سعيد لرادك الى معاد قال الى الموت حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن السدى عمن سمع ابن عباس قال الى الموت حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا ابن يمان عن سفيان عن الاعمش عن سعيد بن جبير قال الى الموت حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن رجل عن سعيد بن جبير فى قوله لرادك الى معاد قال الموت حدثنا القاسم قال ثنا أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر عن عدى بن ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الى الموت أو الى مكة * وقال آخرون بل معنى ذلك لرادك الى الموضع الذى خرجت منه وهو مكة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يعلى بن عبيد عن سفيان العصفرى عن عكرمة عن ابن عباس لرادك الى معاد قال الى مكة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس لرادك الى معاد قال يقول لرادك الى مكة كما أخرجك منها حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان قال أخبرنا يونس بن أبى اسحق عن مجاهد قال مولده بمكة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن يونس بن أبى اسحق قال سمعت مجاهدا يقول لرادك الى معاد قال الى مولدك بمكة حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا يونس بن عمرو وهو ابن أبى اسحق عن مجاهد فى قوله ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قال الى مولدك بمكة حدثنى الحسين بن على الصدائى قال ثنا ابى عن الفضيل بن مرزوق عن مجاهد أبى الحجاج فى قوله ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قال الى مولده بمكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى عيسى بن يونس عن أبيه عن مجاهد قال الى مولدك بمكة * والصواب من القول فى ذلك عندى قول من قال لرادك الى عادتك من الموت أو الى عادتك حيث ولدت وذلك

أضعر وأظهر المعية وادعى التبعية وفى تخصيص اسم الرب بالمقام اشارة الى أن التوبة والرحمة هى التى أوجبت النصر ثم أعجب

انه سبحانه اعلم بما فى صدور العالمين منهم بما فى صدورهم لانه خبير بما أنفسهم كما هى وهم لا يعرفون نفوسهم كما هى فالتلبيس لا يفيد المنافق بالنسبة الى الله شيأ لانه لا يجوز عليه الالتباس دليله قوله (وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين) وفيه وعد للمؤمنين ووعيد للمنافقين اعتبر أمر القلب ههنا وهو فى المؤمن التصديق وفى المنافق النفاق واعتبر فى أول السورة أمر اللسان وهو فى الكافر الكذب لانه يقول الله غير موجود والله أكثر من واحد وفى المؤمن الصدق لانه يقول الله واحد وحين (٨١) بين أحوال الفرق الثلاثة وذكر أن الكافر يدعو

أن المعاد فى هذا الموضع المفعل من العادة ليس من العود الا أن يوجه موجه تأويل قوله لرادك لمصيرك فيتوجه حينئذ قوله الى معاد الى معنى العود ويكون تأويله ان الذى فرض عليك القرآن لمصيرك الى أن تعود الى مكة مفتوحة لك فان قال قائل فهذه الوجوه التى وصفت فى ذلك فدفهمناها فما وجه تأويل من تأوله بمعنى لرادك الى الجنة قيل ينبغى أن يكون وجه تأويله ذلك كذلك على هذا الوجه الآخر وهو لمصيرك الى أن تعود الى الجنة فان قال قائل أوكان أخرج من الجنة فيقال له نحن نعيدك اليها قيل لذلك وجهان أحدهما أنه ان كان أبوه آدم صلى الله عليهما أخرج منها فكان ولده باخراج الله اياه منها قد أخرجوا منها فمن دخلها فكما يرد اليها بعد الخروج والثانى أن يقال انه كان صلى الله عليه وسلم دخلها ليلة أسرى به كما روى عنه أنه قال دخلت الجنة فرأيت فيها قصرا قلت لمن هذا فقالوا لعمر بن الخطاب ونحو ذلك من الأخبار التى رويت عنه بذلك ثم رد الى الارض فيقال له ان الذى فرض عليك القرآن لرادك لمصيرك الى الموضع الذى خرجت منه من الجنة الى أن تعود اليه فذلك ان شاء الله قول من قال ذلك وقوله قل ربى أعلم من جاء بالهدى ومن هو فى ضلال مبين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين ربى أعلم من جاء بالهدى الذى من سلكه نجا ومن هو فى جور عن قصد السبيل منا ومنكم وقوله مبين يعنى أنه بين لذوى الفهم اذا تأمله وتدبره أنه ضلال وجور عن الهدى ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وما كنت ترجوا أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين ﴾ يقول تعالى ذكره وما كنت ترجو يا محمد أن ينزل عليك هذا القرآن فتعلم الانباء والأخبار عن الماضين قبلك والحادثة بعدك مما لم تكن تشهده ولا تشهده ثم تتلوه ذلك على قومك من قريش الا أن ربك رحمك فأنزله عليك فقوله الا رحمة من ربك استثناء منقطع وقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين يقول فاحمد ربك على ما أنعم به عليك من رحمته اياك بانزاله عليك هذا الكتاب ولا تكونن عونا لمن كفر بربك على كفره به وقيل ان ذلك من المؤخر الذى معناه التقديم وان معنى الكلام ان الذى فرض عليك القرآن فأنزله عليك وما كنت ترجو أن ينزل عليك فتكون نبيا قبل ذلك لرادك الى معاد ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ أنزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين ﴾ يقول تعالى ذكره ولا يصرفنك عن تبليغ آيات الله وحجته بعد أن أنزلها اليك ربك يا محمد هؤلاء المشركون قولهم لولا أوتى مثل ما أوتى موسى وادع الى ربك وبلغ رسالته الى من أرسلك اليهما ولا تكونن من المشركين يقول ولا تتركن الدعاء الى ربك وتبليغ المشركين رسالته فتكون ممن فعل فعل المشركين بمعصيته ربه وخلافه أمره ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون ﴾ يقول تعالى ذكره ولا تعبد يا محمد مع معبودك الذى له عبادة كل شئ معبودا غيره وقوله لا اله الا هو يقول لا معبود تصلح له العبادة الا الله الذى كل شئ هالك الا وجهه

من يقول آمنت الى الكفر بالفتنة وبين أن عذاب الله فوقها وكان للكافر أن يقول للمؤمن لم تصبر فى الذل على الايذاء ولم لا تدفع الذل والعذاب عن نفسك بموافقتنا وكان جواب المؤمن أن يقول خوفا من عذاب الله على خطيئة مذهبكم فقالوا لا خطيئة فيه وان كان فيه خطيئة فعلينا أشار الى جميع ذلك قوله (وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم) أرادوا وليجتمع هذان الأمران فى الحصول أن تتبع أطريقتنا وأن نحمل خطاياكم نظيره ايكن منك العطاء وليكن منى الدعاء وليس هو فى الحقيقة أمر طلب وايجاب ولكنه حكاية قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعث نحن ولا أنتم فان عسى كان جزاء ومعاد فانا نتحمل عنكم الاثم وترى نظيره فى الاسلام يشجع أحدهم أخاه على ارتكاب بعض المآثم فيقول افعل هذا وانما على وزر من مغرور بمثل هذا الضمان ثم أخبر الله تعالى عنهم بأنهم لا يحملون شيأ من خطاياهم ولا ريب أن هذا مخالف لما زعموا من أنهم يحملون أوزارهم فلهذا حكم الله عليهم بأنهم كاذبون ويجوز ان يكونوا كاذبين لأنهم وعدوا وفى قلوبهم نية الخلف ولا حاجة فى توجيه تسميتهم كاذبين

(١١ - (ابن جرير) - العشرون) الى التشبيه الذى ذكره فى الكشاف أما الجمع بين قوله (وما هم بحاملين) وبين قوله (وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم) فهو أن النفى راجع الى الحمل الذى يخفف عن صاحبه بسببه والاثبات يرجع الى أنهم يحملون وزر الاضلال ووزر الضلال مع أن أتباعهم حاملون وزر الضلال كما قال عليه الصلاة والسلام من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من وزره شئ قال (وليسئلن) سؤال تقريع (يوم القيامة عما كانوا يفترون) من أنه لا حشر وعلى تقدير وجوده يحملون

خطايا التابعين ثم أجمل قصة نوح ومن بعده تصديقا لقوله فى اول السورة ولقد فتنا الذين من قبلهم وفيه تثبيت للنبى عليه الصلاة والسلام كأنه قيل له ان نوحا لبث ألف سنة تقريبا يدعو قومه ولم يؤمن منهم الا قليل فأنت أولى بالصبر لقلة مدة لبثك وكثرة عدد أمتك وفيه تحذير لكفار قريش فان أولئك الكفار ما نجوا من العذاب مع تلك الاعمار الطوال فهؤلاء كيف يسلمون أم كيف يغترون * سؤال ما الفائدة فى قوله ألف سنة الا خمسين عاما دون أن يقول تسعمائة (٨٢) وجوابه لان العبارة الثانية تحتمل التجويز والتقريب فان من قال عاش فلان ألف سنة يمكن أن يتوهم أنه يدعى ذلك تقريبا لا تحقيقا فاذا قال الا شهرا أو الا سنة زال ذلك الوهم وأيضا المقصود تثبيت النبى صلى الله عليه وسلم وذكر الألف الذى هو عقد معتبر أوصل الى هذا الغرض وانما جاء بالمميز فى المستثنى مخالفا لما فى المستثنى منه تجنبا من التكرار الخالى عن الفائدة وتوسعة فى الكلام قال بعض الاطباء العمر الطبيعى للانسان مائة وعشرون سنة فاعترضوا عليهم بعمر نوح عليه السلام وغيره وذلك أن المفسرين قالوا عمر نوح ألفا وخمسين سنة بعث على رأس أربعين ولبث فى قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين وعن وهب أنه عاش ألفا وأربعمائة سنة ويمكن أن يقال انهم أرادوا بالطبيعى ما كان أكثريا فى أعصارهم ولا ينافى هذا كون بعض الاعمار زائدا على هذا القدر بطريق خرق العادة على أن العادة قد تختلف باختلاف الاعصار والادوار ولهذا قال صلى الله عليه وسلم أعمار أمتى ما بين الستين الى السبعين والطوفان ماء كل المكان بكثرة وغلبة من سيل أو ظلام ليل وفى قوله (وهم ظالمون) دليل على أن العذاب أخذهم وهم مصرون على الظلم ولو كانوا قد تركوا لما أهلكهم والضمير فى قوله (وجعلناها) اما للحادثة أو للقصة أو للسفينة وأعاجيب هذه القصة تكثر وأحوال السفينة وأهوالها قد تقدمت مرارا ولا ريب أنها آيات يجب أن يستدل بها على موجدها * التأويل أقسم بفرد انيته وبالاتيانه أنه مهما يكون من العبد التقرب اليه بأصناف العبودية يكون منه التقرب الى العبد بألطاف الربوبية يؤكده قوله أحسب الناس أى الناس من أهل البطالة أن يتركوا بمجرد الدعوى ولا يطالبون بالبلوى فالمحبة والمحنة توأمان وبالامتحان يكرم الرجل أو يهان فمن زاد قدر معناه زاد قدر

واختلف فى معنى قوله الا وجهه فقال بعضهم معناه كل شئ هالك الا هو * وقال آخرون معنى ذلك الا ما أريد به وجهه واستشهدوا لتأويلهم ذلك كذلك بقول الشاعر

أستغفر الله ذنبا لست محصيه * رب العباد اليه الوجه والعمل

وقوله له الحكم يقول له الحكم بين خلقه دون غيره ليس لأحد غيره معه فيهم حكم واليه ترجعون يقول واليه تردون من بعد مماتكم فيقضى بينكم بالعدل فيجازى مؤمنيكم جزاءهم وكفاركم ما وعدهم

آخر تفسير سورة القصص

﴿ تفسير سورة العنكبوت ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ﴾ قال أبو جعفر وقد بينا معنى قول الله تعالى ذكره الم وذكرنا أقوال أهل التأويل فى تأويله والذى هو أولى بالصواب من أقوالهم عندنا بشواهده فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وأما قوله أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون فان معناه أظن الذين خرجوا يا محمد من أصحابك من أذى المشركين اياهم أن نتركهم بغير اختبار ولا ابتلاء امتحان بأن قالوا آمنا بك يا محمد فصدقناك فيما جئتنا به من عند الله كلا لنختبرهم ليتبين الصادق منهم من الكاذب ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله آمنا وهم لا يفتنون قال يبتلون فى أنفسهم وأموالهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وهم لا يفتنون أى لا يبتلون حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن أبى هاشم عن مجاهد فى قوله وهم لا يفتنون قال لا يبتلون فان الاولى منصوبة بحسب والثانية منصوبة فى قول بعض أهل العربية بتعلق يتركوا بها وأن معنى الكلام على قوله أحسب الناس أن يتركوا لأن يقولوا آمنا فلما حذفت اللام الخافضة من لأن نصبت على ما ذكرت وأما على قول غيره فهى فى موضع خفض باضمار الخافض ولا تكاد العرب تقول تركت فلانا أن يذهب فتدخل أن فى الكلام وانما تقول تركته يذهب وانما أدخلت أن ههنا لاكتفاء الكلام بقوله أن يتركوا اذ كان معناه أحسب الناس أن يتركوا وهم لا يفتنون من أجل أن يقولوا آمنا فكان قوله أن يتركوا مكتفية بوقوعها على الناس دون أخبارهم وان جعلت أن فى قوله أن يقولوا منصوبة بنية

بلواه فالبلاء للنفوس لاخراجها عن اوطان الكسل وتصريفها فى حسن العمل والبلاء على القلوب لتصفيتها من شين الرين لقبول نقوش الغيب والبلاء على الارواح لتجردها بالبوائق عن العلائق والبلاء على الاسرار فى اعتكافها فى مشاهدة الكشف بالصبر على آثار التجلى الى أن تصير مستهلكة فيه بافنائه وان أشد الفتن حفظ وجود التوحيد لئلا يجرى عليه نكر فى أوقات غلبات شواهد الحق فيظن أنه هو الحق لايدرى أنه من الحق ولا يقال انه الحق وعزيز من يهتدى الى ذلك أم حسب (٨٣) الذين فيه أن موجبات عمل السيئات سوادمرآة القلوب بصدا الحسبان ورين الكفران ليتوهموا أن يسبقونا بالعدوان عن طريق سنتنا فى الانتقام من أهل الحال والاجرام ساء ما يحكمون بالنجاة عن الدركات باتباع الشهوات هيهات هيهات من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت فان من رجى عمره فى رجاء لقائنا فهو الذى نبيح له النظر الى جمالنا وهو السميع لأنين المشتاقين العليم بطويات الصادقين ومن جاهد بالسعى فى طلبنا فانما يجاهد لنفسه لانها بالتخلية عن الاخلاق الذميمة وبالتحلية بالصفات الحميدة تخلص عن الامارية وتستأهل للمطمئنية فتستحق لجذبة ارجعى الى ربك والذين آمنوا فى قلوبهم بمحبتنا وعملوا الصالحات ببذل الوجود فى طلب جودنا لنكفرن عنهم سيئات وجودهم انجازى ولنجزينهم وجودا حقيقيا أحسن منه وان جاهداك لتشرك بى فيه اشارة الى أن المريد اذا تمسك بذيل شيخ كامل وتوجه الى الحضرة بعزيمة من عزائم الرجال فان منعه الوالدان عن ذلك فعليه أن لا يطيعهما لانه سبب ولادته فى عالم الارواح وهما سبب ولادته فى عالم الاشباح كما قال عيسى عليه السلام لن يلج ملكوت السموات والارض من لم يولد مرتين فهو أحق برعاية الحقوق منهما جعل فتنة الناس كعذاب الله فيه

تكرير أحسب كان جائزا فيكون معنى الكلام أحسب الناس أن يتركوا أحسبوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد اختبرنا الذين من قبلهم من الامم ممن أرسلنا اليهم رسلنا فقالوا مثل ما قالته أمتك يا محمد باعدائهم وتمكينا اياهم من أذاهم كموسى اذ أرسلناه الى بنى اسرائيل فابتليناهم بفرعون وملئهم وكعيسى اذ أرسلناه الى بنى اسرائيل فابتليناهم من اتبعه بمن تولى عنه فكذلك ابتلينا أتباعك بمخالفيك من أعدائك فليعلمن الله الذين صدقوا منهم فى قيلهم آمنا وليعلمن الكاذبين منهم فى قيلهم ذلك والله عالم بذلك منهم قبل الاختبار وفى حال الاختبار وبعد الاختبار ولكن معنى ذلك وليظهرن الله صدق الصادق منهم فى قيله آمنا بالله من كذب الكاذب منهم بابتلائه اياه بعدوه ليعلم صدقه من كذبه أولياؤه على نحو ما قد بيناه فيما مضى قبل وذكر أن هذه الآية نزلت فى قوم من المسلمين عذبهم المشركون ففتن بعضهم وصبر بعضهم على أذاهم حتى أتاهم الله بفرج من عنده ذكر الرواية بذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير يقول نزلت يعنى هذه الآية الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا الى قوله وليعلمن الكاذبين فى عمار بن ياسر اذ كان يعذب فى الله * وقال آخرون بل نزل ذلك من أجل قوم كانوا قد أظهروا الاسلام بمكة وتخلفوا عن الهجرة والفتنة التى فتن بها هؤلاء القوم على مقالة هؤلاء هى الهجرة التى امتحنوا بها ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن مطر عن الشعبى قال انها نزلت يعنى الم أحسب الناس أن يتركوا الآيتين فى أناس كانوا بمكة أقروا بالاسلام فكتب اليهم أصحاب محمد نبى الله صلى الله عليه وسلم من المدينة انه لا يقبل منكم اقرار بالاسلام حتى تهاجروا فخرجوا عامدين الى المدينة فاتبعهم المشركون فردوهم فنزلت فيهم هذه الآية فكتبوا اليهم انه قد نزلت فيكم آية كذا وكذا فقالوا نخرج فان اتبعنا أحد قاتلناه قال فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم ثم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فأنزل الله فيهم ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولقد فتنا قال ابتلينا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن أبى هاشم عن مجاهد ولقد فتنا الذين من قبلهم قال ابتلينا الذين من قبلهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبى هاشم عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد فتنا الذين من قبلهم أى ابتلينا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أم حسب الذين يعملون السيآت أن يسبقونا ساء ما يحكمون ﴾ يقول تعالى ذكره أم حسب الذين يشركون بالله فيعبدون معه غيره وهم المعيون بقوله الذين يعملون السيآت

أن المؤمن من كف الاذى والولى من يتحمل من الخلق الاذى ولا تنزح عنه الشكوى من البلوى كالارض يلقى عليها كل قبيح فينبت منها كل مليح والمنافق اذا لم يكن فى حماية خشية الله يفترسه خوف الخلق اذا أوذى فى الله وقال الذين كفروا فيه أن كافر النفس وصفاته يقولون بلسان الطبيعة الانسانية لموسى القلب والسر والروح وصفاتهم اتبعوا سبيلنا فى طلب الشهوات الحيوانية ولنحمل خطاياكم أى ندفع عنكم ضرر ما يرجع اليكم فى متابعة شهوات الدنيا وطيباتها وما هم بحاملين شيأ من خطاياهم وهو العمى والصمم والبكم وسائر الصفات النفسانية

ولكن يحملون أثقالهم هذه الاوقات مع الآفات التي تختص بها والله أعلم بالصواب ﴿وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا في الارض (٨٤) فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شئ قدير يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون وما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين قال رب انصرني على القوم المفسدين ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية ان أهلها كانوا ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك وأهلك الا امرأتك كانت من الغابرين انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون والى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين وقارون وفرعون وهامان

أن يسبقونا يقول أن يعجزونا فيفوتونا بأنفسهم فلا نقدر عليهم فننتقم منهم لشركهم بالله * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أم حسب الذين يعملون السيآت أي الشرك أن يسبقونا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أن يسبقونا أن يعجزونا وقوله ساء ما يحكمون يقول تعالى ذكره ساء حكمهم الذي يحكمون بأن هؤلاء الذين يعملون السيآت يسبقونا بأنفسهم ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴿من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت وهو السميع العليم ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين﴾ يقول تعالى ذكره من كان يرجو الله يوم لقائه ويطمع في ثوابه فان أجل الله الذي أجله لبعث خلقه للجزاء والعقاب لآت قريبا وهو السميع يقول والله الذي يرجو هذا الراجي بلقائه ثوابه السميع لقوله آمنا بالله العليم بصدق قيله انه قد آمن من كذبه فيه وقوله ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه يقول ومن جاهد عدوه من المشركين فانما يجاهد لنفسه لانه يفعل ذلك ابتغاء الثواب من الله على جهاده والهرب من العقاب فليس بالله الى فعله ذلك حاجة وذلك أن الله غني عن جميع خلقه له الملك والخلق والامر ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيآتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره والذين آمنوا بالله ورسوله فصح ايمانهم عند ابتلاء الله اياهم وفتنته لهم ولم يرتدوا عن أديانهم بأذى المشركين اياهم وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيآتهم التي سلفت منهم في شركهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون يقول ولنثيبنهم على صالحات أعمالهم في اسلامهم أحسن ما كانوا يعملون في حال شركهم مع تكفيرنا سيآت أعمالهم ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴿ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ يقول تعالى ذكره ووصينا الانسان فيما أنزلنا الى رسولنا بوالديه أن يفعل بهما حسنا واختلف أهل العربية في وجه نصب الحسن فقال بعض نحويي البصرة نصب ذلك على نية تكرير وصينا وكأن معنى الكلام عنده ووصينا الانسان بوالديه ووصيناه حسنا وقال قد يقول الرجل وصيته خيرا أي بخير وقال بعض نحويي الكوفة معنى ذلك ووصينا الانسان أن يفعل حسنا ولكن العرب تسقط من الكلام بعضه اذا كان فيما يبقى الدلالة على ما سقط وتعمل ما بقي فيما كان يعمل فيه المحذوف فنصب قوله حسنا وان كان المعنى ما وصفت وصينا لانه قد ناب عن الساقط وأنشد في ذلك

عجبت من دهماء اذ تشكونا * ومن أبي دهماء اذ يوصينا * خيرا بها كأننا جافونا

وقال معنى قوله يوصينا خيرا أن نفعل بها خيرا فاكتفى بيوصينا منه وقال ذلك نحو قوله فطفق مسحا أي يمسح مسحا وقوله وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما يقول ووصينا الانسان

ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الارض وما كانوا سابقين فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾ القراآت أولم تروا بتاء الخطاب حمزة وعلى وخلف وعاصم سوى حفص والمفضل النشاءة بفتح الشين بعدها ألف ممدودة حيث كان ابن كثير وأبو عمرو مودة

الانسان فقلنا له ان جاهدك والدالك لتشرك بى مالیس لك به علم أنه ليس لى شريك فلا تطعهما فتشرك بى مالیس لك به علم ابتغاء مرضاتهما ولكن خالفهما فى ذلك الى مرجعكم يقول تعالى ذكره الى معادكم ومصيركم يوم القيامة فأنبئكم بما كنتم تعملون يقول فأخبركم بما كنتم تعملون فى الدنيا من صالح الاعمال وسيآتها ثم أجازيكم عليها المحسن بالاحسان والمسىء بما هو أهله وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب سعد بن أبى وقاص ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ووصينا الانسان بوالديه حسنا الى قوله فأنبئكم بما كنتم تعملون قال نزلت فى سعد بن أبى وقاص لما هاجرت أمه والله لا يظلنى بيت حتى ترجع فأنزل الله فى ذلك أن يحسن اليهما ولا يطيعهما فى الشرك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين ﴾ يقول تعالى ذكره والذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات من الاعمال وذلك أن يؤدوا فرائض الله ويجتنبوا محارمه لندخلنهم فى الصالحين فى مدخل الصالحين وذلك الجنة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم أوليس الله بأعلم بما فى صدور العالمين ﴾ يقول تعالى ذكره ومن الناس من يقول أقررنا بالله فوحدناه فاذا آذاه المشركون فى اقراره بالله جعل فتنة الناس اياه فى الدنيا كعذاب الله فى الآخرة فارتد عن ايمانه بالله راجعا على الكفر به ولئن جاء نصر من ربك يا محمد أهل الايمان به ليقولن هؤلاء المرتدون عن ايمانهم الجاعلون فتنة الناس كعذاب الله انا كنا أيها المؤمنون معكم ننصركم على أعدائكم كذبوا فكما يقول الله أوليس الله بأعلم أيها القوم من كل أحد بما فى صدور جميع خلقه القائلين آمنا بالله فاذا أوذى فى الله ارتد عن دين الله وغيرهم فكيف يخادع من كان لا يخفى عليه خافية ولا يستتر عنه سر ولا علانية ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله قال فتنته أن يرتد عن دين الله فاذا أوذى فى الله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فاذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله الى قوله وليعلمن المنافقين قال أناس يؤمنون بألسنتهم فاذا أصابهم بلاء من الله أو مصيبة فى أنفسهم افتتنوا فجعلوا ذلك فى الدنيا كعذاب الله فى الآخرة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول قوله ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية نزلت فى ناس من المنافقين بمكة كانوا يؤمنون فاذا أوذوا وأصابهم بلاء من المشركين رجعوا الى الكفر مخافة من بؤسهم وجعلوا أذى الناس فى الدنيا كعذاب الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب

بالرفع بينكم بالجر على الاضافة ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب وعلى وأبو زيد عن المفضل مودة بالرفع بينكم بالفتح الشمونى والبرجمى مودة بالنصب بينكم على الاضافة حمزة وحفص الباقون مودة بالنصب بينكم بالفتح ربى انه بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو انكم بهمز واحد أينكم بهمزة بعدها ياء ابن كثير ونافع غير قالون وسهل ويعقوب زيد مثله بزيادة مدة فى الثانية يزيد وقالون كلاهما مثل هذه الثانية أبو عمرو والاولى بهمزة واحدة الثانية بهمزتين ابن عامر وحفص هشام يدخل بينهما مدة الباقون بهمزتين فيهما أئنكم كنظائره لتجبنه بسكون النون من الانجاء يعقوب وحمزة وعلى وخلف سىء بهم كما ذكر فى هود ومنجوك من الانجاء ابن كثير ويعقوب وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص والمفضل متزلون بالتشديد ابن عامر ونمود غير مصروف فى الحالين حمزة وحفص وسهل ويعقوب ﴿ الوقوف واتقوه ط تعلمون ٥ افكا ط واشكروا له ط ترجعون ٥ من قبلكم ج للعطف مع الاختلاف بالاثبات والنفى المبين ٥ يعيده ط يسير ٥ الآخرة ط قدير ٥ ج لان ما بعده يصلح وصفا واستئنافا من يشاء ط

لانقطاع النظم بتقديم المفعول مع اتفاق الجملتين تقلبون ٥ السماء ز فصلا بين الامرين المعظمين مع اتفاق الجملتين نصير ٥ أليم ٥ النار ط يؤمنون ٥ أوثانا ج لمن قرأ مودة بالرفع الدنيا ج لاختلاف الجملتين والفصل بين الدارين بعضا ط لاختلاف الجملتين مع اتحاد المقصود من ناصرين ٥ قيل لا وقف لتعلق الفاء لوط م لان قوله وقال فاعله ابراهيم ولو وصل لأوهم اتحاد الفاعل ربى ط الحكيم ٥ الدنيا ج للابتداء بان مع واو العطف الصالحين ٥ الفاحشة ز لان ما بعده يصلح مستأنفا أو حالا أو وصفا العالمين ٥ المنكر ط

لانتهاء الخطاب لابتداء الجواب الصادقين ٥ المفسدين ٥ بالبشرى لا لأن قالوا جواب لما القرية ج للابتداء بان مع احتمال التعليل ظالمين ٥ وقد يوصل دلالة على تدارك ابراهيم لوطا ط بمن فيها ج لأن لام التوكيد تقتضى قسما أى والله لننجينه مع تمام المقصود فى التنجية الا امرأته ج لان ما بعده يصلح مستأنفا فى النظم ولكنه حال المرأة لان المستثنى مشبه بالمفعول أى يستثنى امرأته كائنة من الغابرين ولا تحزن ط فصلا بين البشارتين (٨٦) وتوفير الفرح الغابرين ٥ يفسقون ٥ يعقلون ٥ شعيبا لا لتعلق الفاء مفسدين ٥ جاثمين ٥ لان عادا يحتمل أن يكون منصوبا باخذتهم أو بمحذوف أى واذكر وهذا أوجه لأن قوله وقد تبين حال ولا يحسن أن يكون عامله فأخذتهم والأوجه انتصابه بمحذوف وهو اذكر أو أهلكنا مساكنهم ط لان التقدير مقدرين وعامله فأخذتهم مستبصرين ٥ ج للعطف وهما ان يحتمل عندى الوقف وقيل لا بناء على أن قوله ولقد جاءهم حال عامله فأخذتهم سابقين ٥ لانقطاع النظم بتقديم المفعول مع اتفاق الجملتين بذنبه ط وكذلك حاصبا ط وأخذته الصيحة ط وخسفنا به الارض ط وأغرقنا ط لعطف الجمل والوقف أوجه تفصيلا لانواع النقم وامهالا لفرصة الاعتبار يظلمون ٥ العنكبوت ج لان ما بعده يصلح وصفا واستئنافا بينا ط العنكبوت ج لان وهن بيت العنكبوت معلق يعلمون ٥ ﴿ التفسير قوله (وابراهيم) منصوب بمضمر وهو اذكر وقوله (اذ قال) بدل منه بدل الاشتمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها أى اذكر وقت قوله لقومه وجوز أن يكون معطوفا على نوحا فأورد عليه أن الارسال قبل الدعوة فكيف يكون وقت الدعوة ظرفا للارسال وأجيب بأن الارسال أمر ممتد الى أوان الدعوة أو المراد أرسلناه حين كان صالحا لأن يقول لقومه اعبدوا الله خصوه بالعبادة واتقوا مخالفته (ذلكم) الاخلاص والتقوى (خير لكم ان كنتم تعلمون) كفروا أما العبادة فلانها غاية الخضوع فلا تصلح الا لمن هو فى غاية الكمال فضلا عن الجماد وأما اتقاء خلافه فلأن من قدر على اهلاك الماضين فهو قادر على اهلاك الباقين وتعذيبهم اذا عصوه فالعاقل من يحذر خلاف القادر ثم بين بقوله (انما تعبدون من دون الله أوثانا) أن الذى يعبدونه فى غاية الخسة لانه صنم لا روح له ولا ظلم أشنع من وضع الأخس موضع الأشرف وبين بقوله (وتخلقون افكا) أن الذين يزعمون أنها

قال قال ابن زيد فى قول الله فاذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله قال هو المنافق اذا أوذى فى الله رجع عن الدين وكفر وجعل فتنة الناس كعذاب الله وذكر أن هذه الآية نزلت فى قوم من أهل الايمان كانوا بمكة فخرجوا مهاجرين فأدركوا وأخذوا فأعطوا المشركين لما لهم أذاهم ما أرادوا منهم ذكر الخبر بذلك حدثنا أحمد بن منصور الرمادى قال ثنا أبو أحمد الزبيرى قال ثنا محمد بن شريك عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال كان قوم من أهل مكة أسلموا وكانوا يستخفون باسلامهم فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم فأصيب بعضهم قبل بعض فقال المسلمون كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا فاستغفروا لهم فنزلت ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم الى آخر الآية قال فكتب الى من بقى بمكة من المسلمين بهذه الآية أن لا عذر لهم فخرجوا فلحقهم المشركون فأعطوهم الفتنة فنزلت فيهم هذه الآية ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله الى آخر الآية فكتب المسلمون اليهم بذلك فخرجوا وأيسوا من كل خير ثم نزلت فيهم ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم فكتبوا اليهم بذلك ان الله قد جعل لكم مخرجا فخرجوا فأدركهم المشركون فقاتلوهم حتى نجا من نجا وقتل من قتل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله الى قوله وليعلمن المنافقين قال هذه الآيات أنزلت فى القوم الذين ردهم المشركون الى مكة وهذه الآيات العشر مدنية الى ههنا وسائرها مكى ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين ﴾ يقول تعالى ذكره وليعلمن الله أولياءه وحزبه أهل الايمان بالله منكم أيها القوم وليعلمن المنافقين منكم حتى يميز واكل فريق منكم من الفريق الآخر باظهار الله ذلك منكم بالمحن والابتلاء والاختبار وبمسارعة المسارع منكم الى الهجرة من دار الشرك الى دار الاسلام وتثاقل المتثاقل منكم عنها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون ﴾ يقول تعالى ذكره وقال الذين كفروا بالله من قريش للذين آمنوا بالله منهم اتبعوا سبيلنا يقول قالوا كونوا على مثل ما نحن عليه من التكذيب بالبعث بعد الممات وجحود الثواب والعقاب على الاعمال ولنحمل خطاياكم يقول قالوا فانكم ان اتبعتم سبيلنا فى ذلك فبعثتم من بعد الممات وجوزيتم على الاعمال فانا نتحمل آثام خطاياكم حينئذ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم قال قول كفار قريش بمكة لمن آمن منهم يقول قالوا لا نبعث نحن ولا أنتم فاتبعونا ان كان علينا شئ فهو علينا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وقال الذين

شفعاؤهم عندالله كذب وزور ثم ذكرهم أنهم لايقدرون على نفع ولا على ايصال رزق أى رزق كان ثم أشار بقوله (فابتغوا عندالله الرزق) الى أن هذه الهية والرزق الموعود فى قوله ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها يجب أن يطلب من الله فقط واذا كان الرزق منه فالشكر يجب أن يكون له ثم بين بقوله (اليه ترجعون) أن المعاقب والمثيب هو وحده فلا رهبة الامنه ولا رغبة الا فيه ثم ان قوله (وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم) الى قوله فما كان جواب قومه ان كان اعتراضا خطابا للكفار قريش (٨٧) فظاهر وان كان تتمة قول ابراهيم فالامم المتقدمة عليه اما قوم نوح وقوم ادريس وقوم شيث وقوم آدم واما قوم نوح وحده وعبر عن أمته بالامم لانه عاش ألف سنة وأكثر فمضت عليه القرون وكان كل قرن يوصون من بعدهم من الابناء أن يكذبوا نوحا والبلاغ ذكر المسائل والاباتة واقامة البرهان عليه وفيه دليل على أن تأخير البيان عن وقت الحاجة لايجوز والالم يكن البلاغ مبينا وحين بين التوحيد والرسالة شرع فى بيان المعاد فان هذه الاصول الثلاثة لاتكاد تنفصل فى الذكر الالهى فقال (أولم يروا) أى ألم يعلموا بالبرهان النير القائم مقام الرؤية (كيف يبدئ الله الخلق) ثم يعيده أما ابداء الخلق المطابق فلان المخلوق لابد له من خالق أول تنتهى اليه سلسلة المخلوقات وأما خلق الانسان بل كيفيته فانه كالمشاهد المحسوس فانا نرى النطفة وقعت فى الرحم فدارت عليها الاطوار حتى حصلت خلقا آخر وأما الاعادة فلانها أهون فى القياس العقلى ولهذا ختم الآية بقوله (ان ذلك على الله يسير) وحين أشار الى العلم الحدسى الحاصل من غير طلب أمر نبينا صلى الله عليه وسلم أوحى الى ابراهيم قول ربه له (قل سيروا فى الارض) أى ان لم يحصل لكم الحدس المذكور فسيروا فى أقطار الارض وتفكروا فى كيفية تكون الموالد الثلاثة المعادن والنبات والحيوان حتى يمضى بكم النظر الى العيان فالآية الاولى اشارة الى ماهو كالمركوز فى الاذهان ولهذا قال بطريق الاستفهام أولم يروا والآية الثانية أمر بالنظر المؤدى الى العلم والايقان على تقدير عدم حضور ذلك البيان والعيان وانما قال أولا كيف يبدئ بلفظ المستقبل وثانيا كيف بدأ بلفظ الماضى لان العلم الحدسى حاصل فى كل حال وأما العلم الاستقرائى فلا يفيد اليقين الا فيما شاهد وتتبع فكأنه قيل ان لم يحصل لكم العلم بأن الله فى كل حال موصوف بالابداء والاعادة فانظروا فى أصناف المخلوقات حتى تعرفوا

كفروا هم القادة من الكفار قالوا لمن آمن من الأتباع اتركوا دين محمد واتبعوا ديننا وهذا أعنى قوله اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وان كان خرج مخرج الامر فان فيه تأويل الجزاء ومعناه ماقلت ان اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم كما قال الشاعر

فقلت ادعى وأدع فان أندى ... لصوت أن ينادى داعيان

يريد ادعى ولأدع ومعناه ان دعوت دعوت وقوله وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون وهذا تكذيب من الله للمشركين القائلين للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم يقول جل ثناؤه كذبوا فى قيلهم ذلك لهم ماهم بحاملين من آثام خطاياهم من شئ انهم لكاذبون فيما قالوا لهم ووعدوهم من حمل خطاياهم انهم اتبعوهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون﴾ يقول تعالى ذكره وليحملن هؤلاء المشركون بالله القائلون للذين آمنوا به اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم أوزار أنفسهم وآثامها وأوزارا من أضلوا وصدوا عن سبيل الله مع أوزارهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يكذبونهم فى الدنيا بوعدهم اياهم الأباطيل وقيلهم لهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم فيفترون الكذب بذلك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وليحملن أثقالهم أى أوزارهم وأثقالا مع أثقالهم يقول وأوزارا من أضلوا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وفرا قوله وليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون قال فهذا قوله وأثقالا مع أثقالهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون﴾ وهذا وعيد من الله تعالى ذكره هؤلاء المشركين من قريش القائلين للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لايحزنك يا محمد ما تلقى من هؤلاء المشركين أنت وأصحابك من الأذى فانى وان أمليت لهم فأطلت أملاءهم فان مصير أمرهم الى البوار ومصير أمرك وأمر أصحابك الى العلو والظفر بهم والنجاة مما يحل بهم من العقاب كفعلنا ذلك بنوح اذ أرسلناه الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى التوحيد وفراق الآلهة والاوثان فلم يزدهم ذلك من دعائه اياهم الى الله من الاقبال اليه وقبول ما أتاهم به من النصيحة من عندالله الا فرارا وذكر أنه أرسل الى قومه وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة كما حدثنا نصر بن على الجهضمى قال ثنا نوح بن قيس قال ثنا عون ابن أبى شداد قال ان الله أرسل نوحا الى قومه وهو ابن خمسين وثلثمائة سنة فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما ثم عاش بعد ذلك خمسين وثلثمائة سنة فأخذهم الطوفان يقول تعالى ذكره فأهلكهم الماء الكثير وكل ماء كثير فاش طام فهو عند العرب طوفان سيلا كان أو غيره وكذلك الموت اذا كان فاشيا كثيرا فهو أيضا عندهم طوفان ومنه قول الراجز ... أفناهم طوفان موت جارف ...

أنه كيف بدأهم تستدلوا من ذلك على أنه ينشئها النشأة الثانية فهذا عطف على المعنى كأنه قال وانظروا كيف بدا هذا وتكلف جار الله فقال هو معطوف على جملة قوله أولم يروا كما قال قوله ثم يعيده اخبار على حياله وليس بمعطوف على يبدئ ثم في اقامة اسم الله مقام الضمير في قوله (ثم الله ينشئ النشأة) اشارة الى أنه لا يقدر على هذه النشأة الا المعبود الكامل الذات المتصف بالعلم والحياة وبسائر نعوت الجلال وحين ذكر دلائل الانفس والآفاق صرح بالنتيجة (٨٨) الكلية فقال (ان الله على كل شئ) من الابداء والاعادة (قدير) وكذا على التكليف والجزاء تقريره قوله (يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون) يقال قلب فلان في مكانه اذا أردى وفي الآية لطائف منها أنه قدم التعذيب على الرحمة مع قوله سبقت رحمتي غضبي لان الآية مسوقة لتهديد المكذبين ومع ذلك لم يخل الكلام عن ذكر الرحمة وانه يؤكد قوله سبقت رحمتي غضبي ومنها أنه لم يقل يعذب الكافر ويرحم المؤمن اظهارا للالهية الاطية ومنها أنه قال أولا واليه ترجعون ثم أعاده ههنا لان التعذيب والرحمة قد يكونان عاجلين وكأنه قال وان تأخر ثوابكم وعقابكم فان الينا ايابكم وعلينا حسابكم وعندنا يدخر لكم ذلك فلا تظنوا فواته يؤكده قوله وما أنتم بمعجزين وفيه أن الانقلاب اليه لامنه وذلك أن الاعجاز اما بالهرب واما مع الثبات وقد نفى الأول بقوله (وما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء) أي لو هبطتم الى موضع السمك في الماء أو صعدتم الى محل السمائك في السماء لم تخرجوا من قبضة قدرة الله وقدم الارض على السماء لان السماء أبعد وأفسح أي ان هربتم من حكمه وقضائه في الارض الفسيحة أو في السماء التي هي أفسح منها وأبعد فانكم لا تفوتون الله والمراد لا تعجزونه كيفما هبطتم في أعماق الارض أو علوتم الى البروج المشيدة الذاهبة في السماء كقوله ولو كنتم في بروج مشيدة أو أراد أي لا تعجزون بلاءه الظاهر في الارض أو النازل من السماء وجوز بعضهم أن يراد وما أنتم بمعجزين من في الارض ولا في السماء بحذف الموصول واقتصر في الشورى على قوله وما أنتم بمعجزين في الارض لانه خطاب للمؤمنين ونفى الثاني بقوله (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) لان الركن الشديد الذي يستند اليه اما ولي يشفع أو ناصر يدفع والاول أسهل الطريقين فلذلك قدم الولي على النصير ثم خص الوجه

وبنحو قولنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأخذهم الطوفان قال هو الماء الذي أرسل عليهم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول الطوفان الغرق وقوله وهم ظالمون يقول وهم ظالمون أنفسهم بكفرهم ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين﴾ يقول تعالى ذكره فأنجينا نوحا وأصحاب سفينته وهم الذين حملهم في سفينته من ولده وأزواجهم وقد بينا ذلك فيما مضى قبل وذكرنا الروايات فيه فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع وجعلناها آية للعالمين يقول وجعلنا السفينة التي أنجيناه وأصحابه فيما جرت عظة للعالمين وحجة عليهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأنجيناه وأصحاب السفينة الآية قال أبقاها الله آية للناس بأعلى الجودي ولو قيل معنى وجعلناها آية للعالمين وجعلنا عقوبتنا اياهم آية للعالمين وجعل الهاء والالف في قوله وجعلناها كناية عن العقوبة أو السخط ونحو ذلك اذ كان قد تقدم ذلك في قوله فأخذهم الطوفان وهم ظالمون كان وجها من التأويل ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون﴾ يقول تعالى ذكره ولقد بعثنا يا محمد صلى الله عليه وسلم واذكر أيضا يا محمد ابراهيم خليل الرحمن اذ قال لقومه اعبدوا الله أيها القوم دون غيره من الاوثان والاصنام فانه لا اله لكم غيره واتقوه يقول واتقوا سخطه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ما هو خير لكم مما هو شر لكم ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل خليله ابراهيم لقومه انما تعبدون أيها القوم من دون الله أوثانا يعني مثلا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما تعبدون من دون الله أوثانا أصناما واختلف أهل التأويل في تأويل قوله وتخلقون افكا فقال بعضهم معناه وتصنعون كذبا ذكر من قال ذلك حدثنا علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله وتخلقون افكا يقول تصنعون كذبا * وقال آخرون وتقولون كذبا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وتخلقون افكا يقول وتقولون افكا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسين قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وتخلقون افكا يقول تقولون كذبا * وقال آخرون بل معنى ذلك وتنحتون افكا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله وتخلقون افكا قال تنحتون تصورون افكا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وتخلقون افكا

بالكافرين بآياته أى بدلائل الوحدانية وبالكتب والمعجزات وفى زيادة قوله (أولئك) اشارة الى أن اليأس من الرحمة منحصر فيهم لقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ونسبة اليأس اليهم اما على سبيل الاخبار عن حالهم يوم القيامة أو على سبيل

أى تصنعون أصناما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتخلقون افكا الأوثان التى ينحتونها بأيديهم * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معناه وتصنعون كذبا وقد بينا معنى الخلق فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع فتأويل الكلام اذا انما تعبدون من دون الله أوثانا وتصنعون كذبا وباطلا (١) وانما فى قوله افكا مردود على انما كقول القائل انما تفعلون كذا وانما تعملون كذا وقرأ جميع قراء الامصار وتخلقون افكا بتخفيف الخاء من قوله وتخلقون وضم اللام من الخلق وذكر عن أبى عبد الرحمن السلمى أنه قرأ وتخلقون افكا بفتح الخاء وتشديد اللام من التخليق والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ما عليه قراء الامصار لاجماع الحجة من القراء عليه وقوله ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا يقول جل ثناؤه أن أوثانكم التى تعبدونها لا تقدر أن ترزقكم شيأ فابتغوا عند الله الرزق يقول فالتمسوا عند الله الرزق لا من عند أوثانكم تدركوا ما تبتغون من ذلك واعبدوه يقول وذلوا له واشكروا له على رزقه اياكم ونعمه التى أنعمها عليكم يقال شكرته وشكرت له أفصح من شكرته وقوله اليه ترجعون يقول الى الله تردون من بعد مماتكم فيسألكم عما أنتم عليه من عبادتكم عبدوا أنتم عباده وخلقه وفى نعمه تتقلبون ورزقه تأكلون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين﴾ يقول تعالى ذكره وان تكذبوا أيها الناس رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم فيما دعاكم اليه من عبادة ربكم الذى خلقكم ورزقكم والبراءة من الأوثان فقد كذبت جماعات من قبلكم رسلها فيما دعتهم اليه الرسل من الحق فحل بها من الله سخطه ونزل بها منه عاجل عقوبته فسبيلكم سبيلها فيما هو نازل بكم بتكذيبكم اياه وما على الرسول الا على البلاغ المبين يقول وما على محمد الا أن يبلغكم عن الله رسالته ويؤدى اليكم ما أمره بأدائه اليكم ربه ويعنى بالبلاغ المبين الذى يبين لمن سمعه ما يراد به ويفهم به ما يعنى به ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شئ قدير﴾ يقول تعالى ذكره أولم يروا كيف يستأنف الله خلق الاشياء طفلا صغيرا ثم غلاما يافعا ثم رجلا مجتمعا ثم كهلا يقال منه أبدأ وأعاد وبدأ وعاد لغتان بمعنى واحد وقوله ثم يعيده يقول ثم هو يعيده من بعد فنائه وبلاه كما بدأه أول مرة خلقا جديدا لا يتعذر عليه ذلك ان ذلك على الله يسير سهل كما كان يسيرا عليه ابداؤه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده بالبعث بعد الموت وقوله قل سيروا فى الارض يقول تعالى ذكره لمحمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للمكذبين بالبعث بعد الممات الجاحدين الثواب والعقاب سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الله الأشياء وكيف أنشأها وأحدثها وكما أوجدها وأحدثها ابتداء فلم يتعذر عليه احداثها مبتدأ فكذلك لا يتعذر عليه انشاؤها معيدا ثم الله ينشئ النشأة الآخرة يقول ثم الله يبدئ تلك البدأة الآخرة بعد الفناء * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا

(١) لعل مراده وانما المقدرة فى قوله افكا مردود الخ والمقصود منه واضح اه كتبه مصححه

وصف الحال فان وصف المؤمن أن يكون راجيا خاشيا ونعت الكافر أن لا يخطر بباله خوف ولا رجاء بل يكون خائفا كما قيل الخائن خائف وجوز فى الكشاف أن يكون على طريقة التشبيه كأنه يشبه حالهم فى انتفاء الرحمة عنهم بحال من يئس من رحمة الله ولعله ذهب الى هذا التشبيه لان اليأس من رحمة الله متوقف على الاعتراف بالله وبرحمته والكافر غير معترف بواحد من الامرين ثم بين بتكرير أولئك فى قوله (وأولئك لهم عذاب أليم) أن كل واحد من الوعيدين لا يوجد الا فيهم وان كان الوعيدان متلازمين فى الحقيقة ثم حكى أن جواب قوم ابراهيم لم يكن الا أن قالوا فيما بينهم أو قال واحد ورضى به الباقون (اقتلوه) بالسيف ونحوه (أو حرقوه) بالنار وهذا ليس جوابا فى الحقيقة ولكنه كقولهم عتابك السيف وفيه بيان جهالتهم أنهم وضعوا الوعيد موضع الائتمار للنصيحة والاذعان للحق ثم بين أنهم اتفقوا على تحريقه فأنجاه من النار والقصة مذكورة فى سورة الانبياء (ان فى ذلك) الانجاء (لآيات) جمع الآية لعظم تلك الحالة كقوله ان ابراهيم كان أمة أو لأنها مشتملة على أحوال عجيبة كالرمى من المنجنيق من غير أن لحق به ضرر وكما يروى أن النار صارت عليه روحا وريحانا الى غير ذلك وانما قال فى قصة نوح عليه السلام وجعلناها آية ولم يذكر الجعل ههنا لأن الخلاص من مثل تلك النار آية فى نفسه وأما السفينة فقد جعلها الله آية بأن أحدث الطوفان وصانها عن الغرق ويمكن أن يقال ان الصون عن النار أعجب من الصون عن الماء فلذلك وحد الآية هناك وجمعها ههنا

وانما قال هناك آية للعالمين وههنا آيات لقوم يؤمنون لان تلك السفينة بقيت أعواما حتى مرّ عليها الناس ورأوها فحصل العلم بها لكل أحد أو تقول جنس السفينة حصلت بعد ذلك فما بين الناس فكانت آية للعالمين وأما تبريد النار فلم يبق من ذلك أثر فلم يظهر لنا بعد الا بطريق الايمان به * وههنا لطيفة وهي أن الله تعالى جعل النار بردا وسلاما على ابراهيم بسبب اهتدائه في نفسه وهدايته لغيره وقال قد كان لكم أسوة حسنة في ابراهيم فحصل للمؤمنين بشارة بأن الله سيجعل النار على المؤمن المهتدي بردا وسلاما ثم حكى أنه بعد أن خرج من النار عاد الى النصيحة والدعاء لقومه الى التوحيد والاخلاص وذلك قوله (وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة) قال جار الله من قرأ بالنصب بغير اضافة أو باضافة فعلى وجهين أحدهما التعليل أي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاتفاقكم واتئلافكم على عبادتها كما يتفق الناس على مذهب فيكون بينهم نسبة من ذلك الوجه الثاني أن يكون مفعولا ثانيا على حذف المضاف أو على أن المصدر بمعنى المفعول أي اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم واتخذتموها مودودة بينكم ومن قرأ بالرفع باضافة او بغير اضافة فعلى وجهين أيضا أن يكون خبر الان على أن ما موصولة والتقدير ان التي اتخذتموها اوثانا هي سبب مودة بينكم أو مودودة بينكم وأن يكون خبر مبتدا محذوف أي هي مودودة أو سبب مودة وعلى هذا فالوقف على أوثانا حسن كما مر (ثم يوم القيامة) يقوم بين العبدة وكذا بينهم وبين أوثانهم التباغض والتلاعن نظيره كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا والتحقيق فيه أنهم غلبت عليهم الجسمية ولذاتها فلهذا ألفوا الاصنام ولم تقبل عقولهم موجودا منزها عن الاجسام وخواصها فلا جرم اذا رفعت الحجب وكشف الغطاء عن عالم الارواح زالت نسبة الجسمية وظهرت الآلام الروحانية وعذبوا بنار الحسران والحرمان من غير شفعاء ولا أعوان فلذلك قال (ومأواكم النار

بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق خلق السموات والارض ثم الله ينشئ النشأة الآخرة أي البعث بعد الموت حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم الله ينشئ النشأة الآخرة قال هي الحياة بعد الموت وهو النشور وقوله ان الله على كل شئ قدير يقول تعالى ذكره ان الله على انشاء جميع خلقه بعد افنائه كهيئته قبل فنائه وعلى غير ذلك مما يشاء فعله قادر لا يعجزه شئ أراده * القول في تأويل قوله تعالى ﴿يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون وما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير﴾ يقول تعالى ذكره ثم الله ينشئ النشأة الآخرة خلقه من بعد فنائهم فيعذب من يشاء منهم على ما أسلف من جرمه في أيام حياته ويرحم من يشاء منهم ممن تاب وآمن وعمل صالحا واليه تقلبون يقول واليه ترجعون وتردون وأما قوله وما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء فان ابن زيد قال في ذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء قال لا يعجزه أهل الارضين في الارضين ولا أهل السموات في السموات ان عصوه وقرأ مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين وقال في ذلك بعض أهل العربية من أهل البصرة وما أنتم بمعجزين في الارض ولا من في السماء معجزين قال وهو من غامض العربية للضمير الذي لم يظهر في الثاني قال ومثله قول حسان ابن ثابت

أمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء

أراد ومن ينصره ويمدحه فأضمر من قال وقد يقع في وهم السامع أن النصر والمدح لمن هذه الظاهرة ومثله في الكلام أكرم من أتاك وأتى أباك وأكرم من أتاك ولم يأت زيدا يريد ومن لم يأت زيدا فيكتفي باختلاف الافعال من اعادة من كأنه قال أمن يهجو ومن يمدحه ومن ينصره ومنه قول الله عز وجل ومن هو مستخف بالليل وساربٌ بالنهار وهذا القول أصح عندي في المعنى من القول الآخر ولو قال قائل معناه ولا أنتم بمعجزين في الارض ولا أنتم لو كنتم في السماء بمعجزين كان مذهبا وقوله وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يقول وما كان لكم أيها الناس من دون الله من ولي يلي أموركم ولا نصير ينصركم من الله ان أراد بكم سوأ ولا يمنعكم منه ان أحل بكم عقوبته * القول في تأويل قوله تعالى ﴿والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره والذين كفروا بحجج الله وأنكروا أدلته وجحدوا لقاءه والورود عليه يوم تقوم الساعة أولئك يئسوا من رحمتي يقول تعالى ذكره أولئك يئسوا من رحمتي في الآخرة لما عاينوا ما أعدلهم من العذاب وأولئك لهم عذاب موجع فان قال قائل وكيف اعترض بهذه الآيات من قوله وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم الى قوله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون وترك ضمير قوله فما كان جواب قومه وهو من قصة ابراهيم وقوله ان الذين تعبدون من دون الله الى قوله فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون قيل فعل ذلك كذلك لان الخبر عن أمر نوح وابراهيم وقومهما وسائر من ذكر الله من الرسل والامم في هذه السورة وغيرها انما هو تذكير من الله تعالى ذكره به الذين يبتدئ بذكرهم قبل الاعتراض بالخبر وتحذيرهم أن يحل بهم ما حل بهم فكأنه قيل في هذا الموضع فاعبدوه واشكروا له اليه ترجعون فكذبتم أنتم معشر قريش رسولكم محمد

ومالكم من ناصرين) وانما لم يقل ههنا ومالكم من دون الله لان الله لا ينصر الكفار من أهل النار وانما جمع الناصر ههنا لانه أراد في الاول جنس النصير وههنا أراد نفي الناصرين الذين كان أهل الشرك يزعمون أنهم شفعاؤهم عند الله (فآمن له لوط) وكان ابن أخي

كما كذب أولئك ابراهيم ثم جعل مكان فكذبتم وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم اذ كان ذلك يدل على الخبر عن تكذيبهم رسولهم ثم عاد الى الخبر عن ابراهيم وقومه وتتميم قصته وقصتهم بقوله فما كان جواب قومه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره فلم يكن جواب قوم ابراهيم له اذ قال لهم اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون الا أن قال بعضهم لبعض اقتلوه أو حرقوه بالنار فعملوا فأرادوا احراقه بالنار فأضرموا له النار فألقوه فيها فأنجاه الله منها ولم يسلطها عليه بل جعلها عليه بردا وسلاما كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فما كان جواب قوم ابراهيم الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار قال قال كعب ما حرقت منه الا وثاقه ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون يقول تعالى ذكره ان في انجاء الله ابراهيم من النار وقد ألقي فيها وهي تسعر وتصير عليه بردا وسلاما لآيات وحججا لقوم يصدقون بالادلة والحجج اذا عاينوا ورأوا ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل ابراهيم لقومه وقال ابراهيم لقومه يا قوم انما اتخذتم من دون الله أوثانا واختلفت القراء في قراءة قوله مودة بينكم فقرأته عامة قراء المدينة والشام وبعض الكوفيين مودة بنصب مودة بغير اضافة بينكم بنصبها وقرأ ذلك بعض الكوفيين مودة بينكم بنصب المودة واضافتها الى قوله بينكم وخفض بينكم وكأن هؤلاء الذين قرؤا قوله مودة نصبا وجهوا معنى الكلام الى انما اتخذتم أيها القوم أوثانا مودة بينكم فجعلوا انما حرفا واحدا وأوقعوا قوله اتخذتم على الاوثان فنصبوها بمعنى اتخذتموها مودة بينكم في الحياة الدنيا تتحابون على عبادتها وتتوادون على خدمتها فتتواصلون عليها وقرأ ذلك بعض قراء أهل مكة والبصرة مودة بينكم برفع المودة واضافتها الى البين وخفض البين وكأن الذين قرؤا ذلك كذلك جعلوا ان ما حرفين بتأويل ان الذين اتخذتم من دون الله أوثانا انما هو مودتكم للدنيا فرفعوا مودة على خبر ان وقد يجوز أن يكونوا على قراءتهم ذلك رفعا بقوله انما أن تكون حرفا واحدا ويكون الخبر متناهيا عند قوله انما اتخذتم من دون الله أوثانا ثم يبتدئ الخبر فيقال مودتكم تلك الاوثان بينكم في حياتكم الدنيا ثم هي منقطعة واذا أريد هذا المعنى كانت المودة مرفوعة بالصفة بقوله في الحياة الدنيا وقد يجوز أن يكونوا يرفعون المودة رفعها على ضمير هي وهذه القراآت الثلاث متقاربات المعاني لان الذين اتخذوا الاوثان آلهة يعبدونها اتخذوها مودة بينهم وكانت لهم في الحياة الدنيا مودة ثم هي عنهم منقطعة فبأي ذلك قرأ القارئ فمصيب لتقارب معاني ذلك وشهرة القراءة بكل واحدة منهن في قراء الامصار ﴿ ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا قال صارت كل خلة في الدنيا عداوة على أهلها يوم القيامة الا خلة المتقين وقوله ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا يقول تعالى ذكره ثم يوم القيامة أيها المتوادون على عبادة الأوثان والاصنام والمتواصلون على خدمتها عند ورودكم على ربكم ومعاينتكم ما أعد الله لكم على التواصل والتوادّ في الدنيا من أليم العذاب يكفر بعضكم

ابراهيم صدقه حين رأى النار لم تحرقه قالت العلماء ان لوطا آمن برسالة ابراهيم حين رأى المعجزة وأما بالوحدانية فآمن حين سمع مقالته اذ لو توقف في الايمان الى وقت اظهار المعجزة كان ناقصا في مرتبته وقدحا في نور باطنه الا ترى أن أبا بكر وعليا أسلما كما عرض النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام عليهما (وقال) ابراهيم (اني مهاجر) من كوثى وهي من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين وهذا قالوا الكل نبي هجرة ولابراهيم هجرتان وكان معه في هجرته امرأته سارة وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة وهاجر معه لوط أيضا ومعنى (الى ربي) أي الى حيث أمر ربي بالهجرة اليه ومثله قوله اني ذاهب الى ربي وعبارة القرآن أدخل في الاخلاص لان المهاجر الى حيث امره الملك قد يهاجر اليه مرة أخرى لغرض نفسه فيصدق أنه مهاجر الى حيث أمره الملك ولا يصدق أنه مهاجر لاجل الملك ولرضاه وفي قوله (انه هو العزيز الحكيم) نوع تهديد لقومه وتصويب لما بدا له من الهجرة بأمر الله قال في الكشاف انه هو العزيز الذي يمتنع من أعدائي الحكيم الذي لا يأمرني الا بما هو مصلحتي ثم ذكر ما أنعم به عليه من الاولاد والاحفاد ومن جعل النبوة وجنس الكتاب الالهي فيهم وهو التوراة والانجيل والزبور والفرقان ولهذا التدرج ذكر اسمعيل في الآية ولعل السر في عدم ذكر اسمعيل والتصريح بذكره أن الله تعالى جعل الزمان بعد ابراهيم قسمين أحدهما زمن اسحق ويعقوب وذراريهما الى زمان الفترة والآخر من محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم قيام الساعة وهو من ولد اسمعيل فطى ذكر اسمعيل اشارة الى تأخر زمان دولته والله أعلم ثم كرر

ذكر النعمة بقوله (وآتيناه أجره في الدنيا) قال أهل التحقيق ان الله تعالى بدل جميع أحوال ابراهيم عليه السلام بأضدادها لما أراد القوم تعذيبه بالنار فجعلها الله عليه بردا وسلاما وهاجر فريدا وحيدا فوهب الله له ذرية طيبة مباركة كما وصفنا وكان لا مال له فكثر ماله حتى حصل له من المواشي ما علم الله عدده فقط يروى أنه كان له اثنا عشر ألف كلب حارس في أعناقها أطواق من ذهب وكان خاملا حتى قال قائلهم سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم فجعل الله له لسان صدق في الآخرين اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم ثم بين بقوله (وانه في الآخرة لمن الصالحين) أن تلك النعمة الدنيوية ولذاتها مقرونة بفلاح الآخرة وصلاحها جعلنا الله تعالى ببركته أهلا لبعض ذلك وهو المستعان قوله (ولوطا اذ قال) اعرابه كاعراب قوله وابراهيم اذ قال وقدمر والظاهر أن لوطا يكون قد أمر قومه بالتوحيد والعبادة أولا ثم نهاهم عن الفاحشة ثانيا الا أن الله تعالى قد حكى عنه ما اختص به وبقومه وهو قوله (انكم لتأتون الفاحشة) ويحتمل أن يكونوا موحدين الا أنهم بسبب الاصرار على الفعلة الشنعاء وتحليلها مع وجود النبي صلى الله عليه وسلم الناهي عنها صاروا في حكم الكفرة واذا كان الزنا فاحشة كما قال ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة مع أن الزنا لا يفضي الى قطع النسل فاللواطة أولى بكونها فاحشة لتماديها في القبح ولافضائها الى انقطاع النسل ويعلم منه احتياجها الى الزاجر كالزنا بل أولى ويعلم منه افتقارها الى الرجم بدليل امطار الحجارة على أهلها ومعنى (ما سبقكم بها) أنه لم يأت بمثل هذا الفعل أحد قبلهم أو لم يشتهر به ولم يبالغ فيه أحد وان ارتكبه بعضهم في الندرة كما يقال ان فلانا سبق البخلاء في البخل واللئام في اللؤم اذا زاد عليهم ومعنى (تقطعون السبيل) تقضون الشهوة بالرجال مع قطع السبيل المعتاد مع النساء ويجوز أن يكونوا قطاع الطريق

ببعض يقول يتبرأ بعضكم من بعض ويلعن بعضكم بعضا وقوله ومأواكم النار يقول جل ثناؤه ومصيركم جميعكم أيها العابدون الأوثان وما تعبدون النار ومالكم من ناصرين يقول ومالكم أيها القوم المتخذوا الآلهة من دون الله مودة بينكم من أنصار ينصرونكم من الله حين يصليكم زحفهم فينقذونكم من عذابه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم﴾ يقول تعالى ذكره فصدق ابراهيم خليل الله لوط وقال اني مهاجر الى ربي يقول وقال ابراهيم اني مهاجر داري وقومي الى ربي الى الشام * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فآمن له لوط قال صدق لوط وقال اني مهاجر الى ربي قال هو ابراهيم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فآمن له لوط أي فصدقه لوط وقال اني مهاجر الى ربي قال هاجر جميعا من كوثى وهي من سواد الكوفة الى الشام قال وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول انها ستكون هجرة بعد هجرة فيخار أهل الارض الى مهاجر ابراهيم ويبقى في الارض شرارها حتى تلفظهم وتقذرهم وتحشرهم النار مع القردة والخنازير حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فآمن له لوط قال صدقه لوط صدق ابراهيم قال أرأيت المؤمنين أليس آمنوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به قال فالايمان التصديق وفي قوله اني مهاجر الى ربي قال كانت هجرته الى الشام وقال ابن زيد في حديث الذئب الذي كلم الرجل فأخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فآمنت له أنا وأبو بكر وعمر وليس أبو بكر ولا عمر معه يعني آمنت له صدقته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي قال الى حران ثم أمر بعد بالشام الذي هاجر ابراهيم وهو أول من هاجر يقول فآمن له لوط وقال ابراهيم اني مهاجر الآية حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي ابراهيم القائل اني مهاجر الى ربي وقوله انه هو العزيز الحكيم يقول ان ربي هو العزيز الذي لا يذل من نصره ولكنه يمنعه ممن أراده بسوء واليه هجرته الحكيم في تدبيره خلقه وتصريفه اياهم فيما صرفهم فيه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين﴾ يقول تعالى ذكره ورزقناه من لدنا اسحق ولدا ويعقوب من بعده ولد ولد كما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب قال هما ولد ابراهيم وقوله وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب يعني الجمع يراد به الكتب ولكنه خرج مخرج قولهم كثر الدرهم والدينار عند فلان وقوله وآتيناه أجره في الدنيا يقول تعالى ذكره وأعطيناه ثواب بلائه فينا في الدنيا وانه مع ذلك في الآخرة لمن الصالحين فله هناك أيضا جزاء الصالحين غير منتقص حظه بما أعطي في الدنيا من الاجر على بلائه في الله عما له عنده في الآخرة وقيل ان الاجر الذي ذكره الله عز وجل أنه آتاه ابراهيم في الدنيا هو الثناء الحسن والولد الصالح ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وآتيناه أجره في الدنيا قال الثناء حدثني أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن

والظاهر يشعر به (وتأتون فى ناديكم المنكر) أى تضمون الى قبح فعلكم قبح الاظهار والنادى هو المجلس مادام فيه الناس وعن عائشة كانوا يجامعون وعن ابن عباس هو الحذف ومضغ العلك وحل الازار والفحش فى المزاح والسخرية بمن مر بهم (فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله) ولم يهددوه بنحو القتل والتخويف كما فى قصة ابراهيم لان ابراهيم كان يقدح فى آلهتهم ويشتمهم بتعديد نقائصهم يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيأ فجعلوا جزاءه شر الجزاء وأما لوط فكان ينكر عليهم فعلهم فهددوه بالاخراج أولا أخرجوا آل لوط من قريتكم واقترحوا من عذاب الله ثانيا ويجوز أن يكون على سبيل الاستهزاء فلا جرم (قال رب انصرنى على القوم المفسدين) كأنه أيس من توبتهم وانابتهم ومن أن يلدوا تائبا مطيعا كما قال نوح ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ولعلهم كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصى والفواحش طوعا وكرها أو بابتداء الفواحش واقتداء من بعدهم بهم والبشرى هى البشارة بالولد والناشئة اسحق ويعقوب واضافة مهلكو اضافة تخفيف لا تعريف لانه بمعنى الاستقبال أو الحال القريب منه لا الماضى ولان المقصود يتضح بذلك لا بوصف الملائكة لمطلق الاهلاك والقرية سدوم ثم علل الاهلاك بأن الظلم قد استمر فيهم بناء على أن كان للثبوت والاستمرار ويحتمل أن يكون للزمان الماضى فان هذا القدر يكفى للتعليل والزائد عليه لا تحتاج الملائكة الى تقريره بخلاف ما فى قصة نوح فأخذهم الطوفان وهم ظالمون فان ذلك اخبار من الله تعالى ولا يحسن من الكريم أن يعاقب على الجرم السابق الا بعد تحقق الاصرار والاستمرار قال بعضهم ان تعلق البشرى بهذا الانذار هو أنه كان لاهلاك قوم لوط اخلاء الارض من العباد فقدمت البشارة المذكورة المتضمنة لوجود عباد صالحين حتى لا يتأسف على اهلاك قوم

ليث قال أرسل مجاهد رجلا يقال له قاسم الى عكرمة يسأله عن قوله وآتيناه أجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين قال قال أجره فى الدنيا أن كل ملة تتولاه وهو عند الله من الصالحين قال نرجع الى مجاهد فقال أصاب حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن منذل عمن ذكره عن ابن عباس وآتيناه أجره فى الدنيا قال الولد الصالح والثناء حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وآتيناه أجره فى الدنيا يقول الذكر الحسن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وآتيناه أجره فى الدنيا قال عافية وعملا صالحا وثناء حسنا فلست بلاق أحدا من الملل الا يرضى ابراهيم ويتولاه وانه فى الآخرة لمن الصالحين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ يقول تعالى ذكره ولنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر لوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الذكران ما سبقكم بها يعنى بالفاحشة التى كانوا يأتونها وهى اتيان الذكران من أحد من العالمين ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن خالد بن خداش ويعقوب بن ابراهيم قالا ثنا اسمعيل بن علية عن ابن أبى نجيح عن عمرو بن دينار فى قوله انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين قال ما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل لوط لقومه أئنكم أيها القوم لتأتون الرجال فى أدبارهم وتقطعون السبيل يقول وتقطعون المسافرين عليكم بفعلكم الخبيث وذلك أنهم فيما ذكر عنهم كانوا يفعلون ذلك بمن مر عليهم من المسافرين ومن ورد بلادهم من الغرباء ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتقطعون السبيل قال السبيل الطريق المسافر اذا مر بهم وهو ابن السبيل قطعوا به وعملوا به ذلك العمل الخبيث وقوله وتأتون فى ناديكم المنكر اختلف أهل التأويل فى المنكر الذى عناه الله الذى كان هؤلاء القوم يأتونه فى ناديهم فقال بعضهم كان ذلك أنهم كانوا يتضارطون فى مجالسهم ذكر من قال ذلك حدثنى عبد الرحمن بن الاسود قال ثنا محمد بن ربيعة قال ثنا روح بن عطيفة الثقفى عن عمرو بن مصعب عن عروة بن الزبير عن عائشة فى قوله وتأتون فى ناديكم المنكر قال الضراط ۞ وقال آخرون بل كان ذلك أنهم كانوا يحذفون من مر بهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا أبو أسامة عن حاتم بن أبى صغيرة عن سماك بن حرب عن أبى صالح عن أم هانئ قالت سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن قوله وتأتون فى ناديكم المنكر قال كانوا يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم فهو المنكر الذى كانوا يأتون حدثنا الربيع قال ثنا أسد قال ثنا أبو أسامة باسناده عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله حدثنا أحمد بن عبدة الضبى قال ثنا سليم ابن أخضر قال ثنا أبو يونس القشيرى عن سماك بن حرب عن أبى صالح مولى أم هانئ أن أم هانئ سئلت عن هذه الآية وتأتون فى ناديكم المنكر فقالت سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانوا يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عمر بن أبى زائدة قال سمعت عكرمة يقول فى قوله وتأتون فى ناديكم المنكر قال كانوا يؤذون أهل الطريق يحذفون من مر بهم حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى عن عمر بن أبى زائدة قال سمعت

عكرمة قال الحذف حدثنا موسى قال أخبرنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى وتأتون فى ناديكم المنكر قال كان كل من مر بهم حذفوه فهو المنكر حدثنا الربيع قال ثنا أسد قال ثنا سعيد بن زيد قال ثنا حاتم بن أبى صغيرة قال ثنا سماك بن حرب عن باذام أبى صالح مولى أم هانئ عن أم هانئ قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية وتأتون فى ناديكم المنكر قال كانوا يجلسون بالطريق فيحذفون أبناء السبيل ويسخرون منهم * وقال بعضهم بل كان ذلك اتيانهم الفاحشة فى مجالسهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قال كان يأتى بعضهم بعضا فى مجالسهم يعنى قوله وتأتون فى ناديكم المنكر حدثنا سليمن بن عبد الجبار قال ثنا ثابت بن محمد الليثى قال ثنا فضيل بن عياض عن منصور بن المعتمر عن مجاهد فى قوله وتأتون فى ناديكم المنكر قال كان يجامع بعضهم بعضا فى المجالس حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن مجاهد وتأتون فى ناديكم المنكر قال كان يأتى بعضهم بعضا فى المجالس حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى عن سفيان عن منصور عن مجاهد قال كانوا يجامعون الرجال فى مجالسهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وتأتون فى ناديكم المنكر قال المجالس والمنكر اتيانهم الرجال حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وتأتون فى ناديكم المنكر قال كانوا يأتون الفاحشة فى ناديهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتأتون فى ناديكم المنكر قال ناديهم المجالس والمنكر عملهم الخبيث الذى كانوا يعملونه كانوا يعترضون بالراكب فيأخذونه ويركبونه وقرأ أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون وقرأ ما سبقكم بها من أحد من العالمين حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وتأتون فى ناديكم المنكر يقول فى مجالسكم * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معناه وتحذفون فى مجالسكم المارة بكم وتسخرون منهم لما ذكرنا من الرواية بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين يقول تعالى ذكره فلم يكن جواب قوم لوط اذ نهاهم عما يكرهه الله من اتيان الفواحش التى حرمها الله الا قيلهم ائتنا بعذاب الله الذى تعدنا ان كنت من الصادقين فيما تقول والمنجزين لما تعد ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال رب انصرنى على القوم المفسدين ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكو أهل هذه القرية ان أهلها كانوا ظالمين﴾ يقول تعالى ذكره ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى من الله باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالوا انا مهلكو أهل هذه القرية يقول قالت رسل الله لابراهيم انا مهلكو أهل هذه القرية قرية سدوم وهى قرية قوم لوط ان أهلها كانوا ظالمين يقول ان أهلها كانوا ظالمى أنفسهم بتعصيتهم الله وتكذيبهم رسوله صلى الله عليه وسلم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى الى قوله نحن أعلم بمن فيها قال يجادل ابراهيم الملائكة فى قوم لوط أن يتركوا قال أرأيتم ان كان فيها عشرة أبيات من المسلمين أتتركونهم فقالت الملائكة ليس فيها عشرة أبيات ولا تسعة ولا أربعة ولا ثلاثة ولا اثنان قال لحزن على لوط وأهل بيته فقال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين فذلك قوله يجادلنا فى قوم لوط ان ابراهيم لحليم أواه منيب فقالت الملائكة يا ابراهيم أعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غير

من أبناء جنسه ثم ان ابراهيم لما سمع انذار الملائكة أظهر الاشفاق على لوط والحزن له قائلا (ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم) منك (بمن فيها) وأخبروا بحاله وحال قومه ومعنى (من الغابرين) من الماضين ذكرهم أو من يمضى زمانه ويفنى أو من الباقين فى المهلكين و(سىء بهم وضاق بهم ذرعا) قدمر فى هود وقال بعضهم يحتمل أن يكون ضيق الذرع عبارة عن انقباض الروح فعند ذلك تجتمع أعضاء الانسان وتقل مساحتها فقالت الملائكة (لا تخف) علينا (ولا تحزن) بسبب التفكر فى أمرنا وقال أهل البرهان وانما قيل ههنا

مردود فبعث الله اليهم جبرائيل صلى الله عليه وسلم فانتسف المدينة وما فيها بأحد جناحيه فجعل عاليها سافلها وتبعهم بالحجارة بكل أرض ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين﴾ يقول تعالى ذكره قال ابراهيم للرسل من الملائكة اذ قالوا له انا مهلكو أهل هذه القرية ان أهلها كانوا ظالمين فلم يستثنوا منهم أحدا اذ وصفوهم بالظلم ان فيها لوطا وليس من الظالمين بل هو من رسل الله وأهل الايمان به والطاعة له فقالت الرسل له نحن أعلم بمن فيها من الظالمين الكافرين بالله منك وان لوطا ليس منهم بل هو كما قلت من أولياء الله لننجينه وأهله من الهلاك الذى هو نازل بأهل قريته الا امرأته كانت من الغابرين الذين أبقتهم الدهور والايام وتطاولت أعمارهم وحياتهم وانها هالكة من بين أهل لوط مع قومها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولما أن جاءت رسلنا لوطا سىء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك وأهلك الا امرأتك كانت من الغابرين﴾ يقول تعالى ذكره ولما أن جاءت رسلنا لوطا من الملائكة سىء بهم يقول ساءته الملائكة بمجيئهم اليه وذلك أنهم تضيفوه فساءه بذلك فقوله سىء بهم فعل يهم من ساءه بذلك وذكر عن قتادة أنه كان يقول ساءظنه بقومه وضاق بضيفه ذرعا حدثنا بذلك الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال اخبرنا معمر عنه وضاق بهم ذرعا يقول وضاق ذرعه بضيافتهم لما علم من خبث فعل قومه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولما أن جاءت رسلنا لوطا سىء بهم وضاق بهم ذرعا قال بالضيافة مخافة عليهم مما يعلم من شر قومه وقوله وقالوا لا تخف ولا تحزن يقول تعالى ذكره قالت الرسل للوط لا تخف علينا أن يصل الينا قومك ولا تحزن مما أخبرناك من أنا مهلكوهم وذلك أن الرسل قالت له يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فأسر بأهلك بقطع من الليل انا منجوك من العذاب الذى هو نازل بقومك وأهلك يقول ومنجوا أهلك معك الا امرأتك فانها هالكة فيمن يهلك من قومها كانت من الباقين الذين طالت أعمارهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الرسل للوط انا منزلون يا لوط على أهل هذه القرية سدوم رجزا من السماء يعنى عذابا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا أى عذابا وقد بينا معنى الرجز وما فيه من أقوال أهل التأويل فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله بما كانوا يفسقون يقول بما كانوا يأتون من معصية الله ويركبون من الفاحشة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أبقينا من فعلنا التى فعلنا بهم آية يقول عبرة بينة وعظة وعاظة لقوم يعقلون عن الله حججه ويتفكرون فى مواعظه وتلك الآية البينة هى عندى عفو آثارهم ودروس معالمهم وذكر عن قتادة فى ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون قال هى الحجارة التى أمطرت عليهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله منها آية بينة قال عبرة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا فى الارض مفسدين﴾ يقول تعالى ذكره وأرسلنا الى مدين أخاهم شعيبا فقال لهم يا قوم اعبدوا الله وحده وذلوا له بالطاعة واخضعوا له بالعبادة وارجوا اليوم الآخر يقول وارجوا بعبادتكم اياه جزاء اليوم الآخر وذلك يوم القيامة ولا تعثوا فى الارض مفسدين يقول ولا تكثروا فى الارض معصية الله ولا تقيموا عليها ولكن

ولما أن جاءت بزيادة أن لأن لما تقتضى جوابا واذا اتصل به أن دل على أن الجواب وقع فى الحال من غير تراخ فى الظاهر كما فى هذه السورة وهو قوله سىء بهم وفى هود اتصل به كلام بعد كلام فطال فلم يحسن دخول أن ظاهرا مع أن القصة واحدة ثم ان الملائكة قالوا للوط انا منجوك بلفظ اسم الفاعل وقالوا لابراهيم عليه السلام لننجينه بلفظ الفعل لان ذلك ابتداء الوعد وهذا أوان انجازه فأرادوا أن ذلك الوعد حتم واقع منا كقولك أنا ميت لضرورة وقوعه ووجوده والرجز العذاب الذى يوقع صاحبه فى القلق

توبوا الى الله منها وأنيبوا وقد كان بعض أهل العلم بكلام العرب يتأول قوله وارجوا اليوم الآخر بمعنى واخشوا اليوم الآخر وكان غيره من أهل العلم بالعربية ينكر ذلك ويقول لم نجد الرجاء بمعنى الخوف فى كلام العرب الا اذا قارنه الجحد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين ﴾ يقول تعالى ذكره فكذب أهل مدين شعيبا فيما أتاهم به عن الله من الرسالة فأخذتهم رجفة العذاب فأصبحوا فى دارهم جاثمين جثوما بعضهم على بعض موتى كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأصبحوا فى دارهم جاثمين أى ميتين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين ﴾ يقول تعالى ذكره واذكروا أيها القوم عادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم خرابها وخلاؤها منهم بوقائعنا بهم وحلول سطوتنا بجميعهم وزين لهم الشيطان أعمالهم يقول وحسن لهم الشيطان كفرهم بالله وتكذيبهم رسله فصدهم عن السبيل يقول فردهم بتزيينه لهم ما زين لهم من الكفر عن سبيل الله التى هى الايمان به ورسله وما جاؤهم به من عنده بهم وكانوا مستبصرين يقول وكانوا مستبصرين فى ضلالتهم معجبين بها يحسبون أنهم على هدى وصواب وهم على الضلال * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين يقول كانوا مستبصرين فى دينهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وكانوا مستبصرين فى الضلالة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكانوا مستبصرين فى ضلالتهم معجبين بها حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وكانوا مستبصرين يقول فى دينهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الارض وما كانوا سابقين ﴾ يقول تعالى ذكره واذكر يا محمد قارون وفرعون وهامان ولقد جاء جميعهم موسى بالبينات يعنى بالواضحات من الآيات فاستكبروا فى الارض عن التصديق بالبينات من الآيات وعن اتباع موسى صلوات الله عليه وما كانوا سابقين يقول تعالى ذكره وما كانوا سابقينا بأنفسهم فيفوتونا بل كنا مقتدرين عليهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ يقول تعالى ذكره فأخذنا جميع هذه الامم التى ذكرناها لك يا محمد بعذابنا فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا وهم قوم لوط الذين أمطر الله عليهم حجارة من سجيل منضود والعرب تسمى الريح العاصف التى فيها الحصى الصغار أو الثلج أو البرد والجليد حاصبا ومنه قول الاخطل

(١) ولقد علمت اذا العشار تروحت * هدج الرئال تكبهن شمالا
ترمى العضاه بحاصب من ثلجها * حتى يبيت على العضاه جفالا

وقال الفرزدق

مستقبلين شمال الشام تضربنا * بحاصب كندف القطن منثور

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا قوم لوط

والاضطراب من قولهم ارتجز وارتجس اذا اضطرب والمراد الحجارة وقيل النار وقيل الخسف وعلى هذا يراد أن الامر بالخسف والقضاء به من السماء (ولقد تركنا منها) أى من القرية (آية بينة) هى آثار منازلهم الخربة أو بقية الحجارة أو الماء الاسود أو قصتهم وخبرهم وقوله لقوم يتعلق بترك أو ببينة ولزيادة قوله بينة قال (لقوم يعقلون) بخلاف قوله فى قصة نوح عليه السلام وجعلناها آية للعالمين لان الآية لا تتبين الا لذوى العقول وليس كل من فى العالم بذى عقل ثم أجمل سائر القصص والرجاء

(١) سبق هذا فى الكتاب على هذا الوجه وأورده فى الاغانى ولقد علمت اذا الرياح تناوحت * هوج الخ فراجعه كتبه مصححه

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا وهم قوم لوط ومنهم من أخذته الصيحة اختلف أهل التأويل فى الذين عنوا بذلك فقال بعضهم هم ثمود قوم صالح ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ومنهم من أخذته الصيحة ثمود * وقال آخرون بل هم قوم شعيب ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومنهم من أخذته الصيحة قوم شعيب والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله قد أخبر عن ثمود وقوم شعيب من أهل مدين أنه أهلكهم بالصيحة فى كتابه فى غير هذا الموضع ثم قال جل ثناؤه ولنبيه صلى الله عليه وسلم فمن الأمم التى أهلكناهم من أرسلنا عليهم حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة فلم يخصص الخبر بذلك عن بعض من أخذته الصيحة من الامم دون بعض وكلا الأمتين أعنى ثمود ومدين قد أخذتهم الصيحة وقوله ومنهم من خسفنا به الارض يعنى بذلك قارون * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ومنهم من خسفنا به الارض قارون ومنهم من أغرقنا يعنى قوم نوح وفرعون وقومه واختلف أهل التأويل فى ذلك فقال بعضهم عنى بذلك قوم نوح عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ومنهم من أغرقنا قوم نوح * وقال آخرون بل هم قوم فرعون ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومنهم من أغرقنا قوم فرعون والصواب من القول فى ذلك أن يقال عنى به قوم نوح وفرعون وقومه لان الله لم يخصص بذلك احدى الامتين دون الاخرى وقد كان أهلكهما قبل نزول هذا الخبر عنهما فهما معنيتان به وقوله وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون يقول تعالى ذكره ولم يكن الله ليهلك هؤلاء الامم الذين أهلكهم بذنوب غيرهم فيظلمهم باهلاكه اياهم بغير استحقاق بل انما أهلكهم بذنوبهم وكفرهم بربهم وجحودهم نعمه عليهم مع تتابع احسانه عليهم وكثرة أياديه عندهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بنصرفهم فى نعم ربهم وتقلبهم فى آلائه وعبادتهم غيره ومعصيتهم من أنعم عليهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره مثل الذين اتخذوا الآلهة والاوثان من دون الله أولياء يرجون نصرها ونفعها عند حاجتهم اليها فى ضعف احتيالهم وقبح رويتهم وسوء اختيارهم لانفسهم كمثل العنكبوت فى ضعفها وقلة احتيالها لنفسها اتخذت بيتا لنفسها كما يكنها فلم يغن عنها شيأ عند حاجتها اليه فكذلك هؤلاء المشركون لم يغن عنهم حين نزل بهم أمر الله وحل بهم سخطه أولياؤهم الذين اتخذوهم من دون الله شيأ ولم يدفعوا عنهم ما أحل الله بهم من سخطه بعبادتهم اياهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا الى آخر الآية قال ذلك مثل ضربه الله لمن عبد غيره ان مثله كمثل بيت العنكبوت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت قال هذا مثل ضربه الله للمشرك مثل الهه الذى يدعوه من دون الله كمثل بيت العنكبوت واهن ضعيف لا ينفعه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء

اما على أصله أو بمعنى الخوف وعلى الاول قال جار الله أراد افعلوا ما ترجون به العاقبة فأقيم المسبب مقام السبب أو أمروا بالرجاء والمراد اشتراط ما يسوغه من الايمان كما يؤمر الكافر بالصلاة مثلا على ارادة الشرط وهو الاسلام (فكذبوه) انما صح اطلاق التكذيب مع أن ما ذكره شعيب أمر ونهى والامر لكونه طلبا لا يحتمل التصديق والتكذيب وكذا النهى لان قول شعيب يتضمن قوله الله واحد والحشر كائن والفساد محرم وكل واحد من هذه خبر ومعنى الرجفة والصيحة قدم فى الأعراف وفى هود وكذا انه لم قال مع الرجفة

كمثل العنكبوت اتخذت بيتا قال هذا مثل ضربه الله لا يغنى أولياؤهم عنهم شيأ كما لا يغنى العنكبوت بيتها هذا وقوله وان أوهن البيوت يقول وان أضعف البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون يقول تعالى ذكره لو كان هؤلاء الذين اتخذوا من دون الله أولياء يعلمون أن أولياءهم الذين اتخذوهم من دون الله فى قلة غنائهم عنهم كغناء بيت العنكبوت عنها ولكنهم يجهلون ذلك فيحسبون أنهم ينفعونهم ويقربونهم الى الله زلفى ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شئ وهو العزيز الحكيم وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون﴾ اختلف القراء فى قراءة قوله ان الله يعلم ما يدعون فقرأته عامة قراء الامصار يدعون بالياء بمعنى الخطاب لمشركى قريش ان الله أيها الناس يعلم ما تدعون اليه من دونه من شئ وقرأ ذلك أبو عمرو ان الله يعلم ما يدعون بالياء بمعنى الخبر عن الامم ان الله يعلم ما يدعو هؤلاء الذين أهلكناهم من الامم من دونه من شئ والصواب من القراءة فى ذلك عندنا قراءة من قرأ بالتاء لان ذلك لو كان خبرا عن الامم الذين ذكر الله أنه أهلكهم لكان الكلام ان الله يعلم ما كانوا يدعون لان القوم فى حال نزول هذا الخبر على نبى الله لم يكونوا موجودين اذ كانوا قد هلكوا فبادوا وانما يقال ان الله يعلم ما تدعون اذا أريد به الخبر عن موجودين لا عمن قد هلك فتأويل الكلام اذ كان الامر كما وصفنا ان الله يعلم أيها القوم حال ما تعبدون من دونه من شئ وأن ذلك لا ينفعكم ولا يضركم ان أراد الله بكم سوأ ولا يغنى عنكم شيأ وان مثله فى قلة غنائه عنكم مثل بيت العنكبوت فى غنائه عنها وقوله وهو العزيز الحكيم يقول والله العزيز فى انتقامه ممن كفر به وأشرك فى عبادته معه غيره فاتقوا أيها المشركون به عقابه بالايمان به قبل نزوله بكم كما نزل بالامم الذين قص الله قصصهم فى هذه السورة عليكم فانه ان نزل بكم عقابه لم تغن عنكم أولياؤكم الذين اتخذتموهم من دونه أولياء كما لم يغن عنهم من قبلكم أولياؤهم الذين اتخذوهم من دونه الحكيم فى تدبيره خلقه فهلك من استوجب الهلاك فى الحال التى هلاكه صلاح والمؤخر من أخر هلاكه من كفرة خلقه به الى الحين الذى فى هلاكه الصلاح وقوله وتلك الأمثال نضربها للناس يقول تعالى ذكره وهذه الامثال وهى الاشباه والنظائر نضربها للناس يقول نمثلها ونشبهها ونحتج بها للناس كما قال الاعشى

هل تذكر العهد من تمص اذ ... تضرب لى قاعدا بها مثلا

وما يعقلها الا العالمون يقول تعالى ذكره وما يعقل أنه أصيب بهذه الامثال التى نضربها للناس منهم الصواب والحق فيما ضربت له مثلا الا العالمون بالله وآياته ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿خلق الله السموات والارض بالحق ان فى ذلك لآية للمؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم خلق الله يا محمد السموات والارض وحده منفردا بخلقها لا يشركه فى خلقها شريك ان فى ذلك لآية يقول ان فى خلقه ذلك لحجة لمن صدق بالحجج اذا عاينها والآيات اذا رآها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿اتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم اتل يعنى اقرأ ما أوحى اليك من الكتاب يعنى ما أنزل اليك من هذا القرآن وأقم الصلاة يعنى وأد الصلاة التى فرضها الله عليك بحدودها ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر اختلف أهل التأويل فى معنى الصلاة التى ذكرت فى هذا الموضع فقال بعضهم عنى بها القرآن الذى يقرأ فى موضع الصلاة أو فى الصلاة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أبى الوفاء عن ابيه عن ابن عمر ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر قال القرآن الذى يقرأ فى المساجد ، وقال آخرون بل عنى بها الصلاة ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى

فى دارهم على التوحيد ومع الصيحة فى ديارهم على الجمع (و) أهلكنا (عادا وثمود وقد تبين لكم) ذلك الاهلاك (من) جهة (مساكنهم) اذا نظرتم اليها عند مروركم بها (وكانوا مستبصرين) أى عقلاء متمكنين من النظر والاستدلال وكانوا عارفين باخبار الرسل أن العذاب نازل بهم ولكنهم لم ينظروا فى الدليل ولجوا حتى هلكوا (وما كانوا سابقين) أى أدركهم أمر الله فلم يفوتوه ثم قرر أمر المذنبين باجمال آخر يفيد أنهم عذبوا بالعناصر الاربعة بجعل ما منه تركيبهم سببا لعدمهم وما منه بقاؤهم سببا لفنائهم فالحاصب حجارة محماة

معاوية عن على عن ابن عباس قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر يقول فى الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصى الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا خالد بن عبد الله عن العلاء بن المسيب عمن ذكره عن ابن عباس فى قول الله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بصلاته من الله الا بعدا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا خالد قال قال العلاء بن المسيب عن سمرة بن عطية قال قيل لابن مسعود ان فلانا كثير الصلاة قال فانها لا تنفع الا من أطاعها ٭ قال ثنا الحسين قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مالك بن الحرث عن عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود قال من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد بها من الله الا بعدا ٭ قال ثنا الحسين قال ثنا على بن هاشم ابن البريد عن جويبر عن الضحاك عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لا صلاة لمن لم يطع الصلاة وطاعة الصلاة أن تنهى عن الفحشاء والمنكر قال قال سفيان قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك قال فقال سفيان إى والله تأمره وتنهاه ٭ قال على وحدثنا اسمعيل بن مسلم عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم تنهه عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله الا بعدا حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن يونس عن الحسن قال الصلاة اذا لم تنهه عن الفحشاء والمنكر قال من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والحسن قالا من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فانه لا يزداد من الله بذلك الا بعدا والصواب من القول فى ذلك أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر كما قال ابن عباس وابن مسعود فان قال قائل وكيف تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر ان لم يكن معها بها ما يتلى فيها قيل تنهى من كان فيها فتحول بينه وبين اتيان الفواحش لأن شغله بها يقطعه عن الشغل بالمنكر ولذلك قال ابن مسعود من لم يطع صلاته لم يزدد من الله الا بعدا وذلك أن طاعته لها اقامته اياها بحدودها وفى طاعته لها مزدجر عن الفحشاء والمنكر حدثنا أبو حميد الحمصى قال ثنا يحيى بن سعيد العطار قال ثنا أرطاة عن ابن عون فى قول الله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر قال اذا كنت فى صلاة فأنت فى معروف وقد حجزتك عن الفحشاء والمنكر والفحشاء هى الزنا والمنكر معاصى الله ومن أتى فاحشة أو عصى الله فى صلاته بما يفسد صلاته فلا شك أنه لا صلاة له وقوله ولذكر الله أكبر اختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم معناه ولذكر الله اياكم أفضل من ذكركم ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عطاء بن السائب عن عبد الله بن ربيعة قال قال لى ابن عباس هل تدرى ما قوله ولذكر الله أكبر قال قلت نعم قال فما هو قال قلت التسبيح والتحميد والتكبير فى الصلاة وقراءة القرآن ونحو ذلك قال لقد قلت قولا عجبا وما هو كذلك ولكنه انما يقول ذكر الله اياكم عند ما أمر به أو نهى عنه اذا ذكرتموه أكبر من ذكركم اياه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن عطاء بن السائب عن ابن ربيعة عن ابن عباس قال ذكر الله اياكم أكبر من ذكركم اياه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن عبد الله بن ربيعة قال سألنى ابن عباس عن قول الله ولذكر الله أكبر قلت ذكره بالتسبيح والتكبير والقرآن حسن وذكره عند المحارم فيحجز عنها فقال لقد قلت قولا عجبا وما هو كما قلت ولكن ذكر الله اياكم أكبر من ذكركم اياه حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن ربيعة عن ابن عباس ولذكر الله أكبر قال ذكر الله للعبد أفضل من ذكره اياه حدثنا محمد بن المثنى وابن وكيع قال ابن المثنى ثنى

تقع على كل واحد منهم فتنفذ من الجانب الآخر وهو اشارة الى التعذيب بعنصر النار وانه لقوم لوط والصيحة وهى تموج شديد فى الهواء لمدين وثمود والخسف لقارون والغرق لقوم نوح وفرعون (وما كان الله ليظلمهم) بالاهلاك (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالاشراك وقال بعض أهل العرفان وما كان الله ليضعهم فى غير موضعهم فان موضعهم الكرامة ولكنهم وضعوا أنفسهم مع شرفها فى عبادة الوثن الذى هو فى غاية الخسة فلذلك ضرب لهم المثل بالعنكبوت ونسجه الذى هو عند الناس فى غاية الوهن والضعف فان كان تشبيها مركبا

عبد الأعلى وقال ابن وكيع ثنا (١) عبد الأعلى قال ثنا داود عن محمد بن أبي موسى قال كنت قاعدا عند ابن عباس فجاءه رجل فسأل ابن عباس عن ذكر الله أكبر فقال ابن عباس الصلاة والصوم قال ذاك الذكر الله قال رجل اني تركت رجلا في رحلي يقول غير هذا قال ولذكر الله أكبر قال ذكر الله العباد أكبر من ذكر العباد اياه فقال ابن عباس صدق والله صاحبك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب القمي عن جعفر عن سعيد بن جبير قال جاء رجل الى ابن عباس فقال حدثني عن قول الله ولذكر الله أكبر قال ذكر الله لكم أكبر من ذكركم له **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا حماد ابن سلمة عن داود عن عكرمة ولذكر الله أكبر قال ذكر الله للعبد أفضل من ذكره اياه **حدثنا** أبو هشام الرفاعي قال ثنا ابن فضيل قال ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية ولذكر الله أكبر قال هو قوله فاذكروني أذكركم وذكر الله اياكم أكبر من ذكركم اياه **حدثني** علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس ولذكر الله لعباده اذا ذكروه أكبر من ذكركم اياه **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولذكر الله أكبر قال ذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد به في الصلاة أو غيرها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم عن داود بن أبي هند عن محمد بن أبي موسى عن ابن عباس قال ذكر الله اياكم اذا ذكرتموه أكبر من ذكركم اياه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبي حمزة عن جابر عن عامر عن أبي قرة عن سلمان مثله **حدثنا** أبو هشام الرفاعي قال ثنا أبو أسامة قال ثني عبد الحميد بن جعفر عن صالح بن أبي عريب عن كثير بن مرة الحضرمي قال سمعت أبا الدرداء يقول ألا أخبركم بخير أعمالكم وأحبها الى مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير من أن تغزوا عدوكم فتضربوا أعناقهم وخير من اعطاء الذنانير والدراهم قالوا ما هو قال ذكركم ربكم وذكر الله أكبر **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي قال ثنا سفيان عن جابر عن عامر عن أبي قرة عن سلمان ولذكر الله أكبر قال قال ذكر الله اياكم أكبر من ذكركم اياه * قال ثني أبي عن اسرائيل عن جابر عن عامر قال سألت أبا قرة عن قوله ولذكر الله أكبر قال ذكر الله اياكم أكبر من ذكركم اياه * قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر عن مجاهد وعكرمة قالا ذكر الله اياكم أكبر من ذكركم اياه * قال ثنا ابن فضيل عن مطرف عن عطية عن ابن عباس قال هو كقوله اذكروني أذكركم فذكر الله اياكم أكبر من ذكركم اياه * قال ثنا حسن بن علي عن زائدة عن عاصم عن شقيق عن عبد الله ولذكر الله أكبر قال ذكر الله العبد أكبر من ذكر العبد له * قال ثنا أبو يزيد الرازي عن يعقوب عن جعفر عن شعبة قال ذكر الله لكم أكبر من ذكركم له * وقال آخرون بل معنى ذلك ولذكركم الله أفضل من كل شئ ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عمر بن أبي زائدة عن العيزار بن حريث عن رجل عن سلمان أنه سئل أي العمل أفضل قال أما تقرأ القرآن ولذكر الله أكبر لا شئ أفضل من ذكر الله **حدثنا** ابن حميد أحمد بن المغيرة الحمصي قال ثنا علي بن عياش قال ثنا الليث قال ثني معاوية عن ربيعة بن يزيد عن اسمعيل بن عبيد الله عن أم الدرداء أنها قالت ولذكر الله أكبر فان صليت فهو من ذكر الله وان صمت فهو من ذكر الله وكل خير تعمله فهو من ذكر الله وكل شر تجتنبه فهو من ذكر الله وأفضل ذلك تسبيح الله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولذكر الله أكبر قال لا شئ أكبر من ذكر الله قال أكبر الاشياء كلها وقرأ أقم الصلاة لذكري قال لذكر الله وانه لم يصفه عند القتال الا أنه أكبر **حدثنا** ابن وكيع

قال

فظاهر وان كان مفرقا فالمشرك كالعنكبوت واتخاذه الصنم معبودا وملجأ كاتخاذ العنكبوت نسجه بيتا فانه يصير سببا لهلاكه ولتنظيف البيت منه كعابد الوثن يقع في النار بسبب عبادته وفيه أن العنكبوت كما أنه يصطاد بسبب نسجه الذباب ولكنه لا بقاء له ويتلاشى بأدنى سبب كذلك الكافر يستفيد بشركه ما هو أقل من جناح بعوضة وهو بعض متاع الدنيا ولكنه كعمله يصير آخر الامر هباء منثورا ثم عرض على العقول صحة المثل المضروب قائلا (وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت) بانه لا يصلح للبقاء ولا للاستدفاء

(١) لعل أحد السندين ابن عبد الأعلى وحرر كتبه مصححه

قال ثنا أبي عن الأعمش عن أبي اسحق قال قال رجل لسلمان أي العمل أفضل قال ذكر الله * وقال آخرون هو محتمل للوجهين جميعا يعنون القول الاول الذي ذكرناه والثاني ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس في قوله ولذكر الله أكبر قال لها وجهان ذكر الله أكبر مما سواه وذكر الله اياكم أكبر من ذكركم اياه حدثنا أبو كريب قال ثنا اسمعيل بن ابراهيم قال ثنا خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس في ولذكر الله أكبر قال لها وجهان ذكر الله اياكم أكبر من ذكركم اياه وذكر الله عند ما حرم * وقال آخرون بل معنى ذلك لذكر الله العبد في الصلاة أكبر من الصلاة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن السدي عن أبي مالك في قوله ولذكر الله أكبر قال ذكر الله العبد في الصلاة أكبر من الصلاة * وقال آخرون بل معنى ذلك ولالصلاة التي أنيت أنت بها وذكرك الله فيها أكبر مما نهتك الصلاة من الفحشاء والمنكر حدثني أحمد بن المغيرة الحمصي قال ثنا يحيى بن سعيد العطار قال ثنا أرطاة عن ابن عون في قول الله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والذي أنت فيه من ذكر الله أكبر * قال أبو جعفر وأشبه هذه الاقوال بما دل عليه ظاهر التنزيل قول من قال ولذكر الله اياكم أفضل من ذكركم اياه وقوله والله يعلم ما تصنعون يقول والله يعلم ما تصنعون أيها الناس في صلاتكم من اقامة حدودها وترك ذلك وغيره من أموركم وهو مجازيكم على ذلك يقول فاتقوا أن تضيعوا شيأ من حدودها والله أعلم

ولا للاستظلال ولا للاستكان والنسج في نفسه ان فرض له فائدة كما ان الصنم في نفسه يمكن أن ينتفع به ولكن اتخاذ النسج بيتا لا شك أنه غير مفيد بل مضر كما مر فكذلك عبادة الصنم ثم قال (لو كانوا يعلمون) فحذف الجواب ليذهب الوهم كل مذهب أي لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم وأمر دينهم لتابوا وندموا ولو كانوا يعلمون صحة هذا التشبيه وقد صح أن أوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت فقد تبين أن دينهم أوهن الأديان اذا استقريتها دينا دينا وصاحب الكشاف علق هذا الشرط بما قبله وليس بذاك وقد مر في الوقوف والله أعلم

(تم الجزء العشرون من تفسير الامام ابن جرير الطبري ويليه الجزء الحادي والعشرون أوله ﷺ القول في تأويل قوله تعالى (ولا تجادلوا أهل الكتاب))

(استلفات لما فات)

سبق فى الجزء الخامس عشر من هذا الكتاب بصحيفة ١٠٣ بيت شعر صورته فى الاصول التى بأيدينا هكذا

اعلام يقلل راء رؤيا * فهو يهذى بما رأى فى المنام

وهو كما ترى غير مستقيم الوزن والمعنى وفى أثناء البحث عن البيت عناية بصحة الكتاب اطلع عليه بعض فضلاء الأدب فقال لعل أصله

أعلام مضلل راء رؤيا * فهو يهذى بما رأى فى المنام

وبهذا يستقيم البيت من حيث الدراية فلتحرر الرواية والله أعلم

﴿ فهرست الجزء العشرين من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ﴾

صحيفة

٢ تأويل قوله تعالى فما كان جواب قومه وبيان معنى التطهر

٣ بيان أن المشركين يعدلون عن الحق الى الجور مع علمهم بذلك تقليدا لمن مضى

٥ بيان أن من زعم أنه يعلم ما فى غد فقد أعظم الفرية على الله

٦ بيان الصواب فى قوله بل ادارك علمهم فى الآخرة

٨ بيان ان أم الكتاب أثبت ربنا فيه كل ما هو كائن من ابتداء الخلق الى يوم القيامة

٩ ذكر الدابة وخروجها وما ورد فيها من الآثار

١٣ ذكر النفخ فى الصور وكم عدده

١٥ بيان سير الجبال عند قيام الساعة

١٧ بيان أن المراد بالبلدة التى حرمها الله مكة ومعنى تحريمها

١٨ ﴿ تفسير سورة القصص ﴾

١٨ تأويل قوله ان فرعون علا فى الارض وبيان ما كان يصنعه فرعون ببنى اسرائيل

٢٠ بيان أن الوحى الذى أوحى الى أم موسى ليس بوحى نبوة

٢١ ذكر خبر أخذ فرعون لموسى وتعيين اللاقط له

٢٢ تأويل قوله وقالت امرأة فرعون وبيان ما قاله فرعون لامرأته عند ذلك

٢٣ ذكر الخلاف فى معنى فراغ فؤاد أم موسى

٢٧ ذكر الخلاف فى مقدار سنى الاستواء

٢٨ تأويل قوله تعالى ودخل المدينة وبيان السبب فى دخولها والسبب الذى من أجله قتل القبطى

٣٢ ذكر السبب الذى دعا الاسرائيلى أن يظهر أن موسى قتل الفرعونى

٣٣ بيان المراد بالرجل الذى جاء موسى فأخبره باجماعهم على قتله وأمره بالخروج من البلد

٣٤ ذكر ذهاب موسى الى مدين ومالقى من المتاعب

٣٥ خبر دخول موسى مدين وما جرى له مع المرأتين اللتين سقى لهما

صحيفة

٤٢ ذكر خبر زواج موسى والاتفاق الذى كان بينه وبين أبى امرأته

٤٥ بيان الشجرة التى رأى موسى فيها النار ومن أى الانواع كانت

٤٩ بيان أن فرعون أول من طبخ الآجر وذكر صفة صرحه

٥١ تأويل قوله وما كنت بجانب الطور وبيان أن المنادى أمة محمد عليه السلام

٥٥ تأويل قوله ولقد وصلنا لهم القول وبيان ما قال الله فى مؤمنى أهل الكتاب

٥٨ ذكر خبر وفاة أبى طالب وما قاله له رسول الله

٦٢ تأويل قوله أفمن وعدناه وعدا حسنا الآية وبيان الخلاف فيمن نزلت فيه

٦٣ تأويل قوله وربك يخلق ما يشاء وبيان أن معناها لا يدل على نفى الاختيار عن الخلق

٦٦ بيان نداء الله للمشركين ونزعه من كل أمة شهيدا وهو الرسول

٦٧ بيان خبر قارون وما أوتيه من الغنى

٧٤ بيان ما فعله قارون بموسى حتى طلب من الله أن يخسف الارض به واستغاث به فلم يغثه

٧٨ تأويل قوله تلك الدار الآخرة وبيان أن العلو هو الكبر والحكم بغير العدل هو الفساد

٨٢ ﴿ تفسير سورة العنكبوت ﴾

٨٢ بيان ما ذكر فى سبب نزول قوله تعالى أحسب الناس أن يتركوا

٨٧ ذكر عمر نوح حين أرسل الى قومه وكم لبث فيهم حتى جاءهم الطوفان

٩٢ ذكر هجرة ابراهيم ولوط من كوثى الى الشام

٩٣ بيان ما كان يفعله قوم لوط من السيئات بمن يمر عليهم

٩٨ تأويل قوله اتل ما أوحى اليك الآية وبيان الصلاة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر

﴿ فهرست الجزء العشرين من تفسير النيسابوري الموضوع بهامش الجزء العشرين من تفسير ابن جرير ﴾

صحيفه

٣ تفسير قوله فما كان جواب قومه الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٥ ذكر ما هم به التسعة المفسدون من اهلاك صالح وما فعل بهم
٦ ذكر ما استند اليه العلماء في ابتدائهم بالحمد والصلاة في كل أمر ذي شأن
٨ بيان ان الاستثناء في قوله قل لا يعلم من في السموات والارض الخ متصل أو منقطع
١٠ تأويل تلك الآيات
١٣ تفسير قوله تعالى وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
١٥ بيان أن المقتضي للعذاب حاصل في الدنيا الا أن الشعور به غير حاصل كالسكران
١٦ ذكر خبر الجاسة وتفصيل أحوالها وفعلها بالناس
١٩ بيان ما قاله أهل المناظرة في مر الجبال كالسحاب
٢٠ بيان استدلال بعض المعتزلة بقوله أتقن كل شئ على أن القبائح لا تصدر منه ومعارضة الاشعري وبيان أن الاعمال القلبية لاجزاء لها سوى الالتذاذ بلقاء الله ومحبته
٢١ تأويل تلك الآيات
٢٤ ﴿ تفسير سورة القصص ﴾
٢٥ بيان أن القتل الذي فعله فرعون من فعل أهل الفساد
٢٦ ذكر عدد ما قتله فرعون من الولدان وما حصل لموسى من أمه من وضعه في التنور والقائه في البحر
٣١ ذكر ما فعله موسى بفرعون في صغره وما أمر به فرعون من اخراجه من بلدته وداره
٣٢ ما استدل به الطاعنون في عصمة الأنبياء وردّه
٣٣ بيان عدم جواز اعانة الظلمة والفسقة
٣٤ تأويل تلك الآيات

صحيفه

٣٦ تفسير قوله ولما توجه تلقاء مدين وبيان القراآت والوقوف فيها
٣٨ ذكر بعد مدين عن مصر وما لقي موسى في توجهه اليها وما تم له فيها من السقي لبنتي شعيب والزواج
٤٣ بيان ما سمعه موسى من الكلام وذكر الخلاف في كيفية تكليم الله له
٤٥ بيان حكمة سؤال موسى ارسال أخيه هرون معه
٤٨ تأويل تلك الآيات
٥١ تفسير قوله ولقد آتينا موسى الكتاب الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٥٣ ذكر ما ورد في فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم
٥٥ بيان ما قالته اليهود لقريش وما ردّ الله به عليهم
٥٧ بيان ما قاله أبو طالب عند الوفاة لرسول الله
٦١ بيان ما تعلقت به المعتزلة في بطلان قول المجبرة وما ردّ به عليهم
٦٣ بيان أنه تعالى يستحق الحمد من أهل النار
تأويل تلك الآيات
٦٦ تفسير قوله قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٦٨ بيان قصة قارون
٧٣ بيان معنى الهلاك عند أهل التحقيق
٧٤ تأويل تلك الآيات
٧٥ ﴿ تفسير سورة العنكبوت ﴾
٧٧ بيان أن أصول الدين ثلاثة
٨٠ ذكر ما قالته أم سعد له حين أسلم وما فعله معها
٨٢ ذكر مجمل قصة نوح وكم عمر من العمر
٨٢ تأويل تلك الآيات
٨٥ تفسير قوله وابراهيم اذ قال لقومه الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٩٠ بيان أن عباد الاصنام غلبت عليهم الجسمية ولذتها فلهذا ألفوا الاصنام الخ
٩٢ بيان ما كان عليه سيدنا ابراهيم من المروة

﴿ تم فهرست الجزء العشرين من النيسابوري ﴾

الجزء الحادى والعشرون

من كتاب جامع البيان فى تفسير القرآن

تأليف

الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت الأئمة على تقدمه فى التفسير

أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هجرية

رحمه الله وأثابه رضاه آمين

وبهامشه

تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان

للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدست أسراره

« فى كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطى فى الاتقان وكتابه « أى الطبرى » أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفسير الأقدمين وقال النووى أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى » وعن أبى حامد الاسفرايينى أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اه

تنبيه

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة فى خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبى الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

(الطبعة الاولى)
بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصر المحميه
سنة ١٣٢٨ هجريه

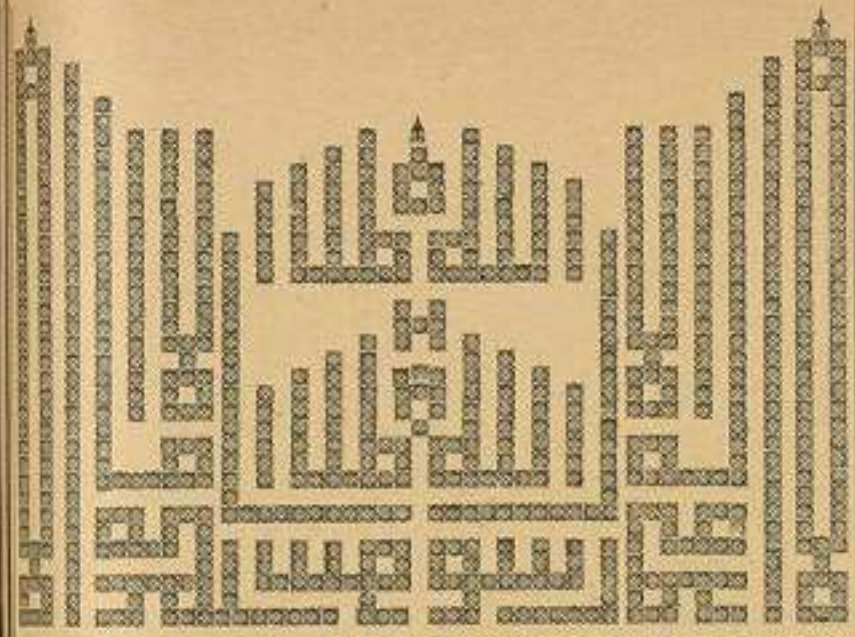

الجزء الحادى والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون﴾ يقول تعالى ذكره ولا تجادلوا أيها المؤمنون بالله وبرسوله اليهود والنصارى وهم أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن يقول الا بالجميل من القول وهو الدعاء الى الله بآياته والتنبيه على حججه وقوله الا الذين ظلموا منهم اختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم معناه الا الذين أبوا أن يقروا لكم باعطاء الجزية ونصبوا دون ذلك لكم حربا فانهم ظلمة فقاتلوهم جادلوهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية ذكر من قال ذلك حدثنى على بن سهل قال ثنا يزيد عن سفيان عن خصيف عن مجاهد فى قوله ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم قال من قاتل ولم يعط الجزية حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى عن سفيان عن خصيف عن مجاهد بنحوه الا أنه قال من قاتلك ولم يعطك الجزية حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن قال ان قالوا شرا فقولوا خيرا الا الذين ظلموا منهم فانتصروا منهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الا الذين ظلموا منهم قال قالوا مع الله إله أوله ولد أوله شريك أو يد الله مغلولة أو الله فقير أو آذوا محمدا صلى الله عليه وسلم قال هم أهل الكتاب حدثنا ابن وكيع

﴿ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شئ وهو العزيز الحكيم وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون خلق الله السموات والارض بالحق ان فى ذلك لآية للمؤمنين أتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون وكذلك انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا يعلم ما فى السموات والارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم

قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن سالم عن سعيد ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم قال أهل الحرب من لا عهد له جادله بالسيف * وقال آخرون معنى ذلك ولا تجادلوا أهل الكتاب الذين قد آمنوا به واتبعوا رسوله فيما أخبروكم عنه مما في كتبهم الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم فأقاموا على كفرهم وقالوا هذه الآية محكمة وليست بمنسوخة ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن قال ليست بمنسوخة لا ينبغي أن تجادل من آمن منهم لعلهم يحسنون شبأ في كتاب الله لا تعلمه أنت فلا تجادله ولا ينبغي أن تجادل الا الذين ظلموا المقيم منهم على دينه فقال هو الذي يجادل (١) ويقال له السبت قال وهؤلاء يهود قال ولم يكن بدار الهجرة من النصارى أحد انما كانوا يهود اهم الذين كلموا وحالفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وغدرت النضير يوم أحد وغدرت قريظة يوم الاحزاب * وقال آخرون بل نزلت هذه الآية قبل أن يؤمر النبي صلى الله عليه وسلم بالقتال وقالوا هي منسوخة نسخها قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن ثم نسخ بعد ذلك فأمر قتالهم في سورة براءة ولا مجادلة أشد من السيف أن يقاتلوا حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يقروا بالخراج * وأولى هذه الاقوال بالصواب قول من قال عنى بقوله الا الذين ظلموا منهم الا الذين امتنعوا من أداء الجزية ونصبوا دونها الحرب فان قال قائل أو غير ظالم من أهل الكتاب الا من لم يؤد الجزية قيل ان جميعهم وان كانوا لأنفسهم بكفرهم بالله وتكذيبهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ظلمة فانه لم يعن بقوله الا الذين ظلموا منهم ظلم أنفسهم وانما عنى به الا الذين ظلموا منهم أهل الايمان بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فان أولئك جادلوهم بالقتال وانما قلنا ذلك أولى الاقوال فيه بالصواب لان الله تعالى ذكره أذن للمؤمنين بجدال ظلمة أهل الكتاب بغير الذي هو أحسن بقوله الا الذين ظلموا منهم فمعلوم اذ كان قد أذن لهم في جدالهم أن الذين لم يؤذن لهم في جدالهم الا بالتي هي أحسن غير الذين أذن لهم بذلك فيهم وأنهم غير المؤمن لان المؤمن منهم غير جائز جداله الا في غير الحق لانه اذا جاء بغير الحق فقد صار في معنى الظالمة في الذي خالف فيه الحق فاذ كان ذلك كذلك تبين أن لا معنى لقول من قال عنى بقوله ولا تجادلوا اهل الكتاب أهل الايمان منهم وكذلك لا معنى لقول من قال نزلت هذه الآية قبل الامر بالقتال وزعم أنها منسوخة لانه لا خبر بذلك يقطع العذر ولا دلالة على صحته من فطرة عقل وقد بينا في غير موضع من كتابنا أنه لا يجوز أن يحكم على حكم الله في كتابه بأنه منسوخ الا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل وقوله وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون يقول تعالى ذكره المؤمنين به ورسوله الذين نهاهم أن يجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن اذا جادلتكم أهل الكتاب أيها القوم عن كتبهم وأخبروكم عنها بما يمكن ويجوز أن يكونوا فيه صادقين وأن يكونوا فيه كاذبين ولم تعلموا أمرهم وحالهم في ذلك فقولوا لهم آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم مما في التوراة والانجيل وإلهنا وإلهكم واحد يقول ومعبودنا ومعبودكم واحد ونحن له مسلمون يقول ونحن له خاضعون متذللون بالطاعة فيما أمرنا ونهانا * ونحو الذي قلنا في ذلك جاء الأثر عن رسول الله

(١) لعله ويقاتل بالسيف وحرر كتبه مصححه

وكذلك أنزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا كل خوان كفور وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون يا عبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة فاياي فاعبدون كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شيء عليم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه ألیس في جهنم مثوى للكافرين والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين

﴿ القراآت ما يدعون بياء الغيبة أبو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم غير الأعشى والبرجمي الباقون بتاء الخطاب آية على التوحيد ابن كثير وعاصم سوى حفص والمفضل وحمزة وعلي غير قتيبة وخلف لنفسه ويقول بالياء نافع وعاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالنون يا عبادي الذين بسكون الياء أبو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف الباقون بفتح الياء والوقف للجميع بالياء لا غير أرضي بفتح الياء ابن عامر يرجعون بضم الياء التحتانية وفتح الجيم يحيى وهشام ترجعون بفتح التاء الفوقانية وكسر الجيم الباقون بضم التاء الفوقانية وفتح الجيم لنثوينهم بسكون الثاء المثلثة

حمزة وعلى وخلف والآخرون بفتح الباء التحتانية الموحدة وتشديد الواو وليتمتعوا بسكون اللام ابن كثير وقالون وحمزة وعلى وخلف سبلنا بسكون الباء أبو عمرو ۞ الوقوف من شئ ط (٤) الحكيم ٥ للناس ط لاختلاف الجملتين والعدول عن العموم الى الخصوص العالمون ٥ بالحق ٥ للمؤمنين ٥ الصلاة ط والمنكر ط أكبر ط ما تصنعون ٥ مسلمون ٥ اليك الكتاب ط يؤمنون به ج فصلا بين حال الفريقين مع اتفاق الجملتين يؤمن به ط الكافرون ٥ المبطلون ٥ العلم ط الظالمون ٥ من ربه ط عند الله ط مبين ٥ عليهم ط يؤمنون ٥ شهيدا ج لأن ما بعده يصلح وصفا واستئنافا والارض ط بالله لا لان ما بعده خبر الخاسرون ٥ بالعذاب ط العذاب ط لا يشعرون ٥ بالعذاب ط بالكافرين ٥ لا لان يوم ظرف لمحيطة تعملون ٥ فاعبدون ط ترجعون ٥ خالدين فيها ط العاملين قف بناء على أن التقدير هم الذين أو أعنى الذين يتوكلون ٥ رزقها ق قد قيل والوصل أولى لأنه وصف آخر لدابة وإياكم ج لاحتمال الاستئناف والوصل أولى ليكون حالا متما للعنى العليم ٥ ليقولن الله لا للاستفهام مع الفاء يؤفكون ٥ ويقدر له ط عليم ٥ ليقولن الله ط الحمد لله ط لتمام المقول لا يعقلون ٥ ولعب ط الحيوان ط لأن الشرط غير معلق يعلمون ٥ الدين ٥ يشركون لا لتعلق لام كى ومن جعلها لام أمر تهديد وقف عليه آتيناهم ط لمن قرأ وليتمتعوا بالجزم على استئناف الامر ومن جعل لام ليكفروا للامر عطف هذه عليها فلم يقف وليتمتعوا لا لاستئناف التهديد يعلمون ٥ من حولهم ط يكفرون ٥ جاءه ط الكافرين ٥ سبلنا ط المحسنين ٥ ۞ التفسير هذا توكيد وما للمثل المذكور وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيأ هذا على تقدير كون ما نافية ومن زائدة ويجوز أن تكون استفهاما منصوبا بيدعون

صلى الله عليه وسلم ذكر الرواية بذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عثمان بن عمر قال أخبرنا على عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية فيفسرونها بالعربية لأهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن سعد بن ابراهيم عن عطاء بن يسار قال كان ناس من اليهود يحدثون ناسا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقال لا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم * قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن سليمن عن عمارة بن عمير عن حريث بن ظهير عن عبد الله قال لا تسألوا أهل الكتاب عن شئ فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا اما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل فانه ليس أحد من أهل الكتاب الا وفى قلبه تالية تدعوه الى دينه كتالية المال وكان مجاهد يقول فى ذلك ما حدثنى به محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الا الذين ظلموا منهم قال قالوا مع الله اله أوله ولد أوله شريك أو يد لله مغلولة أو الله فقير أو آذوا محمدا وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم لمن لم يقل هذا من أهل الكتاب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وكذلك أنزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون ﴾ يقول تعالى ذكره كما أنزلنا الكتب على من قبلك يا محمد من الرسل كذلك أنزلنا اليك هذا الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب من قبلك من بنى اسرائيل يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به يقول ومن هؤلاء الذين هم بين ظهرانيك اليوم من يؤمن به كعبد الله بن سلام ومن آمن برسوله من بنى اسرائيل وقوله وما يجحد بآياتنا الا الكافرون يقول تعالى ذكره وما يجحد بأدلتنا وحججنا الا الذى يجحد نعمتنا عليه وينكر توحيدنا وربوبيتنا على علم منه عنادا لنا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما يجحد بآياتنا الا الكافرون قال انما يكون الجحود بعد المعرفة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون ﴾ يقول تعالى ذكره وما كنت يا محمد تتلو يعنى تقرأ من قبله يعنى من قبل هذا الكتاب الذى أنزلته اليك من كتاب ولا تخطه بيمينك يقول ولم تكن تكتب بيمينك ولكنك كنت أميا اذا لارتاب المبطلون يقول ولو كنت من قبل أن يوحى اليك تقرأ الكتاب أو تخطه بيمينك اذا لارتاب يقول اذا لشك بسبب ذلك فى أمرك وما جئتهم به من عند ربك من هذا الكتاب الذى تتلوه عليهم المبطلون القائلون انه سحر وكهانة وانه أساطير الأولين * ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون قال كان نبى الله صلى الله عليه وسلم أميا لا يقرأ شيأ ولا يكتب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك قال كان نبى الله لا يقرأ كتابا قبله ولا يخطه بيمينه قال كان أميا والأمى الذى لا يكتب حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن ادريس الأودى عن الحكم عن مجاهد

او بمعنى الذى ومن للتبيين المراد مايدعون من دونه من شئ فان الله يعلمه وهو العزيز الحكيم قادر على اعدامه واهلاكهم لكنه حكيم يمهلهم ليكون الهلاك عن بينة والحياة عن بينة وفيه أيضا تجهيل لهم حيث عبدوا ماهو أقل (٥) من لاشئ وتركوا عبادة القاهر القادر الحكيم

وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك قال كان أهل الكتاب يجدون فى كتبهم أن النبى صلى الله عليه وسلم لا يخط بيمينه ولا يقرأ كتابا فنزلت هذه الآية * وبنحو الذى قلنا أيضا فى قوله اذا لارتاب المبطلون قالوا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اذا لارتاب المبطلون اذا لقالوا انما هذا شئ تعلمه محمد صلى الله عليه وسلم وكتبه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقا جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله اذا لارتاب المبطلون قال قريش ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون﴾ اختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم فقال بعضهم عنى به نبى الله صلى الله عليه وسلم وقالوا معنى الكلام بل وجود أهل الكتاب فى كتبهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم لا يكتب ولا يقرأ وأنه أمى آيات بينات فى صدورهم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم قال كان الله تعالى أنزل شأن محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة والانجيل لاهل العلم وعلمه لهم وجعله لهم آية فقال لهم ان آية نبوته أن يخرج حين يخرج لا يعلم كتابا ولا يخطه بيمينه وهى الآيات البينات حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب قال كان نبى الله لا يكتب ولا يقرأ وكذلك جعل الله نعته فى التوراة والانجيل أنه نبى أمى لا يقرأ ولا يكتب وهى الآية البينة فى صدور الذين أوتوا العلم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب صدقوا بمحمد ونعته ونبوته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج بل هو آيات بينات قال أنزل الله شأن محمد فى التوراة والانجيل لأهل العلم بل هو آية بينة فى صدور الذين أوتوا العلم يقول النبى صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون عنى بذلك القرآن وقالوا معنى الكلام بل هذا القرآن آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم من المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر قال قال الحسن فى قوله بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم القرآن آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم يعنى المؤمنين * وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال عنى بذلك بل العلم بأنك ما كنت تتلو من قبل هذا الكتاب كتابا ولا تخطه بيمينك آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب وانما قلت ذلك أولى التأويلين بالآية لأن قوله بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم بين خبرين من أخبار الله عن رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فهو بأن يكون خبرا عنه أولى من أن يكون خبرا عن الكتاب الذى قد انقضى الخبر عنه قبل وقوله وما يجحد بآياتنا الا الظالمون يقول تعالى ذكره وما يجحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأدلته وينكر العلم الذى يعلم من كتب الله التى أنزلها على أنبيائه ببعث محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته ومبعثه الا الظالمون يعنى الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله عز وجل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما

ثم ان الجهلة من قريش كانوا يسخرون من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت ونحوهما فنزلت (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) وذلك لأن الأمثال والتشبيهات وسائل الى المعانى المحتجبة فى الأستار كما سبق فى أول البقرة حيث ضرب المثل بالبعوضة قال الحكيم العالم الحدسى يعرفه العاقل وأما اذا كان فكريا دقيقا فانه لا يعقله الا العالم لافتقاره الى مقدمات سابقة والمثل مما يفتقر فى ادراك صحته وحسن موقعه الى أمور سابقة ولاحقة يعرف بها تناسب مورده ومضربه وفائدة ايراده فلا يعقل صحتها الا العلماء وحين أمر الخلق بالايمان وأظهر الحق بالبرهان وقص قصصا فيها عبر وأنذر أهل الكفر باهلاك من غبر ووصف سبيل أهل الاباطيل بالتمثيل قوى قلوب أهل الايمان بأن كفرهم ينبغى أن لا يورث شكا فى صحة دينكم وشككهم يجب أن لا يؤثر فى رد يقينكم ففى خلق السموات والارض بالحق بيان ظاهر وبرهان باهر وان لم يؤمن به على وجه الارض كافر وانما قال ههنا الآية للمؤمنين مع قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقوله ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار الى قوله لآيات لقوم يعقلون لأن المؤمن لا يقصر نظره من الخلق على معرفة الخالق فحسب ولكنه يرتقى منه الى نعوت الكمال والجلال

فيعرف أنه خلقهما متقنا محكما وهو المراد بقوله (بالحق) والخلق المتقن المحكم لا يصدر الا عن العالم بالكليات والجزئيات والا عن الواجب الواحد الذات والصفات كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ثم يرتقى من مجموع هذه المقدمات الى صحة الرسالة وحقيقة المعاد فيحصل له

الايمان بتمامه من خلق ما خلقه على أحسن نظامه وانما وحد الآية ههنا لانه اشارة الى التوحيد وهو سبحانه واحد لا شريك له وفى قصة ابراهيم اشارة الى النبوة وفى النبيين صلى الله (٦) عليهم وسلم كثرة وحيث قوى قلب المؤمنين بالتخصيص المذكور سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله (اتل ما أوحى اليك من الكتاب) لتعلم أن نوحا ولوطا وغيرهما بلغوا الرسالة وبالغوا فى اقامة الدلالة ولم ينفذوا قومهم من الضلالة والجهالة ولهذا قال اتل ولم يقل اتل عليهم لأن التلاوة بعد اليأس منهم ما كانت الا لتسلية قلب النبى صلى الله عليه وسلم أو تقول ان الكتاب الالهى قانون كلى فيه شفاء للصدور فيجب تلاوته مرة بعد أخرى ليبلغ الى حد التواتر وينقله قرن الى قرن ويأخذه قوم من قوم الى يوم النشور وأيضا فيه من العبر والمواعظ ما يهش لها الاسماع وتطمئن اليها القلوب كالمسك يفوح لحظة فلحظة وكالروض يستلذه النظر ساعة فساعة وفى الجمع بين الأمرين التلاوة واقامة الصلاة معنيان أحدهما زيادة تسلية النبى صلى الله عليه وسلم كأنه قيل له اذا تلوت ولم يقبل منك فأقبل على الصلاة لأنك واسطة بين الطرفين فان لم تتصل الطرف الاول وهو من الخالق الى المخلوق فليتصل الطرف الآخر وهو من المخلوق الى الخالق والثانى أن العبادات اما اعتقادية وهى لا تتكرر بل تبقى مستمرا عليها واما لسانية واما بدنية خارجية وأفضلها الصلاة فأمر بتكرار الذكر والصلاة حيازة للفضيلتين ثم علل الأمر باقامة الصلاة فقال (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) فقال بعض المفسرين أراد بالصلاة القرآن وفيه النهى عنهما وهو بعيد وقيل أراد نفس الصلاة وانما تنهى عنهما مادام العبد فى الصلاة وضعف بأنه ليس مدحا كاملا لأن غيرها يجىء من الاعمال الفاضلة والمباحة قد يكون كذلك كالنوم وغيره والذى عليه المحققون أن للصلاة لطفا فى ترك المعاصى فكأنها ناهية عنها

أنا نذير مبين ﴾ يقول تعالى ذكره وقالت المشركون من قريش هلا أنزل على محمد آية من ربه تكون حجة لله علينا كما جعلت الناقة لصالح والمائدة آية لعيسى قل يا محمد انما الآيات عند الله لا يقدر على الاتيان بها غيره وانما أنا نذير مبين وانما أنا نذير لكم أنذركم بأس الله وعقابه على كفركم برسوله وما جاءكم به من عند ربكم مبين يقول قد أبان لكم انذاره ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ﴾ يقول تعالى ذكره أولم يكف هؤلاء المشركين يا محمد القائلين لولا أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم آية من ربه من الآيات والحجج أنا أنزلنا عليك هذا الكتاب يتلى عليهم يقول يقرأ عليهم ان فى ذلك لرحمة يقول ان فى هذا الكتاب الذى أنزلنا عليهم لرحمة للمؤمنين به وذكرى يتذكرون بما فيه من عبرة وعظة وذكر أن هذه الآية نزلت من أجل أن قوما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انتسخوا شيأ من بعض كتب أهل الكتاب ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة أن ناسا من المسلمين أتوا نبى الله صلى الله عليه وسلم بكتب قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود فلما أن نظر فيها ألقاها ثم قال كفى بها حماقة قوم أو ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم الى قوم غيرهم فنزلت أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا يعلم ما فى السموات والارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للقائلين لك لولا أنزل عليك آية من ربك الجاحدين بآياتنا من قومك كفى الله يا هؤلاء بينى وبينكم شاهدا لى وعليكم لأنه يعلم المحق منا من المبطل ويعلم ما فى السموات وما فى الارض لا يخفى عليه شىء فيهما وهو المجازى كل فريق منا بما هو أهله المحق على ثباته على الحق والمبطل على باطله بما هو أهله والذين آمنوا بالباطل يقول صدقوا بالشرك فأقروا به وكفروا به يقول وجحدوا الله أولئك هم الخاسرون يقول هم المغبونون فى صفقتهم ۞ وبنحو الذى قلنا فى قوله والذين آمنوا بالباطل قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والذين آمنوا بالباطل الشرك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون ﴾ يقول تعالى ذكره ويستعجلك يا محمد هؤلاء القائلون من قومك لولا أنزل عليه آية من ربه بالعذاب ويقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ولولا أجل سميته لهم فلا أهلكهم حتى يستوفوه ويبلغوه لجاءهم العذاب عاجلا وقوله وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون يقول وليأتينهم العذاب فجأة وهم لا يشعرون بوقت مجيئه قبل مجيئه ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويستعجلونك بالعذاب قال قال ناس من جهلة هذه الامة اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم الآية ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾ يقول تعالى ذكره يستعجلك يا محمد هؤلاء المشركون

وذلك اذا كانت الشروط من الخشوع وغيره مرعية فقد روى عن ابن عباس من لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله الا بعدا وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ان فلانا يصلى (٧) بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلاته لتردعه

وروى أن فتى من الانصار كان يصلى معه الصلاة ثم يرتكب الفواحش فوصف ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب وعلى كل حال فالمراعى لأوقات الصلاة لابد أن يكون أبعد من القبائح واللفظ لا يقتضى الا هذا القدر وكيف لا تنهى ونحن نرى أن من لبس ثوبا فاخرا فانه يتجنب مباشرة القاذورات فمن لبس لباس التقوى كيف لا يتجنب الفواحش وأيضا الصلاة توجب القرب من الله تعالى كما قال واسجد واقترب ومقرب الملك المجازى يجل منصبه أن يتعاطى الأشغال الخسيسة فكيف يكون مقرب الملك الحقيق وأيضا من دخل فى خدمة ملك فأعطاه منصبا له مقام خاص مرتفع فاذا دخل وجلس فى صف النعال لم يتركه الملك هنالك فاذا صار العبد برعاية شروط الصلاة وحقوقها من اصحاب اليمين فكيف يتركه الله الكريم فى أصحاب الشمال وتفسير الفحشاء والمنكر مذكور مرارا وقال أهل التحقيق الفحشاء التعطيل وهو انكار وجود الصانع والمنكر الاشراك به وهو اثبات اله غير الله وذلك أن وجود الواجب الواحد أظهر من الشمس وانكار الظاهر منكر ظاهر واعلم أن الصلاة لها هيئة فأولها وقوف بين يدى الله كوقوف العبد بين يدى السلطان وآخرها جثو بين يدى الله كما يجثو اهل الاخلاص بين يدى السلطان

يجىء العذاب ونزوله بهم والنار بهم محيطة لم يبق الا أن يدخلوها وقيل ان ذلك هو البحر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك قال سمعت عكرمة يقول فى هذه الآية وان جهنم لمحيطة بالكافرين قال البحر * أخبرنا ابن وكيع قال ثنا غندر عن شعبة عن سماك عن عكرمة مثله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون ﴾ يقول تعالى ذكره وان جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشى الكافرين العذاب من فوقهم فى جهنم ومن تحت أرجلهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم أى فى النار وقوله ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون يقول جل ثناؤه ويقول الله لهم ذوقوا ما كنتم تعملون فى الدنيا من معاصى الله ومايسخطه فيها وبالياء فى ويقول ذوقوا قرأت عامة قراء الامصار خلا أبى جعفر وأبى عمرو فانهما قرآ ذلك بالنون ونقول والقراءة التى هى القراءة عندنا بالياء لاجماع الحجة من القراء عليها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ياعبادى الذين آمنوا ان أرضى واسعة فاياى فاعبدون ﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من عباده ياعبادى الذين وحدونى وآمنوا بى وبرسولى محمد صلى الله عليه وسلم ان أرضى واسعة واختلف أهل التأويل فى المعنى الذى أريد من الخبر عن سعة الارض فقال بعضهم أريد بذلك أنها لم تضق عليكم فتقيموا بموضع منها لا يحل لكم المقام فيه ولكن اذا عمل بمكان منها بمعاصى الله فلم تقدروا على تغييره فاهربوا منه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن الأعمش عن سعيد بن جبير فى قوله ان أرضى واسعة قال اذا عمل فيها بالمعاصى فاخرج منها حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن اسمعيل بن أبى خالد عن سعيد بن جبير فى قوله ان أرضى واسعة قال اذا عمل فيها بالمعاصى فاخرج منها حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن ليث عن رجل عن سعيد بن جبير قال اهربوا فان أرضى واسعة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شريك عن منصور عن عطاء قال اذا أمرتم بالمعاصى فاهربوا فان أرضى واسعة حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن منصور عن عطاء ان أرضى واسعة قال مجانبة أهل المعاصى حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ان أرضى واسعة فهاجروا وجاهدوا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ياعبادى الذين آمنوا ان أرضى واسعة فاياى فاعبدون قلت يريد بهذا من كان بمكة من المؤمنين قال نعم * وقال آخرون بل معنى ذلك ان ما أخرج من أرضى لكم من الرزق واسع لكم ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنى زيد بن الحباب عن شداد بن سعيد بن مالك أبى طلحة الراسبى عن غيلان بن جرير المعولى عن مطرف بن عبد الله بن الشخير العامرى فى قول الله ان أرضى واسعة قال ان رزقى لكم واسع حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن حباب عن شداد عن غيلان بن جرير عن مطرف بن الشخير ان أرضى واسعة قال رزقى لكم واسع * وأولى القولين بتأويل الآية قول من قال معنى ذلك ان أرضى واسعة فاهربوا ممن منعكم من العمل بطاعتى لدلالة قوله فاياى فاعبدون على ذلك وأن ذلك هو أظهر معنييه وذلك أن الارض اذا وصفها بسعة

والحاجة فى الدنيا هكذا لم يحث فى الآخرة كما قال ونذر الظالمين فيها جثيا فالمصلى اذا قال الله نفى التعطيل واذا قال أكبر نفى الشرك لان الشريك لا يكون أكبر من الشريك الآخر فيا فيه الاشتراك واذا قال بسم الله نفى التعطيل واذا قال الرحمن الرحيم نفى الاشراك لان الرحمن هو المعطى

للوجود بالخلق والرحيم هو المفيض للبقاء بالرزق وهكذا قوله الحمد لله خلاف التعطيل وقوله رب العالمين خلاف التشريك وفي قوله اياك نعبد نفي التعطيل والاشراك من حيث افادة التقديم الاختصاص بالعبادة وكذا قوله واياك نستعين وفي قوله اهدنا الصراط نفي التعطيل لان المعطل لا مقصد له وفي قوله المستقيم نفي الاشراك لان المستقيم أقرب الطرق وهو أحد والمشرك يزيد في الطريق تحصيل الوسائط وعلى هذا الى آخر الصلاة وهو قوله في التشهد أشهد أن لا اله الا الله نفي التعطيل والاشراك فأول الصلاة الله وآخرها الله ثم ان الله سبحانه كأنه قال للعبد أنت انما وصلت الى هذه المنزلة الرفيعة بهداية محمد صلى الله عليه وسلم فقل بعد ذكري أشهد أن محمدا رسول الله واذكر احسانه بالصلاة عليه ثم اذا رجعت من معراجك وانتهيت الى اخوانك فسلم عليهم وبلغهم سلامي كما هو دأب المسافرين (ولذكر الله) أي الصلاة (أكبر) من غيرها من الطاعات وفي تسمية الصلاة بالذكر اشارة الى أن شرف الصلاة بالذكر وجوز في الكشاف أن يراد ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما أكبر فكان أولى بأن ينهى من اللطف الذي في الصلاة وعن ابن عباس ولذكر الله اياكم برحمته أكبر من ذكركم اياه بالطاعة (والله يعلم ما تصنعون) من الاعمال فيثيبكم أو يعاقبكم على حسب ذلك وحين بين طريقة ارشاد المسلمين ونفع من انتفع واليأس ممن امتنع أراد أن يبين طريقة ارشاد أهل الكتاب وهي مجادلتهم بالخصلة التي هي أحسن يعني مقابلة الخشونة باللين والغضب بالحلم والعجلة بالتأني قال بعض المفسرين أراد لا تجادلهم بالسيف وان لم يؤمنوا الا اذا ظلموا وشهر فنبذوا الذمة أو منعوا الجزية وقيل الا الذين أشركوا منهم باثبات الولد لله والقول بثالث ثلاثة وقيل الا الذين آذوا رسول الله والتحقيق

فالغالب من وصفه اياها بذلك أنها لا تضيق جميعها على من ضاق عليه منها موضع لأنه وصفها بكثرة الخير والخصب وقوله فاياي فاعبدون يقول فأخلصوا لي عبادتكم وطاعتكم ولا تطيعوا في معصيتي أحدا من خلقي ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴿كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب نبيه هاجروا من أرض الشرك من مكة الى أرض الاسلام المدينة فان أرضي واسعة فاصبروا على عبادتي وأخلصوا طاعتي فانكم ميتون وصائرون الي لان كل نفس حية ذائقة الموت ثم الينا بعد الموت ترجعون ثم أخبرهم جل ثناؤه عما أعد للصابرين منهم على طاعته من كرامته عنده فقال والذين آمنوا يعني صدقوا الله ورسوله فيما جاء به من عند الله وعملوا الصالحات يقول وعملوا بما أمرهم الله فأطاعوه فيه وانتهوا عما نهاهم عنه لنبوئنهم من الجنة غرفا يقول لننزلنهم من الجنة علالي" واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين لنبوئنهم بالباء وقرأته عامة قراء الكوفة بالثاء لنثوينهم * والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الامصار قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وذلك أن قوله لنبوئنهم من بوأته متزلا أي أنزلته وكذلك لنثوينهم انما هو من أثويته مسكنا اذا أنزلته متزلا من الثواء وهو المقام وقوله تجري من تحتها الانهار يقول تجري من تحت أشجارها الانهار خالدين فيها يقول ماكثين فيها الى غير نهاية نعم أجر العاملين يقول نعم جزاء العاملين بطاعة الله هذه الغرف التي يثويهموها الله في جناته تجري من تحتها الانهار الذين صبروا على أذى المشركين في الدنيا وما كانوا يلقون منهم وعلى العمل بطاعة الله وما يرضيه وجهاد أعدائه وعلى ربهم يتوكلون في أرزاقهم وجهاد أعدائهم فلا ينكلون عنهم ثقة منهم بأن الله معلي كلمته وموهن كيد الكافرين وأن ما قسم لهم من الرزق فلن يفوتهم ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم هاجروا وجاهدوا في الله أيها المؤمنون أعداء الله ولا تخافوا عيلة ولا اقتارا فكم من دابة ذات حاجة الى غذاء ومطعم ومشرب لا تحمل رزقها يعني غذاءها لا تحمله فترفعه في يومها لغدها لعجزها عن ذلك الله يرزقها وإياكم يوما بيوم وهو السميع لأقوالكم تخشى فقرا قنا أو طالتنا العيلة العليم ما في أنفسكم وما اليه صائر أمركم وأمر عدوكم من اذلال الله اياهم ونصرتكم عليهم وغير ذلك من أموركم لا يخفى عليه شيء من أموره خلقه * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وكأين من دابة لا تحمل رزقها قال الطير والبهائم لا تحمل الرزق حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن قال سمعت عمران عن أبي مجلز في هذه الآية وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم قال من الدواب ما لا يستطيع أن يتخر لغد يوفق لرزقه كل يوم حتى يموت حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن علي بن الأقمر وكأين من دابة لا تحمل رزقها قال لا تدخر شيأ لغد ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والارض

أن أكثر أهل الكتاب جاؤا بكل حسن إلا الاعتراف بمحمد صلى الله عليه وسلم فوحدوا وآمنوا بانزال الكتب وارسال الرسل والمبدا والمعاد فلمقابلة احسانهم يجادلون أولا بالأحسن ولا تستهجن آراؤهم ولا ينسب الى الضلال (٩) آباؤهم بل يقال لهم (آمنا بالذى أنزل الينا) الى آخر الآية وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا لم تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم ثم ذكر دليلا قياسيا فقال (وكذلك) يعنى كما أنزلنا على من تقدمك أنزلنا عليك وقال جار الله هو تحقيق لقوله آمنا بالذى أنزل الينا أى ومثل ذلك الانزال أنزلناه مصدقا لسائر الكتب السماوية (فالذين آتيناهم الكتاب) هم عبد الله ابن سلام وأصحابه (ومن هؤلاء) أى من أهل مكة أو الأولون هم الأقدمون من أهل الكتاب والآخرون هم المعاصرون منهم للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل الأولون هم الأنبياء لأن كلهم آمنوا بكلهم ومن هؤلاء معهم أهل الكتاب (وما يجحد بآياتنا) مع وضوحها الا المصرون على الكفر المتوغلون فيه نحو كعب ابن الأشرف وأصحابه واعلم أن المجادل اذا ذكر مسئلة خلافية كقوله الزكاة تجب فى مال الصغير فاذا قيل له لم قال كما تجب النفقة فى ماله ولا يذكر الجامع بينهما فان فهم الجامع من نفسه فذاك والا قيل له لان كليهما مال فضل عن الحاجة فالله سبحانه ذكر أولا التمسك بقوله وكذلك أنزلنا ثم ذكر الجامع بقوله (وما كنت تتلو) الآية وفى قوله (بيمينك) زيادة تصوير لما نفى عنه من كونه كاتبا ومعنى (اذا لارتاب) لو كان شئ من ذلك أى من التلاوة والخط لارتاب (المبطلون) من أهل الكتاب وارتيابهم الذين من شأنهم الركون الى الأباطيل لأن النبى اذا كان قارئا كاتبا أمكن أن يسبق الى الوهم أن الكلام كلامه لا كلام الله واذا كان أميا فلا مجال لهذا الوهم أو المراد أن سائر الانبياء

وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون ﴾ يقول تعالى ذكره ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من خلق السموات والارض فسواهن وسخر الشمس والقمر لعباده يجريان دائبين لمصالح خلق الله ليقولن الذى خلق ذلك وفعله الله فأنى يؤفكون يقول جل ثناؤه فأنى يصرفون عمن صنع ذلك فيعدلون عن اخلاص العبادة له كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأنى يؤفكون أى يعدلون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شئ عليم ﴾ يقول تعالى ذكره الله يوسع من رزقه لمن يشاء من خلقه ويضيق فيقتر لمن يشاء منهم يقول فأرزاقكم وقسمتها بينكم أيها الناس بيدى دون كل أحد سواى أبسط لمن شئت منها وأقتر على من شئت فلا يخلقنكم عن الهجرة وجهاد عدوكم خوف العيلة ان الله بكل شئ عليم يقول ان الله عليم بمصالحكم ومن لا يصلح له الا البسط فى الرزق ومن لا يصلح له الا التقتير عليه وهو عالم بذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيى به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك من نزل من السماء ماء وهو المطر الذى ينزله الله من السحاب فأحيا به الارض يقول فأحيا بالماء الذى نزل من السماء الارض واحياؤها انباته النبات فيها من بعد موتها من بعد جدوبها وقحوطها وقوله ليقولن الله يقول ليقولن الذى فعل ذلك الله الذى له عبادة كل شئ وقوله قل الحمد لله يقول واذا قالوا ذلك فقل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون يقول بل أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعقلون ما لهم فيه النفع من أمر دينهم وما فيه الضر فهم لجهلهم يحسبون أنهم لعبادتهم الآلهة دون الله ينالون بها عند الله زلفة وقربة ولا يعلمون أنهم بذلك هالكون مستوجبون الخلود فى النار ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره وما هذه الحياة الدنيا التى يتمتع منها هؤلاء المشركون الا لهو ولعب يقول الا تعليل النفوس بما تلتذ به ثم هو منقض عن قريب لا بقاء له ولا دوام وان الدار الآخرة لهى الحيوان يقول وان الدار الآخرة لفيها الحياة الدائمة التى لا زوال لها ولا انقطاع ولا موت معها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون حياة لا موت فيها حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لهى الحيوان قال لا موت فيها حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله وان الدار الآخرة لهى الحيوان يقول باقية وقوله لو كانوا يعلمون يقول لو كان هؤلاء المشركون يعلمون أن ذلك كذلك لقصروا عن تكذيبهم بالله وآثروا كهم غيره فى عبادته ولكنهم لا يعلمون ذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ﴾ يقول تعالى ذكره فاذا ركب هؤلاء المشركون السفينة فى البحر فخافوا الغرق والهلاك فيه دعوا الله مخلصين له الدين يقول أخلصوا لله عند الشدة التى نزلت بهم التوحيد وأفردوا له الطاعة وأذعنوا له بالعبودة ولم يستغيثوا بآلهتهم وأندادهم ولكن بالله الذى خلقهم فلما نجاهم الى البر يقول فلما خلصهم مما كانوا فيه وسلمهم فصاروا الى البر اذا هم يجعلون مع الله شريكا

لم يكونوا أميين ووجب الايمان بهم لكان معجزتهم فهبوا أنه قارئ كاتب أليس صاحب آيات ومعجزات فاذاهم مبطلون على كل حال
ثم أكد ازالة ريبهم بقوله (بل هو) يعنى القرآن (١٠) (آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم) وهم الحفاظ والقراء وسائر الكتب
السماوية ما كانت تقرأ إلا من
القراطيس ولهذا جاء فى صفة
هذه الامة صدورهم أناجيلهم
(وما يجحد بآياتنا) الباهرة النيرة الا
المتوغلون فى الظلم سماهم أولا
كافرين لاجل مجردا لجحود ثم بعد
بيان المعجزة سماهم ظالمين لان
الكفر اذا انضم معه الظلم كان اشنع
ويجوز أن يراد بالظلم الشرك كأنهم
بغلوهم فى الجحود ألحقوا بأهل
الشرك حكما أو حقيقة ولما بين
الدليل من جانب النبى صلى الله
عليه وسلم ذكر شبههم وهى الفرق
بين المقيس والمقيس عليه وذلك
أن موسى أوتى تسع آيات علم بها
كون الكتاب من عند الله وأنت
ما أوتيت شيأ منها فأرشد الله نبيه
الى الجواب وهو أن يقول (انما
الآيات عند الله) ووجهه أنه ليس
من شرط الرسالة اظهار المعجزة
وانما المعجزة بعد التوقف
فى الرسالة ولهذا علم وجود رسل
كشيث وادريس وشعيب ولم يعلم
لهم معجزة وكان فى بنى اسرئيل
أنبياء لم تعرف نبوتهم الا بقول
موسى أو غيره فليس على النبى الا
النذارة وأما انزال الآية فالى رحمة الله
اذا شاء تخليص القوم من تصديق
المتنبى وتكذيب النبى ثم قال
(أولم يكفهم) الآية والمعنى هبوا أن
انزال الآية شرط أليس القرآن المتلو
الذى أخرس شقاشق فصحائهم
كافيا فى بيان الاعجاز (ان فى ذلك)
المتلو على وجه الارض (لرحمة) من
الله على الخلق والاشتباه عليهم النبى
بالمتنبى (وذكرى) ليتعظ بها الناس مابقى الزمان وانما كانت هذه الرحمة من الله على الخلق والتذكرة مختصة بالمؤمنين فاحشة
لأن المعجزة للكافرين سبب لمزيد الانكار المستلزم لالزام الحجة والخلود فى النار ثم ختم الدلائل بأن أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بكلام منصف

فى عبادتهم ويدعون الآلهة والأوثان معه أربابا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن
قتادة قوله فلما نجاهم الى البر اذاهم يشركون فالخلق كلهم يقرون لله أنه ربهم ثم يشركون بعد ذلك
القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون أولم يروا أنا
جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ﴾ يقول
تعالى ذكره فلما نجى الله هؤلاء المشركين مما كانوا فيه فى البحر من الخوف والحذر من الغرق
الى البر اذاهم بعد أن صاروا الى البر يشركون بالله الآلهة والأنداد ليكفروا بما آتيناهم يقول
ليجحدوا نعمة الله التى أنعمها عليهم فى أنفسهم وأموالهم وليتمتعوا اختلفت القراء فى قراءة ذلك
فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وليتمتعوا بكسر اللام بمعنى وكى يتمتعوا آتيناهم ذلك وقرأ ذلك
عامة قراء الكوفيين وليتمتعوا بسكون اللام على وجه الوعيد والتوبيخ أى اكفروا فانكم سوف
تعلمون ماذا يلقون من عذاب الله بكفرهم به * وأولى القراءتين عندى فى ذلك بالصواب قراءة
من قرأه بسكون اللام على وجه التهديد والوعيد وذلك أن الذين قرؤه بكسر اللام زعموا أنهم انما
اختاروا كسرها عطفا بها على اللام التى فى قوله ليكفروا وأن قوله ليكفروا لما كان معناه كى يكفروا
كان الصواب فى قوله وليتمتعوا أن يكون وكى يتمتعوا اذ كان عطفا على قوله ليكفروا عندهم وليس
الذى ذهبوا من ذلك بمذهب وذلك لان لام قوله ليكفروا صلحت أن تكون بمعنى كى لانها شرط
لقوله اذاهم يشركون بالله كى يكفروا بما آتيناهم من النعم وليس ذلك كذلك فى قوله وليتمتعوا
لان اشراكهم بالله كان كفرا بنعمته وليس اشراكهم به تمتعا بالدنيا وان كان الاشراك به يسهل
لهم سبيل التمتع بها فاذ كان ذلك كذلك فتوجيهه الى معنى الوعيد أولى وأحق من توجيهه الى معنى
وكى يتمتعوا وبعد فقد ذكر أن ذلك فى قراءة أبى وتمتعوا وذلك دليل على صحة من قرأه بسكون اللام
بمعنى الوعيد وقوله أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا يقول تعالى ذكره مذكرا هؤلاء المشركين من قريش
القائلين لولا أنزل عليه آية من ربه نعمته عليهم التى خصهم بها دون سائر الناس غيرهم مع كفرهم
بنعمته واشراكهم فى عبادته الآلهة والانداد أولم يرهؤلاء المشركون من قريش ما خصصناهم به من
نعمتنا عليهم دون سائر عبادنا فيشكرونا على ذلك ويتزجروا عن كفرهم بنا واشراكهم مالا ينفعهم
ولا يضرهم فى عبادتنا أنا جعلنا بلدهم حرما حرمنا على الناس أن يدخلوه بغارة أو حرب آمنا من
فيه من سكنه فأوى اليه من السباء والخوف والحرام الذى لا يأمنه غيرهم من الناس ويتخطف
الناس من حولهم يقول وتسلب الناس من حولهم قتلا وسباء كما حدثنا بشر قال ثنا
يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم
قال كان لهم فى ذلك آية أن الناس يغزون ويتخطفون وهم آمنون وقوله أفبالباطل يؤمنون يقول
أفبالشرك بالله يقرون بألوهة الأوثان بأن يصدقوا بنعمة الله التى خصهم بها من أن جعل بلدهم
حرما آمنا يكفرون يعنى بقوله يكفرون يجحدون كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة قوله أفبالباطل يؤمنون أى بالشرك وبنعمة الله يكفرون أى يجحدون
القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أليس فى جهنم
مثوى للكافرين ﴾ يقول تعالى ذكره ومن أظلم أيها الناس ممن اختلق على الله كذبا فقالوا اذا فعلوا

وهو قوله (كفى بالله بيني وبينكم شهيدا) وقال في آخر سورة الرعد قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب لان الكلام هناك مع المشركين فاستشهد عليهم بأهل الكتاب أيضا وأما هنا فالكلام مع أهل الكتاب فاقتصر على شهادة الله ثم بين كون شهادة الله كافية بقوله (يعلم ما في السموات والارض) ثم هدد هم بقوله (والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله) وهما متلازمان لان الايمان بما سوى الله وهو الباطل الهالك الزائل الزاهق كفر بالله وجحود بحقه (أولئك هم الخاسرون) لا يستحق لهذا الاسم في الحقيقة غيرهم اذ لا غبن أفحش من اشتراء الباطل بالحق والكفر بالايمان واضاعة العمر في عبادة ما لا ينفعهم بل يضرهم قيل ان ناسا من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود فلما نظر اليها ألقاها وقال كفى بها حماقة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت أولم يكفهم الآية ويروى أن كعب بن الاشرف وأصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بأنك رسول الله فنزلت قل كفى الآية فعلى هذا فالآية نازلة في المشركين وعلى ما مر فهل يتناول اهل الكتاب قالوا نعم لأنه صح عندهم معجزة محمد صلى الله عليه وسلم وقطعوا بأنها ليست من عند الله بل من تلقاء محمد صلى الله عليه وسلم فيلزمهم أن يقولوا ان محمدا هو الله فيكون ايمانا بالباطل وكفرا بالله قلت ولعل وجه التناول هو أنهم آمنوا بالمحرف من التوراة وعبدوا العجل والله أعلم ثم ان النضر ابن الحرث وغيره من كفار قريش كانوا يستعجلون بالعذاب كما مر استهزاء منهم وتكذيبا فنزلت (ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى) هو الموت أو يوم بدر أو ما كتب في اللوح أنه لا يعذب هذه الامة عذاب الاستئصال الى يوم القيامة وقوله (وهم لا يشعرون) تأكيد للبغتة أو هو كلام مستقل أي انهم لا يشعرون هذا الامر ويظنون أن العذاب لا يأتيهم أصلا ثم كرر قوله (يستعجلونك بالعذاب)

فاحشة وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها والله لا يأمر بالفحشاء أو كذب بالحق لما جاءه يقول أو كذب بما بعث الله به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم من توحيده والبراءة من الآلهة والانداد لما جاء هذا الحق من عند الله أليس في جهنم مثوى للكافرين يقول أليس في النار مثوى ومسكن لمن كفر بالله وجحد توحيده وكذب رسوله صلى الله عليه وسلم وهذا تقرير وليس باستفهام انما هو كقول جرير

ألستم خير من ركب المطايا * وأندى العالمين بطون راح

انما أخبر أن للكافرين بالله مسكنا في النار ومنزلا يثوون فيه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين﴾ يقول تعالى ذكره والذين فاتلوا هؤلاء المفترين على الله كذبا من كفار قريش المكذبين بالحق لما جاءهم فينا مبتغين بقتالهم علو كلمتنا ونصرة ديننا لنهدينهم سبلنا يقول لنوفقنهم لاصابة الطرق المستقيمة وذلك اصابة دين الله الذي هو الاسلام الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم وان الله لمع المحسنين يقول وان الله لمع من أحسن من خلقه فجاهد فيه أهل الشرك مصدقا رسوله فيما جاء به من عند الله بالعون له والنصرة على من جاهد من أعدائه ونحو الذي قلنا في تأويل قوله والذين جاهدوا فينا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والذين جاهدوا فينا قلت له قاتلوا فينا قال نعم

آخر تفسير سورة العنكبوت

﴿تفسير سورة الروم﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾ * قال أبو جعفر قد بينا فيما مضى قبل معنى قوله الم وذكرنا ما فيه من أقوال أهل التأويل فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع وقوله غلبت الروم في أدنى الأرض اختلفت القراء في قراءته فقرأته عامة قراء الامصار غلبت الروم بضم الغين بمعنى أن فارس غلبت الروم وروى عن ابن عمر وأبي سعيد في ذلك ما حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبي عن الحسن الجعفي عن سليط قال سمعت ابن عمر يقرأ الم غلبت الروم فقيل له يا أبا عبد الرحمن على أي شئ غلبوا قال على ريف الشام والصواب من القراءة في ذلك عندنا الذي لا يجوز غيره الم غلبت الروم بضم الغين لاجماع الحجة من القراء عليه فاذ كان ذلك كذلك فتأويل الكلام غلبت فارس الروم في أدنى الارض من أرض الشام الى أرض فارس وهم من بعد غلبهم يقول والروم من بعد غلبة فارس اياهم سيغلبون فارس في بضع سنين لله الأمر من قبل غلبتهم فارس ومن بعد غلبتهم اياها يقضي في خلقه ما يشاء ويحكم ما يريد ويظهر من شاء منهم على من أحب اظهاره عليه ويومئذ

تعجبا منهم وتعجيبا فان من توعد بأمر يسير كلطمة أو لكمة يحتمل أن يظهر من نفسه الجلادة ويقول هات ما عندك وأما الذى توعد بإحراق ونحوه فكيف يتجلد ويستعجل (١٢) خصوصا اذا كان الموعد لا يخلف الميعاد ويقدر على كل ما أراد وقوله (لمحيطة) بمعنى الاستقبال أى ستحيط بهم يوم كذا ويجوز أن يكون بمعنى الحال حقيقة لان المعاصى التى توجبها محيطة بهم فى الدنيا أو مجازا لان جهنم مآلهم ومرجعهم فكأنها الساعة محيطة بهم والظرف على هذين الوجهين منصوب بمضمر أى (يوم يغشاهم العذاب) كان كيت وكيت وانما خص الغشيان بالفوق والتحت دون باقى الجهات لان نارجهنم بذلك تتميز عن نار الدنيا لان نار الدنيا لا تنزل من فوق ولا تؤثر شعلتها من تحت بل تنطفئ الشعلة تحت القدم وانما لم يقل ومن تحتهم كما قال من فوقهم لان نزول النار من فوق عجيب سواء كان من سمت الرأس أو من موضع آخر وأما الاشتعال من تحت فليس بعجيب الا حيث يحاذى الرجل ويجوز أن يكون زيادة الأرجل تصويرا لوقوفهم فى النار أو لجثوهم فيها وقوله (ذوقوا ما كنتم) أى جزاء ما كنتم تعملونه أمر اهانة وحين ذكر حال الكفرة من أهل الكتاب والمشركين وجمعهم فى الانذار وجعلهم من أهل النار اشتد عنادهم وزاد فسادهم وسعوا فى ايذاء المؤمنين ومنعهم من عبادة الله فقال (ياعبادى) فان كانت الاضافة للتشريف كقوله عينا يشرب بها عباد الله فقوله (الذين آمنوا) صفة موضحة وان كانت للتخصيص فهى صفة مميزة ومعنى الآية أن المؤمن اذا لم يتسهل له عبادة الله فى بلد على وجه الاخلاص فليهاجر عنه الى بلد يكون فيه أفرغ بالا وأرفع حالا وأقل عوارض نفسانية وأكمل دواعى روحانية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من أرض الى أرض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد واعلم أنى عند الوصول

يفرح المؤمنون بنصر الله يقول ويوم يغلب الروم فارس يفرح المؤمنون بالله ورسوله بنصرة اياهم على المشركين ونصرة الروم على فارس بنصر الله تعالى ذكره من يشاء من خلقه على من يشاء وهو نصرة المؤمنين على المشركين ببدر وهو العزيز يقول والله الشديد فى انتقامه من أعدائه لا يمنعه من ذلك مانع ولا يحول بينه وبينه حائل الرحيم بمن تاب من خلقه وراجع طاعته أن يعذبه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن سعيد أو سعيد الثعلبى الذى يقال له أبو سعد من أهل طرسوس قال ثنا أبو اسحق الفزارى عن سفيان بن سعيد الثورى عن حبيب بن أبى عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان المسلمون يحبون أن تغلب الروم أهل الكتاب وكان المشركون يحبون أن يغلب أهل فارس لأنهم أهل أوثان قال فذكروا ذلك لأبى بكر فذكره أبو بكر للنبى صلى الله عليه وسلم فقال أما انهم سيهزمون قال فذكر ذلك أبو بكر للمشركين قال فقالوا أفنجعل بيننا وبينكم أجلا فان غلبوا كان لك كذا وكذا وان غلبنا كان لنا كذا وكذا قال فجعلوا بينهم وبينه أجلا خمس سنين قال فمضت فلم يغلبوا قال فذكر ذلك أبو بكر للنبى صلى الله عليه وسلم فقال له ألا جعلته دون العشر قال سعيد والبضع ما دون العشر قال فغلب الروم ثم غلبت قال فذلك قوله الم غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين قال البضع ما دون العشر لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله قال سفيان فبلغنى أنهم غلبوا يوم بدر حدثنى زكريا بن يحيى ابن أبان المصرى قال ثنا موسى بن هرون البردى قال ثنا معن بن عيسى قال ثنا عبد الله ابن عبد الرحمن عن ابن شهاب عن عبيد الله عن ابن عباس قال لما نزلت الم غلبت الروم فى أدنى الارض الآية ناحب أبو بكر قريشا ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له انى قد ناحبتهم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم هلا احتطت فان البضع ما بين الثلاث الى التسع قال الجمحى المناحبة المراهنة وذلك قبل أن يكون تحريم ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله الم غلبت الروم الى قوله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله قال قد مضى كان ذلك فى أهل فارس والروم وكانت فارس قد غلبتهم ثم غلبت الروم بعد ذلك ولقى نبى الله صلى الله عليه وسلم مشركى العرب يوم التقت الروم وفارس فنصر الله النبى صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين على مشركى العرب ونصر أهل الكتاب على مشركى العجم ففرح المؤمنون بنصر الله اياهم ونصر أهل الكتاب على العجم قال عطية فسألت أبا سعيد الخدرى عن ذلك فقال التقينا مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشركى العرب والتقت الروم وفارس فنصرنا الله على مشركى العرب ونصر الله أهل الكتاب على المجوس ففرحنا بنصر الله اياه على المشركين وفرحنا بنصر الله أهل الكتاب على المجوس فذلك قوله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله الم غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون غلبتهم فارس ثم غلبت الروم حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مسلم عن مسروق قال قال عبد الله خمس قد مضين الدخان واللزام والبطشة والقمر والروم حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن عامر عن ابن مسعود قال قد مضى الم غلبت الروم حدثنى محمد بن عمرو قال

الى تفسير هذه السورة عنّ لى سفر من غير اختيار كلىّ فأقول متضرعا الى الله الكريم ومستمدا من اعجاز القرآن العظيم اللهم ان كنت تعلم أن هذا السفر مشوب بشئ من رضاك فان كل الرضا لا يمكننى ان أراعيه فاجعله سببا لنجح المقاصد وحصول المآرب والاشتمال على الفوائد الدنيوية والدينية والخلاص من شماتة الاعداء الدنية حتى أفرغ لنشر العلوم الشرعية انك على ما تشاء قدير وبالاسعاف والاجابة جدير والفاء فى قوله (فايای) للدلالة على أنه جواب الشرط كأنه قال اذا كان لامانع من عبادتى (فاعبدونى) ثم أريد معنى الاختصاص والاخلاص فقدم المفعول على شريطة التفسير وجىء بالفاء الثانية الدالة على ترتيب المقتضى على المقتضى كما يقال هذا عالم فأكرموه كما مر فى قوله وايای فارهبون فصار حاصل المعنى ان لم تخلصوا العبادة لى فى أرض فأخلصوها لى فى غيرها والفائدة فى الامر بالعبادة بعد قوله يا عبادى الدال على العبودية اما المداومة أى يا من عبدتمونى فى الماضى اعبدونى فى المستقبل أو الاخلاص فى العبادة ويجوز أن يقال العبودية غير العبادة فكم من عبد لا يطيع سيده ثم لما أمر المؤمنين بالمهاجرة صعب عليهم ترك الاوطان ومفارقة الاخوان والخلان فقال (كل نفس ذائقة الموت) أى ان الذى تكرهون لابد من وقوعه فالاولى أن يكون ذلك فى سبيل الله (ثم الينا ترجعون) فنثيبكم على ذلك وفيه أن كل نفس ذائقة الموت اضطرارا فمن أراد أن لا يموت أبدا فليمت اختيارا فان أولياء الله لا يموتون ولكن ينقلون من دار الى دار ثم بين أن للمؤمنين الجنان فى مقابلة ما للكافرين من النيران وأن فى الجنة غرفا تجرى من تحتها الانهار فى مقابلة ما يحيط بالكافرين من النار وبين أن ذلك أجر عملهم بقوله (نعم أجر العاملين) بازاء ما بين جزاء عمل الكفار بقوله ذوقوا ما كنتم تعملون وقوله (لنبوئنهم) أى لننزلنهم (من الجنة) عوالى ومن قرأ بالثاء المثلثة فمن الثواء يقال ثوى فى المنزل لازما وأثوى غيره

ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الم غلبت الروم الى قوله أكثر الناس لا يعلمون قال ذكر غلبة فارس اياهم ودالة الروم على فارس وفرح المؤمنون بنصر الروم أهل الكتاب على فارس من أهل الاوثان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر بن عبد الله عن عكرمة ان الروم وفارس اقتتلوا فى أدنى الارض قالوا وأدنى الارض يومئذ أذرعات بها التقوا فهزمت الروم فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم بمكة فشق ذلك عليهم وكان النبى صلى الله عليه وسلم يكره أن يظهر الاميون من المجوس على أهل الكتاب من الروم فسر ح الكفار بمكة وشمتوا فقالوا لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا انكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وقد ظهر اخواننا من أهل فارس على اخوانكم من أهل الكتاب وانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فأنزل الله الم غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الآيات فخرج أبو بكر الصديق الى الكفار فقال أفرحتم بظهور اخوانكم على اخواننا فلا تفرحوا ولا يقرّن الله أعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم فقام اليه أبى بن خلف فقال كذبت يا أبا فضيل فقال له أبو بكر رضى الله عنه أنت أكذب يا عدو الله فقال أناحبك عشر قلائص منى وعشر قلائص منك فان ظهرت الروم على فارس غرمت وان ظهرت فارس على الروم غرمت الى ثلاث سنين ثم جاء أبو بكر الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال ما هكذا ذكرت انما البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده فى الخطر وماده فى الاجل فخرج أبو بكر فلقى أبيا فقال لعلك ندمت فقال لا فقال أزايدك فى الخطر وأماذك فى الاجل فاجعلها مائة قلوص لمائة قلوص الى تسع سنين قال قد فعلت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر عن عكرمة قال كانت فى فارس امرأة لا تلد الا الملوك الأبطال فدعاها كسرى فقال انى أريد أن أبعث الى الروم جيشا وأستعمل عليهم رجلا من بنيك فأشيرى على أيهم أستعمل فقالت هذا فلان وهو أروع من تحت وأحذر من صرد وهذا فرخان وهو أنفذ من سنان وهذا شهربراز وهو أحلم من كذا فاستعمل أيهم شئت قال انى قد استعملت الحليم فاستعمل شهربراز فسار الى الروم بأهل فارس وظهر عليهم فقتلهم وخرب مدائنهم وقطع زيتونهم قال أبو بكر فحدثت بهذا الحديث عطاء الخراسانى فقال أما رأيت بلاد الشام قلت لا قال أما انك لو رأيتها لرأيت المدائن التى خربت والزيتون الذى قطع فأتيت الشام بعد ذلك فرأيته * قال عطاء الخراسانى ثنى يحيى بن يعمر أن قيصر بعث رجلا يدعى قطمة بجيش من الروم وبعث كسرى شهربراز فالتقيا باذرعات وبصرى وهى أدنى الشام اليكم فلقيت فارس الروم ففلتهم فارس ففرح بذلك كفار قريش وكرهه المسلمون فأنزل الله الم غلبت الروم فى أدنى الارض الآيات ثم ذكر مثل حديث عكرمة وزاد فلم يزل شهربراز يظهر ويخرب مدائنهم حتى بلغ الخليج ثم مات كسرى قبلغهم موته فانهزم شهربراز وأصحابه وأوعبت عليهم الروم عند ذلك فاتبعوهم يقتلونهم قال وقال عكرمة فى حديثه لما ظهرت فارس على الروم جلس فرخان يشرب فقال لأصحابه لقد رأيت كأنى جالس على سرير كسرى فبلغت كسرى فكتب الى شهربراز اذا أتاك كتابى فابعث الىّ برأس فرخان فكتب اليه أيها الملك انك

متعديا الى واحد فانتصاب (غرفا) اما بنزع الخافض واما بالتضمين الاثواء معنى التبوئة والانزال واما بالتشبيه الظرف المؤقت بالمبهم ثم مدح
(الذين صبروا) على المكاره فى الحال (١٤) (وعلى ربهم يتوكلون) فيما يحتاجون اليه فى الاستقبال وكل واحد من الصبر والتوكل

يحتاج اليه المسافر والمقيم فكما أن المهاجر يصبر على فراق الاوطان ويتوكل فى سفره على الرحمن فالمتوطن يصبر على الاذيات والمحن ويتوكل فى أموره على فضل ذى المنن والصبر والتوكل صفتان لاتحصلان الامع سعة العلم بالله وبما سوى الله فمن علم أنه باق لايصبر عنه ولايتوكل فى الامور الا عليه ومن علم أن ماسواه فان هان عليه الصبر عنه وعلم أنه لايصلح للاعتماد عليه ثم ذكر ما يعين على الصبر والتوكل وهو النظر فى حال الدواب وقال المفسرون لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسلم بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فكان الرجل منهم يقول كيف أقدم بلدة ليست لى فيها معيشة فنزلت وكأين من دابة لاتحمل رزقها عن الحسن أى لاتدخره وقال غيره لاتطيق حمل الرزق (الله يرزقها) بايجاد غذائها وهدايتها اليه ثم بتشبث ذلك الغذاء بالمغتذى بتوسط قوى أودعها فيها وهيأها لذلك (وايا كم) بمثل ماقلنا وبزيادة الاهتداء الى وجوه المكاسب والمعايش وترتيب الملبس والمسكن وتهيئة الاقوات وادخار الاموال وتملكها اختيارا وقهرا ومنه يعلم أن الاشتغال بترتيب بعض الوسائط وتدبيرها لاينافى التوكل فقد يكون الزارع الحاصد متوكلا والراكع الساجد غير متوكل عن ابن عيينة ليس شئ يخبأ الا الانسان والنملة والفأرة وللعقعق مخابئ الا أنه ينساها وحكى أن البلبل يحتكر فى حضنيه أى يجمع واذا كان أكثر الحيوان على صورة المتوكلين فالانسان العاقل العارف بالمبدا والمعاد العالم بوجوه المكاسب الذى يأتيه الرزق من جهات الارث والعمارة والهدية ونحوها كيف يظاهر على الحظام الزائل

ان تجد مثل فرخان انه نكاية وضرباقى العدو فلاتفعل فكتب اليه ان فى رجال فارس خلفا منه فعجل الىّ برأسه فراجعه فغضب كسرى فلم يجبه وبعث بريدا الى أهل فارس انى قد نزعت عنكم شهر براز واستعملت عليكم فرخان ثم دفع الى البريد صحيفة صغيرة اذا ولى فرخان الملك واقاد له أخوه فأعطه هذه فلما قرأ شهر براز الكتاب قال سمعا وطاعة ونزل عن سريره وجلس فرخان ودفع الصحيفة اليه قال اثنونى بشهر براز فقدمه ليضرب عنقه قال لاتعجل حتى أكتب وصيتى قال نعم فدعا بالسفط فأعطاه ثلاث صحائف وقال كل هذا راجعت فيك كسرى وأنت أردت أن تقتلنى بكتاب واحد فردّ الملك وكتب شهر براز الى قيصر ملك الروم ان لى اليك حاجة لايحملها البريد ولاتبلغها الصحف فالقنى ولاتلقنى الا فى خمسين رومياً فانى ألقاك فى خمسين فارسيا فأقبل قيصر فى خمسمائة ألف رومى وجعل بضع العيون بين يديه فى الطريق وخاف أن يكون قد مكر به حتى أتته عيونه أن ليس معه الا خمسون رجلا ثم بسط لهما والتقيا فى قبة ديباج ضربت لهما مع كل واحد منهما سكين فدعا ترجمانا بينهما فقال شهر براز ان الذين خربوا مدائنك أنا وأخى بكيدنا وشجاعتنا وان كسرى حسدنا فأراد أن أقتل أخى فأبيت ثم أمر أخى أن يقتلنى فقد خلعناه جميعا فنحن نقاتله معك فقال قد أصبتما ثم أشار أحدهما الى صاحبه ان السرين اثنين فاذا جاوزا ثنين فشأ قال أجل فقتلا الترجمان جميعا بسكينيهما فأهلك الله كسرى وجاء الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ففرح ومن معه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الم غلبت الروم قال غلبتهم فارس على أدنى الشام وهم من بعد غلبهم سيغلبون الآية قال لما أنزل الله هؤلاء الآيات صدق المسلمون ربهم وعلموا أن الروم سيظهرون على فارس فاقتمروا هم والمشركون خمس قلائص خمس قلائص وأجلوا بينهم خمس سنين فولى قمار المسلمين أبو بكر رضى الله عنه وولى قمار المشركين أبى بن خلف وذلك قبل أن ينهى عن القمار فحل الأجل ولم يظهر الروم على فارس وسأل المشركون قمارهم فذكروا ذلك أصحاب النبى للنبى صلى الله عليه وسلم قال لم تكونوا أحقاء أن تؤجلوا دون العشر فان البضع ما بين الثلاث الى العشر وزايدوهم فى القمار وماذوهم فى الاجل ففعلوا ذلك فأظهر الله الروم على فارس عند رأس البضع سنين من قمارهم الاول وكان ذلك مرجعه من الحديبية ففرح المسلمون بصلحهم الذى كان وبظهور أهل الكتاب على المجوس وكان ذلك مما شد الله به الاسلام وهو قوله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الآية **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود بن أبى هند عن الشعبى فى قوله الم غلبت الروم الى قوله ويومئذ يفرح المؤمنون قال كان النبى صلى الله عليه وسلم أخبر الناس بمكة أن الروم ستغلب قال فنزل القرآن بذلك قال وكان المسلمون يحبون ظهور الروم على فارس لانهم أهل الكتاب **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن داود بن أبى هند عن عامر عن عبد الله قال كان فارس ظاهرة على الروم وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لانهم أهل كتاب وهم أقرب الى دينهم فلما نزلت الم غلبت الروم الى فى بضع سنين قالوا يا أبا بكر ان صاحبك يقول أن الروم تظهر على فارس فى بضع سنين قال صدق قالوا هل لك أن نقامرك فبايعوه على أربع قلائص الى سبع سنين فمضت السبع ولم يكن شئ ففرح المشركون بذلك وشق على المسلمين فذكر وا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال ما بضع سنين

أشد حرص (وهو السميع) لدعاء طلبة الرزق (العليم) بطو ياتهم ومقادير حاجاتهم ثم عجب أهل العجب من حال المشركين من أهل مكة وغيرهم لم يعبدوا الله مخلصين مع علمهم بأنه خالقهم ورازقهم فكيف يصرفون عن توحيد الله فان من علمت عظمته وجبت

سنين عندكم قالوا دون العشر قال اذهب فزايدهم وازدد سنتين قال فما مضت السنتان حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس ففرح المسلمون بذلك فأنزل الله الم غلبت الروم الى قوله وعد الله لا يخلف الله وعده **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن الأعمش ومطر عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله قال مضت الروم **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله الم غلبت الروم في أدنى الارض قال أدنى الارض الشام وهم من بعد غلبهم سيغلبون قال كانت فارس قد غلبت الروم ثم أديل الروم على فارس وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الروم ستغلب فارسا فقال المشركون هذا مما يتخرص محمد فقال أبو بكر تناحبوني والمناحبة المجاعلة قالوا نعم فناحبهم أبو بكر فجعل السنين أربعا أو خمسا ثم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان البضع فيما بين الثلاث الى التسع فارجع الى القوم فزدفي المناحبة فرجع اليهم قالوا فناحبهم فزاد فغلبت الروم فارسا فذلك قول الله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء يوم أديلت الروم على فارس **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا معاوية ابن عمرو عن أبي اسحق الفزاري عن سفيان عن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس الم غلبت الروم قال غلبت وغلبت فأما الذين قرؤا ذلك غلبت الروم بفتح الغين فانهم قالوا نزلت هذه الآية خبرا من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم عن غلبة الروم ذكر من قال ذلك **حدثنا** نصر بن علي قال ثنا المعتمر بن سليمن عن أبيه عن سليمن يعني الأعمش عن عطية عن أبي سعيد قال لما كان يوم ظهر الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين فنزلت الم غلبت الروم على فارس **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا يحيى بن حماد قال ثنا أبو عوانة عن سليمن عن عطية عن أبي سعيد قال لما كان يوم بدر غلبت الروم على فارس ففرح المسلمون بذلك فأنزل الله الم غلبت الروم الى آخر الآية **حدثنا** يحيى بن ابراهيم المسعودي قال ثنا أبي عن أبيه عن جده عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد قال لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين لانهم أهل كتاب فأنزل الله الم غلبت الروم في أدنى الارض قال كانوا قد غلبوا قبل ذلك ثم قرأ حتى بلغ ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله وقوله في أدنى الارض قد ذكرت قول بعضهم فيما تقدم قبل وأذكر قول من لم يذكر قوله **حدثني** علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله في أدنى الارض يقول في طرف الشام ومعنى قوله أدنى أقرب وهو أفعل من الدنو والقرب وانما معناه في أدنى الارض من فارس فترك ذكر فارس استغناء بدلالة ما ظهر من قوله في أدنى الارض عليه منه وقوله وهم من بعد غلبهم يقول والروم من بعد غلبة فارس اياهم سيغلبون فارس وقوله من بعد غلبهم مصدر من قول القائل غلبته غلبة فحذفت الهاء من الغلبة وقيل من بعد غلبهم ولم يقل من بعد غلبتهم للاضافة كما حذفت من قوله واقام الصلاة للاضافة وانما الكلام واقامة الصلاة واما قوله سيغلبون فان القراء أجمعين على فتح الياء فيها والواجب على قراءة من قرأ الم غلبت الروم بفتح الغين ان يقرأ قوله سيغلبون بضم الياء فيكون معناه وهم من بعد غلبتهم فارس سيغلبهم المسلمون حتى يصح معنى الكلام والا لم يكن للكلام كبير معنى ان فتحت الياء لان الخبر عما قد كان يصير الى الخبر عن أنه سيكون وذلك افساد أحد الخبرين بالآخر وقوله في بضع سنين قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في معنى البضع فيما مضى

خدمته ولا عظمة فوق عظمة خالق الذرات واليه أشار بخلق الارض والسموات موجد الصفات واليه الاشارة بتسخير الشمس والقمر ولا حقارة فوق حقارة الجماد لانه دون النبات وهو دون الحيوان وهو دون الانسان وهو دون سكان السموات فكيف يتركون عبادة أشرف الموجودات ويستغلون بعبادة أخس المخلوقات وحين ذكر الخلق أتبعه ذكر الرزق وحكمة البسط والقبض في ذلك الباب ومعنى (يقدر) يضيق فالضمير في (له) اما للشخص المعين المبسوط له والمراد أن تعاقب الامرين عليه بمشيئة الله واما للمبهم غير معين كأن الضمير وضع موضع من يشاء وفي قوله (ان الله بكل شئ عليم) اشارة الى أنه عالم بمقادير الحاجات فاذا علم احتياج العبد الى الرزق أوصله اليه من غير تأخير ان شاء ثم احتج على المشركين بوجه آخر وهو اعترافهم بأن احياء الارض الميتة بواسطة تنزيل ماء السماء هو من الله ثم قال (قل الحمد لله) وهو كلام مستقل على سبيل الاعتراض أو هو متصل بما قبله كأنه استحمد رسوله على البراءة من التناقض والتهافت خلاف أهل الشرك المعترفين بأن النعمة من الله ثم يتركون عبادته الى عبادة الصنم الذي لا يملك نفعا ولا ضرا وفيه أن العالم اذا لم يعمل بعلمه انخرط في سلك من لا عقل له ولهذا عقبه بقوله (بل أكثرهم لا يعقلون) وقال جار الله أراد لا يعقلون ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد أو لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله ولا يفطنون لم حمدت الله عند مقالتهم واعلم أن المشركين معترفون بأن الخلق والرزق من الله ولكن حب الدنيا وزينتها حملتهم على موافقة أهل الشرك

والمداومة على الدين الباطل فصغر الله تعالى أمر الدنيا وعظم امر الآخرة ليعلم أن رعاية جانب الآخرة اهم من رعاية صلاح الدنيا قال اهل العلم الاقبال على الباطل لعب والاعراض (١٦) عن الحق لهو والمشتغل بالدنيا كذلك ويمكن أن يقال المشتغل بها لا على وجه الاستغراق بل على وجه يفرغ لبعض أمور الآخرة لاعب والمشغول بها بحيث ينسى الآخرة بالكلية لاه وحين كان الكلام فى الانعام بعد ذكر الآخرة وما يجرى فيها من الحيرة والحسرة قدم اللعب هنالك لان الاستغراق الكلى بالنسبة الى أهل الآخرة أبعد فأخر الأبعد ولما كان المذكور ههنا من قبيل الدنيا ولهذا أشار اليها بقوله وما هذه الحياة الدنيا وقال فى الانعام وما الحياة الدنيا وهى خداعة تدعو النفوس الى الاقبال عليها بالكلية فلا جرم قدم اللهو ويحتمل أن يقال انه تعالى قدم اللعب على اللهو فى موضعين من الانعام وكذلك فى القتال ويقال لها سورة محمد صلى الله عليه وسلم وفى الحديد وقدم اللهو على اللعب فى الأعراف والعنكبوت فاللعب مقدم فى الأكثر لان اللعب زمانه الصبا واللهو زمانه الشباب وزمان الصبا مقدم على زمان الشباب «تنبيه» ماذكر فى الحديد اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب كلعب الصبيان ولهو كلهو الشبان وزينة كزينة النسوان وتفاخر كتفاخر الاخوان وتكاثر كتكاثر السلطان وقدم اللهو فى الأعراف لان ذلك فى القيامة فذكر على ترتيب ما انقضى وبدأ بما بدأ به الانسان وانتهى من الجانبين وأما هذه السورة فأراد فيها ذكر سرعة زمان انقضاء الدنيا وان امتد بالنسبة الى زمان الآخرة فبدأ بذكر ما هو أكثر ليكون الى المقصود اقرب ثم ان الحال فى سورة الانعام لما كانت حال اظهار الحسرة لم يحتج المكلف الى وازع قوى فاقتصر على قوله والدار الآخرة خير ولما كان الحال ههنا حال الاشتغال بالدنيا احتاج الى وازع أقوى فقال (وان الدار الآخرة لهى الحيوان

وأتينا على الصحيح من أقوالهم بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقد حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا خلاد بن أسلم الصفار عن عبد الله بن عيسى عن عبد الرحمن ابن الحرث عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال قلت له ما البضع قال زعم أهل الكتاب أنه تسع أو سبع وأما قوله لله الامر من قبل ومن بعد فان القاسم حدثنا قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله لله الامر من قبل دولة فارس على الروم ومن بعد دولة الروم على فارس وأما قوله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء فقد ذكرنا الرواية فى تأويله قبل وبينا معناه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره وعد الله جل ثناؤه وعد أن الروم ستغلب فارس من بعد غلبة فارس لهم ونصب وعد الله على المصدر من قوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون لأن ذلك وعد من الله لهم أنهم سيغلبون فكأنه قال وعدهم الله ذلك المؤمنين وعدا لا يخلف الله وعده يقول تعالى ذكره ان الله ينجز لمؤمنين أن الروم سيغلبون فارس لا يخلفهم وعده ذلك لانه ليس فى مواعيده خلف ولكن أكثر الناس لا يعلمون يقول ولكن أكثر قريش الذين يكذبون بأن الله منجز وعده المؤمنين من أن الروم تغلب فارس لا يعلمون أن ذلك كذلك وأنه لا يجوز أن يكون فى وعد الله اخلاف ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ يقول تعالى ذكره يعلم هؤلاء المكذبون بحقيقة خبر الله أن الروم ستغلب فارس ظاهرا من حياتهم الدنيا وتدبير معايشهم فيها وما يصلحهم وهم عن أمر آخرتهم وما لهم فيه النجاة من عقاب الله هنالك غافلون لا يفكرون فيه ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو تميلة يحيى بن واضح الانصارى قال ثنا الحسين بن واقد قال ثنا يزيد النحوى عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا يعنى معايشهم متى يحصدون ومتى يغرسون حدثنى أحمد بن الوليد الرملى قال ثنا عمرو بن عثمان بن عمر عن عاصم بن على قال ثنا أبو تميلة قال ثنا ابن واقد عن يزيد النحوى عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا قال متى يزرعون متى يغرسون حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال ثنى شرقى عن عكرمة فى قوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا قال هو السراج أو نحوه حدثنا أبو هريرة محمد بن فراس الضبعى قال ثنا أبو قتيبة قال ثنا شعبة عن شرقى عن عكرمة فى قوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا قال السراجون حدثنا أحمد بن الوليد الرملى قال ثنا سليمن بن حرب قال ثنا شعبة عن شرقى عن عكرمة فى قوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا قال الخرازون والسراجون حدثنا بشر بن آدم قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا قال معايشهم وما يصلحهم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم مثله حدثنى بشر بن آدم قال ثنا الضحاك بن مخلد عن سفيان عن أبيه عن عكرمة وعن منصور عن ابراهيم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا قال معايشهم حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ظاهرا من الحياة الدنيا يعنى الكفار يعرفون عمران الدنيا وهم فى أمر الدين جهال حدثنى ابن وكيع قال

اى لاحياة الاحياة الآخرة وليس فيها الاحياة مستمرة دائمة لاموت فكأنها فى ذاتها حياة ولايخفى ما فى التركيب من انواع المبالغة من جهة
ان ومن جهة صيغة الفصل ولام التأكيد وبناء الفعلان بتحريك العين وهو مصدر حيى ياءين فقدما عينه ياء ولامه واو

واوكاء واوين فقيل حوى مثل قوى وقياسه حيان ياءين قلبت الثانية واوا على منوال حيوة فى اسم رجل ولان المبالغة ههنا أزيد مما فى الانعام قال ههنا (لو كانوا يعلمون) وهناك أفلا تعقلون لان المعلوم أكثر مقدمة من المعقول وقدم فى السورة ثم أشار بقوله (فاذا ركبوا فى الفلك) الى أن المانع من التوحيد والاخلاص هو الحياة الدنيا لانهم اذا انقطع رجاؤهم رجعوا الى الفطرة الشاهدة بالتوحيد والاخلاص فاذا نجاهم الى البر عادوا الى ما كانوا عليه من حب الدنيا وأشركوا لاجلها ثم بين أن نعمة الأمن يجب أن تقابل بالشكر لا بالكفر فقال (أولم يروا) الآية وقدم مثله فى القصص ثم ذكر أن الذين سمعوا البينات المذكورة ولم يؤمنوا فلا أظلم منهم لأن من وضع شيأ فى غير موضعه فهو ظالم فمن وضع شيأ فى موضع لا يمكن أن يكون ذلك موضعه يكون أظلم وانهم جعلوا لله شريكا مع عدم امكان الشريك له فلا أظلم منهم وأيضا من كذب صادقا يجوز عليه الكذب كان ظالما فمن كذب صادقا لا يجوز عليه الكذب كيف يكون حاله وانهم كذبوا النبى والقرآن وفى قوله (لما جاءه) اشارة الى أنهم لم يتلعثموا فى التكذيب وقت أن سمعوه ولم يستعملوا التدبر والتفكر فيما يجب أن يستعمل فيه التأنى والتثبت وهذا أيضا نوع من الظلم بل ظلم مضموم الى ظلم وفى قوله

ثنى أبى عن سفيان عن أبيه عن عكرمة يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا قال معايشهم وما يصلحهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن ابراهيم مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا من حرفتها وتصرفها وبيعتها وهم عن الآخرة هم غافلون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن رجل عن الحسن قال يعلمون متى زرعهم ومتى حصادهم * قال ثنا حفص بن راشد الهلالى عن شعبة عن شرقى عن عكرمة يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا قال السراج ونحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية قال صرفها فى معيشتها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون (١) * وقال آخرون فى ذلك ما حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد فى قوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا قال تسترق الشياطين السمع فيسمعون الكلمة التى قد نزلت ينبغى لها أن تكون فى الارض قال ويرمون بالشهب فلا يخطو أن يحة فى أو يصيبه شر منه قال فيسقط فلا يعود أبدا قال ويرمى بذلك الذى سمع الى أوليائه من الانس قال فيحملون عليه ألف كذبة قال فما رأيت الناس يقولون يكون كذا وكذا قال فيجىء الصحيح منه كما يقولون الذى سمعوه من السماء ويعقبه من الكذب الذى يخوضون فيه

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أولم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون﴾ يقول تعالى ذكره أولم يتفكر هؤلاء المكذبون بالبعث يا محمد من قومك فى خلق الله اياهم وأنه خلقهم ولم يكونوا شيأ ثم صيرهم أحوالا وأطوارا حتى صاروا رجالا فيعلموا أن الذى فعل ذلك قادر أن يعيدهم بعد فنائهم خلقا جديدا ثم يجازى المحسن منهم باحسانه والمسىء باساءته لا يظلم أحدا منهم فيعاقبه بجرم غيره ولا يجرم أحدا منهم جزاء عمله لأنه العدل الذى لا يجور ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالعدل واقامة الحق وأجل مسمى يقول وأجل مؤقت مسمى اذا بلغت ذلك الوقت أفنى ذلك كله وبدل الارض غير الارض والسموات وبرز لله الواحد القهار وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم جاحدون منكرون جهلا منهم بأن معادهم الى الله بعد فنائهم وغفلة منهم عن الآخرة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ يقول تعالى ذكره أولم يسر هؤلاء المكذبون بالله الغافلون عن الآخرة من قريش فى البلاد التى يسلكونها تجرا فينظروا الى آثار الله فيمن كان قبلهم من الامم المكذبة كيف كان عاقبة أمرها فى تكذيبها رسلها فقد كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض يقول واستخرجوا الارض وحرثوها وعمروها أكثر مما عمر هؤلاء فأهلكهم الله بكفرهم وتكذيبهم رسلهم فلم يقدروا على الامتناع مع شدة قواهم مما نزل بهم من عقاب الله ولا نفعتهم عمارتهم مما عمروا من الارض اذ جاءتهم رسلهم بالبينات من الآيات فكذبوهم فأحل الله بهم بأسه فما كان الله ليظلمهم بعقابه اياهم على تكذيبهم رسله وجحودهم آياته ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بمعصيتهم

(١) كذا فى النسخ ولم يذكر التفسير ولعله سقط من قلم الناسخ وحرر

 (أولم) معنيان بعد كون الاستفهام للتقرير فان أريد فى الحال فمعناه لم يصح عندهم أن فى جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا على مثل هذه الجرأة وان أريد فى الاستقبال فالمراد ألا يثبتوا فى جهنم

وقد افتروا على الله وكذبوا بالحق وقيل هو من الكلام المنصف لأنه قدم مقدمة هي أنه لا أظلم من المفترى وهو المتنبي ومن الذي كذب النبي ثم ذكر أن جهنم مقام الكافر سواء كان هو المتنبي (١٨) أو المكذب للنبي فهو كقوله وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ثم ختم

السورة بآية جامعة فيها تسلية قلوب المؤمنين والمراد أن من جاهد النفس أو الشيطان الجني والانسي (فينا) أي في حقنا ومن أجل رضانا خالصا (لنهدينهم) سبيل الجنة أو سبيل الخير باعطاء مزيد الالطاف والتوفيق وقيل والذين جاهدوا فيما علموا ولم يقصروا في العمل به لنهدينهم الى ما لم يعلموا وهو قريب من قول الحكيم ان النظر في المقدمات يعد النفس لقبول الفيض وهو النتيجة من واهب الصور الجسمانية والعقلية وقوله (وان الله لمع المحسنين) أي بالنصر والاعانة اشارة الى مرتبة أعلى من الاستدلال وهو الذي يسمى العلم اللدني فكأنه تعالى أشار في خاتمة السورة الى الفرق الثلاث فأشار الى الناقصين بقوله ومن أظلم وذلك أنهم صرفوا الاستعداد في غير ما خلق لأجله والى المتوسطين الذين يحصلون العلم بالكد بقوله والذين جاهدوا والى أصحاب الحدس وصفاء الضمير بقوله وان الله لمع المحسنين والله أعلم بمراده ﴿ التأويل وما يعقلها الا العالمون بالله لأن عقولهم مؤيدة بأنوار العلم اللدني ان في ذلك لآية للمؤمنين الذين ينظرون بنور الله فان النور لا يرى الا بالنور اتل ما أوحي اليك من الكتاب وأقم الصلاة فيه أن التلاوة والعمل به يجب أن يتقارنا حتى يتخلق بخلق القرآن ويحصل الانتهاء عن الفحشاء وهي طلب الدنيا والمنكر وهو الالتفات الى غير الله فان لم تكن الصلاة متصفة بذلك فهي كلا صلاة ولذكر الله في ازالة مرض القلب أكبر من تلاوة القرآن قول واقامة الصلاة لان القلب لا يطمئن الا بذكر الله وعند الاطمئنان توجد سلامة القلب فالذكر له خاصية الاكسير في جعل الابريز ذهبا خالصا

ربهم * وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله وأثاروا الارض قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها قال ملكوا الارض وعمروها حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وأثاروا الارض قال حرثوها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أولم يسيروا في الارض الى قوله وأثاروا الارض وعمروها كقوله وآثارا في الارض وقوله وعمروها أكثر مما عمرهؤلاء وجاءتهم رسلهم بالبينات ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن ﴾ يقول تعالى ذكره ثم كان آخر أمر من كفر من هؤلاء الذين أثاروا الارض وعمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات بالله وكذبوا رسله فأساؤا بذلك من فعلهم السوأى يعني الحلة التي هي أسوأ من فعلهم أما في الدنيا فالبوار والهلاك وأما في الآخرة فالنار لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى الذين أشركوا السوأى أي النار حدثني علي قال ثني أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى يقول الذين كفروا جزاؤهم العذاب * وكان بعض أهل العربية يقول السوأى في هذا الموضع مصدر مثل البقوى وخالفه في ذلك غيره فقال هي اسم وقوله أن كذبوا بآيات الله يقول كانت لهم السوأى لأنهم كذبوا في الدنيا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن يقول وكانوا بحجج الله وهم أنبياؤه ورسله يسخرون ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون ﴾ يقول تعالى ذكره والله تعالى يبدأ انشاء جميع الخلق منفردا بانشائه من غير شريك ولا ظهير فيحدثه من غير شيء بل بقدرته عز وجل ثم يعيده خلقا جديدا بعد افنائه واعدامه كما بدأه خلقا سويا ولم يك شيأ ثم اليه ترجعون يقول ثم اليه من بعد اعادتهم خلقا جديدا يردون فيحشرون لفصل القضاء بينهم وليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين ﴾ يقول تعالى ذكره ويوم تجيء الساعة التي فيها يفصل الله بين خلقه وينشر فيها الموتى من قبورهم فيحشرهم الى موقف الحساب يبلس المجرمون يقول ييأس الذين أشركوا بالله وأكتسبوا في الدنيا مساوي الاعمال من كل شر ويكتئبون ويندمون كما قال العجاج

يا صاح هل تعرف رسما مكرسا * قال نعم أعرفه وأبلسا

* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله يبلس قال يكتئب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يبلس المجرمون أي في النار حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في

والله يعلم ما تصنعون من استعمال مفتاح الشريعة وآداب الطريقة لفتح أبواب طلسم الوجود المجازى والوصول الى الكنز الخفى ولا تجادلوا يا أرباب القلوب أهل العلم الظاهر الا بطريق الانصاف والرفق الا الذين ظلموا بمزيد الانكار والعناد فحينئذ لا تجادلوهم اذ لا يرجى منهم قبول الحق والاذعان له فخلوا بينهم وبين باطلهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا من العلوم الباطنة وأنزل اليكم من العلوم الظاهرة وكذلك أى كما أنزلنا الدلائل والبراهين العقلية على أهل الظاهر أنزلنا عليكم الكشوف والمعارف فالذين آتيناهم الكتاب وهم أرباب القلوب يصدقون به ومن هؤلاء العلماء الظاهريين من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الذين يشترون الحق بالباطل وما كنت تتلو فيه أن القلب اذا كان خاليا عن النقوش الفاسدة كان أقبل للعلوم اللدنية كقلب النبى صلى الله عليه وسلم ولذلك قال بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم يعنى أن قلوب الخواص خزائن الغيب سأل موسى عليه السلام الهى أين أطلبك فقال أنا عند المنكسرة قلوبهم لأجلى ثم أشار بقوله وما يجحد الى أن الحرمان من الرؤية من خصوصية الرين ولهذا قالوا لولا أنزل عليه آية وذلك لعمى عيون قلوبهم ثم أشار الى ظلومية الانسان وجهوليته بأنه يستعجل بالعذاب مع عدم صبره عليه وان جهنم الحرص وغيره من الاخلاق الذميمة لمحيطة بهم من فوقهم وهو الكبر والغضب ومن تحت أرجلهم وهو الحرص والشره والشهوة وهم لا يشعرون لانهم نائمون فاذا ماتوا انتبهوا يا عبادى ان أرض حضرة جلالى واسعة فهاجروا بالخروج من حبس وجودكم الى سرادقات

قول الله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون قال المبلس الذى قد نزل به الشر اذا أبلس الرجل فقد نزل به بلاء وقوله ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء يقول تعالى ذكره ويوم تقوم الساعة لم يكن لهؤلاء المجرمين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم من شركائهم الذين كانوا يتبعونهم على ما دعوهم اليه من الضلالة فيشاركونهم فى الكفر بالله والمعاونة على أذى رسله شفعاء يشفعون لهم عند الله فيستنقذوهم من عذابه وكانوا بشركائهم كافرين يقول وكانوا بشركائهم فى الضلالة والمعاونة فى الدنيا على أولياء الله كافرين يجحدون ولايتهم ويتبرؤن منهم كما قال جل ثناؤه اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون﴾ يقول تعالى ذكره ويوم تجىء الساعة التى يحشر فيها الخلق الى الله يومئذ يقول فى ذلك اليوم يتفرقون يعنى يتفرق أهل الايمان بالله وأهل الكفر به فأما أهل الايمان فيؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة وأما أهل الكفر فيؤخذ بهم ذات الشمال الى النار فهنالك يميز الله الخبيث من الطيب كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون قال فرقة والله لا اجتماع بعدها فأما الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات يقول وعملوا بما أمرهم الله به وانتهوا عما نهاهم عنه فهم فى روضة يحبرون يقول فهم فى رياحين والنباتات الملتفة وبين أنواع الزهر فى الجنان يسرون ويلتذون بالسماع وطيب العيش الهنى واغا خص جل ثناؤه ذكر الروضة فى هذا الموضع لانه لم يكن عند الطرفين أحسن منظرا ولا أطيب نشرا من الرياض ويدل على أن ذلك كذلك قول أعشى بنى ثعلبة

ما روضة من رياض الحسن معشبة ٭ خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق ٭ مؤزر بعميم النبت مكتهل
يوما بأطيب منها نشر رائحة ٭ ولا بأحسن منها اذ دنا الأصل

فأعلمهم بذلك تعالى أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات من المنظر الأنيق واللذيذ من الأرايح والعيش الهنى فيما يحبون ويسرون به ويغبطون عليه والحبرة عند العرب السرور والغبطة قال العجاج

فالحمد لله الذى أعطى الحبر ٭ موالى الحق ان المولى شكر

واختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم معنى ذلك فهم فى روضة يكرمون ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فهم فى روضة يحبرون قال يكرمون ٭ وقال آخرون معناه ينعمون ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله يحبرون قال ينعمون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله فهم فى روضة يحبرون قال ينعمون ٭ وقال آخرون يلتذون بالسماع والغناء ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن موسى الحرسى قال ثنى على بن يساف قال سألت يحيى بن أبى كثير عن قول الله فهم فى روضة يحبرون قال الحبرة اللذة

مبنى كل نفس ذائقة الموت بالاضطرار فارجعوا الينا بالاختيار لنبوئنكم من جنة الوصال غرفا من المعارف تجرى من تحتها أنهار الحكمة الذين صبروا فى البداية على حبس النفس بالفطام عن المرام وفى الوسط على تجرع القلب كاسات التقدير من غير تعبير وفى النهاية صبروا

على بذل الروح لنيل الفتوح وكأين من دابة تشخص كالدابة لا تحمل النظر عن رزقها لضعف نفسها عن التوكل الله يرزقها وإياكم أيها الطالبون للشاهدات والمكاشفات ليتولى الله لان (٣٠) كلهم قالوا في الازل بلى عند خطاب ألست بربكم والفرق اثبات الشريك وهو

وذلك لعدم اصابة النور المرشش واصابة دليله قوله الله يبسط الرزق باصابته النور ويقدر باخطائه ان الله عليم باستحقاق كل فريق من نزل من سماء الروحانية ماء الايمان فأحيا به أرض القلوب فهي الحيوان لان جميع أجزائها حي فقد ورد في الحديث ان الجنة وما فيها من الاشجار والاثمار والغرف والحيطان والانهار حتى ترابها وحصباؤها كلها حي قلت ولعل ذلك لبقاء كل منها على كماله الآخر ثم بين بقوله فاذا ركبوا ان اخلاص المؤمن ثابت واخلاص الكافر مضطرب ثم بين أن حرم القلب آمن وما حوله من صفات النفس ومشاهدة ربها مظنة تصرف الشيطان فمن اقتدى على الله بأن لا يكون له مع الله وقت وحال ويظهر ذلك من نفسه أو كذب طريقة أهل الحق جاهدوا فيما يخرج منه مجاهدة الرهبانيين والفلاسفة والبراهمة ونحوهم لانهم مرتاضون رياء وكسلا

﴿سورة الروم وهي مكية حروفها ثلاثة آلاف وخمسمائة وأربعة وثلاثون وكلماتها ثمانمائة وتسعة عشر آياتها ستون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم

والسماع حدثنا عبيد الله بن محمد العربي قال ثنا ضمرة بن ربيعة عن الأوزاعي عن يحيى ابن أبي كثير في قوله يحبرون قال السماع في الجنة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عيسى بن يونس عن الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن عامر بن يسار عن يحيى بن أبي كثير مثله وكل هذه الالفاظ التي ذكرناها عنه تعود الى معنى ما قلنا ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون﴾ يقول تعالى ذكره وأما الذين جحدوا توحيد الله وكذبوا رسله وأنكروا البعث بعد الممات والنشور للدار الآخرة فأولئك في عذاب الله محضرون وقد أحضرهم الله اياها فجمعهم فيها ليذوقوا العذاب الذي كانوا في الدنيا يكذبون ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون﴾ يقول تعالى ذكره فسبحوا الله أيها الناس أي صلوا له حين تمسون وذلك صلاة المغرب وحين تصبحون وذلك صلاة الصبح وله الحمد في السموات والارض يقول وله الحمد من جميع خلقه دون غيره في السموات من سكانها من الملائكة والارض من أهلها من جميع أصناف خلقه فيها وعشيا يقول وسبحوه أيضا عشيا وذلك صلاة العصر وحين تظهرون يقول وحين تدخلون في وقت الظهر * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن عاصم عن أبي رزين قال سأل نافع بن الازرق ابن عباس ميقات الصلوات الخمس في كتاب الله قال نعم فسبحان الله حين تمسون المغرب وحين تصبحون الفجر وعشيا العصر وحين تظهرون الظهر قال ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن أبي رزين قال سأل نافع بن الازرق ابن عباس عن الصلوات الخمس في القرآن قال نعم فقرأ فسبحان الله حين تمسون قال صلاة المغرب وحين تصبحون قال صلاة الصبح وعشيا قال صلاة العصر وحين تظهرون صلاة الظهر ثم قرأ ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم حدثني أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن ليث عن الحكم عن أبي عياض عن ابن عباس قال جمعت هاتان الآيتان مواقيت الصلاة فسبحان الله حين تمسون قال المغرب والعشاء وحين تصبحون الفجر وعشيا العصر وحين تظهرون الظهر حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن ليث عن الحكم عن ابي عياض عن ابن عباس نحوه حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ليث عن الحكم عن أبي عياض عن ابن عباس في قوله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وحين تظهرون قال جمعت الصلوات فسبحان الله حين تمسون المغرب والعشاء وحين تصبحون صلاة الصبح وعشيا صلاة العصر وحين تظهرون صلاة الظهر حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق بن سليمن الرازي عن أبي سنان عن ليث عن مجاهد فسبحان الله حين تمسون المغرب والعشاء وحين تصبحون الفجر وعشيا العصر وحين تظهرون الظهر وكل سجدة في القرآن فهي صلاة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فسبحان الله حين تمسون لصلاة المغرب وحين تصبحون لصلاة الصبح وعشيا لصلاة العصر وحين تظهرون صلاة الظهر أربع صلوات حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله فسبحان الله حين تمسون وحين

تصبحون

كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون
ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون

تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون قال حين تمسون صلاة المغرب وحين تصبحون صلاة الصبح وعشيا صلاة العصر وحين تظهرون صلاة الظهر ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ﴾ يقول تعالى ذكره صلوا في هذه الاوقات التي أمركم بالصلاة فيها أيها الناس لله الذي يخرج الحي من الميت وهو الانسان الحي من الماء الميت ويخرج الماء الميت من الانسان الحي ويحيي الارض بعد موتها فينبتها ويخرج زرعها بعد خرابها وجدوبها وكذلك تخرجون يقول كما يحيي الارض بعد موتها فيخرج نباتها وزرعها كذلك يحييكم من بعد مماتكم فيخرجكم أحياء من قبوركم الى موقف الحساب * وقد بينا فيما مضى قبل تأويل قوله يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي وذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع غير أنا نذكر بعض ما لم نذكر من الخبر هنالك ان شاء الله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي قال يخرج من الانسان ماء ميتا فيخلق منه بشرا فذلك الميت من الحي ويخرج الحي من الميت فيعني بذلك أنه يخلق من الماء بشرا فذلك الحي من الميت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن قوله يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير وأبو معاوية عن الأعمش عن ابراهيم عن عبد الله يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي قال النطفة من الرجل ميتة وهو حي ويخرج الرجل منها حيا وهي ميتة ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون ﴾ يقول تعالى ذكره ومن حجته على أنه القادر على ما يشاء أيها الناس من انشاء وافناء وايجاد واعدام وأن كل موجود فخلقه خلقة أبيكم من تراب يعني بذلك خلق آدم من تراب فوصفهم بأنه خلقهم من تراب اذ كان ذلك فعله بأبيهم آدم كنحو الذي قد بينا فيما مضى من خطاب العرب من خاطبت بما فعلت بسلفه من قولهم فعلنا بكم وفعلنا وقوله ثم اذا أنتم بشر تنتشرون يقول ثم اذا أنتم معشر ذرية من خلقناه من تراب بشر تنتشرون يقول تتصرفون * ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومن آياته أن خلقكم من تراب خلق آدم عليه السلام من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون يعني ذريته ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ يقول تعالى ذكره ومن حجته وأدلته على ذلك أيضا خلقه لأبيكم آدم من نفسه زوجة ليسكن اليها وذلك أنه خلق حواء من ضلع من أضلاع آدم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا خلقها لكم من ضلع من أضلاعه وقوله وجعل بينكم مودة ورحمة يقول جعل بينكم بالمصاهرة والختونة مودة تتوادون بها وتتواصلون من أجلها ورحمة رحم بها فعطف بعضكم بذلك على بعض ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون يقول تعالى ذكره ان في فعله ذلك لعبرا وعظات لقوم يتذكرون في حجج الله وأدلته فيعلمون أنه الاله الذي لا يعجزه شيء أراده ولا يتعذر عليه فعل شيء شاءه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم

ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون وله من في السموات والارض كل له قانتون وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم

ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله

التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا (٣٢) كل حزب بما لديهم فرحون ۞ القراآت عاقبة بالنصب ابن عامر وعاصم وحمزة وعلى وخلف الآخرون بالرفع السوسى بالامالة أبو عمرو وحمزة وعلى وخلف وحماد يرجعون على الغيبة أبو عمرو وغير عباس وأوقية وسهل ويحيى وحماد تخرجون بفتح التاء وضم الراء حمزة وعلى وخلف الباقون مجهولا للعالمين بكسر اللام حفص يفصل على الغيبة عباس الآخرون بالنون ۞ الوقوف الم كوفى غلبت الروم ○ سيغلبون ○ سنين ○ ومن بعد ط المؤمنون ○ بنصر الله ط وكلاهما مبنى على أن قوله بنصر الله يتعلق بيفرح ينصر من يشاء ط الرحيم ○ وعد الله ○ لا يعلمون ○ الدنيا ج لعطف الجملتين اختلفتين والوصل أولى غافلون ○ فى أنفسهم ط حق الحذف أى فيعلموا ذلك أو فيقولوا هذا القول مسمى ط لكافرون ○ من قبلهم ط بالبينات ط يظلمون ○ لا لأن ثم لترتيب الاخبار يستهزؤن ○ يرجعون ○ المجرمون ○ والوصل جائز كافرين ○ يتفرقون ○ يحبرون ○ محضرون ○ تصبحون ○ تظهرون ○ بعد موتها ط تخرجون ○ تنتشرون ○ ورحمة ط يتفكرون ○ وألوانكم ط للعالمين ○ من فضله ط يسمعون ○ موتها ط يعقلون ○ بأمره ط لأن ثم لترتيب الاخبار دعوة لا وقبل على من الارض وكلاهما تعسف والحق أن قوله من الارض متعلق بدعاكم كقولك دعوت زيدا من بيته لا كقولك دعوته من بيتى تخرجون ○ والارض ط قانتون ○ أهون عليه ج والارض ط الحكيم ○ لا يفع من أنفسكم ط لانتهاء الاخبار الى الاستفهام تخييفتكم أنفسكم ط يعقلون ○ بغير علم ج لابتداء الاستفهام مع الفاء أضل الله ط

وألوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين ﴾ يقول تعالى ذكره ومن حجته وأدلته أيضا على أنه لا يعجزه شئ وأنه اذا شاء أمات من كان حيا من خلقه ثم اذا شاء أنشره وأعاده كما كان قبل اماته اياه خالقه السموات والارض من غير شئ أحدث ذلك منه بل بقدرته التى لا يمتنع معها عليه شئ أراده واختلاف ألسنتكم يقول واختلاف منطق ألسنتكم ولغاتها وألوانكم يقول واختلاف ألوان أجسامكم ان فى ذلك لآيات للعالمين يقول ان فى فعله ذلك كذلك لعبرا وأدلة لخلقه الذين يعقلون أنه لا يعييه اعادتهم لهيئتهم التى كانوا بها قبل مماتهم من بعد فنائهم وقد بينا معنى العالمين فيما مضى قبل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾ يقول تعالى ذكره ومن حجته عليكم أيها القوم تقديره الساعات والاوقات ومخالفته بين الليل والنهار بجعل الليل لكم سكنا تسكنون فيه وتنامون فيه وجعل النهار مضيئا لتصرفكم فى معايشكم والتماسكم فيه من رزق ربكم ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون يقول تعالى ذكره ان فى فعل الله ذلك كذلك لعبرا وذكرى وأدلة على أن فاعل ذلك لا يعجزه شئ أراده لقوم يسمعون مواعظ الله فيتعظون بها ويعتبرون فيفهمون حجج الله عليهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ يقول تعالى ذكره ومن حجته يريكم البرق خوفا لكم اذا كنتم سفرا أن تمطروا فتتأذوا به وطمعا لكم اذا كنتم فى اقامة أن تمطروا فتحيوا وتخصبوا وينزل من السماء ماء يقول وينزل من السماء مطرا فيحيى بذلك الماء الارض الميتة فتنبت ويخرج زرعها بعد موتها يعنى جدوبها ودروسها ان فى ذلك لآيات يقول ان فى فعله ذلك كذلك لعبرا وأدلة لقوم يعقلون عن الله حججه وأدلته * ونحو الذى قلنا فى معنى قوله يريكم البرق خوفا وطمعا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا قال خوفا للمسافر وطمعا للمقيم واختلف أهل العربية فى وجه سقوط أن فى قوله يريكم البرق خوفا وطمعا فقال بعض نحويى البصرة لم يذكرها هنا أن لان هذا يدل على المعنى وقال الشاعر

ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى * وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

قال وقال

لو قلت ما فى قومها لم تيثم * يفضلها فى حسب وميسم

وقال يريد ما فى قومها أحد وقال بعض نحويى الكوفيين اذا أظهرت أن فهى فى موضع رفع كقال ومن آياته خلق السموات ومنامكم فاذا حذفت جعلت من مؤدية عن اسم متروك يكون الفعل صلته كقول الشاعر

وما الدهر الا تارتان فمنهما * أموت وأخرى أبتغى العيش أكدح

كأنه أراد فمنهما ساعة أموتها وساعة أعيشها وكذلك ومن آياته يريكم آية البرق وآية لكذا وان شئت أردت ويريكم من آياته البرق فلا تضمر أن ولا غيره وقال بعض من أنكر قول البصرى انما ينبغى أن تحذف أن من الموضع الذى يدل على حذفها فأما فى كل موضع فلا فأما مع أحضر الوغى فلما كان زجرتك أن تقوم وزجرتك لأن تقوم يدل على الاستقبال جاز حذف أن لان الموضع معروف

تمام الاستفهام وابتداء النفي ناصرين ٥ حنيفا ط عليها ط لخلق الله ط القيم ٥ لاللاستدراك لايعلمون ٥ قيل لاوقف عليه بناء على أن منيبين حال من ضمير أقم على أن الامر له ولأمته مثل يا أيها النبي اذا طلقتم والوقف أوضح لبعد العامل عن المعمول بل التقدير كونوا منيبين بدليل قوله ولا تكونوا من المشركين لأن قوله من الذين كالبدل مما قبله شيعا ط فرحون ٥

﴿ التفسير وجه تعلق السورة بما قبلها هو أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول للمشركين ما أمر الله به صم بكم عمى فهم لا يعقلون وكان يحقر آلهتهم وينسبها الى العجز وعدم النفع والضر وكان اهل الكتاب يوافقون المسلمين في الاله وفي كثير من الأحكام ولذلك قال ولا تجادلوا اهل الكتاب الى قوله والهنا والهكم واحد فلا جرم أبغض المشركون أهل الكتاب وتركوا مراجعتهم في الأمور فاتفق أن بعث كسرى جيشا الى الروم واستعمل عليهم رجلا يقال له شهربران فسار الى الروم بأهل فارس فظفر عليهم وقتلهم وخرب مدائنهم وكان قيصر بعث رجلا يدعى بحنس فالتقى مع شهربران بأذرعات وبصرى وهو أدنى الشام الى أرض العرب واليه الاشارة بقوله (أدنى الارض) لان الارض المعهودة عند العرب هي أرضهم أي غلبوا في أقرب أرض العرب منهم وهي أطراف الشام وجوز جار الله أن يراد بأرضهم على انابة اللام مناب المضاف اليه أي في أدنى أرضهم الى عدوهم وهذا تفسير مجاهد لانه قال هي أرض الجزيرة وهي أدنى أرض الروم الى فارس عن ابن عباس الأردن وفلسطين ففرح المشركون بذلك فأنزل الله تعالى هذه الآيات ليبان أن الغلبة لا تدل على الحق فقد يبتلي المحبوب ويعجل عدابه ليسلم في الآجل وقوله (في أدنى الارض) اشارة الى ضعفهم أي انتهى ضعفهم الى ان وصل عدوهم الى طريق الحجاز وكسروهم وهم في بلادهم ثم بين أن الروم سيغلبون غلبة عظيمة بعد ذلك

لايقع في كل الكلام فأما قوله ومن آياته أنك قائم وأنك تقوم فهذا الموضع لايحذف لانه لايدل على شيء واحد ٥ والصواب من القول في ذلك أن من في قوله ومن آياته تدل على المحذوف وذلك أنها تأتي بمعنى التبعيض واذا كانت كذلك كان معلوما أنها تقتضي البعض فلذلك تحذف العرب معها الاسم لدلالتها عليه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون ﴾ يقول تعالى ذكره ومن حجته أيها القوم على قدرته على ما يشاء قيام السماء والارض بأمره خضوعاله بالطاعة بغير عمد ترى ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون يقول اذا أنتم تخرجون من الارض اذا دعاكم دعوة مستجيبين لدعوته اياكم ﴿ ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره قائما بأمره بغير عمد ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون قال دعاهم فخرجوا من الارض حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله اذا أنتم تخرجون يقول من الارض ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وله من في السموات والارض كل له قانتون وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم ﴾ يقول تعالى ذكره ولله من في السموات والارض من ملك وجن وانس عبيد وملك كل له قانتون يقول كل له مطيعون فيقول قائل وكيف قيل كل له قانتون وقد علم أن أكثر الانس والجن له عاصون فنقول اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فنذكر اختلافهم ثم نبين الصواب عندنا في ذلك من القول فقال بعضهم ذلك كلام مخرجه مخرج العموم والمراد به الخصوص ومعناه كل له قانتون في الحياة والبقاء والموت والفناء والبعث والنشور لايمتنع عليه شيء من ذلك وان عصاه بعضهم في غير ذلك ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره الى كل له قانتون يقول مطيعون يعني الحياة والنشور والموت وهم عصون له فيما سوى ذلك من العبادة ٥ وقال آخرون بل معنى ذلك كل له قانتون باقرارهم بأنه ربهم وخالقهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة كل له قانتون أي مطيع مقر بأن الله ربه وخالقه ٥ وقال آخرون هو على الخصوص والمعنى وله من في السموات والارض من ملك وعبد مؤمن فهو مطيع دون غيرهم ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله كل له قانتون قال كل له مطيعون المطيع القانت قال وليس شيء الا وهو مطيع الا ابن آدم وكان أحتهم أن يكون أطوعهم لله وفي قوله وقوموا لله قانتين قال هذا في الصلاة لاتتكلموا في الصلاة كما يتكلم أهل الكتاب في الصلاة قال وأهل الكتاب يمشي بعضهم الى بعض في الصلاة قال ويتقابلون في الصلاة فاذا قيل لهم في ذلك قالوا الكي تذهب الشحناء من قلوبنا تسلم قلوب بعضنا لبعض فقال الله وقوموا لله قانتين لاتزولوا كما يزولون قانتين لاتتكلموا كما يتكلمون قال فأما ما سوى هذا كله في القرآن من القنوت فهو الطاعة الا هذه الواحدة ٥ وأولى الاقوال في ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن ابن عباس وهو أن كل من في السموات والارض من خلق الله مطيع في تصرفه فيما أراد تعالى ذكره من حياة وموت

الضعف العظيم وكل ذلك دليل على أن الامر بيد الله من قبل الغلبة ومن بعدها أو من قبل تلك المدة ومن بعد ذلك وقد وقع كما أخبر فغلبت الروم على فارس حتى وصلوا الى المدائن وبنواهنالك الرومية قال المفسرون لما نزلت الآية قال أبو بكر للمشركين لا أقر الله أعينكم والله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبي بن خلف كذبت يا أبا فضيل اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه نخاطره على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل الأجل ثلاث سنين فأخبر ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع مابين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر وماده في الأجل فجعلها مائة قلوص الى تسع سنين فلما أراد أبو بكر أن يخرج من مكة أتاه أبي فلزمه وطلب كفيلا فكفله ابنه عبد الله بن ابي بكر فلما أراد أن يخرج الى أحد أتاه عبد الله فلزمه الى أن أقام كفيلا ثم خرج الى أحد ثم رجع أبي فمات بمكة من جراحه التي جرحها رسول الله صلى الله عليه وسلم فظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبي وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره أن يتصدق به قالت العلماء انما أبهم الوقت لان الكفار كانوا معاندين والامور التي تقع في البلاد الشاسعة فلما يحصل الاتفاق على وقتها المعين من السنة والشهر واليوم والساعة وان كان معلوما للنبي باعلام الله اياه فلما عاند كان يتمكن من الارجاف بوقوع الواقعة قبل وقوعها ليحصل الخلف في الميعاد ولكن المعاند لا يتمكن من انكار الواقعة في البضع (ويومئذ) أي يوم يغلب الروم فارس ويحصل ماوعد الله من غلبتهم (يفرح المؤمنون بنصر الله) وبغلبة من له كتاب على من لا كتاب له أو بغيظ الشامتين بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو اظهار صدق المؤمنين فيما أخبر به نبيهم من غلبة الروم وعن أبي سعيد الخدري الى

وما أشبه ذلك وان عصاه فيما يكسبه بقوله وفيما له السبيل الى اختياره وايثاره على خلافه وانما قلت ذلك أولى بالصواب في تأويل ذلك لان العصاة من خلقه فيما لهم السبيل الى اكتسابه كثير عددهم وقد أخبر تعالى ذكره عن جميعهم أنهم له فاتنون فغير جائز أن يخبر عمن هو عاص أنه له فاتن فيما هو له عاص واذا كان ذلك كذلك فالذي فيه عاص هو ما وصفت والذي هو له فاتن ما بينت وقوله وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده يقول تعالى ذكره والذي له هذه الصفات تبارك وتعالى هو الذي يبدأ الخلق من غير أصل فينشئه وبوجوده بعد أن لم يكن شيأ ثم يفنيه بعد ذلك ثم يعيده كما بدأه بعد فنائه وهو أهون عليه * اختلف أهل التأويل في معنى قوله وهو أهون عليه فقال بعضهم معناه وهو هين عليه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن سعيد العطار عن سفيان عمن ذكره عن منذر الثوري عن الربيع بن خثيم وهو أهون عليه قال ما شيء عليه بعزيز حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه يقول كل شيء عليه هين * وقال آخرون معناه واعادة الخلق بعد فنائهم أهون عليه من ابتداء خلقهم ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وهو أهون عليه قال يقول أيسر عليه حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وهو أهون عليه قال الاعادة أهون عليه من البداءة والبداءة عليه هين حدثني ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك عن عكرمة قرأ هذا الحرف وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه قال تعجب الكفار من احياء الله الموتى قال فنزلت هذه الآية وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه اعادة الخلق أهون عليه من ابداء الخلق حدثنا ابن وكيع قال ثنا غندر عن شعبة عن سماك عن عكرمة بنحوه الا أنه قال اعادة الخلق أهون عليه من ابتدائه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وهو أهون عليه يقول اعادته أهون عليه من بدئه وكل على الله هين وفي بعض القراءة وكل على الله هين وقد يحتمل هذا الكلام وجهين غير القولين اللذين ذكرت وهو أن يكون معناه وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون على الخلق أي اعادة الشيء أهون على الخلق من ابتدائه والذي ذكرنا عن ابن عباس في الخبر الذي حدثني به ابن سعد قول أيضا له وجه وقد وجه غير واحد من أهل العربية قول ذي الرمة

أحي فقرات دبيت في عظامه * شفافات أعجاز الكرى فهو أخضع(١)

الى أنه بمعنى خاضع وقول الآخر

لعمرك ان الزبرقان لباذل * لمعروفه عند السنين وأفضل
كريم له عن كل ذم تأخر * وفي كل أسباب المكارم أول

الى أنه بمعنى وفاضل وقول معن

لعمرك ما أدري وانى لأوجل * على أينا تعدو المنية أول

الى أنه بمعنى وانى لوجل وقول الآخر

تمنى مرىء القيس موتى وان أمت * فتلك سبيل لست فيها بأوحد

---

(١) أي بقايا أواخر النوم فهو أخضع أي منكسر

وافق ذلك يوم بدر وهو المراد بنصر الله وذلك أن خبر الكسر لم يصل اليهم فى ذلك اليوم بعينه فلا يكون فرحهم يومئذ بل الفرح يحصل بعده
ولناصر القولين الاولين أن يقول أقيم سبب الفرح مقام الفرح او المراد باليوم الوقت (٣٥) الواسع الشامل لما بين زمان وقوع الكسر الى

الى أنه بمعنى لست فيها بواحد وقول الفرزدق

ان الذى سمك السماء بنى لنا ٭ بيتا دعائمه أعز وأطول

الى أنه بمعنى عزيزة طويلة قالوا ومنه قولهم فى الأذان الله أكبر بمعنى الله كبير وقالوا ان قال قائل ان الله لا يوصف بهذا وانما يوصف به الخلق فزعم أنه وهو أهون على الخلق فان الحجة عليه قول الله وكان ذلك على الله يسيرا وقوله ولا يؤده حفظهما أى لا يثقله حفظهما وقوله وله المثل الأعلى يقول ولله المثل الأعلى فى السموات والارض وهو أنه لا اله الا هو وحده لا شريك له ليس كمثله شئ فذلك المثل الأعلى تعالى ربنا وتقدس ٭ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وله المثل الأعلى فى السموات يقول ليس كمثله شئ حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وله المثل الأعلى فى السموات والارض مثله أنه لا اله الا هو ولا رب غيره وقوله وهو العزيز الحكيم يقول تعالى ذكره وهو العزيز فى انتقامه من أعدائه الحكيم فى تدبيره خلقه ونصر بعضهم فيما أراد من احياء واماتة وبعث ونشر وما شاء ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون﴾ يقول تعالى ذكره مثل لكم أيها القوم بكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم يقول من مماليككم من شركاء فيما رزقناكم من مال فأنتم فيه سواء وهم يقول فاذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تكون آلهتكم التى تعبدونها لى شركاء فى عبادتكم اياى وأنتم وهم عبيدى ومماليكى وأنا مالك جميعكم ٭ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء قال مثل ضربه الله لم يعدل به شيأ من خلقه يقول أكان أحدكم مشاركا مملوكه فى فراشه وزوجته فكذلكم الله لا يرضى أن يعدل به أحد من خلقه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء قال تجد أحدا يجعل عبده هكذا فى ماله فكيف تعمد أنت وأنت تشهد أنهم عبيدى وخلقى وتجعل لهم نصيبا فى عبادتى كيف يكون هذا قال وهذا مثل ضربه الله لهم وقرأ كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون ٭ واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله تخافونهم كخيفتكم أنفسكم فقال بعضهم معنى ذلك تخافون هؤلاء الشركاء مما ملكت أيمانكم أن يرثوكم أموالكم من بعدوفاتكم كما يرث بعضكم بعضا ذكر من قال ذلك حدثت عن حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قال فى الآلهة وفيه يقول تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا ٭ وقال آخرون بل معنى ذلك تخافون هؤلاء الشركاء مما ملكت أيمانكم أن يقاسموكم أموالكم كما يقاسم بعضكم بعضا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت عمران قال قال أبو مجلز ان مملوكك لتخاف أن يقاسمك مالك وليس له ذلك كذلك الله لا شريك له ٭ وأولى القولين بالصواب فى تأويل ذلك القول الأول لانه أشبههما بما دل عليه ظاهر الكلام وذلك أن الله جل ثناؤه وبخ

زمان وصول خبر الكسر الموجب للفرح ومن علق قوله بنصر الله بقوله ينصر بناء على أن المقصود بيان أن النصرة بيد الله لا بيان وقوع النصرة لم يقف ههنا ووقف على المؤمنون (وهو العزيز الرحيم) فاذا سلط العدو على الحبيب فلعزته واستغنائه عن العالمين واذا نصر الحبيب فلرحمته عليه أو نقول ان نصر المحب فلعزته واستغنائه عنه ورحمته فى الآخرة واصلة اليه (وعد الله) مصدر مؤكد لنفسه لان ما سبق فى معنى الوعد (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أنه لا يخلف فى وعده لانهم بله فى أمور الدين وفى ابدال قوله (يعلمون) من قوله لا يعلمون أو فى بيان هذا بذاك اشارة أن العلم بأمور الدنيا كالجهل المطلق وفى تنكير (ظاهرا) اشارة الى قلة علمهم بظاهر الدنيا أيضا وفى تكريرهم اشارة الى أن الغفلة منهم والاقبال بتذكرة حاصلة وظاهر الدنيا ملاذها وملاعبها وباطنها مضارها ومتاعبها

هى الدنيا تقول بملء فيها
حذار حذار من سفكى وفتكى
فلا يغرركم طول ابتسامى

فقولى مضحك والفعل مبكى
ثم أشار الى وجه التفكر بقوله (أولم يتفكروا) وقوله (فى أنفسهم) يتعلق به اما تعلق الظرف بالفعل كأنه قال أولم يحدثوا التفكر فى قلوبهم الفارغة فيكون كما وقعت لاجل زيادة التصوير اعتقده فى قلبك وأضمره فى نفسك مع أن الاعتقاد لا يكون الا فى القلب والاضمار لا يوجد الا فى النفس واما تعلق الجار بالفعل كقولك تفكرت فى الامور وذلك أنه اذا تفكر فى نفسه التى هى أقرب الأشياء اليه وقف على غرائب الحكم ودقائق الصنع التى أودعها الله تعالى فيها

كما يكفل بيان بعضها علم التشريح بفرد ذلك الى العلم بأنه سبحانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا ملتبسا بالغرض الصحيح الذى أودعه الله فيها وبتقدير أجل مسمى هو وقت الجزاء والحساب ثم فى الآية تقريران أحدهما يناسب أصول الاشاعرة وهو أن دلائل الأنفس منجرة الى دلائل الآفاق المذكورة للتوحيد وللعلم بالاله القادر المختار الصادق كلامه لكنه أخبر عن تخريب السموات والارض وعن حشر الأجساد وانتهاء الجسمانيات الى الافناء ثم الاعادة فى الوقت المعلوم فيكون الامر على ما أخبر وثانيهما يتوقف على أصول المعتزلة وهو أن التفكر فى النفس يجذب بصنعه الى معرفة الاله الحكيم الذى لا يفعل العبث والجزاف فانه خلق السموات وغيرها من الاجسام لمنافع المكلفين فاذا انتهى التكليف فلابد من تخريب السموات والارض وانتهاء الامر الى حالة الجزاء واللقاء كيلا تخرم قاعدة الحكمة والتدبير ورعاية الصلاح والعدل ثم قال (وان كثيرا من الناس) وقد قال قبل ذلك ولكن أكثر الناس لانه قد ذكر دليلا على الاصول ولاشك أن الايمان بعد الدليل يكون أكثر من الايمان قبل الدليل فلا يبقى الا كثر كما هو فعبر عن الباقى بالكثير قال فى الكشاف والمراد (بلقاء ربهم) الاجل المسمى والاشاعرة يحملونه على الرؤية واعلم أن دليل الانفس مقدم على دليل الآفاق لان الانسان قلما يذهل عن نفسه وأن نفسه أقرب الاشياء اليه نظير الآية قوله سبحانه الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض أى يعرفون الله بدلائل الانفس فى سائر الاحوال ويتفكرون فى خلق السموات والارض بدلائل الآفاق وانما أخر الأنفس فى قوله سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم لأن الارادة انما يفتقر اليها فى معرفة الأبعد الأخفى كأنه قال سنريهم آياتنا الآفاقية فان لم يفهموها فآيات الأنفس معلومة وهذا الترتيب لا يناسب التفكر بل التفكر يتصور

هؤلاء المشركين الذين يجعلون له من خلقه آلهة يعبدونها وأشركوهم فى عبادتهم اياه وهم مع ذلك يقرون بأنها خلقه وهم عبيده وغيرهم بفعلهم ذلك فقال لهم هل لكم من عبيدكم شركاء فيما خولناكم من نعمنا فهم سواء وأنتم فى ذلك تخافون أن يقاسموكم ذلك المال الذى هو بينكم وبينهم لخيفة بعضكم بعضا أن يقاسمه ما بينه وبينه من المال شركة فالخيفة التى ذكرها تعالى ذكره بأن تكون خيفة مما يخاف الشريك من مقاسمة شريكه المال الذى بينهما اياه أشبه من أن تكون خيفة منه بأن يرثه لأن ذكر الشركة لا يدل على خيفة الوراثة وقد يدل على خيفة الفراق والمقاسمة وقوله كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون يقول تعالى ذكره كما بينا لكم أيها القوم حججنا فى هذه الآيات من هذه السورة على قدرتنا على ما نشاء من انشاء ما نشاء وافناء ما نحب واعادة ما نريد اعادته بعد فنائه ودللنا على أنه لا تصلح العبادة الا لواحد القهار الذى بيده ملكوت كل شئ كذلك نبين حججنا فى كل حق لقوم يعقلون فيتدبرونها اذا سمعوها ويعتبرون فيتعظون بها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدى من أضل الله وما لهم من ناصرين ﴾ يقول تعالى ذكره ما ذلك كذلك ولا أشرك هؤلاء المشركون فى عبادة الله الآلهة والاوثان لان لهم شركا فيما رزقهم الله من ملك أيمانهم فهم وعبيدهم فيه سواء يخافون أن يقاسموهم ما هم شركاؤهم فيه فوضوا ذلك من أجل ذلك بما رضوا به لأنفسهم فأشركوهم فى عبادته ولكن الذين ظلموا أنفسهم فكفروا بالله اتبعوا أهواءهم جهلا منهم جهلا من الله عليهم فأشركوا الآلهة والأوثان فى عبادته فمن يهدى من أضل الله يقول فمن يسدد للصواب من الطرق يعنى بذلك من يوفق للاسلام من أضل الله عن الاستقامة والرشاد وما لهم من ناصرين يقول وما لمن أضل الله من ناصرين ينصرونه فينقذونه من الضلال الذى يتليه به تعالى ذكره ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره فسدد وجهك نحو الوجه الذى وجهك اليه ربك يا محمد لطاعته وهى الدين حنيفا يقول مستقيما لدينه وطاعته فطرة الله التى فطر الناس عليها يقول صنعة الله التى خلق الناس عليها ونصبت فطرة على المصدر من معنى قوله فأقم وجهك للدين حنيفا وذلك أن معنى ذلك فطر الله الناس على ذلك فطرة ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فطرة الله التى فطر الناس عليها قال الاسلام منذ خلقهم الله من آدم جميعا يقرون بذلك وقرأ واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا قال فهذا قول الله كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين بعد حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فطرة الله قال الاسلام حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا يونس ابن أبى صالح عن يزيد بن أبى مريم قال مر عمر بمعاذ بن جبل فقال ما قوام هذه الأمة قال معاذ ثلاث وهن المنجيات الاخلاص وهو الفطرة فطرة الله التى فطر الناس عليها والصلاة وهى الملة والطاعة وهى العصمة فقال عمر صدقت حدثنى يعقوب قال ثنى ابن علية قال ثنا أيوب

دليل الانفس أولا ثم يرتقى الى دليل الآفاق فظهر أن كل آية وردت على ما اقتضته الحكمة والبلاغة وحين ذكر دليل النفس الذى لا يقع الذهول عنه الا ندرة ارتقى الى دليل السموات والارض الذى يقع الذهول عنه فى كثير من الاحوال لكنه لا يحتاج إلا الى التفات ذهنى ثم أتبعه دليل الآفاق الذى يتوقف على السير والتحول ليقفوا على أمر أمثالهم وحكاية أشكالهم ثم ذكرانهم أولى بالهلاك لأن من تقدمهم كعاد وثمود كانوا أشد منهم قوة جسمانية وآثاروا الارض حرثوها وهو اشارة الى القوة المالية ثم أشار الى القوة الظهرية التى يستند اليها عند الضعف والفتور وهى الحصون والعمائر بقوله (وعمروها أكثر مما عمروها) هؤلاء يعنى أهل مكة كانوا أهل واد غير ذى زرع ما لهم اثارة أرض أصلا ولا عمارة طار أسافيه نوع تهكم بهم قال أهل البرهان انما قال فى هذه السورة وفى آخر فاطر وفى المؤمن أولم يسيروا بالواو وفى غيرهن أفلم بالفاء لان ما قبلها فى هذه السورة أولم يتفكروا وما بعدها واثاروا بالواو فوافق ما قبلها وما بعدها وكذا فى فاطر ما قبله ولن تجد لسنتنا تحويلا وما بعده وما كان وفى المؤمن ما قبله والذين يدعون وأما فى آخر المؤمن فما قبله فأى آيات الله وما بعده فما أغنى عنهم وكلاهما بالفاء قوله فى هذه السورة من قبلهم متصل بكون آخر مضمر وقوله كانوا أشد منهم قوة وكذا معطوفاه اخبار عما كانوا عليه قبل الاهلاك وانما قال فى فاطر وكانوا بزيادة الواو لأن التقدير فينظروا كيف أهلكوا وكانوا أشد وخصت السورة به لقوله وما كان الله ليعجزه وقال فى المؤمن كانوا من قبلهم كانوا هم أشد فأظهر كان وزاد لفظة هم لأن الآية وقعت فى أوائل قصة موسى وهى تتم فى ثلاثين آية فكان اللائق به البسط دون الوجازة ولم يبسط هذا البسط فى آخر السور اكتفاء بالاول والله أعلم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بوضع الأنفس الشريفة فى موضع خسيس هو عبادة الأصنام

أيوب عن أبى قلابة أن عمر قال لمعاذ ما قوام هذه الأمة ثم ذكر نحوه وقوله لا تبديل لخلق الله يقول لا تغيير لدين الله أى لا يصلح ذلك ولا ينبغى أن يفعل * واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم نحو الذى قلنا فى ذلك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لا تبديل لخلق الله قال لدينه حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن ليث قال أرسل مجاهد رجلا يقال له قاسم الى عكرمة يسأله عن قول الله لا تبديل لخلق الله (١) انما هو الدين وقرأ لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن حباب عن حسين بن واقد عن يزيد النحوى عن عكرمة فطرة الله التى فطر الناس عليها قال الاسلام * قال ثنى أبى عن نضر بن عربى عن عكرمة لا تبديل لخلق الله قال لدين الله * قال ثنى أبى عن سفيان عن ليث عن مجاهد قال لدين الله * قال ثنا أبى عن عبد الجبار ابن الورد عن القاسم بن أبى بزة قال قال مجاهد فسل عنها عكرمة فسألته فقال عكرمة دين الله تعالى ماله أخزاه الله ألم يسمع الى قوله فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لا تبديل لخلق الله أى لدين الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص بن غياث عن ليث عن عكرمة قال لدين الله * قال ثنا ابن عيينة عن حميد الأعرج قال قال سعيد بن جبير لا تبديل لخلق الله قال لدين الله * قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك لا تبديل لخلق الله قال لدين الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لا تبديل لخلق الله قال دين الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن مسعر وسفيان عن قيس بن مسلم عن ابراهيم قال لا تبديل لخلق الله قال لدين الله * قال ثنا أبى عن جعفر الرازى عن مغيرة عن ابراهيم قال لدين الله * وقال آخرون بل معنى ذلك لا تغيير لخلق الله من البهائم بأن يخصى الفحول منها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن مطرف عن رجل سأل ابن عباس عن خصاء البهائم فكرهه وقال لا تبديل لخلق الله * قال ثنا ابن عيينة عن حميد الأعرج قال قال عكرمة الاخصاء * قال ثنا حفص بن غياث عن ليث عن مجاهد قال الاخصاء وقوله ذلك الدين القيم يقول تعالى ذكره ان اقامتك وجهك للدين حنيفا غير مغير ولا مبدل هو الدين القيم يعنى المستقيم الذى لا عوج فيه عن الاستقامة من الحنيفية الى اليهودية والنصرانية وغير ذلك من الضلالات والبدع المحدثة وقد وجه بعضهم معنى الدين فى هذا الموضع الى الحساب ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا عبد الله بن موسى قال أخبرنا أبو ليلى عن بريدة ذلك الدين القيم قال الحساب القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون يقول تعالى ذكره ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الدين الذى أمرتك يا محمد به بقولى فأقم وجهك للدين حنيفا هو الدين الحق دون سائر الأديان غيره ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله منيبين اليه تائبين راجعين الى الله مقبلين كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله منيبين اليه قال المنيب الى الله

(١) لعل فيه سقطا والأصل لخلق الله فقال لخلق الله انما هو الخ تأمل كتبه مصححه

قال أهل السنة هذا الوضع كان بمشيئة الله وارادته لكنه صدر عنهم فأضيف اليهم و (السوأى) تأنيث الاسوا وهو الأقبح وهى خبر كان فيمن قرأ عاقبة بالرفع واسم كان فيمن قرأ عاقبة بالنصب وثم لتفاوت الرتبة وفى التركيب وضع للظهر موضع المضمر والمعنى أنهم أهلكوا ثم كانت عاقبتهم السوأى وهى عذاب النار و (أن كذبوا) المعنى لأن أو بأن كذبوا أو هو تفسير أساؤا على أن الاساءة فى معنى القول نحو نادى وكتب معناه أى كذبوا وجوز جار الله أن يكون السوأى مفعول أساؤا وأن كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف ارادة الابهام ليذهب الوهم كل مذهب فيكون تقدير الكلام ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة التى هى أسوأ الخطايا أن كذبوا كذا وكذا مما لايكتنه كنهه قال أهل التحقيق ذكر الزيادة فى حق المحسن فى قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولم يذكر فى حق المسىء لأن جزاء سيئة سيئة بمثلها وذكر السبب فى العقوبة وهو قوله أن كذبوا ولم يذكره فى الآية ليعلم أن احسانه لايتوقف على السبب بل فضله كاف فيه وحين ذكر أن عاقبتهم النار وكان فى ذلك اشارة الى الاعادة والحشر لم يترك دعوى بلا بينة فقال (الله يبدأ) يعنى من خلق بالقدرة والارادة لايعجز عن الرجعة والاعادة ثم بين مايكون وقت الرجوع فقال (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) يعنى فى ذلك اليوم يتبين افلاسهم ويتحقق ابلاسهم وهو سكوت مع تحير ويأس مع بؤس ويأس لاالياس الذى هو احدى الراحتين وذلك اذا كان المرجو أمرا غير ضرورى فيستريح الطامع من الانتظار ثم ذكر وجه الابلاس وذلك قوله (ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين) يجحدونها وقتئذ بقوله سيكفرون بعبادتهم أو وكانوا فى الدنيا كافرين بسببهم شركهم ثم حكى أنهم يعنى المسلمين والكافرين (يومئذ يتفرقون) فريق فى الجنة وفريق فى السعير تفصيله فى الآيتين بعده والروضة عندهم كل أرض

المطيع لله الذى أناب الى طاعة الله وأمره ورجع عن الأمور التى كان عليها قبل ذلك كان القوم كفارا فرجعوا ورجعوا الى الاسلام وتأويل الكلام فأقم وجهك يامحمد الدين حنيفا منيبين اليه الى الله فالمنيبون حال من الكاف التى فى وجهك فان قال قائل وكيف يكون حالا منها والكاف كناية عن واحد والمنيبون صفة لجماعة قيل لان الأمر من الكاف كناية اسمه من الله فى هذا الموضع أمر منه له لأمته فكأنه قيل له فأقم وجهك أنت وأمتك للدين حنيفا الله منيبين اليه وقوله واتقوه يقول جل ثناؤه وخافوا الله وراقبوه أن تخرجوا فى طاعته وتركبوا معصيته ولاتكونوا من المشركين يقول ولاتكونوا من أهل الشرك بالله بتضييعكم فرائضه وركوبكم معاصيه وخلافكم الدين الذى دعاكم اليه وقوله من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يقول ولاتكونوا من المشركين الذين بدلوا دينهم وخالفوه ففارقوا وكانوا شيعا يقول وكانوا أحزابا فرقا كاليهود والنصارى ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا وهم اليهود والنصارى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا الى آخر الآية قال هؤلاء يهود فهو وجه قوله من الذين فرقوا دينهم الى أنه خبر مستأنف منقطع عن قوله ولاتكونوا من المشركين وأن معناه من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا أحزاب كل حزب بما لديهم فرحون كان وجه الحمل الكلام وقوله كل حزب بما لديهم فرحون يقول كل طائفة وفرقة من هؤلاء الذين فارقوا دينهم الحق فأحدثوا البدع التى أحدثوا بما لديهم فرحون يقول بما هم به متمسكون من المذهب فرحون مسرورون يحسبون أن الصواب معهم دون غيرهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا أذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون) يقول تعالى ذكره واذا مس هؤلاء المشركين الذين يجعلون مع الله الها آخر ضر فأصابتهم شدة وجدوب وقحوط دعوا ربهم يقول أخلصوا لربهم التوحيد وأفردوه بالدعاء والتضرع اليه واستغاثوا به منيبين اليه تائبين اليه من شركهم وكفرهم ثم اذا أذاقهم منه رحمة يقول ثم اذا كشف ربهم تعالى ذكره عنهم ذلك الضر وفرجه عنهم وأصابهم برخاء وخصب وسعة اذا فريق منهم يقول اذا جماعة منهم بربهم يشركون يقول يعبدون معه الآلهة والأوثان ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره متوعدا لهؤلاء المشركين الذين أخبر عنهم أنه اذا كشف الضر عنهم كفروا به ليكفروا بما أعطيناهم يقول اذا هم بربهم يشركون كى يكفروا أى يجحدوا النعمة التى أنعمتها عليهم بكشفى عنهم الضر الذى كنت فيه وابدالى ذلك لهم بالرخاء والخصب والعافية وذلك الرخاء والسعة هو الذى آتاهم تعالى ذكره الذى قال بما آتيناهم وقوله فتمتعوا يقول فتمتعوا أيها القوم بالذى آتيناكم من الرخاء والسعة فى هذه الدنيا فسوف تعلمون اذا وردتم على ربكم ماتلقون من عذابه وعظيم عقابه على كفركم به فى الدنيا وقد قرأ بعضهم فسوف يعلمون بالياء بمعنى ليكفروا بما آتيناهم فقد تمتعوا على وجه الخبر فسوف يعلمون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون) يقول تعالى ذكره أم أنزلنا على هؤلاء الذين يشركون فى عبادتنا الآلهة والأوثان كتابا بتصديق مايقولون وبحقيقة مايفعلون فهو يتكلم بما كانوا به يشركون يقول فذلك الكتاب ينطق بصحة

شركهم وانما يعنى جل ثناؤه بذلك أنهم لم ينزل بما يقولون ويفعلون كتابا ولا أرسل به رسولا وانما هو شئ اختلقوه واتبعوه اتباعا منهم لأهوائهم ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون يقول أم أنزلنا عليهم كتابا فهو ينطق بشركهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم اذا هم يقنطون ﴾ يقول تعالى ذكره واذا أصاب الناس مناخصب ورخاء وعافية فى الأبدان والأموال فرحوا بذلك وان تصبهم مناشدة من جدب وقحط وبلاء فى الأموال والأبدان بما قدمت أيديهم يقول بما أسلفوا من سيئ الأعمال بينهم وبين الله وركبوا من المعاصى اذا هم يقنطون يقول اذا هم ييأسون من الفرج والقنوط هو الاياس ومنه قول حميد الأرقط

* قد وجدوا الحجاج غير قانط *

وقوله اذا هم يقنطون هو جواب الجزاء لان اذا نابت عن الفعل بدلالتها عليه فكأنه قيل وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم وجدتهم يقنطون أو تجدهم أو رأيتهم أو تراهم وقد كان بعض نحويى البصرة يقول اذا كانت اذا جوابا لانها متعلقة بالكلام الاول بمنزلة الفاء ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ يقول تعالى ذكره أولم ير هؤلاء الذين يفرحون عند الرخاء يصيبهم والخصب ويأيسون من الفرج عند شدة تنالهم بعيون قلوبهم فيعلموا أن الشدة والرخاء بيد الله وأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده فيوسعه عليه ويقدر على من أراد فيضيقه عليه ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون يقول ان فى بسطه ذلك على من بسطه عليه وقدره على من قدره عليه ومخالفته بين من خالف بينه من عباده فى الغنى والفقر لدلالة واضحة لمن صدق حجج الله وأقر بها اذا عاينها ورآها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فأعط يا محمد ذا القرابة منك حقه عليك من الصلة والبر والمسكين وابن السبيل ما فرض الله لهم فى ذلك كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا غندر عن عوف عن الحسن فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل قال هو أن توفيهم حقهم ان كان عندك يسر وان لم يكن عندك قل لهم قولا ميسورا قل لهم الخير وقوله ذلك خير للذين يريدون وجه الله يقول تعالى ذكره ايتاء هؤلاء حقوقهم التى ألزمها الله عباده خير للذين يريدون الله بايتائهم ذلك وأولئك هم المفلحون يقول ومن يفعل ذلك مبتغيا به وجه الله فأولئك هم المنجحون المدركون طلباتهم عند الله الفائزون بما ابتغوا والتمسوا بايتائهم اياهم ما آتوا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ﴾ يقول تعالى ذكره وما أعطيتم أيها الناس بعضكم بعضا من عطية لتزداد فى أموال الناس برجوع ثوابها اليه من أعطاه ذلك فلا يربو عند الله يقول فلا يزداد ذلك عند الله لأن صاحبه لم يعطه من أعطاه مبتغيا به وجهه وما آتيتم من زكاة يقول وما أعطيتم من صدقة تريدون بها وجه الله فأولئك يعنى الذين يتصدقون بأموالهم ملتمسين بذلك وجه الله هم المضعفون

شرح

ذات نبات وماء وفى الامثال أحسن من بيضة فى روضة يعنون بيضة النعامة وتنكير روضة للتعظيم ومعنى (يحبرون) يسرون بأنواع المسار لحظة فلحظة حبره اذا سره سرورا تهلل بشر وخصه مجاهد بالتكريم وقتادة بالتنعيم وابن كيسان بالتحلية ووكيع بالسماع عن النبى صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة لنهرا حافتاه الأبكار من كل بيضاء رخصة يتغنين بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط فذلك أفضل نعيم الجنة قال الراوى سألت أبا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح وروى ان فى الجنة لأشجارا عليها أجراس من فضة فاذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فى تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا وأما معنى (محضرون) لا يغيبون عنه وقد مر فى قوله ثم هو يوم القيامة من المحضرين وانما أهمل ذكر الفسقة من أهل الايمان اكتفاء بما ذكر فى الآيات الاخر كقوله ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وكقوله انما التوبة على الله الى قوله تبت الآن قال جار الله لما ذكر الوعد والوعيد أتبعه ذكر ما يوصل الى الوعد وينجى من الوعيد وقال آخرون لما ذكر عظمته فى المبدا بقوله ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وفى الانتهاء بقوله ويوم تقوم الساعة وكرر ذكر قيام الساعة للتأكيد والتخويف أراد أن ينزه نفسه عن كل سوء ويثبت لذاته كل حمد ليعلم أنه منزه عن طاعات المطيعين محمود على كل ما يوصل الى المكلفين مذكور على لسان أهل السموات والارضين والتسبيح فى الظاهر هو تنزيه الله من السوء والثناء عليه بالخير فى هذه الاوقات لما فى كل يوم من كل سنة متجددة وخص بعضهم التسبيح بالصلاة فقد روى عن ابن عباس أنه قال تمسون صلاة المغرب والعشاء وتصبحون صلاة الفجر وعشيا صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر أمر بالصلاة فى أول النهار ووسطه وآخره وأمر بالصلاة أول الليل ووسطه وهو العشاء

بقوله صلى الله عليه وسلم لولا أن اشق على أمتى لأمرتهم بالسواك و بتأخير العشاء الى نصف الليل ولم يأمر بالصلاة فى آخر الليل لان النوم فيه غالب وانه من على عباده بالاستراحة (٣٠) فى الليل بالنوم فى مواضع منها قوله ومن آياته منامكم بالليل كما يجىء * روى عن الحسن أن الآية مدنية بناء على أنه كان يقول فرضت الصلوات الخمس بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين فى غير وقت معلوم وقول الاكثرين الخمس فرضت بمكة قوله (وعشيا) معطوف على حين وما بينهما وهو قوله وله الحمد فى السموات والارض اعتراض قال جار الله معناه ان على المميزين كلهم من أهل السموات والارض أن يحمدوه قلت فيه أيضا أن الله غنى عن تسبيح المسبحين فلو لم يحمده حامد فله استئهال الحمد على الاطلاق ولو حمدوه لعاد نفعه اليهم وقدم الامساء لان الظلمة عدمية والأصل فى الاشياء العدم وقدم العشى على الظهيرة لاجل الفاصلة أو للتنبيه على فضيلة صلاة العصر ولعل فى تقديم الاعتراض المذكور على العشى اشارة الى هذا ومعنى (يخرج الحى من الميت) قد سلف مرارا ويحتمل أن يراد بهما اليقظان والنائم لقوله (وكذلك تخرجون) أى من القبور فتنبيه النائم بعد اليقظة يشبه الاعادة وكذا رد الارض الى حالة الخضرة والنضرة بعد ذبولها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون أدرك ما فاته من يومه ومن قالها حين يمسى أدرك ما فاته من ليلته ثم أراد أن يذكر الحجج الباهرة على استحقاق التسبيح والتحميد له فقال (ومن آياته أن خلقكم) أى أصلكم أو كلا منكم كما مر فى أول الحج (من تراب) وذلك أن التراب أبعد الاشياء عن درجة الاحياء لكثافته ولبرودته ويبسه والحياة بالحرارة والرطوبة ولكدورته والروح نير ولثقله وخفة الارواح ولسكونه والحى متحرك حساس ولا تنافى بين هذا وبين قوله خلق من الماء بشر

المال

يقول هم الذين لهم الضعف من الأجر والثواب من قول العرب أصبح القوم مسمنين معطشين اذا سمنت ابلهم وعطشت * ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله قال هو ما يعطى الناس بينهم بعضهم بعضا يعطى الرجل الرجل العطية يريد أن يعطى أكثر منها حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور بن صفية عن سعيد بن جبير وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس قال هو الرجل يعطى الرجل العطية ليثيبه * قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن منصور بن صفية عن سعيد بن جبير مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى عن سفيان عن منصور بن صفية عن سعيد بن جبير وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله قال الرجل يعطى ليثاب عليه حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس قال الهدايا حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال هى الهدايا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس قال يعطى ماله يبتغى أفضل منه حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن ابن أبى خالد عن ابراهيم قال هو الرجل يهدى الى الرجل الهدية ليثيبه أفضل منها * قال ثنا محمد بن حميد المعمرى عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه هو الرجل يعطى العطية ويهدى الهدية ليثاب أفضل من ذلك ليس فيه أجر ولا وزر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله قال ما أعطيت من شئ تريد مثابة الدنيا ومجازاة الناس ذاك الربا الذى لا يقبله الله ولا يجزى به حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فهو ما يتعاطى الناس بينهم و يتهادون يعطى الرجل العطية ليصيب منه أفضل منها وهذا للناس عامة وأما قوله ولا تمنن تستكثر فهذا للنبى خاصة لم يكن له أن يعطى الا لله ولم يكن يعطى يعطى أكثر منه * وقال آخرون انما عنى بهذا الرجل يعطى ماله الرجل ليعينه بنفسه و يخدمه و يعود عليه نفعه لا لطلب أجر من الله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى ومحمد ابن فضيل عن زكريا عن عامر وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس قال هو الرجل يلزق بالرجل فيخفف له و يخدمه و يسافر معه فيجعل له ربح بعض ماله ليجزيه وانما أعطاه التماس عونه ولم يرد وجه الله * وقال آخرون هو اعطاء الرجل ماله ليكثر به مال من أعطاه ذلك لا طلب ثواب الله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن أبى حصين عن ابن عباس وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس قال ألم تر الى الرجل يقول للرجل لأ مولنك فيعطيه فهذا لا يربو عند الله لانه يعطيه لغير الله ليثرى ماله * قال ثنا عمرو بن عبد الحميد الآملى قال ثنا مروان بن معاوية عن اسمعيل بن أبى خالد قال سمعت ابراهيم النخعى يقول فى قوله وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله قال كان هذا فى الجاهلية يعطى أحدهم ذا القرابة

لانه أراد الاصل الثانى الذى هو النطفة أو أراد أن أصل البشر فى الظاهر هو التراب والماء وأما النار فللانضاج والهواء فللاستبقاء كالزق المنفوخ يقوم بالهواء و (ثم) لتبعيد الرتبة و (اذا) الفاجاة أى ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا قالوا فيه اشارة الى مسألة حكمية وهى أن الله تعالى يخلق أولا انسانا فيتبعه أنه حيوان تام لا أنه يخلق أولا حيوانا ثم يجعله انسانا فخلق الانواع هو المراد الاول ثم تكون الانواع فيها الاجناس بتلك الارادة الاولى وقوله (بشرا) اشارة الى القوة المدركة التى البشر بها بشر وبها يمتاز عن غيره من الحيوانات وقوله (تنتشرون) اشارة الى القوة المحركة التى بها الحيوان حيوان فكأنه أشار الى فصله وجلسه وكان الأولى تقديم الجنس على الفصل الا أنه عكس الترتيب لأنه كأنه قال العجب غير مختص بالانسان بل الحيوان المنتشر من التراب الساكن عجيب أيضا والانتشار اما بمعنى التردد فى الحوائج كقوله فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله واما بمعنى البث والتفريق كقوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وحين بين خلق الانسان ولم يكن مما يبقى على مر الزمان من عليهم بأن جعل نوع الانسان باقيا بتعاقب الاشخاص فقال (ومن آياته أن خلق لكم) ولا يلزم منه أن لا يكن مخلوقات للعبادة والتكليف لأن تخصيص الشئ بالذكر لا يدل على نفى ما عداه فقد يكون الشئ مختصا باثنين وجعل مهيأ لآخرين على أن النعمة ما كانت تتم علينا الا بتكليفهن فلولا خوف العقاب لتمردت النسوان على أزواجهن و (من أنفسكم) أى من جنسكم أو هو اشارة الى أن حواء خلقت من ضلع آدم وقدم فى النحل ويشهد للتفسير الاول قوله (لتسكنوا اليها)

المال يكثر به ماله * وقال آخرون ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم خاصة وأما لغيره فحلال ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى رؤاد عن الضحاك وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله هذا للنبى صلى الله عليه وسلم هذا الربا الحلال وانما اخترنا القول الذى اخترناه فى ذلك لأنه أظهر معانيه * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة وبعض أهل مكة ليربو بفتح الياء من يربو بمعنى وما آتيتم من ربا ليربو ذلك الربا فى أموال الناس وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة لتربوا بالتاء من تربوا وضمها بمعنى وما آتيتم من ربا لتربوا أنتم فى أموال الناس * والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان فى قراء الأمصار مع تقارب معنييهما لأن أرباب المال اذا أربوا بالمال واذا ربا المال فبارباء أربا به اياه ربا فاذ كان ذلك كذلك فبأى القراءتين قرأ القارئ فمصيب وأما قوله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون فان أهل التأويل قالوا فى تأويله نحو الذى قلنا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون قال هذا الذى يقبله الله و يضعفه لهم عشر أمثالها وأكثر من ذلك حدثت عن عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال قال ابن عباس قوله وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله قال هى الهبة يهب الشئ يريد أن يثاب عليه أفضل منه فذلك الذى لا يربو عند الله لا يؤجر فيه صاحبه ولا اثم عليه وما آتيتم من زكاة قال هى الصدقة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون قال معمر قال ابن أبى نجيح عن مجاهد مثل ذلك * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ يقول تعالى ذكره للمشركين به معرفهم قبح فعلهم وخبث صنيعهم الله أيها القوم الذى لا تصلح العبادة الا له ولا ينبغى أن تكون لغيره هو الذى خلقكم ولم تكونوا شيأ ثم رزقكم وخولكم ولم تكونوا تملكون قبل ذلك ثم هو يميتكم من بعد أن خلقكم أحياء ثم يحييكم من بعد مماتكم لبعث القيامة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم للبعث بعد الموت وقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ يقول تعالى ذكره هل من آلهتكم وأوثانكم التى تجعلونها لله شركاء فى عبادتكم اياه شركاء من يفعل من ذلكم من شئ فيخلق أو يرزق أو يميت أو ينشر وهذا من الله تقريع لهؤلاء المشركين وانما معنى الكلام أن شركاءهم لا تفعل شيأ من ذلك فكيف يعبد من دون الله من لا يفعل شيأ من ذلك ثم برأ نفسه تعالى ذكره عن القرية التى افتراها هؤلاء المشركون عليه بزعمهم أن آلهتهم له شركاء فقال جل ثناؤه سبحانه أى تنزيها لله وتبرئة وتعالى يقول وعلوا عما يشركون يقول عن شرك هؤلاء المشركين به و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ لا والله سبحانه وتعالى عما يشركون يسبح نفسه اذا قيل عليه البهتان * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون ﴾ يقول تعالى ذكره ظهرت المعاصى فى البر الأرض وبحرها بكسب أيدى الناس مانهاهم الله عنه واختلف أهل التأويل فى المراد من قوله ظهر الفساد

الجنس الى الجنس أسكن (وجعل بينكم مودة) عن الحسن هى الجماع (ورحمة) هى الولد وقال غيره المودة حالة حاجة نفسه اليها والرحمة حالة حاجة صاحبته اليه وقد تفضى المودة الى مجرد الرحمة وذلك اذا خرجت عن محل الشهوة بكبر أو مرض أو خرج عن امكان رعاية حقها

بكبر او زمانة أو فقر قال بعضهم المودة والرحمة بعصمة الزواج من غير سابقة معرفة وقرابة وهي من قبل الله والفرك من قبل الشيطان (ان في ذلك) الخلق والجعل (لآيات لقوم يتفكرون) خلق الانسان من الوالدين آية وجعل أحدهما ذكرا والآخر انثى آية وخروج الولد الضعيف من الموضع الضيق آية وجعل التوادد بين الزوجين من غير صلة رحم آية ولما ذكر دلائل الانفس أتبعها دلائل الآفاق وأعظمها خلق السموات والارض فان خلق المركبات قد يسنده بعض الجهلة الى ما في العناصر من الكيفيات والى ما في السموات من الحركات والاتصالات وأما السماء والارض فلا يجد بدا من أن يقول انهما بقدرة الله تعالى ثم عاد الى ذكر أحوال الانفس ومن جملتها اختلاف الالسنة لاجرمها فان التباين بين أجرامها ليس ببلغ الى حد يعد آية بل وصفها وهو النطق وتقطيع الاصوات اللذان بهما يمتاز بعض الاصناف والاشخاص عن بعض واختلاف الالوان والحلى فبذلك يقع التفاوت ويرتفع الاشتباه فحس البصر يدرك اختلاف الصور وحس السمع يدرك اختلاف الاصوات وأما اللمس والشم والذوق فلا حكم ظاهرا لها في باب التمييز بين الاشخاص الانسانية وحيث ذكر بعض العرضيات اللازمة أراد أن يذكر الاعراض المفارقة بعضها فقال (ومن آياته منامكم) قال جار الله هذا من باب اللف والنشر وتقدير الكلام ومن آياته منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار ليكون موافقا لما جاء في مواضع أخر كقوله وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وقدم المنام على الابتغاء لان الاستراحة مطلوبة لذاتها والطلب لا يكون الا لحاجة قال وانما فصل بين القرينتين الاوليين بالقرينتين الاخريين لانهما زمانان والزمان والواقع فيه كشيء واحد مع اعانة اللف على الاتحاد يعني كأنه لم يعطف النهار على الليل والابتغاء على المنام وجوز أن يراد منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم

في البر والبحر فقال بعضهم عنى بالبر الفلوات وبالبحر الأمصار والقرى التي على المياه والأنهار ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام قال ثنا النضر بن عربي عن مجاهد واذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها الآية قال اذا ولى سعى بالتعدي والظلم فيحبس الله القطر فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد قال ثم قرأ مجاهد ظهر الفساد في البر والبحر الآية قال ثم قال أما والله ما هو بحركم هذا ولكن كل قرية على ماء جار فهو بحر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن النضر بن عربي عن عكرمة ظهر الفساد في البر والبحر قال أما اني لا أقول بحركم هذا ولكن كل قرية على ماء جار ◦ قال ثنا يزيد بن هرون عن عمرو بن فروخ عن حبيب بن الزبير عن عكرمة ظهر الفساد في البر والبحر قال ان العرب تسمي الأمصار بحرا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس قال هذا قبل أن يبعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم امتلأت ضلالة وظلما فلما بعث الله نبيه رجع راجعون من الناس قوله ظهر الفساد في البر والبحر أما البر فأهل العمود وأما البحر فأهل القرى والريف حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ظهر الفساد في البر والبحر قال الذنوب ولا يذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن الحسن في قوله ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس قال أفسدهم الله بذنوبهم في بحر الأرض وبرها بأعمالهم الخبيثة ◦ وقال آخرون بل عنى بالبر ظهر الأرض الأمصار وغيرها وبالبحر البحر المعروف ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن ليث عن مجاهد ظهر الفساد في البر والبحر قال في البر ابن آدم الذي قتل أخاه وفي البحر الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا حدثني يعقوب قال قال أبو بشر يعني ابن علية قال سمعت ابن أبي نجيح يقول في قوله ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس قال بقتل ابن آدم والذي كان يأخذ كل سفينة غصبا حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن فضيل بن مرزوق عن عطية ظهر الفساد في البر والبحر قال قلت هذا البر والبحر أي فساد فيه قال فقال اذا قل المطر قل الغوص حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ظهر الفساد في البر قال قتل ابن آدم أخاه والبحر قال أخذ الملك السفن غصبا ◦ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن الله تعالى ذكره أخبر أن الفساد قد ظهر في البر والبحر والبر عند العرب الأرض القفار والبحر بحران بحر ملح وبحر عذب فهما جميعا عندهم بحر ولم يخصص جل ثناؤه الخبر عن ظهور ذلك في بحر دون بحر فذلك على ما وقع عليه اسم بحر عذبا كان أو ملحا واذا كان ذلك كذلك دخل القرى التي على الأنهار والبحار فتأويل الكلام اذا اذ كان الأمر كما وصفت ظهرت معاصي الله في كل مكان من رو بحر بما كسبت أيدي الناس أي بذنوب الناس وانتشر الظلم فيهما وقوله ليذيقهم بعض الذي عملوا يقول جل ثناؤه ليصيبهم بعقوبة بعض أعمالهم التي عملوا ومعصيتهم التي عصوا لعلهم يرجعون يقول كي يثيبوا الى الحق ويرجعوا الى التوبة ويتركوا معاصي الله ◦ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن أشعث عن الحسن

من فضله بالليل والنهار فان الانسان كثيرا ما ينام بالنهار ويكسب بالليل وفى اقتران الفصل بالابتغاء اشارة الى ان العبد ينبغى أن لا يرى الرزق من نفسه وبجده بل يرى كل ذلك من فضل ربه ثم أشار الى عوارض الآفاق فقال (٢٣) (ومن آياته يريكم) فاضمر أن وأسكن الياء بعد حذفها وانزل الفعل منزلة المصدر كما فى المثل السائر «تسمع بالمعيدى خير من أن تراه» قيل لما كان البرق من الامور التى تتجدد زمانا دون زمان ذكره بلفظ المستقبل ولهذا كرمعه أن وقيل ومن آياته كلام كاف كما تقول منها كذا ومنها كذا وتسكت تريد بذلك الكثرة وقيل أراد ويريكم من آياته البرق وانتصاب (خوفا وطمعا) كما مر فى الرعد ثم ذكر بعض لوازم الآفاق قائلا (ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره) فقيام السموات والارض استمساكهما بغير عمد ومن نسب ذلك الى الطبيعة فلابد أن يستند الطبع الى واجب لذاته وأمره أن يقول لهما كونا كذلك نظيره قوله ان الله يمسك الى قوله من بعده واعلم أن الأمر عند المعتزلة موافق للارادة وعند الاشاعرة ليس كذلك ولكن النزاع فى الأمر الذى هو للتكليف لا الذى للتكوين فان قوله كن فيكون موافق للارادة بالاتفاق قال جار الله قوله (اذا دعاكم) بمنزلة قوله يريكم فى ايقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كأنه قال ومن آياته قيام السموات والارض ثم خروج الموتى من القبور اذا دعاكم مرة واحدة يا أهل القبور اخرجوا والمراد سرعة الخروج من غير توقف والا فلا أمر ظاهرا أو أراد نداء الملك والارض مكان المدعو على التقديرين لا الداعى اذ لا مكان لله مطلقا ولا لملك فى جوف الارض

لهم يرجعون قال قال يتوبون ◆ قال ثنا ابن مهدى عن سفيان عن السدى عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله لعلهم يرجعون يوم بدر لعلهم يتوبون ◆ قال ثنا أبو أسامة عن زائدة عن منصور عن ابراهيم لعلهم يرجعون قال الى الحق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون لعل راجعا أن يرجع لعل تائبا أن يتوب لعل مستعتبا أن يستعتب حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن الحسن لعلهم يرجعون قال يرجع من بعدهم ◆ واختلفت القراء فى قراءة قوله ليذيقهم فقرأ ذلك عامة قراء الامصار ليذيقهم بالياء بمعنى ليذيقهم الله بعض الذى عملوا وذكر أن أبا عبد الرحمن السلمى قرأ ذلك بالنون على وجه الخبر من الله عن نفسه بذلك ❊ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك سيروا فى البلاد فانظروا الى مساكن الذين كفروا بالله من قبلكم وكذبوا رسله كيف كان آخر أمرهم وعاقبة تكذيبهم رسل الله وكفرهم أنهلكهم بعذاب منا ونجعلهم عبرة لمن بعدهم كان أكثرهم مشركين يقول فعلنا ذلك بهم لان أكثرهم كانوا مشركين بالله مثلهم ❊ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون﴾ يقول تعالى ذكره فوجه وجهك يا محمد نحو الوجه الذى وجهك اليه ربك للدين القيم لطاعة ربك والملة المستقيمة التى لا اعوجاج فيها عن الحق من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله يقول تعالى ذكره من قبل مجىء يوم من أيام الله لا مرد له لمجيئه لأن الله قد قضى مجيئه فهو لا محالة جاء يومئذ يصدعون يقول يوم يجىء ذلك اليوم يصدع الناس يقول يتفرق الناس فرقتين من قولهم صدعت الغنم صدعتين اذا فرقتها فرقتين فريق فى الجنة وفريق فى السعير ◆ وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأقم وجهك للدين القيم الاسلام من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون فريق فى الجنة وفريق فى السعير حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يومئذ يصدعون يقول يتفرقون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يصدعون قال يتفرقون الى الجنة والى النار ❊ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون﴾ يقول تعالى ذكره من كفر بالله فعليه أوزار كفره وآثام جحوده نعم ربه ومن عمل صالحا يقول ومن أطاع الله فعمل بما أمره به فى الدنيا وانتهى عما نهاه عنه فيها فلأنفسهم يمهدون يقول فلأنفسهم يستعدون ويسوون المضجع لهم من عقاب ربهم وينجوا من عذابه كما قال الشاعر

أمهد لنفسك كان السقم والتلف ◆ ولا تضيعن نفسا ما لها خلف

◆ وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فلأنفسهم يمهدون قال يسوون المضاجع حدثنا ابن المثنى والحسين بن يزيد الطحان وابن وكيع وأبو عبد الرحمن العلائى قالوا

نعم لو كان المراد أن الملك يدعوهم وهو على وجه الارض جاز ومعنى ثم عظم يكون من ذلك الامر وتهويل لتلك الحالة واذا الاولى للشرط والثانية للمفاجأة نائبة مناب الفاء واعلم أنه تعالى ذكر فى كل باب أمرين

أما من الانفس فخلق البشر ثم خلقهم زوجين وأما من الآفاق فخلق السموات والارض ومن لوازم الانسان اختلاف اللسان والالوان ومن عوارضه المنام والابتغاء ومن عوارض الآفاق البروق والامطار ومن لوازمها قيام السماء والارض والواحد يكفي للاقرار بالحق الا أن الثاني يجري مجرى الشاهد الآخر وراعى في تعداد العرضيات لطيفة بدأ باللوازم وختم باللوازم وذلك أن الانسان متغير الحال فالاحوال اللازمة له أغرب والأفلاك ثابتة بالنسبة الى الانسان فعوارضها أغرب وبدأ في كل باب بما هو أعجب وانما ختم الآية الاولى بقوله ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون لأن الفكر يؤدي الى الوقوف على المعاني المقتضية للانس والسكون وعلى دقائق صنع الله في خلق الانسان وبثهم في الارض أو تقول ان من الاشياء ما يعلم بمجرد الفكر كدقائق حكمة الله في خلق الانسان لأن أقرب الاشياء الى الانسان هو ذاته فلذلك قال هنالك لقوم يتفكرون ومنها ما يعلم من غير تجشم فكر كالاستدلال على قدرة الله بخلق السماء والارض واختلاف ألسنة الناس وألوانهم فان الكل تظلهم السماء وتقلهم الارض وكل واحد منفرد بلطيفة في صورته يمتاز بها عن غيره وهذه يشترك في معرفتها الناس جميعا فلهذا قال لآيات للعالمين ومن حمل اختلاف الألسن على اللغات واختلاف الالوان على البياض والسواد والصفرة والسمرة فلاشتراك في معرفتها أيضا ظاهر ومن قرأ للعالمين بكسر اللام فقد أحسن فبالعلم يمكن الوصول الى معرفة ما سبق ذكره ومن الاشياء ما يحتاج الفكر فيه الى اعانة مرشد كالمنام والابتغاء فانهما لزوالهما في بعض الاوقات قد يرفعان لوازمهما فلهذا قال ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون ويجعلون بالهم الى كلام المرشد ومن هنا ذهب بعضهم الى أن معنى يسمعون ههنا يستجيبون لما يدعون اليه ثم ان حدوث الولد من الوالدين كالامر المطرد فلم

ثنا يحيى بن سليم الطائفي عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فلا أنفسهم يمهدون قال في القبر حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهري قال ثنا يحيى بن سليم عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فلا أنفسهم يمهدون قال للقبر حدثنا نصر بن علي قال ثنا يحيى بن سليم قال ثنا ابن أبي نجيح قال سمعت مجاهدا يقول في قوله فلا نفسهم يمهدون قال في القبر ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله انه لا يحب الكافرين ﴾ يقول تعالى ذكره ويوشك يصدقون ليجزي الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات بقول وعملوا بما أمرهم الله من فضله الذي وعد من أطاعه في الدنيا أن يجزيه يوم القيامة انه لا يحب الكافرين يقول تعالى ذكره انما خص بجزائه من فضله الذين آمنوا وعملوا الصالحات دون من كفر بالله انه لا يحب أهل الكفر به واستأنف الخبر بقوله انه لا يحب الكافرين وفيه المعنى الذي وصفت ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ يقول تعالى ذكره ومن أدلته على وحدانيته وحجته عليكم على أنه الله كل شيء أن يرسل الرياح مبشرات بالغيث والرحمة وليذيقكم من رحمته يقول ولينزل عليكم من رحمته وهي الغيث الذي يحيي به البلاد ولتجري السفن في البحار بها بأمره باذنه ولتبتغوا من فضله يقول ولتلتمسوا من أرزاقه ومعايشكم التي قسمها بينكم ولعلكم تشكرون يقول ولتشكروا ربكم على ذلك أرسل هذه الرياح مبشرات ۞ ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الرياح مبشرات قال بالمطر وقالوا في قوله وليذيقكم من رحمته مثل الذي قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وليذيقكم من رحمته قال المطر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وليذيقكم من رحمته المطر ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾ يقول تعالى ذكره مسليا نبيه صلى الله عليه وسلم فيما يلقى من قومه من الأذى فيه بما لقي من قبله من رسله من قومهم ومعلمه سنته فيهم وفي قومهم وأنه سالك به وبقومه سنته فيهم وفي أممهم ولقد أرسلنا يا محمد من قبلك رسلا الى قومهم الكفرة كما أرسلناك الى قومك العابدي الاوثان من دون الله فجاؤهم بالبينات يعني بالواضحات من الحجج على صدقهم وأنهم رسل كما جئت أنت قومك بالبينات فكذبوهم كما كذبك قومك وردوا عليهم ما جاؤهم به من عند الله كما ردوا عليك ما جئتهم به من عند ربك فانتقمنا من الذين أجرموا يقول فانتقمنا من الذين أجرموا الآثام واكتسبوا السيآت من قومهم ونحن فاعلو ذلك كذلك بمجرمي قومك وكان حقا علينا نصر المؤمنين يقول ونجينا الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله اذ جاءهم بأسنا وكذلك نفعل بك وبمن آمن بك من قومك وكان حقا علينا نصر المؤمنين على الكافرين ونحن ناصروك ومن آمن بك على من كفر بك ومظفروك بهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا أصاب به من يشاء من عباده

فكان الولد يمكن أن يسبق الى الوهم اسناده الى الطبيعة فأمر هنالك بالفكر وأما البرق والمطر فليس أمرا عاديا ولذلك يختلف بالشدة والضعف وبحسب الاوقات والأمكنة فالعقل الصحيح يجزم بأنه من فعل الفاعل المختار فلذلك قال لقوم يعقلون وقيل

اذا هم يستبشرون ﴾ يقول تعالى ذكره الله يرسل الرياح فتثير سحابا يقول فتنشئ الرياح سحابا وهى جمع سحابة فيبسطه فى السماء كيف يشاء يقول فينشره الله ويجمعه فى السماء كيف يشاء وقال فيبسطه فوحد الهاء وأخرجها مخرج كناية المذكر والسحاب جمع كما وصفت ردا على لفظ السحاب لا على معناه كما يقال هذا تمر جيد * ونحو الذى قلنا فى تأويل قوله فيبسطه قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجمعه وقوله ويجعله كسفا يقول ويجعل السحاب قطعا متفرقة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويجعله كسفا أى قطعا وقوله فترى الودق يعنى المطر يخرج من خلاله يعنى من بين السحاب كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فترى الودق يخرج من خلاله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن قطن عن حبيب عن عبيد بن عمير يرسل الرياح فتثير سحابا قال الرياح أربع يبعث الله ريحا فتقم الأرض قما ثم يبعث الله الريح الثانية فتثير سحابا فيجعله فى السماء كسفا ثم يبعث الله الريح الثالثة فتؤلف بينه فيجعله ركاما ثم يبعث الريح الرابعة فتمطر حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فترى الودق قال القطر وقوله فاذا أصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون يقول فاذا صرف ذلك الودق الى أرض من أراد صرفه الى أرضه من خلقه رأيتهم يستبشرون بأنه صرف ذلك اليهم ويفرحون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين ﴾ يقول تعالى ذكره وكان هؤلاء الذين أصابهم الله بهذا الغيث من عباده من قبل أن ينزل عليهم هذا الغيث من قبل هذا الغيث لمبلسين يقول لمكتئبين حزنين باحتباسه عنهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين أى قانطين * واختلف أهل العربية فى وجه تكرير من قبله وقد تقدم قبل ذلك قوله من قبل أن ينزل عليهم فقال بعض نحويى البصرة ردد من قبله على التوكيد نحو قوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون وقال غيره ليس ذلك كذلك لأن مع من قبل أن ينزل عليهم حرفا ليس مع الثانية قال فكأنه قال من قبل التنزيل من قبل المطر فقد اختلفا وأما كلهم أجمعون وكد بأجمعين لأن كلا يكون اسما ويكون توكيدا وهو قوله أجمعون والقول عندى فى قوله من قبله على وجه التوكيد ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحى الأرض بعد موتها ان ذلك لمحى الموتى وهو على كل شئ قدير ﴾ اختلفت القراء فى قوله فانظر الى آثار رحمة الله فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين الى أثر رحمة الله على التوحيد بمعنى فانظر يا محمد الى أثر الغيث الذى أصاب الله به من أصاب من عباده كيف يحى ذلك الغيث الأرض من بعد موتها وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة فانظر الى آثار رحمة الله على الجماع بمعنى فانظر الى آثار الغيث الذى أصاب الله به من أصاب كيف يحى الارض بعد موتها * والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان فى قرأة الامصار متقاربتا المعنى وذلك أن الله اذا أحيا الأرض بغيث أنزله عليها فان الغيث أحياها باحياء الله اياها به واذا أحياها الغيث فان الله هو المحيى به فبأى القراءتين قرأ القارئ فمصيب فتأويل الكلام اذا فانظر يا محمد الى آثار الغيث الذى ينزل الله من السحاب كيف يحى الله به الأرض الميتة فيلبنها

ان العقل ملاك الامر وهو المؤدى الى العلم فوقع الختم عليه وحين فرغ من تعداد الآيات وكان مدلولها الوحدانية التى هى الأصل الاول والقدرة على الحشر التى هى الأصل الآخر أكد الاول بقوله (وله من فى السموات والارض كل له قانتون) مطيعون منقادون وأكد الاصل الآخر بكل الاصلين بقوله (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو) يعنى أن يعيده (أهون عليه) أى فى نظركم وعندكم لأن الافلا صعوبة فى الابداء أصلا حتى يقع التفضيل على حده وانما أخرت الصلة ههنا وقدمت فى قوله فى سورة مريم وهو على هين لأنه قصد هناك الاختصاص يعنى أن خلق الولدين هرم وعاقرا يهون الاعلى ولا معنى للاختصاص ههنا فان الامر مبنى على المعقول بين الآدميين من أن المعاد أهون من المبدا ولهذا قيل أول الغزو أخرق وليس الدخيل فى أمر كالناشئ عليه ومن الدليل العقلى على هذا المطلوب أن الابداء خلق الاجزاء وتأليفها والاعادة تأليف فقط ولا شك أن أمرا واحدا أهون من الامرين ولا يلزم منه أن يكون فى الامرين صعوبة فان من قال الرجل القوى يقدر على حمل شعيرة من غير صعوبة وسلم السامع له ذلك فاذا قال فلان لا يتعب من حمل خردلة وان حمل خردلة أهون عليه كان كلاما معقولا وقد أجرى الزجاج قوله وهو أهون عليه مجرى

المثل فيما يصعب ويسهل وفسر به قوله (وله المثل الأعلى) يعنى هذا مثل مضروب لكم فى الارض وله المثل الأعلى من هذا المثل ومن كل مثل يضرب فى السموات فيما بين الملائكة وعن ابن عباس أراد أن فعله وان شبه بفعلكم ومثله به لكنه ليس كمثله شئ فله المثل الاعلى وقال

جار الله المثل الوصف أى له الوصف الاعلى الذى ليس لغيره مثله قد عرف به ووصف فى السموات والارض على ألسنة الخلائق وألسنة الدلائل وهو أنه القادر الذى يقدر على الخلق والاعادة العليم الذى لا يعزب عن علمه شئ فلا يصعب عليه جمع الاجزاء بعد تفرقها على الوجه الذى يقتضيه التدبير وبهذا ختم الآية بقوله (وهو العزيز الحكيم) وعن مجاهد المثل الأعلى وصفه بالوحدانية وهو قوله لا اله الا الله وقد ضرب لذلك مثلا ومعنى (من أنفسكم) أنه أخذ مثلا وانتزعه من أقرب شئ منكم وهى أنفسكم فمن للابتداء وفى قوله (مما ملكت أيمانكم) للتبعيض والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجارى مجرى النفى والمعنى هل ترضون لانفسكم أن يكون لكم شركاء من بعض عبيدكم يشاركونكم فيما رزقناكم من الاموال والاملاك (فأنتم) يعنى بسبب ذلك أنتم أيها السادات والعبيد فى ذلك المرزوق (سواء) من غير تفضيل وفضل للاحرار على العبيد (تخافونهم) أن تستبدوا بتصرف دونهم (كخيفتكم أنفسكم) أى كمايهاب بعضكم بعضا من الاحرار والحاصل أن من يكون له مملوك لا يكون شريكا له فى ماله ولا يكون له حرمة كحرمة سيده فكيف يجوز أن يكون عباد الله شركاء له أو شفعاء عنده بغير اذنه وكيف يجوز أن يكون لهم عظمة مثل عظمة الله حتى يعبدوا كعبادته على أن مملوكيكم ليس مملوكا لكم فى الحقيقة ليس الا اختصاص المبايعة ولهذا لا حكم لهم عليهم بالقتل والقطع وبالمنع من الفرائض وقضاء الحاجة والنوم وقد يزول الاختصاص بالبيع والعتق ومملوك الله لا خروج له من ملكه بوجه من الوجوه وفى قوله فيما رزقناكم اشارة الى أن الذى هو لكم ليس فى الحقيقة لكم وانما الله استخلفكم فيه ورزقكموه من فضله (كذلك) أى مثل هذا التفصيل والتبعيد للتعظيم أو لدخوله فى حيز الذكر أو المضى (نفصل الآيات) نبينها (لقوم يعقلون) لأن التمثيل انما يكشف المعانى لارباب العقول ثم شنع صورة الشرك بقوله

ويعشيها من بعد موتها وتورها ان ذلك لمحيى الموتى بقول جل ذكره ان الذى يحيى هذه الأرض بعد موتها بهذا الغيث لمحيى الموتى من بعد موتهم وهو على كل شئ مع قدرته على احياء الموتى قدير لا يعزز عليه شئ أراده ولا يمتنع عليه فعل شئ شاءه سبحانه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون ﴾ يقول تعالى ذكره ولئن أرسلنا ريحا مفسدة ما أنبته الغيث الذى أنزلناه من السماء فرأى هؤلاء الذين أصابهم الله بذلك الغيث الذى حييت به أرضوهم وأعشبت ونبتت به زروعهم ما أنبته أرضوهم بذلك الغيث من الزرع مصفرا قد فسد بتلك الريح التى أرسلناها فصار من بعد خضرته مصفرا لظلوا من بعد استبشارهم وفرحتهم به يكفرون بربهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون ﴾ يقول تعالى ذكره فانك يا محمد لا تسمع الموتى يقول لا تجعل لهم أسماعا يفهمون بها عنك ما تقول لهم وانما هذا مثل معناه فانك لا تقدر أن تفهم هؤلاء المشركين الذين قد ختم الله على أسماعهم فسلبهم فهم ما تتلى عليهم من مواعظ تنزيله كما لا تقدر أن تفهم الموتى الذين قد سلبهم الله أسماعهم بأن تجعل لهم أسماعا وقوله ولا تسمع الصم الدعاء يقول وكما لا تقدر أن تسمع الصم الذين قد سلبوا السمع الدعاء اذا هم ولوا عنك مدبرين كذلك لا تقدر أن توفق هؤلاء الذين قد سلبهم الله فهم آيات كتابه لسماع ذلك وفهمه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فانك لا تسمع الموتى هذا مثل ضربه الله للكافر فكما لا يسمع الميت الدعاء كذلك لا يسمع الكافر ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين يقول لو أن أصم ولى مدبرا ثم ناديته لم يسمع كذلك الكافر لا يسمع ولا ينتفع بما يسمع وقوله وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم يقول تعالى ذكره وما أنت يا محمد بمسدد من أعماه الله عن الاستقامة ومحجة الحق فلم يوفقه لاصابة الرشد فصارفه عن ضلالته التى هو عليها وركو به الجائر من الطرق الى سبيل الرشاد يقول ليس ذلك بيدك ولا اليك ولا يقدر على ذلك أحد غيرى لأنى القادر على كل شئ وقيل بهادى العمى عن ضلالتهم ولم يقل من ضلالتهم لأن معنى الكلام ما وصفت من أنه وما أنت بصارفهم عنه فحمل على المعنى وأوقيل من ضلالتهم كان صوابا وكان معناه ما أنت بمانعهم من ضلالتهم وقوله ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا يقول تعالى ذكره لنبيه ما تسمع السماع الذى ينتفع به سامعه فيعقله الا من يؤمن بآياتنا لأن الذى يؤمن بآياتنا اذا سمع كتاب الله تدبره وفهمه وعقله وعمل بما فيه وانتهى الى حدود الله التى حدها فيه فهو الذى يسمع السماع النافع وقوله فهم مسلمون يقول فهم خاضعون له بطاعته متذللون لمواعظ كتابه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذبين بالبعث من مشركى قريش محتجا عليهم بأنه القادر على ذلك وعلى ما يشاء الله الذى خلقكم أيها الناس من ضعف يقول من نطفة وماء مهين فأنشأكم بشرا سويا ثم جعل من بعد ضعف قوة يقول ثم جعل لكم قوة على التصرف من بعد خلقه اياكم من ضعف ومن بعد ضعفكم بالصغر والطفولة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يقول ثم أحدث لكم الضعف بالهرم والكبر عما كنتم عليه أقويا فى شبابكم وشيبة وبنحو الذى

(بل اتبع الذين ظلموا) أى أشركوا (أهواءهم بغير علم) فهوى العالم بما يتبدل بالهدى وأما الجاهل فانه هائم فى هواه كالبهائم لا يرجى ارعواه يؤكده قوله (فمن يهدى من أضل الله وما لهم من ناصرين) والاضلال ههنا لا يخفى أن الاشاعرة يحملونه على خلق الضلال

قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الله الذى خلقكم من ضعف أى من نطفة ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا الهرم وشيبة الشمط وقوله يخلق ما يشاء يقول تعالى ذكره يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وشباب وشيب وهو العليم بتدبير خلقه القدير على ما يشاء لا يمتنع عليه شئ أراده فكما فعل هذه الاشياء فكذلك يميت خلقه ويحييهم اذا شاء يقول واعلموا أن الذى فعل هذه الأفعال بقدرته يحيى الموتى اذا شاء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون ﴾ يقول تعالى ذكره ويوم تجى ء ساعة البعث فيبعث الخلق من قبورهم يقسم المجرمون وهم الذين كانوا يكفرون بالله فى الدنيا ويكتسبون فيها الآثام واقسامهم حلفهم بالله ما لبثوا غير ساعة يقول يقسمون بأنهم لم يلبثوا فى قبورهم غير ساعة واحدة يقول الله جل ثناؤه كذلك فى الدنيا كانوا يؤفكون يقول كذبوا فى قيلهم وقسمهم ما لبثنا غير ساعة كما كانوا فى الدنيا يكذبون ويحلفون على الكذب وهم يعلمون ● وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون أى يكذبون فى الدنيا وانما يعنى بقوله يؤفكون عن الصدق ويصدون عنه الى الكذب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون ﴾ كان قتادة يقول هذا من المقدم الذى معناه التأخير حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث قال هذا من مقاديم الكلام وتأويلها وقال الذين أوتوا الايمان والعلم لقد لبثتم فى كتاب الله ● وذكر عن ابن جريج أنه كان يقول معنى ذلك وقال الذين أوتوا العلم بكتاب الله والايمان بالله وبكتابه وقوله فى كتاب الله يقول فيما كتب الله مما سبق فى علمه أنكم تلبثونه فهذا يوم البعث يقول فهذا يوم يبعث الناس من قبورهم ولكنكم كنتم لا تعلمون يقول ولكنكم كنتم لا تعلمون فى الدنيا أنه يكون وأنكم مبعوثون من بعد الموت فلذلك كنتم تكذبون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون ﴾ يقول تعالى ذكره فيوم يبعثون من قبورهم لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم يعنى المكذبين بالبعث فى الدنيا معذرتهم وهو قولهم ما علمنا أنه يكون ولا أنا نبعث ولا هم يستعتبون يقول ولا هؤلاء الظلمة يسترجعون يومئذ عما كانوا يكذبون به فى الدنيا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان أنتم الا مبطلون ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد مثلنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل احتجاجا عليهم وتنبيها لهم على وحدانية الله وقوله ولئن جئتهم بآية يقول ولئن جئت يا محمد هؤلاء القوم بآية يقول بدلالة على صدق ما تقول ليقولن الذين كفروا ان أنتم الا مبطلون يقول ليقولن الذين جحدوا رسالتك وأنكروا نبوتك ان أنتم أيها المصدقون محمدا فيما أتاكم به الا مبطلون فيما تحيئونا به من هذه الأمور ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره كذلك يختم الله على قلوب الذين لا يعلمون حقيقة ما تأتيهم به يا محمد من عند الله من هذه العبر والعظات والآيات البينات فلا يفقهون عن الله

فى المكلف والمعتزلة يحملونه على الخذلان ومنع الالطاف وقد تقدم مرارا ثم قال (لرسوله ولأمته تبعية اذا تبين الحق وظهرت الوحدانية (فأقم وجهك للدين) أى سدده نحوه غير مائل الى غيره من الاديان الباطلة (فطرت الله) أى الزموها أو عليكم بها قال جار الله انما أضمرته على خطاب الجماعة لقوله (منيبين) وهو حال منهم ولان الامر والنهى بعده معطوفان عليه لكنك قد عرفت فى الوقوف أن هذا التقدير غير لازم وعلى ذلك يحتمل أن يقدر الزم أو عليك أو أخص أو أريد وأشباه ذلك وفطرة الله هى التوحيد الذى تشهد به العقول السليمة والنظر الصحيح كما جاء فى الحديث النبوى كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه ويحتمل أن تكون الفطرة اشارة الى أخذ الميثاق من الذر وقوله (لا تبديل لخلق الله) نفى فى معنى النهى أى لا تبدلوا خلقه الذى فطركم عليه لكن الايمان الفطرى غير كاف وقيل هو تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم حيث لم يؤمن قومه فكأنه قال انهم أشقياء ومن كتب شقيا لم يسعد وقيل أراد أن الخلق لا خروج لهم عن عبوديته بخلاف ما لبك الانسان فانهم قد يخرجون من أيديهم بالبيع والعتق وفيه فساد قول من زعم أن العبادة لتحصيل الكمال فاذا كمل العبد لم يبق عليه تكليف وفساد قول الصابئة وبعض أهل الشك ان الناقص لا يصلح لعبادة الله وانما الانسان عبد الكواكب والكواكب عبيد الله وفساد قول النصارى والحلولية ان الله يحل فى بعض الاشخاص كعيسى وغيره فيصيرالها ومعنى (فرقوا دينهم وكانوا شيعا) قدم فى آخر الانعام وأنهم فرق كل واحدة تشايع امامها الذى أضلها

وقال أهل التحقيق بعضهم يعبد الدنيا وبعضهم يعبد الهوى وبعضهم يريد الجنة وبعضهم يطلب الخلاص من النار ومعنى (كل حزب بما لديهم فرحون) قدم في المؤمنين وجوز جار الله أن يكون من الدين منقطعا عما قبله وكل حزب مبتدأ و(فرحون) صفة كل ومعناه من المفارقين دينهم كل حزب بصفة كذا والله أعلم ۞ التأويل الالف ألفة طبع المؤمنين واللام لوم طبيعة الكافرين والميم مغفرة رب العالمين فمن الالفة أحبوا أهل الكتاب ومن اللوم أبغضهم الكافرون ومن مغفرة رب العالمين شملت الفريقين حتى قال ان الله يغفر الذنوب جميعا الا أن يكون هناك مخصص ثم أشار الى أن حال أهل الطلب يتغير بتغير الاوقات فيغلب فارس النفس روم القلب تارة وسيغلب روم القلب فارس النفس بتأييد الله ونصره في بضع سنين من أيام الطلب ويومئذ يفرح المؤمنون وهم الروح والسر والعقل أولم يتفكروا في استعداد أنفسهم ما خلق الله السموات الروحانية والارض النفسانية الا ليكون مظهرا للحق ولاجل مسمى بالصبر والثبات في تصفية مرآة القلوب عن صدا الاوصاف الذميمة النفسانية والاجل المسمى هو أوان صفاء القلب متوجها الى الحق أولم يسيروا في أرض البشرية بالسلوك لتبديل الاخلاق والذين من قبلهم هم الفلاسفة والبراهمة المعتمدون على مجرد البراهين من غير اعتبار الشرائع والسوأى هي أن صاروا أئمة الكفر والضلال الله يبدأ الخلق بتصوير النفس متعلقة بالقالب ثم يعيده بطريق السير والسلوك والعبور عن المنازل والمقامات الى عالم الارواح ثم اليه ترجعون بجذبة ارجعي ويوم تقوم الساعة الارادة يبلس المجرمون بتضييع الاوقات في طلب ما سوى الله ويوم تقوم الساعة قيامة العشق يومئذ يتفرق المحبون جعلها فبعضهم يطلب الجنة وبعضهم يطلب الوصلة وبعضهم يريد الوحدة فسبحان الله حين تعلبون على ليل نيل الشهوات وحين صباح نهار

حجته ولا يفهمون عنه ما يتلو عليهم من آي كتابه فهم لذلك في طغيانهم يترددون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون﴾ يقول تعالى ذكره فاصبر يا محمد لما ينالك من أذاهم وبلغهم رسالة ربك فان وعد الله الذي وعدك من النصر عليهم والظفر بهم وتمكينك وتمكين أصحابك وتباعك في الأرض حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون بقول ولا يستخفن حلمك ورأيك هؤلاء المشركون بالله الذين لا يوقنون بالمعاد ولا يصدقون بالبعث بعد الممات فيثبطوك عن أمر الله والنفوذ لما كلفك من تبليغهم رسالته حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سعيد بن جبير عن علي بن ربيعة أن رجلا من الخوارج قرأ خلف علي رضي الله عنه لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فقال علي فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون * قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن عثمان بن أبي زرعة عن علي بن ربيعة قال نادى رجل من الخوارج عليا رضي الله عنه وهو في صلاة الفجر فقال ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فأجابه علي رضي الله عنه وهو في الصلاة فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون قال قال رجل من الخوارج خلف علي في صلاة الغداة ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فأنصت له علي رضي الله عنه حتى فهم ما قال فأجابه وهو في الصلاة فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون

آخر تفسير سورة الروم

﴿ تفسير سورة لقمان ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون ﴾ وقد تقدم بيانا تأويل قول الله تعالى ذكره الم وقوله تلك آيات الكتاب الحكيم يقول جل ثناؤه هذه آيات الكتاب الحكيم بيانا وتفصيلا وقوله هدى ورحمة يقول هذه آيات الكتاب بيانا ورحمة من الله رحم به من اتبعه وعمل به من خلقه وبنصب الهدى والرحمة على القطع من آيات الكتاب قرأت قراء الأمصار غير حمزة فانه قرأ ذلك رفعا على وجه الاستئناف اذ كان منقطعا عن الآية التي قبلها بأنه ابتداء آية وأنه مدح والعرب تفعل ذلك مما كان من نعوت المعارف وقع موقع الحال اذا كان فيه معنى مدح أو ذم وكلتا القراءتين صواب عندي وان كنت الى النصب أميل لكثرة القراء به وقوله للمحسنين وهم الذين أحسنوا في العمل بما أنزل الله في هذا القرآن يقول تعالى ذكره هذا الكتاب الحكيم هدى ورحمة للذين أحسنوا فعملوا بما فيه من أمر الله ونهيه الذين يقيمون الصلاة يقول الذين يقيمون الصلاة المفروضة بحدودها ويؤتون الزكاة من

جعلها الله المفروضة فى أموالهم وهم بالآخرة هم يوقنون يقول يفعلون ذلك وهم بجزاء الله وثوابه فى فعل ذلك فى الآخرة يوقنون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين وصفت صفتهم على بيان من ربهم ونور وأولئك هم المفلحون يقول وهؤلاء هم المنجحون المدركون ما رجوا وأملوا من ثواب ربهم يوم القيامة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين ﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ومن الناس من يشترى لهو الحديث فقال بعضهم من يشترى الشراء المعروف بالثمن ورووا بذلك خبرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن خلاد الصفار عن عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن ولا أثمانهن وفيهن نزلت هذه الآية ومن الناس من يشترى لهو الحديث حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى عن خلاد الصفار عن عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه الا أنه قال أكل ثمنهن حرام وقال أيضا وفيهن أنزل الله على هذه الآية ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله حدثنى عبيد بن آدم بن أبى اياس العسقلانى قال ثنا أبى قال ثنا سليمان بن حيان عن عمرو بن قيس الكلابى عن أبى المهاب عن عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة * قال وثنا اسمعيل بن عياش عن مطرح بن يزيد عن عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة الباهلى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن ولا شراؤهن وثمنهن حرام وقد نزل تصديق ذلك فى كتاب الله ومن الناس من يشترى لهو الحديث الى آخر الآية * وقال آخرون بل معنى ذلك من يختار لهو الحديث ويستحبه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم والله لعله أن لا ينفق فيه مالا ولكن اشتراؤه استحبابه بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق وما يضر على ما ينفع حدثنى محمد بن خلف العسقلانى قال ثنا أيوب بن سويد قال ثنا ابن شوذب عن مطر فى قول الله ومن الناس من يشترى لهو الحديث قال شراؤه استحبابه * وأولى التأويلين عندى بالصواب تأويل من قال معناه الشراء الذى هو بالثمن وذلك أن ذلك هو أظهر معنييه * فان قال قائل وكيف يشترى لهو الحديث قيل يشترى ذات لهو الحديث أو ذا لهو الحديث فيكون مشتريا لهو الحديث وأما الحديث فان أهل التأويل اختلفوا فيه فقال بعضهم هو الغناء والاستماع له ذكر من قال ذلك حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يزيد بن يونس عن أبى صخر عن أبى معاوية البجلى عن سعيد بن جبير عن أبى الصهباء البكرى أنه سمع عبد الله بن مسعود وهو يسئل عن هذه الآية ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم فقال عبد الله الغناء والذى لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات حدثنا عمرو بن على قال ثنا صفوان بن عيسى قال أخبرنا

الحى بنور الله من النفس الميتة فى ظلمات صفاتها ابرازا للطفه ويخرج القلب الميت عن الاخلاق الحميدة من النفس الحية بالصفات الحيوانية اظهارا لقهره ويحيى أرض القلوب بعد موتها وكذلك تخرجون بدأ واعادة فمن آياته خلق سموات القلوب وأرض النفوس واختلاف ألسنة القلوب وألسنة النفوس فلسان القلب يتكلم بلغة العلويات ولسان النفس يتكلم بلغات السفليات واختلاف ألوانكم وهى الطبائع المختلفة منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ومنكم من يريد الله ومن آياته منامكم فى ليل البشرية وابتغاؤكم من فضله فى نهار الروحانية والمكاشفات الربانية لقوم يسمعون كلام الله من شجرة الوجود ويريكم بروق شواهد الحق ثم اللوامع ثم الطوالع فتلك الانوار ترى شهوات الدنيا نيرانا فيخاف منها وترى مكاره التكاليف جنانا فيطمع فيها أن تقوم سماء النفس وأرض القلب بأمره لأن الروح من أمره ثم اذا دعاكم بجذبة ارجعى اذا أنتم يعنى النفس والقلب والروح تخرجون من أنانية وجودكم وهو أهون عليه لأنه فى البداية كان مباشرا بنفسه وفى الاعادة يكون المباشر اسرافيل بنفخه والمباشرة بنفس الغير فى العمل أهون من المباشرة بنفسه عند نظر الخلق ويحتمل أن يكون أهون من الهون بالضم وهو الذلة والضمير للخلق وذلك أنهم فى البداية لم يكونوا مؤمنين بلوث الحدوث ولا مدنسين بأدناس الشرك والمعاصى فلعزتهم فى البداية باشر خلقهم بنفسه ولهوانهم فى الاعادة باشرهم بغيره وله المثل الأعلى فيما أودع من الآيات فى سموات الأرواح وأرض القلوب ضرب لكم أى للروح والقلب والسر والعقل مما ملكت أيمانكم

من الاعضاء والجوارح والحواس والقوى فيما رزقناكم من العلوم والكشوف تخافونهم أن لا يضيعوا شيأ من المواهب بالتصرفات الفاسدة تخيفتكم انفسكم أى تخيفة الروح من القلب (٤٠) أن لا يضيع شيأ منها بأن يصرفها فى غير موضعها رياء وسمعة وهوى أو تخيفة القلب من السر والعقل بأن يصرفها فيما يفسد العقائد ويوقع فى الشكوك فكما لا يصلح هؤلاء لشركتكم فكذلك لا تصلحون أنتم لشركتى اذا تجليت عليكم فدعوى الاتحاد والحلول باطلة والكبرياء ردائى لاغير ﴿واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا أذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون واذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم اذا هم يقنطون أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ سبحانه وتعالى عما يشركون ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا الحديث فلأنفسهم يمهدون ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله انه لا يحب الكافرين ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم

حميد الخراط عن عمار عن سعيد بن جبير عن أبى الصهباء أنه سأل ابن مسعود عن قول الله ومن الناس من يشترى لهو الحديث قال الغناء حدثنا أبو كريب قال ثنا على بن عابس عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ومن الناس من يشترى لهو الحديث قال الغناء حدثنا عمرو ابن على قال ثنا عمران بن عيينة قال ثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ومن الناس من يشترى لهو الحديث قال الغناء وأشباهه حدثنا ابن وكيع والفضل بن الصباح قالا ثنا محمد بن فضيل عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله ومن الناس من يشترى لهو الحديث قال هو الغناء ونحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام بن سلم عن عمرو ابن أبى قيس عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله حدثنا الحسين بن عبد الرحمن الأنماطى قال ثنا عبيد الله قال ثنا ابن أبى ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال هو الغناء والاستماع له يعنى قوله ومن الناس من يشترى لهو الحديث حدثنا الحسن بن عبد الرحيم قال ثنا عبيد الله بن موسى قال ثنا سفيان عن قابوس بن أبى ظبيان عن أبيه عن جابر فى قوله ومن الناس من يشترى لهو الحديث قال هو الغناء والاستماع له حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن ابن أبى ليلى عن الحكم أو مقسم عن مجاهد عن ابن عباس قال شراء المغنية حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص والمحاربى عن ليث عن الحكم عن ابن عباس قال الغناء حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله قال باطل الحديث هو الغناء ونحوه حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب عن مجاهد ومن الناس من يشترى لهو الحديث قال الغناء حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر وعبد الرحمن بن مهدى عن شعبة عن الحكم عن مجاهد أنه قال فى هذه الآية ومن الناس من يشترى لهو الحديث قال الغناء حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن حبيب عن مجاهد قال الغناء * قال ثنا أبى عن شعبة عن الحكم عن مجاهد مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا الاشجعى عن سفيان عن عبد الكريم عن مجاهد ومن الناس من يشترى لهو الحديث قال هو الغناء وكل لعب ولهو حدثنا الحسين بن عبد الرحمن الأنماطى قال ثنا على بن حفص الهمدانى قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ومن الناس من يشترى لهو الحديث قال الغناء والاستماع له وكل لهو حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ومن الناس من يشترى لهو الحديث قال المغنى والمغنية بالمال الكثير أو استماع اليه أو الى مثله من الباطل حدثنى يعقوب وابن وكيع قالا ثنا ابن علية عن ليث عن مجاهد فى قوله ومن الناس من يشترى لهو الحديث قال هو الغناء أو الغناء منه أو الاستماع له حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام بن على عن اسمعيل بن أبى خالد عن شعيب بن يسار عن عكرمة قال لهو الحديث الغناء حدثنى عبيد بن اسمعيل الهبارى قال ثنا عثام عن اسمعيل ابن أبى خالد عن شعيب بن يسار هكذا قال عكرمة عن عبيد مثله حدثنا الحسين بن الزبرقان النخعى قال ثنا أبو أسامة وعبيد الله عن أسامة عن عكرمة فى قوله ومن الناس من يشترى لهو

من رحمته ولتجرى الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من
الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا (٤١) فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا

الحديث قال الغناء حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أسامة بن زيد عن عكرمة قال الغناء
« وقال آخرون عنى باللهو الطبل ذكر من قال ذلك حدثنى عباس بن محمد قال ثنا حجاج
الأعور عن ابن جريج عن مجاهد قال اللهو الطبل « وقال آخرون عنى بلهو الحديث الشرك ذكر
من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك
يقول فى قوله ومن الناس من يشترى لهو الحديث يعنى الشرك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن
وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم
ويتخذها هزوا قال هؤلاء أهل الكفر ألا ترى الى قوله واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم
يسمعها كأن فى أذنيه وقرا فليس هكذا أهل الاسلام قال وناس يقولون هى فيكم وليس كذلك
قال وهو الحديث الباطل الذى كانوا يلعبون فيه « والصواب من القول فى ذلك أن يقال عنى به كل
ما كان من الحديث ملهيا عن سبيل الله مما نهى الله عن استماعه أو رسوله لأن الله تعالى عم بقوله
لهو الحديث ولم يخصص بعضا دون بعض فذلك على عمومه حتى يأتى ما يدل على خصوصه
والغناء والشرك من ذلك وقوله ليضل عن سبيل الله يقول ليصد ذلك الذى يشترى من لهو
الحديث عن دين الله وطاعته وما يقرب اليه من قراءة قرآن وذكر الله « ونحو الذى قلنا فى ذلك
قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى
قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ليضل عن سبيل الله قال سبيل الله قراءة القرآن وذكر الله
اذا ذكره وهو رجل من قريش اشترى جارية مغنية وقوله بغير علم يقول فعل ما فعل من اشترائه
لهو الحديث جهلا منه بما له فى العاقبة عند الله من وزر ذلك واثمه وقوله ويتخذها هزوا اختلفت
القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة ويتخذها رفعا عطفا به
على قوله يشترى كأن معناه عندهم ومن الناس من يشترى لهو الحديث و يتخذ آيات الله هزوا
« وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ويتخذها نصبا عطفا على يضل بمعنى ليضل عن سبيل الله وليتخذها
هزوا « والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان فى قراء الأمصار متقاربتا المعنى
فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فى قراءته والهاء والالف فى قوله ويتخذها من ذكر
سبيل الله ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى
وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد
فى قول الله ويتخذها هزوا قال سبيل الله « وقال آخرون بل ذلك من ذكر آيات الكتاب حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث
الباطل على حديث الحق وما يضر على ما ينفع و يتخذها هزوا يستهزئ بها ويكذب بها وهما من أن
يكونا من ذكر سبيل الله أشبه عندى لقربهما منها وان كان القول الآخر غير بعيد من الصواب
وانخاذه ذلك هزوا هو استهزاؤه به وقوله أولئك لهم عذاب مهين يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين
وصفنا أنهم يشترون لهو الحديث ليضلوا عن سبيل الله لهم يوم القيامة عذاب مذل مخزى فى نار جهنم
﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه
وقرا فبشره بعذاب أليم ﴾ يقول تعالى ذكره واذا تتلى على هذا الذى اشترى لهو الحديث للاضلال

فترى الودق يخرج من خلاله فاذا
أصاب به من يشاء من عباده اذا هم
يستبشرون وان كانوا من قبل أن
ينزل عليهم من قبله لمبلسين فانظر
الى آثار رحمة الله كيف يحيى
الارض بعد موتها ان ذلك لمحيى
الموتى وهو على كل شئ قدير ولئن
أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا
من بعده يكفرون فانك لا تسمع
الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا
ولوا مدبرين وما أنت بهادى العمى
عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن
بآياتنا فهم مسلمون الله الذى خلقكم
من ضعف ثم جعل من بعد ضعف
قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا
وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم
القدير ويوم تقوم الساعة يقسم
المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك
كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم
والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله
الى يوم البعث فهذا يوم البعث
ولكنكم كنتم لا تعلمون فيومئذ
لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم
يستعتبون ولقد ضربنا للناس
فى هذا القرآن من كل مثل ولئن
جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان
أنتم الا مبطلون كذلك يطبع الله
على قلوب الذين لا يعلمون فاصبر
ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين
لا يوقنون ﴾ القراآت آتيتم من
ربا مقصورا ابن كثير اتربوا بضم التاء
وسكون الواو على الجمع أبو جعفر
ونافع وسهل ويعقوب لنذيقهم
بالنون ابن مجاهد وأبو عون عن
قنبل يرسل الريح على التوحيد

ابن كثير وحمزة وعلى وخلف كسفا بالسكون يزيد وابن
ذكوان آثار على الجمع ابن عامر وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبى بكر وحماد ضعف وما بعده بفتح الضاد حمزة وعاصم غير المفضل الباقون

بالضم وهو اختيار خلف وحفص لا ينفع بياء الغيبة حمزة وعلي وخلف وعاصم والآخرون بتاء التأنيث لا يستخفك بالنون الخفيفة رويس عن يعقوب ۞ الوقوف يشركون ٥ لا وقد يوقف على توهم لام الأمر آتيناهم ط للعدول الى الخطاب وابتداء أمر التهديد فتمتعوا قف لاستئناف التهديد تعلمون ٥ يشركون ٥ بها ج ط فصلا بين النقيضين يقنطون ٥ ويقدر ج يؤمنون ٥ وابن السبيل ط وجه الله ز ط المفلحون ٥ عند الله ج ط لعطف جملتي الشرط المضعفون ٥ يحييكم ط شئ ط يشركون ٥ يرجعون ٥ من قبل ط مشركين ٥ يصدعون ٥ كفره ج لما مر يمهدون ٥ لا وقد يوقف على جعل اللام للقسم وحذف نون التأكيد من فضله ٥ الكافرين ٥ تشكرون ٥ أجرموا ط وقيل يوقف على حقا أي وكان الانتقام حقا ثم ابتدأ علينا أي واجب علينا نصر المؤمنين ٥ خلاله ط ج للشرط مع الفاء يستبشرون ٥ لمبلسين ٥ موتها ط الموتى ج لاتفاق الجملتين مع العدول عن بيان الاحياء الى بيان القدرة قدير ٥ يكفرون ٥ مدبرين ٥ ضلالتهم ط مسلمون ٥ وشيبة ط ما يشاء ج ط لاختلاف الجملتين مع اتحاد المقول القدير ٥ المجرمون ٥ لا لان ما بعده جواب القسم غير ساعة ط يؤفكون ٥ يوم البعث ز لاختلاف الجملتين مع اتحاد المقول لا تعلمون ٥ يستعتبون ٥ مثل ط مبطلون ٥ لا يعلمون ٥ لا يوقنون ٥ ۞ التفسير لما بين التوحيد بالدلائل وبالمثل بين أنه أمر وجداني يعرفونه في حال الضر والبلاء وان كانوا ينكرونه في حال الرحمة والرخاء وفي لفظي المس والاذاقة دليل على أن الانسان قليل الصبر في حالتي الضراء والسراء وانما قال (اذا فريق منهم) ولم يقل اذا هم يشركون كما قال في آخر العنكبوت لان الكلام هناك مع أهل الشرك وههنا مع الناس كلهم وليس كل الناس كذلك ثم استفهم على سبيل الانكار

عن سبيل الله آيات كتاب الله فقرئت عليه ولى مستكبرا يقول أدبر عنها واستكبر استكبارا وأعرض عن سماع الحق والاجابة عنه كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا يقول ثقلا فلا يطيق من أجله سماعه كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله في أذنيه وقرا قال ثقلا وقوله فبشره بعذاب أليم يقول تعالى ذكره فبشر هذا المعرض عن آيات الله اذا تليت عليه استكبارا بعذاب له من الله يوم القيامة موجع وذلك عذاب النار ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين آمنوا بالله فوحدوه وصدقوا رسوله واتبعوه وعملوا الصالحات يقول فأطاعوا الله فعملوا بما أمرهم في كتابه وعلى لسان رسوله وانتهوا عما نهاهم عنه لهم جنات النعيم يقول لهؤلاء بساتين النعيم خالدين فيها يقول ماكثين فيها الى غير نهاية وعد الله حقا يقول وعدهم الله وعدا حقا لا شك فيه ولا خلف له وهو العزيز يقول وهو الشديد في انتقامه من أهل الشرك به والصادين عن سبيله الحكيم في تدبير خلقه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ يقول تعالى ذكره ومن حكمته أنه خلق السموات السبع بغير عمد ترونها وقد ذكرت فيما مضى اختلاف أهل التأويل في معنى قوله بغير عمد ترونها وبينا الصواب من القول في ذلك عندنا وقد حدثنا ابن وكيع قال ثنا معاذ بن معاذ عن عمران بن حدير عن عكرمة عن ابن عباس بغير عمد ترونها قال لعلها بعمد لا ترونها ٭ وقال ثنا العلاء بن عبد الجبار عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن بن مسلم عن مجاهد قال انها بعمد لا ترونها ٭ قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال لعلها بعمد لا ترونها حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد عن سماك عن عكرمة في هذا الحرف خلق السموات بغير عمد ترونها قال ترونها بغير عمد وهي بعمد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة خلق السموات بغير عمد ترونها قال قال الحسن وقتادة انها بغير عمد ترونها ليس لها عمد وقال ابن عباس بغير عمد ترونها قال لها عمد لا ترونها وقوله وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم يقول وجعل على ظهر الأرض رواسي وهي ثوابت الجبال أن تميد بكم أن لا تميد بكم يقول أن لا تضطرب بكم ولا تحرك يمنة ولا يسرة ولكن تستقر بكم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وألقى في الأرض رواسي أي جبالا أن تميد بكم أثبتها بالجبال ولولا ذلك ما أقرت عليها خلقا وذلك كما قال الراجز

والمهر يأبى أن يزال ملهبا ٭ يعني لا يزال وقوله وبث فيها من كل دابة يقول وفرق في الأرض من كل أنواع الدواب وقيل الدواب اسم لكل ما أكل وشرب وهو عندي لكل مادب على الأرض وقوله وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم يقول تعالى ذكره وأنزلنا من السماء مطرا فأنبتنا بذلك المطر في الارض من كل زوج يعني من كل نوع من النبات كريم وهو الحسن النبتة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من كل زوج كريم أي حسن ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين﴾ يقول

قالا (أم أنزلنا) كأنه قال اذا تقررت الحجج المذكورة فماذا يقولون أيتبعون أهواءهم بغير علم أم لهم دليل على ما يقولون واسناد التكلم الى الدليل مجاز كما تقول نطقت الحال بكذا وما في قوله (بما كانوا) مصدرية والضمير في (به) لله أو موصولة والضمير لها أي بالامر الذي بسببه يشركون ويجوز أن يكون على حذف المضاف أي ذا سلطان وهو الملك فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذي بسببه (يشركون) وحين ذكر الشرك الظاهر أتبعه ذكر الخفي وهو أن تكون عبادة الله للدنيا فاذا أتاه بهواه رضي واذا منع وتعسر سخط وقنط والرحمة المطر والصحة والأمن وأمثالها والسيئة أضداد ذلك وانما لم يذكر سبب الرحمة ليعلم أنها بفضله وذكر سبب السيئة وهو شؤم معاصيهم ليدل على علته والفرح بالنعمة مذموم اذا كان مع قطع النظر عن المنعم فاذا كان مع ملاحظة المنعم فمحمود بل الفرح الكلي يجب أن يكون بالمنعم والقنوط من رحمة الله أيضا مذموم كما مر في قوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ثم أشار بقوله (أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء) الى أن الكل من الله فيجب أن يكون نظر المحقق في الحالين على الله ففي حالة الرحمة يشتغل بالشكر وفي حالة الضراء لا ينسب الله الى عدم القدرة والى عدم العناية بحال العبد بل يشتغل بالتوبة والانابة الى أوان الفرج والنصر وهذه مرتبة المؤمن الموحد فلذلك قال (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) ولا يخفى أن بسط الرزق مما يشاهد ويرى فلذلك قال أولم يروا وقال في الزمر أولم يعلموا مناسبة لما قبله وهو أو تيته على علم وقوله (ولكن أكثرهم لا يعلمون)

تعالى ذكر هذا الذي عددت عليكم أيها الناس أني خلقته في هذه الآية خلق الله الذي له ألوهة كل شيء وعبادة كل خلق الذي لا تصلح العبادة لغيره ولا تنبغي لشيء سواه فأروني أيها المشركون في عبادتكم اياه من دونه من الآلهة والأوثان أي شيء خلق الذين من دونه من آلهتكم وأصنامكم حتى استحقت عليكم العبادة فعبدتموها من دونه كما استحق ذلك عليكم خالقكم وخالق هذه الأشياء التي عددتها عليكم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هذا خلق الله ماذا خلق الذين من دونه الاصنام الذين تدعون من دونه وقوله بل الظالمون في ضلال مبين يقول تعالى ذكره ما عبد هؤلاء المشركون الأوثان والأصنام من أجل أنها تخلق شيأ ولكنهم دعاهم الى عبادتها ضلالهم وذهابهم عن سبيل الحق فهم في ضلال يقول فهم في جور عن الحق وذهاب عن الاستقامة مبين يقول بين لمن تأمله ونظر فيه وفكر بعقل أنه ضلال لا هدى ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد آتينا لقمان الفقه في الدين والعقل والاصابة في القول * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولقد آتينا لقمان الحكمة قال الفقه والعقل والاصابة في القول من غير نبوة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد آتينا لقمان الحكمة أي الفقه في الاسلام قال قتادة ولم يكن نبيا ولم يوح اليه حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا يونس عن مجاهد في قوله ولقد آتينا لقمان الحكمة قال الحكمة الصواب وقال غير أبي بشر الصواب في غير النبوة حدثنا ابن المثنى ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد أنه قال كان لقمان رجلا صالحا ولم يكن نبيا حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي وابن حميد قالا ثنا حكام عن سعيد الزبيدي عن مجاهد قال كان لقمان الحكيم عبدا حبشيا غليظ الشفتين مصفح القدمين قاضيا على بني اسرائيل حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي قال ثنا يحيى بن عيسى عن الاعمش عن مجاهد قال كان لقمان عبدا أسود عظيم الشفتين مشقق القدمين حدثني عباس بن محمد قال ثنا خالد بن مخلد قال ثنا سليمان بن بلال قال ثني يحيى بن سعيد قال سمعت سعيد بن المسيب يقول كان لقمان الحكيم أسود من سودان مصر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أشعث عن عكرمة عن ابن عباس قال كان لقمان عبدا حبشيا حدثنا العباس بن الوليد قال أخبرنا أبي قال ثنا الاوزاعي قال ثنا عبد الرحمن بن حرملة قال جاء أسود الى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد لا تحزن من أجل أنك أسود فانه كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب ولقمان الحكيم كان أسود نوبيا ذا مشافر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي الأشهب عن خالد الرعي قال كان لقمان عبدا حبشيا نجارا فقال له مولاه اذبح لنا هذه الشاة فذبحها قال أخرج أطيب

قال جار الله لما ذكر أن السيئة أصابتهم بما قدمت أيديهم أتبعه ذكر ما يجب أن يفعل وما يجب أن يترك قائلا (فآت ذا القربى حقه) الآية وأقول لما بين كيفية التعظيم لامر الله أشار الى الشفقة على خلق الله قائلا فآت أيها المكلف أو النبي والامة يتبعونه لا محالة

كامر فى قوله فأقم وجهك وفيه أن الله اذا بسط الرزق فلا ينقص بالانفاق واذا ضيق لم يزدد بالامساك فينبغى ان لا يتوقف الانسان فى الاحسان وفى تخصيص الاصناف الثلاثة بالذكر دلالة على أنهم أولى بالاشفاق عليهم من سائر الاصناف وانما قال ذا القربى ولم يقل القريب ليكون نصا فى معناه ولا يشتبه بالقرب المكانى وفيه أن القرابة أمر له دوام بخلاف المسكنة وكونه من أبناء السبيل وفى قوله فآت ذا القربى حقه دون أن يقول فآت هذه الاصناف حقوقهم تشريف لذوى القرابة حيث جعل الصنفين الآخرين تابعا لهم على الاطلاق فانه اذا قال الملك خل فلانا يدخل وفلانا أيضا كان أدخل فى التعظيم من أن يقول خل فلانا وفلانا يدخلان (ذلك) الايتاء (خير) فى نفسه أو خير من المنع (للذين يريدون وجه الله) أى ذاته أو جهة قربته فان من أنفق أو فارياء وسمعة لم ينل درجة من أنفق رغبة لوجه الله (وأولئك هم المفلحون) كقوله فى أول البقرة لان قوله فأقم وجهك اشارة الى الايمان بالغيب وغيره أو الى اقامة الصلاة وقوله وآت ذا القربى أمر بالزكاة بل بالصدقة المطلقة وفى قوله يريدون وجه الله اشارة الى الاعتراف بالمعاد ثم أراد أن يعظم شأن الصدقة فضم الى ذلك تقبيح أمر الربا استطرادا فمن قرأ ممدودا فظاهر ومن قرأ مقصورا فهو من الاتيان أى وما غشيتموه أو أصبتموه من اعطاء ربا ليربو أى ليزيد فى أموال أكلة الربا وفى القراءة الاخرى ليزيد فى أموالهم (فلا يربو) فلا يزكو ولا ينمو (عند الله) لانه يمحق بركتها نظيره مامر فى آخر البقرة يمحق الله الربا ويربى الصدقات قيل نزلت فى ثقيف وكانوا يرابون وقيل نزلت فى الهبة أو الاهداء لاجل عوض زائد فبين الله تعالى أن ذلك لا يوجب الثواب وفضله عند الله وان كان مباحا وفى الحديث الجانب المستغزر يثاب عن هبته أى الرجل الغريب اذا أهدى شيأ فانه ينبغى أن يزاد فى عوضه

مضغتين فيها فأخرج اللسان والقلب ثم مكث ما شاء الله ثم قال اذبح لنا هذه الشاة فذبحها فقال أخرج أخبث مضغتين فيها فأخرج اللسان والقلب فقال له مولاه أمرتك أن تخرج أطيب مضغتين فيها فأخرجتهما وأمرتك أن تخرج أخبث مضغتين فيها فأخرجتهما فقال له لقمان انه ليس من شئ أطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما اذا خبثا حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم قال ثنا عمرو بن قيس قال كان لقمان عبدا أسود غليظ الشفتين مصدع القدمين فأتاه رجل وهو فى مجلس أناس يحدثهم فقال له ألست الذى كنت ترعى معى الغنم فى مكان كذا وكذا قال نعم قال فما بلغ بك ما أرى قال صدق الحديث والصمت عما لا يعنينى حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن رجل عن مجاهد ولقد آتينا لقمان الحكمة قال القرآن * قال ثنا أبى عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الحكمة الأمانة * وقال آخرون كان نبيا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى عن اسرائيل عن جابر عن عكرمة قال كان لقمان نبيا وقوله أن اشكر لله يقول تعالى ذكره ولقد آتينا لقمان الحكمة أن احمد الله على ما آتاك من فضله وجعل قوله أن اشكر ترجمة عن الحكمة لأن من الحكمة التى كان أوتيها كان شكره الله على ما آتاه وقوله فمن يشكر فانما يشكر لنفسه يقول ومن يشكر الله على نعمه عنده فانما يشكر لنفسه لأن الله يجزل له على شكره اياه الثواب وينقذه به من الهلكة ومن كفر فان الله غنى حميد يقول ومن كفر نعمة الله عليه الى نفسه أساء لأن الله معاقبه على كفرانه اياه والله غنى عن شكره اياه على نعمه لا حاجة به اليه لأن شكره اياه لا يزيد فى سلطانه ولا ينقص كفرانه اياه من ملكه ويعنى بقوله حميد محمود على كل حال له الحمد على نعمه كفر العبد نعمته أو شكره عليها وهو مصروف من مفعول الى فعيل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ﴾ يقول تعالى ذكره ولنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد اذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله لقمان الشرك لظلم عظيم يقول لخطأ من القول عظيم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك الى المصير ﴾ يقول تعالى ذكره وأمرنا الانسان ببر والديه حملته أمه وهنا على وهن يقول ضعفا على ضعف وشدة على شدة ومنه قول زهير

فلن يقولوا بجبل واهن خلق * لو كان قومك فى أسبابه هلكوا

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل غير أنهم اختلفوا فى المعنى بذلك فقال بعضهم عنى به الحمل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن يقول شدة بعد شدة وخلقا بعد خلق حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وهنا على وهن يقول ضعفا على ضعف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله حملته أمه وهنا على وهن أى جهدا على جهد * وقال آخرون بل عنى به وهن الولد وضعفه على ضعف الأم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وهنا على وهن قال وهن الولد على وهن الوالدة وضعفها وقوله

قال جار الله فى قوله (فأولئك) التفات حسن كأنه قال ذلك لخواصه وملائكته وهو أمدح لهم من أن يقول فأنتم المضعفون أى ذوو الاضعاف من الحسنات نظيره المقوى والموسر لذوى القوة واليسار والرابط محذوف أى (٤٥) هم المضعفون به وجوز فى الكشاف أن يراد

وفصاله فى عامين يقول وفطامه فى انقضاء عامين وقيل وفصاله فى عامين وترك ذكر انقضاء اكتفاء بدلالة الكلام عليه كما قيل واسأل القرية التى كنا فيها يراد به أهل القرية وقوله أن اشكرلى ولوالديك يقول وعهدنا اليه أن اشكرلى على نعمى عليك ولوالديك تربيتهما اياك وعلاجهما فيك ما عالجا من المشقة حتى استحكم قواك وقوله الى المصير يقول الى الله مصيرك أيها الانسان وهو سائلك عما كان من شكرك له على نعمه عليك وعما كان من شكرك لوالديك وبرك بهما على ما قاسيا منك من العناء والمشقة فى حال طفوليتك وصباك وما اصطنعا اليك فى برهما بك وتحننهما عليك وذكر أن هذه الآية نزلت فى شأن سعد بن أبى وقاص وأمه ذكر الرواية الواردة فى ذلك حدثنا هناد بن السرى قال ثنا أبو الأحوص عن سماك بن حرب عن مصعب بن سعد قال حلفت أم سعد أن لا تأكل ولا تشرب حتى يتحول سعد عن دينه قال فأبى عليها فلم تزل كذلك حتى غشى عليها قال فأتاها بنوها فسقوها قال فلما أفاقت دعت الله عليه فنزلت هذه الآية ووصينا الانسان بوالديه الى قوله فى الدنيا معروفا حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك بن حرب عن مصعب بن سعد عن أبيه قال قالت أم سعد لسعد أليس الله قد أمر بالبر تالله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أموت أو تكفر قال فكانوا اذا أرادوا أن يطعموها نجروا فاها بعصا ثم أوجروها فنزلت هذه الآية ووصينا الانسان بوالديه حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن سماك بن حرب قال قال سعد بن مالك نزلت فىّ وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا قال لما أسلمت حلفت أمى لا تأكل طعاما ولا تشرب شرابا قال فناشدتها أول يوم فأبت وصبرت فلما كان اليوم الثانى ناشدتها فأبت فلما كان اليوم الثالث ناشدتها فأبت فقلت والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت قبل أن أدع دينى هذا فلما رأت ذلك وعرفت أنى لست فاعلا أكلت حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى اسحق قال سمعت أبا عبيرة يقول قال نزلت هذه الآية فى سعد بن أبى وقاص وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما الآية ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب الىّ ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ﴾ يقول تعالى ذكره وان جاهدك أيها الانسان والداك على أن تشرك بى فى عبادتك اياى ما ليس بحق مما لا تعلم أنه لى شريك ولا شريك له تعالى ذكره علوا كبيرا فلا تطعهما فيما أرادا ك من الشرك بى وصاحبهما فى الدنيا معروفا يقول وصاحبهما فى الدنيا بالطاعة لهما فيما لا اثم فيه فيما بينك وبين ربك ولا اثم وقوله واتبع سبيل من أناب الىّ يقول واسلك طريق من رجع من شركه ورجع الى الاسلام واتبع محمدا صلى الله عليه وسلم ، وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واتبع سبيل من أناب الىّ أى من أقبل الىّ وقوله الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون فان الله مصيركم ومعادكم بعد مماتكم فأخبركم بجميع ما كنتم فى الدنيا تعملون من خير وشر ثم أجازيكم على أعمالكم المحسن منكم باحسانه والمسىء باساءته فان قال لنا قائل ما وجه اعتراض هذا الكلام بين الخبر عن وصيتى لقمان ابنه قيل ذلك أيضا وان كان خبرا من الله تعالى ذكره عن وصيته

فؤتوه أولئك هم المضعفون قالت العلماء أراد الاضعاف فى الثواب لا فى المقدار فليس من أعطى رغيفا فان الله يعطيه عشرة أرغفة وانما المراد أن الرغيف الواحد لو اقتضى أن يكون ثوابه قصرا فى الجنة فان الله تعالى يعطيه عشرة قصور تفضلا ثم عاد الى بيان التوحيد مرة أخرى بتذكير الخلق والرزق والاماتة والاحياء بعدها نظرا الى الدلائل ثم طلب منهم الانصاف بقوله (هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ) قال جار الله من الاولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتأكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم قلت الاولى للتبعيض كأنه أقام فعل البعض مقام فعل الكل توسعة على الخصم والثالثة لتأكيد الاستفهام والمتوسطة للابتداء ولكنه يفيد أنه رضى منهم بشئ واحد من تلك الأشياء للتوسعة المذكورة أيضا ثم بين أن الشرك وسائر المعاصى سبب ظهور الفساد فى البر والبحر وذلك لقلة المنافع وكثرة المضار ومحق البركات من كل شئ وفسره ابن عباس باجداب البر واقطاع مادة البحر وتمؤجه بمائه وعن الحسن المراد بالبحر مدن البحر وقراه التى على سواحله وقال عكرمة العرب تسمى الأمصار بحارا (لنذيقهم) وبال بعض أعمالهم فى الدنيا قبل أن نعاقبهم بجميعها فى الآخرة ارادة أن يرجعوا عما هم عليه وجوز جار الله أن يراد ظهر الشر والمعاصى فى البر والبحر بكسب الناس وعلى هذا فاللام فى قوله لنذيقهم لام العاقبة ثم أمرهم بالنظر فى حال أشكالهم الذين كانت أفعالهم أفعالهم كقوم نوح وعاد وثمود (كان أكثرهم مشركين) فيه اشارة الى أن بعضهم كانوا مرتكبى مادون الشرك من المعاصى ولكنهم

شاركوا المشركين فى الهلاك تغليظا عليهم اوهو كقوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة أو المراد أن اهل الشرك كانوا اكثر من أهل سائر الاديان الباطلة كالمعطلة والمجسمة ونحوهم خاطب نبيه وبتبعيته أمته بقوله فأقم كأنه قال واذ قد ظهر بطلان سائر الملل والنحل (فأقم وجهك للدين) البليغ الاستقامة (من قبل أن يأتى) من الله (يوم) لا يرده راد ويجوز أن يتعلق قوله من الله بقوله لا مرد أى لا راد له من جهة الله فلا يقدر غيره على رده فلا دافع له أصلا (يومئذ يصدعون) أى يتصدعون والتصدع التفرق ثم بين وجه تفرق الناس بقوله (من كفر فعليه كفره) أى وبال كفره عليه لا على غيره (ومن عمل صالحا) أى آمن وعمل صالحا لان العمل الصالح لا يتصور الا بعد الايمان على أن الايمان أيضا عمل صالح قلبى ولسانى وسيصرح به فى قوله ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات ومعنى (يمهدون) يوطئون كما يسوى الراقد مضجعه وجوز جار الله أن يراد فعلى أنفسهم يشفقون من قولهم فى المشفق أم فرشت فأنامت وذلك أن الاشفاق يلزمه التمهيد عرفا وعادة ثم بين غاية التمهيد بقوله (ليجزى) وقوله (من فضله) عند أهل السنة ظاهر وحمله المعتزلة على شبه الكناية لان الفضل تبع للثواب فلا يكون الابعد حصول ما هو تبع له أو الفضل بمعنى العطاء والثواب وفى قوله (انه لا يحب الكافرين) وعيد عظيم لهم لانه اذا لم يحبهم أرحم الراحمين فلا يتصور لهم خلاص من عذابه ولا مناص ولا رحمة من جهته ولا نعمة وفيه تعريض بأنه يحب المؤمنين ولا وعد أعظم من هذا ولا شرف فوق ذلك قال جار الله تكرير الذين آمنوا وعملوا الصالحات وترك الضمير الى الصريح لتقرير أنه لا يفلح عنده الا المؤمن الصالح وقوله انه لا يحب الكافرين تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس قلت يشبه أن يكون مراده أنه ذكر الكافر أولا ثم المؤمن وفى الآية الثانية قرر أولا أمر المؤمن ثم أيده

عباده به وأنه انما أوصى به لقمان ابنه فكان معنى الكلام واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ولا تطع فى الشرك به والديك وصاحبهما فى الدنيا معروفا فان الله وصى بهما فاستؤلف الكلام على وجه الخبر من الله وفيه هذا المعنى فذلك وجه اعتراض ذلك بين الخبر عن وصيته ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير ﴾ اختلف أهل العربية فى معنى الهاء والالف اللتين فى قوله انها فقال بعض نحويى البصرة ذلك كناية عن المعصية والخطيئة ومعنى الكلام عنده يا بنى ان المعصية ان تك مثقال حبة من خردل أو ان الخطيئة وقال بعض نحويى الكوفة هذه الهاء عماد وقال أنث تك لانه يراد بها الحبة فذهب بالتأنيث اليها كما قال الشاعر

وتشرق بالقول الذى قد أذعته * كما شرقت صدر القناة من الدم

وقال صاحب هذه المقالة يجوز نصب المثقال ورفعه قال فمن رفع رفعه بتك واحتملت الكناية لا يكون لها فعل فى كان وليس وأخواتها ومن نصب جعل فى تكن اسما مضمرا مجهولا مثل الهاء التى فى قوله انها ان تك قال ومثله قوله فانها لا تعمى الابصار قال ولو كان ان يك مثقال حبة كان صوابا وجاز فيه الوجهان وأما صاحب المقالة الأولى فان نصب مثقال فى قوله على أنه خبر وقع كان وقال رفع بعضهم فجعلها كان التى لا تحتاج الى خبر * وأولى القولين بالصواب عندى القول الثانى لأن الله تعالى ذكره لم يعد عباده أن يوفيهم جزاء سيئاتهم دون جزاء حسناتهم فيقال ان المعصية ان تك مثقال حبة من خردل يأت بها الله فيجازى بها العاملين وعد كلا العاملين أن يوفيه جزاء أعمالها فاذا كان ذلك كذلك كانت الهاء فى قوله انها بأن تكون عمادا أشبه منها بأن تكون كناية عن الخطيئة والمعصية وأما النصب فى المثقال فعلى أن فى تك مجهولا والرفع فيه على أن الخبر مضمر كأنه قيل ان تك فى موضع مثقال حبة لأن النكرات تضمر أخبارها ثم يترجم عن المكان الذى فيه مثقال الحبة وعنى بقوله مثقال حبة زنة حبة فتأويل الكلام اذا ان الأمر ان تك زنة حبة من خردل من خير أو شر عملتموه فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله يوم القيامة حتى يوفيك جزاءه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل من خير أو شر * واختلف أهل التأويل فى معنى قوله فتكن فى صخرة فقال بعضهم عنى بها الصخرة التى تحت الأرض وذلك قول روى عن ابن عباس وغيره وقالوا هى صخرة خضراء ذكر من قال ذلك حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن الأعمش عن المنهال عن عبد الله بن الحوت قال الصخرة خضراء على ظهر حوت حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك عن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن عبد الله وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم خلق الله الأرض على حوت والحوت هو الذى ذكر الله فى القرآن ن والقلم وما يسطرون والحوت فى الماء والماء على ظهر الصفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة فى الريح وهى الصخرة التى ذكر لقمان ليست فى السماء ولا فى الارض * وقال آخرون عنى بها الجبال قالوا ومعنى الكلام فتكن فى جبل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله فتكن فى صخ

بتقرير أمر الكافر أو أراد أن قوله ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات دل بصريحه على ثواب المؤمن وبتعريضه على حرمان الكافر وقوله انه لا يحب الكافرين دل بصريحه على حرمان الكافر وبتعريضه على ثواب المؤمن فالاول طرد والثانى عكس وكل منهما مقرر للآخر وحين ذكر ظهور الفساد والهلاك بسبب الشرك ذكر ظهور الصلاح وبين أنه من دلائل الوحدانية بقوله (ومن آياته أن يرسل الرياح) ولم يذكر أنه بسبب العمل الصالح لما مر من أن الكريم لا يذكر لاحسانه سببا ويذكر لاضراره سببا ومن قرأ على التوحيد فللدلالة على الجنس ومن قرأ على الجمع فاما لانه أراد الجنوب والشمال والصبا وهى رياح الرحمة دون الدبور التى هى للعذاب واما لان أكثر الرياح نافعة والضارة كالسموم قليلة جدا لا تهب الا حينا واما لان الرياح اذا اجتمعت وتراكمت حتى صارت ريحا واحدا أضرت بالاشجار والأبنية وقلعتها واذا تفرقت وصارت رياحا اعتدلت ونفعت قوله (مبشرات) أى المطر كقوله بشرا بين يدى رحمته وقيل أى بتصحيح الأهوية واصلاح الابدان وقوله (وليذيقكم) اما معطوف على ما قبله معنى كأنه قيل ليبشركم وليذيقكم بعض رحمته لان راحات الدنيا زائلة لا محالة واما معطوف على محذوف أى وليكون كذا وكذا أرسلناها وفى قوله (بأمره) اشارة الى أن مجرد هبوب الريح لا يكفى فى جريان الفلك ولكنها تجرى باذن الله وجعله الريح على اعتدال وقوام وفى قوله (ولتبتغوا من فضله) دلالة على أن ركوب البحر لأجل التجارة جائز وفى قوله (ولعلكم تشكرون) اشارة الى أن نعم الله تعالى يجب أن تقابل بالشكر وانما بنى الكلام فى هذه الآية على الخطاب بخلاف قوله لنذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون تشريفا لأهل الرحمة ورحمة الله قريب من المحسنين فكان من حقهم أن يخاطبوا ثم اشار الى أصل النبوة مع تسلية النبى صلى الله عليه وسلم بقوله (ولقد أرسلنا) واختصر الكلام

أى جبل وقوله يأت بها الله كان بعضهم يوجهه معناه الى يعلمه الله ولا أعرف يأتى به بمعنى يعلمه الا أن يكون قائل ذلك أراد أن لقمان انما وصف الله بذلك لأن الله يعلم أماكنه لا يخفى عليه مكان شئ منه فيكون وجها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن ويحيى قالا ثنا أبو سفيان عن السدى عن أبى مالك فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله قال يعلمها الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن مهدى عن سفيان عن السدى عن أبى مالك مثله وقوله ان الله لطيف خبير يقول ان الله لطيف باستخراج الحبة من موضعها حيث كانت خبير بموضعها ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان الله لطيف خبير أى لطيف باستخراجها خبير بمستقرها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل لقمان لابنه يا بنى أقم الصلاة بحدودها وأمر بالمعروف يقول وأمر الناس بطاعة الله واتباع أمره وانه عن المنكر يقول وانه الناس عن معاصى الله ومواقعة محارمه واصبر على ما أصابك يقول واصبر على ما أصابك من الناس فى ذات الله اذا أنت أمرتهم بالمعروف ونهيتهم عن المنكر ولا يصدنك عن ذلك ما نالك منهم ان ذلك من عزم الأمور يقول ان ذلك مما أمر الله به من الأمور عزما منه ، وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك قال اصبر على ما أصابك من الأذى فى ذلك ان ذلك من عزم الامور قال ان ذلك مما عزم الله عليه من الأمور يقول مما أمر الله به من الامور ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور ﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله ولا تصعر فقرأه بعض قراء الكوفة والمدنيين والكوفيين ولا تصعر على مثال تفعل وقرأ ذلك بعض المكيين وعامة قراء المدينة والكوفة والبصرة ولا تصاعر على مثال تفاعل والصواب من القول فى ذلك أن يقال انهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وتأويل الكلام ولا تعرض بوجهك عمن كلمته تكبرا واستحقارا لمن تكلمه وأصل الصعر داء يأخذ الابل فى أعناقها أو رؤسها حتى تلفت أعناقها عن رؤسها فيشبه به الرجل المتكبر على الناس ومنه قول عمرو بن حى التغلبى

وكنا اذا الجبار صعر خده ، أقمنا له من ميله فتقوما

واختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم نحو الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ولا تصعر خدك للناس يقول ولا تكبر فتحقر عباد الله وتعرض عنهم بوجهك اذا كلموك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تصعر خدك للناس يقول لا تعرض بوجهك عن الناس تكبرا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا تصعر قال الصدود والاعراض بالوجه عن الناس حدثنى على بن سهل قال ثنا زيد بن أبى الزرقاء عن جعفر بن برقان عن يزيد فى هذه الآية ولا تصعر خدك للناس قال اذا كلمك الانسان

فدل بذكر عاقبة الفريقين المجرم والمؤمن عليهما فعاقبة المجرمين الذين لم يصدقوا رسلهم الانتقام منهم وعاقبة الذين صدقوهم النصر والظفر على الاعداء وفى قوله (حقا علينا) تعظيم لأجل الايمان ورفع فى شأنهم والا فلا يجب لاحد على الله شئ ثم أراد أن يشير الى الاصل الثالث وهو المعاد فمهد لذلك مقدمة مخترعة مما تقدم ذكره وهو بيان ارسال الرياح لاجل احداث السحاب الماطر المبسوطة بعضها على الاتصال والمتفرق بعضها كسفا أى قطعا وقوله (فترى الودق) اى المطر يخرج من خلاله قدمر فى النور ثم ذكر فى ضمن ذلك عجز الانسان وقلة ثباته وتوكله وقوله من قبله مكرر للتأكيد ومعناه الدلالة على أن عهدهم بالمطر تطاول فاستحكم يأسهم وتحقق ابلاسهم وقيل أراد أنهم من قبل نزول المطر أو من قبل ما ذكرنا من ارسال الريح وبسط السحاب كانوا مبلسين وذلك أن عند رؤية السحب وهبوب الرياح قد يرجى المطر فلا يتحقق الابلاس ثم صرح بالمقصود قائلا (ان ذلك لمحيى الموتى وهو على كل شئ) من الابداء والاعادة (قدير) ثم أكد تزلزل الانسان وتذبذبه وأنه بأدنى سبب يكفر بنعمة الله فقال (ولئن أرسلنا ريحا) ضارة باردة أو حارة (فرأوه) أى رأوا أثر الرحمة وهو النبات ومن قرأ آثار فالضمير عائد الى المعنى لان آثار الرحمة النبات أيضا واسم النبات يقع على القليل والكثير وانما قال (مصفرا) ولم يقل أصفر لان تلك الصفرة حادثة وقيل فرأوا السحاب مصفرا لانه اذا كان كذلك لم يمطر ثم زاد فى تسلية رسوله بقوله (فانك لا تسمع الموتى) الى قوله (فهم مسلمون) وقدمر فى آخر النمل ثم أعاد من دلائل التوحيد دليلا آخر من الأنفس وهو خلق الآدمى وذكر أحواله وأطواره وتقلبه من ضعف الطفولية الى قوة الشباب والكهولة ومنها الى ضعف الهرم وفى قوله قال خلقكم من ضعف اشارة الى أن أساس أمر الانسان الضعف كقوله خلق الانسان من عجل وقيل من ضعف اى من نطفة وهذا التردد

لويت وجهك وأعرضت عنه محقرا له حدثنا ابن وكيع قال ثنا خالد بن حيان الرقى عن جعفر بن ميمون بن مهران قال هو الرجل يكلم الرجل فيلوى وجهه حدثنا عبد الرحمن بن الاسود قال ثنا محمد بن ربيعة قال ثنا أبو مكين عن عكرمة فى قوله ولا تصعر خدك للناس قال لا تعرض بوجهك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولا تصعر خدك للناس يقول لا تعرض عن الناس يقول أقبل على الناس بوجهك وحسن خلقك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تصعر خدك للناس قال تصعير الخد التجبر والتكبر على الناس ومحقرتهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى مكين عن عكرمة قال الاعراض * وقال آخرون انما نهاه عن ذلك أن يفعله لمن بينه وبينه صعر لا على وجه التكبر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن منصور عن مجاهد ولا تصعر خدك للناس قال الرجل يكون بينه وبين أخيه الحنة فيراه فيعرض عنه حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد فى قوله ولا تصعر خدك للناس قال هو الرجل بينه وبين أخيه حنة فيعرض عنه * وقال آخرون هو التشدق ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى عن أبى جعفر الرازى عن مغيرة عن ابراهيم قال هو التشدق حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن المغيرة عن ابراهيم قال هو التشدق أو التشدق «الطبرى يشك» حدثنا يحيى بن طلحة قال ثنا فضيل بن عياض عن منصور عن ابراهيم بمثله وقوله ولا تمش فى الأرض مرحا يقول ولا تمش فى الأرض مختالا كما حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولا تمش فى الأرض مرحا يقول بالخيلاء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور قال نهاه عن التكبر قوله ان الله لا يحب كل مختال متكبر ذى فخر كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله كل مختال فخور قال متكبر وقوله فخور قال يعتد ما أعطى الله وهو لا يشكر الله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير﴾ يقول وتواضع فى مشيك اذا مشيت ولا تستكبر ولا تستعجل ولكن اتئد * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل غير أن منهم من قال أمره بالتواضع فى مشيه ومنهم من قال أمره بترك السرعة فيه ذكر من قال أمره بالتواضع فى مشيه حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا أبو حمزة عن جابر عن مجاهد واقصد فى مشيك قال التواضع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واقصد فى مشيك قال نهاه عن الخيلاء ذكر من قال نهاه عن السرعة حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن عبد الله بن عقبة عن يزيد بن أبى حبيب فى قوله واقصد فى مشيك قال من السرعة قوله واغضض من صوتك يقول واخفض من صوتك فاجعله قصدا اذا تكلمت كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واغضض من صوتك قال أمره بالاقتصاد فى صوته حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واغضض من صوتك

فى الاطوار المختلفة أظهر دليل على وجود الصانع العليم القدير وقوله (يخلق ما يشاء) كقوله فى دليل الآفاق فيبسطه فى السماء كيف يشاء والكل اشارة الى بطلان القول بالطبيعة المستقلة ثم عاد الى ذكر المعاد وأحوال القيامة وذكر أن الكفار يستقصرون مدة لبثهم

قال اخفض من صوتك واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ان أنكر الأصوات لصوت الحمير فقال بعضهم معناه ان أقبح الأصوات ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا ابن أبى عدى عن شعبة وأبان بن تغلب قالا ثنا أبو معاوية عن جويبر عن الضحاك ان أنكر الاصوات قال ان أقبح الاصوات لصوت الحمير حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان أنكر الاصوات لصوت الحمير أى أقبح الاصوات لصوت الحمير أوله زفير وآخره شهيق أمره بالاقتصاد فى صوته حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان قال سمعت الاعمش يقول ان أنكر الاصوات (١) صوت الحمير * وقال آخرون بل معنى ذلك ان أشر الاصوات ذكر من قال ذلك حدثت عن يحيى بن واضح عن أبى حمزة عن جابر عن عكرمة والحكم بن عتيبة ان أنكر الاصوات قال أشر الاصوات * قال جابر وقال الحسن بن مسلم أشد الاصوات حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان أنكر الاصوات لصوت الحمير قال لو كان رفع الصوت هو خيرا ما جعله للحمير * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معناه ان أقبح أو أشر الاصوات وذلك نظير قولهم اذا رأوا وجها قبيحا أو منظرا شنيعا ما أنكر وجه فلان وما أنكر منظره وأما قوله لصوت الحمير فأضيف الصوت وهو واحد الى الحمير وهى جماعة فان لذلك وجهين ان شئت قلت الصوت بمعنى الجمع كما قيل لذهب بسمعهم وان شئت قلت معنى الحمير معنى الواحد لأن الواحد فى مثل هذا الموضع يؤدى عما يؤدى عنه الجمع

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ﴾

يقول تعالى ذكره ألم تروا أيها الناس أن الله سخر لكم ما فى السموات من شمس وقمر ونجم وسحاب وما فى الارض من دابة وشجر وماء وبحر وفلك وغير ذلك من المنافع يجرى ذلك كله لمنافعكم ومصالحكم لغذائكم وأقواتكم وأرزاقكم وملاذكم تتمتعون ببعض ذلك كله وتنتفعون بجميعه وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه بعض المكيين وعامة الكوفيين وأسبغ عليكم نعمته على الواحدة ووجهوا معناها الى أنه الاسلام أو الى أنها شهادة أن لا اله الا الله وقرأته عامة قراء المدينة والبصرة نعمه على الجماع ووجهوا معنى ذلك الى أنها النعم التى سخرها الله للعباد مما فى السموات والارض واستشهدوا للصحة قراءتهم ذلك كذلك بقوله شاكرا لأنعمه قالوا فهذا جمع النعم * والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان فى قراء الامصار متقاربتا المعنى وذلك أن النعمة قد تكون بمعنى الواحدة ومعنى الجماع وقد يدخل فى الجماع الواحدة وقد قال جل ثناؤه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فمعلوم أنه لم يعن بذلك نعمة واحدة وقال فى موضع آخر ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه فجمعها فبأى القراءتين قرأ القارئ ذلك فمصيب ذكر بعض من قرأ ذلك على التوحيد وفسره على ما ذكرنا عن قارئيه بهم يفسرونه حدثنى أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا حجاج قال ثنى مستور الهنائى عن حميد الاعرج عن مجاهد عن ابن عباس أنه قرأها وأسبغ عليكم نعمته ظاهرة وباطنة وفسرها الاسلام حدثت عن القراء قال ثنى شريك بن عبد الله عن

(١) لعل فيه سقطا والأصل أى أقبح الاصوات صوت الخ تأمل كتبه مصححه

في دليل الآفاق فيبسطه في السماء كيف يشاء والكل اشارة الى بطلان القول بالطبيعة المستقلة ثم عاد الى ذكر المعاد وأحوال القيامة (٤٩) وذكر أن الكفار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا أو في القبور أو فيما بين فناء الدنيا الى البعث وأن أهل العلم والايمان وهم الملائكة والانبياء وغيرهم حالهم بالعكس وذلك أن الموعود بوعد اذا ضرب له أجل يستكثر الاجل ويريد تعجيله والموعود بوعيد اذا ضرب له أجل يستقل المدة ويريد تأخيرها ومعنى (يؤفكون) يصرفون عن الصدق والتحقيق أى هكذا كان أمرهم فى الدنيا مبنيا على الظن الكاذب وكانوا يصرون بمثله ويحتمل أن يكونوا ناسين أو كاذبين ومعنى فى كتاب الله فى اللوح المحفوظ أو فى علمه وقضائه أو فيما كتب وأوجب وفيه رد قول الكفار واطلاع لهم على مصدوقية الحال قال جار الله فى الحديث ما بين فناء الدنيا الى وقت البعث اربعون قالوا لا نعلم أهى أربعون سنة أو أربعون ألف سنة وذلك وقت يغبون فيه وينقطع عذابهم والفاء فى قوله (فهذا يوم البعث) جواب شرط يدل عليه الكلام كأنه قيل ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث وبه تبين بطلان قولكم (ولكنكم كنتم لا تعلمون) أنه حق ثم بين أن ذلك اليوم لا يقبل فيه عذر من أهل الشرك وسائر انواع الظلم (ولا هم يستعتبون) أى لا يطلب منهم الرضا فلا يقال لهم أرضوا ربكم بتوبة وطاعة وقد مر فى النحل ثم بين أن القرآن مشحون بفصص وأخبار كلها كالمثل فى غرابتها وحسن مواقعها وأن الرسول مهما جاءهم بدليل أنكروه لان الذى اجترأ على العناد فى دليل واحد الأغلب أن يجترأ على أمثاله وهذا نتيجة الطبع والخذلان فلا علاج فى مثل هذه القضية الا بالصبر وتحمل أعباء الرسالة الى انجاز وعد الله بالنصرة

﴿ سورة لقمان مكية الا ثلاث آيات ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام الخ حروفها ألفان ومائة وعشرة كلمها خمسمائة وثمانية وأربعون آياتها ثلاثون ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ﴿ الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ضلال مبين ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غنى حميد واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك الى المصير وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب الى ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن الخبيئة فى صخرة أو فى السموات أو فى الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك

خصيف عن عكرمة عن ابن عباس أنه قرأ نعمة واحدة قال ولو كانت نعمه لكانت نعمة دون نعمة أو نعمة فوق نعمة « الشك من القراء » حدثنى عبد الله بن محمد الزهرى قال ثنا سفيان قال ثنا حميد قال قرأ مجاهد وأسبغ عليكم نعمته ظاهرة و باطنة قال لا اله الا الله حدثنى العباس بن أبى طالب قال ثنا ابن أبى بكير عن شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وأسبغ عليكم نعمته ظاهرة و باطنة قال كان يقول هى لا اله الا الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن حميد الاعرج عن مجاهد وأسبغ عليكم نعمته ظاهرة و باطنة قال لا اله الا الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن حميد الاعرج عن مجاهد قال لا اله الا الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن سفيان عن عيسى عن قيس عن ابن عباس نعمة ظاهرة و باطنة قال لا اله الا الله وقوله ظاهرة يقول ظاهرة على الألسن قولا وعلى الأبدان وجوارح الجسد عملا وقوله و باطنة يقول و باطنة فى القلوب اعتقادا ومعرفة وقوله ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى يقول تعالى ذكره ومن الناس من يخاصم فى توحيد الله واخلاص الطاعة والعبادة له بغير علم عنده بما يخاصم ولا هدى يقول ولا بيان يبين به صحة ما يقول ولا كتاب منير يقول ولا بتنزيل من الله جاء بما يدعى يبين حقية دعواه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ليس معه من الله برهان ولا كتاب ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير ﴾ يقول تعالى ذكره واذا قيل لهؤلاء الذين يجادلون فى توحيد الله جهلا منهم بعظمة الله اتبعوا أيها القوم ما أنزل الله على رسوله وصدقوا به فانه يفرق بين الحق منا والمبطل و يفصل بين الضال والمهتدى قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا من الأديان فانهم كانوا أهل حق قال الله تعالى ذكره أولو كان الشيطان يدعوهم بتزيينه لهم سوء أعمالهم واتباعهم اياه على ضلالتهم وكفرهم بالله وتركهم اتباع ما أنزل الله من كتابه على نبيه الى عذاب السعير يعنى عذاب النار التى تسعر وتلتهب ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور ﴾ يقول تعالى ذكره ومن يعبد وجهه متذللا بالعبودة مقرا له بالالوهة وهو محسن يقول وهو مطيع لله فى أمره ونهيه فقد استمسك بالعروة الوثقى يقول فقد تمسك بالطرف الأوثق الذى لا يخاف انقطاعه من تمسك به وهذا مثل وانما يعنى بذلك أنه قد تمسك من رضا الله باسلامه وجهه اليه وهو محسن ما لا يخاف معه عذاب الله يوم القيامة ﴿ و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبى السوداء عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى قال لا اله الا الله وقوله والى الله عاقبة الامور يقول والى الله مرجع عاقبة كل أمر خيره وشره وهو المسائل أهله عنه ومجازيهم عليه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ ﴾ يقول تعالى ذكره ومن كفر بالله فلا يحزنك كفره ولا تذهب نفسك عليهم حسرة فان مرجعهم ومصيرهم يوم القيامة الينا ونحن نخبرهم بأعمالهم

ان ذلك من عزم الامور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴿ القراآت ورحمة بالرفع حمزة وأبو عون (٥١) عن قنبل ليضل بفتح الياء ابن كثير وأبو عمرو

الخبيثة التي عملوها في الدنيا ثم نجازيهم عليها جزاءهم ان الله عليم بذات الصدور يقول ان الله ذو علم بما تكنه صدورهم من الكفر بالله وايثار طاعة الشيطان وقوله نمتعهم قليلا يقول نمهلهم في هذه الدنيا مهلا قليلا يتمتعون فيها ثم نضطرهم الى عذاب غليظ يقول ثم نوردهم على كره منهم عذابا غليظا وذلك عذاب النار نعوذ بالله منها ومن عمل يقرب منها ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون لله ما في السموات والارض ان الله هو الغني الحميد ﴾ يقول تعالى ذكره ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله يقول تعالى ذكره لنبيه محمد فاذا قالوا ذلك فقل لهم الحمد لله الذي خلق ذلك لا لمن لا يخلق شيأ وهم يخلقون ثم قال تعالى ذكره بل أكثرهم لا يعلمون يقول بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون من الذي له الحمد وأين موضع الشكر وقوله لله ما في السموات والارض يقول تعالى ذكره لله كل ما في السموات والارض من شيء ملكا كائنا ما كان ذلك الشيء من وثن وصنم وغير ذلك مما يعبد أو لا يعبد ان الله هو الغني الحميد يقول ان الله هو الغني عن عبادة هؤلاء المشركين به الاوثان والانداد وغير ذلك منهم ومن جميع خلقه لانهم ملكه وله وبهم الحاجة اليه الحميد يعني المحمود على نعمه التي أنعمها على خلقه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم ﴾ يقول تعالى ذكره ولو أن شجر الارض كلها برت أقلاما والبحر يمده يقول والبحر له مداد والهاء في قوله يمده عائدة على البحر وقوله من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله وفي هذا الكلام محذوف استغني بدلالة الظاهر عليه منه وهو يكتب كلام الله بتلك الاقلام وبذلك المداد لتكسرت تلك الاقلام ولنفد ذلك المداد ولم تنفد كلمات الله ، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء قال سألت الحسن عن هذه الآية ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام قال لو جعل شجر الأرض أقلاما وجعل البحور مدادا وقال الله ان من أمري كذا ومن أمري كذا لنفدت ماء البحور وتكسرت الاقلام حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم قال ثنا عمرو في قوله ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام قال لو برئت أقلاما والبحر مدادا فكتب بتلك الاقلام منه ما نفدت كلمات الله ولو مده سبعة أبحر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله قال قال المشركون انما هذا كلام يوشك أن ينفد قال لو كان شجر البر أقلاما ومع البحر سبعة أبحر ما كان لينفد عجائب ربي وحكمته وخلقه وعلمه ، وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبب مجادلة كانت من اليهود له ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا ابن اسحق قال ثني رجل من أهل مكة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن أحبار يهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يا محمد أرأيت قوله وما أوتيتم من العلم الا قليلا اياانا تريد أم قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا فقالوا ألست تتلو فيما جاءك أنا قد أوتينا التوراة فيها تبيان كل شيء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها في علم الله قليل وعندكم من ذلك ما يكفيكم فأنزل الله عليه فيما سألوه عنه من ذلك ولو أن ما في الارض من

وبعقوب ويخذها بالنصب يعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير أبي بكر وحماد يابني لا تشرك بسكون الياء البزي والقواس وقرأ حفص والمفضل بفتح الياء وكذا في قوله يابني أقم الباقون بكسر الياء متقال بالرفع أبو جعفر ونافع تصاعر بالألف أبو عمرو ونافع وحمزة وعلي وخلف الآخرون بالتشديد ﴿ الوقوف الم ٥ كوفي الحكيم ٥ وقف لمن قرأ ورحمة بالرفع على تقدير هو هدى ومن قرأ بالنصب على الحال والعامل معنى الاشارة في تلك فلا وقف للحسنين ٥ لا يوقنون ٥ ط المفلحون ٥ بغير علم ط قد يوقف لمن قرأ ويتخذها بالرفع والوصل أحسن لانه وان لم يكن معطوفا على ليضل فهو معطوف على يشتري هزوا ط مهين ٥ وقرا ط لانقطاع النظم مع اتصال الفاء أليم ٥ النعيم ٥ لا للحال والعامل معنى الفعل في لهم فيها ط لان التقدير وعد الله وعدا حقا ط الحكيم ٥ دابة ٥ للعدول كريم ٥ دونه ط مبين ٥ لله ط لنفسه ج حميد ٥ بالله ط وقد يوقف على لا تشرك على جعل الباء للقسم وهو تكلف عظيم ٥ بوالديه ج لانقطاع النظم مع تعلق أن اشكر بوصينا ولوالديك ط المصير ٥ معروفا ز للعدول عن بعض المأمور الى الكل مع اتفاق الجملتين الى ج لان ثم لترتيب الاخبار تعملون ٥ الله ط خبير ٥ أصابك ط الامور ٥ ج للآية ووقوع العارض مع عطف المتفقتين مرحا ط فخور ج لما ذكر من صوتك ٥ ط الحمير ٥ ﴿ التفسير لما قال في آخر السورة المتقدمة ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل وكان فيه اشارة الى اعجاز القرآن ودل ما بعده الى تمام السورة على أنهم مصرون على كفرهم أكد تلك المعاني

في أول هذه السورة وتفسيره الى المفلحون كما في أول البقرة الا قوله تلك آيات الكتاب الحكيم فانه مذكور في أول يونس وحيث زادها ورحمة قال للمحسنين فان الاحسان مرتبة فوق التقوى لقوله صلى الله عليه وسلم الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه وقوله سبحانه ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ومما يؤيد ما قلنا أنه لم يقل هنا يؤمنون بالغيب لئلا يلزم شبه التكرار فان الاحسان لا مزيد عليه في باب العقائد ثم بين حال المعرضين عن الحق بقوله (ومن الناس من يشترى لهو الحديث) الاضافة بمعنى من أي الحديث الذي هو لهو ومنكر وجوز في الكشاف أن تكون من للتبعيض أي يشترى بعض الحديث الذي هو اللهو منه وفيه نظر لانه يصح هذا التأويل في قولنا خاتم فضة وليس بمشهور قال المفسرون نزلت في النضر بن الحرث وكان يتجر الى فارس فيشترى كتب الاعاجم فيحدث بها قريشا وقيل كان يشترى المغنيات فلا يظفر بأحد يريد الاسلام الا انطلق به الى قينته فيقول أطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك محمد اليه من الصلاة والصيام وأن تقاتل بين يديه فعلى هذا معنى (ليضل) بضم الياء ظاهر ومن قرأ بالفتح فمعناه الثبات على الضلال أو الاضلال نوع من الضلال وقوله (بغير علم) متعلق بيشترى كقوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين أي للتجارة قاله في الكشاف وغيره ولا يعد عندى تعلقه بقوله ليضل كما قال ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم قال المحققون ترك الحكمة والاشتغال بحديث آخر قبيح واذا كان الحديث لهوا لا فائدة فيه كان أقبح وقد يسوغه بعض الناس بطريق الاحماض كما ينقل عن ابن عباس أنه قال أحمضوا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم روحوا القلوب ساعة فساعة والعوام يفهمون منه الترويح بالمطايبة وان كان الخواص يحملونه على الاشتغال بجانب الحق كقوله يا بلال روحنا

شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله أي ان التوراة في هذا من علم الله قليل حدثنا ابن المثنى قال ثنى ابن عبد الأعلى قال ثنا داود عن عكرمة قال سأل أهل الكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح فأنزل الله ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا فقالوا تزعم أنا لم نؤت من العلم الا قليلا وقد أوتينا التوراة وهى الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا قال فنزلت ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله قال ما أوتيتم من علم فنجاكم الله به من النار وأدخلكم الجنة فهو كثير طيب وهو في علم الله قليل حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار قال لما نزلت بمكة وما أوتيتم من العلم الا قليلا يعنى اليهود فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أتاه أحبار يهود فقالوا يا محمد ألم يبلغنا أنك تقول وما أوتيتم من العلم الا قليلا أتعنينا أم قومك قال كلا قد عنيت قالوا فانك تتلو أنا قد أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى في علم الله قليل وقد آتاكم الله ما ان عملتم به انتفعتم فأنزل الله ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر الى قوله ان الله سميع بصير * واختلفت القراء في قراءة قوله والبحر يمده من بعده سبعة أبحر فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة والبحر رفعا على الابتداء وقرأته قراء البصرة نصبا عطفا له على ما في قوله ولو أن ما في الارض و بأيتهما قرأ القارئ فمصيب عندى وقوله ان الله عزيز حكيم يقول ان الله ذو عزة في انتقامه ممن أشرك به وادعى معه الها غيره حكيم في تدبيره خلقه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير﴾ يقول تعالى ذكره ما خلقكم أيها الناس ولا بعثكم على الله الا كخلق نفس واحدة وبعثها وذلك أن الله لا يتعذر عليه شئ أراده ولا يمتنع منه شئ شاءه انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون فسواء خلق واحد وبعثه وخلق الجميع وبعثهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنى أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله كنفس واحدة يقول كى يكون للقليل والكثير حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة قال يقول انما خلق الله الناس كلهم وبعثهم كخلق نفس واحدة وبعثها وانما صلح أن يقال الا كنفس واحدة والمعنى الا كخلق نفس واحدة لأن المحذوف فعل يدل عليه قوله ما خلقكم ولا بعثكم والعرب تفعل ذلك في المصادر ومنه قول الله تذهل أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت والمعنى كدوران عين الذى يغشى عليه من الموت فلم يذكر الدوران والعين لما وصفت وقوله ان الله سميع بصير يقول تعالى ذكره ان الله سميع لما يقول هؤلاء المشركون ويفترونه على ربهم من ادعائهم له الشركاء والأنداد وغير ذلك من كلامهم وكلام غيرهم بصير بما يعملونه وغيرهم من الأعمال وهو مجازيهم على ذلك جزاءهم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى أجل مسمى وان الله بما تعملون خبير﴾ يقول تعالى ذكره ألم تر يا محمد بعينك أن الله يولج الليل في النهار يقول يزيد من نقصان ساعات الليل في ساعات النهار ويولج النهار في الليل يقول يزيد ما نقص من ساعات

ثم انه اذا لم يقصد به الاحاض بل يقصد به الاضلال لم يكن عليه مزيد في القبح ولا سيما اذا كان مع اشتغاله بلهو الحديث مستكبرا عن آيات الله التي هي محض الحكمة كما قال (واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا) ومحل (٥٣) (كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا) نصب على الحال قال جار الله الاولى حال من ضمير مستكبرا والثانية من لم يسمعها قلت هذا بناء على تجويز الحال المتداخلة والاقن الجائز أن يكون كل منهما ومستكبرا حالا من فاعل ولى أي مستكبرا مشابها لمن لم يسمعها مشابها لمن في أذنيه وقر وجوز أن يكونا مستأنفين وتقدير كأن المخففة كأنه والضمير للشأن قال أهل البرهان هذه الآية والتي في الجاثية نزلتا باتفاق المفسرين في النضر الا أنه بالغ ههنا في ذمه لتركه استماع القرآن فقال بعد قوله كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا أي صمما لا يقرع مسامعه صوت فان عدم السماع أعم من أن يكون بوقر الاذن أو بنحو غفلة وترك الجملة الثانية في الجاثية لانه لم يبن الكلام هناك على المبالغة بدليل قوله واذا علم من آياتنا شيئا والعلم لا يحصل الا بالسماع أو ما يقوم مقامه من خط وغيره وحين بين وعيد أعداء الدين بين حال أولياء الله بقوله (ان الذين آمنوا) الآية وقدم مر مثله مرارا وفي قوله (وهو العزيز الحكيم) اشارة الى أنه لا غالب له ولا مناوئ يعطي النعيم من شاء والبؤس من شاء حسب ما تقتضيه حكمته وعدله ثم بين عزته وحكمته بقوله (خلق السموات بغير عمد) وقدم مر في أول الرعد وقوله (وألقى في الارض) مذكور في أول النحل و (من كل زوج كريم) ذكر في أول الشعراء (هذا) الذي ذكر من السموات بكيفياتها والارض بهيآتها بسائطها ومركباتها (خلق الله) أي مخلوقه (فأروني ماذا خلق الذين من دونه) وهم الآلهة بزعمهم وهذا أمر تعجيز وتبكيت فلهذا سجل عليهم بالضلال المبين ثم بين فساد اعتقاد أهل الشرك بأنه مخالف أيضا لعقيدة الحكماء الذين يعولون على المعقول الصرف منهم لقمان بن باعوراء

ساعات النهار في ساعات الليل كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ألم تر أن الله يولج الليل في النهار نقصان الليل في زيادة النهار ويولج النهار في الليل نقصان النهار في زيادة الليل وقوله وسخر الشمس والقمر كل يجري الى أجل مسمى يقول تعالى ذكره وسخر الشمس والقمر لمصالح خلقه ومنافعهم كل يجري يقول كل ذلك يجري بأمره الى وقت معلوم وأجل محدود اذا بلغه كورت الشمس والقمر » وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وسخر الشمس والقمر كل يجري الى أجل مسمى يقول لذلك كله وقت وحد معلوم لا يجاوزه ولا يعدوه وقوله وان الله بما تعملون خبير يقول وان الله بأعمالكم أيها الناس من خير أو شر ذو خبرة وعلم لا يخفى عليه منها شئ وهو مجازيكم على جميع ذلك ونعرج هذا الكلام خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعني به المشركون وذلك أنه تعالى ذكره نبه بقوله ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل على موضع حجته من جهل عظمته وأشرك في عبادته معه غيره يدل على ذلك قوله ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير﴾ يقول تعالى ذكره هذا الذي أخبرتك يا محمد أن الله فعله من إيلاجه الليل في النهار والنهار في الليل وغير ذلك من عظيم قدرته انما فعله بأنه الله حق دون ما يدعوه هؤلاء المشركون به وأنه لا يقدر على فعل ذلك سواه ولا تصلح الالوهة الا لمن فعل ذلك بقدرته وقوله وأن ما يدعون من دونه الباطل يقول تعالى ذكره وبأن الذي يعبد هؤلاء المشركون من دون الله الباطل الذي يضمحل فيبيد ويفنى وأن الله هو العلي الكبير يقول تعالى ذكره وبأن الله هو العلي يقول ذو العلو على كل شئ وكل ما دونه فله متذلل منقاد الكبير الذي كل شئ دونه فله متصاغر ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألم تر يا محمد أن السفن تجري في البحر نعمة من الله على خلقه ليريكم من آياته يقول ليريكم من عبره وحججه عليكم ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور يقول ان في جري الفلك في البحر دلالة على أن الله الذي أجراها هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل لكل صبار شكور يقول لكل من صبر نفسه عن محارم الله وشكره على نعمه فلم يكفره حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان مطرف يقول ان من أحب عباد الله اليه الصبار الشكور حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة قال الصبر نصف الايمان والشكر نصف الايمان واليقين الايمان كله ألم تر الى قوله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور ان في ذلك لآيات للموقنين ان في ذلك لآيات للمؤمنين حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن مغيرة عن الشعبي ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور قال الصبر نصف الايمان واليقين الايمان كله ان قال قائل وكيف خص هذه الدلالة بأنها دلالة للصبار الشكور دون سائر الخلق قيل لأن الصبر والشكر من أفعال ذوي الحجى والعقول فأخبر ان في ذلك لآيات لكل ذي عقل لأن الآيات جعلها الله عبرا لذوي العقول والتمييز ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد

ابن أخت أيوب أو ابن خالته أو من اولاد آزر عاش ألف سنة وأدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود عليه السلام فلما بعث قطع الفتوى فقيل له (٥٤) فقال ألا أكتفي اذا كفيت وأكثر الأقاويل أنه كان حكيما عن ابن عباس لقمان لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا أسود فرزقه الله العتق ورضي الله قوله ووصيته وحكاها في القرآن وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وقال عكرمة والشعبي كان نبيا روى أنه دخل على داود عليه السلام وهو يسرد وقد لين الله الحديد فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت فلما أتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب أنت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله فقال له داود عليه السلام بحق ما سميت حكيما وروى أن مولاه أمره بذبح شاة وبأن يخرج منها أطيب مضغتين فأخرج اللسان والقلب ثم أمره بمثل ذلك بعد أيام وأن يخرج أخبث مضغتين فأخرج اللسان والقلب أيضا فسأله عن ذلك فقال هما أطيب ما فيها اذا طابا وأخبث ما فيها اذا خبثا ثم فسر الحكمة بقوله (أن اشكر لله) لان ايتاء الحكمة في معنى القول قال العلماء هذا امر تكوين أي جعلناه شاكرا فان أمر التكليف يستوي فيه الجاهل والحكيم وفيه تنبيه على أن شكر المعبود الحق رأس كل العبادة وسنام الحكمة وفائدته ترجع الى العبد لا الى المعبود فانه غني عن شكر الشاكرين مستحق للحمد وان لم يكن على وجه الارض حامد وحين بين كماله شرع في تكميله وذلك لانه المسمى أنعم أو أشكم قيل كان ابنه وامرأته كافرين فما زال يعظهما حتى أسلما ووجه كون الشرك ظلما عظيما أنه وضع فيه أخس الاشياء وهو الفقير المطلق موضع أشرف الاشياء وهو الغني المطلق ثم وصى الله سبحانه الانسان بشكر انعام الوالدين وبطاعتهما وان كانا كافرين الا أن يدعواه الى الاشراك بالله وهذه جملة معترضة نبه باعتراضها غرضان أحدهما أن طاعة الأبوين تالية لعبادة الله

بآياتنا الا كل ختار كفور ﴾ يقول تعالى ذكره واذا غشي هؤلاء الذين يدعون من دون الله الآلهة والاوثان في البحر اذا ركبوا في الفلك موج كالظلل وهي جمع ظلة شبه بها الموج في شدة سواد كثرة الماء قال نابغة بني جعدة في صفة بحر

يماشيهن أخضر ذو ظلال ٭ على حافاته فلق الدنان

وشبه الموج وهو واحد بالظلل وهي جماع لان الموج يأتي شيء منه بعد شيء ويركب بعضه بعضا كهيئة الظلل وقوله دعوا الله مخلصين له الدين يقول تعالى ذكره واذا غشي هؤلاء موج كالظل خافوا الغرق فزعوا الى الله بالدعاء مخلصين له الطاعة لا يشركون به هنالك شيأ ولا يدعون معه أحدا سواه ولا يستغيثون بغيره قوله فلما نجاهم الى البر مما كانوا يخافونه في البحر من الغرق والهلاك الى البر فمنهم مقتصد يقول فمنهم مقتصد في قوله واقراره بربه وهو مع ذلك مصر الكفر به ٭ ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فمنهم مقتصد قال المقتصد في القول وهو كافر حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فمنهم مقتصد قال المقتصد الذي على صلاح من الامر وقوله وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور يقول تعالى ذكره وما يكفر بادلتنا وحججنا الا كل غدار بعهده والختر عند العرب أقبح الغدر ومنه قول عمرو بن معدي كرب

وانك لو رأيت أبا عمير ٭ ملأت يديك من غدر وختر

وقوله كفور يعني جحود للنعم غير شاكر ما أسدى اليه من نعمة ٭ ونحو الذي قلنا في معنى الختار قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ليث عن مجاهد كل ختار كفور قال كل غدار حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله كل ختار قال غدار حدثني يعقوب وابن وكيع قالا ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور قال غدار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور الختار الغدار كل غدار بذمته كفور بربه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور قال كل جحاد كفور حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور قال الختار الغدار كما تقول غدرني حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن مسعر قال سمعت قتادة قال الذي يغدر بعهده ٭ قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك قال الغدار ٭ قال ثنا أبي عن الأعمش عن شمر بن عطية الكاهلي عن علي رضي الله عنه قال المكر غدر والغدر كفر ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيأ ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ يقول تعالى ذكره أيها المشركون من قريش اتقوا الله وخافوا أن يحل بكم سخطه في يوم لا يغني والد عن ولده ولا مولود

هو مغن عن والده شيأ لان الامر يصير هنالك بيد من لا يغالب ولا تنفع عنده الشفاعة والوسائل الوسيلة من صالح الاعمال التي أسلفها في الدنيا وقوله ان وعد الله حق يقول اعلموا أن مجيء هذا اليوم حق وذلك أن الله قد وعد عباده ولا خلف لوعده فلا تغرنكم الحياة الدنيا يقول فلا تخدعنكم زينة الحياة الدنيا ولذاتها فتميلوا اليها وتدعوا الاستعداد لما فيه خلاصكم من عقاب الله ذلك اليوم وقوله ولا يغرنكم بالله الغرور يقول ولا يخدعنكم بالله خادع والغرور بفتح الغين هو ما غر الانسان من شيء كائنا ما كان شيطانا كان أو انسانا أو دنيا وأما الغرور بضم الغين فهو مصدر من قول القائل غررته غرورا * وبنحو الذي قلنا في معنى قوله ولا يغرنكم بالله الغرور قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله الغرور قال الشيطان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا يغرنكم بالله الغرور ذاكم الشيطان حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد المروزي يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله الغرور قال الشيطان وكان بعضهم يتأول الغرور بما حدثنا ابن بيد قال ثنا ابن المبارك عن ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير قوله ولا يغرنكم بالله الغرور قال أن تعمل بالمعصية وتتمنى المغفرة ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت ان الله عليم خبير ﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيأ هو آتيكم علم اتيانه اياكم عندي بكم لا يعلم أحد متى هو جائيكم لا يأتيكم الا بغتة فاتقوه أن يفجأكم بغتة وأنتم على ضلالتكم لم تتيبوا منها فتصيروا من عذاب الله وعقابه الى ما لا قبل لكم به وابتدأ تعالى ذكره الخبر عن علمه بمجيء الساعة والمعنى ما ذكرت لدلالة الكلام على المراد منه فقال ان الله عنده علم الساعة التي تقوم فيها القيامة لا يعلم ذلك أحد غيره وينزل الغيث من السماء لا يقدر على ذلك أحد غيره ويعلم ما في الارحام أرحام الاناث وما تدري نفس ماذا تكسب غدا يقول وما تعلم نفس حي ماذا تعمل في غد وما تدري نفس بأي أرض تموت يقول وما تعلم نفس حي بأي أرض تكون منيتها ان الله عليم خبير يقول ان الذي يعلم ذلك كله هو الله دون كل أحد سواه انه ذو علم بكل شيء لا يخفى عليه شيء خبير بما هو كائن وما قد كان * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ان الله عنده علم الساعة قال جاء رجل « قال أبو جعفر » أحسبه أنا قال الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان امرأتي حبلى فأخبرني ماذا تلد وبلادنا محل جدبة فأخبرني متى ينزل الغيث وقد علمت متى ولدت فأخبرني متى أموت فأنزل الله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث الى آخر السورة قال فكان مجاهد يقول هن مفاتح الغيب التي قال الله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان الله عنده علم الساعة الآية أشياء من الغيب استأثر الله بهن فلم يطلع عليهن ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ان الله عنده علم الساعة فلا يدري أحد من الناس متى

حق الوالدة خصوصا روى بهز ابن حكيم عن أبيه عن جده أنه قال قلت يا رسول الله من أبر قال أمك ثم أمك ثم أباك وقوله (وفصاله في عامين) توقيت للفطام كما مر في البقرة في قوله والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين وفيه تنبيه آخر على ما كابدته الأم من المشاق ومعنى (معروفا) صحابا أو مصاحبا معروفا على ما يقتضيه العرف والشرع وفي قوله (واتبع سبيل من أناب الي) اشارة أخرى الى أنهما لو لم يكونا منيبين الى الرب لم يتبع سبيلهما في الدين وان لزم طاعتهما في الدنيا وفي باب حسن العشرة والصحبة واتفق المفسرون على أن هذه الآية ونظيرتها التي في العنكبوت وفي الأحقاف نزلت في سعد بن أبي وقاص وفي أمه حمنة بنت أبي سفيان وذلك أنه حين أسلم قالت يا سعد بلغني أنك قد صبأت فوالله لا يظلني سقف بيت وان الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد وكان أحب ولدها اليها فأبى سعد وبقيت ثلاثة أيام كذلك فجاء سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه فنزلت هذه الآيات فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتراضاها بالاحسان وانما لم يذكر في هذه السورة قوله حسنا لان قوله أن اشكر قام مقامه وانما قال ههنا وان جاهداك على أن تشرك لأنه أراد وان حملاك على الاشراك وقال في العنكبوت لتشرك موافقة لما قبله فانما يجاهد لنفسه مع أن مبنى الكلام هنالك على الاختصار وحين وصف نفسه بكمال العلم في خاتمة الآية بقوله (فأنبئكم بما كنتم تعملون) أتبعه ما يناسبه من وصايا لقمان وهو قوله (يا بني انها) أي القصة (ان تك) أي الخيبة من الاساءة أو الاحسان في الصغر كحبة الخردل

(٥٥) اعتراض في اعتراض تحريضا على رعاية

ويجوز أن يقال الحبة ان تك كحبة الخردل ومن قرأ (مثقال) بالرفع تعين أن يكون الضمير فى انها للقصة وتأنيث تك لاضافة المثقال الى الحبة وروى أن ابن لقمان قال له أرأيت الحبة تكون فى مقل البحر أى فى مغاصه يعلمها الله فقال ان الله يعلم أصغر الأشياء فى أخفى الامكنة لان الحبة فى الصخرة أخفى منها فى الماء * سؤال الصخرة لابد أن تكون فى السموات أو فى الارض فما الفائدة فى ذكرها الجواب على قول الظاهريين من المفسرين ظاهر لانهم قالوا الصخرة هى التى عليها الثور وهى لا فى الارض ولا فى السماء وقال أهل الأدب فيه اضمار والمراد فى صخرة أو فى موضع آخر من السموات والأرض ومثله قول جار الله أراد فكانت مع صغرها فى أخفى موضع وأحرزه بكوف الصخرة أو حيث كانت فى العالم العلوى أو السفلى وقال أهل التحقيق ان خفاء الشئ يكون اما لغاية صغره واما لاحتجابه واما لكونه بعيدا واما لكونه فى ظلمة فأشار الى الاول بقوله مثقال حبة من خردل والى الثانى بقوله فتكن فى صخرة والى الثالث بقوله أو فى السموات والى الرابع بقوله أو فى الأرض وقوله (يأت بها الله) أبلغ من قول القائل يعلمه الله ففيه مع العلم بمكانه اظهار القدرة على الاتيان به (ان الله لطيف) نافذ القدرة (خبير) ببواطن الأمور وحين منع ابنه من الشرك وخوفه بعلم الله وقدرته أمره بمكارم الاخلاق والعادات وأولها الصلاة وفيها تعظيم المعبود الحق وبعدها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فبهما تتم الشفقة على خلق الله وقوله (واصبر على ما أصابك) من أذيات الخلق فى الباس أو هو مطلق فى كل ما يصيبه من المصائب والمكاره (ان ذلك) المذكور (من عزم الأمور) أى من معزوماتها من عزم الأمر بالنصب اذا قطعه قطع ايجاب والزام (تفسير ومنه العزيمة خلاف الرخصة أو من عزم الأمر بالرفع أى جد وقد مر فى آخر آل عمران وحين أمره بأن يكون كاملا فى نفسه مكملا لغيره

تقوم الساعة فى أى سنة أو فى أى شهر أو ليل أو نهار ويتزل الغيث فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث ليلا أو نهارا ينزل ويعلم ما فى الارحام فلا يعلم أحد ما فى الارحام أذكر أو أنثى أحمر أو أسود أو ما هو ولا تدرى نفس ماذا تكسب غدا خيرا أم شرا ولا تدرى يا ابن آدم متى تموت لعلك الميت غدا لعلك المصاب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ليس أحد من الناس يدرى أين مضجعه من الارض فى بحر أو بر أو سهل أو جبل تعالى وتبارك **حدثنى** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبى قال قالت عائشة من قال ان أحدا يعلم الغيب الا الله فقد كذب وأعظم الفرية على الله قال الله لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية عن يونس بن عبيد عن عمرو بن شعيب أن رجلا قال يا رسول الله هل من العلم علم لم تؤته قال لقد أوتيت علما كثيرا وعلما حسنا أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ان الله عنده علم الساعة ويتزل الغيث الى ان الله عليم خبير لا يعلمهن الا الله تبارك وتعالى **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى عمرو بن محمد عن أبيه عن عبد الله بن عمرو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتح الغيب خمسة ثم قرأ هؤلاء الآيات ان الله عنده علم الساعة الى آخرها **حدثنى** على بن سهل قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن عبد الله بن دينار أنه سمع ابن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله ان الله عنده علم الساعة ويتزل الغيث ويعلم ما فى الارحام الآية ثم قال لا يعلم ما فى غد الا الله ولا يعلم أحد متى يتزل الغيث الا الله ولا يعلم أحد متى قيام الساعة الا الله ولا يعلم أحد ما فى الارحام الا الله ولا تدرى نفس بأى أرض تموت **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله ان الله عنده علم الساعة ويتزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير **حدثنا** ابن وكيع قال ثنى أبى عن مسعر عن عمرو ابن مرة عن عبد الله بن سلمة عن ابن مسعود قال كل شئ أوتيه نبيكم صلى الله عليه وسلم الا مفاتح الغيب الخمس ان الله عنده علم الساعة ويتزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن ابن أبى خالد عن عامر عن مسروق عن عائشة قالت من حدثك أنه يعلم ما فى غد فقد كذب ثم قرأت وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا * قال ثنا جرير وابن علية عن أبى خباب عن أبى زرعة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال خمس لا يعلمهن الا الله ان الله عنده علم الساعة ويتزل الغيث الآية **حدثنى** أبو شرحبيل قال ثنا ابو اليمان قال ثنا اسمعيل عن جعفر عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن ابن مسعود قال كل شئ قد أوتى نبيكم غير مفاتح الغيب الخمس ثم قرأ هذه الآية ان الله عنده علم الساعة الى آخرها وقيل بأى أرض تموت وفيه لغة أخرى بأية أرض فمن قال بأى أرض اجترأ بتأنيث الارض من أن يظهر فى أى تأنيث آخر ومن قال بأية أرض فلأن أى قد تجترى بأى مما أضيف اليه فلا بد من التأنيث كقول القائل مررت بامرأة فيقال له بأية ومررت برجل فيقال له بأى ويقال أى امرأة جاءتك وجاءك وأية امرأة جاءتك

آخر تفسير سورة لقمان

وكان يخشى عليه أن يتكبر على الغير بسبب كونه مكملا له أو يتبختر في النفس بسبب كونه كاملا في نفسه

﴿ تفسير سورة السجدة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون ﴾ قال أبو جعفر قد مضى البيان عن تأويل قوله الم بما فيه الكفاية وقوله تنزيل الكتاب لا ريب فيه يقول تعالى ذكره تنزيل الكتاب الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم لا شك فيه من رب العالمين يقول من رب الثقلين الجن والانس كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه لا شك فيه وانما معنى الكلام أن هذا القرآن الذي أنزل على محمد لا شك فيه أنه من عند الله وليس بشعر ولا سجع كاهن ولا هو مما تخرصه محمد صلى الله عليه وسلم وانما كذب جل ثناؤه بذلك قول الذين قالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا وقول الذين قالوا ان هذا الا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون وقوله أم يقولون افتراه يقول تعالى ذكره يقول المشركون بالله اختلق هذا الكتاب محمد من قبل نفسه وتكذبه وأم هذه تقرير وقد بينا في غير موضع من كتابنا أن العرب اذا اعترضت بالاستفهام في أضعاف كلام قد تقدم بعضه أنه يستفهم بأم وقد زعم بعضهم أن معنى ذلك ويقولون وقال أم بمعنى الواو وبمعنى بل في مثل هذا الموضع ثم أكذبهم تعالى ذكره فقال ما هو كما تزعمون وتقولون من أن محمدا افتراه بل هو الحق والصدق من عند ربك يا محمد أنزله اليك لتنذر قوما بأس الله وسطوته أن يحل بهم على كفرهم به ما أتاهم من نذير من قبلك يقول لم يأت هؤلاء القوم الذين أرسلك ربك يا محمد اليهم وهم قومه من قريش نذير ينذرهم بأس الله على كفرهم قبلك وقوله لعلهم يهتدون يقول لتبينوا سبيل الحق فيعرفوه ويؤمنوا به ● وبمثل الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون قال كانوا أمة أمية لم يأتهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون ﴾ يقول تعالى ذكره المعبود الذي لا تصلح العبادة الا له أيها الناس الذي خلق السموات والارض وما بينهما من خلق في ستة أيام ثم استوى على عرشه في اليوم السابع بعد خلقه السموات والارض وما بينهما كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش في اليوم السابع يقول ما لكم أيها الناس اله الا من فعل هذا الفعل وخلق هذا الخلق العجيب في ستة أيام وقوله ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع يقول ما لكم أيها الناس دونه ولي يلي أمركم وينصركم منه ان أراد بكم ضرا ولا شفيع يشفع لكم عنده ان هو عاقبكم على معصيتكم اياه يقول فاياه فاتخذوا وليا وبه وبطاعته فاستعينوا على أموركم فانه يمتعكم اذا أراد منعكم ممن أرادكم بسوء ولا يقدر أحد على دفعه عما أراد بكم هو لأنه لا يقهره قاهر ولا يغلبه غالب أفلا تتذكرون يقول تعالى ذكره أفلا تعتبرون وتتفكرون أيها الناس فتعلموا أنه ليس لكم دونه ولي ولا شفيع فتفردوا له الالوهة وتخلصوا له

قال (ولا تصعر خدك للناس) يقال أصعر خده وصعره وصاعره من الصعر بفتحتين وهو داء يصيب البعير يلوى منه عنقه والمعنى أقبل على الناس بكل وجهك تواضعا لا بشق الوجه كعادة المتكبرين ومعنى (لا تمش في الارض مرحا) مذكور في سورة سبحان الذي والمختال والفخور مذكوران في سورة النساء فالمختال هو الماشي لاجل الفرح والنشاط لامصلحة دينية أو دنيوية والفخور هو المصعر خده بين أن الله لا يحبهما فيلزم الاجتناب عن الاتصاف بصفتهما ثم أمره عند الاحتياج الى المشي لضرورة بالمشي القصد أي الوسط بين السرعة والابطاء على قياس سائر الاخلاق والآداب فخير الامور أوساطها ومثله غض الصوت حين التكلم قال أهل البيان في تشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير التي هي مثل في البلادة حتى استهجن التلفظ باسمها في أغلب الامر وفي تمثيل أصواتهم بالنهاق ثم اخلاء الكلام عن أداة التشبيه وإخراجه مخرج الاستعارة تنبيه على أن الافراط في رفع الصوت من غير ضرورة ولا فائدة مكروه عند الله جدا واشتقاق أنكر من النكر ليكون على القياس لا من المنكر والحمير جمع الحمار وانما لم يقل أصوات الحمير لان المراد أن كل جنس من الحيوان الناطق وغير الناطق له صوت وان أنكر أصوات هذه الاجناس صوت أفراد هذا الجنس قال بعض العقلاء من نكر صوت هذا الحيوان أنه لو مات تحت الحمل لا يصيح ولو قتل لا يصيح وفي أوقات عدم الحاجة يصيح وينهق وأما سائر الحيوانات فلا يصيح الا لحاجة قالوا ومن فوائد عطف الامر بغض الصوت على الامر بالقصد في المشي أن الحيوان يتوصل الى مطلوبه بالمشي فان عجز عن ذلك فبالتصويت والنداء كالغنم تطلب السخلة ومنها أن الانسان له عقيدة ولسان وجوارح يتحرك

بها كسائر الحيوانات فأشار الى الاولى بقوله انها ان تك مثقال حبة أى أصلح ضميرك فان الله خبير وأشار الى التوسط فى أفعال الجوارح بقوله واقصد فى مشيك والى التوسط فى الاقوال بقوله اغضض من صوتك أو تقول أشار بقوله أقم الصلاة الى الاوصاف الملكية التى يجب أن تكون فى الانسان وبقوله وأمر بالمعروف الى قوله مرحا الى الاوصاف الفاضلة الانسانية وبقوله واقصد واغضض الى الاوصاف التى يشارك فيها الانسان سائر الحيوان والله تعالى أعلم ﴿التأويل ويؤتون الزكاة﴾ هى للعوام مقادير معينة من المال كربع العشر من عشرين وللخواص اخراج كل المال فى سبيل الله ولا خص الخواص بذل الوجود لنيل المقصود لهوا لحديث قال الجنيد السماع على أهل النفوس حرام لبقاء نفوسهم وعلى أهل القلوب مباح لوفور علومهم وصفاء قلوبهم وعلى أصحابنا واجب لفناء حظوظهم واذ قال لقمان لقلبه لا ابنه السر المتولد من ازدواج الروح والقلب وهو بعظه أن لا يتصف بصفات النفس العابدة للشيطان والهوى والدنيا فى عامين يريد فطامه عن مألوفات الدارين وان جاهدك فيه أن السر لا ينبغى له أن يلتفت الى الروح أو القلب اذا اشتغلا بغير الله فى أوقات الفترات فان الروح قد يميل الى مجانسه من الروحانيات والقلب يميل تارة الى الروح وأخرى الى النفس ولكنه يرجى الصلاة بعد الفترة وأما السر فاذا زال عن طبيعته وهو الاخلاص فى التوحيد فاصلاح حاله ممكن بعيد واتبع سبيل من أناب الى وهو الخفى انها ان تك يعنى القسمة الازلية من السعادة وضدها لصوت الخير قالوا هو الصوفى يتكلم قبل أوانه ﴿ألم تر أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل فى الله عن بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير

العبادة وتخلعوا ما دونه من الأنداد والآلهة ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يدبر الأمر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ يقول تعالى ذكره هو الذى يدبر الامر من أمر خلقه من السماء الى الارض ثم يعرج اليه * واختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون فقال بعضهم معناه أن الامر ينزل من السماء الى الارض و يصعد من الارض الى السماء فى يوم واحد وقدر ذلك ألف سنة مما تعدون من أيام الدنيا لان ما بين الارض الى السماء خمسمائة عام وما بين السماء الى الارض مثل ذلك فذلك ألف سنة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو بن معروف عن ليث عن مجاهد فى يوم كان مقداره ألف سنة يعنى بذلك نزول الأمر من السماء الى الارض ومن الارض الى السماء فى يوم واحد وذلك مقداره ألف سنة لان ما بين السماء الى الارض مسيرة خمسمائة عام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم من أيامكم كان مقداره ألف سنة مما تعدون يقول مقدار مسيره فى ذلك اليوم ألف سنة مما تعدون من أيامكم من أيام الدنيا خمسمائة سنة نزوله وخمسمائة صعوده ذلك ألف سنة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن جويبر عن الضحاك ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون قال تعرج الملائكة الى السماء ثم تنزل فى يوم من أيامكم هذه وهو مسيرة ألف سنة * قال ثنا أبى عن سفيان عن سماك عن عكرمة ألف سنة مما تعدون قال من أيام الدنيا حدثنا هناد بن السرى قال ثنا أبو الأحوص عن أبى الحوث عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم من أيامكم هذه مسيرة ما بين السماء الى الارض خمسمائة عام * وذكر عن عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال تهدر الامور وتصعد من السماء الى الارض فى يوم واحد مقداره ألف سنة خمسمائة حتى ينزل وخمسمائة حتى يعرج * وقال آخرون بل معنى ذلك يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم من الايام الستة التى خلق الله فيهن الخلق كان مقدار ذلك اليوم ألف سنة مما تعدون من أيامكم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس ألف سنة مما تعدون قال ذلك مقدار المسير قوله كألف سنة مما تعدون قال خلق السموات والارض فى ستة أيام وكل يوم من هذه كألف سنة مما تعدون أتم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون قال الستة الايام التى خلق الله فيها السموات والارض حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون يعنى هذا اليوم من الايام الستة التى خلق الله فيهن السموات والارض وما بينهما * وقال آخرون بل معنى ذلك يدبر الامر من السماء الى الارض بالملائكة ثم تعرج اليه الملائكة فى يوم كان مقداره ألف سنة من أيام الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة قال هذا فى الدنيا تعرج الملائكة اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة حدثنا ابن وكيع قال ثنا غندر عن شعبة

ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ (٥٩) ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون لله ما في السموات والارض ان الله هو الغني الحميد ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري الى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت ان الله عليم خبير ۞ القراآت نعمه على الجمع أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وسهل وحفص والبحر بالنصب أبو عمرو ويعقوب عطفا على اسم أن الآخرون بالرفع حملا على محل أن ومعمولها وأن ما يدعون على

عن سماك عن عكرمة في يوم كان مقداره ألف سنة قال ما بين السماء والارض مسيرة ألف سنة مما تعدون (١) من أيام الآخرة حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك عن عكرمة أنه قال في هذه الآية يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون قال ما بين السماء والارض مسيرة ألف سنة • وقال آخرون بل معنى ذلك يدبر الامر من السماء الى الارض في يوم كان مقدار ذلك التدبير ألف سنة مما تعدون من أيام الدنيا ثم يعرج اليه ذلك التدبير الذي دبره ذكر من قال ذلك • ذكر عن حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أنه قال يقضي أمر كل شيء ألف سنة الى الملائكة ثم كذلك حتى تمضي ألف سنة ثم يقضي أمر كل شيء ألفا ثم كذلك أبدا قال يوم كان مقداره قال اليوم أن يقال لما يقضي الى الملائكة ألف سنة كن فيكون ولكن سماه يوما سماه كما بينا كل ذلك عن مجاهد قال وقوله ان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون قال هو هو سواء • وقال آخرون بل معنى ذلك يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج الى الله في يوم كان مقداره ألف سنة مقدار العروج ألف سنة مما تعدون ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون قال بعض أهل العلم مقدار ما بين الارض حين يعرج اليه الى أن يبلغ عروجه ألف سنة هذا مقدار ذلك المعراج في ذلك اليوم حين يعرج فيه • وأولى الاقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال معناه يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقدار ذلك اليوم في عروج ذلك الامر اليه ونزوله الى الارض ألف سنة مما تعدون من أيامكم خمسمائة في النزول وخمسمائة في الصعود لان ذلك أظهر معانيه وأشبهها بظاهر التنزيل ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾ يقول تعالى ذكره هذا الذي يفعل ما وصفت لكم في هذه الآيات هو عالم الغيب يعني عالم ما يغيب عن أبصاركم أيها الناس فلا تبصرونه مما تكنه الصدور وتخفيه النفوس وما لم يكن بعد مما هو كائن والشهادة يعني ما شاهدته الابصار فأبصرته وعاينته وما هو موجود العزيز يقول الشديد في انتقامه ممن كفر به وأشرك معه غيره وكذب رسله الرحيم بمن تاب من ضلالته ورجع الى الايمان به وبرسوله والعمل بطاعته أن يعذبه بعد التوبة وقوله الذي أحسن كل شيء خلقه اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعض قراء مكة والمدينة والبصرة أحسن كل شيء خلقه بسكون اللام وقرأه بعض المدنيين وعامة الكوفيين أحسن كل شيء خلقه بفتح اللام • والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال انهما قراءتان مشهورتان فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب • واختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم معناه أتقن كل شيء وأحكمه ذكر من قال ذلك حدثني العباس بن أبي طالب قال ثنا الحسين بن ابراهيم اشكاب قال ثنا شريك عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس في قوله الذي أحسن كل شيء خلقه قال أما ان است القرد ليست بحسنة ولكنه أحكم خلقها حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو النضر قال ثنا أبو سعيد المؤدب عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرؤها الذي أحسن كل شيء خلقه قال أما ان است القرد ليست بحسنة ولكنه أحكمها حدثني

---

(١) الذي في الدر من أيام الدنيا وهو واضح اه كتبه مصححه

الغيبة أبو عمرو وحمزة وعلي وخلف وحفص وسهل ويعقوب وينزل الغيث بالتشديد أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وعاصم

۞ الوقوف وباطنة ط منير ٥ آباءنا ط السعير ٥ الوثقى ط الامور ٥ كفره ٥ عملوا ط الصدور ٥ غليظ ٥

محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أحسن كل شئ خلقه قال أتقن كل شئ خلقه حدثني محمد بن عمارة قال ثنا عبد الله بن موسى قال ثنا اسرائيل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أتقن كل شئ أحصى كل شئ * وقال آخرون بل معنى ذلك الذى حسن خلق كل شئ ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذى أحسن كل شئ خلقه حسن على نحو ما خلق وذكر عن الحجاج عن ابن جريج عن الأعرج عن مجاهد قال هو مثل أعطى كل شئ خلقه ثم هدى قال فلم يجعل خلق البهائم فى خلق الناس ولا خلق الناس فى خلق البهائم ولكن خلق كل شئ فقدره تقديرا * وقال آخرون بل معنى ذلك أعلم كل شئ خلقه كأنهم وجهوا تأويل الكلام الى أنه ألهم خلقه ما يحتاجون اليه وأن قوله أحسن انما هو من قول القائل فلان يحسن كذا اذا كان يعلمه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شريك عن خصيف عن مجاهد أحسن كل شئ خلقه قال أعطى كل شئ خلقه قال الانسان الى الانسان والفرس للفرس والحمار للحمار وعلى هذا القول الخلق والكل منصوبان بوقوع أحسن عليهما * وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب على قراءة من قرأ الذى أحسن كل شئ خلقه بفتح اللام قول من قال معناه أحكم وأتقن لأنه لا معنى لذلك اذ قرئ كذلك الا أحد وجهين اما هذا الذى قلنا من معنى الاحكام والاتقان أو معنى التحسين الذى هو فى معنى الجمال والحسن فلما كان فى خلقه ما لا شك فى قبحه وسماجته علم أنه لم يعن به أنه أحسن كل ما خلق ولكن معناه أنه أحكمه وأتقن صنعته واما على القراءة الأخرى التى هى بتسكين اللام فان أولى تأويلاته به قول من قال معنى ذلك أعلم وألهم كل شئ خلقه هو أحسنهم كما قال الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى لأن ذلك أظهر معانيه وأما الذى وجه تأويل ذلك الى أنه بمعنى الذى أحسن خلق كل شئ فانه جعل الخلق نصبا بمعنى التفسير كأنه قال الذى أحسن كل شئ خلقا منه وقد كان بعضهم يقول هو من المقدم الذى معناه التأخير ويوجهه الى أنه نظير قول الشاعر

وظعن اليك الليل حضنيه انى * لتلك اذا هاب الهداة فعول

يعنى وظعنى حضنى الليل اليك ونظير قول الآخر

كأن هندا اشابا هاو بهجتها * يوم التقينا على أدحال دباب

أى كأن شبابا هاو بهجتها وقوله وبدأ خلق الانسان من طين يقول تعالى ذكره وبدأ خلق آدم من طين ثم جعل نسله يعنى ذريته من سلالة يقول من الماء الذى انسل فخرج منه وانما يعنى من اراقة من مائه كما قال الشاعر

فجاءت به عضب الأديم غضنفرا * سلالة فرج كان غير حصين

وقوله من ماء مهين يقول من نطفة ضعيفة رقيقة * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وبدأ خلق الانسان من طين وهو خلق آدم ثم جعل نسله أى ذريته من سلالة من ماء مهين والسلالة هى الماء المهين الضعيف حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن المنهال عن أبى يحى

ليقولن الله ط لله ط لا يعلمون ٥ والارض ط الحميد ٥ كلمات الله ط حكيم ٥ واحدة ط بصير ٥ والقمر ز لان قوله كل مبتدأ مع عطف أن على أن الاولى خبر ٥ الباطل لا الكبير ٥ من آياته ط شكور ٥ الدين ج مقتصد ط كفور ٥

عن ولده لا لعطف الجملتين المختلفتين لفظا مع صدق الاتصال معنى شيأ ط الدنيا قف للفصل بين الموعظتين الغرور ٥ الساعة ج لاختلاف الجملتين الغيث ج وان اتفقت الجملتان للتفصيل بين غيب وغيب الارحام ط لابتداء الجملة المنفية التى فيها استفهام غدا ط لابتداء نفى آخر مع تكرار نفس دون الاكتفاء بضميرها تموت ط خبير ٥ ۞ التفسير لما ذكر أن معرفة الصانع غير مختصة بالنبوة ولكنها توافق الحكمة أيضا ولو كانت تعبدا محضا للزم قبوله كيف وانها توافق المعقول أعاد الاستدلال بالامور المشاهدة الآفاقية والأنفسية ومعنى سخر لكم لاجلكم كما مر فى سورة ابراهيم من قوله وسخر لكم الشمس والقمر دائبين الآية ومعنى أسبغ أتم والنعم الظاهرة كل ما يوجد للحس الظاهر اليه سبيل ومن جملتها الحواس أنفسها والباطنة ما لا يدرك الا بالحس الباطن أو بالعقل أولا يعلم أصلا ومن المفسرين من يخص فمن مجاهد الظاهرة ظهور الاسلام والنصر على الاعداء ظاهرا والباطنة امداد الملائكة وعن الضحاك الظاهرة حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الاعضاء والباطنة المعرفة والعلم وقيل النفس ثم ذكر أن بعض الناس يجادلون فى الله بعد ظهور الدلائل على وحدانيته وقد مر فى أول الحج ثم ذكر أنه لا مستند له فى ذلك الا التقليد ثم وبخه على جهله وتقليده بأنه يتبع سبيل الشيطان ولو دعاه الى النار قائلا (أولو كان) الخ

الاعرج

ومعناه أيتبعونهم ولو كان كذا ثم أراد أن يفصل حال المؤمن والكافر بعض التفصيل فقال ومن يسلم وجهه الى الله وهو نظير قوله فى البقرة

بلى من أسلم وجهه لله والفرق ان معناه مع الى يرجع الى التفويض والتسليم ومع اللام يؤل الى الاخلاص والاذعان والاستمساك بالعروة الوثقى تمثيل كما مر فى آية الكرسى وقوله (يمتعهم) الآية كقوله فى البقرة ومن كفر (٦١) فأمتعه قليلا ثم أضطره وغلظ العذاب شدته ثم بين أنهم معترفون بالمعبود الحق الا أنهم يشركون به وقدم فى آخر العنكبوت مثله الا أنه قال فى آخره بل أكثرهم لا يعلمون وذلك أنه زاد هناك قوله وسخر الشمس والقمر فبالغ فان فى العقل أبلغ من فى العلم اذ كل عالم عاقل ولا ينعكس ثم ذكر أن الملك كله له وهو غنى على الاطلاق حميد بالاستحقاق وحين بين غاية قدرته أراد أن يبين أنه لا نهاية لعلمه فقال (ولو أن ما فى الارض) الآية عن ابن عباس أنها نزلت جوابا لليهود وان التوراة فيها كل الحكمة وقيل هى جواب قول المشركين ان الوحى سينفد وتقدير الآية على قراءة الرفع لو ثبت كون الاشجار أقلاما وثبت البحر ممدودا بسبعة أبحر ويجوز أن تكون الجملة حالا واللام فى البحر للجنس وجعل جنس البحر ممدودا بالسبعة للتكثير لا للتقدير فان كثيرا من الاشياء عددها سبعة كالسيارات السبعة والأقاليم السبعة وأيام الاسبوع ومثله قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن يأكل فى معا واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء أراد الأكل الكثير وقال فى الكشاف جعل البحر الاعظم بمنزلة الدواة وجعل الأبحر السبعة مملوأة مدادا فهى تصب فيه مدادها أبدا صبا لا ينقطع قلت جعله الأبحر سبعة تقديرا نافى قوله أبدا لا ينقطع وانما لم يجعل للاقلام مدادا لان نقصان المداد بالكتابة أظهر من نقصان القلم وانما لم يقل كلم الله على جمع الكثرة للمبالغة اذ يفهم منه أن كلماته لا تفى بكتبتها البحار فكيف بكلمه وقيل أراد بكلماته عجائب مصنوعاته الموجودة بكلمة كن وقدم نظير هذه الآية فى آخر الكهف ثم بين أنه لا يصعب على قدرته كثرة الايجاد والاعداد فان تعلق قدرته بمقدور واحد كتعلقها

الاعرج عن ابن عباس فى قوله من سلالة قال صفوة الماء حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد من ماء مهين قال ضعيف نطفة الرجل ومهين فعيل من قول القائل مهن فلان وذلك اذا ذل وضعف ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون﴾ يقول تعالى ذكره ثم سوى الانسان الذى بدأ خلقه من طين خلقا سويا معتدلا ونفخ فيه من روحه فصار حيا ناطقا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون يقول وأنعم عليكم أيها الناس ربكم بأن أعطاكم السمع تسمعون به الأصوات والأبصار تبصرون بها الأشخاص والأفئدة تعقلون بها الخير من الشر لتشكروه على ما وهب لكم من ذلك وقوله قليلا ما تشكرون يقول وأنتم تشكرون قليلا من الشكر ربكم على ما أنعم عليكم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا أئذا ضللنا فى الأرض أئنا لفى خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون﴾ يقول تعالى ذكره وقال المشركون بالله المكذبون بالبعث أئذا ضللنا فى الأرض أى صارت لحومنا وعظاما ترابا فى الأرض وفيها لغتان ضللنا وضللنا بفتح اللام وكسرها والقراءة على فتحها وهى الجودة وبها نقرأ وذكر عن الحسن أنه كان يقرأ أئذا صللنا بالصاد بمعنى أنتنا من قولهم صل اللحم وأصل اذا أنتن وانما عنى هؤلاء المشركون بقولهم أئذا ضللنا فى الأرض أى اذا هلكت أجسادنا فى الأرض لأن كل شئ غلب عليه غيره حتى خفى فيه غلب فانه قد ضل فيه تقول العرب قد ضل الماء فى اللبن اذا غلب عليه حتى لا يتبين فيه الماء ومنه قول الأخطل بن جرير

كنت القذى فى موج أكدر مزبد ٭ قذف الأتى به فضل ضلالا

٭ ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ليث عن مجاهد أئذا ضللنا فى الأرض يقول أئذا هلكنا حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أئذا ضللنا فى الأرض هلكنا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرة عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أئذا ضللنا فى الأرض يقول أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعثون خلقا جديدا يكفرون بالبعث حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقالوا أئذا ضللنا فى الأرض أئنا لفى خلق جديد قال قالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا وقوله بل هم بلقاء ربهم كافرون يقول تعالى ذكره ما بهؤلاء المشركين بحمود قدرة الله على ما يشاء بل هم بلقاء ربهم كافرون حذرا لعقابه وخوف مجازاته اياهم على معصيتهم اياه فهم من أجل ذلك يجحدون لقاء ربهم فى المعاد ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله يتوفاكم ملك الموت يقول يستوفى عددكم بقبض أرواحكم ملك الموت الذى وكل بقبض أرواحكم ومنه قول الراجز

ان بنى الأدرم ليسوا من أحد ٭ ولا توفاهم قريش فى العدد

ثم الى ربكم ترجعون يقول من بعد قبض ملك الموت أرواحكم الى ربكم يوم القيامة ترجعون أحياء كهيئتكم قبل وفاتكم فيجازى المحسن منكم باحسانه والمسئ باساءته حدثنا بشر قال ثنا يزيد

بمقدورات غير محصورة لان اقتداره لا يتوقف على آلة وعدة وانما ذلك له ذاتي يكفي فيه الارادة ثم اكد ذلك بأن سمعه يتعلق في زمان واحد بكل المسموعات وكذا بصره بكل المبصرات من غير أن يشغله شيء عن شيء ثم أعاد طرفا من دلائل قدرته مع تذكير بعض نعمه قائلا (ألم تر) وقدم نظيره في الحج الى قوله الكبير وقوله ههنا (يجري الى أجل مسمى) وقوله في فاطر والزمر لاجل مسمى يؤل الى معنى واحد وان كان الطريق مغايرا لان الاول معناه انتهاؤهما الى وقت معلوم وهو للشمس آخر السنة وللقمر آخر الشهر وعن الحسن هو يوم القيامة لأن جريهما لا ينقطع الا وقتئذ والثاني معناه اختصاص الجري بادراك أجل معلوم كما وصفنا ووجه اختصاص هذا المقام بالى وغيره باللام أن هذه الآية صدرت بالتعجيب فناسب التطويل والمشار اليه بذلك هو ما وصف من عجيب قدرته أو أراد أن الموحى من هذه الآيات لسبب بيان أن الله هو الحق قال بعضهم (العلي) اشارة الى كونه تماما وهو انه حصل له ما ينبغي أن يكون له و(الكبير) اشارة الى كونه فوق التمام وهو أنه يحصل لغيره ما يحتاج اليه ثم أكد الآية السماوية بالآية الارضية ومعنى بنعمته باحسانه ورحمته أو بالريح الطيبة التي هي بأمر الله (ان في ذلك) الاجراء (لآيات لكل صبار) على الضراء (شكور) في السراء ووجه المناسبة أن كلتا الحالتين قد يقع لراكب البحر أو صبار على النواهي والتروك شكور في الافعال والأوامر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر ثم ذكر أن بعض الناس لا يخلص لله الا عند الشدائد وانما وحد الموج وجمع الظلل وهي كل ما أظلك من جبل أو سحاب لان الموج الواحد يرى له صعود ونزول لوجوههم كالجبال المتلاصقة وانما قال ههنا (فمنهم مقتصد) وقد قال فيما قبل اذا هم يشركون لانه ذكر ههنا الموج وعظمته ولا محالة يبقى لمثله أثر في الجبال

قال ثنا سعيد عن قتادة قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم قال ملك الموت يتوفاكم وعدة أعوان من الملائكة **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله يتوفاكم ملك الموت قال حويت له الأرض فجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد بنحوه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لو ترى يا محمد هؤلاء القائلين أئذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد اذ هم ناكسو رؤسهم عند ربهم حياء من ربهم للذي سلف منهم من معاصيه في الدنيا يقولون يا ربنا أبصرنا ما كنا نكذب به من عقابك أهل معاصيك وسمعنا منك تصديق ما كانت رسلك تأمرنا به في الدنيا فارجعنا يقول فاردد بنا الى الدنيا نعمل فيها بطاعتك وذلك العمل الصالح انا موقنون يقول انا قد أيقنا الآن ما كنا به في الدنيا جهالا من وحدانيتك وأنه لا يصلح أن يعبد سواك ولا ينبغي أن يكون رب سواك وأنك تحيي وتميت وتبعث من في القبور بعد الممات والفناء وتفعل ما تشاء ۞ وبنحو ما قلنا في قوله ناكسو رؤسهم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم قال قد حزنوا واستحيوا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ يقول تعالى ذكره ولو شئنا يا محمد لآتينا هؤلاء المشركين بالله من قومك وغيرهم من أهل الكفر بالله هداها يعني رشدها وتوفيقها للايمان بالله ولكن حق القول مني يقول وجب العذاب مني لهم وقوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين يعني من أهل المعاصي والكفر بالله منهم ۞ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها قال لو شاء الله لهدى الناس جميعا ولو شاء الله لأنزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين ولكن حق القول مني حق القول عليهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون﴾ يقول تعالى ذكره يقال لهؤلاء المشركين بالله اذا هم دخلوا النار ذوقوا عذاب الله بما نسيتم لقاء يومكم هذا في الدنيا انا نسيناكم يقول انا تركناكم اليوم في النار وقوله وذوقوا عذاب الخلد يقول يقال لهم أيضا ذوقوا عذابا تخلدون فيه الى غير نهاية بما كنتم في الدنيا تعملون من معاصي الله ۞ وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم قال نسوا من كل خير وأما الشر فلم ينسوا منه **حدثني** علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله انا نسيناكم يقول تركناكم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون﴾ يقول تعالى ذكره ما يصدق بحججنا وآياتنا الا القوم الذين اذا ذكروا بها ووعظوا خروا لله سجدا

يخفض شيأ من غلو الكفر والظلم ويتزجر بعض الازجار ويلزمه أن يكون متوسطا فى الاخلاص أيضا لاغاليا فيه وقل مؤمن قد ثبت على ما عاهد عليه الله فى البحر واختار أشد الغدر ومنه قولهم لا تمدن ناشبرا من غدر الامددت مالك باعا من ختر والختار فى مقابلة

وجوههم تذللا له واستكانة لعظمته واقرارا له بالعبودية وسجوا بجمدربهم يقول وسبحوا الله فى سجودهم بحمده فيبرؤنه مما يصفه أهل الكفر به ويضيفون اليه من الصاحبة والأولاد والشركاء والانداد وهم لا يستكبرون يقول يفعلون ذلك وهم لا يستكبرون عن السجود له والتسبيح لا يستنكفون عن التذلل له والاستكانة وقيل ان هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن قوما من المنافقين كانوا يخرجون من المسجد اذا أقيمت الصلاة ذكر ذلك عن حجاج عن ابن جريج ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ﴾ يقول تعالى ذكره تتنحى جنوب هؤلاء الذين يؤمنون بآيات الله الذين وصفت صفتهم وترتفع عن مضاجعهم التى يضطجعون لمنامهم ولا ينامون يدعون ربهم خوفا وطمعا فى عفوه عنهم وتفضله عليهم برحمته ومغفرته ومما رزقناهم ينفقون فى سبيل الله ويؤدون منه حقوق الله التى أوجبها عليهم فيه وتتجافى تتفاعل من الجفاء والجفاء النبو كما قال الراجز

وصاحبى ذات هباب دمشق ٭ وابن ملاط منجاف أرفق

يعنى أن كرمها سجية عن ابن ملاط وانما وصفهم تعالى ذكره بتجافى جنوبهم عن المضاجع لتركهم الاضطجاع للنوم شغلا بالصلاة واختلف أهل التأويل فى الصلاة التى وصفهم جل ثناؤه أن جنوبهم تتجافى لها عن المضطجع فقال بعضهم هى الصلاة بين المغرب والعشاء وقال نزلت هذه الآية فى قوم كانوا يصلون فى ذلك الوقت ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى بن سعيد عن أبى عروبة قال قال قتادة قال أنس فى قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال كانوا يتنفلون فيما بين المغرب والعشاء وكذلك تتجافى جنوبهم ٭ قال ثنا ابن أبى عدى عن سعيد عن قتادة عن أنس فى قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال يصلون ما بين هاتين الصلاتين حدثنى على بن سعيد الكندى قال ثنا حفص بن غياث عن سعيد عن قتادة عن أنس تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال ما بين المغرب والعشاء حدثنى محمد بن خلف قال ثنا يزيد بن حيان قال ثنا الحرث بن وجيه الراسبى قال ثنا مالك بن دينار عن أنس ابن مالك أن هذه الآية نزلت فى رجال من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانوا يصلون فيما بين المغرب والعشاء تتجافى جنوبهم عن المضاجع حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال كانوا يتطوعون فيما بين المغرب والعشاء ٭ قال ثنا أبى عن سفيان عن رجل عن أنس تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال ما بين المغرب والعشاء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال كانوا يتنفلون ما بين صلاة المغرب وصلاة العشاء ٭ وقال آخرون عنى بها(١) صلاة المغرب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى عن طلحة عن عطاء تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال عن العتمة وذكر عن حجاج عن ابن جريج قال قال يحيى بن صيفى عن أبى سلمة قال العتمة ٭ وقال آخرون لانتظار صلاة العتمة ذكر من قال ذلك حدثنى عبد الله بن أبى زياد قال ثنا عبد العزيز بن عبد الله الاويسى عن سليمن بن بلال عن يحيى بن سعيد عن أنس بن مالك أن هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع نزلت فى انتظار

(١) لعله صلاة العتمة يعنى العشاء كما تفيده الآثار بعد تأمل كتبه مصححه

الصبار لأن الخطر لا يصدر الا من عدم الصبر وقلة الاعتماد على الله فى دفع المكروه والكفور طباق الشكور وحين بين الدلائل وعظ بالتقوى وخوف من هول يوم القيامة ومعنى (لا يجزى) لا يقضى كما مر فى أول البقرة وذكر شخصين فى غاية الشفقة والمحبة وهما الوالد والولد ليلزم منه عدم الانتفاع بغيرهما بالاولى وفيه اشارة الى ما جرت به العادة من أن الأب يتحمل الآلام عن ابنه ما أمكن والولد يتحمل الاهانة عن الاب ما أمكن فكأنه قال لا يجزى فيه (والد عن ولده) شيأ من الآلام (ولا مولود هو جاز عن والده شيأ) من أسباب الاهانة قال جار الله انما أوردت الجملة الثانية اسمية لاجل التوكيد وذلك أن الخطاب للمؤمنين فأراد حسم أطماعهم أن يشفعوا لآبائهم الكفرة وفى توسيط هو مزيد تأكيد وفى لفظ المولود دون أن يقول ولا ولد تأكيد آخر لان الولد يقع على ولد الولد أيضا بخلاف المولود فانه لمن ولد منك فكأنه قيل ان الواحد منهم لو شفع للاب الأدنى الذى ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا أن يشفع لمن فوقه وقيل انما أوردت الثانية اسمية لان الابن من شأنه أن يكون جازيا عن والده لما عليه من الحقوق والوالد يجزى شفقة لا وجوبا (ان وعد الله) بمجىء ذلك اليوم (حق) أو وعده بعدم جزاء الوالد عن الولد وبالعكس حق و(الغرور) بناء مبالغة وهو الشيطان كما لا ينبغى أن تغركم الدنيا بنفسها وبزينتها فى أعينكم غار من الشيطان أو النفس الامارة روى عن النبى صلى الله عليه وسلم مفاتيح الغيب خمس وتلا قوله (ان الله عنده علم الساعة) الى آخرها وعن المنصور أنه همه معرفة مدة عمره فرأى فى منامه كأن خيالا أخرج يده من البحر

واشار اليه بالاصابع الخمس فاستفتى العلماء في ذلك فتأولوها بخمس سنين و بخمسة اشهر و بغير ذلك حتى قال ابو حنيفة تاويلها ان مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها الا الله وأن ماطلبت معرفته لاسبيل لك اليه قال في التفسير الكبير ليس مقصود الآية أنه تعالى

الصلاة التي تدعى العتمة * وقال آخرون عنى بها قيام الليل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال قيام الليل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال هؤلاء المتهجدون لصلاة الليل حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع يقومون يصلون من الليل * وقال آخرون انما هذه صفة قوم لا تخلو ألسنتهم من ذكر الله ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وهم قوم لا يزالون يذكرون الله اما في صلاة واما قياما واما قعودا واما اذا استيقظوا من منامهم هم قوم لا يزالون يذكرون الله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع الى آخر الآية يقول تتجافى لذكر الله كلما استيقظوا ذكروا الله اما في الصلاة واما في قيام أو في قعود أو على جنوبهم فهم لا يزالون يذكرون الله * والصواب من القول في ذلك أن يقال ان الله وصف هؤلاء القوم بأن جنوبهم تنبو عن مضاجعهم شغلا منهم بدعاء ربهم وعبادته خوفا وطمعا وذلك نبو جنوبهم عن المضاجع ليلا لأن المعروف من وصف الواصف رجلا بأن جنبه نبا عن مضجعه انما هو وصف منه له بأنه جفا عن النوم في وقت منام الناس المعروف وذلك الليل دون النهار وكذلك تصف العرب الرجل اذا وصفته بذلك يدل على ذلك قول عبد الله بن رواحة الانصاري رضي الله عنه في صفة نبي الله صلى الله عليه وسلم

بيت يجافي جنبه عن فراشه * اذا استثقلت بالمشركين المضاجع

فاذ كان ذلك كذلك وكان الله تعالى ذكره لم يخصص في وصفه هؤلاء القوم بالذي وصفهم به من جفاء جنوبهم عن مضاجعهم من أحوال الليل وأوقاته حالا و وقتا دون حال ووقت كان واجبا أن يكون ذلك على كل آناء الليل وأوقاته واذا كان كذلك كان من صلى ما بين المغرب والعشاء أو انتظر العشاء الآخرة أو قام الليل أو بعضه أو ذكر الله في ساعات الليل أو صلى العتمة ممن دخل في ظاهر قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع لأن جنبه قد جفا عن مضجعه في الحال التي قام فيها للصلاة قائما صلى أو ذكر الله أو قاعدا بعد أن لا يكون مضطجعا وهو على القيام أو القعود فاذ غير أن الأمر وان كان كذلك فان توجيه الكلام الى أنه معنى به قيام الليل أعجب الي لأن ذلك أظهر معانيه والاغلب على ظاهر الكلام وبه جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ما حدثنا به ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم قال سمعت عروة بن الزبير يحدث عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تكفر الخطيئة وقيام العبد في جوف الليل وتلا هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى ابن حماد قال ثنا أبو أسامة عن سليمان عن حبيب بن أبي ثابت والحكم عن ميمون بن أبي شبيب

ماطلبت معرفته لاسبيل لك اليه قال في التفسير الكبير ليس مقصود الآية أنه تعالى مختص بمعرفة هذه الامور فقط فانه يعلم الجوهر الفرد أين هو وكيف هو من أول يوم خلق العالم الى يوم النشور وانما المراد أنه تعالى حذر الناس من يوم القيامة كان لقائل أن يقول متى الساعة فذكر أن هذا العلم لا يحصل لغيره ولكن هو كائن لا ليلين ذكرهما مرارا وهو ازال الغيث المستلزم لاحياء الارض وخلق الأجنة في الارحام فان القادر على الابداء قادر على الاعادة بالاولى ثم انه كأنه قال أيها السائل ان لك شيأ أهم منها لا تعلمه فانك لا تعلم معاشك ومعادك فلا تعلم (ماذا تكسب غدا) مع أنه فعلك وزمانك ولا تعلم أين تموت مع أنه شغلك ومكانك فكيف تعلم قيام الساعة والسر في اخفاء الساعة واخفاء وقت الموت بل مكانه هو أنه بنا في التكليف كما مر في أول طه ولو علم المكلف مكان موته لأمن الموت اذا كان في غيره والسر في اخفاء الكسب في غير الوقت الحاضر هو أن يكون المكلف أبدا مشغول السر بالله معتمدا عليه في أسباب الرزق وغيره روى أن ملك الموت مر على سليمن عليه السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدني وسأل سليمن أن يحمله على الريح الى بلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمن كان نظري اليه تعجبا منه لأني أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك قال جار الله جعل العلم لله والدراية للعبد لما في الدراية من معنى الختل والحيلة كأنه قال انها لا تعرف وان أعملت حيلها وقرئ بأية أرض عن والأفصح عدم تأنيثه ﴿ التأويل وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة هي تسخير ما في السموات وما في الارض من الاجسام العلوية والسفلية

البسيطة والمركبة وباطنة هى تسخير ما فى سموات القلوب من الصدق والاخلاص والتوكل والشكر وسائر المقامات القلبية والروحانية بأن يسر العيون عليها بالسكون المتدارك بالجذبة والانتفاع بمنافعها والاجتناب عن مضارها وتسخير ما فى أرض النفوس من أضداد الأخلاق المذكورة بتبديلها بالحميدة والتمتع بخواصها والتحرز عن آفاتها ثم نضطرهم لفساد استعدادهم تجرى فى البحر بنعمة الله سلامتهم فى الظاهر معلومة وأما فى الباطن فنجاتهم بسفائن العصمة من بحار القدرة أو بسفينة الشريعة بملابسة الطريقة فى بحر الحقيقة لاراءة آيات شواهد الحق واذا تلاطمت عليهم أمواج بحار التقدير تمنوا أن تلفظهم نفحات الالطاف الى سواحل الاعطاف

﴿ سورة الم السجدة حروفها ألف وخمسمائة وثمانية عشر كلماتها ثلثمائة وثمانون آياتها ثلاثون مكية الا قوله أفمن كان مؤمنا الى ثلاث آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الم تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار

عن معاذ بن جبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه **حدثنى** محمد بن خلف العسقلانى قال ثنا آدم قال ثنا سفيان قال ثنا منصور بن المعتمر عن الحكم بن عتيبة عن ميمون بن أبى شبيب عن معاذ بن جبل قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت أنبأتك بأبواب الخير الصوم جنة والصدقة تكفر الخطيئة وقيام الرجل فى جوف الليل ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم تتجافى جنوبهم عن المضاجع **حدثنا** أبو كريب قال ثنا يزيد بن حيان عن حماد بن سلمة قال ثنا عاصم بن أبى النجود عن شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال قيام العبد من الليل **حدثنا** ابو همام الوليد ابن شجاع قال ثنى أبى قال ثنى زياد بن خيثمة عن أبى يحيى بائع القت عن مجاهد قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل فقاضت عيناه حتى تحادرت دموعه فقال تتجافى جنوبهم عن المضاجع وأما قوله يدعون ربهم خوفا وطمعا الآية فان نحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون قال خوفا من عذاب الله وطمعا فى رحمة الله ومما رزقناهم ينفقون فى طاعة الله وفى سبيله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره فلا تعلم نفس ذى نفس ما أخفى الله لهؤلاء الذين وصف جل ثناؤه صفتهم فى هاتين الآيتين مما تقر به أعينهم فى جنانه يوم القيامة جزاء بما كانوا يعملون يقول تواباً لهم على أعمالهم التى كانوا فى الدنيا يعملون ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عبيد المحاربى قال ثنا أبو الأحوص عن أبى اسحق (١) عن أبى عبيدة قال قال عبد الله ان فى التوراة مكتوبا قد أعد الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع مالم ترعين ولم يخطر على قلب بشر ولم تسمع أذن ومالم يسمعه ملك مقرب قال ونحن نقرؤها فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين **حدثنا** خلاد قال أخبرنا النضر بن شميل قال أخبرنا اسرائيل قال أخبرنا أبو اسحق عن عبيدة بن ربيعة عن ابن مسعود قال مكتوب فى التوراة على الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فى القرآن فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن أبى عبيدة عن عبد الله قال خبئ لهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال سفيان فما علمت على غير وجه الشك **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى اسحق قال سمعت أبا عبيدة قال قال عبد الله قال يعنى الله أعددت لعبادى الصالحين مالم ترعين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر فاقرأوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن صلت عن قيس بن الربيع عن أبى اسحق عن عبيدة بن ربيعة الحارثى عن عبد الله ابن مسعود قال ان فى التوراة للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع من الكرامة مالم ترعين ولم يخطر على قلب بشر ولم تسمع أذن وانه لفى القرآن فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين **حدثنا** أبو كريب قال ثنا الأشجعى عن ابن أبجر قال سمعت الشعبى يقول سمعت المغيرة بن شعبة يقول على المنبر ان موسى صلى الله عليه وسلم سأل عن أبخس أهل الجنة فيها حظا فقيل له رجل يؤتى به

(١) الذى فى الخلاصة أن أبا اسحق يروى عن عبيدة بن ربيعة فلعل زيادة أبى من الناسخ تأمل

والأفئدة قليلا ما تشكرون وقالوا أئذا ضللنا فى الارض أئنا لفى خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤسهم عند ربهم

ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس
أجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا (٦٦) انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا

خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها انا من المجرمين منتقمون ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات أفلا يسمعون أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون ﴿القراآت﴾ خلقه بفتح

وقد دخل أهل الجنة الجنة قال فيقال له ادخل فيقول أين وقد أخذ الناس أخذاتهم فيقال اعد أربعة ملوك من ملوك الدنيا فيكون لك مثل الذي كان لهم ولك أخرى شهوة نفسك فيقول أشتهي كذا وكذا وأشتهي كذا ويقال لك أخرى لك لذة عينك فيقول ألذ كذا وكذا فيقال لك عشرة أضعاف مثل ذلك وسأله عن أعظم أهل الجنة فيها حظا فقال ذاك شيء ختمت عليه يوم خلقت السموات والارض قال الشعبي فانها في القرآن فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون حدثني أحمد بن محمد الطوسي قال ثنا الحميدي قال ثنا ابن عيينة وحدثني به القرقساني عن ابن عيينة عن مطرف بن طريف وابن أبجر سمعا الشعبي يقول سمعت المغيرة ابن شعبة على المنبر يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم أن موسى سأل ربه أي رب أي أهل الجنة أدنى منزلة قال رجل يجيء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل فيقول كيف أدخل وقد نزلوا منازلهم فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ما كان لملك من ملوك الدنيا فيقول نعم أي رب قد رضيت فيقال له ان لك هذا ومثله ومثله ومثله ومثله فيقول رضيت أي رب رضيت فيقال له ان لك هذا وعشرة أمثاله معه فيقول رضيت أي رب فيقال له فان لك مع هذا ما اشتهت نفسك ولذت عينك قال فقال موسى أي رب وأي أهل الجنة أرفع منزلة قال اياها أردت وسأحدثك عنهم غرست لهم كرامتي بيدي وختمت عليها فلا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال ومصداق ذلك في كتاب الله فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون حدثنا محمد بن منصور الطوسي قال ثنا اسحق بن سليمن قال ثنا عمرو بن أبي قيس عن ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله وكان عرشه على الماء وكان عرش الله على الماء ثم اتخذ لنفسه جنة ثم اتخذ دونها أخرى ثم أطبقها بلؤلؤة واحدة قال ومن دونهما جنتان قال وهي التي لا تعلم نفس أو قال هما التي لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون قال وهي التي لا تعلم الخلائق ما فيها أو ما فيهما يأتيهم كل يوم منها أو منهما تحفة حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن عنبسة عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير نحوه حدثنا سهل بن موسى الرازي قال ثنا الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن أبي اليمان الهوزني أو غيره قال الجنة مائة درجة أو نحو درجة فضة أرضها فضة ومساكنها فضة وآنيتها فضة وترابها المسك والثانية ذهب وأرضها ذهب ومساكنها ذهب وآنيتها ذهب وترابها المسك والثالثة لؤلؤ وأرضها لؤلؤ ومساكنها لؤلؤ وآنيتها لؤلؤ وترابها المسك وسبع وتسعون بعد ذلك مالا عين رأته ولا أذن سمعته ولا خطر على قلب بشر وتلا هذه الآية فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون حدثنا أبو كريب قال ثنا المحاربي وعبد الرحيم عن محمد ابن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤا ان شئتم قال الله فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو معاوية وابن نمير عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال أبو هريرة ومن يله ما أطلعكم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون

اللام عاصم وحمزة وعلي وخلف ونافع وسهل الآخرون بالسكون على البدل من كل شيء وعلى الاول يكون قال وصفاله أئذا أئنا كافي الرعد ما أخفي بسكون الياء على أنه فعل مضارع متكلم حمزة الباقون بفتحها على أنه فعل ماض مجهول لما صبروا

بكسر اللام وتخفيف الميم حمزة وعلى ويروس الباقون بفتح اللام وتشديد الميم اولم نهد بالنون يزيد عن يعقوب ۞ الوقوف الم ٥ كوفى العالمين ٥ ط لان أم استفهام تقريع غير عاطفة بل هى منقطعة افتراه ج لعطف الجملتين المختلفتين يهتدون ٥ العرش ط شفيع ٥ تتذكرون ٥ ط تعلمون ٥ الرحيم ط من طين ٥ ج لأن ثم لترتيب الاخبار مهين ٥ ج لذلك والافئدة ط تشكرون ٥ جديد ٥ كافرون ٥ ترجعون ٥ عندربهم ط لحق القول المحذوف موقنون ٥ أجمعين ٥ هذا ج للابتداء بان مع تكرار وذوقوا تعملون ٥ لايستكبرون ٥ وطمعا ز لانقطاع النظم بتقديم المفعول ينفقون ٥ أعين ج لأن جزاء يحتمل أن يكون مفعولا له وأن يكون مصدرا لفعل محذوف يعملون ٥ فاسقا ط لانتهاء الاستفهام الى الاخبار لايستوون ٥ المأوى ز لمثل مامر فى جزاء يعملون ٥ النار ط تكذبون ٥ يرجعون ٥ عنها ط منتقمون ٥ اسرائيل ٥ ج وان اتفقت الجملتان للعدول عن ضمير المفعول الاول وهوواحد الى ضمير الجمع فى الثانية صبروا ط لمن شدد يوقنون ٥ يختلفون ٥ مساكنهم ط لآيات ط يسمعون ٥ وأنفسهم ط يبصرون ٥ صادقين ٥ ينظرون ٥ متظرون ٥ ۞ التفسير لماذكر فى السورة المتقدمة دلائل الواحدانية ودلائل الحشر وهما الطرفان بدأ فى هذه السورة ببيان الامر الاوسط وهو الرسالة المصححة ببرهان القرآن واعرابه قريب من قوله الم ذلك الكتاب وميل جار الله الى أن قوله (تنزيل الكتاب) مبتدأ خبره (من رب العالمين) ولاريب اعتراض لامحل له والضمير فى فيه راجع الى مضمون الجملة أى لاريب فى كونه منزلا من عنده ويمكن أن يقال فى وجه النظم لما عرف فى أول السورة المتقدمة أن القرآن هدى ورحمة قال ههنا انه من رب العالمين وذلك أن من عثر على كتاب سأل أولا أنه فى أى علم فاذا قيل

قال أبوهريرة قرؤها قرات أعين **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا معتمر بن سليمن عن الحكم بن أبان عن العطريف عن جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم عن الروح الأمين قال يؤتى بحسنات العبد وسيآته فيتقص بعضها من بعض فان بقيت حسنة واحدة وسع الله له فى الجنة قال فدخلت على يزداد فحدثت بمثل هذا قال قلت فأين ذهبت الحسنة قال أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ماعملوا ونتجاوز عن سيآتهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون قلت قوله فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين قال العبد يعمل سرا أسره الى الله فيعلم به الناس فأسر الله له يوم القيامة قرة عين **حدثنى** العباس بن أبى طالب قال ثنا معلى بن أسد قال ثنا سلام بن أبى مطيع عن قتادة عن عقبة بن عبد الغافر عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يروى عن ربه قال أعددت لعبادى الصالحين مالاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر **حدثنا** أبو السائب قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى أبو صخر أن أبا حازم حدثه قال سمعت سهل بن سعد يقول شهدت من رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا وصف فيه الجنة حتى انتهى ثم قال فى آخر حديثه فيها مالاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر ثم قرأ هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع الى قوله جزاء بما كانوا يعملون **حدثنا** ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن عوف عن الحسن قال بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال ربكم أعددت لعبادى الذين آمنوا وعملوا الصالحات مالاعين رأت ولاأذن سمعت ولا خطر على قلب بشر **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يروى ذلك عن ربه قال ربكم أعددت لعبادى الصالحين مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا سهل بن يوسف عن عمرو عن الحسن فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين قال أخفوا عملا فى الدنيا فأثابهم الله بأعمالهم **حدثنى** القاسم بن بشر قال ثنا سليمن بن حرب قال ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أبى رافع عن أبى هريرة قال حماد أحسبه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من يدخل الجنة ينعم لايبؤس لاتبلى ثيابه ولايفنى شبابه فى الجنة مالاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر واختلفت القراء فى قراءة قوله فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين فقرأ ذلك بعض المدنيين والبصريين وبعض الكوفيين أخفى بضم الألف وفتح الياء بمعنى فعل وقرأ بعض الكوفيين أخفى لهم بضم الالف وارسال الياء بمعنى أفعل أخفى لهم أنا والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى لأن الله اذا أخفاه فهو مخفى واذا أخفى فليس بمخف غيره وما فى قوله فلا تعلم نفس ما أخفى لهم فانها اذا جعلت بمعنى الذى كانت نصبا بوقوع تعلم عليها كيف قرأ القارئ أخفى واذا وجهت الى معنى أى كانت رفعا اذا قرئ أخفى بنصب الياء وضم الالف لانه لم يسم فاعله واذا قرئ أخفى بارسال الياء كانت نصبا بوقوع أخفى عليها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لايستوون أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون﴾ يقول تعالى ذكره أفهذا الكافر المكذب بوعد الله ووعيده المخالف أمر الله ونهيه كهذا المؤمن بالله المصدق بوعده

انه فى الفقه أو التفسير سأل انه تصنيف اى شخص فى تخصيص رب العالمين بالمقام اشارة الى أن كتاب رب العالمين لابد أن يكون فيه عجائب للعالمين فترغب النفس فى مطالعته ثم أضرب عما ذكر قائلا (أم يقولون افتراه) وهو تعجيب من قولهم لظهور أمر القرآن

فى تعجيز بلغائهم عن مثل سورة الكوثر ثم أضرب عن الانكار الى اثبات أنه الحق من ربك ومعنى (لتنذر قوما) قدم فى القصص ويندرج فيهم أهل الكتاب اذ يصدق عليهم أنهم لم يأتهم نذير بعد ضلالهم سوى محمد صلى الله عليه وسلم ولو لم يندرجوا لم يضر فان تخصيص قوم بالذكر لا يدل على نفى من عداهم كقوله وأنذر عشيرتك الأقربين وحين بين الرسالة بين ما على الرسول من الدعاء الى التوحيد فقال (الله) مبتدأ خبره ما يتلوه وقدم نظائره وقوله (مالكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون) اثبات للولاية والشفاعة أى النصرة من عنده ونفى لهما من غيره وفيه تجهيل لعبدة الاصنام الزاعمين أنها شفعاؤهم بعد اعترافهم بأن خالق الكل هو الله سبحانه ولما بين الخلق شرع فى الامر فقال (يدبر الامر) أى المأمور به من الطاعات والاعمال الصالحة ينزله مدبرا من السماء الى الارض ثم يعرج اليه ذلك العمل فى يوم طويل وهو كناية عن قلة الاخلاص لانه لا يوصف بالصعود ولا يقوى على العروج الا العمل الخالص ويؤيد هذا التفسير قوله فيما بعد قليلا ما تشكرون أو يدبر أمر الدنيا كلها من السماء الى الارض لكل يوم من أيام الله وهو ألف سنة ثم يصعد اليه مكتوبا فى الصحف فى كل جزء من أجزاء ذلك اليوم الخ ثم يدبر الأمر ليوم آخر مثله وهلم جرا أو ينزل الوحى مع جبرائيل ثم يرجع اليه ما كان من قبول الوحى ورده مع جبرائيل أيضا وتقدير الزمان بألف سنة لان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وأن الملك يقطعها فى يوم واحد من أيامنا وقيل انه اشارة الى نفوذ الامر فان نفاذ الامر كلا عن

و وعيده المطيع له فى أمره ونهيه كلا لا يستوون عند الله يقول لا يعتدل الكفار بالله والمؤمنون به عنده فيما هو فاعل بهم يوم القيامة وقال لا يستوون فجمع وانما ذكر قيل ذلك اثنين مؤمنا وكافرا لانه لم يرد بالمؤمن مؤمنا واحدا و بالفاسق فاسقا واحدا وانما أريد به جميع الفساق و جميع المؤمنين بالله فاذا كان الاثنان غير مقصودين بهما ذهبت بهما العرب مذهب الجمع وذكر أن هذه الآية نزلت فى على بن أبى طالب رضوان الله عليه والوليد بن عقبة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل قال ثنى ابن اسحق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار قال نزلت بالمدينة فى على بن أبى طالب والوليد بن عقبة بن أبى معيط كان بين الوليد و بين على كلام فقال الوليد بن عقبة أنا أبسط منك لسانا وأحد منك سنانا وأرد منك للكتيبة فقال على اسكت فانك فاسق فأنزل الله فيهما أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون الى قوله به تكذبون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون قال لا والله ما استووا فى الدنيا ولا عند الموت ولا فى الآخرة وقوله أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى يقول تعالى ذكره أما الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بما أمرهم الله ورسوله فلهم جنات المأوى يعنى بساتين المساكن التى يسكنونها فى الآخرة ويأوون اليها وقوله نزلا بما كانوا يعملون يقول نزلا أنزلهموها جزاء منه لهم بما كانوا فى الدنيا يعملون بطاعته وقوله وأما الذين فسقوا يقول تعالى ذكره وأما الذين كفروا بالله وفارقوا طاعته فمأواهم النار يقول فساكنهم التى يأوون اليها فى الآخرة النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها فى الدنيا تكذبون أن الله أعدها لأهل الشرك به * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأما الذين فسقوا أشركوا وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون والقوم مكذبون كما ترون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون﴾ اختلف أهل التأويل فى معنى العذاب الأدنى الذى وعد الله أن يذيقه هؤلاء الفسقة فقال بعضهم ذلك مصائب الدنيا فى الأنفس والأموال ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ولنذيقنهم من العذاب الأدنى يقول مصائب الدنيا وأسقامها و بلاؤها مما يبتلى الله بها العباد حتى يتوبوا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون قال العذاب الأدنى بلاء الدنيا قيل هى المصائب حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن قتادة عن عروة عن الحسن العرنى عن ابن أبى ليلى عن أبى بن كعب ولنذيقنهم من العذاب الأدنى قال المصيبات فى الدنيا قال والدخان قد مضى والبطشة واللزام * قال أبو موسى ترك يحيى بن سعيد يحيى بن الجزار نقصان رجل حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد ومحمد بن جعفر قالا ثنا شعبة عن قتادة عن عروة عن الحسن العرنى عن يحيى بن الجزار عن ابن أبى ليلى عن أبى بن كعب أنه قال فى هذه الآية ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قال مصيبات الدنيا واللزوم والبطشة أو الدخان شك شعبة فى البطشة أو الدخان حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة

فى مدة أكثر كان حاله أعلى أى يدبر الامر فى زمان يوم منه ألف سنة منه فكم يكون شهر منه وكم يكون سنة منه وكم يكون دهر منه فلا فرق على هذا بين ألف سنة و بين خمسين ألف سنة كما فى المعارج وقيل ان هذه عبارة عن الشدة واستطالة أهلها اياها كالعادة فى استطالة أيام الشدة والحزن واستقصار أيام الراحة والسرور وخصت السورة بقوله ألف سنة موافقة لما قبله وهو قوله فى سنة أيام وتلك الايام من جنس هذا اليوم وخصت سورة المعارج بقوله خمسين ألف سنة لان فيها ذكر القيامة وأهوالها فكان هو اللائق بها وعن عكرمة ان اليوم فى المعارج عبارة عن أول أيام الدنيا الى انقضائها وأنها خمسون ألف سنة لايدرى أحدكم كم مضى وكم بقى الا الله عز وجل و بالجملة فالآية المتقدمة تدل على عظمة عالم الخلق وسعة مكانه والآية الثانية تدل على عظمة عالم الامر وامتداد زمانه ثم بين أنه مع غاية عظمة ملكه وملكوته عليم بأمر العالمين فقال (ذلك عالم الغيب والشهادة) وفى قوله (العزيز الرحيم) اشارة الى صفتى القهر واللطف اللتين ينبغى أن تكونا لكل ملك وانما أخر الرحيم مع أن رحمته سبقت غضبه ليوصله بقوله (الذى أحسن كل شئ خلقه) نظيره الذى أعطى كل شئ خلقه وقد مر فى طه وعطف عليه تخصيصا بعد تعميم خلق الانسان وهو آدم بدليل قوله (ثم جعل نسله) أى ذريته لأنها تنسل أى تنفصل والسلالة الخلاصة كما ذكرنا فى أول المؤمنين وقوله (من ماء) بدل من سلالة والمهين الحقير ومعنى (سواه) قومه وأداره فى الاطوار الى حيث صلح لنفخ الروح فيه ثم عدل من الغيبة الى الخطاب فى قوله (وجعل لكم) تنبيها

عن قتادة عن عروة عن الحسن العرنى عن يحيى بن الجزار عن ابن أبى ليلى عن أبى بن كعب بنحوه الا أنه قال المصيبات واللزوم والبطشة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا زيد بن حباب عن شعبة عن قتادة عن عروة عن الحسن العرنى عن يحيى بن الجزار عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبى بن كعب قال المصيبات يصابون بها فى الدنيا البطشة والدخان واللزوم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى جعفر الرازى عن الربيع عن أبى العالية ولنذيقنهم من العذاب الأدنى قال المصائب فى الدنيا * قال ثنا أبو خالد الأحمر عن جويبر عن الضحاك ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قال المصيبات فى دنياهم وأموالهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حدثه عن الحسن قوله ولنذيقنهم من العذاب الأدنى أى مصيبات الدنيا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم ولنذيقنهم من العذاب الأدنى قال أشياء يصابون بها فى الدنيا * وقال آخرون عنى بها الحدود ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو عاصم عن شبيب عن عكرمة عن ابن عباس ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قال الحدود * وقال آخرون عنى بها القتل بالسيف قال وقتلوا يوم بدر ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدى عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله ولنذيقنهم من العذاب الأدنى قال يوم بدر **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن السدى عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله مثله **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن السدى عن مسروق عن عبد الله مثله **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عوف عمن حدثه عن الحسن بن على أنه قال ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قال القتل بالسيف صبرا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبد الأعلى عن عوف عن عبد الله بن الحرث بن نوفل ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قال القتل بالسيف كل شئ وعد الله هذه الأمة من العذاب الأدنى انما هو السيف **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قال القتل والجوع لقريش فى الدنيا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان مجاهد يحدث عن أبى بن كعب أنه كان يقول ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر يوم بدر * وقال آخرون عنى بذلك سنون أصابتهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قال سنون أصابتهم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن ابراهيم مثله * وقال آخرون عنى بذلك عذاب القبر ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمارة قال ثنا عبد الله قال أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قال الأدنى فى القبور وعذاب الدنيا * وقال آخرون ذلك عذاب الدنيا ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولنذيقنهم من العذاب الأدنى قال العذاب الأدنى عذاب الدنيا * وأولى الاقوال فى ذلك أن يقال ان الله وعد هؤلاء الفسقة

ثل جسامة نعم هذه الجوارح وتوبيخا على قلة الشكر عليها ثم بين عدم شكرهم بانكارهم المعاد بعد مشاهدة القطر القالا ولى وليست الثانية بعطف منها والواو للعطف على ماسبق كأنهم قالوا ان محمدا مفتر وقالوا القليس بواحد (وقالوا أئذا) يعنى أنهم وأسلافهم زعموا أن الحشر

غير ممكن ومعنى (ضللنا في الارض) غبنا فيها اما بالدفن أو بتفرق الاجزاء وتلاشيها والعامل في أئذا ما يدل عليه قوله أئنا لفي خلق جديد وهو نبعث أو يجدد خلقنا ثم صرح باثبات كفرهم على الاطلاق واللقاء لقاء الجزاء الشامل لجميع أحوال الآخرة ثم رد عليهم قولهم بالقوت بأنه يتوفاهم ملك الموت الموكل بقبض الأرواح ثم يرجعون الى حكم الله وحده ثم بين ما يكون من حالهم عند الرجوع بقوله (ولو ترى) أنت يا محمد أو كل من له أهلية الخطاب (اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم) خجلا وندامة قائلين (ربنا أبصرنا) ما كنا شاكين في وقوعه (وسمعنا) منك تصديق رسلك وجواب لو محذوف وهو لرأيت أمرا فظيعا وجوزوا أن يكون لو للتمني كأنه جعل لنبيه تمنى أن يراهم على تلك الصفة الفظيعة من الذل والهوان ليشمت بهم ثم انه سبحانه ألزمهم وألجمهم بقوله (ولو شئنا) الآية وفيه أنه لو ردهم الى الدنيا لم يهتدوا لأنهم خلقوا لجهنم القهر وقدم نظيره في آخر هود ثم أكدها نتهم بقوله (فذوقوا) وانتصب هذا على أنه مفعول فذوقوا وقوله (لقاء) مفعول نسيت أي ذوقوا هذا العذاب بما نسيتم لقاء يومكم وذهلتم عنه بعد وضوح الدلائل أو تركتم الفكر فيه ويجوز أن يكون هذا صفة يومكم ومفعول ذوقوا محذوف وهو العذاب ولقاء مفعول نسيتم أو هو مفعول فذوقوا على حذف المضاف أي تبعة لقاء يومكم ويكون نسيتم متروك المفعول أو محذوفه وهو الفكر في العاقبة وقوله (انا نسيناكم) من باب المقابلة والمراد تركهم من الرحمة نظيره نسوا الله فنسيهم وقوله (عذاب الخلد) من باب اضافة الموصوف الى الصفة في الظاهر نحو رجل صدق أمرهم على سبيل الاهانة بذوق عذاب الخزي والخجل ثم بذوق العذاب الخلد أعاذنا الله منه بفضله العميم ثم ذكر أن في الايمان بآيات الله من شأن الخلص من عباده الساجدين لله شكرا وتواضعا حين وعظوا بآيات ربهم منزهين له عما لا يليق بجنابه وجلاله

المكذبين بوعيده في الدنيا العذاب الأدنى أن يذيقهموه دون العذاب الأكبر والعذاب هو ما كان في الدنيا من بلاء أصابهم اما شدة من مجاعة أو قتل أو مصائب يصابون بها فكل ذلك من العذاب الأدنى ولم يخصص الله تعالى ذكره اذ وعدهم ذلك أن يعذبهم بنوع من ذلك دون نوع وقد عذبهم بكل ذلك في الدنيا بالقتل والجوع والشدائد والمصائب في الأموال فأوفى لهم بما وعدهم وقوله دون العذاب الأكبر يقول قبل العذاب الأكبر وذلك عذاب يوم القيامة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدي عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله دون العذاب الأكبر قال يوم القيامة **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن السدي عن مسروق عن عبد الله مثله **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد دون العذاب الأكبر يوم القيامة في الآخرة **حدثني** محمد بن عمارة قال ثنا عبيد الله قال أخبرنا اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد دون العذاب الأكبر يوم القيامة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة دون العذاب الأكبر يوم القيامة حدث به قتادة عن الحسن **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله دون العذاب الأكبر قال العذاب الأكبر عذاب الآخرة وقوله لعلهم يرجعون يقول كي يرجعوا ويتوبوا بتعذيبهم العذاب الأدنى * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن السدي عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله لعلهم يرجعون قال يتوبون **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية لعلهم يرجعون قال يتوبون **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لعلهم يرجعون أي يتوبون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها انا من المجرمين منتقمون﴾ يقول تعالى ذكره وأي الناس أظلم لنفسه ممن وعظه الله بحججه وآي كتابه ورسله ثم أعرض عن ذلك كله فلم ينعظ بمواعظه ولكنه استكبر عنها وقوله انا من المجرمين منتقمون يقول انا من الذين اكتسبوا الآثام واجترحوا السيآت منتقمون وكان بعضهم يقول عنى بالمجرمين في هذا الموضع أهل القدر ذكر من قال ذلك **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا مروان بن معاوية قال أخبرنا وائل ابن داود عن مروان بن سفيح عن يزيد بن رفيع قال ان قول الله في القرآن انا من المجرمين منتقمون هم أصحاب القدر ثم قرأ ان المجرمين في ضلال وسعر الى قوله خلقناه بقدر **حدثنا** الحسن بن عرفة قال ثنا مروان قال أخبرنا وائل بن داود عن ابن سفيح عن يزيد بن رفيع بنحوه الا أنه قال في حديثه ثم قرأ وائل بن داود هؤلاء الآيات ان المجرمين في ضلال وسعر الى آخر الآيات * وقال آخرون في ذلك بما **حدثني** به عمران بن بكار الكلاعي قال ثنا محمد بن المبارك قال ثنا اسمعيل ابن عياش قال ثنا عبد العزيز بن عبيد الله عن عبادة بن نسي عن جنادة بن أبي أمية عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثلاث من فعلهن فقد أجرم من اعتقد لواء في غير حق أو عق والديه أو مشى مع ظالم ينصره فقد أجرم يقول الله انا من المجرمين منتقمون ۞ القول

متلبسين بحمده غير مستكبرين عن عبادته (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) ترتفع وتتنحى عن مواضع النوم داعين ربهم أو عابدين له (خوفا) من أليم عقابه (وطمعا) فى عظيم ثوابه وفسره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيام الليل وهو التهجد قال اذا جمع الله الاولين والآخرين جاء منادينادى بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع ينادى ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانوا يحمدون الله فى الباساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس عن على رضى الله عنه

جنبى تجافى عن الوساد
خوفا من النار والمعاد
من خاف من سكرة المنايا
لم يدر ما لذة الرقاد
فدبلغ الزرع منتهاه
لابد للزرع من حصاد

عن أنس بن مالك كان أناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء الآخرة فنزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلاة العتمة لا ينامون عنها وما فى قوله (ما أخفى) موصولة ويجوز أن تكون استفهامية بمعنى أى شئ والمعنى لا تعلم نفس من النفوس لا ملك مقرب ولا نبى مرسل أى نوع عظيم من الثواب اذخره الله لأولئك مما تقر به عيونهم حتى لا تطمح الى غيره ولا تطلب الفرح بما عداه عن النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وعن الحسن أخفى القوم أعمالا فى الدنيا فأخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت قال المحققون انه يصدر من العبد أعمال صالحة وقد صدر عن الرب أشياء سابقة من الخلق والتربية وغيرهما وأشياء لاحقة من الثواب والاكرام فلله تعالى أن يقول أنا أحسنت أولا

فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن فى مرية من لقائه وجعلناه هدى لبنى اسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد آتينا موسى التوراة كما آتيناك الفرقان يا محمد فلا تكن فى مرية من لقائه يقول فلا تكن فى شك من لقائه فكان قتادة يقول معنى ذلك فلا تكن فى شك من أنك لقيته أو تلقاه ليلة أسرى بك وبذلك جاء الاثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن أبى العالية الرياحى قال حدثنا ابن عم نبيكم يعنى ابن عباس قال قال نبى الله صلى الله عليه وسلم أريت ليلة أسرى بى موسى بن عمران رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى رجلا مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الرأس ورأيت مالكا خازن النار والدجال فى آيات أراهن الله اياه فلا تكن فى مرية من لقائه أنه قد رأى موسى ولقى موسى ليلة أسرى به وقوله وجعلناه هدى لبنى اسرائيل يقول تعالى ذكره وجعلنا موسى هدى لبنى اسرائيل يعنى رشادا لهم يرشدون باتباعه ويصيبون الحق بالاقتداء به والائتمام بقوله * وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعلناه هدى لبنى اسرائيل قال جعل الله موسى هدى لبنى اسرائيل وقوله وجعلنا منهم أئمة يقول تعالى ذكره وجعلنا من بنى اسرائيل أئمة وهى جمع امام والامام الذى يؤتم به فى خير أو شر وأريد بذلك فى هذا الموضع أنه جعل منهم قادة فى الخير يؤتم بهم ويهتدى بهديهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا قال رؤساء فى الخير وقوله يهدون بأمرنا يقول تعالى ذكره يهدون أتباعهم وأهل القبول منهم باذننا لهم بذلك وتقويتنا اياهم عليه وقوله لما صبروا اختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة لما صبروا بفتح اللام وتشديد الميم بمعنى اذ صبروا وحين صبروا وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة لما بكسر اللام وتخفيف الميم بمعنى لصبرهم عن الدنيا وشهواتها واجتهادهم فى طاعتنا والعمل بأمرنا وذكر أن ذلك فى قراءة ابن مسعود بما صبروا وما اذا كسرت اللام من لما فى موضع خفض واذا فتحت اللام وشددت الميم فلا موضع لها لانها حينئذ أداة والقول عندى فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وتأويل الكلام اذا قرئ ذلك بفتح اللام وتشديد الميم وجعلنا منهم أئمة يهدون أتباعهم باذننا اياهم وتقويتنا اياهم على الهداية اذ صبروا على طاعتنا وعزفوا أنفسهم عن لذات الدنيا وشهواتها واذا قرئ بكسر اللام(١) على ما قد وصفنا وقد حدثنا ابن وكيع قال قال أبى سمعنا فى وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا قال عن الدنيا وقوله وكانوا بآياتنا يوقنون يقول وكانوا أهل يقين بما ظهر عليه حججنا وأهل تصديق بما تأتيهم لهم من الحق وايمان برسلنا وآيات كتابنا وتنزيلنا * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ يقول تعالى ذكره ان ربك يا محمد هو يبين جميع خلقه يوم القيامة فيما كانوا فيه فى الدنيا يختلفون من أمور الدين والبعث والثواب والعقاب وغير ذلك من أسباب دينهم فيفرق بينهم بقضاء فاصل يا يحابه لأهل الحق الجنة ولاهل الباطل النار * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات أفلا يسمعون ﴾ يقول

(١) لعله فيكون على الخ تأمل كتبه مصححه

والعبد أحسن فى مقابلته فالثواب تفضل من غير عوض وله أن يقول الذى فعلته أولا تفضل فاذا أتى العبد بالعمل الصالح جزيته خيرا لان جزاء الاحسان احسان وهذا الاعتبار الثانى أليق بالكرم ليذيق العبد لذة الاجر والكسب والاعتبار الاول أليق بالعبودية حتى يرى الفضل لله فى جانب الأبد فاذن لا تنقطع المعاملة بين الله وبين العبد أبدا وتكون العبادة لهم فى الآخرة بمنزلة التنفس كما للملائكة يروى أنه شجر بين على بن أبى طالب رضى الله عنه والوليد بن عقبة بن أبى معيط يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فانك صبى فقال له على اسكت فانك فاسق فأنزل الله تعالى فيهما خاصة وفى أمثالهما من الفريقين عامة (أفمن كان مؤمنا) الى آخر ثلاث آيات أو أربع ومن أول الآية محمول على اللفظ وفى قوله (لا يستوون) محمول على المعنى ثم فصل عدم استوائهما بقوله أما الذين آمنوا وأما الذين فسقوا وجنات المأوى نوع من الجنان تأوى اليها أرواح الشهداء على قول ابن عباس وقال بعضهم هى عن يمين العرش وفى لام التمليك فى (لهم) مزيد تشريف وايذان بأنهم لا يخرجون منها كما لا يخرج المالك من ملكه ولهذا لو قيل هذه الدار لزيد يفهم منه الملكية بخلاف ما لو قيل اسكن هذه الدار فانه يحمل على الاعارة وانه تعالى قال لا بينا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة لانه كان فى علمه أنه يخرج منها وانما قيل ههنا عذاب النار الذى كنتم به وفى سبا عذاب النار التى كنتم بها لأن النار فى هذه السورة وقعت موقع الكناية لتقدم ذكرها والكنايات لا توصف فوصف العذاب وفى سبا لم يتقدم ذكر النار فحسن وصف النار وتكذيبهم العذاب هو أنهم كانوا يقولون فى الدنيا انه لا عذاب فى الآخرة ويحتمل أن يراد بالتكذيب أنهم يقولون فى الآخرة أول ما تأخذهم النار جزا انه لا عذاب فوق ما نحن فيه فاذا زادالله لهم ألما على ألم وهو قوله (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها) صاروا كاذبين فيما زعموا

تعالى ذكره أولم يبين لهم كما حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس أولم يهد لهم يقول أولم يبين لهم وعلى القراءة بالياء فى ذلك قراءة الامصار وكذلك القراءة عندنا لاجماع الحجة من القراء بمعنى أولم يبين لهم اهلاكنا القرون الخالية من قبلهم سنتنا فيمن سلك سبيلهم من الكفر بآياتنا فيتعظوا ويزجروا وقوله كم اذا قرئ يهد بالياء فى موضع رفع بهد وأما اذا قرئ ذلك بالنون أولم نهد فان موضع كم وما بعدها نصب وقوله يمشون فى مساكنهم يقول تعالى ذكره أولم يبين لهم كثرة اهلاكنا القرون الماضية من قبلهم يمشون فى بلادهم وأرضهم كعاد وثمود كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون عاد وثمود وأنهم اليهم لا يرجعون وقوله ان فى ذلك لآيات يقول تعالى ذكره ان فى خلاء مساكن القرون الذين أهلكناهم من قبل هؤلاء المكذبين بآياتنا من قريش من أهلها الذين كانوا اسكانها وعمارها باهلاكنا اياهم لما كذبوا رسلنا وجحدوا بآياتنا وعبدوا من دون الله آلهة غيره التى يمرون بها فيعاينونها لآيات لهم وعظات يتعظون بها لو كانوا أولى حجا وعقول يقول الله أفلا يسمعون عظات الله وتذكيره اياهم آياته وتعريفهم مواضع حجته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون﴾ يقول تعالى ذكره أولم ير هؤلاء المكذبون بالبعث بعد الموت والنشر بعد الفناء أنا بقدرتنا نسوق الماء الى الارض اليابسة الغليظة التى لا نبات فيها وأصله من قولهم ناقة جرز اذا كانت تأكل كل شئ وكذلك الارض الجروز التى لا يبقى على ظهرها شئ الا أفسدته نظيرا كل الناقة الجراز كل ما وجدته ومنه قولهم للانسان الاكول جروز كما قال الراجز « خب جروز واذا » ومنه قيل للسيف اذا كان لا يبقى شيأ الا قطعه سيف جراز وفيه لغات أربع أرض جرز وجرز وجرز والفتح لبنى تميم فيما بلغنى « وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن ابن عباس الارض الجرز أرض باليمن حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال أرض باليمن « قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عبدالله بن المبارك عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز قال أين ونحوها حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة قال ثنا عبد الرزاق بن عمر عن ابن المبارك قال أخبرنا معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله الا أنه قال ونحوها من الارض حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن رجل عن ابن عباس فى قوله الى الارض الجرز قال التى لا تمطر الا مطرا لا يغنى عنها شيأ الا ما يأتيها من السيول حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن يزيد عن جويبر عن الضحاك الى الارض الجرز ليس فيها نبات حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز المغبرة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز قال الارض الجرز التى ليس فيها شئ ليس فيها نبات وفى قوله صعيدا

جرزا قال ليس عليها شئ وليس فيها نبات ولا شئ فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم يقول تعالى ذكره فنخرج بذلك الماء الذى نسوقه اليها على يبسها وغلظها وطول عهدها بالماء زرعا خضرا تأكل منه مواشيهم وتتغذى به أبدانهم وأجسامهم فيعيشون به أفلا يبصرون يقول تعالى ذكره أفلا يرون ذلك بأعينهم فيعلموا برؤيتهموه أن القدرة التى بها فعلت ذلك لا يتعذر على أن أحيى بها الأموات وأنشرهم من قبورهم وأعيدهم بهيآتهم التى كانوا بها قبل وفاتهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون فأعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون ﴾ يقول تعالى ذكره ويقول هؤلاء المشركون بالله يا محمد لك متى هذا الفتح واختلف فى معنى ذلك فقال بعضهم معناه متى يجىء هذا الحكم بيننا وبينكم ومتى يكون هذا الثواب والعقاب ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قال قال أصحاب نبى الله صلى الله عليه وسلم ان لنا يوما أو شك أن نستريح فيه ونتنعم فيه فقال المشركون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين ، وقال آخرون بل عنى بذلك فتح مكة ، والصواب من القول فى ذلك قول من قال معناه ويقولون متى يجىء هذا الحكم بيننا وبينكم يعنون العذاب يدل على أن ذلك معناه قوله قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون ولا شك أن الكفار قد كان جعل الله لهم التوبة قبل فتح مكة وبعده ولو كان معنى قوله متى هذا الفتح على ما قاله من قال يعنى به فتح مكة لكان لا توبة لمن أسلم من المشركين بعد فتح مكة ولا شك أن الله قد تاب على بشر كثير من المشركين بعد فتح مكة ونفعهم بالايمان به وبرسوله فعلوم بذلك صحة ما قلنا من التأويل وفساد ما خالفه وقوله ان كنتم صادقين يعنى ان كنتم صادقين فى الذى تقولون من أنا معاقبون على تكذيبنا محمدا صلى الله عليه وسلم وعبادتنا الآلهة والاوثان وقوله قل يوم الفتح يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد يوم الحكم ومجىء العذاب لا ينفع من كفر بالله وبآياته ايمانهم الذى يحدثونه فى ذلك الوقت كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم قال يوم الفتح اذا جاء العذاب حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يوم الفتح يوم القيامة ونصب اليوم فى قوله قل يوم الفتح ردا على متى وذلك أن متى فى موضع نصب ومعنى الكلام أى حين هذا الفتح ان كنتم صادقين ثم قيل يوم كذا وبه قرأ القراء وقوله ولا هم ينظرون يقول ولا هم يؤخرون للتوبة والمراجعة وقوله فأعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين بالله القائلين لك متى هذا الفتح المستعجليك بالعذاب وانتظر ما الله صانع بهم انهم منتظرون يقول ان المشركين منتظرون ما تعدهم من العذاب ومجىء الساعة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون يعنى يوم القيامة

آخر تفسير سورة السجدة ولله الحمد والمنة

أنه لا عذاب أزيد مما هم فيه وعلى هذا يمكن أن يراد بالخروج منها والاعادة فيها هو أن أبدانهم تتألف النار وتتعودها فيقل الاحساس بها فيعيد الله عليهم احساسهم الاول فيزيد تألمهم ومن هنا قالت الحكماء ان الاحساس بحرارة الحمى الدق أقل من الاحساس بحرارة الحمى البلغمية مع أن نسبة الدق الى الثانية نسبة النار الى الماء المسخن ونظيره أن الانسان يضع يده فى الماء البارد فيتألم أولا ثم اذا صبر زمانا طويلا زال ذلك الالم وذلك لبطلان حسه ثم حتم على نفسه أنه يذيقهم عذاب الدنيا من القتل والاسر والقحط قبل أن يصلوا الى عذاب الآخرة وعن مجاهد أن الأدنى هو عذاب القبر وانما لم يقل الأصغر فى مقابلة الأكبر أو الأبعد الأقصى فى مقابلة الأدنى لان الغرض هو التخويف والتهديد وذلك انما يحصل بالقرب لا بالصغر والكبر ولا بالبعد ومعنى قوله (لعلهم يرجعون) والترجى على الله محال لنذيقهم اذا قة الراجين رجوعهم عن الكفر والمعاصى كقوله انا نسيناكم أى تركناكم كما يترك الناسى حيث لا يلتفت اليه أصلا أى نذيقهم على الوجه الذى يفعل الراجى من التدريج أو نذيقهم اذاقة يقول القائل لعلهم يرجعون بسببه قال فى التفسير الكبير ان الرجاء فى أكثر الامر يستعمل فيما لا تكون عاقبته معلومة فتوهم الاكثرون أنه لا يجوز اطلاقه فى حق الله تعالى وليس كذلك فان الجزم بالعاقبة انما يحصل فى حقه بدليل منفصل لا من نفس الفعل فان التعذيب لا يلزم منه الرجوع لزوما بينا قلت هذا يرجع الى التأويل الاول فان الكلام فى تعذيب الله هل هو يستدعى الرجوع على سبيل الرجاء أم لا وكون مطلق التعذيب مستدعيا لذلك لا يكفى للسائل وقالت المعتزلة لعل ان الله اراد واراد الله فعل المختار لا تمدح فى اقتدار الله اذا لم يختر المختار مراد الله كما أنهم لم يختاروا التوبة والرجوع عن الكفر والالم

يكونوا اذا تقين العذاب الاكبر وانما يقدح فى اقتداره اذا تعلقت ارادته بفعل نفسه أو بفعل المضطر المقسور ثم لا يوجد ذلك الفعل وجوز فى الكشاف أن يراد لعلهم يريدون (٧٤) الرجوع الى الدنيا ويطلبونه كقوله فارجعنا نعمل صالحا سميت ارادة الرجوع رجوعا كما سميت ارادة القيام قياما فى قوله اذا قمتم الى الصلاة ثم بين أنهم اذا ذكروا بالدلائل من النعم أولا والنقم ثانيا وهو العذاب الأدنى ثم لم يؤمنوا فلا أحد أظلم منهم ومعنى (ثم) أنه ذكر مرات ثم بالآخرة (أعرض عنها) والفاء فى سورة الكهف تدل على الاعراض عقيب التذكير وقد سبق وقال أهل المعانى ثم ههنا تدل على أن الاعراض بعد التذكير مستبعد فى العقول قال المحققون الذى لا يحتاج فى معرفة الله الا الى الله عدل كقوله أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد كما قال بعضهم ما رأيت شيأ الا ورأيت الله قبله والذى يحتاج فى ذلك الى دلائل الآفاق والانفس متوسط والذى يقر عند الشدة ويجحد عند الرحمة ظالم كقوله واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه والذى يبقى على الجحود والاعراض وان عذب فلا أظلم منه وحين جعله أظلم كل ظالم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم ليدل على اصابة الأظلم منهم النصيب الاوفر من الانتقام ولو قال انا منهم منتقمون لم يكن بهذه الحيثية فى الافادة ثم عاد الى تأكيد أصل الرسالة مع تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم فقال (ولقد آتينا موسى الكتاب) قال جار الله اللام للجنس ليشمل التوراة والفرقان والضمير فى لقائه للكتاب أى آتينا موسى مثل ما آتيناك ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحى فلا تك فى شك من أنك لقيت مثله واللقاء بمعنى التلقين والاعطاء كقوله وانك لتلقى القرآن وقيل الضمير فى لقائه لموسى أى من لقائك رجلا موسى ليلة المعراج أو يوم القيامة أو من لقاء موسى الكتاب وهو تلقيه له بالرضا والقبول والضمير فى جعلناه للكتاب على أنه منزل على موسى

﴿ تفسير سورة الاحزاب ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا أيها النبى اتق الله بطاعته وأداء فرائضه وواجب حقوقه عليك والانتهاء عن محارمه واتهاك حدوده ولا تطع الكافرين الذين يقولون لك اطرد عنك أتباعك من ضعفاء المؤمنين بك حتى نجالسك والمنافقين الذين يظهرون لك الايمان بالله والنصيحة لك وهم لا يألونك وأصحابك ودينك خبالا فلا تقبل منهم رأيا ولا تستشرهم مستنصحا بهم فانهم لك أعداء ان الله كان عليما حكيما يقول ان الله ذو علم بما تضمره نفوسهم وما الذى يقصدون فى اظهارهم لك النصيحة مع الذى ينطوون لك عليه حكيم فى تدبير أمرك وأمر أصحابك ودينك وغير ذلك من تدبير جميع خلقه واتبع ما يوحى اليك من ربك يقول واعمل بما ينزل الله عليك من وحيه وآى كتابه ان الله كان بما تعملون خبيرا يقول ان الله بما تعمل به أنت وأصحابك من هذا القرآن وغير ذلك من أموركم وأمور عباده خبيرا أى ذا خبرة لا يخفى عليه من ذلك شئ وهو مجازيكم على ذلك بما وعدكم من الجزاء ● وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله واتبع ما يوحى اليك من ربك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واتبع ما يوحى اليك من ربك أى هذا القرآن ان الله كان بما تعملون خبيرا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ﴾ يقول تعالى ذكره وفوض الى الله يا محمد أمرك وثق به وكفى بالله وكيلا يقول وحسبك بالله فيما يأمرك وكيلا وحفيظا بك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ﴾ اختلف أهل التأويل فى المراد من قول الله ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه فقال بعضهم عنى بذلك تكذيب قوم من أهل النفاق وصفوا نبى الله صلى الله عليه وسلم بأنه ذو قلبين فنفى الله ذلك عن نبيه وكذبهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا حفص بن غياث قال ثنا زهير بن معاوية عن قابوس بن أبى ظبيان أن أباه حدثه قال قلنا لابن عباس أرأيت قول الله ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ما عنى بذلك قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فصلى فخطر خطرة فقال المنافقون الذين يصلون معه ان له قلبين قلبا معكم وقلبا معهم فأنزل الله ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ● وقال آخرون بل عنى بذلك رجل من قريش كان يدعى ذا القلبين من دهيه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه قال كان رجل من قريش يسمى من دهيه ذا القلبين فأنزل الله هذا فى شأنه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه قال كان

واستدل به على أن الله تعالى جعل التوراة هدى لبنى اسرائيل خاصة ولم يتعبد بما فيها ولد اسمعيل ثم حكى ان منهم من اهتدى حتى صار من أئمة الهدى وذلك حين صبروا أو لصبرهم على مناعب التكليف ومشاق الدعاء الى الدين بعيدا يقانهم به وفيه أن الله تعالى

رجلا من بنى فهر قال ان فى جوفى قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد «وكذب» حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه قال قتادة كان رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى ذا القلبين فأنزل الله فيه ما تسمعون * قال قتادة وكان الحسن يقول كان رجل يقول لى نفس تأمرنى ونفس تنهانى فأنزل الله فيه ما تسمعون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن خصيف عن عكرمة قال كان رجل يسمى ذا القلبين فنزلت ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه * وقال آخرون بل عنى بذلك زيد ابن حارثة من أجل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تبناه فضرب الله بذلك مثلا ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى فى قوله ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه قال بلغنا أن ذلك كان فى زيد بن حارثة ضرب الله له مثلا يقول ليس ابن رجل آخر ابنك * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال ذلك تكذيب من الله تعالى قول من قال لرجل فى جوفه قلبان يعقل بهما على النحو الذى روى عن ابن عباس وجائز أن يكون ذلك تكذيبا من الله لمن وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وأن يكون تكذيبا لمن سمى القرشى الذى ذكر أنه سمى ذا القلبين من دهيه وأى الامرين كان فهو نفى من الله عن خلقه من الرجال أن يكونوا بتلك الصفة وقوله وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم يقول تعالى ذكره ولم يجعل الله أيها الرجال نساءكم اللائى تقولون لهن أنتن علينا كظهور أمهاتنا أمهاتكم بل جعل ذلك من قيلكم كذبا وأزلمكم عقوبة لكم كفارة * ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم أى ما جعلها أمك فاذا ظاهر الرجل من امرأته فان الله لم يجعلها أمه ولكن جعل فيها الكفارة وقوله وما جعل أدعياءكم أبناءكم يقول ولم يجعل الله من ادعيت أنه ابنك وهو ابن غيرك ابنك بدعواك وذكر أن ذلك نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل تبنيه زيد بن حارثة ذكر الرواية بذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أدعياءكم أبناءكم قال نزلت هذه الآية فى زيد بن حارثة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما جعل أدعياءكم أبناءكم قال كان زيد ابن حارثة حين من الله ورسوله عليه يقال له زيد ابن محمد كان تبناه فقال الله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم قال وهو يذكر الازواج والاخت فأخبره أن الازواج لم تكن بالامهات أمهاتكم ولا أدعياءكم أبناءكم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما جعل أدعياءكم أبناءكم وما جعل دعيك ابنك يقول اذا ادعى رجل رجلا وليس بابنه ذلكم قولكم بأفواهكم الآية وذكر لنا أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول من ادعى الى غير أبيه متعمدا حرم الله عليه الجنة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن أبى زائدة عن أشعث عن عامر قال ليس فى الأدعياء زيد وقوله ذلكم قولكم بأفواهكم يقول تعالى ذكره هذا القول وهو قول الرجل لامرأته أنت على كظهر أمى ودعائه من ليس بابنه أنه ابنه انما هو قولكم بأفواهكم لا حقيقة له لا يثبت بهذه الدعوى نسب الذى ادعيت بنوته ولا تصير الزوجة أما بقول الرجل لها أنت على كظهر أمى والله يقول الحق يقول والله هو

سيجعل الكتاب المنزل على نبينا أيضا سبب الاهتداء والهداية وكان كما أخبر ومثله اخبار النبى صلى الله عليه وسلم علماء أمتى كأنبياء بنى اسرائيل ولا يخفى أن من التبعيضة فى قوله (وجعلنا منهم) كانت تدل على أن بعضهم ليسوا أئمة الهدى وفيه رمز الى أن بعضهم كانوا أئمة الضلال فلذلك قال (ان ربك هو يفصل بينهم) الآية وفيه اشارة الى أنه سبحانه سيميز المحق فى كل دين من المبطل ثم أعاد أصل التوحيد مقرونا بالوعيد قائلا (أولم يهد لهم) وقد مر نظيره فى آخر طه وانما قال فى آخر الآية (ان فى ذلك لآيات) على الجمع ليناسب القرون والمساكن وانما قال (أفلا يسمعون) لانه تقدم ذكر الكتاب وهو مسموع وفيه اشارة الى أنه لا حظ لهم منه الا السماع وحين ذكر الاهلاك والتخريب أتبعه ذكر الاحياء والعمارة ومعنى (نسوق الماء) نسوق السحاب وفيه المطر (الى الارض الجرز) وهى التى جرز نباتها أى قطع اما لعدم الماء واما لانه رعى وأزيل قال جار الله ولا يقال للتى لا تنبت كالسباخ جرز بدلالة قوله (فنخرج به زرعا) وعن ابن عباس أنها أرض اليمن والضمير فى به للماء وانما قدم الانعام ههنا على الانفس لان الزرع لا يصلح أقله الا للانعام وانما يحدث الحب فى آخر أمره قال فى طه كلوا وارعوا أنعامكم لان الازواج من النبات أعم من الزرع وكثير منه يصلح للانسان فى أول ظهوره مع أن الخطاب لهم فناسب أن يقدموا وانما ختم الآية بقوله (أفلا يبصرون) تأكيدا لقوله فى أول الآية أولم يروا ثم حكى نوع جهالة أخرى عنهم وهو استعجالهم العذاب قال المفسرون كان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين

أى ينصرنا عليهم و يفتح بيننا و بينهم أى يفصل فاستعجل المشركون ذلك و يوم الفتح يوم القيامة فحينئذ تفتح أبواب الامور المبهمة أو يوم بدر أو يوم فتح مكة قاله مجاهد والحسن فان قلت كيف ينطبق قوله قل يوم الفتح الخ جوابا عن سؤالهم عن وقت الفتح فالجواب أنهم سألوا ذلك على وجه التكذيب والاستهزاء فقيل لهم لاتستهزؤا فكأنا بكم وقد حصلتم فى ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الايمان واستنظرتم فلم تنظروا ومن فسر يوم الفتح بيوم بدر أو بيوم فتح مكة فالمراد أن المقتولين منهم لاينفعهم ايمانهم فى حال القتل والا فقد نفع الايمان الطلقاء يوم فتح مكة وناسا يوم بدر ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالاعراض عنهم وانتظار النصرة عليهم حين علم أنه لاطريق معهم الا القتال نظيره قوله قل تربصوا فانى معكم من المتربصين ﴿ التأويل الالف المحبون لقربى والعارفون بتمجيدى فلا يصبرون عنى ولايستأنسون بغيرى اللام الاحياء لى مدخر لقائى فلا أبالى أقاموا على وثاقى أم قصروا فى وفائى الميم ترك أولياءى مرادهم لمرادى فلذلك اخترتهم على جميع عبادى تنزيل الكتاب أعز الاشياء على الاحباب كتاب الاحباب أنزله رب العالمين لاهل الظاهر على ظاهرهم ولاهل الباطن فى باطنهم فاستناروا بنوره وتكلموا بالحق عن الحق للحق فلم يفهمه أهل الغرة والغفلة فقالوا افتراء خلق سموات الارواح وأرض الاشباح وما بينهما من النفس والقلب والسر فى ستة أجناس هى الجماد والمعدن والنبات والحيوان والشيطان والملك ثم استوى على العرش الخفى وهو لطيفة ربانية قابلة للفيض الربانى بلا واسطة أفلا تتذكرون كيف خلقكم فى أطوار مختلفة يدبر الامر من سماء الروح الى أرض النفس والبدن ثم يعرج اليه النفس المخاطبة بخطاب ارجعى الى ربك فى يوم طلعت فيه شمس صدق الطلب وأشرقت الارض بنور جذبات الحق كان مقداره فى العروج بالجذبة كألف سنة

الصادق الذى يقول الحق وبقوله يثبت نسب من أثبت نسبه و به تكون المرأة لولد أنا ذاكم بذلك وهو يهدى السبيل يقول تعالى ذكره والله يبين لعباده سبيل الحق و يرشدهم لطريق الرشاد ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما ﴾ يقول الله تعالى ذكره انسبوا أدعياءكم الذين ألحقتم أنسابهم بكم لآبائهم يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألحق نسب زيد بأبيه حارثة ولاتدعه زيد ابن محمد وقوله هو أقسط عند الله يقول دعاؤكم اياهم لآبائهم هو أعدل عند الله وأصدق وأصوب من دعائكم اياهم لغير آبائهم ونسبتكموهم الى من تبناهم وادعاهم وليسوا له ببنين كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله أى أعدل عند الله وقوله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم يقول تعالى ذكره فان أنتم أيها الناس لم تعلموا آباء أدعيائكم من هم فتنسبوهم اليهم ولم تعرفوهم فتلحقوهم بهم فاخوانكم فى الدين يقول فهم اخوانكم فى الدين ان كانوا من أهل ملتكم ومواليكم ان كانوا محرريكم وليسوا ببنيكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله أى أعدل عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم فان لم تعلموا من أبوه فانما هو أخوك ومولاك حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه قال قال أبو بكرة قال الله ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم فأنا ممن لايعرف أبوه وأنا من اخوانكم فى الدين قال قال أبى والله انى لأظنه لو علم أن أباه كان حمارا لانتمى اليه وقوله وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به يقول ولاحرج عليكم ولا وزر فى خطأ يكون منكم فى نسبة بعض من تنسبونه الى أبيه وأنتم ترونه ابن من تنسبونه اليه وهو ابن لغيره ولكن ما تعمدت قلوبكم يقول ولكن الاثم والحرج عليكم فى نسبتكموه الى غير أبيه وأنتم تعلمونه ابن غيره من تنسبونه اليه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به يقول اذا دعوت الرجل لغير أبيه وأنت ترى أنه كذلك ولكن ما تعمدت قلوبكم يقول الله لاتدعه لغير أبيه متعمدا أما الخطأ فلا يؤاخذكم الله به ولكن يؤاخذكم بما تعمدت قلوبكم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد تعمدت قلوبكم قال فالعمد ما أتى بعد البيان والنهى فى هذا وغيره وما التى فى قوله ولكن ما تعمدت قلوبكم خفض ردا على ما التى فى قوله فيما أخطأتم به وذلك أن معنى الكلام ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن فيما تعمدت قلوبكم وقوله وكان الله غفورا رحيما يقول الله تعالى ذكره وكان الله ذا ستر على ذنب من ظاهر من زوجته فقال الباطل والزور من القول وذنب من ادعى ولدا غيره وابنا له اذا تابا وراجعا أمر الله وانتهيا عن قيل الباطل بعد أن نهاهما ربهما عنه ذا رحمة بهما أن يعاقبهما على ذلك بعد توبتهما من خطيئتهما ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض

في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا﴾ يقول تعالى ذكره النبي محمد أولى بالمؤمنين يقول أحق بالمؤمنين به من أنفسهم أن يحكم فيهم بما يشاء من حكم فيجوز ذلك عليهم كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم كما أنت أولى بعبدك ما قضى فيهم من أمر جاز كما قضيت على عبدك جاز حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم قال هو أب لهم حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عثمان بن عمر قال ثنا فليح عن هلال بن علي عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن الا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة اقرؤا ان شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأيما مؤمن ترك مالا فلورثته وعصبته من كانوا وان ترك دينا أو ضياعا فليأتني وأنا مولاه حدثنا ابن وكيع قال ثنا حسن بن علي عن أبي موسى اسرائيل بن موسى قال قرأ الحسن هذه الآية النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم قال قال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا أولى بكل مؤمن من نفسه قال الحسن وفي القراءة الاولى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال في بعض القراءة النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال أيما رجل ترك ضياعا فأنا أولى به وان ترك مالا فهو لورثته وقوله وأزواجه أمهاتهم يقول وحرمة أزواجه حرمة أمهاتهم عليهم في أنهن يحرم عليهم نكاحهن من بعد وفاته كما يحرم عليهم نكاح أمهاتهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم يعظم بذلك حقهن وفي بعض القراءة وهو أب لهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأزواجه أمهاتهم محرمات عليهم وقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين يقول تعالى ذكره وأولوا الارحام الذين ورثت بعضهم من بعض هم أولى بميراث بعض من المؤمنين والمهاجرين أن يرث بعضهم بعضا بالهجرة والايمان دون الرحم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين لبث المسلمون زمانا يتوارثون بالهجرة والأعرابي المسلم لا يرث من المهاجرين شيأ فأنزل الله هذه الآية نخلط المؤمنين بعضهم ببعض فصارت المواريث بالملل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا قال كان النبي صلى الله عليه وسلم قد آخى بين المهاجرين والانصار أول ما كانت الهجرة وكانوا يتوارثون على ذلك وقال الله ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم قال اذا لم يثبت رحم لهذا يحول دونهم قال فكان هذا أولا فقال الله الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا يقول الا أن توصوا لهم كان ذلك في الكتاب مسطورا أن أولى الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله قال

من أطوار عالم الشهادة ثم سواه شخص انسان جديد المرآة ونفخ فيه من روحه فصار مرآة قابلة لاراءة صفات جماله وجلاله ثم تجلى فيها بتجلية صفة السمعية والبصرية والعالمية التي مرآتها السمع والابصار والافئدة فضلنا في أرض البشرية يتوفاكم ملك الموت وهو المحبة الالهية بقبض الارواح من صفات الانسانية ويميتها عن محبوباتها بجذبة ارجعي تاكسو رؤسهم بالتوجه الى حضيض عالم الطبيعة كالأنعام بعد أن كانوا رافعي الرؤس يوم الميثاق تتجافى جنوب همتهم عن مضاجع الدارين جنات المأوى التي هي مأوى الابرار تكون نزلا للقربين السائرين الى الله كنتم به تكذبون لأنه لم يكن لكم به شعور في الدنيا لانكم كنتم في يوم الغفلة والاشتغال بالمحسوسات العذاب الأدنى اذا وقعت للسالك فترة ووقفة لعجب تداخله أو لملالة وسآمة ابتلاه الله ببلاء في نفسه أو ماله أو مصيبة في أهاليه وأقربائه وأحبابه لعله ينتبه من نوم الغفلة ويدارك أيام العطلة قبل أن يذيقه العذاب الاكبر في الخذلان والهجران فلا تك في مرية من لقائه أي من أنه يرى الرب بركة متابعتك حين قال اللهم اجعلني من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فان الرؤية مخصوصة بك وبتبعتك لامتك ويحتمل أن يكون الخطاب في فلا تك لموسى القلب والضمير في لقائه لله وجعلنا موسى لقلب هدى لبني اسرائيل صفات القلب وجعلناهم أئمة هم السر الخفي ان ربك هو يفصل بينهم الآية لانهم عنده أعز من أن يجعل حكمهم لأحد من المخلوقين ولانه أعلم بحالهم من غيرهم ولئلا يطلع على أحوالهم غيره لانه خالقهم للمحبة والرحمة فينظر في شأنهم بنظر المحبة والرضا

لانه عفو يفيض العفو والجود فتحيا به القلوب الميتة فيسق حدائق وصلهم بعد جفاف عودها وزوال المألوف من معهودها فتخرج به
زروعا من الواردات التي تصلح تربية النفوس وهي الانعام ومن المشاهدات التي تصلح لتغذية القلوب ويقول المنكرون
لهذه الطائفة متى هذا الفتح أي
الفتوح التي تدعونها فلا ينفعكم
ذلك ان لم تقتدوا بهم ولم تهتدوا
بهديهم فاعرض عنهم أيها الطالب
بالاقبال علينا وبالله التوفيق

﴿سورة الاحزاب مدنية حروفها
خمسة آلاف وسبعمائة وستة
وتسعون كلمها ألف ومائتان
وثمانون آياتها ثلاث وسبعون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
﴿يا أيها النبي اتق الله ولا تطع
الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما
حكيما واتبع ما يوحى اليك من ربك
ان الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل
على الله وكفى بالله وكيلا ما جعل الله
لرجل من قلبين في جوفه وما جعل
ازواجكم اللائي تظاهرون منهن
أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم
ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول
الحق وهو يهدي السبيل ادعوهم
لآبائهم هو أقسط عند الله فان
لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين
ومواليكم وليس عليكم جناح فيما
أخطأتم به ولكن ما تعمدت
قلوبكم وكان الله غفورا رحيما النبي
أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه
أمهاتهم وأولوا الارحام بعضهم
أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين
والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم
معروفا كان ذلك في الكتاب
مسطورا واذ أخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم
وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا
منهم ميثاقا غليظا ليسأل الصادقين
عن صدقهم واعد للكافرين عذابا
أليما يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون
بصيرا اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون

وكان المؤمنون والمهاجرون لا يتوارثون ان كانوا أولي رحم حتى يهاجروا الى المدينة وقرأ قال الله
والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا الى قوله ونساد كبير فكانوا
لا يتوارثون حتى اذا كان عام الفتح انقطعت الهجرة وكثر الاسلام وكان لا يقبل من أحد أن يكون
على الذي كان عليه النبي ومن معه الا أن يهاجر قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن بعث
اغدوا على اسم الله لا تغلوا ولا تولوا ادعوهم الى الاسلام فان أجابوكم فاقبلوا وادعوهم الى الهجرة
فان هاجروا معكم فلهم مالكم وعليهم ما عليكم فان أبوا ولم يهاجروا واختاروا دارهم فأقروهم فيها
فهم كالأعراب تجري عليهم أحكام الاسلام وليس لهم في هذا الفيء نصيب قال فلما جاء
الفتح وانقطعت الهجرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح وكثر الاسلام
وتوارث الناس على الأرحام حيث كانوا ونسخ ذلك الذي كان بين المؤمنين والمهاجرين وكان
لهم في الفيء نصيب وان أقاموا وأبوا وكان حقهم في الاسلام واحدا المهاجر وغير المهاجر والبدوي
وكل أحد حين جاء الفتح فمعنى الكلام على هذا التأويل وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض من
المؤمنين والمهاجرين ببعضهم أن يرثوهم بالهجرة وقد يحتمل ظاهر هذا الكلام أن يكون من صلة
الارحام من المؤمنين والمهاجرين أولى بالميراث ممن لم يؤمن ولم يهاجر وقوله الا أن تفعلوا الى
أوليائكم معروفا اختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم معنى ذلك الا أن توصوا لذوي
قرابتكم من غير أهل الايمان والهجرة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية
عن حجاج عن سالم عن ابن الحنفية الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا قالوا يوصي لقرابته من أهل
الشرك * قال ثنا عبدة قال قرأت على ابن أبي عروبة عن قتادة الا أن تفعلوا الى أوليائكم
معروفا قال للقرابة من أهل الشرك وصية ولا ميراث لهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا
سعيد عن قتادة قوله الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا قال الى أوليائكم من أهل الشرك وصية
ولا ميراث لهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أحمد الزبيري ويحيى بن آدم عن ابن المبارك عن
معمر عن يحيى بن أبي كثير عن عكرمة الى أوليائكم معروفا قال وصية حدثني يونس قال
أخبرنا ابن وهب قال أخبرني محمد بن عمرو عن ابن جريج قال قلت لعطاء ما قوله الا أن تفعلوا الى
أوليائكم معروفا فقال العطاء فقلت له المؤمن للكافر بينهما قرابة قال نعم عطاؤه اياه حيا ووصيته له
* وقال آخرون بل معنى ذلك الا أن تمسكوا بالمعروف بينكم بحق الايمان والهجرة والحلف
فتؤتونهم حقهم من النصرة والعقل عنهم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا
أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن
ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا قال حلفاؤكم الذين والى بينهم النبي
صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار امسكوا بالمعروف والعقل والنصر بينهم * وقال آخرون
بل معنى ذلك أن توصوا الى أوليائكم من المهاجرين وصية ذكر من قال ذلك حدثني يونس
قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا يقول الا أن توصوا لهم
* وأولى الاقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال معنى ذلك الا أن تفعلوا الى أوليائكم الذين
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بينهم وبينكم من المهاجرين والانصار معروفا من الوصية

وزلزلوا زلزالا شديدا واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبى يقولون ان بيوتنا عورة وما هى

بعورة ان يريدون الا فرارا ولو دخلت عليهم

لهم والنصرة والعقل عنهم وما أشبه ذلك لان كل ذلك من المعروف الذى قد حث الله عليه عباده وانما اخترت هذا القول وقلت هو أولى بالصواب من قبل من قال عنى بذلك الوصية للقرابة من أهل الشرك لان القريب من المشرك وان كان ذا نسب فليس بالمولى وذلك أن الشرك يقطع ولاية ما بين المؤمن والمشرك وقد نهى الله المؤمنين أن يتخذوا منهم وليا بقوله لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء وغير جائز أن ينهاهم عن اتخاذهم أولياء ثم يصفهم جل ثناؤه بأنهم لهم أولياء ووضع أن من قوله الا أن تفعلوا نصب على الاستثناء ومعنى الكلام وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم الذين ليسوا بأولى أرحام منكم معروفا وقوله كان ذلك فى الكتاب مسطورا يقول كان أولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله أى فى اللوح المحفوظ مسطورا أى مكتوبا كما قال الراجز

* فى الصحف الأولى التى كان سطر * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كان ذلك فى الكتاب مسطورا أى ان أولى الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله * وقال آخرون معنى ذلك كان ذلك فى الكتاب مسطورا لا يرث المشرك المؤمن ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا﴾ يقول تعالى ذكره كان ذلك فى الكتاب مسطورا اذ كتبنا كل ما هو كائن فى الكتاب واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم كان ذلك أيضا فى الكتاب مسطورا ويعنى بالميثاق العهد وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى قبل ومنك يا محمد ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا يقول وأخذنا من جميعهم عهدا مؤكدا أن يصدق بعضهم بعضا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح قال وذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول كنت أول الأنبياء فى الخلق وآخرهم فى البعث وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ميثاق أخذه الله على النبيين خصوصا أن يصدق بعضهم بعضا وأن يتبع بعضهم بعضا حدثنا محمد بن بشار قال ثنا سليمن قال ثنا أبو هلال قال ثنا قتادة اذا تلا هذه الآية واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح قال كان نبى الله صلى الله عليه وسلم فى أول النبيين فى الخلق حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح قال فى ظهر آدم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وأخذنا منهم ميثاقا غليظا قال الميثاق الغليظ العهد ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا أليما﴾ يقول تعالى ذكره أخذنا من هؤلاء الأنبياء ميثاقهم كيما أسأل المرسلين عما أجابتهم به أممهم وما فعل قومهم فيما أبلغوهم عن ربهم من الرسالة * وبنحو قولنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ليث عن مجاهد ليسأل الصادقين عن صدقهم قال المبلغين المؤدين من الرسل حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا

من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وكان عهد الله مسؤلا قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لا تمتعون الا قليلا قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان أراد بكم سوأ أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يأت الاحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا ﴾ القراآت بما يعملون خبيرا على الغيبة والضمير للمنافقين أبو عمرو اللائى بهمزة بعدها ياء حمزة وعلى وخلف وعاصم وابن عامر بهمزة مكسورة فقط سهل ويعقوب ونافع غير ورش من طريق النجارى وابن مجاهد وابن عون عن قنبل اللاى بياء مكسورة فقط أبو عمرو وورش من طريق النجارى ويزيد وسائر الروايات عن ابن كثير وكذلك فى المجادلة والطلاق تظاهرون من المظاهرة عاصم تظاهرون بحذف

وحمزة فى رواية خلاد ورجاء الظنونا والرسولا والسبيلا فى الحالين ابو عمرو ونافع وابن عامر وعباس والخزاز وابو بكر وحماد والمفضل
وقرأ ابو عمرو غير عباس وحمزة ويعقوب بغير ألف فى الحالين الباقون بالالف فى الوقوف وبغير ألف فى الوصل لان

بضم الميم حفص الآخرون بفتحها لأنها مقصورة من الاتيان ابو جعفر ونافع وابن كثير الآخرون بالمد من الايتاء الاعطاء وساءلون بادغام التاء فى السين من التفاعل يعقوب الباقون يسألون ثلاثيا ۞ الوقوف والمنافقين ط حكيما ٥ ربك ط خبيرا ٥ على الله ط وكيلا ط ٥ فى جوفه ج فصلا بين بيان الحالين المختلفين مع اتفاق الجملتين أمهاتكم ج لذلك أبناءكم ط بأفواهكم ط السبيل ٥ عند الله ج للشرط مع العطف ومواليكم ط أخطأتم به لا لان التقدير ولكن فيما تعمدت قلوبكم وكذا ان كان خبر مبتدا محذوف أى ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح وذلك للاستدراك رحيما ٥ ط أمهاتهم ط معروفا ٥ مسطورا ٥ عيسى ابن مريم ص للعطف غليظا ٥ صدقهم ج لان الماضى لا ينعطف على المستقبل ولكن التقدير وقد أعد أليما ٥ تروها ط بصيرا ٥ ج لاحتمال أن يكون المراد واذكر اذ جاؤكم ولا سيما على قراءة يعملون على الغيبة الظنونا ط شديدا ٥ غرورا ٥ فارجعوا ج لظاهر الواو وان كانت للاستئناف بعورة ط بناء على أن ما بعده ابتداء اخبار من الله ومن وقف على عورة وجعل ابتداء الاخبار من هناك لم يقف فرارا ٥ يسيرا ٥ الأدبار ط مسؤلا ٥ قليلا ٥ رحمة ط ولا نصيرا ٥ الينا ج لاحتمال كون ما بعده استئنافا أو حالا قليلا لا لأن ما بعده حال عليكم ج لعطف الجملتين المختلفتين الموت ج فصلا بين تناقض الحالين الخير ط أعمالهم ط يسيرا ٥ لم يذهبوا ج أنبائكم ط قليلا ٥ ۞ التفسير لما أمره فى آخر السورة بالتقوى

عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد
ليسأل الصادقين عن صدقهم قال المبلغين المؤدين من الرسل حدثنا ابن وكيع قال ثنا
أسامة عن سفيان عن رجل عن مجاهد ليسأل الصادقين عن صدقهم قال الرسل المؤدين المبلغين
قوله وأعتدللكافرين عذابا أليما يقول وأعد للكافرين بالله من الأمم عذابا موجعا ۞ القول فى
تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا
وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة
الله عليكم التى أنعمها على جماعتكم وذلك حين حوصر المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
أيام الخندق اذ جاءتكم جنود يعنى جنود الأحزاب قريش وغطفان ويهود بنى النضير فأرسل
عليهم ريحا وهى فيما ذكر ريح الصبا كما حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود
عن عكرمة قال قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب انطلقى ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت الشمال ان الحرة لا تسرى بالليل قال فكانت الريح التى أرسلت عليهم الصبا حدثنا
المثنى قال ثنا أبو عامر قال ثنى الزبير يعنى ابن عبد الله قال ثنى ربيح بن أبى سعيد عن أبيه
أبى سعيد قال قلنا يوم الخندق يا رسول الله بلغت القلوب الحناجر فهل من شئ نقوله قال نعم قولوا
اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا قال فضرب الله وجوه أعدائه بالريح فهزمهم الله بالريح حدثنى
يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى عبد الله بن عمرو عن نافع عن عبد الله قال أرسلنى خالى شيبة
ابن مظعون ليلة الخندق فى برد شديد وريح الى المدينة فقال ائتنا بطعام ولحاف قال فاستأنست
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لى وقال من لقيت من أصحابى فمرهم يرجعوا قال فذهبت وأنا
تسفى كل شئ بفعلت لا ألقى أحدا الا أمرته بالرجوع الى النبى صلى الله عليه وسلم قال فما بقى
أحد منهم عنقه قال وكان معى ترس لى فكانت الريح تضربه على وكان فيه حديد قال فتضربه
الريح حتى وقع بعض ذلك الحديد على كفى فأنفذها الى الارض حدثنا ابن حميد قال
سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى قال قال فتى من أهل
الكوفة لحذيفة بن اليمان يا أبا عبد الله رأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه فكيف
يا ابن أخى قال فكيف كنتم تصنعون قال والله لقد كنا نجهد قال الفتى والله لو أدركناه ما تركناه يمشى
على الارض لحملناه على أعناقنا قال حذيفة يا ابن أخى والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالخندق وصلى رسول الله هويا من الليل ثم التفت الينا فقال من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل
القوم يشترط له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرجع أدخله الله الجنة فما قام أحد ثم
رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت الينا فقال مثله فما قام منا رجل ثم
رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت الينا فقال من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل
القوم ثم يرجع يشترط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة أسأل الله أن يكون رفيقى فى الجنة
فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم أحد دعانى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلم يكن لى بد من القيام حين دعانى فقال يا حذيفة اذهب فادخل فى القوم فانظر ما فعلوا
ولا تحدثن شيأ حتى تأتينا قال فذهبت فدخلت فى القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا
لهم قدرا ولا نارا ولا بناء فقام أبو سفيان فقال يا معشر قريش لينظر امرؤ من جليسه فقال حذيفة
فأخذت

بانتظار الفرج والنصر امره فى اول هذه السورة بأن لا يتقى غير الله ولا يطيع سواه قال جار الله عن زر قال قال ابى بن كعب كم تعدون سورة الاحزاب قلت ثلاثا وسبعين آية قال فوالذى يحلف به أبى بن كعب ان كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول ولقد قرأنا

فأخذت بيد الرجل الذى الى جنبى فقلت من أنت فقال أنا فلان بن فلان ثم قال أبو سفيان يا معشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام ولقد هلك الكراع والخف واختلفت بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون والله ما يطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فانى مرتحل ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما أطلق عقاله الا وهو قائم ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن لا تحدث شيأ حتى تأتينى لو شئت لقتلته بسهم قال حذيفة فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلى فى مرط لبعض نسائه فلما رآنى أدخلنى بين رجليه وطرح على طرف المرط ثم ركع وسجد وانى لفيه فلما سلم أخبرته الخبر وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين الى بلادهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله اذ جاءتكم جنود قال الأحزاب عيينة بن بدر وأبو سفيان وقريظة وقوله فأرسلنا عليهم ريحا قال ريح الصبا أرسلت على الأحزاب يوم الخندق حتى كفأت قدورهم على أفواهها ونزعت فساطيطهم حتى أظعنتهم وقوله وجنودا لم تروها قال الملائكة ولم تقاتل يومئذ حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها قال يعنى الملائكة قال نزلت هذه الآية يوم الاحزاب وقد حصر رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا الخندق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل أبو سفيان بقريش ومن تبعه من الناس حتى نزلوا بعقوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل عيينة بن حصن أحد بنى بدر ومن تبعه من الناس حتى نزلوا بعقوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتبت اليهود أبا سفيان وظاهروه فقال حيث يقول الله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم فبعث الله عليهم الرعب والريح فذكر لنا أنهم كانوا كلما أوقدوا نارا أطفأها الله حتى لقد ذكر لنا أن سيد كل حى يقول يا بنى فلان هلم الى حتى اذا اجتمعوا عنده فقال النجاء النجاء أتيتم لما بعث الله عليهم من الرعب حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم الآية قال كان يوم أبى سفيان يوم الاحزاب حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى يزيد بن رومان فى قول الله يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكانت الجنود التى أرسل الله عليهم مع الريح الملائكة وقوله وكان الله بما تعملون بصيرا يقول تعالى ذكره وكان الله بأعمالكم يومئذ وذلك صبرهم على ما كانوا فيه من الجهد والشدة وثباتهم لعدوهم وغير ذلك من أعمالهم بصيرا لا يخفى عليه من ذلك شئ يحصيه عليهم ليجزيهم عليه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا﴾ يقول تعالى ذكره وكان الله بما تعملون بصيرا اذ جاءتكم جنود الاحزاب من فوقكم ومن أسفل منكم وقيل ان الذين أتوهم من أسفل منهم أبو سفيان فى قريش ومن معه » وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

منها آية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما الى آخره أراد أبى بن كعب أنها من جملة ما نسخ من القرآن وأما ما يحكى أن تلك الزيادة كانت فى صحيفة فى بيت عائشة فأكلتها الداجن فمن تأليفات المبتدعة ومن تشريفات الرسول صلى الله عليه وسلم أنه نودى فى جميع القرآن بالنبى أو الرسول دون اسمه كما جاء يا آدم يا موسى يا عيسى يا داود وانما جاء فى الاخبار محمد رسول الله تعليما للناس وتلقينا لهم أنه رسول وجاء ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد لان المقام مقام تعيين وتشخيص وازالة اشتباه مع قصد أن لا يكون القرآن خاليا عن بركة اسمه العلم وحيث لم يقصد هذا المعنى ذكره بنحو ما ذكره فى النداء كقوله لقد جاءكم رسول النبى أولى بالمؤمنين لقد كان لكم فى رسول الله أسوة والمراد بقوله (اتق الله) واظب على ما أنت عليه من التقوى ولو أريد الازدياد جاز لان التقوى باب لا يبلغ آخره ولا يأمن أحد أن يصدر عنه ما لا يوافق التقوى ولا يطابق الدعوى ولهذا جاء قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى يعنى انما يرفع عنى الحجاب فينكشف لى الوحى واذا أرخى لدى الستر فانى كهيئتكم يروى أنه صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة

وكان يحب اسلام يهود قريظة والنضير وغيرهم وقد تابعه ناس منهم على الحلف كان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم فنزلت وروى أن أبا سفيان بن حرب وأشياعه قدموا المدينة أيام المصالحة

فقالوا يارسول الله ارفض ذكر آلهتنا وندعك وربك فشق ذلك على المؤمنين فهموا بقتلهم فنزلت أى اتق الله فى نقض العهد (ولا تطع الكافرين) من أهل مكة (والمنافقين) من (٨٣) أهل المدينة فيما طلبوا اليك وكانوا يقولون له أن يعطوه شطر أموالهم ان رجع عن دينه (ان الله كان عليما) بالصواب (حكيما) فيما أمرك به من عدم اتباع آرائهم وأهوائهم وحين نهاه عن اتباع الغى أمره باتباع ماهو رشد وصلاح وهو القرآن وبأن يثق بالله ويفوض اليه أموره فلا يخاف غيره ولا يرجو سواه ولما أمر رسوله بما أمر من اتقاء الله وحده وقد ابتدر منه صلى الله عليه وسلم فى حكاية زينب زوجة دعيه زيد ما ابتدر قال على سبيل المثل ماجعل الله لرجل من قلبين كأنه قال يا أيها النبى اتق الله حق تقاته وهو أن لا يكون فى قلبك تقوى غير الله فان المرء ليس له قلبان حتى يتقى باحدهما الله وبالآخر غيره كما جاء فى قصة زيد وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ثم أراد أن يدفع عنه مقالة الناس بأنه تعالى لم يجعل دعى المرء ابنه فقدم على ذلك مقدمة وهى قوله (وما جعل أزواجكم) التى آخرها أى انكم اذا قلتم لازواجكم أنت على كظهر أمى لا تصير أما باجماع الكل أما فى الاسلام فانه ظهار لا يحرم الوطء كما سيجىء فى سورة المجادلة واما فى الجاهلية فلأنه كان طلاقا حتى كان يجوز للزوج أن يتزوج بها ثانيا فكذلك قول القائل للدعى انه ابنى لا يوجب كونه ابنا فلا تصير زوجته زوجة الابن فلم يكن لاحد أن يقول فى ذلك شيأ فلم يكن لخوفك من الناس وجه ولو كان أمر اتخوفا ما كان يجوز أن تخاف غير الله اذ ليس لك قلبان فى الجوف والفائدة فى ذكر هذا القيد كالفائدة فى قوله القلوب التى فى الصدور من زيادة التصوير للتأكيد ومعنى ظاهر من امرأته قال لها أنت على كظهر أمى كأنه قال يفاعل تباعدى منى بجهة الظهار وعدى بمن لتضمين معنى التباعد وانما كنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذى يقارب الفرج فكنوا

حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد اذ جاؤكم من فوقكم قال عيينة بن بدر فى أهل نجد ومن أسفل منكم قال أبو سفيان قال وواجهتهم قريظة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ذكرت يوم الخندق وقرأت اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر قالت هو يوم الخندق حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن يزيد بن رومان مولى آل الزبير عن عروة بن الزبير وعمن لا أتهم عن عبيد الله بن كعب بن مالك وعن الزهرى وعن عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعن محمد بن كعب القرظى وعن غيرهم من علمائنا أنه كان من حديث الخندق أن نفرا من اليهود منهم سلام بن أبى الحقيق النضرى وحيى بن أخطب النضرى وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق النضرى وهوذة بن قيس الوائلى وأبو عمار الوائلى فى نفر من بنى النضير ونفر من بنى وائل وهم الذين حزبوا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا مكة على قريش فدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقالت لهم قريش يامعشر يهود انكم أهل الكتاب الاول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أفديننا خير أم دينه قالوا بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه قال فهم الذين أنزل الله فيهم ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا الى قوله وكفى بجهنم سعيرا فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ماقالوا ونشطوا لما دعوهم له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا لذلك واتعدوا له ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاؤا غطفان من قيس عيلان فدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك فاجتمعوا فيه فأجابوهم فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر فى بنى فزارة والحرث بن عوف بن أبى حارثة المرى فى بنى مرة ومسعر بن رخيلة بن نويرة بن طريف بن سحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان فيمن تابعه من قومه من أشجع فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما اجتمعوا له من الامر ضرب الخندق على المدينة فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف والغابة فى عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من بنى كنانة وأهل تهامة وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمى الى جانب أحد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذراري والنساء فرفعوا فى الآطام وخرج عدو الله حيى بن أخطب النضرى حتى أتى كعب بن أسد القرظى صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاهده على ذلك وعاقده فلما سمع كعب بحيى بن أخطب أغلق دونه حصنه فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له فناداه حيى يا كعب افتح لى قال ويحك ياحيى انك امرؤ مشؤم انى قد عاهدت هذا فلست بناقض ما بينى وبينه ولم أر منه الا وفاء وصدقا قال ويحك افتح لى أكلمك قال ما أنا

بفاعل قال والله ان أغلقت دونى الا تخوفت على جشيشتك أن آكل معك منها فاحفظ الرجل ففتح له فقال يا كعب جئتك بعز الدهر وبحر طم جئتك بقريش على قاداتها وساداتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة وبغطفان على قاداتها وساداتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى الى جانب أحد قد عاهدونى وعاقدونى أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه فقال له كعب بن أسد جئتنى والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماءه يرعد ويبرق ليس فيه شئ فدعنى ومحمدا وما أنا عليه فلم أر من محمد إلا صدقا ووفاء فلم يزل حيى بكعب يفتله فى الذروة والغارب حتى سمح له على أن أعطاهم عهدا من الله وميثاقا لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا أن أدخل معك فى حصنك حتى يصيبنى ما أصابك فنقض كعب بن أسد عهده وبرئ مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر والى المسلمين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس أحد بنى الأشهل وهو يومئذ سيد الأوس وسعد ابن عبادة بن دليم أخى بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله ابن رواحة أخو بلحرث بن الخزرج وخوات بن جبير أخو بنى عمرو بن عوف فقال انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا فان كان حقا فالحنوا لى لحنا أعرفه ولا تفتوا أعضاد الناس وان كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم وقالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه وكان رجلا فيه حدة فقال له سعد بن معاذ دع عنك مشاتمتهم فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه ثم قالوا عضل والقارة كغدر عضل والقارة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب الرجيع خبيب بن عدى وأصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المسلمون كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن قشير أخو بنى عمرو بن عوف كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يقدر أن يذهب الى الغائط وحتى قال أوس بن قيظى أحد بنى حارثة بن الحرث يا رسول الله ان بيوتنا لعورة من العدو وذلك عن ملا من رجال قومه فأذن لنا فلنرجع الى دارنا فانها خارجة من المدينة فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ولم يكن بين القوم حرب الا الرمى بالنبل والحصا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثنى يزيد بن رومان قوله اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم فالذين جاؤهم من فوقهم قريظة والذين جاؤهم من أسفل منهم قريش وغطفان وقوله واذ زاغت الأبصار يقول وحين عدلت الابصار عن مقرها وشخصت طامحة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذ زاغت الأبصار شخصت وقوله وبلغت القلوب الحناجر يقول بلغت القلوب عن أماكنها من الرعب والخوف فبلغت الى الحناجر كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا سويد بن عمرو عن حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة وبلغت القلوب الحناجر قال من الفزع وقوله وتظنون بالله الظنونا يقول وتظنون بالله الظنون الكاذبة وذلك

ظهر الذى يلازمه لانه عموده وبه قوامه وقيل ان اتيان المرأة فى قبلها من جانب ظهرها كان محذورا عندهم زعما منهم بأن الولد حينئذ يجئ أحول فلقصد التغليظ شبهها المطلق منهم بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى جعله ظهر أمه والدعى فعيل بمعنى مفعول وهو المدعو ولدا شبه بفعيل الذى هو بمعنى فاعل كتقى وأتقياء يجمع على أفعلاء واعلم أن زيد بن حارثة كان رجلا من قبيلة كلب سبى صغيرا فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله وهبته له وطلبه أبوه وعمه فخير فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه وكانوا يقولون زيد ابن محمد فأنزل الله تعالى هذه الآية وقوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وقيل كان أبو معمر رجلا من أحفظ العرب وكان يقال له ذو القلبين وقيل هو جميل الفهرى كان يقول ان لى قلبين أفهم بأحدهما أكثر مما يفهم محمد فأكذب الله قولهما وضرب به مثلا فى الظهار والتبنى وقيل سها فى صلاته فقالت اليهود وأهل النفاق لمحمد قلبان قلب مع أصحابه وقلب معكم وعن الحسن نزلت فيمن يقول نفس تأمرنى ونفس تنهانى ومعنى التنكير فى رجل وزيادة من الاستغراقية التأكيد كأنه قيل ما جعل الله لنوع الرجال ولا لواحد منهم قلبين البتة (ذلكم) النسب (قولكم بأفواهكم) اذلا أصل شرعا لقول القائل هذا ابنى وذلك اذا كان معروف النسب حرا أما اذا كان مجهول النسب فان كان حرا ثبت نسبه من المتبنى ظاهرا ان أمكن ذلك بحسب السن وان كان عبدا له عتق وثبت النسب وان كان العبد معروف النسب عتق ولم يثبت النسب ثم بين ما هو الحق والهدى عند الله فقال (ادعوهم لآبائهم) أى انسبوهم اليهم (فان لم تعلموا آباءهم) فهم اخوانكم فى الدين ومواليكم فقولوا هذا أخى أو مولاى يعنى الولاية فى الدين ثم رفع الجناح اذا صدر القول المذكور خطأ على سبيل سبق اللسان وكذا ما فعلوه من ذلك قبل ورود النهى ويجوز أن يراد العفو

عن الخطا على طريق العموم فيتناول لعمومه خطأ النبي وعمده (وكان الله غفورا) للخاطئ (رحيما) للعامل ولاسيما اذا تاب ثم انه كان لقائل أن يقول هب أن المدعى لا يسمى اثما أما اذا كان المدعى شيء حسن فكيف يليق بالمروءة أن تطمح عينه اليه وخاصة اذا كان زوجته فلذلك قال في جوابه (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) والمعقول فيه أنه راس الناس ورئيسهم فدفع حاجته والاعتناء بشأنه أهم كما أن رعاية العضو الرئيس وحفظ صحته وازالة مرضه أولى والى هذا أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ابدأ بنفسك ثم بمن تعول ويعلم من اطلاق الآية أنه أولى بهم من أنفسهم في كل شيء من أمور الدنيا والدين وقيل ان أولى بمعنى أرأف وأعطف كقوله صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن الا أنا أولى به في الدنيا والآخرة اقرؤا ان شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فأيما مؤمن هلك وترك مالا فلترثه عصبته من كانوا وان ترك دينا أو ضياعا أي عيالا فالي وكما رفع قدره بتحليل أزواج غيره له اذا تعلق قلبه باحداهن رفع شأنه بتحريم أزواجه على أمته ولو بعد وفاته فقال (وأزواجه أمهاتهم) أي في هذا الحكم فانهن فيما وراء ذلك كالاجنبيات ولهذا لم يتعد التحريم الى بناتهن ومن كمال عناية الله سبحانه بأمة محمد صلى الله عليه وسلم أن لم يقل وهو أب لهم وان جاءت هذه الزيادة في قراءة ابن مسعود والاحرم زوجات المؤمنين عليه أبدا الا أن يراد الابوة والشفقة في الدين كما قال مجاهد كل نبي فهو أبو أمته ولذلك صار المؤمنون اخوة قال المفسرون كان المسلمون في صدر الاسلام يتوارثون بالولاية في الدين والهجرة لا بالقرابة فنسخه الله بقوله (وأولوا الأرحام) الآية وجعل التوارث بحق القرابة ومعنى (في كتاب الله) في اللوح أو في القرآن وهو قال هذه الآية وآية المواريث وقد سبق نظيره في آخر الانفال وقوله (من المؤمنين) اما ان يتعلق باولوا الارحام أي الاقارب من هؤلاء بعضهم أولى

كظن من ظن منهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغلب وأن ما وعده الله من النصر أن لا يكون ونحو ذلك من ظنونهم الكاذبة التي ظنها من ظن ممن كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره حدثنا بشر قال ثنا هوذة بن خليفة قال ثنا عوف عن الحسن وتظنون بالله الظنونا قال ظنونا مختلفة ظن المنافقون أن محمدا وأصحابه يستأصلون وأيقن المؤمنون أن ما وعدهم الله حق انه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون واختلفت القراء في قراءة قوله وتظنون بالله الظنون فقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين الظنونا باثبات الالف وكذلك وأطعنا الرسولا فأضلونا السبيلا في الوصل والوقف وكان اعتلال المعتل في ذلك لهم أن ذلك في كل مصاحف المسلمين باثبات الالف في هذه الاحرف كلها وكان بعض قراء الكوفة يثبت الالف فيهن في الوقف ويحذفها في الوصل اعتلالا بأن العرب تفعل ذلك في قوافي الشعر ومصاريعها فتلحق الألف في موضع الفتح للوقوف ولا تفعل ذلك في حشو الابيات فان هذه الاحرف حسن فيها اثبات الالفات لانهن رؤس الآي تمثيلا لها بالقوافي وقرأ ذلك بعض قراء البصرة والكوفة بحذف الالف من جميعه في الوقف والوصل اعتلالا بأن ذلك غير موجود في كلام العرب الا في قوافي الشعر دون غيرها من كلامهم وأنها انما تفعل ذلك في القوافي طلبا لاتمام وزن الشعر اذ لو لم تفعل ذلك فيها لم يصح الشعر وليس ذلك كذلك في القرآن لانه لا شيء يضطرهم الى ذلك في القرآن وقالوا هن مع ذلك في مصحف عبد الله بغير ألف * وأولى القراآت في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه بحذف الالف في الوصل والوقف لان ذلك هو الكلام المعروف من كلام العرب مع شهرة القراءة بذلك في قراء المصرين الكوفة والبصرة ثم القراءة باثبات الالف فيهن في حالة الوقف والوصل لان علة من أثبت ذلك في حال الوقف أنه كذلك في خطوط مصاحف المسلمين واذا كانت العلة في اثبات الالف في بعض الاحوال كونه مثبتا في مصاحف المسلمين فالواجب أن تكون القراءة في كل الاحوال ثابتة لانه مثبت في مصاحفهم وغير جائز أن تكون العلة التي توجب قراءة ذلك على وجه من الوجوه في بعض الاحوال موجودة في حال أخرى والقراءة مختلفة وليس ذلك لقوا في الشعر بنظير لان قوافي الشعر انما تلحق فيها الالفات في مواضع الفتح والياء في مواضع الكسر والواو في مواضع الضم طلبا لتتمة الوزن وأن ذلك لو لم يفعل كذلك بطل أن يكون شعرا لاستحالته عن وزنه ولا شيء يضطر تالي القرآن الى فعل ذلك في القرآن وقوله هنالك ابتلي المؤمنون يقول عند ذلك اختبر ايمان المؤمنين ومحص القوم عرف المؤمن من المنافق * ونحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله هنالك ابتلي المؤمنون قال محصوا وقوله وزلزلوا زلزالا شديدا يقول وحركوا بالفتنة تحريكا شديدا وابتلوا وفتنوا وقوله واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض شك في الايمان وضعف في اعتقادهم اياه ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وذلك أن ذكر قول معتب بن قشير * ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني يزيد بن رومان واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا يقول معتب بن قشير اذ قال ما قال يوم الخندق حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم

بأن يرث بعضا من الاجانب واما أن يتعلق بأولى أى أولوا الارحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية الدينية ومن المهاجرين بحق الهجرة ثم أشار الى الوصية بقوله (الا أن تفعلوا) أى الا أن يسدوا و يوصلوا الى أوليائهم فى الدين وهم المؤمنون والمهاجرون معروفا برا بطريق التوصية والحاصل أن الاقارب أحق من الاجانب فى كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك الا فى الوصية فانه لا وصية لوارث قال أهل النظم كأنه سبحانه قال بينكم هذا التوارث والنبى لا توارث بينه و بين أقاربه فلذلك جعل ماله بدل هذا أنه أولى فى حياته بما فى أيديكم أو لعله أراد دليلا على قوله أولى بالمؤمنين فذكر أن أولى الارحام بعضهم أولى ببعض ثم لو أراد أحد برا مع صديقه صار ذلك الصديق أولى من قريبه كأنه بالوصية قطع الارث وقال هذا مالى لا ينتقل منى الا الى من أريده فالله تعالى كذلك جعل لصديقه من الدنيا ما أراده ثم ما يفضل منه يكون لغيره (كان ذلك) الذى ذكر فى الآيتين (فى الكتاب) وهو القرآن أو اللوح (مسطورا) والجملة مستأنفة كالخاتمة للاحكام المذكورة ثم أكد الامر بالاتقاء بقوله (واذ أخذنا) أى اذكر وقت أخذنا فى الازل (من النبيين ميثاقهم) بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القويم من غير تفريط وتوان وقد خصص بالذكر خمسة لفضلهم وقدم نبينا صلى الله عليه وسلم لأفضليته وانما قدم نوحا فى قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك لان المقصود هنالك وصف دين الاسلام بالاصالة والاستقامة فكأنه قال شرع لكم من الدين الأصلى الذى بعث عليه نوح

قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض قال تكلمهم بالنفاق يومئذ وتكلم المؤمنون بالحق والايمان قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا قال قال ذلك أناس من المنافقين قد كان محمد يعدنا فتح فارس والروم وقد حصرنا ههنا حتى ما يستطيع أحدنا أن يبرز لحاجته ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال قال رجل يوم الأحزاب لرجل من صحابة النبى صلى الله عليه وسلم يا فلان أرأيت اذ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا هلك قيصر فلا قيصر بعده واذا هلك كسرى فلا كسرى بعده والذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله فأين هذا من هذا وأحدنا لا يستطيع أن يخرج ببول من الخوف ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا فقال له كذبت لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرك قال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فدعاه فقال ما قلت فقال كذب على يا رسول الله ما قلت شيأ ما خرج هذا من فى قط قال الله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر حتى بلغ وما لهم من ولى ولا نصير قال فهذا قول الله ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة **حدثنا** ابن بشار قال ثنا محمد بن خالد بن عثمة قال ثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزنى قال فى أبى عن أبيه قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق عام ذكرت الأحزاب من أجم الشيخين طرف بنى حارثة حتى بلغ المذاد ثم جعل أربعين ذراعا بين كل عشرة فاختلف المهاجرون والأنصار فى سلمان الفارسى وكان رجلا قويا فقال الانصار سلمان منا وقال المهاجرون سلمان منا فقال النبى صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت قال عمرو بن عوف فكنت أنا وسلمان وحذيفة بن اليمان والنعمان بن مقرن المزنى وستة من الانصار فى أربعين ذراعا فحفرنا تحت ٣ دوبارحتى بلغنا الصربى أخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مروة فكسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا يا سلمان ارق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبر هذه الصخرة فاما أن نعدل عنها فان المعدل قريب واما أن يأمرنا فيها بأمره فانا لا نحب أن نجاوز خطه فرقى سلمان حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قبة تركية فقال يا رسول الله بأبينا أنت وأمنا خرجت صخرة بيضاء من بطن الخندق مروة فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يجىء منها قليل ولا كثير فرنا فيها بأمرك فانا لا نحب أن نجاوز خطك فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان فى الخندق ورقينا نحن التسعة على شفة الخندق فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المعول من سلمان فضرب الصخرة ضربة صدعها وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها يعنى لابتى المدينة حتى لكأن مصباحا فى جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية فصدعها وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحا فى جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالثة فكسرها وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحا فى جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح ثم أخذ بيد سلمان فرقى فقال سلمان بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد رأيت

فى العهد القديم ومحمد خاتم الانبياء فى العهد الحديث و بعث عليه من توسط بينهما من الانبياء المشاهير وانما نسب الدين القديم الى نوح لا الى آدم لان نوحا كان أصلا ثانيا للناس بعد الطوفان وخلق آدم كان كالعمارة ونبوته كانت ارشادا للاولاد ولهذا لم يكن فى زمانه اهلاك قوم

ولا تعذيب كما فى زمن نوح والله أعلم قال أهل البيان أراد بالميثاق الغليظ ذلك الميثاق بعينه أى وأخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقا غليظا أى عظيما وهو مستعار من وصف الاجرام • وقال آخرون هو سؤالهم عما فعلوا فى الارسال كما قال ولنسألن المرسلين وهذا لان الملك اذا أرسل رسولا وأمره بشئ وقبله كان ميثاقا فاذا أعلمه بأنه يسأل عن حاله فى أفعاله وأقواله يكون تغليظا فى الميثاق عليه حتى لا يزيد ولا ينقص فى الرسالة وعلى هذا يحق أن يقال قوله فى سورة النساء وأخذن منكم ميثاقا غليظا هو الاخبار بأنهم مسؤلون عنهن كما قال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته ثم بين الغاية من ارسال الرسل فقال (ليسأل الصادقين عن صدقهم) الآية وفيه ان عاقبة المكلفين اما حساب واما عذاب لان الصادق محاسب والكاذب معاقب كما قال على رضى الله عنه حلالها حساب وحرامها عقاب فالصادقون على هذا التفسير هم الذين صدقوا عهدهم يوم الميثاق حين قالوا بلى فى جواب ألست بربكم ثم أقاموا على ذلك فى عالم الشهادة وهم المصدقون للانبياء فان من قال للصادق صدقت كان صادقا ووجه آخر وهو أن يراد بهم الانبياء فيكون كقوله ولنسألن المرسلين وكقوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم وفائدة مسئلة الرسل تبكيت الكافرين كما مر قال جار الله قوله (وأعد) معطوف على أخذنا كأنه قال أكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين وأعد أو على ما دل عليه ليسأل كأنه قيل فأثاب للمؤمنين وأعد للكافرين وفيه وجه آخر عرفته فى الوقوف ثم أكد الامر بالاتقاء من الله وحده مرة أخرى فقال (يا أيها الذين آمنوا اذكروا) الآية وذلك أن فى وقعة الاحزاب اشتد الامر على الاصحاب لاجتماع المشركين بأسرهم واليهود بأجمعهم فأمنهم الله عن وهزم عدوهم فينبغى أن لا يخاف العبد غير الله القدير البصير وذكروا فى القصة أن قريشا كانت قد أقبلت فى عشرة آلاف من أحزاب بنى كنانة

شيأ مما رأيته قط فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القوم فقال هل رأيتم ما يقول سلمان قلنا نعم يا رسول الله بأبينا أنت وأمنا قد رأيناك تضرب فيخرج برق كالموج فرأيناك تكبر فنكبر ولا نرى شيأ غير ذلك قال صدقتم ضربت ضربتى الاولى فبرق الذى رأيتم أضاء لى منه قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب فأخبرنى جبرائيل عليه السلام أن أمتى ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتى الثانية فبرق الذى رأيتم أضاء لى منه قصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب وأخبرنى جبرائيل عليه السلام أن أمتى ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتى الثالثة وبرق منها الذى رأيتم أضاءت لى منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب وأخبرنى جبرائيل عليه السلام أن أمتى ظاهرة عليها فأبشروا وأبلغهم النصر وأبشروا وأبلغهم النصر وأبشروا وأبلغهم النصر فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعود صدق بأن وعدنا النصر بعد الحصر فطبقت الأحزاب قال المسلمون هذا ما وعدنا الله ورسوله الآية وقال المنافقون ألا تعجبون يحدثكم ويمنيكم ويعدكم الباطل يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق من الفرق ولا تستطيعون أن تبرزوا وأنزل القرآن واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴾ واذ قالت طائفة منهم يأهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبى يقولون ان بيوتنا عورة وما هى بعورة ان يريدون الا فرارا ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا ﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم واذ قال بعضهم يا أهل يثرب ويثرب اسم أرض فيقال ان مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ناحية من يثرب وقوله لا مقام لكم فارجعوا بفتح الميم من مقام يقول لا مكان لكم تقومون فيه كما قال الشاعر

فأبى ما وأيك كان شرا • فقيد الى المقامة لا يراها

قوله فارجعوا يقول فارجعوا الى منازلكم أمرهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والفرار منه وترك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ان ذلك من قيل أوس بن قيظى ومن وافقه على رأيه ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى يزيد رومان واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب الى فرارا يقول أوس بن قيظى ومن كان على ذلك من رأيه من قومه والقراءة على فتح الميم من قوله لا مقام لكم بمعنى لا موضع قيام لكم وهى القراءة التى لا أستجيز القراءة بخلافها لاجماع الحجة من القراء عليها وذكر عن أبى عبد الرحمن السلمى أنه قرأ ذلك لا مقام لكم بضم الميم بمعنى لا اقامة لكم وقوله ويستأذن فريق منهم النبى يقولون ان بيوتنا عورة وما هى بعورة يقول تعالى ذكره ويستأذن بعضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الانصراف عنه الى منزله ولكنه يريد الفرار والهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم • وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ويستأذن فريق منهم النبى الى قوله الا فرارا قال هم بنو حارثة قالوا بيوتنا مخلية نخشى عليها السرق **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقا جميعا

وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان وقد خرج غطفان فى ألف ومن تابعهم من نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل فى هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير وحين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبالهم ضرب الخندق على المدينة أشار عليه بذلك سلمان الفارسى ثم خرج فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالنساء أن يرفعوا فى الآطام واشتد الخوف وظن المسلمون كل ظن ونجم النفاق من المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر ولا نقدر أن نذهب الى الغائط ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامى بالنبل والحجارة حتى أنزل الله النصر وذلك بأن أرسل على أولئك الجنود المنحازية ريح الصبا فى ليلة باردة شاتية فسفت التراب فى وجوههم (و) أرسل (جنودا لم تروها) وهم الملائكة وكانوا ألفا فقلعوا الاوتاد وقطعوا الاطناب وأطفؤا النيران وأكفؤا القدور وتفرقت الخيول وكثرت الملائكة فى جوانب عسكرهم وقذف الله فى قلوبهم الرعب فانهزموا ومعنى (من فوقكم) من أعلى الوادى من قبل المشرق وهم بنو غطفان (ومن أسفل منكم) من أسفل الوادى من قبل المغرب وهم قريش تحزبوا وقالوا سنكون جملة واحدة حتى نستأصل محمدا ومعنى زيغ الابصار ميلها عن سننها واستوائها حيرة أو عدولها عن كل شئ الا عن العدو فزعا وروعا والحنجرة منتهى الحلقوم وبلوغ القلوب الحناجر اما أن يكون مثلا لاضطراب القلوب وقلقها وان لم تبلغها فى الحقيقة واما أن يكون حقيقة لان القلب عند الخوف يجتمع فيتقلص ويلتصق بالحنجرة ويدعى الى أن يسد مخرج النفس فيموت وانما جمع الظنون مع أن الظن مصدر لان المراد أنواع مختلفة فظن المؤمنون الابتلاء والفتنة فخافوا الزلل وضعف الاحتمال وظن المنافقون وضعاف اليقين الذين فى قلوبهم مرض وهم على حرف ما حكى الله عنهم وهو قوله

عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ان بيوتنا عورة قال نخشى عليها السرق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويستأذن فريق منهم النبى يقولون ان بيوتنا عورة وما هى بعورة وانها مما يلى العدو وانا نخاف عليها السراق فبعث النبى صلى الله عليه وسلم فلا يجدبها عدوا قال فكان يريدون الا فرارا يقول انما كان قولهم ذلك ان بيوتنا عورة انما كان يريدون بذلك الفرار حدثنا محمد بن سنان القزاز قال ثنا عبيد الله بن حمران قال ثنا عبد السلام بن شداد أبو طالوت عن أبيه فى هذه الآية ان بيوتنا عورة وما هى بعورة قال ضائعة وقوله ولو دخلت عليهم من أقطارها يقول ولو دخلت المدينة على هؤلاء القائلين ان بيوتنا عورة من أقطارها يعنى من جوانبها ونواحيها واحدها قطر وفيها لغة أخرى قتر وأقتار ومنه قول الراجز

ان شئت أن تدهن أو تمرا ٭ فولهن قترك الأشرا

وقوله ثم سئلوا الفتنة يقول ثم سئلوا الرجوع من الايمان الى الشرك لآتوها يقول لفعلوا ورجعوا عن الاسلام وأشركوا وقوله وما تلبثوا بها الا يسيرا يقول وما احتبسوا عن اجابتهم الى الشرك الا يسيرا قليلا ولأسرعوا الى ذلك ٭ ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولو دخلت عليهم من أقطارها أى لو دخل عليهم من نواحى المدينة ثم سئلوا الفتنة أى الشرك لآتوها يقول لأعطوها وما تلبثوا بها الا يسيرا يقول الا أعطوه طيبة به أنفسهم ما يحتبسونه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولو دخلت عليهم من أقطارها يقول لو دخلت المدينة عليهم من نواحيها ثم سئلوا الفتنة لآتوها سئلوا أن يكفروا لكفروا قال وهؤلاء المنافقون لو دخلت عليهم الجيوش والذين يريدون قتالهم ثم سئلوا أن يكفروا لكفروا قال والفتنة الكفر وهى التى يقول الله الفتنة أشد من القتل أى الكفر يقول يحملهم الخوف منهم وخبث الفتنة التى هم عليها من النفاق على أن يكفروا به واختلفت القراء فى قراءة قوله لآتوها فقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض قراء مكة لأتوها بقصر الالف بمعنى جاؤها وقرأه بعض المكيين وعامة قراء الكوفة والبصرة لآتوها بمد الالف بمعنى لأعطوها لقوله ثم سئلوا الفتنة وقالوا اذا كان سؤال كان اعطاء والمد أعجب القراءتين الى لما ذكرت وان كانت الاخرى جائزة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسؤلا﴾ يقول تعالى ذكره ولقد كان هؤلاء الذين يستأذنون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الانصراف عنه ويقولون ان بيوتنا عورة عاهدوا الله من قبل ذلك أن لا يولوا عدوهم الأدبار ان لقوهم فى مشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم معهم فما أوفوا بعدهم وكان عهد الله مسؤلا يقول فيسأل الله ذلك من أعطاه اياه من نفسه وذكر أن ذلك نزل فى بنى حارثة لما كان من فعلهم فى الخندق بعد الذى كان منهم بأحد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى يزيد بن رومان ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسؤلا وهم بنو حارثة وهم الذين هموا أن يفشلوا يوم أحد مع بنى سلمة حين هما بالفشل يوم أحد ثم عاهدوا الله لا يعودون لمثلها فذكرهم الله الذى أعطوه من أنفسهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وكان عهد الله

(ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا) كما حكينا عن معتب ومن فوائد جمع الظن أن يعلم قطعا أن فيهم من أخطأ الظن فان الظنون المختلفة لا تكون كلها صادقة فاما أن تكون كلها كاذبة أو بعضها فقط والمقام مقام تقرير نتائج الخوف (واذ قالت طائفة منهم) كعبد

ابن أبي وأصحابه ويثرب اسم المدينة أو أرض وقعت المدينة في ناحية منها (لا مقام لكم) أي لا قرار لكم ولا مكان ههنا تقومون أو تقيمون فيه على القراءتين فارجعوا الى المدينة واهربوا من عسكر رسول الله أو ارجعوا كفارا واتركوا دين محمد والا فليست لكم يثرب بمكان ثم ان السامعين عزموا على الرجوع فاستأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم وتعللوا بأن بيوتنا عورة أي ذات خلل لا يأمن أصحابها السراق على متاعهم أو أنها معرضة للعدو فأكذبهم الله تعالى بقوله (وما هي بعورة) ثم أظهر ما تكن صدورهم فقال (ان يريدون الا فرارا) ثم بين مصداق ذلك بقوله (ولو دخلت) أي المدينة عليهم من أقطارها أو دخلت عليهم بيوتهم من جوانبها وأكنافها (ثم سئلوا الفتنة) أي الارتداد والرجوع الى الكفر وقتال المسلمين (لآتوها) والحاصل أنهم يتعللون باعوار بيوتهم ليفروا عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو دخلت عليهم هؤلاء العساكر المتحزبة التي يفرون منها مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها لأجل النهب والسبي ثم عرض عليهم الكفر ويقال لهم كونوا على المسلمين لتسارعوا اليه وما تعللوا بشئ ويمكن أن يراد ان ذلك الفرار والرجوع ليس لأجل حفظ البيوت لان من يفعل فعلا لغرض فاذا فاته الغرض لا يفعله كمن يبذل المال لكيلا يؤخذ منه بيته فاذا أخذ منه البيت لا يبذله فأكذبهم الله تعالى بأن الاحزاب لو دخلت بيوتهم وأخذوها منهم لرجعوا عن نصرة المسلمين فتبين أن رجوعهم عنك ليس الا لكفرهم ومقتهم الاسلام والضمير في قوله (وما تلبثوا بها الا يسيرا) يرجع الى الفتنة أي لم يلبثوا بالمدينة بعد

مسؤلا قال كان ناس غابوا عن وقعة بدر ورأوا ما أعطى الله أصحاب بدر من الكرامة والفضيلة فقال لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن فصادق الله ذلك اليهم حتى كان في ناحية المدينة ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لا تمتعون الا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان أراد بكم سوأ أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء الذين يستأذنونك في الانصراف عنك ويقولون ان بيوتنا عورة لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل يقول لان ذلك أوما كتب الله منهما واصل اليكم بكل حال كرهتم أو أحببتم واذا لا تمتعون الا قليلا يقول واذا فررتم من الموت أو القتل لم يزد فراركم ذلك في أعماركم وآجالكم بل انما تمتعون في هذه الدنيا الوقت الذي كتب لكم ثم يأتيكم ما كتب لكم وعليكم ، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لا تمتعون الا قليلا وانما الدنيا كلها قليل حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن منصور عن أبي رزين عن ربيع بن خثيم واذا لا تمتعون الا قليلا قال الى آجالهم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن أبي رزين عن ربيع بن خثيم واذا لا تمتعون الا قليلا قال ما بينهم وبين الاجل حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى وعبد الرحمن قالا ثنا سفيان عن منصور عن الاعمش عن أبي رزين عن الربيع بن خثيم مثله الا أنه قال ما بينهم وبين آجالهم حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن أبي رزين أنه قال في هذه الآية فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا قال ليضحكوا في الدنيا قليلا وليبكوا في النار كثيرا وقال في هذه الآية واذا لا تمتعون الا قليلا قال الى آجالهم أحد هذين الحديثين رفعه الى ربيع بن خثيم حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبي عن الأعمش عن أبي رزين عن الربيع بن خثيم واذا لا تمتعون الا قليلا قال الأجل ورفع قوله تمتعون ولم ينصب باذا للواو التي معها وذلك أنه اذا كان قبلها واو كان معنى اذا التأخير بعد الفعل كأنه قيل ولو فروا لا يمتعون الا قليلا اذا وقد ينصب بها أحيانا وان كان معها واو لان الفعل متروك فكأنها الأول الكلام وقوله قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان أراد بكم سوأ أو أراد بكم رحمة يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء الذين يستأذنونك ويقولون ان بيوتنا عورة هربا من القتل من ذا الذي يمنعكم من الله ان أراد بكم سوأ في أنفسكم من قتل أو بلاء أو غير ذلك أو عافية وسلامة وهل ما يكون بكم في أنفسكم من سوء أو رحمة الا من قبله كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني يزيد ابن رومان قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان أراد بكم سوأ أو أراد بكم رحمة أي انه ليس الامر الا ما قضيت وقوله ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا يقول تعالى ذكره ولا يجد هؤلاء المنافقون ان أراد الله بهم سوأ في أنفسهم وأموالهم من دون الله وليا يليهم بالكفاية ولا نصيرا ينصرهم من الله فيدفع عنهم ما أراد الله بهم من سوء في ذلك ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا﴾

يقول تعالى ذكره قد يعلم الله الذين يعوقون الناس منكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصدونهم عنه وعن شهود الحرب معه نفاقا منهم وتخذيلا عن الاسلام وأهله والقائلين لاخوانهم هلم الينا أى تعالوا الينا ودعوا محمدا فلا تشهدوا معه مشهده فانا نخاف عليكم الهلاك بهلاكه ولا يأتون البأس الا قليلا يقول ولا يشهدون الحرب والقتال ان شهدوا الا تعذيرا ودفعا عن أنفسهم المؤمنين * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم قال هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يقولون لاخوانهم ما محمد وأصحابه الا أكلة رأس ولو كانوا الحما لانتهمهم أبو سفيان وأصحابه دعوا هذا الرجل فانه هالك وقوله ولا يأتون البأس الا قليلا أى لا يشهدون القتال يغيبون عنه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنا يزيد بن رومان قد يعلم الله المعوقين منكم أى أهل النفاق والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا أى الا دفعا وتعذيرا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم الى آخر الآية قال هذا يوم الاحزاب انصرف رجل من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد أخاه بين يديه شواء ورغيف ونبيذ فقال له أنت ههنا فى الشواء والرغيف والنبيذ ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرماح والسيوف فقال هلم الى هذا فقد بلغ بك وبصاحبك والذى يحلف به لا يستقبلها محمد أبدا فقال كذبت والذى يحلف به قال وكان أخاه من أبيه وأمه أما والله لأخبرن النبى صلى الله عليه وسلم أمرك قال وذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره قال فوجده قد نزل جبرائيل عليه السلام بخبره قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا وقوله أشحة عليكم اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى وصف الله به هؤلاء المنافقين فى هذا الموضع من الشح فقال بعضهم وصفهم بالشح عليهم فى الغنيمة ذكر من قال ذلك حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أشحة عليكم فى الغنيمة * وقال آخرون بل وصفهم بالشح عليهم بالخير ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنى عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أشحة عليكم قال بالخير المنافقون وقال غيره معناه أشحة عليكم بالنفقة على ضعفاء المؤمنين منكم * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال ان الله وصف هؤلاء المنافقين بالجبن والشح ولم يخصص وصفهم من معانى الشح بمعنى دون معنى فهم كما وصفهم الله به أشحة على المؤمنين بالغنيمة والخير والنفقة فى سبيل الله على أهل مسكنة المسلمين ونصب قوله أشحة عليكم على الحال من ذكر الاسم الذى فى قوله ولا يأتون البأس كأنه قيل هم جبناء عند البأس أشحاء عند قسم الغنيمة بالغنيمة وقد يحتمل أن يكون قطعا من قوله قد يعلم الله المعوقين منكم فيكون تأويله قد يعلم الله الذين يعوقون الناس عن القتال ويشحون عند الفتح بالغنيمة ويجوز أن يكون أيضا قطعا من قوله هلم الينا أشحة وهم هكذا أشحة ووصفهم جل ثناؤه بما وصفهم من الشح على المؤمنين لما فى أنفسهم لهم من العداوة والضغن كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى يزيد بن رومان أشحة عليكم أى للضغن الذى فى أنفسهم وقوله فاذا جاء الخوف الى قوله من الموت يقول تعالى ذكره فاذا حضر الناس وجاء القتال خافوا الهلاك والقتل رأيتهم يا محمد ينظرون اليك لواذا بك تدور أعينهم خوفا من القتل وفرارا منه كالذى يغشى عليه من الموت يقول كدوران عين الذى يغشى عليه من الموت النازل به فاذا ذهب الخوف يقول فاذا انقطعت الحرب واطمأنوا سلقوكم بالسنة حداد

أو باعطائها الازما ما يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب أو لم يقيموها الا قليلا ثم تزول وتكون العاقبة للمتقين ويحتمل عود الضمير الى المدينة أى وما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم الا قليلا فان الله مهلكهم قوله (ولقد كانوا) الآية عن ابن عباس عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وقيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن وعن محمد بن اسحق عاهدوا يوم أحد أن لا يفروا بعد أن نزل فيهم

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم من الخوف حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى يزيد بن رومان فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت أى اعظاما وفرقا منه وأما قوله سلقوكم بألسنة حداد فانه يقول عضوكم بألسنة ذربة ويقال للرجل الخطيب الذرب اللسان خطيب مسلق ومصلق وخطيب سلاق وصلاق * وقد اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى وصف تعالى ذكره هؤلاء المنافقين أنهم يسلقون المؤمنين به فقال بعضهم ذلك سلقهم اياهم عند الغنيمة بمسألتهم القسم لهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أما عند الغنيمة فأشح قوم وأسوأ مقاسمة أعطونا أعطونا فانا قد شهدنا معكم وأما عند البأس فأجبن قوم وأخذله للحق * وقال آخرون بل ذلك سلقهم اياهم بالأذى ذكر ذلك عن ابن عباس حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله سلقوكم بألسنة حداد قال استقبلوكم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد سلقوكم بألسنة حداد قال كلموكم * وقال آخرون بل معنى ذلك أنهم يسلقونهم من القول بما تحبون نفاقا منهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى يزيد بن رومان فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد فى القول بما تحبون لأنهم لا يرجون آخرة ولا تحملهم حسبة فهم يهابون الموت هيبة من لا يرجو ما بعده * وأشبه هذه الأقوال بما دل عليه ظاهر التنزيل قول من قال سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير فأخبر أن سلقهم المسلمين شحامنهم على الغنيمة والخير فمعلوم اذ كان ذلك كذلك أن ذلك لطلب الغنيمة واذا كان ذلك منهم لطلب الغنيمة دخل فى ذلك قول من قال معنى ذلك سلقوكم بالأذى لأن فعلهم ذلك كذلك لا شك أنه للمؤمنين أذى وقوله أشحة على الخير يقول أشحة على الغنيمة اذا ظفر المؤمنون وقوله لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين وصفت لك صفتهم فى هذه الآيات لم يصدقوا الله ورسوله ولكنهم أهل كفر ونفاق فأحبط الله أعمالهم يقول فأذهب الله أجور أعمالهم وأبطلها وذكر أن الذى وصف بهذه الصفة كان بدريا فأحبط الله عمله ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا قال فحدثنى أبى أنه كان بدريا وأن قوله أحبط الله أعمالهم أحبط الله عمله يوم بدر وقوله وكان ذلك على الله يسيرا يقول تعالى ذكره وكان احباط عملهم الذى كانوا عملوا قبل ارتدادهم ونفاقهم على الله يسيرا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وان يأت الاحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا﴾ يقول تعالى ذكره يحسب هؤلاء المنافقون الاحزاب وهم قريش وغطفان كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى يزيد بن رومان يحسبون الأحزاب لم يذهبوا قريش وغطفان وقوله لم يذهبوا يقول لم ينصرفوا وان كانوا قد انصرفوا جبنا وهلعا منهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يحسبون الأحزاب لم يذهبوا قال يحسبونهم قريبا وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله يحسبون الأحزاب قد ذهبوا فاذا وجدوهم لم يذهبوا ودوا لو أنهم بادون فى الأعراب

مائل ثم ذكر أن عبد الله مسؤل عنه وأن ما قضى الله وقدر من الموت حتف الانف أو من القتل فهو كائن والفرار منه غير نافع ولئن فرض أن الفرار نافع فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتع فى مرائع الدنيا الا زمانا قليلا عن بعض المروانية أنه مر بحائط مائل فأسرع فقيل له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب ثم أكد التقرير المذكور بقوله (قل من ذا الذى يعصمكم) الآية قال جار الله لا عصمة الا من السوء فتقدير الكلام من يعصمكم من الله ان أراد

وقوله

وقوله وان يأت الاحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الأعراب يقول تعالى ذكره وان يات المؤمنين الاحزاب وهم الجماعة واحدهم حزب يودوا يقول يتمنوا من الخوف والجبن أنهم بغيب عنكم فى البادية مع الأعراب خوفا من القتل وذلك قوله لو أنهم بادون فى الاعراب تقول قد بدا فلان اذا صار فى البدو فهو يبدو وهو باد وأما الأعراب فانهم جمع أعرابى واحد العرب عربى وانما قيل أعرابى لأهل البدو فرقا بين أهل البوادى والامصار يجعل الأعراب لاهل البادية والعرب لاهل المصر وقوله يسألون عن أنبائكم يقول يستخبر هؤلاء المنافقون أيها المؤمنون الناس عن أنبائكم يعنى عن أخباركم بالبادية هل هلك محمد وأصحابه يقول يتمنون أن يسمعوا اخباركم بهلاككم أن لا يشهدوا معكم مشاهدكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا يقول تعالى ذكره المؤمنين ولو كانوا أيضا فيكم ما نفعوكم وما قاتلوا المشركين الا قليلا يقول الا تعذيرا لانهم لا يقاتلونهم حسبة ولا رجاء ثواب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يسألون عن أنبائكم قال أخباركم وقرأت قراء الامصار جميعا سوى عاصم الجحدرى يسألون عن أنبائكم بمعنى يسألون من قدم عليهم من الناس عن أنباء عسكركم وأخباركم وذكر عن عاصم الجحدرى أنه كان يقرأ ذلك يساءلون بتشديد السين بمعنى يتساءلون أى يسأل بعضهم بعضا عن ذلك والصواب من القول فى ذلك عندنا ما عليه قراء الامصار لاجماع الحجة من القراء عليه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما ﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله أسوة فقرأ ذلك عامة قراء الامصار اسوة بكسر الالف خلا عاصم بن أبى النجود فانه قرأه بالضم أسوة وكان يحيى ابن وثاب يقرأ هذه بالكسر ويقرأ قوله لقد كان لكم فيهم أسوة بالضم وهما لغتان وذكر أن الكسر فى أهل الحجاز والضم فى قيس يقولون أسوة وأخوة وهذا عتاب من الله للمتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعسكره بالمدينة من المؤمنين به يقول لهم جل ثناؤه لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة أن تتأسوا به وتكونوا معه حيث كان ولا تتخلفوا عنه لمن كان يرجو الله يقول فان من يرجو ثواب الله ورحمته فى الآخرة لا يرغب بنفسه ولكنه تكون له به أسوة فى أن يكون معه حيث يكون هو * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى يزيد بن رومان قال ثم أقبل على المؤمنين فقال لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر أن لا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ولا عن مكان هو به وذكر الله كثيرا يقول وأكثر ذكر الله فى الخوف والشدة والرخاء وقوله ولما رأى المؤمنون الاحزاب يقول ولما عاين المؤمنون بالله ورسوله جماعات الكفار قالوا تسليما منهم لأمر الله وايقانا منهم بأن ذلك انجاز وعده لهم الذى وعدهم بقوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الى قوله قريب هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله فأحسن الله عليهم بذلك من يقينهم وتسليمهم لأمره الثناء فقال وما زادهم اجتماع الأحزاب عليهم الا ايمانا بالله وتسليما لقضائه وأمره ورزقهم به النصر والظفر على الأعداء وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولما رأى المؤمنون الأحزاب الآية قال ذلك أن الله

بكم سوأ أو من يصيبكم بسوء ان أراد بكم رحمة فاختصر الكلام كقوله * متقلدا سيفا ورمحا * أى ومعتقلا رمحا أو حمل الثانى على الاول لما فى العصمة من معنى المنع والمعوقون الذين يمنعون الناس من نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون واليهود (هلم الينا) معناه قربوا أنفسكم الينا وقدمر فى الانعام فى قوله قل هلم شهداءكم وقوله (ولا يأتون) معطوف على القائلين لانه فى معنى الذين يقولون وقوله (الا قليلا) أى الا اتيانا قليلا كقوله

قال لهم فى سورة البقرة أم حسبتم أن تدخلوا الجنة الى قوله ان نصر الله قريب قال فلما مسهم البلاء حيث رابطوا الأحزاب فى الخندق تأول المؤمنون ذلك ولم يزدهم ذلك الا ايمانا وتسليما حدثنى ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى يزيد بن رومان قال ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء يخبرهم به قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما أى صبرا على البلاء وتسليما للقضاء وتصديقا بتحقيق ما كان الله وعد ورسوله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وكان الله قد وعدهم فى سورة البقرة فقال أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه خيرهم وأصبرهم وأعلمهم بالله متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب هذا والله البلاء والنقص الشديد وان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأوا ما أصابهم من الشدة والبلاء قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما وتصديقا بما وعدهم الله وتسليما للقضاء الله ﷻ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما﴾ يقول تعالى ذكره من المؤمنين بالله ورسوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه يقول أوفوا بما عاهدوه عليه من الصبر على البأساء والضراء وحين البأس فمنهم من قضى نحبه يقول فمنهم من فرغ من العمل الذى كان نذره لله وأوجبه له على نفسه فاستشهد بعض يوم بدر وبعض يوم أحد وبعض فى غير ذلك من المواطن ومنهم من ينتظر قضاءه والفراغ منه كما قضى من مضى منهم على الوفاء بعهده والنصر من الله الظفر على عدوه والنحب النذر فى كلام العرب وللنحب أيضا فى كلامهم وجوه غير ذلك منها الموت كما قال الشاعر

* قضى نحبه فى ملتقى القوم هوبر *

يعنى منيته ونفسه ومنها الخطر العظيم كما قال جرير

بطخفة جالدنا الملوك وخيلنا * عشية بسطام جرين على نحب

أى على خطر عظيم ومنها النحيب يقال نحب فى سيره يومه أجمع اذا مد فلم ينزل يومه وليلته ومنها النحيب وهو الخطار كما قال الشاعر

و اذا نحبت كلب على الناس انهم * أحق بتاج الماجد المتكرم

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى يزيد بن رومان من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه أى وفوا لله بما عاهدوه عليه فمنهم من قضى نحبه أى فرغ من عمله ورجع الى ربه كمن استشهد يوم بدر ويوم أحد ومنهم من ينتظر ما وعدالله من نصره والشهادة على ما مضى عليه أصحابه حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فمنهم من قضى نحبه قال عهده فقتل أو عاش ومنهم من ينتظر وما فيه جهاد فيقضى نحبه عهده فيقتل أو يصدق فى لقائه حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن ابن جريج عن مجاهد فمنهم من قضى نحبه قال عهده ومنهم من ينتظر قال يوما فيه قتال فيصدق فى اللقاء * قال ثنا أبى عن سفيان عن مجاهد فمنهم من قضى نحبه قال مات على العهد * قال ثنا

ما قاتلوا الا قليلا لقلة الرغبة وعوز الجد والأنحة جمع شحيح قيل معناه أضناء بكم أى يظهرون الاشفاق على المسلمين قبل شدة القتال فاذا جاء البأس ارتعدت فرائصهم وتدور أعينهم كدوران عين من يغشى عليه من سكرات الموت وقيل أراد أنهم يبخلون بأموالهم وأنفسهم فلا يبذلونهما فى سبيل الله (فاذا ذهب الخوف) وجمعت الغنائم (سلقوكم) أى بسطوا اليكم ألسنتهم قائلين وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبنا نصرتم وبمكاننا

أبو أسامة عن عبدالله بن فلان « قد سماه ذهب عني اسمه » عن أبيه فمنهم من قضى نحبه قال نذره
حدثنا ابن ادريس عن طلحة بن يحيى عن عمه عيسى بن طلحة أن أعرابيا أتى النبي صلى الله
عليه وسلم فسأله من الذين قضوا نحبهم فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه ودخل طلحة من باب
المسجد وعليه ثوبان أخضران فقال هذا من الذين قضوا نحبهم حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة
قال ثنا عوف عن الحسن في قوله فمنهم من قضى نحبه قال موته على الصدق والوفاء ومنهم من
ينتظر الموت على مثل ذلك(١) ومنهم من بدل تبديلا حدثني محمد بن عمارة قال ثنا عبيدالله
ابن موسى قال اخبرنا اسرائيل عن سعيد بن مسروق عن مجاهد فمنهم من قضى نحبه ومنهم من
ينتظر قال النحب العهد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من المؤمنين
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه على الصدق والوفاء ومنهم من ينتظر من نفسه
الصدق والوفاء حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فمنهم من قضى
نحبه قال مات على ما هو عليه من التصديق والايمان ومنهم من ينتظر ذلك حدثنا ابن بشار
قال ثنا ابن أبي بكير قال شريك بن عبدالله أخبرناه عن سالم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
فمنهم من قضى نحبه قال الموت على ما عاهدالله عليه ومنهم من ينتظر الموت على ما عاهدالله عليه
وقيل ان هذه الآية نزلت في قوم لم يشهدوا بدرا فعاهدوا الله أن يقوا قتالا للمشركين مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فمنهم من أوفى فقضى نحبه ومنهم من بدل ومنهم من أوفى ولم يقض نحبه وكان
منتظرا على ما وصفهم الله به من صفاتهم في هذه الآية ذكر من قال ذلك حدثنا عمرو بن علي
قال ثنا عبدالرحمن بن مهدي قال ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن أنس بن النضر
تغيب عن قتال بدر فقال تغيبت عن أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن رأيت
قتالا ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد وهزم الناس لقي سعد بن معاذ فقال والله اني لأجد ريح
الجنة فتقدم فقاتل حتى قتل فنزلت فيه هذه الآية من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبدالله بن بكير قال ثنا حميد
قال زعم أنس بن مالك قال غاب أنس بن النضر عن قتال يوم بدر فقال غبت عن قتال رسول الله
صلى الله عليه وسلم المشركين لئن أشهدني الله قتالا ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد انكشف
المسلمون فقال اللهم اني أبرأ اليك مما جاء به هؤلاء المشركون وأعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعني
المسلمين فمشى بسيفه فلقيه سعد بن معاذ فقال أي سعد اني لأجد ريح الجنة دون أحد فقال
سعد يا رسول الله فما استطعت أن أصنع ما صنع قال أنس بن مالك فوجدناه بين القتلى به بضع
وثمانون جراحة بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم فما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه
قال أنس فكنا نحدث أن هذه الآية من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى
نحبه نزلت فيه وفي أصحابه حدثنا سوار بن عبدالله قال ثنا المعتمر قال سمعت حميدا يحدث
عن أنس بن مالك أن أنس بن النضر غاب عن قتال بدر ثم ذكر نحوه حدثنا أبو كريب قال ثنا
يونس بن بكير قال ثنا طلحة بن يحيى عن موسى وعيسى بن طلحة عن طلحة أن أعرابيا أتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكانوا لا يجترؤن على مسألته فقالوا للاعرابي سله من قضى نحبه
من هو فسأله فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه ثم دخلت من باب المسجد وعلي ثياب خضر
فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أين السائل عمن قضى نحبه قال الاعرابي أنا يا رسول
الله قال هذا ممن قضى نحبه حدثنا أبو كريب قال ثنا عبدالحميد الحماني عن اسحق بن يحيى

غلبتم عدوكم فهم عند الباس أجبن قوم وأخذلهم للحق وأما عند حيازة الغنيمة فأشحهم وأوقعهم والحداد جمع حديد وكرر أشحة لان الاول مطلق والثاني مقيد بالخير وهو المال والثواب أو الدين أو الكلام الجميل (أولئك) المنافقون (لم يؤمنوا) حقيقة وان آمنوا في الظاهر (فأحبط الله أعمالهم) التي لها صورة الصلاح بأن أعلم المسلمين أحوال باطنهم (وكان ذلك) الذي ذكر من أعمال أهل النفاق (يسيرا) على الله لا وزن لها عنده أو وكان ذلك

(١) الذي في الدر بدله وآخرون ما بدلوا تبديلا فتنبه كتبه مصححه

الطلحى عن موسى بن طلحة قال قام معاوية بن أبي سفيان فقال انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى نحبه حدثنى محمد بن عمرو بن تمام الكلبي قال ثنا سليمن بن أيوب قال ثنى أبى عن اسحق عن يحيى بن طلحة عن عمه موسى بن طلحة عن أبيه طلحة قال لما قدمنا من أحد وصرنا بالمدينة صعد النبى صلى الله عليه وسلم المنبر فخطب الناس وعزاهم وأخبرهم بما لهم فيه من الاجر ثم قرأ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية قال فقام اليه رجل فقال يا رسول الله من هؤلاء فالتفت وعلى ثوبان أخضران فقال أيها السائل هذا منهم وقوله وما بدلوا تبديلا وما غيروا العهد الذى عاقدوا ربهم تغييرا كما غيره المعوقون القائلون لاخوانهم هلم الينا والقائلون ان بيوتنا عورة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما بدلوا تبديلا يقول ما شكوا وما ترددوا فى دينهم ولا استبدلوا به غيره حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما بدلوا تبديلا لم يغيروا دينهم كما غير المنافقون وقوله ليجزى الله الصادقين بصدقهم يقول تعالى ذكره من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ليجزى الله الصادقين بصدقهم يقول ليثيب الله الصدق منهم بصدقهم الله بما عاهدوه عليه ووفائهم له به ويعذب المنافقين ان شاء بكفرهم الله ونفاقهم أو يتوب عليهم من نفاقهم فيهديهم للايمان * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم يقول ان شاء أخرجهم من النفاق الى الايمان ان قال قائل ما وجه الشرط فى قوله ويعذب المنافقين بقوله ان شاء والمنافق كافر وهل يجوز أن لا يشاء تعذيب المنافق يقل ويعذبه ان شاء قيل ان معنى ذلك على غير الوجه الذى توهمته وانما معنى ذلك ويعذب المنافقين بأن لا يوفقهم للتوبة من نفاقهم حتى يموتوا على كفرهم ان شاء فيستوجبوا بذلك العذاب فالاستثناء انما هو من التوفيق لا من العذاب ان ماتوا على نفاقهم وقد بين ما قلنا فى ذلك قوله أو يتوب عليهم فمعنى الكلام اذا ويعذب المنافقين اذ لم يهدهم للتوبة فيوفقهم لها أو يتوب عليهم فلا يعذبهم وقوله ان الله كان غفورا رحيما يقول ان الله كان ذا ستر على ذنوب التائبين رحيما بالتائبين أن يعاقبهم بعد التوبة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا﴾ يقول تعالى ذكره ورد الله الذين كفروا به ورسوله من قريش وغطفان بغيظهم يقول بكربهم وغمهم بفوتهم ما أملوا من الظفر وخيبتهم مما كانوا طمعوا فيه من الغلبة لم ينالوا خيرا يقول لم يصيبوا من المسلمين مالا ولا سبيا وكفى الله المؤمنين القتال بجنود من الملائكة والريح التى بعثها عليهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا الأحزاب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وذلك يوم أبى سفيان والأحزاب رد الله أبا سفيان وأصحابه بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال بالجنود من عنده والريح التى بعث عليهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى يزيد بن رومان ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا أى قريش وغطفان حدثنى الحسين بن على الصدائى قال ثنا شبابة قال ثنا ابن أبى ذئب عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن عبد الرحمن بن أبى سعيد

الاحباط عليه سهلا قال فى الكشاف لان أعمالهم حقيقة بالاحباط تدعو اليه الدواعى ولا يصرف عنه صارف ويمكن أن يقال اعدام الجواهر هين على الله فاعدام الاعراض ولا سيما بمعنى عدم اعتبار نتائجها أولى بأن يكون هينا ثم قرر طرفا آخر من جبنهم وهو أنهم (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا) وقد ذهبوا فانصرف المنافقون الى المدينة منهزمين بناء على هذا الحسبان ومن جملة جبنهم وضعف

الخدري عن أبيه قال حبسنا يوم الخندق عن الصلاة فلم نصل الظهر ولا العصر ولا المغرب ولا العشاء حتى كان بعد العشاء بهوى من الليل كفينا وأنزل الله وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فأقام الصلاة وصلى الظهر فأحسن صلاتها كما كان يصليها في وقتها ثم صلى العصر كذلك ثم صلى المغرب كذلك ثم صلى العشاء كذلك جعل لكل صلاة اقامة وذلك قبل أن تنزل صلاة الخوف فان خفتم فرجالا أو ركبانا حدثني محمد بن عبد الله ابن عبد الحكم قال ثنا ابن أبي فديك قال ثنا ابن أبي ذئب عن المقبري عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبي سعيد الخدري قال حبسنا يوم الخندق فذكر نحوه وقوله وكان الله قويا عزيزا يقول وكان الله قويا على فعل ما يشاء فعله بخلقه فينصر من شاء منهم على من شاء أن يخذله لا يغلبه غالب عزيزا يقول هو شديد انتقامه ممن انتقم منه من أعدائه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكان الله قويا عزيزا قويا في أمره عزيزا في نقمته ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا ﴾ يقول تعالى ذكره وأنزل الله الذين أعانوا الاحزاب من قريش وغطفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وذلك هو مظاهرتهم اياهم وعنى بذلك بني قريظة وهم الذين ظاهروا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله من أهل الكتاب يعني من أهل التوراة وكانوا يهود وقوله من صياصيهم يعني من حصونهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب قال قريظة يقول أنزلهم من صياصيهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب وهم بنو قريظة ظاهروا أبا سفيان وراسلوه فنكثوا العهد الذي بينهم وبين نبي الله قال فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش يغسل رأسه وقد غسلت شقه اذ أتاه جبرائيل صلى الله عليه وسلم فقال عفا الله عنك ما وضعت الملائكة سلاحها منذ أربعين ليلة فانهض الى بني قريظة فاني قد قطعت أوتارهم وفتحت أبوابهم وتركتهم في زلزال وبلبال قال فاستلأم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سلك سكة بني غنم فاتبعه الناس وقد عصب حاجبه بالتراب قال فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم وناداهم يا اخوان القردة فقالوا يا أبا القاسم ما كنت فحاشا فنزلوا على حكم ابن معاذ وكان بينهم وبين قومه حلف فرجوا أن تأخذ فيهم هوادة وأومأ اليهم أبو لبابة انه الذبح فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وأن تسبى ذراريهم وأن عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقال قومه وعشيرته آثرت المهاجرين بالعقار علينا قال فانكم كنتم ذوي عقار وان المهاجرين كانوا لا عقار لهم وذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر وقال قضى فيكم بحكم الله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخندق راجعا الى المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح فلما كانت الظهر أتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق عن ابن شهاب الزهري معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة عليها رحالة عليها قطيفة من ديباج فقال أقد وضعت السلاح يا رسول الله قال نعم قال جبريل ما وضعت

احتمالهم أنه (ان يأت الاحزاب) كرة ثانية تمنوا (أنهم بادون) أي خارجون الى البدو حاصلون فيما بين الاعراب حذرا من عيان القتال فيكون حالهم اذذاك أنهم (يسألون عن أخباركم) قانعين من العيان بالاثر ومن الحضور بالخبر (ولو كانوا فيكم) ولم ينصرفوا الى المدينة وكان قتال لم يقاتلوا (الا قليلا) ابداء للعذر على سبيل الرياء والضرورة ۞ التأويل اتق الله من التكوين وكان عليه السلام متقيا من الازل

الملائكة السلاح بعد وما رجعت الآن الا من طلب القوم ان الله يأمرك يا محمد بالسير الى بنى قريظة وأنا عامد الى بنى قريظة فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا فأذن فى الناس ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه برايته الى بنى قريظة وابتدرها الناس فسار على بن أبى طالب رضى الله عنه حتى اذا دنا من الحصون سمع منهم مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم منهم فرجع حتى لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق فقال يا رسول الله لا عليك ألا تدنو من هؤلاء الأخباث قال لم أظنك سمعت لى منهم أذى قال نعم يا رسول الله قال لو قد رأونى لم يقولوا من ذلك شيأ فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال يا اخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته قالوا يا أبا القاسم ما كنت جهولا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه بالصورين قبل أن يصل الى بنى قريظة فقال مر بكم أحد فقالوا يا رسول الله قد مر بنا دحية بن خليفة الكلبى على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك جبرائيل بعث الى بنى قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب فى قلوبهم فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قريظة نزل على بئر من آبارها فى ناحية من أموالهم يقال لها بئر أنا فتلاحق به الناس فأتاه رجل من بعد العشاء الآخرة ولم يصلوا العصر لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلين أحد العصر الا فى بنى قريظة فصلوا العصر فما عابهم الله بذلك فى كتابه ولا عنفهم به رسوله والحديث عن محمد بن اسحق عن أبيه عن معبد بن كعب بن مالك الانصارى قال وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله فى قلوبهم الرعب وقد كان حيى ابن أخطب دخل على بنى قريظة فى حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه فلما أيقنوا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد لهم يا معشر يهود انه قد نزل بكم من الامر ما ترون وانى عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا أيها قالوا وما هن قال نبايع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه لنبى مرسل وانه الذى كنتم تجدونه فى كتابكم فتأمنوا على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم قالوا لا نفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره قال فاذ أبيتم هذه على فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد وأصحابه رجالا مصلتين بالسيوف ولم نترك وراءنا ثقلا يهمنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيأ نخشى عليه وان نظهر فلعمرى لنجدن النساء والابناء قالوا نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم قال فاذ أبيتم هذه على فان الليلة ليلة السبت وانه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فانزلوا لعلنا أن نصيب من محمد وأصحابه غرة قالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه من كان قبلنا أما من قد علمت فأصابهم من المسخ ما لم يخف عليك قال ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما قال ثم انهم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث الينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بنى عمرو بن عوف وكانوا من حلفاء الأوس نستشيره فى أمرنا فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قام اليه الرجال وجهش اليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه فرق لهم وقالوا له يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد قال نعم وأشار بيده الى حلقه انه الذبح قال أبو لبابة فوالله ما زالت قدماى حتى عرفت أنى قد خنت الله ورسوله ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط فى المسجد الى عمود من عمده وقال لا أبرح مكانى حتى يتوب الله على مما صنعت وعاهد الله لا يطأ بنى قريظة

الى الأبد وكذا الكلام فيما يتلوه من النواهى والاوامر ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه لان القلب صدف درة المحبة ومحبة الله لا تجتمع مع محبة الدنيا والهوى وغيرهما فالقلب واحد كما أن المحبة واحدة والمحبوب واحد وما جعل أزواجكم أمهاتكم وأدعياءكم أبناءكم فيه أن الحقائق لا تنقلب لا عقلا ولا طبعا ولا شرعا وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به من معرفة الانساب فان النسب الحقيقى ما ينسب الى النبى

أبدا ولا يراني الله في بلد خنت الله ورسوله فيه أبدا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وكان قد استبطأه قال أما انه لو كان لوجاءني لاستغفرت له أما اذ فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه ثم ان ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد وهم نفر من بني هذيل ليسوا من بني قريظة ولا النضير نسبهم فوق ذلك هم بنو عم القوم أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة الانصاري تلك الليلة فلما رآه قال من هذا قال عمرو بن سعدى وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا أغدر بمحمد أبدا فقال محمد بن مسلمة حين عرفه اللهم لا تحرمني اقالة عثرات الكرام ثم خلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ثم ذهب فلا يدري أين ذهب من أرض الله الى يومه هذا فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه فقال ذاك رجل نجاه الله بوفائه قال وبعض الناس كان يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصبحت رمته ملقاة ولا يدري أين ذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة فالله أعلم فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوائبت الأوس فقالوا يا رسول الله انهم موالينا دون الخزرج وقد فعلت في موالي الخزرج بالامس ما قد علمت وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بني قريظة حاصر بني قينقاع وكانوا حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه فسأله اياهم عبد الله بن أبي ابن سلول فوهبهم له فلما كلمته الاوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ترضون يا معشر الاوس أن يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى قال فذاك الى سعد بن معاذ وكان سعد بن معاذ قد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيمة امرأة من أسلم يقال لها رفيدة في مسجده كانت تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريظة أتاه قومه فاحتملوه على حمار وقد وطؤا له بوسادة من أدم وكان رجلا جسيما فأقبلوا معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون يا أبا عمرو أحسن في موالبك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاك ذلك لتحسن فيهم فلما أكثروا عليه قال قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم فرجع بعض من كان معه من قومه الى دار بني عبد الأشهل فنعى اليهم رجال بني قريظة قبل أن يصل اليهم سعد بن معاذ من كلمته التي سمع منه فلما انتهى سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين قال قوموا الى سيدكم فقاموا اليه فقالوا يا أبا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاك موالبك لتحكم فيهم فقال سعد عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم كما حكمت قالوا نعم قال وعلى من ههنا في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلالا له فقال رسول الله نعم قال سعد فاني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبي الذراري والنساء حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال فحدثني محمد بن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن علقمة بن وقاص الليثي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار ابنة الحرث امرأة من بني النجار ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم فخندق بها خنادق ثم بعث اليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق يخرج بهم اليه أرسالا وفيهم عدو الله حيي بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم

صلى الله عليه وسلم فانه النسب الباقي كما قال كل حسب ونسب ينقطع الا حسبي ونسبي فحسبه الفقر ونسبه النبوة ولكن ما تعمدت قلوبكم بقطع الرحم عن النبوة بترك سنته وسيرته النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم لانهم لا يقدرون على توليد أنفسهم في النشأة الثانية كما لم يقدروا على توليد أنفسهم في النشأة الاولى وكان أبوهم أحق بهم من أنفسهم في توليدهم من صلبه وأزواجه وهن قلوبهم

وهم ستمائة أو سبعمائة والمكثر منهم يقول كانوا من الثمانمائة الى التسعمائة وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا يا كعب ماترى ما يصنع بنا فقال كعب أفى كل موطن لا تعقلون ألا ترون الداعى لا ينزع وانه من يذهب به منكم فلا يرجع هو والله القتل فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتى بحيى بن أخطب عدو الله وعليه حلة له فقاحية قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الانملة أنملة أنملة لئلا يسلبها مجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس انه لا بأس بأمر الله كتاب الله وقدره وملحمة قد كتبت على بنى اسرائيل ثم جلس فضربت عنقه فقال جبل بن جوال الثعلبى

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه * ولكنه من يخذل الله يخذل
لجاهد حتى أبلغ النفس عذرها * وقلقل يبغى العز كل مقلقل

حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت لم يقتل من نسائهم الا امرأة واحدة قالت والله انها لعندى تحدث معى وتضحك ظهرا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالهم بالسوق اذ هتف هاتف باسمها أين فلانة قالت أنا والله قالت قلت ويلك مالك قالت أقتل قلت ولم قالت لحدث أحدثته قال فانطلق بها فضربت عنقها فكانت عائشة تقول ما أنسى عجبى منها طيب نفس وكثرة ضحك وقد عرفت أنها تقتل

حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال نمى يزيد بن رومان وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم والصياصى الحصون والآطام التى كانوا فيها وقذف فى قلوبهم الرعب

حدثنا عمرو بن مالك البكرى قال ثنا وكيع بن الجراح وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة من صياصيهم قال من حصونهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد من صياصيهم يقول أنزلهم من صياصيهم قال قصورهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله من صياصيهم أى من حصونهم وآطامهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم قال الصياصى حصونهم التى ظنوا أنها مانعتهم من الله تبارك وتعالى وأصل الصياصى جمع صيصة وعنى بها ههنا حصونهم والعرب تقول لطرف الجبل صيصة ويقال لأصل الشئ صيصة يقال جز الله صيصة فلان أى أصله ويقال لشوك الحاكة صياصى كما قال الشاعر * كوقع الصياصى فى النسيج الممدد *
وهى شوكاتها الديك وقوله وقذف فى قلوبهم الرعب يقول وألقى فى قلوبهم الخوف منكم فريقا تقتلون يقول تقتلون منهم جماعة وهم الذين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم حين ظهر عليهم وتأسرون فريقا يقول وتأسرون منهم جماعة وهم نساؤهم وذراريهم الذين سبوا كما

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فريقا تقتلون الذين ضربت أعناقهم وتأسرون فريقا الذين سبوا

حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال نمى يزيد بن رومان فريقا تقتلون وتأسرون فريقا أى قتل الرجال وسبى الذرارى والنساء وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم يقول وملككم بعد هلكهم أرضهم يعنى مزارعهم ومغارسهم وديارهم يقول ومساكنهم وأموالهم يعنى سائر الاموال غير الارض والدور وقوله وأرضا لم تطؤها اختلف أهل التأويل فيها أى أرض هى فقال بعضهم هى الروم وفارس ونحوها من البلاد التى فتحها الله بعد ذلك على المسلمين ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأرضا لم تطؤها قال قال الحسن هى الروم

أمهاتهم لانه يتصرف فى قلوبهم تصرف الذكور فى الاناث بشرط كمال التسليم ليقع من صلب النبوة نطفة الولاية فى أرحام القلوب واذا حملوا النطفة صانوها عن الآفات لئلا تسقط بأدنى رائحة من روائح حب الدنيا وشهواتها فيرتدوا على أعقابهم وبعد النبى صلى الله عليه وسلم سائر أقارب الدين بعضهم اولى ببعض لاجل التربية ومن المؤمنين بالنشأة الاخرى والمهاجرين عن أوطان البشرية الا اذا تركت

وفارس

وفارس وما فتح الله عليهم * وقال آخرون هي مكة * وقال آخرون بل هي خيبر ذكر من قال ذلك
حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني يزيد بن رومان وأرضا لم تطؤها قال خيبر
حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأورثكم أرضهم وديارهم قال قريظة
والنضير أهل الكتاب وأرضا لم تطؤها قال خيبر * والصواب من القول في ذلك أن يقال ان
الله تعالى ذكره أخبر أنه أورث المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض بني قريظة
وديارهم وأموالهم وأرضا لم يطؤها يومئذ ولم تكن مكة ولا خيبر ولا أرض فارس والروم ولا اليمن
مما كانوا وطؤه يومئذ ثم وطؤا ذلك بعد وأورثموه الله وذلك كله داخل في قوله وأرضا لم تطؤها
لانه تعالى ذكره لم يخصص من ذلك بعضا دون بعض وقوله وكان الله على كل شئ قديرا يقول تعالى
ذكره وكان الله على أن أورث المؤمنين ذلك وعلى نصره اياهم وغير ذلك من الامور ذا قدرة لا يتعذر
عليه شئ أراده ولا يمتنع عليه فعل شئ حاول فعله ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يا أيها النبي
قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وان
كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما ﴾ يقول تعالى
ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين
امتعكن يقول فاني أمتعكن ما أوجب الله على الرجال للنساء من المتعة عند فراقهم اياهن بالطلاق
بقوله ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين وقوله
وأسرحكن سراحا جميلا يقول وأطلقكن على ما أذن الله به وأدب به عباده بقوله اذا طلقتم النساء
فطلقوهن لعدتهن وان كنتن تردن الله ورسوله يقول وان كنتن تردن رضا الله ورضا رسوله
وطاعتهما فأطعنهما فان الله أعد للمحسنات منكن وهن العاملات منهن بأمر الله وأمر رسوله
أجرا عظيما وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل أن عائشة سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ من عرض الدنيا ما زيادة في النفقة أو غير ذلك فاعتزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم نساءه شهرا فيما ذكر ثم أمره الله أن يخيرهن بين الصبر عليه والرضا بما قسم لهن
والعمل بطاعة الله وبين أن يمتعهن ويفارقهن ان لم يرضين بالذي يقسم لهن وقيل كان سبب ذلك
غيرة كانت عائشة غارتها ذكر الرواية بقول من قال كان ذلك من أجل شئ من النفقة وغيرها
حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أيوب عن أبي الزبير أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم يخرج صلوات فقالوا ما شأنه فقال عمر ان شئتم لأعلمن لكم شأنه فأتى النبي صلى الله عليه
وسلم فجعل يتكلم ويرفع صوته حتى أذن له قال فجعلت أقول في نفسي أي شئ أكلم به رسول الله
صلى الله عليه وسلم لعله يضحك أو كلمة نحوها فقلت يا رسول الله لو رأيت فلانة وسألتني النفقة
فصككتها صكة فقال ذلك حبسني عنكم قال فأتى حفصة فقال لا تسألي رسول الله صلى الله عليه
وسلم شيأ ما كانت لك من حاجة فاني ثم تتبع نساء النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يكلمهن فقال
لعائشة أعتزك أنك امرأة حمقاء وأن زوجك يحبك لتنتهين أو لينزلن فيك القرآن قال فقالت
أم سلمة يا ابن الخطاب أوما بقي لك الا أن تدخل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين نسائه ولن
تسأل المرأة الا لزوجها قال ونزل القرآن يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها
الى قوله أجرا عظيما قال فبدأ بعائشة فخيرها وقرأ عليها القرآن فقالت هل بدأت باحد من نسائك قبلي
قال لا قالت فاني أختار الله ورسوله والدار الآخرة ولا تخبر هن بذلك قال ثم تتبعهن بذلك فجعل يخيرهن
ويقرأ عليهن القرآن ويخبرهن بما صنعت عائشة فتتابعن على ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا
سعيد عن قتادة قوله يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن

النفس بالاخلاق الحميدة وصارت
من الاولياء بعد أن كانت من
الاعداء فيعمل معها معروفا يرفق
من الازهاق واذ أخذنا من النبيين
ميثاقهم في الازل ومنك يا محمد أولا
بالحبيبية ومن نوح بالدعوة ومن
ابراهيم بالخلة ومن موسى بالمكالمة
ومن عيسى بن مريم بالعبدية
وغلظنا الميثاق بالتأييد والتوثيق
ليسأل الصادقين سؤال تشريف
لا سؤال تعنيف والصدق ان
لا يكون في أحوالك شوب

وأسرحكن سراحا جميلا الى قوله أجرا عظيما قال قال الحسن وقتادة خيرهن بين الدنيا والآخرة والجنة والنار في شيء كن أردنه من الدنيا وقال عكرمة في غيرة كانت غارتها عائشة وكان تحته يومئذ تسع نسوة خمس من قريش عائشة وحفصة وأم حبيبة بنت أبي سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبي أمية وكانت تحته صفية ابنة حيي الخيبرية وميمونة بنت الحرث الهلالية وزينب بنت جحش الأسدية وجويرية بنت الحرث من بني المصطلق وبدأ بعائشة فلما اختارت الله ورسوله والدار الآخرة رؤي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتتابعن كلهن على ذلك واخترن الله ورسوله والدار الآخرة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن وهو قول قتادة في قول الله يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها الى قوله عظيما قالا أمر الله أن يخيرهن بين الدنيا والآخرة والجنة والنار قال قتادة وهي غيرة من عائشة في شيء أرادته من الدنيا وكان تحته تسع نسوة عائشة وحفصة وأم حبيبة بنت أبي سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبي أمية وزينب بنت جحش وميمونة بنت الحرث الهلالية وجويرية بنت الحرث من بني المصطلق وصفية بنت حيي بن أخطب فبدأ بعائشة وكانت أحبهن اليه فلما اختارت الله ورسوله والدار الآخرة رؤي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتتابعن على ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن وهو قول قتادة قال لما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك فقال لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن فقصره الله عليهن وهن التسع اللاتي اخترن الله ورسوله ذكر من قال ذلك من أجل الغيرة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء الآية قال كان أزواجه قد تغايرن على النبي صلى الله عليه وسلم فهجرهن شهرا نزل التخيير من الله له فيهن يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فقرأ حتى بلغ ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى فخيرهن بين أن يخترن أن يخلي سبيلهن ويسرحهن وبين أن يقمن ان أردن الله ورسوله على أن هن أمهات المؤمنين لا ينكحن أبدا وعلى أنه يؤوي اليه من يشاء منهن لمن وهب نفسه له حتى يكون هو يرفع رأسه اليها ويرجي من يشاء حتى يكون هو يرفع رأسه اليها ومن ابتغى ممن عزل عنده وعزل فلا جناح عليه ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين اذا علمن أنه من قضائي عليهن ايثار بعضهن على بعض أدنى أن يرضين قال ومن ابتغيت ممن عزلت من ابتغى أصابه ومن عزل لم يصبه فخيرهن بين أن يرضين بهذا أو يفارقهن فاخترن الله ورسوله الا امرأة واحدة بدوية ذهبت وكان على ذلك وقد شرط له هذا الشرط ما زال يعدل بينهن حتى لقي الله حدثنا أحمد ابن عبدة الضبي قال ثنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه قال قالت عائشة لما نزل الخيار قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أريد أن أذكر لك أمرا فلا تقضي فيه شيئا حتى تستأمري أبويك قالت قلت وما هو يا رسول الله قال فرد عليها فقالت ما هو يا رسول الله قال فقرأ عليهن يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها الى آخر الآية قالت قلت بل نختار الله ورسوله قالت ففرح بذلك النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن عائشة قالت لما نزلت آية التخيير بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بعائشة فقال يا عائشة اني عارض عليك أمرا فلا تفتاتي فيه بشيء حتى تعرضيه على أبويك أبي بكر وأم رومان فقالت يا رسول الله وما هو قال الله يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها الى عظيما فقلت ابي أريد الله ورسوله والدار الآخرة ولا أؤامر في ذلك أبوي أبا بكر وأم رومان فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استقرأ الحجر فقال ان عائشة قالت كذا فقلن ونحن نقول

ولا في أعمالك عيب ولا في اعتقادك ريب ومن أماراته وجود الاخلاص من غير ملاحظة المخلوق وتصفية الاحوال من غير مداخلة اعجاب وسلامة القول من المعاريض والتباعد عن التلبيس فيما بين الناس وادامة التبري من الحول والقوة بل الخروج من الوجود المجازي شوقا الى الوجود الحقيقي اذ جاءتكم جنود الشياطين وصفات النفس الدنيا وزينتها من فوقكم وهي الآفات السماوية ومن أسفل منكم وهي

مثل ما قالت عائشة حدثنا سعيد بن يحيى الاموى قال ثنا أبى عن ابن اسحق عن عبد الله بن أبى بكر عن عمرة عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم لما نزل الى نسائه أمر أن يخيرهن فدخل على فقال انى ذاكر لك أمرا ولا تعجلى حتى تستشيرى أباك فقالت وما هو يا نبى الله قال انى أمرت أن أخيركن وتلا عليها آية التخيير الى آخر الآيتين قالت قلت وما الذى تقول لا تعجل حتى تستشيرى أباك فانى أختار الله ورسوله فسر بذلك وعرض على نسائه فتتابعن كلهن فاخترن الله ورسوله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى موسى بن على وعمرو بن الحارث عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخيير أزواجه بدأ بى فقال انى ذاكر لك أمرا فلا عليك أن لا تعجلى حتى تستأمرى أبويك قالت قد علم أن أبوى لم يكونا يأمرانى بفراقه قالت ثم تلا هذه الآية يا أيها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا قالت قلت فى أى هذا أستأمر أبوى فانى أريد الله ورسوله والدار الآخرة قالت عائشة ثم فعل أزواج النبى صلى الله عليه وسلم مثل ما فعلت فلم يكن ذلك حين قاله لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم اخترنه طلاقا من أجل أنهن اخترنه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا﴾ يقول تعالى ذكره لأزواج النبى صلى الله عليه وسلم يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يقول من يزن منكن الزنا المعروف الذى أوجب الله عليه الحد يضاعف لها العذاب على فجورها فى الآخرة ضعفين على فجور أزواج الناس غيرهن كما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس يضاعف لها العذاب ضعفين قال يعنى عذاب الآخرة ◦ واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار يضاعف لها العذاب بالألف غير أبى عمرو فانه قرأ ذلك يضعف بتشديد العين تأولا منه فى قراءته ذلك ان يضعف بمعنى تضعيف الشئ مرة واحدة وذلك أن يجعل الشئ شيئين فكأن معنى الكلام عنده أن يجعل عذاب من يأتى من نساء النبى صلى الله عليه وسلم بفاحشة مبينة فى الدنيا والآخرة مثلى عذاب سائر النساء غيرهن ويقول ان يضاعف بمعنى أن يجعل الشئ مثلاه حتى يكون ثلاثة أمثاله فكان معنى من قرأ يضاعف عنده كان أن يجعل عذابها ثلاثة أمثال عذاب غيرها من النساء من غير أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فلذلك اختار يضعف على يضاعف وأنكر الآخرون الذين قرؤا ذلك يضاعف ما كان يقول فى ذلك ويقولون لا تعلم بين يضعف ويضاعف فرقا ◦ والصواب من القراءة فى ذلك ما عليه قراء الامصار وذلك يضاعف وأما التأويل الذى ذهب اليه أبو عمرو فتأويل لا نعلم أحدا من أهل العلم ادعاه غيره وغير أبى عبيدة معمر بن المثنى ولا يجوز خلاف ما جاءت به الحجة مجمعة عليه بتأويل لا برهان له من الوجه الذى يجب التسليم له وقوله وكان ذلك على الله يسيرا يقول تعالى ذكره وكانت مضاعفة العذاب على من فعل ذلك منهن على الله يسيرا والله أعلم

◦ (تم الجزء الحادى والعشرون من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء الثانى والعشرون أوله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ومن يقنت منكن) ◦

المتولدات البشرية أو من فوقكم وهى الدواعى النفسانية فى الدماغ ومن أسفل منكم هى الدواعى الشهوانية فأرسلنا عليهم ريحا من نكبات قهرنا وجنودا لم تروها من حفظنا وعصمتنا وعاهدوا الله من قبل الشروع فى الطلب أنهم لا يولون أدبارهم عند الجهاد مع الشيطان والنفس لاخوانهم وهم الحواس والجوارح كونوا أتباعا لنا والله أعلم

﴿ فهرست الجزء الحادى والعشرين من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ﴾

صحيفة	
٢	تأويل قوله ولا تجادلوا أهل الكتاب وبيان أن الصواب فى الذين ظلموا من امتنعوا عن الجزية
٤	بيان أن النبى كان أميا لا يقرأ ولا يكتب
٥	بيان أنه موجود فى الكتب السابقة أنه صلى الله عليه وسلم أمى وان ذلك من آياته
٧	تأويل ياعبادى الذين آمنوا الخ وبيان أنه ندب الى الهرب من الارض التى لم تمكن عبادة الله فيها
٨	تأويل قوله وكأين من دابة وبيان أنه لا ينبغى أن يؤخر ضيق الرزق عن الهجرة
١٠	تأويل قوله ومن أظلم وبيان أن الاستفهام للتقرير والشاهد عليه
١١	﴿ تفسير سورة الروم ﴾
١٢	ذكر طرف من تاريخ حرب الروم وفارس
١٦	تأويل قوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وبيان أن ذلك لا تعلق له بالآخرة
١٨	تأويل قوله ويوم تقوم الساعة الآية وبيان معنى يحبرون وسوق الشواهد عليه
٢٠	تأويل قوله فسبحان الله وبيان دلالتها على طلب الصلوات الخمس
٢٢	تأويل قوله ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا
٢٣	بيان أن كل من فى السموات والارض تحت تصرفه وتقديره
٢٤	ذكر الشواهد الدالة على أن أفعل فى قوله وهو أهون عليه بمعنى اسم الفاعل
٢٥	تأويل قوله ضرب لكم مثلا من أنفسكم وبيان أنهم أجحفوا بما اتخذوه من الالهة
٢٦	بيان أن قوام هذه الامة بثلاث
٢٧	بيان معنى الانابة اليه تعالى
٢٩	تأويل قوله وما آتيتم من ربا وبيان النهى عن كون الرجل يعطى ليثاب على عطائه
٣١	تأويل قوله ظهر الفساد فى البر والبحر
٣٥	بيان أن الرياح أربع
٣٨	﴿ تفسير سورة لقمان ﴾
٤١	بيان الصواب فى المراد من لهو الحديث
٤٢	تأويل قوله خلق السموات بغير عمد ترونها الآية
٤٣	ذكر ما أوتيه لقمان من الحكمة ومواعظه لابنه
٤٩	تأويل قوله ألم تروا أن الله سخر لكم الآية وبيان معنى النعم الظاهرة والباطنة
٥١	بيان أن معلومات الله لا تتناهى
٥٤	تأويل واذا غشيهم موج الخ وذكر الشواهد
٥٥	بيان أن مفاتح الغيب التى لا يعلمها الا الله خمس
٥٧	﴿ تفسير سورة السجدة ﴾
٥٨	تأويل قوله يدبر الامر الآية وبيان معنى عروج الامر وسوق الخلاف فيه
٥٩	بيان معنى احسان خلق كل شئ
٦١	تأويل قوله وقالوا أئذا ضللنا وبيان أن الضلال بمعنى الفناء والشاهد عليه
٦٣	بيان معنى تجافى الجنوب وبماذا يكون ذلك
٦٥	بيان ما أعد للمتقين فى الجنة من الكرامة
٦٨	تأويل قوله ولنذيقنهم من العذاب الأدنى وبيان أن بلاء الدنيا من العذاب الادنى
٧١	بيان المراد بقوله فلا تك فى مرية من لقائه
٧٣	تأويل قوله ويقولون متى هذا الفتح
٧٤	﴿ تفسير سورة الأحزاب ﴾
٧٤	بيان معنى قوله ما جعل الله لرجل من قلبين الآية
٧٦	بيان ما أمر الله به فى نسبة من لم نعلم آباءهم
٧٧	بيان أن المسلمين كانوا يتوارثون بالهجرة ثم نسخ ذلك بالتوارث بالارحام
٨٠	بيان غزوة الخندق
٨٦	تأويل قوله واذ قالت طائفة منهم وبيان ما كان يفعله المنافقون من الهرب من عسكر المسلمين
٨٩	تأويل قوله قد يعلم الله المعوقين وبيان تثبيط المنافقين للناس عن نصرة رسول الله
٩١	تأويل قوله لقد كان لكم فى رسول الله أسوة الآية وبيان أن ذلك عتاب للمتخلفين
٩٥	بيان خبر غزوة بنى قريظة
٩٩	تأويل قوله يا أيها النبى قل لازواجك الآية وبيان تخيير رسول الله صلى الله عليه وسلم أزواجه

﴿ فهرست الجزء الحادى والعشرين من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش ابن جرير ﴾

صحيفة	
٣	تفسير قوله ولا تجادلوا أهل الكتاب الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٥	بيان أن العلم الحدسى يعرفه العاقل وأما العلم الفكرى فلا يدركه الا العالم ومنه المثل
٦	بيان تقسيم العبادات الى اعتقادية ولسانية وبدنية
٧	بيان ما قيل فى معنى نهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر وبيان الصلاة التى تنهى عن ذلك
٩	بيان أن أكثر أهل الكتاب جاؤا بكل حسن الا الاعتراف بمحمد فلذا يجادلون بالتى هى أحسن
١٠	بيان اختصاص الامة المحمدية بحفظ القرآن وان من قبلهم لم يكونوا يقرؤن الا من التوراطيس
١١	تفسير قوله أولم يكفهم الخ وبيان سبب نزولها
١٢	بيان ما فى الهجرة للدين من الأجر
١٤	بيان ما يوقف عليه الصبر والتوكل
١٥	بيان أن حب الدنيا هو الذى زين للمشركين فعلهم
١٨	تأويل تلك الآيات
٢٠	﴿ تفسير سورة الروم ﴾
٢٣	ذكر المحاربة بين فارس والروم وما تم فيها
٢٤	ذكر رهان أبى بكر مع بعض كفار قريش
٢٦	بيان أن فى قوله أولم يتفكروا الآية تقريرين
٢٩	ذكر بعض ما فى الجنة من النعيم
٣٠	بيان أن التراب أبعد الاشياء عن درجة الأحياء
٣٢	بيان ما فى خلق الانسان من الآيات
٣٤	بيان ما اشتملت عليه آية ومن آياته أن خلقكم الخ من دقائق الاستدلال
٣٥	الدليل العقلى على أن اعادة الشئ أهون من بدئه
٣٧	بيان فساد زعم ان العبادة لتحصيل الكمال فقط
٣٨	تأويل تلك الآيات
٤٢	تفسير قوله واذا مس الناس ضر الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٤٣	بيان ما على الانسان فى حال بسط الرزق وتقتيره
٥١	﴿ تفسير سورة لقمان ﴾
٥٢	بيان أن ترك الحكمة والاشتغال بحديث خرافة قبيح الا اذا كان على وجه الاحماض
٥٣	بيان نسب لقمان وذكر طرف من خبره
٥٥	بيان ما يلزم الانسان من بر والديه
٥٧	بيان النهى عن رفع الصوت وذكر بعض خصال الحمار
٥٨	تأويل تلك الآيات
٥٩	تفسير قوله ألم تروا أن الله سخر لكم الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٦٣	بيان مفاتح الغيب الخمس التى لا يعلمها الا هو وذكر الحكمة فى عدم علمها لاحد
٦٤	تأويل تلك الآيات
٦٥	﴿ تفسير سورة السجدة ﴾
٦٨	بيان ما يحتمله قوله يدبر الامر من السماء الآية
٧١	بيان التجافى عن المضاجع بما ذا يكون وذكر بعض فضائل التهجد
٧٢	بيان ما حصل بين على بن أبى طالب والوليد بن عقبة وذكر جنة المأوى
٧٣	بيان أن الرجاء هل يجوز اطلاقه على الله أم لا
٧٤	بيان انقسام الخلق فى معرفة الله الى ثلاثة أقسام
٧٦	تأويل تلك الآيات
٧٨	﴿ تفسير سورة الأحزاب ﴾
٨١	بيان أن الأحزاب كانت طويلة ونسخ منها كثير
٨٢	بيان معنى الظهار وأنه لا يجعل المرأة أما حقيقة
٨٣	ذكر خبر زيد بن حارثة مولى النبى صلى الله عليه وسلم
٨٤	بيان أن النبى يقال له أبو أمته كما أن زوجاته يقال لهن أمهاتهم
٨٥	بيان أن الأقارب أحق من الاجانب فى كل شئ الا فى الوصية
٨٦	بيان أن عاقبة المكلفين اما حساب واما عذاب
٨٦	ذكر وقعة الاحزاب وما فعله المنافقون فيها
٩٥	تأويل تلك الآيات

﴿ تم فهرست الجزء الحادى والعشرين من تفسير النيسابورى ﴾

فهـــــرس

الجـــزء الثانى والعشرين

من تفســـير الامام ابن جرير الطـــبرى

﴿ فهرست الجزء الثانى والعشرين من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ﴾

صحيفة	
٢	تأويل قوله ومن يقنت منكن وبيان أن الرزق الكريم الجنة
٣	بيان أن المراد بمرض القلوب الشهوات
٤	بيان معنى الجاهلية الأولى
٥	بيان أن أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم منهم
٨	تأويل قوله واذكرن ما يتلى فى بيوتكن وبيان المراد من الحكمة التى تتلى
٩	تأويل قوله وما كان لمؤمن الآية وذكر ما كان من زينب بنت جحش حين خطبها رسول الله لمولاه زيد بن حارثة
١٠	ذكر زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم لأم المؤمنين زينب بنت جحش
١٢	تأويل قوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وبيان أنها نزلت فى زيد بن حارثة
١٥	بيان أن المرء اذا طلق امرأته قبل الدخول بانت منه ولا عدة عليها وعليه لها نصف المهر ان سمى والا فالمتعة
١٥	بيان ما أحل الله لنبيه من النساء
١٨	تأويل قوله ترجى من تشاء منهن وبيان أن القسم كان ليس بواجب عليه
٢١	تأويل قوله لا يحل لك النساء وبيان الخلاف فى أن تلك الآية نسخت أو استمرت معمولا بها
٢٥	تأويل قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى وبيان ما كان من بعضهم من التحدث طويلا فى بيت رسول الله
٣٠	تأويل قوله لا جناح عليهن وبيان أن ذلك فى ازواج رسول الله فيمن يجوز لهن اظهار الزينة عندهم
٣١	بيان كيفية الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
٣٢	ذكر طعن المنافقين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى زواجه صفية

صحيفة	
٣٣	تأويل قوله يا أيها النبى قل لأزواجك الآية وبيان ما يجب على المرأة ستره عند الخروج
٣٦	بيان ما آذى به بنو اسرائيل موسى
٣٨	تأويل قوله انا عرضنا الأمانة وبيان المراد بالأمانة المعروضة وكيفية عرضها
٤٢	﴿ تفسير سورة سبأ ﴾
٤٤	تأويل ويرى الذين أوتوا العلم وبيان من هم
٤٤	بيان ما كان يستغربه المشركون من الاعادة حتى نسبوا الآتى بذلك الى الكذب أو الجنون
٤٦	بيان ما أوتيه داود من المعجزات وعمله الدروع السابغات
٤٧	تأويل قوله ولسليمان الريح وبيان ما أوتيه من تسخير الريح والشياطين له
٥٠	ذكر خبر موت سليمان عليه السلام وخفاء ذلك على الشياطين
٥٢	تأويل قوله لقد كان لسبا وذكر نسب سبا وخبر سدهم والسيل الذى أرسل عليهم
٦٠	تأويل قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وبيان الظن الذى كان ظنه
٦٢	ذكر ما يحدث فى الملا الأعلى عند حدوث أمر الهى
٦٤	تأويل قوله قل من يرزقكم من السموات والأرض وبيان معنى أو والشواهد عليها
٦٦	ذكر كفر المشركين بالقرآن وبالذى بين يديه من الكتب
٧٢	تأويل قوله ولو ترى اذ فزعوا وبيان خروج السفيانى بجيشه آخر الزمان وخسف الارض بهم
٧٥	بيان أن المشركين يشتهون الايمان فيحال بينهم وبينه
٧٦	﴿ تفسير سورة فاطر ﴾
	وبيان أصناف الملائكة والشواهد على عدم صرف مثنى وما معه

صحيفة	
٧٧	تأويل قوله وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وبيان معنى الغرور
٧٩	بيان أن العزة لا تكون الا فى طاعة الله وكيفية رفع الكلم الطيب وبيان افساد الرياء للعمل
٨٢	تأويل قوله يولج الليل فى النهار الآية وبيان معنى القطمير
٨٥	تأويل قوله وما يستوى الأعمى والبصير وبيان أنها أمثال ضربت للمؤمن والكافر
٨٧	بيان أن الخوف من الله دأب العلماء العاملين به
٨٨	تأويل قوله ثم أورثنا الكتاب وبيان أن هؤلاء الأصناف من اهل الجنة جميعهم أم لا
٩٢	بيان أن أهل النار لا يخفف عنهم نوع العذاب
٩٥	تأويل قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم وبيان ما كان عليه المشركون من طلب رسول الله فلما جاءهم كفروا به
٩٧	﴿ تفسير سورة يس ﴾
٩٨	تأويل قوله انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا وبيان أن فى الآية حذفا والشاهد عليه
١٠٠	بيان أن خطا الانسان الى الخير تكتب له حسنات
١٠١	ذكر خبر أصحاب القرية والرسل الذين أرسلوا اليها

﴿ تم فهرست الجزء الثانى والعشرين من تفسير الامام ابن جرير ﴾

﴿ فهرست الجزء الثانى والعشرين من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش تفسير ابن جرير ﴾

صحيفة	
٢	تفسير قوله تعالى ومن يقنت الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٦	بيان غزوة بنى قريظة
٧	بيان أن التخيير هل كان واجبا على رسول الله أم لا
٨	بيان حكم التخيير والخلاف بين الأمة فيه
١٠	بيان الجاهلية الأولى وما كانت المرأة تفعله بها
١٢	خطبة النبى صلى الله عليه وسلم زينب على مولاه زيد ودفعه الصداق من عنده
١٣	بيان زواجه صلى الله عليه وسلم بزينب
١٥	تأويل تلك الآيات
١٨	تفسير قوله يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٢٤	بيان أنه صلى الله عليه وسلم كان يجب عليه دفع المهر مقدما
٢٥	بيان ما استدل به الامام أبو حنيفة من جواز النكاح بلفظ الهبة
٢٦	بيان أمر القسم له صلى الله عليه وسلم وتحريم استبداله أزواجا غير اللاتى كن معه
٢٨	بيان تحريم الله الدخول فى بيوت النبى الا مع الاذن لطعام وكان الطعام حاضرا
٢٩	بيان السبب فى نزول آية الحجاب
٣٠	بيان احترامه صلى الله عليه وسلم فى الملا الأعلى
٣٢	بيان ما كانت عليه النساء فى ابتداء الأمر وما أمرن به من الستر
٣٣	بيان ما أوذى به موسى صلى الله عليه وسلم
٣٤	بيان عرض الامانة على السموات والارض
٣٦	لطيفة
٣٦	تأويل تلك الآيات
٣٨	﴿ تفسير سورة سبأ ﴾
٤١	بيان أن السور المبدوأة بالحمد خمس وبيان المناسبة بينها وبين أحوال الانسان
٤٥	بيان ما أوتيه داود عليه السلام من الكرامات والسبب فى صنعة الدروع

صحيفة	
٤٦	بيان ما أوتيه سليمن عليه السلام من الملك وذكر كيفية تسخير الريح والشياطين له
٤٨	بيان أن الشكر اللسانى غير كاف بل لابد من الفعلى وذكر ما فعله داود من تجزئة الليل والنهار
٤٩	ذكر ما صنعه سليمن من اخفاء موته عن الجن وبيان نسب سبأ ومساكنهم وسدهم
٥٣	تأويل تلك الآيات
٥٥	تفسير قوله قل ادعوا الذين زعمتم من دونه الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٥٨	ذكر مذاهب أهل الشرك الأربعة وبيان الرد عليها من الآيات
٦٠	بيان ما فى الآيات من الارشاد الى ما يجب فى المناظرات
٦٢	بيان أن المشرك وان كان متبتلا ظاهرا فانه نافله فى الحقيقة
٦٤	بيان ما راعته الملائكة من الانصاف فى حكمهم على عابديهم
٦٦	بيان كيفية التفكر فى أمر النبوة لرسول الله
٦٧	بيان أن البرهان العقلى الباهر قد تم على التوحيد والرسالة وأن الحشر لا برهان عليه إلا اخبار علام الغيوب
٧٠	تأويل تلك الآيات
٧١	﴿تفسير سورة فاطر﴾
٧٣	بيان المناسبة بين آخر السورة المتقدمة وأول هذه وبيان بعض أصناف الملائكة
٧٦	بيان أن المزين لهم عملهم هم أهل الأهواء والبدع الذين لا مستند لهم سوى التقليد
٧٩	بيان كيفية كتابة الأشياء فى اللوح المحفوظ
٨٥	تفسير قوله ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٩١	بيان المصطفين من هم
٩٥	بيان فضل لا إله إلا الله
١٠٠	بيان ما كانت قريش تقوله قبل بعث الرسول صلى الله عليه وسلم

﴿تم فهرست الجزء الثانى والعشرين من تفسير النيسابورى﴾

الجزء الثانى والعشرون

من كتاب جامع البيان فى تفسير القرآن

تأليف

الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت الأمة على تقدمه فى التفسير

أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هجرية

رحمه الله وأثابه رضاه آمين

وبهامشه

تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان

للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدست أسراره

« فى كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطى فى الاتقان وكتابه « أى الطبرى » أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفسير الأقدمين وقال النووى أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى * وعن أبى حامد الاسفرايينى أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اه

تنبيه

طبعت هذه النسخة بعد مقابلتها وتصحيحها بمعرفة حضرة الملتزم على الاصول الموجودة فى خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر وعلى النسخة الموجودة بالكتبخانة المحمودية بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التحية بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبى الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

(الطبعة الاولى)

بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصر المحميه

سنة ١٣٢٩ هجريه

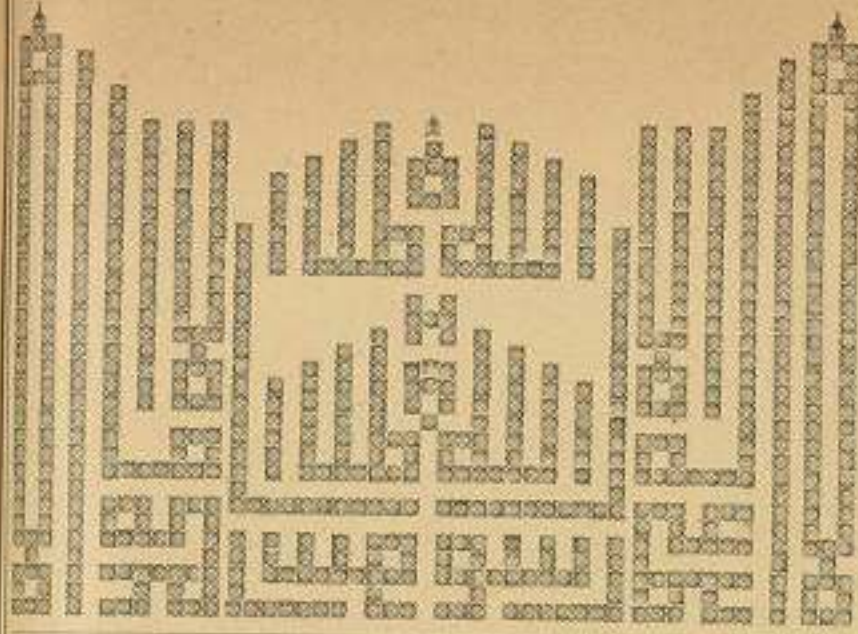

الجزء الثانى والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما﴾ يقول تعالى ذكره ومن يطع الله ورسوله منكن وتعمل بما أمرالله به نؤتها أجرها مرتين يقول يعطها الله ثواب عملها مثلى ثواب عمل غيرهن من سائر نساء الناس وأعتدنا لها رزقا كريما يقول وأعتدنا لها فى الآخرة عيشا هنيأ فى الجنة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن يقنت منكن لله ورسوله الآية يعنى ٣ آخر الآية حدثنى سلم بن جنادة قال ثنا ابن ادريس عن ابن عون قال سألت عامرا عن القنوت قال وما هو قال قلت وقوموا لله قانتين قال مطيعين قال قلت ومن يقنت منكن لله ورسوله قال يطع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومن يقنت منكن لله ورسوله أى من يطع منكن الله ورسوله وأعتدنا لها رزقا كريما وهى الجنة واختلفت القراء فى قراءة قوله وتعمل صالحا نقر أعامة قراء الحجاز والبصرة وتعمل بالتاء ردّا على تأويل من اذ جاء بعد قوله منكن وحكى بعضهم عن العرب انها تقول كم بيع لك جارية وأنهم ان قدموا الجارية قالوا كم جارية بيعت لك فأنثوا الفعل بعد الجارية والفعل فى الوجهين لكم لا للجارية وذكر الفراء أن بعض العرب أنشده

أيا أم عمرو من يكن عقر داره * جواء عدى يأكل الحشرات

ويسود من لفح السموم جبينه * ويعرو ان كانوا ذوى بكرات

﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شئ قديرا يا أيها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن اجرا عظيما يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما يا نساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقمن الصلوة وآتين الزكوة وأطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات

فقد ضل ضلالا مبينا واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له سنة الله فى الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله وكفى بالله حسيبا ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليما ﴿ القراآت أسوة بضم الهمزة حيث كان عاصم وعباس الآخرون بكسرها تضعف بالنون وكسر العين العذاب بالنصب ابن كثير وابن عامر وقرا أبو عمرو ويزيد ويعقوب بالياء المضمومة والعين مفتوح وبرفع العذاب الآخرون مثله ولكن بالالف من المضاعفة ويعمل صالحا يؤنثها على التذكير والغيبة حمزة وعلى وخلف وافق المفضل فى ويعمل الباقون بتأنيث الاول وبالنون فى الثانى وقرن بفتح القاف أبو جعفر ونافع وعاصم غير حبيرة الباقون بكسرها ولا تبرجن أن تبدل بتشديد التاءين البزى وابن فليح أن يكون على التذكير عاصم وحمزة وعلى وخلف وهشام وخاتم بفتح التاء بمعنى الطابع عاصم الباقون بكسرها ﴿ الوقوف

كثيرا ه لابتداء القصة الاحزاب لا لأن قالوا جواب لما رسوله الثانى ز لاحتمال الاستئناف والحال أوجه وتسليما ط عليه ج لابتداء الفصيل مع الفاء ينتظر لا لاحتمال الحال وجانب الابتداء بالنفى أرجح تبديلا ه لا الا عند أبى حاتم عليهم ط رحيما ه لا للآية

تقال وان كانوا ولم يقل وان كان وهو لمن فرده على المعنى وأما أهل الكوفة فقرأت ذلك عامة قرائها ويعمل بالياء عطفا على يقنت اذ كان الجميع على قراءة الياء * والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان فى كلام العرب فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وذلك أن العرب ترد خبر من أحيانا على لفظها فتوحد وتذكر وأحيانا على معناها كما قال جل ثناؤه ومنهم من يستمعون اليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك فجمع مرة للمعنى ووحد أخرى للفظ ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يا نساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقمن الصلوة وآتين الزكوة وأطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ يقول تعالى ذكره لأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يا نساء النبى لستن كأحد من النساء من نساء هذه الامة ان اتقيتن الله فأطعتنه فيما أمركن ونهاكن كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا نساء النبى لستن كأحد من النساء يعنى من نساء هذه الامة وقوله فلا تخضعن بالقول يقول فلا تلن بالقول للرجال فيما يبتغيه أهل الفاحشة منكن * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يا نساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول يقول لا ترخصن بالقول ولا تخضعن بالكلام حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فلا تخضعن بالقول قال خضع القول ما يكره من قول النساء للرجال مما يدخل فى قلوب الرجال وقوله فيطمع الذى فى قلبه مرض يقول فيطمع الذى فى قلبه ضعف فهو لضعف ايمانه فى قلبه اما شاك فى الاسلام منافق فهو لذلك من أمره يستخف بحدود الله واما متهاون بإتيان الفواحش وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم انما وصفه بأن فى قلبه مرضا لأنه منافق ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فيطمع الذى فى قلبه مرض قال نفاق * وقال آخرون بل وصفه بذلك لأنهم يشتهون اتيان الفواحش ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فيطمع الذى فى قلبه مرض قال عكرمة شهوة الزنا وقوله وقلن قولا معروفا يقول وقلن قولا قد أذن الله لكم به وأباحه كما حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وقلن قولا معروفا قال قولا جميلا حسنا معروفا فى الخير * واختلفت القراء فى قراءة قوله وقرن فى بيوتكن فقرأته عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين وقرن بفتح القاف بمعنى واقررن فى بيوتكن وكأن من قرأ ذلك كذلك حذف الراء الاولى من اقررن وهى مفتوحة ثم نقلها الى القاف كما قيل فظلتم تفكهون وهو يريد فظللتم فأسقطت اللام الاولى وهى مكسورة ثم نقلت كسرتها الى الظاء وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة وقرن بكسر القاف بمعنى كن أهل وقار وسكينة فى بيوتكن وهذه القراءة وهى الكسر فى القاف أولى عندنا بالصواب لأن ذلك ان كان من الوقار على ما اخترنا فلا شك أن القراءة بكسر القاف لانه يقال وقر فلان فى منزله فهو يقر وقورا فتكسر القاف فى تفعل فاذا أمر منه قيل قر كما يقال من وزن يزن زن ومن وعد يعد عد وان

ولاحتمال الحال أى وقدر دخيرا ط القتال ط عزيزا ٥ ج للآية والعطف فريقا ٥ ج لاحتمال أن يكون ما بعده استئنافا أو حالا تطؤها ط قديرا ٥ جميلا ٥ عظيما ٥ ضعفين ط (٤) يسيرا ٥ مرتين لا لان التقدير وقد أعتدنا كريما ٥ معروفا ج للعطف ورسوله ط تطهيرا ٥ لوقوع العوارض بين المعطوفين والحكمة ط خبيرا ٥ عظيما ٥ من أمرهم ط مبينا ٥ الناس ج لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال تخشاه ط منهن وطرا ط مفعولا ٥ له ط من قبل لا مقدورا ٥ لابتناء على أن الذين وصف أو بدل الا الله ط حسيبا ٥ النبيين ط عليما ٥ ﴿ التفسير لما فرغ من توبيخ المنافقين حث جمع المكلفين على مواساة الرسول وموازرته كما واساهم بنفسه فى الصبر على الجهاد والثبات فى مداحض الاقدام والاسوة القدوة وهو المؤتسى به أى المقتدى به فالمراد أنه فى نفسه قدوة كما تقول فى البيضة عشرون مناحديدا أى هى فى نفسها هذا المبلغ من الحديد والمراد أن فيه خصلة هى المواساة بنفسه فمن حقها أن يؤتسى بها وتتبع قال فى الكشاف قوله لمن كان بدل من قوله لكم وضعف بأن بدل الكل لا يقع من ضمير المخاطب فالأظهر انه صفة الاسوة والرجاء بمعنى الامل أو الخوف وقوله (يرجو الله واليوم الآخر) كقولك رجوت زيدا وفضله اى رجوت فضل زيد أو أريد يرجو ايام الله واليوم الآخر خصوصا وقوله (وذكر) معطوف على كان وفيه أن المقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى واظب على ذكر الله وعمل ما يصلح لزاد المعاد ثم حكى أن ما ظهر من المؤمنين وقت لقاء الأحزاب خلاف حال المنافقين وقوله (هذا) اشارة الى الخطب أو البلاء

كان من القرار فان الوجه أن يقال اقررن لان من قال من العرب ظلت أفعل كذا وأحست بكذا فأسقط عين الفعل وحول حركتها الى فائه فى فعل وفعلنا وفعلتم لم يفعل ذلك فى الامر والنهى فلا يقول ظل قائما ولا لا تظل قائما فليس الذى اعتل به من اعتل لصحة القراءة بفتح القاف فى ذلك بقول العرب فى ظللت وأحسست ظلت وأحست بعلة توجب صحته لما وصفت من العلة وقد حكى بعضهم عن بعض الأعراب مما عامته ينحطن من الجبل وهو يريد ينحططن فان يكن ذلك صحيحا فهو أقرب الى أن يكون حجة لأهل هذه القراءة من الحجة الأخرى وقوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى قيل ان التبرج فى هذا الموضع التبختر والتكسر ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى أى اذا خرجن من بيوتكن قال كانت لهن مشية وتكسر وتغنج يعنى بذلك الجاهلية الاولى فنهاهن الله عن ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال سمعت ابن أبى نجيح يقول فى قوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى قال التبختر وقيل ان التبرج هو اظهار الزينة وابراز المرأة محاسنها للرجال وأما قوله تبرج الجاهلية الاولى فان أهل التأويل اختلفوا فى الجاهلية الأولى فقال بعضهم ذلك ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن زكريا عن عامر ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى قال الجاهلية الأولى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام * وقال آخرون ذلك ما بين آدم ونوح ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن أبيه عن الحكم ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى قال وكان بين آدم ونوح ثمانمائة سنة فكان نساؤهم من أقبح ما يكون من النساء ورجالهم حسان فكانت المرأة تريد الرجل على نفسه فأنزلت هذه الآية ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى * وقال آخرون بل ذلك بين نوح وادريس ذكر من قال ذلك حدثنى ابن زهير قال ثنا موسى بن اسمعيل قال ثنا داود يعنى ابن أبى الفرات قال ثنا علباء بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس قال تلا هذه الآية ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى قال كان فيما بين نوح وادريس وكانت ألف سنة وان بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكان رجال الجبل صباحا وفى النساء دمامة وكان نساء السهل صباحا وفى الرجال دمامة وان ابليس أتى رجلا من أهل السهل فى صورة غلام فآجر نفسه منه وكان يخدمه واتخذ ابليس شيأ مثل ذلك الذى يزمر فيه الرعاء فجاء فيه بصوت لم يسمع مثله فبلغ ذلك من حولهم فاتتا بوهم يسمعون اليه واتخذوا عيدا يجتمعون اليه فى السنة فتبرج الرجال للنساء قال ويتزين النساء للرجال وان رجلا من أهل الجبل هجم عليهم وهم فى عيدهم ذلك فرأى النساء فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك فتحولوا اليهن فنزلوا معهن فظهرت الفاحشة فيهن فهو قول الله ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى * وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره نهى نساء النبى أن يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى وجائز أن يكون ذلك ما بين آدم وعيسى فيكون معنى ذلك ولا تبرجن تبرج الجاهلية التى قبل الاسلام فان قال قائل أوفى الاسلام جاهلية حتى يقال عنى بقوله الجاهلية الأولى التى قبل الاسلام قيل فيه أخلاق من أخلاق الجاهلية كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى

عن ابن عباس كان النبى صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا أو عشرا أى فى آخر تسع ليال أو عشر فلما رأوهم قد أقبلوا لميعاد قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وقد وقع (وصدق الله ورسوله) فى كل ما وعد (وما زادهم الا ايمانا) بوعده

(وتسليما) لقضائه وقيل هذا اشارة الى ما يقتوا من أن عند الفزع الشديد يكون النصر والجنة كما قال ام حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا الى آخره كان رجال من الصحابة نذروا أنهم اذا لقوا حربا ثبتوا مع (٥) رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يستشهدوا

قال يقول التى كانت قبل الاسلام قال وفى الاسلام جاهلية قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لأبى الدرداء وقال لرجل وهو ينازعه يا ابن فلانة لأم كان يعيره بها فى الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا الدرداء انك امرؤ فيك جاهلية قال أجاهلية كفر أو اسلام قال بل جاهلية كفر قال فتمنيت أنى لو كنت ابتدأت اسلامى يومئذ قال وقال النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث من عمل أهل الجاهلية لا يدعهن الناس الطعن بالأنساب والاستمطار بالكواكب والنياحة **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال أخبرنى سليمن بن بلال عن ثور عن عبد الله بن عباس أن عمر بن الخطاب قال له أرأيت قول الله لأزواج النبى صلى الله عليه وسلم ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى هل كانت الا واحدة فقال ابن عباس وهل كانت من أولى الا ولها آخرة فقال عمر لقد درك يا ابن عباس كيف قلت فقال يا أمير المؤمنين وهل كانت من أولى الا ولها آخرة قال فلت بتصديق ما تقول من كتاب الله قال نعم وجاهدوا فى الله حق جهاده كما جاهدتم أول مرة قال عمر فمن أمر بالجهاد قال قبيلتان من قريش مخزوم وبنو عبد شمس فقال عمر صدقت وجائز أن يكون ذلك ما بين آدم ونوح وجائز أن يكون ما بين ادريس ونوح فتكون الجاهلية الآخرة ما بين عيسى ومحمد واذا كان كل ذلك مما يحتمله ظاهر التنزيل فالصواب أن يقال فى ذلك كما قال الله انه نهى عن تبرج الجاهلية الأولى وقوله وأقمن الصلاة وآتين الزكاة يقول وأقمن الصلاة المفروضة وآتين الزكاة الواجبة عليكن فى أموالكن وأطعن الله ورسوله فيما أمركن ونهاكن انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت يقول انما يريد الله ليذهب عنكم السوء والفحشاء يا أهل بيت محمد ويطهركم من الدنس الذى يكون فى أهل معاصى الله تطهيرا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فهم أهل بيت طهرهم الله من السوء وخصهم برحمة منه **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قال الرجس ههنا الشيطان وسوى ذلك من الرجس الشرك واختلف أهل التأويل فى الذين عنوا بقوله أهل البيت فقال بعضهم عنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن المثنى قال ثنا بكر بن يحيى بن زبان العنزى قال ثنا مندل عن الأعمش عن عطية عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت هذه الآية فى خمسة فى وفى على رضى الله عنه وحسن رضى الله عنه وحسين رضى الله عنه وفاطمة رضى الله عنها انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر عن زكريا عن مصعب بن شيبة عن صفية بنت شيبة قالت قالت عائشة خرج النبى صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله معه ثم جاء على فأدخله معه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن حماد بن سلمة عن على بن زيد عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر كلما خرج الى الصلاة فيقول الصلاة أهل

فمدحهم الله تعالى بأنهم صدقوا ما عاهدوا أى صدقوا الله فيما عاهدوه عليه ويجوز أن يجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كأنهم قالوا للعاهد عليه سنفى بك فاذا وفوا به صدقوه (فمنهم من قضى نحبه) أى نذره فقاتل حتى قتل كحمزة ومصعب وقد يقع قضاء النحب عبارة عن الموت لأن كل حى لا بد له من أن يموت فكأنه نذر لازم فى رقبته (ومنهم من ينتظر) الشهادة كعثمان وطلحة (وما بدلوا تبديلا) ما غيروا كل من الفريقين عهده وفيه تعريض بمن بدلوا من أهل النفاق ومرض القلب فكأنه قال صدق المؤمنون ونكث المنافقون فكان عاقبة الصادقين الجزاء بالخير بواسطة صدقهم وعاقبة أصحاب النفاق التعذيب ان شاء الله إلا أن يتوبوا وانما استثنى لأنه آمن منهم بعد ذلك ناس والى هذا أشار بقوله (ان الله كان غفورا رحيما) حيث رحمهم ورزقهم الايمان ويجوز أن يراد يعذب المنافقين مع أنه كان غفورا رحيما الكثرة ذنوبهم وقوة جرمهم ولو كان دون ذلك لغفرلهم (ورد الله الذين كفروا) وهم الأحزاب ملتبسين (بغيظهم لم ينالوا خيرا) أى غير ظافرين بشئ من مطالبهم التى هى عندهم خير من كسر أو أسر أو غنيمة (وكفى الله المؤمنين القتال) بواسطة ريح الصبا وبارسال الملائكة كما قصصنا (وأنزل الذين) ظاهروا الاحزاب (من أهل الكتاب من صياصيهم) والصيصية ما تحصن به

ومنه يقال لقرن الثور والظبى ولشوكة الديك التى فى ساقه صيصية لأن كلا منها سبب التحصن به روى أن جبرائيل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التى انهزم فيها الاحزاب على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال ماهذا يا جبرائيل

فقال من متابعة قريش فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يا رسول الله ان الملائكة لم تضع السلاح ان الله يأمرك بالمسير الى بني قريظة (٦) وأنا عائد اليهم فان الله دافهم دق البيض على الصفا وانهم لكم طعمة فآذن في الناس

ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا في بني قريظة فما صلى كثير من الناس العصر الا هناك بعد العشاء الآخرة فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون على حكمي فأبوا فقال على حكم سعد ابن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبي ذراريهم ونساؤهم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم نزلهم وخندق في سوق المدينة خندقا فقدمهم وضرب أعناقهم وهم ثمانمائة الى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة أسير وانما قدم مفعول تقتلون لان القتل وقع على الرجال وكانوا مشهورين وكان الاعتناء بحالهم أشد ولم يكن في المأسورين هذا الاعتناء بل بقاؤهم هناك بالأسر أشد لانه لو قال وفريقا تأسرون فاذا سمع السامع قوله وفريقا بماطن أنه يقال بعده يطلقون اولا يقدرون على أسرهم ولمثل هذا قدم قوله وأنزل على قوله وقذف وان كان قذف الرعب قبل الانزال وذلك ان الاهتمام والفرح بذكر الانزال أكثر (وأورثكم أرضهم) التي استوليتم عليها ونزلتم فيها أولا (وديارهم) التي كانت في القلاع فسلموها اليكم (وأموالهم) التي كانت في تلك الديار (وأرضا لم تطؤها) قيل هي القلاع أنفسها وعن مقاتل هي خيبر وعن قتادة كانت حدثت أنها مكة وعن الحسن فارس والروم وعن عكرمة كل أرض تفتح الى يوم القيامة وعن بعضهم أراد نساءهم وهو غريب ثم أكد الوعد بفتح المائة البلاد بقوله (وكان الله على كل شئ قديرا) قال أهل النظم ان مكارم الاخلاق ترجع أصولها الى أمرين التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله

البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ثنا يحيى بن ابراهيم بن سويد النخعي عن هلال يعني ابن مقلاص عن زبيد عن شهر بن حوشب عن أم سلمة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم عندي وعلي وفاطمة والحسن والحسين فجعلت لهم خزيرة فأكلوا وناموا وغطى عليهم عباءة أو قطيفة ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو نعيم قال ثنا يونس بن أبي اسحق قال أخبرني أبو داود عن أبي الحمراء قال رابطت المدينة سبعة اشهر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم اذا طلع الفجر جاء الى باب علي وفاطمة فقال الصلاة الصلاة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا حدثني عبد الأعلى بن واصل قال ثنا الفضل بن دكين قال ثنا يونس بن أبي اسحق باسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله حدثني عبد الأعلى بن واصل قال ثنا الفضل بن دكين قال ثنا عبد السلام بن حرب عن كلثوم المحاربي عن أبي عمار قال اني لجالس عند واثلة بن الأسقع اذ ذكروا عليا رضي الله عنه فشتموه فلما قاموا قال اجلس حتى أخبرك عن هذا الذي شتموا اني عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه علي وفاطمة وحسن وحسين فأقبل عليهم كساه ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قلت يا رسول الله وأنا قال وأنت قال فوالله انها لأوثق عملي عندي حدثني عبد الكريم بن أبي عمير قال ثنا الوليد بن مسلم قال ثنا أبو عمرو قال ثني شداد أبو عمار قال سمعت واثلة بن الأسقع يحدث قال سألت عن علي بن أبي طالب في منزله فقالت فاطمة قد ذهب يأتي برسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاء فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلت فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفراش وأجلس فاطمة عن يمينه وعليا عن يساره وحسنا وحسينا بين يديه فلفع عليهم بثوبه وقال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا اللهم هؤلاء أهلي اللهم أهلي أحق قال واثلة فقلت من ناحية البيت وأنا يا رسول الله من أهلك قال وأنت من أهلي قال واثلة انها لمن أرجى ما أرتجي حدثني أبو كريب قال ثنا وكيع عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد الخدري عن أم سلمة قالت لما نزلت هذه الآية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فجلل عليهم كساء خيبريا فقال اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت أم سلمة ألست منهم قال أنت الى خير حدثنا أبو كريب قال ثنا مصعب بن المقدام قال ثنا سعيد بن زربي عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن أم سلمة قالت جاءت فاطمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببرمة لها قد صنعت فيها عصيدة تحملها على طبق فوضعته بين يديه فقال أين ابن عمك وابناك فقالت في البيت فقال ادعيهم فجاءت الى علي فقالت اجب النبي صلى الله عليه وسلم أنت وابناك قالت أم سلمة فلما رآهم مقبلين مد يده الى كساء كان على

واليها الاشارة بقوله عليه السلام الصلاة وما ملكت أيمانكم ولما ارشد نبيه الى القسم الاول بقوله اتق الله أرشده الى القسم الاخر وبدأ بالزوجات لأنهن أولى الناس بالشفقة ولهذا قدمهن فى النفقة ولبين تفسير الآية على مسائل (٧) منها أن التخيير هل كان واجبا على النبى صلى الله عليه وسلم أم لا فقول التخيير قولا كان واجبا بالاتفاق لانه ابلاغ الرسالة وأما التخيير معنى فمبنى على أن الامر للوجوب أم لا ومنها أن واحدة منهن لو اختارت الفراق هل كان يعتبر اختيارها فراقا والظاهر أنه لا يعتبر فراقا وانما تبين المختارة نفسها بابانة من جهة النبى صلى الله عليه وسلم لقوله (فتعالين) وعلى هذا التقرير فهل كان يجب على النبى صلى الله عليه وسلم الطلاق أم لا الظاهر الوجوب لأن خلف الوعد منه غير جائز بخلاف الحال فبنا فانه لا يلزمنا الوفاء بالوعد شرعا ومنها أن المختارة بعد البينونة هل كانت تحرم على غيره الظاهر نعم (١) ليكون التخيير ممكنا لها من التمتع بزينة الدنيا ومنها أن اختيار الله ورسوله هل يحرم طلاقها الظاهر نعم بمعنى أنه لو أتى بالطلاق لعوتب وفى تقديم اختيار الدنيا اشارة الى أنه كان لا يلتفت اليهن كما ينبغى اشتغالا بعبادة ربه وكيفية المتعة وكميتها ذكرناهما فى سورة البقرة والسراح الجميل كقوله أو تسريح باحسان وفى ذكر الله والدار الآخرة مع ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وفى قوله للمحسنات اشارات الى أن اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم سبب مرضاة الله وواسطة حيازة سعادات الآخرة وأنه يوجب وصفهن بالاحسان والمراد بالاجر العظيم كبره بالذات وحسنه بالصفات ودوامه بحسب الاوقات فان العظيم لا يطلق الا على الجسم الطويل العريض العميق الذاهب فى الجهات فى الامتدادات الثلاثة وأجر الدنيا فى ذاته قليل وفى صفاته غير خال عن جهات القبح

المنامة فمده وبسطه وأجلسهم عليه ثم أخذ باطراف الكساء الأربعة بشماله فضمه فوق رؤسهم وأومأ بيده اليمنى الى ربه فقال هؤلاء أهل البيت فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا حدثنا أبو كريب قال ثنا حسن بن عطية قال ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبى سعيد عن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أن هذه الآية نزلت فى بيتها انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت وأنا جالسة على باب البيت فقلت أنا يا رسول الله ألست من أهل البيت قال انك الى خير أنت من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم قالت وفى البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم حدثنا أبو كريب قال ثنا خالد بن مخلد قال ثنا موسى بن يعقوب قال ثنى هاشم بن هاشم بن عتبة بن أبى وقاص عن عبد الله بن وهب بن زمعة قال أخبرتنى أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع عليا والحسين ثم أدخلهم تحت ثوبه ثم جاء الى الله ثم قال هؤلاء أهل بيتى فقالت أم سلمة يا رسول الله أدخلنى معهم قال انك من أهلى حدثنى أحمد بن محمد الطوسى قال ثنا عبد الرحمن بن صالح قال ثنا محمد بن سليمن الأصبهانى عن يحيى بن عبيد المكى عن عطاء عن عمر بن أبى سلمة قال نزلت هذه الآية على النبى صلى الله عليه وسلم فى بيت أم سلمة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فدعا حسنا وحسينا وفاطمة فأجلسهم بين يديه ودعا عليا فأجلسه خلفه فتجلل هو وهم بالكساء ثم قال هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا (١) قال أم سلمة أنا معهم مكانك وأنت على خير حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا اسمعيل بن أبان قال ثنا الصباح بن يحيى المرى عن السدى عن أبى الديلم قال قال على بن الحسين لرجل من أهل الشام أما قرأت فى الأحزاب انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قال ولأنتم هم قال نعم حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو بكر الحنفى قال ثنا بكير بن مسمار قال سمعت عامر بن سعد قال قال سعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه الوحى فأخذ عليا وابنيه وفاطمة وأدخلهم تحت ثوبه ثم قال رب هؤلاء أهلى وأهل بيتى حدثنا ابن حميد قال ثنا عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش عن حكيم بن سعد قال ذكر على بن أبى طالب رضى الله عنه عند أم سلمة قالت فيه نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت أم سلمة جاء النبى صلى الله عليه وسلم الى بيتى فقال لا تأذنى لأحد فجاءت فاطمة فلم أستطع أن أحجبها عن أبيها ثم جاء الحسن فلم أستطع أن أمنعه أن يدخل على جدته وأمه وجاء الحسين فلم أستطع أن أحجبه فاجتمعوا حول النبى صلى الله عليه وسلم على بساط لهم تحتهم نبى الله بكساء كان عليه ثم قال هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط قالت فقلت يا رسول الله وأنا قالت فوالله ما أنعم وقال انك الى خير * وقال آخرون بل عنى بذلك أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الأصبغ عن عكرمة قال كان عكرمة ينادى فى السوق انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قال نزلت فى نساء النبى صلى الله عليه وسلم

(١) أى قالت أم سلمة انا معهم قال مكانك وأنت الخ وحررته مصححه

(١) الذى فى الفخر الظاهر لا تحرم ليكون الخ فتنبه كتبه مصححه

كافى ما كوله من الضرر والثقل وكذلك فى مشروبه وغيرهما من اللذات ومع ذلك فهو منغص بالانقطاع والزوال ويروى أنه حين نزلت الآية بدأ بعائشة وكانت أحبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤى الفرح فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اختار جميعهن اختيارها فشكر ذلك لهن الله فأنزل لا تحل لك النساء من بعد وروى أنه قال لعائشة انى ذاكر لك أمرا ولا عليك أن تعجلى فيه حتى تستأمرى أبويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت أفى هذا أستأمر أبوى فانى أريد الله ورسوله والدار الآخرة ثم قالت لا تخبر أزواجك أنى اخترتك فقال انما بعثنى الله مبلغا ولم يبعثنى متعنتا أما حكم التخيير فى الطلاق فاذا قال لها اختارى فقالت اخترت نفسى أو قال اختارى نفسك فقالت اخترت لابد من ذكر النفس فى أحد الجانبين وقعت طلقة بائنة عند أبى حنيفة وأصحابه اذا كان فى المجلس أو لم يشتغل بما يدل على الاعراض واعتبر الشافعى اختيارها على الفور وهى عنده طلقة رجعية وهو مذهب عمر وابن مسعود وعن الحسن وقتادة والزهرى أمرها بيدها فى ذلك المجلس وفى غيره واذا اختارت زوجها لم يقع شئ بالاتفاق لأن عائشة اختارت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعد ذلك طلاقا وعن على رضى الله عنه مثله فى رواية وفى أخرى أنه عد ذلك واحدة رجعية اذا اختارته واذا اختارت نفسها فواحدة بائنة وحين خيرهن النبى صلى الله عليه وسلم واخترن الله ورسوله أذهبن الله وهددهن على الفاحشة التى هى أصعب على الزوج من كل ما تأتى به زوجته وأوعدهن بتضعيف العذاب لان الزنا فى نفسه قبيح ومن زوجة النبى أقبح ازدراء بمنصبه ولانها تكون قد اختارت حينئذ غير النبى فلا يكون النبى عندها أولى من الغير ولا من نفسها وفيه اشارة الى شرفهن ابن فان الحرة لشرفها كان عذابها ضعف عذاب الامة وأيضا نسبة النبى الى غيره من الرجال نسبة السادة الى العبيد لكونه أولى بهم من أنفسهم

خاصة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا ﴾ يقول تعالى ذكره لأزواج نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكرن نعمة الله عليكن بأن جعلكن فى بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة فاشكرن الله على ذلك واحمدنه عليه وعنى بقوله واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله واذكرن ما يقرأ فى بيوتكن من آيات كتاب الله والحكمة ويعنى بالحكمة ما أوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحكام دين الله ولم ينزل به قرآن وذلك السنة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة أى السنة قال يمن عليهم بذلك وقوله ان الله كان لطيفا خبيرا يقول تعالى ذكره ان الله كان ذا لطف بكن اذ جعلكن فى البيوت التى تتلى فيها آياته والحكمة خبيرا بكن اذ اختاركن لرسوله أزواجا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ يقول تعالى ذكره ان المتذللين لله بالطاعة والمتذللات والمصدقين والمصدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أتاهم به من عند الله والقانتين والقانتات لله والمطيعين لله والمطيعات له فيما أمرهم ونهاهم والصادقين الله فيما عاهدوه عليه والصادقات فيه والصابرين لله فى البأساء والضراء على الثبات على دينه وحين البأس والصابرات والخاشعة قلوبهم لله وجلا منه ومن عقابه والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات وهم المؤدون حقوق الله من أموالهم والمؤديات والصائمين شهر رمضان الذى فرض الله صومه عليهم والصائمات ذلك والحافظين فروجهم الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم والحافظات ذلك الا على أزواجهن ان كن حرائر أو من ملكهن ان كن اماء والذاكرين الله بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم والذاكرات كذلك أعد الله لهم مغفرة لذنوبهم وأجرا عظيما يعنى ثوابا فى الآخرة على ذلك من أعمالهم عظيما وذلك الجنة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال دخل نساء على نساء النبى صلى الله عليه وسلم فقلن قد ذكر كن الله فى القرآن ولم نذكر بشئ أما فينا ما يذكر فأنزل الله تبارك وتعالى ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات أى المطيعين والمطيعات والخاشعين والخاشعات أى الخائفين والخائفات أعد الله لهم مغفرة لذنوبهم وأجرا عظيما فى الجنة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأجرا عظيما قال الجنة وفى قوله والقانتين والقانتات قال المطيعين والمطيعات حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن عامر قال القانتات المطيعات حدثنا ابن حميد قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال قالت أم سلمة يا رسول الله يذكر الرجال ولا نذكر فنزلت ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو معاوية عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة أن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب حدثه عن أم سلمة قالت قلت يا رسول الله أيذكر الرجال فى كل شئ ولا نذكر فأنزل الله ان المسلمين والمسلمات الآية حدثنا أبو كريب قال ثنا سيار بن مظاهر العنزى قال ثنا أبو كدينة يحيى بن مهلب عن قابوس

ان أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس قال قال نساء النبي صلى الله عليه وسلم ماله يذكر المؤمنين ولا يذكر المؤمنات فأنزل الله ان المسلمين والمسلمات الآية **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ان المسلمين والمسلمات قال قالت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ما للنساء لا يذكرن مع الرجال في الصلاح فأنزل الله هذه الآية **حدثني** محمد بن المعمر قال ثنا أبو هشام قال ثنا عبد الواحد قال ثنا عثمان بن حكيم قال ثنا عبد الرحمن ابن شيبة قال سمعت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول قلت للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال قالت فلم يرعني ذات يوم ظهرا الا نداؤه على المنبر وأنا أسرح رأسي فلففت شعري ثم خرجت الى حجرة من حجري فجعلت سمعي عند الجريد فاذا هو يقول على المنبر يا أيها الناس ان الله يقول في كتابه ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الى قوله أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ﴾ يقول تعالى ذكره لم يكن لمؤمن بالله ورسوله ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله في أنفسهم قضاء أن يتخيروا من أمرهم غير الذي قضى فيهم ويخالفوا أمر الله وأمر رسوله وقضاءهما بعصوهما ومن يعص الله ورسوله فيما أمرا أو نهيا فقد ضل ضلالا مبينا يقول فقد جار عن قصد السبيل وسلك غير سبيل الهدى والرشاد وذكر أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش حين خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتاه زيد بن حارثة فامتنعت من انكاحه نفسها ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا الى آخر الآية وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق يخطب على فتاه زيد بن حارثة فدخل على زينب بنت جحش لاسديه يخطبها فقالت لست بناكحته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكحيه فقالت يا رسول الله أأامر في نفسي فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الى قوله ضلالا مبينا قالت قد رضيته لي يا رسول الله منكحا قال نعم قالت اذا لا أعصي رسول الله قد أنكحته نفسي **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أن تكون لهم الخيرة من أمرهم قال زينب بنت جحش وكراهتها نكاح زيد بن حارثة حين أمرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم قال نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش وكانت بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضيت ورأت أنه يخطبها على نفسه فلما علمت أنه يخطبها على زيد بن حارثة أبت وأنكرت فأنزل الله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم قال فتابعته بعد ذلك ورضيت **حدثني** أبو عبيد الوصافي قال ثنا محمد بن حميد قال ثنا ابن المبارك عن ابن أبي عمرة

نكذلك زوجاته اللواتي هن أمهات المؤمنين وليس في قوله (من يأت) دلالة على ان الاتيان بالفاحشة منهن ممكن الوقوع فان الله تعالى صان أزواج الانبياء من الفاحشة ولكنه في قوة قوله لئن أشركت ليحبطن عملك ولئن اتبعت أهواءهم وقوله (منكن) للبيان لا للتبعيض لدخول الكل تحت الارادة وقيل الفاحشة أريد بها كل الكبائر وقيل هي عصيانهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه وفي قوله (وكان ذلك على الله يسيرا) اشارة الى أن كونهن نساء النبي لا يغني عنهن شيأ كيف وانه سبب مضاعفة العذاب وحين بين مضاعفة عقابهن ذكر زيادة ثوابهن في مقابلة ذلك والقنوت الطاعة ووصف الرزق بالكرم لأن رزق الدنيا لا يأتي بنفسه في العادة وانما هو مسخر للغير يمسكه ويرسله الى الأغيار ورزق الآخرة بخلاف ذلك ثم صرح بفضيلة نساء النبي بأنهن لسن كأحد من النساء كقولك ليس فلان كآحاد الناس أي ليس فيه مجرد كونه انسانا بل فيه وصف أخص يوجد فيه ولا يوجد في أكثرهم كالعلم أو العقل أو النسب أو الحسب قال جار الله أحد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه والمعنى اذا استقريت أمة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل وقوله (ان اتقيتن) احتمل أن يتعلق بما قبله وهو ظاهر واحتمل أن يتعلق بما بعده أي ان كنتن متقيات فلا تجبن بقولكن خاضعا لينا مثل كلام المريبات (فيطمع الذي في قلبه مرض) أي ريبة وفجور وحين منعهن من الفاحشة ومن مقدماتها ومما يجر اليها أشار الى أن ذلك ليس أمرا بالايذاء والتكبر على الناس بل القول المعروف عند الحاجة والمأمور به لا غير ثم أمرهن بلزوم بيوتهن بقوله (وقرن) بفتح القاف أمر من القرار باسقاط أحد حرفي التضعيف كقوله فظلتم تفكهون

وأصله اقررن من قرا يكسرها فهو امر من قر يقر قرارا اومن قر يقر بكسر القاف وقيل المفتوح من قولك قار يقار اذا اجتمع والتبرج اظهار الزينة كما مر في قوله غير متبرجات (١٠) بزينة وذلك في سورة النور والجاهلية الاولى هي القديمة التي كانت في أول زمن ابراهيم عليه السلام أو ما بين آدم ونوح أو بين ادريس ونوح أو في زمن داود وسليمن والجاهلية الأخرى ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل الاولى جاهلية الكفر والاخرى الفسق والابتداع في الاسلام وقيل ان هذه أولى ليست لها أخرى بل معناه تبرج الجاهلية القديمة وكانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال ثم أمرهن أمرا خاصا بالصلاة والزكاة ثم عاما في جميع الطاعات ثم علل جميع ذلك بقوله (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) فاستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر وانما أكد ازالة الرجس بالتطهير لان الرجس قد يزول ولم يطهر المحل بعد و (أهل البيت) نصب على النداء أو على المدح وقدم في آية المباهلة أنهم أهل العباء النبي صلى الله عليه وسلم لانه أصل وفاطمة رضي الله عنها والحسن والحسين رضي الله عنهما بالاتفاق والصحيح أن عليا رضي الله عنه منهم لمعاشرته بنت النبي صلى الله عليه وسلم وملازمته اياه وورود الآية في شأن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يغلب على الظن دخولهن فيهن والتذكير للتغليب فان الرجال وهم النبي وعلي وأبناؤهم غلبوا على فاطمة وحدها أو مع أمهات المؤمنين ثم أكد التكاليف المذكورة بأن بيوتهن مهابط الوحي ومنازل الحكم والشرائع الصادرة من مشرع النبوة ومعدن الرسالة ثم ختم الآية بقوله (ان الله كان لطيفا خبيرا) ايذانا بأن تلك الأوامر والنواهي لطف منه في شأنهن وهو أعلم أريد بالمصطفين من عبيده المخصوصين بتأييده يروى أن أم سلمة أو كل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن

عن عكرمة عن ابن عباس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لزيد بن حارثة فاستنكفت منه وقالت أنا خير منه حسبا وكانت امرأة فيها حدة فأنزل الله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا الآية كلها * وقيل نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وذلك أنها وهبت نفسها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها زيد بن حارثة ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا الى آخر الآية قال نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وكانت من أول من هاجر من النساء فوهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها زيد بن حارثة فسخطت هي وأخوها وقالا انما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا عبده قال فنزل القرآن وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم الى آخر الآية قال وجاء أمر أجمع من هذا النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم قال فذلك خاص وهذا جماع ﴿القول في تأويل قوله﴾ تعالى ﴿واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم عتابا من الله له واذكر يا محمد اذ تقول للذي أنعم الله عليه بالهداية وأنعمت عليه بالعتق يعني زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك واتق الله وذلك أن زينب بنت جحش فيما ذكر لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعجبته وهي في حال مولاه فألقى في نفس زيد كراهتها لما علم الله مما وقع في نفس نبيه ما وقع فأراد فراقها فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم زيد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك وهو صلى الله عليه وسلم يحب أن تكون قد بانت منه لينكحها واتق الله وخف الله في الواجب عليك في زوجتك وتخفي في نفسك ما الله مبديه يقول وتخفي في نفسك محبة فراقه اياها لتتزوجها ان هو فارقها والله مبد ما تخفي في نفسك من ذلك وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه يقول تعالى ذكره وتخاف أن يقول الناس أمر رجلا بطلاق امرأته ونكحها حين طلقها والله أحق أن تخشاه من الناس ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذ تقول للذي أنعم الله عليه وهو زيد أنعم الله عليه بالاسلام وأنعمت عليه أعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه قال وكان يخفي في نفسه وذا أنه طلقها قال الحسن ما أنزلت عليه آية كانت أشد عليه منها قوله وتخفي في نفسك ما الله مبديه ولو كان نبي الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيأ من الوحي لكتمها وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه قال خشي نبي الله صلى الله عليه وسلم مقالة الناس حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد كان النبي صلى الله عليه وسلم قد زوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش ابنة عمته فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يريده وعلى الباب ستر من شعر فرفعت الريح الستر فانكشف وهي في حجرتها حاسرة فوقع اعجابها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم فلما وقع ذلك كرهت الى الآخر فجاء فقال يا رسول الله الى

ولم يذكر النساء فنحن نخاف أن لا يقبل منا طاعة فنزلت ان المسلمين والمسلمات وذكر لهن عشر مراتب الاولى التسليم والانقياد لامر الله والثانية الايمان بكل ما يجب أن يصدق به فان المكلف يقول أولا كل ما يقول الشارع فاذا قبله فهذا اسلام فاذا قال له شيئا وقبله صدق مقالته وصحح اعتقاده ثم ان اعتقاده يدعوه الى الفعل الحسن والعمل الصالح فيقنت ويعبد وهو المرتبة الثالثة ثم اذا آمن وعمل صالحا قبل غيره ويأمر بالمعروف وينصح أخاه فيصدق فى كلامه عند النصيحة وهو المراد بقوله (والصادقين والصادقات) ثم ان الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر يصيبه أذى فيصبر عليه كما قال فى قصة لقمان واصبر على ما أصابك أى بسببه ثم انه اذا كمل فى نفسه وكمل غيره قد يفتخر بنفسه ويعجب بعبادته فنعه منه بقوله (والخاشعين والخاشعات) وفيه اشارة الى الصلاة لان الخشوع من لوازمها قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون فلذلك اردفها بالصدقة ثم بالصيام المانع من شهوة البطن فضم الى ذلك الحفظ من شهوة الفرج التى هى ممنوع منها فى الصوم مطلقا فى غير الصوم مما وراء الازواج والسرارى ثم ختم الأوصاف بقوله (والذاكرين الله كثيرا) يعنى أنهم فى جميع الاحوال يذكرون الله يكون اسلامهم وايمانهم وقنوتهم وصدقهم وصبرهم وخشوعهم وصدقتهم وصومهم وحفظهم فروجهم لله وانما وصف الذكر بالكثرة فى أكثر المواضع فقال فى أوائل السورة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا وقال فى الآية والذاكرين الله كثيرا ويجىء بعد ذلك يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا لان الاكثار من الافعال البدنية متعسر يمنع الاشتغال ببعضها من الاشتغال بغيرها بحسب الاغلب ولكن لا مانع من أن يذكر الله وهو آكل أو شارب أو ماش أو نائم أو مشغول ببعض الصنائع والحرف على أن جميع الاعمال صحتها أو كمالها بذكر الله تعالى وهى النية قال علماء العربية

أريد أن أفارق صاحبتى قال مالك أرابك منها شئ قال لا والله ما رابنى منها شئ يا رسول الله ولا رأيت الا خيرا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك واتق الله فذلك قول الله تعالى واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه تخفى فى نفسك ان فارقها تزوجتها **حدثنى** محمد بن موسى الجرشى قال ثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أبى حمزة قال نزلت هذه الآية وتخفى فى نفسك ما الله مبديه فى زينب بنت جحش **حدثنا** خلاد بن أسلم قال ثنا سفيان بن عيينة عن على بن زيد بن جدعان عن على بن حسين قال كان الله تبارك وتعالى أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أن زينب ستكون من أزواجه فلما أتاه زيد يشكوها قال اتق الله وأمسك عليك زوجك قال الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه **حدثنى** اسحق بن شاهين قال ثنا داود عن عامر عن عائشة قالت لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ مما أوحى اليه من كتاب الله لكتم وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه وقوله فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها يقول تعالى ذكره فلما قضى زيد بن حارثة من زينب حاجته وهى الوطر ومنه قول الشاعر

وقد عنى قبل أن أودعه * لما قضى من شبابنا وطرا

زوجناكها يقول زوجناك زينب بعد ما طلقها زيد وبانت منه لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم يعنى فى نكاح نساء من تبنوا وليسوا ابنيهم ولا أولادهم على صحة اذاهم طلقوهن وبن منهم اذا قضوا منهن وطرا يقول اذا قضوا منهن حاجاتهم وآرابهم وفارقوهن وحللن لغيرهم ولم يكن ذلك نزولا منهم لهم عنهن وكان أمر الله مفعولا يقول وكان ما قضى الله من قضاء مفعولا أى كان كائنا لا محالة وانما يعنى بذلك أن قضاء الله فى زينب أن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ماضيا مفعولا كائنا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا يقول اذا طلقوهن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تبنى زيد بن حارثة **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فلما قضى زيد منها وطرا الى قوله وكان أمر الله مفعولا اذا كان ذلك منه غير نازل لك فذلك قول الله وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم **حدثنى** محمد بن عثمان الواسطى قال ثنا جعفر بن عون عن المعلى بن عرفان عن محمد بن عبد الله بن جحش قال تفاخرت عائشة وزينب قال فقالت زينب أنا التى نزل تزويجى **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبى قال كانت زينب زوج النبى صلى الله عليه وسلم تقول للنبى صلى الله عليه وسلم انى لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن ان جدى وجدك واحد وانى أنكحنيك الله من السماء وان السفير لجبرائيل عليه السلام ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له سنة الله فى الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا﴾ يقول تعالى ذكره ما كان على النبى من حرج من اثم فيما أحل الله له من نكاح امرأة من تبناه بعد فراقه اياها كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له أى أحل الله له وقوله سنة الله فى الذين خلوا من قبل

في الاية عطفان احدهما عطف الاناث على الذكور والاخر عطف مجموع الذكور والاناث على مجموع ماقبله والاول يدل على اشتراك الصنفين في الوصف المذكور وهو الاسلام في الاول والايمان في الثاني الى آخر الاوصاف والثاني من باب عطف الصفة على الصفة فيؤل معناه الى أن الجامعين والجامعات لهذه الطاعات اعدالله لهم وحين انجر الكلام من قصة زيد الى ههنا عاد الى حديثه قال الراوي خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش وكانت أمها أميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فأبت وأبى أخوها عبد الله فنزلت (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) الآية فقالا رضينا يارسول الله فأنكحها اياه وساق عنه المهر ستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وازارا وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر وقيل نزلت في أم كلثوم بنت عقبة ابن أبي معيط وهي أول من هاجر من النساء وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قبلت وزوجها زيدا فسخطت هي وأخوها وقالا انما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها عبده وقال أهل النظم انه تعالى لما أمر نبيه أن يقول لزوجاته ان نخيرات فهم منه أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يريد ضرر الغير فعليه أن يترك حق نفسه لحظ غيره فذكر في هذه الآية أنه لا ينبغي أن يظن ظان أن هوى نفسه متبع وأن زمام الاختيار بيد الانسان كما في حق زوجات النبي بل ليس لمؤمن ولا مؤمنة أن يكون له اختيار عند حكم الله ورسوله فأمر الله هو المتبع وقضاء الرسول هو الحق ومن خالف الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا لأن المقصد هو الله والهادي هو النبي فمن ترك المقصد وخالف الدليل ضل ضلالا لا يرعوي بعده ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصر زينب ذات يوم بعد ما أنكحها زيدا فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك انه صلى الله عليه وسلم لم يردها أولا

يقول لم يكن الله تعالى ليؤثم نبيه فيما أحل له مثال فعله بمن قبله من الرسل الذين مضوا قبله في أنه لا يؤثمهم بما احل لهم لم يكن لنبيه أن يخشى الناس فيما أمره به أو أحله له ونصب قوله سنة الله على معنى حقا من الله كأنه قال فعلنا ذلك سنة منا وقوله وكان أمر الله قدرا مقدورا يقول وكان أمر الله قضاء مقضيا وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وكان أمر الله قدرا مقدورا ان الله كان علمه معه قبل أن يخلق الاشياء كلها فأتمر في علمه أن يخلق خلقا ويأمرهم وينهاهم ويجعل ثوابا لأهل طاعته وعقابا لأهل معصيته فلما أتمر ذلك الأمر قدره فلما قدره كتب وغاب عليه فسماه الغيب وأم الكتاب وخلق الخلق على ذلك الكتاب أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وما يصيبهم من الأشياء من الرخاء والشدة من الكتاب الذي كتبه أنه يصيبهم وقرأ أولئك بالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا نفذ ذلك جاءتهم رسلنا يتوفونهم وأمر الله الذي ائتمر قدره حين قدره مقدرا فلا يكون الا ما في ذلك وما في ذلك الكتاب وفي ذلك التقدير ائتمر أمرا ثم قدره ثم خلق عليه فقال كان أمر الله الذي مضى وفرغ منه وخلق عليه الخلق قدرا مقدورا شاء أمرا يمضي به أمره وقدره وشاء أمرا يرضاه من عباده في طاعته فلما أن كان الذي شاء من طاعته لعباده رضيه لهم ولما أن كان الذي شاء أراد أن ينفذ فيه أمره وتدبيره وقدره وقرأ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس فشاء أن يكون هؤلاء من أهل النار وشاء أن تكون أعمالهم أعمال أهل النار فقال وكذلك زينا لكل أمة عملهم وقال وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم هذه أعمال أهل النار ولو شاء الله ما فعلوه قال وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الى قوله ولو شاء ربك ما فعلوه وقرأ وأقسموا بالله جهد أيمانهم الى كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله أن يؤمنوا بذلك قال فأخرجوه من اسمه الذي تسمى به قال هو الفعال لما يريد فزعموا أنه ما أراد ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله وكفى بالله حسيبا ﴾ يقول تعالى ذكره سنة الله في الذين خلوا من قبل محمد من الرسل الذين يبلغون رسالات الله الى من أرسلوا اليه ويخافون الله في تركهم تبليغ ذلك اياهم ولا يخافون أحدا الا الله فانهم اياه يرهبون ان هم قصروا عن تبليغهم رسالة الله الى من أرسلوا اليه يقول لنبيه محمد فمن أولئك الرسل الذين هذه صفتهم فكن ولا تخش أحدا الا الله فان الله يمنعك من جميع خلقه ولا يمنعك أحد من خلقه منه ان أرادك بسوء والذين من قوله الذين يبلغون رسالات الله خفض ردا على الذين التي في قوله سنة الله في الذين خلوا وقوله وكفى بالله حسيبا يقول تعالى ذكره وكفاك يا محمد بالله حافظا لأعمال خلقه ومحاسبا لهم عليها ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما ﴾ يقول تعالى ذكره ما كان أيها الناس محمد أبا زيد بن حارثة ولا أبا أحد من رجالكم (١) الذين لم يلده محمد فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه اياها ولكنه رسول الله وخاتم النبيين الذي ختم النبوة فطبع عليها فلا تفتح لأحد بعده الى قيام الساعة وكان الله بكل شيء من أعمالكم ومقالكم وغير ذلك ذا علم لا يخفى عليه شيء * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما كان محمد أبا أحد من

رجالكم

(١) لعله أي لم يلده الخ تأمل

ولو أرادها لاختطبها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد فطن وألقى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لاجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني أريد أن أفارق صاحبتي فقال مالك أرابك شيء منها قال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها تتكبر علي لشرفها فقال له أمسك عليك زوجك واتق الله ثم طلقها بعد فلما اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أجد أحدا أوثق في نفسي منك اخطب علي زينب قال زيد فانطلقت فاذا هي تخمر عجينها فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر اليها حين علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري وقلت يا زينب أبشري ان رسول الله يخطبك ففرحت وقالت ما أنا بصانعة شيأ حتى أؤامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القرآن فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها وما أولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار ولنرجع الى ما يتعلق بتفسير الالفاظ قوله (للذي) يعني زيدا (أنعم الله عليه) بالايمان الذي هو أجل النعم وبتوفيق الاسباب حتى تبناه رسوله (وأنعمت عليه) أي بالاعتاق وبأنواع التربية والاختصاص وقوله (واتق الله) أي في تطليقها فلا تضارها فهي تنزيه لا تحريم أو أراد اتق فلا تدمها بالنسبة الى الكبر وايذاء الزوج والذي أخفى النبي صلى الله عليه وسلم في نفسه هو تعلق قلبه بها أو مودة مفارقة زيد اياها أو علمه بأن زيدا سيطلقها وعن عائشة لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ مما أوحي اليه لكتم هذه الآية وذلك أن فيه نوع تخالف الظاهر والباطن في الظاهر

رجالكم قال نزلت في زيد انه لم يكن بابنه ولعمري لقد ولد له ذكور انه لأبو القاسم وابراهيم والطيب والمطهر ولكن رسول الله وخاتم النبيين أي آخرهم وكان الله بكل شيء عليما **حدثني** محمد بن عمارة قال ثنا علي بن قادم قال ثنا سفيان عن نسير بن ذعلوق عن علي بن الحسين في قوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم قال نزلت في زيد بن حارثة والنصب في رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى تكرير كان رسول الله صلى الله عليه وسلم والرفع بمعنى الاستئناف ولكن هو رسول الله والقراءة النصب عندنا واختلفت القراء في قراءة قوله وخاتم النبيين فقرأ ذلك قراء الأمصار سوى الحسن وعاصم بكسر التاء من خاتم النبيين بمعنى أنه ختم النبيين ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله ولكن نبيا ختم النبيين فذلك دليل على صحة قراءة من قرأه بكسر التاء بمعنى أنه الذي ختم الانبياء صلى الله عليه وسلم وعليهم وقرأ ذلك فيما ذكر الحسن وعاصم خاتم النبيين بفتح التاء بمعنى أنه آخر النبيين كما قرأ مختوم خاتمه مسك بمعنى آخره مسك من قرأ ذلك كذلك ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما ﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله اذكروا الله بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم ذكرا كثيرا فلا تخلوا أبدانكم من ذكره في حال من أحوال طاقتكم ذلك وسبحوه بكرة وأصيلا يقول صلوا له غدوة صلاة الصبح وعشيا صلاة العصر وقوله هو الذي يصلي عليكم وملائكته يقول تعالى ذكره ربكم الذي تذكرونه الذكر الكثير وتسبحونه بكرة وأصيلا اذا أنتم فعلتم ذلك الذي يرحمكم ويثني عليكم هو ويدعو لكم ملائكته وقيل ان معنى قوله يصلي عليكم وملائكته يشيع عنكم الذكر الجميل في عباد الله وقوله ليخرجكم من الظلمات الى النور يقول تدعو ملائكة الله لكم فيخرجكم الله من الضلالة الى الهدى ومن الكفر الى الاسلام * ونحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله اذكروا الله ذكرا كثيرا يقول لا يفرض على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال عذر غير الذكر فان الله لم يجعل له حدا ينتهى اليه ولم يعذر أحدا في تركه الا مغلوبا على عقله فقال اذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم بالليل والنهار في البر والبحر وفي السفر والحضر والغنى والفقر والسقم والصحة والسر والعلانية وعلى كل حال وقال سبحوه بكرة وأصيلا فاذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته قال الله عز وجل هو الذي يصلي عليكم وملائكته **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وسبحوه بكرة وأصيلا صلاة الغداة وصلاة العصر وقوله ليخرجكم من الظلمات الى النور أي من الضلالات الى الهدى **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور قال من الضلالة الى الهدى قال والضلالة الظلمات والنور الهدى وقوله وكان بالمؤمنين رحيما يقول تعالى ذكره وكان المؤمنين به ورسوله ذا رحمة أن يعذبهم وهم له مطيعون ولأمره متبعون تحيتهم يوم يلقونه سلام يقول جل ثناؤه تحية هؤلاء المؤمنين يوم القيامة في الجنة سلام يقول بعضهم لبعض امنة لنا ولكم

ليس كذلك في الحقيقة لان ميل النفس ليس يتعلق باختيار الآدمي فلا يلام عليه ولا هو مأمور ابتدائه والذي أبداه كان مقتضى النصح والاشفاق والخشية والحياء من قالة الناس ان قلب النبي مال الى زوجة دعيه فبهذا القدر عوتب بقوله (والله أحق أن تخشاه) فان حسنات

بدخولنا هذا المدخل من الله أن يعذبنا بالنار أبدا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله تحيتهم يوم يلقونه سلام قال تحية أهل الجنة السلام وقوله وأعدلهم أجرا كريما يقول وأعد لهؤلاء المؤمنين ثوابا لهم على طاعتهم إياه في الدنيا كريما وذلك هو الجنة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأعدلهم أجرا كريما أي الجنة

القول في تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا و بشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد انا أرسلناك شاهدا على أمتك بابلاغك إياهم ما أرسلناك به من الرسالة ومبشرهم بالجنة ان صدقوك وعملوا بما جئتهم به من عند ربك ونذيرا من النار أن يدخلوها فيعذبوا بها ان هم كذبوك وخالفوا ما جئتهم به من عند الله و بالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا على أمتك بالبلاغ ومبشرا بالجنة ونذيرا بالنار وقوله وداعيا الى الله يقول وداعيا الى توحيد الله وإفراد الالوهة له واخلاص الطاعة لوجهه دون كل من سواه من الآلهة والأوثان كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وداعيا الى الله الى شهادة أن لا اله الا الله وقوله باذنه يقول بأمره إياك بذلك وسراجا منيرا يقول وضياء لخلقه يستضيء بالنور الذي أتيتهم به من عند الله عباده منيرا يقول ضياء يبين لمن استضاء بضوئه وعمل بما أمره وانما يعني بذلك أنه يهدي به من اتبعه من أمته وقوله و بشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا يقول تعالى ذكره و بشر أهل الايمان بالله يا محمد أن لهم من الله فضلا كبيرا يقول بأن لهم من ثواب الله على طاعتهم إياه تضعيفا كثيرا وذلك هو الفضل الكبير من الله لهم وقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين يقول ولا تطع لقول كافر ولا منافق فتسمع منه دعاءه إياك الى التقصير في تبليغ رسالات الله التي من أرسلك بها اليه من خلقه ودع أذاهم يقول وأعرض عن أذاهم لك واصبر عليه ولا يمنعك ذلك عن القيام بأمر الله في عباده والنفوذ لما كلفك

* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ودع أذاهم قال أعرض عنهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ودع أذاهم أي اصبر على أذاهم وقوله وتوكل على الله يقول وفوض أمورك الله وثق به فانه كافيك جميع من دونه حتى يأتيك أمره وقضاؤه وكفى بالله وكيلا يقول وحسبك بالله قيما بأمورك وحافظا لك وكالئا

القول في تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن يعني من قبل أن تجامعوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها يعني من احصاء أقراء ولا أشهر تحصونها عليهن فمتعوهن يقول أعطوهن ما يستمتعن به من عرض أو عين مال وقوله وسرحوهن سراحا جميلا يقول وخلوا سبيلهن تخلية بالمعروف وهو التسريح

الابرار سيئات المقربين فلعل الاولى بالنبي ان يسكت عن امساكه حذرا من عقاب الله على ترك الاولى كما سكت عن تطليقه حياء من الناس قال جار الله الواو ات في قوله وتخفي واخفاء خلافه وخشية الناس والله أحق أن تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك قوله (فلما قضى زيد منها) حاجته ولم يبق له فيها رغبة وطلقها وانقضت عدتها (زوجناكها) نحبا للحرج عن المؤمنين في مثل هذه القضية فان الشرع كما يستفاد من قول النبي صلى الله عليه وسلم يستفاد من فعله أيضا بل الثاني يؤكد الاول الا ترى أنه لما ذكر ما فهم منه حل الضب ثم لم يأكل بقي في النفوس شيء وحيث أكل لحم الجمل طاب أكله مع أنه لا يؤكل في بعض الملل وكذلك الأرنب وقوله (اذا قضوا منهن وطرا) يفهم منه نفي الحرج عند قضاء الوطر بالطريق الاولى عن الخليل قضاء الوطر بلوغ كل حاجة يكون فيها همة وأراد بها في الآية الشهوة وقيل التطليق فلا اضمار على هذا (وكان أمر الله مفعولا) مكونا لا محالة ومن جملة أوامره ما جرى من قصة زينب ثم نزه جانب النبي صلى الله عليه وسلم عن قالة الناس بقوله (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله) اي قسم وأوجب (له) و (سنة الله) مصدر مؤكد لما قبله أي سن الله في الحرج سنة في الانبياء الذين خلوا فكان منهم من تحته أزواج كثيرة كداود وسليمان وسيجيء قصتهما في سورة ص ومعنى قدرا مقدورا قضاء مقضيا هكذا قاله المفسرون ولعل قوله وكان أمر الله مفعولا اشارة الى القضاء وهذا الاخير اشارة الى القدر وقد عرفت الفرق بينهما مرارا وفي قوله ولا يخشون أحدا الا الله تعريض بما صرح به في قوله وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه والحسيب الكافي للخائف أو المحاسب على الصغائر والكبائر فيجب أن لا يخشى الا هو ثم أكد مضمون الآي المتضمنة

هو أن زيدا لم يكن ابناله فقال (ما كان محمد أبا أحد) فكان لقائل أن يقول أما كان أبا للطاهر والطيب والقاسم وابراهيم فلذلك قيل من رجالكم فخرجوا بهذا القدر من جهتين احداهما أن هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال وبهذا الوجه يخرج الحسن والحسين أيضا من النفي لانهما لم يكونا بالغين حينئذ والأخرى أنه أضاف الرجال اليهم وهؤلاء رجاله لا رجالهم وكذا الحسن والحسين أو أراد الأب الأقرب ومعنى الاستدراك في قوله (ولكن رسول الله) صلى الله عليه وسلم هو اثبات الابوة من هذه الجهة لان النبي كالأب لأمته من حيث الشفقة والنصيحة ورعاية حقوق التعظيم معه وأكد هذا المعنى بقوله (وخاتم النبيين) لأن النبي اذا علم أن بعده نبيا آخر فقد يترك بعض البيان والارشاد اليه بخلاف ما لو علم أن ختم النبوة عليه (وكان الله بكل شيء عليما) ومن جملة معلوماته أنه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ومجيء عيسى عليه السلام في آخر الزمان لا ينافي ذلك لأنه ممن نبي قبله وهو يجيء على شريعة نبينا مصليا الى قبلته وكأنه بعض أمته ﴿التأويل﴾ لقد كان لكم في رسول الله أسوة أي كان في الاول مقدرا لكم متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعلقت قدرتنا باخراج أرواحكم من العدم الى الوجود عقيب اخراج روح الرسول من العدم الى الوجود أول ما خلق الله نورى أو روحي وبحسب القرب الى روح الرسول والبعد عنه يكون حال الاسوة وكل ما يجرى على الانسان من بداية عمره الى نهاية عمره من الافعال والاقوال والاخلاق والاحوال فمن كان يرجو الله كان عمله خالصا لوجه الله تعالى ومن كان يرجو اليوم الآخر يكون عمله

الجميل . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فهذا في الرجل يتزوج المرأة ثم يطلقها من قبل أن يمسها فاذا طلقها واحدة بانت منه ولا عدة عليها تتزوج من شاءت ثم قرأ فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا يقول ان كان سمى لها صداقا فليس لها الا النصف فان لم يكن سمى لها صداقا متعها على قدر عسره ويسره وهو السراح الجميل . وقال بعضهم المتعة في هذا الموضع منسوخة بقوله فنصف ما فرضتم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات الى قوله سراحا جميلا قال قال سعيد بن المسيب ثم نسخ هذا الحرف المتعة وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت قتادة يحدث عن سعيد بن المسيب قال نسخت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن قال نسخت هذه الآية التي في البقرة ﴿التأويل﴾ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن يعني اللاتي تزوجتهن بصداق مسمى كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أزواجك اللاتي آتيت أجورهن قال صداقهن حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن قال كان كل امرأة آتاها مهرا فقد أحلها الله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن الى قوله خالصة لك من دون المؤمنين فما كان من هذه التسمية ما شاء كثيرا أو قليلا وقوله وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك يقول وأحللنا لك إماءك اللواتي سبيتهن فملكتهن بالسباء وصرن لك بفتح الله عليك من الفيء وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك فأحل الله صلى الله عليه وسلم من بنات عمه وعماته وخاله وخالاته المهاجرات معه منهن دون من لم يهاجر منهن معه كما حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الله بن موسى عن اسرائيل عن السدي عن أبي صالح عن أم هانئ قالت خطبني النبي صلى الله عليه وسلم فاعتذرت له بعذري ثم أنزل الله عليه انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن الى قوله اللاتي هاجرن معك قالت فلم أحل له لم أهاجر معه كنت من الطلقاء وقد ذكر أن ذلك في قراءة ابن مسعود وبنات خالاتك

لنعيم الجنان وكل هذه المقامات مشروط بالذكر وهو كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله نفيا واثباتا وهما قدمان للسائرين الى الله احداهما للطائرين بالله ولما رأى المؤمنون الاحزاب المجتمعين على اضلالهم واهلاكهم من النفس وصفاتها والدنيا وزينتها

والشيطان واتباعه قالوا متوكلين على الله هذا ما وعدنا الله ورسوله ان البلاء موكل بالانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل من المؤمنين رب يتصرفون فى الموجودات تصرف الذكور فى الاناث صدقوا ما عاهدوا الله عليه أن لا يعبدوا غيره فى الدنيا والعقبى فمنهم من قضى نحبه فوصل الى مقصده ومنهم من ينتظر الوصول وهو فى السير وهذا حال المتوسطين وكفى الله المؤمنين القتال بريح القهر اذهبت على النفوس فابطلت شهواتها وعلى الشيطان فردت كيده وعلى الدنيا فأزالت زينتها وأنزل الذين ظاهروهم اى أعانوا النفس والشيطان والهوى على القلوب من أهل الكتاب طالبى الرخص لارباب الطلب المنكرين أحوال اهل القلوب من صياصيهم هى حصون تكبرهم وتجبرهم وأنزل وقعهم من حصون اعتقاد أرباب الطلب كلا يقتدوا بهم ولا يغتروا بأقوالهم وقذف بنور قلوبهم فى قلوب النفوس والشياطين الرعب فريقا تقتلون وهم النفس وصفاتها والشيطان وأتباعه وتأسرون فريقا وهم الدنيا وجاهها وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم لتنفقوا فى سبيل الله وتجعلوها بذر مزرعة الآخرة وأرضا لم تطؤها يشير الى مقامات وحالات لم يبلغوها فيبلغوها باستعمال الدنيا فان ذلك بعد الوصول لا يضر لانه يتصرف بالحق للحق قل لازواجك فيه اشارة الى أن حب الدنيا يمنعهن من صحبة النبى صلى الله عليه وسلم مع أنهن محال النطفة الانسانية فى عالم الصورة فكيف لا يضر حب الدنيا لاهل القلوب الذين قلوبهم أرحام النطفة الروحانية الربانية والأجر العظيم هو لقاء الله العظيم فمن أحب غير الله وان كان الجنة نقص من الاجر بقدر ذلك الا محبة النبى صلى الله عليه وسلم لان محبة الجنة بالحظ دون الحق فيها ما تشتهى الانفس ومحبة النبى صلى الله عليه وسلم بالحق لا الحظ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ومضاعفة العذاب سقوطهن عن قرب الله وعن الجنة

والاتى هاجرن معك بواو وذلك وان كان كذلك فى قراءته محتمل أن يكون بمعنى قراءتنا بغير واو وذلك أن العرب تدخل الواو فى نعت من قد تقدم ذكره أحيانا كما قال الشاعر

فان رشيدا وابن مروان لم يكن * ليفعل حتى يصدر الامر مصدرا

ورشيد هو ابن مروان وكان الضحاك بن مزاحم يتأول قراءة عبد الله هذه انهن نوع غير نساء خالاته وأنهن كل مهاجرة هاجرت مع النبى صلى الله عليه وسلم ذكر الخبر عن ذلك حدثنى الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى حرف ابن مسعود والاتى هاجرن معك يعنى بذلك كل شئ هاجر معه ليس من بنات العم والعمة ولا من بنات الخال والخالة وقوله وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى يقول وأحللنا له امرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى بغير صداق كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى بغير صداق فلم يكن يفعل ذلك وأحل له خاصة من دون المؤمنين وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله وامرأة مؤمنة وهبت نفسها للنبى بغير إن ومعنى ذلك ومعنى قراءة من قرأه بإن وفيها ان واحد وذلك كقول القائل فى الكلام لا بأس أن يطأ جارية مملوكة ان ملكها وجارية مملوكة ملكها وقوله ان أراد النبى أن يستنكحها يقول ان أراد أن ينكحها فحلال له أن ينكحها ان وهبت نفسها له بغير مهر خالصة لك يقول لا يحل لأحد من أمتك أن يقرب امرأة وهبت نفسها وانما ذلك لك يا محمد خالصة أخلصت لك من دون سائر أمتك كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة خالصة لك من دون المؤمنين يقول ليس لامرأة أن تهب نفسها لرجل بغير أمر ولى ولا مهر إلا للنبى كانت له خالصة من دون الناس ويزعمون أنها نزلت فى ميمونة بنت الحرث انها التى وهبت نفسها للنبى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يا أيها النبى انا أحللنا لك أزواجك الى قوله خالصة لك من دون المؤمنين قال كان كل امرأة آتاها مهرا فقد أحلها الله له الى أن وهب هؤلاء أنفسهن له فأحللن له دون المؤمنين بغير مهر خالصة لك من دون المؤمنين الا امرأة طار وج حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن صالح بن مسلم قال سألت الشعبى عن امرأة وهبت نفسها لرجل قال لا يكون لاحد حتى يكون لها ما كانت للنبى صلى الله عليه وسلم واختلفت القراء فى قراءة قوله ان وهبت نفسها فقرأ ذلك عامة قراء الامصار ان وهبت بكسر الألف على وجه الجزاء بمعنى ان تهب وذكر عن الحسن البصرى أنه قرأ أن وهبت بفتح الألف بمعنى وأحللنا له امرأة مؤمنة أن ينكحها لهبتها له نفسها والقراءة التى لا أستجيز خلافها فى كسر الألف لاجماع الحجة من القراء عليه وأما قوله خالصة لك من دون المؤمنين ليس ذلك للمؤمنين وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تنزل عليه هذه الآية أن يتزوج أى النساء شاء قصره الله على هؤلاء فلم يعدهن وقصر سائر أمته على مثنى وثلاث ورباع ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن قال سمعت داود بن أبى هند عن محمد بن أبى موسى عن زياد رجل من الانصار عن أبى بن كعب أن التى أحل الله للنبى من النساء هؤلاء اللاتى ذكر الله يا أيها النبى انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن الى قوله فى أزواجهم

وانما أحل الله للمؤمنين مثنى وثلاث ورباع حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها النبى انا أحللنا لك أزواجك الى آخر الآية قال حرم الله عليه ماسوى ذلك من النساء وكان قبل ذلك ينكح فى أى النساء شاء لم يحرم ذلك عليه فكان نساؤه يجدن من ذلك وجدا شديدا أن ينكح فى أى الناس أحب فلما أنزل الله انى قد حرمت عليك من الناس سوى ما قصصت عليك أعجب ذلك نساءه واختلف أهل العلم فى التى وهبت نفسها لرسول الله صلى الله عليه وسلم من المؤمنات وهل كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة كذلك فقال بعضهم لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة بلا عقد نكاح أو ملك يمين فأما ما بالهبة فلم يكن عنده منهن أحد ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير عن عنبسة بن الازهر عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد أنه قال فى هذه الآية وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى قال ان تهب وأما الذين قالوا قد كان عنده منهن فان بعضهم قال كانت ميمونة بنت الحرث وقال بعضهم هى أم شريك وقال بعضهم زينب بنت خزيمة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن ابن عباس قال وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى قال هى ميمونة بنت الحرث * وقال بعضهم زينب بنت خزيمة أم المساكين امرأة من الأنصار حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال ثنى الحكم قال كتب عبد الملك الى أهل المدينة يسألهم قال فكتب اليه على قال شعبة وهو ابن على بن حسين قال وقد أخبرنى به أبان بن تغلب عن الحكم أنه على بن الحسين الذى كتب اليه قال هى امرأة من الأسد يقال لها أم شريك وهبت نفسها للنبى * قال ثنا شعبة قال ثنى عبد الله بن أبى السفر عن الشعبى أنها امرأة من الانصار وهبت نفسها للنبى وهى ممن أرجأ حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى سعيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن خولة بنت حكيم بن الأوقص من بنى سليم كانت من اللاتى وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ثنى سعيد بن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه قال كنا نتحدث أن أم شريك كانت وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة صالحة وقوله قد علمنا ما فرضنا عليهم فى أزواجهم يقول تعالى ذكره قد علمنا ما فرضنا على المؤمنين فى أزواجهم اذا أرادوا نكاحهن مما لم نفرضه عليك وما خصصناهم به من الحكم فى ذلك دونك وهو أنا فرضنا عليهم أنه لا يحل لهم عقد نكاح على حرة مسلمة الا بولى عصبة وشهود عدول ولا يحل لهم منهن أكثر من أربع * ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى عبد الله بن أحمد بن شبويه قال ثنا مطهر قال ثنا على بن الحسين قال ثنى أبى عن مطر عن قتادة فى قول الله قد علمنا ما فرضنا عليهم فى أزواجهم قال ان مما فرض الله عليهم أن لا نكاح الا بولى وشاهدين حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد قد علمنا ما فرضنا عليهم فى أزواجهم قال فى الاربع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن

ى أن اياتا الاحرمتين عبارة عن هذين وكان من دعاء السرى السقطى اللهم ان كنت تعذبنى بشئ فلا تعذبنى بذل الحجاب والرزق الكريم رق المشاهدات الربانية يا نساء النبى هم الذين أسلموا أرحام قلوبهم لتصرفات ولاية الشيخ ليست احوالهم كأحوال غيرهم من الخلق ان اتقيتن بالله فلا تخضعن بالقول لشئ من الدارين فان كثيرا من الصادقين خضعوا بالقول لأرباب الدنيا الذين فى قلوبهم مرض حب المال والجاه فاستجروهم ووقعوا فى ورطة الهلاك والحجاب فالقول المعروف وهو المتوسط الذى لا يكون فيه الميل الكلى الى أهل الدنيا أصوب والى الحق أقرب وقرن فى بيوتكن من عالم الملكوت ولا تبرجن فى عالم الحواس راغبين فى زينة الدنيا كعادة الجهلة وأقمن الصلاة التى هى معراج المؤمن يرفع يده من الدنيا ويكبر عليها ويقبل على الله بالاعراض عما سواه ويرجع من مقام تكبر الانسان الى خضوع ركوع الحيوان ومنه الى خشوع سجود النبات ثم الى قعود الجماد فانه بهذا الطريق أهبط الى أسفل السافلين فيكون رجوعه بهذا الطريق الى أن يصل الى مقام الشهود الذى كان فيه فى البداية الروحانية ثم يتشهد بالتحية والثناء على الحضرة ثم يسلم عن يمينه على الآخرة ومافيها وعن شماله على الدنيا ومافيها وايتاء الزكاة بذل الوجود المجازى لنيل الوجود الحقيقى الرجس لوث الحدوث والبيت لأهل الوحدة بيت القلب يتلى فيه آيات الواردات والكشوف ان الذين استسلموا للاحكام الأزلية وآمنوا بوجود المعارف الحقيقية وفنوا أى أغرقوا الوجود فى الطاعة والعبودية وصدقوا فى عهدهم وطرقت سريرتهم عند بوادهه الحقيقة وتصدقوا بأموالهم وأعراضهم حتى لم يبق لهم مع أحد خصومة وصاموا بالامساك عن الشهوات

وصبروا على الخصال الحميدة وعن الأوصاف الذميمة وخشعوا

وعن رؤية الدرجات وحفظوا فروجهم فى الظاهر عن الحرام وفى الباطن عن زوائد الحلال وذكروا الله بجميع أجزاء وجودهم الجسمانى والروحانية وما كان للمؤمن ولا مؤمنة اذا صدر أمر عن المكلف أو عليه فان كان مخالفا للشرع وجب عليه الاستغفار وان كان موافقا للشرع فان كان موافقا لطبعه وجب عليه الشكر وان كان مخالفا لطبعه وجب أن يستقبله بالصبر والرضا وفى قوله والله أحق أن تخشاه دلالة على أن المخلصين على خطر عظيم حتى انهم يؤاخذون بميل القلب وحديث النفس وذلك لقوة صفاء باطنهم فاللطيف أسرع تغيرا فلما قضى زيد منها وطرا قضاء شهوته بين الخلق الى قيام الساعة ما كان على النبى من حرج فما فيه أمان هو نقصان فى نظر الخلق فانه كمال عند الحق الا اذا كان النظر للحق ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أن نسبة المتابعين الى حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم كنسبة الابن الى الأب الشفيق ولهذا قال كل حسب ونسب ينقطع الا حسبى ونسبى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام واعتلهم أجرا كريما يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا يا أيها النبى انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى ان أراد النبى أن يستنكحها لكيلا يكون عليك إثم وضيق فى نكاح من نكحت من هؤلاء الأصناف التى أبحت لك نكاحهن من المسميات فى هذه الآية وكان الله غفورا لك ولأهل الايمان بك رحيما بك وبهم أن يعاقبهم على سالف ذنب منهم سلف بعد توبتهم منه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما فى قلوبكم وكان الله عليما حليما) اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء فقال بعضهم عنى بقوله ترجى تؤخر وبقوله تؤوى تضم ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ترجى من تشاء منهن يقول تؤخر **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ترجى من تشاء منهن قال تعزل بغير طلاق من أزواجك من تشاء وتؤوى اليك من تشاء قال تردها اليك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء قال فجعله الله فى حل من ذلك أن يدع من يشاء منهن ويأتى من يشاء منهن بغير قسم وكان نبى الله يقسم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عمرو عن منصور عن أبى رزين ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء قال لما أشفقن أن يطلقهن قلن يا نبى الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت فكان ممن أرجأ منهن سودة بنت زمعة وجويرية وصفية وأم حبيبة وميمونة وكان ممن آوى اليه عائشة وأم سلمة وحفصة وزينب **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء فما شاء صنع فى القسمة بين النساء أحل الله له ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن أبى رزين فى قوله ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء وكان ممن آوى عليه السلام عائشة وحفصة وزينب وأم سلمة فكان قسمه من نفسه لهن سوى قسمه وكان ممن أرجى سودة وجويرية وصفية وأم حبيبة وميمونة فكان يقسم لهن ما شاء وكان أزواج يغارهن فقلن اقسم لنا من نفسك ما شئت ودعنا نكون على حالنا * وقال آخرون معنى ذلك تطلق وتخلى سبيل من شئت من نسائك وتمسك من شئت منهن فلا تطلق ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ترجى من تشاء منهن أمهات المؤمنين وتؤوى اليك من تشاء يعنى نساء النبى صلى الله عليه وسلم

ان أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت ايمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى

ويعني بالارجاء يقول من شئت خليت سبيله منهن ويعني بالايواء يقول من أحببت أمسكت منهن * وقال آخرون بل معنى ذلك تترك نكاح من شئت وتنكح من نساء أمتك ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الحسن في قوله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب امرأة لم يكن لرجل أن يخطبها حتى يتزوجها أو يتركها وقيل ان ذلك انما جعل الله لنبيه حين غار بعضهن على النبي صلى الله عليه وسلم وطلب بعضهن من النفقة زيادة على الذي كان يعطيها فأمره الله أن يخيرهن بين الدار الدنيا والآخرة وأن يخلي سبيل من اختار الحياة الدنيا وزينتها ويمسك من اختار الله ورسوله فلما اخترن الله ورسوله قيل لهن اقررن الآن على الرضا بالله وبرسوله فسم لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لم يقسم أو قسم لبعضكن ولم يقسم لبعضكن وفضل بعضكن على بعض في النفقة أو لم يفضل سوى بينكن أو لم يسو قال الأمر في ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لكم من ذلك شئ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر مع ما جعل الله له من ذلك يسوي بينهن في القسم الا امرأة منهن أراد اطلاقها فرضيت بترك القسم لها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن أبي رزين قال لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يطلق أزواجه قلن له افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت فأمره الله فآوى أربعا وأرجى خمسا حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا عبيدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل حتى أنزل الله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء فقلت ان ربك ليسارع في هواك حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر يعني العبدي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها كانت تغير النساء اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت أما تستحي امرأة أن تعرض نفسها بغير صداق فنزلت أو فأنزل الله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فقلت اني لأرى ربك يسارع لك في هواك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء الآية قال كان أزواجه قد تغايرن على النبي صلى الله عليه وسلم فهجرهن شهرا ثم نزل التخيير من الله فيهن فقرأ حتى بلغ ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى فخيرهن بين أن يخترن أن يخلي سبيلهن ويسرحهن وبين أن يقمن ان أردن الله ورسوله على أن لهن أمهات المؤمنين لا ينكحن أبدا وعلى أنه يؤوي اليه من يشاء منهن ممن وهب نفسه له حتى يكون هو يرفع رأسه اليها ويرجي من يشاء حتى يكون هو يرفع رأسه اليها ومن ابتغى ممن هي عنده وعزل فلا جناح عليه ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين اذا علمن أنه من قضائي عليهن ايثار بعضهن على بعض ذلك أدنى أن يرضين قال ومن ابتغيت ممن عزلت من ابتغى أصابه ومن عزل لم يصبه فخيرهن بين أن يرضين بهذا أو يفارقهن فاخترن الله ورسوله الا امرأة واحدة بدوية ذهبت وكان على ذلك صلوات الله عليه وقد شرط الله هذا الشرط ما زال يعدل بينهن حتى لقي الله * وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره جعل لنبيه

ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شئ رقيبا يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما ان تبدوا شيئا أو تخفوه فان الله كان بكل شئ عليما لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شئ شهيدا ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما

لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا يسألك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك

لعل الساعة تكون قريبا ان الله لعن الكافرين وأعدلهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم في النار
يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا (٣٠) وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب
والعنهم لعنا كبيرا يا أيها الذين آمنوا
لا تكونوا كالذين آذوا موسى
فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله
وجيها يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
وقولوا قولا سديدا يصلح لكم
أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن
يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما
انا عرضنا الأمانة على السموات
والارض والجبال فأبين أن يحملنها
وأشفقن منها وحملها الانسان انه
كان ظلوما جهولا ليعذب الله
المنافقين والمنافقات والمشركين
والمشركات ويتوب الله على
المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا
رحيما) ۞ القراآت ترجى بغير همز
أبو جعفر ونافع وحمزة وعلي وحفص
وخلف والأعشى والمفضل
وعباس لا تحل بتاء التأنيث أبو
عمرو ويعقوب اناه بالامالة وغيرها
مثل الحوايا في الانعام وافق الخزاز
عن هبيرة ههنا بالامالة ساداتنا
بالألف وبكسر التاء ابن عامر
وسهل ويعقوب وجبلة الباقون
على التوحيد كبيرا بالباء الموحدة
عاصم وابن مجاهد والنقاش عن
ابن ذكوان الآخرون بالثاء المثلثة
۞ الوقوف كثيرا لا وأصيلا ٥
النور ط رحيما ٥ سلاما ج
لاحتمال الجملة حالا واستئنافا
كريما ٥ ونذيرا لا منيرا ٥
كبيرا ٥ على الله ط وكيلا ٥
تعتدونها ج لانقطاع النظم مع
الفاء جميلا ٥ معك ج لاحتمال
ما بعده العطف والنصب على
المدح مع أن طول الكلام يرجح

أن يرجى من النساء اللواتي أحللن له من يشاء ويؤوي اليه منهن من يشاء وذلك أنه لم يحصر معنى
الارجاء والايواء على المنكوحات اللواتي كن في حباله عند ما نزلت هذه الآية دون غيرهن ممن
يستحدث ايواؤها أو ارجاؤها منهن واذا كان ذلك كذلك فمعنى الكلام تؤخر من تشاء ممن وهبت
نفسها لك وأحللت لك نكاحها فلا تقبلها ولا تنكحها أو ممن هن في حبالك فلا تقربها وتضم اليك
من نشاء ممن وهبت نفسها لك أو أردت من النساء التي أحللت لك نكاحهن فتقبلها أو تنكحها
وممن هي في حبالك فتجامعها اذا شئت وتتركها اذا شئت بغير قسم وقوله ومن ابتغيت ممن عزلت
فلا جناح عليك اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك ومن نكحت
من نسائك فجامعت ممن لم تنكح فعزلته عن الجماع فلا جناح عليك ذكر من قال ذلك حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك
قال جميعا هذه في نسائه ان شاء أتى من شاء منهن ولا جناح عليه حدثني يونس قال أخبرنا
ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن ابتغيت ممن عزلت قال ومن ابتغى أصابه ومن عزل لم يصبه
* وقال آخرون معنى ذلك ومن استبدلت ممن أرجيت فخليت سبيله من نسائك أو ممن مات
منهن ممن أحللت لك فلا جناح عليك ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي
قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح
عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن يعني بذلك النساء اللاتي
أحل الله له من بنات العم والعمة والخال والخالة واللاتي هاجرن معك يقول ان مات عندك من نسائك
اللاتي عندك أحد أو خليت سبيله فقد أحللت لك أن تستبدل من اللاتي أحللت لك مكان من
مات من نسائك اللاتي هن عندك أو خليت سبيله منهن ولا يصلح لك أن تزداد على عدة نسائك
اللاتي عندك شيأ * وأولى التأويلين بالصواب في ذلك تأويل من قال معنى ذلك ومن ابتغيت
اصابته من نسائك ممن عزلت عن ذلك منهن فلا جناح عليك لدلالة قوله ذلك أدنى أن تقر أعينهن
على صحة ذلك لأنه لا معنى لان تقر أعينهن اذا هو صلى الله عليه وسلم استبدل بالميتة أو المطلقة منهن
الا أن يعني بذلك ذلك أدنى أن تقر أعين المنكوحة منهن وذلك مما يدل عليه ظاهر التنزيل بعد
وقوله ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن يقول هذا الذي جعلت لك يا محمد من ادنى لك أن ترجي
من تشاء من النساء اللواتي جعلت لك ارجاءهن وتؤوي من تشاء منهن ووضعي عنك الحرج
في ابتغائك اصابة من ابتغيت اصابته من نسائك وعزلك عن ذلك من عزلت منهن أقرب لنسائك
أن تقر أعينهن به ولا يحزن ويرضين كلهن بما آتيتهن كلهن من تفضيل من فضلت من قسم
أو نفقة وايثار من آثرت منهن بذلك على غيره من نسائك اذا هن علمن أنه من رضاي منك بذلك
واذني لك به واطلاقي مني لا من قبلك * ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال
ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن
ويرضين بما آتيتهن كلهن اذا علمن أن هذا جاء من الله رخصة كان أطيب لأنفسهن وأقل لحزنهن
حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ذلك نحوه * والصواب من
القراءة في قوله بما آتيتهن كلهن الرفع غير جائز غيره عندنا وذلك أن كلهن ليس بنعت للهاء في قوله

جانب الوقف يستنكحها ق للعدول على تقدير جعلناها خالصة المؤمنين ٥ حرج ط رحيما ٥ اليك من تشاء ط آتيتهن
لان ما بعده واو استئناف دخل على الشرط عليك ط كلهن ط قلوبكم ط حليما ٥ يمينك ط رقيبا ٥ اناه لا للعطف

مع الاستدراك لحديث ط منكم ط فصلا بين وصف الخلق وحال الحق مع اتفاق الجملتين من الحق ط لابتداء حكم آخر حجاب ط
وقلوبهن ط أبدا ط عظيما ٥ عليما ٥ أيمانهن لا والوقف أجوز لتكون الواو للاستئناف واتقين الله ط شهيدا ٥

النبيّ ط تسليما ٥ مهينا ٥ مبينا ٥ جلابيبهن ط يؤذين ط رحيما ٥ قليلا ٥ ج لأن قوله ملعونين يحتمل أن يكون حالا أو منصوبا على الشتم ملعونين ٥ ج لأن الجملة الشرطية تصلح وصفا واستئنافا تقتيلا ٥ قبل ط تبديلا ٥ الساعة ط عند الله ط قريبا ٥ سعيرا لا أبدا ج لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف نصيرا ٥ ج لاحتمال تعلق الظرف بلا يجدون أو يقولون أو باذكر الرسولا ٥ السبيلا ٥ كبيرا ٥ قالوا ط وجيها ٥ سديدا ٥ لا ذنوبكم ٥ عظيما ٥ الانسان ط جهولا ٥ لا والمؤمنات ط رحيما ٥ ۞ التفسير اعلم أن مبنى هذه السورة على تأديب النبي صلى الله عليه وسلم وقد مر أنه سبحانه بدأ بذكر ما ينبغي أن يكون عليه النبيّ مع الله وهو التقوى وذكر ما ينبغي أن يكون عليه مع أهله فأمر بعد ذلك عامة المؤمنين بما أمر به عباده المرسلين وبدأ بما يتعلق بجانب التعظيم لله وهو الذكر الكثير وفيه لطيفة وهي أن النبيّ لكونه من المقربين لم يكن ناسيا فلم يؤمر بالذكر بل أمر بالتقوى والمحافظة عليها فإنها تكاد لا تتناهى والتسبيح بكرة وأصيلا عبارة عن الدوام لأن مريد العموم قد يذكر الطرفين ويفهم منهما الوسط كقوله صلى الله عليه وسلم ولو أن أولكم وآخركم قال جار الله خص التسبيح بالذكر من جملة الذكر لفضله على سائر الأذكار ففيه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه ولقائل أن يقول هذا لا يطابق قوله صلى الله عليه وسلم أفضل الذكر لا إله إلا الله وجوز أن يراد بالذكر الكثير الاقبال على العبادات كلها ويراد بالتسبيح الصلاة وبالوقتين العموم كما مر أو صلاة الفجر والعشاءين

آيتهن وانما معنى الكلام ويرضين كلهن فانما هو توكيد لما في يرضين من ذكر النساء واذا جعل توكيدا للهاء التي في آيتهن لم يكن له معنى والقراءة بنصبه غير جائزة لذلك ولاجماع الحجة من القراء على تخطئة قارئه كذلك وقوله والله يعلم ما في قلوبكم يقول والله يعلم ما في قلوب الرجال من ميلها الى بعض من عنده من النساء دون بعض بالهوى والمحبة يقول فلذلك وضع عنك الحرج يا محمد في وضع عنك من ابتغاء من ابتغيت منهن ممن عزلت تفضلا منه عليك بذلك وتكرمة وكان الله عليما يقول وكان الله ذا علم بأعمال عباده وغير ذلك من الأشياء كلها حليما يقول ذا حلم عن عباده أن يعاجل أهل الذنوب منهم بالعقوبة ولكنه ذو حلم وأناة عنهم ليتوب من تاب منهم وينيب من ذنوبه من أناب منهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد فقال بعضهم معنى ذلك لا يحل لك النساء من بعد نسائك اللاتي خيرتهن فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لا يحل لك النساء من بعد الآية الى رقيبا قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج بعد نسائه الأول شيأ حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يحل لك النساء من بعد الى قوله الا ما ملكت يمينك قال لما خيرهن فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة قصره عليهن فقال لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج وهن التسع التي اخترن الله ورسوله * وقال آخرون انما معنى ذلك لا يحل لك النساء بعد التي أحللنا لك بقولنا يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك الى قوله اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبيّ وكأن قائلي هذه المقالة وجهوا الكلام الى أن معناه لا يحل لك من النساء الا اللاتي أحللناهالك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن محمد بن أبي موسى عن زياد قال لأبي بن كعب هل كان للنبي صلى الله عليه وسلم لو مات أزواجه أن يتزوج قال ما كان يحرم عليه ذلك فقرأت عليه هذه الآية يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك قال فقال أحل له ضربا من النساء وحرم عليه ما سواهن أحل له كل امرأة آتى أجرها وما ملكت يمينه مما أفاء الله عليه وبنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته وكل امرأة وهبت نفسها له ان أراد أن يستنكحها خالصة له من دون المؤمنين حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن محمد بن أبي موسى عن زياد الانصاري قال قلت لأبي بن كعب أرأيت لو مات نساء النبي صلى الله عليه وسلم أكان يحل له أن يتزوج قال وما يحرم ذلك عليه قال قلت قوله لا يحل لك النساء من بعد قال انما أحل له ضربا من النساء حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود بن أبي هند قال ثني محمد ابن أبي موسى عن زياد رجل من الانصار قال قلت لأبي بن كعب أرأيت لو أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم توفين أما كان له أن يتزوج فقال وما يمنعه من ذلك ورب ما قال داود وما يحرم عليه ذلك قلت قوله لا يحل لك النساء من بعد فقال انما أحل له ضربا من النساء فقال يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك الى قوله ان وهبت نفسها للنبي ثم قيل له لا يحل لك النساء من بعد

لان أداءها أشق ومراعاتها أشد ثم حرض المؤمنين على ذكره بأنه أيضا يذكرهم والصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار فلعله أراد باللفظ المشترك كلا مفهوميه (٣٣) كما ذهب اليه الشافعي أو في الكلام حذف أي وملائكته تصلي أو المراد بصلاة الملائكة هي قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا الاستجابة دعوتهم كأنهم فعلوا الرحمة أو المراد القدر المشترك وهو العناية بحال المرحوم والمستغفر له وأصل الصلاة التعطف وذلك أن المصلي يتعطف في ركوعه وسجوده فاستعير لمن يتعطف على غيره حنوا وترؤفا ثم بين غاية الصلاة وهي اخراج المكلف من ظلمات الضلال الى نور الهدى وفي قوله (وكان بالمؤمنين رحيما) بشارة لجميع المؤمنين واشارة الى أن تلك الرحمة لا تخص السامعين وقت الوحي ومعنى (تحيتهم يوم يلقونه سلام) مذكور في أول يونس وفي ابراهيم وأراد بيوم اللقاء يوم القيامة لان الخلائق مقبلون على الله بكليتهم بخلاف الدنيا والأجر الكريم هو ما يأتيه عفوا صفوا من غير شوب نقص ثم أشار الى ما ينبغي أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم عليه مع عامة الخلق فقال (انا أرسلناك شاهدا) وهي حال مقدرة أي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل وفيه أن الله تعالى جعل النبي شاهدا على وجوده بل على وحدانيته لان المدعى هو الذي يذكر شيأ بخلاف الظاهر والوحدانية أظهر من الشمس فلا ينبغي أن يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم مدع لها بل يقال انه شاهد عليها كما قال على مثل الشمس فاشهد وانه قد جاز له بشهادته لله شهادته على نبوته كما قال والله يشهد انك لرسوله والحاصل أنه شاهد في الدنيا بأحوال الآخرة من الجنة والنار والميزان والصراط وشاهد في الآخرة بأحوال الدنيا من الطاعة والمعصية والصلاح والفساد وانما قال (وداعيا الى الله باذنه) لان الشهادة للمرء لا تفتقر الى اذنه وكذلك الانذار والتبشير اذا قال من يطع الملك أفلح

حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام بن سلم عن عنبسة عمن ذكره عن أبي صالح لا يحل لك النساء من بعد قال أمر أن لا يتزوج أعرابية ولا غريبة ويتزوج بعد من نساءها مؤمنة ومن شاء من بنات العم والعمة والخال والخالة ان شاءت ثلاثة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن عكرمة لا يحل لك النساء من بعد هؤلاء التي سمى الله الابنات عمك الآية حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله لا يحل لك النساء من بعد يعني من بعد التسمية يقول لا يحل لك امرأة الا ابنة عم أو ابنة عمة أو ابنة خال أو ابنة خالة أو امرأة وهبت نفسها لك من كان منهن هاجرت معك يعني بذلك كل شيء هاجر معه ليس من بنات العم والعمة ولا من بنات الخال والخالة * وقال آخرون بل معنى ذلك لا يحل لك النساء من غير المسلمات فأما اليهوديات والنصرانيات والمشركات فحرام عليك ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله لا يحل لك النساء من بعد لا يهودية ولا نصرانية ولا كافرة * وأولى الأقوال عندي بالصحة قول من قال معنى ذلك لا يحل لك النساء من بعد اللواتي أحللتهن لك بقولي انا احللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن الى قوله وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي وانما قلت ذلك أولى بتأويل الآية لأن قوله لا يحل لك النساء عقيب قوله انا أحللنا لك أزواجك وغير جائز أن يقول قد أحللت لك هؤلاء ولا يحللن لك الا بنسخ أحدهما صاحبه وعلى أن يكون وقت فرض احدى الآيتين فعل الأخرى منهما فاذ كان ذلك كذلك ولا برهان ولا دلالة على نسخ حكم احدى الآيتين حكم الأخرى ولا تقدم تنزيل احداهما قبل صاحبتها وكان غير مستحيل مخرجهما على الصحة لم يجز أن يقال احداهما ناسخة الاخرى واذا كان ذلك كذلك ولم يكن لقول من قال معنى ذلك لا يحل من بعد المسلمات يهودية ولا نصرانية ولا كافرة معنى مفهوم اذ كان قوله من بعد انما معناه من بعد المسميات المتقدم ذكرهن في الآية قبل هذه الآية ولم يكن في الآية المتقدم فيها ذكر المسميات بالتحليل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر اباحة المسلمات كلهن بل كان فيها ذكر أزواجه وملك يمينه الذي يفي الله عليه وبنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته اللاتي هاجرن معه وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي فتكون الكوافر مخصوصات بالتحريم صح ما قلنا في ذلك دون قول من خالف قولنا فيه واختلفت القراء في قراءة قوله لا يحل لك النساء فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة تحل بالياء بمعنى لا يحل لك شيء من النساء بعد وقرأ ذلك بعض قراء أهل البصرة لا تحل لك النساء بالتاء توجيها منه الى أنه فعل للنساء والنساء جمع للكثير منهن * وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأه بالياء للعلة التي ذكرت لهم ولاجماع الحجة من القراء على القراءة بها وشذوذ من خالفهم في ذلك وقوله ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك لا يحل لك النساء من بعد المسلمات لا يهودية ولا نصرانية ولا كافرة ولا أن تبدل بالمسلمات غيرهن من الكوافر ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا

ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولا أن تبدل بالمسلمات غيرهن من النصارى واليهود والمشركين ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن أبي رزين في قوله لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك قال لا يحل لك أن تتزوج من المشركات الا من سبيت فملكته يمينك منهن • وقال آخرون بل معنى ذلك ولا أن تبادل من أزواجك غيرك بأن تعطيه زوجتك وتأخذ زوجته ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن قال كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم يعطي هذا امرأته هذا ويأخذ امرأته فقال لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك لا بأس أن تبادل بجاريتك ما شئت أن تبادل فأما الحرائر فلا قال وكان ذلك من أعمالهم في الجاهلية • وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك ولا أن تطلق أزواجك فتستبدل بهن غيرهن أزواجا وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لما قد بينا قبل من أن قول الذي قال معنى قوله لا يحل لك النساء من بعد لا يحل لك اليهودية والنصرانية والكافرة قول لا وجه له فاذ كان ذلك كذلك فكذلك قوله ولا أن تبدل بهن كافرة لا معنى له اذ كان من المسلمات من قد حرم عليه بقوله لا يحل لك النساء من بعد بالذي دللنا عليه قبل وأما الذي قاله ابن زيد في ذلك أيضا فقول لا معنى له لأنه لو كان بمعنى المبادلة لكانت القراءة والتنزيل ولا أن تبادل بهن من أزواج أو ولا أن تبدل بهن بضم التاء ولكن القراءة المجمع عليها ولا أن تبدل بهن بفتح التاء بمعنى ولا أن تستبدل بهن مع أن الذي ذكر ابن زيد من فعل الجاهلية غير معروف في أمة تعلمه من الأمم أن يبادل الرجل آخر بامرأته الحرة فيقال كان ذلك من فعلهم فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فعل مثله فان قال قائل أفلم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج امرأة على نسائه اللواتي كن عنده فيكون موجها تأويل قوله ولا أن تبدل بهن من أزواج الى ما تأولت أول وأين ذكر أزواجه اللواتي كن عنده في هذا الموضع فتكون الهاء من قوله ولا أن تبدل بهن من ذكرهن وتوهم أن الهاء في ذلك عائدة على النساء في قوله لا يحل لك النساء من بعد قيل قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج من شاء من النساء اللواتي كان الله أحلهن له على نسائه اللاتي كن عنده يوم نزلت هذه الآية وانما نهى صلى الله عليه وسلم بهذه الآية أن يفارق من كان عنده بطلاق أراد به استبدال غيرها بها لاعجاب حسن المستبدلة له بها اياه اذ كان الله قد جعل أمهات المؤمنين وخيرهن بين الحياة الدنيا والدار الآخرة والرضا بالله ورسوله فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة فحرم من على غيره بذلك ومنع من فراقهن بطلاق فأما نكاح غيرهن فلم يمنع

ومن عصاه لم يرشد أما اذا قال تعالوا الى سماطه واحضروا على خوانه احتاج الى رضاه ويمكن أن يكون قوله باذنه متعلقا بمجموع الاحوال أي بتسهيله أو تيسيره ووصف النبي عليه السلام بالسراج بأن ظلمات الضلال تتجلى به كما يتجلى ظلام الليل بالسراج وقد أمد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الأبصار وانما لم يشبه بالشمس لان الشمس لا يؤخذ منه شئ ويؤخذ من السراج سرج كثيرة وهم الصحابة والتابعون في المثال ولهذا قال أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ووصفهم بالنجم لان النجم لا يؤخذ منه شئ والتابعي لا يأخذ من الصحابي في الحقيقة وانما يأخذ من النبي ووصف السراج بالانارة لان السراج قد يكون فاترا ومنه قولهم ثلاثة تضئ رسول بطيء وسراج لا يضيء ومائدة ينتظرها من يجيء ويجوز أن يكون سراجا معطوفا على الكاف ويراد به القرآن ويجوز أن يكون المعنى وذا سراج أو تاليا سراجا قوله (ودع أذاهم) أي خذ بظاهرهم وادفع عنهم الاسر والقتل وحسابهم على الله واضافة أذاهم يحتمل أن يكون الى الفاعل والى المفعول ثم أمر المؤمنين بما يتعلق بجانب الشفقة على الخلق واكتفى بذكر الزوجات المطلقات قبل المسيس لانه اذا لزم الاحسان اليهن بمجرد العقد وهو المراد بالنكاح ههنا فبالوطء يكون أولى وقد مر حكمهن في سورة البقرة وقوله وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وذلك لأجل تشطير الصداق وانما أعاد ذكرهن ههنا لبيان عدم وجوب العدة عليهن وتخصيص المؤمنات بالذكر دون الكتابيات ايذان بأنهن أولى بتخيرهن للنطفة وفي قوله (ثم طلقتموهن) تنبيه على أنه لا تفاوت في هذا الحكم بين قريبة العهد من النكاح وبين بعيدة العهد منه فاذا لم تجب العدة على البعيدة العهد فلأن لا تجب على القريبة العهد أولى وقد يستدل بكلمة ثم على أن تعليق الطلاق بالنكاح لا يصح لان المعية تنافي التراخي وفي قوله (فما لكم عليهن) دليل على أن العدة

حق واجب للرجال على النساء وان كان لا يسقط باسقاطها لما فيها من حق الله تعالى أيضا ومعنى تعتدونها تستوفون عددها تقول عددت الدراهم فاعتدها نحو كلته فاكتاله ثم عاد الى تعليم النبي صلى الله عليه وسلم وفائدة قوله اللاتي آتيت أجورهن وقوله

مما أفاء الله عليك وقوله اللاتي هاجرن معك هي أن الله تعالى اختار لرسوله الافضل الاولى وذلك أن سوق المهر اليها عاجلا أفضل من أن تسميه وتؤجله وكان التعجيل ديدن السلف ومن الناس من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجب عليه اعطاء المهر لان المرأة لها الامتناع الى أن تأخذ مهرها والنبي عليه السلام لم يكن يستوفي ما لا يجب له كيف وانه اذا طلب شيأ حرم الامتناع على المطلوب منه والظاهر أن طالب الوطء ولا سيما في المرة الاولى يكون هو الرجل لحياء المرأة ولو طلب النبي صلى الله عليه وسلم من المرأة التمكين قبل المهر لزم أن يجب وأن لا يجب ولا كذلك أحدا ومما يؤكد هذا قوله (وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي) صلى الله عليه وسلم يعني حينئذ لا يبقى لها صداق فتصير كالمستوفية مهرها والجارية اذا كانت سبية مالكها ومخطوبة سيفه ورمحه فانها أحل وأطيب من المشتراة لكونها غير معلومة الحال قال جار الله السبي على ضربين سبي طيبة وهي ما سبي من أهل الحرب وسبي خبثة وهي ما سبي ممن له عهد فلا جرم قال سبحانه مما أفاء الله عليك لان في ماله لا يطلق الا على الطيب دون الخبيث وكذلك اللاتي هاجرن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقاربه غير المحارم أفضل من غير المهاجرات معه وانما لم يجمع العم والخال اكتفاء بجنسيتهما مع أن لجمع البنات دلالة على ذلك لامتناع اجتماع أختين تحت واحد ولم يحسن هذا الاقتصار في العمة والخالة لامكان سبق الوهم الى أن التاء فيهما للوحدة وشرط في استحلال الواهبة نفسها ارادة استنكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم

منه بل أحل الله ذلك له على ما بين في كتابه وقد روى عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبض حتى أحل الله له نساء أهل الارض حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن ابن جريج عن عطاء عن عائشة قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء يعني أهل الأرض حدثني عبيد بن اسمعيل الهباري قال ثنا سفيان عن عمرو عن عطاء عن عائشة قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء حدثني العباس بن أبي طالب قال ثنا معلى قال ثنا وهيب عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير الليثي عن عائشة قالت ما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له أن يتزوج من النساء ما شاء حدثني أبو زيد عمر بن شبة قال ثنا أبو عاصم عن ابن جريج عن عطاء قال أحسب عبيد بن عمير حدثني قال أبو زيد وقال أبو عاصم مرة عن عائشة قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل الله له النساء قال وقال أبو الزبير شهدت رجلا يحدثه عطاء حدثنا أحمد بن منصور قال ثنا موسى بن اسمعيل قال ثنا همام عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى حل له النساء فان قال قائل فان كان الامر على ما وصفت من أن الله حرم على نبيه بهذه الآية طلاق نسائه اللواتي خيرهن فاخترنه فما وجه الخبر الذي روي عنه أنه طلق حفصة ثم راجعها وأنه أراد طلاق سودة حتى صالحته على ترك طلاقه اياها ووهبت يومها لعائشة قيل كان ذلك قبل نزول هذه الآية والدليل على صحة ما قلنا من أن ذلك كان قبل تحريم الله على نبيه طلاقهن الرواية الواردة أن عمر دخل على حفصة معاتبا حين اعتزل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه كان من قيله لها قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقك فكلمته فراجعك فوالله لئن طلقك أو لو كان طلقك لا كلمته فيك وذلك لا شك قبل نزول آية التخيير لأن آية التخيير انما نزلت حين انقضى وقت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعتزالهن وأما أمر الدلالة على أن أمر سودة كان قبل نزول هذه الآية ان الله انما أمر نبيه بتخيير نسائه بين فراقه والمقام معه على الرضا بأن لا قسم لهن وأنه يرجى من يشاء منهن ويؤوي منهن من يشاء ويؤثر من شاء منهن على من شاء ولذلك قال له تعالى ذكره ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن ومن المحال أن يكون الصلح بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم جرى على تركها يومها لعائشة في حال لا يوم لها منه وغير جائز أن يكون كان ذلك منها الا في حال كان لها منه يوم هو لها حق كان واجبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أداؤه اليها ولم يكن ذلك لهن بعد التخيير لما قد وصفت قبل فيما مضى من كتابنا هذا فتأويل الكلام لا يحل لك يا محمد النساء من بعد اللواتي أحللتهن لك في الآية قبل ولا أن تطلق نساءك اللواتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة فتبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسن من أردت أن تبدل به منهن إلا ما ملكت يمينك وأن في قوله أن تبدل بهن رفع لأن معناها لا يحل لك النساء من بعد ولا الاستبدال بأزواجك والا في قوله الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء ومعنى ذلك لا يحل لك النساء من بعد اللواتي أحللتهن لك الا ما ملكت يمينك من الاماء فان لك أن تملك من أي أجناس الناس شئت من الاماء وقوله وكان الله على كل شئ رقيبا يقول وكان الله على كل شئ

كأنه قال أحللناها لك ان وهبت لك نفسها وأنت تريد أن تستنكحها وفيه أنه لابد من قبول الهبة حتى يتم النكاح وبه استدل أبو حنيفة على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة وحملها الشافعي على خصائص النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي الحسن الكرخي أن عقد النكاح بلفظ الاجارة جائز لقوله اللاتي آتيت أجورهن قال أبو بكر الرازي لا يصح لأن الاجارة عقد مؤقت وعقد النكاح مؤبد والظاهر أن خالصة حال من امرأة وقال جار الله هي مصدر مؤكد كوعد الله أي خلص لك الاحلال خلوصا وفائدة هذا الحال على مذهب الشافعي ظاهرة وقال أبو حنيفة أراد بها أنها زوجته وهي من أمهات المؤمنين فأورد عليه أن أزواجه كلهن خالصات له فلا يبقى لتخصيص الواهبة فائدة وقوله (قد علمنا ما فرضنا عليهم) جملة اعتراضية معناها أن الله قد علم ما يجب على المؤمنين في حق الأزواج وفي الاماء على أي حد وصفة ينبغي أن يكون ثم بين غاية الاحلال بقوله (لكيلا يكون عليك حرج) أي لئلا يكون عليك ضيق في دينك ولا في دنياك حيث أحللنا لك أصناف المنكوحات (وكان الله غفورا) للذي وقع في الحرج (رحيما) بالتوسعة والتيسير على عباده ثم بين أنه أحل له وجوه المعاشرة بين من غير ايجاب قسم بينهن لانه صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى أمته كالسيد المطاع فزوجاته كالمملوكات فلا قسم لهن والارجاء التأخير والايواء الضم وهما خبران في معنى الامر (ومن ابتغيت ممن عزلت) يعني اذا طلبت من كنت تركتها (فلا جناح عليك) في شيء من ذلك وهذه قسمة جامعة للغرض لانه اما أن يطلق واما أن يمسك واذا أمسك ضاجع أو ترك المعزولة أو يبتغيها يروى أنه أرجأ منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وأم حبيبة وكان يقسم لمن ماشاء كما شاء وكانت ممن آوى اليه

ما أحل لك وحرم عليك وغير ذلك من الاشياء كلها حفيظا لا يعزب عنه علم شيء من ذلك ولا يؤوده حفظ ذلك كله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكان الله على كل شيء رقيبا أي حفيظا في قول الحسن وقتادة ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما ﴾ يقول تعالى ذكره لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله لا تدخلوا بيوت نبي الله الا أن تدعوا الى طعام تطعمونه غير ناظرين إناه يعني غير منتظرين ادراكه وبلوغه وهو مصدر من قولهم قد أنى هذا الشيء يأني اني وأنيا واناء قال الحطيئة

وآنيت العشاء الى سهيل ٭ أو الشعرى فطال بي الاناء

وفيه لغة أخرى يقال قد آن لك أي تبين لك أينا ونال لك وأنال لك ومنه قول رؤبة بن العجاج

هاجت ومثلي نوله أن يربعا ٭ حمامة ناحت حماما سجعا

ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله الى طعام غير ناظرين إناه قال متحينين نضجه **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس غير ناظرين إناه يقول غير ناظرين الطعام أن يصنع **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة غير ناظرين إناه قال غير متحينين طعامه **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة مثله ونصب غير في قوله غير ناظرين إناه على الحال من الكاف والميم في قوله الا أن يؤذن لكم لأن الكاف والميم معرفة وغير نكرة وهي من صفة الكاف والميم وكان بعض نحويي البصرة يقول لا يجوز في غير الجر على الطعام الا أن تقول أنتم ويقول ألا ترى أنك لو قلت أبدى لعبد الله على امرأة مبغضا لها لم يكن فيه الا النصب الا أن تقول مبغض لها هو لأنك اذا أجريت صفته عليها ولم تظهر الضمير الذي يدل على أن الصفة له لم يكن كلاما لو قلت هذا رجل مع امرأة ملازمها كان لحنا حتى ترفع فتقول ملازمها أو تقول ملازمها هو فتجر وكان بعض نحويي الكوفة يقول لو جعلت غير في قوله غير ناظرين إناه خفضا كان صوابا لأن قبلها الطعام وهو نكرة فيجعل فعليهم تابعا للطعام لرجوع ذكر الطعام في اناه كما تقول العرب رأيت زيدا مع امرأة محسنا اليها ومحسن اليها فمن قال محسنا جعله من صفة زيد ومن خفضه فكأنه قال رأيته مع التي يحسن اليها فاذا صارت الصلة للنكرة اتبعتها وان كانت فعلا لغير النكرة كما قال الأعشى

فقلت له هذه هاتها ٭ الينا بأدماء مقتادها

فجعل المقتاد تابعا لاعراب بأدماء لانه بمنزلة قولك بأدماء تقتادها فخفضه لانه صلة لها قال ويشهد ٭ بأدماء مقتادها ٭ بخفض الادماء لاضافتها الى المقتاد قال ومعناه هاتها

عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب وروى أنه كان يسوى مع ما خير فيه الاسودة فانها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقنى حتى أحشر فى زمرة نسائك وقيل أراد ترك تزوج من شئت من نساء أمتك وتتزوج من شئت وعن الحسن وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خطب امرأة لم يكن لاحد أن يخطبها حتى يدعها ومن قال ان القسم كان واجبا مع أنه ضعيف بالنسبة الى مفهوم الآية قال المراد تؤخر من ان شئت اذ لا يجب القسم فى الاول وللزوج أن لا ينام عند أحد منهن (ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك) فى ذلك فابدأ بمن شئت وتم الدور والاول أقوى ثم قال (ذلك) التفويض الى مشيئتك (أدنى) الى قرة عيونهن وقلة حزنهن والى رضاهن جميعا لانه اذا لم يجب عليه القسم ثم انه يقسم بينهن حلهن ذلك على تلطفه وتخلصه وفى قوله (والله يعلم ما فى قلوبكم) وعيد لمن لم يرض منهن بما دبر الله له (وكان الله عليما) بذات الصدور (حليما) مع ذلك لا يعاجل بالعقوبة فتحالباب التوبة وقوله (كلهن) بالرفع تأكيد لنون يرضين وقرئ بالنصب تأكيدا لضمير المفعول فى آتيتهن ثم انه سبحانه شكر لأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم اختيارهن الله ورسوله فأنزل (لا يحل لك النساء من بعد) قال أكثر المفسرين أى من بعد التسع المذكورة فالتسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الازواج كما أن الاربع نصاب أمته منهن وانه تعالى زاد فى اكرامهن بقوله (ولا أن تبدل بهن) أى ولا يحل لك أن تستبدل بهؤلاء التسع أزواجا أخر بكلهن أو بعضهن وأكد النفى بقوله (من أزواج) وفائدته استغراق جنس جماعات الازواج بالتحريم وذهب بعضهم الى أن الآية ليس فيها تحريم غيرهن ولا المنع من طلاقهن والمعنى لا يحل لك النساء من بعد اللواتى نص على احلالهن من الأجناس الاربعة وأما غيرهن من الكتابيات والاماء بالنكاح والأعرابيات والغرائب فلا يحل لك التزوج بهن

على يدى من اقتادها وأنشد أيضا

وان امرأ أهدى اليك ودونه * من الارض موماة وبيداء فيهق
لمحفوقة أن تستجيبى لصوته * وأن تعلمى أن المعان موفق

وحكى عن بعض العرب سماعا ينشد

أرأيت اذ أعطيتك الود كله * ولم يك عندى ان أبيت إباء
أمسلمتى لموت أنت فيت * وهل للنفوس المسلمات بقاء

ولم يقل فيت أنا وقال الكسائى سمعت العرب تقول يدك باسطها يريدون أنت وهو كثير فى الكلام قال فعلى هذا يجوز خفض غير * والصواب من القول فى ذلك عندنا القول باجازة جر غير فى غير ناظرين فى الكلام لما فى القراءة لما ذكرنا من الابيات التى حكيناها فأما فى القراءة فغير جائز فى غير غير النصب لاجماع الحجة من القراء على نصبها وقوله ولكن اذا دعيتم فادخلوا يقول ولكن اذا دعاكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فادخلوا البيت الذى أذن لكم بدخوله فاذا طعمتم فانتشروا يقول واذا أكلتم الطعام الذى دعيتم لأكله فانتشروا يعنى فتفرقوا واخرجوا من منزله ولا مستأنسين لحديث فقوله ولا مستأنسين لحديث فى موضع خفض عطفا به على ناظرين كما يقال فى الكلام أنت غير ساكت ولا ناطق وقد يحتمل أن يقال مستأنسين فى موضع نصب عطفا على معنى ناظرين لان معناه الا أن يؤذن لكم الى طعام لا ناظرين اناه فيكون قوله ولا مستأنسين نصبا حينئذ والعرب تفعل ذلك اذا حالت بين الاول والثانى فترد أحيانا على لفظ الاول وأحيانا على معناه وقد ذكر الفراء أن أبا القمقام أنشده

أحبك لست الدهر رأى رامد * ولا عاقل الا وأنت حبيب
ولا مصعد فى المصعدين لمنجح * ولا هابط ما عشت هضب شطيب

فرد مصعد على أن رأى فيه باء خافضة اذ حال بينه وبين المصعد بما حال بينهما من الكلام ومعنى قوله ولا مستأنسين لحديث ولا متحدثين بعد فراغكم من أكل الطعام اياسا من بعضكم لبعض به كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا مستأنسين لحديث بعد أن تأكلوا واختلف أهل العلم فى السبب الذى نزلت هذه الآية فيه فقال بعضهم نزلت بسبب قوم طعموا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وليمة زينب بنت جحش ثم جلسوا يتحدثون فى منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبرسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله حاجة فمنعه الحياء من أمرهم بالخروج من منزله ذكر من قال ذلك حدثنى عمران بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث قال ثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش فبعثت داعيا الى الطعام فدعوت فيجىء القوم يأكلون ويخرجون ثم يجىء القوم يأكلون ويخرجون فقلت يا نبى الله قد دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه قال ارفعوا طعامكم وان زينب جالسة فى ناحية البيت وكانت قد أعطيت جمالا وبقى ثلاثة نفر يتحدثون فى البيت وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم منطلقا نحو حجرة عائشة فقال السلام عليكم أهل

ه ولا أن تبدل بهن من فعل الجاهلية وهو قولهم بادلني بامرأتك وأبادلك بامرأتي فكان ينزل كل واحد منهما عن امرأته لصاحبه

ن عيينة بن حصن دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة من غير استئذان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عيينة أين الاستئذان فقال يا رسول الله ما استأذنت على رجل قط ممن مضى منذ أدركت ثم قال من هذه الحميلة الى جنبك فقال هذه عائشة أم المؤمنين قال عيينة أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق فقال عليه السلام ان الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة من هذا يا رسول الله قال أحمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه وقوله (ولو أعجبك حسنهن) في موضع الحال أي مفروضا اعجابك بهن قال جار الله والأظهر أن جوابه محذوف يدل عليه ما قبله وهو لا يحل وفائدة هذه الشرطية التأكيد والمبالغة واستثنى ممن حرم عليه الاماء وفي قوله (وكان الله على كل شئ رقيبا) تحذير من مجاوزة حدوده واعلم أن ظاهر هذه الآية ناسخ لما كان قد ثبت له صلى الله عليه وسلم من تحريم مرغوبته على زوجها وفيه حكمة خفية وذلك أن الانبياء يشتد عليهم برحاء الوحي في أول الامر ثم يستأنسون به فينزل عليهم وهم يتحدثون مع أصحابهم فكان الحاجة الى تفريغ بال النبي تكون في أول الامر أكثر لوهي القوة ولعدم إلفه بالوحي فاذا تكاملت قوته وحصل إلفه بتعاقب الوحي لم يبق له الالتفات الى غير الله فلم يحتج الى احلال التزوج بمن وقع بصره عليها وعن عائشة ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء تعني أن الآية نسخت ونسخها إنما بالسنة عند من يجوز نسخ القرآن

ت فقالوا وعليك السلام يا رسول الله كيف وجدت أهلك قال فأتى حجر نسائه فقالوا مثل
ك عائشة فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فاذا الثلاثة يتحدثون في البيت وكان النبي صلى الله
يه وسلم شديد الحياء فخرج النبي صلى الله عليه وسلم منطلقا نحو حجرة عائشة فلا أدري أخبرته
و أن الرهط قد خرجوا فرجع حتى وضع رجله في أسكفة داخل البيت والاخرى خارجه
ى الستر بيني وبينه وأنزلت آية الحجاب حدثني أبو معاوية بشر بن دحية قال ثنا سفيان
ي الزهري عن أنس بن مالك قال سألني أبي بن كعب عن الحجاب فقلت أنا أعلم الناس به نزلت
ذ زينب أم المؤمنين صلى الله عليه وسلم بنى وسويق فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا
ت النبي الا أن يؤذن لكم الى قوله ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن حدثني أحمد بن عبد الرحمن
وهب قال ثني عمي قال أخبرني يونس عن الزهري قال أخبرني أنس بن مالك أنه كان
ي عشر سنين مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فكنت أعلم الناس بشأن الحجاب
ما أنزل في مبتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش أصبح رسول الله صلى الله
يه وسلم بها عروسا فدعا القوم فأصابوا من الطعام حتى خرجوا وبقي منهم رهط عند رسول الله
لى الله عليه وسلم فأطالوا المكث فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج وخرجت معه لكي
خرجوا فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشيت معه حتى جاء عتبة حجرة عائشة زوج النبي
لى الله عليه وسلم ثم ظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى
دخل على زينب فاذا هم جلوس لم يقوموا فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجعت معه
ى قام فخرجوا فضرب بيني وبينه سترا وأنزل الحجاب حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن
عدي عن حميد عن أنس قال دعوت المسلمين الى وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة
زينب بنت جحش فأوسعهم خبزا ولحما ثم رجع كما كان يصنع فأتى حجر نسائه فسلم عليهن
عون له ورجع الى بيته وأنا معه فلما انتهينا الى الباب اذا رجلان قد جرى بهما الحديث في ناحية
ت فلما أبصرهما ولى راجعا فلما رأيا النبي صلى الله عليه وسلم ولى عن بيته وليا مسرعين فلا
ري أأخبرته أو أخبر فرجع الى بيته فأرخى الستر بيني وبينه ونزلت آية الحجاب حدثنا ابن
ر قال ثنا ابن أبي عدي عن حميد عن أنس بن مالك قال قال عمر بن الخطاب قلت لرسول
صلى الله عليه وسلم لو حجبت عن أمهات المؤمنين فانه يدخل عليك البر والفاجر فنزلت آية
ب حدثني القاسم بن بشر بن معروف قال ثنا سليمن بن حرب قال ثنا حماد
يد عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس بن مالك قال أنا أعلم الناس بهذه الآية آية الحجاب لما
ت زينب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع طعاما ودعا القوم فجاؤا فدخلوا وزينب مع
ول الله صلى الله عليه وسلم في البيت وجعلوا يتحدثون وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
رج ثم يدخل وهم قعود قال فنزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الى
ومن من وراء حجاب قال فقام القوم وضرب الحجاب حدثني عمر بن اسمعيل بن مجالد قال
ثنا عن بيان عن أنس بن مالك قال بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من نسائه فأرسلني
عون قوما الى الطعام فلما أكلوا وخرجوا قام رسول الله صلى الله عليه وسلم منطلقا قبل بيت

واحد وإما بقوله انا احللنا لك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف ثم عاد الى ارشاد الأمة وحالهم مع النبي إما حال الخلوة
صحابه احترام أهله وأشار اليه بقوله لا تدخلوا وإما حال الملأ فالواجب وقتئذ التعظيم بكل ما أمكن وذلك قوله ان الله وملائكته

كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه فقيل لاتدخلوا يا هؤلاء المتحينون للطعام الا
الاذن أى مأذونين والا غير ناظرين اناه وانى الطعام ادراكه أنى الطعام انى نحو فلانه فلى وقيل اناه وقته فقد تلخص ل

مشروط بكونه الى الطعام فلزم منه أن لا يجوز الدخول اذا لم يكن الاذن الى طعام كالدخول بالاذن لاستماع كلام مثلا فأجيب بأن الخطاب مع قوم كانوا موصوفين بالتحين للطعام فمنعوا من الدخول فى وقته من غير اذن وجوز بعضهم أن يكون فى الكلام تقديم وتأخير أى لاتدخلوا الى طعام الا أن يؤذن لكم فلا يكون منعا من الدخول فى غير وقت الطعام بغير الاذن والاول أولى ولا يشترط فى الاذن التصريح به اذا حصل العلم بالرضا جاز الدخول ولهذا قيل الا أن يؤذن على البناء للمفعول ليشمل اذن الله واذن الرسول أو العقل المؤيد بالدليل وقوله (فانتشروا) للوجوب وليس كقوله فاذا قضيت الصلاة فانتشروا وذلك للدليل العقلى على أن بيوت الناس لا تصلح للمكث بعد الفراغ مما دعى لأجله وللدليل النقلى وذلك قوله (ولا مستأنسين لحديث) وهو مجرور معطوف على ناظرين أو منصوب على الحال أى لاتدخلوها هاجمين ولا مستأنسين يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولم على زينب بتمر وسويق وشاة وأمر أنسا أن يدعو بالناس فترادفوا أفواجا الى أن قال يا رسول الله دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس وبقى ثلاثة نفر يتحدثون فأطالوا فقام رسول الله ليخرجوا فانطلق الى حجرة عائشة فقال السلام عليكم أهل البيت فقالوا وعليك السلام يا رسول الله كيف وجدت أهلك وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون له ورجع فاذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء وذلك قوله (ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم) أى من اخراجكم فلما رأوه متوليا خرجوا

عائشة فرأى رجلين جالسين فانصرف راجعا فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت
الا أن يؤذن لكم حدثنا عمرو بن على قال ثنا أبو داود قال ثنا المسعودى قال ثنا
نهشل عن أبى وائل عن عبد الله قال أمر عمر نساء النبى صلى الله عليه وسلم بالحجاب فقالت
يا ابن الخطاب انك لتغار علينا والوحى ينزل فى بيوتنا فأنزل الله واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن
من وراء حجاب حدثنى محمد بن مرزوق قال ثنا أشهل بن حاتم قال ثنا ابن عون عن
عمرو بن سعيد عن أنس قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم وكان يمر على نسائه قال
بامرأة عروس ثم جاء وعندها قوم فانطلق فقضى حاجته واحتبس وعاد وقد خرجوا قال فرخى
فأرخى بينى وبينه سترا قال فحدثت أبا طلحة فقال ان كان كما تقول ليمرن فى هذا شيئا
ونزلت آية الحجاب * وقال آخرون كان ذلك فى بيت أم سلمة ذكر من قال ذلك حدثنا
قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا
ولا مستأنسين لحديث قال كان هذا فى بيت أم سلمة قال أكلوا ثم أطالوا الحديث فجعل
صلى الله عليه وسلم يدخل ويخرج ويستحيى منهم والله لا يستحيى من الحق * قال ثنا سعيد
عن قتادة واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب قال بلغنا أنهن أمرن بالحجاب عند
وقوله ان ذلكم كان يؤذى النبى يقول ان دخولكم بيوت النبى من غير أن يؤذن لكم وجلوسكم
مستأنسين لحديثه بعد فراغكم من أكل الطعام الذى دعيتم له كان يؤذى النبى فيستحيى
أن يخرجكم منها اذا قعدتم فيها لحديثه بعد الفراغ من الطعام أو يمنعكم من الدخول اذا دخلتم
اذن مع كراهيته لذلك منكم والله لا يستحيى من الحق أن يتبين لكم وان استحيا نبيكم فلم يتبين
كراهية ذلك حياء منكم واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب يقول واذا سألتم أزواج
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونساء المؤمنين اللواتى لسن لكم بأزواج متاعا فاسألوهن من وراء
حجاب يقول من وراء ستر بينكم وبينهن ولا تدخلوا عليهن بيوتهن ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن
يقول تعالى ذكره سؤالكم اياهن المتاع اذا سألتموهن ذلك من وراء حجاب أطهر لقلوبكم وقلوبهن
من عوارض الغين فيها التى تعرض فى صدور الرجال من أمر النساء وفى صدور النساء من
الرجال وأحرى من أن لا يكون للشيطان عليكم وعليهن سبيل * وقد قيل ان سبب أمر الله
بالحجاب انما كان من أجل أن رجلا كان يأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة معه
فأصابت يدها يد الرجل فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا
يعقوب قال ثنا هشيم عن ليث عن مجاهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم
بعض أصحابه فأصابت يد رجل منهم يد عائشة فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
الحجاب * وقيل نزلت من أجل مسألة عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا
أبو كريب ويعقوب قالا ثنا هشيم قال ثنا حميد الطويل عن أنس قال قال عمر بن الخطاب
قلت يا رسول الله ان نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن قال فنزلت
الحجاب حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا حميد عن أنس عن النبى صلى الله
عليه وسلم بنحوه حدثنى أحمد بن عبد الرحمن قال ثنى عمرو بن عبد الله بن وهب قال

ى عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت ان أزواج النبى صلى الله عليه وسلم كن يخرجن
يل اذا تبرزن الى المناصع وهو صعيد أفيح وكان عمر يقول يارسول الله احجب نساءك فلم يكن
ون الله صلى الله عليه وسلم يفعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبى صلى الله عليه وسلم
ان امرأة طويلة فناداها عمر بصوته الأعلى قد عرفناك ياسودة حرصا أن ينزل الحجاب قال
زل الله الحجاب **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن هشام بن عروة عن أبيه عن
ة قالت خرجت سودة لحاجتها بعد ما ضرب علينا الحجاب وكانت امرأة تفرع النساء طولا
ر فناداها عمر فناداها ياسودة انك والله ما تخفين علينا فانظرى كيف تخرجين أو كيف تصنعين
كت فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه ليتعشى فأخبرته بما كان وما قال لها
ى يده لعرقا فأوحى اليه ثم رفع عنه وان العرق لفى يده فقال قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن
حدثنى أحمد بن محمد الطوسى قال ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال ثنا همام قال ثنا
ن السائب عن أبى وائل عن ابن مسعود قال أمر عمر نساء النبى صلى الله عليه وسلم بالحجاب
ت زينب يا ابن الخطاب انك لتغار علينا والوحى ينزل فى بيوتنا فأنزل الله واذا سألتموهن متاعا
وهن من وراء حجاب **حدثنى** أبو أيوب النهرانى سليمن بن عبد الحميد قال ثنا يزيد
عبد ربه قال نبى ابن حرب عن الزبيدى عن الزهرى عن عروة عن عائشة أن أزواج
ى صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل اذا تبرزن الى المناصع وهو صعيد أفيح وكان عمر بن
طاب يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم احجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالى عشاء وكانت امرأة
يلة فناداها عمر بصوته الأعلى قد عرفناك ياسودة حرصا على أن ينزل الحجاب قالت عائشة
زل الله الحجاب قال الله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا الآية وقوله وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله
الى ذكره وما ينبغى لكم أن تؤذوا رسول الله وما يصلح ذلك لكم ولا أن تنكحوا أزواجه
عده أبدا يقول وما ينبغى لكم أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا لأنهن أمهاتكم ، لا يحل للرجل
تزوج أمه وذكر أن ذلك نزل فى رجل كان يدخل قبل الحجاب قال لئن مات محمد لأتزوجن
ن نسائه سماها فأنزل الله تبارك وتعالى فى ذلك وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن
نكحوا أزواجه من بعده أبدا ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال
ن زيد فى قوله وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلك
ن عند الله عظيما قال ربما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم أن الرجل يقول لو أن النبى صلى الله عليه
سلم توفى تزوجت فلانة من بعده قال فكان ذلك يؤذى النبى صلى الله عليه وسلم فنزل القرآن
كان لكم أن تؤذوا رسول الله الآية **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال
ا داود عن عامر أن النبى صلى الله عليه وسلم مات وقد ملك قيلة بنت الأشعث فتزوجها
ة بن أبى جهل بعد ذلك فشق على أبى بكر مشقة شديدة فقال له عمر يا خليفة رسول الله
ست من نسائه انها لم يخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحجبها وقد برأها منه
ه التى ارتدت مع قومها فاطمأن أبو بكر وسكن **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا عبد الأعلى

لسماء النبى بقرينة الحال قال الراوى ان عمر كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة وكان يقول يارسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت والمتاع المساعون ومايحتاج اليه وثانى مفعولى فاسألوهن محذوف وهو المتاع المدلول عليه بما قبله (ذلكم) الذى ذكر من السؤال من وراء الحجاب (أطهر) لاجل قلوبكم لأن العين روزنة القلب ومنها تنشأ الفتنة غالبا وروى أن بعضهم قال نهينا أن نكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب لئن مات محمد لأتزوجن فلانة يعنى عائشة فأعلم الله أن ذلك محرم بقوله (وما كان) أى وماصح (لكم أن تؤذوا رسول الله) بوجه من الوجوه (ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم) الايذاء والنكاح (كان عند الله) ذنبا (عظيما) لأن حرمة الرسول ميتا كحرمته حيا ثم بين بقوله (ان تبدوا شيأ) الآية أنهم ان لم يؤذوه فى الحال ولكن عزموا على ايذائه أو نكاح أزواجه بعده فالله عالم بكل شئ فيجازيهم بحسب ذلك ثم انه لما أنزل الحجاب استثنى المحارم بقوله لا جناح عليهن أى لا اثم عليهن فى ترك الاحتجاب من هؤلاء قال فى التفسير الكبير عند الحجاب لما أمر الله الرجل بالسؤال من وراء الحجاب فيفهم كون المرأة محجوبة عن الرجل بالطريق الأولى وعند الاستثناء قال لا جناح عليهن فرفع الحجاب عنهن فالرجال أولى بذلك وقدم الآباء لان اطلاعهم على بناتهم أكثر فقد رأوهن فى حالة

ثم الابناء ثم الاخوة وقدم بنى الاخوة لان بنى الاخوات آباؤهم ليسوا بمحارم انما هم أزواج حالات أبنائهم فقد يصف الابن حالته عند
ن ذلك نوع مفسدة فأوجبت المباشرة عن رتبة المحرمية ولم يذكر العم والخال لانهما يجريان مجرى الوالدين أو لأنهما قد يصفان لابنائهما

وأبناؤهما غير محارم وقد يستدل بقوله (ولا نسائهن) مضافا الى المؤمنات انه لا يجوز التكشف للكافرات في وجه واخر المحاليك لان

كالأمر الضروري والا فالمفسدة في التكشف لهم ظاهرة ولهذا عقبه بقوله (واتقين) فان التكشف لهم

بشرط سلامة العاقبة والأمن من الفتنة ومنهم من قال المراد من كان منهم دون البلوغ قال جار الله في نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب في قوله واتقين فضل تشديد وبعث على سلوك طريقة التقوى فيما أمرن به من الاحتجاب كأنه قيل وليكن عملكن في الحجب أحسن مما كان وأتقن غير محتجبات ليفضل سركن علنكن ثم أكد الكل بقوله (ان الله كان على كل شيء شهيدا) وفيه أنه لا يتفاوت في علمه ظاهر الحجاب وباطنه ثم كمل بيان حرمة النبي بأنه محترم في الملا الأعلى فليكن واجب الاحترام في الملا الأدنى وقد مر معنى الصلاة في السورة وانما قال هناك هو الذي يصلي عليكم وملائكته وقال ههنا (ان الله وملائكته يصلون) ليلزم منه تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لأن افراد الواحد بالذكر وعطف الغير عليه يوجب تفضيلا للمذكور على المعطوف فكأنه سبحانه شرف الملائكة بضمهم مع نفسه بواسطة صلاتهم على النبي صلى الله عليه وسلم استدل الشافعي بقوله (صلوا عليه وسلموا) وظاهر الامر للوجوب أن الصلاة في التشهد واجبة وكذا التسليم لانه لا يجب بالاتفاق في غير الصلاة فيجب فيها وذكر المصدر للتأكيد ليكمل السلام عليه وهو قول المصلي السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ولم يؤكد الصلاة هذا التأكيد لأنها كانت مؤكدة بقوله ان الله وملائكته يصلون وسئل النبي كيف نصلي عليك يا رسول الله فقال قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وعنه صلى الله عليه

قال

قال ثنا داود عن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وقد ملك بنت الأشعث بن قيس ولم يحامها فذكر نحوه وقوله ان ذلكم كان عند الله عظيما يقول ان أذاكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونكاحكم أزواجه من بعده عند الله عظيم من الاثم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ان تبدوا شيأ أو تخفوه فان الله كان بكل شيء عليما ﴾ يقول تعالى ذكره ان تظهروا بألسنتكم شيأ أيها الناس من مراقبة النساء أو غير ذلك مما نهاكم عنه أو أذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقول لأزواجه من بعد وفاته أو تخفوه يقول أو تخفوا ذلك في أنفسكم فان الله كان بكل شيء عليما يقول فان الله يعلم ذلك منكم وبغيره من أموركم وأمور غيركم عليم لا يخفى عليه شيء وهو يجازيكم على جميع ذلك ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شيء شهيدا ﴾ يقول تعالى ذكره لا حرج على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شيء شهيدا وقد اختلف أهل التأويل في المعنى الذي وضع عنهن الجناح في هؤلاء فقال بعضهم وضع عنهن الجناح في ذلك جلابيبهن عندهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن أبي ليلى عن عبد الكريم عن مجاهد في قوله لا جناح عليهن في آبائهن الآية كلها قال أن تضع الجلباب حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله لا جناح عليهن في آبائهن ومن ذكر معه أن يروهن * وقال آخرون وضع عنهن الجناح فيهن في ترك الاحتجاب ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله لا جناح عليهن في آبائهن الآية رخص لهؤلاء أن لا يحتجبن منهم * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال وضع الجناح عنهن في هؤلاء المسمين أن لا يحتجبن منهم وذلك أن هذه الآية عقيب آية الحجاب ومن بعد قول الله واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب فلا يكون قوله لا جناح عليهن في آبائهن استثناء من جملة الذين أمروا بسؤالهن المتاع من وراء الحجاب اذا سألوهن ذلك وأشبه من أن يكون خبرا مبتدأ عن غير ذلك المعنى فتأويل الكلام اذا لا اثم على نساء النبي صلى الله عليه وسلم وأمهات المؤمنين في اذنهن لآبائهن وترك الحجاب منهن ولا لأبنائهن ولا لاخوانهن ولا لأبناء اخوانهن وعنى باخوانهن وأبناء اخوانهن أخوتهن وأبناء اخوتهن وخرج معهم جمع فتى فاذا جمع فتى اذا جمع فتيان فكذلك جمع أخ اذا جمع اخوان وأما اذا جمع اخوة فذلك نظير جمع فتى اذا جمع فتية ولا أبناء اخوانهن ولم يذكر في ذلك العم على ما قال الشعبي حذارا من أن يضعن لأبنائه حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا حجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن داود عن عكرمة وعن الشعبي في قوله لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن قلت ما شأن العم والخال لم يذكرا قال لأنهما يصفانهن لأبنائهما وكرها أن تضع خمارها عند خالها وعمها حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو الوليد قال ثنا حماد عن داود عن عكرمة والشعبي نحوه غير أنه لم يذكر ينعتانها وقوله ولا نسائهن ولا جناح عليهن أيضا في أن لا يحتجبن من نساء المؤمنين كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن

من صلى على مرة صلى الله عليه عشرا ومن العلماء من أوجب الصلاة كلما جرى ذكره لما روى في الحديث من ذكرت عنده فلم يصل على فدخل النار فأبعده الله ومنهم من أوجبها في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في أوله وآخره ومنهم من أوجبها في العمر مرة وكذا قال في اظهار الشهادتين والأحوط هو الأول وهو الصلاة عليه عند كل ذكر وأما الصلاة على غيره فقد مر الخلاف فيها في سورة التوبة في قوله وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم ثم رتب الوعيد على ايذاء الله ورسوله فيجوز أن يكون ذكر الله توطئة وتشريفا واعلاما بأن ايذاء رسول الله هو ايذاء الله كقوله تعالى فاتبعوني يحببكم الله ويجوز أن يراد بايذاء الله الشرك به ونسبته الى ما لا يجوز عليه وعن عكرمة هو فعل أصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين خلق كخلق الله وقيل أذى رسول الله قولهم انه ساحر وشاعر أو كاهن أو مجنون وقيل طعنهم عليه في نكاح صفية بنت حيي والأظهر التعميم وعن بعضهم أن اللعن في الدارين هو جزاء من يؤذي الله واعداد العذاب المهين هو جزاء من يؤذي رسول الله ولعل الفرق لاغ ثم رتب وعيدا آخر على ايذاء المؤمنين والمؤمنات ولكن قيده بقوله بغير ما اكتسبوا لانه اذا صدر عن أحدهم ذنب جاز ايذاؤه على الوجه المحدود في الشرع ولعل المراد هو الايذاء القولي لقوله (فقد احتملوا بهتانا) ويحتمل أن يقال احتمال البهتان سببه الايذاء القولي واحتمال الاثم المبين سببه الايذاء الفعلي ويحتمل أن يكون كلاهما وعبد الايذاء القولي وانما وقع الاكتفاء به لأنه أجرح

قال قال ابن زيد في قوله ولا نسائهن قال نساء المؤمنات الحرائر ليس عليهن جناح أن يرين تلك الزينة قال وانما هذا كله في الزينة قال ولا يجوز للمرأة أن تنظر الى شيء من عورة المرأة قال ولو نظر الرجل الى فخذ الرجل لم أر به بأسا قال ولا ما ملكت أيمانهن فليس ينبغي لها أن تكشف قرطها للرجل قال وأما الكحل والخاتم والخضاب فلا بأس به قال والزوج له فضل والآباء من وراء الرجل لهم فضل قال والآخرون يتفاضلون قال وهذا كله يجمعه ما ظهر من الزينة قال وكان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لا يحتجبن من المماليك وقوله ولا ما ملكت أيمانهن من الرجال والنساء وقال آخرون من النساء وقوله واتقين الله يقول وخفن الله أيها النساء أن تتعدين ما حد الله لكن فتبدين من زينتكن ما ليس لكن أن تبدينه أو تتركن الحجاب الذي أمركن الله بلزومه الا فيما أباح لكن تركه ولزمن طاعته ان الله كان على كل شيء شهيدا يقول تعالى ذكره ان الله شاهد على ما تفعلنه من احتجابكن وتركككن الحجاب لمن أبحت لكن ترك ذلك له وغير ذلك من أموركن يقول فاتقين الله في أنفسكن لا تلقين الله وهو شاهد عليكم بمعصيته وخلاف أمره ونهيه فتهلكن فانه شاهد على كل شيء ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ يقول تعالى ذكره ان الله وملائكته يبرّكون على النبي محمد صلى الله عليه وسلم كما حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه يقول يباركون على النبي وقد يحتمل أن يقال ان معنى ذلك أن الله يرحم النبي وتدعوله ملائكته ويستغفرون وذلك أن الصلاة في كلام العرب من غير الله انما هو دعاء وقد بينا ذلك فيما مضى من كتابنا هذا بشواهده فأغنى ذلك عن اعادته يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه يقول تعالى ذكره يا أيها الذين آمنوا ادعوا النبي الله محمد صلى الله عليه وسلم وسلموا عليه تسليما يقول وحيوه تحية الاسلام * وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون عن عنبسة عن عثمان بن موهب عن موسى بن طلحة عن أبيه قال أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال سمعت الله يقول ان الله وملائكته يصلون على النبي الآية فكيف الصلاة عليك فقال قل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد حدثني جعفر بن محمد الكوفي قال ثنا يعلى بن الأجلح عن الحكم بن عتيبة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قلت اليه فقلت السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة عليك يا رسول الله قال قل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد حدثنا أبو كريب قال ثنا مالك بن اسمعيل قال ثنا أبو اسرائيل عن يونس بن خباب قال خطبنا بفارس فقال ان الله وملائكته الآية فقال أتاني من سمع ابن عباس يقول هكذا أنزل فقلنا أو قالوا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك فقال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن زياد

لقلب ولا مكان الاستدلال به على الفعلي ولأن ايذاء الله لا يكون الا بالقول الا اذا جعل السجود للصنم ايذاء قيل نزلت في ناس من المنافقين كانوا يؤذون عليا رضي الله عنه وقيل في افك عائشة وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات ثم أراد أن يدفع عن أهل بيت نبيه

وعن أمته المثالب التي هي مظان لصوق العار فقال (يا أيها النبي) الاية ومعنى (يدنين عليهن) يرخين عليهن يقال للمرأة اذا زل الثوب عن وجهها أدنى ثوبك على وجهك ومعنى التبعيض في (من جلابيبهن) أن يكون للمرأة جلابيب فتقتصر على واحد منها أو أريد طرف من الجلباب الذي لها وكانت النساء في أول الاسلام على عادتهن في الجاهلية متبذلات يبرزن في درع وخمار من غير فصل بين الحرة والامة فأمرن بلبس الأردية والملاحف وستر الرأس والوجوه (ذلك) الادناء (أدنى) وأقرب الى (أن يعرفن) أنهن حرائر أو أنهن لسن بزانيات فان التي سترت وجهها أولى بأن تستر عورتها (فلا يؤذين) لاهن ولا رجالهن أقاربهن لان أكثر الايذاء والطعن انما يتفق من جهة نساء العشيرة اذا كن مرئيات فضلا عن كونهن مزينات (وكان الله غفورا) لما قد سلف (رحيما) حين أرشدكم الى هذا الأدب الجميل ولما أوعدهم بعذاب الآخرة خوفهم بعقاب الدنيا قائلا (لئن لم ينته المنافقون) عن الايذاء (والذين في قلوبهم مرض) وهم الضعفة الايمان أو الزناة وأهل الفجور (والمرجفون) في مدينة الرسول وهم الخائضون في أخبار السوء من غير حقيقة سمي بذلك لكونه خبرا مترلزلا غير ثابت من الرجفة وهي الزلزلة روى أن ناسا كانوا اذا خرجت سرايا رسول الله يوقعون في الناس أنهم قتلوا أو هزموا وكانوا يقولون قد أتاكم العدو ونحو ذلك ومعنى (لنغرينك بهم) لنسلطنك عليهم وهو مجاز من قولهم أغريت الجارحة بالصيد والمراد لنأمرنك بأن تفعل ما يضطرهم الى الجلاء ثم لا يساكنونك في المدينة إلا زمانا قليلا ريثما يتأهبون فيرتحلون بأنفسهم وعيالهم ومعنى ثم تراخي الرتبة كأنه فعل بهم أفاعيل تسوءهم الى أن يبلغ حد الاضطرار فيزعجهم والمؤمنات ويجوز أن يكون قليلا منصوبا على الحال أيضا ومعناه لا يجاورونك الا أقلاء أذلاء ملعونين وفي قوله لا يجاورونك عطف على جواب

عن ابراهيم في قوله ان الله وملائكته الآية قالوا يا رسول الله هذا السلام قد عرفناه فكيف الصلاة عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وأهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد **حدثني** يعقوب الدورقي قال ثنا ابن علية قال ثنا أيوب عن محمد بن سيرين عن عبد الرحمن بن بشر بن مسعود الانصاري قال لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قالوا يا رسول الله هذا السلام قد عرفناه فكيف الصلاة وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال قولوا اللهم صل على محمد كما صليت على آل ابراهيم اللهم بارك على محمد كما باركت على آل ابراهيم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال لما نزلت هذه الآية قالوا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك قال قولوا اللهم صل على محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد كما باركت على ابراهيم وقال الحسن اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على ابراهيم انك حميد مجيد ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا﴾ يعني بقوله تعالى ذكره ان الذين يؤذون الله ان الذين يؤذون ربهم بمعصيتهم اياه وركوبهم ما حرم عليهم وقد قيل انه عنى بذلك أصحاب التصاوير وذلك أنهم يرومون تكوين خلق مثل خلق الله ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد القرشي قال ثنا يحيى بن سعيد عن سلمة بن الحجاج عن عكرمة قال الذين يؤذون الله ورسوله هم أصحاب التصاوير **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا قال ياسبحان الله ما زال أناس من جهلة بني آدم حتى تعاطوا أذى ربهم وأما أذاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو طعنهم عليه في نكاحه صفية بنت حيي فيما ذكر **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا قال نزلت في الذين طعنوا على النبي صلى الله عليه وسلم حين اتخذ صفية بنت حيي بن أخطب وقوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة يقول تعالى ذكره أبعدهم الله من رحمته في الدنيا والآخرة وأعد لهم في الآخرة عذابا يهينهم فيه بالخلود فيه وقوله والذين يؤذون المؤمنين كان مجاهد يوجه معنى قوله يؤذون الى يقفون ذكر الرواية بذلك عنه **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد والذين يؤذون قال يقفون فمعنى الكلام على ما قال مجاهد والذين يقفون المؤمنين والمؤمنات ويعيبونهم طلبا لشينهم بغير ما اكتسبوا يقول بغير ما عملوا كما **حدثني** محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله بغير ما اكتسبوا قال عملوا **حدثنا** عمر ابن علي قال ثنا عثام بن علي عن الأعمش عن مجاهد قال قرأ ابن عمر والذين يؤذون المؤمنين

والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا قال فكيف اذا أوذى بالمعروف فذلك يضاعف له العذاب حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام بن علي عن الأعمش عن نور عن ابن عمر والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا قال كيف بالذي يأتي اليهم المعروف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا فايا كم وأذى المؤمن فان الله يحوطه وينضب له وقوله فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا يقول فقد احتملوا زورا وكذبا وفرية شنيعة وبهتان أفحش الكذب واثما مبينا يقول واثما بينا لسامعه أنه اثم وزور ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين لا تتشبهن بالاماء في لباسهن اذا هن خرجن من بيوتهن لحاجتهن فتكشفن شعورهن ووجوههن ولكن ليدنين عليهن من جلابيبهن لئلا يعرض لهن فاسق اذا علم أنهن حرائر بأذى من قول ثم اختلف أهل التأويل في صفة الادناء الذي أمرهن الله به فقال بعضهم هو أن يغطين وجوههن ورؤسهن فلا يبدين منهن الا عينا واحدة ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن أمر الله نساء المؤمنين اذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤسهن بالجلابيب ويبدين عينا واحدة حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن عون عن محمد عن عبيدة في قوله يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن فلبسها عندنا ابن عون قال ولبسها عندنا محمد قال محمد ولبسها عندي عبيدة قال ابن عون يرد ثه فتقنع به فغطى أنفه وعينه اليسرى وأخرج عينه اليمنى وأدنى رداءه من فوق حتى جعله قريبا من حاجبه أو على الحاجب حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا هشام عن ابن سيرين قال سألت عبيدة عن قوله قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن قال فقال بثوبه فغطى رأسه ووجهه وأبرز ثوبه عن احدى عينيه * وقال آخرون بل أمرن أن يشددن جلابيبهن على جباههن ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن الى قوله وكان الله غفورا رحيما قال كانت الحرة تلبس لباس الأمة فأمر الله نساء المؤمنين أن يدنين عليهن من جلابيبهن وإدناء الجلباب أن تقنع وتشد على جبينها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين أخذ الله عليهن اذا خرجن أن يقنعن على الحواجب ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وقد كانت المملوكة اذا مرت تناولوها بالايذاء فنهى الله الحرائر أن يتشبهن بالاماء حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله يدنين عليهن من جلابيبهن يتجلببن فيعلم أنهن حرائر فلا يعرض لهن فاسق بأذى من قول ولا ريبة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة

قسم كانه قيل ان لم ينتهوا لا يجاورونك (سنة الله) أي سنة الله في الذين ينافقون في الانبياء أن يقتلوا حيثما ثقفوا وقال مقاتل أراد كما قتل وأسر أهل بدر (ولن تجد لسنة الله تبديلا) أي ليست هذه السنة مثل الحكم الذي يتبدل (٣٣) وينسخ فان النسخ يكون في الأحكام لا في الأفعال والأخبار ثم ان المشركين واليهود كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استهزاء وامتحانا فأمر نبيه أن يقول ان ذلك العلم مما استأثر الله ولكنها قريبة الوقوع ومعنى قريبا شيأ قريبا أو يوما أو زمانا ثم أوعدهم بما أعد لهم من عذاب السعير ومعنى تقليب وجوههم تصريفها في الجهات كالمحم يدار على النار حين يشوى أو تغييرها عن أحوالها أو تحويلها عن هيآتها أو نكسها على رؤسها والوجه عبارة عن الجملة وخص بالذكر لأنه أشرف وأكرم واذا كان الأشرف معرضا للعذاب فالأخس أولى ثم حكى أنهم يعترفون ويتمنون ولا ينفعهم شيء من ذلك ثم يطلبون بعض التشفي بالدعاء على من أضلهم قوله (ضعفين) أي ضعفا لضلالهم وضعفا لاضلالهم من قرأ (لعنا كبيرا) بالباء الموحدة فالمراد أشد اللعن وأفظعه ومن قرأ بالثاء المثلثة أراد تكثير عدد اللعن وقد علموا أن العذاب حاصل فطلبوا ما ليس بحاصل وهو زيادة العذاب وكثرة اللعن أو عظمه قوله (لا تكونوا كالذين اذوا موسى) قال المفسرون نزلت في شأن زيد وزينب وما سمع فيه من مقالة بعض الناس وايذاء موسى هو حديث الموسة التي أرادها قارون على قذف موسى أو حديث الادرة أو البرص الذي قرفوه بذلك فقر الحجر بثوبه حتى رأوه عريانا وقد مر في البقرة

وقيل انهما مهما اياه بقتل هرون وكان قد خرج معه الى الجبل فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به عليهم ميتا حتى أبصروه فعرفوا أنه غير مقتول أو أحياه الله عز وجل فأخبرهم ببراءة موسى

ومعنى (بما قالوا) من مؤذى قولهم أو من مضمون مقولهم (وكان عند الله وجيها) ذا جاه ومنزلة فلذلك كان يذب ويدفع عنه المثالب والمطاعن كما يفعل الملك بمن له عنده قربة وروى عن شنبوذ وكان عبد الله ثم أشار الى ما ينبغي أن يكون المؤمن عليه فقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) والمعنى راقبوا الله في حفظ ألسنتكم وتقويم أمركم بسداد قولكم فبتقوى الله يصلح العمل وبصلاح العمل تكفر السيئات وترفع الدرجات أمرهم أولا بالتخلية وهي ترك الايذاء وثانيا بالتحلية وهي التقوى الموجبة لتحصيل الاخلاق الفاضلة ثم علق الفوز العظيم بالطاعة المسماة بالأمانة في قوله (انا عرضنا الأمانة) فقيل العرض حقيقة وقيل أراد المقابلة أي قابلنا الأمانة بالسموات فرجحت الأمانة والعرض أسهل من الفرض ولهذا كفر ابليس بالاباء ولم يكفر هؤلاء بالاباء لأن هناك استكبارا وههنا استصغارا بدليل قوله (وأشفقن منها) وقد يقال المضاف محذوف أي عرضناها على أهل السموات والأرض والجبال وانما صير الى هذا التكلف لاستبعاد طلب الطاعة من الجمادات ولم يستبعده أهل البيان لأن المراد تصوير عظم الامانة وثقل حملها فمثلت حال التكليف في صعوبته وثقل محمله بحالة المتحملة المفروضة لو عرضت على هذه الاجرام العظام واعلم أن التكليف هو الأمر بخلاف ما في الطبيعة فهذا النوع من التكليف ليس في السموات والارض والجبال لان السماء لا يطلب منها الهبوط والارض لا يطلب منها الصعود ولا الحركة والجبال لا يطلب منها السير وكذا الملائكة ملهمون بالتسبيح والتقديس وسمى التكليف أمانة لان من قصر فيه فعليه الغرامة ومن أداه فله الكرامة فعرض الأمانة بهذا المعنى والاجل على هذه الاجرام وإباؤها من حملها هو عدم صلوحها لهذا الامر أو المراد هو التصوير المذكور وقد خص بعضهم التكليف بقول لا إله إلا الله

عمن حدثه عن أبي صالح قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة على غير منزل فكان نساء النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهن اذا كان الليل خرجن يقضين حوائجهن وكان رجال يجلسون على الطريق للغزل فأنزل الله يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن يقنعن بالجلباب حتى تعرف الأمة من الحرة وقوله ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين يقول تعالى ذكره إدناؤهن جلابيبهن اذا أدنينها عليهن أقرب وأحرى أن يعرفن ممن مررن به ويعلموا أنهن لسن بإماء فيتكبوا عن أذاهن بقول مكروه أو تعرض بريبة وكان الله غفورا لما سلف منهن من تركهن إدناءهن الجلابيب عليهن رحيما بهن أن يعاقبهن بعد توبتهن بادناء الجلابيب عليهن ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا﴾ يقول تعالى ذكره لئن لم ينته أهل النفاق الذين يستسرون الكفر ويظهرون الايمان والذين في قلوبهم مرض يعني ريبة من شهوة الزنا وحب الفجور * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو بن علي قال ثنا أبو عبد الصمد قال ثنا مالك بن دينار عن عكرمة في قوله لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض قال هم الزناة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا سعيد عن قتادة والذين في قلوبهم مرض قال شهوة الزنا * قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا أبو صالح الثمار قال سمعت عكرمة في قوله في قلوبهم مرض قال شهوة الزنا حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عمن حدثه عن أبي صالح والذين في قلوبهم مرض قال الزناة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض الآية قال هؤلاء صنف من المنافقين والذين في قلوبهم مرض أصحاب الزنا قال أهل الزنا من أهل النفاق الذين يطلبون النساء فيبتغون الزنا وقرأ فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض قال والمنافقون أصناف عشرة في براءة قال فالذين في قلوبهم مرض صنف منهم مرض من أمر النساء وقوله والمرجفون في المدينة يقول وأهل الارجاف في المدينة بالكذب والباطل وكان ارجافهم فيما ذكر كالذي حدثني بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة الآية الارجاف الكذب الذي كان نافقه أهل النفاق وكانوا يقولون أتاكم عدو وعدة وذكر لنا أن المنافقين أرادوا أن يظهروا ما في قلوبهم من النفاق فأوعدهم الله بهذه الآية قوله لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض الآية فلما أوعدهم الله بهذه الآية كتموا ذلك وأسروه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والمرجفون في المدينة هم أهل النفاق أيضا الذين يرجفون برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين وقوله لنغرينك بهم يقول لنسلطنك عليهم ولنحرشنك بهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله لنغرينك بهم يقول لنسلطنك عليهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لنغرينك بهم أي لنحملنك عليهم لنحرشنك بهم قوله ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا يقول ثم لننفينهم عن مدينتك فلا يسكنون معك فيها الا قليلا من المدة

والاظهر عندى ان الامانة هى الاستعداد الذى جبل كل نوع من المخلوقات عليه وحمل الامانة عبارة عن عدم اداء حقها كما يقال فلان ترك عليه الدين فكل من أخرج ما فى قوته الى الفعل فهو مؤد للامانة وقاض حقها والا فهو حامل لها ولا ريب أن السموات

والأجل حتى ننفيهم عنها فنخرجهم منها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا أى بالمدينة وقوله ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا يقول تعالى ذكره مطرودين منفيين أينما ثقفوا يقول حيثما لقوا من الأرض أخذوا وقتلوا لكفرهم بالله تقتيلا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ملعونين على كل حال أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا اذا هم أظهروا النفاق ونصب قوله ملعونين على الشتم وقد يجوز أن يكون القليل من صفة الملعونين فيكون قوله ملعونين مردودا على القليل فيكون معناه ثم لا يجاورونك فيها الا أقلاء ملعونين يقتلون حيث أصيبوا * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ يقول تعالى ذكره سنة الله فى الذين خلوا من قبل هؤلاء المنافقين الذين فى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم معه من ضرب هؤلاء المنافقين اذا هم أظهروا نفاقهم أن يقتلهم تقتيلا ويلعنهم لعنا كثيرا * وبنحو قولنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله سنة الله فى الذين خلوا من قبل الآية يقول هكذا سنة الله فيهم اذا أظهروا النفاق وقوله ولن تجد لسنة الله تبديلا يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولن تجد يا محمد لسنة الله التى سنها فى خلقه تغييرا فأيقن أنه غير مغير فى هؤلاء المنافقين سنته * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يسئلك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا﴾ يقول تعالى ذكره يسألك الناس يا محمد عن الساعة متى هى قائمة قل لهم انما علم الساعة عند الله لا يعلم وقت قيامها غيره وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا يقول وما أشعرك يا محمد لعل قيام الساعة يكون منك قريبا قد قرب وقت قيامها ودنا حين مجيئها * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا﴾ يقول تعالى ذكره ان الله أبعد الكافرين به من كل خير وأقصاهم عنه وأعدلهم سعيرا يقول وأعدلهم فى الآخرة نارا تتقد وتسعر ليصلوها خالدين فيها أبدا يقول ماكثين فى السعير أبدا الى غير نهاية لا يجدون وليا يتولاهم فيستنقذهم من السعير التى أصلاهموها الله ولا نصيرا ينصرهم فينجيهم من عقاب الله اياهم * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا﴾ يقول تعالى ذكره لا يجدهؤلاء الكافرون وليا ولا نصيرا فى يوم تقلب وجوههم فى النار حالا بعد حال يقولون وتلك حالهم فى النار يا ليتنا أطعنا الله فى الدنيا وأطعنا رسوله فيما جاءنا به عنه من أمره ونهيه فكنا مع أهل الجنة فى الجنة يا لها حسرة وندامة ما أعظمها وأجلها * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا﴾ يقول تعالى ذكره وقال الكافرون يوم القيامة فى جهنم ربنا انا أطعنا أئمتنا فى الضلالة وكبراءنا فى الشرك فأضلونا السبيل يقول فأزالونا عن محجة الحق وطريق الهدى والايمان بك والاقرار بوحدانيتك واخلاص طاعتك فى الدنيا ربنا آتهم ضعفين من العذاب يقول عذبهم من العذاب مثلى عذابنا الذى تعذبنا والعنهم لعنا كبيرا يقول واخزهم خزيا كبيرا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا أى رؤسنا فى الشر والشرك حدثنى

مسخرات بأمر الله كل يجرى لأجل مسمى والأرض ثابتة فى مستقرها والجبال راسخة فى أمكنتها وهكذا كل نوع من الأنواع مما يطول تعدادها واليه الاشارة بقوله سبحانه وما منا الا له مقام معلوم الا الانسان فان كثيرا من الأشخاص بل أكثرها مائلة الى أسفل السافلين الطبع فلاجرم لم يقض حق الأمانة وانحط الى رتبة الأنعام فوصف بالظلومية لانه صرف الاستعداد فى غير ما خلق لأجله وبالجهولية لأنه جهل خاصة عاقبة افساد الاستعداد أو علم ولم يعمل بعلمه فنفى عنه العلم لانتفاء ثمرته فاللام فى الانسان للجنس وحمل الشئ على بعض الجنس يكفى فى صدقه على الجنس وفيه لطيفة أخرى مذكورة فى تأويل آخر سورة البقرة وذكروا فى سبب الاشفاق أن الامانة لا تقبل اما لعزتها ونفاستها كالجواهر الثمينة أو لصعوبة حفظها كالزجاج مثلا وكلا المحذورين موجود فى التكليف وأيضا كان الزمان زمان نهب وغارة اذ العرض كان بعد خروج آدم من الجنة والشيطان وجنوده كانوا فى قصد المكلفين والعاقل لا يقبل الوديعة فى مثل ذلك الوقت وأيضا قد لا يقبل الأمانة لعسر مراعاتها ولاحتياجها الى تعهد ومؤنة كالحيوان المحتاج الى العلف والسقى والتكليف كذلك فانه يحتاج الى تربية وتنمية بخلاف متاع يوضع فى صندوق أو بيت فهذه الاشياء علمن ما فى التكليف من التبعات وجهلها الانسان فقبله فكان جهولا وقد ظلم آدم نفسه بالمخالفة فكان ظلوما وكذا أولاده الذين ظلموا أنفسهم بالعصيان وجهلوا ما عليهم من العقاب واعتذر بعضهم عن الانسان أنه نظر الى جانب من كلفه وقال المودع

عالم قادر لا يعرض الامانة الا على أهلها واذا أودع لا يتركها بل يحفظها بعينه وعونه فقبلها وقال اياك نعبد واياك نستعين وقيل انه كان ظلوما جهولا فى ظن الملائكة حيث قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها وقال الحكيم المخلوقات على قسمين مدرك وغير مدرك والمدرك منه من يدرك الجزئى فقط كالبهائم تدرك الشعير وتأكله ولا تتفكر فى عواقب الامور ولا تنظر فى الدلائل ومنه من يدرك الكلى دون الجزئى كالملك يدرك الكليات ولا يدرك لذة الجماع والأكل ولهذا قالوا سبحانك لا علم لنا فاعترفوا بعدم علمهم بتلك الجزئيات ومنه من يدرك الامرين وهو الانسان له لذات بأمور جزئية فمنع منها لتحصيل لذات حقيقية كلذة الملائكة بعبادة الله ومعرفته فغير الانسان ان كان مكلفا كان بمعنى كونه مخاطبا لا بمعنى الامر بما فيه كلفة ومشقة وفى قوله (وحملها الانسان) دون أن يقول وقبلها اشارة الى ما فى التكليف من الثقل والى ما يستحقه عليه من الاجر لو حمله كما أمر والى حيث أمروا لا غرم وجرم * (لطيفة) * الامانة عرضت على آدم فقبلها وكان أمينا عليها والقول قول الامين فهو فائز وأما أولاده فأخذوا الامانة منه والآخذ من الامين ليس بمؤتمن بل ضامن ولهذا لا يكون وارث المودع مقبول القول فلم يكن له بد من تجديد عهد وايمان حتى يصير أمينا عند الله ويصير القول قوله فيكون له ما كان لآدم من الفوز ولهذا ذكر ما فيه عاقبة حمل الامانة قائلا (ليعذب) الى قوله ويتوب اشارة الى الفريقين ثم وصف نفسه بكونه غفورا رحيما بازاء كون الانسان ظلوما جهولا ولا يخفى ما فى هذه الاشارة من البشارة ۞ التأويل اذكروا الله ذكرا كثيرا فمن أحب شيأ أكثر ذكره والمحبة هم الأحرار عن رق الكونين والحر يكفيه الاشارة هو الذى يصلى عن

يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انا أطعنا سادتنا وكبراءنا قال هم رؤس الكفر الذين أضلوهم قال سادتنا وكبراءنا واحد وقرأت عامة قراء الأمصار سادتنا وروى عن الحسن البصرى سادانا تاعلى الجماع والتوحيد فى ذلك هى القراءة عندنا لاجماع الحجة من القراء عليها واختلفوا فى قراءة قوله لعنا كبيرا فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار بالثاء كثيرا من الكثرة سوى عاصم فانه قرأه لعنا كبيرا من الكبر والقراءة فى ذلك عندنا بالثاء لاجماع الحجة من القراء عليها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها﴾ يقول تعالى ذكره لأصحاب نبى الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله لا تؤذوا رسول الله بقول يكرهه منكم ولا بفعل لا يحبه منكم ولا تكونوا أمثال الذين آذوا موسى نبى الله فرموه بعيب كذبا وباطلا فبرأه الله مما قالوا فيه من الكذب والزور بما أظهر من البرهان على كذبهم وكان عند الله وجيها يقول وكان موسى عند الله مشفعا فيما يسأل ذا وجه ومنزلة عنده بطاعته اياه ثم اختلف أهل التأويل فى الأذى الذى أوذى به موسى الذى ذكره الله فى هذا الموضع فقال بعضهم رموه بأنه آدر وروى بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرا ذكر الرواية التى رويت عنه ومن قال ذلك حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير وعبد الله بن الحرث عن ابن عباس فى قوله لا تكونوا كالذين آذوا موسى قال قالت له قومه انك آدر قال فخرج ذات يوم يغتسل فوضع ثيابه على صخرة فخرجت الصخرة تشتد بثيابه وخرج يتبعها عريانا حتى انتهت به مجالس بنى اسرائيل قال فرأوه ليس بآدر قال فذلك قوله فبرأه الله مما قالوا حدثنى يحيى بن داود الواسطى قال ثنا اسحق بن يوسف الأزرق عن سفيان عن جابر عن عكرمة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم لا تكونوا كالذين آذوا موسى قال قالوا هو آدر قال فذهب موسى يغتسل فوضع ثيابه على حجر فخرج الحجر بثيابه فتبع موسى قفاه فقال ثيابى حجر فمر بمجلس بنى اسرائيل فرأوه فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى الى وجيها قال كان أذاهم موسى أنهم قالوا والله ما يمنع موسى أن يضع ثيابه عندنا إلا أنه آدر فآذى ذلك موسى فبينما هو ذات يوم يغتسل وثوبه على صخرة فلما قضى موسى غسله ذهب الى ثوبه ليأخذه انطلقت الصخرة تسعى بثوبه وانطلق يسعى فى أثرها حتى مرت على مجلس بنى اسرائيل وهو يطلبها فلما رأوا موسى صلى الله عليه وسلم متجردا لا ثوب عليه قالوا والله ما نرى بموسى بأسا وانه لابرى مما كانوا تقول له فقال الله فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية قال كان موسى رجلا شديدا محافظة على فرجه وثيابه قال فكانوا يقولون ما يحمله على ذلك إلا عيب فى فرجه يكره أن يرى فقام يوما يغتسل فى الصحراء فوضع ثيابه على صخرة فاشتدت بثيابه قال وجاء يطلبها عريانا حتى اطلع عليهم عريانا فرأوه بريئا مما قالوا وكان عند الله وجيها قال والوجيه فى كلام العرب المحب المقبول * وقال آخرون بل وصفوه بأنه أبرص ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر

أى لولا صلاتى عليكم لما وفقتم لذكرى كما أنه لولا سابقة محبتى لما هديتم الى محبتى فكان فى الازل بالمؤمنين رحيما فلهذا أخرجهم فى الأبد

من ظلمة الوجود المجازى الى نور الوجود الحقيق انا أرسلناك شاهدا لنا بنعت المحبوبية ومبشرا للطالبين برؤية جمالنا ونذيرا للبطالين عن كمال حسننا وحسن كمالنا وداعيا الى الله باذنه لا بطبعك وهواك وسراجا منيرا فى أوقات عدم الدعوة وذلك أن النظر الى وجه

عن سعيد قال قال بنو اسرائيل ان موسى آدر وقالت طائفة هو أبرص من شدة ستره وكان يأتى كل يوم عينا فيغتسل و يضع ثيابه على صخرة عندها فعدت الصخرة بثيابه حتى انتهت الى مجلس بنى اسرائيل وجاء موسى يطلبها فلما رأوه عريانا ليس به شئ مما قالوا لبس ثيابه ثم أقبل على الصخرة يضربها بعصاه فأثرت العصا فى الصخرة **حدثنا** بحر بن حبيب بن عربى قال ثنا روح بن عبادة قال ثنا عوف عن محمد عن أبى هريرة فى هذه الآية لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يكاد يرى من جلده شئ استحياء منه فآذاه من آذاه من بنى اسرائيل وقالوا ما تستر هذا التستر الا من عيب فى جلده إما برص و إما أدرة واما آفة وان الله أراد أن يبرئه مما قالوا وان موسى خلا يوما وحده فوضع ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ من غسله أقبل على ثوبه ليأخذه وان الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر وجعل يقول ثوبى حجر حتى انتهى الى ملا من بنى اسرائيل فرأوه عريانا كأحسن الناس خلقا و برأه الله مما قالوا وان الحجر قام فأخذ ثوبه ولبسه فطفق بالحجر ضربا بذلك فوالله ان فى الحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا **حدثنا** ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن عوف عن الحسن قال بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان موسى رجلا حييا ستيرا ثم ذكر نحوا منه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال حدث الحسن عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بنى اسرائيل كانوا يغتسلون وهم عراة وكان نبى الله موسى حييا فكان يستتر اذا اغتسل فطعنوا فيه بعورة قال فبينا نبى الله يغتسل يوما اذ وضع ثيابه على صخرة فانطلقت الصخرة واتبعها نبى الله ضربا بعصاه ثوبى يا حجر ثوبى يا حجر حتى انتهت الى ملا من بنى اسرائيل أو توسطهم فقامت فأخذ نبى الله ثيابه فنظروا الى أحسن الناس خلقا وأعدله مروءة فقال الملا قاتل الله أفاكى بنى اسرائيل فكانت براءته التى برأه الله منها » وقال آخرون بل كان أذاهم اياه ادعاءهم عليه قتل هرون أخيه ذكر من قال ذلك **حدثنى** على بن مسلم الطوسى قال ثنا عباد قال ثنا سفيان بن حبيب عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى قول الله لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية قال صعد موسى وهرون الجبل فمات هرون فقالت بنو اسرائيل أنت قتلته وكان أشد حبا لنا منك وألين لنا منك فآذوه بذلك فأمر الله الملائكة فحملته حتى مروا به على بنى اسرائيل وتكلمت الملائكة بموته حتى عرف بنو اسرائيل أنه قد مات فبرأه الله من ذلك فانطلقوا به فدفنوه فلم يطلع على قبره أحد من خلق الله الا الرخم فجعله الله أصم أبكم » وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان بنى اسرائيل آذوا نبى الله ببعض ما كان يكره أن يؤذى به فبرأه الله مما آذوه به وجائز أن يكون ذلك كان قيلهم انه أبرص وجائز أن يكون كان ادعاءهم عليه قتل أخيه هرون وجائز أن يكون كل ذلك لانه قد ذكر كل ذلك أنهم قد آذوه به ولا قول فى ذلك أولى بالحق مما قال الله انهم آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم و يغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله

التى صلى الله عليه وسلم كاف لمن كان له قلب مستنير فاذا انضمت الدعوة الى ذلك كان فى الهداية غاية وفضلا كبيرا هو القلب المستنير انا أحللنا لك أزواجك لما اتصفت نفسه بصفات القلب وزال عنها الهوى اتصفت دنياه بصفات الآخرة فحل له فى الدنيا ما يحل لغيره فى الآخرة ان الله وملائكته يصلون صلاة تليق بتلك الحضرة المقدسة مناسبة لحضرة النبوة بحيث لا يفهم معناها غيرهما منها الرحمة ومنها المغفرة الواردة ومنها الشواهد ومنها الكشوف ومنها المشاهدة ومنها الجذبة ومنها القربة ومنها الشرب ومنها الرى ومنها السكون ومنها التجلى ومنها الفناء فى الله ومنها البقاء به وهكذا لأمته بحسب مراتبهم كقوله أولئك عليهم صلوات من ربهم انا عرضنا الامانة هى قبول الفيض الالهى بلا واسطة ولهذا سمى أمانة لان الفيض من صفات الحق فلا يتملكه أحد وقد اختص الانسان به باصابة رشاش النور الالهى فكان عرض الفيض عاما على قلب المخلوقات ولكن كان حمله خاصا بالانسان لان نسبة الانسان الى سائر المخلوقات نسبة القلب الى الشخص فالروح يتعلق بالقلب ثم يصل فيضه بواسطة العروق والشرايين الى سائر البدن فيتحرك به وهذا سر الخلافة انه كان ظلوما لانه خلق ضعيفا وحمل قويا جهولا لأنه ظن أنه خلق للطعم والمشرب والمنكح ولم يعلم أن هذه الصورة قشر وله لب وللبه لب

فوجوب الله فبقوة الظلومية والجهولية حمل الامانة ثم بروحه المنور برشاش الله أدى الامانة فصارت الصفتان فى حق حامل الامانة ومؤدى حقها مدحا وفى حق الخائنين فيها ذما ولما لم يكن لروح الملائكة ولغيرهم من المخلوقات راحلة تحملها بالعزة أبين منها وأشفق

فالمخاطبون اذن على ثلاث طبقات طبقة يظهر فيها جمال صفة عدله وهم الملك والأجسام العلوية والسفلية سوى الثقلين لم يحملوا الأمانة وتركوا نفعها لضرها وطبقة يظهر فيها جمال قهره وهم المشركون والمنافقون حملوها طمعا فى نفعها ثم لم يؤدوا حقها بأن باءوها بالأعراض الفانية والطبقة الثالثة المؤمنون وهم الذين حملوها طوعا ورغبة وشوقا ومحبة وأدوا حقها بقدر وسعهم ولكن الحكم لكل جواد كبوة يقع قدم صدقهم فى حجر بلاء وابتلاء فيتوب الله عليهم بجذبات العناية وهم مرآة جمال فضله ولطفه الله حسبى ونعم الوكيل وبالله التوفيق

* (سورة سبأ وهى مكية حروفها ثلاثة آلاف وخمسمائة واثنا عشر كلمها ثمانمائة وثلاث وثمانون آياتها أربع وخمسون) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

﴿ الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا فى آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد أفترى على الله كذبا أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض ان نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء ان فى ذلك لآية لكل عبد منيب ولقد آتينا داود منا فضلا

اتقوا الله أن تعصوه فتستحقوا بذلك عقوبته وقولوا قولا سديدا يقول قولوا فى رسول الله والمؤمنين قولا قاصدا غير جائر حقا غير باطل كما حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وقولوا قولا سديدا يقول سدادا حدثنا ابن حميد قال ثنا عنبسة عن الكلبى وقولوا قولا سديدا قال صدقا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اتقوا الله وقولوا قولا سديدا أى عدلا قال قتادة يعنى به فى منطقه وفى عمله كل والسديد الصدق حدثنى سعد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا حفص بن عمر عن الحكم ابن أبان عن عكرمة فى قول الله وقولوا قولا سديدا قولوا لا اله الا الله وقوله يصلح لكم أعمالكم يقول تعالى ذكره للمؤمنين اتقوا الله وقولوا السداد من القول يوفقكم لصالح الأعمال فيصلح أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم يقول ويعف لكم عن ذنوبكم فلا يعاقبكم عليها ومن يطع الله ورسوله فيعمل بما أمره به وينتهى عما نهاه ويقل السديد فقد فاز فوزا عظيما يقول فقد ظفر بالكرامة العظمى من الله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ انا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ﴾ اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم معناه ان الله عرض طاعته وفرائضه على السموات والأرض والجبال على أنها ان أحسنت أثيبت وجوزيت وان ضيعت عوقبت فأبت حملها شفقا منها أن لا تقوم بالواجب عليها وحملها آدم انه كان ظلوما لنفسه جهولا بالذى فيه الحظ له ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى قوله انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها قال الأمانة الفرائض التى افترضها الله على العباد * قال ثنا هشيم عن العوام عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس فى قوله انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها قال الأمانة الفرائض التى افترضها الله على عباده * قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام بن حوشب وجبير كلاهما عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله انا عرضنا الأمانة الى قوله جهولا قال الأمانة الفرائض قال جويبر فى حديثه قال فلما عرضت على آدم قال أى رب وما الامانة قال قيل له ان أديتها جزيت وان ضيعتها عوقبت قال أى رب حملتها بما فيها قال فما مكث فى الجنة الا قدر ما بين العصر الى غروب الشمس حتى عمل بالمعصية فأخرج منها حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد عن ابن عباس أنه قال فى هذه الآية انا عرضنا الأمانة قال عرضت على آدم فقال خذها بما فيها فان أطعت غفرت لك وان عصيت عذبتك قال قد قبلت فما كان الا قدر ما بين العصر الى الليل من ذلك اليوم حتى أصاب الخطيئة حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال ان أدوها أثابهم وان ضيعوها عذبهم فكرهوا ذلك وأشفقوا من غير معصية ولكن تعظيما لدين الله أن لا يقوموا بها ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها وهو قوله وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا غر يا مر الله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله انا عرضنا الأمانة الطاعة

يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير ولسليمن الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين لقد كان لسبا في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ ﴿ القراآت عالم الغيب بالرفع أبو جعفر ونافع وابن عامر ورويس علام بالجر وبنا المبالغة حمزة وعلي الباقون عالم بالجر وبدون المبالغة معاجزين بالألف وقد روى عن ابن كثير وأبي عمرو معجزين بالتشديد رجز أليم بالرفع صفة

عرضها عليها قبل أن يعرضها على آدم فلم تطقها فقال لآدم يا آدم اني قد عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم تطقها فهل أنت آخذها بما فيها فقال يا رب وما فيها قال ان أحسنت جزيت وان أسأت عوقبت فأخذها آدم فتحملها فذلك قوله وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا حدثني ابن بشار قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا سفيان عن رجل عن الضحاك بن مزاحم في قوله انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا قال آدم قبل له خذها بحقها قال وما حقها قيل ان أحسنت جزيت وان أسأت عوقبت فما لبث ما بين الظهر والعصر حتى أخرج منها حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم يطقن حملها فهل أنت يا آدم آخذها بما فيها قال آدم وما فيها يا رب قال ان أحسنت جزيت وان أسأت عوقبت فقال تحملتها فقال الله تبارك وتعالى قد حملتكها فما مكث آدم الا مقدار ما بين الاولى الى العصر حتى أخرجه ابليس لعنه الله من الجنة والأمانة الطاعة حدثني سعيد بن عمرو السكوني قال ثنا بقية قال ثني عيسى بن ابراهيم عن موسى بن أبي حبيب عن الحكم بن عمرو وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الأمانة والوفاء نزلا على ابن آدم مع الانبياء فأرسلوا بهم فمنهم رسول الله ومنهم نبي ومنهم نبي رسول نزل القرآن وهو كلام الله ونزلت العربية والعجمية فعلموا أمر القرآن وعلموا أمر السنن بألسنتهم ولم يدع الله شيأ من أمره مما يأتون ومما يجتنبون وهي الحجج عليهم الا بينه لهم فليس أهل لسان الا وهم يعرفون الحسن من القبيح ثم الأمانة أول شيء يرفع ويبقى أثرها في جذور قلوب الناس ثم يرفع الوفاء والعهد والذمم وتمزق الكتب فعالم بعمل وجاهل يعرفها وينكرها حتى وصل الى وألى أمتي فلا يهلك على الله الا هالك ولا يغفله الا تارك والحذر أيها الناس واياكم والوسواس الخناس وانما يبلوكم أيكم أحسن عملا حدثني محمد بن خلف العسقلاني قال ثنا عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي قال ثنا العوام العطار قال ثنا قتادة وأبان بن أبي عياش عن خليد العصري عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس من جاء بهن يوم القيامة مع ايمان دخل الجنة من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن وأعطى الزكاة من ماله طيب النفس بها وكان يقول وأيم الله لا يفعل ذلك الا مؤمن وصام رمضان وحج البيت ان استطاع الى ذلك سبيلا وأدى الأمانة قالوا يا أبا الدرداء وما الأمانة قال الغسل من الجنابة فان الله لم يأمن ابن آدم على شيء من دينه غيره حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن أبي بن كعب قال من الأمانة أن المرأة ائتمنت على فرجها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها قال ان الله عرض عليهن الأمانة أن يفترض عليهن الدين ويجعل لهن ثوابا وعقابا ويستأمنهن على الدين فقلن لا نحن مسخرات لأمرك لا نريد ثوابا ولا عقابا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرضها الله على آدم فقال بين اذني وعاتق قال ابن زيد فقال الله له أما اذا تحملت

العذاب وكذلك في الحاشية ابن كثير وحفص ويعقوب وجبلة الآخرون بالجر ان يشأ يخسف أو يسقط على الغيبة فيهما حمزة وعلي وخلف الباقون بالنون نخسف بهم بادغام الفاء في الباء على كسفا بفتح السين حفص غير الخزاز والطير بالرفع حملا على لفظ المنادى يعقوب غير رويس

الآخرون بالنصب حملا على المحل أو لأنه مفعول معه أو معطوف على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير الريح بالرفع أبو بكر وحماد والمفضل بتقدير ولسليمن الريح مسخرة أو سخرت (٤٠) الريح له الرياح بالرفع أيضا ولكن يجمعها يزيد الباقون موحدا منصوبا

كالجوابي بالياء في الحالين ابن كثير ومسهل ويعقوب وافق أبو عمرو وورش في الوصل عبادي الشكور بسكون الياء حمزة والوقف بالياء لا غير منسأته بالألف أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وابن فليح وزيد عن يعقوب وقرأ ابن ذكوان ساكنة الهمزة الآخرون بفتح الهمزة تبينت الجن على البناء للمفعول يعقوب غير زيد سبأ غير مصروف أبو عمرو والبزي سبأ بهمزة ساكنة ابن مجاهد وأبو عون عن قنبل سبا بالالف ابن فليح وزمعة والقواس غير ابن مجاهد وأبي عون مسكنهم بفتح الكاف حمزة وحفص وبكسرها على وخلف الباقون مساكنهم مجموعة بجمعتهم بضم الهاء مسهل ويعقوب أكل خمط بضم الكاف والاضافة أبو عمرو ومسهل ويعقوب الآخرون بالسكون والتنوين نجازي بضم النون وكسر الزاي الا الكفور بالنصب حمزة وعلي وخلف وحفص ويعقوب الآخرون بضم الياء وفتح الزاي ورفع الكفور ربنا بالرفع باعد بلفظ الماضي من المفاعلة سهل الآخرون ربنا بالنصب على النداء باعد على الامر وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بعد أمر امن التبعيد صدق بالتشديد عاصم وعلي وخلف الباقون بالتخفيف أي صدق في ظنه أو صدق بظن ظنا نحو فعلته جهدك ۞ الوقوف في الآخرة ط الخبير ٥ فيها ط الغفور ٥ الساعة ط لتأتينكم ٥ لمن قرأ عالم بالرفع أي هو عالم ومن خفض جعله نعتا لربي فلم يقف بالغيب ج لأن قوله للسماء لا يعزب يصلح حالا واستئنافا مبين ٥ لا لتعلق اللام أبو حاتم يقف الصالحات ط كريم ٥ أليم ٥ الحق ج لأن قوله

هذا فسأعينك أجعل لبصرك حجابا فاذا خشيت أن تنظر الى ما لا يحل لك فارخ عليه حجابه وأجعل للسانك بابا وغلقا فاذا خشيت فأغلق وأجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه الا على ما أحللت لك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال يعني به الدين والفرائض والحدود فأبين أن يحملنها وأشفقن منها قيل لهن احملنها تؤدين حقها فقلن لا نطيق ذلك وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا قيل له أتحملها قال نعم قيل أتؤدي حقها قال نعم قال الله انه كان ظلوما جهولا عن حقها * وقال آخرون بل عنى بالأمانة في هذا الموضع أمانات الناس ذكر من قال ذلك حدثنا تميم بن المنتصر قال ثنا اسحق عن شريك عن الأعمش عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها أو قال يكفر كل شيء الا الأمانة يؤتى بصاحب الأمانة فيقال له أد أمانتك فيقول أي رب وقد ذهبت الدنيا ثلاثا فيقال اذهبوا به الى الهاوية فيذهب به اليها فيهوي فيها حتى ينتهي الى قعرها فيجدها هناك كهيئتها فيحملها فيضعها على عاتقه فيصعد بها الى شفير جهنم حتى اذا رأى أنه قد خرج زلت فهوى في أثرها أبد الآبدين قالوا والأمانة في الصلاة والأمانة في الصوم والأمانة في الحديث وأشد ذلك الودائع فلقيت البراء فقلت ألا تسمع الى ما يقول أخوك عبد الله فقال صدق * قال شريك وحدثني عياش العامري عن زاذان عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ولم يذكر الأمانة في الصلاة وفي كل شيء حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أخبرني عمرو بن الحرث عن ابن أبي هلال عن أبي حازم قال ان الله عرض الأمانة على سماء الدنيا فأبت ثم التي تليها حتى فرغ منها ثم الأرضين ثم الجبال ثم عرضها على آدم فقال نعم بين أذني وعاتق فلان آمرك بين فانهين لك عون (١) اني جعلت لك لسانا بين لحيين فكفه عن كل شيء نهيتك عنه وجعلت لك فرجا وواريته فلا تكشفه الى ما حرمت عليك * وقال آخرون بل ذلك انما عنى به ائتمان آدم ابنه قابيل على أهله وولده وخيانة قابيل أباه في قتله أخاه ذكر من قال ذلك حدثني موسى ابن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال كان لا يولد لآدم مولود الا ولد معه جارية فكان يزوج غلام هذا البطن جارية هذا البطن الآخر ويزوج جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر حتى ولد له اثنان يقال لهما قابيل وهابيل وكان قابيل صاحب زرع وكان هابيل صاحب ضرع وكان قابيل أكبرهما وكان له أخت أحسن من أخت هابيل وان هابيل طلب أن ينكح أخت قابيل فأبى عليه وقال هي أختي ولدت معي وهي أحسن من أختك وأنا أحق أن أتزوجها فأمره أبوه أن يزوجها هابيل فأبى وانهما قربا قربانا الى الله أيهما أحق بالجارية وكان آدم يومئذ قد غاب عنهما أي بمكة ينظر اليها قال الله لآدم يا آدم هل تعلم أن لي بيتا في الأرض قال اللهم لا قال ان لي بيتا بمكة فأته فقال آدم

(١) ترك الثالث والذي في الدر انى جعلت لك بصرا وجعلت لك شفرتين فغضهما عن كل شيء نهيتك عنه وجعلت لك لسانا الخ فتنبه كتبه مصححه

ويهدى عطف على المعنى أى يحق قبوله ويهدى الحميد ٥ ممزق ط لأن ما بعده فى حكم المفعول لانه مفعول ثان ليبئنكم وانما كسرت لدخول اللام فى خبرها جديد ٥ ج للآية ولاتحاد المقول جنة ط البعيد ٥ الارض ط السماء ط منيب ٥ فضلا ط والطير ج لأن ما يتلوه يصلح حالا واستئنافا الحديد ٥ لا لتعلق أن صالحا ط بصير ٥ ورواحها شهر ط لأن قوله وأسلنا عطف على محذوف أى وسخرنا لسليمان الريح القطر ط ربه ط السعير ٥ راسيات ط شكرا ط الشكور ٥ منسأته ٥ المهين ٥ آية ج لاحتمال أن يكون التقدير هى جنتان وأن يكون بدلا من آية وشمال ط له ط أى لكم بلدة غفور ٥ قليل ٥ كفروا ط الكفور ٥ السير ط آمنين ٥ ممزق ط شكور ٥ المؤمنين ٥ شك ط حفيظ ٥

﴿ التفسير قال فى التفسير الكبير السور المفتتحة بالحمد خمس ثنتان فى النصف الاول الأنعام والكهف وثنتان فى النصف الاخير هذه والملائكة والخامسة وهى الفاتحة تقرأ مع النصف الاول ومع النصف الاخير وذلك لان المكلف له حالتان الابداء والاعادة وفى كل حالة لله علينا نعمتان نعمة الايجاد ونعمة الابقاء فأشار فى أول الانعام الى نعمة الايجاد الاول بدليل قوله تعالى هو الذى خلقكم من طين وأشار فى أول الكهف الى انزال الكتاب الذى به يتم نظام العالم ويحصل قوام معاش بنى آدم وأشار فى أول هذه السورة الى نعمة الايجاد الثانى بدليل قوله تعالى وله الحمد فى الآخرة وأشار فى أول سورة الملائكة الى الابقاء الابدى بدليل قوله جاعل الملائكة رسلا

السماء احفظى ولدى بالأمانة فأبت وقال للارض فأبت فقال للجبال فأبت فقال لقابيل فقال نعم نذهب ونرجع ونجد أهلك كما يسرك فلما انطلق آدم وقربا قربانا وكان قابيل يفخر عليه فيقول أنا أحق بها منك هى أختى وأنا أكبر منك وأنا وصى والدى فلما قربا قرب هابيل جذعة سمينة وقرب قابيل حزمة سنبل فوجد فيها سنبلة عظيمة ففركها فأكلها فنزلت النار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل فغضب وقال لأقتلنك حتى لا تنكح أختى فقال هابيل انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لأقتلك انى أخاف الله رب العالمين الى قوله فطوعت له نفسه قتل أخيه فطلبه ليقتله فراع الغلام منه فى رؤس الجبال وأتاه يوما من الأيام وهو يرعى غنمه فى جبل وهو نائم فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات وتركه بالعراء ولا يعلم كيف يدفن فبعث الله غرابين أخوين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه فحفر له ثم حثا عليه فلما رآه قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فهو قول الله تبارك وتعالى فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه فرجع آدم فوجد ابنه قد قتل أتاه فذلك حين يقول انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال الى آخر الآية ٥ وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب ما قاله الذين قالوا انه عنى بالأمانة فى هذا الموضع جميع معانى الامانات فى الدين وأمانات الناس وذلك أن الله لم يخص بقوله عرضنا الأمانة بعض معانى الأمانات دون بعض ٥ وبنحو قولنا قال أهل التأويل فى معنى قول الله انه كان ظلوما جهولا ذكر من قال ذلك حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى انه كان ظلوما جهولا يعنى قابيل حين حمل أمانة آدم لم يحفظ له أهله حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد الزبيرى قال ثنا سفيان عن رجل عن الضحاك فى قوله وحملها الانسان قال آدم انه كان ظلوما جهولا قال ظلوما لنفسه جهولا فيما احتمل فيما بينه وبين ربه حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس انه كان ظلوما جهولا غرا بأمر الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انه كان ظلوما جهولا قال ظلوما لها يعنى للأمانة جهولا عن حقها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما ﴾ يقول تعالى ذكره وحمل الانسان الأمانة كيما يعذب الله المنافقين فيما الذين يظهرون أنهم يؤدون فرائض الله مؤمنين بها وهم مستسرون لكفرها والمنافقات والمشركين بالله فى عبادتهم اياه الآلهة والأوثان والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات يرجع بهم الى طاعته وأداء الأمانات التى ألزمهم اياها حتى يؤدوها وكان الله غفورا لذنوب المؤمنين والمؤمنات بستره عليها وتركه عقابهم عليها رحيما أن يعذبهم عليها بعد توبتهم منها ٥ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا سوار بن عبد الله العنبرى قال ثنى أبى قال ثنا أبو الأشهب عن الحسن أنه كان يقرأ هذه الآية انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال حتى ينتهى ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات فيقول اللذان خانا اللذان ظلما اللذان نافقا والمشرك حدثنا نصر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين

والملائكة بأجمعهم لا يكونون رسلا الا يوم القيامة يرسلهم الله مسلمين على المسلمين كقوله وتتلقاهم الملائكة وقال تعالى فى تحيتهم سلام عليكم طبتم وفاتحة الكتاب حيث تشتمل على نعمة الدنيا

بقوله الحمد لله رب العالمين وعلى نعمة الآخرة بقوله مالك يوم الدين تقرأ في الافتتاح وفي الاختتام واعلم أنه تعالى وصف نفسه في أول هذه السورة بأن له ما في السموات وما في الارض ايذانا بأن كونه مالكا لكل الاشياء يوجب كونه محمودا على كل لسان لأن الكل اذا كان له فكل من ينتفع بشئ من ذلك كان مستنفعا بنعمه ثم صرح بأن له الحمد في الآخرة تفضيلا لنعم الآخرة على نعم الدنيا وايذانا بأنها هي النعمة الحقيقية التي يحق أن يحمد عليها ويثنى عليه من أجلها مع افادة الاختصاص بتقديم الظرف (وهو الحكيم) في الابتداء (الخبير) بالانتهاء ثم أكد علمه بقوله (يعلم ما يلج في الارض) أي يدخل فيها من المياه والحبات والكنوز والاموات (وما يخرج منها) من الشجر والنبات ومياه الآبار والجواهر والمعدنيات (وما ينزل من السماء) من الامطار والارزاق وأنواع البركات والوحي (وما يعرج فيها) من الملائكة وأعمال العباد وقد أشار بقوله فيها دون أن يقول اليها الى أن الاعمال الصالحة مقبولة والنفوس الزكية واصلة فقد ينتهي الشئ الى الشئ ولا ينفذ فيه ولا يتصل به (وهو الرحيم) حين الانزال (الغفور) وقت عروج الاعمال للفرطين في الاقوال والافعال ثم بين أن نعمة الآخرة باتيان الساعة الآخرة فدينكرها قوم ثم رد عليهم بقوله (بلى) وأكد ذلك بقوله (وربي) ثم برهن على ذلك بقوله (عالم الغيب) لأن العالم بجميع الاشياء عالم بأجزاء الاحياء قادر على جمعها كما بدأها وفي قوله (لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض) اشارة الى أن الانسان له جسم أرضي وروح سماوي فالعالم بما في العالمين القادر على تأليفهما قادر على اعادتهما على ما كانا عليه وانما ذكر الاكبر مع أن الاصغر هو اللائق بالمبالغة لئلا يتوهم منه أن الصغار تثبت لكونها تنسى أما الاكبر فلا ينسى فلا حاجة الى اثباته بل المراد أن الصغير والكبير مثبت في الكتاب وقدم نظيره في يونس

والمشركات هذان اللذان خاناها ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات هذان اللذان أديا هما وكان الله غفورا رحيما

آخر سورة الاحزاب ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة سبأ ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير ﴾ يقول تعالى ذكره الشكر الكامل والحمد التام كله للمعبود الذي هو مالك جميع ما في السموات السبع وما في الارضين السبع دون كل ما يعبدونه ودون كل شئ سواه لا مالك لشئ من ذلك غيره فالمعنى الذي هو مالك جميعه وله الحمد في الآخرة يقول وله الشكر الكامل في الآخرة كالذي هو له ذلك في الدنيا العاجلة لأن منه النعم كلها على كل من في السموات والارض في الدنيا ومنه يكون ذلك في الآخرة فالحمد لله خالصا دون ما سواه في عاجل الدنيا وآجل الآخرة لأن العالم كلها من قبله لا يشركه فيها أحد من دونه وهو الحكيم في تدبيره خلقه وصرفه اياهم في تقديره خير بهم وبما يصلحهم وبما عملوا وما هم عاملون محيط بجميع ذلك وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وهو الحكيم الخبير حكيم في أمره خبير بخلقه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور ﴾ يقول تعالى ذكره يعلم ما يدخل الارض وما يغيب فيها من شئ من قولهم ولجت في كذا اذا دخلت فيه كما قال الشاعر

رأيت القوافي يتلجن مواليا * تضايق عنها أن تولجها الابر

يعني بقوله يتلجن مواليا يدخلن مداخل وما يخرج منها يقول وما يخرج من الارض وما ينزل من السماء وما يعرج فيها يعني وما يصعد في السماء وذلك خبر من الله أنه العالم الذي لا يخفى عليه شئ في السموات والارض مما ظهر فيها وما بطن وهو الرحيم الغفور وهو الرحيم بأهل التوبة من عباده أن يعذبهم بعد توبتهم الغفور لذنوبهم اذا تابوا منها ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين ﴾ يقول تعالى ذكره ويستعجلك يا محمد الذين جحدوا قدرة الله على اعادة خلقه بعد فنائهم بميتتهم التي كانوا بها من قبل فنائهم من قومك بقيام الساعة استهزاء بوعدك اياهم وتكذيبا لخبرك قل لهم بلى تأتينكم وربي قسما به لتأتينكم الساعة ثم عاد جل جلاله بعد ذكره الساعة على نفسه وتمجيدها فقال عالم الغيب واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة عالم الغيب على مثال فاعل بالرفع على الاستئناف اذ دخل بين قوله وربي وبين قوله عالم الغيب كلام حائل بينه وبينه وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة والبصرة عالم على مثال فاعل غير أنهم خفضوا عالما رد امنهم له على قوله وربي اذ كان من صفته وقرأ ذلك بقية عامة

قراء

وقدم السموات على الارض موافقة لقوله له ما فى السموات وما فى الارض بخلاف يونس فان المخاطبين فى الارض فقدمت ثم ذكر غاية الاعادة بقوله ليجزى الى قوله (من رجز أليم) ومعنى سعوا فى آياتنا أى (٤٣) فى ابطال آياتنا معاجزين مريدين تعجيز النبى

قراء الكوفة علام الغيب على مثال فعال و بالخفض ردّا لاعرابه على اعراب قوله وربى اذ كان من نعته * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن كل هذه القراآت الثلاث قراآت مشهورات فى قراء الامصار متقاربات المعانى فبأيتهن قرأ القارئ فمصيب غير أن أعجب القراآت فى ذلك الىّ أن أقرأ بها علام الغيب على القراءة التى ذكرتها عن عامة قراء أهل الكوفة فأما اختيارى علام على عالم فلانها أبلغ فى المدح وأما الخفض فيها فلانها من نعت الرب وهو فى موضع الجر وعنى بقوله علام الغيب علام ما يغيب عن أبصار الخلق فلا يراه أحد إما لم يكونه مما سيكونه أو ما قد كوّنه فلم يطلع عليه أحدا غيره وانما وصف جل ثناؤه فى هذا الموضع نفسه بعلمه الغيب إعلاما منه خلقه أن الساعة لا يعلم وقت مجيئها أحد سواه وان كانت جائية فقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل للذين كفروا بربهم بلى وربى لتأتينكم الساعة ولكنه لا يعلم وقت مجيئها أحد سوى علام الغيوب الذى لا يعزب عنه مثقال ذرة يعنى جل ثناؤه بقوله لا يعزب عنه لا يغيب عنه ولكنه ظاهر له * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله لا يعزب عنه يقول لا يغيب عنه حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله لا يعزب عنه قال لا يغيب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لا يعزب عنه مثقال ذرة أى لا يغيب عنه وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله مثقال ذرة يعنى زنة ذرة فى السموات ولا فى الارض يقول تعالى ذكره لا يغيب عنه شئ من زنة ذرة فما فوقها فادونها أين كان فى السموات ولا فى الارض ولا أصغر من ذلك يقول ولا يعزب عنه أصغر من مثقال ذرة ولا أكبر منه الا فى كتاب مبين يقول هو مثبت فى كتاب يبين للناظر فيه أن الله تعالى ذكره قد أثبته وأحصاه وعلمه فلم يعزب عن علمه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة و رزق كريم﴾ يقول تعالى ذكره أثبت ذلك فى الكتاب المبين كى يثيب الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا بما أمرهم الله ورسوله به وانتهوا عما نهاهم عنه على طاعتهم ربهم أولئك لهم مغفرة يقول جل ثناؤه لهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات مغفرة من ربهم لذنوبهم ورزق كريم يقول وعيش هنئ يوم القيامة فى الجنة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أولئك لهم مغفرة لذنوبهم و رزق كريم فى الجنة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والذين سعوا فى آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم﴾ يقول تعالى ذكره أثبت ذلك فى الكتاب ليجزى المؤمنين ما وصف وليجزى الذين سعوا فى آياتنا معاجزين يقول وكى يثيب الذين عملوا فى ابطال أدلتنا وحججنا(١) معاوين يحسبون أنهم يسبقوننا بأنفسهم فلا نقدر عليهم أولئك لهم عذاب يقول هؤلاء لهم عذاب من شديد العذاب الأليم و يعنى بالأليم الموجع * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله سعوا فى آياتنا معاجزين أى لا يعجزون أولئك لهم عذاب من رجز أليم قال لرجز سوء العذاب الأليم الموجع حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله

(١) لعله معاندين أو مفاوتين تأمل كتبه مصححه

فى التقرير والتبليغ أو يعجزون من آمن بنا وقيل أى مسابقين يحسبون أنهم هو تونا وقال ابن زيد جاهدين وهو قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وعن قتادة الرجز سوء العذاب وحين بين جزاء المؤمن الصالح عمله والمكذب الساعى المعجز علم منه حال غيرهما فالمؤمن الذى لم يعمل صالحا يكون له مغفرة من غير رزق كريم والكافر غير المعاند يكون له عذاب وان لم يكن من أسوأ أنواعه ثم بين أن الذين أوتوا العلم لا يغترون بشبهات أهل العناد و يرون ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق ليس الحق الا هو والنزاع غير لفظى حتى يمكن تصحيح قول المعاند بوجه وأولو العلم هم أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم والتابعون لهم وقيل هم علماء أهل الكتابين الذين أسلموا و يرى من فعل القلب مفعولاه الذى مع صلته والحق وهو فصل وقيل ان يرى معطوف على ليجزى فلا وقف على أليم أى وليعلم أولوا العلم عند مجىء الساعة أنه الحق علما لا يزاد عليه فى الايقان ويحتجوا به على المعاند أو وليعلم من لم يؤمن من الاحبار أنه هو الحق فيزدادوا حسرة والعزيز اشارة الى كونه منتقما من الساعين فى التكذيب والحميد اشارة الى أنه يشكر سعى من يصدق و يعمل صالحا وقدم صفة الهيبة لان الكلام مع منكرى البعث ثم قص عناد أهل قريش وخصهم بالتعجيب من حالهم لانهم تجاهلوا

حين قالوا على رجل مع أن النبى صلى الله عليه وسلم كان عندهم أظهر من الشمس قصدوا بذلك الطعن والسخرية فأخرجوا الكلام مخرج الحكاية ببعض الاضاحيك والاعاجيب كأن لم يكونوا قد عرفوا منه الا أنه رجل تام ومعنى (مزقتم كل ممزق) فرقت أوصالكم كل تفريق

وجوز جار الله أن يكون اسم مكان من الاموات ما حصل أجزاؤه فى بطون الطير والسباع ومنها ما مزقت به السيول فذهبت به كل مذهب أو سفته الرياح فطرحته كل مطرح والعامل فى اذا ما دل عليه قوله انكم لفى خلق جديد وهو تبعثون أو تخلقون ثم ازدادوا فى التجاهل قائلين (أفترى على الله كذبا) ان كان يعتقد خلافه أم به جنة ان كان لا يعتقد خلافه وفيه أن الكافر لا يرضى بالكذب البحت فيردد كلامه بين الامرين ولكن أخطأ ابن أخت خالته حين ترك قسما ثالثا وهو أنه عاقل صادق فلذلك رد الله عليهم بقوله (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد) جعل وقوعهم فى العذاب رسلا لوقوعهم فى الضلال اذ العذاب من لوازم الضلال وموجباته قابل قولهم أفترى بالعذاب وقولهم به جنة بالضلال البعيد لان نسبة الجنون الى العاقل أقل فى باب الايذاء من نسبة الافتراء اليه وقد أسقطت همزة الوصل فى قوله أفترى استثقالا لاجتماع همزتين همزة الاستفهام المفتوحة وهمزة الوصل المكسورة وهو على القياس وجوز بعضهم أن يكون هذا الاستفهام من كلام السامع المجيب لمن قال هل ندلكم وحين قرر دليل الحشر من جهة كونه علام الغيوب أراد أن يذكر دليلا آخر على ذلك من قبل كمال قدرته فقال (أفلم يروا) معناه أعموا فلم ينظروا خصت بالفاء وليس غيره فى القرآن تعجيلا للجواب وتعقيبا لحل الشبهة نظيره قوله أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم ثم هددهم بأنه قادر على أن يجعل عين الناظر ضارا بالخسف واسقاط الكسف وقال جار الله أراد فلم ينظروا الى السماء والارض وأنهما حيثما كانوا وأينما ساروا أمامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدرون أن يخرجوا بما من أقطارهما فلم يخافوا أن يخسف الله بهم أو يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول كما فعل بقارون وأصحاب الايكة

والذين سعوا فى آياتنا معاجزين قال جاهدين ليبطلوها أو يبطلوها قال وهم المشركون وقرأ لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد ﴾ يقول تعالى ذكره أثبت ذلك فى كتاب مبين ليجزى الذين آمنوا والذين سعوا فى آياتنا ما قدمين لهم ويرى الذين أوتوا العلم فيرى فى موضع نصب عطفا به على قوله يجزى فى قوله ليجزى الذين آمنوا وعنى بالذين أوتوا العلم مسلمة أهل الكتاب كعبد الله بن سلام ونظرائه الذين قد قرؤا كتب الله التى أنزلت قبل الفرقان فقال تعالى ذكره ويرى هؤلاء الذين أوتوا العلم بكتاب الله الذى هو التوراة الكتاب الذى أنزل اليك يا محمد من ربك هو الحق ، وقيل عنى بالذين أوتوا العلم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق قال أصحاب محمد وقوله ويهدى الى صراط العزيز الحميد يقول ويرشد من اتبعه وعمل بما فيه الى سبيل الله العزيز فى انتقامه من أعدائه الحميد عند خلقه فيما يأديه عندهم ونعمه لديهم وانما يعنى أن الكتاب الذى أنزل على محمد يهدى الى الاسلام ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد ﴾ يقول تعالى ذكره وقال الذين كفروا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم متعجبين من وعدنا اياهم البعث بعد الممات بعضهم لبعض هل ندلكم أيها الناس على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد يقول يخبركم أنكم بعد تقطعكم فى الارض بلاء وبعد مصيركم فى التراب رفاتا عائدون كهيئتكم قبل الممات خلقا جديدا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق قال ذلك مشركو قريش والمشركون من الناس ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق اذا أكلتكم الارض وصرتم رفاتا وعظاما وقطعتكم السباع والطير انكم لفى خلق جديد ستحيون وتبعثون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله هل ندلكم على رجل الى خلق جديد قال يقول اذا مزقتم واذا بليتم وكنتم عظاما وترابا ورفاتا ذلك كل ممزق انكم لفى خلق جديد قال ينبئكم أنكم فكسر ان ولم يعمل ينبئكم فيها ولكن ابتدأ بها ابتداء لأن النبأ خبر وقول فالكسر فى ان لمعنى الحكاية فى قوله ينبئكم دون لفظه كأنه قيل يقول لكم انكم لفى خلق جديد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أفترى على الله كذبا أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء الذين كفروا به وأنكروا البعث بعد الممات بعضهم لبعض معجبين من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وعدنا اياهم ذلك أفترى هذا الذى يعدنا أنا بعد أن نمزق كل ممزق فى خلق جديد على الله كذبا فنتخلق عليه بذلك باطلا من القول وتخرص عليه قول الزور أم به جنة يقول أم هو مجنون فيتكلم بما لا معنى له وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا سعيد عن قتادة قال قالوا تكذيبا أفترى على الله كذبا قال قالوا اما أن يكون يكذب على الله أم به جنة واما أن يكون مجنونا بل الذين لا يؤمنون الآية حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ثم قال بعضهم لبعض أفترى على الله كذبا أم به جنة الرجل مجنون فينكم

(ان فى ذلك) النظر والاعتبار (لآية لكل عبد منيب) لان الراجع الى ربه قلما يخلو من الاعتبار والاستبصار ثم ذكر من عباده المنيبين اليه داود وسليمن كما قال فى ص فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب وقال فى سليمن وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب وفى قوله منا تنويه بالفضل وشأنه ثم بين الفضل بقوله (يا جبال أوبى) لأن هذا القول نوع من ايتاء الفضل ويجوز أن يكون التقدير قلنا ياجبال أوبى أى رجعى معه التسبيح قيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تساعده على نوحه بأصدائها والطير بأصواتها وقدم تحقيقه فى سورة الانبياء والتأويب السير طول النهار والنزول ليلا فكأنه قال أوبى النهار كله بالتسبيح معه وفى خطاب الجماد اشعار بأنه ما من صامت ولا ناطق الا وهو منقاد لمشيئته وقد ألان الله له الحديد كالشمع أولان الحديد فى يده لما أوتى من شدة القوة وأن فى قوله (أن اعمل) مفسرة لأن الالانة الحديد له فى معنى الامر بأن يستعمل سابغات أى دروعا واسعة وهى من الصفات التى غلبت عليها الاسمية حتى ترك ذكر موصوفها والسرد نسج الدروع ومعنى التقدير فيه أن لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتفصم الحلق يروى أنه كان يخرج حين ملك بنى اسرائيل متنكرا فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون فى داود فيثنون عليه فقيض الله تعالى ملكا فى صورة آدمى فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فخاف داود فسأله فقال لولا أنه يطعم عياله من بيت المال فطلب عند ذلك من الله أن يغنيه عن أكل بيت المال فعلمه صنعة اللبوس

بما لا يعقل فقال الله بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد وقوله بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد يقول تعالى ذكره ما الامر كما قال هؤلاء المشركون فى محمد صلى الله عليه وسلم وظنوا به من أنه افترى على الله كذبا أو أن به جنة لكن الذين لا يؤمنون بالآخرة من هؤلاء المشركين فى عذاب الله فى الآخرة وفى الذهاب البعيد عن طريق الحق وقصد السبيل فهم من أجل ذلك يقولون فيه ما يقولون حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال الله بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد وأمره أن يحلف لهم ليعتبروا وقرأ قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم الآية كلها وقرأ قل بلى وربى لتأتينكم وقطعت الألف من قوله أفترى على الله فى القطع والوصل ففتحت لأنها ألف استفهام فأما الالف التى بعدها التى هى ألف افتعل فانها ذهبت لانها خفيفة زائدة تسقط فى اتصال الكلام وغيرها سواء عليهم أستغفرت لهم وبيدى أستكبرت وأصطفى البنات وما أشبه ذلك وأما ألف الآن والذكرين فطولت هذه ولم تطول تلك لأن الآن والذكرين كانت مفتوحة فلو أسقطت لم يكن بين الاستفهام والخبر فرق فجعل التطويل فيها فرقا بين الاستفهام والخبر وألف الاستفهام مفتوحة فكانتا مفترقتين بذلك فاغنى ذلك دلالة على الفرق من التطويل ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء ان فى ذلك لآية لكل عبد منيب ﴾ يقول تعالى ذكره أفلم ينظر هؤلاء المكذبون بالمعاد الجاحدون البعث بعد الممات القائلون لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم أفترى على الله كذبا أم به جنة الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض فيعلموا أنهم حيث كانوا فان أرضى وسمائى محيطة بهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم فيرتدعوا عن جهلهم ويتزجروا عن تكذيبهم بآياتنا حذرا أن نأمر الارض فتخسف بهم أو السماء فتسقط عليهم قطعا فانا ان نشأ نفعل ذلك بهم فعلنا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم فليبصروا عن أيمانهم وعن شمائلهم كيف السماء قد أحاطت بهم ان نشأ نخسف بهم الأرض كخسف بمن كان قبلهم أو نسقط عليهم كسفا من السماء أى قطعا من السماء وقوله ان فى ذلك لآية لكل عبد منيب يقول تعالى ذكره ان فى احاطة السماء والارض بعباد الله لآية يقول لدلالة لكل عبد منيب يقول لكل عبد أناب الى ربه بالتوبة ورجع الى معرفة توحيده والاقرار بربوبيته والاعتراف بوحدانيته والاذعان لطاعته على أن فاعل ذلك لا يمتنع عليه فعل شئ أراد فعله ولا يتعذر عليه فعل شئ شاءه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا سعيد عن قتادة ان فى ذلك لآية لكل عبد منيب والمنيب المقبل التائب ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحا انى بما تعملون بصير ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أعطينا داود منا فضلا وقلنا للجبال أوبى معه سبحى معه اذا سبح والتأويب عند العرب الرجوع يقال بيت الرجل فى منزله وأهله ومنه قول الشاعر

(أما اختاره ذلك لانه وقاية للروح ويحفظ الآدمى المكرم عند الله من القتل فالزراد خير من القواس والسياف وقيل ان التقدير فى السرد شارة الى أنه غير مأمور به أمر ايجاب انما هو اكتساب يكون بقدر الحاجة الى القوت وباقى اليوم والليلة للعبادة بدليل قوله (واعملوا صالحا)

اى استم يا آل داود مخلوقين الا للعمل الصالح فاكثروا منه واما كسب القوت فاقتصدوا فيه ثم اكد العمل الصالح بقوله انى بما تعملون بصير فان من يعلم أنه يرى من الملك اجتهد في حسن العمل وتزكية الباطن ثم ذكر المنيب الآخر وهو سليمن وحكى ما استفاد هو بالانابة وهو تسخير الريح له كالمملوك المنقاد لأمره (غدوها شهر) أى جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشى كذلك يروى أن بعض أصحاب سليمن كتب فى منزل بناحية دجلة نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه وباتون بالشام ان شاء الله ومن جملة معجزاته اسالة عين القطر والقطر النحاس أساله لاجله كما ألان الحديد لداود فنبع كما ينبع الماء من العين فلذلك سماه عين القطر روى أنه كان يسيل فى شهر ثلاثة أيام زعم بعض المتحذلقين أن المراد من تسخير الجبال وتسبيحها مع داود أنها كانت تسبح كما يسبح كل شئ بحمده وكان هو عليه السلام يفقه تسبيحهم فيسبح والمراد من تسخير الريح أنه راض الخيل وهى كالريح وقوله غدوها شهر أى ثلاثون فرسخا لأن الذى يخرج للتفرج لا يسير فى العادة أكثر من فرسخ ثم يرجع والمراد بالانة الحديد واسالة القطر أنهم استخرجوا الحديد والنحاس بالنار واستعمال آلاتها والمراد بالشياطين ناس أقوياء ولا يخفى ضعف هذه التأويلات فان قدرة الله فى باب خوارق العادات أكثر وأكمل من أن تحتاج الى هذه التكلفات وقال فى التفسير الكبير الجبال لما سبحت تشرفت بذكر الله فلم يضفها الى داود بلام الملك بل جعلها معه كالمصاحب والريح لم يذكر فيها أنها سبحت بفعلها كالمملوكة أو تقول الجبال فى السير ليس أصلا بل هو يتحرك معه تبعا والريح لا تتحرك مع سليمن بل تتحرك مع نفسها فلم يقل الريح مع سليمن بل سليمن كان مع الريح وههنا نكتة وهى أن الله تعالى ذكر ثلاثة أشياء فى حق داود وثلاثة فى حق سليمن

(١) لعله كالمصروف عن جهته تأمل

يومان يوم مقامات وأندية * ويوم سير الى الاعداء تأويب

أى رجوع وقد كان بعضهم يقرؤه أوبى معه من آب يؤب بمعنى تصرفى معه وتلك قراءة لا أستجيز القراءة بها لخلافها قراءة الحجة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى سليمن بن عبد الجبار قال ثنى محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة وحدثنا محمد ابن سنان القزاز قال ثنا الحسن بن الحسن الأشقر قال ثنا أبو كدينة عن عطاء عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس أوبى معه قال سبحى معه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ياجبال أوبى معه يقول سبحى معه حدثنا أبو عبد الرحمن العلائى قال ثنا عن مسعر عن أبى حصين عن أبى عبد الرحمن ياجبال أوبى معه يقول سبحى حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن أبى اسحق عن أبى ميسرة ياجبال أوبى معه قال سبحى بلسان الحبشة حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى قال ثنا فضيل عن منصور عن مجاهد فى قوله ياجبال أوبى معه قال سبحى معه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ياجبال أوبى معه قال سبحى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ياجبال أوبى معه أى سبحى معه اذا سبح وحدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ياجبال أوبى معه قال سبحى معه قال والطير أيضا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ياجبال أوبى معه قال سبحى حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان بن معاوية عن جويبر عن الضحاك قوله ياجبال أوبى معه سبحى معه وقوله والطير وفى نصب الطير وجهان أحدهما على ما قاله ابن زيد من أن الطير نوديت كما نوديت الجبال فتكون منصوبة من أجل أنها معطوفة على مرفوع مما لا يحسن اعادة رافعه عليه فيكون(١) كالمصدر عن جهته والآخر فعل ضمير متروك استغنى بدلالة الكلام عليه فيكون معنى الكلام فقلنا ياجبال أوبى معه وسخرنا له الطير وان رفع ردّا على ما فى قوله سبحى من ذكر الجبال كان جائزا وقد يجوز رفع الطير وهو معطوف على الجبال وان لم يحسن ندائها بالذى نوديت به الجبال فيكون ذلك كما قال الشاعر

ألا يا عمرو والضحاك سيرا * فقد جاوزتما خمر الطريق

وقوله وألنا له الحديد ذكر أن الحديد كان فى يده كالطين المبلول يصرفه فى يده كيف يشاء بغير ادخال نار ولا ضرب بحديد ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وألنا له الحديد سخر الله له الحديد بغير نار حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن عثمة قال ثنا سعيد بن بشير عن قتادة فى قوله وألنا له الحديد كان يسوّيها بيده ولا يدخلها نارا ولا يضربها بحديد وقوله أن اعمل سابغات يقول وعهدنا اليه أن اعمل سابغات وهى التوام الكوامل من الدروع * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أن اعمل سابغات دروع وكان أول من صنعها داود انما كان قبل ذلك صفائح حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أن اعمل سابغات

والجبال المسخرة لداود من جنس تسخير الريح لسليمن اذ كل منهما ثقيل مع خفيف فالجبال أثقل من الآدمى والآدمى أثقل من الريح وايضا تسخير الطير من جنس الجن فان الطير تنفر من الآدمى والآدمى يتقى مواضع الجن والجن تطلب أبدا اصطياد الناس والانسان يطلب اصطياد الطير والآلة الحديد شبيهة بآلة القطر وفى قوله (باذن ربه) اشارة الى أن حضور الجن بين يديه كان مصلحة له لا مفسدة وفى قوله (عن أمرنا) دون أن يقول عن أمر ربه اشارة الى أن الجن كانوا يصددا التعذيب عند زيغهم عن أمر الله فان لفظ الرب ينبئ عن الرحمة وصيغة جمع المتكلم فى مقام الوحدة ينبئ عن الهيبة قال ابن عباس عذاب السعير عذاب الآخرة وعن السدى كان معه ملك بيده سوط من النار كلما استعصى عليه الجنى ضربه من حيث لا يراه الجنى ثم فصل عمل الجن بقوله (يعملون له ما يشاء من محاريب) وهى المساجد والمجالس الرفيعة الشريفة المصونة عن الابتذال وقدم فى آل عمران والتماثيل صور الملائكة والنبيين كان يأمر بأن تعمل فى المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم عن أبى العالية لم يكن اتخاذ الصور فى تلك الشرائع محرما ولعلها صور غير الحيوان من الاشجار ونحوها ويروى أنهم عملوا له أسدين فى أسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا أراد أن يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد أظلته النسران بأجنحتهما وحين فرغ من تقرير مسكنه ومفروشه شرع فى تقرير آلات مجلسه فقدم ذكر الجفان التى بها تظهر عظمة البساط الممدود منه

جمع الجفنة الكبيرة والجوابى الحياض الكبار لان الماء يجبى فيها أى يجمع جعل الفعل لها مجازا وهى من الصفات الغالبة كالدابة والبغلة على الجفنة ألف رجل وحين ذكر الجفان كان يقع فى النفس أن هذه الاطعمة كيف تكون قدورها فذكر أنها قدور راسيات

على السابغات دروع الحديد وقوله وقدر فى السرد اختلف أهل التأويل فى السرد فقال بعضهم السرد هو مسمار حلق الدرع ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقدر فى السرد قال كان يجعلها بغير نار ولا يقرعها بحديد ثم يسردها والسرد المسامير التى فى الحلق * وقال آخرون هو الحلق بعينها ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وقدر فى السرد قال السرد حلقه أى قدر تلك الحلق قال وقال الشاعر * أجاد المسدى سردها وأذالها * قال يقول وسعها وأجاد حلقها حدثنا محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وقدر فى السرد يعنى بالسرد ثقب الدروع فيسد فيرها وقال بعض أهل العلم بكلام العرب يقال درع مسرودة اذا كانت مسمورة الحلق واستشهد لقيله ذلك بقول الشاعر

وعليهما مسرودتان قضاهما * داود أو صنع السوابغ تبع

قيل انما قال الله لداود وقدر فى السرد لانها كانت قبل صفائح ذكر من قال ذلك حدثنا نصر بن على قال ثنا أبى قال ثنا خالد بن قيس عن قتادة وقدر فى السرد قال كانت صفائح فأمر أن يسردها حلقا وعنى بقوله وقدر فى السرد وقدر المسامير فى حلق الدروع حتى يكون مسمارا لا تغلظ المسمار وتضيق الحلقة فتقصم الحلقة ولا توسع الحلقة وتصغر المسامير وتدقها فتفلس فى الحلقة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وقدر فى السرد قال قدر المسامير والحلق لا تجعل المسامير فتفلس ولا تجعلها قال محمد بن عمرو وقال الحرث فتقصم حدثنى على بن سهل قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله وقدر فى السرد قال لا تصغر المسمار وتعظم الحلقة فتفلس ولا تعظم المسمار وتصغر الحلقة فيقصم المسمار حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا أبى عن الحكم فى قوله وقدر فى السرد قال لا تغلظ المسمار فيقصم الحلقة ولا تدقه فيفلق وقوله واعملوا صالحا يقول تعالى ذكره واعملوا يا داود أنت وآل بطاعة الله انى بما تعملون بصير يقول جل ثناؤه انى بما تعمل أنت وأتباعك ذو بصر لا يخفى على منه شئ وأنا مجازيك وإياهم على جميع ذلك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولسليمن الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله ولسليمن الريح فقرأته عامة قراء الأمصار ولسليمن الريح بنصب الريح بمعنى ولقد آتينا داود منا فضلا وسخرنا لسليمن الريح وذلك عاصم ولسليمن الريح رفعا بحرف الصفة اذ لم يظهر الناصب * والصواب من القراءة فى ذلك عندنا النصب لاجماع الحجة من القراء عليه وقوله غدوها شهر يقول تعالى ذكره وسخرنا لسليمن الريح غدوها الى انتصاف النهار مسيرة شهر ورواحها من انتصاف النهار الى الليل مسيرة شهر * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال اهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولسليمن الريح غدوها شهر ورواحها شهر قال تغدو

ثابتات على الأثافى لاتزل عنها لعظمها و يعلم من تقرير قصتى داود وسليمن أن اشتغال داود بآلة الحرب اكثر لانه قتل جالوت ثم تسوية الملك والغلبة على الجبابرة وأما فى زمن سليمن فالملك قد استوى ولم يكن على وجه الارض أحد يقاومه وكان الاموال فى الاطعام والانعام ثم بين بقوله (اعملوا آل داود شكرا) أن الدنيا عرض زائل وان كان ملك سليمن فعلى العاقل أن يصرف همته فى طلب الآخرة وانتصب شكرا على أنه مفعول له أو حال أى شاكرين أو مصدرا لأن اعملوا فى معنى الشكر أو مفعول به لان الشكر عمل صالح وقال جار الله انه على طريق المشاكلة ومعناه اذا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ماشئتم فاعملوا أنتم شكرا قلت وفى لفظ العمل اشارة الى أن الشكر اللسانى غير كاف وانما المعتبر الشكر الفعلى أو هو مع القولى يروى أن داود عليه السلام جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتى ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلى والشكور هو المتوفر على أداء الشكر الباذل وسعه فيه بالقلب واللسان والجوارح فى أكثر الاوقات والاحوال وانهم لقليل فلذلك قال بعضهم اللهم اجعلنى من الأقلين وهذا الشكر القليل انما هو بقدر الطاقة البشرية وأما الذى يناسب نعم الله فلن يقدر الانسان عليه الا أن يقول الله عبدى ما أتيت به من الشكر قبلته منك مع قلته وكتبتك شاكرا لأنعمى بأسرها وهذا القول نعمة عظيمة لا أكلفك شكرها وحين بين عظمة سليمن وتسخير الريح والجن له بين أنه لم ينج من الموت وأنه قضى عليه الموت ولو نجا أحد منه لكان نبى الله أولى بذلك يروى أن داود عليه السلام أسس بناء بيت المقدس فمات قبل أن يتمه فوصى به الى سليمن فأمر الشياطين باتمامه وكان من عادته أن يعتكف فيه أحيانا فلما دنا أجله لم يصبح الا رأى فى محرابه شجرة نابتة قد أنطقها الله عز وجل فسألها الأى شئ أنت فقالت

مسيرة شهر وتروح مسيرة شهر قال مسيرة شهرين فى يوم حدثنا ابن حميد قال ثنا عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه ولسليمن الريح غدوها شهر و رواحها قال ذكر لى أن منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتاب كتبه بعض صحابة سليمن إما من وإما من الانس نحن نزلناه ومابنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن راحلون ان شاء الله فبائتون بالشام حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ولسليمن الريح غدوها شهر و رواحها شهر قال كان له مركب من خشب وكان فيه ألف فى كل ركن ألف بيت تركب فيه الجن والانس تحت كل ركن ألف شيطان يرفعون ذلك المركب هم والعصار فاذا ارتفع أتت الريح الرخاء فسارت به وساروا معه يقيل عند قوم بينه و بينهم و يمسى عند قوم بينه و بينهم شهر ولا يدرى القوم الا وقد أظلهم معه الجيوش والجنود حدثنى ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن الحسن فى قوله غدوها شهر ورواحها شهر قال يغدو فيقيل فى اصطخر ثم يروح منها فيكون رواحها بكابل حدثنا ابن بشار قال ثنا قال ثنا قرة عن الحسن بمثله وقوله وأسلنا له عين القطر يقول وأذبنا له عين النحاس وأجريناها

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد ثنا سعيد عن قتادة وأسلنا له عين القطر عين النحاس كانت بأرض اليمن وانما ينفع الله بها أخرج الله لسليمن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأسلنا له عين القطر قال الصفر سال كما يسيل الماء يعمل به كما كان يعمل العجين فى الطين حدثنى على ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وأسلنا له عين القطر يقول له حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وأسلنا له عين القطر يعنى عين النحاس أسيلت وقوله ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه يقول تعالى ذكره ومن الجن من يطيعه ويأتمر بأمره وينتهى لنهيه فيعمل بين يديه طاعة له باذن ربه يقول بأمر الله له بذلك وتسخيره اياه له ومن يزغ منهم عن أمرنا يقول ومن يعدل من الجن عن أمرنا الذى أمرناه من طاعة سليمن نذقه من عذاب السعير فى الآخرة وذلك عذاب نار جهنم الموقدة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن يزغ منهم عن أمرنا أى عما أمرناهما أمره به سليمن نذقه من عذاب السعير ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور ﴾ يعنى تعالى ذكره يعمل الجن لسليمن ما يشاء من محاريب وهى جمع محراب والمحراب مقدم كل مسجد وبيت ومصلى ومنه قول عدى بن الرقاع

كدمى العاج فى المحاريب أو كالـ ـبيض فى الروض زهره مستنير

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ما يشاء من محاريب قال بنيان دون القصور حدثنا بشر

حتى اصبح ذات يوم فرأى الخروبة فسألها لأى شئ انت فقالت لخراب هذا المسجد فقال ما كان الله ليخربه وانا حى فقال اللهم عم على الجن موتى حتى يعلم الناس أنهم لا يعلمون الغيب وقال لملك الموت اذا أمرت بى فاعلمنى فقال أمرت بك وقد بقيت فى عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه فبقى كذلك وظن جنوده أنه فى العبادة فكانوا يواظبون على الأعمال الشاقة الى أن أكلت الأرضة عصاه فخر ميتا وذلك بعد سنة والارض مصدر أرضت الخشبة أرضا اذا أكلتها الارضة والمنسأة العصا لأنه ينسأ بها أى يطرد ويؤخر وقد يترك همزها وقرئ من سأته أى طرف عصاه سميت بسأة القوس على الاستعارة وتبينت بمعنى ظهرت وأن مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال على نحو قولك تبين زيد جهله أو هو بمعنى علمت أى علم الجن كلهم بعد التباس الأمر على عامتهم أن كبارهم لا يعلمون الغيب وكان ادعاؤهم ذلك من قبل زورا أو المراد التهكم بهم وأن الذين ادعوا منهم علم الغيب اعترفوا بعجزهم مع أنهم كانوا من قبل عارفين بعجزهم كما وقلت لمدعى الباطل اذا دحضت حجته هل تبينت أنك مبطل وأنت تعلم أنه لم يزل متبينا ذلك وكان عمر سليمان ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة وبقى فى ملكه الى أن مات وابتدأ ببناء بيت المقدس لأربع مضين من ملكه ولما بين حال الشاكرين لأنعمه ذكر حال من كفر النعمة وسبأ يصرف بناء على أنه اسم للحى أو الاب الاكبر ولا يصرف بتأويل القبيلة وهو سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان ثم سميت مدينة مأرب بسبا وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث

يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يعملون له ما يشاء من محاريب وقصور ومساجد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يعملون له ما يشاء من محاريب قال المحاريب المساكن وقرأ قول الله فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب حدثنى عمرو بن عبد الحميد الآملى قال ثنا مروان بن معاوية عن جويبر عن الضحاك يعملون له ما يشاء من محاريب قال المحاريب المساجد وقوله وتماثيل يعنى أنهم يعملون له تماثيل من نحاس وزجاج كما حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وتماثيل قال من نحاس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وتماثيل قال من زجاج وشبه حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان عن جويبر عن الضحاك فى قول الله وتماثيل قال الصور قوله وجفان كالجواب يقول ويخترن له ما يشاء من جفان كالجواب وهى جمع جابية والجابية الحوض الذى يجبى فيه الماء كما قال الاعشى ميمون بن قيس

تروح على نادى المحلق جفنة ∗ كجابية الشيخ العراقى تفهق

وكما قال الآخر

فصبحت جابية صهاريجا ∗ كأنها جلد السماء خارجا

ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وجفان كالجواب يقول كالجوبة من الارض حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وجفان كالجواب يعنى بالجواب الحياض وحدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن وجفان كالجواب قال كالحياض حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وجفان كالجواب قال حياض الابل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجفان كالجواب قال جفان كجوبة الارض من العظم والجوبة من الارض يستنقع فيها الماء حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وجفان كالجواب كالحياض حدثنا عمرو قال ثنا مروان بن معاوية قال ثنا جويبر عن الضحاك وجفان كالجواب قال كحياض الابل من العظم وقوله وقدور راسيات يقول وقدور ثابتات لا يحركن عن أماكنهن ولا تحول لعظمهن ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وقدور راسيات قال عظام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقدور راسيات قال عظام ثابتات فى الارض لا يزلن عن أمكنتهن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وقدور راسيات قال مثال الجبال من عظمها

من قرأ ما كنهم فظاهر ومن قرأ على التوحيد فالمراد مسكن كل واحد منهم أو موضع سكناهم وهو بلدهم وأرضهم عن الضحاك

كانوا فى الفترة التى بين عيسى ومحمد عليهما السلام ومعنى كون الجنتين آية أنه جعل قصتهما عبرة لأهل الكفران أو علامة دالة على ال
وكمال اقتداره ووجوب شكره قال جار الله (٥٠) لم يرد بستانين اثنين فحسب وانما أراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بل
وأخرى عن شمالها كأن كل واحدة من الجماعتين فى تقاربها وتضامها جنة واحدة أو أراد بستانى كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كقوله جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وقوله (كلوا من رزق) حكاية لسان الحال أو لسان الانبياء المبعوثين اليهم وهم ثلاثة عشر نبيا على ما روى وفيه اشارة الى كمال النعمة حيث لم يمنعهم من أكل ثمارها خوف ولا مرض وكذا قوله واشكروا له لأن الشكر لا يطلب الا على النعمة المعتبرة وكذا قوله (بلدة طيبة) أى عن المؤذيات من العقارب والحيات وسائر الهوام والحشرات أو المراد أنها ليست بسبخة كقوله والبلد الطيب (ورب غفور) أى ربكم الذى رزقكم فطلب شكركم غفور لمن يشكره بقدر طاقته لا يؤاخذه بالتقصير فى أداء حق الشكر اذا توجه عليه الشكر وبذل وسعه فيه أو أراد غفران سائر الذنوب فكأنه وعدهم سعادة الدارين وعن ثعلب معناه اسكن واعبد وحين بين ما كان من جانبه ذكر ما كان من جانبهم وهو قوله (فأعرضوا) أى عن الشكر ثم ذكر جزاءهم بقوله (فأرسلنا عليهم سيل العرم) وهو الجرذ يروى أن بلقيس الملكة عمدت الى جبال هناك فسدت ما بينها من الشعب بالصخر والقار فحقنت به ماء العيون والأمطار وتركت فيه خروقا لها أبواب مترتبة بعضها فوق بعض على مقدار ما يحتاجون اليه فى سقى أراضيهم فلما طغوا سلط الله على سدهم الجلد فثقبه من أسفله وقيل العرم جمع عرمة وهى الحجارة المركوزة والخابية والمراد بها المسناة التى عقدوها سكرا وقيل العرم اسم الوادى وقيل المطر الشديد والتركيب يدل على الشكاسة وسوء الخلق ومنه

يعمل فيها الطعام من الكبر والعظم لا تحرك ولا تنقل كما قال للجبال راسيات وقوله اعملوا
داود شكرا يقول تعالى ذكره وقلنا لهم اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكرا له على ما أنعم عليكم
النعم التى خصكم بها عن سائر خلقه مع الشكر له على سائر نعمه التى عمكم بها مع سائر خلقه و
ذكر وقلنا لهما كتفاء بدلالة الكلام على ما ترك منه وأخرج قوله شكرا مصدرا من قوله اعملوا
داود لأن معنى قوله اعملوا اشكروا ربكم بطاعتكم اياه وأن العمل بالذى رضى الله للشكر و
الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى
واضح قال ثنا موسى بن عبادة عن محمد بن كعب قوله اعملوا آل داود شكرا قال الشكر تقوى
والعمل بطاعته حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أخبرنى حيوة عن زه
ابن معبد أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلى يقول اعملوا آل داود شكرا وأفضل الشكر الحمد
أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله اعملوا آل داود شكرا قال أعطاكم وعلمكم وسخر
ما لم يسخر لغيركم وعلمكم منطق الطير اشكروا له يا آل داود قال الحمد طرف من الشكر و
وقليل من عبادى الشكور يقول تعالى ذكره وقليل من عبادى المخلصو توحيدى والقيا
طاعتى وشكرى على نعمتى عليهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من
ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وقل
من عبادى الشكور يقول قليل من عبادى الموحدون توحيدهم ﴿ القول فى تأويل قوله تع
﴿ فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت ا
أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين ﴾ يقول تعالى ذكره فلما أمضينا قضاءنا
سليمن بالموت فمات ما دلهم على موته يقول لم يدل الجن على موت سليمن الا دابة الار
وهى الأرضة وقعت فى عصاه التى كان متكئا عليها فأكلتها فذلك قول الله عز وجل تأكل من
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى ابن المثنى وعلى قالا
أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله الا دابة الارض تأكل منسأته
الأرضة تأكل عصاه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى
أبيه عن ابن عباس قوله تأكل منسأته قال عصاه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنى أبو
قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نج
عن مجاهد قوله الا دابة الارض قال الأرضة تأكل منسأته قال عصاه حدثنى محمد بن عم
قال ثنا عبد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد تأكل منسأته قال عص
حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن عثمة قال ثنا سعيد بن بشير عن قتادة فى قوله تأكل من
أكلت عصاه حتى خر حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن الس
المنسأة العصا بلسان الحبشة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الله
العصا واختلفت القراء فى قراءة قوله منسأته فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل الب
منساته غير مهموزة وزعم من اعتل لقارئ ذلك كذلك من أهل البصرة أن المنساة العص
أصلها من نسأت بها الغنم قال وهى من الهمز الذى تركته العرب كما تركوا همز النبى و

عارم من العرام بالضم اى شرس ومن ذلك عرمت العظم عرقته وعرمت الابل الشجر نالت منه (ذواتى اكل) صاحبتى ثمر
باس ذاتى الا أن المستعمل فى التثنية هو الجمع والخمط شجر الاراك أبو عبيدة كل شجر ذى شوك الرماح كل نبت أخذ

طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله
والأثل نوع من الطرفاء لا يكون
عليه ثمرة الا نادرا كالعفص فى الطعم
والطبع ولكن أصغر والسدر معروف
وهو من أحسن أشجار البادية
فلذلك وصفه ههنا بالقلة عن الحسن
قلل السدر لانه أكرم ما بدلوا
والتحقيق فيه أن البساتين اذا عمرت
كل سنة ونقيت من الحشائش
كانت ثمارها زاكية وأشجارها عالية
فاذا تركت سنين صارت كالغيضة
والأجمة والتفت الاشجار بعضها
ببعض فيقل الثمر وتكثر الحشائش
والاشجار ذوات الشوك على أنه
لا يبعد التبديل تحقيقا فيكون شبه
المسخ من قرأ أكل خمط بالاضافة
فظاهر ومن قرأ بالتنوين فعلى
حذف المضاف أى أكل أكل
خمط أو وصف الاكل بالخمط كأنه
قيل ذواتى أكل بشع وتسمية البدل
جنتين لأجل المشاكلة أو التهكم
قال فى الكشاف الأثل والسدر
معطوفان على أكل لا على خمط لان
الأثل لا أكل له (ذلك) الارسال
والتبديل (جزيناهم بما كفروا)
النعمة وغمطوها (وهل نجازى)
مثل هذا الجزاء وهو العقاب العاجل
(الا الكفور) قال بعضهم المجازاة
فى النقمة والجزاء فى النعمة الا اذا
قيد كقوله سبحانه جزيناهم بما
كفروا وقال جار الله الجزاء عام
لكل مكافأة يستعمل فى المعاقبة
تارة وفى الاثابة أخرى فلما استعمل
أولا فى معنى المعاقبة استعمل ثانيا
على نحو ذلك وقيل ان المجازاة مفاعلة
لا تكون الا بين اثنين يوجد من كل واحد جزاء فى حق الآخر ففى النعمة لا يكون مجازاة لان الله مبتدئ بالنعم وحين ذكر حال
كفرهم وجنايتهم وحكى تبديل الجنتين بما لا نفع فيه أراد أن يذكر حال خارج بلدهم وما يؤول اليه أمره فقال (وجعلنا بينهم وبين القرى

الجاهلية وأنشد لترك الهمز فى ذلك بيت البعض الشعراء

اذا دببت على المنساة من هرم * فقد تباعد عنك اللهو والغزل

وذكر الفراء عن أبى جعفر الرواسى أنه سأل عنها أبا عمرو فقال منسأته بغير همز وقرأ ذلك عامة
أهل الكوفة منسأته بالهمز وكأنهم وجهوا ذلك الى أنها مفعلة من نسأت البعير اذا زجرته ليزداد
سيره كما يقال نسأت اللابن (١) اذا صدرت عليه الماء وهو النسىء وكما يقال نسأ الله فى أجلك أى أدام
الله من أيام حياتك «قال أبو جعفر» وهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء بمعنى
واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وان كنت أختار الهمز فيها لأنه الأصل وقوله فلما خر تبينت
الجن يقول عز وجل فلما خر سليمن ساقطا بانكسار منسأته تبينت الجنّ أن لو كانوا يعلمون
الغيب الذى يدّعون علمه ما لبثوا فى العذاب المهين المذل حولا كاملا بعد موت سليمن وهم
يحسبون أن سليمن حىّ » ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا
محمد بن منصور قال ثنا موسى بن مسعود أبو حذيفة قال ثنا ابراهيم بن طهمان عن عطاء
بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان سليمن نبىّ
اذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول لها ما اسمك فتقول كذا فيقول لأى شئ أنت فان كانت
تغرس غرست وان كانت لدواء كتبت فبينما هو يصلى ذات يوم اذ رأى شجرة بين يديه فقال لها
ما اسمك قالت الخروب قال لأى شئ أنت قالت لخراب هذا البيت فقال سليمن اللهم عم على
الجن موتى حتى يعلم الانس أن الجنّ لا يعلمون الغيب فنحتها عصا فتوكأ عليها حولا مينا والجن
تعمل فأكلتها الأرضة فسقط فتبينت الانس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا
فى العذاب المهين قال وكان ابن عباس يقرؤها كذلك قال فتركت الجن للأرضة فكانت تأتيها
بالماء حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدّى فى خبر ذكره
عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وعن أناس من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان سليمن يتجرد فى بيت المقدس السنة والسنتين
والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر يدخل طعامه وشرابه فأدخله فى المرة التى مات فيها
فكان ذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه الا نبت فيه شجرة فيسألها ما اسمك فتقول الشجرة اسمى كذا وكذا
فيقول لها لأى شئ نبت فتقول نبت لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع فان كانت نبتت لغرس غرسها
وان كانت نبتت لدواء قالت نبت دواء لكذا وكذا فيجعلها كذلك حتى نبتت شجرة يقال لها
الخروبة فسألها ما اسمك فقالت له أنا الخروبة فقال لأى شئ نبت قالت لخراب هذا المسجد قال
فلعمرى ما كان الله ليخربه وأنا حى أنت التى على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس فتزعها
فوجد فى حائط له ثم دخل المحراب فقام يصلى متكئا على عصاه فمات ولا تعلم به الشياطين
وذلك وهم يعملون له يخافون أن يخرج فيعاقبهم وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب وكان
يرى ظله كوى بين يديه وخلفه وكان الشيطان الذى يريد أن يخلع يقول ألست جلدا ان دخلت
خرجت من الجانب الآخر فدخل شيطان من أولئك فمر ولم يكن شيطان ينظر الى سليمن
فى المحراب الا احترق فمرّ ولم يسمع صوت سليمن عليه السلام ثم رجع فلم يسمع ثم رجع فوقع

(١) لعله اذا صببت تأمل كتبه مصححه

التى باركنا فيها) وهى قرى الشام (قرى ظاهرة) متواصلة يرى من كل منها ما يتلوها لتقاربها أو ظاهرة للسابلة لكونها على متن الطريق (وقدرنا فيها السير سيروا) فيقيل الغادى فى قرية (٥٣) ويبيت الرائح فى أخرى فمنازل ما بين تلك القرى مقدرة ومعلومة لا يجاوزه المسافر عرفا بخلاف المفاوز فان السائر يسير فيها بقدر طاقته حتى يقطعها ثم بين أمن تلك الطريق بقوله سيروا أى قلنا لهم سيروا ان شئتم بالليل وان شئتم بالنهار قال أهل البيان لا قول ثمة ولكنهم مكنوا من السير بتهيئة أسبابه من وجدان الزاد والراحلة وعدم المخاوف والمضار فكأنهم أمروا بذلك والمقصود من ذكر الليالى والأيام تقرير كمال الامن ولذلك قدمت الليالى فانها مظنة الآفات ويمكن تقرير الأمن بوجه آخر وهو أن يقال سيروا فيها وان تطاولت مدة سفركم فيها وامتدت أياما وليالى أو يراد بالليالى والأيام مدة أعمارهم أى سيروا فيها مدة عمركم فانكم لا تلقون الا الامن ثم حكى أنهم سئموا العيش الهنى عوملوا الدعة والراحة كما طلب بنو اسرائيل البصل والفوم مكان المن والسلوى (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) أرادوا أن يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الأزواد قائلين لو كان جنى جناتنا أبعد كان أشهى وأرغد ويحتمل أن يكون ذلك لفساد اعتقادهم وشدة اعتمادهم على أن ذلك لا بعدم كما يقول القائل لغيره اضربنى مشيرا بذلك الى أنه لا يقدر عليه ومن قرأ على الابتداء والخبر فالمراد استبعاد مسايرهم على قصرها ودنوها لفرط تنعمهم وترفههم (وظلموا أنفسهم) بوضع الكفر موضع الشكر (فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق) فرقناهم كل تفريق فلا جرم اتخذ الناس حالهم مثلا قالوا ذهبوا أيدى سبا أى فى طرق شتى واليد فى كلام العرب الطريق يقال سلك بهم عن يد البحر وقيل الأيادى الأولاد لانه يعضدهم كما بالأيدى والمعنى ذهبوا تفرق أولاد سبا فلحق غسان بالشام وأنمار بيثرب وجذام تهامة

فى البيت فلم يحترق ونظر الى سليمن قد سقط فخرج فأخبر الناس أن سليمن قد مات ففتحوا عنه فأخرجوه ووجدوا منسأته وهى العصا بلسان الحبشة قد أكلتها الأرضة ولم يعلموا منذ كم مات فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وهى فى قراءة ابن مسعود فمكثوا يأبون له من بعد موته حولا كاملا فأيقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبونهم ولو أنهم علموا الغيب لعلموا بموت سليمن ولم يلبثوا فى العذاب سنة يعملون له وذلك قول الله ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خرت تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين يقول تبين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبونهم ثم ان الشياطين قالوا للارضة لو كنت تأكلين الطعام أتيناك بأطيب الطعام ولو كنت تشربين الشراب سقيناك أطيب الشراب ولكنا سنتقل اليك الماء والطين فالذى يكون فى جوف الخشب فهو ما تأتيها به الشياطين شكرا لها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كانت الجن تخبر الانس أنهم كانوا يعلمون من الغيب أشياء وأنهم يعلمون ما فى غد فابتلوا بموت سليمن فمات فلبث سنة على عصاه وهم لا يشعرون بموته وهم مسخرون تلك السنة يعملون دائبين فلما خرت تبينت الانس أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين ولقد لبثوا يأبون ويعملون له حولا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته قال قال سليمن لملك الموت يا ملك الموت اذا أمرت بى فأعلمنى قال فأتاه فقال يا سليمن قد أمرت بك قد بقيت لك سويعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلى واتكأ على عصاه قال فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه ولم يصنع ذلك فرارا من ملك الموت قال والجن تعمل بين يديه وينظرون اليه يحسبون أنه حى قال فبعث الله دابة الأرض قال دابة تأكل العيدان يقال لها القادح فدخلت فيها فأكلتها حتى اذا أكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها فخر ميتا قال فلما رأت الجن ذلك انفضوا وذهبوا قال فذلك قوله ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته قال والمنسأة العصا حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء قال كان سليمن بن داود يصلى فمات وهو قائم يصلى والجن يعملون لا يعلمون بموته حتى أكلت الارضة عصاه فخر وأما فى قوله أن لو كانوا فى موضع رفع بتبين لان معنى الكلام فلما خر تبين وانكشف أن لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين وأما على التأويل الذى تأوله ابن عباس من أن معناه تبينت الانس الجن فانه ينبغى أن يكون فى موضع نصب بتكريرها على الجن وكذلك يجب على هذه القراءة أن تكون الجن منصوبة غير أنى لا أعلم أحدا من قراء الأمصار يقرأ ذلك بنصب الجن ولو نصب كان فى قوله تبينت ضمير من ذكر الانس ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (لقد كان لسبا فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) يقول تعالى ذكره لقد كان لولد سبا فى مسكنهم علامة بينة وحجة واضحة على أنه لا رب لهم الا الذى أنعم عليهم النعم التى كانوا فيها وسبأ عن رسول الله اسم أبى اليمن ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن أبى حيان الكلبى عن يحيى بن هانئ عن عروة المرادى

والازد بعمان (ان فى ذلك) الجعل والتمزيق (لآيات لكل صبار) عن المعاصى (شكور) للنعم اوصبار على النعم حتى لا يلحقه البطر شكور لها برعاية حق الله فيها ثم أخبر عن ضعف عزم الانسان بقوله (٥٣) (ولقد صدق عليهم) أى على بنى آدم لقرينة الحال

عن رجل منهم يقال له فروة بن مسيك قال قلت يارسول الله أخبرنى عن سبا ما كان رجلا كان أوامرأة أوجبلا أودواب فقال لا كان رجلا من العرب وله عشرة أولاد فتيمن منهم ستة وتشاءم أربعة فأما الذين تيمنوا منهم فكندة وحمير والازد والاشعريون ومذحج وأنمار الذين منها خثعم وبجيلة وأما الذين تشاءموا فعاملة وجذام ولخم وغسان حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو أسامة قال ثنى الحسن بن الحكم قال ثنا أبو سبرة النخعى عن فروة بن مسيك القطيعى قال قال رجل يارسول الله أخبرنى عن سبا ما هو أرض أوامرأة قال ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرة من الولد فتيا من ستة وتشاءم أربعة فأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وعاملة وغسان وأما الذين تيامنوا فكندة والاشعريون والازد ومذحج وحمير وأنمار فقال رجل ما أنمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة حدثنا أبو كريب قال ثنا العنقزى قال أخبرنى أسباط بن نصر عن يحيى بن هانئ المرادى عن أبيه أوعن عمه «أسباط شك» قال قدم فروة ابن مسيك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أخبرنى عن سبا أجبلا كان أوأرضا فقال لم يكن جبلا ولا أرضا ولكنه كان رجلا من العرب ولد عشرة قبائل فذكر نحوه الا أنه قال وأنمار الذين يقولون منهم بجيلة وخثعم فان كان الامر كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن سبأ رجل كان الاجراء فيه وغير الاجراء معتدلين أما الاجراء فعلى أنه اسم رجل معروف وأما ترك الاجراء فعلى أنه اسم قبيلة أوأرض وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء واختلفت القراء فى قراءة قوله فى مساكنهم فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين لمساكنهم على الجماع بمعنى منازل آل سبا وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين فى مسكنهم على التوحيد وبكسر الكاف وهى لغة لأهل اليمن فيما ذكر لى وقرأ حمزة مسكنهم على التوحيد وفتح الكاف * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن كل ذلك قراآت متقاربات المعنى فبأى ذلك قرأ القارئ فمصيب وقوله آية قد بينا معناها قبل وأما قوله جنتان عن يمين وشمال فانه يعنى بستانان كائنين جبلين عن يمين من أتاهما وشماله وكان من صفتهما فيما ذكر لنا ما حدثنا محمد بن بشار قال ثنا سليمن قال ثنا أبو هلال قال سمعت قتادة فى قوله لقد كان لسبا فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال قال كانت جنتان بين جبلين فكانت المرأة تخرج مكتلها على رأسها فتمشى بين جبلين فيمتلئ مكتلها وما مست بيدها فلما طغوا بعث الله عليهم دابة يقال لها جرذ فنقبت عليهم فغرقتهم فما بقى لهم الا أثل وشئ من سدر قليل حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لقد كان لسبا فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال الى قوله فأعرضوا أرسلنا عليهم سيل العرم قال ولم يكن يرى فى قريتهم بعوضة قط ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية وان كان الركب ليأتون وفى ثيابهم القمل والدواب فما هم الا أن ينظروا الى بيوتهم فتموت الدواب قال وان كان الانسان ليدخل الجنتين فيمسك القفة على رأسه فيخرج حين يخرج وقد امتلأت تلك القفة من أنواع الفاكهة ولم يتناول منها شيأ بيده قال والسد يسقيها ورفعت الجنتان فى قوله جنتان عن يمين وشمال ترجمة عن الآية لأن معنى الكلام لقد كان لسبا فى مسكنهم آية هى جنتان عن أيمانهم وشمائلهم وقوله كلوا من رزق ربكم الذى يرزقكم من هاتين

وقيل على أهل سبا وظن ابليس هو قوله لأغوينهم أوقوله أنا خير منه بدليل قوله (فاتبعوه) والمتبوع خير من التابع ولا ريب أن الكافر أدون حالا من ابليس لانه خالف أمر الله فى سجدة آدم والكافر يجحد الصانع أويشرك به ثم بين بقوله (وما كان له) أن الشيطان ليس بملجئ ولكنه آية وعلامة يتميز به ما هو السابق فى علمه من المقر والشاك والحفيظ المحافظ ويدخل فى مفهوم الحفظ العلم والقدرة اذ الجاهل بالشئ لا يمكنه حفظه وكذا العاجز ﴿ التأويل يعلم ما يلج فى أرض البشرية بواسطة الحواس والاغذية الحلال والحرام وما يخرج منها من الصفات المتولدة منها وما ينزل من سماء القلب من الفيوض والالهامات وما يعرج فيها من آثار الفجور والتقوى وظلمة الضلالة ونور الهدى الى ما بين أيديهم وما خلفهم من سماء القلب وأرض النفس تخسف بهم أرض البشرية بغلبات صفاتها أو يغلب عليهم صفة من صفات القلب بالميل الى الافراط فيهلكهم بها كالسخاوة فانها صفة حميدة لكنها اذا جاوزت حد الاعتدال صارت ذميمة ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين يا جبال أوبى قدر تأويله فى سورة الانبياء وقدر فى السرد وهو التكلم بالحكمة على قدر عقول الناس ولسليمن القلب سخرت ريح العناية وذلك أن مركب القلوب فى السير هو الجذبة الالهية كما أن مركب البدن فى المسير البدن يروى أن سليمن فى سيره لاحظ ملكه يوما فقال الريح بساطه فقال سليمن للريح استوى فقالت ريح استو أنت فانى لا أكون مستوية حتى تستوى أنت كذلك حال السرمع القلب وريح العناية اذا زاغ القلب أزاغ الله بريح الخذلان

الى الله به بخاصية الاباء والاستكبار وأنفة السجود لغير الله ولو وكل القلب والروح الى خاصية الروحانية التى جبل الروح عليها ما كان يرغب فى العبور عن مقام الروحانية كالملائكة قال جبرائيل عليه السلام لو دنوت أنملة لاحترقت وجفان كالجواب فيه اشارة الى مأدبة الله التى يأكل منها الانبياء والاولياء اذ يبيتون عنده اعملوا آل داود وهم متولدات الروح فشكر البدن استعمال الشريعة بجميع الأعضاء والحواس وشكر النفس باقامة شرائط التقوى والورع وشكر القلب بمحبة الله وحده وشكر السر المراقبة وشكر الروح بذل الوجود على نار المحبة كالفراش على شعلة الشمعة وشكر الخفى قبول الفيض بلا واسطة فى مقام الوحدة مختفيا بنور الوحدة عن نفسه فالعوام شكرهم بالأقوال والخواص شكرهم بالأعمال وخواص الخواص شكرهم بالاحوال من الاتصاف بصفة الشكورية التى تعطى على عمل فان عشرة ثواب باق ولذلك وصفهم بالقلة تأكل منسأته اتكأ سليمن على عصاه فبعث الله أخس دابة لابطال متكئه وجعله سببا لزوال ملكه وفوات روحه وكان قبل متكئا على فضل الله فآتاه مالم يؤت أحدا من خلقه لقد كان لسبا السر جنتان جنة الروح عن يمين السر وجنة القلب عن شمال السر بلدة طيبة هى بلدة الانسانية القابلة لبذر التوحيد

الجنتين من زروعهما وأثمارهما واشكروا له على ما أنعم به عليكم من رزقه ذلك والى هذا
الخبر ثم ابتدأ الخبر عن البلدة فقيل هذه بلدة طيبة أى ليست بسبخة ولكنها كما ذكرنا من صف
عن عبد الرحمن بن زيدان كانت كما وصفها به ابن زيد من أنه لم يكن فيها شئ مؤذ الهمج والذبا
والهوام ورب غفور يقول ورب غفور لذنوبكم ان أنتم أطعتموه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك
أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قو
بلدة طيبة ورب غفور ورب غفور لذنوبكم قوم أعطاهم الله نعمة وأمرهم بطاعته ونهاهم
معصيته * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلنا
بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل
نجازى الا الكفور ﴾ يقول تعالى ذكره فأعرضت سبأ عن طاعة ربها وصدت عن اتباع ما دعا
اليه رسلها من أنه خالقها كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسح
عن وهب بن منبه اليمانى قال لقد بعث الله الى سبأ ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم فأرسلنا عليهم سي
العرم يقول تعالى ذكره فنقبنا عليهم حين أعرضوا عن تصديق رسلنا سدهم الذى كان يحب
عنهم السيول والعرم المسناة التى تحبس الماء واحدها عرمة واياه عنى الاعشى بقوله

ففى ذاك للمؤتسى إسوة * ومأرب عفى عليه العرم
رجام بناه لهم حمير * (١) اذا جاء ماؤهم لم يرم

وكان العرم فيما ذكر مما بنته بلقيس ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقى قال
وهب بن جرير قال ثنا أبى قال سمعت المغيرة بن حكيم قال لما ملكت بلقيس جعل قو
يقتتلون على ماء واديهم قال فجعلت تنهاهم فلا يطيعونها فتركت ملكها وانطلقت الى قص
وتركتهم فلما كثر الشر بينهم وندموا أتوها فأرادوها على أن ترجع الى ملكها فأبت فقالوا لترجع
أولنقتلنك فقالت انكم لا تطيعونى وليست لكم عقول ولا تطيعونى قالوا فانا نطيعك وانا لم نجد
خيرا بعدك فجاءت فأمرت بواديهم فسد بالعرم * قال أحمد قال وهب قال أبى فسألت ا
ابن حكيم عن العرم فقال هو بكلام حمير المسناة فسدت ما بين الجبلين فحبست الماء من
السد وجعلت له أبوابا بعضها فوق بعض وبنت من دونه بركة ضخمة فجعلت فيها اثنى عشر مع
على عدة أنهارهم فلما جاء المطر احتبس السيل من وراء السد فأمرت بالباب الأعلى ففتح فج
ماؤه فى البركة وأمرت بالعرفا لتى فيها فجعل بعض البعر يخرج أسرع من بعض فلم تزل تفع
تلك الانهار وترسل البعر فى الماء حتى خرج جميعا معا فكانت تقسمه بينهم على ذلك حتى
من شأنها وشأن سليمن ما كان حدثنا أحمد بن عمر البصرى قال ثنا أبو صالح بن زريق
أخبرنا شريك عن أبى اسحق عن أبى ميسرة فى قوله فأرسلنا عليهم سيل العرم قال المسناة با
اليمن حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قا
ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله سيل العرم قال ش
وقيل ان العرم اسم واد كان لهؤلاء القوم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى

(١) رواية الديوان * اذا جاء ماؤه لم يرم * وحرر كتبه مصححه

وقال

وربك غفور يستر العيوب فأعرضوا عن الوفاء وأقبلوا على الجفاء فأرسلنا عليهم سيل سطوات العرم قهرنا
وبدلناهم بجنتيهم الشجرتين بأشجار الاخلاق الحميدة جنتين من الاوصاف الذميمة وهل نجازى وهل يكون للاشجار الخبيثة الا الأثمار الخ

ى ظاهرة منازل السالكين ومقامات العارفين من التوبة والزهد والتوكل والتزكية والتحلية وقلنا لهم سيروا فى ليالى البشرية
يام الروحانية آمنين فى حيازة الشريعة فطلبوا البعد عن الله بالميل الى ماسواه ففرقناهم فى أودية الهلاك ودركات البعد

ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فأرسلنا عليهم سيل العرم قال واد كان
ى كان يسيل الى مكة وكانوا يسقون و ينتهى سيلهم اليه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال
سعيد عن قتادة فأرسلنا عليهم سيل العرم ذكر لنا أن سيل العرم واد كانت تجتمع اليه
سايل من أودية شتى فعمدوا فسدوا ما بين الجبلين بالقير والحجارة وجعلوا عليه أبوابا وكانوا
عدون من ماله ما احتاجوا اليه ويسدون عنهم مالم يعنوا به من ماله شيأ حدثت عن الحسين
ن سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فأرسلنا عليهم سيل العرم
يد عى العرم وكان اذا مطر سالت أودية اليمن الى العرم واجتمع اليه الماء فعمدت سبأ الى العرم
سدوا ما بين الجبلين بحجزوه بالصخر والقار فانسد زمانا من الدهر لا يرجون الماء يقول لا يخافون
وقال آخرون العرم صفة للسناة التى كانت لهم وليس باسم لها ذكر من قال ذلك حدثنى
ى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله سيل العرم يقول الشديد
ان السيب الذى سيب الله لارسال ذلك السيل عليهم فيما ذكر لى جزا ابتعثه الله على سدهم
ب فيه ثقبا ثم اختلف أهل العلم فى صفة ما حدث عن ذلك الثقب مما كان فيه خراب جنتيهم
ل بعضهم كان صفة ذلك أن السيل لما وجد عملا فى السد عمل فيه ثم فاض الماء على جناتهم
رقها وخرب أرضهم وديارهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى
محمد بن اسحق عن وهب بن منبه اليمانى قال كان لهم يعنى لسبا سد قد كانوا بنوه بنيانا أبدا وهو
ن كان يرد عنهم السيل اذا جاء أن يغشى أموالهم وكان فيما يزعمون فى علمهم من كهانتهم أنه
ا يخرب عليهم سدهم ذلك فأرة فلم يتركوا فرجة بين حجرين الا ربطوا عندها هرة فلما جاء
ه وما أراد الله بهم من التغريق أقبلت فيما يذكرون فأرة سوداء الى هرة من تلك الهرر
ورتها حتى استأخرت عنها أى الهرة فدخلت فى الفرجة التى كانت عندها فقلعت فى السد
خرت فيه حتى وهنته للسيل وهم لا يدرون فلما جاء السيل وجد خللا فدخل فيه حتى قلع السد
ض على الاموال فاحتملها فلم يبق منها الا ما ذكره الله فلما تفرقوا نزلوا على كهانة عمران بن عامر
منها بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال لما ترك القوم أمر الله بعث الله عليهم
ا يسمى الخلد فثقبه من أسفله حتى غرق به جناتهم وخرب به أرضهم عقوبة بأعمالهم حدثت
ل الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول لما
وا وبغوا يعنى سبأ بعث الله عليهم جرذا فخرق عليهم السد فأغرقهم الله حدثنى يونس قال
ا ابن وهب قال قال ابن زيد بعث الله عليهم جرذا وسلطه على الذى كان يحبس الماء الذى
شبها فأخرب فى أفواه تلك الحجارة وكل شئ منها من رصاص وغيره حتى تركها حجارة ثم بعث الله
يل العرم فاقتلع ذلك السد وما كان يحبس واقتلع تلك الجنتين فذهب بهما وقد أرسلنا عليهم
يل العرم و بدلناهم بجنتيهم جنتين قال ذهب بتلك القرى والجنتين * وقال آخرون كانت
ذلك أن الماء الذى كانوا يعمرون به جناتهم سال الى موضع غير الموضع الذى كانوا
رون به فبذلك خربت جناتهم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال
عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال بعث الله عليهم يعنى على العرم دابة من الارض

وما كان له عليهم من سلطان فيه
أن الشيطان انما سلط على بنى آدم
لاستخراج جواهر النفوس من
معادنها (قل ادعوا الذين زعمتم
من دون الله لا يملكون مثقال ذرة
فى السموات ولا فى الارض وما لهم
فيهما من شرك وما له منهم من ظهير
ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن
له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا
ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى
الكبير قل من يرزقكم من السموات
والارض قل الله وانا أو اياكم لعلى
هدى او فى ضلال مبين قل
لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل
عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا
ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم
قل أروني الذين ألحقتم به شركاء
كلا بل هو الله العزيز الحكيم وما
أرسلناك الا كافة للناس بشيرا
ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون
ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم
صادقين قل لكم ميعاد يوم
لا تستأخرون عنه ساعة ولا
تستقدمون وقال الذين كفروا
لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين
يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون
عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض
القول يقول الذين استضعفوا
للذين استكبروا لولا أنتم لكنا
مؤمنين قال الذين استكبروا للذين
استضعفوا أنحن صددناكم عن
الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين
وقال الذين استضعفوا للذين
استكبروا بل مكر الليل والنهار
اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له

وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال فى أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون وما أرسلنا فى قرية من نذير
مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر

ولكن أكثر الناس لا يعلمون وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف
بما عملوا وهم في الغرفات آمنون والذين (٥٦) يسعون في آياتنا معاجزين أولئك في العذاب محضرون قل إن ربي يبسط الرزق
لمن يشاء من عباده ويقدر له
وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو
خير الرازقين ويوم يحشرهم جميعا
ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا
يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا
من دونهم بل كانوا يعبدون الجن
أكثرهم بهم مؤمنون فاليوم
لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا
ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب
النار التي كنتم بها تكذبون وإذا
تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا
الا رجل يريد أن يصدكم عما كان
يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك
مفترى وقال الذين كفروا للحق
لما جاءهم إن هذا الا سحر مبين
وما آتيناهم من كتب يدرسونها
وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير
وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا
معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي
فكيف كان نكير قل إنما أعظكم
بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى
ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة
إن هو الا نذير لكم بين يدي عذاب
شديد قل ما سألتكم من أجر فهو
لكم إن أجري الا على الله وهو على
كل شئ شهيد قل إن ربي يقذف
بالحق علام الغيوب قل جاء الحق
وما يبدئ الباطل وما يعيد قل إن
ضللت فإنما أضل على نفسي وإن
اهتديت فبما يوحي إلي ربي إنه سميع
قريب ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت
وأخذوا من مكان قريب وقالوا آمنا
به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد
وقد كفروا به من قبل ويقذفون
بالغيب من مكان بعيد وحيل بينهم

فنبذت فيه فتفاعل ذلك الماء إلى موضع غير الموضع الذي كانوا ينتفعون به وأبدلهم الله مكان
جنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وذلك حين عصوا وبطروا المعيشة والقول الأول أشبه بما دل
عليه ظاهر التنزيل وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر أنه أرسل عليهم سيل العرم ولا يكون أرسل
ذلك عليهم الا باسالته عليهم أو على جناتهم وأرضهم لا يصرفه عنهم وقوله وبدلناهم بجنتيهم جنتين
ذواتي أكل خمط يقول تعالى ذكره وجعلنا لهم مكان بساتينهم من القوا كهم والثمار بساتين
جنى ثمر الأراك والأراك هو الخمط ● وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال
ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال أبدل
الله مكان جنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط والخمط الأراك حدثني يعقوب قال ثني ابن عليه
عن أبي رجاء قال سمعت الحسن يقول في قوله ذواتي أكل خمط قال أراك قال الخمط الأراك
حدثني محمد بن عمارة قال ثني عبد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد
أكل خمط قال الخمط الأراك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى
وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ذواتي
أكل خمط قال الأراك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذواتي أكل
خمط والخمط الأراك وأكله بريره حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا
قال سمعت الضحاك يقول في قوله وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط قال بدلهم الله بما
أتوا كهم والأعناب إذ أصبحت جناتهم خمطا وهو الأراك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب
قال قال ابن زيد في قوله وبدلناهم بجنتيهم جنتين قال أذهب تلك القرى والجنتين وأبدلهما
أخبرك ذواتي أكل خمط قال فالخمط الأراك قال جعل مكان العنب أراكا والفاكهة
وشئ من سدر قليل واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار بتنوين أكل
أبي عمرو فانه يضيفها إلى الخمط بمعنى ذواتي ثمر خمط وأما الذين لم يضيفوا ذلك إلى الخمط
وينونون الأكل فانهم جعلوا الخمط هو الأكل فردوه عليه في اعرابه ويضم الالف والكاف من
الاكل قرأت قراء الأمصار غير نافع فانه كان يخفف منها ● والصواب من القراءة في ذلك عندنا
قراءة من قرأه ذواتي أكل بضم الألف والكاف لاجماع الحجة من القراء عليه وبتنوين أكل
لاستفاضة القراءة بذلك في قراءة الامصار من غير أن أرى خطأ قراءة من قرأ ذلك باضافة
الخمط وذلك في اضافته وترك اضافته نظير قول العرب في بستان فلان أعناب كرم وأعناب
فتضيف أحيانا الأعناب الى الكرم لأنها منه وتنون أحيانا ثم تترجم بالكرم عنها اذ كانت الأعناب
ثمر الكرم وأما الأثل فانه يقال له الطرفاء وقيل شجر شبيه بالطرفاء غير أنه أعظم منها وقيل
السمر ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس
وأثل قال الأثل الطرفاء وقوله وشئ من سدر قليل يقول ذواتي أكل خمط وأثل وشئ من سدر
قليل وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثني سعيد عن قتادة
ذواتي أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل قال بينما شجر القوم خير الشجر اذ صيره الله من شر الشجر

وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل انهم كانوا في شك مريب ﴿ القراآت اذ ذله على البناء للمفعول أبو عمرو بأعمالهم
وعلى وخلف والأعشى والبرجمي فزع على البناء للفاعل ابن عامر ويعقوب جزاء بالنصب الضعف مرفوعا يعقوب في الغرفة على التوحيد

ثم يقول على الغيبة فيهما حفص ويعقوب الباقون بالنون ثم تفكروا بتشديد التاء رويس أجرى الا بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن
أبو عمرو وحفص ربي انه بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو التناوش مهموزا أبو عمرو وحمزة وخلف وعاصم

م وقوله ذلك جزيناهم بما كفروا يقول تعالى ذكره هذا الذي فعلنا بهؤلاء القوم من سبا
سالنا عليهم سيل العرم حتى هلكت أموالهم وخربت جناتهم جزاء منا على كفرهم بنا
يهم رسلنا وذلك من قوله ذلك جزيناهم في موضع نصب بوقوع جزيناهم عليه ومعنى الكلام
م ذلك بما كفروا وقوله وهل نجازي الا الكفور اختلفت القراء في قراءته فقرأته عامة
لمدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة وهل يجازى بالياء وبفتح الزاي على وجه ما لم يسم فاعله
الكفور رفعا وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة وهل نجازي بالنون وبكسر الزاي الا الكفور
ب * والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الامصار متقاربتا
ي بأيتهما قرأ القارئ فمصيب ومعنى الكلام كذلك كافأناهم على كفرهم بالله وهل نجازي
لكفور لنعمة الله فان قال قائل أوما يجزي الله أهل الايمان به على أعمالهم الصالحة فيخص
ل الكفر بالجزاء فيقال وهل يجازى الا الكفور قيل ان المجازاة في هذا الموضع المكافأة
تعالى ذكره وعد أهل الايمان به التفضل عليهم وأن يجعل لهم بالواحدة من أعمالهم الصالحة
إ مثالها الى ما لا نهاية له من التضعيف ووعد المسيء من عباده أن يجعل بالواحدة من سيئاته
مكافأة له على جرمه والمكافأة لأهل الكبائر والكفر والجزاء لأهل الايمان مع التفضل
ث قال جل ثناؤه في هذا الموضع وهل يجازى الا الكفور كأنه قال جل ثناؤه لا يجازى لا يكافأ
عمله الا الكفور اذا كانت المكافاة مثل المكافا عليه والله لا يغفر له من ذنوبه شيأ ولا يخص
بها في الدنيا وأما المؤمن فانه يتفضل عليه على ما وصفت * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال
ل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى
ح وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وهل نجازي
ب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي
الكفور ان الله تعالى اذا أراد بعبده كرامة تقبل حسناته واذا أراد بعبده هوانا أمسك عليه ذنوبه
ي يوافي به يوم القيامة قال وذكر لنا أن رجلا بينا هو في طريق من طرق المدينة اذ مرت به
ر فتابعها بصره حتى أتى على حائط فشج وجهه فأتى نبي الله ووجهه يسيل دما فقال يا نبي الله
ت كذا وكذا فقال له نبي الله ان الله اذا أراد بعبد كرامة عجل له عقوبة ذنبه في الدنيا واذا أراد الله
بعبد هوانا أمسك عليه ذنبه حتى يوافي به يوم القيامة كأنه عير أبتر * القول في تأويل قوله تعالى
وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين
ل تعالى ذكره مخبرا عن نعمته التي كان أنعمها على هؤلاء القوم الذين ظلموا أنفسهم وجعلنا
بلدهم وبين القرى التي باركنا فيها وهي الشام قرى ظاهرة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل
التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني
الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله القرى التي باركنا
فيها الشام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعلنا بينهم وبين القرى
التي باركنا فيها يعني الشام حدثني علي بن سهل قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد القرى

سدا بها أو حالا بعيد ٥ لا للآية ولاحتمال الاستئناف والحال بعده والعامل معنى الفعل في التناوش من قبل ج للعطف

سوى حفص والشموني والبرجمي
حيل بضم الحاء وكسر الياء ابن
عامر وعلي ورويس ۞ الوقوف
من دون الله ج لاحتمال الجملة بعده
حالا واستئنافا ظهير ٥ أذنا له ط
الحق ط الكبير ٥ والارض
ط قل الله لا لاتصال المقول
مبين ٥ تعملون ٥ بالحق
ط العليم ٥ كلا ط الحكيم ٥
لا يعلمون ٥ صادقين ٥ ولا
تستقدمون ٥ بين يديه ط عند
ربهم ج لان ما بعده يصلح
استئنافا وحالا وهذا أوجه القول
ج لمثل ذلك مؤمنين ٥ مجرمين
٥ أندادا ط العذاب ط كفروا
ط يعملون ٥ كافرون ٥
يعذبين ٥ لا يعلمون ٥ صالحا ز
أن أولئك مبتدأ مع الفاء آمنون ٥
محضرون ٥ ويقدر له ط يخلفه
ج لعطف الجملتين المختلفتين
الرازقين ٥ يعبدون ٥ من
دونهم ج لتنوع الكلام مع اتحاد
المقول الجن ج لذلك مؤمنون
٥ ضرا ط تكذبون ٥ آباؤكم ج
للعطف مع طول الكلام والتكرار
مفترى ط مبين ٥ من نذير
٥ نكير ٥ بواحدة ج لأن
ما بعده بدل أو خبر أي هي أن
تقوموا من جنة ط شديد ٥
لكم ط الله ج شهيد ٥ بالحق
ج لاحتمال أن ما بعده بدل من
الضمير في يقذف أو خبر أي هو
علام الغيوب ٥ بعيد ٥ على
نفسي ج لعطف جملتي الشرط
ربي ط قريب ٥ قريب لا

لأن ما بعده معطوف على أخذوا آمنا به ط لاحتمال كون الجملة الاستفهامية

على كفروا بناء على انه حال ماضية اوالاستئناف اى وهم يقذفون بعيد ٥ من قبل ط مريب ٥ ﴿ التفسير لما فرغ من حكاية
الشكر وأهل الكفران تمثيلا عادالى مخاطبة (٥٨) كفار قريش وتقريعهم ومفعولا زعم محذوف أى زعمتموهم آلهة وسيء
حذف الاول استحقاق عوده الى الموصول وسبب حذف الثانى اقامة الصفة وهى من دون الله مقام الموصوف وتفسير الآية مبنى على تفصيل وهو أن مذاهب أهل الشرك أربعة أحدها قولهم انا نعبد الملائكة والكواكب التى فى السماء فهم آلهتنا والله الههم فالله تعالى قال فى ابطال قولهم انهم لا يملكون فى السموات شيأ كما اعترفتم ولا فى الارض على خلاف ما زعمتم أن الارض والارضيات فى حكمهم وثانيها قول بعضهم ان السموات من الله على سبيل الاستقلال وان الارضيات منه ولكن بواسطة الكواكب واتصالاتها وانصرافاتها فأبطل معتمد هؤلاء بقوله (وما لهم فيهما من شرك) أى الارض كالسماء لله ليس لغيره فيها نصيب وثالثها قول من قال التركيبات والحوادث كلها من الله لكن فوض ذلك الى الكواكب واعانتها فأشار الى ابطال معتقد هؤلاء بقوله (وماله منهم من ظهير) ورابعها مذهب من زعم أنا نعبد الاصنام التى هى صور الملائكة ليشفعوا لنا فبين بطلان مذهبهم بقوله (ولا تنفع الشفاعة) قال جار الله تقول الشفاعة لزيد على أنه الشافع وعلى معنى أنه المشفوع له أى لا تنفع الشفاعة (الا) كائنة (لمن أذن له) من الشافعين أو الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله وحتى غاية لمضمون الكلام الدال على انتظار الاذن كأنه قيل يتربصون ويقفون ملبا فزعين (حتى اذا فزع)
أى كشف الفزع فى القيامة عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة فى اطلاق غير
الاذن تباشروا بذلك وسأل بعضهم بعضا (ماذا قال ربكم قالوا) قال (الحق) اى القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى يؤيده اتفق

التى باركنا فيها قال الشام ◆ وقيل عنى بالقرى التى بورك فيها بيت المقدس ذكر من قال ذلك
حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وجعلنا
بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة قال الارض التى باركنا فيها هى الارض المقدسة
وقوله قرى ظاهرة يعنى قرى متصلة وهى قرى عربية ◆ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل
التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء قال سمعت الحسن
فى قوله وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة قال قرى متواصلة قال كان أحدهم
يغدو فيقيل فى قرية ويروح فيأوى الى قرية أخرى قال وكانت المرأة تضع زنبيلها على رأسها ثم تمشى
بمغزلها فلا تأتى بيتها حتى يمتلىء من كل الثمار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة
قرى ظاهرة أى متواصلة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه
عن ابن عباس قوله قرى ظاهرة يعنى قرى عربية بين المدينة والشام حدثنى محمد بن عمرو
قال ثنى أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا
عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله قرى ظاهرة قال السروات حدثت عن الحسين قال سمعت
أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله قرى ظاهرة يعنى قرى عربية
وهى بين المدينة والشام حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وجعلنا
بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة قال كان بين قريتهم وبين الشام قرى ظاهرة قال
ان كانت المرأة لتخرج معها مغزلها ومكتلها على رأسها تروح من قرية وتغدوها وتبيت فى قرية
لا تحمل زادا ولا ماء لما بينها وبين الشام وقوله وقدرنا فيها السير يقول تعالى ذكره وجعلنا بين قراهم
والقرى التى باركنا فيها سيرا مقدرا من منزل الى منزل وقرية الى قرية لا ينزلون الا فى قرية
ولا يغدون الا من قرية وقوله سيروا فيها ليالى وأياما آمنين يقول وقلنا لهم سيروا فى هذه القرى
ما بين قراكم والقرى التى باركنا فيها ليالى وأياما آمنين لا تخافون جوعا ولا عطشا ولا من أحد ظلما
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال
ثنا سعيد عن قتادة سيروا فيها ليالى وأياما آمنين لا يخافون ظلما ولا جوعا وانما يغدون فيقيلون
ويروحون فيبيتون فى قرية أهل جنة ونهر حتى لقد ذكر لنا أن المرأة كانت تضع مكتلها على رأسها
وتمتهن بيدها فيمتلىء مكتلها من الثمر قبل أن ترجع الى أهلها من غير أن تحترف شيأ وكان الرجل
يسافر لا يحمل معه زادا ولا سقاء مما بسط للقوم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال
ابن زيد فى قوله وأياما آمنين قال ليس فيها خوف ◆ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فقالوا ربنا
باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ان فى ذلك لآيات لكل
صبار شكور ﴾ اختلف القراء فى قراءة قوله فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا فقرأته عامة قراء المدينة
والكوفة ربنا باعد بين أسفارنا على وجه الدعاء والمسئلة بالألف وقرأ ذلك بعض أهل مكة والبصرة
بعد بتشديد العين على الدعاء أيضا وذكر عن بعض المتقدمين أنه كان يقرؤه ربنا باعد بين أسفارنا
على وجه الخبر عن الله أن الله فعل ذلك بهم وحكى عن آخر أنه قرأه ربنا بعد على وجه الخبر أيضا

ربنا باعد بين أسفارنا) قال ابن عباس عن النبي فاذا أذن لمن أذن ان يشفع فزعته الشفاعة والتشديد للسلب والازالة على نحو قردته وجلدته أى ازلت قراده وسلخت جلده وقيل ان حتى على هذا التفسير متعلق بقوله زعمتم أى زعمتم الكفر (٥٩) الى غاية التفزيع ثم تركتم ما زعمتم وقلتم قال الحق

ومنهم من ذهب الى أن التفزيع غاية الوحى المستفاد من قل فانه عند الوحى يفزع من فى السموات كما جاء فى حديث اذا تكلم الله بالوحى سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبرائيل فاذا جاء فزع عن قلوبهم فيقولون يا جبرائيل ماذا قال ربكم فيقول الحق أى يقول الحق الحق وقيل أراد بالفزع أنه تعالى لما أوحى الى محمد صلى الله عليه وسلم فزع من فى السموات من القيامة لأن ارسال محمد صلى الله عليه وسلم من أشراطها فلما زال عنهم ذلك قالوا ماذا قال الله قال جبرائيل واتباعه الحق وقيل انه الفزع عند الموت يزيله الله عن القلوب فيعرف كل أحد أن ما قال الله هو الحق فينتفع بتلك المعرفة أهل الايمان ولا ينتفع بها أهل الكفر وحين بين بقوله قل ادعوا أنه لا يدفع الضر الا هو أشار بقوله (قل من يرزقكم) الى أن جلب النفع لا يكمل الا به وههنا نكتة هى أنه قال فى دفع الضر قالوا الحق وفى طلب النفع قال قل الله تنبيها على أنهم فى الضراء مقبلون على الله معترفون به وفى السراء معرضون عنه غافلون لا يتنبهون الا بمسه وقوله (وانا أو اياكم) من الكلام المنصف الذى يتضمن قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا وفى تخالف حرفى الجر فى قوله (لعلى هدى أو فى ضلال) اشارة الى أن أهل الحق راكبون مطية الهدى مستعلون على متنها وأن أهل الباطل منغمسون فى ظلمة الضلال لا يدرون أين يتوجهون وانما وصف الضلال بالمبين وأطلق الهدى لأن الحق كالخط المستقيم واحد والباطل كالخطوط المنحنية لا حصر لها فبعضها ادخل فى الضلالة من بعض وأبين وقوله (عما أجرمنا) الى قوله (أبلغ فى سلوك

ربنا) قال ابن عباس عن النبي فاذا أذن لمن أذن ان يشفع فزعته الشفاعة والتشديد للسلب والازالة على نحو قردته وجلدته أى ازلت قراده وسلخت جلده وقيل ان حتى على هذا التفسير متعلق بقوله زعمتم أى زعمتم الكفر (٥٩) الى غاية التفزيع ثم تركتم ما زعمتم وقلتم قال الحق

ربنا) * والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ربنا باعد وبعد لانهما القراءتان معروفتان فى قراء الامصار وما عداهما فغير معروف فيهم على أن التأويل من أهل التأويل أيضا متفق قراءة من قرأه على وجه الدعاء والمسئلة وذلك أيضا مما يزيد القراءة الاخرى بعدا من الصواب اذا كان هو الصواب من القراءة فتأويل الكلام فقالوا يا ربنا باعد بين أسفارنا فاجعل بينها وبين الشام فلوات ومفاوز لتركب فيها الرواحل وتتزود معنا فيها الأزواد وهذا من الدلالة على أن القوم نعمة الله عليهم واحسانه اليهم وجهلهم بمقدار العافية ولقد عجل لهم ربهم الاجابة كما عجل لهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم أعطاهم ما رغبوا اليه فيه وطلبوا من المسئلة ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن أبى مالك فى هذه الآية فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا قال كانت لهم قرى متصلة باليمن كان بعضها ينظر الى بعض فبطروا ذلك وقالوا ربنا باعد بين أسفارنا قال فأرسل الله عليهم سيل العرم وجعل طعامهم أثلا وخمطا وشيأ من سدر قليل حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم قال فانهم بطروا نعمتهم وقالوا لو كان جنى جناتنا أبعد مما هى كان أجدر أن نشتهيه فمزقوا بين الشام وسبأ وبدلوا بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا بطر القوم نعمة الله وغمطوا كرامة الله قال الله وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا حتى نبيت فى الفلوات والصحارى فظلموا أنفسهم وقوله فظلموا أنفسهم وكان ظلمهم اياها عملهم بما يسخط الله عليهم من معاصيه مما يوجب لهم عقاب الله فجعلناهم أحاديث يقول صيرناهم أحاديث للناس يضربون بهم المثل فى السب فيقال تفرق القوم أيادى سبا وأيدى سبا اذا تفرقوا وتقطعوا وقوله ومزقناهم كل ممزق يقول وقطعناهم فى البلاد كل مقطع كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق قال قتادة قال عامر الشعبى أما غسان فقد لحقوا بالشام وأما الانصار فلحقوا بيثرب وأما خزاعة فلحقوا بتهامة وأما الأزد فلحقوا بعمان حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال يزعمون أن عمران بن عامر وهو عم القوم كان كاهنا فرأى فى كهانته أن قومه سيمزقون ويتباعدون فقال لهم انى قد علمت أنكم ستمزقون فمن كان منكم ذا هم بعيد وجمل شديد ومزاد جديد فليلحق بكأس أو كرود قال فكانت وادعة بن عمرو ومن كان منكم ذا هم مدن وأمر دعن فليلحق بأرض شن فكانت عوف بن عمرو وهم الذين يقال لهم ارق ومن كان منكم يريد عيشا آينا وحرما آمنا فليلحق بالارزين فكانت خزاعة ومن كان يريد الراسيات فى الوحل المطعمات فى المحل فليلحق بيثرب ذات النخل فكانت الاوس والخزرج فهما هذان الحيان من الانصار ومن كان يريد حمرا وخمرا وذهبا وحريرا وملكا وتأبيرا فليلحق بكوثى وبصرى فكانت غسان بنو جفنة ملوك الشام ومن كان منهم بالعراق قال

طريقة الانصاف حيث أسند الإجرام وهو الصغائر والزلات اوهى مع الكبائر الى أهل الايمان وعبر عن إجرام أهل الكفر بالعمل وفيه ارشاد الى المناظرات الجارية في العلوم وغيرها واذا قال أحد المناظرين للآخر أنت مخطئ أغضبه وعند

لا يليق سداد الفكر وعند اختلاله لا مطمع في الفهم فيفوت الغرض ومعنى الفتح الحكم والفصل بين الفريقين بادخال أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وحين حث في الآية الاولى على وجوب النظر من حيث ان كل أحد يؤاخذ بجرمه ولو كان البرىء أخذ بالمجرم لم يكن كذلك أكد ذلك المعنى بالآية الثانية فان مجرد الخطا والضلال واجب الاجتناب فكيف اذا كان يوم عرض وحساب وفي قوله (العليم) اشارة الى أن حكمه يكون مع العلم لا كحكم من يحكم بمجرد الغلبة والهوى ولما بين أن غير الله لا يعبد لدفع الضر ولا لجلب النفع أراد أن يبين أن غير الله لا ينبغي أن يعبد لأجل استحقاق العبادة فانه لا مستحق للعبادة الا هو ومعنى (أروني) وكان بعرفهم وبراهم الاستخفاف بهم والتنبيه على الخطا العظيم في إلحاق الشركاء بالله أو أراد أعلموني بأي صفة ألحقتموهم بالله وجعلتموهم شركاء فشركاء نصب على الحال والعائد محذوف و (كلا) ردع لهم عن مذهبهم بعد ما كسده بابطال المقايسة وردّ الالحاق ثم زاد في توبيخهم بقوله (بل هو الله العزيز الحكيم) كأنه قال أين الذين ألحقتم به شركاء من هذه الصفات فان الاله لا يمكن أن يخلو عن القدرة الكاملة والحكمة الشاملة وهو يحتمل أن يكون ضمير الشأن وحين فرغ من التوحيد شرع في الرسالة ومعنى (كافة) عامة لان الرسالة اذا شملتهم فقد منعتهم أن يخرج أحد منهم

ابن اسحق قد سمعت بعض أهل العلم يقول انما قالت هذه المقالة طريقة امرأة عمران بن ر وكانت كاهنة قرأت في كهانتها ذلك والله أعلم أي ذلك كان قال فلما تحرقوا نزلوا على كهانة ابن عامر وقوله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور يقول تعالى ذكره ان في تمزيقنا هم كل لآيات يقول لعظة وعبرة ودلالة على واجب حق الله على عبده من الشكر على نعمه اذا أنعم وحقه من الصبر على محنته اذا امتحنه بلاء لكل صبار شكور على نعمه وبنحو الذي قلنا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور كان مطرف يقول نعم العبد الصبار الشكور الذي اذا شكر واذا ابتلي صبر ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فا الا فريقا من المؤمنين ﴾ اختلفت القراء في قراءة قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فقر عامة قراء الكوفيين ولقد صدق بتشديد الدال من صدق بمعنى أنه قال ظنا منه ولا تجد أك شاكرين وقال فبعزتك لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين ثم صدق ظنه ذلك فحقق ذلك بهم وباتباعهم اياه وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والشام والبصرة ولقد صدق عل الدال بمعنى ولقد صدق عليهم ظنه ۞ والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءت معروفتان متقاربتا المعنى وذلك أن ابليس قد صدق على كفره بني آدم في ظنه وصدق عليه الذي ظن حين قال ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا أكثرهم شاكرين وحين قال ولأضلنهم ولأمنينهم الآية قال ذلك عدو الله ظنا منه أنه يفعل لا علما فصار ذلك حقا باتباعهم اياه فبأي القراءتين قرأ القارئ فمصيب فاذا كان ذلك ك فتأويل الكلام على قراءة من قرأ بتشديد الدال ولقد ظن ابليس بهؤلاء الذين بتلناهم ع جنتين ذواتي أكل خمط عقوبة لمناهم ظنا غير يقين علم أنهم يتبعونه ويطيعونه في معص فصدق ظنه عليهم باغوائه اياهم حتى أطاعوه وعصوا ربهم الا فريقا من المؤمنين بالله فانه على طاعة الله ومعصية ابليس وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال حدثني أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون قال أخبرني عمرو بن مالك أبي الجوزاء عن ابن عباس أنه قرأ ولقد صدق عليهم ابليس ظنه مشددة وقال ظن ظنا فصدق حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن منصور عن مجاهد ولقد صدق عليهم ا ظنه قال ظن ظنا فاتبعوا ظنه ۞ قال ثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله صدق عليهم ابليس ظنه قال الله ما كان الا ظنا ظنه والله لا يصدق كاذبا ولا يكذب صادقا حد يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه قال أ هؤلاء الذين كرمتهم علي وفضلتهم وشرفتهم لا تجد أكثرهم شاكرين وكان ذلك ظنا منه فقال الله فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وما كان له عليهم من س الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ ﴾ يقول تعالى ذ وما كان لابليس على هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم من حجة يضلهم بها الا بتسليطنا ليعلم حزبنا وأولياؤنا من يؤمن بالآخرة يقول من يصدق بالبعث والثواب والعقاب ممن هو

والكف المنع وكافة صفة لرسالة وقال الزجاج التاء للمبالغة كتاء الراوية والعلامة وانه حال من الكاف

أي أرسلناك جامعا للناس في الابلاغ والتبشير والانذار أو مانعا للناس من الكفر والمعاصي وبعض النحويين جعله حالا من

ن أن حال المجرور لا يتقدم عليه ومن هؤلاء من جعل اللام بمعنى الى لان أرسل يتعدى بالى فضعفت تخطئته بأن استعمال اللام بمعنى
يف ولا يخفى أن ثانى مفعولى أرسلنا على غير هذا التفسير محذوف والتقدير وما أرسلناك الى الناس الا كافة (ولكن أكثر
الناس لا يعلمون) وذلك لانخفائه ولكن لغفلتهم وحين ذكر الرسالة بين الحشر وذكر أنهم استعجلوه تعنتا منهم فبين على طريق التهديد أنه لا استعجال فيه كما لا إمهال وهذا شأن كل أمر ذى بال قال جار الله (ميعاد يوم) كقولك صحق عمامة فى أن الاضافة للتبيين يؤيده قراءة من قرأ ميعاد يوم بالرفع فيهما فأبدل منه اليوم وفى اسناد الفعل اليهم بقوله (لا تستأخرون عنه) دون ان يقول لا يؤخر عنكم زيادة تأكيد لوقوع اليوم ولما بين الأصول الثلاثة التوحيد والرسالة والحشر ذكر أنهم كافرون بالكل قائلين (لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه) من الكتب السماوية كالتوراة والانجيل يروى أن كفار مكة سألوا أهل الكتاب فأخبروهم أنهم يجدون صفة محمد صلى الله عليه وسلم فى كتبهم فأغضبهم ذلك وقرنوا الى القرآن جميع الكتب وقيل الذين كفروا عام والذى بين يديه يوم القيامة وما جاء ذكره فى القرآن من تفاصيل الحشر وغيرها وأن أهل الكتاب لو صدقوا بشئ من ذلك فليس لاجل مجيئه فى القرآن ولكن لمجيئه فى كتبهم وحين وقع اليأس من إيمانهم يقوطم لن نؤمن وعند بيه بأنه سيراهم على أذل حال موقوفين للسؤال متجاذبين أهداب المراجعة كما يكون حال جماعة أخطؤا فى تدبير أمر وجواب لو محذوف أى لقضيت العجب وبدأ بالأتباع

ن فلا يوقن بالمعاد ولا يصدق بثواب ولا عقاب و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل
ن قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كان له عليهم
لطان قال قال الحسن والله ما ضربهم بعصا ولا سيف ولا سوط الا أمانى وغرورا
يها * قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك قال
ى كان بلا علم الله الكافر من المؤمن وقيل عنى بقوله الا لنعلم من يؤمن بالآخرة الا لنعلم ذلك
ونا ظاهرا ليستحق به الثواب أو العقاب وقوله وربك على كل شئ حفيظ يقول تعالى
ك وربك يا محمد على أعمال هؤلاء الكفرة به وغير ذلك من الاشياء كلها حفيظ لا يعزب عنه
ئ منه وهو مجازيهم جميعهم يوم القيامة بما كسبوا فى الدنيا من خير وشر ﴿ القول فى تأويل
تعالى ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض
له فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم
ك الجاحدين نعمتنا عندهم ادعوا أيها القوم الذين زعمتم أنهم آلهة شركاء من دونه فسلوهم
عوا لكم بعض أفعالنا بالذين وصفنا أمرهم من انعام أو إيآس فان لم يقدروا على ذلك
وا أنكم مبطلون لأن الشركة فى الربوبية لا تصلح ولا تجوز ثم وصف الذين يدعون من
له فقال انهم لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض من خير ولا شر ولا ضر
ه فكيف يكون الها من كان كذلك وقوله وما لهم فيهما من شرك يقول تعالى ذكره ولا هم
كونوا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض منفردين بملكه من دون الله يملكونه
وجه الشركة لأن الاملاك فى المملوكات لا تكون لمالكها الا على أحد وجهين اما مقسوما
شاعا يقول وآلهتهم التى يدعون من دون الله لا يملكون وزن ذرة فى السموات ولا فى الارض
اء ولا مقسوما فكيف يكون من كان هكذا شريكا لمن له ملك جميع ذلك وقوله وما له منهم
ير يقول وما لله من الآلهة التى يدعون من دونه معين على خلق شئ من ذلك ولا على حفظه
ك لها ملك شئ منه مشاعا ولا مقسوما فيقال هو لك شريك من أجل أنه أعان وان لم يكن
شئ منه * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال
يد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة
سموات ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك يقول ما لله من شريك فى السماء ولا فى الارض
نهم من الذين يدعون من دون الله من ظهير من عون بشئ ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى
تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق
هو العلى الكبير ﴾ يقول تعالى ذكره ولا تنفع شفاعة شافع كائنا من كان الشافع لمن شفع له
تنفع لمن أذن الله فى الشفاعة يقول تعالى فاذا كانت الشفاعات لا تنفع عند الله أحدا
ن الله فى الشفاعة له والله لا يأذن لأحد من أوليائه فى الشفاعة لأحد من الكفرة به وأنتم
كفرتم به أيها المشركون فكيف تعبدون من تعبدونه من دون الله زعما منكم أنكم تعبدونه

ل أولى بالتوبيخ وفى قوله (لولا أنتم) اشارة الى أن كفرهم كان لمانع لا لعدم المقتضى فان الرسول قد جاء ولم يقصر فى الابلاغ
جواب المستكبرين وهم الرؤس والمتبوعون على طريقة الاستئناف وفى إيلاء الاسم وهو نحن حرف الانكار اثبات أنهم هم الذين

صدوا بأنفسهم عن الهدى بكسب منهم واختيار وان المانع لم يكن راجعا على المقتضى ولا مساويا له واكدوا ذلك بقولهم (بل كنتم مجرمين) أى انكم أنتم الذين أطعتم أمر الشهوة فكنتم (٦٢) كافرين ولم يكن منا الا التسويل والتزيين ثم عطف قولا آخر للمستضعفين على

ليقربكم الى الله زلفى وليشفع لكم عند ربكم فمن اذ كان هذا معنى الكلام الذى فى قوله الا لمن أذن له المشفوع له * واختلفت القراء فى قراءة قوله أذن له فقرأ ذلك عامة القراء بضم الالف من أذن على وجه ما لم يسم فاعله وقرأه بعض الكوفيين أذن له على اختلاف أيضا عنه فيه بمعنى أذن وقوله حتى اذا فزع عن قلوبهم قول حتى اذا جلى عن قلوبهم وكشف عنها الفزع وذهب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم يعنى جلى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد حتى اذا فزع عن قلوبهم قال كشف عنها الغطاء يوم القيامة قال الحرث بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال اذا جلى عن قلوبهم واختلف أهل التأويل فى الموصوفين بهذه الصفة من هم وما السبب الذى من أجله فزع عن قلوبهم فقال بعضهم الذين فزع عن قلوبهم الملائكة قالوا انما يفزع عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماعهم الله يوحى ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود عن الشعبى قال قال ابن مسعود فى هذه الآية حتى اذا فزع عن قلوبهم قال اذا احدث أمر عند ذى العرش سمع من دونه من الملائكة صوتا كجر السلسلة على الصفا فيغشى عليهم فاذا ذهب الفزع عن قلوبهم تنادوا ماذا قال ربكم قال فيقول من شاء قال الحق وهو العلى الكبير حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت داود عن عامر عن مسروق قال اذا احدث عند ذى العرش أمر سمعت الملائكة صوت كجر السلسلة على الصفا قال فيغشى عليهم فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قال فيقول من شاء الله الحق وهو العلى الكبير حدثنا ابن المثنى قال ثنى عبد الأعلى قال ثنا داود عن عامر عن ابن مسعود أنه قال اذا احدث أمر عند ذى العرش ثم ذكر نحو معنى الاثر الذى قبله فيغشى عليهم من الفزع حتى اذا ذهب ذلك عنهم تنادوا ماذا قال ربكم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم عن عبد الله بن مسعود فى قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم قال ان الوحى اذا ألقى سمع أهل السموات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان قال فيتنادون فى السموات ماذا قال ربكم قال فيتنادون الحق وهو العلى الكبير * وبه عن منصور عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير قال ينزل الأمر من عند رب العزة الى السماء الدنيا فتفزع أهل السماء الدنيا حتى يستيقن بعضهم الأمر الذى نزل فيه فيقول بعضهم لبعض ماذا قال ربكم فيقولون قال الحق وهو العلى الكبير فذلك قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم الآية حدثنا أحمد بن عبدة الضبى قال ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال ثنا أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله اذا قضى أمرا فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها جميعا ولقوله صوت كصوت السلسلة على الصفوان فذلك قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا أيوب عن هشام بن عروة قال قال الحرث بن هشام لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحى قال يأتينى فى صلصلة كصلصلة الجرس فيفصم عنى وقد

الاول والاضافة فى (مكر الليل والنهار) من باب الاتساع باجراء الظرف مجرى المفعول به وأصل الكلام بل مكركم فى الليل والنهار أوجعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازى فالاول اتساع لفظى والثانى معنوى أبطلوا اضرابهم باضرابهم قائلين ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا مستمرا دائما ليلا ونهارا وقدم الليل لانه أخفى للمكر والويل وقرئ مكر الليل بالتشديد أى سبب ذلك أنكم تمكرون الاغواء مكرا دائبا والمعنى ما أنتم بالصارف القطعى والمانع القوى ولكن انضم الى ذلك طول المدة فصار قولكم جزء السبب وفى قولهم (أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) اشارة الى أن المشرك وان كان مثبتا لله فى الظاهر ولكنه ناف له على الحقيقة لانه جعله مساويا للصنم ويجوز أن يكون كل منهما قول طائفة فبعضهم كانوا مأمورين بجحد الصانع وبعضهم بالاشراك به وتفسير قوله (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) مذكور فى سورة يونس والضمير يعود الى جنس الظالمين الشامل للمستضعفين وللمستكبرين وقوله (فى أعناق الذين كفروا) أى فى أعناقهم من وضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما استحقوا به الأغلال وهى محمولة على الظاهر وان جاز أن يراد بها العلائق وفى قوله (هل تجزون) اشارة الى أنهم استحقوها عدلا ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن ايذاء الكفار الانبياء ليس بدعا وانما ذلك مجيراهم قدماوانما خص المترفين بالذكر لأنهم أصل فى الجحود والانكار وغيرهم تبع ثم استدلوا على كونهم مصيبين فى ذلك بكثرة الأموال والأولاد لأنهم اعتقدوا

يلم يكرموا على الله ما رزقهم ثم قاسوا أمر الآخرة الموهومة أو المفروضة عندهم على أمر الدنيا فقالوا (وما نحن بمعذبين) فبين الله خطأهم في قياس الباسط هو الله (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أن ذلك بمجرد المشيئة لا بالكسب والاستحقاق فكم من شقي موسر وتقي معسر ثم زاد في البيان بقوله (وما أموالكم) أي وما جماعة أموالكم (ولا) جماعة (أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى) أي قربى اسم بمعنى القربة وقع موقع المصدر كقوله والله أنبتكم من الارض نباتا ثم استثنى من ضمير المفعول في تقربكم بقوله (الا من آمن) والمراد أن الاموال والاولاد لا تقرب أحدا الا المؤمن الصالح ينفق الاموال في سبيل الله ويعلم أولاده الخير والفقه في الدين ويحتمل أن يكون الاستثناء من الفاعل والمعنى أن شيأ من الاشياء لا يقرب الا عمل المؤمن الصالح لأن ما سوى ذلك شاغل عن الله والعمل الصالح اقبال على العبودية ومن توجه الى الله وصل ومن طلب شيأ من الله حصل وجزاء الضعف من اضافة المصدر الى المفعول تقديره فأولئك لهم أن يجازوا الضعف ومعنى قراءة يعقوب أولئك لهم الضعف جزاء والتضعيف يكون الى العشر والى سبعمائة وأكثر كما عرفت والباقي الى قوله محضرون قد سبق وحين بين أن حصول الترف لا يدل على الشرف ذكر أن بسط الرزق لا يختص بهم ولكنه سبحانه قد يبسط الرزق لمن يشاء من عباده المؤمنين ثم رتب وعد الاخلاف على الانفاق وذلك اما في العاجل بالمال أو بالقنوع واما في الآخرة بالثواب الذي لا خلف فوقه ولا مثله ومما يؤكد الآية قوله صلى الله عليه وسلم اللهم أعط منفقا خلفا الحديث

نعم وقد وعينه ويأتي أحيانا في مثل صورة الرجل فيكلمني به كلاما وهو أهون علي حدثني زكريا بن أبان المصري قال ثنا نعيم قال ثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن ابن أبي زكريا عن جابر بن حيوة عن النواس بن سمعان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله أن يوحي بالامر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة أو قال رعدة شديدة من خوف أمر الله فاذا سمع بذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبرائيل فيكلمه الله من وحيه بما أراد ثم يمر جبرائيل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبرائيل فيقول جبرائيل قال الحق وهو العلي الكبير قال فيقولون كلهم مثل ما قال جبرائيل فينتهي جبرائيل بالوحي حيث أمره الله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم الآية قال كان ابن عباس يقول ان الله لما أراد أن يوحي الى محمد دعا جبريل فلما تكلم ربنا بالوحي كان صوته كصوت الحديد على الصفا فلما سمع أهل السموات صوت الحديد خروا سجدا فلما أتى عليهم جبرائيل رفعوا رؤسهم فقالوا ماذا قال ربكم فقالوا الحق وهو العلي الكبير وهذا قول الملائكة حدثني يعقوب بن ابراهيم بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم الى وهو العلي الكبير قال لما أوحى الله تعالى ذكره الى محمد صلى الله عليه وسلم دعا الرسول جبرائيل فبعثه الى الملائكة فبعث بالوحي سمعت الملائكة صوت الجبار يتكلم بالوحي فلما كشف عن قلوبهم قالوا كما قال الله فقالوا الحق وعلموا أن الله لا يقول الا حقا وأنه منجز ما وعد قال ابن عباس كصوت الوحي كصوت الحديد على الصفا فلما سمعوه خروا سجدا فلما رفعوا رؤسهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير ثم أمر الله نبيه أن يسأل الناس قل من يرزقكم من السموات والارض الى قوله في ضلال مبين حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن عبد الله بن القاسم في قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم الآية قال الوحي ينزل من السماء فاذا قضاه قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم عن عبد الله في قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم قال ان الوحي اذا قضى في رؤوس السماء قال مثل وقع الصفا لذ على صخرة قال فيشفقون لا يدرون ما يحدث فيفزعون فاذا مرت بهم الرسل قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير * وقال آخرون ممن قال الموصوفون بذلك الملائكة انما يفزع عن قلوبهم فزعهم من قضاء الله الذي يقضيه حذرا أن يكون ذلك قيام الساعة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم الآية قال يوحي الله الى جبرائيل فتفرق الملائكة أو تفزع مخافة أن يكون شيء من أمر الساعة فجلى عن قلوبهم وعلموا أنه ليس ذلك من أمر الساعة قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير * وقال آخرون بل ذلك من فعل ملائكة السموات اذا مرت بها المعقبات فزعا يكون حدث أمر الساعة ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم الآية زعم ابن مسعود أن الملائكة المعقبات الذين يختلفون الى الارض يكتبون أعمالهم اذا أرسلهم الرب فانحدروا

الى الفقهاء ألق متاعك في البحر وعلي ضمانه وأن التاجر اذا علم أن ماله من الاموال في معرض الفناء يبيعه بسهولة وان كان من الفقراء ينسب الى الحطا وسخافة الرأي ولا ريب أن مال الدنيا في معرض الزوال وأن أغنى الاغنياء قد طلب منا الاقراض ووعد الاضعاف

والاخلاف فاى تجارة عند العاقل ارفع من هذا (وهو خير الرازقين) لان سلسلة الارزاق والرزق تنتهى اليه وعن بعضهم الحمد
أوجدنى وجعلنى ممن يشتهى فكم من مشته لا يجد وواجد لا يشتهى ثم حكى عاقبة حال الكفار بقوله (ويوم يحشرهم

خطاب الملائكة تقريع الكفار وتقريرا لما يعروهم من الخجل والوجل عند اقتصاص ذلك كما مر فى قوله لعيسى أأنت قلت للناس (قالوا سبحانك) تنزهك عن أن نعبد غيرك أنت الذى نواليك ونعادى غيرك فى شأن العبادة (بل كانوا يعبدون الجن) حيث أطاعوهم فى عبادة غيرك فهم كانوا يطيعونهم وكأنا نحن كالقبلة أو صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها أو كانوا يدخلون فى أجواف الاصنام فيعبدون بعبادتها وانما قالوا (أكثرهم بهم مؤمنون) وما ادعوا الاحاطة لأن الذين رأوهم وأطلعهم الله على أحوالهم كانوا كذلك ولعل فى الوجود من لا يطلع الله الملائكة عليه من الكفار وأيضا أن العبادة عمل ظاهر والايمان عمل باطن والاطلاع على عمل القلب كما هو ليس الا لله وحده فراعوا الادب الجميل والحكم على الظاهر أكثرى ثم ذكر أن الامر فى ذلك اليوم لله وحده والخطاب فى قوله (لا يملك بعضكم) للملائكة والكفار وان كان الكفار غائبين كما تقول لمن حضر عندك ولمن شارك فى أمر بسببه أنتم فعلتم كذا على معنى أنت قلت وهم قالوا ويحتمل أن يكون الخطاب للكفار لأن ذكر اليوم يدل على حضورهم أو لهم وللملائكة أيضا بهذا التأويل وعلى الاول يكون قوله (ونقول للذين ظلموا) افراد الكفرة بالذكر وعلى الوجه الآخر يكون تأكيدا لبيان حالهم فى الظلم وذكر الضر تأكيد لعدم تملكهم شيأ والا فهو غير متصور فى ذلك اليوم وانما قال ههنا (عذاب النار التى كنتم بها تكذبون) وفى السجدة عذاب النار الذى كنتم به لانهم هناك قدروا النار بالنار

ثم لهم صوت شديد فيحسب الذين هم أسفل منهم من الملائكة أنه من أمر الساعة فيصعقون
صعقا وهكذا كلما مروا عليهم يفعلون ذلك من خوف ربهم * وقال آخرون بل الموصوفون
بذلك المشركون قالوا وانما يفزع الشيطان عن قلوبهم قال وانما يقولون ماذا قال ربكم عند
المنية بهم ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد
حتى اذا فزع عن قلوبهم قال فزع الشيطان عن قلوبهم وفارقهم وأمانيهم وما كان يضلهم
ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير قال وهذا فى بنى آدم وهذا عند الموت أى
حين لم ينفعهم الاقرار * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب القول الذى ذكره الشعبى عن
مسعود لصحة الخبر الذى ذكرناه عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذ
واذ كان ذلك كذلك فمعنى الكلام لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له أن يشفع عنده
أذن الله لمن أذن له أن يشفع فزع لسماعه اذنه حتى اذا فزع عن قلوبهم بخلى عنها وكشف
عنهم قالوا ماذا قال ربكم قالت الملائكة الحق وهو العلى على كل شئ الكبير الذى لا شئ
والعرب تستعمل فزع فى معنيين فتقول للشجاع الذى به تنزل الامور التى يفزع منها هو
وتقول للجبان الذى يفزع من كل شئ انه لمفزع وكذلك تقول للرجل الذى يقضى له
فى الامور بالغلبة على من نازله فيها هو مغلب واذا أريد به هذا المعنى كان غالبا وتقول
أيضا الذى هو مغلوب أبدا مغلب وقد اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء
أجمعون فزع بالزاى والعين على التأويل الذى ذكرناه عن ابن مسعود ومن قال بقوله
وروى عن الحسن أنه قرأ ذلك حتى اذا فرغ عن قلوبهم بالراء والغين على التأويل الذى
عن ابن زيد وقد يحتمل توجيه معنى قراءة الحسن ذلك كذلك الى حتى اذا فرغ عن قلو
فصارت فارغة من الفزع الذى كان حل بها ذكر عن مجاهد أنه قرأ ذلك فزع بمعنى كش
الله الفزع عنها * والصواب من القراءة فى ذلك القراءة بالزاى والعين لاجماع الحجة من
وأهل التأويل عليها ولصحة الخبر الذى ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
والدلالة على صحتها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قل من يرزقكم من السموات وا
قل الله وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى
وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم الاوثان والاصنام من يرزقكم من السموات وا
بانزاله الغيث عليكم منها حياة لحرثكم وصلاحا لمعايشكم وتسخيره الشمس والقمر
لمنافعكم ومنافع أقواتكم والارض باخراجه منها أقواتكم وأقوات أنعامكم وترك الخبر
جواب القوم استغناء بدلالة الكلام عليه ثم ذكره وهو فان قالوا لا ندرى فقل الذى
ذلك الله وانا أو اياكم أيها القوم لعلى هدى أو فى ضلال مبين يقول قل لهم انا لعلى هدى أو فى
أو انكم على ضلال أو هدى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من
حدثنا بشر قال ثنا سعيد عن قتادة قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وا
لعلى هدى أو فى ضلال مبين قال قد قال ذلك أصحاب محمد للمشركين والله ما اهتدى
واحد ان أحد الفريقين لمهتد وقد قال قوم معنى ذلك وانا لعلى هدى وانكم لفى ضلا

من قال ذلك حدثني اسحق بن ابراهيم الشهيدى قال ثنا عتاب بن بشير عن خصيف عكرمة وزياد فى قوله وانا أوايا كم لعلى هدى أوفى ضلال مبين قال انا لعلى هدى وانكم لفى ضلال مبين واختلف أهل العربية فى وجه دخول أو فى هذا الموضع فقال بعض نحويى البصرة ذلك لأنه شك ولكن هذا فى كلام العرب على أنه هو المهتدى قال وقد يقول الرجل لعبده ضارب صاحبه ولا يكون فيه اشكال على السامع أن المولى هو الضارب * وقال آخرمنهم ذلك انا لعلى هدى وانكم اياكم فى ضلال مبين لأن العرب تضع أو فى موضع واو الموالاة

أثعلبة الفوارس أو رياحا * عدلت بهم طهية والخشابا

يعنى أثعلبة ورياحا قال وقد تكلم بهذا من لا يشك فى دينه وقد علموا أنهم على هدى وأولئك ضلال فيقال هذا وان كان كلاما واحدا على جهة الاستهزاء فقال هذا لهم وقال

فان يك حيهم رشدا أصبه * ولست بمخطئ ان كان غيا

بعض نحويى الكوفة معنى أو معنى الواو فى هذا الموضع فى المعنى غير أن القرينة على غير ذلك كون أو بمنزلة الواو ولكنها تكون فى الأمر المفوض كما تقول ان شئت فخذ درهما أواثنين فله أخذ اثنين أو واحدا وليس له أن يأخذ ثلاثة قال وهو فى قول من لا يبصر العربية ويجعل بمنزلة الواو يجوز له أن يأخذ ثلاثة لانه فى قولهم بمنزلة قولك خذ درهما أواثنين قال والمعنى وانا كم انا لضالون أو مهتدون وانكم أيضا لضالون أو مهتدون وهو يعلم أن رسوله المهتدى وأن غيره قال وأنت تقول فى الكلام للرجل يكذبك والله ان أحدنا لكاذب وأنت تعنيه وكذبته غير مكشوف وهو فى القرآن وكلام العرب كثير أن يوجه الكلام الى أحسن مذاهبه اذا كقول القائل لمن قال والله لقد قدم فلان وهو كاذب فيقول قل ان شاء الله أوقل فيما أظن فيأحسن تصريح التكذيب قال ومن كلام العرب أن يقولوا قاتله الله ثم يستقبح فيقولون وكأعمه الله قال ومن ذلك ويحك وويلك انما هى فى معنى ويلك الا أنها دونها فى الجواب من القول فى ذلك عندى أن ذلك أمر من الله نبيه بتكذيب من أمره بخطابه بهذا من جعل التكذيب كما يقول الرجل لصاحب له يخاطبه وهو يريد تكذيبه فى خبر له أحدنا لكاذب وقائل ذلك يعنى صاحبه لا نفسه فلهذا المعنى صير الكلام بأو ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو العليم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المشركين أحد فريقينا على الآخر على ضلال لا تسئلون أنتم عما أجرمنا نحن من جرم وركبنا من اثم ولا نسئل نحن عما أنتم من عمل قل لهم يجمع بيننا ربنا يوم القيامة عنده ثم يفتح بيننا بالحق بقول ثم يقضى بيننا فيتبين عند ذلك المهتدى منا من الضال وهو الفتاح العليم يقول والله القاضى العليم بين خلقه لأنه لا تخفى عنه خافية ولا يحتاج الى شهود تعرفه المحق من المبطل * وبنحو الذى قلنا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد قوله قل يجمع بيننا ربنا يوم القيامة ثم يفتح بيننا أى يقضى بيننا حدثني على قال ثنا

من قال ذلك حدثنى اسحق بن ابراهيم الشهيدى قال ثنا عتاب بن بشير عن خصيف عكرمة وزياد فى قوله وانا أوايا كم لعلى هدى أوفى ضلال مبين قال انا لعلى هدى وانكم لفى ضلال مبين واختلف أهل العربية فى وجه دخول أو فى هذا الموضع فقال بعض نحويى البصرة ذلك لأنه شك ولكن هذا فى كلام العرب على أنه هو المهتدى قال وقد يقول الرجل لعبده ضارب صاحبه ولا يكون فيه اشكال على السامع أن المولى هو الضارب * وقال آخرمنهم ذلك انا لعلى هدى وانكم اياكم فى ضلال مبين لأن العرب تضع أو فى موضع واو الموالاة

أثعلبة الفوارس أو رياحا * عدلت بهم طهية والخشابا

يعنى أثعلبة ورياحا قال وقد تكلم بهذا من لا يشك فى دينه وقد علموا أنهم على هدى وأولئك ضلال فيقال هذا وان كان كلاما واحدا على جهة الاستهزاء فقال هذا لهم وقال

فان يك حيهم رشدا أصبه * ولست بمخطئ ان كان غيا

بعض نحويى الكوفة معنى أو معنى الواو فى هذا الموضع فى المعنى غير أن القرينة على غير ذلك كون أو بمنزلة الواو ولكنها تكون فى الأمر المفوض كما تقول ان شئت فخذ درهما أواثنين فله أخذ اثنين أو واحدا وليس له أن يأخذ ثلاثة قال وهو فى قول من لا يبصر العربية ويجعل بمنزلة الواو يجوز له أن يأخذ ثلاثة لانه فى قولهم بمنزلة قولك خذ درهما أواثنين قال والمعنى وانا كم انا لضالون أو مهتدون وانكم أيضا لضالون أو مهتدون وهو يعلم أن رسوله المهتدى وأن غيره قال وأنت تقول فى الكلام للرجل يكذبك والله ان أحدنا لكاذب وأنت تعنيه وكذبته غير مكشوف وهو فى القرآن وكلام العرب كثير أن يوجه الكلام الى أحسن مذاهبه اذا كقول القائل لمن قال والله لقد قدم فلان وهو كاذب فيقول قل ان شاء الله أوقل فيما أظن فيأحسن تصريح التكذيب قال ومن كلام العرب أن يقولوا قاتله الله ثم يستقبح فيقولون وكأعمه الله قال ومن ذلك ويحك وويلك انما هى فى معنى ويلك الا أنها دونها فى الجواب من القول فى ذلك عندى أن ذلك أمر من الله نبيه بتكذيب من أمره بخطابه بهذا من جعل التكذيب كما يقول الرجل لصاحب له يخاطبه وهو يريد تكذيبه فى خبر له أحدنا لكاذب وقائل ذلك يعنى صاحبه لا نفسه فلهذا المعنى صير الكلام بأو ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو العليم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المشركين أحد فريقينا على الآخر على ضلال لا تسئلون أنتم عما أجرمنا نحن من جرم وركبنا من اثم ولا نسئل نحن عما أنتم من عمل قل لهم يجمع بيننا ربنا يوم القيامة عنده ثم يفتح بيننا بالحق بقول ثم يقضى بيننا فيتبين عند ذلك المهتدى منا من الضال وهو الفتاح العليم يقول والله القاضى العليم بين خلقه لأنه لا تخفى عنه خافية ولا يحتاج الى شهود تعرفه المحق من المبطل * وبنحو الذى قلنا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد قوله قل يجمع بيننا ربنا يوم القيامة ثم يفتح بيننا أى يقضى بيننا حدثني على قال ثنا

على تكذيبهم بالنار ثم حكى أكاذيبهم بقوله (واذا تتلى) الآية ولا يخفى ما فيه من المبالغات ثم بين أن أقوالهم هذه لا تستند الا الى محض التقليد فقال (وما آتيناهم من كتب يدرسونها) فالآيات البينات لا تعارض الا بالبراهين العقلية وما لهم من دليل أو بالنقليات وما عندهم من كتاب ولا رسول غيرك (وكذب الذين من قبلهم) كعاد وثمود (وما بلغوا معشار ما آتيناهم) والمعشار كالمرباع وهما العشر والربع قال الاكثرون معناه وما بلغ هؤلاء المشركون عشر ما آتينا المتقدمين من القوة والنعمة وطول العمر ثم ان الله أخذهم وما نفعهم محصولهم فكيف حال هؤلاء الضعفاء وقال بعضهم أراد وما بلغ الذين من قبلهم معشار ما آتينا قوم محمد صلى الله عليه وسلم من البيان والبرهان لان محمدا صلى الله عليه وسلم أفصح الرسل وكتابه أوضح الكتب ثم ان المتقدمين أنكر عليهم تكذيبهم فكيف لا ينكر على هؤلاء قال جار الله قوله (فكذبوا رسلى) بعد قوله وكذب الذين من قبلهم تخصيص بعد تعميم كأنه قيل وفعل الذين من قبلهم التكذيب فكذبوا رسلى نظيره قول القائل أقدم فلان على الكفر فكفر محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز أن ينعطف على قوله وما بلغوا معشار ما كقولك ما بلغ زيد معشار فضل عمرو فيتفضل عليه قلت فعلى هذا تكون الفاء للسببية والمعنى أنه اذا لم يبلغ معشار فضله فكيف يتفضل عليه وكذا فى الآية فيصير المعنى انهم اذا لم يبلغوا معشار الأقدمين فكيف كذبوا (فكان نكير) للمكذبين الاولين فليحذروا من مثله ويجوز عندى أن يكون الثانى تكريرا للاول لاجل ترتب النكير عليه كأنه قيل

فاذقد صح أنهم فعلوا ماذكرنا فلا جرم ذاقوا وبال أمرهم نظيره قولك لمن يحضرتك فعلت كذا وكذا فاذا فعلت ذلك فتربص و بعد تفر
الاصول الثلاثة التوحيد والرسالة والحشر (٦٦) كررها مجموعة بقوله (قل انما أعظكم بواحدة) أى بخصلة أوحسنة أوكلمة واح

وقد فسرها بقوله (أن تقوموا) على أنه عطف بيان لها والقيام اما حقيقة وهو قيامهم عن مجلس النبى متفرقين الى أوطانهم واما مجاز وهو الاهتمام بالامر والنهوض له بالعزم والجد فقوله (مثنى وفرادى) اشارة الى جميع الاحوال لان الانسان اما أن يكون مع غيره أولا فكأنه قال أن تقوموا لله مجتمعين ومنفردين لاتمنعكم الجمعية عن ذكر الله ولا يحوجكم الانفراد الى معين يعينكم على ذكر الله وقوله (ثم تتفكروا) يعنى اعتبروا بما هو الاصل وهو التوحيد ولا حاجة فيه الى تفكر ونظر بعد ما بان وظهر ثم تتفكروا فيما أقول بعده وهو الرسالة المشار اليها بقوله (ما بصاحبكم من جنة) والحشر المشار اليه بقوله (بين يدى عذاب شديد) قيل وفيه اشارة الى عذاب قريب كأنه قال ينذركم بعذاب يعمكم قبل الشديد فمجموع الامور الثلاثة شئ واحد أو المراد أنه لا يأمرهم فى أول الامر بغير التوحيد لأنه سابق على الكل لا أنه لا يأمرهم فى جميع العمر الا بشئ واحد وعند جار الله الخصلة الواحدة هى الفكر فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى انما أعظكم بواحدة ان فعلتموها أصبتم الحق وهو أن تقوموا لوجه الله خالصا متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان ما فوق الاثنين والواحد يوجب التشويش واختلاف الرأى فيعرض كل من الاثنين محصول فكره على صاحبه من غير عصبية ولا اتباع هوى وكذلك الفرد يفكر فى نفسه بعدل ونصفة حتى يجذب الفكر يصنعه الى أن هذا الامر

أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وهو الفتاح العليم يقول القاضى
﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل أروني الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الآلهة والأصنام أرون
أيها القوم الذين ألحقتموهم بالله فصيرتموهم له شركاء فى عبادتكم اياهم ماذا خلقوا من الارض
أم لهم شرك فى السموات كلا يقول تعالى ذكره كذبوا ليس الأمر كما وصفوا ولا كما جهل
وقالوا من أن لله شريكا بل هو المعبود الذى لا شريك له ولا يصلح أن يكون له شريك فى ملكه
العزيز فى انتقامه ممن أشرك به من خلقه الحكيم فى تدبيره خلقه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى
﴿وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره
وما أرسلناك يا محمد الى هؤلاء المشركين بالله من قومك خاصة ولكنا أرسلناك كافة للناس أجمعين
العرب منهم والعجم والأحمر والأسود بشيرا من أطاعك ونذيرا من كذبك ولكن أكثر
الناس لا يعلمون أن الله أرسلك كذلك الى جميع البشر » ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل
التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما
أرسلناك إلا كافة للناس قال أرسل الله محمدا الى العرب والعجم فأكرمهم على الله أطوعهم له
لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال أنا سابق العرب وصهيب سابق الروم وبلال سابق الحبش
وسلمان سابق فارس ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم
صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون﴾ يقول تعالى ذكره ويقول
هؤلاء المشركون بالله اذا سمعوا وعيد الله الكفار وما هو فاعل بهم فى معادهم مما أنزل الله فى كتابه
متى هذا الوعد جاثيا وفى أى وقت هو كائن ان كنتم فيما تعدوننا من ذلك صادقين أنه كائن
قال الله لنبيه قل لهم يا محمد لكم أيها القوم ميعاد يوم هو آتيكم لا تستأخرون عنه اذا جاءكم ساعة
فتنظروا للتوبة والانابة ولا تستقدمون قبله بالعذاب لان الله جعل لكم ذلك أجلا ﴿ القول
فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه ولو ترى
اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين
استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره وقال الذين كفروا من مشركى العرب
نؤمن بهذا القرآن الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ولا بالكتاب الذى جاء به غيره من بين
كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى
بين يديه قال قال المشركون لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه من الكتب والانبياء ولو
ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يتلاومون يحاور بعضهم بعضا يقول المستضعفون
فى الدنيا للذين كانوا عليهم فيها يستكبرون لولا أنتم أيها الرؤساء والكبراء فى الدنيا لكنا مؤمنين
وآياته ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم
عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين﴾ يقول تعالى ذكره قال الذين استكبروا فى الدنيا قولا
فى الضلالة والكفر بالله للذين استضعفوا فيها فكانوا أتباعا لأهل الضلالة منهم اذ قالوا لهم
أنتم لكنا مؤمنين أنحن صددناكم عن الهدى ومنعناكم من اتباع الحق بعد اذ جاءكم من عند

يعين
المستتبع لسعادة الدارين لا يتصدى لاذعانه الا رجلان مجنون لا يبالى بافتضاحه اذا طولب بالبرهان وعاقل اجتباه الله بسوابق

بين لكم بل كنتم مجرمين فمنعكم ايثاركم الكفر بالله على الايمان من اتباع الهدى والايمان بالله ورسوله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره وقال الذين استضعفوا من الكفرة بالله فى الدنيا فكانوا أتباعا لرؤسائهم فى الضلالة للذين استكبروا فيها فكانوا لهم رؤساء بل مكركم لنا بالليل والنهار صدنا عن الهدى اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أمثالا وأشباها فى العبادة والألوهة فأضيف المكر الى الليل والنهار والمعنى ماذكرنا من مكر المستكبرين بالمستضعفين فى الليل والنهار على اتساع العرب فى الذى قد عرف معناها فيه من نقلها من نقل صفة الشئ الى غيره فتقول للرجل يا فلان نهارك صائم وليلك قائم وكما قال الشاعر

* ونمت وما ليل المطى بنائم *

وما أشبه ذلك مما قد مضى بيانا له فى غير هذا الموضع من كتابنا هذا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا يقول بل مكركم بنا فى الليل والنهار أيها العظماء الرؤساء حتى أزلتمونا عن عبادة الله وقد ذكر فى تأويله عن سعيد بن جبير ما حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير بل مكر الليل والنهار قال مر الليل والنهار وقوله اذ تأمروننا أن نكفر بالله يقول حين تأمروننا أن نكفر بالله وقوله ونجعل له أندادا يقول شركاء كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ونجعل له أندادا شركاء قوله وأسروا الندامة لما رأوا العذاب يقول وندموا على ما فرطوا من طاعة الله فى الدنيا حين عاينوا عذاب الله الذى أعده لهم كما حدثنا بشر قال ثنا سعيد عن قتادة وأسروا الندامة بينهم لما رأوا العذاب قوله وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا وغلت أيدى الكافرين بالله فى جهنم الى أعناقهم فى جوامع من نار جهنم جزاء بما كانوا بالله فى الدنيا يكفرون يقول الله جل ثناؤه ما يفعل الله ذلك بهم الا توابا لأعمالهم الخبيثة التى كانوا فى الدنيا يعملونها ومكافأة لهم عليها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون﴾ يقول تعالى ذكره وما بعثنا الى أهل قرية نذيرا ينذرهم بأسنا أن ينزل بهم على معصيتهم إيانا الا قال كبراؤها ورؤساؤها فى الضلالة كما قال قوم فرعون من المشركين له انا بما أرسلتم به من النذارة وبعثتم به من توحيد الله والبراءة من الآلهة والأنداد كافرون * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون قال هم رؤسهم وقادتهم فى الشر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره وقال أهل الاستكبار على الله من كل قرية أرسلنا فيها نذيرا لأنبيائنا ورسلنا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن فى الآخرة بمعذبين لأن الله لو لم يكن راضيا ما نحن عليه من الملة والعمل لم يخولنا الأموال والأولاد ولم يبسط لنا فى الرزق وانما أعطانا

مستأنفا فيه تنبيه على كيفية النظر فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم والمراد ثم تتفكروا فتعلموا ذلك وجوز بعضهم أن تكون ما استفهامية وحين ذكر أنه ما به جنة ليلزم منه كونه نبيا ذكر وجها آخر يلزم منه صحة نبوته وهو قوله (ما سألتكم من أجر) الآية وتقريره أن العاقل لا يركب العناء الشديد الا لغرض عاجل وهو غير موجود ههنا بل كل أحد يعاديه ويقصده بالسوء أو لغرض آجل ولا يثبت الا على تقدير الصدق فان الكاذب معذب فى الآخرة لا مثاب هذا اذا أريد بقوله (فهو لكم) نفى سؤال الآخر رأسا كما يقول الرجل لصاحبه ان أعطيتنى شيأ فخذه وهو يعلم أنه لم يعطه شيأ ويحتمل أن يراد بالأجر قوله لا أسألكم عليه أجرا الا الموادة فى القربى وقوله ما أسألكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا لأن المودة فى القربى قد انتظمته واياهم وكذا اتخاذ السبيل الى الله عز وجل فيه نصيبهم ونفعهم (وهو على كل شئ شهيد) يعلم أنى لا أطلب الأجر على نصحكم أو يعلم أن فائدة النصح تعود عليكم قوله (يقذف بالحق) أى فى قلوب المحقين وفيه ازالة استبعاد الكفرة تخصيص واحد منهم بانزال الذكر عليه فان الأمر بيد الله والفضل له يؤتيه من يشاء وانه (علام الغيوب) يعلم عواقب الأمور ومراتب الاستحقاق فيعطى على حسب ذلك لا كما يفعل الطامع الغافل

أو أراد يقذف بالحق على الباطل فيدمغه وذلك أن براهين التوحيد قد ظهرت وشبه المبطلين قد دحضت وفى قوله علام الغيوب اشارة الى أن البرهان الباهر لم يقم الا على التوحيد والرسالة وأما الحشر فالدليل عليه اخبار علام الغيوب عنه وحين ذكر أنه يقذف بالحق

وكان ذلك بصيغة الاستقبال أخبر أن ذلك الحق قد جاء وهو القرآن والاسلام وكل ما ظهر على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وعلى يده وفيا السيف وقوله (وما يبدئ الباطل وما يعيد) مثل في الهلاك لان الحيّ اما أن يبدئ فعلا أو يعيده فاذا هلك لم يبق له ابد ولا اعادة والتحقيق فيه أن الحق هو الموجود الثابت ولما كان ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من بيان التوحيد والرسالة والحشر ثابتا في نفسه بيننا لمن نظر اليه كان جائيا وحين كان ما أتوا به من الاصرار والتكذيب مما لا أصل له قيل انه لا يبدئ ولا يعيد أي لا يعيد شيأ لا في الاول ولا في الآخر وقيل الباطل ابليس لانه صاحب الباطل ولأنه هالك والمراد أنه لا ينشئ خلقا ولا يعيد وانما المنشئ والباعث هو الله وعن الحسن لا يبدئ لأهله خيرا ولا يعيده أي لا ينفعهم في الدنيا والآخرة وقال الزجاج ما استفهامية والمعنى أي شيء ينشئ ابليس ويعيده ثم قرر أمر الرسالة بوجه آخر وهو قوله (قل ان ضللت فانما أضل على نفسي) يعني كضلالكم وأما اهتدائي فليس بالنظر والاستدلال كاهتدائكم وانما هو بالوحي المبين قال جار الله هذا حكم عام لكل مكلف والتقابل مرعيّ من حيث المعنى والمراد أن كل ما هو وبال على النفس وضارّ لها فهو بها وبسببها لأنها الأمارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه وانما أمر رسوله أن يسنده الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره أولى به (انه سميع قريب) يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله لا يعزب عنه منهما شيء وفيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم اذا دعاه على من يكذبه أجابه ليس كمن يسمع من بعيد ولا يلحق الداعي ثم عجب نبيه أو كل راء من مآل حال أهل العناد بقوله (ولو ترى) وجوابه محذوف أي لرأيت أمرا عظيما والأفعال الماضية التي هي فزعوا وأخذوا وقالوا وحيل كلها من قبيل وناد وسيق ووقت الفزع وقت البعث أو الموت أو يوم بدر وعن

ما أعطانا من ذلك لرضاه أعمالنا وآثرنا بما آثرنا على غيرنا لفضلنا وزلفتنا عنده يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم يا محمد ان ربي يبسط الرزق من المعاش والرياش في الدنيا لمن يشاء من خلقه ويقدر فيضيق على من يشاء لا لمحبة فيمن يبسط له ذلك ولا خير فيه ولا زلفة له استحق بها منه ولا لبغض منه لمن قدر عليه ذلك ولا مقت ولكنه يفعل ذلك محنة لعباده وابتلاء وأكثر الناس لا يعلمون أن الله يفعل ذلك اختبارا لعباده ولكنهم يظنون أن ذلك منه محبة لمن بسط له ومقت منه لمن قدر عليه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الآية قال قالوا نحن أكثر أموالا وأولادا فأخبرهم الله أنه ليست أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا قال وهذا قول المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قالوا لو لم يكن الله عنا راضيا لم يعطنا هذا كما قال قارون لولا أن الله رضي بي وبحالي ما أعطاني هذا قال أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون الى آخر الآية ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون﴾ يقول جل ثناؤه وما أموالكم التي تفتخرون بها أيها القوم على الناس ولا أولادكم الذين تتكبرون بهم بالتي تقربكم مناقربة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله عند نا زلفى قال قربى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى لا يعتبر الناس بكثرة المال والولد وان الكافر قد يعطى المال وربما حبس عن المؤمن وقال جل ثناؤه وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ولم يقل باللتين وقد ذكر الأموال والاولاد وهما نوعان مختلفان لأنه ذكر من كل نوع منهما جمع يصلح فيه التي ولو قال قائل أراد بذلك أحد النوعين لم يبعد قوله وكان ذلك كقول الشاعر

نحن بما عندنا وأنت بما * عندك راض والرأي مختلف

ولم يقل راضيان وقوله الا من آمن وعمل صالحا اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم معنى ذلك وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فانه تقربهم أموالهم وأولادهم بطاعتهم الله في ذلك وأداتهم فيه حقه الى الله زلفى دون أهل الكفر بالله ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال اخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله إلا من آمن وعمل صالحا قال لم تضرهم أموالهم ولا أولادهم في الدنيا للمؤمنين وقرأ الذين أحسنوا الحسنى وزيادة فالحسنى الجنة والزيادة ما أعطاهم الله في الدنيا لم يحاسبهم به كما حاسب الآخرين فمن حمل على هذا التأويل نصب بوقوع تقرب عليه وقد يحتمل أن يكون من في موضع رفع فيكون كأنه قيل وما هو إلا من آمن وعمل صالحا وقوله فأولئك لهم جزاء الضعف يقول فهؤلاء لهم من الله على أعمالهم الصالحة الضعف من الثواب بالواحدة عشر * وبنحو الذي قلنا

ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال
ن زيد في قوله فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا قال بأعمالهم الواحد عشر وفي سبيل الله الواحد
سبعمائة وقوله في الغرفات آمنون يقول وهم في غرفات الجنات آمنون من عذاب الله ﴿ القول
ي تأويل قوله تعالى ﴿ والذين يسعون في آياتنا معاجزين أولئك في العذاب محضرون قل ان ربي
سط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ﴾ يقول
عالى ذكره والذين يعملون في آياتنا يعني في حججنا وآي كتابنا يبتغون ابطاله ويريدون اطفاء نوره
ه وين يحسبون أنهم يفوتوننا بأنفسهم ويعجزوننا أولئك في العذاب محضرون يعني في عذاب
نهم محضرون يوم القيامة قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده يقول تعالى ذكره قل
محمد ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من خلقه فيوسعه عليه تكرمة له وغير تكرمة ويقدر على من
ا منهم فيضيقه ويقتره اهانة له وغير اهانة بل محنة واختبارا وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه يقول
ما أنفقتم أيها الناس من نفقة في طاعة الله فان الله يخلفها عليكم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل
تأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن المنهال
عن عمرو عن سعيد بن جبير وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه قال ما كان في غير اسراف ولا تقتير
وله وهو خير الرازقين يقول وهو خير من قيل انه يرزق ووصف به وذلك أنه قد يوصف بذلك
ن دونه فيقال فلان يرزق أهله وعياله ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ويوم يحشرهم جميعا ثم
قول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون
ن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾ يقول تعالى ذكره ويوم نحشر هؤلاء الكفار بالله جميعا ثم نقول
ملائكة أهؤلاء كانوا يعبدونكم من دوننا فتبرأ منهم الملائكة قالوا سبحانك ربنا تنزيها لك وتبرئة
ما أضاف اليك هؤلاء من الشركاء والأنداد أنت ولينا من دونهم لا تتخذ ولينا دونك بل كانوا
عبدون الجن * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال
ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم
نوا يعبدون استفهام كقوله لعيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله وقوله
أكثرهم بهم مؤمنون يقول أكثرهم بالجن مصدقون يزعمون أنهم بنات الله تعالى الله عما يقولون
وا كبيرا ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين
ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون ﴾ يقول تعالى ذكره فاليوم لا يملك بعضكم أيها
ملائكة للذين كانوا في الدنيا يعبدونكم نفعا ينفعونكم به ولا ضرا ينالونكم به أو تنالونهم به ونقول
للذين ظلموا يقول ونقول للذين عبدوا غير الله فوضعوا العبادة في غير موضعها وجعلوها لغير من
ينبغي أن تكون له ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها في الدنيا تكذبون فقد وردتموها ﴿ القول
في تأويل قوله تعالى ﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان
يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا إلا سحر مبين ﴾
يعني تعالى ذكره واذا تتلى على هؤلاء المشركين آيات كتابنا بينات يقول واضحات أنهن حق من
عندنا قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم يقول قالوا عند ذلك لا تتبعوا محمدا

ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال
ن زيد في قوله فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا قال بأعمالهم الواحد عشر وفي سبيل الله الواحد
سبعمائة وقوله في الغرفات آمنون يقول وهم في غرفات الجنات آمنون من عذاب الله ﴿ القول
ي تأويل قوله تعالى ﴿ والذين يسعون في آياتنا معاجزين أولئك في العذاب محضرون قل ان ربي
سط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ﴾ يقول
عالى ذكره والذين يعملون في آياتنا يعني في حججنا وآي كتابنا يبتغون ابطاله ويريدون اطفاء نوره
ه وين يحسبون أنهم يفوتوننا بأنفسهم ويعجزوننا أولئك في العذاب محضرون يعني في عذاب
نهم محضرون يوم القيامة قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده يقول تعالى ذكره قل
محمد ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من خلقه فيوسعه عليه تكرمة له وغير تكرمة ويقدر على من
ا منهم فيضيقه ويقتره اهانة له وغير اهانة بل محنة واختبارا وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه يقول
ما أنفقتم أيها الناس من نفقة في طاعة الله فان الله يخلفها عليكم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل
تأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن المنهال
عن عمرو عن سعيد بن جبير وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه قال ما كان في غير اسراف ولا تقتير
وله وهو خير الرازقين يقول وهو خير من قيل انه يرزق ووصف به وذلك أنه قد يوصف بذلك
ن دونه فيقال فلان يرزق أهله وعياله ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ويوم يحشرهم جميعا ثم
قول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون
ن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾ يقول تعالى ذكره ويوم نحشر هؤلاء الكفار بالله جميعا ثم نقول
ملائكة أهؤلاء كانوا يعبدونكم من دوننا فتبرأ منهم الملائكة قالوا سبحانك ربنا تنزيها لك وتبرئة
ما أضاف اليك هؤلاء من الشركاء والأنداد أنت ولينا من دونهم لا تتخذ ولينا دونك بل كانوا
عبدون الجن * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال
ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم
نوا يعبدون استفهام كقوله لعيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله وقوله
أكثرهم بهم مؤمنون يقول أكثرهم بالجن مصدقون يزعمون أنهم بنات الله تعالى الله عما يقولون
وا كبيرا ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين
ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون ﴾ يقول تعالى ذكره فاليوم لا يملك بعضكم أيها
ملائكة للذين كانوا في الدنيا يعبدونكم نفعا ينفعونكم به ولا ضرا ينالونكم به أو تنالونهم به ونقول
للذين ظلموا يقول ونقول للذين عبدوا غير الله فوضعوا العبادة في غير موضعها وجعلوها لغير من
ينبغي أن تكون له ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها في الدنيا تكذبون فقد وردتموها ﴿ القول
في تأويل قوله تعالى ﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان
يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا إلا سحر مبين ﴾
يعني تعالى ذكره واذا تتلى على هؤلاء المشركين آيات كتابنا بينات يقول واضحات أنهن حق من
عندنا قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم يقول قالوا عند ذلك لا تتبعوا محمدا

(ولا تفوتون) أي فلا يفوتون الله
(٦٩) الى بطنها أو من صحراء بدر الى القليب أو من
تحت أقدامهم الى الأرض وجوز
جار الله أن يعطف وأخذوا على
لا تفوت على معنى اذ فزعوا لم يفوتوا
وأخذوا ثم بين أنهم سيؤمنون
بمحمد صلى الله عليه وسلم أو بالقرآن
أو بالحق حين لا ينفع الايمان
وذلك قوله (وأنى لهم التناوش)
وهو تناول سهل لشيء قريب مثلت
حالهم بحال من يريد أن يتناول الشيء
من بعيد كما يتناوله الآخر من قريب
تناولا سهلا لا تعب فيه أو أراد أن
تناولهم التوبة وإيمانهم في الآخرة
بعيد عن الدنيا فات أمس الدابر
لا يعود وان كانت الآخرة قريبة من
الدنيا وهذا اسم ما الله الساعة وكل
ما هو آت قريب وعن أبي عمرو
التناؤش بالهمز التناول من بعد من
قولهم ناشت بالهمزة أي أبطأت
وتأخرت والأصح أنه من النوش كما
مر همزت الواو المضمومة كما
همزت في أجوه وقيل التناوش
بلغة اليمن التذكرة قاله أبو القاسم
الحسن بن محمد بن حبيب في كتاب
المدخل في تفسير القرآن والضمير
في قوله (وقد كفروا) عائد الى
ما يعود اليه في قوله آمنا به قوله
(ويقذفون بالغيب) فيه وجوه
أحدها أنه قولهم في رسول الله صلى
الله عليه وسلم شاعر ساحر وهذا
تكلم بالأمر الخفي وقد أتوا به من
جهة بعيدة عن حاله لأنهم قد عرفوا
منه الأمانة والصدق لا الكذب
والزور وثانيها أخذوا الشريك من
حالهم في العجز فانهم يحتاجون
في الأمور العظام الى التعاون
والأمر الالهي عليه وثالثها أنهم قاسوا قدرة الله على قدرتهم عجزوا عن احياء الموتى فظنوا أن الله لا يقدر على البعث وقياس الخالق على
المخلوق بعيد المأخذ ورابعها قاسوا أمر الآخرة على الدنيا قائلين ان كان الأمر كما تصفون من قيام الساعة وحصول الثواب والعقاب

فنحن أكرم على الله من أن يعذبنا وخامسها قالوا ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا وهو قذف بالغيب من مكان بعيد وهو الذي
(وحيل بينهم وبين ما يشتهون) من نفع الايمان في الآخرة أو من الرد الى الدنيا (كما فعل باشياعهم) أي بأشباههم من كفر

فما هو إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم من الأوثان و يغير دينكم ودين آبائكم وقال
ماهذا الا إفك مفترى يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء المشركون ماهذا الذي تتلو علينا يا محمد بعون
القرآن إلا إفك يقول إلا كذب مفترى يقول مختلق متخرص وقال الذين كفروا للحق لما
جاءهم إن هذا إلا سحر مبين يقول جل ثناؤه وقال الكفار للحق يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لما
جاءهم يعني لما بعثه الله نبيا هذا سحر مبين يقول ماهذا الا سحر مبين يبين لمن رآه وتأمله أنه سحر
﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير
وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير﴾ يقول تعالى
ذكره وما أنزلنا على المشركين القائلين لمحمد صلى الله عليه وسلم لما جاءهم بآيات هذا سحر مبين مما
يقولون من ذلك كتابا يدرسونها يقول يقرؤنها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة قوله وما آتيناهم من كتب يدرسونها أي يقرؤنها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير يقول
وما أرسلنا الى هؤلاء المشركين من قومك يا محمد فيما يقولون و يعملون قبلك من نبي ينذرهم بأس
عليه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال
يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير ما أنزل الله على العرب كتابا قبل القرآن
ولا بعث اليهم نبيا قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقوله وكذب الذين من قبلهم يقول وكذب الذين
من قبلهم من الأمم رسلنا وتنزيلنا وما بلغوا معشار ما آتيناهم يقول ولم يبلغ قومك يا محمد
ما أعطينا الذين من قبلهم من الأمم من القوة والأيدي والبطش وغير ذلك من النعم * وبنحو الذي
قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال
معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وما بلغوا معشار ما آتيناهم من القوة في الدنيا حدثني
ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وما بلغوا
معشار ما آتيناهم يقول ما جاوزوا معشار ما أنعمنا عليهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال
سعيد عن قتادة قوله وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم يخبركم أنه أعطى
ما لم يعطكم من القوة وغير ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في
وما بلغوا معشار ما آتيناهم قال ما بلغ هؤلاء أمة محمد صلى الله عليه وسلم معشار ما آتينا الذين
قبلهم وما أعطيناهم من الدنيا و بسطنا عليهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير يقول فكذبوا رسلي
فيما أتوهم به من رسالتي فعاقبناهم بتغييرنا بهم ما كنا آتيناهم من النعم فانظر يا محمد كيف كان
يقول كيف كان تغييري بهم وعقوبتي ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿قل إنما أعظكم بواحدة
أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب
شديد﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك إنما أعظكم أيها القوم بواحدة
وهي طاعة الله كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحارث
قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله إنما أعظكم بواحدة
بطاعة الله وقوله أن تقوموا لله مثنى وفرادى يقول وتلك الواحدة التي أعظكم بها هي أن تقوموا
قائمين اثنين (١) وفرادى فرادى فإن في موضع خفض ترجمة عن الواحدة * وبنحو

(١) لعله وفردا فردا أي أن تقوموا اثنين اثنين و واحدا واحدا فتنبه كتبه مصححه

فنا
مؤمنون أي أكثر مدعي الاسلام بأهل الاهواء مؤمنون و يقذفون بالغيب فيه أن معارف الأسرار ومراتب الأحرار لا تصلح إلى
ثم بين أن ثمرة كل شجرة وقتا معلوما لا تجاوزه أكثرهم بهم
متى نصل الى الكمال الذي بشر تمونا به

في أيدى صفات النفس وحيل بينهم لأن الدين ليس بالتمنى والله أعلم بحقائق الأشياء والله الموفق

سورة فاطر مكية حروفها ثلاثة آلاف ومائة وثلاثون كلمها سبعمائة وسبع وسبعون آياتها خمس وأربعون

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شئ قدير ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا اله الا هو فأنى تؤفكون وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع الأمور يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه

في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنى أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أن تقوموا لله مثنى وفرادى قال واحدا واثنين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى رجلا ورجلين وقيل وقبل انما أعظكم بواحدة وتلك الواحدة أن تقوموا لله بالنصيحة وترك الهوى مثنى يقول يوم الرجل منكم مع آخر فينصادقان على المناظرة هل علمتم بمحمد صلى الله عليه وسلم جنونا قط فيفرد كل واحد منكم فيتفكر ويعتبر فرادى هل كان ذلك به فتعلموا حينئذ أنه نذير لكم وقوله ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة يقول لأنه ليس بمجنون وقوله ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد يقول ما محمد الا نذير لكم ينذركم على كفركم بالله عقابه أمام عذاب جهنم قبل أن تصلوها وقوله هو كناية اسم محمد صلى الله عليه وسلم ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴿قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله وهو على كل شئ شهيد﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لقومك المكذبيك الراديين عليك ما أتيتهم به من عند ربك ما أسألكم من جعل على انذاريكم عذاب الله تعويضكم به بأسه ونصيحتي لكم في أمري اياكم بالايمان بالله والعمل بطاعته فهو لكم لا حاجة لي به وانما معنى الكلام قل لهم اني لم أسألكم على ذلك جعلا فتتهموني وتظنوا أني انما أدعوكم اتباعي لمال آخذه منكم ﴿ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل ما سألتكم من أجر أي جعل فهو لكم يقول لم أسألكم على الاسلام جعلا وقوله ان أجري الا على الله يقول ما ثوابي على دعائكم الى الايمان بالله والعمل بطاعته وتبليغكم رسالته الا على الله وهو على كل شئ شهيد يقول والله على حقيقة ما أقول لكم شهيد يشهد لي به وعلى غير ذلك من الأشياء كلها ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴿قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركي قومك إن ربي يقذف بالحق وهو الوحي يقوله من السماء فيقذفه الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم علام الغيوب يقول علام ما يغيب عن الأبصار ولا مظهرها وما لم يكن مما هو كائن وذلك من صفة الرب غير أنه رفع لجيئه بعد الخبر كذلك تفعل العرب اذا وقع النعت بعد الخبر في أن أتبعوا النعت اعراب ما في الخبر فقالوا ان الله يقوم الكريم فرفع الكريم على ما وصفت والنصب فيه جائز لانه نعت للاسم فيتبع اعرابه اعرابه وجاء الحق يقول قل لهم يا محمد جاء القرآن ووحي الله وما يبدئ الباطل يقول وما ينشئ الباطل والباطل هو فيما فسره أهل التأويل ابليس وما يعيد يقول ولا يعيده حيا بعد فنائه ﴿ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل ان ربي يقذف بالحق أي بالوحي علام الغيوب قل جاء الحق أي القرآن وما يبدئ الباطل وما يعيد والباطل ابليس أي ما يخلق ابليس أحدا ولا يعيده حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب قال يقذف بالحق على الباطل الى قوله ولكم الويل مما تصفون قال يزهق الله الباطل ويثبت الله

معمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون يولج الليل

في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل

يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز ولا تزر وازرة وزر أخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه والى المصير وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور ان أنت إلا نذير انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من أمة إلا خلا فيها نذير وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير ﴿ القراآت غير الله بالجر يزيد وحمزة وعلي الآخرون بالرفع حملا على المحل فلا تذهب من الاذهاب نفسك منصوبا يزيد الآخرون بفتح التاء والهاء من الذهاب نفسك مرفوعا الرفع على التوحيد ابن كثير وحمزة وعلي وخلف ولا ينقص بفتح الياء وضم القاف روح وزيد الباقون بالعكس من عمره باختلاس الضمة عباس والذين يدعون على الغيبة قنبل ﴿ الوقوف ورباع ط يشاء ط قدير ٥ لما ج بعده ط الحكيم ٥ عليكم ط والأرض ط الاهوز للاستفهام ولفاء التعقيب واتحاد المعنى تؤفكون ٥ قبلك ط الامور ٥ الغرور ٥ عدوا ط السعير ٥ ط لان الذين مبتدأ ضربة شديد ٥ كبير ٥ حسنا ط لحذف الجواب حسرات ط يصنعون ٥ موتها ط النشور ٥ جميعا ط يرفعه ط شديد

الحق الذي دمغ به الباطل يدمغ بالحق على الباطل فيهلك الباطل ويثبت الحق فذلك قوله قل ربي يقذف بالحق علام الغيوب ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل ان ضللت فانما أضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي إنه سميع قريب﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لقومك ان ضللت عن الهدى فسلكت غير طريق الحق فانما ضلالي عن الصواب على نفسي وان ضلالي عن الهدى على نفسي ضره وان اهتديت يقول وان استقمت على الحق فبما يوحي ربي يقول فبوحي الله الذي يوحي الي وتوفيقه للاستقامة على محجة الحق وطريق الهدى وانه سميع قريب يقول ان ربي سميع لما أقول لكم حافظ له وهو المجازي لي على صدقي في ذلك مني غير بعيد فيتعذر عليه سماع ما أقول لكم وما تقولون وما يقوله غيرنا ولكنه قريب من متكلم يسمع كل ما ينطق به أقرب اليه من حبل الوريد ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولو ترى يا محمد اذ فزعوا واختلف أهل التأويل في المعنيين بهذه الآية فقال بعضهم عنى بها المشركون الذين وصفهم تعالى ذكره بقوله واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم قال وعنى بقوله اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب نزول نقمة الله بهم في الدنيا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت الى آخر الآية هذا من عذاب الدنيا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وأخذوا من مكان قريب قال هذا عذاب الدنيا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت الى آخر السورة قال هذا قتلى المشركين من أهل بدر نزلت فيهم هذه الآية قال وهم الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم أهل بدر من المشركين ، وقال آخرون عنى بذلك جيش يخسف بهم بيداء الارض ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد في قوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت قال هم الجيش الذي يخسف بهم بالبيداء يبقى منهم رجل يخبر بما لقي أصحابه حدثنا عصام بن رواد بن الجراح قال ثنا أبي قال ثنا سفيان بن سعيد قال ثني منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش قال سمعت حذيفة بن اليمان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب قال فبينما هم كذلك اذ خرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فوره ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين جيشا الى المشرق وجيشا الى المدينة حتى ينزلوا بأرض بابل في المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة فيقتلون بها من ثلاثة آلاف ويبقرون بها أكثر من مائة امرأة ويقتلون بها ثلاثمائة كبش من بني العباس ثم يحدرون الى الكوفة فيخربون ما حولها ثم يخرجون متوجهين الى الشام فتخرج راية هدى من الكوفة فتلحق ذلك الجيش منها على الثنتين فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم ويخلي جيشه التالي بالمدينة فيقتلونها ثلاثة أيام ولياليها ثم يخرجون متوجهين الى مكة حتى اذا كانوا بالبيداء بعث الله جبريل فيقول يا جبرائيل اذهب فأبدهم فيضربها برجله

ة يخسف الله بهم فذلك قوله فى سورة سبأ ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت الآية ولا ينفلت منهم
جلان أحدهما بشير والآخر نذير وهما من جهينة فلذلك جاء القول
وعند جهينة الخبر اليقين * حدثنا محمد بن خلف العسقلانى قال سألت رواد بن
ح عن الحديث الذى حدث به عنه عن سفيان الثورى عن منصور عن ربعى عن حذيفة عن
صلى الله عليه وسلم عن قصة ذكرها فى الفتن قال فقلت له أخبرنى عن هذا الحديث سمعته من
ن الثورى قال لا قلت فقرأته عليه قال لا قلت فقرئ عليه وأنت حاضر قال لا قلت فما
ه فاخبره قال جاءنى قوم فقالوا معنا حديث عجيب أو كلام هذا معناه نقرؤه وتسمعه قلت لهم
وقرؤه على ثم ذهبوا فخذوا به عنى أو كلام هذا معناه «قال أبو جعفر» وقد حدثنى ببعض
لحديث محمد بن خلف قال ثنا عبد العزيز بن أبان عن سفيان الثورى عن منصور عن
ى عن حذيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم حديث طويل قال رأيته فى كتاب الحسين بن على
انى عن شيخ عن رواد عن سفيان بطوله * وقال آخرون بل عنى بذلك المشركون اذ فزعوا
خروجهم من قبورهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
ى قتادة عن الحسن قوله ولو ترى اذ فزعوا قال فزعوا يوم القيامة حين خرجوا من قبورهم
وقال قتادة ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب حين عاينوا عذاب الله حدثنا
عبد قال ثنا جرير عن عطاء عن ابن معقل ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت قال أفزعهم يوم القيامة
وتوا * والذى هو أولى بالصواب فى تأويل ذلك وأشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل قول
ال وعيد الله المشركين الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه لأن الآيات قبل
لآية بالاخبار عنهم وعن أسبابهم وبوعيد الله اياهم مغبته وهذه الآية فى سياق تلك الآيات
ن يكون ذلك خبرا عن حالهم أشبه منه بأن يكون خبرا لما لم يجر له ذكر واذ كان ذلك كذلك
يل الكلام ولو ترى يا محمد هؤلاء المشركين من قومك فتعاينهم حين فزعوا من معاينتهم عذاب الله
فوت يقول فلا سبيل حينئذ أن يفوتوا بأنفسهم أو يعجزونا هربا ونجوا من عذابنا كما حدثنا
ال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت
ى فلا نجاة حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان عن جويبر عن الضحاك فى قوله
ى اذ فزعوا فلا فوت قال لا هرب وقوله وأخذوا من مكان قريب يقول وأخذهم الله بعذابه
وضع قريب لأنهم حيث كانوا فهم من الله قريب لا يبعدون عنه * القول فى تأويل قوله
ل ﴿وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء المشركون
عاينوا عذاب الله آمنا به يعنى آمنا بالله وبكتابه ورسوله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل
ويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى
ث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وقالوا آمنا به
آمنا بالله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقالوا آمنا به عند ذلك يعنى
عاينوا عذاب الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وقالوا آمنا به
قتل وقوله وأنى لهم التناوش يقول ومن أى وجه لهم التناوش * واختلفت قراء الامصار
ك فقرأته عامة قراء المدينة التناوش بغير همز بمعنى التناول وقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة
وش بالهمز بمعنى التنوش وهو الابطاء يقال منه ناءت الشئ أخذته من بعيد ونشته أخذته
ريب ومن التنوش قول الشاعر

يبور ٥ أزواجا ط يعلمه ط
فى كتاب ط يسير ٥ أجاج ط
تلبسونها ج لانقطاع النظم مع
اتفاق المعنى تشكرون ٥ مسمى
ط الملك ط قطمير ٥ دعائكم
ج للشرط مع العطف لكم ط
بشركم ط خبير ٥ الى الله ط
لاتفاق الجملتين مع حسن الفصل
بين وصفى الخالق والمخلوق الحميد
٥ جديد ٥ ج لاحتمال ما بعده
الاستئناف والحال بعزيز ٥
أخرى ط لاستئناف الشرط
قربى ط الصلاة ط لنفسه ط
المصير ٥ والبصير ٥ لا ولا النور
٥ لا ولا الحرور ٥ ج للطول
والتكرار الاموات ط يشاء ج
للعطف من الاثبات الى النفى مع
اتفاق الجملتين القبور ٥ الانذير
٥ ونذيرا ط نذير ٥ من قبلهم ج
لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف
المنير ٥ نكير ٥ ۞ التفسير لما بين
فى آخر السورة المتقدمة انقطاع
رجاء الشاك وعدم قبول توبته
فى الآخرة ذكر فى أول هذه السورة
حال الموفق المؤمن وبشر بارسال
الملائكة اليهم مبشرين وبين أنه
يفتح لهم أبواب الرحمة و (فاطر
السموات والارض) مبدعهما
وشاقهما لنزول الارواح من السماء
وخروج الاجساد من الارض يؤيد
التفسير الثانى قوله (جاعل الملائكة
رسلا) وقوله وتلقاهم الملائكة
هذا يومكم الذى كنتم توعدون
و (أولى أجنحة) أى أصحاب
أجنحة أراد أن طائفة منهم أجنحة
كل منهم اثنان اثنان وبعضهم
أجنحة كل ثلاثة ثلاثة وبعضهم
أجنحة كل أربعة أربعة قال جار
الله الذين أجنحتهم ثلاثة ثلاثة

لعل الثالث منها فى وسط الظهر
بين الجناحين يمدهما بقوة أو لعله
لغير الطيران فلقد رأيت فى بعض
الكتب أن صنفا من الملائكة لهم
ستة أجنحة فجناحان يلقون بهما
أجسادهم وجناحان يطيرون بهما
فى الامر من أمور الله عز وجل
وجناحان مرخيان على وجوههم
حياء من الله عز وجل وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى
جبرائيل عليه السلام ليلة المعراج
وله ستمائة جناح وروى أن
اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح
منها بالمشرق وجناح بالمغرب وان
العرش على كاهله وانه ليتضاءل
لعظمة الله سبحانه وتعالى حتى
يعود مثل الوصع وهو العصفور
الصغير ويجوز أن يخالف حال
الملائكة حال الطيور فى الطيران
كالحيوان الذى يدب بأرجل كثيرة
ويجوز أن يكون البعض للزينة
ويجوز أن يكون كل جناح ذا
شعب وقال الحكيم الجناحان
اشارة الى جهتين جهة الأخذ من
الله وجهة الاعطاء لمن دونهم باذن
الله كقوله نزل به الروح الأمين
على قلبك علمه شديد القوى
فالمدبرات أمرا ومنهم من يفعل
بواسطة فلهم ثلاث جهات
أو أكثر على حسب الوسائط ثم
بين كمال قدرته بقوله (يزيد فى
الخلق ما يشاء) والظاهر أنه عام
يتناول كل زيادة فى كل أمر
يعتبر فى الصورة كحسن الوجه
والخط والصوت ونحوها أو فى
المعنى كصفاقة العقل وجزالة الرأى
وسماحة النفس وذلاقة اللسان وغير
ذلك من الاخلاق الفاضلة ثم أكد
نفاذ امره وجريان الامور على وفق

تمنى نئيشا أن يكون أطاعنى * وقد حدثت بعد الأمور أمور

ومن النوش قول الراجز

فهى تنوش الحوض نوشا من علا * نوشا به تقطع أجواز الفلا

ويقال للقوم فى الحرب اذا دنا بعضهم الى بعض بالرماح ولم يتلاقوا قد تناوش القوم * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال انهما قراءتان معروفتان فى قراء الامصار متقاربتا المعنى وذلك أن معنى ذلك وقالوا آمنا بالله فى حين لا ينفعهم قيل ذلك فقال الله وأنى لهم التناوش أى وأين لهم التوبة والرجعة أى قد بعدت عنهم فصاروا منها كموضع بعيد أن يتناولوها وانما وصف ذلك الموضع بالبعد لأنهم قالوا ذلك فى القيامة فقال الله أنى لهم بالتوبة المقبولة والتوبة المقبولة انما كانت فى الدنيا وقد ذهبت الدنيا فصارت بعيدا من الآخرة فبأية القراءتين اللتين ذكرت قرأ القارئ فمصيب الصواب فى ذلك وقد يجوز أن يكون الذين قرؤا ذلك بالهمز همزوا وهم يريدون معنى من لم يهمز ولكنهم همزوه لانضمام الواو قلبوها كما قيل واذا الرسل أقتت فجعلت الواو من وقتت اذ كانت مضمومة همزة ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن التيمى قال قلت لابن عباس أرأيت قول الله وأنى لهم التناوش قال يسألون الرد وليس بحين رد حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن أبى اسحق عن التيمى عن ابن عباس نحوه حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وأنى لهم التناوش يقول فكيف لهم بالرد حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وأنى لهم التناوش قال الرد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد وأنى لهم التناوش قال التناول من مكان بعيد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد قال هؤلاء قتلى أهل بدر من قتل منهم وقرأ ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب وقالوا آمنا به الآية قال التناوش التناول أنى لهم تناول التوبة من مكان بعيد وقد تركوها فى الدنيا قال وهذا بعد الموت فى الآخرة * قال وقال ابن زيد فى قوله وقالوا آمنا به بعد القتل وأنى لهم التناوش من مكان بعيد وقرأ ولا الذين يموتون وهم كفار قال ليس لهم توبة وقال عرض الله عليهم أن يتوبوا مرة واحدة فيقبلها الله منهم فأبوا ويعرضون التوبة بعد الموت قال فهم يعرضونها فى الآخرة خمس عرضات فيأبى الله أن يقبلها منهم قال والتائب عند الموت ليست له توبة ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا الآية وقرأ ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان عن جويبر عن الضحاك فى قوله وأنى لهم التناوش قال وأنى لهم الرجعة وقوله من مكان بعيد يقول من آخرتهم الى الدنيا كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله من مكان بعيد من الآخرة الى الدنيا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد ﴾ يقول تعالى ذكره وقد كفروا به يعنى وقد كفروا بما يسألونه ربهم عند نزول العذاب بهم ومعاينتهم اياه من الاقالة له وذلك الايمان بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاءهم به من عند الله ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقد كفروا به من قبل أى

لايمان فى الدنيا وقوله ويقذفون بالغيب من مكان بعيد يقول وهم اليوم يقذفون بالغيب محمدا
من مكان بعيد يعنى أنهم يرجمونه وما أتاهم من كتاب الله بالظنون والاوهام فيقول بعضهم هو ساحر
وبعضهم شاعر وغيرذلك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثنى محمد عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن
قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ويقذفون بالغيب من مكان بعيد قال
يقولهم ساحر بل هو كاهن بل هو شاعر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة
ويقذفون بالغيب من مكان بعيد أى يرجمون بالظن يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار حدثنى
يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ويقذفون بالغيب من مكان بعيد قال بالقرآن
وأما القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل انهم كانوا
فى شك مريب﴾ يقول تعالى ذكره وحيل بين هؤلاء المشركين حين فزعوا فلا فوت وأخذوا من
مكان قريب فقالوا آمنا به وبين ما يشتهون حينئذ من الايمان بما كانوا به فى الدنيا قبل ذلك
ولا يكفرون ولا سبيل لهم اليه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثنى اسمعيل بن حفص الأيلى قال ثنا المعتمر عن أبى الأشهب عن الحسن فى قوله
وحيل بينهم وبين ما يشتهون قال حيل بينهم وبين الايمان بالله حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل
قال ثنا سفيان عن عبد الصمد قال سمعت الحسن وسئل عن هذه الآية وحيل بينهم وبين
ما يشتهون قال حيل بينهم وبين الايمان حدثنى ابن أبى زياد قال ثنا يزيد قال ثنا أبو الأشهب
عن الحسن وحيل بينهم وبين ما يشتهون قال حيل بينهم وبين الايمان حدثنا أحمد بن
عبد الصمد الانصارى قال ثنا أبو أسامة عن شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وحيل بينهم
وبين ما يشتهون قال من الرجوع الى الدنيا ليتوبوا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة وحيل بينهم وبين ما يشتهون كان القوم يشتهون طاعة الله أن يكونوا عملوا بها فى الدنيا
حين عاينوا ما عاينوا حدثنا الحسن بن واصح قال ثنا الحسن بن حبيب قال ثنا أبو الأشهب
عن الحسن فى قوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون قال حيل بينهم وبين الايمان * وقال آخرون
معنى ذلك وحيل بينهم وبين ما يشتهون من مال وولد وزهرة الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنى
محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى * قال ثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا
ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وحيل بينهم وبين ما يشتهون قال من مال أو ولد
وزهرة حدثنى يونس قال قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وحيل بينهم وبين
ما يشتهون قال فى الدنيا التى كانوا فيها والحياة وانما اخترنا القول الذى اخترناه فى ذلك لأن القوم
انما تمنوا حين عاينوا من عذاب الله ما عاينوا اما أخبر الله عنهم أنهم تمنوه وقالوا آمنا به فقال الله وأنى لهم
تناوش ذلك من مكان بعيد وقد كفروا من قبل ذلك فى الدنيا فاذا كان ذلك كذلك فلا بد أن يكون
قوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون خبرا عن أنه لا سبيل لهم الى ما تمنوه أولى من أن يكون خبرا عن
غيره وقوله كما فعل بأشياعهم من قبل يقول فعلنا بهؤلاء المشركين فعلنا بينهم وبين ما يشتهون من
الايمان بالله عند نزول سخط الله بهم ومعاينتهم بأسه كما فعلنا بأشياعهم على كفرهم بالله من قبلهم
من كفار الأمم فلم نقبل منهم ايمانهم فى ذلك الوقت كما لم نقبل فى مثل ذلك الوقت من ضربائهم
والأشياع جمع شيع وشيع جمع شيعة فأشياع جمع الجمع وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

مشيئته بقوله (ما يفتح الله للناس)
الآية وفيها دلالة على أن رحمته
سبقت غضبه من جهة تقديم
الرحمة ومن جهة بيان الضمير فى
القرينة الأولى بقوله (من رحمة)
والاطلاق فى قوله (وما يمسك)
فيشمل امساك الغضب وامساك
الرحمة ومن جهة قوله (من بعده)
أى من بعد امساكه فيفيد أن
الرحمة اذا جاءته لم يكن لها انقطاع
وان ضنت فقد ينقطع وان كان
لا يقطعه الا الله ولهذا لا يخرج أهل
الجنة من الجنة وقد يخرج أهل
النار من النار (وهو العزيز) الغالب
على ارسال الرحمة وامساكها
(الحكيم) الذى لا يمسك ولا يرسل
الا عن علم كامل وصلاح شامل
وحيث بين أن الحمد لله وبين بعض
وجوه النعمة المستدعية للحمد
على التفصيل أمر المكلفين بتذكر
النعمة على الاجمال لسانا وقلبا وعملا
ومنه قول الرجل لمن أنعم عليه اذكر
أيادى عندك يريد حفظها وشكرها
والعمل بموجبها وعن ابن عباس
أن الناس أهل مكة أسكنهم
حرمه ويخطف الناس من حولهم
وعنه أيضا أنه أراد بالنعمة العافية
والظاهر تعميم النعمة والمنعم عليهم
ثم أشار الى نعمة الايجاد بقوله (هل
من خالق غير الله) والى نعمة الابقاء
بقوله (يرزقكم) وهو نعت خالق
أو مستأنف أو تفسير لمضمر
والتقدير هل يرزقكم خالق يرزقكم
قال جار الله ان جعلت يرزقكم
كلاما مستأنفا ففيه دليل على أن
الخالق لا يطلق الا على الله عز وجل
وأما على الوجهين الآخرين فلا اذ
لا يلزم من نفى خالق رازق غيره نفى
خالق غيره مطلقا وقوله (لا اله

الاهو) جملة مفصولة لا محل لها
مثل يرزقكم فى غير وجه الوصف اذ
لو جعلت وصفا لزم التناقض لان
قولك هل من خالق آخر سوى الله
اثبات لله ولو جعلت المنفية وصفا
صار تقدير الكلام هل من خالق آخر
سوى الله لا إله الا ذلك الخالق فلزم
نقض الاثبات المذكور مع أن
الكلام فى نفسه يكون غير مستقيم
(فأنى تؤفكون) أى كيف تصرفون
عن هذا الظاهر فتشركون المنعوت
بمالك الملك والملكوت وحين بين
الأصل الاول وهو التوحيد ذكر
الأصل الثانى وهو الرسالة بقوله
(وان يكذبوك) الآية والمراد إن
يكذبوك فتسل بهذا المعنى ثم بين
الأصل الثالث وهو الحشر بقوله
(يا أيها الناس) وقدمر مثل الآية
فى آخر سورة لقمان وقد يسبق الى
الظن ههنا أن الغرور هو الشيطان
لانه عقبه بقوله (ان الشيطان لكم
عدو فاتخذوه عدوا) لان الحازم
لا يقبل قول العدو ولا يعتمد عليه
ثم صرح بوجه اتخاذه وبعاقبة
دعوته فقال (انما يدعو حزبه ليكونوا
من أصحاب السعير) ثم فصل مآل
حال حزبه وحزب الله بقوله (الذين
كفروا) الى قوله (وأجر كبير)
عرض على العقول انه لا سواء بين
الحزبين والمعنى (أفمن زين له سوء
عمله) من الفريقين كمن لم يزين له
ولا ريب أن المزين لهم عملهم هم
أهل الاهواء والبدع الذين لا مستند
لهم فى مأخذهم سوى التقليد
واتباع الهوى ثم أنتج من ذلك قوله
(فان الله يضل من يشاء ويهدى
من يشاء) وذلك أن الناس متساوية
الاقدام فى الانسانية ومتفاوتة
الأحوال فى الأعمال فتبين أنه

ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحر
قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح كما فعل باشياعهم من قبل قال ك
من قبلهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة كما فعل باشياعهم من
أى فى الدنيا كانوا اذا عاينوا العذاب لم يقبل منهم ايمان وقوله انهم كانوا فى شك مريب
تعالى ذكره وحيل بين هؤلاء المشركين حين عاينوا بأس الله وبين الايمان انهم كانوا قبل فى
فى شك من نزول العذاب الذى نزل بهم وعاينوه وقد أخبرهم نبيهم أنهم ان لم يثيبوا
مقيمون من الكفر بالله وعبادة الاوثان أن الله مهلكهم ومحل بهم عقوبته فى عاجل الدنيا وآ
الآخرة قبل نزوله بهم مريب يقول موجب لصاحبه الذى هو به مما يريبه من مكروه من
قد أراب الرجل اذا أتى ريبة وركب فاحشة كما قال الراجز

يا قوم مالى وأبا ذؤيب * كنت اذا أتوته من غيب
يشم عطفى ويبز ثوبى * كأنما أربته بريب

يقول كأنما أتيت اليه ريبة

آخر تفسير سورة سبأ

﴿ تفسير سورة فاطر ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا أو
أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء ان الله على كل شئ قدير ﴾ يقول تعالى ذ
الشكر الكامل للمعبود الذى لا تصلح العبادة الا له ولا ينبغى أن تكون لغيره خالق السموات
والارض جاعل الملائكة رسلا الى من يشاء من عباده وفيما شاء من أمره ونهيه أولى أجنحة مث
وثلاث ورباع يقول أصحاب أجنحة يعنى ملائكة فمنهم من له اثنان من الأجنحة ومنهم من
ثلاثة أجنحة ومنهم من له أربعة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتا
أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع قال بعضهم له جناحان وبعضهم ثلاثة وبعضهم أربع
واختلف أهل العربية فى علة ترك اجراء مثنى وثلاث ورباع وهى ترجمة عن أجنحة وأجنحة
نكرة فقال بعض نحويى البصرة ترك اجراؤهن لأنهن مصروفات عن وجوههن وذلك أن مثنى
مصروف عن اثنين وثلاث عن ثلاثة ورباع عن أربعة فصرف نظير عمر وزفر اذ صرف ه
عن عامر الى عمر وهذا عن زافر الى زفر وأنشد بعضهم فى ذلك

ولقد قتلتكم ثناء وموحدا * وتركت مرة مثل أمس المدبر

وقال آخرهم لم يصرف ذلك لانه يوهم به الثلاثة والاربعة قال وهذا لا يستعمل الا فى ح
العدد وقال بعض نحويى الكوفة هن مصروفات عن المعارف لان الالف واللام لا تدخل
والاضافة لا تدخلها قال ولو دخلتها الاضافة والالف واللام لكانت نكرة وهى ترجمة عن النك
قال وكذلك ما كان فى القرآن مثل أن تقوموا لله مثنى وفرادى وكذلك وحاد وأحاد وما أشبه
من مصروف العدد وقوله يزيد فى الخلق ما يشاء وذلك زيادته تبارك وتعالى فى خلق هذا الملك

من

لأجنحة على الآخر ما يشاء وتقصانه عن الآخر ما أحب وكذلك ذلك في جميع خلقه يزيد
في خلق خلق ما شاء منه وينقص ما شاء من خلق ما شاء له الخلق والأمر وله القدرة والسلطان
على كل شيء قدير يقول ان الله تعالى ذكره قدير على زيادة ما شاء من ذلك فيما شاء وتقصان
ما شاء منه ممن شاء وغير ذلك من الاشياء كلها لا يمتنع عليه فعل شيء أراده سبحانه وتعالى ﴿ القول
في تأويل قوله تعالى ﴿ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده
وهو العزيز الحكيم ﴾ يقول تعالى ذكره مفاتيح الخير ومغالقه كلها بيده فما يفتح الله للناس من
خير فلا مغلق له ولا ممسك عنهم لان ذلك أمره لا يستطيع أمره أحد وكذلك ما يغلق من خير
عنهم فلا يبسطه عليهم ولا يفتحه لهم فلا فاتح له سواه لأن الامور كلها اليه وله وبنحو الذي قلنا
في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة ما يفتح الله للناس من رحمة أي من خير فلا ممسك لها فلا يستطيع أحد حبسها وما
يمسك فلا مرسل له من بعده وقال تعالى ذكره فلا ممسك لها فأنث ما لم يذكر الرحمة من بعده وقال
فلا ممسك فلا مرسل له من بعده فذكر للفظ ما لأن لفظه لفظ مذكر ولو أنث في موضع التذكير
وذكر في موضع التأنيث للفظ جاز ولكن الأفصح من الكلام التأنيث اذا ظهر بعد ما يدل
على تأنيثها والتذكير اذا لم يظهر ذلك وقوله وهو العزيز الحكيم يقول وهو العزيز في نقمته ممن انتقم
من خلقه بحبس رحمته عنه وخيراته الحكيم في تدبير خلقه وفتحه لهم الرحمة اذا كان فتح ذلك
لها وامساكه اياه عنهم اذا كان امساكه حكمة ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يا أيها الناس
اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فأنى تؤفكون ﴾
يقول تعالى ذكره للمشركين به من قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش يا أيها الناس
اذكروا نعمة الله التي أنعمها عليكم بفتحه لكم من خيراته ما فتح وبسطه لكم من العيش ما بسط
وانظروا هل من خالق سوى فاطر السموات والارض الذي بيده مفاتيح أرزاقكم
فيرزقكم من السماء والارض فتعبدوه دونه لا اله الا هو يقول لا معبود تنبغي له العبادة
الا الذي فطر السموات والارض القادر على كل شيء الذي بيده مفاتيح الاشياء وخزائنها ومغالق
أبوابه فلا تعبدوا أيها الناس شيأ سواه فانه لا يقدر على نفعكم وضركم سواه فله فأخلصوا العبادة
وأفردوا بالألوهة فأنى تؤفكون يقول فأنى توجه عن خالقكم ورازقكم الذي بيده نفعكم
وضركم تصرفون كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأنى تؤفكون
يقول أنه ليؤفك عني كذا وكذا وقد بينت معنى الأفك وتأويل قوله تؤفكون فيما مضى
قبل هذا بما أغنى عن تكريره ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وان يكذبوك فقد كذبت رسل
من قبلك والى الله ترجع الأمور يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم
بالله الغرور ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان يكذبك يا محمد هؤلاء المشركون
من قومك فلا يحزنك ذلك ولا يعظم عليك فان ذلك سنة أمثالهم من كفرة الأمم بالله من قبلهم
مع رسل الله التي أرسلها اليهم من قبلك ولن يعدو مشركو قومك أن يكونوا مثلهم فيتبعوا
سبيلهم منهاجهم ويسلكوا سبيلهم والى الله ترجع الامور يقول تعالى ذكره والى الله مرجع
جميع أمرهم فمحل بهم العقوبة ان هم لم ينيبوا الى طاعتك في اتباعك والاقرار بنبوتك وقبول
ما جئتهم به من النصيحة نظير ما أحللنا بنظرائهم من الأمم المكذبة رسلها قبلك ومنجيك
ومن اتبعك من ذلك سنتنا بمن قبلك في رسلنا وأوليائنا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل

لا استقلال وأن أفعال العباد
مستندة الى إرادة مصرف القلوب
والأحوال ثم رتب على عدم
الاستقلال قوله (فلا تذهب) أي
فلا تهلك (نفسك) و(عليهم) صلة
تذهب كما تقول هلك عليه حبا أو
هو بيان للتحسر عليه ولا يتعلق
بحسرات المفعول لأجله لأن
المصدر لا يتقدم عليه صلته وجوز
جار الله أن يكون حالا كأن كل
نفسه صارت حسرات لفرط
التحسر وعن الزجاج أن تقدير
الآية أفمن زين له سوء عمله ذهبت
نفسك عليهم فحذف لدلالة المذكور
وهو فلا تذهب عليه أو أفمن زين له
سوء عمله كمن هداه الله فحذف لأن
قوله فان الله يضل من يشاء ويهدي
من يشاء يدل عليه ثم بين أن حزنه
ان كان لما بهم من الضلال فالله
عالم بهم وبما يصنعون لو أراد منهم
الايمان لآمنوا وان كان لما بهم
من الايذاء فالله عليم بفعلهم فيجازيهم
ذلك ثم أكد كونه فاعلا مختارا
قادرا قهارا مبدئا معيدا بقوله (والله
الذي أرسل) وهو من الالتفات
الموجب للتهويل والتعظيم وقوله
(فتثير) بلفظ المستقبل تصوير لتلك
الحالة العجيبة الشأن عرف نفسه
بفعل الارسال ثم قال فسقناه كأنه
قال أنا الذي عرفتني بمثل هذه
السياقة والصناعة وأنعمت عليك
بهذه النعمة الشاملة ثم شبه
البعث والنشور بالصنع المذكور
ووجهه ظاهر وحين بين برهان
الايمان أشار الى ما كان يمنع
الكفار منه وهو العزة الظاهرة التي
كانوا يتوهمونها من حيث ان
معبوديهم كانت تحت تسخيرهم
والرسول كان يدعوهم الى الايمان

ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك يعزى نبيه كما تسمعون وقوله يا أيها الناس ان وعد الله حق يقول ذكره لمشركي قريش المكذبي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس ان وعد الله يا كم بأس على اصراركم على الكفر به وتكذيب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وتحذيركم نزول سطوته على ذلك حق فأيقنوا بذلك وبادروا حلول عقوبته بكم بالتوبة والانابة الى طاعة الله والايمان به وبرسوله فلا تغرنكم الحياة الدنيا يقول فلا يغرنكم ما أنتم فيه من العيش في هذه الدنيا وزينتها التي تترأسون بها في ضعفائكم فيها عن اتباع محمد والايمان ولا يغرنكم بالله الغرور يقول ولا يخدعنكم بالله الشيطان فيمنيكم الأماني ويعدكم من الله العدات الكاذبة ويحملكم على الاصرار على كفركم بالله كما حدثني على قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله ولا يغرنكم بالله الغرور يقول الشيطان ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ يقول تعالى ذكره ان الشيطان الذي نهيتكم أيها الناس أن تغتروا بغروره اياكم بالله لكم عدو فاتخذوه عدوا يقول فأزيلوه عن أنفسكم منزل العدو منكم واحذروه بطاعة الله واستغشاشكم اياه حذركم من عدوكم الذي تحاذر غائلته على أنفسكم فلا تطيعوه ولا تتبعوا خطواته فانه انما يدعو حزبه يعني شيعته ومن أجاب الى طاعته والقبول منه والكفر بالله ليكونوا من أصحاب السعير يقول ليكونوا من الخالدين في جهنم التي تتوقد على أهلها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا يقول لحق على كل مسلم عدوانه وعداوته أن يعاديه بطاعة الله انما يدعو حزبه وحزبه أولياؤه ليكونوا من أصحاب السعير أي ليسوقهم الى النار فهذه عداوته حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير وقال هؤلاء حزبه من الناس يقول أولئك حزب الشيطان والحزب ولاته الذين يتولاهم ويتولونه وقرأ ان ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير﴾ يقول تعالى ذكره الذين كفروا بالله ورسوله لهم عذاب من الله شديد وذلك عذاب النار وقوله والذين آمنوا يقول والذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بما أمرهم الله وانتهوا عما نهاهم عنه لهم مغفرة من الله لذنوبهم وأجر كبير وهو الجنة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لهم مغفرة وأجر كبير الجنة ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون﴾ يقول تعالى ذكره أفمن حسن له الشيطان أعماله السيئة من معاصي الله والكفر به وعبادة ما دونه من الآلهة والأنداد فرآه حسنا فحسب سيئ ذلك حسنا وظن أن قبحه جميل لتزيين الشيطان ذلك له ذهبت نفسك عليهم حسرات وحذف من الكلام ذهبت نفسك عليهم حسرات اكتفاء بدلالة قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات منه وقوله فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء يقول فان الله يخذل من يشاء عن الايمان به واتباعك وتصديقك فيضله عن الرشاد الى الحق في ذلك ويهدي من يشاء يقول ويوفق من يشاء للايمان به واتباعك والقبول منك فتهديه الى سبيل الرشاد فلا تهلك نفسك عليهم حسرات يقول فلا تهلك نفسك حزنا على ضلالتهم وكفرهم بالله وتكذيبهم

اطاعة الله وطاعة أنبيائه فكأنه قال ان كنتم تطلبون حقيقة العزة (فلله العزة) خاصة كلها فلتطلبها من عنده ومن عند أوليائه نظيره قولك من أراد النصيحة فهي عند الأبرار يريد فليطلبها عندهم فاعتبر في هذه الآية حرف النهاية وأما في قوله فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين فاعتبر الوسائط فالعزة للمؤمنين بواسطة الرسول وله من رب العزة ثم ان الكفار كأنهم قالوا نحن لا نعبد من لا نراه ولا نحضر عنده فان البعد من الملك ذلة فقال (اليه يصعد) أي ان كنتم لا تصلون اليه فهو يسمع كلامكم ويقبل الطيب منها وذلك آية العزة وأما هذه الأصنام فلا يتبين عندها الذليل من العزيز اذ لا حياة بها ولا شعور وهكذا العمل الصالح لا تراه هذه الأصنام فلا يمكن لها مجازاة الأنام وفاعل قوله (يرفعه) ان كان هو الله فظاهر وان كان الكلم أعني قوله لا اله الا الله فمعناه أنه لا يقبل عمل الا من موحد وان كان هو العمل فالمعنى أن الكلم وهو كل كلام فيه ذكر الله أو رضاه يريد الصعود الى الله الا أنه لا يستطيع الصعود ولا يقع موقع القبول الا اذا كان مقرونا بالعمل الصالح عن النبي صلى الله عليه وسلم الكلم الطيب هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن له عمل صالح لم يقبل منه وعن ابن المقفع قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر ولا يخفى أن القول هو الاصل والعمل مؤكده فلهذا قدم القول وحين بين

ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء قال قتادة والحسن الشيطان زين لهم فلا تذهب نفسك عليهم حسرات أى لا يحزنك ذلك فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال زيد فى قول الله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات قال الحسرات الحزن وقرأ قول الله يا حسرتنا على ما فرطت فى جنب الله ووقع قوله فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء موضع الجواب فما هو منبع الجواب لأن الجواب هو المتروك الذى ذكرت فاكتفى به من الجواب لدلالته على الجواب ومعنى الكلام واختلفت القراء فى قراءة قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فقرأته قراء الأمصار سوى أبى جعفر المدنى فلا تذهب نفسك بفتح التاء من تذهب ونفسك نصبها وقرأ ذلك أبو جعفر فلا تذهب بضم التاء من تذهب ونفسك بنصبها بمعنى لا تذهب أنت يا محمد نفسك والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ما عليه قراء الامصار لاجماع الحجة من القراء عليه وقوله ان الله عليم بما يصنعون يقول تعالى ذكره ان الله يا محمد ذو علم بما يصنع هؤلاء الذين زين لهم الشيطان سوء أعمالهم وهو محصيه عليهم ومجازيهم به جزاءهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور ﴾ يقول تعالى ذكره والله الذى أرسل الرياح فتثير السحاب فتحيا والغيث فسقناه الى بلد لا نبت يقول فسقناه الى بلد مجدب الأهل محل الارض دائر لا نبت فيه ولا زرع فأحيينا به الارض بعد موتها يقول فأخصبنا بغيث ذلك السحاب الارض التى سقناه اليها بعد جدوبها فأنبتنا فيها الزرع بعد المحل كذلك النشور يقول تعالى ذكره هكذا ينشر الله الموتى بعد بلائهم فى قبورهم فيحييهم بعد فنائهم كما أحيينا هذه الارض بالغيث بعد مماتها ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل قال ثنا أبو الزعراء عن عبد الله قال يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون فليس من بنى آدم إلا وفى الارض منه شئ قال فيرسل الله ماء من تحت العرش منيا كمنى الرجل فتنبت أجسادهم ولحمانهم من ذلك كما تنبت الارض من الثرى ثم قرأ والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت الى قوله كذلك النشور قال ثم يقوم ملك بالصور بين السماء والارض فينفخ فيه فتنطلق كل نفس الى جسدها فتدخل فيه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا قال يرسل الرياح فتسوق السحاب فأحيا الله به هذه الارض الميتة بهذا الماء فكذلك يبعثه يوم القيامة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور ﴾ اختلف أهل التأويل فى معنى قوله من كان يريد العزة فلله العزة جميعا فقال بعضهم معنى ذلك من كان يريد العزة بعبادة الآلهة والاوثان فان العزة لله جميعا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله من كان يريد العزة يقول من كان يريد العزة بعبادته الآلهة فان العزة لله جميعا وقال آخرون معنى ذلك من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله من كان يريد العزة فلله العزة جميعا يقول فليتعزز

بحال العمل الصالح ذكر ان المكرات السيئات باثرة كاسدة لا حقيقة لها ولعله أشار بها الى مكرات قريش المذكورات فى قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك أو يخرجوك جمع الله مكراتهم فقلبها عليهم حين أوقعهم فى قليب بدر ولما ذكر دليل الآفاق أكده بدليل الأنفس قائلا (والله خلقكم من تراب) وفيه اشارة الى خلق آدم (ثم من نطفة) وفيه اشارة الى خلق أولاده ومعنى (أزواجا) أصنافا أو ذكرانا واناثا ثم أشار الى كمال علمه بقوله (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) ثم بين نفوذ ارادته بقوله (وما يعمر من معمر) قال جار الله معناه من أحد ولكنه سماه معمرا باعتبار ما يؤل اليه وليس المراد تعاقب التعمير وخلافه على شخص واحد وانما المراد تعاقبهما على شخصين فتسوح فى اللفظ تعويلا على فهم السامع كقول القائل ما تعمت بكذا ولا اجتويته إلا قل فيه ثوانى وتأويل آخر وهو أن يراد لا يطول عمر انسان ولا ينقص من عمر ذلك الانسان بعينه (الا فى كتاب) وصورته أن يكتب فى اللوح ان حج أو وصل الرحم فعمره أربعون سنة وان جمع بين الامرين فعمره ستون فاذا جمع بينهما فعمر ستين كان الغاية واذا أفرد فعمر أربعين فقد نقص من تلك الغاية وبهذا التأويل يستقيم معنى ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان فى الأعمار ويصح ما استفاض على الألسن أطال الله بقاءك وعن سعيد بن جبير

يكتب فى الصحيفة ان عمره كذا
سنة ثم يكتب بعد ذلك فى آخرها
ذهب يوم ذهب يومان حتى تنقضى
المدة وعن قتادة المعمر من بلغ
ستين والمنقوص من عمره من
يموت قبل الستين وذلك فى علم الله
(ان ذلك) الذى ذكر من خلق
الانسان من المادة المذكورة أو
الزيادة فى الأعمار أو النقصان
منها (على الله يسير) ثم ضرب مثلا
للؤمن والكافر وذكر دليلا آخر
على عظم قدرته فقال (وما يستوى
البحران) الآية على الأول يكون
قوله ومن كل تأكلون الى آخر
الآية تقريرا للنعمة على سبيل
الاستطراد أو هو من تمام التشبيه
كأنه شبه الجنسين بالبحرين ثم
فضل البحر الأجاج على الكافر
لانه شارك العذب فى استخراج
السمك واللؤلؤ وجرى الفلك فيه
وأما الكافر فلا نفع فيه البتة فيكون
كقوله فى البقرة ثم قست قلوبكم الى
آخر قوله وان منها لما يهبط من
خشية الله والأشبه أن الآية تقرير
دليل مستأنف كما مر فى أول
النحل يؤيده تعقيبه بدليل آخر
وهو قوله (يولج الليل) الى قوله
(أجل مسمى) قد مر فى آخر لقمان
مثله وفيه رد على عبدة الكواكب
الذين ينسبون حوادث هذا العالم
الى الكواكب بالذات لا الى تسخير
مبدعها قوله (ذلكم الله) أى الذى
فعل الأشياء المذكورة من فطر
السموات والأرض وارسال
الرياح وخلق الانسان من التراب
وغير ذلك هو المعبود الحق وقوله
(ربكم له الملك) خبران آخران
ويجوز أن يكون الله ربكم خبرين
وله الملك جملة مبتدأة واقعة

بطاعة الله * وقال آخرون بل معنى ذلك من كان يريد علم العزة لمن هى فانها لله جميعا كلها أى كل
وجه من العزة فلله * والذى هو أولى الأقوال بالصواب عندى قول من قال من كان يريد العلم
فبالله فليتعزز فلله العزة جميعا دون كل ما دونه من الآلهة والأوثان وانما قلت ذلك أولى بالصواب
لان الآيات التى قبل هذه الآية جرت بتقريع الله المشركين على عبادتهم الأوثان وتوبيخه اياهم
ووعيده لهم عليها فأولى بهذه أيضا أن تكون من جنس الحث على فراق ذلك فكانت قصتها شبيهة
بقصتها وكانت فى سياقها وقوله اليه يصعد الكلم الطيب يقول تعالى ذكره الى الله يصعد ذكر
العبد اياه وثناؤه عليه والعمل الصالح يرفعه يقول ويرفع ذكر العبد به اليه عمله الصالح وهو
العمل بطاعته وأداء فرائضه والانتهاء الى ما أمره به وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل
ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن اسمعيل الأحمسى قال أخبرنى جعفر بن عون عن عبد الرحمن
ابن عبد الله المسعودى عن عبد الله بن المخارق عن أبيه المخارق بن سليم قال قال لنا عبد الله
حدثنا كم بحديث أيبنا كم بتصديق ذلك من كتاب الله ان العبد المسلم اذا قال سبحان الله وبحمده
الحمد لله لا اله الا الله والله أكبر تبارك الله أخذهن ملك بفعلهن تحت جناحيه ثم صعد بهن الى
السماء فلا يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا لقائلهن حتى يجيء بهن وجه الرحمن ثم قال
عبد الله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا
ابن علية قال أخبرنا سعيد الجريرى عن عبد الله بن شقيق قال قال كعب ان لسبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله أكبر لدويا حول العرش كدوى النحل يذكرن بصاحبهن والعمل الصالح
فى الخزائن حدثنى يونس قال ثنا سفيان عن ليث بن أبى سليم عن شهر بن حوشب
الأشعرى قوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال العمل الصالح يرفع الكلم الطيب
حدثنى على ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله اليه يصعد الكلم
الطيب والعمل الصالح يرفعه قال الكلام الطيب ذكر الله والعمل الصالح أداء فرائضه فمن ذكر
الله سبحانه فى أداء فرائضه حمل عليه ذكر الله فصعد به الى الله ومن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد
كلامه على عمله فكان أولى به حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى
وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله اليه
يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال العمل الصالح يرفع الكلام الطيب حدثنا بشر قال
ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال قال
الحسن وقتادة لا يقبل الله قولا الا بعمل من قال وأحسن العمل قبل الله منه وقوله والذين يمكرون
السيئات يقول تعالى ذكره والذين يكسبون السيئات لهم عذاب جهنم وبنحو الذى قلنا فى ذلك
قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنى سعيد عن قتادة
قوله والذين يمكرون السيآت لهم عذاب شديد قال هؤلاء أهل الشرك وقوله ومكر أولئك هو يبور
يقول وعمل هؤلاء المشركين يبور فيبطل فيذهب لأنه لم يكن لله فلم ينفع عامله * وبنحو الذى قلنا
فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن
قتادة ومكر أولئك هو يبور أى يفسد حدثنى يونس قال أخبرنا سفيان عن ليث بن أبى سليم
عن شهر بن حوشب ومكر أولئك هو يبور قال هم أصحاب الرياء حدثنى محمد بن عمارة قال
سهل بن أبى عامر قال ثنا جعفر الاحمر عن شهر بن حوشب فى قوله ومكر أولئك هو يبور

ول هم أصحاب الرياء حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومكروا أولئك هو يبور قال بار فلم ينفعهم ولم ينتفعوا به وضرهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير﴾ يقول تعالى ذكره والله خلقكم أيها الناس من تراب يعني بذلك أنه خلق أباهم آدم من تراب فجعل خلق أبيهم منه لهم خلقا ثم من نطفة يقول خلقكم من نطفة الرجل والمرأة ثم جعلكم أزواجا يعني أنه زوج منهم الأنثى من الذكر وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والله خلقكم من تراب يعني آدم ثم من نطفة يعني ذريته ثم جعلكم أزواجا فزوج بعضكم بعضا وقوله وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه يقول تعالى ذكره وما تحمل من أنثى منكم أيها الناس من حمل ولا نطفة الا وهو عالم بحملها اياه ووضعها وما هو ذكرا أو أنثى لا يخفى عليه شيء من ذلك وقوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه وما يعمر من معمر فيطول عمره ولا ينقص من عمر آخر غيره عن عمر هذا الذي عمر عمرا طويلا الا في كتاب عنده مكتوب قبل أن تحمل به أمه وقبل أن تضعه قد أحصى ذلك كله وعلمه قبل أن يخلقه لا يزاد فيما كتب له ولا ينقص ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وما يعمر من معمر الى يسير يقول ليس أحد قضيت له طول العمر والحياة إلا وهو بالغ ما قدرت له من عمر وقد قضيت ذلك له وانما ينتهي الى الكتاب الذي قدرت له لا يزاد عليه وليس أحد قضيت له أنه قصير العمر والحياة ببالغ العمر ولكن ينتهي الى الكتاب الذي قدرت له لا يزاد عليه فذلك قوله ولا ينقص من عمره الا في كتاب يقول كل ذلك في كتاب عنده حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول من قضيت له أن يعمر حتى يدركه الكبر أو يعمر أنقص من ذلك فكل بالغ أجله الذي قد قضي له كل ذلك في كتاب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ابن زيد في قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب قال ألا ترى الناس الانسان يعيش مائة سنة وآخر يموت حين يولد فهذا هذا فالهاء التي في قوله ولا ينقص من عمره على هذا التأويل وان كانت في الظاهر أنها كناية عن اسم المعمر الأول فهي كناية اسم آخر غيره وانما حسن ذلك لأن صاحبها لو أظهر لظهر بلفظ الأول وذلك كقولهم عندي ثوب ونصفه والمعنى ونصف آخر ، وقال آخرون بل معنى ذلك وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره بفناء ما فني من أيام حياته فذلك هو نقصان عمره والهاء على هذا التأويل للمعمر الأول لأن معنى الكلام ما يطول عمر أحد ولا يذهب من عمره شيء فينقص إلا وهو في كتاب عند الله مكتوب قد أحصاه وعلمه ذكر من قال ذلك حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن أبي مالك في هذه الآية وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب قال ما يقضى من عمره التي عددت له الا في كتاب ، وأولى التأويلين في ذلك عندي بالصواب التأويل الأول وذلك أن ذلك هو أظهر معنييه وأشبههما بظاهر التنزيل وقوله إن ذلك على الله يسير يقول تعالى ذكره ان احصاء أعمار خلقه عليه يسير سهل طويل ذلك وقصيره لا يتعذر عليه شيء منه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا

في طبقات قوله (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) وذلك أن المشركين كانوا معترفين بأن الأصنام ليسوا خالقين وانما كانوا يقولون انه تعالى فوض أمور الأرضيات الى الكواكب التي هذه الاصنام صورها وطوالعها فأخبر الله تعالى أنهم لا يملكون قطميرا وهو القشرة الرقيقة للنواة فضلا عما فوقها قال جار الله يجوز في حكم الاعراب إيقاع اسم الله تعالى صفة لاسم الاشارة أو عطف بيان وربكم خبرا لولا أن المعنى يأباه فقيل لأن ذلك اشارة الى معلوم سبق ذكره وكونه صفة أو عطف بيان يقتضي أن يكون فيما سبق ضرب ابهام قلت وفيه نظر أما أولا فلأن اسم الله من قبيل الأعلام لا من قبيل أسماء الأجناس فكيف يجوز جعله صفة وأما ثانيا فلأنه على تقدير التجويز يكون صفة مدح فلا ينافي كون المشار اليه معلوما والوجه الصحيح في إباء المعنى هو أن الوصف اذا كان معرفة كان أمرا متحققا في الخارج مسلما عند السامع مثلا اذا قلت الرجل الكاتب جاءني تريد الرجل الذي تعرفه أيها السامع أنه كاتب جاءني لكن الخطاب ههنا مع الكفار وهم يجحدون المعبود الحق أو يجحدون أن العبادة لا تصلح الا له فلا يصح ايقاع اسم الله وصفا لذلكم والخطاب معهم ثم زاد في توبيخ الكفرة بقوله (ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم) لأنهم جماد

ولو فرض سماعهم (ما استجابوا لكم) لما مر من أنهم لا يملكون شيأ (ويوم القيامة) أيضا (يكفرون بشرككم) قائلين ما كنتم إيانا تعبدون (ولا ينبئك) أى لا يطلعك على حقيقة الحال أيها النبى أو أيها السامع (مثل خبير) بواطن الأمور والمعنى أن هذا الذى أخبرتكم به من حال الأوثان هو الحق لأنى خبير بما أخبرت به ولا يخبرك بالأمر مخبر هو مثل عالم به وفيه أنه الخبير بالأمر وحده وفيه أن هذا الخبر مما لا يعرف بمجرد المعقول لولا اخبار الله سبحانه ثم بين أن نفع العبادة انما يعود على المكلفين فقال (يأيها الناس أنتم الفقراء) ومعنى تعريف الخبر القصد الى أنهم جنس الفقراء مبالغة وذلك أن افتقار الانسان الى الله عاجلا لأمور المعاش وآجلا لنعيم الآخرة أبين من افتقار سائر المخلوقين اليه وقيل ان كون الناس فقراء أمر ظاهر لا يخفى على أحد فلهذا عرف كقول القائل الله ربنا ومحمد نبينا ثم بين أن فقرهم ليس الا الى الله فقابل الفقراء بقوله (والله هو الغنى) وقابل قوله الى الله بقوله (الحميد) لأنه اذا أنعم عليهم استحق الحمد منهم ثم ذكر أنه غنى عن وجودهم أيضا لا يفتقر فى ظهور أثر قدرته اليهم فقال (ان يشأ يذهبكم) وقد مر فى النساء وفى ابراهيم وحين بين الحق بالدلائل الباهرة أراد أن يذكر ما يدعوهم الى النظر فيه فقال (ولا تزر وازرة) يعنى أن النفوس الوازرات لا ترى واحدة

من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ يقول تعالى ذكره وما يعتدل البحران فيستويان أحدهما عذب فرات والفرات هو أعذب العذب وهذا ملح أجاج يقول والآخر منهما ملح أجاج وذلك هو ماء البحر الأخضر والأجاج المر وهو أشد المياه ملوحة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وهذا ملح أجاج والأجاج المر وقوله ومن كل تأكلون لحما طريا يقول ومن كل البحار تأكلون لحما طريا وذلك السمك من عذبهما الفرات وملحهما الأجاج وتستخرجون حلية تلبسونها يعنى الدر والمرجان تستخرجونها من الملح الأجاج وقد بينا فيما مضى بما أغنى عن اعادته وترى الفلك فيه مواخر يقول تعالى ذكره وترى السفن فى كل تلك البحار مواخر تمخر الماء بصدورها وذلك خرقها إياه اذا مرت واحدتها ماخرة يقال منه مخرت تمخر وتمخر مخرا وذلك اذا شقت الماء بصدورها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن كل تأكلون لحما طريا أى منهما جميعا وتستخرجون حلية تلبسونها هذا اللؤلؤ وترى الفلك فيه مواخر فيه السفن مقبلة ومدبرة بريح واحدة حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وترى الفلك فيه مواخر يقول جوارى وقوله لتبتغوا من فضله يقول لتطلبوا بركوبكم فى هذه البحار فى الفلك من معايشكم ولتتصرفوا فيها فى تجاراتكم وتشكروا الله على تسخيره ذلك لكم وما رزقكم منه من طيبات الرزق وفاخر الحلى ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير﴾ يقول تعالى ذكره يدخل الليل فى النهار وذلك ما نقص من الليل أدخله فى النهار فزاده فيه ويولج النهار فى الليل وذلك ما نقص من أجزاء النهار زاد فى أجزاء الليل فأدخله فيها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل زيادة هذا فى نقصان هذا ونقصان هذا فى زيادة هذا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل يقول هو انتقاص أحدهما من الآخر وقوله وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يقول وأجرى لكم الشمس والقمر نعمة منه عليكم ورحمة منه بكم لتعلموا عدد السنين والحساب وتعرفوا الليل من النهار وقوله كل يجرى لأجل مسمى يقول كل ذلك يجرى لوقت معلوم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى أجل معلوم وحد لا يقصر دونه ولا يتعداه وقوله ذلكم الله ربكم يقول الذى يفعل هذه الأفعال معبودكم أيها الناس الذى لا تصلح العبادة الا له وهو الله ربكم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ذلكم الله ربكم له الملك أى هو الذى يفعل هذا وقوله له الملك يقول تعالى ذكره له الملك التام الذى لا شئ الا وهو فى ملكه وسلطانه وقوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير يقول تعالى ذكره والذين تعبدون أيها الناس من دون ربكم الذى هذه الصفة التى ذكرها فى هذه الآيات الذى له الملك الكامل الذى لا يشبهه ملك صفته ما يملكون من قطمير يقول ما يملكون قشر نواة فما فوقها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا عوف عمن حدثه عن ابن عباس

قوله ما يملكون من قطمير قال هو جلد النواة حدثني على قال ثنا أبو صالح قال ثني
معاوية عن على عن ابن عباس قوله من قطمير يقول الجلد الذى يكون على ظهر النواة حدثني
ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ما يملكون
من قطمير يعني قشر النواة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى
حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فى قول
الله من قطمير قال لفافة النواة كسحاة البيضة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة فى قوله ما يملكون من قطمير والقطمير القشرة التى على رأس النواة حدثنا عمرو بن
عبد الحميد قال ثنا مروان بن معاوية عن جويبر عن بعض أصحابه فى قوله ما يملكون من
قطمير قال هو القمع الذى يكون على التمرة حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا مرة
عن عطية قال القطمير قشر النواة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم
ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير﴾ قوله ان
تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم يقول تعالى ذكره ان تدعوا أيها الناس هؤلاء
الآلهة التى تعبدونها من دون الله لا يسمعوا دعاءكم لأنها جماد لا تفهم عنكم ما تقولون ولو سمعوا
ما استجابوا لكم يقول ولو سمعوا دعاءكم اياهم وفهموا عنكم أنها قول لكم بأن جعل لهم سمع يسمعون به
ما استجابوا لكم لأنها ليست بناطقة وليس كل سامع قولا متيسرا له الجواب عنه يقول تعالى ذكره
للمشركين به الآلهة والأوثان فكيف تعبدون من دون الله من هذه صفته وهو لا ينفع لكم عنده
ولا قدرة له على ضركم وتدعون عبادة الذى بيده نفعكم وضركم وهو الذى خلقكم وأنعم عليكم
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد
قال ثنا سعيد عن قتادة قوله إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم أى ما قبلوا
ذلك عنكم ولا نفعوكم فيه وقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم يقول تعالى ذكره للمشركين من
عبدة الأوثان ويوم القيامة تتبرأ آلهتكم التى تعبدونها من دون الله من أن تكون كانت لله شريكا
فى الدنيا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويوم القيامة يكفرون
بشرككم اياهم ولا يرضون ولا يقرون به وقوله ولا ينبئك مثل خبير يقول تعالى ذكره ولا يخبرك
بأمر عن آلهة هؤلاء المشركين وما يكون من أمرها وأمر عبدتها يوم القيامة من تبرئها منهم وكفرها
بهم مثل ذى خبرة بأمرها وأمرهم وذلك الخبير هو الله الذى لا يخفى عليه شئ كان أو يكون
سبحانه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا
يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا ينبئك مثل خبير والله هو الخبير انه سيكون هذا منهم
يوم القيامة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد﴾
يقول تعالى ذكره يا أيها الناس أنتم أولو الحاجة والفقر الى ربكم فاياه فاعبدوا وفى رضاه فسارعوا
منكم من فقركم وتنجح لديه حوائجكم والله هو الغنى عن عبادتكم اياه وعن خدمتكم وعن غير
ذلك من الأشياء منكم ومن غيركم الحميد يعنى المحمود على نعمه فان كل نعمة بكم وبغيركم فمنه
وله الحمد والشكر بكل حال ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد
وما ذلك على الله بعزيز ولا تزر وازرة وزر أخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شئ ولو
كان ذا قربى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلوة ومن تزكى فانما يتزكى
لنفسه والى الله المصير﴾ يقول تعالى ذكره ان يشأ يهلككم أيها الناس ربكم لأنه أنشأكم من غير

منهن الاحاملة وزرها لا وزر غيرها
ولا ينافى هذا قوله وليحملن أثقالهم
وأثقالا مع أثقالهم لان وزر الاضلال
هو وزر النفس الوازرة أيضا وفيه
أن كل نفس وازرة مهمومة بهم
وزرها متحيرة فى أمرها ثم زاد
فى التهويل بقوله (وان تدع مثقلة)
أى نفس ذات حمل (لا يحمل منه
شئ) فان عدم قضاء الحاجة بعد
السؤال أفظع ثم زاد التأكيد بقوله
(ولو كان) أى المدعو (ذا قربى)
فان عدم القضاء بعد السؤال من
القريب من أب وولد أدل على
شدة الأمر فيعلم منه أن لا غياث
يومئذ أصلا ثم بين أن هذه
الانذارات انما تفيد أهل الخشية
والطاعة حال كونهم غائبين عن
العذاب أو حال كون العذاب غائبا
عنهم ثم لما بين أن الوزر لا يتعدى الى
الغير بين أن التطهر عن الذنوب
لا يفيد الا نفس المتزكى (والى الله
المصير) لكل فيجزيهم على حسب
ذلك ثم ضرب للكافر والمؤمن مثلا
فقال (وما يستوى الأعمى
والبصير) وقيل انه مثل للصنم
والمعبود الحق ثم ذكر للكفر والايمان
مثالا قائلا (ولا الظلمات ولا النور)
واذا كان الايمان نورا والمؤمن
بصيرا فلا يخفى عليه النور واذا كان
الكفر ظلمة والكافر أعمى فله صادّ
فوق صادّ ثم بين لمآلهما ومرجعهما
مثلا وهو الظل والحرور قال أهل
اللغة السموم يكون بالنهار والحرور
أعم وقال بعضهم الحرور يكون
بالليل فالمؤمن بايمانه كمن هو

ماحاجة به اليكم ويأت بخلق جديد يقول ويأت بخلق سواكم يطيعونه ويأتمرون لأمره ويتجاوز عما نهاهم عنه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد أى ويأت بغيركم وقوله وماذلك على الله بعزيز يقول وما إذهابكم والاتيان بخلق سواكم على الله بشديد بل ذلك عليه يسير سهل يقول فاتقوا الله أيها الناس وأطيعوه قبل أن يفعل بكم ذلك وقوله ولاتزر وازرة وزر أخرى يقول تعالى ذكره ولاتحمل آثمة إثم أخرى غيرها وان تدع مثقلة الى حملها لايحمل منه شئ ولو كان ذاقربى يقول تعالى وان تسأل ذات ثقل من الذنوب من يحمل عنها ذنوبها وتطلب ذلك لم تجد من يحمل عنها شيأ منها ولو كان الذى سألته ذاقرابة من أب وأخ * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولاتزر وازرة وزر أخرى وان تدع مثقلة الى حملها لايحمل منه شئ ولو كان ذاقربى يقول يكون عليه وزر لايجد أحدا يحمل عنه من وزره شيأ حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وان تدع مثقلة الى حملها لايحمل منه شئ كنحو لاتزر وازرة وزر أخرى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان تدع مثقلة الى حملها الى ذنوبها لايحمل منه شئ ولو كان ذاقربى أى قريب القرابة منها لايحمل من ذنوبها شيأ ولاتحمل على غيرها من ذنوبها شيأ ولاتزر وازرة وزر أخرى ونصب ذاقربى على تمام كان لأن معنى الكلام ولو كان الذى تسأله أن يحمل عنها ذنوبها ذاقربى لها وأنثت مثقلة لأنه ذهب بالكلام الى النفس كأنه قيل وان تدع نفس مثقلة من الذنوب الى حمل ذنوبها وانما قيل كذلك لأن النفس تؤدى عن الذكر والأنثى كما قيل كل نفس ذائقة الموت يعنى بذلك كل ذكر وأنثى وقوله انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انما تنذر يا محمد الذين يخافون عقاب الله يوم القيامة من غير معاينة منهم لذلك ولكن لإيمانهم بما أتيتهم به وتصديقهم لك فيما أنبأتهم عن الله فهؤلاء الذين ينفعهم انذارك ويتعظون بمواعظك لا الذين طبع الله على قلوبهم فهم لايفقهون كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب أى يخشون النار وقوله وأقاموا الصلاة يقول وأدوا الصلاة المفروضة بحدودها على ما فرضها الله عليهم وقوله ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه يقول تعالى ذكره ومن يتطهر من دنس الكفر والذنوب بالتوبة الى الله والايمان به والعمل بطاعته فانما يتطهر لنفسه وذلك أنه يثيبها به رضا الله والفوز بجنانه والنجاة من عقابه الذى أعده لأهل الكفر به كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه أى من عمل صالحا فانما يعمله لنفسه وقوله والى الله المصير يقول والى الله مصير كل عامل منكم أيها الناس مؤمنكم وكافركم وبركم وفاجركم وهو مجازجميعكم بما قدم من خير أو شر على ما أهل منه

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور ان أنت الا نذير﴾ يقول تعالى ذكره وما يستوى الأعمى عن دين الله الذى ابتعث به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم والبصير الذى قد أبصر فيه رشده فاتبع محمدا وصدقه وقبل عن الله ما ابتعثه به ولا الظلمات يقول وما تستوى ظلمات الكفر ونور الايمان ولا الظل قيل ولا الجنة

فى ظل وراحة والكافر فى كفره كمن هو فى حر وتعب * وههنا مسائل الأولى ضرب أولا مثلا للكافر والمؤمن ثم أعاد مثلهما بقوله (وما يستوى الأحياء ولا الأموات) وهذا أبلغ لأن الأعمى والبصير قد يشتركان فى ادراك أشياء ولا كذلك الحى والميت ولمكان هذه المبالغة أعاد الفعل * الثانية كرر لا النافية فى الأمثال الأخيرة دون الأول لأن المنافاة بين العمى والبصر ليست ذاتية كما فى سائرهما وقد يكون شخص واحد بصيرا باحدى العينين أعمى بالأخرى * الثالثة قدم الأشرف فى مثلين وهو الظل والحرّ وأخر فى الآخرين فهم أهل الظاهر أن ذلك لرعاية الفواصل والمحققون قالوا انهم كانوا قبل البعث فى ظلمة الضلال فصاروا الى نور الايمان فى زمان محمد صلى الله عليه وسلم فلهذا الترتيب قدم مثل الكافر وكفره على مثل المؤمن وايمانه ولما ذكر المآل والمرجع قدم ما يتعلق بالرحمة على ما يتعلق بالغضب لأن رحمته سبقت غضبه ثم ان الكافر المصرّ بعد البعثة صار أضل من الأعمى وشابه الأموات فى عدم ادراك الحق فقال وما يستوى الأحياء أى المؤمن الذى آمن بما أنزل الله والأموات الذين تليت عليهم الآيات ولم تنجع فيهم البينات فأخرهم عن المؤمنين لوجود حياتهم قبل ممات الكافرين المعاندين * الرابعة انما وحد الأعمى والبصير لأن المراد أن أحد الجنسين

لايساوى جلس الآخر من جهة العمى والبصر ولعل فردا من أحدهما قد يساوى الفرد الآخر من جهة أخرى وكذا الكلام فى إفراد الظل والحرور وانما جمع الظلمات ووحد النور لما مر فى أول الأنعام من تحقيق أن الحق واحد والشبهات كثيرة وانما جمع الأحياء والاموات لان المراد أن أحد الصنفين لايساوى الآخر سواء قابلت الجنس بالجنس أو قابلت الفرد بالفرد * الخامسة لايخفى أن هذه الواوات بعضها ضمت شفعا الى شفع وبعضها ضمت وترا الى وتر ثم سلى رسوله بقوله (ان الله يسمع) الآية فقد مر نظيره فى قوله انك لاتسمع الموتى وانما اقتصر على قوله (ان أنت الا نذير) وكذا فى قوله (الا خلا فيها نذير) لأن الكلام فى معرض التهديد مع أن ذكر البشير يدل عليه بل ذكر النذير يدل على مقابله والمراد بالنذارة آثارها الثبوت زمان الفترة ثم زاد فى التسلية بقوله (وان يكذبوك) وقد مر مثله فى آخر آل عمران وانما حذف الفاعل هناك لبناء الكلام هنالك على الاقتصار لدليله أنه قال وان يكذبوك فقد كذب فاقتصر على لفظ المضى ولم يسم الفاعل ويحتمل أن يكون لفظ الماضى اشارة الى وقوع التكذيب منهم فان تلك السورة مدنية والله أعلم

﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود

لالحرور قيل النار كأن معناه عندهم وما تستوى الجنة والنار والحرور بمنزلة السموم وهى الريح الحارة وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى عن رؤبة بن العجاج أنه كان يقول الحرور بالليل والسموم بالنهار وأما أبو عبيدة فانه قال الحرور فى هذا الموضع بالنهار مع الشمس وأما الفراء فانه كان يقول الحرور يكون بالليل والنهار والسموم لايكون بالليل انما يكون بالنهار والقول عندى أن الحرور يكون بالليل والنهار غير أنه فى هذا الموضع بأن يكون كما قال أبو عبيدة أشبه مع الشمس لأن الظل انما يكون فى يوم شمس فذلك يدل على أنه أريد بالحرور الذى يوجد فى حال وجود الظل وقوله وما يستوى الأحياء ولا الأموات يقول وما يستوى الأحياء من القلوب بالايمان بالله ورسوله ومعرفة تنزيل الله والأموات القلوب لغلبة الكفر عليها حتى صارت لاتعقل عن الله أمره ونهيه ولاتعرف الهدى من الضلال وكل هذه أمثال ضربها الله للايمان والكافر والكفر * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وما يستوى الأعمى والبصير الآية قال هو مثل ضربه الله لأهل الطاعة وأهل المعصية يقول وما يستوى الأعمى والظلمات والحرور ولا الأموات فهو مثل أهل المعصية لايستوى البصير ولا النور ولا الظل والأحياء فهو مثل أهل الطاعة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما يستوى الأعمى الآية خلقا فضل بعضه على بعض فأما المؤمن فعبد حى الأثر حى البصر حى النية حى العمل وأما الكافر فعبد ميت ميت البصر ميت القلب ميت العمل حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات قال هذا مثل ضربه الله فالمؤمن بصير فى دين الله والكافر أعمى كما لايستوى الظل ولا الحرور ولا الأحياء ولا الأموات فكذلك لايستوى هذا المؤمن الذى يبصر دينه ولا هذا الأعمى وقرأ أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس قال الهدى الذى هداه الله ونوره هذا مثل ضربه الله لهذا المؤمن الذى يبصر دينه وهذا الكافر الأعمى فجعل المؤمن حيا وجعل الكافر ميتا ميت القلب أومن كان ميتا فأحييناه قال هديناه الى الاسلام كمن مثله الظلمات أعمى القلب وهو فى الظلمات أهذا وهذا سواء * واختلف أهل العربية فى وجه دخول لا مع حرف العطف فى قوله ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور فقال بعض نحويى البصرة قال ولا الظل ولا الحرور فيشبه أن تكون لا زائدة لأنك لو قلت لايستوى عمرو ولا زيد لم يكن لهذا المعنى لم يجز إلا أن تكون لا زائدة وكان غيره يقول اذا لم تدخل لا مع الواو فانما تدخل لتفيد دخولها فى أول الكلام فاذا أدخلت فانه يراد بالكلام أن كل واحد منهما لايساوى صاحبه فكان معنى الكلام اذا أعيدت لا مع الواو عند صاحب هذا القول لايساوى الأعمى البصير ولايساوى البصير الأعمى فكل واحد منهما لايساوى صاحبه وقوله ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور يقول تعالى ذكره كما لايقدر أن يسمع من فى القبور كتاب الله فيهديهم به الى سبيل الرشاد فكذلك لايقدر أن ينفع بمواعظ الله وبيان حججه من كان ميت القلب من أحياء عباده عن معرفة الله وفهم كتابه وتنزيله وواضح حججه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور كذلك الكافر لايسمع ولاينتفع بما يسمع وقوله ان أنت الا نذير يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم

ومن الناس والدواب والأنعام
مختلف ألوانه كذلك انما يخشى
الله من عباده العلماء ان الله عزيز
غفور ان الذين يتلون كتاب الله
وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم
سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور
ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله
انه غفور شكور والذى أوحينا
اليك من الكتاب هو الحق مصدقا
لما بين يديه ان الله بعباده لخبير
بصير ثم أورثنا الكتاب الذين
اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه
ومنهم مقتصد ومنهم سابق
بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل
الكبير جنات عدن يدخلونها
يحلون فيها من أساور من ذهب
ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقالوا
الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان
ربنا لغفور شكور الذى أحلنا دار
المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب
ولا يمسنا فيها لغوب والذين كفروا
لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا
ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك
نجزى كل كفور وهم يصطرخون
فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير
الذى كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر
فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا
فما للظالمين من نصير ان الله عالم
غيب السموات والأرض انه عليم
بذات الصدور هو الذى جعلكم
خلائف فى الأرض فمن كفر فعليه
كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم
عندربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين
كفرهم الا خسارا قل أرأيتم شركاءكم
الذين تدعون من دون الله أروني

ما أنت إلا نذير تنذر هؤلاء المشركين بالله الذين طبع الله على قلوبهم ولم يرسلك ربك اليهم الا لتبلغ
رسالته ولم يكلفك من الامر ما لا سبيل لك اليه فأما اهتداؤهم وقبولهم منك ما جئتهم به فان
ذلك بيد الله لا بيدك ولا بيد غيرك من الناس فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان هم لم يستجيبوا
لك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من أمة إلا خلا
فيها نذير وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب
المنير ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
إنا أرسلناك يا محمد بالحق وهو الايمان بالله وشرائع الدين التى افترضها على عباده بشيرا يقول
مبشرا بالجنة من صدقك وقبل منك ما جئت به من عند الله من النصيحة ونذيرا تنذر الناس من
كذبك وردّ عليك ما جئت به من عند الله من النصيحة وان من أمة إلا خلا فيها نذير يقول وما من
أمة من الأمم الدائنة بملة إلا خلا فيها من قبلك نذير ينذرهم بأسنا على كفرهم بالله كما حدثنا بشر
قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان من أمة إلا خلا فيها نذير كل أمة كان لها رسول
وقوله وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم يقول تعالى ذكره مسليا نبيه صلى الله عليه وسلم
فيما يلقى من مشركى قومه من التكذيب وان يكذبك يا محمد مشركو قومك فقد كذب الذين من قبلهم
من الأمم الذين جاءتهم رسلهم بالبينات يقول بحجج من الله واضحة وبالزبر يقول وجاءتهم
بالكتب من عند الله كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله بالبينات
والزبر أى الكتب وقوله وبالكتاب المنير يقول وجاءهم من الله الكتاب المنير لمن تأمله وتدبر
أنه الحق كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وبالكتاب المنير
يضعف الشئ وهو واحد وقوله ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير يقول تعالى ذكره
ثم أهلكنا الذين جحدوا رسالة رسلنا وحقيقة ما دعوهم اليه من آياتنا وأصروا على جحودهم فكيف
كان نكير يقول فانظر يا محمد كيف كان تغييرى بهم وحلول عقوبتى بهم ۞ القول فى تأويل
قوله تعالى ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد
بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك
انما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور﴾ يقول تعالى ذكره ألم تر يا محمد أن الله أنزل
من السماء غيثا فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها يقول فسقيناه أشجارا فى الأرض فأخرجنا به من
تلك الأشجار ثمرات مختلفا ألوانها منها الأحمر ومنها الأسود والأصفر وغير ذلك من ألوانها ومن
الجبال جدد بيض وحمر يقول تعالى ذكره ومن الجبال طرائق وهى الجدد وهى الخطط تكون
فى الجبال بيض وحمر وسود كالطرق واحدتها جدة ومنه قول امرئ القيس فى صفة حمار

كأن سراته وجدة متنه ▪ كتائن يجرى فوقهن دليص

يعنى بالجدة الخطة السوداء تكون فى متن الحمار وقوله مختلف ألوانها يعنى مختلف ألوان الجدد
وغرابيب سود وذلك من المقدم الذى هو بمعنى التأخير وذلك أن العرب تقول هو أسود غربيب
اذا وصفوه بشدة السواد وجعل السواد ههنا صفة للغرابيب وقوله ومن الناس والدواب
والأنعام مختلف ألوانه كذلك من الثمرات والجبال مختلف ألوانه بالحمرة والبياض والسواد والصفرة
وغير ذلك ▪ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال
ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات
مختلفا ألوانها أحمر وأخضر وأصفر ومن الجبال جدد بيض أى طرائق بيض وحمر مختلف

ألوانها أى جبال حمر وبيض وغرابيب سود هو الأسود يعنى لونه كما اختلف ألوان هذه
اختلف ألوان الناس والدواب والأنعام كذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول
أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ومن الجبال جدد بيض طرائق بيض وحمر وسود
وكذلك الناس مختلف ألوانهم حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآملى قال ثنا مروان عن
جويبر عن الضحاك قوله ومن الجبال جدد بيض قال هى طرائق حمر وسود وقوله انما يخشى
الله من عباده العلماء يقول تعالى ذكره انما يخاف الله فيتقى عقابه بطاعته العلماء بقدرته على ما يشاء
من شئ وأنه يفعل ما يريد لأن من علم ذلك أيقن بعقابه على معصيته فخافه ورهبه خشية منه أن
يعاقبه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا
عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله انما يخشى الله من عباده العلماء قال
الذين يعلمون أن الله على كل شئ قدير حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة
قوله انما يخشى الله من عباده العلماء قال كان يقال كفى بالرهبة علما وقوله ان الله عزيز غفور
يقول تعالى ذكره ان الله عزيز فى انتقامه ممن كفر به غفور لذنوب من آمن به وأطاعه ﴿ القول
فى تأويل قوله تعالى ﴿ ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية
يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور ﴾ يقول تعالى ذكره
ان الذين يقرؤن كتاب الله الذى أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم وأقاموا الصلاة يقول وأدوا
الصلاة المفروضة بحدودها وقال وأقاموا الصلاة بمعنى ويقيمون الصلاة وقوله وأنفقوا
مما رزقناهم سرا وعلانية يقول وتصدقوا مما أعطيناهم من الأموال سرا فى خفاء وعلانية
جهارا وانما معنى ذلك أنهم يؤدون زكاة ذلك المفروضة ويتطوعون أيضا بالصدقة منه بعد
أداء الفرض الواجب عليهم فيه وقوله يرجون تجارة لن تبور يقول تعالى ذكره يرجون بفعلهم
ذلك تجارة لن تبور لن تكسد ولن تهلك من قولهم بارت السوق اذا كسدت وبار الطعام وقوله
تجارة جواب لأول الكلام وقوله ليوفيهم أجورهم يقول يوفيهم الله على فعلهم ذلك ثواب أعمالهم
التى عملوها فى الدنيا ويزيدهم من فضله يقول وكى يزيدهم على الوفاء من فضله ما هو له أهل
وكان مطرف بن عبد الله يقول هذه آية القراء حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عمرو بن عاصم
قال ثنا معتمر عن أبيه عن قتادة قال كان مطرف اذا مر بهذه الآية ان الذين يتلون كتاب الله
يقول هذه آية القراء حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن يزيد عن
مطرف بن عبد الله أنه قال فى هذه الآية ان الذين يتلون كتاب الله الى آخر الآية قال هذه آية القراء
حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان مطرف بن عبد الله يقول هذه
آية القراء ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وقوله انه غفور شكور يقول ان الله غفور لذنوب
هؤلاء القوم الذين هذه صفتهم شكور لحسناتهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا
سعيد عن قتادة انه غفور شكور انه غفور لذنوبهم شكور لحسناتهم ﴿ القول فى تأويل قوله
تعالى ﴿ والذى أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير ﴾
يقول تعالى ذكره والذى أوحينا اليك من الكتاب يا محمد وهو هذا القرآن الذى أنزله الله عليه
هو الحق يقول هو الحق عليك وعلى أمتك أن تعمل به وتتبع ما فيه دون غيره من الكتب التى
أوحيت الى غيرك مصدقا لما بين يديه يقول هو يصدق ما مضى بين يديه فصار أمامه من
الكتب التى أنزلتها الى من قبلك من الرسل كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد

ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك
فى السموات أم آتيناهم كتابا فهم
على بينة منه بل ان يعد الظالمون
بعضهم بعضا الا غرورا ان الله
يمسك السموات والأرض أن تزولا
ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من
بعده انه كان حليما غفورا وأقسموا
بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير
ليكونن أهدى من احدى الأمم
فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا
استكبارا فى الأرض ومكر السيئ
ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله فهل
ينظرون الا سنت الأولين فلن تجد
لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت
الله تحويلا أولم يسيروا فى الأرض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما
كان الله ليعجزه من شئ فى السموات
ولا فى الأرض انه كان عليما قديرا
ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا
ما ترك على ظهرها من دابة ولكن
يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء
أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا ﴿
﴿ القراآت يدخلونها مجهولا
أبو عمرو ويجزى مجهولا غائبا كل
بالرفع أبو عمرو الباقون بالنون مبينا
للفاعل كل بالنصب ومكر السيئ
بهمزة ساكنة حمزة استثقالا
للحركات وحمله النحويون على
الاختلاس واذا وقف يبدل من
الهمزة ياء ساكنة ﴿ الوقوف ماء ج
للعدول ألوانها الأولى ج سود ٥
كذلك ط العلماء ط غفور ٥
لن تبور ٥ فضله ط شكور ٥
يديه ط بصير ٥ عبادنا ج

لنفسه ج مقتصد ج تفصيلا بين الجمل مع النسق باذن الله ط الكبير ه ط لأن ما بعده مبتدأ لا بدل ولؤلؤا ج لاختلاف الجملتين حرير ه الحزن ط شكور ه فضله ج لاحتمال الاستئناف والحال لغوب ه جهنم ج لمثل ماقلنا عذابها ط كفور ه ج لاحتمال الواو والحال فيها ج للقول المحذوف كنا نعمل ط النذير ه نصير ه والأرض ط الصدور ه في الأرض ط كفره ط مقتا ج وان اتفقت الجملتان ولكن لتكرار الفعل وتصريح الفاعل والمفعول في الثانية خسارا ه دون الله ط السموات ج لاحتمال أن أم منقطعة منه ج غرورا ه تزولا ج لابتداء ما في معنى القسم مع الواو من بعده ط غفورا ه الأمم ج نفورا ه لا ومكر السيئ ط بأهله ط الأولين ج لانتهاء الاستفهام مع اتصال الفاء تبديلا ه ج تحويلا ه قوة ط في الأرض ط قديرا ه مسمى ج بصيرا ه ﴿ التفسير لما بين دلائل الوحدانية بطريق الاخبار ذكر دليلا آخر بطريق الاستخبار لأن الشيء اذا كان خفيا ولا يراه من يحضرتك كان معذورا أما اذا كان بارزا مكشوفا فانك تقول أما تراه والمخاطب إما كل أحد أو النبي صلى الله عليه وسلم لأن السيد اذا نصح بعض العباد ولم ينفعهم الارشاد قال لغيره اسمع ولا تكن مثل هذا ويكرر معه ماذكره مع الأول والالتفات

عن قتادة قوله والذي أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه للكتب التي خلت قبله وقوله ان الله بعباده لخبير بصير يقول تعالى ذكره ان الله بعباده لذو علم وخبرة بما يعملون بصير بما يصلحهم من التدبير ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾ اختلف أهل التأويل في معنى الكتاب الذي ذكر الله في هذه الآية أنه أورثه الذين اصطفاهم من عباده ومن المصطفون من عباده والظالم لنفسه فقال بعضهم الكتاب هو الكتب التي أنزلها الله من قبل الفرقان والمصطفون من عباده أمة محمد صلى الله عليه وسلم والظالم لنفسه أهل الاجرام منهم ذكر من قال ذلك حدثنا علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ثم أورثنا الكتاب الى قوله الفضل الكبير هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وتجاوز الله لكل كتاب أنزله فظالمهم يغفر له ومقتصدهم يحاسب حسابا يسيرا وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو بن قيس عن عبد الله بن عيسى عن يزيد بن الحرث عن شقيق عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود أنه قال هذه الأمة ثلاثة أثلاث يوم القيامة ثلث يدخلون الجنة بغير حساب وثلث يحاسبون حسابا يسيرا وثلث يجيئون بذنوب عظام حتى يقول ما هؤلاء وهو أعلم تبارك وتعالى فتقول الملائكة هؤلاء جاؤا بذنوب عظام الا أنهم لم يشركوا بك فيقول الرب أدخلوا هؤلاء في سعة رحمتي وتلا عبد الله هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا عون قال ثنا عبد الله بن الحرث بن نوفل قال ثنا كعب الأحبار أن الظالم لنفسه من هذه الأمة والمقتصد والسابق بالخيرات كلهم في الجنة ألم تر أن الله قال ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الى قوله كل كفور حدثني علي بن سعيد الكندي قال ثنا عبد الله بن المبارك عن عوف عن عبد الله بن الحرث بن نوفل قال سمعت كعبا يقول فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قال كلهم في الجنة وتلا هذه الآية جنات عدن يدخلونها حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا مروان بن معاوية الفزاري عن عوف بن أبي جميلة قال ثنا عبد الله بن الحرث بن نوفل قال ثنا كعب أن الظالم من هذه الأمة والمقتصد والسابق بالخيرات كلهم في الجنة ألم تر أن الله قال ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الى قوله كل كفور فهؤلاء أهل النار حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن عوف قال سمعت عبد الله بن الحرث يقول قال كعب ان الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات من هذه الأمة كلهم في الجنة ألم تر أن الله يقول ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا حتى بلغ قوله جنات عدن يدخلونها حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا حميد عن اسحق بن عبد الله بن الحرث عن أبيه أن ابن عباس سأل كعبا عن قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الى قوله باذن الله فقال تماست منا كبهم ورب الكعبة ثم أعطوا الفضل بأعمالهم حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو بن قيس عن أبي اسحق السبيعي في هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا قال قال أبو اسحق أما ما سمعت منذ ستين سنة فكلهم ناج * قال ثنا عمرو عن محمد بن الحنفية قال انها أمة مرحومة الظالم مغفور له والمقتصد في الجنات عند الله والسابق بالخيرات في الدرجات عند الله * وقال آخرون الكتاب الذي أورث هؤلاء القوم هو

دة أن لا اله الا الله والمصطفون هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم والظالم لنفسه منهم هو المنافق وهو
ار والمقتصد والسابق بالخيرات فى الجنة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو عمار الحسين
حريث المروزى قال ثنا الفضل بن موسى عن حسين بن واقد عن يزيد عن عكرمة عن
دله فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال اثنان فى الجنة و واحد فى النار
ثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس
وله ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الى آخر الآية قال جعل أهل الايمان على
ثة منازل كقوله أصحاب الشمال ما أصحاب الشمال وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين والسابقون
سابقون أولئك المقربون فهم على هذا المثال حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال
الحسين عن يزيد عن عكرمة فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد الآية قال الاثنان فى الجنة وواحد
النار وهى بمنزلة التى فى الواقعة وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ما أصحاب
مال والسابقون السابقون حدثنا سهل بن موسى قال ثنا عبد المجيد عن ابن جريج عن
اهد فى قوله ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه قال هم أصحاب
شامة ومنهم مقتصد قال هم أصحاب الميمنة ومنهم سابق بالخيرات قال هم السابقون من
اس كلهم حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا مروان بن معاوية قال قال عوف قال الحسن
الظالم لنفسه فانه هو المنافق سقط هذا وأما المقتصد والسابق بالخيرات فهما صاحبا الجنة
ثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن عوف قال قال الحسن الظالم لنفسه المنافق حدثنا
ر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من
ادنا شهادة أن لا اله الا الله فمنهم ظالم لنفسه هذا المنافق فى قول قتادة والحسن ومنهم مقتصد قال
هما صاحب اليمين ومنهم سابق بالخيرات قال هذا المقرب قال قتادة كان الناس ثلاث منازل
دنيا وثلاث منازل عند الموت وثلاث منازل فى الآخرة أما الدنيا فكانوا (١) مؤمن ومنافق
مشرك وأما عند الموت فان الله قال فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما
ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل
حميم وتصلية جحيم وأما فى الآخرة فكانوا أزواجا ثلاثة وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة
وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون حدثنى محمد بن
عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا
أبو عاصم جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم
ظالم لنفسه قال هم أصحاب المشأمة ومنهم مقتصد قال أصحاب الميمنة ومنهم سابق بالخيرات
هم السابقون من الناس كلهم حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى
وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ثم
أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه قال سقط هذا ومنهم مقتصد ومنهم
سابق بالخيرات باذن الله قال سبق هذا بالخيرات وهذا مقتصد على أثره « وأولى الأقوال فى ذلك
بالصواب تأويل من قال عنى بقوله ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الكتب التى
أنزلت من قبل الفرقان فان قال قائل وكيف يجوز أن يكون ذلك معناه وأمة محمد صلى الله عليه
وسلم لا يتلون غير كتابهم ولا يعملون الا بما فيه من الأحكام والشرائع قيل ان معنى ذلك
غير الذى ذهبت اليه وانما معناه ثم أورثنا الايمان بالكتاب الذين اصطفينا فمنهم مؤمنون

فى (فأخرجنا) لان نزول الماء يمكن
أن يقال انه بالطبع ولكن الاخراج
لا يمكن الا بارادة الله وأيضا
الاخراج أتم نعمة من الانزال لأن
انزال المطر لفائدة الاخراج
واختلاف ألوان الثمرات اختلاف
أصنافها أوهيآتها والجدد الخطط
والطرائق فعلة بمعنى مفعولة والجد
القطع قال جار الله لابد من تقدير
مضاف أى ومن الجبال ذو جدد
بيض وحمر مختلف ألوانها
فى البياض والحمرة لأن الأبيض
قد يكون على لون الجص وقد يكون
أدنى من ذلك وكذلك الحمرة
والغرابيب تأكيد للسود الا أنه
أضمر المؤكد أولا ثم أظهر ثانيا على
طريقة قوله « والمؤمن العائذات
الطير » وانما لم يتصور اختلاف
الألوان ههنا لأن السواد اذا كان
فى الغاية لم يمكن بعدها لون يقال
أسود غربيب للذى أبعد
فى السواد وأغرب فيه ومنه الغراب
ويمكن أن يقال ان المختلف صفة
الحمر فقط وحين فرغ من دلائل
النبات وما يشبه المعادن شرع
فى الاستدلال بالحيوان وقدم
الانسان لشرفه ثم ذكر الدواب على
العموم ثم خصص الأنعام وأراد
بالدابة الفرس بجعله لشرفه رديف
الانسان وقوله (مختلف) أى بعض
مختلف (ألوانه) وذكر الضمير
تغليبا للانسان أو نظرا الى البعض
وقوله (كذلك) أى كاختلاف
الجبال والثمرات وفيه أن هذه
الأجناس كما أنها فى أنفسها دلائل

(١) كذا فى الدر أيضا مؤمن الخ
بالرفع والخطب سهل كتبه
مصححه

فهي باختلافها أيضا دلائل وحين خاطب نبيه بقوله ألم تر بمعنى ألم تعلم أتبعه قوله (انما يخشى الله من عباده العلماء) كأنه قال انما يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن نظر فى دلائله فعرفه حق معرفته أو أراد أن يعرفه كنه معرفته لأن الخشية على حسب العلم بنعوت كماله وصفات جلاله وفى الحديث أعلمكم بالله أشدكم خشية له وفائدة تقديم المفعول أن يعلم أن الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم ولو أخر المفعول كان معنى صحيحا وهو أنهم لا يخشون أحدا الا الله الا أن ذلك غير مراد ههنا وعن عمر بن عبد العزيز ويحكى عن أبى حنيفة أنهما قرآ برفع الله ونصب العلماء فتكون الخشية مستعارة للتعظيم أى لا يعظم الله ولا يجل من الرجال الا العلماء به ثم بين السبب الباعث على الخشية بقوله (ان الله عزيز غفور) فالعزة توجب الخوف من أليم عقابه والمغفرة توجب الطمع فى نعيمه وثوابه وفيه أن خوف المؤمن ينبغى أن يكون مخلوطا برجائه ثم مدح العالمين العاملين بقوله (ان الذين يتلون) الآية قال اهل التحقيق قوله انما يخشى الله اشارة الى عمل القلب وقوله ان الذين يتلون أى يداومون على التلاوة اشارة الى عمل اللسان وقوله (وأقاموا الصلاة) اشارة الى عمل الجوارح والكل أقسام التعظيم لأمر الله ثم أشار الى الشفقة على خلق الله بقوله

بكل كتاب أنزله الله من السماء قبل كتابهم وعاملون به لأن كل كتاب أنزل من السماء قبل الفرقان فانه يأمر بالعمل بالفرقان عند نزوله و باتباع من جاء به وذلك عمل من اقر بمحمد صلى الله عليه وسلم و بما جاء به وعمل بما دعا اليه بما فى القرآن و بما فى غيره من الكتب التى أنزلت قبله وانما قيل عنى بقوله ثم أورثنا الكتاب الكتب التى ذكرنا لأن الله جل ثناؤه قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم والذى أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ثم أتبع ذلك قوله ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا فكان معلوما اذ كان معنى الميراث انما هو انتقال معنى من قوم الى آخرين ولم تكن أمة على عهد نبينا صلى الله عليه وسلم انتقل اليهم كتاب من قوم كانوا قبلهم غير أمته أن ذلك معناه واذ كان ذلك كذلك فبين أن المصطفين من عباده هم مؤمنو أمته وأما الظالم لنفسه فانه لأن يكون من أهل الذنوب والمعاصى التى هى دون النفاق والشرك عندى أشبه بمعنى الآية من أن يكون المنافق أو الكافر وذلك أن الله تعالى ذكره أتبع هذه الآية قوله جنات عدن يدخلونها فعم بدخول الجنة جميع الأصناف الثلاثة فان قال قائل فان قوله يدخلونها انما عنى به المقتصد والسابق قيل له وما برهانك على أن ذلك كذلك من خبر أو عقل فان قال قيام الحجة أن الظالم من هذه الأمة سيدخل النار ولم يدخل النار من هذه الأصناف الثلاثة أحد وجب أن لا يكون لأهل الايمان وعيد قيل انه ليس فى الآية خبر أنهم لا يدخلون النار وانما فيها إخبار من الله تعالى ذكره أنهم يدخلون جنات عدن وجائز أن يدخلها الظالم لنفسه بعد عقوبة الله اياه على ذنوبه التى أصابها فى الدنيا وظلمه نفسه فيها بالنار أو بما شاء من عقابه ثم يدخله الجنة فيكون من عمه خبر الله جل ثناؤه بقوله جنات عدن يدخلونها وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو الذى قلنا فى ذلك أخبار وان كان فى أسانيدها نظر مع دليل الكتاب على صحة على النحو الذى بينت ذكر الرواية الواردة بذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد الزبيرى قال ثنا سفيان عن الأعمش قال ذكر أبو ثابت أنه دخل المسجد فجلس الى جنب أبى الدرداء فقال اللهم آنس وحشتى وارحم غربتى و يسر لى جليسا صالحا فقال أبو الدرداء ان كنت صادقا لأنا أسعد به منك سأحدثك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدث به منذ سمعته ذكر هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فأما السابق بالخيرات فيدخلها بغير حساب وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا وأما الظالم لنفسه فيصيبه فى ذلك المكان من الغم والحزن فذلك قوله الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الوليد بن المغيرة أنه سمع رجلا من ثقيف حدث عن رجل من كنانة عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال فى هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قال هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم فى الجنة وعنى بقوله الذين اصطفينا من عبادنا الذين اخترناهم لطاعتنا واجتبيناهم وقوله فمنهم ظالم لنفسه يقول فمن هؤلاء الذين اصطفينا من عبادنا من يظلم نفسه بركوبه المآثم واجترامه المعاصى واقترافه الفواحش ومنهم مقتصد وهو غير المبالغ فى طاعة ربه وغير المجتهد فى أزمه من خدمة ربه حتى يكون عمله فى ذلك قصدا ومنهم سابق بالخيرات وهو المبرز الذى قد تقدم المجتهدين فى خدمة ربه وأداء ما لزمه من فرائضه فسبقهم بصالح الأعمال وهى الخيرات كما قال الله جل ثناؤه باذن الله يقول بتوفيق الله اياه لذلك وقوله ذلك هو الفضل الكبير يقول

تعالى ذكره سبوق هذا السابق من سبقه بالخيرات باذن الله هو الفضل الكبير الذى فضل به من كان مقصرا عن منزلته فى طاعة الله من المقتصد والظالم لنفسه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ جنات يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور ﴾ يقول تعالى ذكره بساتين اقامة يدخلونها هؤلاء الذين أورثناهم الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا يوم القيامة يحلون فيها من أساور من ذهب يلبسون فى جنات عدن أسورة من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير يقول ولباسهم فى الجنة حرير وقوله وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن اختلف أهل التأويل فى الحزن الذى حمد الله على اذهابه عنهم هؤلاء القوم فقال بعضهم ذلك الحزن الذى كانوا فيه قبل دخولهم الجنة من خوف النار اذ كانوا خائفين ان يدخلوها ذكر من قال ذلك حدثنى قتادة بن سعيد بن قتادة السدوسى قال ثنا معاذ بن هشام صاحب الدستوائى قال ثنا أبى عن عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس فى قوله الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن قال حزن النار حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال ان المؤمنين قوم ذلل والله الأسماع والأبصار والجوارح حتى يحسبهم الجاهل مرضى وما بالقوم مرض وانهم لأصحة القلوب ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة فقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن والحزن والله ما حزنهم حزن الدنيا ولا تعاظم فى أنفسهم ما طلبوا به الجنة أبكاهم الخوف من النار وانه من لا يتعز بعزاء الله يقطع نفسه على الدنيا حسرات ومن لم يرض عليه نعمة الا فى مطعم أو مشرب فقد قل علمه وحضر عذابه ◆ وقال آخرون عنى به الموت ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن عطية فى قوله الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن قال الموت ◆ وقال آخرون عنى به حزن الخبز ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن حفص يعنى ابن حميد عن شمر قال لما أدخل الله أهل الجنة الجنة قالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن قال حزن الخبز ◆ وقال آخرون عنى بذلك الحزن من التعب الذى كانوا فيه فى الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن قال كانوا فى الدنيا يعملون وينصبون وهم فى خوف أو يحزنون ◆ وقال آخرون بل عنى بذلك الحزن الذى ينال الظالم لنفسه فى موقف القيامة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن الأعمش قال ذكر أبو ثابت أن أبا الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أما الظالم لنفسه فيصيبه فى ذلك المكان من الغم والحزن فذلك قوله الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ◆ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء القوم الذين أكرمهم بما أكرمهم به أنهم قالوا حين دخلوا الجنة الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن وخوف دخول النار من الحزن والجزع من الموت من الحزن والجزع من الحاجة الى المطعم من الحزن ولم يخصص الله اذ أخبر عنهم أنهم حمدوه على اذهابه الحزن عنهم نوعا دون نوع بل أخبر عنهم أنهم عموا جميع أنواع الحزن بقولهم ذلك وكذلك ذلك لأن من دخل الجنة فلا حزن عليه بعد ذلك فحمدهم على اذهابه عنهم جميع معانى الحزن وقوله ان ربنا لغفور شكور يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذه الأصناف الذين أخبر أنه اصطفاهم من عباده عند دخولهم الجنة ان ربنا لغفور لذنوب عباده الذين تابوا من ذنوبهم فسترها عليهم بعفوه لهم عنها شكور لهم على طاعتهم

(وأنفقوا مما رزقناهم) وقوله (يرجون) وهو خبر إن اشارة الى الاخلاص فى العقائد والأعمال أى ينفقون من الأموال لا ليقال انه كريم أو لغرض آخر بل لتجارة لا كساد فيها ولا بوار وهى طلب مرضاة الله وقوله (ليوفيهم) متعلق بلن تبور أى تنفق عند الله ليوفيهم بتفاوتها عنده أجورهم وجوز جار الله أن يجعل يرجون فى موضع الحال واللام متعلق بالافعال المتقدمة أى فعلوا جميع ما ذكر من التلاوة والاقامة والانفاق لغرض التوفية وخبر ان قوله (انه غفور) لهم (شكور) لأعمالهم وحين ذكر دلائل الوحدانية أتبعه بيان الرسالة وذكر حقيقة الكتاب المتلو الكتاب للجنس فمن للتبعيض أو هو القرآن ومن للتبيين أو هو اللوح المحفوظ ومن للابتداء وقد مر فى البقرة أن قوله مصدقا حال مؤكدة وفى قوله (ان الله بعباده لخبير بصير) تقرير لكونه حقا لأن الذى يكون عالما بالبواطن والظواهر لم يمكن أن يكون فى كلامه شوب باطل وفيه لم يختر محمد للرسالة جزافا وعلى سبيل الاتفاق ولكنه أعلم حيث يجعل رسالته قوله (ثم أورثنا الكتاب) زعم جمع من المفسرين أن الكتاب للجنس بدليل قوله فيما قبل جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر والايراث الاعطاء والمصطفون من عبيده هم الأنبياء كأنه قال علمنا البواطن وأبصرنا الظواهر فاصطفينا عبادا ثم أورثناهم الكتاب وعلى هذا

فالمراد بالظلم على النفس وضع الشئ
فى غير موضعه وان كان بترك الاولى
ومنه قول أبينا آدم ربنا ظلمنا أنفسنا
وقول يونس انى كنت من الظالمين
واذا كان الظلم بهذا المعنى جائزا
عليهم فالاقتصاد أولى ويجوز أن
يعود الضمير فى قوله فمنهم الى الأمة
كأنه قيل ان الذى أوحينا اليك هو
الحق وأنت المصطفى كما اصطفينا
رسلنا وآتيناهم كتبا فمن قومك
ظالم كفرك وبما أنزل اليك
ومقتصد آمن به ولم يأت بجميع
ما أمر به وسابق آمن وعمل صالحا
وقال أكثرهم انه القرآن والايراث
الحكم بالتوريث أو هو على عادة
اخبار الله فى التعبير عن المستقبل
بالماضى لتحققه أى نريد أن نورثه
والمصطفون هم الصحابة والتابعون
ومن بعدهم الى يوم القيامة كقوله
كنتم خير أمة وكذلك جعلناكم أمة
وسطا وعلى هذا ففى تفسير المراتب
الثلاثة أقوال أحدها الظالم الراجح
السيئات والمقتصد المتساوى
الحسنات والسيئات والسابق راجح
الحسنات ثانيها الظالم من ظاهره
خير من باطنه والمقتصد المتساوى
والسابق من باطنه خير ثالثها الظالم
صاحب الكبيرة والمقتصد صاحب
الصغيرة والسابق المعصوم رابعها
عن على رضى الله عنه الظالم أنا
والمقتصد أنا والسابق أنا فقيل له
وكيف ذاك قال أنا ظالم بمعصيتى
ومقتصد بتوبتى وسابق بحبتى
خامسها الظالم التالى للقرآن غير العالم
به ولا العامل بموجبه والمقتصد

أيا موصالحا قدموا فى الدنيا من الأعمال ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من
قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان ربنا لغفور شكور
لحسناتهم حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن حفص عن شمر ان ربنا لغفور شكور
غفر لهم ما كان من ذنب وشكرهم ما كان منهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الذى أحلنا دار
المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الذين
أدخلوا الجنة ان ربنا لغفور شكور الذى أحلنا دار المقامة أى ربنا الذى أنزلنا هذه الدار يعنون
الجنة فدار المقامة دار الاقامة التى لا ظعنة معها عنها ولا تحول والميم اذا ضمت من المقامة فهى من
الاقامة فاذا فتحت فهى من المجلس والمكان الذى يقام فيه قال الشاعر

يومان يوم مقامات وأندية * ويوم سير الى الأعداء تأويب

ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد
قال ثنا سعيد عن قتادة الذى أحلنا دار المقامة من فضله أقاموا فلا يتحولون وقوله لا يمسنا
فيها نصب يقول لا يصيبنا فيها تعب ولا وجع ولا يمسنا فيها لغوب يعنى باللغوب العناء والاعياء
ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبيد قال ثنا
موسى بن عمير عن أبى صالح عن ابن عباس فى قوله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب قال
اللغوب العناء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يمسنا فيها نصب
أى وجع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا
ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل
صالحا غير الذى كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير﴾ يقول تعالى ذكره
والذين كفروا بالله ورسوله لهم نار جهنم يقول لهم نار جهنم مخلدين فيها لا حظ لهم فى الجنة ولا
نعيمها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لهم نار جهنم لا يقضى عليهم
بالموت فيموتوا لأنهم لو ماتوا لاستراحوا ولا يخفف عنهم من عذابها يقول ولا يخفف عنهم من
عذاب نار جهنم بأماتتهم فيخفف ذلك عنهم كما حدثنى مطرف بن عبد الله الضبى قال ثنا
أبو قتيبة قال ثنا أبو هلال الراسبى عن قتادة عن أبى السوداء قال مساكين أهل النار لا يموتون
فيموتوا لاستراحوا حدثنى عقبة بن سنان القزاز قال ثنا غسان بن مضر قال ثنا سعيد
ابن يزيد وحدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن سعيد بن يزيد وحدثنا سوار بن عبد الله
قال ثنا بشر بن المفضل ثنا أبو سلمة عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون لكن ناسا أو كما قال
تصيبهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فيميتهم اماتة حتى اذا صاروا حمما أذن فى الشفاعة فجئ بهم
ضبائر ضبائر فبثوا على أهل الجنة فقال يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل
السيل فقال رجل من القوم حينئذ كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان بالبادية فان قال
قائل وكيف قيل ولا يخفف عنهم من عذابها وقد قيل فى موضع آخر كلما خبت زدناهم سعيرا
قيل معنى ذلك ولا يخفف عنهم من هذا النوع من العذاب وقوله كذلك نجزى كل كفور
يقول تعالى ذكره هكذا يكافئ كل جحود لنعم ربه يوم القيامة بأن يدخلهم نار جهنم بسيآتهم
التى قدموها فى الدنيا وقوله وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل
يقول تعالى ذكره هؤلاء الكفار يستغيثون ويضجون فى النار يقولون يا ربنا أخرجنا نعمل

صالحا أى تعمل بطاعتك غير الذى كنا نعمل قبل من معاصيك وقوله يصطرخون يفتعلون من الصراخ حولت تاؤها طاء لقرب مخرجها من الصاد لما ثقلت وقوله أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر اختلف أهل التأويل فى مبلغ ذلك فقال بعضهم ذلك أربعون سنة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن مجاهد قال سمعت ابن عباس يقول العمر الذى أعذر الله الى ابن آدم أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر أربعون سنة حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم عن مجالد عن الشعبى عن مسروق أنه كان يقول اذا بلغ أحدكم أربعين سنة فليأخذ حذره من الله * وقال آخرون بل ذلك ستون سنة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن خثيم عن مجاهد عن ابن عباس أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر قال ستون سنة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت عبد الله بن عثمان بن خثيم عن مجاهد عن ابن عباس قال العمر الذى أعذر الله فيه لابن آدم ستون سنة حدثنا على بن شعيب قال ثنا محمد بن اسمعيل بن أبى فديك عن ابراهيم بن الفضل عن ابن أبى حسين المكى عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نودى أين أبناء الستين وهو العمر الذى قال الله أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير حدثنى أحمد بن الفرج الحمصى قال ثنا بقية بن الوليد قال ثنا مطرف بن مازن الكنانى قال ثنى معمر بن راشد قال سمعت محمد بن عبد الرحمن الغفارى يقول سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعذر الله الى صاحب الستين سنة والسبعين حدثنا أبو صالح الفزارى قال ثنا محمد بن سوار قال ثنا يعقوب بن عبد الرحمن بن عبد القارى الاسكندرى قال ثنا أبو حازم عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمره الله ستين سنة فقد أعذر اليه فى العمر حدثنا محمد بن سوار قال ثنا أسد بن حميد عن سعيد بن طريف عن الأصبغ بن نباتة عن على رضى الله عنه فى قوله أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير قال العمر الذى عمركم الله به ستون سنة * وأشبه القولين بتأويل الآية اذ كان الخبر الذى ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرا فى اسناده بعض من يجب التثبت فى نقله قول من قال ذلك أربعون سنة لأن فى الأربعين يتناهى عقل الانسان وفهمه وما قبل ذلك وما بعده متنقص عن كماله فى حال الأربعين وقوله وجاءكم النذير اختلف أهل التأويل فى معنى النذير فقال بعضهم عنى به محمد صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وجاءكم النذير قال النذير النبى وقرأ هذا نذير من النذر الأولى وقيل عنى به الشيب وتأويل الكلام اذا أولم نعمركم يا معشر المشركين بالله من قريش من السنين ما يتذكر فيه من تذكر من ذوى الألباب والعقول واتعظ منهم من اتعظ وتاب من تاب وجاءكم من الله منذر ينذركم فتتوبوا فيه اليوم من عذاب الله فلم تتذكروا ولم تتعظوا ولم تقبلوا من نذير الله الذى جاءكم ما أتاكم به من عند ربكم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فذوقوا فما للظالمين من نصير ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور ﴾ يقول تعالى ذكره فذوقوا نار عذاب جهنم الذى عملتموه أيها الكافرون بالله فما للظالمين من نصير يقول فما للكافرين الذين ظلموا أنفسهم باكتسابها غضب الله بكفرهم بالله فى الدنيا من نصير ينصرهم من الله ليستنقذهم من عقابه

التالى العالم غير العامل والسابق التالى العامل سادسها الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم سابعها الظالم من يحاسب فيدخل النار وهو أصحاب المشأمة والمقتصد من يحاسب فيدخل الجنة وهو أصحاب الميمنة والسابق من يدخل الجنة بغير حساب ثامنها الظالم من خالف أوامر الله وارتكب مناهيه فانه واضع للتكليف فى غير موضعه والمقتصد هو المجتهد فى أداء التكاليف وان لم يوفق لذلك فانه قصد الحق واجتهد والسابق هو الذى لم يخالف تكاليف الله بتوفيقه دليله قوله فى الأخير باذن الله ذلك أنه اذا وقع الخير فى نفسه سبق اليه قبل تسويل النفس والمقتصد يقع فى قلبه فتردده النفس والظالم تغلبه النفس وبعبارة أخرى من غلبته النفس الأمارة وأمرته فأطاعها ظالم ومن جاهد نفسه فغلبته تارة وغلب أخرى فهو المقتصد صاحب النفس اللوامة ومن قهر نفسه فهو السابق وفى تقديم الظالم ثم المقتصد ايذان بأن المقتصدين أكثر من السابقين والظالمون أكثر الأقسام كما قال وقليل من عبادى الشكور (ذلك) الذى ذكر من التوفيق أو من السبق بالخيرات أو من الايراث (هو الفضل الكبير) قال جار الله أبدل قوله (جنات عدن) من الفضل لأنها مسببة عنه وكأنها هو قلت ويمكن أن يقال جنات عدن مبتدأ لانها معرفة بدليل قوله جنات عدن التى وعد الرحمن ولئن سلم أنها نكرة

وقوله ان الله عالم غيب السموات والارض يقول تعالى ذكره ان الله عالم ما تخفون أيها الناس
فى أنفسكم وتضمرونه وما لم تضمروه ولم تنووه مما ستنوونه وما هو غائب عن أبصاركم فى السموات
والأرض فاتقوه أن يطلع عليكم وأنتم تضمرون فى أنفسكم من الشك فى وحدانيته الله وفى نبوة من
غير الذى تبدونه بألسنتكم انه عليم بذات الصدور ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هو الذى
جعلكم خلائف فى الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا
ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا﴾ يقول تعالى ذكره الله الذى جعلكم أيها الناس خلائف
فى الأرض من بعد عاد وثمود ومن مضى قبلكم من الأمم فجعلكم تخلفونهم فى ديارهم ومساكنهم
كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هو الذى جعلكم خلائف
فى الأرض أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن وقوله فمن كفر فعليه كفره يقول تعالى ذكره فمن كفر بربه
منكم أيها الناس فعلى نفسه ضر كفره لا يضر بذلك غير نفسه لأنه المعاقب عليه دون غيره وقوله
ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا يقول تعالى ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم
إلا بعدا من رحمة الله ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا يقول ولا يزيد الكافرين كفرهم بربهم
إلا هلاكا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني
ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل إن يعد
الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا
محمد لمشركى قومك أرأيتم أيها القوم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض
يقول أروني أى شئ خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات يقول أم لشركائكم شرك مع
الله فى السموات ان لم يكونوا خلقوا من الأرض شيأ أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه يقول
آتيناهم هؤلاء المشركين كتابا أنزلناه عليهم من السماء بأن يشركوا بالله الأوثان والأصنام فهم على بينة
منه فهم على برهان مما أمرتهم فيه من الاشراك بى ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل
ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل أرأيتم شركاءكم
الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض لا شئ والله خلقوا منها أم لهم شرك
فى السموات لا والله ما لهم فيها شرك أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه يقول أم آتيناهم كتابا
يأمرهم أن يشركوا وقوله بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا وذلك قول بعضهم لبعض
ما نعبد آلهتنا إلا ليقربونا الى الله زلفى خداعا من بعضهم لبعض وغرورا وانما تزلفهم آلهتهم
النار وتقصيهم من الله ورحمته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿إن الله يمسك السموات والأرض
أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا﴾ يقول تعالى ذكره
الله يمسك السموات والأرض لئلا تزولا من أماكنهما ولئن زالتا يقول ولو زالتا إن أمسكهما
من أحد من بعده يقول ما أمسكهما أحد سواه ووضعت لئن فى قوله ولئن زالتا فى موضع
لأنهما يجابان بجواب واحد فيتشابهان فى المعنى ونظير ذلك قوله ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا
لظلوا من بعده يكفرون بمعنى ولو أرسلنا ريحا وكما قال ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل
لو أتيت وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ونحو الذى قلنا فى ذلك قال
أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة
قوله ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا من مكانهما حدثنا ابن بشار قال ثنا
عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن أبى وائل قال جاء رجل الى عبد الله فقال

فليكن (يدخلونها) صفة له وخبرها
(يحلون) ثم ان ضمير يدخلون ان عاد
الى التالين لكتاب الله أو الى السابقين
فلا اشكال فالظالم يدخل النار
والمقتصد يكون أمره موقوفا
كقوله وآخرون مرجون لأمر الله
أو كقوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم
خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وان
عاد الى الفرق الثلاث فبشرط العفو
أو بشرط التوبة وقد يروى عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم
سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا
مغفور له وفى تقديم جنات عدن
وبناء الكلام عليها دون أن يقول
يدخلون جنات عدن ايذان بأن
الاهتمام بشأنها أكثر فان نظر السامع
على المدخول فيه لا على نفس
الدخول وقدمرت العبارة الاصلية
فى سورة الحج فى قوله ان الله يدخل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جنات الى قوله حرير وتغيير العبارة
فى هذا المقام لمزيد هذه الفائدة والله
أعلم وفى قوله (يحلون فيها) اشارة الى
سرعة الدخول فان فى تحليتهم خارج
الجنة تأخيرا للدخول وفى تحليتهم
بالسوار إشارة الى أمرين
أحدهما الترفه والتنعم الثانى أنهم
لا يحتاجون فيها الى عمل من الطبخ
وتهيئة سائر الأسباب قال جار الله
أى يحلون بعض أساورة من ذهب
كانه بعض سابق لسائر الأبعاض
كما سبق المسورون به غيرهم
والذهب واللؤلؤ اشارة الى النوعين
اللذين منهما الحلى وقيل ان ذلك
الذهب فى صفاء اللؤلؤ والحزن

حثت قال من الشام قال من لقيت قال لقيت كعبا فقال ماحدثك كعب قال حدثني
سموات تدور على منكب ملك قال فصدقته أو كذبته قال ماصدقته ولا كذبته قال
دت أنك افتديت من رحلتك اليه براحلتك ورحلها كذب كعب ان الله يقول إن الله يمسك
موات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن امسكهما من أحد من بعده حدثنا جرير عن مغيرة
راهيم قال ذهب جندب البجلي الى كعب الأحبار فقدم عليه ثم رجع فقال له عبد الله
ثا ماحدثك فقال حدثني أن السماء في قطب كقطب الرحا والقطب عمود على منكب ملك
عبد الله لوددت أنك افتديت رحلتك بمثل راحلتك ثم قال ماتنكت اليهودية في قلب عبد
دت أن تفارقه ثم قال إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا كفى بهما زوالا أن تدور
وله انه كان حليما غفورا يقول تعالى ذكره ان الله كان حليما عمن أشرك وكفر به من خلقه
وكه تعجيل عذابه له غفورا لذنوب من تاب منهم وأناب الى الايمان به والعمل بما يرضيه
قول في تأويل قوله تعالى ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى
م فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا استكبارا في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ
أهله فهل ينظرون إلا سنت الأولين فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا﴾
تعالى ذكره وأقسم هؤلاء المشركون بالله جهد أيمانهم يقول أشد الأيمان فبالغوا فيها لئن
جاءهم من الله منذر ينذرهم بأس الله ليكونن أهدى من احدى الأمم يقول ليكونن أسلك لطريق
وأشد قبولا لما يأتيهم به النذير من عند الله من إحدى الامم التي خلت من قبلهم فلما جاءهم
يعني بالنذير محمدا صلى الله عليه وسلم يقول فلما جاءهم محمد ينذرهم عقاب الله على كفرهم
حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلما جاءهم نذير وهو محمد صلى
عليه وسلم وقوله ما زادهم إلا نفورا يقول ما زادهم مجيء النذير من الايمان بالله واتباع الحق
لوك هدى الطريق إلا نفورا وهربا وقوله استكبارا في الأرض يقول نفروا استكبارا في
ض وخدعة سيئة وذلك أنهم صدوا الضعفاء عن اتباعه مع كفرهم به والمكر ههنا هو الشرك
حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومكر السيئ وهو الشرك وأضيف
ل السيئ والسيئ من نعت المكر كما قيل ان هذا لهو حق اليقين وقيل ان ذلك في قراءة
له ومكرا سيئا وفي ذلك تحقيق القول الذي قلناه من أن السيئ في المعنى من نعت المكر وقرأ
عض قراء الأمصار غير الأعمش وحمزة بهمزة محركة بالخفض وقرأ ذلك الأعمش وحمزة بهمزة
كن الهمزة اعتلالا منهما بأن الحركات لما كثرت في ذلك ثقل فسكنا الهمزة كما قال الشاعر
* اذا اعوجمن قلت صاحب قوم *
كن الباء لكثرة الحركات * والصواب من القراءة ما عليه قراء الأمصار من تحريك الهمزة
بالخفض وغير جائز في القرآن أن يقرأ بكل ما جاز في العربية لأن القراءة انما هي ما قرأت
ئمة الماضية وجاء به السلف على النحو الذي أخذوا عمن قبلهم وقوله ولا يحيق المكر السيئ
له يقول ولا ينزل المكر السيئ إلا بأهله يعني بالذين يمكرونه وانما عنى أنه لا يحل مكروه ذلك
الذي مكره هؤلاء المشركون الا بهم وقال قتادة في ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال
سعيد عن قتادة ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله وهو الشرك وقوله فهل ينظرون إلا سنة الأولين
تعالى ذكره فهل ينتظر هؤلاء المشركون من قومك يا محمد إلا سنة الله بهم في عاجل الدنيا على

الجنس فيعم كل حزن من أحزان
الدنيا والدين كما روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليس على أهل
لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا
في محشرهم وكأني بأهل لا اله الا الله
يخرجون من قبورهم وهم ينفضون
التراب عن وجوههم ويقولون
الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن
وقد خصه جمع من المفسرين بخوف
سوء العاقبة أو بحزن الآفات
أو بحزن الموت أو بهم المعاش حتى
قال بعضهم كراء الدار والتعميم
أولى والمقامة بمعنى الاقامة والفضل
التفضل وعند المعتزلة العطاء لان
الثواب أجر مستحق واجب عندهم
والنصب التعب والمشقة التي
تصيب المزاول للامر المتنصب له
واللغوب ما يلحقه من الفتور
والكلال بعد ذلك قاله جار الله وقال
غيره ان الذي يباشر عملا من
الأعمال لا يظهر عليه الاعياء الا بعد
أن يستريح فالمراد أنهم لا يخرجون
من الجنة الى موضع يتعبون بسبب
ذلك ثم يلحقهم الاعياء بعد الرجوع
ثم عطف قوله (والذين كفروا) على
قوله ان الذين يتلون وقوله (فيموتوا)
جواب للنفي والتقدير لا يقضى عليهم
بالموت فيستريحوا و(يصطرخون)
يفتعلون من الصراخ وهو الصياح
بجهد وشدة كشأن المستغيث
وفائدة قوله (غير الذي كنا نعمل)
زيادة التحسر على ما عملوه من غير
الصالح أو المراد نعمل صالحا غير
الذي كنا نحسبه صالحا لأنهم كانوا
يحسبون أنهم يحسنون وفيه اشارة

الى أنهم فى الآخرة ايضا ضالون لم يهدهم الله فى الآخرة كما لم يهدهم فى الدنيا ولو كانوا مهتدين لقالوا ربنا زدت المحسنين حسنات بفضلك لا بعملهم ونحن أحوج الى تخفيف العذاب منهم الى تضعيف الثواب فافعل بنا ما نت أهله نظرا الى فضلك ولا تفعل بنا ما نحن أهله نظرا الى عدلك وانظر الى مغفرتك الهاطلة ولا تنظر الى معذرتنا الباطلة وهذا بخلاف حال المؤمن هداه فى العقبى كما هداه فى الدنيا حتى دعاه بأقرب دعاء الى الاجابة وأثنى عليه بأطيب ثناء عند الاناية فقالوا الحمد لله وقالوا ان ربنا لغفور اعترافا بتقصيرهم شكورا اقرارا بوصول ما لم يخطر ببالهم اليهم وأحالوا الكل الى فضله تصريحا بأنه لا عمل لهم بالنسبة الى بحار نعمه قوله (أولم نعمركم) مستفهام فيه توبيخ والخام وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من اصلاح شأنه الا أن التوبيخ فى العمر الطويل أعظم عن النبى صلى الله عليه وسلم العمر الذى أعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة وروى من جاوز الاربعين ولم يغلب خيره شره فليتجهز الى النار وعن مجاهد ما بين العشرين الى الستين وقيل ثمانى عشرة وسبع عشرة وقوله (وجاءكم) معطوف على المعنى كأنه قيل قد عمرناكم وجاءكم (النذير) وهو النبى صلى الله عليه وسلم وقيل الشيب فبين بالجملتين أن القابل موجود والفاعل حاصل فالعذر غير مقبول

كفرهم به أليم العقاب يقول فهل ينتظر هؤلاء الا أن أحل بهم من نقمتى على شركهم بى وتكذيبهم رسولى مثل الذى أحللت بمن قبلهم من أشكالهم من الأمم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فهل ينظرون الا سنة الأولين أى عقوبة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا يقول فلن تجد لما عهد لسنة الله تغييرا وقوله ولن تجد لسنة الله تحويلا يقول ولن تجد لسنة الله فى خلقه تبديلا يقول لن يغير ذلك ولا يبدله لانه لا مرد لقضائه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شئ فى السموات ولا فى الأرض انه كان عليما قديرا﴾ يقول تعالى ذكره أولم يسر يا محمد هؤلاء المشركون بالله فى الأرض التى أهلكنا أهلها بكفرهم بنا وتكذيبهم رسلنا فانهم تجار يسلكون طريق الشام فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الأمم التى كانوا بها ألم نهلكهم ونخرب مساكنهم ونجعلهم مثلا لمن بعدهم فيتعظوا بهم ويتزجروا عما هم عليه من عبادة الآلهة بالشرك بالله ويعلموا أن الذى فعل بأولئك ما فعل وكانوا أشد منهم قوة وبطشا ان يتعذر عليه أن يفعل بهم مثل الذى فعل بأولئك من تعجيل النقمة والعذاب لهم وبنحو الذى قلنا فى قوله وكانوا أشد منهم قوة قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكانوا أشد منهم قوة يخبركم أنه أعطى القوم ما لم يعطكم وقوله وما كان الله ليعجزه من شئ فى السموات ولا فى الأرض يقول تعالى ذكره ولن يعجزنا هؤلاء المشركون بالله من عبدة الآلهة المكذبون محمدا فيسبقونا هربا فى الارض ان نحن أردنا هلاكهم لأن الله لم يكن ليعجزه شئ يريده فى السموات ولا فى الارض ولن يقدر هؤلاء المشركون أن ينفذوا أقطار السموات والأرض وقوله انه كان عليما قديرا يقول تعالى ذكره ان الله كان عليما بخلقه وما هو كائن ومن هو المستحق منهم تعجيل العقوبة ومن هو عن ضلالته منهم راجع الى الهدى أثيب قديرا على الانتقام ممن شاء منهم وتوفيق من أراد منهم للايمان ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا﴾ يقول تعالى ذكره ولو يؤاخذ الله الناس يقول ولو يعاقب الله الناس ويكافئهم بما عملوا من الذنوب والمعاصى واجترحوا من الآثام ما ترك على ظهرها من دابة تدب عليها ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى يقول ولكن يؤخر عقابهم ومؤاخذتهم بما كسبوا الى أجل معلوم عنده محدود لا يتصرون دونه ولا يجاوزونه اذا بلغوه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة الا ما حمل نوح فى السفينة وقوله فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا يقول تعالى ذكره فاذا جاء أجل عقابهم فان الله كان بعباده بصيرا من الذى يستحق أن يعاقب منهم ومن الذى يستوجب الكرامة ومن الذى كان منهم فى الدنيا له مطيعا ومن كان منهم به مشركا لا يخفى عليه أحد منهم ولا يعزب عنه علم شئ من أمرهم

آخر تفسير سورة فاطر

﴿ تفسير سورة يس ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم ﴾

اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله يس فقال بعضهم هو قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يس قال فانه قسم أقسمه الله وهو من أسماء الله ، وقال آخرون معناه يا رجل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو تميلة قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله يس قال يا انسان بالحبشية حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن شرقى قال سمعت عكرمة يقول تفسير يس يا انسان ، وقال آخرون هو مفتاح كلام افتتح الله به كلامه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال يس مفتاح كلام افتتح الله به كلامه ، وقال آخرون بل هو اسم من أسماء القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يس قال كل هجاء فى القرآن اسم من أسماء القرآن ، قال أبو جعفر وقد بينا القول فيما مضى فى نظائر ذلك من حروف الهجاء بما أغنى عن اعادته وتكريره فى هذا الموضع وقوله والقرآن الحكيم يقول والقرآن المحكم بما فيه من أحكامه وبينات حججه انك لمن المرسلين يقول تعالى ذكره فيما أوحيه وتنزيله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انك يا محمد لمن المرسلين بوحى الله الى عباده كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين قسم أقسمه لهم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم وقوله على صراط مستقيم يقول على طريق لا اعوجاج فيه من الهدى وهو الاسلام كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة على صراط مستقيم أى على الاسلام وفى قوله على صراط مستقيم وجهان أحدهما أن يكون خبرا مبتدأ كأنه قيل انك لمن المرسلين على استقامة من الحق فيكون حينئذ على من قوله على صراط مستقيم من صلة الارسال والآخر أن يكون خبرا مبتدأ كأنه قيل انك لمن المرسلين انك على صراط مستقيم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ تنزيل العزيز الرحيم ﴾ اختلف القراء فى قراءة قوله تنزيل العزيز الرحيم فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة تنزيل العزيز برفع تنزيل والرفع فى ذلك يجيء من وجهين أحدهما بأن يجعل خبرا فيكون معنى الكلام انه تنزيل العزيز الرحيم والآخر بالابتداء فيكون معنى الكلام حينئذ انك لمن المرسلين هذا تنزيل العزيز الرحيم وقرأته عامة قراء الكوفة وبعض أهل الشام تنزيل نصبا على المصدر من قوله انك لمن المرسلين لان الارسال انما هو عن تنزيل فكأنه قيل لمنزل تنزيل العزيز الرحيم حقا ، والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مشهورتان فى قراءة الامصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب

يعنى الكلام انك لمن المرسلين يا محمد رسالة الرب العزيز فى انتقامه من أهل الكفر به الرحيم بمن تاب اليه وأناب من كفره وفسوقه أن يعاقبه على سالف جرمه بعد توبته له

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون ﴾

اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فقال بعضهم معناه لتنذر قوما ما أنذر الله من قبلهم من آبائهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر

(فذوقوا) العذاب (فما للظالمين) الذين وضعوا أعمالهم فى غير موضعها وأتوا بالمعذرة فى غير وقتها (من نصير) نفى الأنصار والناصرين فى آخر آل عمران وفى الروم ووحد ههنا كأنهم فى النار قد أيسوا من كثير ممن كانوا يتوقعون منهم النصرة الا من نصير واحد وهو الله سبحانه ثم كان لسائل أن يسأل ما بال الكافر يعذب أبدا وانما كفر الأيام معدودة فلاجرم قال (ان الله عالم غيب السموات والارض) فكان يعلم من الكافر أن الكفر قد تمكن فى قلبه بحيث لو دام الى الأبد لما أطاع الله ولا عبده وذات الصدور صواحباتها من الظنون والعقائد فذو موضوع لمعنى الصحبة فالصدور ذات العقائد والعقائد ذات الصدور باعتبار أنها تصحبها وحين ذكرهم بما مر من أنه سوف

قال ثنا شعبة عن سماك عن عكرمة فى هذه الآية لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم قال قد أنذر
* وقال آخرون بل معنى ذلك لتنذر قوما (٣) ما أنذر آباؤهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا
يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم قال قال بعضهم لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم
من انذار الناس قبلهم وقال بعضهم لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم أى هذه الأمة لم يأتهم نذير حتى
جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم * واختلف أهل العربية فى معنى ما التى فى قوله ما أنذر آباؤهم
اذا وجه معنى الكلام الى أن آباءهم قد كانوا أنذروا ولم يردبها الجحد فقال بعض نحوى البصرة
معنى ذلك اذا أريد به غير الجحد لتنذرهم الذى أنذر آباؤهم فهم غافلون وقال قد دخول الفاء
فى هذا المعنى لايجوز والله أعلم قال وهو على الجحد أحسن فيكون معنى الكلام الكلام الماضين
الى قوم لم ينذر آباؤهم لأنهم كانوا فى الفترة * وقال بعض نحوى الكوفة اذا لم يرد بما الجحد فان معنى
الكلام لتنذرهم مما أنذر آباؤهم فتلقى الباء فتكون ما فى موضع نصب فهم غافلون يقول فهم غافلون
عما الله فاعل بأعدائه المشركين به من احلال نقمته وسطوته بهم وقوله لقد حق القول على أكثرهم
فهم لا يؤمنون يقول تعالى ذكره لقد وجب العقاب على أكثرهم لان الله قد حتم عليهم
فى أم الكتاب أنهم لا يؤمنون بالله ولا يصدقون رسوله * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ انا جعلنا
فى أعناقهم أغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا
فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ يقول تعالى ذكره انا جعلنا أيمان هؤلاء الكفار مغلولة الى أعناقهم
بالأغلال فلا تبسط بشئ من الخيرات وهى فى قراءة عبد الله فيما ذكر انا جعلنا فى أيمانهم أغلالا
فهى الى الأذقان وقوله الى الأذقان يعنى فأيمانهم مجموعة بالأغلال فى أعناقهم فكنى عن الأيمان
ولم يجر لها ذكر لمعرفة السامعين بمعنى الكلام وأن الأغلال اذا كانت فى الأعناق لم تكن
الا وأيدى المغلولين مجموعة بها اليها فاستغنى بذكر كون الأغلال فى الأعناق من ذكر الأيمان
كما قال الشاعر

وما أدرى اذا يممت وجها * أريد الخير أيهما يلينى
أألخير الذى أنا أبتغيه * أم الشر الذى لا يأتلينى

فكنى عن الشر وانما ذكر الخير وحده لعلم سامع ذلك بمعنى قائله اذ كان الشر مع الخير يراد
والأذقان جمع ذقن والذقن مجمع اللحيين وقوله فهم مقمحون والمقمح هو المقنع وهو أن يحمل
الذقن حتى يصير فى الصدر ثم يرفع رأسه فى قول بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة
وفى قول بعض الكوفيين هو الغاض بصره بعد رفع رأسه ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل
التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى
عن أبيه عن ابن عباس قوله انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون قال هو
كقول الله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك يعنى بذلك أن أيديهم موثقة الى أعناقهم لا يستطيعون
أن يبسطوها بخير حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث
قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فهم مقمحون قال
رافعو رؤسهم وأيديهم موضوعة على أفواههم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة قوله انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الأذقان فهم مقمحون أى فهم مغلولون عن كل
خير وقوله وجعلنا من بين أيديهم سدا يقول تعالى ذكره وجعلنا من بين أيدى هؤلاء المشركين سدا
وهو الحاجز بين الشيئين اذا فتح كان من فعل بنى آدم واذا كان من فعل الله كان بالضم وبالضم

يو بخهم بالتعمير وابتاء العقول وارسال من يؤيد المعقول بالمنقول وعظهم بأنه (هو الذى جعلكم) وقد العاطف هنا خلاف ما فى آخر الأنعام للعدول عن خطاب أهل الآخرة الى خطاب أهل الدنيا وقال ههنا (خلائف فى الارض) بزيادة فى المفيدة لتمكن المظروف فى الظرف لأجل المبالغة والترقى من الأدنى الى الأعلى كأنه قيل أمهلتم وعمرتم وأمرتم على لسان الرسل بما أمرتم وجعلتم خلفاء الهالكين الماضين فأصبحتم بحالهم راضين (فمن كفر) بعد هذا كله (فعليه) وبال (كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا) لأن الكافر السابق ممقوت واللاحق الذى أنذره الرسول ولم ينتبه أمقت لأنه رأى عذاب من تقدمه ولم ينتبه (ولا يزيد الكافرين كفرهم

(٣) أى لم ينذر آباؤهم فتأمل كتبه مصححه

ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين وقرأ بعض المكيين وعامة قراء الكوفيين
بضم السين سدا في الحرفين كلاهما والضم أعجب القراءتين الى في ذلك وان كانت الأخرى
بالفتح صحيحة وعنى بقوله وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا أنه زين لهم سوء أعمالهم
فهم يعمهون ولا يبصرون رشدا ولا يتنبهون حقا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل
ذكر من قال ذلك حدثنى ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن
القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا قال عن الحق حدثنى
محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا
ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا عن الحق
فهم يترددون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعلنا من بين أيديهم سدا
ومن خلفهم سدا قال ضلالات حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله
وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون قال جعل هذا سدا بينهم
وبين الاسلام والايمان فهم لا يخلصون اليه وقرأ وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون
وقرأ ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون الآية كلها وقال من منعه الله لا يستطيع وقوله
فأغشيناهم فهم لا يبصرون يقول فأغشينا أبصار هؤلاء أى جعلنا عليها غشاوة فهم لا يبصرون
هدى ولا ينتفعون به كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأغشيناهم فهم
لا يبصرون هدى ولا ينتفعون به وذكر أن هذه الآية نزلت فى أبى جهل بن هشام حين حلف أن
لئن رأى محمدا أو يشدخ رأسه بصخرة ذكر الرواية بذلك حدثنى عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث
ابن سعيد قال ثنا عمارة بن أبى حفصة عن عكرمة قال قال أبو جهل لئن رأيت محمدا لأفعلن ولأفعلن
فأنزلت انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا الى قوله فهم لا يبصرون قال فكانوا يقولون هذا محمد فيقول
هو أين هو لا يبصره وقد روى عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك فأغشيناهم فهم لا يبصرون
بمعنى أعشيناهم عنه وذلك أن العشا هو أن يمشى بالليل ولا يبصر ﴿ القول فى تأويل قوله
تعالى ﴿وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن
بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم ﴾ يقول تعالى ذكره وسواء يا محمد على هؤلاء الذين حق عليهم
القول أى الامرين كان منك اليهم الانذار أو ترك الانذار فانهم لا يؤمنون لأن الله قد حكم عليهم
بذلك وقوله انما تنذر من اتبع الذكر يقول تعالى ذكره انما ينفع انذارك يا محمد من آمن بالقرآن
وعمل بما فيه من أحكام الله وخشى الرحمن بالغيب يقول وخاف الله حين يغيب عن أبصار الناظرين
من خلقه الذى يستخف بدين الله اذا خلا ويظهر الايمان فى الملا ولا المشرك الذى قد طبع الله
على قلبه وقوله فبشره بمغفرة يقول فبشر يا محمد هذا الذى اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب
من عفو الله له ذنوبه وأجر كريم يقول وثواب منه له فى الآخرة كريم وذلك أن يعطيه على عمله ذلك
الجنة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد
قال ثنا سعيد عن قتادة انما تنذر من اتبع الذكر واتباع القرآن ﴿ القول فى تأويل قوله
تعالى ﴿انا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شئ أحصيناه فى امام مبين ﴾ يقول
تعالى ذكره انا نحن نحيى الموتى من خلقنا ونكتب ما قدموا فى الدنيا من خير وشر وصالح الأعمال
وسيئها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد
قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا من عمل حدثنى يونس

الاخسارا) فان العمر كرأس مال
من اشترى به رضا الله ربح ومن
اشترى به سخطه خسر ثم وبخ أهل
الشرك بقوله (قل أرأيتم) وأبدل منه
(أرونى) كأنه قال أخبرونى عن
هؤلاء الشركاء أرونى أى جزء
من أجزاء الارض استبدوا بخلقه
(أم لهم) مع الله (شرك فى) خلق
(السموات) أم معهم أو مع عابديهم
كتاب من عند الله فهم على برهان
من ذلك الكتاب والاضافة فى
شركائكم لملابسة العبادة أو المراد
كونهم شركاءهم فى النار كقوله انكم
وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم (بل ان يعد الظالمون بعضهم)
وهم الرؤساء (بعضا) وهم الأتباع
(الا غرورا) وهو قولهم ان هؤلاء
شفعاؤنا وحين بين عجز الأصنام
أراد أن يبين كمال القدرة فقال (ان
الله يمسك السموات والأرض)

قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ونكتب ماقدموا قال ماعملوا حدثنى ع
ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا و
جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ماقدموا قال أعمالهم وقوله وآثارهم يعنى وآثار خ
بأرجلهم وذكر أن هذه الآية نزلت فى قوم أرادوا أن يقربوا من مسجد رسول الله صلى الله
وسلم ليقرب عليهم ذكر من قال ذلك حدثنا نصر بن على الجهضمى قال ثنا أبو أحمد الز
قال ثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال كانت منازل الأنصار متباعد
المسجد فأرادوا أن ينتقلوا الى المسجد فنزلت ونكتب ماقدموا وآثارهم فقالوا انثبت فى مك
حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال كانت الأ
بعيدة منازلهم من المسجد فأرادوا أن ينتقلوا قال فنزلت ونكتب ماقدموا وآثارهم فثبتوا حد
ابن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة قال ثنا الجريرى عن أبى نضرة عن جا
أراد بنو سلمة قرب المسجد قال فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بنى سلمة ديار
تكتب آثاركم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا معتمر قال سمعت كهمسا يحدث عن أبى
عن جابر قال أراد بنو سلمة أن يتحولوا الى قرب المسجد قال والبقاع خالية فبلغ ذلك النبى صلى
عليه وسلم فقال يا بنى سلمة دياركم انها تكتب آثاركم قال فأقاموا وقالوا ما يسرنا أنا كنا تحولنا حد
سليمن بن عمر بن خالد الرقى قال ثنا ابن المبارك عن سفيان عن طريف عن أبى نضرة عن
سعيد الخدرى قال شكت بنو سلمة بعد منازلهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت انا نحن
الموتى ونكتب ماقدموا وآثارهم فقال عليكم منازلكم تكتب آثاركم حدثنا ابن حميد قال ث
أبو تميلة قال ثنا الحسين عن ثابت قال مشيت مع أنس فأسرعت المشى فأخذ بيدى فث
رويدا فلما قضينا الصلاة قال أنس مشيت مع زيد بن ثابت فأسرعت المشى فقال بأ
أما شعرت أن الآثار تكتب حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن يونس عن الحس
بنى سلمة كانت دورهم قاصية عن المسجد فهموا أن يتحولوا قرب المسجد فيشهدون الص
مع النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم ألا تحتسبون آثاركم يا بنى سلمة فك
فى ديارهم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن ا
ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ماقدموا وآثارهم قال خطاهم بأرجلهم حدثنى محمد بن ع
قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جم
عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وآثارهم قال خطاهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا س
عن قتادة وآثارهم قال قال الحسن وآثارهم قال خطاهم وقال قتادة لو كان مغفلا شيأ من شأ
يا ابن آدم أغفل ما تعفى الرياح من هذه الآثار وقوله وكل شئ أحصيناه فى إمام مبين يقول تع
ذكره وكل شئ كان أو هو كائن أحصيناه فأثبتناه فى أم الكتاب وهو الامام المبين وقيل مبين
يبين عن حقيقة جميع ما أثبت فيه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذ
حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد فى إمام مب
قال فى أم الكتاب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكل شئ أحص
فى إمام مبين كل شئ محصى عند الله فى كتاب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال
ابن زيد فى قوله وكل شئ أحصيناه فى إمام مبين قال أم الكتاب التى عند الله فيها الأشياء كلها
الامام المبين ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسل

أى يمنعهما من (أن تزولا) أو كراهة زوالها عن مقرهما ومركزهما ولو فرض زوالها بأمر الله فلن يمسكهما أحد من بعد زوالها أو من بعد الله وقيل أراد أنهما كانتا جديرتين بأن تهد هذا لعظم كلمة الشرك كقوله تكاد السموات يتفطرن منه يؤيد هذا الوجه قوله (انه كان حليما) غير معاجل بالعقوبة (غفورا) لمن تاب من الشرك قال المفسرون بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم رسلهم فكذبوهم فوالله لئن أتانا رسول لنكونن أهدى وزيف هذا النقل بأن المشركين كانوا منكرين للرسالة والحشر فكيف اعترفوا بأن اليهود والنصارى جاءهم رسل سلمنا لكنهم كيف عرفوا تكذيب اليهود وتحريفهم ولم يأتهم رسول

ذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون ﴾ يقول تعالى ذكره ومثل
لهم لمشركي قومك مثلا أصحاب القرية ذكر أنها انطاكية اذ جاءها المرسلون اختلف أهل العلم
في هؤلاء الرسل وفيمن كان أرسلهم الى أصحاب القرية فقال بعضهم كانوا رسل عيسى بن مريم
وعيسى الذي أرسلهم اليهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة
واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث
قال ذكر لنا أن عيسى بن مريم بعث رجلين من الحواريين الى انطاكية مدينة بالروم فكذبوهما
فأعزهما بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى وعبد الرحمن قالا ثنا
سفيان قال ثني السدي عن عكرمة واضرب لهم مثلا أصحاب القرية قال انطاكية ٭ وقال آخرون
بل كانوا رسلا أرسلهم الله اليهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا
ابن اسحق فيما يبلغه عن ابن عباس وعن كعب الأحبار وعن وهب بن منبه قال كان بمدينة انطاكية
وعون من القراعنة يقال له ابطيحس بن ابطيحس يعبد الأصنام صاحب شرك فبعث الله
المرسلين وهم ثلاثة صادق ومصدوق وسلوم فقدم اليه والى أهل مدينته منهم اثنان فكذبوهما
فعزز الله بثالث فلما دعته الرسل وأدته بأمر الله وصدعت بالذي أمرت به وعابت دينه وما هم
عليه قال لهم انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسكنكم منا عذاب أليم وقوله اذ أرسلنا اليهم اثنين
فكذبوهما فعززنا بثالث يقول تعالى ذكره حين أرسلنا اليهم اثنين يدعوانهم الى الله فكذبوهما
فشددناهما بثالث وقوينا هما به ٭ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال
ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا
الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فعززنا بثالث قال شددنا حدثنا
ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد
في قوله فعززنا بثالث قال زدنا حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فعززنا
بثالث قال جعلناهم ثلاثة قال ذلك التعزز قال والتعزز القوة وقوله فقالوا انا اليكم مرسلون يقول
قال المرسلون الثلاثة لأصحاب القرية انا اليكم أيها القوم مرسلون بأن تخلصوا العبادة لله وحده
لا شريك له وتتبرؤا مما تعبدون من الآلهة والأصنام وبالتشديد في قوله فعززنا قرأت القراء
سوى عاصم فانه قرأه بالتخفيف والقراءة عندنا بالتشديد لاجماع الحجة من القراء عليه وأن معناه
واحد شددنا فقويناوان خفف فغلبنا وليس لغلبنا في هذا الموضع كثير معنى ﴿ القول في تأويل قوله تعالى
﴿ قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شئ ان أنتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون
وما علينا الا البلاغ المبين ﴾ يقول تعالى ذكره قال أصحاب القرية للثلاثة الذين أرسلوا اليهم حين
أخبروهم أنهم أرسلوا اليهم بما أرسلوا به ما أنتم أيها القوم الا أناس مثلنا ولو كنتم رسلا كما تقولون
لكنتم ملائكة وما أنزل الرحمن من شئ يقول قالوا وما أنزل الرحمن اليكم من رسالة ولا كتاب
ولا أمركم فينا بشئ ان أنتم الا تكذبون في قيلكم انكم الينا مرسلون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون
يقول قال الرسل ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون فيما دعوناكم اليه وانا لصادقون وما علينا الا البلاغ المبين
يقول وما علينا الا أن نبلغكم رسالة الله التي أرسلنا بها اليكم بلاغا بينا لكم أنا أبلغناكموها فان
قبلتموها حظ أنفسكم تصيبون وان لم تقبلوها فقد أديناما علينا والله ولي الحكم فيه ﴿ القول في تأويل
قوله تعالى ﴿ قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم ﴾ يقول تعالى ذكره
قال أصحاب القرية للرسل انا تطيرنا بكم يعنون انا تشاءمنا بكم فان أصابنا بلاء فمن أجلكم كما حدثنا

ولا كتاب فالوجه الصحيح
في سبب النزول أنهم كانوا يقولون
لو جاءنا رسول لم ننكره وانما ينكرون
كون محمد صلى الله عليه وسلم رسولا
لأنه كاذب ولوضح كونه رسولا
لآمنا وقوله (من احدى الأمم)
ليس للتفضيل بل المراد أنا نكون
أهدى مما نحن عليه ونكون من
إحدى الأمم كقولك زيد من
المسلمين أو هو للتفضيل والأمم
لتعريف العهد أي أمة محمد وموسى
وعيسى عليهم السلام أو للعموم
اي أهدى من أي أمة تفرض
ويقال فيها احدى الأمم تفضيلا
لها على غيرها في الهدى والاستقامة
(فلما جاءهم نذير) هو محمد صلى الله
عليه وسلم الذي صح لهم نذارته
بالمعجزات الباهرة (ما زادهم) هو
أو مجيئه (الا نفورا) كانه صار سببا
في فرارهم عن الحق عنادا وكبرا

بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قالوا انا تطيرنا بكم قالوا ان أصابنا شر فانما هو من أجلكم وقوله لئن لم تنتهوا لنرجمنكم يقول لئن لم تنتهوا عما ذكرتم من أنكم أرسلتم الينا بالبراءة من آلهتنا والنهى عن عبادتنا لنرجمنكم قيل على ذلك لنرجمنكم بالحجارة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لئن لم تنتهوا لنرجمنكم بالحجارة وليمسنكم منا عذاب أليم يقول وليبلغنكم منا عذاب موجع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون ﴾ يقول تعالى ذكره قالت الرسل لاصحاب القرية طائركم معكم أئن ذكرتم يقولون أعمالكم وأرزاقكم وحظكم من الخير والشر معكم ذلك كله فى أعناقكم وما ذلك من شؤمنا ان أصابكم سوء فيما كتب عليكم وسبق لكم من الله ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قالوا طائركم معكم أى أعمالكم معكم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن سحق فيما بلغه عن ابن عباس وعن كعب وعن وهب بن منبه قالت لهم الرسل طائركم معكم أى أعمالكم معكم وقوله أئن ذكرتم اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار أئن ذكرتم بكسر الألف من إن وفتح الف الاستفهام بمعنى إن ذكرناكم فمعكم طائركم ثم أدخل على إن التى هى حرف جزاء ألف استفهام فى قول بعض نحويى البصرة وفى قول بعض الكوفيين منوى به التكرير كأنه قيل قالوا طائركم معكم ان ذكرتم فمعكم طائركم فحذف الجواب اكتفاء بدلالة الكلام عليه وانما أنكر قائل هذا القول القول الأول لأن ألف الاستفهام قد حالت بين الجزاء وبين الشرط فلا تكون شرطا لما قبل حرف الاستفهام وذكر عن أبى رزين أنه قرأ ذلك أأن ذكرتم بمعنى الأن ذكرتم طائركم معكم وذكر عن بعض قارئيه أنه قرأه قالوا طائركم معكم أين ذكرتم بمعنى حيث ذكرتم بتخفيف الكاف من ذكرتم والقراءة التى لا نجيز القراءة بغيرها القراءة التى عليها قراء الأمصار وهى دخول ألف الاستفهام على حرف الجزاء وتشديد الكاف على المعنى الذى ذكرناه عن قارئيه كذلك لاجماع الحجة من القراء عليه ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أئن ذكرتم أى ان ذكرناكم الله تطيرتم بنا بل أنتم قوم مسرفون وقوله بل أنتم قوم مسرفون يقول قالوا لهم ما بكم التطير بنا ولكنكم قوم أهل معاصى لله وآثام قد غلبت عليكم الذنوب والآثام وقوله وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى يقول وجاء من أقصى مدينة هؤلاء القوم الذين أرسلت اليهم هذه الرسل رجل يسعى اليهم وذلك أن أهل المدينة هذه عزموا واجتمعت آراؤهم على قتل هؤلاء الرسل الثلاثة فيما ذكر فبلغ ذلك هذا الرجل وكان منزله أقصى المدينة وكان مؤمنا وكان اسمه فيما ذكر حبيب بن مرى ونحو الذى قلنا فى ذلك جاءت الاخبار ذكر الأخبار الواردة بذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل بن اسمعيل قال ثنا سفيان عن عاصم الأحول عن أبى مجلز قال كان صاحب يس حبيب بن مرى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال كان من حديث صاحب يس فيما حدثنا محمد بن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس وعن كعب الاحبار وعن وهب بن منبه اليمانى أنه كان رجلا من أهل انطاكية وكان اسمه حبيبا وكان يعمل الحرير وكان رجلا سقيما قد أسرع فيه الجذام وكان منزله عند باب من أبواب المدينة قاصيا وكان مؤمنا اذا أصبح تصدق بنصف كسبه اذا أمسى فيما يذكرون فيقسمه نصفين فيطعم نصف عياله ويتصدق بنصف فلم يهمه سقمه ولا عمله ولا ضعفه عن عمل ربه قال فلما أجمع قومه على قتل الرسل بلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة الأقصى فجاء يسعى اليهم يذكرهم ما

فانتصب (استكبارا) على أنه مفعول لأجله أو حال ويجوز أن يكون بدلا من نفورا وقوله (ومكر) من اضافة المصدر الى صفة معموله أصله وأن مكروا السيء أى المكر السيء والمكر هو مكرهم بالنبى صلى الله عليه وسلم من الهم بالقتل والاخراج وقد حاق بهم يوم بدر أو هو عام وعاقبة المكر وخيمة يصل اليه جزاؤه عاجلا أو آجلا عن النبى صلى الله عليه وسلم لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله يقول ولا يحيق المكر السيء الا بأهله وفى أمثالهم من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا وفى قوله (بأهله) دون أن يقول الا بالماكر اشارة الى أن الرضا بالمكر والاعانة عليه كهو فيندرج مصاحبه فى زمرة أهل المكر وقوله (سنة الأولين) من اضافة المصدر الى المفعول وقوله سنة الله من اضافته

ويدعوهم الى اتباع المرسلين فقال ياقوم اتبعوا المرسلين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن عمرو بن حزم أنه حدث عن كعب الأحبار قال ذكر له حبيب بن زيد بن عاصم أخو بني مازن بن النجار الذي كان مسيلمة الكذاب قطعه بالبمامة حين جعل يسأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول أتشهد أن محمدا رسول الله يقول نعم ثم يقول أتشهد أني رسول الله فيقول له لا أسمع فيقول مسيلمة أتسمع هذا ولا تسمع هذا فيقول نعم فجعل يقطعه عضوا عضوا كلما سأله لم يزده على ذلك حتى مات في يديه قال كعب حين قيل له اسمه حبيب وكان والله صاحب يس اسمه حبيب حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الحسن بن عمارة عن الحكم بن عتيبة عن مقسم أبي القاسم مولى عبد الله بن الحرث بن نوفل عن مجاهد عن عبد الله بن عباس أنه كان يقول كان اسم صاحب يس حبيبا وكان الجذام فدأسرع فيه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال ذكر لنا أن اسمه حبيب وكان في غار يعبد ربه فلما سمع بهم أقبل اليهم وقوله قال ياقوم اتبعوا المرسلين يقول تعالى ذكره قال الرجل الذي جاء من أقصى المدينة لقومه ياقوم اتبعوا المرسلين الذين أرسلهم الله اليكم واقبلوا منهم ما أتوكم به وذكر أنه لما أتى الرسل سألهم هل يطلبون على ما جاؤا به أجرا فقالت الرسل لا فقال لقومه حينئذ اتبعوا من لا يسألكم على نصيحتهم لكم أجرا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال لما انتهى اليهم يعني الى الرسل قال هل تسألون على هذا من أجر قالوا لا فقال عند ذلك ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس وعن كعب الأحبار وعن وهب بن منبه اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون أي لا يسألونكم أموالكم على ما جاؤكم به من الهدى وهم لكم ناصحون فاتبعوهم تهتدوا بهداهم وقوله وهم مهتدون يقول وهم على استقامة من طريق الحق فاهتدوا أيها القوم بهداهم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيأ ولا ينقذون اني اذا لفي ضلال مبين اني آمنت بربكم فاسمعون ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذا الرجل المؤمن ومالي لا أعبد الذي فطرني أي وأي شئ لي لا أعبد الرب الذي خلقني واليه ترجعون يقول واليه تصيرون أنتم أيها القوم وترددون جميعا وهذا حين أبدى لقومه ايمانه بالله وتوحيده كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس وعن كعب الاحبار و وهب بن منبه قال فاداهم يعني نادى قومه بخلاف ما هم عليه من عبادة الأصنام وأظهر لهم دينه وعبادة ربه وأخبرهم أنه لا يملك نفعه ولا ضره غيره فقال ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون أأتخذ من دونه آلهة ثم عابها فقال ان يردني الرحمن بضر وشدة لا تغن عني شفاعتهم شيأ ولا ينقذون وقوله أأتخذ من دونه آلهة يقول أأعبد من دون الله آلهة يعني معبودا سواه ان يردني الرحمن بضر يقول ان مسني الرحمن بضر وشدة لا تغن عني شفاعتهم شيأ يقول لا تغني عني شيأ بكونها لي شفعاء ولا تقدر على دفع ذلك الضر عني ولا ينقذون يقول ولا يخلصوني من ذلك الضر اذا مسني وقوله اني اذا لفي ضلال مبين يقول اني ان اتخذت من دون الله آلهة هذه صفتها اذا لفي ضلال مبين لمن تأمله بجوره عن سبيل الحق وقوله اني آمنت بربكم فاسمعون فاختلف في معنى ذلك فقال بعضهم قال هذا القول هذا المؤمن لقومه يعلمهم ايمانه بالله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس

الى الفاعل والمراد بها إنزال العذاب على أمثالهم من مكذبي الرسل جعل استقبالهم لذلك واستعجالهم اياه انتظارا له منهم والتبديل تغيير الصورة مع بقاء المادة والتحويل نقل الشئ من مكان الى مكان آخر خص هذه السورة بالجمع بين الوصفين لأن كثيرا من أحوال الكفرة جاءت ههنا مثناة كقوله ولا يزيد الكافرين الى قوله الا خسارا وكقوله الا غرورا استكبارا في الارض ومكر السيئ ويحتمل أن يريد بسنة الأولين استمرارهم على الانكار كأنه قال أنتم تريدون الاتيان بسنة الأولين والله يأتي بسنة لا تبدل العذاب المعلوم بنوع آخر ولا تحوله عن مستحقيه الى من لا يستحقه ثم أمرهم بالسير وذكرهم

وعن كعب وعن وهب بن منبه انى آمنت بربكم فاسمعون انى آمنت بربكم الذى كفرتم به فاسمعوا قولى * وقال آخرون بل خاطب بذلك الرسل وقال لهم اسمعوا قولى لتشهدوا لى بما أقول لكم انى رسول ربى وأنى قد آمنت بكم واتبعتكم فذكر أنه لما قال هذا القول ونصح لقومه النصيحة التى ذكرها الله فى كتابه وثبوا به فقتلوه ثم اختلف أهل التأويل فى صفة قتلهم اياه فقال بعضهم رجموه بالحجارة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومالى لا أعبد الذى فطرنى واليه ترجعون هذا رجل دعا قومه الى الله وأبدى لهم النصيحة فقتلوه على ذلك وذكر لنا أنهم كانوا يرجمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومى اللهم اهد قومى حتى أقعصوه وهو كذلك * وقال آخرون بل وثبوا عليه فوطئوه بأقدامهم حتى مات ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس وعن كعب وعن وهب بن منبه قال لما قال لهم ومالى لا أعبد الذى فطرنى الى قوله فاسمعون وثبوا وثبة رجل واحد فقتلوه واستضعفوه لضعفه وسقمه ولم يكن أحد يدفع عنه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أصحابه أن عبد الله بن مسعود كان يقول وطئوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قيل ادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين﴾ يقول تعالى ذكره قال الله له اذ قتلوه كذلك فالقيه ادخل الجنة فلما دخلها وعاين ما أكرمه الله به لايمانه وصبره فيه قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى يقول ياليتهم يعلمون أن السبب الذى من أجله غفر لى ربى ذنوبى وجعلنى من الذين أكرمهم الله بادخاله اياه جنته كان ايمانى بالله وصبرى فيه حتى قتلت فيؤمنوا بالله ويستوجبوا الجنة ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق عن بعض أصحابه أن عبد الله بن مسعود كان يقول قال الله له ادخل الجنة فدخلها حيا يرزق فيها قد أذهب الله عنه سقم الدنيا وحزنها ونصبها فلما أفضى الى رحمة الله وجنته وكرامته قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قيل ادخل الجنة فلما دخلها قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين قال فلا تلقى المؤمن الا ناصحا ولا تلقاه غاشا فلما عاين ما عاين من كرامة الله قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين تمنى على الله أن يعلم قومه ما عاين من كرامة الله وما هم عليه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله قيل ادخل الجنة قال قيل قد وجبت له الجنة قال ذاك حين رأى الثواب حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن مجاهد قيل ادخل الجنة قال وجبت لك الجنة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد قيل ادخل الجنة قال وجبت له الجنة حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن عاصم الأحول عن أبى مجلز فى قوله بما غفر لى ربى قال ايمانى بربى وتصديق رسله

والله أعلم

ما رأوه فى مسايرهم ومتاجرهم الى الشام والعراق واليمن من آثار الهالكين الأقدمين مع وفور قوتهم وكثرة شوكتهم ثم بين كمال علمه ونهاية قدرته على اتصال أصناف الاستحقاقات بقوله (وما كان الله ليعجزه) أى ليسبقه ويفوته شئ ثم ختم السورة بما يدل على غاية حلمه وهو أنه لا يؤاخذ الناس بكل جرم (الى أجل مسمى) هو القيامة وهو يومئذ أعلم بأحوالهم علما عيانيا فيجزى كلا بحسب علمه وقدم مثل الآية فى سورة النحل وقيل الاجل هو يوم لا يوجد فى الخلق من يؤمن أو حين يجتمع الناس على الضلال والله أعلم

* (تم الجزء الثانى والعشرون من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء الثالث والعشرون أوله ﴿القول فى تأويل قوله تعالى (وما أنزلنا على قومه) *

2993-1-10

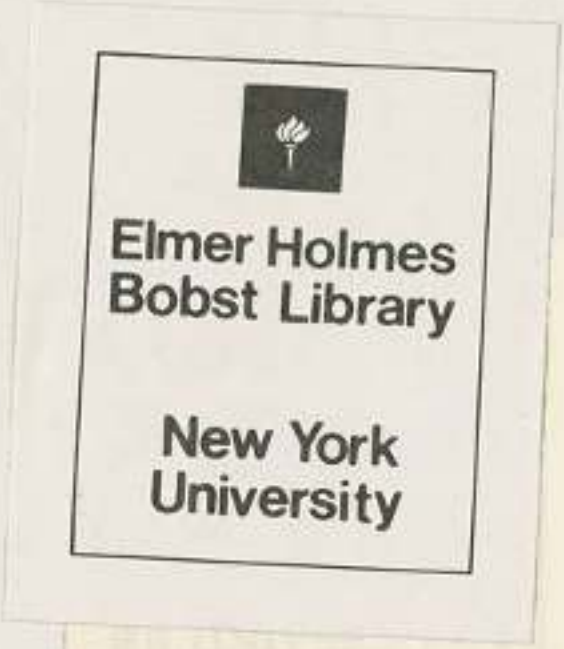
Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University